


المنهل
مجلة
شهرية للآداب والعلوم والثقافة
أسست عام
١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م

# المنهل
AL MANHAL

٦٠ عاماً من العطاء

الظاهرة القرآنية والتحليل الأسلوبي

البوسنة والوعي بوقائع التاريخ

ثروت اباظة : الغزو الفكري وهم زائف




مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٠٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





## بحر لا ساحل له

حقا إن هذه الصحافة كالخضم المتلاطم الذى لا ساحل له، فما يتقدم انسان فيها - مهما يتقدم - الا واعتراه شعور صادق عميق بانه ما يزال يدرج فى الساحل أو قريبا من الساحل.

وقد ارتاد بحر الصحافة العظيم - قبلنا - شعوب ناهضة، وارتاده معها، أو قبلها، أو بعدها، شعوب أخرى، فمن سابق ومن لاحق ومن متقدم ومن متأخر، ولكن الشعور الشامل الذى يسود الجميع انهم ما يزالون يدرجون قريبا من الساحل، وأن هذا المحيط الطامى ليس له ساحل.

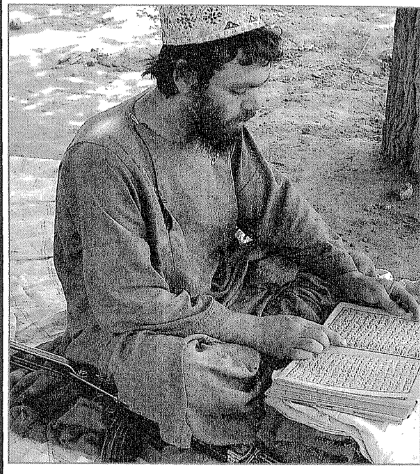
واستيقظنا اخيرا، وشاقنا جمال البحر الساحر البديع، فاندفعنا الى اقتحامه وقد أنشأنا «زوارق» محدودة الطاقة والادوات، والقينا بما أنشأنا في اليم الزاخر، ونشرنا الشراع بعد الشراع، ثم القينا بمواهبنا وبمقدراتنا فى زوارقنا وقلنا لها تقدمي بنا بين خمائل هذا الروض الانيق، لنقتطف من ثماره كل يانع وكل طريف.. وسرنا.. وسرنا.. ثم نظرنا الى الامام، ونظرنا الى الوراء.. فهالنا - فى نظرنا الى الامام - بعد الشقة بيننا وبين أدنى القوافل السارية فى عرض المحيط الينا.. وهالنا - فى نظرنا الى الوراء - اننا لم نتقدم، بعد، عن الساحل بما يقدر او يذكر.. فهل يا ترى - نستحث زوارقنا لتغذ بنا السير حتى نحقق الامل الجميل؟؟ أم اننا نستسلم لعوامل الوهن والتواكل؟ إن منطق الحياة ليهيب بنا صارخا: أن لا حياة مع اليأس، وأن لا ياس مع الحياة.

«عبدالقدوس الأنصاري»

المحرم ١٣٦٨هـ/ نوفمبر١٩٤٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

# لقطة الشهر



القرآن الكريم، كتاب الله الهادي إلى السواء.. من تمسك به هُدِيَ إلى صراط مستقيم، واليوم تجدنا أكثر حاجة لتلاوته والتفقه فيه، والعمل بأوامره والنهي عما نهى عنه.. وما لعبت الأهواء اليوم بالمسلمين إلاّ لبعدهم عنه .. من ابتغى العزة في غيره أذله الله .. وما يزيغ عنه إلاّ هالك..

## اشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة.
تليفون: ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس: ٦٦٠٤٦٧٦



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة ـ الرجاء المحافظة عليها.




غلاف العدد

## منهيات

# منهجية صارمة لا نحيد عنها

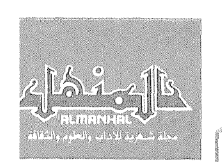
«إن صدور مجلة ملتزمة مثل «المنهل» منذ ستين عاما كان في حينه وما يزال حدثاً ثقافياً لا يقل أهمية عن إنشاء جامعة.. فقد تربى وتخرج في المنهل عشرات الكتاب والشعراء والأدباء والنقاد والصحافيين.. وتخرج منها مئات الألوف، وربما ملايين القراء .. وأبناء جيلي ومن سبقنا تعلموا في مدرسة المنهل، وعرفوا طريقهم الى عالم الشعر والقصة والكتابة عموماً عبر صفحاتها..» كلمات وفاء نبيل، سطرها قلم وفيٌ نبيل .. الأخ الأستاذ عبد الله باجبير في زاويته اليومية في الشرق الاوسط مع «قهوة الصباح».. له مني، ومن منهله ومحبيها خالص الشكر والتقدير. منذ بداياته الأولى، اختط المنهل لنفسه منهجيّة صارمة فى عطاء الكلمة لا أحسبه بحائد عنها، ولا تمنع هذه «الصرامة» من تطويرها في اتجاه الأفضل.. وهذا التوجه يضعنا في خط موازٍ تماماً لمقولة «القارىء عايز كده».

المجلة الواعية لدورها عليها أن ترتفع بالقارىء الى حيث الأفضل، لا أن تهبط به إلى الدرك الأسفل.

وحياء الحديث عن النفس لا يمنعنا بحال أن نقول، إن صرامة منهجية المنهل هي التى أعطته استمراريته عبر عقوده الستة الماضية، وبإذن الله تعالى عبر عقوده التالية.

والمنهل الآن يضيء شمعة عامه (الواحد والستين) بفضل الله وتوفيقه.. وبهذه المناسبة يتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل العلماء والمثقفين والكتاب والقراء الأكارم الذين شاركوه مسيرته المعرفية.

**نبيه الأنصاري**




العدد: (٥٢٣)
المجلد: (٥٧)
العام: (٦١)







**وكلاء التوزيع**

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

في هذا العدد

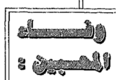
# الفهرس



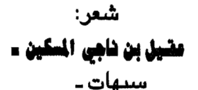


## إضاءة

* تنظيف النفس من علائق الهوى هجرة صامته٠
* الخطيب المفوّه يحمل الناس حملا إلى الحق على صهوة الكلمة الناصعة٠
* عباءة المستعمر الجديد ناعمة الملمس ٠٠ براقة الحواشي
* تغيير واقع المجتمع المسلم اليوم مرتبط بفهم فقه الخطاب القرآني
* «دع الدواء ما احتمل بدنك الداء٠٠»
* المجتمع ثنائيات متعاونة غير متضاده٠
* الفن ليس تجاوزاً للذات وانما هو الذات فى كلمات
* الإرسال الفضائى لم يُبْق قارئاً٠
* الانفتاح نحو الغرب غيَّر كثيراً من خارطة الأسماء العربية
* ابن قتيبة كان حرّ الفكر جريئاً في قول الحق




# المنهل العذب



شعر:
عقيل بن ناجي المسكين ـ
سيهات ـ

قراء المنهل، بطبيعة الحال هم أحباؤها، والحادبون عليها، والمجلة الناجحة هي التي يظل حبل الود موصولا بينها وبين قرائها.. وكم من الخواطر الرفيعة الصادقة (شعراً ونثراً) سطرها (أحباء المنهل) وفاء للكلمة الصادقة تأتيهم عبر منهلهم.

وإشادة كريمة بمجلتهم المنهل.. وكم من رسالة عاتبة عن عدم نشر تلك الخواطر.. ولا شيء يمنعنا من نشرها لولا ان اعتبرناها كلمات شكر وعرفان متبادلة.

وهذه القصيدة، واحدة من نمط هذا الوفاء الكريم من أحد أحباء المنهل.. ولعلها بداية لنشر عرفان أحباء المنهل. وتأتى هذه القصيدة بمناسبة دخول المنهل عامها الواحد والستين في عمرها المديد باذن الله تعالى، وتواصل محبيها.

**ـ المحرر ـ**

نطق الشعور بداخلي مسرورا
حين استلذَّ بـ (منهل) مبهورا

يا شاعري أسقيتني أحلى شذاً
من طيب عبق الورد فاض عبيرا

نبع جرى منه البيان مُعطَّراً
فاستنشقت منه النفوس عطورا

فيه المعاني كالطيور تجمعت
جذلانة تُهدِي الربيع حُبُورا

عجل الفؤاد بحبه إذ شعشعت
فيه المكارم مشرباً ونميرا

* * *

أنعم بها من (منهل) ترقى بنا
نحو الفضيلة موطنا معمورا

مذ أشعل (الأنصار) وهج فتيلها
سجد الفخارُ بقُربها مسحورا

لاحت إلينا من (أديب) حاذق
أعطى اليراع مكانة وظهورا

قد شاد للآداب صرحاً عالياً
يبقي على هام الشموخ كبيرا

حسبي بمدح الراحلين ترحُّماً
والله يُجْزِي (جنة وحريرا)

ما مات من أحيا العقول بفكره
وهدى القرائح للطريق مشيرا

هـذا هـو الـدرب الـقـويم لأمّة
شـهـد الكتاب بفضلها تذكيرا
هـي أمـة لـذُرى الـسـنـاء تـألـقـت
بـهـدى الإلـه فـرامـت الـتـنـويـرا
شـمـس الـهـدايـة أشـرقـت وهـاجـة
فـمـحـمـد المخـتـار جـاء منـيـرا
وبنى الحـضـارة بالجـهـاد فـسـجلت
خـيـر اللغـات شـعـاعـهـا تقـريرا
حـوت الصـحـائف مـجـدهـا فـتنورت
بـسـطـورهـا تـلـك الحـروف بـدورا
لـغـة تـنـاثـر دُرهـا فـي عـالـم
خطف العـلا من كُنهـهـا والـنـورا
نشـد الخلود بحـرفـهـا أنشـودة
وصـدا شـذاهـا فـي الجنـان أثـيـرا
عـربـيـة الإيـقـاع والأنـغـام مـطـ
ربـة يـردد لحـنـهـا تـكـريـرا
حـضن الكتـاب حـروفـهـا فـتـفـاخـرت
وتمـاوجـت دون البـحـور بحـورا
وتبـاعـد الـديجـورُ عـن آيـاتـهـا
كـالـهـارب المهـزوم نـال ثُبـورا
ولـ (مـنـهـل) الخـيـرات دور ريـادة
تـعـنـي عُلاهـا فـي الـوجـود نـشـورا

* * *

مـا كـان قـصـدُ العـاشـقين لنورهـا
عـنـد الـصـدور جـهـالـة وغُمُورا
هـذي الـعُيُون الـطـامـحـاتُ تـسـابقتْ
فـي سـيـرهـا نـحـو الجـمـال عُبـورا
تمشـي إلى دُنيـا الـكـرامـة رفـعـة
(تهـدي إلى الرشـد) القـويم كـثـيـرا
هـا (مـنـهـل) الحـرف المضـيء تـوهَّجتْ
مـثـل النجـوم بـأفـقـنـا تـأثـيـرا
من أرض (سـيـهـات) أبث قـصـيـدتي
ممـزوجـة بـشـذا الخـلـيـج سـطـورا
إنـي نـظـمـت بيـوتـهـا منـضـودة
فـبـدا سـنـاهـا (لـؤلـؤا منـثـورا)
لـ (عـروس بحـر) زانـهـا المرجـان بالـ

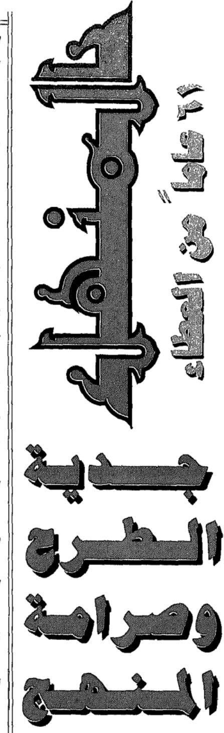
ألوان فــاحــتــد الفــتــون مــثــيــرا
أهدى ســلامي من صــمــيم مــشــاعــر
مــغــروســة وسط الشــغــاف زهـورا
لـلقــائـمـين عـلـى مــســارب (مـنـهـل)
وأخـص مـنـهـم ســيــداً ومــديـرا
يا صــاحب الفكر (النبــيــه) تحــيــة
يـأتـي إليك نـظامــهــا مــسـطورا
عن نهلكَ الميــمــون بعض مــشــاعــر
بات الخــيــال ببــحــرها مــغــمــورا
جــاءت اليك ببــاقــة مــقـطوفــة
من حــقــل أشــعــاري تراك جــديرا
مــا تاه حــرفي عن دروب مــحــبــة
ركب الســحــاب لأجلهــا مــســرورا
وليــحــفظ الله الســراة لنبــعــهــا
روم الحــقــيــقــة مــقــصــداً مــبــرورا
ســال المداد من العــقــول مــســجــلا
أغلـى الكلام بـهــمــة تحــريـرا
هـذي المجلـة للـعـلـوم خــدومــة
تـأوي البــحــوث بمـتـنـهــا والـنـورا
من (علمــهــا) أو (فـنِّهــا) أو (شِعــرهـا)
أو (نـقــدهـا) سكن الضــمــيــر قــصــورا
وكــأنَّ آمــالا كــبــاراً تـلـتـقي
في مــدِّهـا نحــو الكمــال جــســورا
تـرمـي إلـى نـشــر المعــارف والـهُدى
نـطـق الـزمــان بشــأوهـا تـوقــيــرا

* * *

يـكـفي ثـنـائـي أن أقــول صــراحــة
أنـي ارتـويت بعــنبـهــا مــأســورا
كــأس ترقــرق مــابـهــا من سكَّر
مــوفــورة إذ قــدرت تـقــديـرا
تشــفي الـغـلـيـل ببــردهـا وكــأنـهــا
عين الحــيــاة (مــزاجــهــا كــافــورا)

* * *

سكِر الشــعــور بخــاطري مــتــرنماً
فــبــدا لســاني بالشــدا تعــبــيــرا




# جدية الطرح وصرامة المنهج

**رئيس التحرير**

درج الصبي (عبد القدوس الأنصاري) في رحاب المسجد النبوي الشريف وتقلب بين أروقته، وجلس الى علمائه، منهم جميعاً أفاد علماً، واختزن معارف ما كان لمثل منْ في سنه - أو عمره الزمني - أن يستوعبها لولا حافظة ذكية لماحة، كانت هي نعمة امتياز هذا الصبي على أقرانه.. ولولا مخافة الشطط لذهبت إلى ان الصبي كان يُعدّ نفسه لاداء دور فريد، وطليعي ورائد.. وان كان لا شيء يمنع عندي من ركوب هذا الشطط فإني ذاهب إذن لتأكيد ان الصبي سابق عصره، فكان فَرَطَ زملائه وانداده الى تحقيق رؤى معرفية طالما شغلته كثيرا.

في الرابعة والعشرين من عمره أصدر الأنصاري أول كيان معرفي علمي يصدر في المملكة العربية السعودية أسماه (مجلة المنهل) - للعلوم والآداب والثقافة.

تخيّر الاسم (المنهل) ينم عن دقة، ووعي تام لمضمون المسمى في ذهنية الأنصاري التي نشأها صاحبها على الدقة ومعرفة ما يريد.. إذن هي: (صرامة المنهجية) التي عُرِفَ بها الأنصاري، أرادها قيمة موضوعية لأول كيان معرفي علمي يحقق من خلاله رؤى فكرية وثقافية وحضارية طالما تزاحمت أبجدياتها في ذهنه.

والاطار العام الذي يحتوي هذه الأبجديات يتمثل في: ربط الحاضر بالماضي (التراث) الممثل لحركة الرجعة المتنامية كرد فعل مشروع لتنامي حركة الاستلاب راجحة الكفة في فترة النهضة الثقافية.. والتوجه الثاني هو النهوض بالحاضر نحو آفاق مستقبل أفضل وأرحب.. وكل هذا يدخل في منظومة التوجه الحضاري القائم على حسن قراءة (التراث) والوعي الكامل بوقائع الحاضر، من أجل ان يكون الغد صيغة من صيغ التلاحم الموضوعي لكل مضامين التوجه الفاعل عبر قراءة الرؤى الناضجة المنبثقة من ثوابت هذه الأمة.

وفي اطار هذه الموضوعية المتبغاة نجد الدكتور محمد احمد حملون - حسب دراسته القيمة عن المنهل - قد حدد خمس أطر أساسية تمثل (خصائص الموضوعات المنهلية ورسالتها):

١ - اهتمام المنهل بالادب والشعر الحي الهادف.

٢ - دراسات المنهل القيمة في التاريخ والاجتماع.

٣ - دفاعه عن اللغة الفصحى نظراً وتطبيقاً.

٤ - الحرص على التراث الفكري الحضارى للأمة.

٥ - التثبت فيما ينشر والثقة بسلامته. وكل هذا يدرجُ المنهل في عباءة محورية المضمون المختار لها (مجلة للآداب والثقافة والعلوم).. وان كان لنا أن نضيف الى هذا القول فان المنهل يعد مرجعاً أساسياً لدراسات حركة النهضة في المملكة العربية السعودية بخاصة، ودول الخليج بعامة.. ولم يفتها تسجيل شيء من تاريخ النهضة العربية بعامة.

«لقد رافقت مجلتنا (المنهل) جميع مراحل نهضة

بلادنا العزيزة وتقدمها، فساندت هذه النهضة، وقامت بدور الصحافة الواعية التى تهدف لخير المجموع»
(الأمير سلطان بن عبد العزيز).

«كنت ولا أزال من عشاق قراءة مجلتنا الحبيبة المنهل الأغر، فما يصدر عدد منها إلا واتناوله بلهفة، واقرؤه بشغف لما تحويه دائماً من بحوث شيقة فى الأدب والشعر.. ودراسات قيمة في التاريخ والاجتماع باسلوب شيق رصين معتدل.. الى جانب ما يضحي به من دفاع كريم عن لغتنا العزيزة وتراثنا الفكري المجيد.. فهي بذلك رصينة لا تنشر الا ما تثق بسلامته لغة ومصدراً وتاريخاً»
(الأمير عبد الله الفيصل).

«.. بكل تقدير نتابع تطور مجلة المنهل العزيزة علينا جميعا.. وإنى أهنئكم على الخطوات التى تمت حتى الآن، وقد سررت بما طرأ على الاعداد الأخيرة من تغيير فى الاخراج والإعداد واستقطابكم لمجموعة من الكُتاب من علماء وأدباء ومفكرين».
(د. محمد عبده يماني)

«أجد في دفتي المنهل ما يروي الغلة ويشبع الهواية، فهو حافل دائماً بالادب الحي الهادف، والمقالات الاجتماعية النافعة، والبحوث التاريخية القيمة، والمطالعات اللغوية المركزة، الى جانب تفرده بميزة خاصة وهي عنايته البالغة بالتزام حدود اللغة العربية الفصحى فى كل ما ينشره»
(عبد الله السعد).

«ليس الأدب أداة تسلية أو فن لهو وتمضية الوقت، بل إنه من أسمى الفنون التى تنهض بها الأمم وتنعشها.. وكم للأديب المخلص من أثر فعال في ترقية مستوى الأمة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني معاً».

هذه الكلمات للاستاذ عبد القدوس الانصارى كانت جزءاً من الكلمة الافتتاحية لأول أعداد المنهل ١٣٥٥هـ.. والكلمة في مضمونها العميق تمثل بعداً حضاريا واعياً.. بها وضع الانصارى مؤسس المنهل اللبنات الأولى لطبيعة توجه هذه المجلة بوضوح تام لا لبس فيه ولا غموض.. بل بصراحة صارمة حتى لا يفتح ثغرة تتسرب منها سخافات أفكار لا تحمل بين طياتها إلا الحطام المتهالك من ضلالات الآخرين..

هذه «المنهجية الواضحة الدقيقة» هى التى حكمت مسيرة المنهل عبر عقودها المتتالية، فبلغت بها الآن عامها الواحد والستين في عمرها المديد باذن الله تعالي.

وإن كانت هناك أقلام تتساءل ما المنهل؟ وأين هي؟ فانها تتساءل من منطلق واقع لا يريده المنهل لنفسه، ولا يبتغيه.. واقع (القارئ عايز كده).. بهذا المستوى من الهبوط والتدني..

وحسبنا أن المجلات والصحف التي تتعامل بهذا الاسلوب (القارىء عايز كده) قد جنت على القارىء جناية شنيعة لا حدود لها.

وحسب علمنا ـ والله اعلم ـ ان المطبوعة هى التي تشكل القارىء ـ في الغالب ـ لا العكس.

القارىء إذا وجد الجدية والاصالة والرصانة سارية في كل مطبوعة، فإنه لاشك (وليد ما يقرأ).

اذن، يمكن القول ببساطة كاملة (القارىء مش عايز كده)، لكنه غلب على أمره لما وجد الطريق يسير في اتجاه واحد..

القارىء ناقد حصيف، يستهجن كثيراً مما يطالع ويقرأ ويشاهد، إذ لا شيء بيده، إذ لا شيء غير كل هذا فى لحظته هذه!!

وجاءت المنهل، جاءت لتسدّ فراغاً علمياً وثقافيا وفكرياً.. تاريخياً واجتماعياً، تنموياً واقتصادياً.. جاءت لتحمل راية الريادة والنهضة، جاءت لتقود مشروعاً حضارياً قوامه الكلمة الناصعة الناضجة.. الكلمة المسئولة الواعية في كل ميادين العطاء، فى الثقافة والفنون والعلوم، فى الآداب والتاريخ والمجتمع، فى الآثار والتراث، وفوق كل هذا وقبل كل هذا فى بناء العقل العربي المسلم، ليسجل مشاركات فاعلة في قيام مجتمع القيم والمثل العليا..

هذا المدلول في مجموعه هو الإطار المتسق تماماً مع مجلة تحترم نفسها أولا كأداة من أدوات الدفع الحضاري الواعي المتزن، وتحترم قارئها والمطلع عليها لأنها لم تقدم له هذرا مضحكاً، أو سخفا مبكيا.

وهذا هو «المنهج الذي اختطه الاستاذ المرحوم عبد القدوس الانصاري لمجلته.. هو منهج الصحفي القدير وصاحب المنهج في ممارسة الصحافة يعتبر دائماً صاحب خبرة قبل ان يكون صحفياً بالاعلام، لأن المنهج يقتضى وجود مقدمات تعزى الى قدرة الصحفي الذي يبني مسيرة صحيفته على المقدمات الأساسية المطلوبة والمفروض وجودها فى الأديب.. سواء أكان ناثرا او شاعرا أو قاصا والاديب بالطبع يمكن إن يمارس الصحافة، وليس كل صحفي أديباً بالحرفة..» (**محمود عارف**).




«كانت المنهل خزانة لتاريخنا الفكري والأدبي، وصارت منبراً فكرياً يلتقى حوله الكتاب من جميع أنحاء هذه البلاد.. لم تعرف المنهل الالتواء فى الفكر أو التلون في الهدف» (**د. محمد الشامخ**).

«ظلت مجلة المنهل ولا تزال تحمل مشعل الأدب الحي، وظل صاحبها الأنصاري يتحمل عناء المجاهدين فى اصدار المنهل فى زمن كانت معوقاته العسيرة تنوء بعزائم الرجل» (د. محمد رجب البيومي).

«لهذه المجلة (المنهل) من اسمها كل النصيب.. فهي منهل بحق للعلم والثقافة والفنون الراقية، ولمنابع التراث ولاصداء التاريخ الغنى بالإباء والكرامة.. تاريخ المسلمين والعرب» (**عبد الله جفري**).

«.. هذه المجلة ـ المنهل ـ هى الوحيدة تقريباً التى تهتم فى جميع أعدادها بوضع مجالات خاصة فى صفحاتها لدراسة المخطوطات العربية، اضافة الى الإهتمام بالثقافة والحضارة والبيئة والعمارة والشعر والنقد، وما الى ذلك، وهي مجلة عريقة رصينة تعتبر من اولى امهات الصحافة السعودية» (**جريدة الرأى الاردنية**).

«مجلة المنهل ـ تعد ـ جامعة ـ علمية وسجلا تاريخياً، ومدرسة فكرية» (عبد الله سلامة الجهني).

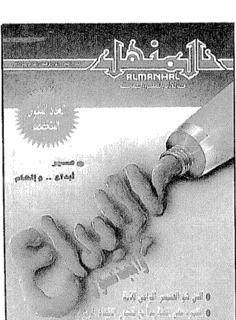
«المنهل تعد مرجعاً مهماً لتاريخ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية كما تمثل قطاعاً من تاريخ الحركة الأدبية العربية بصفة عامة، ولا

يستطيع أي باحث أن يكتب عن هاتين الحركتين دون ان يرجع الى مجموعات المنهل وإلا لكان بحثه ناقصاً مبتوراً »

(**عبد العزيز الرفاعي**).

هذه بعض الأقوال عن مرجعية المنهل، وتاكيد أصالتها، وبورها الريادي، سجلتها هنا من غير تخير او انتقاء، لتمثل مجرد نماذج دلالية على المكانة الرفيعة التي بلغتها المنهل. الحديث عن المنهل طويل، متشعب الأنحاء، وما كانت فكرة هذه الأسطر الا لتسجل فقط - وعلى استحياء - جانباً يسيرا من التزام المنهل الجاد للتوجه الثقافي والفكري والمعرفي الذي يقيم انساناً، بل أمة، على السواء.

بقي أن نذكر ان (المنهل) منذ عام ١٤٠٥هـ.. أضاف نتاجاً وعطاء علميا جديداً، لا أعلم مثيلا له في المجلات العربية التى بين أيدينا، هذا التفرد يتمثل في أعداده السنوية (العدد السنوي الخاص) و(العدد السنوى المتخصص) هذان العددان السنويان يسيران جنباً الى جنب مع الاعداد الشهرية العادية التي يطالعها القارىء في غرة كل شهر. ويمتاز هذان العددان (الخاص والمتخصص) بتفردهما في الأسلوب والمنهج.. ويعتبران - حسب الرسائل الواردة للمنهل من كبار المفكرين والعلماء، والمشتغلين بالثقافة والأدب - مراجع موثقة ثبتة في موضوعاتها المطروحة. وكل عدد من هذين العددين يتناول موضوعاً محورياً واحداً له أهميته الموضوعية، ويُفرّع بمنهجية دقيقة إلى جزئيات بحثية، بحيث يتناول كل كاتب (مستكتب) في العدد المُعنَى، في عنوان الجزئية المطلوبة، وباجتماع هذه العناوين الجزئية يتشكل العدد في صيغته التى تحوله الى مرجع دراسي. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعضاً من اسماء هذه الأعداد: (الثقافة العربية - الأثر والآثار - العادات والتقاليد - الاستشراق والمستشرقون - الابداع والمبدعون - الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري - اللغة العربية آفاق مستقبلية - مناهل الاشعاع الاسلامي - مكة المكرمة المقام والارتحال - الحديث النبوي والقدسي .. رواية ودراية - القرآن الكريم .. الهدي والاعجاز - المدينة المنورة .. دار الهجرة ومأرز الايمان - القدس.. عروس المدائن وارض القداسات - العمارة والمدينة الاسلامية).



هذا.. ويبقى للمنهل ريادته، موضوعياً وزمانياً.. ويبقى للمنهل جديته والتزامه.. وهو الآن يضيء شعلة عامه (الواحد والستين) باستمرار غير منقطع باذن الله تعالى.. فى حين أن كثيرا من المجلات التى أسست قبل المنهل وبعده لم يبق منها فى الساحة الآن إلا القليل.

ومنذ وفاة المؤسس فى ١٤٠٣هـ حملنا عبء المنهل، ومسئولياته الكبرى مستلهمين منهجية المؤسس ومنذ هذا التاريخ دخلت المنهل مرحلة جديدة في المظهر والمخبر.. في المضمون والاخراج.. وعلى بركة الله وبعونه وتوفيقه تسير القافلة، غير حائدة عن منهجيتها المختطة لها.. مع الأخذ بمعطيات الجديد والتجديد الذي يضيف ابداعاً وروعة.

# مهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة
# ترف.. أم هدف؟؟ ترفيه.. أم توجيه؟؟

ومن منطلق تحرى وتتبع وتحليل الحكمة الحكيمة من وراء تحويل سباق الهجن السنوى الى مهرجان وطنى للتراث والثقافة.. كان هذا الاستطلاع.

## التراث والنسبية:

عندما تذكر كلمة التراث بين مجموعة من الناس فانها ستكون عند متلقيها نسبية المضمون.. إذ هى بالنسبة للأديب مأثورات أدبية.. وبالنسبة للشاعر تراث من الشعر لا محدود.. وبالنسبة لآخر هي نافذة مفتوحة يطل منها على طرائق حياة السلف.. المسكن/ الملبس/ الغذاء/ الصناعات.. وباقى مناحى الحياة، وهكذا.. أى أن كل من يقرأ أو يسمع كلمة تراث سينصرف تفكيره الى حيثما يتفق مع ميوله ومشاربه.

والبعض قد يرى أن إقامة هذا المهرجان ترف وترفيه.. فهل هو كذلك حقا؟؟

هذه محاولة من مجلتك المنهل للإجابة على هذا السؤال الصغير الكبير..

عندما سمعت عن قيام مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة لأول مرة وعرفت كنه المهرجان وماهيته وأهدافه.. حضرني تعبير يردده اخواننا الأطباء وهو «العضو الذي لا يعمل يضمر.. بل ويتوقف».

وقد يسأل البعض، ما علاقة هذا بذاك..؟؟

والحقيقة انها ليست علاقة فحسب.. بل هى الموضوع ذاته.. فإننى أقصد هنا بالعضو الذى يعمل أو لا يعمل.. الذاكرة.. ذاكرة الانسان أو قل ذاكرة الزمن.. فان ما تختزنه الذاكرة لابد له - بين الحين والحين - من تحريك وتنشيط، حتى لا يسقط هذا المخزون في بؤرة النسيان ومنها الى الفقدان والاندثار.

ومهرجان الجنادرية هو ذلك العامل المؤثر الذى يحرك مخزون الذاكرة ويخرجه من عقل الزمن الباطن الى عقله الواعى ويدفعه الى السطح. فذاكرة الزمن التي اختزنت لنا صراع الإنسان مع الطبيعة من رياح وعواصف وأمطار وسيول، وصواعق ونيازك، وقيظ وقر.. أفرزت لنا تجارب التعامل معها والتغلب عليها - وافرزت لنا من مخزونها سلبيات السلف فتلافيناها، وايجابياتهم فاقتفيناها وزدنا عليها وحسنَّاها.

وقد جاء هذا المهرجان لا ليذكرنا بماض عريق تذكيرا لأجل إحياء تراث الأجداد والآباء، فكر - المغفور له - الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - في إقامة سباق سنوى للهجن.. وبالفعل أقيم السباق.. وظل يقام مهرجان هذا السباق أكثر من عشر سنوات.

ولهذا المهرجان عشاقه ومتابعوه من كل مكان ممن تستهويهم هذه الرياضة العربية العريقة.

وبنظرة مدركة واعية صدرت توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولى عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - يحفظهما الله - بتحويل هذا السباق الى مهرجان وطنى للتراث والثقافة - يضم بين جنباته كل مناحى التراث الشعبي الوطني - الى جانب سباق الهجن.

وقد اضطلع بمهام تجسيد الفكرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

وهناك قول مأثور يقول.. «يمكنك اقتياد الحصان الى السباق.. ولكن عليك أن تتبع القلم»

وبالقلم تم التخطيط.. وبالقلم تم الإعداد.. وعندما تم إعداد الخطة واكتملت خطة الإعداد.. بدأ التنفيذ.. تنفيذ واع سبقته دراسة خبيرة حشد لتنفيذها الكوادر البشرية النابهة - والامكانات المادية غير المحدودة والطاقات الاعلامية المتميزة.. حتى يخرج هذا العمل على الوجه الذى يتناسب واهدافه الكبيرة.. والشاعر يقول:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

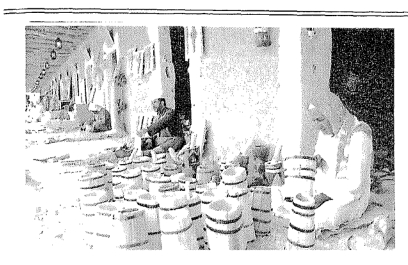
وفى الثاني من رجب عام ١٤٠٥هـ أقيم أول مهرجان وطنى للتراث والثقافة.. المهرجان الذى ولد عملاقا ونجح النجاح الباهر الذي توقعه له كل من عرف الجهود الجبارة التي كانت وراء اعداده. واستمرت نجاحات المهرجان عاما بعد عام وتسير من حسن الى أحسن وها نحن قد وصلنا الى مهرجان الجنادرية العاشر للتراث والثقافة، وبما اننا بصدد المهرجان الوطنى العاشر للتراث والثقافة.. فاننا سنتناول بعض فعالياته - بعد أن نأتى على أهم أهداف المهرجان التي قد تكون غير مرئية عند البعض - والحكمة من تحويله من سباق الهجن فقط الى مهرجان وطنى للتراث والثقافة.

شفهيا بل جسده لنا تجسيدا ملموسا٠٠ وضم الى جانب الماضى التليد بعضا من الحاضر المجيد٠٠ والشاعر يقول:

ضدان لما استُجْمِعَا حسُنَا
والضد يظهر حسنَه الضد

ونحن كثيرا ما نخاطب الزمن - مجازا - على أنه مخلوق حي يعيش معنا فنقول مثلا سجِّل يازمن أو اكتب ياتاريخ عن انجازاتنا٠٠ الخ٠٠ والحقيقة أنه ليس في قولنا هذا شطط٠

فنحن عندما نطلب من الزمن أن يسجل لنا انجازاً٠٠ انما نضع فعلا هذا الانجاز بين يديه ليحفظه لنا ولمن بعدنا سجلا ملموسا منظوراً ألا وهو التراث٠



وهناك من يقول «ان التاريخ يصنعه المنتصرون»٠٠ وهذه حقيقه فإن من ينتصر يملك أن يسجل ما يعن له سواء أكان حقا أم باطلا أما في حالة تراث الشعوب فانه لا أحد يتدخل في إملاء شيء بعينه على التاريخ٠٠ فالتراث عن مورِّثيه ينبيء٠ ونحن ولله الحمد والمنة حفده أناس نشرف بتاريخهم٠٠ وتعلو هاماتنا بمآثرهم، ونزهو - عن عزة لا عن غرور - بما خلفوه لنا من تراث كان لنا النبراس الهادي٠٠ والسراج المنير الذى أضاء لنا الطريق الى الحضارة والرقى اللذين وصلنا اليهما٠

ورغم أن كل ما قلناه عن آبائنا وأجدادنا حقيقة دامغة مؤيَّدة إلا أننا - وللتأكيد - نستشهد بما قاله المستشرق جون بادو حيث قال: «إن الماضى العربي حي يرزق صارخ الوجود٠ وإن فى وجوده الصارخ هذا دروسا يجدر بالعصر الحديث أن يتعلمها وثروات يحسن به أن يضطلع بها٠٠ إن هذا الماضى بكل ما في الكلمة من معنى ينبوع يتفجر عن نهضة٠٠ فكان نشوء ثقافة عالمية داخل هذه الأمة٠٠ ولقد كان لذلك الفتح وهذه الثقافة كليهما أثر بالغ العمق فى تخليق ملامح العقول الحديثة٠٠ فإن الحضارة العربية الاسلامية باقية ببقاء تطورها علميا وتكنولوجيا وفنيا مع بقاء البشرية الانسانية»٠

إننا فى كثير من الأحيان نرى إنسانا بسيطا - فى مظهره - ولكن عمله يضعه فى مكان متقدم بين الفنانين والمبدعين، فلو أنه - مثلا - يعمل خوّاصا٠ يصنع من سعف النخيل أوانى منزلية وحافظات للطعام - وأشياء كثيرة نافعة لا تخلو من جمال الشكل والذوق الرفيع٠

وإن كان إنساننا هذا يعمل خزافا٠٠ فسوف نرى فى عمله من المهارة والذوق الراقى ما يجبرنا على أن نجزم بأنه فنان بارع ومبدع٠

وما نراه الآن في هذا المهرجان ويراه معنا أولادنا يقربنا الى استشفاف الحكمة الحكيمة من إقامته٠٠ ولا مبالغة فى قولنا حكمة حكيمة٠٠ بل لا أكون متجاوزا إذا قلت أن في متابعة التراث حماية لنا من (التهميش) أى وضعنا - نحن العرب - على هامش الحياة٠

فالغرب قدم لنا كل وسائل الحياة المترفة بتقنية شديدة التعقيد الى حد أنه إذا توقف أى جهاز نستخدمه نحار فى إعادة تشغيله ولابد لنا من الاستنجاد بعقل ويد خبير لإعادة تشغيله٠ فهل هى فعلا شديدة التعقيد؟؟ وهل هذا الذى أعاد تشغيل الجهاز العاطل يفوقك أو يتفوق عليك أو عليّ في شيء؟؟

أقولها نيابة عنك وبالأصالة عن نفسى ٠٠ لا واكررها ألف مرة لا ٠٠ إذن ما السر؟!

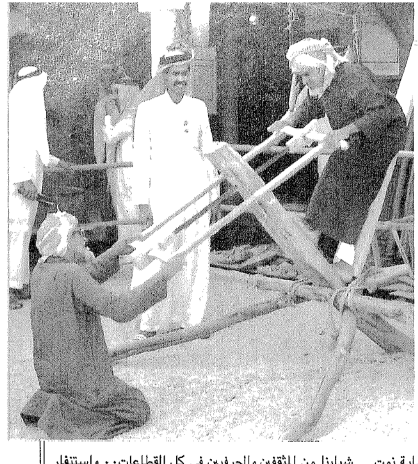
الحقيقة أن هذا (الخبير) تابع معرفة كنه وماهية الجهاز وحركته التشغيلية وتوالية مرور الطاقة المحركة لكل أجزاء الآلة (الجهاز) ولو أنك عزيزى القارىء أوليت أى آلة يقع عليها بصرك دقائق معدودة من التأمل والإمعان لعرفت عنها شيئا كان بالنسبة لك مجهولا وغامضا بل طلسما شديد الغموض٠

وبعض حكماء الصين يقول: «إعرف شيئا عن كل شيء، واعرف كل شيء عن شيء»٠٠ وكما هو واضح فإنّ علينا أن نُعمل فكرنا فى كل ما حولنا - وبذا نكون ضمن متن الحياة وليس على هامشها٠٠ وأيضا علينا أن نعرف كل شيء عن (شيء) ألا وهو عملنا الذى نمتهنه، فنعرف عنه كل شيء ونلم بكل جوانبه ونواحيه٠٠ وبذا يسهل علينا تجويده وتطويره٠٠! وعندها سنصل الى الاستقرار النفسي المتولد من ثقتنا في أن ما نعمله صحيح ٠٠ بعيد عن الخطأ٠

## المهرجان دعوة ٠٠ لإعادة الأمجاد:

إنك يا عزيزي القارئ فنان ٠٠ وليس فى مجال واحد٠٠ بل فى اكثر من مجال٠٠ فالانسان - بفطرته مبدع

# التراث ليس استرخاء على ناصية الماضى، بل هو استقراء وتجديد



ومطور ومـتطور - والدليل على صـحـة هذا الكلام.. الإنسان نفسه .. فانسان اليوم المتحضر المتطور المثقف المخترع هو نفسه إنسان الغاب.. إنسان الكهف - فاذا لم تكن قد أبدعت شيئا من فنونك حتى الآن فهذا يرجع الى أحد سببين:

الأول: أنك لم تحاول استخراج هذا الفن من داخلك.

الثانى: انك ليس لديك حرفية أو وسيلة اخراج فنك هذا من داخلك.

فالفن فى الأساس فكرة، فان خرجت الى حيز الوجود اعلنت عن نفسها - وان لم تخرج فلن تتعدى ذلك القطاع الصغير من مخ صاحب الفكرة.

فالمخترع الأشهر توماس إيديسون(١) له اكثر من ألف (١٠٠٠) اختراع - إقرأها ثانية - اكـثر من ألف اختراع - منها الكهرباء والميكروفون والجرافون.. والذى ساعده على إخراج مخترعاته الى الوجود هو أنه كان يملك يدين تتمتعان بحرفية ومهارة عاليتين.

والحرَفيَّة تولد مع كل إنسان فان وجدت رعاية نمت وترعرعت وإذا لم تجد الرعاية فمآلها الضمور والاختفاء.. فالطفل - هذا الانسان الصغير - الذي يتصرف بغريزته وفطرته التى فطره الله عليها لو تركت له لعبة بين يديه فانه يفككها ويحاول اعادة تركيبها دونما سابق خبرة أو علم وانما فقط بالفطرة التى جُبل عليها.

ولو وجد هذا الانسان الصغير من يحاول تركيبها معه مع بعض التوجيه لنمت فيه الحرفيه.. وعندما تنمو فيه هذه الحرفية تصبح له رؤية خاصة لكل ما حوله.. فالطاولة التى أمامه - مثلا - تصبح - برؤيته الجديدة - عبارة عن خشب أشجار، ومسامير حديد، وغراء - نباتى أو حيوانى - ومقابض بلاستيكية أو معدنية.. الخ أى أنه يرى جزئيات الأشياء التى أمامه تماما كما يراها مكتمله.. ومن ثم تصبح نظرته لكل ما حوله نظرة متعمقة وليست سطحية.

وقد يسأل سائل:

لماذا استشهدنا بأجنبى - بينما لدينا من العرب والمسلمين علماء جهابذة فى كل ضروب العلوم والمعارف عباقرة - مبدعين - ومخترعين - ومؤسسين ملأوا جنبات الأرض معرفة وحضارة وكانوا روادا فى كل العلوم : الطب - الجغرافيا - الفلك - الاسطرلابات البحرية والبرية علوم الفلسفة والآداب واللغات.. والاجتماع.. الخ.

ونحن متأكدون أن قراءنا فى الوطن العربي - قد فطنوا بذكائهم الفطرى المعهود.. أننا إنما أردنا استنهاض همم شبابنا من المثقفين والحرفيين فى كل القطاعات.. واستنفار عزائمهم واستفزاز نخوتهم حتى يعيدوا أمجاد الأجداد والآباء ويضيفوا إليها أمجاداً جديدة - وألا نقف فى أماكننا ساكنين نجتر ماضى الأجداد ونشمخ به ونكتفى.

اما بالنسبة لعلمائنا العرب والمسلمين فمكانتهم محفوظة والشاعر يقول:

من كان فوق محل الشمس موضعه
فليس يرفعه شيء ولا يضع

والآن هل تبين لنا احد أهداف المهرجان الوطنى للتراث والثقافة؟ عسى..!

**الأمة الواعية قارئة حصيفة لماضيها**

## المهرجان .. جامعة مفتوحة:

يقولون.. «إن التجربة هى الجامعة الوحيدة التى لا تعطى خريجيها شهادات»

وجامعتنا المفتوحة التى هى مهرجان الجنادرية الوطنى للتراث والثقافة توشح أمّيها ومنتسبيها بوشاح الخبرة والمعرفة وتضيف الى ما لديهم من معلومات ومعارف وثقافة الجديد والجديد.. وان كانت لا تمنح خريجيها شهادات مكتوبة فانها فى المقابل لم تشترط لدخولها تقديم شهادات سابقة أو الحصول على درجات معينة - وليس لها مكتب تنسيق لتوزيع روادها على كلياتها. فكل طلابها أو (زوّارها) قد حضروا للحصول على المعارف والثقافات والتجارب والخبرات.. ومن حق كل طالب - أعنى زائر - أن يدرس فى كل كلياتها وينهل من علومها قدر استطاعته.

ومنذ صيرورة هذا المهرجان حدثاً واقعاً والإحصاءات

# الحرس الوطني منظومة حضارية متكاملة

توافينا بتعاظم أعداد زواره عاما بعد عام - مما يؤكد أن هذا المهرجان قد حقق - بهذه الزيادة المضطردة - أحد أهم أهدافه - ألا وهو تعريف اكبر عدد ممكن من المواطنين والوافدين بتراث هذا البلد - إلى جانب + ما هو كائن الآن من ازدهار حضارى واقتصادي أنعم به الله على هذا البلد الآمن الأمين.



## اليد العبقرية:

الحاجة أم الاختراع.. والاختراع وليد الحاجة.. أو كما قالت العرب «الحاجة تفتق الحيلة».. هذا ما نراه بوضوح عندما نشاهد بأعيننا صناعات يدوية شديدة البدائية وشديدة الاتقان فى ذات الوقت صنعت بخامات لا يمكن تطويعها الا بيد عبقرية يقودها فكر نير ناضج ويد خبيرة متمرسة.

فالأجداد والآباء أعملوا الفكر واستجمعوا الهمم والعزائم للتغلب على مصاعب الحياة.. ولم يتركوا مادة متوفرة تحت ايديهم إلا استخدموها وخلقوا منها شيئا نافعا يساعدهم على مسيرة الحياة فمن جلد البقر صنعوا الدلاء (ومفردها دلو) ومن جلود الخراف صنعوا قربة الماء ومن جلد الماعز صنعوا (الصميل) وهو وعاء للبن ومن جلد الجمل صنعوا أوعية لسقيا الإبل. ومن جلد الماعز أيضا صنعوا سيورا مقددة شدت على إطار خشبى لتصبح غرابيل ومناخل.

ومن خشب الأشجار صنعوا الصحاف (مفردها صُحْفَة) أى الأطباق وصنعوا من الخشب أيضا المغارف وأدوات عديدة للطبخ.

ومن الأحجار صنعوا (النقيرة) لسحق الهيل (الحبهان) وصنعوا الرّحى لطحن الحبوب، وقد نغرق فى الدهشة اذا نظرنا بعين الحاضر الى ما كان يقوم به هؤلاء العظماء عندما كانوا يغزلون الصوف وينسجونه بأدوات بدائية صنعوها بأيديهم الماهرة - فمن الصوف ما يلبس للتدفئة ومنه ما يكون فراشا.. وحتى بعض البيوت كانت تصنع من الصوف (البيوت الشَّعر).

## الماء .. أمس واليوم

وضمن فعاليات المهرجان نرى بجلاء ووضوح كيف كان الآباء يحصلون على الماء - بل قُلْ على قطرات الماء.. والجهود المضنى الذى كانوا يبذلونه، والعناء الذى كانوا يكابدونه لاستخراج الماء من باطن الأرض، ولو اننا تخيلنا للحظات أن الماء قد غاض عنا أو أننا سنقاسى ما قاساه الآباء في الحصول على مياه الشرب.. لو أننا تخيلنا ذلك - بفكر الحاضر - مجرد تفكير - لدارت بنا الأرض ولزاغت منا الأبصار.

ونعَم الله على الانسان لا تحصى .. وعز من قائل.. «وإنْ تعُدّوا نعمة الله لا تحصوها».. الآية صدق الله العظيم.. ومن أهم النعم .. أن يعرف الإنسان ما هو عليه من نعم.

وقد لا تكون هذه الرؤية واضحة لمن شب على لين عيش وطراوة حياة ولكنه لو وضع حياته الآن قبالة حياة الأجداد والآباء - كما جسدها له المهرجان - لاستشعر الفارق الشاسع بين رغد العيش وشظفه - رغد العيش الذي يرفل فيه الآن - وشظف العيش الذى كابده الأجداد. ولأحس بالجهود الجبارة التي بذلت من قبل ولاة الأمر للنهوض بالبلاد والعباد من حياة غاية في القسوة والشراسة الى حياة حانية هانئة.. وبمقارنتنا بين ما كان بالأمس وما هو كائن الآن - نجد انفسنا نلهج بمزيد من الحمد والشكر لرب العزة والجلال .. ثم نردد قول الشاعر:

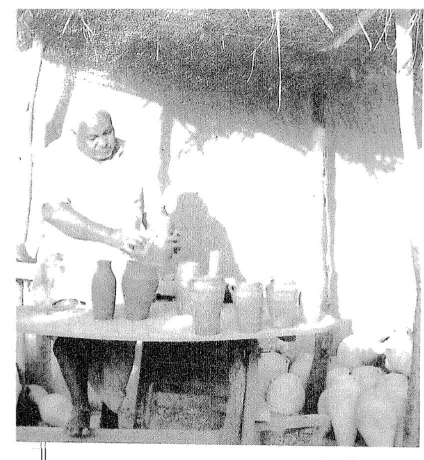
وإذا الفتى ظفرت يداه بنعمة
فدوامها بدوام شكر المنعم

اللهم لك الحمد والشكر بعدد ما كان وعدد ما يكون وعدد ما فى علمك المكنون.

## لا جديد تحت الشمس:

الذي قال «لا جديد تحت الشمس» لم يكن مبالغا الى الحد الذى يجعلنا نخطّىء مقولته!

فهو كان يقصد - كما اعتقد - أن كل ما هو موجود الآن وما سيستجد له أصل منذ الأزل.. فالله سبحانه وتعالي قد أوجد كل شيء وخلق كل الأكوان كاملة وسبحانه الذى لا يخطئ ولا يسهو.. وما يفعله الإنسان بعد إعمال عقله.. وشحذ هممه.. اكتشاف لموجود .. وحتى الذى لم يستطع الانسان اكتشافه كان يصل اليه بخياله وشطحاته وينسج حولها الأساطير، فالطائرات الكونكورد والجامبو



والبوينج نقلتها الينا الأساطير التى نسجها خيال الانسان فى صور عديدة كطائر الرخ الخرافى الذى ربط السندباد نفسه فى إحدى رجليه وطار به دون أن يشعر بوجوده - وبساط الريح الذى كان يطير بصاحبه الى حيث يأمره.. ومكنسة الساحرة التى كانت تمتطيها وتأمرها بالطيران الى حيث توجهها، وحتى التلفاز نقلته الينا الأساطير فى صورة البلورة السحرية التى كان ينظر فيها الساحر فيرى هو ومن معه أناسا فى بلاد أخرى بعيدة بينه وبينها مئات الفراسخ والأميال.. وقس على ذلك كل ما حولك.

عزيزى القارئ لا تحسبنى خرجت بك عن موضوع استطلاعنا عن المهرجان الوطنى للتراث والثقافة بل على العكس فان ما دفعنى لأن اتذكر هذه الصور هو ما حواه المهرجان من أشياء كان يستعملها الأجداد وكلما وقع بصرى على شيء منها تذكرت المقابل له فى حياتنا اليوم: وقد تتفق معى عزيزى القارىء بعد الآن.

وهذه مقارنة - أو معادلة - بين ما نستعمله الآن - وما كان يستعمله الأجداد.

الثلاجة:

ويقابلها عند الأجداد العرزالة أو البلالة أو القفص ولها اسماء أخرى .. وكما يقال اختلف الاسم واتحد المسمي.. وهى مصنوعة بكاملها من سعف النخيل وتقوم فكرتها على احتوائها على فتحات صغيرة متقابلة تسمح بتجدد الهواء بداخلها - ولا تسمح بدخول الحشرات اليها - علاوة على أنها توضع بعيدا عن حرارة الشمس .. وتعلق مرتفعة عن الأرض .. مما يضمن بقاء الأغذية بداخلها سليمة أطول مدة ممكنة وهى فى الغالب الدهون - اللحوم - التمور - الألبان ومشتقاتها.

ولا جديد تحت الشمس.

## البوتاجاز:

ويقابله عندهم التنّور وهذا البوتاجاز يصعب نقله من مطبخ البيت - وهذا ليس عيبا. إذ أن مكانه الطبيعى فى المطبخ.. وصعوبة نقله ترجع الى أنه مبنى بالطوب (اللبن) على شكل اسطوانه يتوسطها قرص من المعدن - توقد تحته النار فيسخن القرص الى الدرجة التى يمكن معها انضاج ما عليه من أطعمة.. ومن الاكلات التي ينسب اسمها اليه أقراص التنور.. ومن الأكلات المحببة التى يتم انضاجها على التنور الكليجة والفتيت.. وللاحاطة لم يكن لهذا البوتاجاز أنبوبة (اسطوانة غاز).

ولا جديد تحت الشمس.

## المكيف، الشفاط والمروحة:

إذا كانت مهمة المكيف هى ترطيب الجو - ومهمة الشفاط إخراج الهواء من المكان وتجديده ومهمة المروحة متراوحة بين الاثنين.. فإن أجدادنا كان عندهم ما يقوم بعمل هذه الأجهزة مجتمعة.. إنها السماوة أو الكشافة وهى عبارة عن سقف متحرك فوق الغرفة يتحكم فى تحريك هذا السقف بواسطة حبل طويل.. لفتحه أو غلقه. فيقوم بمهمة ترطيب وتجديد الهواء.

ولا جديد تحت الشمس.

## الترموس:

هذا الإناء الذى يحتفظ بحرارة السائل الذى فيه لمدة طويلة - نسبيا - بفعل خلخلة الهواء بين الاناءين المتداخلين - أى منع وجود عنصر - موصل جيد للحرارة - بينهما كالهواء.. مما يساعد على بقاء السائل محتفظا بحرارته مدة أطول.

أما ترموس الأجداد فهو «المصخنة» وهى عبارة عن ابريق من النحاس السميك يحتفظ بالماء دافئا مدة أطول.. وكانوا أيضا يضعونه فى الشمس للتزود بحرارتها.

أى أنهم استخدموا الطاقة الشمسية قبلنا بسنين..

ولا جديد تحت الشمس.

## العين السحرية:

فى معظم البيوت الحديثة تثبت على الأبواب ما يسمى بالعين السحرية وهى عبارة عن أنبوب صغير مثبت بطرفه الخارجى عدسة زجاجية محدبة من الخارج ومقعرة من الداخل حتى يتمكن من بالداخل من مسح أكبر مساحة أمام الباب.. فيعرف من بالخارج قبل أن يفتح بابه.. أو لا يفتحه.

أما العين السحرية للأجداد فهي الطرمة وهي عبارة عن نافذة صغيرة لها شكل خاص وتقع فوق باب الدار الجزء الناتئ منها والمصنوع من الخشب مغطى بالطين والجزء الأسفل الذي يقع تحته باب الدار مباشرة عبارة عن لوح من الخشب به ثقوب يستطيع الناظر منها أن يرى من بالباب دون أن يتمكن الآخر من رؤيته .. وبذا يقرر هل يفتح الباب للطارق أم لا؟.

ولو أردنا التدليل على وجود المقابل لكل ما هو تحت ايدينا الآن لشمل استطلاعنا كل مناحي الحياة.. ألم نقل ونكرر إنه لا جديد تحت الشمس.

## ترشيد استهلاك المياه:

المسئولون في كل بلدان العالم الغنية والفقيرة بحّت أصواتهم وكلّت اجهزة إعلامهم من كثرة نداء ومناشدة شعوبها لترشيد استهلاك المياه.

وتهدر الأموال بالصرف على كميات «الكلور» والمواد التي تجعل المياه صالحة للشرب.. وما يتبع ذلك من جهود كبيرة داخل المختبرات التي تتابع صلاحية المياه ساعة بساعة حفاظا على صحة الأفراد وننسى جميعا كل ذلك أو نتناسى ونستهلك هذه المياه في كل أمورنا، فالمياه التي تستهلك لغسل سيارة واحدة من الحجم المتوسط قد تروي ظمأ مئة من البشر لمدة اسبوع كامل.

اما الأجداد فلم يكونوا بحاجة الى من ينبههم الى هذه القضية فقد كانوا يحفرون بئرا داخل المنزل يسمونه «الحو» وهو على الأغلب يكون ماؤه غير صالح للشرب فيستخدمونه في الاستحمام والغسيل والماء الصالح للشرب لا يستخدم إلا في الشرب والطبخ وما الى ذلك.

## لماذا الحرس الوطني؟

في مهرجان سابق وبالتحديد المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة كتب صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني كلمة في النشرة الخاصة التي تصدر عن لجنة الاعلام والمراسم بالمهرجان الوطني للتراث والثقافة شملت دور الحرس الوطني الكبير في اقامة المهرجان.. نقتطف منها بعض الفقرات:

* فالماضي بكل معطياته وكل عناصره الايجابية هو من عوامل استمرار العطاء الحضاري للأمة، فكيف إذا كان هذا الماضي هو تاريخنا الاسلامي الخالد وتقاليدنا العربية الأصيلة. ولعل في هذه المقدمة ما يهيء الأذهان للإجابة على تساؤلات تتردد على المسامع في كل عام، بل كل مناسبة ثقافية أو فكرية.. لماذا يتبنى الحرس الوطني مثل هذه المبادرات الثقافية والفكرية؟؟ وأهمها على الاطلاق المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

وفي نفس الكلمة يجيب سموه على التساؤل فيقول:

ان الحرس الوطني وكما أكدنا دائما منذ سنوات مؤسسة حضارية متكاملة شاملة، كما أن له دورا عسكريا وأمنيا محددا، ولا شك أن هذه المعادلة وان بدت صعبة التحقيق فقد تحققت بكل ما تعنيه من مدلولات في الحرس الوطني.

ولم يأت ذلك عفويا أو من باب المصادفات.. بل جاء واعيا ومدروسا وبتوجيه من سمو ولي العهد الأمين ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز الذي رسم المنهج الذي يسير عليه الحرس الوطني بشكل يحقق هذه المعادلة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز المفدى».

# مهرجان التراث والثقافة رسالة مفتوحة لكل الأجيال

ويستطرد سموه:

وعندما يقيم الحرس الوطني مثل هذا المهرجان، الذي نقدم من خلال أيامه صوراً حية كلها من تراثنا التليد، ونحيي لياليها بالشعر والابداع والفنون الشعبية، ويكون منتدى للأدباء والمفكرين العرب، في ندوات وحوارات ثرة وغنية وعندما يقيم الحرس الوطني ذلك فانه يكون بذلك منسجما مع دوره الحضاري المنوط به اذ يساهم مع كل المؤسسات الأخرى في اثراء الحركة الثقافية العربية والمحلية وبالتالي يساعد على اطلاق القدرات الابداعية الخلاقة لأبناء هذا البلد المعطاء».

وكلمة سموه شاملة لكننا اخترنا منها بعض الفقرات التي تغطي سؤالنا ـ الأساسي ـ لماذا الحرس الوطني؟؟ ولعلنا وفقنا في اختيار الفقرات المناسبة.

## النشاطات ـ النشطة

من النشاطات النشطة.. والفعاليات الفاعلة في المهرجان والتي كان لها تميز ملحوظ:

* اللقاءات والندوات الثقافية والأمسيات الشعرية.

* مسابقة القرآن الكريم تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس اللجنة العليا المنظمة للمهرجان الوطني العاشر للتراث والثقافة.

وقد افتتحها نيابة عن سموه معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري نائب رئيس الحرس الوطني المساعد.

* جناح عرض القوات المسلحة.
* العروض المسرحية.
* سباق الهجن.
* الأسواق القديمة والأحياء الشعبية.
* الألعاب الشعبية.

ومن الفعاليات التي شدت الانتباه بحسن العرض

والتنسيق - العروض المختلفة لفروع القوات المسلحة الأربعة البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى حيث شاركت جميعها فى المهرجان بتوجيهات من صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

وقد شملت العروض مجسمات عليها ملابس العسكريين فى القديم والحديث وكذلك تم عرض عدد رمزى من معدات وعتاد واسلحة القوات المسلحة المتطورة جدا مما جعل المشاهدين يقفون امام هذه العروض مدة أطول وينظرون اليها بنظرة ملؤها الاعزاز والاعتزاز.

## العمد والعمداء .. والمهرجان:

وقد حضر عدد كبير - من أساطين الفكر والأدب والشعر - نستميح قراءنا الأعزاء - عذرا - فى عدم ذكر الأسماء إذ لكل منهم المكانة التى ستجعلنا - ونحن مجلة الآداب والعلوم والثقافة - نشعر بالحرج والتقصير - إذا ما سقط منا - بنوع الخطأ أو السهو - إسم من هذه الأسماء الى جانب أن العدد من الكثرة بحيث يتعذر معها ذكر كل الأسماء في المساحة المخصصة لهذا الاستطلاع مكتفين بما أحاطتهم به وسائل الاعلام اليومية.

وندعو الله العلى القدير أن يبارك فى علمائنا ومفكرينا وأدبائنا الذين ملأوا ويملأون لنا الحياة بهجة وأناروا وينيرون لنا طريق المستقبل الواعد - بفضل الله - ثم بفضلهم.

وفى كل مهرجان وفى مجال الانشطة الثقافية تعقد الندوات التى تضم رجالات الفكر والأدب والشعر والثقافة.

ومن تلك الندوات على سبيل المثال: ندوة عن (ماهية الموروث الشعبى العربي) وندوة عن (علاقة الموروث بالابداع) وثالثة عن (أثر الموروث الشعبى فى السلوك والانماط الفكرية) وأخرى عن (مصادر الموروث الشعبى فى التراث العربي) ثم ندوة عن (الموروث الشعبى فى الفنون الاحتفالية).

وهى ندوات ثرة تتجدد موضوعاتها كل عام مما يثرى الحركة الفكرية والأدبية..

## المهرجان .. شجرة:

الذين عادوا من الفضاء اكدوا أنهم - أثناء وجودهم فى مركبة الفضاء ورغم السرعة المذهلة لمركبتهم - أكدوا انهم لم يشعروا إطلاقا بانهم يتحركون.. وانما كانوا يشعرون بأنهم فى حالة سكون تام. إذ ليس فى الفضاء أشياء ثابته يمكن ان ينسبوا اليها تحركهم.

وبعيدا عن التهويم أو الدخول فى نظريات علمية معقدة - فالمعروف والمعاش أن الذي يركب القطار أو السيارة يشعر بسرعته وتحركه قياسا الى الثوابت كالأرصفة والبيوت والأشجار.

والآن هل أصبح واضحا أن المهرجان .. شجرة؟؟

فالمهرجان بما يحويه من تراث موروث هو هذه الشجرة.. التى لو لم نمر عليها ونحن نركب سيارة الحياة.. لما شعرنا - ابدا - أننا نتحرك - سواء للأمام أو للخلف، والمهرجان غاص بالأشجار المغروسة على جانبى كل طريق فيه وهى عديدة فهناك طريق للآداب وآخر للفنون وثالث للصناعات والحرف.. وهكذا الخ.

والحركة رمز الحياة.. والسكون هو الموت.. ولكى نشعر بالحياة - اى بالحركة - لابد لنا من المرور على شجرة .. وتراث الآباء والاجداد هو هذه الشجرة التى سنعرف عندما نمر عليها ما إذا كنا نسير للأمام - كما هو كائن الآن - أم اننا ثابتون فى أماكننا؟

ومن لم يسعده الحظ بالمرور على شجرة المهرجان الوطنى للتراث والثقافة العاشر بالجنادرية أو ما قبله فليستعد للمهرجانات التالية. والمنهل تتمنى للجميع رحلة سعيدة باذن الله.. والآن .. نعيد سؤالينا.. المهرجان الوطنى للتراث والثقافة

ترف .. أم هدف؟؟ ترفيه .. أم توجيه؟؟

وقبل ان أجيب على التساؤل أسوق هذا البيت من الشعر.. فهو بيت عجيب غريب متميز يقول:

مودته تدوم لكل هول
وهل كلٌ مودته تدوم

والعجيب الغريب فى هذا البيت أن يقرأ من اليسار الى اليمين تماما كما يقرأ من اليمين الى اليسار.. فلو نثرت حروفه وصففتها بنفس ترتيبها لقرأت البيت من الاتجاهين دون ما اختلاف.

م و د ت هـ ت د و م ل ك ل هـ و ل و هـ
ل ك ل م و د ت هـ ت د و م

وقبل ان تسأل لماذا هذا البيت أقول: إن الاجابة على التساؤل السابق طرحه الذى هو: المهرجان

ترف .. أم هدف؟؟ .. ترفيه .. أم توجيه؟؟

اردت أن تكون على طريقة بيت الشعر المذكور فنقول:

ان المهرجان الوطنى للثقافة والفنون ترف ، وهدف ، وترفيه ، وتوجيه أو نقول: توجيه ، وترفيه ، وهدف وترف.

وإذا كان البيت قد قرئ من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين فاجابة التساؤل يجب ان تفهم من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين.

** والمنهل حيال ذلك تسمح لنفسها بدعوة كل قرائها لزيارة المهرجان الوطنى للتراث والثقافة الحادي عشر والذى سيعلن عن موعده - من قبل المسئولين - فى حينه.

والى اللقاء على أرض المهرجان باذن الله تعالى



**إعداد: يعقوب السيد حسنين**



# الهجرة .. وشمس الوحدة

**محمد منذر لطفي** - سوريا

نجـمـان .. من غُررِ الأصـولْ نجمُ الرسـالة .. والرسـولْ
هذا شـفـاء للنفـوس، وذاك هـديٌ للعـقـولْ
قـد كـان في «أمِّ القـرى(١)» ليـلان ظلهـمـا ثقـيل
شـرك وجـهلٌ مطبـقـانِ ، فـهل إلى بُرء سـبيل..؟
حـتى تجلّى النَّيِّران(٢) .. فـأزهر الليلُ الطويل
يا مـوسم الفـجـر النَّدي ، ومـوسم الصـبح الخضـيل
مـا أنتـمـا إلا الشـروق .. أطل يجـتـاح الأفـول
مـا أنتـمـا إلا الخـمـيل أظلَّ صـحـراء .. الطلول
مـا أنتـمـا إلا الشـبـابُ يضـوعُ في كل الفصـول
مـا أنتـمـا في «مكة» إلا الرسـالة والرسـول

* * *

يا من أضـاء دجى الدروب ، فـأشـرقت كلُّ الدروبْ
الحقّ شـرعك .. فـامض فـيـه .. فـأنت رائدُنا الحـبـيبْ
عـمـيت عـقـولُ الناس دهراً .. والضـمـائرُ .. والقلوبْ
فـانشـر مـصـابيح الضـيـاء على المدائن والشـعـوب
ضـاقت «قـريشُ» بنورك الوضَّاء ، بالدوح الرطيب
فـمضت تُدبِّر في الظلام .. وفي الضـحى .. أمـراً عـصـيبْ
لكنَّ من حـفظ الإله، فليس تدركـه الخطوب
«*فـاصـدع بما تُؤمـر*» وهاجـر.. إنَّ مـولاك «الحـسـيب»

* * *

خـرج «الرسـولُ» وراح يحـسـو التـرب في كل العـيـون
ويمر .. فـالحـراسُ في سِنَة عن الكنز الثـمـين(٣)
حـتى إذا لاح الصـبـاح.. ووشَّح البـيت الحـزين
دخلت «قـريش» فـهـالهـا «اللاشيء» والصـمتُ المبين
لم تلق في البـيت الرسـول .. ولم تجـد إلا الخـدين(٤)
حـارت.. وحـار دليلهـا الأشـقى .. وحـاديهـا اللعين(٥)
حـتـى إذا لاحت لـه آثـار أقـدام «الأمـين»(٦)
ثارت حـفـيظتـه .. وراح يدق نـاقـوس المنون

* * *

قـصـد «الرسـولُ» الغـارَ و«الصـدِّيقُ» في جنح الظلامْ
والقـوم.. يا للقـوم .. كـانوا غـارقين مع النيـام

وبُنيةٌ(٧) سمراءُ يعمرُ قلبَها النورُ التمام
راحت تشقُّ نطاقها تخفي عن القوم الطعام
تسعى إلى الغار الذي قد ضمَّ آمال الأنام
نسجت عناكبُه الخيوط ٠٠ وباض بالباب الحمام
حتى إذا وصلت «قريشُ» الغار ، واحتدم الكلام
أوحى إليه الله أن القوم قد ضلوا المرام
فرنا إلى «الصِّدّيق» في بِشرٍ ٠٠ يزفُّ له السلام
ويقول: إن الله ثالثنا ، فلا تخش اللئام

* * *

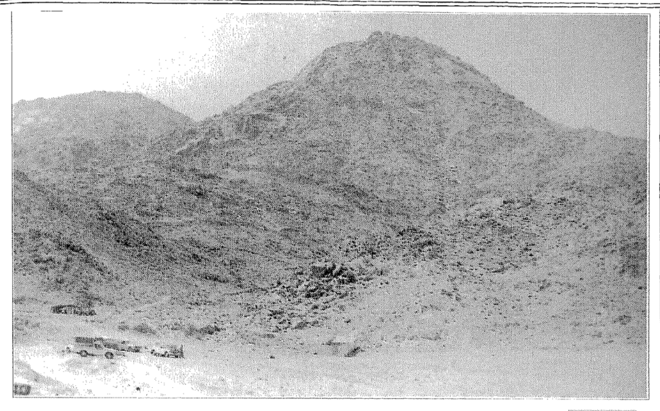
مرّت ثلاثٌ ٠٠ ثم لما أعقب الليل ٠٠ النهارْ
حضر الغلامُ يقودُ راحلة٠٠ فضاء الانتظار
هيَّا٠٠ وراحا ينهبان السهل٠٠ والبيد القفار
ومضت «قريش» ببحثها المحموم تسأل كُلَّ دار
هذا الكميُّ «سراقة» أغرته جائزة الحرار(٨)
لكنَّ من حفظ الإله ، فليس يدركه العثار
حتى إذا لاح النخيلُ٠٠ نخيلُ «يثرب»(٩)٠٠ والجدار
راحت مواكبُها تموجُ٠٠ وزيَّن اللقيا انتصار
وطلعت بدرا من «ثنيات الودا ع» على الديار
وطلعت شمسا من «ثنيات الودا ع» على الديار

* * *

من كان مثلك يا «محمد» لن يضلَّ٠٠ ولن يخيب
ما كان أحوجنا إليك٠٠ وقد تكاثرت الخطوب٠٠!
ما كان أحوجنا لمن نشرِ الأخُوَّة في الشعوب
جمع الدُّنى في وحدة آخى الشمال مع الجنوب
لا فرق في جنسٍ ٠٠ وفي لونٍ٠٠ وفي حسب قريب
الفرقُ بالأعمال٠٠ فاصنع دولة تأبى الغروب
قد شادها جيل الفتوح بكل مقدام٠٠ مهيب
إن صوَّحت جنَّاتُها فغداً تماوجُ بالطيوب
ولئن توارت شمسها فغداً يباركنا اللهيب
أكبرت شُرعك أن يُغَيِّبه زمانٌ٠٠ أو يغيب٠٠!
أكبرتُه٠٠ أكبرت «مكة»٠٠ و«المدينة»٠٠ و«الحبيب»
أدعو الإله بأن تكون لي الشفيع من الذنوب
**أدعوه٠٠ وهو٠٠ هو السميعُ٠٠ هو الغفورُ ٠٠ هو المجيب**

**الهوامش**

(١) أحد أسماء مكة المكرمة
(٢) الرسالة والرسول (صلى الله عليه وسلم)
(٣) الرسول وصاحبه أبو بكر الصديق
(٤) الإمام علي كرم الله وجهه
(٥) أبو جهل عم الرسول
(٦) من أسماء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)
(٧) «أسماء» بنت أبي بكر الصديق الملقبة «بذات النطاقين»
(٨) جمع «حرة» ٠٠ وهي الناقة الكريمة السريعة
(٩) أحد أسماء «المدينة المنورة»

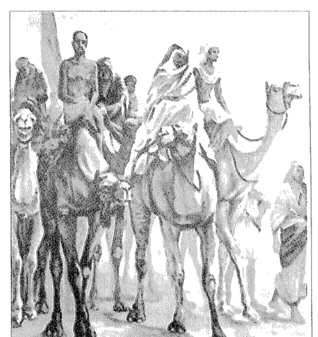


طلع البدر علينا

# معجزات الهجرة النبوية

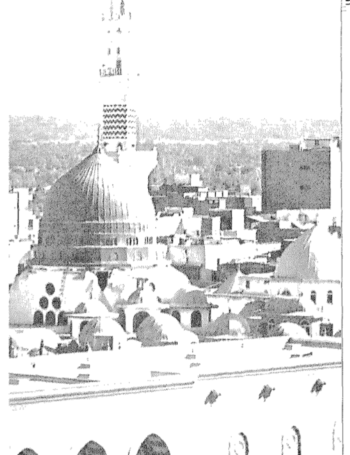
## النفوس المعتمة المريضة تأبى أن تجعل للنور مدخلا إليها

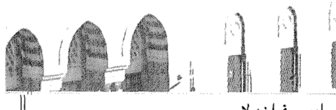
## المشركون كانوا أحرص على دين آبائهم من دين الله سبحانه



ستظل هجرة سيدنا محمد ﷺ علامة على طريق مسيرة السلام، فقد كانت الهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة بداية لنمو رسالة الاسلام، وسبيلا لنضجه ومعبرا لينتشر الاسلام في كافة ارجاء المعمورة ، وستظل هجرة دعاة الاسلام الى كافة بقاع الارض وسيلة للتعريف بالدين الخاتم، وسبيلا لتصحيح المفاهيم عند من لا يحسن الظن بالاسلام.

# المعجزات من خصائص النبوة وتذكرها يضفي على حياتنا شفافية وروحانية، ويجعلنا نتحرك بنبض الدين وروحه





لقد ولد الاسلام ثلاث مرات:

**الاولى:** ببدء الوحى

**الثانية:** بالهجرة الى المدينة المنورة.

**الثالثة:** بفتح مكة المكرمة.. ونجد ان الهجرة وسط بين المرحلتين ولولا الدفعة الثانية ما كانت الدفعة الثالثة ، ولولا الدفعة الثانية لظل الاسلام محصورا في مكة بين مؤيدين قلة ومعارضة كثرة، ولكن شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى ان يهاجر رسوله من موطنه الى حاضنة الدين الوليد (يثرب)، ليعلم الجميع أن محمدا صاحب رسالة ولا يدعو لدين آبائه واجداده ، وأن عقيدته موحاة من عند رب السموات والارض وليست فكرة مستوحاه من آراء وافكار قومه وعشيرته ، وأن دعوته دعوة نبوة وليست لاحياء ملك وسلطان قديم لآبائه، ومراد الله سبحانه وتعالى سابق على كل تطلعات ومقولات البشر، فقد ترجمت تلك المعاني للهجرة في الحوار الذى دار بين هرقل ملك الروم وأبى سفيان بن حرب قبل أن يسلم.

**عبد الحليم احمد فحيل** - مصر

هرقل: هل قال هذا القول - يعنى الدعوة الى الله - منكم أحد قط قبله؟

ابو سفيان: لا.

هرقل: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله.. وهل كان من اباته من ملك؟.

ابو سفيان: لا

هرقل: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه .. وبماذا يأمركم؟

ابو سفيان: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف.

هرقل: ان كان حقا ما تقول فسيملك موضع قدميّ هاتين. (اخرجه البخارى)

اذا كانت الهجرة وسيلة لنقل دعوة الاسلام الى ارض الاحتضان الخصبة، بعيدا عن الحسب والنسب حتى لا تكون شبهة ولا نقيصة على نضجه وقوته، ومن العجب ان الرسول بعد ان هاجر الى المدينة أصر على البقاء بها، ولم يشأ ان يعود الى موطنه الاصلي حتى لحق بالرفيق الاعلى وبقى جثمانه الشريف المطهر بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

واذا كانت ذكرى الهجرة تعاودنا كل عام هجري، فإنها لذكرى طيبة لنستمسك بالاسلام، ونزداد حرصا على هذا الدين، ونتذكر تلك القلة المؤمنة التي تركت وراءها في مكة كل شئ من مال ومتاع وعقار ، ونتذكر خروج الرسول ﷺ مع رفيقه أبى بكر الصديق رضى الله عنه في رحلة الهجرة الصعبة: وسط الجبال والرمال، ومع حدة حر الشمس، وبقلة الماء والزاد، ومن وراء ذلك عيون الطلب التي تريد اعادته حيا أو ميتا. ومع هذا فلن اتابع الهجرة في مسيرتها ولكن سأتناول بعض المعجزات التي كانت في تلك الرحلة وهي لا شك زاهرة خصبة يتعمقها المؤمن فيرى فيها الجهاد الحق لرفع راية هذا الدين.

**المعجزة الاولى:**

**سلامة الرسول من قبضة قريش.**

أحكم المشركون أعداء الدين خطتهم للتخلص من رسول الله، فقد وجدوا أنهم لا حيلة لهم أمام منطقه ودعوته واخلاص أتباعه له، وبمنطق الضعف لاعداء الدين رأوا ضرورة قتل الداعية لتموت الدعوة، فعقيدتهم فاسدة، ولكن الدعوة التي جاء بها محمد بن عبد الله تجد قبولا عند النفوس والعقول السليمة الطاهرة، ولا حيلة للضعفاء الا اختيار سبيل العنف وسفك الدماء.

اختار المشركون من كل قبيلة فتا جلدا، واعطوه سيفا بتارا، ليضربوه جميعا ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل، وأحاط الفتيان ومعهم السيوف ببيت النبي ﷺ فاذا خرج كان ما اجمعوا عليه. ولنتخيل ونتصور الموقف النفسي للقوم: الغيظ ملأ نفوسهم ، المشركون جاؤا للقتل، الراصد لا تنام عينه ولا يغفل المهمة التي جاء من اجلها، لم يتركوا منفذا يخرج منه الا رصدوه مع اعلى درجة من درجات الاستعداد لانزال الضربة القاتلة، كل واحد منهم يصبو لأن يكون أول ضارب لينال الشرف عند قومه.

ومع هذا يخرج الرسول هادئا من باب بيته، ولم يحاول الفرار والهرب، بل يأخذ حفنة من التراب، ويضع على رأس كل واحد من الرصَّد ترابا.

أين هم؟ .. لماذا لم يضربوا؟.. لماذا لم يتحركوا؟.. ألم يبصروه؟.. ألم يشعروا بخروجه؟.. أى اطمئنان ذلك ليخرج الرسول ويضع على رؤوسهم التراب ولا يهابهم ولا يخاف سيوفهم؟. لقد كانت ملحمة للسخرية من القوم، لقد أتوا ليقتلوه حتى لا يهاجر، فيخرج ويضع على رؤوسهم التراب ويهاجر سالما... وأوضح الله سبحانه وتعالى سر سلامته **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) «الانفال/٣٠»**، فلا حيلة للقوم مع تدبير الله سبحانه وتعالى، فما كان لهم الا العجز ، وأصبح الموقف معجزة لرسول الله ﷺ

**مشركو قريش قادتهم ضلالاتهم لحتفهم في بدر**

ان الله سبحانه وتعالى هو الذى كلفه بالرسالة والله هو الذى اذن له بالهجرة ولابدَّ أنه يعصمه من القوم، وكانت العصمة لرسول الله من كيدهم، فأمسوا عميا وصما وبكما لا يبصرونه.

خرج الرسول من بيته وهو يتقوى بآيات القرآن الكريم، وفى القرآن عصمة من الشر والضرر باذن الله سبحانه وتعالى.. خرج ﷺ وهو يتلو **(يس. والقرآن الحكيم.. وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) يس/٩.**

لقد أصبحوا في حالة شلل قوي، البصر شاخص ولكن الإرادة متجمدة، وفى الامكان ان يشبه بما في عصرنا بالتنويم المغناطيسي أو بالتخدير الكلي. ولم تكن هذه هي الحالة الواحدة التي يعتصم بها رسول الله بالقرآن، ويسلم به من اذى المعاندين، بل لقد نجا من لسان امرأة ابى لهب وقد اتت لتنال منه وهو بين اصحابه، فقرأ

القرآن، فما رأته وهو يجلس امامها، وتقرر الآيات القرآنية هذا الموقف عندما ينزل الوحى الالهى **(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا)** الاسراء/٤٥٠

**المعجزة الثانية: (وأيده بجنود لم تروها)٠**

اجتاز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العقبة الاولى، وخرج سالما من بيته ليهاجر بأمر الله سبحانه وتعالى الى المدينة، وكان له ان يمضى فى رحلته أو أن يورى على القوم فيختبىء فى بعض شعاب مكة حتى يهدأ طلب قريش، وكانت حالة رسول الله النفسية هادئة ثابتة، وعقله متزنا يدبر الامور الى أحسن العواقب، فرأى أن يختبيء فى غار ثور هو وابو بكر ليُعمِّى على القوم، فان تبعهما القوم فلن يجدوا احدا على الطريق الى المدينة٠



وثارت ثائرة قريش ٠٠ لقد أتى الرصد بعد خروج الرسول من بينهم آت ممن لم يكن معهم فصاح بهم: خيبكم الله، وقد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟٠٠

وضع كل رجل منهم يده على رأسه، فاذا عليه تراب٠٠ وهنا اشتعلت نفوس القوم بالغضب على محمد وبما فعله بهم، فتتبعوا الاقدام، واقتفوا أثره لعلهم ان يعيدوه، وهنا سينكلوا به اكثر واكثر مما كان ، وأخذهم الاثر الى غار ثور، وانقطع اثر الاقدام٠

وقف القوم أمام فم الغار، وصاح القائف: هنا انقطع اثره، ولا أدرى أخذ يمينا أمْ شمالا أم صعد الجبل٠٠ نظروا فاذا نسيج العنكبوت على فم الغار، فقال امية بن خلف: ما أريكم فى الغار؟٠٠ ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد٠

الطالب يقف على باب الغار، ولو دققوا النظر لابصروا بالرسول وابى بكر، والمطلوب فى الغار معتصم بأمن الله سبحانه وتعالى وهو يدرك انه لن يخذله، وابو بكر يخاف على حبيبه ويقدر ما يكون ان وقع فى ايديهم، وكانت شفقة ابى بكر على الرسول قوية، فاذا زاد الحب زاد الخوف على المحبوب نسبيا، وهنا همس أبو بكر الى الرسول: لو أن احدهم نظر الى قدميه لابصرنا٠ فيرد الرسول ثقة فى الله: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟٠

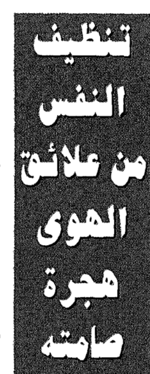
نظر بعث قريش مليا الى الغار، فلما رأوا نسيج العنكبوت أيقنوا أنه لا احد فى الغار، بمعنى انه لو دخل احد الغار ليومه لتقطعت خيوط العنكبوت وما ظلت متماسكة٠

وللمرة الثانية يصرف الله عقولهم عن رسوله كما صرف ابصارهم عند الخروج، وكأن الله صرف عن رسوله الضر بنسج العنكبوت مع ان بيت العنكبوت من أوهن البيوت، ولكن ذلك مكر الله بمن مكروا برسوله، فاضعف مخلوق من مخلوقات الله أقوى من عقول سائر البشر ليتم مراد الله فالذى انجى ابراهيم من النار هو الذى حفظ محمدا فى الغار٠

والذى انطق يوم الفزع موسى **(كلا إن معى ربى سيهدين) الشعراء/٦٢**، هو الذى انطق محمدا **(لا تحزن إن الله معنا) التوبة/٤٠**.

قالت اسماء بنت ابى بكر: لحق رسول الله ﷺ وابو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال. (البخارى).

*واذا كانت المعجزة هنا بأن الله سبحانه وتعالى ازاغ عقول اعداء نبيه ليحميه من الضرر، الا اننا ندرك ان دخول الرسول غار ثور واحتمائه به ما هو الا ضربا من الاخذ بالاسباب، ومع ان الرسول يثق فى ضمان الله له الا انه تمهل المسير الى المدينة تعمية على القوم، ونجا الرسول من القوم لحفظ الله اياه واخذه بالحيطة والحذر، وكان له ان يقول: الذى اخرجنى من بين ايديهم لن يمكنهم منى.. ولكن مسيرة الرسول هى نبراس لنا فى حياتنا، وهداية لسلوكنا، واذا كان الرسول قد اخذ بالسبب فنحن احوج للأخذ بكافة الاسباب كل فيما يصلح له، والاسباب من تقدير الله ومقدوره، ولا يصلح السبب الا فى موضعه، ولا يتنافى الاخذ بالاسباب مع حقيقة التوكل على الله.*




**المعجزة الثالثة: ابتلعت الارض قوائم فرس سراقة:**

مكث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه فى الغار ثلاث ليال، ولما هدأ الطلب خرجا من الغار فى طريق هجرتهما، وارتحلا يقودهما الدليل متخذا بهما طريق الساحل، ولكن قريشا لم تيأس، ولم يهدأ لها بال فخصصت مائة ناقة لمن يرد محمدا اليها، ويمنع وصوله الى يثرب.. كانت المكافأة مغرية لجميع فقراء قريش، وتطلع كثير منهم لينال تلك العطية، واسترق سراقة ابن مالك السمع ففطن بأن قافلة الهجرة قد اتخذت طريق الساحل، فجهز نفسه وركب فرسه، وحث الفرس على سرعة العدوِ ... ثم رأى الركب، وطارت نفسه فرحا لانه سيدرك بغيته.

وفجأة ... ويحدث سراقة عما كان: ساخت يدا فرسه فى الارض حتى بلغتا الركبتين.. لقد انشقت الارض وابتلعت قوائم الفرس حتى لا يستطيع ان يتقدم خطوة واحدة الى الامام، والى جهة رسول الله، وسقط سراقة على الارض، واستنهض سراقة الفرس فانتزع يديه من الارض، يقول: وتبعهما دخان كالإعصار، اى تبع خروج يدى الفرس من الأرض دخان.

هنا تحرك عقل سراقة.. ليس هذا من قبيل الصدفة ان تبتلع الارض قوائم الفرس، وليس من قبيل العادة ان يخرج دخان من قشرة الارض الظاهرة والسطحية، اذا الامر أعظم من ذلك، يقول سراقة: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ منى، وأنه ظاهر.. فناديت القوم.. انظرونى أكلمكم، فوالله لا اريبكم، ولا يأتيكم منى شيء تكرهونه.. اكتب لى كتابا يكون بينى وبينك.

خرج سراقة ليفوز بالجائزة، اصبح رسول الله فى متناول يده، ولكن كانت المعجزة بمثابة انذار له: ان لم ترجع ابتلعتك الارض.. رأى بعينيه وليس بكلام راو، خشى على نفسه، طلب الامان من مطلوب اعزل، ووعد بألا يعين عليهما أحداً، وعاد من فوره الى مكة ليخفى عمن لقيه خبر محمد وصحبه، وكانت تلك الآية سببا فى اسلام سراقة يوم فتح مكة، وليحدث بها من سأله عما كان يوم تبع النبي فى هجرته يريد به الايذاء، فكانت السلامة للرسول، والخير له بالاسلام.

**المعجزة الرابعة: شاة ام معبد تدر اللبن على غير عادة:**

فى طريق الهجرة احتاج الركب طعاما، وجدوا خيمة ولم يجدوا بها الا امرأة، سألوها لحما وتمرا ليشتروه منها، فلم يجدوا عندها ما



أرادوا .. نظر رسـول الله الى شاة فى الخـيمـة فسأل: هل بها من لبن ؟.

قالت أم معبد: **هى أجهد من ذلك.. فان رأيت بها حلبا فاحلبها فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها.**

أم معبد تعلم حال شاتها، فالشاة اصابها الهزال حتى ما استطاعت ان تخرج للرعى مع القطيع، وفى نفس الوقت لم يصبها فحل، اى لم تكن عشارا فى يوم من الايام، فكيف يأتيها اللبن؟، واللبن لا يكون الا من ولادة، والشاة لم تلد قبل ذلك، وكم من شاة بل وآدمى يلد ولا يحفل باللبن من مرض أو هزال. فدعا رسول الله بالشاة، ومسح بيده ضرعها وظهرها، وسمى الله عز وجل، فدرت الشاة، وحلب، ثم سقى ام معبد حتى رويت، ثم سقى اصحابه حتى رووا، ثم شرب، ثم حلب فملأ الاناء وتركه ومضى.

لا تستطيع أم معبد أن تنكر ما وقع، ولا تستطيع ان تكذب عينيها، ولا تستطيع ان تنكر اللبن فى الاناء.. وعاد الزوج ليسأل: من اين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب فى البيت.

قصت أم معبد على زوجها ما كان، واخذت تصف رسول الله وهى لا تعرفه: **رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج (مشرق) الوجه، حسن الخلق، ان صمت فعليه الوقار، وان تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه واحلاه من قريب، حلو المنطق لا نذر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن..**

صاح ابو معبد من فوره: هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره بمكة ما ذكر، ولقد هممت ان اصحبه، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا.

روى ابن سعد وابو نعيم عن ام معبد قالت: بقيت الشاة التى لمس رسول الله ﷺ ضرعها عندنا حتى سنة ثمانى عشرة من الهجرة، وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا عام الرمادة وما فى الارض قليل ولا كثير.

تلك بعض المعجزات الظاهرة فى رحلة الهجرة النبوية، ولنا ان نتلمس منها معاني كثيرة فان اعتصام رسول الله بالله سبحانه وتعالى كان هو سبيل النجاة له فى جميع مواقفه **(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) آل عمران/١٠١**، وأن الرسول لم يستنكف عن الاخذ بالاسباب، بل انه تحصن بالغار، واختار دليلا للرحلة، ولم يستسلم للصدفة والتجربة والخطأ، وأن كل حركاته كانت علامة على حسن الدعوة. ولذا أسلم سراقة وأم معبد وزوجها وكثير ممن رآه.

واذا كانت الهجرة قد تمت وانقضت وما عادت فريضة على المسلمين (لا هجرة ولكن جهاد ونية) كما قال رسول الله يوم فتح مكة، الا اننا نستقى من حديث الهجرة ان نهجر المعاصى فانه افضل الهجرة، وان نجاهد النفس عن ارتكاب الشهوات وكل ما يخالف امور الدين، وان نحسن نياتنا لله لتكون سرائرنا أنقى من العلانية، لتكون **(كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا).**

من فنون القول

# تطور الخطابة في صدر الإسلام



بقلم: د. بهيج مجيد القنطار

أستاذ الادب - الجامعة اللبنانية

الخطابة أحد أقسام النثر الثلاثة: المحادثة أو لغة التخاطب ، والخطابة ، والكتابة التى هي صناعة إنشاء الكتب والرسائل.

والخطابة هي خطاب من فصيح نابه الشأن، يلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهي كالشعر تعتمد على الخيال والبلاغة، وللخطابة دواعيها وأغراضها التي تختلف من عصر الى آخر تبعا لما يطرأ على المجتمع من تغيّر أو تطور في جوانبه المختلفة التي تؤثر على كيانه.

وهي اذا تهيأت، دواعيها سبيل الإقناع ووسيلة التأثير، لما فيها من حضور المتكلم بشخصه، ودفاعه عن رأيه بنفسه، وإفاضته في كل ما يؤيد مذهبه، ومن أغراضها الدعوة الى الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقمع الفتن ، وردع البدع، وتحميس الجند.

ويلاحظ أن كل انقلاب كبير فى أية أمة يرجع الى دعوة دينية، أو دعوة سياسية، ومثل هذه الدعوة تستدعي - بطبيعة الحال - أن يهبّ ذوو الفصاحة المؤمنون بها، لتأييدها ونشرها، والرد على دعاوى خصومها وأعدائها، وذلك يكون بمخاطبة الجماعات في المحافل والمنتديات والحج والمواسم والأسواق ومواطن الزحف وتقدّم الوفود ونحو ذلك.

وما من شك، في أن الإسلام كان انقلابا خطيرا لم يشهد له العالم مثلا من قبل. وقد كان ظهوره من أهم الأحداث التي أثارت دواعي الخطابه، وأغرت عقول العرب بإجادتها والافتتان بها، واستهوت النفوس بسحر بيانها، فوق ما كانت عليه في جاهليتها.

وقد كان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى محمد (صلى الله عليه وسلم) بادىء أمره - غير تبليغ القرآن - وارداً من طريق الخطابة، ولأمر ما، جعلها شعار كل إمام فى جمع ديني أو سياسى، وفي الجمعة والعيدين وموسم الحج الأكبر ويوم الصف، وكل أمر جامع لنشر فضيلة، أو نهي عن رذيلة، أو إعلان نصر، أو تأكيد وصية الى غير ذلك من الأمور الهامة.

ولذلك كان دعاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ورسله الى الملوك، وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم من الخطباء المصاقع، وقد أعانهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عربا مثلهم يهتزون ويطربون للفصاحة، **وان الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي لا ينهض بأعباء الخطابة، ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق، وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية، وترغيبها في الثواب، وترهيبها من العقاب، ولخلوها من قيود الوزن والقافية، ولأنها تقال بعبارات تفهمها الخاصة والعامة من الجندي الصغير الى القائد الكبير**، وقد كان لهم من القرآن الكريم وأدلته وحججه والإقتباس منه معين لا ينضب.

الخطيب المؤمن يستميل الناس جميعاً(؟) إلى الحق على(؟) بقوة(؟) الكلمة الصادقة(؟)

ولما حدثت الفتنة الكبرى بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، والتي أدت الى انقسام المسلمين الى عراقيين، وشاميين، ظهر في تلك الطائفتين خطباء كثيرون.

وما انتهت هذه الحرب، حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل، وتفرق المسلمون الى شيعة وخوارج وجماعة(١)، وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى، كل يبذل وسعه فى نشر مذهبه،

# الخطابة أطول باباً من النثر في الإسلام الفني والوجداني

ويدفع عنه بسيفه.

ولم تعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان.

وتمتاز الخطابة في صدر الإسلام منها في الجاهلية بأمور أهمها:

**أولا:** سلوكها طريقا دينيا في مثل خطب الجمع والعيدين والحج والارشاد، ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية.

**ثانيا:** إتباعها خطة سياسية في مثل تأليف الأحزاب، والجماعات، وتدعيم الملك والسلطان، وما وقع للعرب في الجاهلية من هذا القبيل في بعض منازعاتهم، لا يقاس بنظيره في الاسلام، وذلك كخطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة، عندما اختلف الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، في من يبايعونه خليفة له عليهم، والتي يقول فيها، بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس، نحن المهاجرون أول الناس إسلاما، واكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، واكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالي: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان» فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، اخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء وانصارنا على العدو، آويتهم وواسيتهم فجزاكم الله خيرا.

فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، ولا تدين العرب إلا لهذا الحيِّ في قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

**ثالثا:** قوة تأثيرها ووصولها الى قرارة النفوس، وامتلاكها للوجدان والشعور، بوعظها الزاجر، ونصحها البالغ، مما رقق القلوب القاسية وأسال الأعين الجامدة، وذلك كخطبة الرسول الكريم التي يقول فيها، بعد ان حمد الله بما هو أهله: **«أيها الناس إن لكم معالم(٢) فانتهوا الى معالمكم، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم، فان العبد بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باق، لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب(٣) وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار».**

وكقول سحبان وائل من خطبة له:

**«إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، أيها الناس فخذوا من دار مقركم لدار قعركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تُخفى عليه اسراركم، واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم إن الرجل اذا هلك، قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟. قدموا بعضا يكون لكم، ولا تخلفوا كلا يكون عليكم».**

**رابعا:** صفاء الفاظها، وسهولة عبارتها، ومتانة أساليبها، وتجنبها سجع الكهان، وقلة القصد فيها الى سرد الحكم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة كما كان يفعل خطباء الجاهلية.

**خامسا:** ابتداؤها بحمد الله والثناء عليه.

**سادسا:** محاكاتها اسلوب القرآن في الإقناع، واستمدادها من آياته، حتى اشترط بعض ائمة المسلمين وجوب اشتمال خطبة الجمعة على شيء منه.

**سابعا:** تنوعها بين الإيجاز والإسهاب، حتى حُكي أنَّ منها ما استغرق نصف نهار كخطبة سحبان وائل التي خطبها بحضرة معاوية يوم أن حضر وفد خراسان ومنها ما لم يزد علي فقرات معدودات، مثل خطبة خطيب الأزد حين بعث الحجاج بن يوسف خطباء من الاحماس(٤) الى عبد الملك وهي: **«قد علمت العرب أنّا حيٌ فعال ولسنا بحي مقال، وأنّا نجزي بفعلنا عند أحسن قولهم، إن السيوف لتصرف أكفنا، وأن الموت ليستعذب أرواحنا، وقد علمت الحرب الزبون(٥) أنا نقرع جماحها ونحلب صرارها(٦).**

والخلاصة أن الخطابة، وصلت في هذا العصر

**الى أرقى ما وصلت اليه في اللغة العربية، ولم تسعد اللغة العربية بكثرة خطباء، ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول، اذ كان القوم ورؤساؤهم عربا خلصا يسمعون القول فيتبعون أحسنه.**

ولم يخرج خطباء هذا العصر عن مألوف خطباء الجاهلية من عصب العمامة والإشتمال بالثوب والإعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس، والخطبة من قيام، إلا ما روي عن الوليد بن عبد الملك، من أنه كان يخطب جالساً وقد تبعه في هذا التقليد بعض خلفاء بني أمية وعمالهم.

وليس في عصور اللغة عصر أحفل بالخطباء المعروفين نسبا وقولا وعملا من هذا العصر، إذ كانت الخطابة فيه سلسلة القياد على خلفائه وزعمائه لغطرستهم العربية ومحلهم من الفصاحة والبيان وانطباعهم على اساليب القرآن الكريم، واتساع مداركهم.

ومن خطباء هذا العصر الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة المسلمين، وفصحاء الناس، **لأن الخطابة إذ ذاك كانت من أعظم أعمال الولاية والإمامة.**

وفيما يلي إشارة إلى اولئك الخطباء مع نموذج من خطبهم.

**١ ـ أبو بكر الصديق:**

هو أبو بكر عبد الله عتيق بن أبي قحافة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأول صديق له في الإسلام، ويجتمع نسبه مع الرسول في مرة بن كعب، ولد بعد مولد الرسول بسنتين وبضعة أشهر، وهو من أكرم قريش خلقا، وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرها.

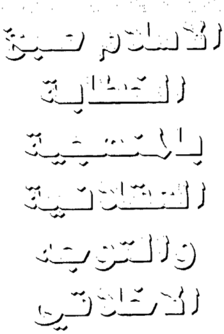
صحب رسول الله قبل النبوة، وكان أول من آمن به من الرجال، وصدقه في كل ما جاء به، ولذلك سُمّي الصدّيق، وأنفق أمواله في تأييد دعوته، وهاجر معه الى المدينة المنورة مؤثرا صحبته على كل أهله وولده، وشهد معه اكثر الغزوات.

ومازال ينفق ماله وقوته في معاضدة الرسول حتي انتقل (صلى الله عليه وسلم) الى الرفيق الأعلى، ولما اختلفت العرب، وارتدت عن الإسلام بعد وفاة الرسول ومنعت الزكاة إلا أهل مكة والمدينة والطائف وثقيف، جرّد عليهم الجيوش حتى قمعهم، وجمع العرب على الإسلام، وساقهم توّاً إلى فتح ممالك كسرى وقيصر. وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم وتستولي على مدائنهم وحصونهم وكانت وفاته سنة ١٣ هجرية.

وكان ابو بكر فصيحا بليغا، وخطيبا مفوها، حاضر البديهة، قوي الحجة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة التي ذكرناها من قبل، وذلك أنه لما مات الرسول، اختلفت الصحابة في مَن يبايعونه خليفة له عليهم، فأبت الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا ان يكون منهم، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة فخطبهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن بايعوه خليفة.

**٢ ـ عمر بن الخطاب:**

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ثاني خليفة لرسول الله، وأول من تسمى من الخلفاء بأمير المؤمنين، وأول من أرّخ بالتاريخ الهجري، ومصّر الأمصار، ودوّن الدواوين، وُلد بعد مولد الرسول بثلاث عشرة سنة، وكان في الجاهلية من كبار قريش وزعمائها، وكان شجاعاً حازماً.



وكان في مبدأ الدعوة الى الاسلام من اكبر اعداء الرسول ثم هداه الله فأسلم وأعز الله به دينه، وحضر مع الرسول الغزوات كلها، وبعد وفاة الرسول اعان أبا بكر على توليه الخلافة، ولما أحس أبو بكر بدنو أجله، عهد بالخلافة اليه، فنهض باعبائها، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر من فتح ممالك كسرى وقيصر، وقد اشتهر في خلافته بالسياسة والكياسة والحزم والعزم والزهد والفقه، والحرص على

## الخطابة لدى الخلفاء الراشدين أئمة البلاغة والإدارة

مصلحة المسلمين، قُتل غيلة، قتله غلام مجوسي يدعى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة،، لأنه لم ينصفه ـ على زعمه ـ في تخفيض ما يدفعه لسيّده من أجرة عمله، وكان قتله عام ٢٣هـ.

وكان عمر من أفصح الناس منطقا، وأبلغهم عبارة، واكثرهم صوابا وحكمة وأرواهم للشعر وأنقدهم له، ومن خطبه خطبته إذ وُلِّيَ الخلافة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**يا أيها الناس، اني داع فأمِّنوا، اللهم إني غليظ، فليِّني لأهل طاعتك بموافقة الحق إبتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك واهل النفاق من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم. اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف وقصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فالهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين، اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها بالنية الحسنة والتي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبِّتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، واصلاح الساعات(٧) والحذر من الشبهات، اللهم أرزقني التفكير والتدبير لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، انك على كل شيء قدير**».

### ٣ ـ عثمان بن عفان:

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الاموي، ثالث الخلفاء الراشدين، وموحد نسخ القرآن المبين.

ولد في السنة السادسة من مولد الرسول، وآمن في السابقين الأولين، وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد غزوات الرسول كلها إلا بدرا.

وكان عمر قبل وفاته قد عهد بالخلافة الى ستة هو منهم تنتخب الأمة أحدهم خليفة، فانتخبوا عثمان فأكمل مغازي عمر.

ومضت على خلافته ست سنوات لم يحدث عليه فيها شغب، ثم ثار عليه بعض الاعراب النازلين بمصر والعراق، بحجة انه يؤثر أقرباءه بولاية الاقاليم، غير ناظرين الى كفايتهم، ولا الى وثوق الخليفة بهم ونصحهم له، فحاصروه في داره بالمدينة، وتسوروها عليه، وقتلوه وهو يتلوا القرآن في المصحف سنة ٣٥هـ. فكان قتله سبب الفرقة بين المسلمين واجترائهم على مقام الخلافة وقتل الخلفاء والخروج عليهم.

وكان عثمان رضى الله عنه من بلغاء الخلفاء وأوجزهم لفظا وأجزلهم معنى وأسهلهم عبارة ومن خطبه، خطبته بعد أن بويع، وهي بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد فإنِّي قد حُمِّلت وقد قبلت، ألا وإنّي متبع ولست بمبتدع ألا وانّ لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ثلاثا: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما تسنون عن ملأ(٨) والكف إلا فيما استوجبتم ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس ومال اليها كثير منهم، فلا تركنوا الى الدنيا، ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.)

### ٤ ـ علي بن أبي طالب:

هو أمير المؤمنين ابو الحسن علي بن ابي طالب، وابن عم الرسول، وزوج ابنته، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء من المسلمين.

ولد بعد مولد الرسول باثنتين وثلاثين سنة، وهو أول من آمن به من الصبيان، وكان شجاعا قويا جليدا، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك، وأبلى في نصرة الرسول ما لم يبله أحد.

ولما قُتِل عثمان بايعه الناس بالخلافة في الحجاز.

وكان عليّ أفصح الناس بعد الرسول واكثرهم علما وزهداً وشدة في الحق وهو إمام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد الرسول، وله خطب كثيرة منها خطبته بعد التحكيم وهي:

**«الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجلل، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله.**

**أما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة، وقد كنت امرتكم امري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لتقصير امر، فابيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن(٩)**

**أمرتكم أمري بمنعرج اللوى**

**فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد**

**٥ ـ سحبان وائل:**

هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان، نشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة، ولما ظهر الاسلام أسلم وتقلبت به الاحوال حتى التحق بمعاوية فكان يعهده للملمات، ويعتمد عليه عند المفاخرة لقوة عارضته وسرعة خاطره.

قدم على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان، وطلب معاوية من سحبان أن يخطب أمام هذا الوفد، فخطب من صلاة الظهر حتى حانت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سعل، ولا توقف ولا تلكأ، ولا ابتدأ في معنى وخرج منه وقد بقي منه شيء، فمازالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون، فأشار اليه معاوية بيده، فأشار اليه سحبان، لا تقطع كلامي ـ فقال معاوية: الصلاة، قال: هي أمامك، نحن في صلاة وتحميد، ووعد وعيد، فقال معاوية: أنت أخطب العرب ـ قال سحبان: والعجم والجن والانس، وكان سحبان، إذا خطب يسيل عرقا، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

**٦ ـ زياد بن ابيه:**

أحد دهاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها، ويقال في نسبه أنه كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمة تدعى سمية قرنها بعبد له رومي يدعى عبيدا فولدت له زيادا هذا في السنة الأولى من الهجرة، فنشأ غلاما فصيحا شجاعا داهيا، قارئا كاتبا.

وقد استكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، فأظهر من الحذق وحدة الذكاء وبعد النظر، ما جعل أمير المؤمنين يقول عندما عزله عن عمله: إنه لم يعزله لعجز أو خيانة، **وإنما كره أن يحمل على الناس فضل عقله(١٠)** وقال فيه عمرو بن العاص:

**«لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق الناس بعصاه..»**، ولما رأى أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه حصافة عقل زياد وحسن بلائه، وفصاحة لسانه، أسرّ الى بعض قريش ومنهم علي بن أبي طالب بأن زيادا ابنه، اشتملت عليه سميّة منه وهو مشرك ولكنه لم يستلحقه علانية أنفة منه.

وفي خلافة علي بن أبي طالب شغبت عليه فارس، فاختار لها زيادا بعد استشارة، فسار الى فارس بجمع كثير، فتمكن بدهائه وسياسته من إيقاع النفور والشقاق بين رؤساء المشاغبين، ومازال يضرب بعضهم ببعض حتى قضى على ثورتهم ، ولم يلق منهم حرباً ولا كيداً وظل والياً لعلي في خراسان حتى قُتل علي.

وقد عرف معاوية قيمة زياد، ولهذا نراه في خلافته يرسل اليه المغيرة بن شعبة يتلطف له ويستقدمه، فقدم عليه فادعاه معاوية أخاً له، واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان بشهادة شهود في محضر من الناس، وصار بعد ذلك يسمى زياد بن أبي

الأحزاب والجماعات أدت دورا إيجابيا في رقي الخطابة

سفيان، بدل زياد بن عبيد، كما يسمى كذلك زياد بن سُمَيّة أو ابن ابيه.

ولاه معاوية البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له السند والبحرين وعمان، ثم ضم اليه الكوفة فأصبح بذلك واليا على العراقين، وهو أول من جمع له بينهما. وقد استطاع بدهائه وسياسته أن يقضي على الفتن، وأن يقوّم المعوج، وكان يشتط في العقوبة ويأخذ الناس بالظنه، ويعاقب على الشبهة، حتى شمل خوفه جميع الناس، فأمن بعضهم بعضا، وبذلك اكد الملك ودعمه لمعاويه.

وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، بل كان لا يغلق أحد بابه، وكان زياد يقول: **«لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت آخذه.»** وكان مكتوباً في مجلسه شعار سياسته وهي: **الشدة في غير عنف، واللين في غير ضعف، المحسن يُجازى باحسانه والمسيء يعاقب بإساءته.**

وقد روى الجاحظ عن الشعبي وصفه لفصاحة زياد فقال: **«ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زيادا، فإنه كلما اكثر كان أجود كلاماً».**

**وتوفي في الكوفة سنة ٣٥هـ. ومن خطبه البليغة حين قدم الى البصرة وهي «أما بعد، فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء. والغي الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور التي ينبث فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير. كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول.**

**إنه ليس منكم إلا من طرفت عينه الدنيا، وصدّت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم احدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه: من ترككم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر.**

**ألم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن ولج الليل وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين تعذرون بغير العذر، وتعصون على النكر، كل امرىء منكم يرد عن سيفه صنع من لا يخاف عقابا، ولا يرجو معادا، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الريب (١١).**

**حرام عليّ الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً واحراقاً، اني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لينٌ في غير ضعف، وشدة في غير عنف، واني لأقسم بالله لآخذن الولي بالمولي، والمقيم بالظاعن، والمطيع بالعاصي، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: «انج سعد فقد هلك سعيد(١٢) أو تستقيم قناتكم» إنّ كذبة الأمير بلقاء مشهورة، فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلّت لكم معصيتى، وقد كان بينى وبين قوم إحن، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي».**

**«أيها الناس، إنّا قد أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا».**

### ٧ ـ الحجاج بن يوسف:

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، رجل ثقيف، وأحد جبابرة العرب، وساستها وقادتها، وحكامها، وموطد ملك بني أمية، وأحد الخطباء البلغاء المصاقع(١٣).

ولد سنة ٤١هـ، وكان هو وأبوه يعلمان الصبيان في الطائف موطن ثقيف، ثم لحق بروح بن زنباع الجذامي، أحد أعوان عبد الملك بن مروان، فكان في شرطته ثم صار رئيسها.

وأول ما عرف من كفايته أن عبد الملك بن مروان شكا ما رأى من انحلال العسكر، وأن الناس لا يرحلون برحيله، ولا ينزلون بنزوله حين توجه الى

الجزيرة لقتال زفر بن الحارث، عندما خرج عليه ـ فقال له روح بن زنباع: يا أمير المؤمنين إن في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلهم برحيله وأنزلهم بنزوله، يقال له الحجاج بن يوسف ـ فانّا قلّدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول.

وأول ما اشتهر من أمره قيادته الجيش الذي وُجه لقتال عبد الله بن الزبير، فقد سار اليه وحاصره في مكة، ثم قتله وأزال ملكه، فولاه عبد الملك العراق، وكان كله ناراً ملتهبة بفتنة الشيعة والخوارج، فاستعمل من الشدة والقسوة وسفك الدماء وإرهاب الأمة ما لم يسمع بمثله، وجرد الملك لبني أمية.

وكانت عاقبة أمره أمرين عظيمين:

أولهما: يمدح عليه، وهو جمع أشتات المسلمين تحت راية واحدة هي راية الخليفة العربي الأموي.

ثانيهما: يُذم به، وهو إذلال الأمة العربية إذلالا لم تعهده بما قتل من نخوتها، وسلب من حريتها، وأخرس من ألسنتها، فدخلت بعهده في طور خنوع وامتثال للحكام المستبدين، أكمل بقيته نصراء الدولة العباسية من الأعاجم.

وخدم الحجاج بولايته عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، حتى كان ملكه ما بين الشام والصين. ومات الحجاج سنة ٩٥هـ. في مدينة واسط التي بناها بالعراق.

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة، قال الاصمعي: أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وأيوب بن يزيد، والحجاج أفصحهم».

وقال مالك بن دينار: «ما رأيت أحداً أبين من الحجاج، إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم اليه، حتى أني لأحسبه صادقاً وأظنهم كاذبين».

ومن مآثره إهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وإرسالها الى بقية الأمصار.

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق، فقد دخل المسجد مُعْتَماً بعمامة قد غطى بها اكثر وجهه متقلداً سيفاً، ملقيا قوسه على منكبيه، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: «قبّح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق، حتى قال عُمير بن ضابئ البُرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض ثم قال:

**أنا ابن جلا وطلاع الثنايا**
**متى أضع العمامة تعرفوني**

**ثم قال: «يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي لصاحبها، وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال:**

**هذا أوان الشد فاشتدي زِيم**
**قد لفها الليل بسواقٍ حُطَم**
**ليس براعي إبل ولا غنم**
**ولا بجزّار على ظهر وضَمْ(١٥)**

**إني والله يا أهل العراق ما يُقعْقَعُ لي بالشنان(١٦) ولا يُغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فُررتُ عن ذكاء وفُتّشت عن تجربة، وان امير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها، فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فرماكم بي، لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال.**

**استمدت الخطابة في صدر الاسلام على القرآن والسنة**

**والله لأحْزمنكم حَزْم السلمة(١٧)، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل، فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.**

**وإني والله ما قلت إلا وفيت ولا أهمّ إلا أمضيت، ولا أخلق(١٨) إلا فريْت(١٩)، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب(٢٠) بن ابي صفرة،**

واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة ايام إلا ضربت عنقه».

وبكلمة، فان الخطابة ازدهرت بمجئ الاسلام، لأن الدعوة احتاجت الى استخدامها على نطاق واسع، للإتصال باكبر عدد ممكن من الناس، وسبب ذلك سيادة الأمية وفقدان وسائل النشر المعروفة اليوم. فلا كتب ولا صحف ولا اذاعة، ولا مطابع ولا دور نشر بل الوسيلة الوحيدة هي الحديث المباشر الى الناس، وفي اوقات الاجتماعات لا يجدي غير الخطابة. وهكذا كان النبي الكريم خطيباً يشرح للناس أمور الدين ويعظهم، ويحاول إقناعهم عن طريق العقل، والتأثير فيهم عن طريق الترغيب والترهيب.

ولما كثر المسلمون وانتشروا في البلاد اضطر النبي الى أن يرسل لهم جماعة من أصحابه يؤمونهم في الصلاة، ويعلمونهم مبادئ الدين واحكامه، ويساعدون في نشر الدعوة. وكان اولئك الصحابة لا يجدون غير الخطابة سبيلا للقيام بمهمتهم.

ومن عوامل ازدهار الخطابة في ذلك العصر أيضاً الوفود التي كانت تفد على النبي والرسل الذين كان يبعث بهم الى الحكام والى شيوخ القبائل، وذوي النفوذ في البلاد، فكانت الخطابة الطريقة المثلي التي يتم بها عرض الأمور، ومناقشة الافكار والسعي الى الإقناع.

هذا بالإضافة الى الحروب التي تقتضي قيام الخطباء ببث روح الحماسة في الصدور وتشجيع المحاربين، وتبيان حسنات الجهاد وترغيب المقاتلين فيه:

**«إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة اوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة»** كما جاء في خطبة الامام علي في رجاله يوم الأنبار، وهو في معرض دعوتهم الى قتال الأمويين.

وزاد في ازدهار الخطابة آنذاك، أن الإسلام فرض الخطبة في أصول الدين، وذلك أن صلاة الجمعة، وهي صلاة جماعية دائمة، تقتضي خطبتين، احداهما قصيرة تتناول أدعية وصلوات عادية، والثانية طويلة تتناول شؤون الساعة الخطيرة سياسية كانت أو إجتماعية، أو خلقية، او دينية، او اقتصادية، أو غير ذلك.

**الهوامش والتعليقات:**

**(١) هم الجمهور الأعظم المستجيبون لدعوة بني أمية والخلفاء المعقودة لهم البيعة العامة من اكثر المسلمين**

**(٢) معلم الشيء: مقصد ما يستدل به عليه**

**(٣) إسترخاء وتلاف للخطأ**

**(٤) الاحماس: جمع حمس بفتح الحاء وسكون الميم، وهو جمع مفرده أحمس وحمس بفتح الحاء وكسر الميم وهو الشديد الصلب في الدين والقتال.**

**(٥) الحرب الزبون: الحرب الشديدة تدفع بعضها بعضاً من الكثرة**

**(٦) صر الناقة: شد ضرعها بالصرار لئلا يرضعها ولدها، والصرار، خيط يشتد به خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها.**

**(٧) اصلاح الساعات: ملء الوقت بالعمل الصالح**

**(٨) عن ملأ : عن تشاور واجتماع.**

**(٩) هو دريد بن الصمة.**

**(١٠) أن يفترض في الناس أنهم مثله عقلا ثم يعاملهم على هذا الاساس.**

**(١١) كنوس: جمع كانس اي مستتر، ومكانس الريب: مكامن الشبهات المستترة.**

**(١٢) مثل يضرب في تتابع الشر.**

**(١٣) المصاقع: جمع مصقع كمنبر البليغ او العالي الصوت، او من لا يرتج عليه كلامه ولا يتعتع.**

**(١٤) اسم فرس او ناقه**

**(١٥) كل ما قطع عليه اللحم**

**(١٦) جمع شن وهو الجلد اليابس**

**(١٧) نوع من الشجر.**

**(١٨) أقدر**

**(١٩) قطعت**

**(٢٠) هو ابو سعيد المهلب بن ابى صفرة الأزدي البصري قائد قواد الامويين ومبيد الخوارج.**

# مأساة البوسنة والوعي بوقائع التاريخ



بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

* هل هذه المأساة - التي يعيشها المسلمون في البوسنة والهرسك - منذ إبريل ١٩٩٢م - هي، فقط، «مأساة العصر» الذى نعيش فيه؟.. كما يتردد في كثير من الكتابات؟؟!.

* أم أنها «مأساة كل العصور» على امتداد التاريخ؟؟!.

إننا لا نزعم أن وقائع مآسيها الدامية - والتى ستظل وصمة عار في جبين البشرية المعاصرة - هى أقسى وقائع مآسى التاريخ.. فالصليبيون الذين اقتحموا القدس (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) قد أقاموا للمسلمين من أهلها مذبحة دامت أسبوعا، أبادوا فيها سبعين ألفا.. بل لقد أجبروا الهاربين من المذبحة على إلقاء أنفسهم فى النار من قمم البروج وأسطح البيوت؟!.. ولم تسلم المساجد من هذه المأساة.. ففي مسجد عمر بن الخطاب سبحت خيولهم فى دماء المسلمين، وارتفعت تموجات الدماء الى مستوى صدور الخيول؟!. حتى قال راهب شاهد عيان لهذه المأساة - اسمه «روبارتوس»: إن جامع عمر «قد استوعب من الدم المحتقن فيه كفي بحر متموج»؟!.

وغير الصليبيين.. فإن التتار قد أقاموا، فى الشام من جماجم المسلمين تلالا وشواهد حاكت الأهرامات والنصب التذكارية التى جسدت مأساة اجتياحهم لديار الإسلام؟!..

وعلى هذا «الدرب المأساوى» سار كثيرون من صناع المآسى الإنسانية.. منذ القدم وحتى النازيون والفاشست في تاريخنا المعاصر!..

**لكن تلك المآسى القديمة كانت تتم بمعزل عن الرأى العام الإنسانى، فتقف أوزارها عند صناعها المباشرين.. أما هذه المأساة، التى يكابدها مسلمو البوسنة والهرسك، فإنها قد تفوقت على كل مآسى التاريخ، لأنها تتم أمام انظار كل البشر، وعلى مسمع من سائر شعوب الأرض، وفى حضور جميع بنى الإنسان.. فالمسئولية عنها شاملة.. والمشاركة فيها لا تقف عند حدود الذين تلطخت أيديهم بالدماء.. فضمير الإنسانية جميعها قد جللته هذه المأساة بالعار!.. لذلك فهي ليست، فقط «مأساة العصر».. وإنما هى «مأساة كل العصور» التى تفوقت على كل مآسى التاريخ؟!.**

وإذا كانت «قراءة» التاريخ لا تعلمنا ما يعلمنا إياه «الوعى» بالتاريخ.. فعلينا أن نتدبر سر موقف العالم الغربى، والمنظمات الدولية التى يسيطر عليها، من هذه المأساة.. وهو الموقف الذى يرتفع فيه «الصمت» حتى يبلغ حد «حظر السلاح» عن «القتيل» كى لا تسيل من «القاتل» الدماء؟!.. فهو يتجاوز «الصمت» و«الحظر» الى «المشاركة العملية» فى هذه المأساة..

إن هذه المأساة، التى وصفتها أجهزة إعلام غربية فقالت عنها: «إنها سلخانة بشرية»؟!.. قد حدد «هويتها ومعناها» وزير الإعلام الصربي، عندما أعلن عن أنها «طليعة الحروب الصليبية الجديدة ضد الاسلام»؟!..

ولذلك، فإن علينا أن نرى هذه المأساة القائمة فى سياق المآسى والمذابح التى حلت بمسلمى البوسنة والهرسك منذ ضعف العالم الإسلامى وانفراط عقد وحدته فى العصر الحديث.

كما أن علينا أن نبصر موقع هذه المأساة كحلقة من حلقات صراع «المشروع الاستعمارى الغربى» ضد الاسلام وأمته وعالمه وحضارته.

* لقد أقام الغرب «الدورة الأولمبية» فى اسبانيا ١٩٩٢م احتفالا بمرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من غرب أوربا.. عندما سقطت «غرناطة» (٨٩٧هـ ١٤٩٢م).

وفي ذات الوقت كان الصرب - الذين قال وزير اعلامهم - «إنهم طلائع الحروب الصليبية الجديدة» يقومون باقتلاع الاسلام من وسط اوربا.. بإبادة مسلمي البوسنة والهرسك.. والتمهيد لصنع ذلك مع كل مسلمي البلقان!..

**بل إن هذه القرون الخمسة، التي مرت على سقوط «غرناطة» واقتلاع الاسلام - بالإبادة ومحاكم التفتيش - من غرب اوربا.. لم تكن «هدنة» من الغرب تجاه الإسلام.. بل لقد مثلت في حقيقة الأمر، غزوة صليبية دائمة، ومتعددة الحلقات.. والجبهات على امتداد هذه القرون؟!.**

* **لقد بدأت الصليبية الغربية، منذ اللحظة التي سقطت فيها «غرناطة» مشروعها الاستعماري الكبير،** الذي بدأ «بتطويق» عالم الإسلام، تمهيدا لغزو «قلبه»، وذلك حتى يتحقق «نهب الثروة»، و«احتلال الأرض»، و«تغريب العقل»، وكسر شوكة الإسلام!.

وفي إطار حلقات هذا المشروع.. وعلى جبهاته توالت الوقائع والأحداث والمعارك البارزة، في صراع الغرب ضد الإسلام وأمته وعالمه، عبر هذه القرون الخمسة.. وهي الوقائع والأحداث والمعارك، التي يكشف علاقاتها ويفسر مغزاها «الوعي» بهذا التاريخ!.

* فتحقيقا لمخطط «تطويق» العالم الاسلامي جهز الإسبان - بعد شهر من سقوط «غرناطة» اسطول «كريستوف كولومبس» (١٤٥١ - ١٥٠٦م) للذهاب الى جزر الهند الشرقية الاسلامية، دورانا حول إفريقيا، لاكتشاف طريق «تطويق» عالم الاسلام.. فلما ضل «كولومبس» الطريق، وذهب الى أمريكا.. نهض البرتغاليون بذات المهمة بعد خمس سنوات.. فوصل «فاسكودي جاما» (١٤٦٩ - ١٥٢٤م) الى «رأس الرجاء الصالح»، مكتشفا طريق الالتفاف الأوربي حول عالم الاسلام (٩٠٣هـ ١٤٩٧م).. وليواصل رحلة الالتفاف والتطويق الى المحيط الهندي؟!.. وبعد سنوات قليلة - في (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) حقق البرتغاليون أول انتصاراتهم - فوق الساحل الهندي ضد جيش المماليك، الذي خرج من مصر، لمجابهة هذا «التطويق»؟!.

وما هي إلا سنوات، حتى كان البرتغاليون، بقيادة «ماجلان» (١٤٨٠ - ١٥٢١م) الذي تمجده كتبنا المدرسية «كمكتشف جغرافي»؟! - يقتل وهو يحارب المسلمين في الفلبين.. فيبدأ بذلك عصر الاستعمار «الغربي - الصليبي» للفلبين.. التي تحولت الى النصرانية بعد الاسلام.. وأصبح اسم عاصمتها «مانيلا» بعد أن كانت تُنْطَق: «أمان الله»؟!

* وبعد مرحلة «التطويق» لعالم الإسلام.. بدأت مرحلة «الغزو» لقلبه.. في وطن العروبة على وجه التحديد!.. فحملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م).. تلتها - بعد فشلها - الحملة الانجليزية - التي قادها «فريزر» - على «رشيد» (١٢٢٢هـ ١٨٠٧م) وبعد فشلها.. نجح الفرنسيون في غزو الجزائر (١٢٤٦هـ ١٨٣٠م) بادئين بذلك أبرز النجاحات.

وكان الانجليز قد هيمنوا على الخليج العربي - انطلاقا من الهند - بمعاهدة (١٢٣٥هـ ١٨٢٠م) ثم احتلوا «عدن» (١٢٥٤هـ ١٨٣٨م).. ثم جاء احتلال الفرنسيين «لتونس» (١٢٩٨هـ ١٨٨١م).. واحتلال الانجليز «لمصر» (١٢٩٩هـ ١٨٨٢م).. والإيطاليين لليبيا (١٣٢٩هـ ١٩١١م).. وفرنسا «للمغرب» (١٣٣٠هـ ١٩١٢م).. ثم كان عموم البلوى، أثناء الحرب الاستعمارية العالمية الأولى، عندما وزع الغرب بقايا العالم العربي بين قواه الاستعمارية، بمعاهدة «سيكس - بيكو» (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) .. وهي التي تلاها إعطاء فلسطين للحركة الصهيونية، بمقتضى «وعد بلفور» (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م).. ليأتي إلغاء «رمز» الوحدة

# ثوب المستعمر الجديد ناعم الملمس، براق الحواشي

الاسلامية، وتحطيم «وعائها» بإسقاط الخلافة الإسلامية (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) وطي صفحتها من الوجود للمرة الأولى فى تاريخ الاسلام!.

*** وعندما حقق الغرب هذا الانتصار - تطويق العالم الاسلامي.. وغزو قلبه.. واحتلال أوطانه - لم يخف قادته أن ذلك جميعه قد تم - ومنذ سقوط «غرناطة» - فى إطار حملة صليبية شنها الغرب على ديار الاسلام.. وواصل معاركها طوال هذه القرون.**

فالجنرال الفرنسي «جورو» (١٨٦٧ - ١٩٤٦م) بعد احتلاله لدمشق - يقتحم قبر صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م) ويركله بقدمه، ويقول: **«ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»؟؟!!.**

والجنرال الانجليزى «أللنبى» (١٨٦١ - ١٩٣٦م) - عندما يحتل القدس - يقول: الآن، انتهت الحروب الصليبية؟؟!!.

* لكنهم - أمام يقظة الأمة الاسلامية - وتصاعد صحوة المسلمين - التى تريد تحرير الوطن والعقل والثروة والتعايش مع كل الحضارات والشرائع والديانات، من موقع «الراشد - المستقل».. يعودون مرة أخرى الى إعلان الحرب على الاسلام.. فمن قائل: إنه «الخطر الأخضر» الذى حل محل «الخطر الأحمر»؟!.. ومن قائل: إنه «العدو الجديد» ومن قائل: إن حضارته هى المرشحة لتكون الهدف الغربى الأول فى الصراعات الجديدة.. صراعات الحضارات!. أما الصرب - ومن ورائهم الغرب - كنظم ومؤسسات - فلقد مثلوا، بإبادتهم لمسلمى البوسنة، «صراحة الغرب العارية» فى هذا الصراع - صراع «الغرب - الصليبى» ضد الاسلام وأمته وحضارته وعالمه..

عندما قالوا - وهم يسعون الى اقتلاع الاسلام من قلب أوربا، فى الذكرى الخمسمائة لاقتلاعه من غربها: **«نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة، ضد الاسلام والمسلمين؟!..**

تلك هى دروس التاريخ.. وهذا هو «الوعي» بوقائع التاريخ!

والآن ... وأمام هذا المستوى البشع لدموية المأساة.. وأمام حدة المخاطر التى كشف ويكشف عنها «الوعى» بوقائع تاريخ هذا الصراع، وحلقاته الممتدة والمستمرة على امتداد عمر الاسلام فإن هناك مخاطر تهدد نظرة العقل المسلم الى هذا الصراع وموقفه وقواه وأطرافه وتكتلاته..

*** فخطر كبير - على العقل المسلم - أن يبادل الغرب عداء بعداء.. ورفضا برفض.. وإلغاء بإلغاء!..**

**إننا يجب أن نصحح «معادلة» العلاقة بيننا وبين الغرب.. فليست القضية هى «موقفنا من الغرب» وإنما القضية هى «موقف الغرب منا»!.**

وليس للإسلام وأمته وعالمه وحضارته مشكلة مع «الإنسان» الغربى.. ولا مع «العلْم» الغربى.. بل ولا مع «الحضارة» الغربية.. فنحنُ أبناء الدين الذى يجعل التعددية فى القبائل والشعوب.. وفى الألسنة

## الدورة الأولمبية التى أقيمت فى اسبانيا مؤخراً احتفال بمرور خمسمائة عام

واللغات ـ ومن ثم فى القوميات ـ وفى الشرائع ـ ومن ثم فى الحضارات٠٠ ـ نحن أبناء الدين الذى يجعل التعددية فى هذه الميادين سنة من سنن الله، سبحانه وتعالى فى الاجتماع البشرى ليس لها تحويل ولا تبديل٠٠ **فغايتنا هى «التعايش» و«التفاعل» فى ظل عالم تجعله التعددية «منتدى حضارات»، تتفاعل فيما هو «نافع٠٠ وملائم» وتتمايز فيما هو من صميم «خصوصية» كل حضارة من الحضارات٠**

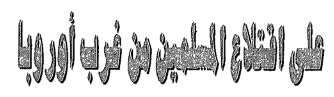
**فمشكلتنا ليست مع «الانسان» الغربى٠٠ ولا مع «العلم» الغربى٠٠ ولا مع «الحضارة» الغربية٠٠ وإنما هى مع «المشروع» الغربى، عندما يريد إلغاء «مشروعنا» الحضارى، المتميز والخاص!٠**

هكذا ٠٠ وعلى هذا النحو يجب ان يكون وعى العقل المسلم لهذه المجابهة وهذا الصراع٠٠ رغم دموية المأساة، وبشاعة الدروس المستخلصة من الوعى بوقائع هذا الصراع!٠٠

* **وخطر كبير أن لا يرتب العقل المسلم «بيته» وهو يخوض معارك هذا الصراع!٠٠** إن تيارات فكرية عديدة، على امتداد وطن العروبة وعالم الاسلام٠٠ تستنزف طاقاتها فى صراعات عقيمة حول أحداث طوى التاريخ صفحاتها منذ قرون؟!٠٠ وتيارات فكرية عديدة عميت عن التمييز بين «العدو» و«المحايد» و«القريب» و«الصديق»٠٠ وعجزت عن التفرقة فى «التناقضات»، بين «الرئيسى» و«الثانوى» بين «العدائى» و «غير العدائى»٠٠ ومن ثم عميت عن اختيار الاسلوب الأنسب والطريق الأمثل والأدوات الملائمة لمعالجة كل تناقض من هذه التناقضات٠

ولقد أدى هذا «العمى الفكرى» الذى «غيب الوعى الصحيح» إلى استشراء النزيف الداخلى لقوى أطراف عديدة ليس بينها عداء حقيقى ولا خلاف كبير٠٠

فأصبح «البأس الشديد» فيما بيننا٠٠ الأمر الذى جعلنا ـ حتى دون أن نريد ـ «رحماء» على الأعداء الحقيقيين؟!٠٠ فكأننا لم نقرأ فى القرآن الكريم وصف الله، سبحانه وتعالى، للأمة التى ننتسب إليها عندما يقول: **(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)٠٠ الفتح:٢٩٠**




فما لم يرتب العقل المسلم «بيته» بتحديد وتصحيح موقف «الذات» من «فرقائها» وتحديد وتصحيح موقف «الذات» من «الآخر»٠٠ فسيظل النزيف قائما، يحرم «الذات» من مدد داخلى٠٠ ومن أنصار خارجيين!٠

إن الله سبحانه وتعالى لا ينصر إلا الذين ينصرونه **(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/٠٠٧** أما الذين لا يتناصرون، بترتيب «البيت» واستجماع «قوى الذات» فليس من حقهم توقع وانتظار النصر من الآخرين!٠

إن أمتنا فى موقف صعب٠٠ وليس فى ذلك جديد ولا غريب على تاريخها، الذى يمثل سلسلة متصلة الحلقات من المخاطر والتحديات٠٠ لكن الخطر الحقيقى الراهن كامن فى العجز «الفكرى ٠٠ والعملى» عن أن يرتب العقل المسلم بيته، ويحسب قدراته وإمكاناته، ويرتب الأولويات٠٠ ويزيد من مخاطر هذا القصور، حالة «الغضب» التى تشيعها دموية المأساة٠٠ ذلك أن «الغضب» حتى ولو كان بالحق وللحق، فإنه يعجز «العقل» عن إبداع «الحكمة ٠٠ والصواب» فهو فرع وجزء من «الجنون»؟!٠

تلك هى المأساة٠٠ وهذه بعض من ثمرات الوعى بالتاريخ٠٠ ورؤية مأساتنا المعاصرة فى سياق وقائع هذا التاريخ!٠




# التحليل الأسلوبي ومقاييسه

## في كتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي (١-٢)

بقلم:
د. الأخضر جمعي
معهد اللغة العربية
وآدابها جامعة الجزائر

### قاعدة المتلقي: الاعجاز القرآني ومقتضيات العقل الحديث:

يتمثل الركن الاول في الجهاز المعرفي - الاسلوبي الذي يقارب من خلاله مالك بن نبي قضية الاعجاز القرآني في متلقى القرآن الكريم عامة، وبالخصوص المسلم في العصر الحديث - والمسلم ذي الصلات العميقة بالثقافة الغربية بالأخص، **وتتأسس معاينة ابن نبي لهذا المتلقي المسلم بالخصوص من خلال رصد بنيته الذهنية ومكوناتها الثقافية مع تشغيل أدواته المعرفية المنهجية في التنقيب عن العلل التاريخية الفاعلة في هذه البنية.**

فلقد حدث من جراء انقطاع هذا «الذهن المسلم» عن أصوله المعرفية، ونضوب: «المصادر المحلية من كنوزها الثقافية(*)» (٥٥) أن تعمّق نزوع الذوات التي تنشد المعرفة لدى الغرب تأخذ عنه ليس فقط منظومة الأفكار الجديدة وما يعلق بها من ادوات اجرائية ولكن تتلقى عنه: «عناصر ثقافة تتصل بمعتقداتهم الدينية، وأحيانا بدوافعهم الروحية نفسها» (٥٤).

وهذا النزوع الذي يأسره الفضاء المديد للنتاج الاستشراقي الذي لا يخلو من «الهوى السياسي الديني» يلتمس تبريره الواهم فيما يعتقده ضرورة معرفية تستدعي تلمس مصادرها في هذا النتاج الاستشراقي الذي يزيد من فاعلية حضوره في هذه الذوات منهجه «الوضعي الديكارتي» أيضا (٥٥).

ولعل أول العلامات على استلاب هذا العقل المسلم استخدامه الوسيط الاستشراقي في درس أخطر الموضوعات التصاقا بكيانه الاعتقادي وذاته العارفة «القرآن الكريم» **ذلك أنه لما كان من مرامي هذا «العقل المسلم الحديث» بحسب تعبير مالك، بناء فهم عميق للاعجاز القرآني ووعي الدلالات المنبثقة من المصدر الاول في مرجعيته الاعتقادية والتشريعية والثقافية عامة، فإن العامل الاستشراقي يقدم لهذا العقل قراءة غير بريئة تحاول دك كثير من الأسس التي قام عليها برهان الاعجاز في التراث**، ولا أدل على ذلك من محاولة «مرجليوث» الطعن في الشعر الجاهلي للإطاحة في نظره بالأساس الأسلوبي الذي استند إليه دليل الاعجاز الذي قام: «على الموازنة الأسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلي بوصفه حقيقة لا تقبل الجدل» (٥٧). ولقد وجد هذا الغرض صداه بعد عام من نشره في كتاب طه حسين (في الشعر الجاهلي)، وهذا: «التسلسل التاريخي معبر تماما عن تبعية افكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للأساتذة الغربيين» (٥٦) وعلى الرغم من تهافت ما جاء به «مرجليوث» وأتباعه من تخرصات بشهادة المنصفين من المستشرقين أنفسهم، فإن برهان الاعجاز الذي صاغه التراث الإسلامي بالاستناد الى الأساس الأسلوبي «فقد موضوعيته» (٥٧) في نظر مالك، بحكم التقادم، فضلا عن تعرضه الدائم لأفكار المستشرقين وأتباعهم **التي تستهدف تشويه أسسه المعرفية ونتائجه الأسلوبية**، وهي قد تطول المستوى العقيدي نفسه لارتباطه


مالك بن نبي

برهان الاعجاز الذي كان يقدم: «الدليل القاطع على المصدر الغيبي للقرآن» (٥٧)

ومن هنا فإنه فضلا عن ضحالة شروط الاشباع المعرفي التي قد يوفرها الدرس الأسلوبي الموازن «لظاهرة الاعجاز» بالنسبة للمسلم في العصر الحديث، فإن هذا الأخير، وبالأخص من خارج البلاد العربية، أوالمثقف ثقافة أجنبية، بل حتى «صاحب الثقافة التقليدية» أيضا، فقد التحكم في «عبقرية اللغة العربية» وأصبح في حكم المستحيل لديه أن يوازن بين آية قرآنية ونص أدبي جاهلي (٥٧) ومعنى ذلك فانه عاجز عن ادراك الاعجاز بوسائل التذوق العلمي كما بناها التحليل البلاغي في كتابات أعلام هذا الفن، فضلا عن عجزه عن تذوق الاعجاز فطرياً كشأن العرب يوم واجههم القرآن (٦٣).

**ومن هنا يترتب على خصوصية هذا التشكيل الحديث لبنية العقل المسلم** - الذي يكيف منطلقات تفكيره بحسب اصول حديثة مردها في الغالب الى «الوضعية الديكارتية» والى الأسس المنهجية للمعرفة الحديثة عموما ويحاصره ركام الاستشراق باجتهاداته المغرضة في أدق تفاصيل حياته الاعتقادية والثقافية ويعيش شبه قطيعة مع مصادره التراثية - **أن يبني برهانا جديدا للاعجاز، هذا البرهان الذي يصوغ** (بن نبي) جهازه المفهومي وأدواته الاجرائية فيما يسميه بدراسة الظواهر **وطرق التحليل النفسي الموضوعي للآيات الكريمة (٥٤ ، ٦٤)**، ويتحقق (بن نبي) بهذا المشروع الذي يصوغه لدراسة الاعجاز البديل لتخرصات المستشرقين الطاعنين في الأساس الأسلوبي الذي قامت عليه دراسة الاعجاز قديما، فضلا عن استجابته لمتطلبات «العقل الحديث».

والواقع أن ما يقدمه (بن نبي) من بديل في معاينة قضية الاعجاز يستمد مشروعيته في نظره من القرآن الكريم نفسه، ذلك أن الاعجاز كظاهرة

## انقطاع «الذهن المسلم» عن أصوله المعرفية دفع به الى تقمص منظومة جديدة من الأفكار تجانب أساس مقوماته

ترتبط بالرسالات السماوية جميعا، ويحصل بموجبه لهذه الرسالات أن تبني برهانها سواء أكان ذلك بالنسبة الى الرسول الذي يعتبر الاعجاز حجته التي يفحم بها خصومه أم بالنسبة الى الدين الذي يكون وسيلة من وسائل تبليغه، وتقاس فعاليته زمنيا بقدر ما في تبليغ الدين من حاجة اليه (٦٤ - ٦٥) **ولما كان الاسلام هو الرسالة الخاتمة فإن من أول خصائص كتاب الاسلام «القرآن» لزوم خاصية الاعجاز له أبدا، صفة ذاتية له وليست من توابعه تترك بعد التبليغ** كالحال في الأديان الأخرى، ولكن المتغير في نظر مالك هو إدراك الاعجاز الذي يكون محصلة لفعالية العقل المسلم في التعامل مع القرآن، هذا التعامل الذي قد ينتهي الى الكشف عن علامات آخرى دالة على الاعجاز لا تتنافى مع جوهره الدائم بل تكون استثمارا لحقل من حقوله يحصل لديها التجاذب مع مقتضيات «العقل الحديث» ومع الأسس المعرفية والمنهجية التي يصدر عنها، ويتحقق ذلك بحسب توجه مالك الى **البحث في التركيب النفسي الموضوعي للآية أكثر من تناولها من ناحية العبارة (٦٧).**

والواقع ان اجراء بحث في الجهاز المعرفي الأسلوبي الذي يبنى من خلاله مالك بن نبي فرضيته في بحث قضية الاعجاز يبين عن انغماسه الكلي في الجدل الفكري للعصر الحديث، ويظهر آثار استبداد هذا الجدل بما يصوغه من ذهنية لهذا المتلقى المسلم في العصر الحديث للقرآن الكريم، فضلا عن **استثمار لما شاع في هذا العصر من مناهج حديثه،** وبالأخص منهج التحليل النفسي، على ما لتوظيفه من خصوصية في كتاب الظاهرة القرآنية، مع ما يرفده من زاوية نظر اجتماعية تاريخية، وعلى الرغم من تآزر ما سبق مع جهاز اسلوبي موضوعي يرصد من خلاله (بن نبي) خواص اسلوبية موضوعية في القرآن الكريم، **فانه يعتقد أن هذه الوجهة التحليلية النفسية في الكشف عن إعجاز القرآن هي الكفيلة**

**بتحقيق التجاوب مع مقتضيات هذا «العقل الحديث»،** والواقع أن المناهج لا تملك صفة الاطلاق في معاينة الظواهر المدروسة، إضافة الى ارتباط الاعجاز القرآني بخواصه اللغوية الأسلوبية أساسا دون ان يدفع ذلك تلمس مظاهر أخرى له كشأن الاعجاز العلمي، أو الاعجاز التشريعي، أو التاريخي وما إلى ذلك، ولعل مشروع مالك يتنزل في هذا السياق باعتباره تدليلا على تعالي القرآن الكريم على الذات المحمدية وبرهانا على كونه تنزيلا من حكيم عليم، **أما خصوصية الاعجاز القرآني فتكمن في بنائه الكلامي باعتباره الوجه الذي ينفرد به دون بقية الكتب السماوية،** يشهد بذلك القرآن الكريم نفسه باحكام بنائه وبتنزيله المتين، ويشهد بذلك تحديه للعالمين أن يأتوا بمثله في موضوعات مفتريات ، إضافة الى الدال التاريخي والاجتماعي للعرب الذين تنزل فيهم، وبروز مؤشر الفصاحة في كيانهم النفسي ـ الثقافي عامة، **ومن سنن الاعجاز في الرسالات السماوية دحض ما يعتبره المخاطبون خارقا عندهم بحجة من معدن حجتهم تفوق طاقتهم، وتقعد بهم دون مرقي الاعجاز.**

ولقد تنزلت جهود العلماء في هذا المنحى، **إذ انتظم جلها الاقرار المبدئي بكمون خاصية الاعجاز** الأولى في البناء الأسلوبي للقرآن، وأسفر الاستقراء الذي استخدم جهازا لسانيا بلاغيا وجماليا عن منظومة أسلوبية رصدت نسيج القرآن وحدات وتراكيب وأبنية عامة وسوراً، ثم تمخض الرصد عن مفهوم «النظم» الذي علل الخواص البنائية للغة القرآن في تفاعل وحدات الكلم ووظائف النحو، وتضافر المستويات النصيّة على توليد معنى الآية أو الآيات. والحق أن ما أسفر عنه التقصي من منظومة انبنت أصولها على مقولات اعتقادية فكرية، وشرطت مداخلها مفهومات علامية ولسانية، ونسجت لحمتها وسداها مقاييس أسلوبية، يمكن أن تمد هذا «العقل الحديث» بمرجعية ثرية في حيازة كثير من عناصرها القابلية على التحاور مع المرجعية الجديدة لهذا العقل الذي تعتل مفاهيم اللسانيات وما تولد منها من مناهج نبوية وما ساوقها من بحث سيميائي وثقافي عامة حيزا خطيرا في فضاء معقولاته.

ولقد سحب بن نبي رأيه على التفسير كله معتقدا أن: **«ضرورات التطور تقضي بتعديل منهج التفسير القديم تعديلا، يناسب في حكمة ورؤية مقتضيات الفكر الحديث»** (٥٧)، وإذا كان التفسير بمعزل عن الاعجاز كما نبه الي ذلك الاستاذ محمود محمد شاكر في مقدمته لكتاب «الظاهرة القرآنية» (٢٤) في تعقبه هذه المسألة عند مالك، فإن مقاصد خفية شرطت حديث مالك عن التفسير في سياق بحثه قضية الاعجاز ذلك أن المنظور الوظيفي المترتب على التفسير وعلى دراسات الاعجاز وآثار ذلك على «المسلم الحديث» هي المتحكمة في نظرة مالك الى ما ينبغي أن يعتمد من مناهج في كليهما، ولا شك أن الحديث عن التفسير بمثل هذا المنظور محمل بكثير من الخطورة، إذ أنه فضلا عن قيام علم التفسير على أصول وقواعد وتنزيله بحسب المعهود في أقسام التفسير المأثور، والتفسير بالرأى المقبول، وبالرأي المرفوض، يتعلق بالتفسير أمر العقيدة وأمر الشريعة جميعا، والدعوة الى تعديل «منهج التفسير القديم» بمثل هذا الاطلاق قد يترجم الى اجتهادات فردية تطول مواريث النبوة في هذا الحقل الخطير الخطير.

## التبعية الفكرية لبعض رواد الحركة الثقافية فى العالم الاسلامي والعربي أضرت كثيراً بالناشئة

ومالك على وعي بما يرمي إليه، فانه يتعقب جهود علماء التفسير في هذا العصر الحديث مقرا بإيلائها الجانب الاجتماعي بعض الاهتمام، ولكن يؤاخذها بعدم وضوح المنهج، فتفسير طنطاوي جوهري أشبه بدائرة معارف، **وقد كان اهتمام الشيخ رشيد رضا في تفسيره باسقاط صبغة عقل جديد علي المنهج القديم:** «ومع انه لم يعدل طريقة التفسير القديم تعديلا جوهريا فإنه قد خلق في الصفوة المسلمة التي تعشق التجديد الأدبي اهتماما

بالنقاش الديني» (٥٨)، فالتفسير وما يربطه من وشائج عميقة الصلة بالعقيدة الدينية ومنظومه الأفكار الفاعلة لدى الصفوة أو لدى الجماهير عامة هي مستندات مالك في الدعوة الى تعديل منهجه. وينتظم مشروع مالك في هذا السياق أفكار استقرت ثوابت من فكره الثقافي والحضاري تتعلق بما يسميه الوظيفة الاجتماعية أو الحضارية للدين، **ذلك أن شروط الفعالية الاجتماعية والتغيير الحضاري مرهونة في الفكر البنايي بحيوية الأفكار في منظومة الثقافة، وعلى صعيد الواقع الإسلامي فإن فعل التغيير مرتبط بفعالية الأفكار المحكومة في هذا السياق الإسلامي بفقه الخطاب القرآني وديناميية البنية الدلالية المستخلصة منه**، ذلك أنه: «من المعلوم أن كل مجتمع يحتوي مشكلة افكار دارجة تحرك الجماهير، كما يحتوي مشكلة أفكار علمية تحرك المثقفين، وكما أن هذه تحدد لدى القادة والعلماء حلولا نظرية لبعض المشكلات، فإن تلك تحدد السلوك العملي للجماعات إزاء هذه المشاكل التي تصادفهم في الحياة، ففي العالم الإسلامي توجد الآن طبقة مثقفة مقتنعة بحركة الأرض، ولكن هناك جمهورا كبيرا من الدراويش، وشعبا من الجهال من كل نوع يصر على اعتقاده «بأن الأرض ساكنة تحملها العناية على قرن ثور»».

**وهذه الفكرة الدارجة قد تؤثر في توجيه التاريخ أكثر من الفكرة العلمية لأنها تستند الى خرافة مفسّر غير موفّق يرى الأرض محمولة على قرن ثور** (٥٨).

فدعوة مالك بن نبي الى تعديل منهج التفسير رغم ما قد تثيره من لجج وخصومة، يمكن أن تحمل على وجه لا يتناقض مع أصول التفسير وقواعده، وإن اتسع الاجتهاد في فهم الآيات بحسبه الى ما يتفق وضوابط التفسير بالرأي المقبول من جهة، والمعطيات العلمية والمعرفية التي لا تتصادم مع المسلمات العقائدية الاسلامية عموما، كما أنه يمكن تنزيل دعوة مالك في حيز المعارف التي تتناول القرآن وينتظمها التقليد العلمي الإسلامي فيما يعرف بعلوم القرآن جملة مع قسم يتعلق بمباحث العقيدة أيضا، فعدم فصل مالك بين دراسات الاعجاز والتفسير لا يدل على ارتباك، كما أنه لا يلغي أدبيات الفكر الإسلامي في هذين الحقلين الحيويين ولا يسقط من حسابه تقاليدها المعرفية الراسخة، ولكن يدعو الى منحى جديد، يتم بموجبه بناء براهين جديدة بحسب قواعد استدلال حديثه على ربّانيه القرآن، براهين تمتح من قواعد المعرفة الجديدة، وتترسخ في عمقها العقائدي، ثم تقطع الطريق على الدعاوى المغرضة للإستشراق واتباع الاستشراق.

٢ وما دار في فلك البحث الاجتماعي والثقافي عامة لإقامة براهين على علوية القرآن وتساميه على الواقع التاريخي والثقافي للمجتمع الذي تنزل فيه رغم استخدامه معطيات هذا الواقع بما فيه لسان أهله المتمثل في العربية، وتدفع بذلك تخرصات من يحاول استغلال ما سبق من معارف للإيهام بقراءة للقرآن من منظور ما يسمى بالتاريخانية والتاريخية وتوظيف بعض مقولات البحوث الأنتروبولوجية والثقافية واللسانية للطعن في ظاهرة الوحي، وتجريد القرآن من صفته العلوية، وتنزيله في سياق النصوص والخطابات التي ورثت عن العرب.

## قاعدة المرسل: بين الذات المحمدية و«الظاهرة القرآنية»

**لقد كان المدخل الذي اعتمده مالك في تأسيس معاينته لقضية الاعجاز قائما على رصد البنية الذهنية واسسها المعرفية والثقافية للمسلم في العصر الحديث واحداث تشريح في العلل التاريخية الفاعلة في هذه البنية، ثم محاولة الكشف عما يشرط تفاعل هذا «العقل الحديث» مع متطلبات عقيدته وكتاب عقيدته وكانت مقاربة الوضع الذهني والنفسي**

الفكرة الدارجة قد تؤثر في توجيه التاريخ اكثر من الفكرة العلمية لأنها تستند الى خرافة مفسر غير موفق

# معطيات العقل الحديث دفعت مالك بن نبي الى الوجهة التحليلية النفسية في دراسة الاعجاز القرآني

**لمتلقى القرآن الكريم شرطا منهجيا في بناء الجهاز المعرفي، الأسلوبي الذي ينتظم بحث مالك «ظاهرة الإعجاز» فالوضع الحديث للمسلم مثل سياقاً خارجياً يتسلط تأثيره على المنطلقات المنهجية والأدوات الاجرائية التى تمكن مالك من نسج آاليات مشروعه.**

أما الفصول الداخلية في هذه المعاينة فإنها تكمن في عرض برهان مالك الذي يندرج في اطار ما يسميه بالتحليل النفسي الموضوعي الظاهري لآيات القرآن الكريم، وتتوزع اركان هذا التحليل على منظور ثلاثي تقوم قاعدته على فكرة عامة عن الظاهرة الدينية مطلقا مع فصل مميز في فضاء هذه الظاهرة يتمثل في التوحيد وما يعلق به من «حركة نبوية»، ويقوم طرفاه على ما يسميه مالك «بالذات المحمدية» و«الظاهرة القرآنية» ثم تنمو مستويات البرهان بحسب مراتب العلائق التي تحكم هذين الطرفين.

أما فيما يتعلق بحركة هذا الثلاثي المتمثل في «الظاهرة الدينية» فإنه يندرج في خضم جدل يقيم برهانه على كونية هذه الظاهرة وتنزليها في مجرى القوانين الطبيعية (٧٢، ٣٠٠) والحضارات الانسانية، ذلك أن الفكرة الدينية «طبعت قوانين الانسان بل علومه، فولدت الحضارات في ظل المعابد كمعبد سليمان أو الكعبة» (٦٩)، ثم يتصاعد الجدل باسطا النقيضين المتولدين من ملاحظة تردد الفكرة الدينية على الانسانية في كل حقبها الحضارية، هذان النقيضان قائمان على جذع مشترك مضمونه الاقرار بكون الانسان «حيوانا دينيا» ثم يختلفان في تعليل مصدر هذا النزوع الديني في الانسان، فيقر أحدهما بكون الدين ظاهرة أصيلة في الطبيعة الانسانية ويعتبره الآخر عارضا ثقافيا في صيرورة الحضارة الانسانية، ويأخذ النزاع في جوهره صبغة: «دينين، بين الألوهية والمادية، بين الدين الذي يسلم بوجود الله! وذلك الذي (افترض) المادة!!» (٧١)، أما الذي افترض المادة، أو المذهب المادي فإنه يبين عن تهافته من خلال الفرضيات العلمية نفسها، وبالأخص ما يبديه من عجز نحو تعليل تطور المادة وتنظيمها، بعد افتراض كونها من حيث الأصل في حالة بساطة وتجانس تامين، وهي العلة الأولى لذاتها، ثم تفسير انبثاق المادة العضوية الحية منها ، ثم تحولها الى مادة مفكرة، وغير ذلك من المشكلات (٧٣ ـ ٧٨) **أما المذهب الغيبي فإنه يفترض مبدأً متميزاً عن المادة، يتمثل في التسليم بوجود الله سببا أول يصدر عنه كل موجود، والاقدار بهذه الحتمية منبع من اضطراب المذهب المادي الذي يفشل في بناء تفسير مقنع للظواهر المختلفة، ويسعفنا المذهب الغيبي أيضا في بناء نسق ينتظم الموجودات والظواهر في كيان منطقي يمتد بها الى موجدها المتعالي، مركز المطلق والكمال** (٧٩ ـ ٨١)، وفي هذا الفصل من البحث فإن جهد مالك سينصب على مبدأ: «التوحيد» الذي قدم لنا برهانه الأسمى على السنة الانبياء، وبذلك أصبح فيصلا في مجموع الظاهرة الدينية» (٨٦).

ومعاينة هذا الفيصل المتميز في «الظاهرة الدينية» المتمثل في «الظاهرة النبوية» يلزمنا استقاء معلوماتنا من مصدر واحد هو «شهادة النبي، وفي محتويات رسالته المتواترة المنزلة فالأمر يتعلق إذن بمشكلة نفسية من ناحية وتاريخية من ناحية أخرى» (٨٧).

ويبقى استخلاص المبدأ العام الذي يتحكم في هذه الظاهرة ويشرط تواترها في التاريخ، هذا المبدأ الذي لا يمكن أن يعلل «بالمعادلة الشخصية للنبي»، أو أن يندرج في إطار ما يعرف «بالظواهر الباطنية» أو ازدواجية الشخصية، ذلك أن الوجود الموضوعي لظاهرة النبوة خارج ذوات الأنبياء تقرره شهادة الانبياء أنفسهم وتؤكده شهادة التاريخ أيضا، فضلا عن تميز هذا المبدأ بخاصة القهر النفسي الذي

يسلط على النبي موجها سلوكه وجهة معينة، مع حكم نافذ على أحداث المستقبل، مع الإشارة الى تماثل هذه الخصائص لدى جميع الأنبياء (٩٣).

وستشكل هذه المفاهيم فرضيات يستنطق بواسطتها مالك جملة العلائق التي تربط «الذات المحمدية» بالظاهرة القرآنية» في محاولة للبرهنة على علوية القرآن وتساميه على الذات الحاملة له موظفا منهجا تحليليا نفسيا يحكمه مبدأ نظري يتم بموجبه ربط الأقوال والخطابات بالقائلين وإذا حدث انفصام بين الخطاب أو القول والحامل النفسي له مع الكمال النفسي لهذا الحامل، وثبوت صحة القول وتواتره، فضلا عن اعجازه، فإن الأمر يستدعي تعليق الخطاب بقائل آخر. وتصوغ شواهد هذا البرهان ما أسميناه بقاعدة المرسل على أن مالكا يقدم شاهدا أول له من خلال شخصية أرمياء، النبي الاسرائيلي، قاصدا بذلك تعميم قانونه، ثم يخلص الى «الذات المحمدية».

ويقتضي بناء هذا القسم من برهان الاعجاز أو دليل صحة النبوة، تقديم تخطيط نفسي وحيوي «للذات المحمدية» بحسب أطوارها المختلفة، لا يراعى فيها التفصيل الشديد ولكن يراعى فيها رسم أركان هذه الذات التي رعاها القدر في أشواط ما قبل البعثة، وفي اشواط ما بعدها في فترة مكة والمدينة رعاية مقصودة تستوثق شواهدها من التاريخ المسجل المتواتر، وقد بلغ الانسان في هذه الذات الشريفة أقصى مراقي الكمال البدني والخلقي والعقلي، واجتمع في «الملحمة المحمدية» دعوة النبي ومهارة القائد، وأسفرت تنشئته أصحابه عن نوات صقلها الحصن النبوي صقالة روحية وعقلية، وبناها خلقيا واراديا، فكانت نماذج إنسانية متفردة في التاريخ، وفي حيازة هذا الحامل النفسي للوحي الإلهي المتمثل في «الذات المحمدية» كل ضمانات الاستيثاق من شهادته على ما جاء به من وحي، يصدقه في ذلك التاريخ ويقطع به القرآن، ويجزم به دليله هو نفسه القائم على الاقتناع الشخصي.

أما عن الوحي فهو بمعزل عن الالهام أو المكاشفة أو الوحي النفسي، ذلك أن المكاشفة هي «معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير» أما الوحي فانه: «المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضا غير قابل للتفكير... المكاشفة لا تصحبها أية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذي نلاحظه في حالة النبي، (صلى الله عليه وسلم)، ومن الوجهة العقلية لا تنتج المكاشفة عند صاحبها يقينا كاملا... أما يقين النبي فقد كان كاملا، مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة وخارجة عن ذاته (١٤٤).

وسيتمخض عن الخصائص السابقة بلورة الاقتناع الشخصي للنبي بموضوعية ظاهرة الوحي، ويتكامل هذا اليقين من جراء تفاعل مقياسيه المتمثلين في مقياس ظاهرى ومقياس عقلي، ذلك أن يقين النبي لم يتولد عفويا وإنما كان خلاصة فكر واع مستغرق يعايش ويتأمل هذه الظاهرة التي تبدو علاماتها الخارجية فيما كان يشاهده عيانا من هيئة ملك الوحي، او يسمعه من صوته يبلغه القرآن، وما قد يسبق ذلك من دوي كدوي النحل، أو صلصلة الجرس، أو فيما كان يعتريه من أمراض حسية يدركها اصحابه كشحوب وجهه، واحتقانه مما كان يستدعي ستره بثوب، على أن هذه الأعراض لا علاقة لها بالتشنج، كما توهم ذلك بعض النقاد، ذلك أنه إذا: «نظرنا الى حالة النبي وجدنا أن الوجه وحده هو الذي يحتقن، بينما يتمتع الرجل بحالة عادية وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية ليستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمة نفسها، على حين يمحي وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة» (١٥٤).

ثم يواصل مالك بن نبي بناء فصول هذا

**خاصية الأعجاز القرآني صفة لازمة له، تكتسب منه صيفة استمراريتها**

الاستقصاء المدقق في ظاهرة الوحي وروابطها الخفية بالذات المحمدية ولما يتولد عن تأمل خصائصها العضوية وجذرها النفسي من بناء اعتقاد النبي الشخصي، هذا الاعتقاد الذي يتولى الوحي ذاته نسج ما يسميه مالك بمقياسه العقلي، والواقع أن صدمة الوحي الأولى الآمرة بالقراءة حفرت عميقا في ذات النبي لأنها تزلزل «فكرة الأمي عن نفسه» (١٥٥).. ثم ما سيخلفه انقطاع الوحي بعد قليل من آثار عميقة في ذاته تقطع باستقلال الوحي عنها، ثم العودة وما يترتب عليها من يقين قامع لكل شك، على أن هذه التربية الربانية للذات المحمدية، والصقل الالهي لها وتكييفها مع مقتضيات النبوة وشرائطها ستتواصل مع الوحي الذي ابلغه: « منذ البداية خصائص هذه الدعوة العظمى، كما تدل عليها الآية: **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا(١)**» (١٥٦) ثم يواصل الوحي بناء حقيقته العلوية في ذات النبي خاصة مع تتابع نزول سور القرآن سورة سورة واستعراضه حقائق الكون والتاريخ والاجتماع الانساني، وتفصيل حقائق الوحدانية مع سيد الرسل والأمم، وبالأخص ما تعلق بنبي اسرائيل.

**هذه الحقائق التي ستشكل أساسا لمنحي برهاني جديد في وسع النبي أن يستخدمه في مناظراته الخصوم ومجادلتهم ويتمثل هذا البرهان في امكان اجراء موازنة بين الوحي المنزل وما ورد من بعض التفاصيل في كتب أهل الكتاب، وهذا هو الشق الموضوعي في منهج مزدوج المنظور يتمثل شقه الأول في زاوية نظر ذاتية تتحقق في ملاحظته وجود الوحي خارج ذاته (١٥٧ ـ ١٥٨).**

وسيترتب على المواصفات السابقة تنزيل الذات المحمدية بالقياس الى ظاهرة الوحي في مقام التلقي، اذ ينضبط موقعها في دورة التخاطب في ركن المخاطب المفرد الذي يتلقى الوحي عن وسيط يبلغه الكلام الالهي، وإنه باستثناء المشهد الأول في فصول هذا التلقى الذي تعبر فيه هذه الذات عن موقف واضح إزاء موضوع الخطاب الآمر بالقراءة، وتواجه الذات المبلغة بموقف يكشف تناقض محتوى الخطاب الآمر بالقراءة مع ما تعرفه عن نفسها من أمية فإنها ستقف «منها منذ ذلك الحين موقف التسليم، وستظل صامتة في الخطاب القرآني» (١٦٣).

ويتأكد الفصل بين «الفكرة المحمدية» و«الفكرة القرآنية» بحسب إطلاق مالك، فيما استقر سنة قرآنية تذكر الرسول **(صلى الله عليه وسلم)**، بحجم معلوماته الشخصية وكيانه الانساني المحدود قبل الوحي، من مثل قوله تعالي **«وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك»(٢)**.

# خصوصية الاعجاز القرآني تكمن في بنائه الكلامي

وقد: «يمضي الوحي القرآني ليس أبعد من الفكرة المحمدية فحسب، ولكن أبعد مما قد اوحي فعلا» (١٧١) خصوصا حينما يتعلق الأمر بالاشعار بمعلومات لازالت طي الغيب كما ورد في قوله تعالى **«ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك»**.

كما يتبدى هذا النسق القرآني المتجاوز لمعطيات الواقع النفسي للذات المحمدية، أو معطيات تاريخيتها أو تاريخية مجتمعها عموما، فيما كانت ترهص به طلائع بعض السور من موضوعات محددة لم يكن لها سبق في وعي محمد عليه الصلاة والسلام، كمطلع سورة يوسف مثلا وذلك في قوله تعالى: **«نحن نَقُصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين»(٣)** أو مثل تلك الرموز الأبجدية

## تغيير واقع المجتمع المسلم اليوم مرتبط بفقه الخطاب القرآني، وديناميية البنية الدلالية المستخلصة منه

التي تستهل بها طلائع بعض السور التي لا يمكن أن نحملها: «على طارئ نفسي أو عضوي مفاجئ لدى النبي، ولا أن نؤوّلها باعتبارها نقصا أدبيا في نص يعد بحق كاملا» (٢٧٦) مثلما هو الحال فيما تكتنز به بعض الآيات من حقائق اعجازية تأتي تصديقا لكشوفات علمية في حقول نوعية متعددة، كالحقائق الفلكية، أو الأرضية، الجغرافية والتاريخية، وما ارتبط بخلق الانسان، او بالسنن الالهية المتحكمة في صيرورة العناصر المادية، أو العوامل الحضارية في المسيرة الانسانية أو الحيوية والكونية، هذه الحقائق التي لا يمكن أن تنبثق عنها معادلة تسمح بنسبتها الى الأفكار المحمدية كما أنه من العلائم الحاسمة المبينة لاستقلال القرآن عن الذات المحمدية، فضلا عما سبق، ما يسميه مالك بالمناقضات التي تجلوها آيات تأتي مخالفة لميول نفسية لدي النبي، مثلما تمثل في قوله تعالى **«ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيُه(٤)»**. فالآية لا تتجاهل: «حرية اختيار النبي، وارادته أن يدرب ذاكرته فحسب، بل تتجاهل أيضا القانون النفسي لوظيفة التذكر نفسها» (٢٧٧ ـ ٢٧٨).

ويمكن استثمار أساس اسلوبي فى هذا السياق الموازن بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية، اذ يبدو الفصل كاوضح ما يكون بين اسلوب القرآن واسلوب الحديث النبوي الشريف، طابعا وصياغة في المستويات المختلفة للخطابين (١٧٢). يكشف برهان مالك عن استقلال القرآن وتعاليه على الطبيعة البشرية مطلقا عن مستند نفسي ظاهري يتم بموجبهما رصد القانون الذي يتحكم في الحدث المتواتر وصياغة معادلته المتحكمة فيما يتولد منه من ظاهرة، ثم بناء الاستدلال لتقرير حقيقة التمايز بين الحامل النفسي للظاهرة القرآنية من الذات المحمدية وخصائص هذه الظاهرة وذلك من خلال تراكم الأدلة بدءا مما توفره شروط هذه الظاهرة من اقتناع عميق لدى النبي نفسه، الى الخصوصيات المميزة لحدث الوحي باعتباره مخالفا للمكاشفة النفسية أو الإلهام ونقيضا لما يمكن ان ينبثق من لا شعور النبي أو شعوره باعتباره حاملا لدلالات تتجاوز حجم المعرفة التي يوفرها المحيط الاجتماعي أو المخزون النفسي للرسول، فضلا عن تلقي الوحي في سياق تخاطب تمنع الأدلة الحسية والعقلية المثبتة لطرفيه من أن يكونا محورين في ذات واحدة، ولقد كان صقل هذه البراهين قائما على معاينة الروابط بين القرآن والذات المحمدية باعتبارها شاهد الوحي، ومكمن التخطيط العقلي والنفسي لهذه الذات من التدليل على استحالة انبثاق الوحي من ثنايا وعيها، مما يقطع باستقلالية القرآن ومصدره الرباني، هذه الاستقلالية التي ستبين عن وجه اعجازي آخر عند معاينة بعض ملامح النسيج الأسلوبي للقرآن.

**الهوامش:**

**(*) اقتصرنا عند الاحالة الى كتاب مالك على الاشارة الى رقم الصفحة في متن المقال.**

**(١) المزمل: ٠٥**

**(٢) العنكبوت: ٠٤٨**

**(٣) القصص: ٠٧٨**

**(٤) يوسف : ٠٣**

**(٥) طـه: ٠١١٤**

**« للبحث صلة**




# مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام

## (دراسة وممارسة)

إن الإسلام اهتم اهتماما كبيرا بالطب باعتبار أنه نواة علمية عظيمة تكونت حولها علوم أخرى مفيدة مثل دراسة الطبيعة والكيميائى والمنطق. وبذا نجد نوعين من الدراسة اهتم بهما الإسلام اهتماما كبيرا: دراسة دينية حول القرآن الكريم والحديث الشريف ودراسة دنيوية حول الطب وما يدور حوله، ولكل نوع من هذين النوعين مميزات خاصة، ومنهج في البحث، وإن أثر كل منهما في الآخر وتأثر به. ولقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين بقوله:

«العلوم صنفان، صنف طبيعي يهتدي إليه الانسان بفكره، وصنف يأخذه عمن وضعه»".

ومن المفروض عندما يعزم أى دارس على علاج موضوع مثل «دراسة وممارسة مهنة الطب في ضوء الإسلام» أن يحدد أولا المقصود بالإسلام في هذا الموضوع من ناحية، والمقصود بدراسة وممارسة مهنة الطب من ناحية أخرى.

والإسلام هنا لا يقصد به العقيدة والشعائر بقدر ما يقصد به الجوهر والروح والسلوك وأسلوب العمل. والإسلام لم يكن مطلقا في يوم من الأيام مجرد عبادات تؤدى وعبارات تردد وشعائر تقام الا أنه إلى جانب العبادة أيضا سلوك مثالي وأسلوب كريم للحياة على المستويين الفردى والجماعي.

ومن ناحية أخرى فعندما نتحدث عن دراسة وممارسة الطب فمن المعلوم أننا لا نقصد بأن الطبيب يبدأ بالتخصص والدراسة لعلوم الشريعة وأصول الدين الاسلامي، وانما الذى نرمى اليه هو أن يلم طالب الطب بقدر من المعرفة عن روح الاسلام ومعنوياته ونظرته الى علم الطب، وأصول وآداب مزاولة مهنة الطب في الاسلام، وذلك كله في ضوء دراسة تراجم بعض مشاهير أطباء المسلمين، لاتخاذهم قدوة حسنة في حياتهم العامة والخاصة، وفي حرصهم على مباشرة عملهم داخل اطار اسلامي واضح المعالم.

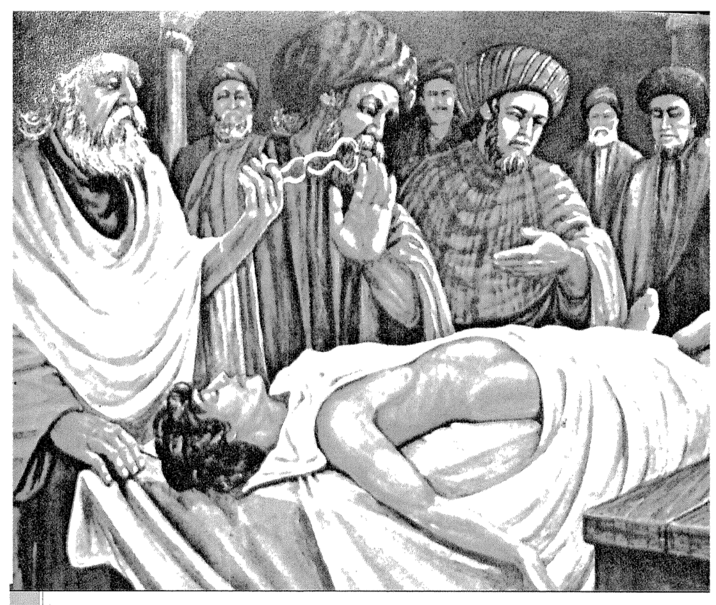
**«دع الدواء ما احتمل بدنك الداء» الكنائي.**

وبدراسة الاطار العام لمزاولة مهنة الطب في العالم الاسلامي، وتراجم المعروفين من الأطباء وسيرهم عندئذ سنخرج بعدة حقائق هامة لو استوعبها الطبيب في يومنا الحاضر وتشربها قلبه وعقله لكان ذلك خير مؤشر الى أن الاسلام قد وجد له مكانا في دراسة وممارسة مهنة الطب في بلادنا، بل وأسهم الطبيب اسهاما ملحوظا في رفع مستوى المهنة في عالمنا الإسلامي، بل على صعيد المجتمع البشرى الكبير. ونستطيع أن نجمل أهم هذه الحقائق في النقاط الآتية:


**إعداد: د. غيثان بن علي بن جريس**
أستاذ مشارك ورئيس قسم التاريخ
جامعة الملك سعود - أبها - كلية التربية


أولا: يجب على الطبيب أن يتصف بالأمانة في علاج المرضى وحفظ أسرارهم، ومن المعروف أن الإسلام يأمر المسلم بتأدية الأمانة الى أهلها والحفاظ عليها. لا نقصد هنا بأمانة المال أو بعض

## «الطبيب المسلم عليه ان يكون سليم القلب



النواحي المادية الأخرى وانما الأهم من ذلك أمانة السر، لأن الأمور المادية تأتي وتذهب، وأما ما يرتبط بأسرار الناس ودخائلهم فربما توقف عليه الشرف والعرض والسلامة، وهذه أمور لا جبر ولا دواء لها اذا خدشت. وعلى الطبيب أن يعرف أن من أمراض الناس ما ينبغي أن يظل سرا، لما يترتب على اذاعة خبره من ضرر أدبي، وربما مادى، يلحق بالمريض.

والطبيب يدخل البيوت ويطلع أحيانا على العورات، ولهذا نادى أطباء المسلمين الأوائل بأن يغض الأطباء أبصارهم عن المحارم عند دخولهم الى المرضى ولا يفشون الأسرار ويهتكون الأستار(١).

ويوصى الطبيب الشهير على بن رضوان (٢) الطبيب المسلم بأن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التى أطلع عليها في منازل المرضى، فضلا عن أن يتعرض الى شيء منها(٣)

كما يجب على الطبيب أن يكون مؤتمناً على أرواح الناس وليس على أموالهم فحسب، ولذا مطلوب منه ألا يصف أدوية تتعارض مع أحكام الشريعة، كتلك التى تسبب الاجهاض للنساء أو قطع النسل للرجال. ويلخص الطبيب على بن رضوان ذلك في عبارات محدودة فيقول: ينبغي على الطبيب أن يكون مأمونا، ثقة على الأرواح والأموال، ولا

## .. عفيف النظر .. صادق اللهجة ..)) . على بن رضوان .

يصف دواء قــتــالا ولا يعلمـــه، ولا دواء يســقط الأجنة(٤).

**ثانيا:** على الطبيب المسلم أن يعي أن الاسلام دين الرحمة، وأنه اذا كان الاسلام قد كرم مهنة الطب، وجعل علم الابدان قرينا لعلم الأديان، فذلك لما في هذا العلم من رحمة بالمرضى، وحرص على التخفيف عنهم دون تفرقة بين كبير وصغير أو غني وفقير فالكل بشر يألمون من المرض ويطلبون رحمة الله.

وبالاضافة الى هذه المفاهيم التي ينبغي على الطبيب أن يفهمها لكونها جزء من تعاليم الاسلام وروحه، كذلك المريض في حاجة الى رعاية نفسية، مما جعل أطباء المسلمين الأوائل يوصون دائما بالعمل على رفع معنوياته وايهامه بالصحة، وفي ذلك يقول الرازي: «ينبغي للطبيب أن يوهم المريض ابدا بالصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق من ذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس»(٥).

**ثالثا:** السعي في تحصيل العلم ومعرفة كل جديد في علم الطب، والتدريب تدريبا طويلا كافيا قبل التصدى لعلاج المرضى، ويحكي الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، المعاصر لعهد صلاح الدين الأيوبي(٦)،

فيقول عن نفسه «كنت أقرأ للناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة وسط النهار، وفي الليل اشتغل لنفسي..» وكان يقول: عليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه، ولو كان الأستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه، وعليك بتعظيمه وتبجيله وينبغي أن تعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم، وتتثبت ولا تتعجل، ومن لم يعرض جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يبجله لم يبجله الناس، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح.

أما الشيخ الرئيس ابن سينا فيقول عن نفسه «كنت أرجع بالليل الى دارى وأضع السراج بين يدى، واشتغل بالقراءة والكتابة، فمهما غلبنى النوم أو شعرت بضعف، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلىّ.. قوتي، ثم ارجع الى القراءة(٧).

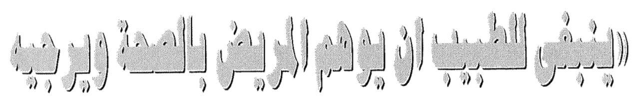
ولم يغفل المسلمون الأوائل أهمية الجانب العملي في تدريس الطب، فيقول الشيرازى(٨) «أن الطب علم نظرى وعملي»(٩) ولهذا فقد اتبعوا النظام الذى أخذه عنهم العالم الحديث من الحاق دراسة الطب باحدى المستشفيات أو العكس.

ويذكر الشيرازى، في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة، أنه كان مطلوبا ممن اختار أن يمارس الطب في الاسلام أن يكد حتى يلم بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها، وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة فيها، والاعتياض عما لم يوجد منها، والجد في استخراجها وطريق مداواتها، ولا يساوى بين الأمراض والأدوية في كمياتها ويخالف بينها وبين كيفياتها، فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ولا يجوز له الاقدام على علاج يخاطر فيه(١٠).

**رابعا:** الايمان بالله والتمسك بروح الدين وأحكام الشريعة وآداب الإسلام، فمهنة الطب تعتمد أولا، وآخرا، على الضمير، ومن لا دين له لا ضمير ولا أخلاق له.

وعلى الطبيب أن يعرف أن شوامخ الطب في الاسلام لم يحققوا ما حققوه ولم يبلغوا ما بلغوه إلا بفضل الاعتماد على الله والتمسك بشرائعه والالتزام بطاعته وتنفيذ أحكامه. ويروي الرئيس ابن سينا عن نفسه فيقول: «كلما كنت اتحير في مسألة، ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس، ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق، وتيسر المتعسر»(١١).

أما الحفيد أبو بكر بن زهر الأندلسي فقد وصف بأنه «كان حافظا للقرآن وسمع الحديث.. وكان ملازما للأمور الشرعية، متين الدين قوى النفس محبا للخير»(١٢). هذا في حين وصف أبو الحسن علي بن رضوان المتعلم لصناعة الطب، بأنه «هو الذى فراسته تدل على أنه ذو طبع خيِّر ونفس





ذكية»(١٣).

والتدين لا يعنى التـزمت والرهبنة وعلى الطبـيب أن يعلم أن الإسـلام نـادى المسلم بـألا ينسى نصـيبـه من الدنيـا، وذلك في حـدود مـا أحله الله ودون إسـراف، ولا أدل على ذلك من أن ابن سينا الذى حفظ القـرآن والذى ألف أكبـر مـوسـوعـة في الطب عـرفـتـهـا العـصـور الوسطى، هو نفسـه ابن سـينا الذى ألف وكـتـب وأتى على كثير من كتب الأدب والشعر وغيرها(١٤). وكذلك الحفيد أبو بكر بن زهر الأندلسي الذى وصف بأنه «أكمل صناعة الطب، وهو نفسـه الذى قـال الشعر واجاد فيه، وكان له موشحات مشهورة يغنى بها. وهو أيضا الذى وصف بأنه «كان ملازما للأمور الشرعية، متين الدين قوى النفس محبا للخير»(١٥).

وينبغي على الطبيب أن لا يحصر ثقافته داخل دائرة تخصصه الضيق، بل لابد له من تنويع ثقافته وتوسـيع دائرتهـا، والأخـذ بنصـيب من العلوم الانسانية التي تصقل شخصيته وتجعل منه طبيبا ناجـحـا، واسع الأفق، قـادرا على أن يتـفـاعل مع المجتمع الذى كرس حياته لخدمته.

وقل أن نجد طبيباً من مشـاهير الأطباء في الاسـلام إلا قـد أصـاب نصـيبـا من الدراسـات الانسـانيـة سـواء في الآداب أو التـاريخ فـضـلا عن العلوم الدينية واللغوية، ويروى أن الرازى كان يحسن علوماً كـثـيـرة منهـا الحـديث يرويه ويكتب الناس عنه(١٦).

**خـامـسـا:** ينبـغي على المسلم اذا عـمل عـمـلا أن يحـسنه ويتـقنه، ولذا ارتكزت مـهنة الطب في الدولة الاسلامـيـة على ركـيـزة قـوية من الاخـلاص والدقـة ومراعـاة القـواعد الصـحـيـة وأهمهـا النظافـة - التي اعتبرت من الايمـان - فضلا عن الاحتياط من انتقال العدوى من المريض الى السليم.

ومن أوجـه الاخـلاص في أداء العـمل المحـافظة الشديدة على مواعيد العمل بالنسبة لتواجد الأطباء في البيـمـارسـتـان حتى لا يحـضـر مريض ولا يجـد الطبيب. هذا فضلا عن تواجد بعض الأطباء ليلا في صـورة خـفـارة، مـجـتـمـعين أو مـتـناوبين، احـتـيـاطـا للطوارئ.

**سـادسـا:** من الواجب على الطبـيب أن يؤمن بأن مـهنة الطب لا تسـتـهدف الكسب السـريع بقـدر مـا تستهدف الخير والتقرب الى الله عن طريق التخفيف عن المرضى. ولذا اتصف أطباء المسلمين بالتعفف، وعدم المغالاة في تقاضي الأجور والأتعاب وعدم أخذ شيء منها إلا بعد شفاء المريض.

**«صلاح مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس» - الرازى -**

ويحكى عن أمين الدولة بن التلميذ الذى وصف بأنه أوحد زمانه في صناعة الطب، والذى كان كبير الأطباء في البيمارستان العضدى ببغداد، ومقربا من الخليفة العباسي المستضئ بأمر الله، أنه كان «اذا مرض فقيه نقلوه اليه، فيقوم في مرضه عليه فاذا شفي وهب له دينارين وصرفه»(١٧).

ويذكر عن الطبيب أبي الحسن علي بن رضوان أنه يشترط فيمن يزاول مهنة الطب «أن تكون رغبته في ابراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء، ويذكر عن نفسه أنه كان يحرص في تصرفاته مع المرضى على «التواضع والمداواة وغياث الملهوف وكشف كربة المكروب واسعاف المحتاج(١٨).

**سابعا:** أن الطبيب في الإسلام عرف كيف يحترم نفسه ومهنته، فحافظ على حسن مظهره من ناحية، وحرص على كرامته وكرامة المهنة التى يزاولها من ناحية أخرى، ولكي يكتمل للطبيب شخصيته وهيبته في نظر العامة والخاصة اشترط الطبيب علي بن رضوان فيه «أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرؤية، عاملا، خيّر الطبع» كما اشترط فيه «أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب»(١٩).

أما سلوكه الخاص فاشترط في الطبيب في الاسلام أن يحتفظ بحسن السمعة، وأن يحرص على ألا يفقد احترامه في أعين الناس بكثرة المزاح أو الكلام، فيذكر عن الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادى أنه نصح الطبيب المسلم فقال: «اجعل كلامك في الغالب أن يكون وجيزا فصيحا، ولا تجعله مهملا ككلام الجمهور، بل ارفعه عنهم ولا تباعده عليهم جدا.. واياك والهذر والكلام فيما لا يعنى. واياك والسكوت في محل الحاجة، واياك والضحك مع كلامك وكثرة تبتير الكلام، بل اجعل كلامك سردا بسكون بحيث يستشعر منك أن وراءك أكثر منه»(٢٠).

كما ينبغي أن لا يتكالب الطبيب على المال، وأن يترفع عن الماديات والصغائر، يذكر عن الطبيب فخر الدين الماردينى المتوفى سنة ٥٩٤هـ والذى وصف بأنه «كان أوحد زمانه وعلامة وقته في العلوم والحكمة» أنه عندما ما زار دمشق كان له مجلس عام للتدريس وقد طلب منه الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي أن يطيل اقامته بدمشق ليتم عليه قراءة كتاب القانون لابن سينا وذلك مقابل مبلغ كبير يدفع له كل شهر، ولكن فخر الدين رفض العرض في اباء وشمم وقال: «العلم لا يباع أصلا»(٢١).

**«الطبيب عليه أن تكون رغبته في ابراء المرضى اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجر»**
**- ابن التلميذ -**

**ثامنا:** اعتقد المسلمون اعتقادا عظيما بأن كثرة الأدوية يكون لها تأثيرها العكسي في جسم الانسان، وربما غلبت سلبياتها على ايجابياتها، ولهذا حرص الطب في الاسلام على تطبيق مبدأ العلاج بالغذاء لا بالدواء ويروى عن الرسول **(صلى الله عليه وسلم)** أنه قال: «سر بدائك ما حملك» وفي ذلك يقول عبد الملك بن أبحر الكنائي ، وكان قد أسلم على يد عمر بن عبد العزيز «دع الدواء ما احتمل بدنك الداء»(٢٢).

واذا ما احتاج الطبيب الى العلاج بالدواء فلينظر الى ما لهذا الدواء من جوانب سلبية، ويحاول معادلتها والتخفيف من أثرها. وقد اشتملت المراسيم التي صدرت عن ديوان الانشاء في العصور الاسلامية الوسيطة بتقليد أحد الأطباء منصب مقدم الأطباء ورئيسهم، ووصيته بأن «يتجنب الدواء ما امكنه المعالجة بالغذاء.. واذا اضطر الى وصف الدواء الصالح للعلة نظر الى ما فيه من

المنافـذ ـ وإن قلّتْ ـ وتحـيّل لاصـلاحـه بوصـف مـصلح، مع الاحـتـزاز في وصـف المقـادير والكمـيـات والكيـفـيـات في الاستعمال والأوقات وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه»(٢٣).



ويـورد الـرازى قـوله في صـراحـة ووضـوح «ان اسـتطاع الحكيم أن يعـالج بالأغـذية دون الأدوية فـقـد وافق السعادة». وقد ألّف الرازى نفسه كتاب الطب الملوكي في العلل وعلاج الأمـراض كلها بالأغذية، ودس الأدوية في الأغذية حيث لابد منها(٢٤).

وبجانب اهتمام علماء المسلمين في الأصول وفي علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة نحوا وصرفا وبلاغة وشعرا، كذلك تطرقت التصانيف الى جوانب أخـرى من حـيـاة الأمـة، تعـالج ضـروبهـا وتحل مشكلاتها بالارشاد والتوعية والتوضيح. وكان الطب من بين الجـوانب التي عنيت بهـا هذه المصنفـات والرسائل قديمها وحديثها وذلك لعدة عوامل:

**الأول:** كان العلماء يكتبون رسائلهم الطبية من أجل نشـر الثقـافة الطبيـة بين المسلمين للمنفـعة العامـة وحـفظ الصـحـة ودرء الخطر عـمـلا بالقول المأثور: «العلم علمـان علم الأديان وعلم الأبدان»، وتحـقـيـقـا لفكرة أن علم الطب والقيـام به فـرض كـفـاية واجب على الأمة، والأمة يمثلها علماؤها.

**والعـامل الثـاني:** وهو الذى يكتب فـيـه العلمـاء رسائلهم الطبية من أجل تلافى حالة مرضيـة بعينها كانتشار مرض أو وباء وهذه قلة.

**والثالث:** أن يكون التـأليف من أجل الحذلقه الطبيه مثـل صياغة بعض نثر الأقدمين، بيد أنه يدخل في هذا المجال أيضا الرغبة في تعميم الثقافة الطبية بين النـاس لسـهـولة حـفظ المنظوم وسـرعـة تداوله بين الطلاب.

وخلاصة القول:

فهذه بعض الأسس والمبادئ المستقاه من روح الإسلام وتعاليمه من جهة ومن سير وتراجم بعض الأطباء المسلمين في العصور الاسلامية الذهبية من جـهـة أخرى. ولو استطعنا نحن مـعشـر المسلمين اليوم أن نلقنها انفسنا كأساتذة أو طلاب في كليات الطب وفي جميع جامعاتنا، بل وحرصنا على الايمان والتشبع بها عن طريق مباشرة أو غير مباشرة، فاننا ـ باذن الله ـ سننجح في ايجـاد مكان للاسـلام وللعقيدة الاسلامية في مناهجنا وبرامجنا، وخاصة الطبيـة منهـا، بل سنخلق جيلا جديدا من الحكمـاء والأطباء يحترمـون ويؤمنون بآداب المهنة الجليلة التي يزاولونهـا. والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة واتم التسليم.

---

**الهوامش والتعليقات:**

**(١) ابن بسـام، نهـاية الرتبة في طلب الحسبـة، تحقيق حسام الدين السامرائى ص١٠٩.**

**(٢) المصدر نفسه.**

**(٣) ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص٥٦٥**

**(٤) المصـدر نفسـه، ويذكـر ابن بسـام، ان على الأطباء ألا يعطوا لأحد دواء قتالا ولا يشيدون به، ولا**

يعطون للنسوة العوسج - وهي الصوفة التي تسقط الأجنة - والمعجون المعروف بالمرهم فانه يقتل الأجنة، ولا للرجال ما يقطع النسل، أنظر كتاب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام، ص١٠٩.
(٥) ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق ص٤٢٠.
(٦) المصدر نفسه، ص٦٨٩
(٧) المصدر نفسه ص٤٣٨.
(٨) أنظر تفصيلات في كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرازي، ص٩٧.
(٩) المصدر نفسه.
(١٠) المصدر نفسه ص٩٧.
(١١) ابن أبي اصيبعة، ص٤٣٨.
(١٢) المصدر نفسه، ص٥٢١.
(١٣) المصدر نفسه، ص٥٦٥.

## «ان استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة» - الرازي -

(١٤) المصدر نفسه، ص٤٣٧.
(١٥) المصدر نفسه، ص٥٢١.
(١٦) المصدر نفسه، ص٤١٨. ويذكر أن أبا جعفر حمد بن ابراهيم بن أبي خالد الجزار، وهو من علام الطب في القيروان في القرن الرابع الهجري، كان قد ألف في التاريخ عدة مؤلفات. أنظر: ابن جلجل الأندلسي. طبقات الأطباء والحكماء (طبعة لقاهرة، ١٩٥٥م) ص٨٨ - ٩١.
(١٧) ابن أبي اصيبعة، ص٣٤٩. وقد جاء في لقواعد التي وضعها الشيرازي لمباشرة مهنة الطب ن الطبيب يعالج المريض، فان برئ من مرضه أخذ لطبيب أجرته وكرامته. انظر: كتاب نهاية الرتبة في للب الحسبة، ص٩٨.
(١٨) ابن أبى اصيبعة ص٥٦١ - ٥٦٥.
(١٩) المصدر نفسه، ص٥٦٥.
(٢٠) المصدر نفسه، ص٦٨٩.
(٢١) المصدر نفسه، ص٤٠٧، وقد ترجم ابن أبي صيبعة للشيخ العالم ابي عمر عثمان ابن هبة الله عروف بابن ابي الحوافز، فوصفه بأنه «افضل أطباء، وسيد العلماء، وفريد الدهر» وقد عاش صر ومات بها، وعاصر صلاح الدين ثم الملك الكامل بن العادل الأيوبي. وكان ابن أبو الحوافز يعتبر مثلا رائعا في حرص الطبيب المسلم على رعاية حرمه ومهنته واحترامها. ويذكر عنه أنه كان يوما راكبا في الطريق فرأى في بعض النواحي على مصطبة بائع حمص مسلوق، وهو قاعد، وأمامه كحال يهودي وهو واقف بيده المكحلة والميل وهو يكحل ذلك البائع، فحين رآه على تلك الحال ساق بغلته نحوه، وضربه بالمقرعة على رأسه وشتمه وقال له: «اذا كنت انت سفلة (وضيعا) في نفسك، اما للصناعة حرمة؟، كنت قعدت الى جانبه وكحلته، ولا تبقى واقفا بين يدى عامي بائع حمص!! فتاب الكحال أن يعود الى مثل ذلك الفعل، وانصرف !!». ابن ابي صيبعة، ص٥٨٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص١٧١.
(٢٣) المصدر نفسه، أنظر أيضا ابن فضل الله العمرى، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٣ - ١٨٤.
(٢٤) ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ص٤٢١، ابن جلجل الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء (القاهرة، ١٩٥٥م) ص٨٨ - ٩٢.

د. ثريا العريض

# المعجزة

في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة وبين ملايين الكتب التي تعرضها دور النشر العربية توقفت أفكر في معجزة الكتابة.

هنا .. بين امتدادات هذه المكتبة الهائلة .. ورفوف الكتب تحيل الوجود الماضي والحاضر والقادم الي كلمات.. تغمرني معجزة اللغة!

هل ارتقى الانسان من مستوى الحيوان الصائد الآكل المتوالد الى **مستوى الانسان الخالد فكراً.. حين اكتشف اللغة؟** أم أن اللغة هي التي كانت في الأصل قوة ساحقة احتوت الذهن الإنساني وروضته الى أداة طيعة تحمي تاريخ الوجود السابق واللاحق لوجوده؟

**لولا اللغة.** هل كانت هناك امكانية للتفكير، وتسجيل ما يستوعبه الذهن من تجربة.. وتوارثه أبا عن جد وجيلا بعد جيل؟

**** من أين بدأ الذهن كطاقة محددة؟**

أكان منفصلا عن احساسات الجسد ثم تولّد فيه حين تفهم آدم عليه السلام أبعاد وجوده وحيداً في الجنة؟

من أوصل الإنسان الى التعبير المنفصل عن الهمهمة والصراخ؟

هذه الطاقة الذهنية هل ابتدأت في الشعور بالعاطفة.. حين حاول ذلك الإنسان البدائي ان يفهمها وهي تتفجر فيه خوفا من المجهول وغضباً من المعلوم في محاصرتهما له وشوقا الى الإفلات منهما.

كيف تحول الإحساس الى رؤية للعلاقات بين المحسوسات والماديات.. تنتهي بأن تتحول المادة الجامدة عبر احتمال ذهني الى إضافة قوة تمتد بها قدرات هذا المخلوق الضعيف؟.. يحس صلادة الحجر وامتداد العصا فتتحولان عبر التماع الحركة الذهنية لهذا الانسان المفكر الى سلاح للدفاع ووسيلة للحصول على الغذاء يفتحان له ابواب السيطرة على محيطه متطورا من الدفاع الى الهجوم!

هكذا .. يصبح يوما سيد العالم .. ولكنه لا ينسى بشريته في ارتقائه صانعا للصواريخ العابرة للقارات.. ومخترقا لأفلاك الكواكب.

لنعد الى اللغة ..

تلك كانت الخطوة الأولى لإخضاع المجهول..

**هل هناك وجود للتفكير دون لغة؟ وهل هناك لغة دون تفكير؟**

آلاف الكتب في هذه الرفوف الممتدة.. كل منها يحتوي خلاصة ذهن انسان ما، اهتماماته.. أخطاءه تحيزاته .. حين افتح أياً منها اتكامل بما اودعه فيها عقل انسان آخر، يصبح التواصل ممكنا!

**كم هو الإنسان ناقص دون لغة..**

**وما اروعه بها!** هكذا تخلد الإنسانية في تراث من الرموز المرئية والمتوارثة.

** تلك المرأة التي علمتني في طفولتي اول حروف الهجاء.. ترى هل كانت تدرك اي معجزة كانت تحققها وهي تسلمني مفاتيح الكون.. تشرع لي بوابة الطريق لأكون.. وأكون.. وأكون؟

كل الوجود الماضي والآتي مختزلا متكثفا متبلورا في جوهر انفعالات الآخرين وتجربتهم لغة تدخلني فيها وتمزجني بها.

** أختار كتبا لأطفالي .. قرأتها قبلهم. وسيقرؤها اطفالهم يوما ما .. لا اشك في ذلك..

وكلنا سيضيف شيئا ما الى هذه الأعداد الهائلة من صناديق المعرفة.. **متجذرين في الكتاب الكريم** حاملا جذور اليقين الخالد. ما كان اروع ذلك النداء وأعمقه: **إقرأ..**

**(إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم)**

في البدء كان الإحساس وفجر طاقة اللغة لتحتوي قدرة الذهن.. هكذا .. أصبح الإنسان إنسانا حقاً، حين استجاب لنداء التفكر الأسمى فاحتوى بعلمه.. كل الآخرين.

## في العمران و الحضارة

# النظرة الخلدونية الإسلامية للعمران


**د / عبد الحليم عويس**

عضو نقابة الصحفيين

وعضو اتحاد الكتاب - مصر -


**بما أن ابن خلدون قد أقام جسورا قوية بين التاريخ وعلم الاجتماع، من حيث إنه جعل وظيفة المؤرخ رصد التاريخ الاجتماعي (علم العمران) بالدرجة الأولى، فإن تبادل التأثير بين العلمين في المنهج قوية الوشائج.. ومن هنا نراه يرفض في دراسة علم الاجتماع اتباع المناهج المرفوضة في دراسة التاريخ. فيرفض اتباع الطريقة الوصفية التاريخية الخاصة، التي لا عمل لها إلا وصف الظواهر الاجتماعية وما كانت عليه دون استخلاص النتائج فيما يتعلق بطبيعة هذه الظواهر وقوانينها، ويرفض اعتماد الطريقة الوعظية الإرشادية المباشرة التي تحث على التمسك بالمبادىء التي تقررها نظم المجتمع، كما أنه - أخيرا - يرفض الاتجاه الفكري الذي يتحدث فيما ينبغي أن تكون عليه الظواهر الاجتماعية طبقا للمنظور الذي ينظر من خلاله كل منهج إلى المجتمع(١).**

- **وهكذا يرشح المنهج الاجتماعي على المنهج التاريخي، ويلتقيان دون برزخ، ويبدو المنهج التاريخي في الفكر الخلدوني محصوراً في رصد (تاريخ المجتمعات كما كانت فعلاً) بطريقة علمية تكشف قوانين حركتها الداخلية التي تسير هي الأخرى في نشأتها وتطورها ومختلف أحوالها حسب قوانين ثابتة مضطردة** مثل القوانين التي يخضع لها القمر في تزايده وتناقصه، والليل والنهار في اختلافهما باختلاف الفصول ، كما هدته تأملاته العميقة لشئون الاجتماع الإنساني إلى **أن الظواهر الاجتماعية لا تشذ عن بقية الظواهر الكونية**، وأنها محكومة في مختلف جوانبها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات وما إلى ذلك(٢).

- **لقد أصبح موضوع التاريخ هو تاريخ الاجتماع والعمران**، وهو الأمر الذي لم يلتفت إليه المؤرخون عن قصد، وإن تطرقوا إليه عفوا.. **كما أنه ليس تاريخ الاجتماع الوصفي، بل الاجتماع الذي يخضع لتحليل وتفكيك يتعرف المؤرخ من خلالهما على البناء الداخلي الذي يتحرك المجتمع به** «كيفيات الوقائع حسب مصطلح ابن خلدون» بعد أن يستخدم المؤرخ النظر في «باطن» المجتمع و«تعليل» الكائنات ...

- **لقد اشترك العلمان إذن في وظيفة واحدة، فالعمران هو هو موضوع الاجتماعي والمؤرخ، والبحث في الاجتماع (في شروطه وقوانينه) هو موضوع التاريخ.**

- **إن منهجية علم التاريخ وموضوعه (العمران) عند ابن خلدون حضاريان شاملان يخضعان لمنظوره الاسلامي، وليسا (ماديين) أو (دنيويين) بهذا الإسقاط اللاعلمي الذي يجهد أصحاب التفسير المادي والدنيوي العلماني أنفسهم في فرضه قسراً وبهتانا على فكر ابن خلدون كما سنوضح فيما بعد.**

- **بل إن ابن خلدون كان يلح على أن ينتقل علما التاريخ والاجتماع من مرحلة الوصف إلى مرحلة**

**التحليل، ومن الظاهر إلى الباطن والعلل**

من أجل اكتشاف سنن الله الاجتماعية التى تتحرك بها الوقائع فى بنائها الكلى وإطارها الحضارى، وصولا إلى التفاعل الإيجابى والشرعى مع هذه السنن، وليس لأن ذلك عبادة شرعية وتنفيذاً لأوامر إلهية جاءت فى القرآن الكريم فحسب، بل لأن ابن خلدون وغيره من العلماء والمفكرين المسلمين لا يرون فى معرفة قوانين الحركة الداخلية لأى كائن، ما يراه التفسير اللاإسلامى لأية أحداث، وما يراه الماديون والطبيعيون من استقلالية وإرادة ووعى، **بل يرون فيها أسلوب النظام الإلهى في الإبداع،** وهم مؤمنون بأن هذه الأساليب والأسباب لا تستطيع أن تكون المسبب ولا أن هذه القوانين تغنى عن المقنن ، بل يرون فى دقتها وإبداعها أقوى الأدلة على عظمة الخالق المبدع الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.



- وهذا الفقيه المالكى العظيم، وهذا القاضى الشرعى المسلم، وهذا الفيلسوف والمنظر الاجتماعى والتاريخى (ابن خلدون) لم يكن إلا نبتة إسلامية تجاوزت الواقع السياسى المريض،

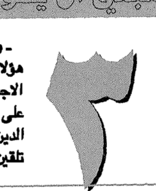
واتصلت أوثق الصلات بالقرآن الكريم والسيرة النبوية وعصور الازدهار الإسلامية راشدية وأموية وعباسية... **فربطت بين الحركة الداخلية والمحرك ، والأسباب ومسببها العظيم سبحانه وتعالى.**

**- والجدير بالذكر أن علماء الاجتماع المعاصرين المنصفين يعتبرون النظرية الاجتماعية الخلدونية بما انطوت عليه من عناصر تجديدية**

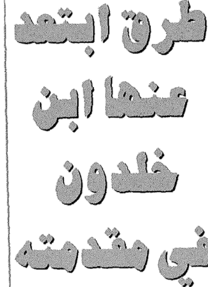
**هى نتيجة بارزة ومعلم واضح فى مسيرة الفكر الاجتماعى الإسلامى**(٣). وهؤلاء العلماء الاجتماعيون المعاصرون يبدون استياءهم من أن النص القرآنى فُسِّر وشُرح من وجهة نظر لغوية وبلاغية وفقهية(٤) ولم يأخذ حقه من الدراسة

باعتباره كتاباً لتربية المسلمين. وتم عزل الفكر الاجتماعى المبثوث فيه، والذى يهدف إلى تربية المسلمين وتكوين عقائدهم وأخلاقهم وشريعتهم وتوجيه سلوكهم(٥) وهو الأمر الذى يستثنى منه ابن خلدون العظيم ..

وكان من نتائج تركيز **ابن خلدون على الجوانب الاجتماعية فى منهجه التاريخى ما ذهب إليه بعض المفكرين من ان ابن خلدون كان إلى الاجتماع (علم العمران) أقرب منه للتاريخ وفلسفته ...**




# ٣




بيد أن الاتجاه الأغلب - مع ذوبان الفواصل إلى حد كبير بين علمى الاجتماع وتفسير التاريخ فى الفكر الخلدوني - يميل إلى ان **النظرية الخلدونية هى نظرية فى فلسفة التاريخ..** وإن كانت تتكىء على مقولات اجتماعية كثيرة، جعلت بعضهم يميل إلى تسميتها (سوسيولوجيا التاريخ)(٦).

**- والجدير بالذكر أن ابن خلدون مزج الظاهرة الحضارية (بالدولة) مع أن الحضارة كيان (عام) والدولة كيان (خاص) ، وهذا ملحظ على النظرية ..**

ومفتاح (الدولة) عنده - التى يكاد يساويها بالظاهرة الحضارية - هى (العصبية) التى تعد نظرية فى البناء الاجتماعى يفسر على ضوئها نشوء الدول وسقوطها، فبقدر قوة العصبية تقوم الدولة وتتطور، وبقدر انحلال العصبية فى الأجيال التالية المترفة تسقط الدولة أو تنحل.

**ولقد شابت رؤية ابن خلدون الاجتماعية نظرة تشاؤمية فرضتها عليه الأوضاع الفاسدة التى كانت تسود عصره.**

فنظريته تعبير عن واقع الأمة الإسلامية المفكك خلال القرنين السابع (سقوط الموحدين) والثامن (تداعى الأندلس ولا سيما غرناطة)، كما أن نظريته اتكأت على التجربة التاريخية الإسلامية بالدرجة الأولى.

**ويعزو كثير من علماء الاجتماع المخلصين ضعف النهضة الاجتماعية فى العالم الإسلامي الحديث والمعاصر إلى سيطرة الفكرة الخاطئة التى اعتنقها مدبرو الأمر فيهم وقادة ثقافتهم (العلمانيون) وهى فكرة التفرقة بين الدين والاجتماع الإنسانى ، تلك التى برزت بين المسلمين لا جهلا بحقيقة الدين ، وإنما انحرافاً مقصودا لتشويهه بصرف الناس عن التمسك به ، وتقليدا لقوم قصروا معنى الدين على ما يريدون(٧).**

**- وكان من نتيجة هذه الفكرة كما يرى هؤلاء الاجتماعيون أن تصدى للإصلاح الاجتماعى دعاة لم يعتمدوا فى دعوتهم على سلطان الدين وانكمش أمامهم رجال الدين، وقصروا - فى الغالب - أنفسهم على تلقين الناس رسوم العبادات وكيفياتها الظاهرة، وأحكام صحتها وفسادها. ومن هنا استقر فى تصور كثير من الناس أن الدين بأحكامه وإرشاداته شئ ، وأن الاجتماع بمقتضياته وشئونه شئ آخر، وصرنا نسمع فى المسألة الواحدة، أن رأى الدين كذا، ورأى علم الاجتماع كذا (!!) وبذلك نام الرقيب القلبى أو التنظيم الاجتماعى القيمى فى صدور الإجرام ، وهانت الأعراض وتفشت الموبقات(٨).**

كان ابن خلدون - إذن - اجتماعيا واعيا بأصول العمران من منظور إسلامى، وكان ابنا شرعيا للثقافة الإسلامية الأصيلة، ولم تكن منهجيته الجديده فى كتابة التاريخ، وفى دراسة الاجتماع (العمران) الذى هو علم جديد جدا تمتزج فيه علوم السياسة وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع بالمعنى الحديث كما يقول - الدكتو عبد الرحمن بدوي(٩)

**ولم تكن هذه المنهجية الجديدة إلا تعبيرا عن النسق القرآنى الذى ينظر للإنسان ككل فى مستوى**



**الفرد، وللمجتمع ككل تتعاون فيه النواحي السياسية مع النواحي الاقتصادية مع النواحي الاجتماعية والثقافية..**

أو بتعبير وجيز (الجوانب الحضارية) الكاملة المتكاملة.. وكان مزج ابن خلدون بين منهجي علمي الاجتماع والتاريخ صورة من صور هذه الشمولية الحضارية.

**ويخطئ هؤلاء الذين يحاولون أن يوجهوا فكر ابن خلدون توجيهـا أحادي النظرة، ماديا كان أو اجتماعيا، فمقدمة ابن خلدون مزيج متناغم من فلسفة التاريخ ومنهجه وعلم الاجتماع والسياسة،** وإذا كان لابد من إدراجها تحت علم واحد فلنسمه «علم العمران البشرى» بالمعنى الواسع الذى أراده ابن خلدون لهذه التسمية(١٠).

وهذا المعنى الواسع مستقى من النظرة القرآنية للاجتماع والحضارة، تلك التى لا تؤمن بالتمزيق ولا بالتشقيق، وترى المجتمع سفينة واحدة، وجسدا واحدا وعناصر مادية ومعنوية متكافلة، وثنائيات متعاونة لامتضادة.

**وفى ضوء هذا النظر فإن العوامل الفاعلة فى التجربة الحضارية الإسلامية إنما هي عوامل مشتركة فى النهوض والسقوط. فالدين - في عصر النهوض - (العامل الأيديلوجى) كان روحا وثابة إيجابية، لكنه فى عصر السقوط يصبح - على يد المحرفين - صوفية سكونية. وبالتالى يلزم - لتحقيق النهوض - إعادة الإسلام الصحيح الإيجابى إلى دوره. ومع ذلك فالدين من غير عصبية (عاقلة يحكمها الإسلام أولاً) لا تقوم له دولة - فهذه العصبية هي (العامل الاجتماعى) الثانى - والضرورى - بعد (العامل الأيديلوجي)**

- أما العامل الثالث فهو (العامل الاقتصادى) الذى يمزج فيه ابن خلدون بين النشاط الاقتصادى البشرى، والعامل الجغرافى الطبيعى دون أن يركز بالقدر الكافى على قيمة (العمل) كعصب للاقتصاد،

# منهجية ابن خلدون تقوم على شمولية المنظور الإسلامي

بل يركز على عامل خارجي اقتصادي في عصره هو (الغزو)(١١)٠ ويلاحظ ضرورة التزام الترتيب في وضع العوامل المؤثرة ، لأن الترتيب هنا مقصود وليس مجرد جمع ٠٠ وهو يعكس مدى أولوية العامل وحجمه٠

ومن هذا المنطلق الحضارى الشامل عالجت مقدمة ابن خلدون قضايا تبدو للقارىء السطحى موضوعات مجزأة لكنها للباحث المتعمق موضوعات منسقة ومرتبة تغذى الروافد الثلاثة (السياسة، التاريخ ، الاجتماع) ، وتخضعها لقوانين يصل بها ابن خلدون إلى المستوى العضوى البيولوجي

، لكنه يعود فيعطيها بعدها الاجتماعى البشرى الذى يبتعد بها قليلا عن الحتمية والجبرية٠ وفى إطار هذا تعالج المقدمة الأجزاء والموضوعات التالية:

**الديباجة:**

وفيها يذكر ابن خلدون أنه طالع كتب المؤرخين فوجدهم «لم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوا ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح فى الغالب كليل» فوضع هذا الكتاب الذى يصف منهجه فيه(١٢)

قائلا: «وسلكت فى ترتيبه وتبويبه، واخترعته من بين المناحى مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة وأسلوبا، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن، وما يعرض فى الاجتماع الإنسانى من العوارض الذاتية، ما يمتعكم بعلل الكوائن وأسبابها، ويعرف كيف دخل أهل هذه الدول من أبوابها، حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك»٠

وهذه الديباجة لا تعدو أن تكون (مقدمة) للمقدمة، بالمعنى المعروف للمقدمات، من شرح المنهج، ومن بيان الجديد الذى يعتقد الكاتب أنه يضيفه وأسباب التأليف ومنهجه الجديد(١٣)٠

**١ ـ الكتاب الأول ويتكون من:**

مقدمة: فى فضل علم التاريخ، وتحقيق مذاهبه ، والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام، وذكر شيء من أسبابها٠

ـ **الباب الأول:** فى العمران البشرى على الجملة، وفيه ست مقدمات: (الأولى) فى أن الاجتماع الانسانى ضرورى، (الثانية) و(الثالثة) و(الرابعة) و(الخامسة) فى قسط العمران من الأرض، وفى الأقاليم وتأثير الهواء في الوان البشر وأخلاقهم، وشئون معاشهم (والسادسة) فى الوحى والرؤيا، وفى أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو الرياضة وفى حقيقة النبوة والكهانة والعرافة٠

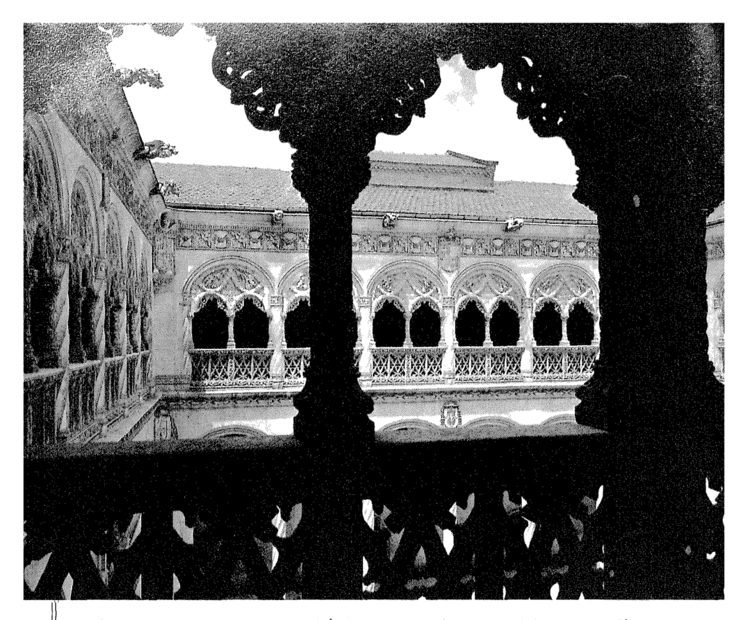
ـ **الباب الثانى:** فى العمران البدوى والأمم الوحشية، والقبائل وما يعرض فى ذلك من الأحوال٠

**٢ ـ الكتاب الثانى ويتكون من:**

ـ **الباب الثالث:** وهو فى الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وفيه كلام عن نشأة الدول وتطورها قوة ثم ضعفا، مع بيان أنه «إذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة أقبلت الدولة على الهرم، وذلك أن للدول أعمارا طبيعية كما للأشخاص، وعمر الدولة لا يعدو فى الغالب ثلاثة أجيال لأن **الجيل الأول** لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك فى المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون، **والجيل الثانى** تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة٠ ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك فى المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعى فيه٠٠ **وأما الجيل الثالث** فينسون عهد البداوة والخشونة، كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ منهم الترف غايته٠٠ فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة(١٤)٠

ـ **الباب الرابع:** فى البلدان والأمصار، وسائر العمران، وما يعرض فى ذلك من الأحوال٠

ـ **الباب الخامس:** فى المعاش ووجوهه من الكسب



# النظرية الاجتماعية الخلدونية من المعالم البارزه في مسيرة الفكر الاجتماعي

والصنائع وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال.

**٣ ـ الكتاب الثالث ويتكون من :**

ـ **الباب السادس:** فى العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وفيه يصف العلم والتعليم بأنها شئ طبيعي فى العمران البشرى، وأن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، ويضرب لذلك مثلا حال «بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثر عمرانها فى صدر الإسلام ، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا فى اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون، حتى أربوا على المتقدمين، وفاتوا المتأخرين، ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم، وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام(١٥).

إن هذه المقدمة إنشاء لعلم جديد، سماه ابن خلدون «العمران»، وأطلق بعضهم عليه تجاوزا «الاجتماع» وهم كثيرون جدا وبعضهم حاول ربطه بفلسفة التاريخ، وبعضهم مثل الدكتور (محمد محمود ربيع) صاحب كتاب «النظرية السياسية لابن خلدون» وبدرجة ما، (محمد عابد الجابرى) وغيرهما حاولوا ربطه بعلم السياسة. والحق أن العلم الذى يمكن أن تكون المقدمة تعبيرا عنه بدرجة أكبر من كل هذه العلوم هو

# رؤية ابن خلدون الاجتماعية شابتها نظرة تشاؤميه

**علم (الحضارة) أو فلسفة الحضارة** .. إنه ذلك العلم الذى ينظم العلوم السابقة وغيرها بطريقته الخاصة وأسلوبه المتميز، وهو العلم الذى سماه ابن خلدون (العمران).

إننا إذا حاولنا القيام بعمل تركيبى لمفردات المقدمة التى أوردناها سلفا فإننا لن نستطيع الوصول الى قواعد كلية تنتظم هذه المفردات خارج نطاق (علم الحضارة) الجامع لكل هذه المنظومة. كما أننا لو حاولنا توظيف هذه المفردات وفق منهجية علمية وصولا للأهداف التى حددها لنا ابن خلدون نفسه فإننا سننتهى إلى النتيجة السابقة نفسها، **فوظيفة علم العمران عند ابن خلدون تتجاوز (التاريخ)، لأن التاريخ يقتصر على ذكر ما حدث،**

**أما علم العمران فيبين لنا كيف ولماذا حدث بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه، وهو علم يشرح من أحوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الانسانى** ليعرفك كيف دخل أهل الدولة من أبوابها، ويعطيك لحوادث الدول عللا وأسبابا. وكذلك فى المقابل يعرفك بخروج أهل الدولة من التاريخ، ويعرفك على كل واقع منتظر، أى الصيرورة التاريخية والشروط التى توجبها والعوامل الفاعلة فيها»(١٦) وتكاد صورة هذا العلم تتماثل مع علم الحضارة بقدر ما تبتعد عن علم التاريخ التقليدى أو عن علمى الاجتماع والسياسة بالمنهجية والتركيز المعروفين فى عصرنا.

وهذه الخصائص ذات الطابع الشمولى أو الحضارى للمقدمة التى لا تخلو من معالجة قضايا تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية وأنثروبولوجية ونفسية فى سياق مترابط ذى نسيج حضارى يعطى للمقدمة أصالتها الإسلامية، عندما ندرك أن النظرة الاسلامية بعامة والقرآنية بخاصة تعالج الإنسان الفرد والمجتمع والحضارة بهذا المشمول وبهذا الترابط العضوى كما أشرنا سلفا.

ومع أن كثيرا ممن تأثروا بأيديلوجيات وافدة قد حاولوا إخضاع المقدمة لعقائدهم المذهبية أو العنصرية، إلا أن الدكتور «عبد الرحمن بدوى» قد شذ عن هؤلاء فتحدث عن أصالة مقدمة ابن خلدون في عدد كبير من الجوانب، ثم انتهى إلى أن المميز الأكبر بين ابن خلدون وبين فلاسفة الحضارة والاجتماع أن فلسفة الحضارة عند ابن خلدون تتلون باللون الدينى على عادته فى كل المقدمة، كما أن المميز الأكبر أيضا عنده - كما يقول بدوى - **هو غلبة الروح الدينية على إتجاهه فى التفسير والتعليل.** وهو أمر مفهوم بطبعه لدى مفكر ينتسب بكل روحه إلى الحضارة الإسلامية وإلى العصر الوسيط. **ومن العسير أن نعثر فى تأويلاته وتعليلاته على نزعة عقلية صريحة.** وأنَّى لنا أن نظفر بها عند رجل - حسب رأي الدكتور عبد الرحمن بدوى - يؤمن بالكهانة والرؤيا والسحر، ويسمح للخوارق بأن تدخل عوامل فى توجيه الأحداث التاريخية!!(١٧).

**المقدمة مزيج متناغم من فلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع، والسياسة**

ومع اختلافنا مع الدكتور (بدوى) فى بعض عباراته ونظراته، ومع إيماننا بأن تحليل ابن خلدون لهذه القضايا يبقى فى إطار النظرة القرآنية ولا يشذ عنها، إلا أننا - مع ذلك - نوافقه على جوهر القضية. وهو الأصالة الإسلامية (والقرآنية بخاصة) لمقدمة ابن خلدون.

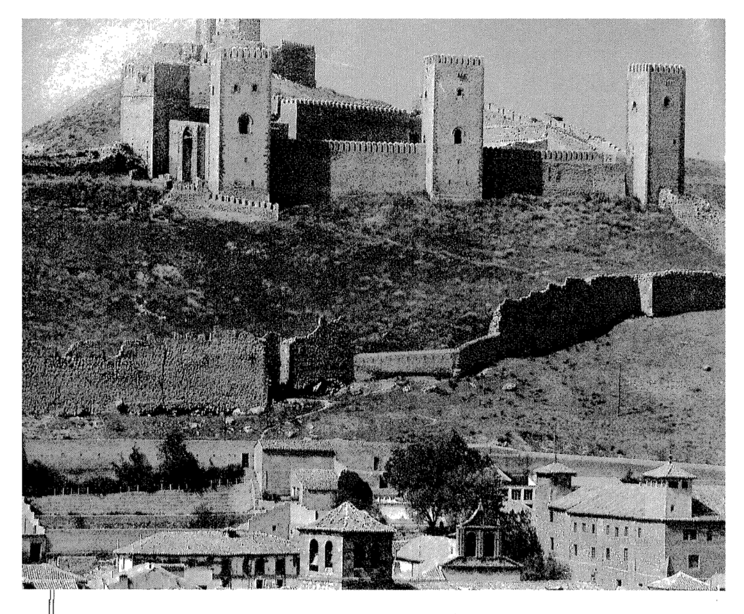
---

**الهوامش**

**(١) زيدان عبد الباق: علم الاجتماع الإسلامى ص ٤٥، ٤٦ مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى.**

**(٢) المكان السابق نفسه.**

**(٣) د/ زيدان عبد الباقى: علم الاجتماع**



# المجتمع ثنائيات متعاونة غير متضادة

الإسلامي ، ص٤٠.

(٤) المرجع السابق ص٣١.

(٥) المرجع السابق (المكان نفسه).

(٦) محمد عابد الجابرى: فكر ابن خلدون: العصبية والدولة ط٣ - بيروت ص١٩٧.

(٧) د/ زيدان عبد الباقى علم الاجتماع الإسلامى ص٣٢.

(٨) المرجع السابق ص٣٣.

(٩) مؤلفات ابن خلدون ص٢٩ دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

(١٠) المرجع السابق ص٣٠.

(١١) انظر فى معالم النظرية الخلدونية: د/ محمد عابد الجابرى، فكر ابن خلدون العصبية والدولة ٤٣١/٣٨٥.

(١٢) انظر د/ عفت الشرقاوى: أدب التاريخ عند العرب ص٣٣٣ وما بعدها، وقد اعتمدنا عليه وعلى المقدمة (تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابة هذا الملخص).

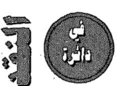
(١٣) د/ عبد الحليم عويس تفسير التاريخ علم إسلامى ص١٤٢ نشر دار الصحوة بالقاهرة.

(١٤) المرجع السابق ص ١٤٣، ١٤٤.

(١٥) انظر المقدمة وانظر د/ عفت الشرقاوى: أدب التاريخ ص٣٣٣ وما بعدها - نشر دار العودة، بيروت.

(١٦) د/ محمد عابد الجابرى: العصبية والدولة ط٣، بيروت - دار الطليعة ١٩٨٢ ص١٨٣.

(١٧) محمد عابد الجابرى: العصبية والدولة ص١٨٣.




# الأدب بين محاولة التجاوز

إن تفارقا وإن توافقا يتماهي بين الأداء اللغوي في أحادية أنماطه وواحدية دلالاته، وبين التركيب الشعري في وفرة أنساقه واغتناء دلالاته، فالأول يحيل إلى مدلول مباشر، بينما لا يحيل الثاني الى دليل خارجي مباشر.

وإذا كان حضور كليهما باللغة وفي اللغة فإنهما بعد مفترقان. فلكل عنصر في التركيب الشعري دلالته الخاصة، وله مع عناصره المتجاورة كينونة متفردة، ودلالات متولدة، تنفث أشكالها وتثرى شكولها فاعلية تعبير وحيوية تصوير

**ومن ثم فالقصيدة ـ في تعبيرها وتصويرها ـ لا تعني ما يعنيه الأداء اللغوى المعروف في مطابقته بين خارج الكلمات وداخلها، فلغتها ـ القصيدة ـ ليست لغة تستهلك نفسها في نفسها، لأنها لغة لا تحفل بمعني محدد، ولأنها تتأبى على تخاطب وقتي أو خطاب آني.**

ولما كنا نتحسس شعرية القصيدة بما تثيره فينا من نغمة غامضة بإيقاعها الكوني وتمايزها التكويني، فإنما بسبب ترافق وتوافق بين التعبير والتصوير، **فكلاهما يعكف على تعدي اللغة النمطية، وكسر الدلالة الحرفية في حلقة التتابع الكلامي.**

**ومن هذا السبيل يصح للشعر أن يزعم قرابة بين الكلمات والأشياء على غير ما نعرفه من تلك الدلالة الثابتة بين الكلمة والمعني، ويصح له ـ أيضا ـ أن يحرضنا على استبصار مقاربات غائبة، ومن ثم تنتفي تلك العلاقات الآمنة والتي استقرت بين الكلمة ومدلولها، وإنه بذلك ـ ولذلك ـ يشرع نوافذ مغلقة أمام نواتنا، وإنه بذلك ـ ولذلك ـ يجعلنا نبصر مالا يُبصر عادة.**




أ.د. رجاء عيد
كلية الإنسانيات
والعلوم الاجتماعية
ـ جامعة قطر


## بين التعبير والتصوير

ولعله يصح القول بأن «القصيدة» تنتسب الى جوهر الشعر حين تتجاوز منطق «النحو» الذي تتجسد سطوته على «النثر» بينما قد تضحي القصيدة ـ قليلا أو كثيرا ـ في سبيل شعريتها بمتطلبات «النثر» الصارمة.

**وبالمثل. فإن منطق «المنطق» لا ينتج شعراً عظيماً فالمنطق لصيق بعالم مطمئن، له يقين بذاته وبوجوده، والشعر عالمه القلق والتوتر، ولا يكف عن السؤال والتساؤل، وينوشه ـ دوما ـ ذلك «التوجس» من منطق المنطق، ولذا فهو يثير فينا تلك الرعشة الغامضة المنبثة في لغته المخاتلة، والمتمردة على سكونية باردة، وبلادة باهتة.**

ولا قيمة ـ هنا ـ للتساؤل عن الدقة اللغوية في منطقها الراكد وحدّها المحدود، فلا غناء لهذه الدقة، أو البحث عن حرفيتها وواقعيتها، **فالمهم دقة المشاعر المستثارة من خلال بصيرة لغوية نافذة، وليس بصرا لغويا كليلا،** فلا فائدة مرجاة من سردية منطفئة، أو صور مزجاة من قوالب مهترئة.

**إن البنية التعبيرية تملك قابلية التجاوز، وتتملك إمكانية التخطي، وهي إذ تعكف على تركيب فلذات**

تعبيرية تتوحد في مدارات تصويرية، فإنما تنفلت - بذلك - من جهامة النمطية وسطوة التقريرية، وبسبب من توالي صور تتلاحق وتتناسق، تنتفي المسكوكات الجاهزة، وتتوارى المدركات المتكدسة في حرفية الرؤية المباشرة.

ويحتاج ذلك - بالضرورة - الى إعادة تشكيل اللغة بعد تفكيك دلالاتها المستنسخة، فالمفردة اللغوية تهجع خاملة ساكنة، وتقبع حيادية صامتة، حتى يتاح لها أن تلوذ بسياقها ومساقها، فتنصهر في بوتقة التعبير، وتندغم في بنية الأداء.

ومع ذلك فإن تناسقية الكلمات أو تناسبية المفردات ليست لها قيمة تجريدية، وإنما تكتسب قيمتها وقدرتها بتمازجها بفاعلية التعبير، وتآزرها مع حركية التصوير، ثم تشابكها بفكر القصيدة بحسبانه - أي الفكر - ركيزة تشكيلها وجوهر قولها، ولا يعني ذلك تصارعا بين الذهنية والشعرية، أو تناقضا بينهما، فكلاهما يتوحد في حركة جدلية تحوك النسيج اللغوي الذي يغطي جسد القصيدة، ولا يعني ذلك - أيضا - غلبة فكر القصيدة على شاعريتها وإنما الأمر كما في المقولة الذائعة: **الشاعر الجيد هو الذي يفكر بقلبه ويحس بعقله.**

ولعله يصح هنا ذلك القول الساخر عن أولئك الشعراء الذي يفكرون أكثر مما يشعرون، بأنهم يشبهون تلك الأرملة التي تسير وراء نعش زوجها باكية منتحبة، ولكنها تمشي حذرة أن تعلق الأوساخ بحذائها الأنيق، ولعله يصح هنا - كذلك - تلك العبارة القديمة لهوميروس: **المؤلف الذي سيبكيني عليه أن يبكي هو أولا.**

وإن تلك الفاعلية التعبيرية إذ تعمل على تنظيم النسق فإن **الفروقات التركيبية تنتج وفرة من السمات الدلالية**، وتتقدم الصورة - أو التصوير - كدعوة أو مقترح لاستحضار دلالتها، وذلك بمراقبة الوحدات الجزئية التي يتشكل منها المدلول، ويكون من الضروري متابعة التشابك بين بنية الجمل وسياقها، فشعرية القصيدة ليست جوهر المدلول، وإنما في علاقاتها بالدلالات التي تشكل كون القصيدة.

كما أن الصورة - كذلك - تنشطر من صورة أخرى، وكلما تعدد هذا الانشطار تكامل تشكل القصيدة الكلي، والذي يتجاوز المرئي إلى اللامرئي، والمحدود الى اللامحدود، ومن هنا قد تكون القصيدة جميعها صورة استعارية.

**ولنلحظ الأسطر الشعرية التالية:**

**تقول لي الأسماك**
**تقول لي عيونها الميتة القريرة:**
**أن طعامها الأخير كان لحماً بشرياً.**
**قبل أن تجرفها الشباك**
**يقول لي الماء الحبيس في زجاج الدورق اللماع**
**أن كلينا يتبادلان الابتلاع**
**تقول لي تحنيطة التمساح فوق باب المنزل المقابل:**
**إن عظام طفلة كانت فراش**

**البنية التعبيرية، تملك قابلية التجاوز، وتنفلت من جهامة النمطية وسطوة التقريرية**

**نومه في القاع(١)**

إن الأسطر السابقة تحيل ولا تحيل، وإذا كان لكل مفردة كيان خارجي، إلا أنه سرعان ما يضمحل ويتوارى، إنها - جميعها - لا تعني مفرداتها في وحداتها المنفصلة، وهي لا تحدد كينونة معينة، ولا تثبت واقعاً خارجياً، وإنما تتشاكل في تصوير ملتبس مع ازدواجية المدلول الذي يخلص من فرادة الدلالة، ويتلاصق مع مراوغة الكلمات ومخاتلة الأداء، ومن بين ذلك كله تنبث في تشكيلاتها إلماعات خاطفة تشي بجدلية الموت والحياة.

ففي ديمومة العلاقات وسيرورة الازدواج يكون اللاتلاؤم هو بؤرة التلاؤم بين «المنطق» و«المنطوق» وبين السلب والإيجاب، وفي هذا الكون التصويرى تتشكل الدلالات من خلال اختراق الدال، ومن دائرة التقاطعات المتبادلة.

وليكن معنا - كذلك - بيت «المتنبي»:

**نثرتهم فوق «الأحيدب» نثر**
**كما نثرت فوق العروس الدراهم**

إن تبادلا مزدوجا يراوح بين العروس: صورة الحياة والإقبال عليها، وبين « القتلى» فوق جبل «الأحيدب»: صورة الموت وانتهاء الحياة، ومن بين ثنائية الحياة والموت تشحب حتى تتوارى حرفية الدلالة، فيكون الفعل «نثر» في الشطر الثاني مفارقا، دلالته في الشطر الأول، ولكن التفارق سرعان ما يتوافق من خلال تبادل أمشاج من مثيله، وكلاهما يغذي صاحبه بتلك المراوحة في جدلية الحياة والموت والحزن والفرح.

ولا يبعد - ما سبق - عن هذه الأسطر التالية:

**وإذا استرسلت في الذكري**
**نما في جبهتي عشب الندم**
**وأنا آثرت أن اجعل من صوتي**
**حصاة**
**ومن الصخر نغم**
**خبئي الدمعة للعيد**

**فلن نبكي سوى من فرح**
**ولنسم الموت في الساحة عرسا وحياة(٢)**

حين نلحظ احتواء القصيدة على تماثلات تعبيرية، أو مقاربات تصويرية، فإننا نستقرىء كونها الشعري من مراقبة «الفكر» المتشيىء في قالبها والمنبث في نسيجها.

لكن إشكالية ترد حين نرصد تداخلات تصويرية وكأنها تحشر نفسها، أو ابتناء منحنيات دلالية وكأنها مفارقة لسياقها، وعلينا - هنا - أن نستكنه ما تضيفه لشعرية القصيدة من خلال مزج المتماثل باللاامتماثل، ودمج المتقارب بالمتباعد.

إن انتساب صورتين الى حقل دلالي واحد، أو استحضار صورتين بينهما تقارب، لا يكونان دائما تناميا متناغما، أو تآزرا فاعلا، ولكن قد تعمل تلك التداخلات الوافدة من مجالين مختلفين على تكثيف وحدة دلالية، غير أنه لا يكفي مجرد التباعد بين مجالين، ولنتذكر مفهوم «النيّق البعيد» عند «الجرجاني» فلابد أن تكون جذور التقارب بين المجالين صحيحة.

إن اغتناء النسق التعبيري بمدلول ثان سوف نتمكن من معرفة مكوناته حين نجزِّيء الدلالات الى وحدات صغيرة، ولكن المشكلة أن هناك ما يمكن أن نسميه بالمدلول الخاص، الذي تتضح صعوبته فيما يخص الصور التي يفرزها تبادل معيطات الحواس، حيث تطبع المشاكلة الانفعالية ذلك التبادل بينها، وتتولي - في الوقت نفسه - عبء استمرارية التناغم بين التعبير والتصوير.

وهذه الإشكالية المتصلة بخصوصية المدلول قد نجدها حتى في المدلول اللوني،

**فثمة قصائد متعددة لا يكون «اللون» له مرجعية دلالية في الخارج، حيث يكون المرجع داخليا،**

# الشاعر الجيد، هو الذي يفكر بقلبه ويحس بعقله

# الفروقات التركيبية تنتج وفرة من السمات الدلالية

أي أنه مرجع خاص، يتشكل في حواس أو وجدان الشاعر، واللون - في كثير من تلك القصائد - لا يعني ولا يحفل بمادته اللونية، وحتى في الشعر التراثي قد نجد بذور هذا الاستخدام في نماذج متعددة من شعر أبي تمام.

وفي المقابل. فإن رذاذ الكلمات فيما يتكاثر - على سبيل المثال - من نعوت، لا قيمة لمدلولها ولا غناء فيها. فالنعت عدو للمنعوت، فهو يؤدي إلى تسطيح باهت، يدفع إليه كسل ذهني يسترخي على «نعت» جاهز، وينضاف إلى ذلك أن النعت لا يضيف جديدا إلى منعوته، سواء أكانت تلك الإضافات أو التزيدات النعتية تحديداً أم تخصيصاً، فإنها تظل مجرد نمط من الأنماط المتصلة بالتقاليد الشعرية الهزيلة.

ومع ذلك فقد يكتسب «النعت» فاعلية تعبيرية حين يفارق محدوديته السابقة، وذلك حين ينزاح عن عيارها التقليدي، ليتلبس بمنعوت يتقاطع معه، ومن دهشة التفارق بينهما يتكون مدلول له خصوصية وجدانية، وكأن هذا التخالف الدلالي مرآة لتبادلات على ساحة الشعور، وصورة لتداخلات في قاع اللاشعور.

وليكن معنا هذين البيتين:

**هذه الأمسية الكسلى الغريبه**

**«مرح خاب» و «لذات كئيبه»**

**هذه الساعات «أنس خائف»**

**ومنى خمرية «جذلى رهيبه»(٣)**

ولعله يتضح التفارق بين النعت والمنعوت فيما بين الأقواس، **وكثيرة تلك النماذج الجيدة التي يتولى «النعت» فيها عبء تحويل الجملة الشعرية، حتى ليكون حذفه حذفا لشعريتها.**

وفيما أشرنا إليه من تلك التزيدات النعتية التي لا غناء فيها، وبما لا تجرح القصيدة مثلما يجرحها ما لا يلتئم، وابتلاؤها بما لا برء منه، حين تنشغل - القصيدة - بجزئيات تتسكع في مسارها، أو تفصيلات تتشتت في مداراتها، فتتزلج كثافتها، وتتهرأ صلابتها.

فمحاولة القبض على كل ما هو في «الخارج» تسقط في حبائل التفصيل الكئيب والسرد الثقيل، فما نستطيع التقاطه - في ساحة الخارج - بنظرة واحدة، لا يتهيأ للقصيدة ولا تتمكن منه. وقد يتاح للشعر الملحمي أو التمثيلي قدر من حرية التفصيل، أو بطء الحركة، ولكن القصيدة لا يتاح ذلك لها، بل ليس من مهمتها ذلك.

وبالمثل. حين تلتجيء القصيدة إلى استنساخ موروث تعبيري، أو استدعاء مخزون بلاغي، فإنه يصح عليها ما أسماه نقادنا القدماء: «تطريز على ثوب خلق». نذكر للجاحظ - فيما يلي - تلك اللمحة الدالة التي تكتنز في سبقها الزمني اختصارا ذكيا لجمل ما تردد أو يتردد عن قيمة «التشبيه» وكأن «الجاحظ» لا يتوقف فيما يقوله على عنصر «التشبيه» وإنما يتجاوزه إلى فاعلية العناصر الأخرى، وإلى جوهر التصوير في خصوصية إبداعه لا في عمومية محاكاته، وفي تفرد تشكيله لا في تعدد أنماطه: يقول:

«.. وقد تعلم أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من البقرة، وأحسن من الظبية وأحسن من كل شيء شبهت به، وكذلك قولهم: كأنها القمر، وكأنها الشمس، فالشمس وإن كانت حسنة فإنما هي شيء واحد، وفي وجه الإنسان الجميل، وفي خلقه ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب، ومن يشك أن عين الإنسان أحسن من عين الظبي والبقرة»(٤).

**إن العناصر التصويرية، في القصيدة المعاصرة، تتجاوز - بالضرورة - موروثات بلاغية ونقدية، فهي - كما نعلم - تشكيل معقد، وتركيب**

# [illegible]

مراوغ

ولما كنا على مقربة من قول «الجاحظ» السابق، فقد تحسن الإشارة إلى أن صورا من الاستعارات لا تشير إلى مصدرها التشبيهي، بل ليست لكثير منها مرجعية تشبيهية، لأنها انخطاف شعوري، يتصاعد من بؤرة انفعال حاد، ومع ذلك فإننا نشعر - ولو بصورة غامضة - بشذرات من ذلك التآلف والتناغم، وكما في المثال التالي تتولي حركة «الأفعال المضارعة» - كذلك - في تواليها وتلاحقها وتناميها، ما قد ينافس إفاضة تصويرية، أو إضافة تعبيرية، فهي تختزل مساحة النسيج اللغوي، وتختصر ساحة التشكيل الفني، وإنها - كذلك - تجسد المفارقة بين التلاشي لمادية الجسد وبين الانعتاق في ملكوت البحر:

**الكاتب في سطور:**

* عضو اتحاد الكتاب.
* عضو المجلس الأعلى للثقافة.
* له جمهرة من المؤلفات والدراسات.
* له مجموعة من المشاركات العلمية في بعض المجلات والدوريات.

**تخطفني الزرقة. ها جسدي يتقدم في ملكوت البحر. يعانق أشجار الريح. يضاجع قامات الضوء الذاهل. يدخل غابات الغبطة. يوغل، ينمو، يتسلق أجساد الآفاق المجنونة. ها جسدي بحر. في دمي البحر. خلايا الموج نسغ صاعد بين عروقي. ورق الغبطة مخضر بقلبي»(٥).**

وإذ ينتسب النص السابق للقصيدة المعاصرة فإنه يتجاوز - بالضرورة - الشكل الاستعاري في نمطه البياني المعروف، ولا يعني ذلك انبتاتا تاما بين مستجدات في التصوير، ومستحدثات في التشكيل، ولعله - من هنا - تحسن مقارنة خاطفة بين مشابه ومفارق تطال بنية الأداء الفني، التي قد تترافق وقد تتفارق. فثمة تواشج يربط بين الاستعارة والأسطورة - في القصيدة المعاصرة - بحسبان هذه الأخيرة أدبا شكَّل الخيال لبناتها، ولكنهما - الاستعارة والأسطورة - يتفارقان من حيث تكوينهما. فالاستعارة - في القصيدة المعاصرة - أسطورة مكثفة ومحددة، بينما تبقي الأسطورة استعارة منتشرة على مساحة الأسطورة كلها، وممتدة على جسدها جميعه.

ويظل التفارق له سماته الواضحة. فقيمة الشعر وجوهره في «شعرية» لغته، وفي شكله وفي محتواه، ومن ثم فترجمته - كما هو معروف - إلى لغة أخري، تعني القضاء عليه، بينما تتمكن الأسطورة بسبب اتكائها - فقط - على الجانب المجازي، أن تتعدى حدود المكان والزمان، وأن تظل لها قيمتها في أية لغة.

وبالمثل فهناك مفارق بين الاستعارة والرمز:

فبينما يتمكن الرمز من اختراق دائرة الأداء اللغوي، بما يتيح تأويلا بعد تأويل، فإن الاستعارة تظل في محيط الدائرة اللغوية، لها ثوابتها ومعطياتها السياقية، ومع ذلك فإنها تملك تجددا حين تنبثق بتشكل جديد في حقلها الدلالي.

ولعل من أهم المفارق - أيضا - أن الرمز يعلن عن وجوده الذي يتشكل في امتداد مجازية الأداء، وانفساحه على ساحة القصيدة، بخلاف الاستعارة التي تتجزأ وتتناطر في حدود جملة أدائية، وهي إذ تتكيء على ملكة التخيل المتشيء لدينا لإدراكها فإن الرمز يتفارق في ذلك، إذ يعتمد - أساساً - على ملكة التصور الذهني.

## الفروقات التصويرية في القصيدة المعاصرة تشكيل معقد وتركيب مراوغ

ينضاف الى ما سبق

**أن لغة الصورة ـ إن جاز التعبير ـ لا تأبه بانتقائية المعجم الشعري، ولا تحفل بشفافية المفردة،**

وإنما تغامر ببث فلذات لا تنعزل عن سياقها، وشذرات لا تنبت عن مساقها، وإن كانت تبدو ـ ظاهرياً ـ منفكة عن سواها. وهي إذ تتماهي في أنساق مفاجئة، وتتشكل من دهشة التصادم بين الكلمات، وغرابة التجزئات، إلا أنها تعود لتتشاكل في فلك القصيدة.

وربما تعمد ـ الصورة ـ إلى تقاطع السياقات من خلال الانزياح اللغوي، لتشكل ـ بواسطته ـ انزياحاً دلاليا يتبعه ويردفه، وقد تنقسم تلك التقاطعات الى دوائر تنغلق للحظة، لتنفتح بعدها على غيرها، فما تتكون دلالة حتى تتغاير مع دلالة أخرى.

ولعل ذلك يتشابه ويتفارق مع صور «الحلم» ففي هذا الأخير تتداخل الأشكال وتتكاثف الأجزاء، وتتمازج الصور، وتتعدد العلاقات والنقلات، وكأن الحلم غابة من الرموز المتراكبة، وتكاد تتماثل ـ في القصيدة ـ تلك المتشابهات. فصورها ـ كذلك ـ تتكاثف وتتراكم، ويترواغ المعنى في عدد من المعاني، ولكن المفارق تظل حدا فاصلا، فصور «الحلم» من مفتتحه الى مختتمه ـ يرفدها عالم اللاشعور، في حين أن صور «القصيدة تستقي ـ أول الأمر وآخره، من عالم الشعور، ولأنها ـ كذلك ـ بنت الوعي فبمكنتها ـ وبسببه ـ أن توحّد الكل في واحد.

وبالمثل حين تتمدد الدفقة الشعرية، فتتشابك الصور وتتحاشد، حتى لتغطي جسد القصيدة، فإن السياق الشعري ـ هنا ـ يتولى تنظيم التناغم ورد الكثرة إلى وحدة، فيتوازى التعبير والتصوير.

ومع أن الشعر ـ على حسب إيليوت ـ هروب من الانفعال، هروب من الذات إلى الفن، وأنه ـ الشاعر ـ لا يستطيع سكب انفعالاته مباشرة، فيكون سبيله ذلك الوسيط، أو تلك التتابعات من التعبيرات التي تكون معادلة لانفعاله، ولكن المشكلة أن هذا «المعادل الموضوعي» ـ وحده ـ لا يكفي لتماسك البنية الشعرية، وواضح ـ فيما قاله إيليوت ـ أثر ادعاء الرمزيين أن على الشاعر ـ فقط ـ تقديم انفعالاته.

ولعله يصح القول بأن الفن ليس محاولة لتجاوز الذات وإنما هو الذات في كلمات.

---

الهوامش:

(١) «أمل دنقل» الأعمال الكاملة ـ القاهرة ١٩٨٧ ص١٨١.

(٢) «محمد عمران» ديوانه جـ١ ـ دمشق ـ ١٩٨٣ ص٢٧٠.

(٣) «عبد الله البردوني» الأعمال الكاملة ـ المجلد الثاني ـ بيروت ١٩٨٦.

(٤) رسائل الجاحظ ـ بيروت ـ ١٩٥٧ ـ ص٤٤.

(٥) «محمد عمران» ديوانه جـ١ ـ دمشق ١٩٨٣ ص٢٧.




في زمن الانهيارات العسكرية والاقتصادية الكبرى يتحول العالم الى غالب ومغلوب، قوي وضعيف، مهاجم ومدافع.. وقد لا يقتصر تقهقر المغلوب على الانهيار المادي، بل يمتد الى ما هو أخطر: إلى معنويات حياته.. الى عقله، ووجدانه، وموروثاته، واعتقاداته، وأعرافه، وسائر طرائق حياته.

وإذا كان المهزوم عسكريا يستطيع استجماع فلول جيشه، وإعادة الكرّة حين تشاء المقادير، عارفاً بعدوه، محدداً هدفه.. فإن المهزوم نفسيا وحضاريا ساقط إلى الأبد في أتون غالبه حتى يذوب، وتتبخر هويته، فيضحي غذاء إضافيا لمن قهره، وهو لا يقاوم.. بل ربما دافع عن وضعه الجديد هذا زاعماً أنه التقدم، والمدنية، والرخاء، والواقع الجميل الذي لا يستسيغ النفور منه!!

ثروت أباظة «للمنهل»

# الغزو الفكري.. وَهْمٌ «زائف»

وعلى الرغم من أننا - كعرب - نُعدُّ ضحايا هذا العصر الحديث، بعد انهيار مجدنا الذي جدد شباب البشرية على مدى أكثر من عشرة قرون.. وعلى الرغم من ما نعانيه «فإننا مازلنا نقاتل على المستوى الحضاري، ولا يستطيع زاعم أن يدعي انهزامنا.. فمازالت لغتنا العربية، وكتابنا القرآن ، ونبينا محمداً، وسادتنا خلفاءه الراشدين.. لا الغرب سيدنا ولا الشرق.. مازلنا نقاتل.. لكن الحكمة تقتضي أن نعترف بأن القتال يقع على أطراف حدودنا، وربما في أعمق الأعماق!!

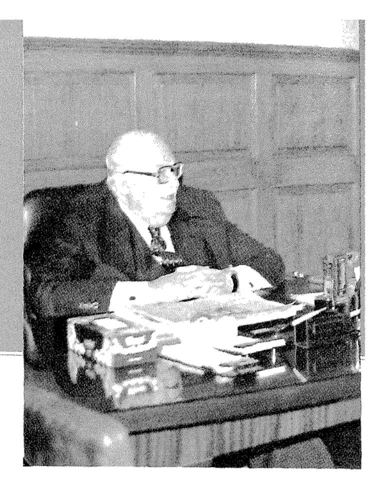
بعضنا سلّم بحتمية الهزيمة - بدوافع خبيثة أو طيبة - وآخرون يشدون على أيدينا بالصمود، ويحيُّون فينا العزيمة.. وغير أولئك وهؤلاء من يرفضون مصطلح (الغزو الفكرى) من أساسه، ويرون عظمتنا الموروثة أصلب من معاولهم الحديثة.

من هؤلاء الأديب الكبير «ثروت أباظه» الذي يستمد قيمته الكبرى من كونه أديبا أولا: تربى في أحضان الوطنية العربية، وعاش صعودها وصدامها وطموحها.. ثم إنه من المسئولين الفاعلين عن الدفاع عن ثغورنا الثقافية.

* كان لمجلة «المنهل» معه هذا الحديث المرن المتأرجح بين الأخذ والعطاء:

# نحن الذين نغزو العالم فكريا

# الارسال الفضائي لم يبق قارئاً



## غزو فكرى ٠٠؟! ٠٠ لماذا ؟!

*( المنهل )*

***** الغـزو الفكرى خطر يتـربص بعـقـولنا وقلوبنا وهـويتنا ٠٠ ألسـتم مـعى في هذا التصور؟!!**

( أنا ضدك !!)

أنا ضدك على خط مستقيم ٠٠ ليس هناك شيء اسمه (غزو فكرى)!! وهو مرفوض جملة وتفصيلا، والمثل أمامنا واضح: مصر٠٠ غزيت بالفرنسيين والأتراك والإنجليز واليهود٠٠ ولم تستطع قوة من هذه القوى - ومنها القوى الكبرى - أن تغزو الفكر العربي في مصر، فماذا تقصد بالغزو الفكرى؟! لابد أن نكون على إلمام بكل لغات العالم وآدابه، ونستخلص منها ما نحب نحن. ولكن مصطلح (الغزو الفكرى) هذا كلمة تقال وليس لها معنى، لأنه لا يستطيع إنسان أن يغزو أقدم لغة حية في التاريخ: لغة القرآن وأنت ترى أنه بعد هذه القرون من نزول القرآن، وآلاف السنين من محاولات الغزو لم يستطع أحد أن يغزو الفكر العربي، ولا الأدب العربي، ولا التراث العربي. وحسبك ما نكتب من روايات، فهى عربية صميمة غير خاضعة لأى فكر غريب. فليس هناك شيء اسمه غزو فكرى.

إن الفكر ملك للعالم أجمع. وكل أمة تستخلص منه ما يتفق مع معتقداتها، وإيمانها، وشرفها، وكرامتها، ومستقبلها٠٠ الوطن العربي أقوى بكثير من أن تغزوه قوة٠٠ كم من السعوديين سافروا إلى أمريكا وعادوا، ولم تغز أفكارهم المدنية الأمريكية، ومازالت السعودية - والحمد لله - هى أساس القداسة للعرب والمسلمين بما فيها من الحرمين وروح عربية صادقة.

## ( الغلبة للاسلام )

*«المنهل»:*

***** أشرتم الى جزئية (التأثير والتأثر) بين العقول والثقافات. وهذا أمر مباح، وموجود منذ القدم، ويدفع الى التطور٠٠**

* نعم ٠٠ فإذا كان فيه ما يمس عروبتك وشرفك

# ٠٠ ولا يستطيع أحد غزونا!!

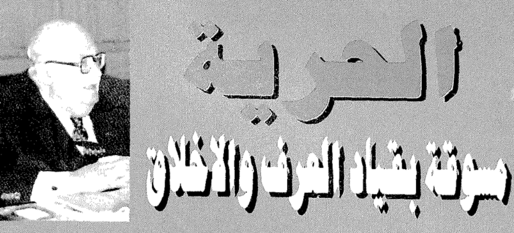


حوار

أجراه:

**حزين عمر**

القاهرة



# الحرية مسوقة بقيود العرف والأخلاق

قرد عليه، واستلهم دينك، وادحض ما يقولون وحطمه. نحن مسلمون، وسنظل مسلمين، ولن يستطيع أحد في العالم أن يؤثر على الأمة الإسلامية، بل على العكس، نحن الذين بإسلامنا نغزو العالم. في فرنسا كم مسلم الآن؟! فى انجلترا كم مسلم الآن؟! فى أمريكا ... وأذكر أنه قبل الحرب العراقية الإيرانية صاح البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان: «أدركوا المسيحية من الإسلام»!! فالإسلام بقوته وعظمته هو الذى يهدي الآخرين.

** وزير خارجية إيطاليا فى أثناء زيارته الأخيرة لفلسطين المحتلة، وبعد نتائج انتخابات الجزائر قال: إن العدو الوحيد لنا هو الإسلام!! واستكمالا لإيضاحى أريد أن أضع معنى أكثر دقة بدلا من (الغزو الفكرى) فأقول: (الهجوم الفكرى) لأن الغزو معناه التسليم والضعف من طرفنا.

## هو محاولة للهجوم فاشلة.

***«المنهل»:***

***** أتتوقع فشل هذا الهجوم مع تعدد الوسائل والسبل كالإذاعات - المسموعة والمرئية - والصحف والكتب والأقمار الصناعية؟!***

كل هذه الوسائل مرفوضة تماما من الشعب العربي، ومن الروح الإسلامية، ومن الوطنية العربية، لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً الى أبد الآبدين.

## (الأديب .. لا الوكيل!!)

***«المنهل»:***

***** تأثير النظام العالمى الجديد لا يتوقف عند المناحى الاقتصادية والسياسية والعسكرية.. بل يتجاوزها الى الثقافة والحياة الاجتماعية .. فإلى أى مدى ترون هذا التأثير الثقافي فى الحاضر والمستقبل وخاصة على مجتمعنا العربي بما له من قيم وتقاليد إسلامية؟؟***

* التقيت بأحد رؤساء الدول الذين نعتبرهم أعداء لنا فقال لى: ليس فى العالم كله كتاب يؤثرون فى قرائهم كما يؤثر كتاب مصر فى القراء العرب.. فنحن نتمتع بهذه الميزة الكبرى: الاحترام والإجلال دائما.

وكثيراً ما أضطر للحديث الى بعض الناس هاتفيا على غير معرفة لسبب أو لآخر، وأنا وكيل مجلس الشورى وبدرجة وزير - وهى وظيفة من الوظائف الكبرى فى مصر - فحين أقول: ثروت أباظة. لم أسمع أحداً يقول: وكيل مجلس الشورى.. بل يقولون: الكاتب الكبير. هذه هى الصفة الملتصقة بنا، ونتمتع بها، وبقى أن نحترمها حتى نظل على هذا التقدير فى نفوس قرائنا.

## (البوهيميون)

***«المنهل»:***

***** الإبداع الأدبى بين التحرر والتحلل .. كيف ترونه؟؟***

* قلت فى أحد مقالاتى إن الكاتب الجنسى قواد!! وأكثر شراً من القواد، لأن القواد يجرى عمله بين اثنين، أما الكاتب فيجرى عمله أمام العامة .. للجميع.. هو قواد ومحتقر. والإنسان بعد أن يرتكب معصية يشعر بندم. وكذلك يشعر القراء بالتقزز والندم واحتقار الكاتب الجنسى بعد



# ▪ الكاتب الخارج عن آداب المجتمع محتقر.
# ▪ أقلعت عن التدخين .. بسبب رسالة من قارىء!!

قراءة ما كتبه . والقواد العادى ليس عليه شهود. أما القواد الكاتب فشهوده القراء جميعا من المحيط الى الخليج.

هذا في ذاته هو العقاب للكتاب المنحلين. ولا يحتاجون لعقاب آخر.

## ما بين التحرر .. والتحلل

«المنهل»:

***** من المؤكد أن هناك فارقاً بين التحرر فى الفكر والتحلل. .**

* لا شك فى هذا، والحرية أيضا ليست مطلقة، لو كانت مطلقة فهى فوضى.

«المنهل»:

***** على المستوى السياسى أم الفكرى العام؟**

على كل مستوى .. هناك قيود للفكر وللمجتمع لابد أن تراعيها، وأن تنظر الى أبنائك وإلى أجيال من القراء ولست أنسى أني كتبت مرة بالأهرام أقول: «إنى كنت فى جلسة مجلس الشورى وخرجت، وأنا فى البهو الخارجى للقاعة أطفأت سيجارتى، ودخلت» قلت هذا فى المقال، فإذا بخطاب يأتى إليّ يحاسبنى كيف أقول: أطفأت سيجارتى. يقول لى: ألست تعرف أنك مثل أعلى للشباب فيعرفون عنك أنك تدخن، ألا تخشى أن يدخنوا مثلك؟!! الى هذا الحد نحن محاسبون على السيجارة؟! فأقلعت عن التدخين، ولم أكتب هذه الكلمة مرة أخرى فى حياتى.. فلابد أن يراعى الكاتب أنه وهب نفسه للناس. ليس فى كتابته فقط، بل في خلقه الشخصى وتصرفه الاجتماعي أيضا.

ولذلك فالكتابة البوهيمية انقرضت، لم تعد موجودة ، لو نظرت الى نجيب محفوظ لوجدته أكثر الناس انضباطا فى حياته الشخصية والعامة.

## الأدب والسياسة

«المنهل»:

***** للثقافة العربية حاليا مشكلات كثيرة كتدخل السياسة فى أمور الثقافة ـ تدخلا سلبيا ـ وتشرذم المثقفين العرب، والضغط الاقتصادى الذى يعوق المشروعات الثقافية كالمجلات وإصدار الكتب القيمة.. ما هو موقفكم كأديب من هذه القضايا؟؟**

المسألة ليست مجرد شعارات، فأنا أعتقد أن المشكلة الأولى فى حياتنا الثقافية هى أن الكتاب أكثر من القراء!! وقد انصرف القراء عن مطالعة الكتب الى الملاهى الميسورة بالنسبة لهم كالتليفزيون والفيديو.

## (كاتب نسيه الناس !!)

أما تدخل السياسة فى الأدب فأمر واجب، لأن السياسة عملها المجتمع، والأديب كذلك. وإن لم يعالج السياسة ففيم يكتب ؟! حتى لو كتب رواية أو قصة فلابد أن تكون السياسة العامة مسيطرة عليه حتى يكون لسان عصره.. إن الأديب ابن عصره، فإن لم يكتب عنه أصبح خارج الزمن، وأعرف كاتبا من كبار كتاب العربية لم يكتب فى السياسة فنسيه الناس، ولم يعد أحد يذكره

# أحسنوا أسماءكم

## في خارطة الأسماء

مصطفى بوهلال - تونس -

لم يألف المتحدّثون في شؤون التربية التبسط في مسألة «الاسم» كعنوان للفرد بأبعاده التي يتجاوزه إلى القوم رغم أنك ٠لاق تُتَفاً - هنا وهناك - في كتب التأريخ للعظماء تشير الى التئام حلقات الحوار العائلي حول (إسناد) اسم يحوصل التطلعات والطموحات التي ارتأتها الأسرة وتأمل ممن سيحمله تحقيقها٠! أيضا سرى في الإحساس الإجتماعي أثر هاته الظاهرة فتواترت الأمثال - فصيحة وعامية - (اسم على مسمى) ،(طابق الاسم المسمى) و(إسمو عـــــالـــــي جسمو) و(الاسم العالي والمريط الخالي) ،(تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)٠ لا مراء - حينئذ - أنه قد قفز بالأذهان تيقظ عبد المطلب عند وضع آمنة - زوجة ابنه عبد الله - منهيا عملية استقرائه بتفضيل اسم (أحمد أو محمد) تيمنا بأن تحمد عقباه٠ لم يكن هذا - وحده - ما حبب إليّ تناول الموضوع، وإن ملت - للبيان - وجهة تاريخية نقدية، فإن مبررات مساندة - ستلمس حضورها آتيا - تعفيني من الإسفاف أو التكلف كما رجوت

### الإسلام سمح يحب الجمال:

رغب الإسلام - رغبة رائدة - في كل توجهاته وتوجيهاته التعبدية والتعاملية: في تخريج أتباعه على الخير والجمال والكمال واللطافة والتأصل، والذوق الرفيع وهاته - كما لا يخفى - من دعائم التحضر الإسلامي الحق٠

٠ يحب الإسلام لأبنائه التمسك القوي بأسباب هويتهم٠٠ بمنابع انتسابهم٠٠ بأنساغ شخصيتهم٠٠ بمجامع عراقتهم وخصائص فرادتهم وخيريتهم٠! ولقد امتاز الدور التربوي الذي أدّاه الرسول ﷺ بأنه دور تقويمي لكل الظواهر «الجاهلية» المنحرفة

ومقاومة متاهات القبح، ومزالق الانحطاط والتبعية، ودائما كان يصحب البديل الأنقى ذلك التغيير٠٠ أي البديل الأصلح والأليق٠٠ خذ لك مثلا: ظاهرة «التسمي» وقد يعترض معترض: أهذه قضية جوهرية تستأهل الإلتفات والدراسة!؟ فأقول: نعم، وبكل حرارة، ولِمَ لا،

ولها ترسبات نفسية، وذبذبات عاطفية، وتفجرات اجتماعية، وردود فعل غير هينة

ولا بالعرضية! كما وحولها تلفق أنسجة كيد تكفيري فظيع٠!

لكل تمدن إنساني واجهة تألفت من لافتات إما مبشّرة باسمه مؤنسة، أو قاتمة موحشة فظة! ومن اللافتات تلك: الأسماء والألقاب٠٠ فكما يجتهد صاحب المتجر في انتقاء العنوان الأرشق للأذن

# الحسن من الاسماء بشارة خير على  جبين حامله

والأطرب للنفس، والأرطب للِّسان، والأكثر جذبا للأذهان، والأوفر دراً للجيوب، كنت واجداً الأسرة - أية أسرة - منشغلة، طيلة فترة انتظار مولود جديد، باستقراء لائحة الأسماء للإختيار، ولكل مقاييسه، ومواصفاته، وتحفظاته. ودرجات وعيه!.

ومن ثمة سبق أن أولاها الرسول ﷺ من اهتمامه التربوي الحصيف، في عديد الفرص، مثيرا الإنتباه الجاد لدى الآباء والأمهات، إلى تأكيد التروي عند إصطفاء أسماء لمواليدهم، فإن من حقوق الأبناء على والديهم:

حق وضع الإسم السمح.!

وبذا يتوجب على الشباب الإلمام بالنظرة الإسلامية الى الزواج، فهو ليس بالمتعة الجنسية أولا وأخيرا، الزواج اختيار وموقف.. إذنً باستكمال التأهل والترشد.. مدخل مشروع الى المساهمة في مدرسة البناء الأمثل للمجتمع على قواعد وأهداف تهذيبية عالية

، وهذا وارد ضمن آفاق ما روي عن النبي ﷺ «أنه امر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه، والعقّ»(١).

## مواصفات التّسمي:

فإذا كان ذلك من الطف مهامّ الوالدين، وأشرحها لأفئدة العائلة، فما هي الاعتبارات التي يفضل، أو يتحتم استحضارها واعتمادها عند إجراء هذا الاختيار؟.

### (١) توخي الحُسن في التسمّي:

يتجلي للجميع، أن للاسم وقعا خاصا في نفس المدعوّ به، ووقعا عاما لدى المجموعة، وحسب «نوعية الاسم» ستنهض انعكاسات وتداعيات في السلوك والخواطر، تولد آثاراً اجتماعية آنية أو باقية توحي بمؤشرات للسلوك والمعاملة.

ذلك أن اللفظة الصالحة تشيع في كيان السامع وقعا طيبا منعشا، وإنباهاً رقيقا أو حازما.. ألا ترى أن من كان له **عليل** ويسمع فجأة نداء: **يا سالم**.

. أو يا **فرج**.. أو يا **عبد الشافي**، إنه سريعا ما ينزل بقلبه هذا النداء الحلو: عذباً مواسياً وسلاما.! وتتزايد الحلاوة حلولا بالفؤاد عندما يطرق سمع الشجي، أو المنشغل بمهمة ثقيلة رنّاتٍ يهزُّ إيقاعها نياط القلوب: يا **ناجح**.. أو **يا عبد الرحمن**.

وهذا رسول الله ﷺ (كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: يا **راشد**.! يا نجيحُ.!)(٢).

لم يحدث هذا تجنبا مقصودا من التشاؤم، فقد **(كان لا يتطير من شئ**، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه،

وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤي ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه)(٣).

وجميل أن يصدر هذا تفاؤلا وانشراح توقع، واستبشاراً بالمستقبل، وشداً للعزم، فنبيّنا ﷺ أعرب عن سريرة نفسه: (وأحب الفأل الصالح)(٤)

وحين: **(قيل يارسول الله: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة (أو الطيبة - وفي رواية: أو الحسنة) يسمعها أحدكم)(٥).**

ولنفترض أن محور الجدل يتركز حول الحسن، فما مفهومه؟ وما ضوابطه؟٠

**(٢) أوجه الحسن في التسمي:**

**أ ـ الابتعاد عن اتخاذ الأسماء التي فيها معنى التأله**، أو الموحية بإجلال تصرف وثني سابق، عن أبي هريرة يبلغُ به النبي ﷺ قال: **(أخنع اسم عند الله يوم القيامة: رجل تسمى بملك الأملاك)**(٧)٠

**ب ـ هجر كل اشتقاق لغوي فيه غلظة وجفاء وتبلد وخشونة مفرطة**، فإن الآذان تتقزز من ذلك، وترتد الأحاسيس منكسرة منقبضة٠ روى البخاري عن ابن المسيب، عن أبيه: أن أباه جاء الى النبي ﷺ فقال له: **(ما اسمك؟ قال: حَزْن٠ قال: أنت سهل٠ قال: لا أغير اسما سمانيه أبي)**(٧)٠

قال ابن المسيب: فمازالت الحزونة فينا بعد٠!

لم يقبل (حزن) تنحية هاته الغلظة السوداوية، ولم يرحب بهذا الإبدال المتفائل المنشرح في رقة مرغوبة، بل دفعه شيء من الصلف والكبرياء بهذا الاسم الموروث على فظاظته الى الإبقاء على العسر واليبس والشدة فاستكن ذلك باطنا ومظهرا ومسلكا، وسرى ـ متجذرا ـ في الفروع، بالوراثة والتقليد، فتلون التصرف وتقومت الشخصية بذاك المترسب في اللاشعور، وأن العرق لدساس٠

وفي المقابل، قبل البديل الأسمى آخرون ، فنزعوا عنهم لؤم اسماء قبيحة، سمجة، لا إنسانية، تتنافر وسماحة الدين الجديد، مثل **حرب، ومرّة وغراب وجمرة٠٠** وتحلوا بأسماء اختارها لهم رسول الله ﷺ لها نفحاتها البشرية الشذية، **كإبراهيم، والمنذر، وزينب٠٠** فحصلت لحامليها الليونة والزهو والرضا٠

ولا أحسب أن يقفز بالخواطر طلب الرهافة المائعة مقابل رفض الصلابة المغالية، أو الإسراف في الليونة٠٠ فإن من الأسماء من توحي كيمياء صياغتها بقوة وحزم وحرص (عمر) من هذا القبيل: فـ (راؤه) ترسل تموجات صرخة موقظة توقظ من يخرب دنياه ولا يعمر٠٠!

**ـ الهروب من المشتقات المفيدة ابتذالا وحطة وخلاعة٠** من ذلك: **العاصي، وعاشقه٠٠** فإن انتحال مثل هذا أسماء، لظلم في حق الطفولة وتجنٍ٠ روى ابن عمر: ان رسول الله ﷺغير اسم **عاصية** وقال: أنت **جميلة**)(٨)٠

فدين السمو الخلقي لا يرضى لأبنائه وبناته أن ينعتوا بعناوين التيه والضياع٠ والله ـ سبحانه وتعالى ـ اصطفى لأنبيائه ـ عليهم السلام ـ أبلغ الأسماء وأحبها إليه وأدلها على الرفعة والطهارة٠ قال عز وجل: **«يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا »** (سورة مريم/٧) وقال تبارك: **«ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»** (سورة الصف/٧)٠

وشاءت حكمته عز وجل، أن يسمي معتنقي دينه بالمسلمين: **«هو سماكم المسلمين من قَبْلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس»** (سورة الحج/٧٨) فالإفادة الإصطلاحية تبرز الانقياد وانفتاح القلب الى عبادة الله وطاعته واتباع أدب رسول الله ﷺ كما تظهر الدلالة اللغوية معاني الصفاء والأمان والسلم والتخلص من الخبث المادي والمعنوي، فأكرم بها من تسمية ربانية٠!

**د ـ نبذ التسمي بكل ما فيه خدش لمقومات الأصالة والانتساب**، إذ ليس من شهامة العراقة ولا من التشبث بعمد آداب الإسلام: الجنوح إلى (قاموس الأسماء الأجنبية) لاستعارة قائمات مما يحويه٠!

وسواء فُرضت (الاستعارة) جبراً أو استجلبت تلقائياً على نحو ما سيره من إلماح، فالخطورة قائمة مسترذلة٠٠

أما المحيِّر المشجي، فتلك الضغوط الخانقة التي تتعرض لها الأقليات المسلمة في بعض دول أوروبا والهدف الاعتداء على الهوية بالعنف كيدا للانسلاخ من الإسلام، ومن كل ما يمت الى الإسلام بصلة٠٠!

وعلى الأقليات المضطهدة التمسك بأسمائها الإسلامية حفظا لوصايا رسول الله ﷺ وانفاذاً لتربيته السوية٠! وعلى المسلمين شدّ أزر إخوانهم المستضعفين، وسفاراتهم بكل مكان في العالم

مطالبة بالمناصرة - بأي كيفية كانت - وبالأحرى جميع المنظمات الإسلامية والحكومات مطلوب منها الوقوف وقفة الرجل الواحد لإيقاف هذا الاستلاب والتعدي٠!

**تاريخية التسمي:**

ومن أجل استقصاء عناصر قضية التسمي، تطفو في الفكر ضرورة استعراض مختصر لتاريخية هاته الممارسة المستديمة عبر مجتمعنا العربي المسلم، وأقدر أن أحصر تطور هاته التاريخية في منعرجات مرحلية أربعة، قد يتخلف واحد منها - أو أكثر - في قطر ما لدخول الإسلام إليه وهو الفينيقي أو الليبي أو الإسباني٠٠ دون أن يمر بالجاهلية العربية، أو لسلامته من الغزو الإستعماري ومن التداخل المكثف بالأتراك أيام انتشار قوة الخلافة العثمانية٠

(١) **فترة العصور الجاهلية** المتميزة بخشونة البداوة وغلظة الوسط الطبيعي، وبالشرك، والتفاعل الكلي مع المحيط الصحراوي الجاف والصعب المراس٠ **ويبدو أن الجاهليين يجعلون أسماءهم عن إدراك ومغزى نابعين من تلك البيئة تلمسا لتحقيق التوافق والتناغم وإرضاء - بالتالي - للطبع والموروث من التناولات والاعتقادات الدينية والخرافية**، وهي وإن شاع فيها مدلول الفحولة والرجولة والإباء - وشيء ضئيل من مفاهيم اليسر والانبساط في الحضر - إلا أنها اختلطت بعلامات تأرجح الموازين الأخلاقية والذوقية والقيمية، رغم توافقها مع خصوصيات (الإيحائية) المشار إليها، وموسيقى التركيب الصوتي لذاك العصر٠!

**ولك في ديوان الشعر الجاهلي ومدونة الأنساب بيانات مقنعة٠٠ وقد كتب الجاحظ: (والعرب إنما كانت تسمي بكلب وحمار وجعل وحجر وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك٠ وكان الرجل إذا ولد له ولد ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنسانا يقول حجرا سمي ابنه به، وتفاءل فيه الشدة والصلابة والصبر٠ وكذلك إن سمع إنسانا يقول: ذئبا أو رأى الذئب، تأول فيه الفطنة والخب والمكر والكسب، وإن كان حمارا تأول فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت، وغير ذلك)**(٩)٠

# أهل الحضر أميل إلى الأسماء الرقيقة

(٢) **مرحلة المدرسة النبوية:** عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - **(أن النبي - ﷺ - كان يغير الاسم القبيح)**(١٠)٠ وقد نهج الصحابة والتابعون الأولون نفس المسار الذي ذلله الرسول ﷺ٠هاجرين القبح، فاختفى من بينهم كل ما يوحي بكفر أو بسقوط تربوي، أو بفساد ذوق جمالي، وشاعت الأسماء الحاملة لدلالات البشارة والشكر والتدين والرخاء والتنعم والتحضر والعبودية لله، وسامي الطموحات، الى جانب المحافظة على المأثور الطيب الذي لا يصح الإعراض عنه٠

(٣) **منعرج الانحطاط وعهود الاستعمار:** غير خاف أن انتشار الفتوحات وسّع الرقعة الإسلامية،

# الأسماء تحمل بين طياتها ترسباتها النفسية والاجتماعية

فتمازجت عناصر إسلامية من قوميات عدة تحت لواء الدين الجديد، وقد تبع هذا حدثان:

* تقلص واختفاء الأسماء الأعجمية (رومانية وفينيقية وفرعونية)٠

* صاحب فترة استقرار التسري وظهور فئة الموالي والعبيد: رواج أسماء عديدة منها الجديد المعرب أو المولّد قبلته الأذن لخفته، وقد دعت إليه الرفاهة وبسطة العيش في عصور الإزدهار والإقبال على ألوان الطرافة المنعشة للتمدين عموما٠ **على أن هذا الانفتاح لحقه - في العهود الموالية، عهود غياب العقل** العربي، وهزال اللسان العربي، وضحل المعرفة الإسلامية لدى القوم: انحسار أسماء الفتوة **والبطولات٠٠ وصحب هذا وقوع مخجل في أدنى مراتب العامية، أو السماجة٠**

وأني لأتذكر طالبا في الخمسينيات يدعى (بهيّم) - هكذا بتشديد الياء فاشمأز مُرَبّ لبق ذواق فعوضه بالدفاتر وعلى لسانه بـ (فهيم) ناصحا حامله بتقديم طلب إصلاح بالوثائق المدنية الى المحكمة٠!

هذا ولا يمكن أذكار ترسخ الإستقامة لدى معظم الأسر الواعية والشادة بأهداب أصالتها٠

**(٤) مرحلة الصحوة:**

من التناقضات العجيبة أن يتزامن - في ترافق - الاستقلال والتبعية٠! فمع هبوب نسائم التيقظ والتحرر، يسجل أنبهار لاهث بأضواء المدنيّة الغربية، دعم الاستنتاج الخلدوني القائل بأن المغلوب مولع بتقليد عادات الغالب، بكيفيّة لم يستطع معها العربي المسلم الفكاك من أسر (الغالب) المزمن، وزاد هذا تشعبا قوافل الهجرة المتعددة الأغراض الى العالم المتقدم، خاصة من شمال أفريقيا ووسطها، حتى كنت تلحظ من مناحي الولع بعادات الأوروبي - عن عمد أو عن غيره دراية - تقمص تصرفاته المقبول منها والمرذول، ومن هذا استعمال أسماء أبنائه وبناته أسماء لمواليدهم٠!!

سئل - باستنكار - والد طفل تقدم لترسيمه بمدرسة:

- ألم تجد من الأسماء المباركة ما تسمي به طفلك غير **(أيزنهاور!)؟**

فقال:

- **أيزنهاور** بطل٠٠ شخصية بارزة٠٠ صدفة يوم زيارته لوطننا، بشرتني القابلة بمولود، فأحببت أن يحمل وليدي هذا الإسم العظيم ليجيء بهي الطلعة٠٠ شخصية بارزة٠٠!!

وتتلاحق نغمات الأضحوكة المهزلة، لتتسع مساحة هاته الأسماء التي أُمسك عن جلبها خشية التعريض وما أشبه٠!٠

**ومن جراح سوء التسمي:**

وفي تصوري أن الانعتاق من هذا الخبط العشوائي يتيسر بتنفيذ خطة إعلامية وتوعية فسيحة المجالات، وأعني مما أعنيه تلاقي عمل المربي المدرس، والخطيب الجمعي، والكاتب الإعلامي، والمسؤول الإداري - من بالبلديات أو بالقنصليات٠٠

ما ذلك إلا لأن (التسمي) وإن كان يهم الوالدين أساسا، فهو بدرجة مساوية حق من حقوق الطفل، برعايته - أفضل رعاية - تخطو خطوة مباركة نحو حماية الأطفال من إيقاعهم في هوة انكسار الشخصية، وإضرام التأزم، وزرع العقد من انطواء وخجل ونقمة، وتهيئة فتيل التنابز بالألقاب.. وعساك سبقتني الى استنتاج أننا نطمح الى الإستجابة الجماعية الراسخة الى النداء النبوي:

**«إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»(١١).**

**ولله الأسماء الحسنى..:**

كلنا ندرك ما لأسماء الله الحسنى من نورانية وبركات وجلال، إذا دعي بها تعالى أجاب، وإذا استفرج بها عز وجل فرّج.. ومن عنايته الرحيمة برسوله ﷺ أن سماه بأشرف الأسماء.. وإذا (جاز التسمي بأسماء هي صفات لله عز وجل مثل **ملك، وعادل، وكامل، وعزيز، فالاسم غير المسمى**)(١٢)

فإن الإستحياء، والإقلاع عن شتم من تسمى بها وباسم محمد مؤكدان.

وقع أن تسمى أحد أقرباء عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - بمحمد، فحدث أن شتمه رجل مسميا، فإذا عمر يغضب ثائرا، وينظر إلى محمد ولد ابن أخيه قائلا:

«لا أرى محمداً يُسبّ بك، والله لا تُدعى محمدا أبدا ما دمت حيا، وسماه «عبد الرحمن»(١٣).

فإن قيل: وعبد الرحمن!؟

قلت: إذا نشأ شتم سقط على (العبد).

ولست أدرى كيف يستطيع مسلم تسمى بهذا الاسم الكريم، وارتكب الجنايات - أن يواجه عتب رسول الله صلى الله عليه وسلم!؟)(١٤)

وقد جرى في الفطرة البشرية أن يعتز حامل الاسم الطيب باسمه، لكن هل يستفيق - من حين لآخر - إلى ما يوحيه في باطنه من قيم ومعان خلقية فيتصنون عن التقحم على المواطن المشبوهة؟.

ومن المفارقات العجيبة أن كثر على عهدنا من حمّله أبواه! اسم محمد، غير أنه نكص على عقبيه نحو الإلحاد، فكان رأسا من رؤوس الشيوعية أو الوجودية، وفي بلاد العروبة والإسلام! بل ويقود حزبه المرخص له قانونيا بالنشاط جهاراً وبحيازة مقاعد بالمجلس النيابي وكراسي وزارية بين جماعة (محمدين) و(عزيزين) و(كاملين)!!

ولا حول ولا قوة إلا بالله!

---

المراجع والمصادر:


**(١) الترمذي ج٥ ص١٣٢ دار إحياء التراث العربي ببيروت.**

**(٢) الترمذي ج٤ ص١٦١.**

**(٣) أبو داود ج٢ ص١٥٩ كتاب الطب.**

**(٤) مسلم بشرح النووي ج١٤ ص٢٢٠.**

**(٥) مسلم بشرح النووي ج١٤ ص٢١٨ والبخاري بشرح السندي ج٤ ص١٩ وج٤ ص٢٢، والترمذي ج٤ ص١٦١ وأبو داود ج٢ ص١٥٨ وأحمد.**

**(٦) الترمذي ج٥ ص١٣٤ والبخاري ج٤ ص٨١.**

**(٧) البخاري ج٤ ص٧٩ - والحزن ما غلظ من الأرض.**

**(٨) الترمذي ج٥ ص١٣٤.**

**(٩) الحيوان ج١ ص٣٢٤. وانظر: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، فصل: تسمية الأولاد ص٢٢٧ - ٢٣٥ د/عبد السلام الترمانيني - سلسلة عالم المعرفة، ٨ ذو القعدة ١٤٠٤هـ أغسطس ١٩٨٤م.**

**(١٠) الترمذي ج٥ ص١٣٥.**

**(١١) الترغيب والترهيب ج٤ ص١٣٩ أخرجه أبو داود وأحمد.**

**(١٢) جريدة «المسلمون» س٤ ع٢٠٦ عام ١٤٠٩هـ و١٩٨٩م.**

**(١٣) أسد الغابة ترجمة ٤٧٣٨ والإصابة ٧٧٧٥**

**(١٤) الصحابة المحمدون. د/ علي الخطيب. مجلة الأزهر ج٥ س٥٩ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ يناير ١٩٨٧م ص٥٨٦.**

# جروزني

شعر:
أ.د. كمال إسماعيل
- مصر -



يا جروزني هل نعى الناعي
أم دعا للساحة الداعي؟
الرعايا فيك قد وقفت
دون هزّات مع الراعي
ووعى الشيشان موقعهم
في رباط، يكلأ الواعي
وأتت موسكو بشوكتها
وبدبابات إقطاعي

* * *

ويح جنكيز خان، من زمن
شدّ مِن موسكو إلى القاع
وتعاطى فوق رُمّتها
زاده، ثم سعى الساعي
كان حدّادًا بمطرقه
فحباها الرمز في الباع

* * *

شِشْنيا، ما جئتُ متبعا
وردة .. تُزهي بنعناع
أو إلى قيثار جارية
طرت مأخوذا بأسماعي
بل لقوقازية خطبت
«جوهرا»(١) في طول مذياع

* * *

هل أعادوا القيد إسورة
تنشئ الرقّ، لتنماعي؟
أم (لعنقودية) جعلوا
نسلها الفوضى، لترتاعي؟
هذه موسكو بوعكتها
بين إعتام وإطلاع
أمهات تحت لافتة
تشجب الحرب، بإيجاع
وبنُوهنّ بساحتها
ما حدوهُنّ لإقلاع
ولقتلى الجبهة انفلتت
موسكويات لإرجاع
وقطارات، عشاش دم
لا لعرس، أو لإمتاع

بـــل لإبـــلاغ الـــرفـــــــــــــــات، الـــى
مـن يـعــــــــيـــــــــهـــــــــــا ، دون إيــلاغ
بـيـنـمـــــــا فـى زمـــــــهـــــــريـرك مـن
عـــــــاهـدوا الـلـه بـإجـــــــمـــــــاع
ومـــن الـــشـدّة تجـــــــرشـــــــهـم
مـــــــثـلـمـــــــا الـثـلـج ، بـإقـنـاع

* * *

أخت (أنجـــــوشـــــيـــــا) عـــــدوٌّ مـــــصـــــا
فـــــيـك لاقـى لصٌ أقـــــمـــــاعـى
وتمـــــلاه بـــــأغـــــنـــــيـــــةٍ
وتـهــــــجـــــاه بـإيـقـــــاع
وعـــن الـبـــــــوسـنـة، أومـــــــأ، عـن
قـــــاع ضـــــرس، غـــــيـــــر منصـــــاع
هـــا هـــى الـبـلـــــقـــــان فـى تـعـب
مـنـهـــــمـــــا ، لاذت بمـصـــــراع
وجـــــروزنى غـــــيـــــر خـــــامـــــدة
عـنـد ردّ الـصـــــاع بـالـصـــــاع

* * *

بـنـت أزمـــــيـــــر وأنـقـــــرة
مـــــا الـذى حل بـأشـــــيـــــاعى؟
فـــــارقـــــوا بـعـــــضـــــا على سـبـل
ذات أشـــــكـــــال وأنـــــواع
وقـــــديمـا دوّخـــــوا مـــــدنـاً
لـم تـخـــــاصـــــرهـم بـأطـمـــــاع
هـل نـزلـنـا عـن قـــــصـــــائـدنـا
نحـــــو أزجـــــال ، وأســـــجـــــاع؟
فـــــانحـــــنـى ديـوان ســـــؤددنـا
لجـــــديـد ، غـــــيـــــر سطـاع
أم تحـــــامـــــتـنـا الـقـــــلاع، ومـــــا
أيُّ مُستعْصٍ كـــــمـــــطـواع
هـل لـعـلمـــــانـيـــــة فـــــقـــــهٌ مـــــا
تـــــخـــــطـــــب الـــــروح بـالمـــــاع؟

* * *

لا تـــؤدّى جـــــــــزيـــة أبـــدا
لـــدمـــــيـم الـــنـفـس ، مـنـاع
أنـــت إن أديـــت يـــوم غـــــــد
فـــــهـــو شـــاريكِ، ومـــبـــتـــاعى
إن فـى الإمـكـان مـــــعَـــــجـــزة
لـبـنـى عـــمـــرو وقـــعـــقـــاع
حـــسـن الـهـــيـــثـم خـــبـــأهـا
فـى المـنـاظـيـــر، بمـقـــلاع
هـــى مـــن زاويـــة، حـــجـــرُ
الـدولـة الـعـظـمـى، بـإشـــعـــاعـى

# مشاهد الحساب في القصص النبوي ٢٦

من ركائز الإيمان فى الدين الإسلامى الإيمان بيوم الحساب لما فى ذلك من صلاح أمر الدنيا والآخرة. وقد كثر الحديث فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة عن يوم الحساب، ويوم الحساب يعنى أن يحاسب الله بنى الإنسان بل المخلوقات على أعمالهم ويجازيهم يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين: (فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

ومعنى الحساب العد والإحصاء والتقدير، ومعناه هنا - كما يقول القرطبي - (١) أن البارى - سبحانه - يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر. وجاء عن النبى **(صلى الله عليه وسلم)** أنه قال: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان) وقال تعالى: (إن الينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم).

وفى الخبر: أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له: يا شيخ ما أنصفت، غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبرتك عصيتنى، أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك، اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل، وإنه ليوتى بالشاب كثير الذنوب، فإذا وقف تضعضعت أركانه، واصطكت ركبتاه، فيقول الرب - جل جلاله - أما استحييتنى، أما راقبتنى، أما خشيت نقمتى، أما علمت أنى مطلع عليك ، خذوه إلى أمه الهاوية.

فقيل إن الله يكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا، ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة. وقيل يحاسب الجميع لقوله تعالى: **(ما خَلْقُكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)**.

ويروى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - حين سئل عن محاسبة الخلق فقال: كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة.

وليوم القيامة أسماء كثيرة كلها تؤدى الى الحساب أو الخوف من نتائجه، فمن أسمائه يوم المحاسبة، ويوم المساءلة ، ويوم القصاص، ويوم القضاء، ويوم الجزاء، ويوم الوزن ويوم الحكم، ويوم الفصل، ويوم الحساب، ويوم تُبْلى السرائر، ويوم التَّلاق، وغير ذلك من الأسماء التى تحمل المحاسبة والمساءلة على ما قدمه الإنسان في الدنيا. وقد قال المفسرون فى معنى قوله تعالى: (يوم يقومُ الناس لرب العالمين) إنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون وقيل يقومون ثلاثمائة سنة، وقيل يقومون أربعين ألف سنة، ويقضى بينهم فى مقدار عشرة آلاف سنة. كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)(٢)، وقال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)**

# ـساب فى القصص النبوى (١-٢)

لبشير الغفارى: (كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر) قال بشير: المستعان الله، قال: فإذا أويت الى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب) وقد قيل لرسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** ما أطول هذا اليوم؟ فقال: (والذى نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا)· وروي عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن النبى - **صلى الله عليه وسلم** - قال: **(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخفف الحساب على من حاسب نفسه فى الدنيا)**·

ويقال إن العرض قبل الحساب، لما رواه ابن كثير عن الإمام أحمد عن أبى موسى قال: قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** **(يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)**· ذلك لأن الحساب عذاب، حيث جاء عن عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** «من حوسب يوم القيامة عذب» قالت فقلت يارسول الله: أليس قد قال الله **(فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)** فقال: (ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) وفى رواية: ولكن من نوقش الحساب يهلك)·




**بقلم: أ·د· عبد الباسط حمودة**

كلية التربية - جامعة الملك فيصل - الاحساء


ومن القصص النبوى عن يوم العرض ما رُوي عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** **«تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله»** وجاء فى رواية أخرى: **(يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال، وأما الثالثة فتطاير الكتب يمينا وشمالا)**(٣) وتأتى رواية ثالثة توضح الموقف يوم القيامة: **(إن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف، فالجدال لأهل الأهواء، يجادلون، لأنهم لا يعرفون ربهم، فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم، والمعاذير لله تعالى، يعتذر الكريم الى آدم والى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم إلى النار، فإنه يحب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرا حتى لا تأخذهم الحيرة)**·

وفى رواية عن رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** تكمل الرواية السابقة: (لا أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، والعرضة الثالثة للمؤمنين، وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم فى تلك الخلوات، من يريد أن يعاتبهم حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرقا بين يديه، ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم) وقال أيضا: **(الكتب كلها تحت العرش، فإذا كان يوم الموقف بعث الله ريحا فتطيرها بالأيمان والشمائل، أو لخط فيها:**

**(اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)**.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - : **(ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز)**.

ومن القصص النبوى ما يبين مكانة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - يوم القيامة، فقد روى عن رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)**: **(أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، فقيل له: أين يكون أبو بكر يارسول الله؟ قال: هيهات زفته الملائكة إلى الجنان)**. ويوجه الله تعالى خطابه الى عباده المؤمنين يوم القيامة، كما جاء فى قصة نبوية تقول: **(إن الله - تبارك وتعالى - ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين، يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم، فإنكم مسئولون محاسبون، يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب)** و(ويجاء يوم القيامة بصحف مختومة، فتنصب بين يدى الله - عز وجل - فيقول الله تعالى: **ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: وعزتك ما رأينا إلا خيرا، فيقول الله عز وجل - وهو أعلم - إن هذا كان لغيرى، ولا أقبل من العمل إلا ما ابتغى به وجهى)**.

ويصور القصص النبوى يوم القيامة ما يكون عليه المسلم وما يكون عليه الكافر، فقد جاء فى رواية عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى(٤) **(صلى الله عليه وسلم)** فى قوله تعالى: **«يوم ندعو كل أناس بإمامهم»** قال: يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا، حتى يأتيهم، ويقول أبشروا لكل مسلم مثل هذا، قال: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعا على صورة آدم، ويلبس تاجا من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، قال فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا).

وجاء فى القصص النبوى ما يكشف عن أول من يحاسب يوم القيامة، وعن أى شيء يحاسب العبد، وكيفية محاسبة الشهداء، وشهادة النبى **(صلى الله عليه وسلم)** على أمته، وسؤال الأنبياء، وشهادة الأرض والليالى والأيام، وشهادة أركان الكافر عليه، وكذلك صورة مانعى الزكاة، وصورة الولاة، ومواقف من القصاص يوم الحساب وغير ذلك من الصور التي تدعو الى الرغبة والرهبة والاستعداد ليوم الجزاء، وذلك كله يحفز إلى نشر جوانب الخير فى الدنيا وشيوع الحق والفضيلة في الدنيا.

روى أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: لما نزلت هذه الآية **(ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)** قال الناس، يارسول الله، عن أى نعيم نسأل، فإنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: (إن ذلك سيكون) وقال: **(إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعنى العبد - أن يقال له ألم أنصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد)، و(ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها؟) و(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن عمله ما عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما**

**أنفقه؟) و(وإذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله) و(يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، قال: فيقول: إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم. قال: فيعطى صحيفة حسناته.**

وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائق، هؤلاء الذين كذبوا على الله (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) و(يدنى الله العبد منه يوم القيامة، ويضع عليه كنفه، فيستره من الخلائق كلها، ويدفع إليه كتابه فى ذلك الستر، فيقول له: اقرأ يا ابن آدم كتابك، قال فيمر بالحسنة فيبيض وجهه، ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه، قال: فيقول الله تعالى له: أتعرف يا عبدى؟ قال: فيقول: نعم يارب أعرف ، قال: فيقول: إنى أعرف بها منك، قد غفرتها لك، فلا تزال حسنة تقبل فيسجد، وسيئة تغفر فيسجد، فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك، حتى ينادى الخلائق بعضها بعضا: طوبى لهذا العبد الذى لم يعص قط، ولا يدرون ما قد لقى فيما بينه وبين الله ـ تعالى ـ مما قد وقفه عليه) و(يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وتخبأ كبارها، فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا ثلاث مرات، قال: وهو يقر ليس ينكر، قال: وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، قال: فإذا أراد الله به خيرا قال: اعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول حين طمع: يارب إن لى ذنوبا ما رأيتها هاهنا، قال: فلقد رأيت رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**) ضحك حتى بدت نواجذه، ثم تلا (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات).

وجاء فى القصص النبوى أن أول من يحاسب من الأمم يوم القيامة، أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) كما جاء فى رواية (نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون والأولون) وفى رواية (فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غُرًّا محجلين من آثار الوضوء، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها).

وفى القصص النبوى ما يبين تيسير الله على هذه الأمة، وستره على عبده المؤمن، يقول النبى (صلى الله عليه وسلم)(٥): (عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه) ويقول: (سألت الله أن يجعل حساب أمتى إليّ، لئلا تفتضح عند الأمم، فأوحى الله إليّ: يا محمد بل أنا أحاسبهم، فإن كان منهم زلة سترتها عنك، لئلا تفتضح عندك) ويقول أيضا: (ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا).

و(إذا كان يوم القيامة، ضرب الله على هذه الأمة بسرادق من زمرد أخضر، ثم نادى مناد من قبل الله ـ تعالى ـ يا أمة محمد إن الله ـ تعالى ـ قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض، ألا فهلموا إلى الحساب) و(واذا كان يوم القيامة، دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وبقى الذين عليهم المظالم، نادى مناد من تحت العرش: يا أيها الجمع تتاركوا المظلم وثوابكم على) و(قصاص أهل الذمة من أمتى يوم القيامة يخفف عنهم من عذابهم).

وجاء فى القصص النبوى أن الحساب يشدد فى الاعتداء على حرمة الإنسان وسفك الدماء، وفى عدم نصرة المظلوم، وفى ترك الصلاة والتهاون فى أركانها. فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٦): (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء) وفى رواية أخرى:( أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء) وفى تصوير واقعى بليغ يقول: (فيكون أول ما يقضى بينهم فى الدماء ويأتى كل قتيل قتل فى سبيل الله، فيأمر

الله كل من قتل فيحمل رأسه، وتشخب أوداجه دما، فيقول: يارب سل هذا فيم قتلني؟ فيقول الله - تعالى - له - وهو أعلم - فيم قتلته؟ فيقول يارب لتكون العزة لي، فيقول الله - تعالى - تعست ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها، ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله - تعالى - إن شاء عذبه وإن شاء رحمه) و(ويأتي المقتول معلقا رأسه بإحدى يديه متلببا قاتله بيده الأخرى، تشخب أوداجه دما، حتى يوقفا، فيقول المقتول لله - سبحانه - هذا قتلني، فيقول الله - تعالى - للقاتل: تعست، ويذهب به الى النار).

هذه المشاهد التي يصورها القصص النبوي في يوم الحساب، هي مشاهد حقيقية، جاءت عن طريق إخبار الله للنبي **(صلى الله عليه وسلم)** وكان للبلاغة النبوية تأثير رائع في إخراج هذه الصور التي تبعث في النفس كل رهبة وخشية، فتنأى عن القتل وسفك الدماء وتحافظ على الأرواح والأعراض، فالقصاص في الآخرة هو امتداد للقصاص في الدنيا، وبذلك يتحقق الأمن والأمان في دنيا الناس.

ومن المشاهد التي ينقلها القصص النبوي صورة العبد يوم القيامة، عندما يعرض على ربه فلا يسأله عن أي عمل عمله قبل أن يسأل عن الصلاة، وعن حسن أدائها بشروطها وأركانها، فإن صحت صلاته صحت كل أعماله، وذلك لأن الصلاة تجمع العقيدة قولا وعملا **(وما كان الله ليضيع إيمانكم)** أي صلاتكم. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي **(صلى الله عليه وسلم)** **(أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا - عز وجل - لملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة، كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك) و(من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه، زيد فيها من تسبيحاته حتى تتم).**

ويعرض القصص النبوي صورة أناس يتقاعسون عن الجهر بالحق ونصرة المظلومين خوفا من الناس أو نفاقا لبعضهم، فعن أبي سعيد الخدري(٧) قال: قال رسول الله **(صلى الله عليه وسلم)** **(لا يحقرن أحدكم نفسه، إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه، فيقول يوم القيامة ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه، فيقول له: أي ربي خفت الناس، فيقال: إياي كنت أحق أن تخاف) و(لا يقفن أحدكم على رجل يضرب ظلما، فإن لعنة الله تنزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه).** ونسوق مجموعة من القصص النبوي الذي يصور إتيان الله بالشهداء من خلقه ليشهدوا على الإنسان، فتشهد الأعضاء والأركان، وتشهد الأيام والليالي، ويشهد الملائكة والأنبياء.

ويتجلى في هذه الوقائع والمشاهد الإعجاز النبوي في الإخبار عن الغيب الذي هو من خصائص الأنبياء، وجمال الأسلوب في براعة التصوير الذي يفيض بالبلاغة المقتضية للحال والمقام، والتجسيم الذي تبدو ملامحه من خلال السرد والحوار، والجواب على السؤال، وتنقل الخطاب بين الخالق والملائكة والأنبياء والعباد وغيرهم من المخلوقين.

روى أبو سعيد عن النبي **(صلى الله عليه وسلم)** قال: **(يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -**

فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)٠

وجاء في قصة أخرى (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)٠

وفي قصة جامعة تصور الملائكة المقربين والرسل أجمعين في خطاب مع رب العالمين عن تبليغ العهود والرسالات للأمم٠ فعن حيان بن أبي جبلة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٨): إذا جمع الله عباده يوم القيامة، كان أول من يدعى اسرافيل - عليه السلام - فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي، هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم، قد بلغت جبريل، فيدعى جبريل - عليه السلام - فيقول: هل بلغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم يارب قد بلغني، فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ فيقول جبريل: نعم، قد بلغت الرسل فيدعى الرسل، فيقول: هل بلغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلى عن جبريل. ثم يقال للرسل: هل بلغتم عهدي؟ فيقولون: قد بلغنا أممنا، فتدعى الأمم، فيقال لهم: هل بلغكم الرسل عهدي؟ فمنهم المصدق ومنهم المكذب، فتقول الرسل: إن لنا عليهم شهوداً، يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون محمد وأمته، فتدعى أمة محمد، فيقول: تشهدون أن رسلي هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى من أرسلوا إليه؟ فيقولون: نعم، رب شهدنا أن قد بلغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول لهم الرب: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولا، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصك علينا إنهم قد بلغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا، فذلك قوله - عز وجل - «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» والوسط العدل «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»٠

ويقال:(٩) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) يشهد على أمته يوم القيامة، حيث تعرض عليه أعمالها كل يوم غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فذلك قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)٠

ويشهد الرسل على أممهم كما جاء في قول الله تعالى: (ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم) ولكل نفس سائق يسوقها الى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت، لقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)٠

---

« للحديث صلة »

الهوامش:

(١) التذكرة ص٢٥٦

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٨٤ وص٤١٩، ص٤١٤

(٣) التذكرة ص٢٩٠

(٤) القرطبي في التذكرة ص٢٩٢ وابن كثير جـ٣ ص٥٢٠

(٥) كنز العمال جـ١٤ ص٣٦٩ ومنتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٠٠

(٦) التذكرة ص٣٢١٠

(٧) القرطبي: التذكرة ص٣٢٥

(٨) القرطبي: التذكرة ص٣٣٤٠

(٩) القرطبي: التذكرة ص٣٢٦٠

# «الإمام ابن قتيبة»

صاحب «أدب الكاتب» وعيون الأخبار

بقلم:
محمد بن عبد الرحمن
آل إسماعيل ـ الأحساء

«الحلقة الأولى»

عالمنا هذا إمام في الأدب ، واللغة والفقه والحديث، والتفسير، والفلك، والتأريخ، إمام في سائر العلوم الإسلامية واللسانية. هذا هو شأن علماء المسلمين، وهو الذي جعلهم يبرزون على غيرهم، وهو الذي جعل المكتبات في العالم تزخر بالنافع والمفيد في شتى العلوم والمعارف لأنهم يؤمنون بأن العلوم بعضها يأخذ برقاب بعض فإذا كتب العالم المسلم في الشرع فلا بُد له من إقناع الآخرين، إذا هو بحاجة الى (علم البيان)، ولابُدَّ أن يبين الفاعل والمفعول به والداخل في قضيته والمستثنى منها، إذا لابد له من معرفة (علم النحو)، ثم إنه يحتاج في حديثه الى تمهيد وتوطئة ليسهل جذب القارىء أو السامع بالأسلوب الجذاب، إذاً لابد له من معرفة (علم الأدب)، وسوف يستشهد بوقائع، إذاً لابد له من معرفة (التاريخ)، وهناك مواسم وأوقات لبعض العبادات، إذا لابد أن يعرف شيئاً من (علم الفلك)، وهو أساساً مستدل بالكتاب الكريم، إذاً سيكون مستحضراً الآية الكريمة وتفسيرها وشيئاً من الغريب وفقه اللغة، ومستدل كذلك بالسنة المطهرة، إذاً لابد أن يعرف صحة الحديث المستشهد به.. وهلم جرا. إذاً لا غرابة أن يكون علماء المسلمين متخصصين في أكثر من فن «فابن قتيبة» و«ابن جرير» و«ابن حزم»، و«النووى» و«ابن قدامة» و«الذهبي» و«ابن كثير» و«ابن تيمية» و«ابن القيم» و«السيوطي» وغيرهم، قد نهجو هذا النهج في شمولية المعرفة. قدمت بهذه التقدمة، حتى يزول الاستغراب عن مثقفينا وشباب هذا العصر، حيث ترى دكتوراً، يكتب في قضية من القضايا، لا يلتزم بالقواعد النحوية، يرفع المنصوب، وينصب المرفوع، ويحرك المجزوم!! فإذا ما ناقشته أجابك بأنه لم يتخصص في النحو، وما درى أن العلوم اللسانية من نحو ولغة وبيان هي القنطرة للعلوم الإسلامية وغيرها! بل لكل العلوم فهي الجسر الموصل وبدونها تنقطع العلوم.

ترجمته:

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي، وقيل المروزي، كانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين ولد ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدينور مدة قاضياً فنسب إليها(١).

وهو صاحب المؤلفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة اشتغل ببغداد، وسمع بها الحديث على (اسحاق بن راهويه)، وطبقته، وأخذ اللغة عن (أبى حاتم السجستاني) وذويه(٢)، وروى عن «الدباسي»، و«أبى سعيد الضرير»(٣) قال (ابن خلّكان) سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبى إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي، وأبى حاتم السجستاني وتلك الطبقة»(٤). وأخذ عن غيرهم الفقه والحديث واللغة.

وأجمع علماء التراجم على أن (ابن قتيبة) من أسرة فارسية، كانت تقطن مدينة «مرو» وأنه ولد أواخر خلافة (المأمون بن هارون الرشيد) كما أنهم اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التي كانت حاضرة الخلافة الإسلامية، وموطن العلماء الأعلام فى كل فن، وكعبة العلم التى يحج إليها رواد الثقافة والمعرفة من جميع أنحاء البلاد الإسلامية»(٥).

روى عنه ابنه أحمد، وعبد الله بن درستويه الفارسى(٦) وعبد الله بن عبد الرحمن السكري

مكانته العلمية ودفع ما نُسب إليه:

هذا الإمام الجليل ابتُلي مثل غيره، فقيل فيه، وتقول عليه، ونُسب إليه، ولكن الله سبحانه وتعالى، أخرج له من ينتصر له ويذبّ عنه من رجال عدول، يرجع إليهم في الجرح والتعديل.

قال عنه: (شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية) قدّس الله روحه في تفسيره لسورة الإخلاص، وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة وقال فيه صاحب كتاب «التحديث بمناقب أهل الحديث»: وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً، وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل الى (مذهب أحمد وإسحاق)، وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون: من استجاز الوقيعة في «ابن قتيبة» يُتَّهم بالزندقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه. قلتُ: ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة.

ثم قال «شيخ الإسلام»: وأما اللغويون الذين يقولون: إن الراسخين لا يعلمون معنى المتشابه، فهم متناقضون الى أن قال: وابن الأنباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاماً في معانى الآي المتشابهات يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف ويحتج لما يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة، وهو قصده بذلك الإنكار على ابن قتيبة، (وليس هو أعلم بمعاني القرآن

(ابن كثير)

والحديث، واتباعاً للسنة من «ابن قتيبة»، ولا أفقه في ذلك، وإن كان ابن الأنباري من أحفظ الناس للغة، لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة ) وقد نقم هو وغيره على (ابن قتيبة) كونه رد على «أبي عبيد» أشياء، وسلك من تفسير غريب الحديث، وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم، وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطئون أخرى(٧).

وإليك الآن ما قاله فيه أهل العلم والإتقان في علمه وتمكنه وتقدمه (يرحمه الله).

قال الخطيب البغدادي (يرحمه الله) كان ثقة ديناً فاضلاً.

وقال في المتفق: شهرته ظاهرة في العلم، ومحله من الأدب، لا يحقر(٨).

وقال مسلمة بن قاسم: كان لغوياً كثير التأليف عالماً بالتصنيف، صدوقاً من أهل السنة، يقال كان يذهب الى قول إسحاق بن راهويه، وسمعت محمد بن زكريا بن عبد الأعلى يقول: كان ابن قتيبة يذهب الى مذهب (مالك) وقال نفطويه: كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوده، وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه.

وقال «ابن حزم» كان ثقة في دينه وعلمه، وقال «النديم»: كان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وكتبه مرغوب فيها وذكر من كتبه نحواً من ستين كتاباً(٩).

وقال «الحافظ ابن كثير»: ابن قتيبة أحد العلماء والأدباء، والحفاظ الأذكياء، وقد تقدمت ترجمته، وكان ثقة نبيلا، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه(١٠).

وقال صاحب شذرات الذهب: وكان فاضلاً ثقة سكن بغداد الخ(١١).

وقال صاحب: تاريخ آداب اللغة العربية: «وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع، متفنناً فى العلوم فيما يرويه، مستقل الفكر جريئاً فى قول الحق، وهو أول من تجرأ على النقد الأدبي فألف فى أكثر فنون الأدب المعروفة والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من أمهات كتب التاريخ والأدب(١٢).

وقال عنه النووي (يرحمه الله): اللغوي الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جداً، رأيت فهرستها ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين مصنفاً فى أنواع العلوم، فمن كتبه التي رأيتها غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار(١٣).

وفاته يرحمه الله:

توفي في ذي القعدة سنة سبعين، وقيل سنة إحدى وسبعين ومائتين، وكانت وفاته فجأة حيث صاح صيحة سُمعت من بُعد، ثم أغمي عليه ومات. وقيل: أكل هريسة فأصابته حرارة، ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه الى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ فمازال يتشهد الى وقت السحر، ثم مات يرحمه الله تعالى(١٤).

بعض مؤلفاته:

«غريب القرآن - مشكل القرآن - معاني القرآن - كتاب القراءات - إعراب القراءات - الرَّد على القائل بخلق القرآن - آداب القراءة - غريب الحديث - مشكل الحديث - تأويل مختلف الحديث - إصلاح غلط أبي عبيد - المسائل والأجوبة - دلائل النبوة - جوامع الفقه - كتاب التفقيه - كتاب الأشربة - الرد على المشبهة - أدب الكاتب - عيون الشعر - كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر - معاني الشعر الكبير - كتاب المعاني - ديوان الكتاب - تقويم اللسان - خلق الإنسان - كتاب الخيل - كتاب الأنواء - جامع النحو الكبير - جامع النحو الصغير - الميسر والقداح - فضل العرب على العجم - التسوية بين العرب والعجم - المعارف - عيون الأخبار - طبقات الشعراء - كتاب الحكاية والمحكي - كتاب فرائد الدرر - حكم الأمثال - آداب المعاشرة - كتاب العلم - كتاب القلم - الجوابات الحاضرة - تعبير الرؤيا - تاريخ ابن قتيبة - كتاب الجراثيم - كتاب الفرس في معاني الشعر - الإمامة والسياسة(١٥) وهذا مشكوك فى نسبته الى (ابن قتيبة) وسوف نتطرق الى هذا فيما بعد إن شاء الله تعالى.

---

**«للموضوع صلة»**

**المصادر والمراجع:**

**(١) وفيات الأعيان ج٣ ص٤٣.**

**(٢) البداية ج١١ ص٤٨.**

**(٣) لسان الميزان ج٣ ص ٣٥٩.**

**(٤) وفيات الأعيان ج٣ ص٤٢.**

**(٥) مقدمة كتاب تأويل مختلف الحديث.**

**(٦) وفيات الأعيان ج٣ ص٤٢.**

**(٧) دقائق التفسير ج٦ ص٤٤٤، ٤٥٣.**

**(٨) لسان الميزان ج٣ ص٣٥٧، ٣٥٨.**

**(٩) لسان الميزان ج٣ ص٣٥٨.**

**(١٠) البداية ج١١ ص٥٧.**

**(١١) شذرات الذهب ج٢ ص١٦٩.**

**(١٢) شذرات الذهب ج٢ ص٤٧٨، ٤٧٩.**

**(١٣) تهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٢٨١.**

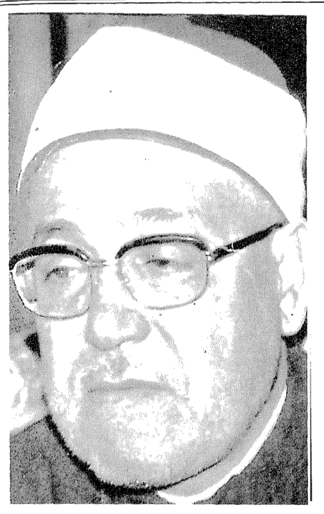
**(١٤) وفيات الأعيان ج٣ ص٤٣.**

**(١٥) مصادر مؤلفاته (يرحمه الله): «مقدمة كتاب عيون الأخبار - لسان الميزان ج٣ ص٣٥٨ - شذرات الذهب ج٢ ص١٦٩ - البداية ج١١ ص٤٨ - وفيات الأعيان ج٣ ص٤٢، ٤٣ - مقدمة تأويل مختلف الحديث - تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٤٧٩، ٤٨٠ - مقدمة أدب الكاتب - كشف الظنون ج٥ ص٤٤١ - دائرة معارف القرن العشرين ج٧ ص٦٣١ - الأعلام ج٤ ص١٣٧».**

دار الفكر للنشر والتوزيع (صورة باهتة مموهة)

## رجال في الذاكرة ٢٩

# الشيخ (محمد الغزالى)



محمد الغزالى من أكبر دعاة الإسلام فى هذا العصر إن لم يكن أكبرهم جميعا! فإنه يملك مع روعة البرهان وقوة الإيمان، وصلابة العقيدة أسلوبا حارا يتوهج حمية، ويلتهب غيرة، أسلوباً يملك مشاعر المستمع حين يكون الغزالى خطيبا، ويأسر عواطفه حين يكون الغزالى كاتبا، وهو من الأستاذ حسن البنا رضى الله عنه بمنزله محمد عبده من جمال الدين الأفغانى، إذ شرح أصول فكرته، وحلل عناصر دعوته، وأيد مسعاه بالفكر المستنير والرأى الصائب، وقد رزق الله مؤلفاته خطوة بالغة لدى الخاصة والعامة فكونت مكتبة إسلامية تقف فى وجه الطوفان الزاحف من بلاد العداء الصارخ، فتكتسح الباطل وتنصر الحق،

وكان من حظى أن أتابع هذه المؤلفات وأن أكتب عنها فى تقدير وإجلال، وإذ كنت أستضئ بنورها فى كل اتجاه، وقد نشرت بعض ما كتبت عن مؤلفات الأستاذ فى الجزء الثاني من كتابي (من منطلق إسلامى) ثم عثرت على كتابات أخرى سأحاول نشرها فى مجموعة ثالثة ، ومن بينها ما نشرته بمجلة الرسالة العدد

(٩٤٥) بتاريخ ١٣/٨/١٩٥١م عن كتابه (الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين) حيث كان هذا الكتاب صيحة عالية تواجه من يحاربون الشيوعية لحساب الرأسمالية باسم الاسلام، ومن يحاربون الرأسمالية لحساب الشيوعية باسم الاسلام أيضا، والإسلام كما يقول الأستاذ ينظر الى الرأسمالية والشيوعية معا نظرة عداء واحتقار، لأن له نظرته المستقلة التي تعمل على إسعاد البشرية جميعا فى ظلال صادقة من الإخاء والحرية والمساواة، وأذكر أنى قلت فى الخاتمة «لقد فهم الأستاذ محمد الغزالى الفقه الإسلامى، وأدرك أصوله ومنازعه إدراكا يمده الذكاء الثاقب، والنقد البصير كما ألم بمشكلات عصره وعلل مجتمعه، وأخذ يستلهم السماء فى إصلاح الأرض ويضمد بالوحى الالهي والهدي النبوي جراح الأمة الإسلامية الناغرة» وأنا أقول الأمة الاسلامية عن قصد لأن الداعية الكبير يحمل على كاهله هموم المسلمين فى كل مكام، شرقا وغربا، فما يفجأ الناس حادث فى بلد ما من بلاد الاسلام حتى يكون أول الداعين الى إقالة العثرة ونصرة اللهيف، لأن وطنه هو الإسلام حيث امتد ورفرف، وقد قال أحمد شوقى فى تقدير المجاهد الاسلامى الكبير عبد العزيز جاويش أبياتاً رائعة، تصلح أن تقال فى جهاد الأستاذ محمد الغزالى، إذ نعى الناس عليه اهتمامه بمصائب العالم الإسلامى، والناس هنا هم الذين فى قلوبهم مرض ممن لا يشعرون بأخوة الإسلام، وترابط المسلمين حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى قال أحمد شوقى:

لقد نسى القوم أمس القريب ... فهل لأحاديثه من معيد

يقولون ما (لأبى ناصر) ... وللترك ما شأنه والهنود

وفيم تحمل همَّ القريب ... من المسلمين وهمَّ البعيد

فقلت وما ضركم أن يقوم ... من المسلمين إمام رشيد؟

أتستكثرون لهم واحدا ... ولّى القديم نصير الجديد؟

سعى يؤلف بين القلوب ... فلم يَعْدُ هدى الكتاب المجيد

وللقوم حتى وراء القفار ... دعاة تغنى، ورسل تشيد

**( فى السعودية )**

**بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى**
**- المنصورة -**

ولا أستطيع أن ألمَّ بذكرياتى جميعها مع الأستاذ الغزالى، ولكنى أكتفى ببعض ما يلقى الضوء على ضروب من جهاده المتعدد الأنحاء، حيث ألمحت الى مواقف من نضاله فى مقال صادق كتبته لمناسبة ملزمة، فقد جاء الأستاذ الغزالى أستاذاً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بعد أن اصطدم بأولى الأمر اصطداما مدوياً حين خالف ما يراد من تشريع يخالف الإسلام فى شئون المرأة، فجهر برأيه الناقد، ثم رأى أن يستجيب الى دعوة السعودية فنزل أم القرى علماً بارزا، ومصباحاً مضيئا، وقابله ذوو الفضل مقابلة تليق بمقامه الجليل، ولكن نفرا ممن يحسبون كلّ صيحة عليهم قد تحاشوا لقاء الأستاذ، ظنّا منهم أن الاتصال به يعنى منابذة أولى الأمر فى مصر، وقد علمت بذلك وأنا بالرياض أستاذا

بجامعة الامام محمد بن سعود، فكتبت مقالا صادقا أرحب فيه بوفود الاستاذ الكبير علينا بالسعودية، منتهزاً قراءة حديث له بجريدة عكاظ، وبادرت بنشر مقالى بجريدة الرياض الصادرة في ١٣/١٢/١٣٩٤هـ تحت عنوان «مرحبا بالشيخ الغزالى، وفيه أقول:

«لقد سئل الأستاذ عن عدد مؤلفاته فذكر أنها فوق الثلاثين،

وأحب أن أوضح أن المسألة ليست مسألة عدد. فإن كل مؤلف للأستاذ يقوم مقام جامعة حية تمتع العقل، وتلهب الشعور، لأن الكاتب ذو رسالة هادفة، فهو أحد القائمين بقلمه الباتر، ولسانه المؤمن على ثغرٍ من أكبر الثغور خطرا ومهابة، يزود أراجيف الأعداء،

فيبدد أحقاد الصليبية الغادرة، والصهيونية الماكرة، فى عزيمة صارمة لا تعرف المهادنة، وأعداء الفكرة الإسلامية فى الشرق والغرب يرونه خصمهم الألد، فيحاربونه بكل سلاح،

ولكن الله عز وجل يمده بالنصر تأكيداً لقوله « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين».

نشأ الغزالى مجاهدا دائم الحركة، كان فى شبابه الأول يقف مع الاسلام أمام الانتهازية التى شوهت معانى الشريعة،

فادعت أن الاسلام يميل الى الزهد والتقشف، ولهؤلاء أجراء من عبيد القلم، يؤيدون افتراءهم بالآية المحرفة، والحديث المفترى، والتاريخ الكاذب، حتى جاءت مؤلفات الغزالى تشرق بنور الإسلام فتوضح سياسته فى المال والعقار مؤكدة حق المسلم فى التمتع بثمار الحياة، وبغى الظالم فى استنزاف الدماء وكسب الحرام، ثم جاء عهد وجدت فيه الشيوعية الكافرة ألسنة تهتف بمبادئها، ويتسمى أصحابها بأسماء المسلمين، وقد سيطروا على منافذ الرأى ، ووجدوا فى المنابر العالية، والجرائد الكبرى، والإذاعات العامة ميداناً لترويج الباطل، ثم رأوا من عون الحاكم المتمكن ما مهد لهم طريق السيطرة والنفوذ، ولكن الغزالى حفظه الله يهتف فى الظلام بكفر الشيوعية، ولا يجد فى بلده من يجرؤ على طبع مؤلفاته، فيتجه بها إلى غيرها من البلاد العربية، ليواجه الزحف الأحمر مبينا خطره على الإسلام، ومستهدفاً لأشق ضروب المعاملة من مقاطعة وإرهاق، والرجل صابر محتسب.

ثم تزيد المسألة خطورة، فيتقدم العملاء بسمومهم القاتلة مرجفين بمبادىء الإسلام، ولكن الغزالى يصيح بهم فى أضخم المؤتمرات السياسية ليوضح ماضيهم القذر فى الوصولية والانتهازية ،

فإذا الحقد المسموم يدفع بعض الأغرار الى التهكم بالأستاذ فى صور دنيئة ظهرت بها جريدة الأهرام، فهاج لها الشعب المصرى أكبر هياج، وقمعت نفوس الأوغاد، حين عرفوا أن الغزالى يتكلم باسم الأمة الاسلامية لا باسمه وحده، فآثروا الانزواء.

## (بين محمد عبده والغزالى)

سئل الأستاذ الغزالى فى حديث عكاظ عن الإمام محمد عبده ورأيه فى الشرق والغرب، فأجاب بما ألهمه الله من توفيق، ولست أناقش هنا كلام الغزالى عن الأستاذ الإمام. ولكنى أعلن أن الغزالى قد صار بقوة الله وتأييده خليفة للإمام فى الميدان، ل

قد واجه محمد عبده منذ قرابة قرن حقد الأوربيين على الإسلام فى وقت كانت لهم السيطرة الباغية على أكثر بلاد الحنيفة الزهراء، وقد مكنت لهم قوتهم السياسية من الإرجاف

بالاسلام على أوسع نطاق، فادّعوا له المثالب المفتراة، ورأوا أنْ لا صلاح للمسلمين إلا بهجر مبادئه التي تصادم العقل، وتعرقل أسباب الحضارة، وتصد عن العلم والثقافة.

فانبرى الأستاذ الإمام ليبدد هذه الأراجيف بحجج نارية تلهب المفترين، حتى استطاع بمنطقه المفحم أن يوضح قيادة الإسلام للإنسانية في سبيلها الحضاري المشرق.

فكون رأيا عاما إسلاميا يقف أمام هذه المفتريات فإذا هي هواء، ومضى الأستاذ إلى ربه فزاد بغي الغرب وكثرت في بلاد الإسلام ذيوله، وعملاؤه، فجددوا الهجوم الآفك بسموم غير السموم التي كشفها الأستاذ الإمام.

ولكن الله قد هيأ الأستاذ الغزالي ليكون في طليعة من يحملون الراية بعد الأستاذ الإمام، وكانت المعركة حامية الأوار، ولكنها انجلت عن ظهور الحق ودحر البغاة.

ومضى المقال في مثل هذه المعاني الى أن قلت: إني أباهي بمواقف الغزالي الصارمة في وجوه الضلال إذ هي نماذج تحتذى.

وقد اتخذ من المنبر مذياعا لنشر آرائه التي تحاربها جرائد الوصوليين فلا تسمح بإذاعتها، مع أنها تفرد في الجريدة الواحدة صفحتين لأخبار من تجعلهم نجوم الفن والرياضة!

إن المصريين جميعا يعرفون مواقف الغزالي الجبارة على منابر الجامع الأزهر بالقاهرة وعمرو بن العاص بالفسطاط، وغيرها من منابر عواصم المحافظات.

وهي مواقف ردت للمنابر الاسلامية اعتبارها إذ جعلها الأستاذ ذات رسالة إعلامية ساطعة، وما شرعت الخطب يوم الجمعة في الإسلام، إلا لتؤدي ما أداه الأستاذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعجب ما أعجب له أن هذا الشجاع الصائل في مواقف الخطر، قد تولى إدارات شتى بوزارة الأوقاف فكان بها نسيماً رقيقا يهب على أرواح الضعفاء من طالبي العون والإسعاف، وكم جلس الساعة تلو الساعة في مكتبه المحتشد بذوي المطالب، ليعمل على إنصاف مظلوم أو تعيين عاطل، أو معونة بائس، وإن عينه لتفيض بالدمع حين يجد من مظاهر العوز والحاجة مالا يملك له دفعا أمام اللوائح والقوانين هذا الرقيق الباكي قد واجه أعتى العواصف جريء القلب، شجاع اللسان دون أن يتحيف، ومازال موقفه الناري مما زعموه حقوق المرأة يتردد في كل مكان، إذ وقف أمام رغبة طاغية تؤيدها السلطة بما ملكت من نفوذ، وقد كان يؤازره في موقفه أستاذنا الجليل محمد أبو زهرة فوجّها البحث في شئون المرأة وجهته الصحيحة، وإن ورمت أنوف وتقلصت شفاه».

هذا تركيز لما جاء بمقالي في الرياض تحية للقادم العزيز، وقد قرأه الأستاذ، وتفضل بكتابة رسالة إليّ تحمل شذى أسلوبه المبين.

## ( هموم داعية )

ألف الأستاذ هذا الكتاب في الثمانينيات، وأنا أعرف أن هذه الهموم ليست طارئة عليه، بل بدأ يكابدها منذ امتشق القلم في الأربعينيات، ولكن الذي أحار له هو أن الداعية الكبير لا يحارب في جهة واحدة، بل في جهتين متباينتين، لأن فريقا من الذين لا يفهمون الإسلام على وجهه الصحيح يبيحون لأنفسهم أن يخطئوه بلا هدى ولا كتاب منير، وهم بعد ذوو غيرة إسلامية لا تنكر، وقد بذل الأستاذ في نقاشهم جهودا مضنية، كان الواجب أن يفرغ منها كيلا تعوقه عن منازلة من يلحدون في آيات الله دون وازع، ولكن الأستاذ قد اصطلى بنارين، وحارب في معتركين، والله معه فهو لا يضيع أجر العاملين.

# رحالو القرن التاسع عشر فى النثر الجزائرى الحديث

## ** رحلة «الاغواطي» جاءت

## ** الرحلة «الصيامية» و«القادرية» اتـ...

**الحلقـة السـابقـة من هـذه الرحلة الشيقة تناولت موضوع الـرحلـة إلـى الحـج. . ونمـوذج الدراسة كان رحلة (مـحمـد أبو راس الناصـر الجزائري) وهـى بعنوان (فـتح الإله ومنّتـه فى التحدث بفضل ربي ونعمتـه) وهـذه الـرحلـة ركـزت علـى اللقـاءات العلمـيـة والفكرية مع العلمـاء الذين التـقى بـهم. . والرحلة أيضا كان لها دورها فى ابراز المعالم الحضارية والعمرانية للمدن التى توقف عندها كاتب الرحلة وفى هذه الصفحات نعرض الجزء الثاني والاخير من هذه الدراسة الماتعة.**

ثانيا: الرحلة الجغرافية التاريخية الاستطلاعية:

في هذا النوع من كتابة الرحلة خلال هذا القرن تأتى رحلة «الحاج ابن الدين الأغواطي» بعنوان (رحلة الأغواطي في شمال افريقيا والسودان والدرعية)(٣٠).

وكل ما يعرف عن (ابن الدين) هذا أنه من عائلة تحمل هذا اللقب بمدينة (الأغواط) فى الجنوب الجزائري، كتب الرحلة بالعربية فى النصف الثاني من العشرية الثالثة فى القرن التاسع عشر (في حدود: ١٨٢٦ - ١٨٢٩) بناء على طلب (ويليام ب. هودسون) مساعد القنصل الأمريكى في (الجزائر) في الفترة (١٨٢٥ - ١٨٢٩) مقابل مبلغ مالي غير معلن، فانجز (الأغواطي) عمله هذا وقبض الثمن من (هودسون) ذي النزعة الاستشراقية، الحريص على جمع معلومات جغرافية وتاريخية ولغوية خصوصا من هذه (البربرية) وقام هذا بترجمتها الى الانكليزية، وتبقى طبيعة العلاقة بين الرجلين غامضة، كما بقي النص العربي مجهولا، وهو ما حفز الاستاذ الدكتور (سعد الله) على إعادة النص الى العربية في نحو تسع عشرة صفحة.

وقد تكمن وراء الطلب لإنجاز هذه الرحلة أغراض سياسية، وأهداف مختلفة غير المعلنة.

وقد جمعت في مسارها بين الداخل والخارج، فالرجل من مدينة (الأغواط) ولكنه يبدأ بوصف

الحلقة الأخيرة

# استجابة لاشباع رغبة استشراقية.. مقترنا بالإنبهار والدهشة من مشاهدات التقدم في فرنسا

مدينته (الأغواط) نفسها، بسورها المحصن، وواديها الذي يقسمها قبليا الى فريقين، وأبوابها، ولغة سكانها العربية وملابسهم المميزة ومنتوجها من التمر والعنب والتين وغيرها.

ومنها ينطلق شمالا نحو (تجمعوت) ثم الى (عين ماضي) غربا، فجبال (العمور) التي يصفها بقوله: «ينبع منها نهر كبير يسمى نهر الخير، وهو مشهود عند الجميع، وأرض هذا الجبل صالحة للزراعة، وفيه كل أنواع الخشب، ويقدر طوله وعرضه بحوالي مسافة يومين لكل منهما، والسكان هناك يربون الإبل، وبعضهم يربى المعز والغنم، وهم من أجود الفرسان، ولغتهم هى العربية، ولا يحكمهم أي سلطان، ويقدر عدد المسلمين في جبل عمور بحوالي ستة آلاف شخص، بينما عدد مسلمي عين ماضي حوالي ثلاثمائة رجل، اما مسلمو الأغواط فحوالي ألف»(٣١).

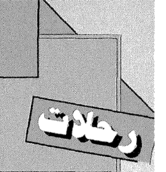
ثم يعود من (عمور) الى (الأغواط) كي ينطلق الى (متليلي) و(وادي ميزاب) و(المنيعة) ثم (ورفلة) التي تفصلها عن «المنيعة ... مسيرة خمسة أيام، بلدة كبيرة جدا، ولها سور يحيط بها، فيه عدة أبواب، ويحكمها سلطان، وهي مقسمة بين ثلاثة عروش»(٣٢) ثم يعود الى الحديث عن المسافة بين (المنيعة) و(توات) تليها مرحلة (تيميمون) التي لا أسوار لها تحميها «لأن منازلها جميعا متراصة»(٣٣) ثم (عين صالح) وواحة (القورارة).

ثم تأتي مرحلة (مالي) أو ما يسمى (السودان) فتبرز فيها محطتا (شنقيط) و(تمبوكتو) ثم العودة الى (توات) بالجزائر، فيرد الحديث من (ورفلة) الى (وادي سوف) فمدينة (غدامس) الليبية على الحدود الجزائرية التي يصفها بقوله: «بلدة كبيرة مبنية بالطين أو الطوب، وفيها تمور كثيرة، وسكانها يتكلمون البربرية، ولباسهم من الصوف والقطن، وبشرتهم سوداء، ونساؤهم متحجبات، وفي غدامس عدد كبير من العلماء والطلبة، وفيها سوق عظيم، ولكن ليس فيها حمامات ولا طواحين.. والمسافة بينها وبين توات تقدر بأربعة وعشرين يوما»(٣٤).

كما يتحدث عن (قابس) و(جربة) التونسيتين، و(تقرت) في الوقت نفسه، ليعود الى الحديث عن (جربة) ثانية ثم (قابس) في أقل من سطر هو «من قابس الى طرابلس عن طريق البر مسافة ستة أيام»(٣٥).

ومباشرة بعد الجملة السابقة يتحدث عن (الدرعية) عاصمة الدولة السعودية الوهابية الأولي(٣٦) «سنصف هذه البلاد وكذلك نجد العرب الوهابيين، إن الدرعية بلدة كبيرة ولها أسوار وعدد كبير من الجنود للدفاع عنها»(٣٧).

ويختم المؤلف بعد ذلك كلامه مصرا على أن




# المستعمر الفرنسي كان أشد حرصاً على تبني هذه الرحلات وتمويلها.

وصفه في رحلته قائم على المشاهدة، لا على مجرد القراءة أو السماع والاستنتاج. من هذا التعبير نفسه، ومن واقع النص ذاته، يلاحظ القارىء أن صياغة الرحلة قامت على السرد التقريري، ولم تلجأ لا في قليل ولا في كثير الى النقل مهما كان شكله من مصادر أو مراجع يوثق بها كلامه، أو يسند بها رأيه، أو يعتمدها في حكمه واستنتاجه.

فهو حاول أن يعين المسالك، ويوضح المعالم، ويحدد المسافات بين المناطق والمدن ويجلي الطبيعة جغرافيا ويوضح هندسة البناء، ونظام الحكم، والتقاليد الاجتماعية وغيرها.

ففي وصف المدينة يذكر المادة التي تبنى بها الدور، فبعضها من طين فقط، وبعضها من طين غالبا ومن حجر قليلا كما يحدد لباس السكان، وطعامهم وبشرتهم، ولغة الحديث، وممارسة العقيدة، وشكل العادات والتقاليد، ووضع المرأة حيث لا وجود في الشارع للنساء «المحترمات» بتعبيره فيكثر ظهورهن في مدن، ويقل في أخرى وينعدم في غيرها، كما يتحدث عن الصراع القبلي في المدينة الواحدة، وطبيعة السلطة فيها، في استقلالية محدودة، أو في عزلة وانزواء أو في تبعية للحكم العثماني، أو سوى ذلك، ومن ذلك الخصومة القائمة على رفض أمر أو واقع كحال فريقي (الأغواط) نفسها، في رفض أحدهما (شيخ البلدة) «وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة»(٣٨).

فعكست (الرحلة) في النهاية كثيرا من الأوضاع المختلفة التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومن ضمنها بدا الحس القبلي الذي سرعان ما أجاد الاستعمار الأوروبي استغلاله للتمكين له على وقع الفرقة والخلاف، حتى على توافه الأمور والثانوي في حياة الناس.

بدا وصف المؤلف ذلك حياديا وبعفوية تامة، اكتسب طابعا تقريريا. غير أن صياغة (الرحلة) في إطارها العام تجعلها تكاد تبدو خالية من التجربة الشخصية المباشرة القائمة فعلا وواقعا على المشاهدة المباشرة فهي خالية من مشاعر صاحبها وانطباعاته إلا نادرا جدا، فغدت تقريرا عاما عن أوضاع وأحوال: إشباعاً لفضول غربي - أمريكي، ومده بمفتاح (للفهم) و(العمل). فكان المؤلف يصف المدن وصفا سطحيا عاما أوضاعا وسكانا وعلاقات وطبيعة سلطة فيها، ولا يعبر عن معايشة حديثة، بل بدا في وضع من يستمد خبرة سابقة ومعلومات قديمة، لذا فهو في وصف المدن ذكر المسافات بالأيام بينها، ولا يصف الطريق بين مدينة وأخرى، فلا يذكر ما رأى فيها، ولا ما اعترضه نحوها من مصاعب، وما شاهد من ظواهر طبيعية وسواها، ولا يمكن أن نخدع تماما بقوله في نهاية (الرحلة) «إن ما سبق هو وصف لما رأيناه»(٣٩).

بدا وراء الرجل إحساس قوي ان هناك مهمة ينبغي أن تنجز، ليعرف (هودسون) جغرافية هذه المناطق وعاداتها، ولغة سكانها المنطوقة، بحثا عن تأكيد قناعة مسبقة خصوصا في اتساع رقعة (البربرية).

من هنا أستبعد أن تكون الرحلة انجزت على اثر تجربة حديثة مباشرة، فهو وإن أعلن تاريخ

**مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال ووجه باريس الجميل صرفت أعين هؤلاء الرحالة عن مساوىء القوم.**

كتابتها في (١٢٤٢هـ) الموافق (١٨٢٦م) فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنه على أثر انتهاء الرحلة، وتسند رأيي هنا أشياء كثيرة، منها هذا الاضطراب الذي لاحظه الباحثون ابتداء من التاريخ أعلاه، فبينما يسجل بذلك التاريخ كتابة النص يسهو علي أنه قد أورد في صلبه قوله: «إنه منذ سنتين في (١٢٤٣) زحف أخ للشيخ (محمد بن التجاني) أي (ابن احمد التجاني) مؤسس الطريقة في عين ماضي، على (وهران) من أجل «الاستيلاء على خزنتها»(٤٠) المالية، مما يعني أن الرحلة قد تكون كتبت سنة «١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م».

من هنا تبدأ أسباب في ظاهرة (الخلط) و(الاستطراد) في الرحلة نفسها، حيث نرى أحيانا المؤلف يخبط خبط عشواء في بعض من محطات رحلته، فهو مثلا بدل الحديث عن (وادي سوف) في (الجزائر) ثم (غدامس) بليبيا، يعرض الى (غدامس) فوادي سوف، ثم يعود الى (غدامس) ويتحدّث عن (قابس) بتونس و(جربة) ثم (تقرت) بالجزائر، ليعود الى وصف (جربة) و(قابس) من جديد كي يحدد المسافة بين هذه وطرابلس بستة أيام.

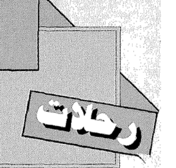
وهنا يقفز مباشرة الى الحديث عن (الدرعية) من دون سواها، لا في (مصر) ولا في (الحجاز) ولا في الأرض العربية الأخرى، مثل (ليبيا) وغيرها.

فظاهرة الخلط والاستطراد وانعدام الوصف الحي الخاص بملامح الطريق وأجوائها، وظروفها، والقفز على المراحل مما يوحي بأن الرحلة كتبت بناء على خبرة سابقة استمدها في مواضع، وعرف عنها في مواضع أخرى: قراءة أو سماعا، وربما اكتفى بالتكهن في مواضع أخرى، خصوصا أن الحيز الزماني الذي زعمه في تاريخ كتابة الرحلة لم يكن ليسمح له كي ينتقل في أكثر من مرحلة داخل الجزائر ذهابا وإيابا، ثم منها الى (مالي) ذهابا وإيابا، أيضا، ثم الى (غدامس) الليبية، و(قابس) و(جربة) التونسيتين، ثم (الدرعية) من أجل أن يتوج ذلك بتقرير في صفحات محدودة يقدم لديبلوماسي أمريكي مهتم بالموضوع، لأمر ما.

غير أن هذه الملاحظات لا تجرد الرحلة من واقعيتها، بقدر ما تلفت النظر لطبيعة التجربة، وجوانب من خلل في صياغتها، فلم تنهض فيما يبدو كل عناصرها على خبرة مباشرة حية، خصوصا خارج (الجزائر)، فإن كان المؤلف صادقا في مواضع فقد بدا قريبا فقط من الصدق في مواضع أخرى، ومحل شك وريبة في غيرها.

والرحلة في النهاية إن أشبعت رغبة (هودسون) فلم تقل في تصورنا إلا جزءا من الحقيقة الكبيرة، خصوصا عن أمة عربية طموحة، لا تشغلها مناوشات محلية، ولا أخذ ورد مبتذل لأغراض معينة في خلاف مذهبي - ديني، أو فروق لغوية مفتعلة، لكنها اسهمت في الوقت نفسه بما يفيد بشكل ما في جوانب مختلفة: جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية وثقافية.

فهي رحلة إذن غلب عليها الجانب الجغرافي التاريخي برؤية استطلاعية، عن مواقع مدن،




# وضوح التباين في مستويات الأسلوب والتناول في لغة هذه الرحلات.

وأحوال ناس لغة وعادات وتقاليد وأزياء وسواها.

أما الأسلوب فهو تقريري بسيط، تغلب عليه السمات العلمية في محاولة تقديم «حقائق» من دون وصف أدبي يبرز محاسن أو مساوىء، ويعكس مشاعر المؤلف في معالجته الموضوع، وموقفه من كل ذلك كصاحب رؤية له انطباعاته الإيجابية والسلبية عن صورة بلد هنا، وصورة إنسان هنا، أو صورتيهما معا.. فيما شاهد ولاحظ وانفعل.

ثالثا: الرحلة السياسية:

في الرحلة السياسية أمامنا نموذجان يتكاملان، اتجه صاحباهما الى (باريس). أولاهما رحلة (سليمان بن صيام) سنة (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م) والثانية رحلة (أحمد ولد قاد)(٤١) ولا نعرف عنهما إلا أنهما من «الأعيان» في الوطن الذي كانت سلطة الاحتلال الفرنسي تقربهم وترعاهم، بالمناصب، وتهيء لهم الرحلات كي تستغلهم للتأثير على مواطنيهم، لينصاعوا لإرادة الاحتلال، ويكفوا عن كل اشكال الرفض والمقاومة.

«أولى(٤٢) هاتين الرحلتين رحلة (سليمان بن صيام الى بلاد فرانسة)(٤٣) أو (الرحلة الصيامية) من (مليانة) الى (الجزائر) العاصمة في اتجاه (باريس) حيث بدا الرجل فرحا كثيرا بالمهمة التي اعتبرها عيدا له «كان ذلك عندي كالموسم الجديد، وركبت من مليانة دار السكنى الى الجزائر الغراء، داخلتها حماها الله يوم ٢٣ من أبريل سنة اثنين وخمسين وثمانية عشر مائة»(٤٤). فذكر أن سفره كان مع غيره من الأعيان في (قسنطينة) و(وهران) وغيرهما «جماعة من رؤساء العرب مأمورين مثلي بالسفر لهاتيك البقاع والمنازل»(٤٥).

ويشرع ابتداء من يوم السفر في ٢٥ أبريل ١٨٥٢ يصف ما يتركز عليه النظر في الأرض الفرنسية مع اعجاب شديد بسياسة فرنسا في شق الطرق البرية وشبكات الطرق الحديدية ومد خطوط الهاتف، فيقول عن الجهد في تذليل شبكات الطرق «ذلك أغرب ما يكون استواء الطريق ووزنها بموازين الهندسة، بحيث لا يعلو موضع على الآخر بشيء ما، ومهما تعرض لهم جبل شاهق في الطريق يمنعهم المرور دخلوا تحته بالثقب، فيكون حيطان تلك الثقبة من حجر منحوت وسقف كذلك»(٤٦).

وحين يشاهد مشدوها الاتصالات الهاتفية تجري بين (باريس) و(ليون) يصفها باعجاب ينهيه بانبهار واضح «وهذا من أغرب ما رأيت، والأمر لله من قبل ومن بعد»(٤٧) وهو تعبير جلي عن العجز التام في ادراك تلك القدرة التي بدت له سحرية، ينجز بها القوم آلات وأعمالا، وهو الاحساس الذي تردد لدى الكاتب في مواضع كثيرة استحسانا وذهولا أمام انجازات عظيمة في (فرنسا) التي جعلت سياستها هذه في معاملة الأعيان، خير بلد، وملوكها أفضل الناس، عظماء، وسياستها أحسن السياسات، وتلك نتيجة حتمية للنجاح في المهمة السياسية لخبراء الغزو، غزو الأرض وغزو النفوس حتى ينقلب في النظر الباطل حقا والظلم عدلا والقهر والابادة رفقا وعدلا «اعلم أن ملوك فرانسة لو اتصفوا بالظلم والجور وعدم الرفق بالرعية لما

# تكريس فضائل المستعمر، وتلميع وجه المحتل، من دوافع تمويل هذه الرحلات.

حصلوا على تحصيل بعض الغرض من عمارة البلدان وكثرة العساكر البرية والبحرية وتحصين الثغور وتعميرها بالعدد والعدد(٤٨) وغير ذلك مما لا يمكن حصره»(٤٩) وهي دعاية سافرة تحقق الغرض الذي (جلب) لأجله القوم من (الجزائر) الى (باريس) التي لم يصلوها برا حتى أدركوا كثيرا من أوجه خاصة بحسن السياسة الاستعمارية في تعمير الأرض واستصلاحها «منذ دخلنا هذه البلاد بأسرها لم نر بها موضعا خاليا من الغراسة والحراثة»(٥٠) وكذلك في اشاعة العدل «في مدة اقامتنا ما رأينا إنسانا مد يده لأخذ الصدقة»(٥١).

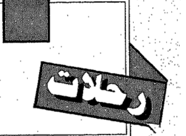
هكذا يعود صاحب (الرحلة الصيامية) مبهورا بما رأى، معجبا بحسن السياسة الفرنسية في (فرنسا) التي خيل اليه بفعل (الكرم) الفرنسي أنها السياسة نفسها التي تجد امتدادا لها في وطنه خارج (فرنسا). فماذا قال الرحالة الذي جاء بعده بنحو ست وعشرين سنة السيد (أحمد بن قاد) من ممثلي المنطقة الغربية من الوطن (وهران) في رحلته (الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية؟»(٥٢).

من المقدمة نعلم أن (أحمد بن قاد) قام برحلتين سابقتين الى (فرنسا) وكتب عن رحلته الثالثة التي كانت للمشاركة في (مهرجان - معرض) دولي وبدا فيها شوقه الشديد المبرح «لما تعلق القلب بزيارة فرنسة مرة ثالثة واشتاقت النفس للتمتع برؤية تلك المدن العظيمة والأمصار والمعاطن والبساتين والديار، رجوت أن أكون مع من حضر، وقلت لعل غرس التمني يثمر»(٥٣).

يستفاد من هذا أنه الذي ألح على أن يكون مع الوفد الذي يمثل منطقة الغرب من الوطن، فكان له ذلك بفضل - كما يقول - «حاكم عمالتنا الوهرانية سيادة الجنرال سيريس(٥٤) المحب الخير للرعية المجتهد في صلاحها»(٥٥).

من بداية الرحلة في الجزائر لا يلتفت الرجل الى ما حوله، كان مأخوذا شوقا الى (باريس) مدينة «الحسن والاحسان» كما يقول في الفصل الأول: «أننا ركبنا البحر من مرسى الجزائر في غرة شعبان المطابق لشهر غشت ١ سنة ١٨٧٨م في جماعة من أعيان العرب قاصدين المدينة العظمى باريس التي اجتمع بها ما افترق في غيرها من الحسن والاحسان، وضمت ما تشتاق اليه الأنفس وترغب في سماعه الأذان، فاستقبلنا أهلها بالبشاشة الدالة على المروة، ذو وجوه كشقرة الصباح سميحة وعقول ثابتة صحيحة، وصدور سالمة سميعة، فنزلنا بأحسن المنازل الرفيعة مفرشة بالأفرشة البديعة، ولم يزالوا متفقدين لأحوالنا تفقد المرضعة لرضيعها»(٥٦).

يلاحظ اذن تركيز الكاتب على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال في المدينة الجميلة، ولم يشد انتباهه اليها عبر المدن بشكل جاد إلا شعار الثورة الفرنسية تنتصب حروفه عملاقة على جدران المدن «فكلما مررنا بمدينة وقرية من مرسلية الى باريس إلا ورأينا على حيطانها كتابة غليظة كقوائم الابل يستخرجها الأعشى من بعيد فضلا عن صحيح البصر، لم نعرف حقيقتها، فسألنا عنها قيل لنا هي ثلاث كلمات: ليبرطي، اقاليطي، فرطرنيطي(٥٧). أعني




## يلاحظ تركيز الكاتب على مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال في المدينة الجميلة، ولم يشد انتباهه اليها عبر المدن بشكل جاد إلا شعار الثورة الفرنسية تنتصب حروفه عملاقة على جدران المدن

الحرية والاخوة والمساواة يا لها من كلمات يحق أن تكتب بماء الذهب، وياليت الناس تعرف قدرها ويعلم ما ضمته من المعاني، وحقيق أن الخير مجموع بها إن عمل بها، فلما استفسرناها وتأملناها ازدادت قلوبنا تعلقا بمحبة الدولة الفرنسوية)(٥٨).

لا يلبث (أحمد بن قاد) حتى يسقط صريع اعجاب شديد جدا بما يشاهد في المعرض: «المجتمع فيه غرائب الصناعات الفائقة والاختراعات البديعة الرائعة فوجدناه أمرا عجيبا(٥٩) يحتوي على أصناف نتائج الزرع ونتائج الضرع والمعادن والتحف، كل شيء منها على حدة، موضوع بالاتقان والتحكيم، وكل شيء يستخرج بالآلات والحركات العقلية، فترى الصوف مثلا في محل محملها تخرج خيطا ثم يصير ملفا جيدا ومتوسطا وأدنى، فتقول: أين المشط؟ وأين المغزل وأين المنسج وأين الخلالة والشيء المتناول باليد؟ وترى أنواع الأقمشة من حرير وكتان بأنواع التطرين المذهب الملون وأصناف الحاشية العريضة والضيقة تخرج كثرة بأدنى كلفة ولا عمل يد»(٦٠).

ثم تكبر دهشته أكثر وهو يشاهد آلات التبريد «أغرب من هذا أن النار والماء ضدان، والضدان لا يجتمعان، فرأينا الثلج يستعمل من نار وماء بالآلات والحركات العقلية، فلو سمعنا بهذا لما صدقه العقل، لكن ليس الخبر كالعيان فوقفنا باهتين»(٦١).

وقف الكاتب مبهورا في غياب فرنسا الاحتلال التي تمارس بطشا في وطنه عمي عنه في حضور الصورة اللماعة والوجه البراق لفرنسا الأخرى غير الاستعمارية، فسقط الكاتب صريع حب جارف لفرنسا (الحرية ـ العدالة ـ المساواة) وهو الشعار الذي لم يدرك الكاتب أنه في السياسة الاستعمارية غير قابل للتحويل الى بلاده، أو هو ممنوع التداول في سياسة الاحتلال بالجزائر، لم يدرك بعمق لما يحوطه به هو وأمثاله الاحتلال الفرنسي من رعاية وتبجيل ليخدموا سياسته في الأرض المغتصبة، لذا لا نعجب حين نراه يودع (باريس) يوم الرحيل عائدا الى وطنه مضطرب الفؤاد دامع العينين: «لما آن وقت الرحيل جرعنا كأس الفراق بعد حلاوة التلاق، ولم يصبنا يوم خروجنا من وطننا مثل ما أصابنا يوم الخروج من فرنسة، فانصرفنا والعيون ملتفتة اليها، وسفرنا والقلب مقيم بها، لكن صبرنا بالأماني أنفسنا، وقلنا لعل القضاء أيضا يجمعنا، ثم قلنا توديعا من صميم الفؤاد: سلام عليكم يا أهل الود والوداد»(٦٢).

غير أن ذلك الاعجاب والود لم يحل نهائيا في الآخر بين الكاتب وبين جانب من الصورة الأخرى لوجه الاحتلال الأسود وظلمه وتغييب شعارات ثورته في أرض الجزائر حتى في معاملة أعوانه الذين يخدمون سياسته، فيهمشون وتطلق أيدي اليهود والمعمرين في أمور الجزائريين، فحاول لفت نظر المحتلين لجانب من هذا الوضع تحت عنوان (عرض حال) من دون أن ينسى تأكيد الولاء المطلق «المرجو حسن التفاته نحو العرب من رجال الدولة وأوتادها الذين ارتبطنا معهم زمنا طويلا .. فالمأمول من السادات أن لا ينسونا في رفع المضرة علينا، فلنا حق عليهم أن لا يتركوا أمة

# رحلة الاغواطي تقريرية الأسلوب خالية من التجربة الشخصية.

مشهودة أودعها الله أمانة بأيديهم في زوايا الاهمال، ولهم حق علينا في الطاعة واتباع الأوامر على كل حال»(٦٣).

وهي نظرة ذات طابع تقييمي أملتها في الأخير المقارنة التي أتاحتها له الزيارات المتكررة الى فرنسا، حتى بات يتمنى ألا يعود الى الجزائر فينكسر فؤاده للبون الشاسع بين طبيعة الحياة في الجزائر وطبيعتها في فرنسا، الأمر الذي جعله يحن في شوق جارف للذهاب الى فرنسا وينقبض صدره في العودة منها الى الجزائر، رغم أن ذلك كله لم يهده الى حقيقة السياسة الفرنسية بمكرها ودهائها في الابقاء على التخلف في الجزائر كمصدر استغلال ولضمان التبعية العمياء للمحتل.

اذن فان رحلة (ابن قاد) تتفق مع رحلة (ابن صيام) في الانبهار بالحياة الفرنسية بوجهها السياسي والصناعي والاجتماعي، كما تتفق معها في الدعاية السافرة للاحتلال، لكن باضافة لدى (ابن قاد) تتمثل في النقطة التي كتب فيها تحت عنوان (عرض حال) الذي ختم به الرحلة ظنا منه أن ذلك الحيف في الجزائر هو من فعل اليهود والمعمرين الذين يستغلون الأرض والانسان، يصادرون تلك ويضطهدون هذا ويشردونه وليس من خطط الاحتلال الذي ينجز كل شيء بحساب، حتى زيارة (ابن قاد) وأمثاله هي بحساب لتكريس «فضائل» الاحتلال و«تلميع» وجه المحتل.

لكن مهما كان الجانب السلبي في هاتين الرحلتين فانهما تبقيان من مظاهر الاحتكاك بالحضارة الغربية، وان لم يدع كاتباهما الى مشروع فكري ذي طابع حضارى مصيري فان انبهارهما عكس حاجة شديدة في وطنهما الى يقظة فكرية عامة لمقاومة الاحتلال عملا من أجل الحرية والسيادة في إطار حضاري للأمة والوطن غير الإطار الحضاري الأوروبي الذي سعى الاحتلال لفرضه عبر سياسة التمسيح والفرنسة لغة وانتماء في النهاية».

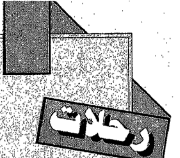
لقد كان مسار الرحلتين واحدا تقريبا، في القطار، بعد (مارسيليا) انطلاقا من ميناء الجزائر بحرا، حتى (باريس) حيث تنظم للوفود زيارات ولقاءات يبرز فيها وجه (فرنسا) الوضيء بمعالمها ونظامها، ونظافتها، وأناقتها، الى جانب كرم سياسييها وحسن رعايتهم الاتباع.

وقد نهضت الرحلتان على المشاهدة المباشرة، فحفلنا بمختلف العواطف الإيجابية تجاه البلد أرضا ونظاما، ورجاله من السياسيين والعسكريين، وتفجرت قريحتا الرجلين نظما، ونثرا للثناء، فابن صيام يمدح (لويس نابوليون بونابارت الثالث) (شعرا) فيقول فيه:

ورث الشجاعة من أبيه وعمه
فكأنهم ما غاب منهم مالك
جمع السماحة والرجاحة والندا
والبأس والرأي الأصيل مبارك
وإذا المعالي أصبحت مملوكة
أعناقها بالحق، فهو المالك(٦٤).

ويثني (ابن قاد) على (فرنسا) عامة، مغتبطا بما هي عليه من تقدم ورقي: «هنيئا، لفرنسة التي هي أم الجزائر، فقد زادها مر الليالي جدة، وتقادم الأيام حسن شباب»(٦٥).

إن الأهمية الأولى للرحلتين تكمن في طبيعة




# إن الأهمية الأولى للرحلتين تكمن في طبيعة الاح... المستعمرات على العبودية، كما كشفتا بشكل ما عن حـ...

الاحتكاك بالغرب، فعكستا سياسة رجال الاحتلال في ترويض أبناء المستعمرات على العبودية، كما كشفتا بشكل ما عن حاجة (الجزائر) الى تجاوز واقعها سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

بدا صاحبا الرحلتين على حس ديني تقليدي، وعلى حظ مقبول من الثقافة الأدبية بما أدرجاه من شعر بهما أو من محفوظهما، وصيغ التعبير تقليدية، بل هي صيغ مجترة، في مقدمتي الرحلتين وخاتمتهما، تضمنتا تعابير قرآنية وجملا جاهزة، ولغة ذات مستويات مختلفة: بين ركاكة وشروح، مع قليل من رشاقة تمتطي السجع والتكلف في مواضع، كقول (ابن صيام) في (باريس) «لا زالت محاسنها ظاهرة ومسراتها باهرة، فلا أقسم بهذا البلد وحسن منظره الذي يشفي الكمد»(٦٦).

وتشيع في الرحلتين الكلمات الأجنبية بلفظ عربي، لغياب المقابل في العربية لدى الكاتبين، كما يحاولان استنباط مقابل فتعوزهما الدقة، مثل وصف (النفق) تحت الجبل بـ(الثقب) و(المحامي) بكلمة (الأبوفاط) كما كانت تنطق في الدارجة أيضا (بوفاطو). ومهما يكن من شيء فإن الرحلتين قامتا على المشاهدة، فنقلتا تجربة صادقة، وخبرة ذات وجوه مختلفة، كما عكستا مشاعر وأشواقا وطموحات، وآمالا أيضا، شخصية ووطنية. لكنها لغة وصياغة تبقيان دون مستوى سابقاتهما، فعكستا بذلك المستوى المتدهور الذي شرع يشهده النثر الجزائري.

وإن كتبت الرحلتان بمباركة من الاحتلال للثناء عليه فقد حملتا ضمنيا إدانة تاريخية له لما لحق (الجزائر) من قمع وتفقير واضطهاد، وما أصاب لغتها العربية من ضعف وركاكة لحقت الصياغة والعبارة والكلمة المجردة نفسها.

**خاتمة:**

***ومهما يكن من شيء فقد صورت هذه الرحلات في القرن التاسع عشر معالم ومواقف، وعكست كثيرا مما رآه الرحالة سواء انفعلوا به أو وصفوه وصفا عاديا يخلو من حرارة التفاعل، ومن هنا يمكن تسجيل ملاحظات كثيرة مختلفة، من ذلك مثالا، لا حصرا:***

***أولا: بداية تراجع المنحى التاريخي والجغرافي لدى كتاب الرحلات، مفسحا المجال لجوانب أخرى: سياسية وثقافية، وعامة، وتأتي هنا رحلة (الأغواطي) أقرب الى الاستثناء، لأن الهدف منها اقتضى ذلك.***

***ثانيا: غلبة الطابع الذاتي والأدبي في كتابة الرحلة، لصلات الرحالة بالمحيط، والناس.***

***ثالثا: شرعت الرحلة الى الحج - كعمل مستقل - تتراجع، لتغدو جزءا عاديا من الرحلة العامة في فترة مبكرة من القرن الثالث عشر الهجري(١٩م).***

***رابعا: بروز الرحلة الى أوروبا في قالب سياسي، فإن تعددت وجوه هذا بالنسبة لسائر الرحالين العرب فإنه بالنسبة للجزائريين جعل هذه الرحلات تتم بعناية إدارة الاحتلال الفرنسي تموينا للرحلة وطبعا للنص الذي غالبا ما كان - هنا - يكتب شكرا لنعمة المحتل على***

## ـستكاك بالغرب، فعكستا سياسة رجال الاحتلال في ترويض أبناء
## ـاجة (الجزائر) إلى تجاوز واقعها سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا

*المؤلف أو تملقا له، أو إعجابا صادقا، قد لا يخلو في مواقف من حنق ما كامن في النفوس، لفروق فادحة بين وضع في (الجزائر) ووضع في (فرنسا).*

*خامسا: يلاحظ الباحث التباين في مستويات الأسلوب الأدبي في هذه الرحلات، قبل الاحتلال الفرنسي، وبعده، حين عم الركود الحياة الثقافية والأدبية، على أثر الاحتلال، وبشكل خاص بعد نهاية المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر في ١٨٤٧م، حتى أواخر القرن حين شرعت هذه الحياة تشهد انتعاشا معتبرا.*

*وفي كل الأحوال تبقى هذه الرحلات مادة لأكثر من ميدان، خصوصا في الدراسات الأدبية والاجتماعية.*

---

الهوامش:

(٣٠) طبعت في (لندن) سنة ١٨٣٠م، وتضمنها كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج:٢، ص:٢٤٣ ـ ٢٦٨، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦م.

(٣١) المصدر السابق، ص:٢٥٣.

(٣٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ص: ٢٦١ـ٢٦٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص: ٢٦٦.

(٣٦) يلاحظ (سعد الله) أن هذا الوصف يبدو أنه كان للدرعية قبل أن يجتاحها جيش (محمد علي) والي (مصر) فخربها سنة (١٨١٨م).

(٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠) المصدر نفسه، ص٢٦٦، ص٢٥١، ص٢٦٨، ص٢٥٢.

(٤١) نشرتا مع ثالثة من جديد بعنوان (ثلاث رحلات جزائرية الى باريس) من تقديم: خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط،١، بيروت، ١٩٦٩م.

(٤٢) اقتبس الجزء الأول من الحديث عن هاتين الرحلتين من كتابي (أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث)، مخطوط، جامعة الجزائر، ص: ٢٧ـ٣٣.

(٤٣) طبعت في الجزائر، بالمطبعة الحكومية، في السنة نفسها (١٨٥٢) التي كانت فيها الرحلة.

(٤٤) ثلاث رحلات جزائرية، ص:٢٥ـ٢٦.

(٤٥، ٤٦، ٤٧) المصدر نفسه، ص٢٦، ص٢٧، ص٣٢.

(٤٨) هكذا في الأصل.

(٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣) المصدر نفسه، ص:٤١، ص٣٢، ص٤٢، ص٥٥، ص٥٧ ـ ٥٨.

(٥٤) Le general ceres

(٥٥) المصدر نفسه، ص:٦١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص:٥٩.

(٥٧) liberte-Egalite-Fraternite.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٦١.

(٥٩) في الأصل هكذا «فوجدناه أمر عجيب».

(٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦) المصدر نفسه، ص٨٥، ص٦٧، ص٨١، ص٨٢، ص٣٦، ص٧٢، ص٤٨

# من تراث الأدب العالمي (١٤)



بقلم:
**محمد بن احمد العقيلي**
- جازان -

# (ليو تولستوي)

شخصية معروفة على مستوى العالم لا يجهل الكثيرون في الغرب والقليلون في الشرق اسم هذا الأديب المصلح الروسي وروائعه الروائية والقصصية ولا مسيرته الإنسانية واسمه الكامل نيقولا ليوتولستوي ولد في ٢٨ أغسطس ١٨٢٨م في قرية (ياسنايا بوليانا) القريبة من مدينة (تولا) على الطريق القديم الموصل الى مدينة (كيف) المدينة الروسية المشهورة.

من أسرة نبيلة فوالده الكونت (نيقولا تولستوي) وأمه الأميرة (ماري فولكونسكي).

مات والده وهو في التاسعة من عمره فعاش في وصاية شقيقته، واختار (ليو) كلية اللغات الشرقية ليعد نفسه للسلك الدبلوماسي،

ثم حاول دراسة القانون وغيرها من الدراسات،

ولكنه لم يثبت على دراسة واحدة وترك الجامعة ناقماً متبرماً وعاد الى قريته،

وفي كتابه المشهور (اعترافاتي) يقول: أردت مخلصاً أن أكون رجلا صالحاً فاضلا، ولكني كنت شاباً كانت له أهواء .. ولا أستطيع أن استعيد ذكريات تلك السنوات دون أن يخالجني شعور مؤلم بالإستفظاع والتقزز.. الخ»

ثم رحل الى (القوقاز) برفقة أخيه لمراقبة سلوك ذلك الأخ وقضي ثلاث سنوات فيها مستفيداً من جمال مناظرها وطيب هوائها، وقد استيقظ في نفسه الشعور الديني فألف كتابه عن الطفولة سنة ١٨٥٢م،

فنال الكتاب إعجاب الناقدين الروسيين، وبعث جو (القوقاز) الجميل والمناطق الطبيعية في قلمه سحر البيان المعروف عن

ذلك الكاتب فيطالع القارىء في صفحات كتابه مناظر سلاسل الجبال التي تتوج الثلوج قممها الشامخة، ويمنحه هواء الغابات المترامية الأطراف نسيماتها العاطرة، فإن تلك المناظر الرائعة كانت تثير في نفسه لأول وهلة الشعور بالدهشة والإغتراب ومع المدي صارت تثير في نفسه الشعور بالسرور والإرتياح، وكان كل ما يفكر فيه ويشعر به جليلا ورائعاً مثل تلك المناظر وكان لتلك الحياة الطبيعية البرية جمال سحرها وبهجة جمالها.

وفي سنة ١٨٥٣م غادر القوقاز الى شبه جزيرة (القرم)، وفى السنة التي تليها ألف كتابه (قصص من سيباستبول)، وقد لفت ذلك الكتاب نظر القيصر واستحسانه وذاعت شهرته ورسخت مكانة تولستوي الأدبية وشهرته البيانية،

وقد وصف وصفاً بليغاً في ذلك الكتاب سيكولجية الحرب أروع وصف في أروع بيان وأصدقه وشرح الأحوال النفسية المختلفة التي يمر بها الجند المحاربون والصداقة النبيلة السريعة التي تنشأ بين الرجال المعرضين للموت في كل لحظة واستشعار الغبطة في القدرة على احتمال المتاعب التي تحتاج الى أكثر مما في قوى البشر.

ويظهر لنا في قصصه الجميل موقفه من الحرب بوجه عام فالحرب عنده مدرسة الفضائل البطولية، ولكنه مع ذلك يمقتها

أشد المقت.

وفي سنة ١٨٥٧م قام برحلة الى أوربا وزار باريس وسويسرا، وفي سنة ١٨٦٠م درس (تولستوي) مباديء التربية في فرنسا وألمانيا وانجلترا.

وفي سنة ١٨٦١ حاول أن ينهض بإنشاء مدارس لتعليم الفلاحين في مزرعته،

وكانت أراؤه في التربية متأثرة بنظريات (روسو)

وقد نظم مدارسه بطريقة مبتكرة تسمح للأطفال بالنمو العقلي الذي لا يلقى عقبات في طريقه،

وكان لأرائه في التربية تأثير بعيد المدى في روسيا وكتب أقصوصات لأبناء الفلاحين تمتاز بالبساطة ودقة ملاحظة سلوك الحيوان والنبات والأطفال أنفسهم.

وفي سنة ١٨٦٢م تزوج (صوفيابهرز) وكان في الرابعة والثلاثين من عمره. ولم تكن سنها تتجاوز الثامنة عشرة،

وعاش عيشة عائلية سعيدة كانت أسعد أيام حياته وفي هذه الفترة من حياته أتم تولستوي روايتيه العظيمتين:

١ - (أنا كارنينا) التي كتبها بين سنة ١٨٧٣، ١٨٧٦م.

٢ - (الحرب والسلم) والروايتان رفعتا اسمه الى مستوى المؤلفين الخالدين، ومنحته الشهرة الساطعة في أنحاء العالم المتحضر ووطدت مكانته الأدبية.

لقد اشتهرت الروايات السيكولجية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي هذا اللون من ألوان الأدب الروائى بوجه خاص أظهر الروائيون الروس براعة منقطعة النظير.

وكشفوا الكثير من خوالج النفس وأحاسيس الوعي الإنساني ومستكنات الضمير وساعدهم في ذلك الصراحة البريئة التي امتاز بها الروس وتحريهم الصدق في وصف ما يخالج نفوسهم ويطوف بأفكارهم، ويظهر ذلك واضحاً في كبار ممثلي الأدب الروسي مثل تولستوي ودستويفسكي وتورجنيف وغيرهم.

فالصراحة والصدق هي الصفات الأساسية في الأدب الرفيع عند الروس.

لقد كانت زوجته تساعده في جهوده الأدبية وكانت وحدها التي تستطيع قراءة خطه

وما يدخله على كتاباته من تصويب وكانت في بعض الأحيان تعيد كتابة الأصول برمتها.

وعندما شارف الخمسين من عمره غاض ذلك الإشراق اللامع من حيويته

وفي ذلك السن الذي بلغ فيه ذروة الشهرة والمكانة الأدبية مع الزواج الموفق والعيشة الرغيدة

وإنما كل ذلك اكتنفه دوره من الأزمة النفسية والكآبة الفكرية، وقد علل الكثير من الكتاب تلك الحالة التي أشار إليها في كتابه (الإعتراف) بقوله:

«لما أتممت كتابي (أنا كارنينا) بلغ بي اليأس أقصى حدوده وصرت أدمن التفكير وأطيل النظر في الحالة الرهيبة المجتواه وكانت الأسئلة تنهال عليَّ وتتكاثر حولي وتطالبني بالإجابة عليها».. الخ.

لقد خرج (تولستوي) من تلك الأزمة العنيفة بقناعة تتمثل في قوله

ما معناه: «إن اليقين الحق يقوم على طاعة الأوامر الدينية والبساطة في العيش والقناعة بالمكتوب

وقد تحققت تلك الصيغة في حياة الفلاحين الروس». فاتخذ منه نموذجاً يصوغ حياته على مثاله، والذي يختصر في قوله: «أهم عناصر الحياة هما العمل والحب.

. وإن على الإنسان أن يتحرى البساطة في حياته وأن يعطي أكثر مما يأخذ وأن يسهم في أعمال الخير دون أن يفكر فيما يعود عليه منها

وأن يجد السرور في مساعدة الناس وأداء الخدمات لهم، وفي هذه الحالة يجد السعادة ولا يخشى عادية الموت».

وهذا في نظره حل المشكلة التي انتهى إليها تولستوي وهذا في رأيه ما توصل اليه هو وإلا فإن في الإيمان والتسليم بالقضاء والقدر والإتكال على الله سبحانه وتعالي. ما يغني المرء في حل مشاكله.

وسلك سلوكاً من التقشف والزهد وغير ذلك مما هو معروف في حياته التي لا تتفق مع الموضوع الذي نلخصه عن حياته الأدبية.

إن تولستوي في آخر حياته الخصبة تخلى عن الدنيا وعاش في حالة من الزهد والتقشف وأصبح له من الشهرة وسطوع الأسم ما أكسبه حب الجماهير وإعجاب المعجبين

مما جعل الكثير من أولئك الناس يتسابقون إلى زيارته والظفر بأحاديثه وتلقي ما ينثر عليهم من النصائح والحكم إلى أن توفي في العشرين من نوفمبر عام ١٩١٠م. وكان لنعيه صدى ودوي في العالم الغربي المتحضر.

له عدد من الروايات التي حازت اعجاب العالم الغربي ومن أشهر تلك الروايات رواية (الحرب والسلام)

فإنها من الطُرف الأدبية التي كما يقول الأستاذ على أدهم «أنها لا يعرف لها نظير في الأدب العالمي برمته

وقد قال فريق من النقاد أنها أعظم رواية عرفت في العالم الغربي وقد عدها بعضهم ملحمة نثرية تقف الى جانب (إليادة هوميروس) بل رأى، أن رواية (الحرب والسلم) تفوقها في الجمال

والتركيز من ناحية السعة والشمول وتعدد الاهتمامات الإنسانية.

كما أن روايته الثانية (انا كرنينا) تأتى في المرتبة الثانية بعد (الحرب والسلم) وقد ترجمت الروايتان الى اكثر من لغة من اللغات العالمية.

ولعل الكثير من قراء العربية قد قرأ ترجمتهما مما يغني عن الإسهاب في وصفهما.

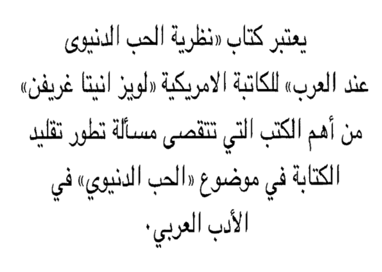
وفي آخر حياة ذلك الزعيم المصلح والكاتب المبدع وما كان يسجيه في مؤلفاته من الحكمة

والآراء السديدة والنصائح الثمينة وقع في خطأ الشقاق مع زوجته (صوفيا)، فكتب في مذكراته ضد زوجته، وقامت بدورها وكتبت ضده بالجائز والمستحيل، ولا يستغرب ذلك من طبيعة البشر.

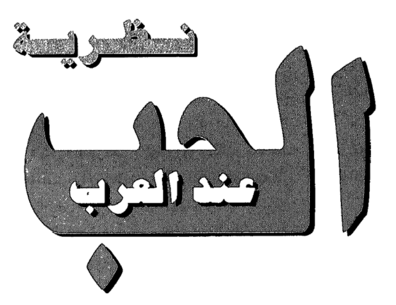
وكل منهما أراد أن يري للقراء سوء معاملة الآخر وما زال أن كشف للقراء ما هم في غير حاجة إليه أو حرصاً في المعرفة به.

## مساحة للضوء:

علينا أن ننقل من الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزان.. وعلينا أن نفيد منها لاثراء ملكاتنا.. وعلينا أن ننهل من معينها المتسق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا..



يعتبر كتاب «نظرية الحب الدنيوى عند العرب» للكاتبة الامريكية «لويز انيتا غريفن» من أهم الكتب التي تتقصى مسألة تطور تقليد الكتابة في موضوع «الحب الدنيوي» في الأدب العربي.




والمقصود بالحب الدنيوى، الحب الانساني الواقعي والمفعم بالعاطفة وهذا المصطلح يبدو بمثابة النقيض للحب العذري الأفلاطوني والصوفي وربما كانت هذه الدراسة أول سبر من نوعه لتطور جنس أدبي مستقل، تدعوه المؤلفة التي تدرس الأدب العربي والحضارة الاسلامية في جامعة بنيويورك بـ «الحب الدنيوى». وقد تناولت عشرين عملا لأدباء وباحثين عربا مختلفين، وينتمون الى القرون الوسطى للبرهنة على وجود نظرية خاصة بالحب الدنيوى لدى

واكتشفت المؤلفة أن القاسم المشترك. الذي جمع هؤلاء الأدباء والباحثين في اهتمامهم بهذا الموضوع، هو دون شك لا زمانية الحب وعالميته، ووجود دافع حضاري للتأكيد على قيم التمدن والبرهنة على ضرورة نشر أفكار معينة عن الحب، وتفنيد آراء كاتب سابق على الأديب أو معاصر له.

### الأدب باعتباره كتابة

**والحق أن المؤلفة لا تنظر الى الأدب بالمعنى الابداعي الضيق للكلمة وانما باعتباره كتابة تغطي حقول علم النفس والفلسفة والفلك والأخلاق والشريعة وعلم الحديث** وهي لذلك تغطي فترة تاريخية من الكتابة العربية تتجاوز تسعمائة سنة،

# الحب الدنيوي نظرية تكشف أدب الحضارة الاجتماعية والفكرية والدينية للعالم العربي.

## الأساس المعياري والموضوعي للنقد الأدبي يبعد به عن خلط النظريات في أزمنتها المتباعدة.

خليل صويلح
- سوريا -

بدءاً من مقالتين للجاحظ ومرورا بـ **«كتاب الزهرة»** لابن داوود و**«كتاب الرياَض»** للمرزباني، و«كتاب المصون في سر الهوى المكنون» للحصري، و**«طوق الحمامة»** لابن حزم الأندلسي، وانتهاء بـ **«روضة المحبين ونشاط المشتاقين»** لابن قيم الجوزية، و**(ديوان الصبابة)** لابن حجالة وأعمال أخرى.

وتشير المؤلفة الى أن الأعمال التي تدخل في مجال نظرية الحب يتجاوز عددها الأعمال التي تتناول نظرية الحب الدنيوى (البشرى) هذا على الرغم من أن الاعتبارات الدينية ليست بعيدة عن مجال التأثير في نظرية الحب الدنيوي.

وقد بدا الاهتمام بهذه النظرية، لدى الباحثين المعاصرين في الأدب العربي، منذ عام (١٩١٤) عندما نشر (د.ك بيتروف نص كتاب ابن حزم الأندلسي: «طوق الحمامة: في الالفة والالاف «عن مخطوطة موجودة في (لندن) وأثار هذا الحديث روح البحث في مغزى هذا الكتاب بالنسبة للأدب والتاريخ الأندلسي، وأدى الى دراسة كتب أخرى من هذا النوع، الا أن المستشرقين **«غولد تسيهر»** و**«غارثيا غوميز»** كتبا الكثير عن « الطوق والحمامة» بشكل خاص، وذلك لأسباب تتعلق بصلة شعر **«التروبادور»** بالأدب العربي الأندلسي..

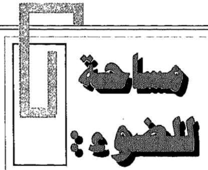
والحق أن **(أ.ر. نيكل)** المستشرق الانكليزى الذى ترجم «طوق الحمامة» الى الانكليزية، **هو أول من أكد في مقدمته على الصلات التي تربط بين التراث العربي الأندلسي وبين شعر «التروبادور»..**

وقد ظهرت ترجمة روسية للكتاب في عام ١٩٣٣، وأخرى ألمانية في عام ١٩٤١ وثالثة ايطالية وفي عام ١٩٥٠ ظهرت الطبعة العربية المحققة من الكتاب **لحسن كامل الصيرفي**، وفي عام ١٩٥٢ ظهرت الترجمة الاسبانية «لغارثيا غوميز» وبعد ذلك بعام ظهرت الترجمة الانكليزية **«لآرثر اربري»**.

ومع ذلك لم يكن كتاب ابن حزم الوحيد الذي أصبح معروفا، فقد نشر **أحمد عبيد** في دمشق نسخة من كتاب **«روضة المحبين»** لابن قيّم الجوزية في عام ١٩٣٠، وشارك الشاعر **ابراهيم طوقان** المستشرق الانكليزى **«نيكل»** في نشر كتاب **«الزهرة»** لمحمد بن داوود» ولم يلبث المستشرق «هيلموت ريتر» أن أكد على أن الوقت قد حان لكي يتم لفت الانتباه الى هذا النوع من الكتب باعتباره يمثل فرعا هاما من الأدب، أو جنسا أدبيا جديدا على حد تعبير **«لويز أنيتا غريفن»**.

### نظرية الحب الصوفي:

ولكن نظرية الحب الصوفي لاقت من الاهتمام ما يفوق الاهتمام الذى لاقته نظرية الحب الدنيوى، ومع ذلك فان نظرية الحب الدنيوى هامة جدا ليس باعتبارها جزءا يدخل في سياق التاريخ العام للأدب




كما أن نظرية الحب الدنيوى تكاد تتداخل مع التجربة العامة للناس، وبالتالي فانها **تتعلق بالقيم الأشد بروزا في الحياة البشرية، وتكشف عن مختلف أوجه الحضارة الاجتماعية والفكرية والدينية في العالم العربي الاسلامي.**

وقد درج بعض المستشرقين على إلقاء الشكوك على وجود نظرية الحب الدنيوى لدى العرب، وذلك انطلاقا من التشكيك بكون الأعمال التي تشكل النظرية تنتمي الى حقل معرفي واحد ومحاولة المؤلفة في هذا الكتاب، ترمي للقضاء على هذه الشكوك،

والتأكد على أن هناك جنسا أدبيا مستقلا ومتميزا لدى العرب، مثله في ذلك مثل المقامة، هو الحب الدنيوى، وقد أشارت مرارا الى أن الكتاب الذين اعتمدت أعمالهم للبرهنة على نظرية الحب الدنيوى كانوا يكتبون بوعي كامل للدور الذى يقومون به كمسهمين في أدب متميز عن الحقول الأدبية الأخري، فهم يتحدثون عن سابقيهم وينطلقون من أعمالهم أو يهاجمونهم.

## خصائص متميزة:

واذا كان بالامكان أن يبرهن الباحث على وجود صلة سلالية (أى أن واحدها قد نتج عن الآخر) بين جملة الأعمال التي تشكل نظرية الحب الدنيوى،

فان ذلك قد جعل المؤلفة لا تتردد في البحث عن خصائص متميزة لهذا الجنس الأدبي، **وهنا تبرز مشكلة يعاني منها النقاد المعاصرون الذين ينطلقون من نظرية الأدب الغربي. فهم اذ يحاولون تطبيق المفاهيم الشائعة في الآداب الغربية على الآداب القديمة التي تنتمي الى تقاليد تختلف عن الآداب الغربية**

**قد يرتكبون عملا من أعمال التعسف الذى لا يجيزه الأساس الموضوعي والمعيارى للنقد الأدبي نفسه،**

وبعبارة أخرى فان نقل مصطلحات تقليد أدبي معين الى تقليد آخر، يواجه حسب تعبير المؤلفة بصعوبة أساسية مفادها أن ما يعتبر أدبا في تقليد حضارى لا يعتبر أدبا في تقليد حضارى آخر وما أطلق عليه الباحثون في الحضارة العربية الاسلامية من أمثال **(غب) و(نيكلسون) و(بروكلمان)** بـ: «الأدب العربي» و«الأدب الفرنسي» ليس أدبا بالمعنى الدقيق للكلمة كما يراه دارسو الآداب الغربية فهم يرون - كما توضح المؤلفة - **أن ما يميز مصطلح «أدب» هو التخييل والابتكار،**

واما ما هو ليس بأدب، فيدخل في نطاق الخطابة والفلسفة والسياسة واللاهوت والاقتصاد ومع ذلك فان هذه المقاييس تقوم على الذوق الشائع في أوروبا. وقد اعتبر دور الخيال أساسيا في نظرية الأدب الأوروبي، بدءا من عصر النهضة، هذا في الوقت الذى لا يحمل فيه الخيال هذا القدر من الأهمية لدى عرب القرون الوسطى كما تلاحظ مؤلفة الكتاب، ولكن هل هذا التقييم للدور المحدود للخيال لدى العرب - كما تراه المؤلفة - صحيح فعلا؟..

ان النقاد والدارسين الغربيين عندما يزعمون أن الأدب العربي القديم مزيج بين ما هو غير أدبي، انما يغفلون ما يراه النقاد

> **علم النفس والفلسفة، والفلك والأخلاق والشريعة والحديث كلها حقول يغطيها الأدب.**

المعاصرين من أن دراسة ما يسمى بالعنصر غير الأدبي، تطرح مسائل ومشكلات كثيرة تتعلق بالتحليل الجمالي والاسلوبي لا تختلف عن تلك المسائل والمشكلات الخاصة بدراسة الأدب نفسه.

## المنهج الاخباري:

ولعل استعارة الكاتب الأرجنتيني المعاصر **(بورخيس)** للمنهج الاخباري لدى العرب عندما يحاول نسج قصصه على غرار الأخبار لدى العرب، أن تكون مثالا على التداخل بين ما يسمى بأدبية النص ولا أدبيته،

فحين يخترع **(بورخيس)** قصة عن الاسكندر ويريد أن يجعلها قادرة على اقناع القارىء بأنها حدثت فعلا فانه يسارع الى استخدام تقنية الخبر الموضوعي عند العرب،

وهي تقنية غير أدبية حسب الحدود الشائعة في نظرية الأدب الأوروبي.

وتبرر المؤلفة استعمالها لمصطلح «النظرية» بقولها أنها تعني بذلك: المناقشات التي تتعلق بجوهر وطبيعة الحب وأسمائه وصفاته وأسبابه وأنواعه والفروق بين هذه الأنواع.

كما أنها تعني في الوقت نفسه أحوال المحبين وظروفهم.

ولعل في حكاية **«الاصبع والسراج»** التي يرددها ابن حزم الأندلسي في كتابه الآنف الذكر: «طوق الحمامة» ان توضح شيئا من المقصود بالحب الدنيوي ان هذه الحكاية تؤكد على التداخل بين الحب وبين الرغبة، هذا في الوقت الذي يؤكد الباحثون فيه على

**أن الرغبة حالة آنية على حين أن الحب نزوع دائم يتجلى في رغبات متتالية ومتناوية**

على حد تعبير الأديب الدكتور «جميل صليبا».

## الاصبع والسراج:

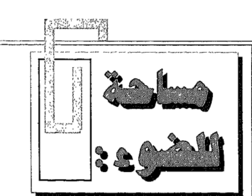
يصف ابن حزم الأندلسي تجربة شاب حسن الوجه من أهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا

وكان له أخ في الله قد سقطت بينهما مؤونة التحفظ فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده، فعرض لصاحب المنزل حاجته الى بعض معارفه بالبعد عن منزله، فنهض لها على أن يعود مسرعا ونزل الشاب في داره مع امرأته وكانت في غاية الحسن فأطال رب المنزل المقام الى أن مشى العسس ولم يمكنه الانصراف الى منزله فلما علمت المرأة بفوات الوقت وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة، تاقت نفسها الى ذلك الفتى فبرزت اليه ودعته الى نفسها، فوضع أصبعه على السراج فتفقع ثم قال يا نفسي ذوقي هذا، فهال المرأة ما رأت ثم عاودته الشهوة المركبة في الانسان فعاد الى الفعلة الأولى فانبلج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار.

وفي هذه الحكاية التي يعرضها ابن حزم كتجربة وجودية أرضية لا تفصل أو ربما تدمج بين الرغبة التي هي حالة آنية وبين الحب الذي يتسم بأنه نزوع دائم وحالة مستمرة.

**الرغبة حالة آنية.. والحب نزوع دائم يتجلى في رغبات متتالية**

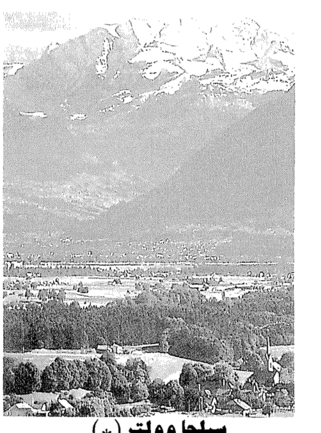
**الرباط وثيق بين الشعر العربي الأندلسي وبين التروبادور.**




# قصيدتان من سويسرا

## تأملات على مقعد صغير

جلس ، صغيري
إلى مقعد صغير ذي
قوائم
« مبرومة » ،
بركن قصيٍّ من الحجرة ·
ومنه كان يرى
حركات
الرقصة
فى حفل الخضوع
الكبير ·



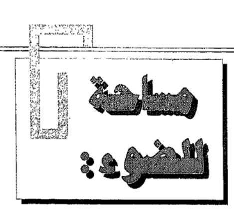
**سيلجا وولتر (*)**
**ترجمة: احمد عثمان**

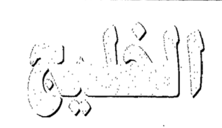
(*) سيلجا وولتر Silgr Walter · · شاعرة سويسرية شهيرة · على الرغم من مولدها ـ ولدت فى العام ١٩١٩ ـ بإحدى المقاطعات الناطقة بالالمانية، وتحديداً قرية « ريكنباخ » بالقرب من مدينة « أولتين » ، فهى تكتب باللغتين الالمانية بالطبع، وكذا الفرنسية ·



# رقصة العالم

يرقص أفراد الشعب،
وهم يعرفون
بحارهم،أسلحتهم ،
مدافعهم ، الأطفال
الظرفاء
باختلاف لون
بشرتهم سفنهم ،
مدن العالم ، كل
ذلك يشدهم الى
ضفاف القنوات
،مزارع الحنطة
،أزهار التيوليب
،وكل ما هو موجود
في العالم على
الأرض المستديرة
الدوّارة




الشاعرة الأمريكية:
**بيكيان جولد برج**
**ترجمة / مصطفى البسيوني غنيم** - مصر

كانت هناك مناظر للبحر
معلقة فوق الأرائك الخضراء
في بداية الظلام ، سنسير جوار المنازل
ذات القلوب المفتوحة
أحيانا كان يعيش بها طفل
أو يجلس رجل على مبعدة من حذائه
الأمواج كانت على وشك أن تصل
لقمتها
شفافة مثل اللون الأزرق
فوق عظام كلب ضال
ساعة الغسق.
بعد ثلاث ليالات
سئمنا من مشاهدة الحرب
ولحسن حظنا ، أنها كانت بعيدة جدا
أحلامي كانت بجوار أحلامك
ثم أحلامك بالأمس كانت بجوار أحلام
الصيف الماضي
ثم أحلام الصيف الماضي بجوار تلك
الأحلام
التي كانت لأمك التي ماتت
ولكن العالم لا يزال يعيش في أحلامه

على الشاطئ - طيور البترول
تترنح كسكاكين مطاطية
وسمكة الشبوط تطفو
مثل رئة فتاة صغيرة
في الليل
نحن في عين شيء ما
اذا أردنا أن نبقى على الأرض في حب
أيا ما كانت تفعل الحكومات
فعلينا أن نأخذ كل صخرة وكل جناح
الى منازلنا ، لنرى ما هو غير حقيقى
فالسمكة ليست فتاة
والطائر ليس رجلا
والرجل يستطيع أن يقول حينما يكون
رجلا وحينما لا يكون
الأمواج أوحلت الشاطئ
البحر أسود
انه أسود وقريب
مثل انسان عين السماء..

---

(*) عن مجلة (The American Poetry Review) عدد نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٢م.




٨٣

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة

# شمس منتصف الليل في السويد

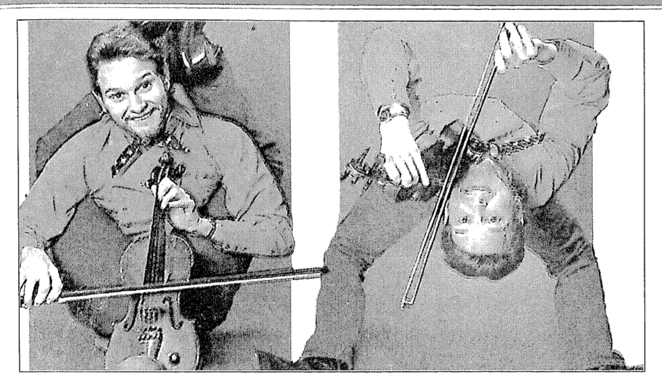
عالم الفنون
والجنون
وجولة مع
اكثر الصور
ندرة وطرافة

التاريخ والحضارة .. اللبان
والنفط .. التراث والطبيعة
الخضراء في

سلطنة عمان

في هذا العدد من

# السائح



# الفنون جنون

بعض البشر لهم من الطاقات ما تذهل الآخرين·· وتظل مكان إعجابهم، بل يظل هؤلاء في ذاكرتهم، وموضع جذب لهم· وهذا الموسيقار الأمريكى واحد من هذه الإبداعات المدهشة·· أحب العزف على الكمان وبرع فيه·· والى هذا الحدّ يكون الأمر عادياً أو شبه عادي·· هو عازف ضمن آلاف العازفين·· إذن لابد من اضافة ابداع آخر الى العزف، يتفرد به·· وكان منه العزف بهذه الطريقة·· يعزف وهو يقف على رجل واحدة والأخرى رفعها خلف رأسه· يعزف جالساً وقد التقت رجلاه خلف رأسه·· يعزف وهو في وضع مقلوب تماماً·· وهكذا·· «الفنون جنون» كما يقولون·

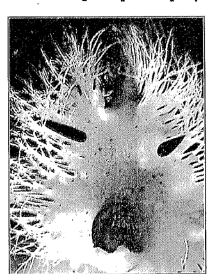
# جميل ·· الورد

البعض يظن انها أقنعة، ولا شيء يمنع هذا الظن·· والبعض يحسبها مخلوقات غريبة، إذ ملامحها تقول شيئاً من ذلك·· والبعض يذهب الى أنها نمط من لوحات فناني هذا الزمان التي لا تعرف من أين تبدأ قراءتها، إذ لا تجد فيها أبجدية واضحة تفك لك أول رموز هذا اللغز·· وكل يذهب فيها مذهبه··

إنها وردة طبيعية، وهكذا خُلِقَتْ··



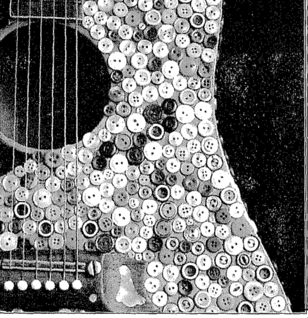






## السيارة اللوحة

يقولون إنّ الفراغ قاتل.. لكن يبدو أن الفراغ عند بعض الناس يمثل دافع ابداع، وتجديد في نمطية الحياة الرتيبة. عمل شاق أن تجمع عشرات الآلاف من الأزرار.. وأكثر منه مشقة أن تفكر في عمل شيء من هذا الكم المهول «دالتو ستيفنز» من ولاية جنوب كاليفورنيا الأمريكية، صاحب هذه الفكرة.. عمد إلى سيارته «الشيفرليه» فغطى هيكلها الخارجي جميعه بالأزرار «مئة ألف» قطعة من الأزرار بكل احجامها وألوانها واشكالها.. حيث تحولت السيارة بعد هذا العمل المضني الشاق الى تحفة أو لوحة جميلة تسير على أربع.



## جياد .. وسياح

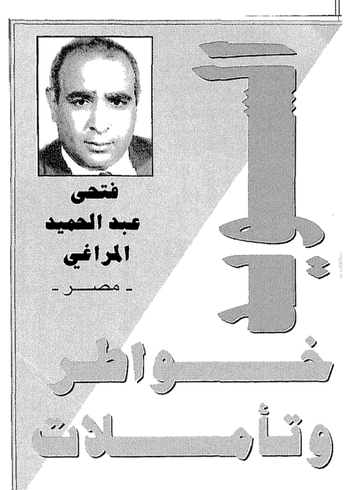
لمدة سبعة أيام متتالية ـ من اليوم الثالث وحتى العاشر من اكتوبر في كل عام ـ يكتظ هذا السوق برواده، من المشترين والبائعين، بل، السائحين.. وهؤلاءهم الأوفر حظاً والاكثر استمتاعاً بمجريات «مهرجان» هذا السوق.

أنه «سوق الجياد» يقال إنه اكبر سوق للجياد فى العالم.. تقليد عمره ثلاثة قرون من الزمان احتضنته مدينة «بالينا سلو» في ايرلندا..

هذه المدينة التاريخية اشتهرت بتجمع اكبر قدر من جيد الجياد فيها.. ويوم السوق هذا، يمثل مهرجاناً ضخماً لبيع الجياد وشرائها.. والمشترون يأتون من أنحاء العالم.. وكان السوق اكثر رواجاً في سنوات الحروب، قبل اختراع آلة الحرب الحديثة.

أما الآن فقد تحول هذا السوق إلى ركن سياحي يرتاده السياح.


شمس منتصف الليل في شمال السويد شمس منتصف الليل في شمال السويد



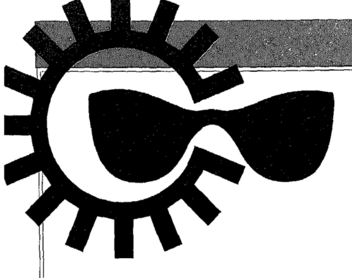
# خواطر وتأملات

فتحى
عبد الحميد
المراغي
- مصر -

السويد او بلاد الدببه كما اطلق عليها «ديكارت» ذلك البلد البعيد الذى يقع فى اقصى شمال اوربا، لا تزال صورته في مخيلتى بعد عودتى منه منذ قرابة الست سنوات، فخواطرى عنه تترى عليّ من حين لآخر رغم بُعدى عنه وأنا فى أسوان، وقت ان كنت مزهواً بما اتيح لى من حظ وافر لزيارة هذا البلد النائى والاقامة فيه، ورغم كل ما هو جذاب ومغر هناك عدت إلى بلدى مصحوباً بالشوق والحنين للاهل والعشيرة.

تداعت عليّ ذكريات قديمة وانا على مقهى جديد يطل على النيل لا يبعد كثيراً عن أطلال المقهى القديم، فقد كانت لى ذكريات اراها تحوم الآن فوق اطلاله، تحركت أحاسيسى، فتذكرت ذلك المصرى المقيم فى السويد.. كنا نحتسى الشاي ونتجاذب اطراف الحديث ، كان صاحبى قلقاً كما كان يبدو على ملامحه بسبب خوفه على مصير ابنته الصغيرة التى تبلغ من العمر ستة عشر ربيعاً، فالام سويديه، والعادات غير العادات، والتقاليد مغايره عما درجنا عليه نحن أهل الشرق ولقد حدثنى الرجل عن ابنه الشاب الذى لم يعرف بوجوده، في اسوان ، فحدثته عن ما روته لى مدرستى السويدية عندما هددها طفلها بإبلاغ البوليس اذا ما حاولت عقابه، كما علموه فى المدرسه.. يومها انتابتنى رجفه انخلع لها قلبي.

فى الفندق القديم، وعلى حافة النيل حيث السكينة والهدوء، جلست مسترخياً اتأمل طبيعة المكان الخلابه، فرحت في خشوع العابد المستغرق، وهيام العاشق الولهان، والنيل امامى تجرى مياهه

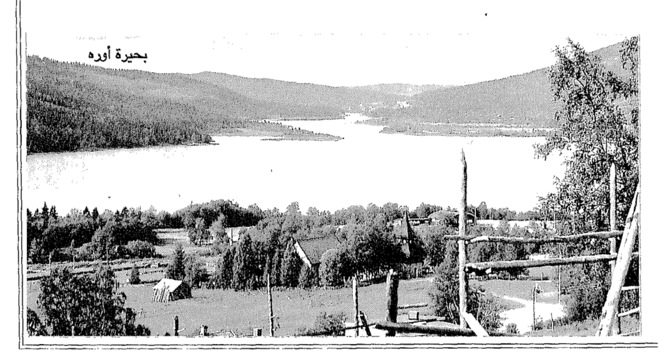


الفضية فى انسياب، والصخور الجرانيتيه السوداء قابعة فيه كأنها فيله، وعلى الشاطئ ترسو المراكب الشراعية وقد لفت أشرعتها البيضاء، وأخرى تشق الماء لتأخذ مكانها على الشطوط.. وعلى البعد لاح لى قارب صغير يبدو ويختفى بين الجزر المتفرقة فى هذا المتسع من النهر، وعلى الجهة المقابلة تقع جزيرة «الفنتين» التى مازالت اطلال مدينتها القديمه يحيط بها سورها المصنوع من الطوب اللبن، وما تبقى من تماثيل واحجار معابدها متناثرة على الربوه العاليه توحى بمرور السنين، ومقاومة الدهور التى يأبي الزمن ان يطويها بين متاهات النسيان.

كان طقس ذلك اليوم شتوي معتدل جميل، والشمس ترسل اشعة خفيفة ينبعث منها ضوء يكشف بوضوح عن تلك المناظر البديعة.. سبحان مبدع الاكوان، والالوان متعددة في زرقة السماء، وسمرة الماء، وبياض اشرعه المراكب، ومنازل القرية النوبية، وبُنّية وسواد الصخور، واخضرار الزروع، واصفرار الرمال، وعلى الشاطىء الغربى وعلى حافته تنمو اشجار الدوم، والنخيل الباسقات، ومن ورائها الصحراء الشاسعة التى امتد بصرى إليها حتى الأفق فخُيِّل إليّ أنّ خريطة السويد قد ارتسمت امامى متجسدة، ثم دبت فيها الحياة كأن «جنيّاً» قد حركها أو «تكنولوجياً» ضغط على زرار «ريموت كنترول» فبعث فيها الحياة.. فها هى السويد كما اراها.

تقع مملكة السويد في اوربا الشمالية، وتشغل الجزء الجنوبى لشبه جزيرة اسكندناوة، وتمتد بسواحلها من جهة الجنوب على «بحر البلطيق» ومن جهة الشرق خليج «بوتنيا» ولذلك فهى جديرة يحق ان يطلق عليها عروس البلطيق.. يحدها من الشمال الشرقى «فلندا» ومن الغرب «النرويج» ومن الجنوب وعند مدخل بحر البلطيق حيث خليج «ايرسوند» الذى تقع عليه مدينة «مالمو» السويدية، ويقابلها العاصمة الدانمركية «كوبنهاجن» وكذلك مدينتى «هلسن بورج» السويدية، و«هلسن جر» الدانمركيه، ويجرى الآن إنشاء كوبرى معلق ليربط بين العاصمة الدانمركيه «كوبنهاجن» ومدينة «مالمو» السويدية الواقعة فى منطقة «اسكونا» التى كانت قديماً تابعة للدانمرك..

مساحة السويد «٧٥٠ر٤٤٩كم٢» اى ما يقرب



بحيرة أوره

من نصف مليون كيلومتر مربع، وتعتبر رابع اكبر دوله فى اوربا من حيث المساحة، فهى تمثل ثلثى شبه جزيرة «اسكندناوة» بدولتيها السويد والنرويج. والسويد من الدول الطوليه اذ يبلغ طولها من ابعد نقطه فى الجنوب إلى أقصى نقطه فى الشمال «١٥٧٤» كيلومتراً، فتمتد جبالها الغربية على حدود النرويج بطول مائه ميل سويدى، مع ملاحظة ان الميل السويدى يساوى «١٠ كم» اى ما يعادل الف «١٠٠٠» كيلومتر.

والاقاليم الجغرافية الثلاثة للسويد هى:

(١) كيرونا فى اقصى الشمال ويعرف باسم «نورلاند».

(٢) سيفيالاند وبه العاصمة «استكهولم».

(٣) جوتلاند وهى من اكبر الجزر السويدية ومساحتها (٣٠٠١) كم٢.

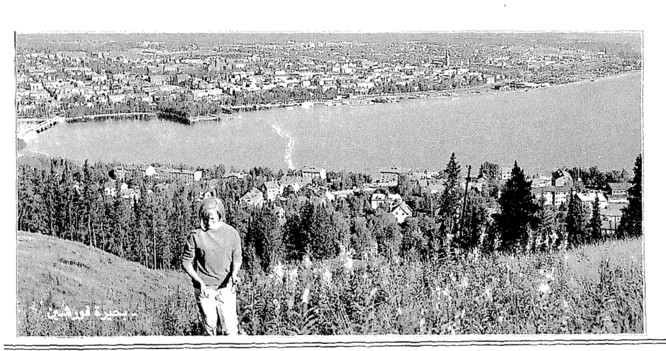
ولطول المسافة بين الشمال والجنوب هناك تجد ان درجات الحرارة متفاوتة وتتراوح بين ٣٠ درجة مئوية صيفاً، واقل من ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر فى فصل الشتاء لاسيما في شمال البلاد، والشتاء فيها معتم مظلم كئيب تظل فيه السويد غارقة في لجج من الضباب بعضها فوق بعض طبقات تتراكم فيه الثلوج، ورياحه باردة قارسة، ولذلك خصصه السويديون للعمل والدراسة.. وصيف السويد قصير، والشمس تظهر من حين لآخر، وتكون السماء ملبده بالغيوم معظم اليوم، ومع بداية الربيع تنتشر الخضرة في كل أنحاء البلاد نتيجة لارتفاع درجات الحرارة وانصهار الجليد، وتقام الاحتفالات لتعم البلاد كل عام يوم ٣٠ ابريل، وتوقد النيران في الخلاء ابتهاجاً باختفاء الشتاء الكئيب وبداية قدوم الصيف الجميل.

ورغم وقوع السويد فى الجزء الشمالى منها داخل نطاق الدائرة القطبيه الشمالية، فهى لا تعتبر من بلدان المنطقة الشمالية المتجمدة وذلك لوجود التيارات الهوائية الدافئة التى تهب عليها من المحيط الاطلسي.

تشغل المياة ١٠٪ من مساحة السويد الكلية، فتقبع بها اكثر من ١٠٠ ألف بحيرة عذبه ومالحة واكبر هذه البحيرات بحيرة «فارنر» حيث تبلغ مساحتها (٥٨٥ كم٢) ويربط هذا الكم الهائل من البحيرات شبكة واسعة من القنوات.

توجد انهار عديدة بها ولكن قصيرة، ومصادرها متعددة تنبع من الجبال الشمالية الغربية عندما تنصهر الثلوج الذائبة، وتجرى هذه الانهار وسط الغابات، وتصب فى بحر البلطيق، واكبر هذه الانهار هو نهر «جوتا» Gota ويبلغ طوله (٧٢٠كم) ويقع وسط مدينة «جيتنبورج»، ويوجد فى السويد مساقط مائية وشلالات كثيرة جعلت السويد من الدول المتقدمة فى توليد الطاقة الكهربائية، وأقامت السويد محطات لتوليد الطاقة على مساقط الانهار مثل «جوتا»، «تورن»، «أيمه»، وغيرهم وتنتج محطة «ايرسوند» حوالى «٤٠٠» ألف كيلوواط ساعة.

فى اللغة السويدية تسمى السويد بـ «سفريا» Severige وهذا الاسم مشتق من كلمة «سيفيا» Sevea، وهى كما تخيلها السويديون امرأة قوية


بحيرة فورشين




بدينة يجلس تحت قدميها اسد.. واصبحت هذه الصورة رمزاً لملكة السويد.

العاصمة «استكهولم» وهي اكبر المدن السويدية، تبلغ مساحتها (٧,٧١٥) كم٢ يقطنها حوالى مليون ونصف المليون نسمه، تمتاز بجمالها ونظافتها وهدوئها، بها اكثر من ثلاثة آلاف جزيرة بين الكبيرة والصغيرة يفصل بينها بحيرات عذبه ومالحة بالقرب من البحر، وتتصل هذه الجذر ببعضها البعض عن طريق جسور انيقه جميلة جعلت منها بانوراما طبيعية تجلب الالباب.. واستكهولم مركز للمواصلات البحرية والبرية والتجارية والصناعية، فالصناعات بها متعددة كصناعة الصلب والسيارات والسفن والورق والملابس القطنية والادوات الكهربائية والمنزلية وغيرها من الصناعات الحديثة.

ونظراً لوجود مقر الحكم والبرلمان بها فهي تعتبر العاصمة السياسية للدولة أما المدن الاخرى فلها ما للعاصمة من اهمية، وتعتبر استكهولم مركزاً ثقافياً وحضارياً، وذلك لوجود دور العلم المنتشرة هناك كالجامعة والمعاهد والمدارس العليا، وبالاضافة لوجود الاحياء الجديدة ذات الطابع الاوربي الحديث ترى الاحياء القديمة ذات الطابع الاصيل فهناك متحف يضم الطرز المعمارية القديمة للعمارة السويدية في مختلف مراحلها ويقع هذا المتحف على جزيرة تعرف باسم «الفرسان» ومن اهم معالم الجزيرة كنيسة يرجع تاريخ بنائها الى القرن الثالث عشر الميلادى، وبالقرب من هذه الكنيسة يقع القصر الملكى الذى يعد من اقدم القصور الملكية فى اوربا ويضم حوالى ٥٥٠ غرفة، وقاعة زينت جدرانها برسوم غاية فى الابداع قام برسمها فنانون سويديون وفرنسيون، كما توجد بالعاصمة متاحف كثيرة متنوعة، فيوجد بها متحف العصور الوسطى ومعرضه الذى يحكى لنا قصة الملوك الفايكنج، وهناك احياء انشئت خصيصاً لجمع كل المبانى والطرز المعمارية السويدية القديمة والتي نقلت إليها من مختلف أنحاء السويد وهذه المنطقة يطلق عليها «سكاسن» وهى تدل على رغبة السويدى فى المحافظة على تراثه القديم، وهذا الحى قريب من مقر السفارات الاجنبية والمبانى الحديثة فيمكن لزائر المنطقة ان يرى فى نفس الوقت القديم والحديث يوجد بالعاصمة دار الاوبرا الملكية، والمسرح الدرامى الملكى.

والتخطيط القائم بالعاصمة هو نفس التخطيط فى المدن الاخرى، فهناك «السنتر» وهو مركز المدينة ثم الميادين الكبيرة والصغيرة والشوارع الطولية العريضة.

ومن المدن السويدية ايضاً «جيتبورج» الصناعية و«نورشيبنج Norr.KoPIng»، و«هلسن بورج» و«كريشان استاد»، و«هسلاهولم» ومدينة «مالمو» عاصمة منطقة «اسكونا» وبالقرب منها تقع مدينة «لويند» التاريخية وجامعتها العريقة.

نظام الحكم فى السويد ملكى دستورى، والحكومه هناك نيابيه تأخذ بنظام التعدد الحزبى القائم على التمثيل النسبي، اما الاحزاب الرئيسية

فهي:
(١) حزب الاحرار «المحافظين سابقا».
(٢) حزب الاتحاد المعتدل.
(٣) حزب الوسط «الزراعى سابقا».
(٤) الحزب الاشتراكي الديمقراطى ويعتبر أقوى الأحزاب السياسية في السويد.
(٥) الحزب الشيوعى وهو حزب ذو اتجاه قومي لا يحيد عن مبادئ النظام البرلمانى، وانشق هذا الحزب عن الحزب الاشتراكى الديمقراطى عام ١٩١٧م.

والبرلمان السويدي «ريكس داج Riks Da-gea» يضم ٣٤٩ عضواً تتركز السلطة فيه للحكومة التى تتكون من قادة الحزب او الاحزاب التى تكون الاغلبية، والملك بنص الدستور هو رئيس الدولة يملك ولا يحكم، وطبقاً للتعديل الذى طرأ على الدستور السويدى حديثاً تقرر أن تكون خلافة العرش لاكبر أبناء الملك سناً سواء أكان ذكراً أم انثى، والملك الحاليّ للسويد هو «كارل جوستاف» السادس عشر، الذى توج ملكاً للبلاد عام ١٩٧٣م وهو سليل ملوك أقوياء كانت لهم سلطات مطلقة وواسعة فى الحكم، وكان أخرهم «جوستاف الخامس» الذى توفى عام ١٩٥٠م وكان له دوراً معروفاً اثناء الحرب العالمية الثانية التى لم تدخلها السويد.

تعداد سكان السويد حوالى ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة، يدين اغلبهم بالمسيحية البروتستانتيه يعيش فى السويد ما يقرب من مليون اجنبى قدموا إليها إما عن طريق الهجرة واللجوء السياسي، او للدراسة والعمل وفى السويد يعيش الآن أكثر من ٥٠الف مسلم جاءوا من بلاد اسلامية مختلفة مثل تركيا، إيران، افغانستان، اكراد، يوغسلافيا «السابقة» وكذلك من البلاد العربية خاصة العراق ولبنان وفلسطين، يتصل هؤلاء المسلمين بعضهم ببعض من خلال المراكز الاسلامية الموجودة فى المدن السويدية وخاصة مدينة «مالمو» التى بها الآن مُجمّع إسلامي ومسجد كبير فى اطراف المدينة، وللسويد لغتها الخاصة و«سفنسكا» Svenska وهى من اللغات الجرمانيه الشمالية التى انحدرت من اللغة «النوردية» القديمة، ومنها الان لغات الدانمرك وايسلندا والنرويج واللغات الجرمانيه العليا والسفلى وكذلك اللغة القوطية القديمة، وفى الشمال تعيش قبائل اللاب Labb ويعرفون باسم «سامرنا» Sammerna، يبلغ عددهم حوالى ١٥ ألف نسمه، ورغم أنهم يتحدثون اللغة السويدية إلا أن لهم لغتهم الخاصة التي يعتزون بها، ولهم عاداتهم وتقاليدهم التى مازالوا يحافظون عليها وتعرفهم فى ملابسهم المميزة وهم يرعون حيوان الرنّة، ومن المرجح ان هؤلاء القوم استوطنوا شمال السويد عندما انتقلوا من العالم القديم فى آسيا وهم فى طريقهم الى العالم الجديد عن طريق ممر «بهرنج» عندما تتجمد مياهه فى فصل الشتاء، اما السويديون انفسهم فترجع اصولهم الى قبائل الجرمان التى استوطنت شبه جزيرة اسكندناوة عام ٥٠ ق.م.

يغلب على الشعب السويدى طابع التجانس حيث انه اندمج مع المهاجرين الذين قدموا الى السويد فى الفترة من عام ١٩٦٠م الى عام ١٩٧٠م



فتاة من القطب الشمالي


- تعليم اللغة السويدية للأجانب

وقدر عددهم بحوالى نصف مليون نسمه ومعظمهم من الفنلنديين الذين نزحوا الى السويد سعياً وراء العمل والكسب، أو من البلاد التى اندلعت فيها الحروب مثل فيتنام وغيرها من الدول الفقيرة، وازداد هذا العدد تباعاً من الدول الطاردة للسكان سواء أكان ذلك بسبب الحروب ام الظروف الاقتصاديه الصعبه ، وبنظرة عابرة الى السويد ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر نجد ان السويد كانت تمر بظروف اقتصادية سيئة وصعبة، فهاجر على اثرها ما يقرب من نصف المليون سويدى الى امريكا واستراليا وكندا وإلى الدول الغنية فى اوربا وتنحصر هذه المدة من عام ١٨٥٠م الى عام ١٩٥٠م، وذلك بعد ان اصاب السويد البلاء فى الزرع والضرع ونفقت الماشية، وارتفعت نسبة الرطوبة هناك فقلّ الغذاء حتى ان الناس لجأوا الى صناعة الخبز من قشر الاناناس وعجز القرويون عن اطعام انفسهم، وكانت العاصمة استهكولم تعتبر واحدة من أفقر العواصم الاوربية، فانتشرت المجاعة منذ عام ١٨٦٠م حتى عام ١٩١٧م بسبب نقص الموارد الغذائية الرئيسية والوقود، ولكن مع بداية عام ١٩١٨م ظهر تحسن ملحوظ فى الحالة الاقتصادية فى السويد، ويرجع ذلك الى المساعدات والضمانات الانجليزية، ووجود خام الحديد الذى اكتشف وبكثرة هناك، واعتمدت السويد فى اصلاح اقتصادها على فرض الضريبة التصاعدية، ولذلك هاجر كثير من الفنانين السويديين الذين ذاعت شهرتهم فى العالم الى امريكا، ففى عام ١٩٢٥م هاجرت الممثلة العالمية «جرى ياجاربو» وبعدها الممثلة العالمية «انجريد برجمان» والمخرج العالمى انجماربريجمان كما اثرت السويد فى الثقافة والادب العالمى فظهر منها كتّاب عالميين امثال «سترندبرج» الذى كتب اعمالا رائعة فى المسرح والشعر والرواية وظهر بعد ذلك الكاتب المسرحى والشاعر الروائي «بار لاجركيفست» والمؤلف المسرحى «لارس لوريين» و«سوزرينبرج» والأديبة وكاتبة أدب الأطفال الشهيرة فى السويد «سلمى لاجوم» ومن الشعراء المحدثين «جوناراكيلوف».

منذ قديم الزمان امتهن السويديون حرفة قطع الاخشاب، ومازال يعمل بها ولكن بالوسائل التكنولوجية الحديثة. فالغابات هناك تحتل مساحات شاسعة، وهى متنوعه، فتنمو اشجار الصنوبر على السفوح والسواحل الغربية والشرقية. أما الغابات النفضية فتوجد بكثرة فى جنوب البلاد أما اشجار التندرا والاعشاب تنتشر فوق المرتفعات الغربية، كما هو الحال فى شبه جزيرة اسكندناوة، تقطع الاخشاب بمناشير كهربائية عملاقة ثم تلقى فى مياه الانهار لكى تجرفها الى اماكن صناعاتها او الى موانئ تصديرها . وفى مجال الزراعة، كان يعمل بها فى الماضى اكثر من ٢٥٪ من عدد السكان، فهى من الحرف الرئيسية هناك، لما تقوم عليها من صناعات حديثة واهم هذه الزراعات «الشوفان، الشعير، القمح، البطاطس» التى تعتبر من اهم المحاصيل الزراعية فى السويد، كما تنتشر اشجار الفواكه هناك، وخاصة اشجار التفاح التى تزرع كأشجار



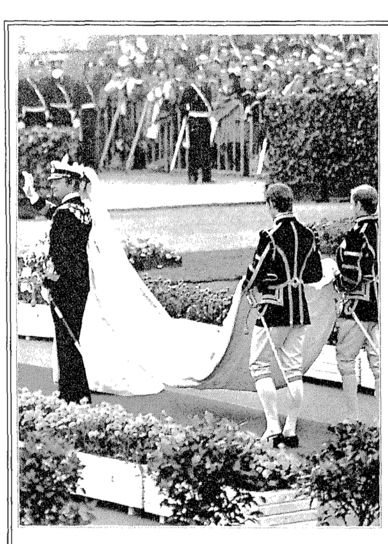
زينة على جانبي الطرقات .

حرفة الرعى هى من الحرف القديمة هناك ولاتزال تلقى اهتماماً بالغاً من قبل الفلاح السويدى، وتقوم عليها ايضاً صناعة منتجات الألبان، فتنتشر هناك قطعان الماشية والضأن وكذلك الخنازير. أما حيوان الرنة فينتشر قطيعه على الاطراف الشمالية للبلاد. أما حرفة صيد الأسماك لم تأخذ الاهمية القصوى كما فى النرويج. أما الصناعة فقد تقدمت كثيراً فى السويد عما كانت فى الماضى وربما يرجع ذلك الى ان الارض السويدية تغطيها مساحات كبيرة من الغابات، كما تغطى أراضيها الثلوج معظم أوقات السنه، ومن ثم لجأ السويديون الى الاهتمام بالتصنيع الذى أصبح الآن علامه مميزة هناك، وساعدها على ذلك وجود خام الحديد والنحاس والمنجنيز، وقربها من منابع البترول المتواجد في أعماق بحر الشمال، وكذلك علاقة السويد الطيبة مع الدول العربية صاحبة اكبر قدر من الانتاج العالمى من البترول، ولهذا ارتفع مستوى المعيشه فى السويد ووصلت فيه الى حد الرفاهية حيث بلغ متوسط دخل الفرد هناك الى ما يزيد عن ٨٠ الف كراون سويدى فى السنة. هذا بالاضافة الى المساعدات الحكومية التي خصصت الى ذوى الدخول الادنى من ايجار للمسكن والغذاء والملبس والصحة كما تقدم الحكومة المساعدات للمتقاعدين والمسنين ورعاية الاطفال، والتعليم وكذلك تقديم القروض الميسرة للطلبة الجامعيين حتى يتسنى لهم استكمال دراستهم.

يشاع عن السويد، ان شمال البلاد فى فصل الصيف لا ينقضي النهار فيه ، حيث تظل السماء هناك مضيئه طوال الليل، فتكون مثل وقت الغروب او المساء في اوله - مما يوحى للزائر لهذه المنطقة، ان النهار مستمر لمدة اربع وعشرين ساعة، هذه الظاهرة تعرف باسم ضوء النهار، او شمس منتصف الليل، وبالطبع هذه ظاهرة طبيعية تحدث في الفترة ما بين ٢١ مارس الى ٢٣ سبتمبر من كل عام، وتتناقص هذه الفترة تدريجيا كلما أتجهنا جهة الجنوب. كما ان هذه الظاهرة تحدث ايضاً فى القطب الجنوبي، ولكن فى مواعيد مختلفة.

نتجاوز الحقيقة عندما نقول ان هناك نوعاً من الحيوانات تعيش فى السويد تنتحر انتحاراً جماعياً، كما يشاع عن السويد ايضاً، ان بها اكبر نسبة انتحار بشرى فى العالم.

والقصة تبدأ فى شمال السويد حيث يعيش هناك حيوان صغير اسمه «فيلميل» Fjallammel أو لامنج Lammen وهذا الحيوان يشبه الفأر فى الشكل، اما الحجم فهو اكبر منه قليلا، وهو حيوان من فصيلة القوارض، يكسو جسمه شعر اسود كثيف، له ذيل قصير، يظهر هذا الحيوان في فصل الصيف فى شمال البلاد، فيقضى على الحقول، وكل ما يقابله من زروع خضراء، فى هجوم منظم لا رحمه فيه. وعندما يحل الشتاء يسير هذا الحيوان فى جماعات تقدر بالالوف، هذه الجماعات لا تعرف مسلكاً او طريقا لها تهرب اليه من كثرة الثلوج المتساقطة وشدة الصقيع، فتكون النتيجة انها تتساقط. من فوق تلال الجبال الثلجية في حالة انتحار جماعي وكأن هذا المصير المأساوى جزاءاً لما اقترفته من ذنب كبير بقضائها على الحقول.



وربما تكون الحقيقة أن هذا الحيوان قد تحدث له تغيرات في الجهاز التناسلي والعصبي مما يؤدي الى اصابته بلوثة عقلية، فيضل طريقه، وتكون النتيجة تساقطه من فوق المرتفعات، التي تعرف باسم «الفيوردات» التي تكونت قديماً نتيجة انحدار الجبال الغربية انحداراً شديداً ناحية المحيط الاطلسي حيث تكثر الخلجان الصغيرة والمستطيلة فتكونت هذه الفيوردات التي تكثر فيها الجزر الجبلية عند مداخلها ولكن لم يقض على كل هذه الحيوانات كلية، بدليل استمرارية هذه الظاهرة سنويا وهذا النوع من الحيوانات يتوالد بكثرة، فهي قدرة الله عز وجل للحفاظ على عملية التوازن البيئي.

من اول وهلة، يمكن ان تميز السويدي عن أي أوربي آخر فتجده في شقرته الغالبه عليه، وبشرته البيضاء المشربة بالحمره، وعيونه الزرقاء وطول قامته. ونساؤهم على قدر كبير من الجمال، فقامتهن ممشوقة وقلّ ان تجد البدانة بينهن ويتمتعن بحريات واسعة، اعطتهن تلك الحرية حب التسلط على ازواجهن، وإجبارهم على المشاركة في الاعمال المنزلية، من طهو للطعام وحياكه الملابس.. الخ لان الحياة الزوجية هناك اساسها المشاركة لهذا السبب تجد الرجل هناك لا يندفع الى الزواج الا بعد اقتناع تام بمن سوف تشاركه حياته. إلا أن المرأة السويدية تجاوزت حد المشاركة الى الاستعلاء، مما دفع الرجل السويدي الى الزواج من أجنبيات ادني في مستوى المعيشة مثل بولندا وروسيا وغيرهما من الدول الفقيرة.

وصفة الحذر غالبة علي الشعب السويدي، حتى يقال عنه أنه يجرب اكثر من عشرة انواع من الجبن قبل ان يقرر شراء جرام واحد ليأكله. ويعتقد كثير من الناس ان السويدي انطوائي بطبيعته، ومن الصعب مصادقته، ولكن الحقيقة ان خجله لا يشجعه لان يبدأ هو بالتعارف، خصوصاً اذا كان في مكان عام. ربما يعود ذلك الى طبيعة الجو البارد هناك فهو دائماً في خوف شديد منه وربما يكون هذا السبب ايضاً هو الذى جعل السويدي يسعى لتأمين مستقبله، مما حدا به الى جمع المال، ورغبته الجامحة في ادخاره، ولذلك تجده يعمل كثيراً مما جعل الناس تصفه بانه يقدس العمل. وتلمس كل ذلك من خلال حياته اليوميه، عندما يذهب الى نومه مبكراً يستيقظ في الصباح الباكر، ويستمع الى الموسيقى الخفيفة ويطالع الصحف اليومية اثناء تناوله طعام الافطار من القهوة أو الشاي والجبن والزبد واللبن.

ويعرف السويدي كيف يقضي اوقات فراغه خاصة في يومى عطلة الاسبوع، فينطلق في رحلات مصطحباً عائلته أو أصدقاءه ليتمتع بالطبيعه والهواء الطلق. ولذلك تجده يعمل على المحافظة على الطبيعة، فهو دائم التنزه في الحدائق العامه والغابات وعلى قمم التلال، ويمكنه أن يقضي ساعات طويله متجولا أو راكباً دراجته في المدينه يتبعه كلبه جريا خلفه. والكلب بالنسبة للسويدي صديق حميم، فنادراً ما تجد أسرة سويدية لا تملك كلباً ترعاه وتجعله واحداً من افراد الاسرة.

ومن الرياضات المحببة للسويدي لعبة «الايس

هوكى» وهى لعبة مشهورة هناك، يستخدم فيها اللاعب عصا لضرب الكرة فى ملاعب ارضيتها ثلجية أنشئت خصيصاً لهذا الغرض، وهذه اللعبة تشبه لعبه « الحوشكا» المصرية القديمة التى كان اللاعبون فيها يضربون الكرة بعصا من جريد النخيل. ومن هوايته المحببه التزحلق على الجليد، والعدو وسط الغابات المتدة. كما يقضى السويدى غالباً وقت فراغه فى المطالعة والقراءة، اما فى مكتبته الخاصة او فى المكتبات العامة المنتشرة في السويد. والتى يمكن للمرء أن يقضى وقتاً طويلا فيها دون ملل، ففيها يمكن ان تستمع الى الموسيقى الخفيفة او تحتسى القهوة والشاي وتناول وجبات خفيفة وهي مليئة بكافة انواع التسلية والمعرفة.

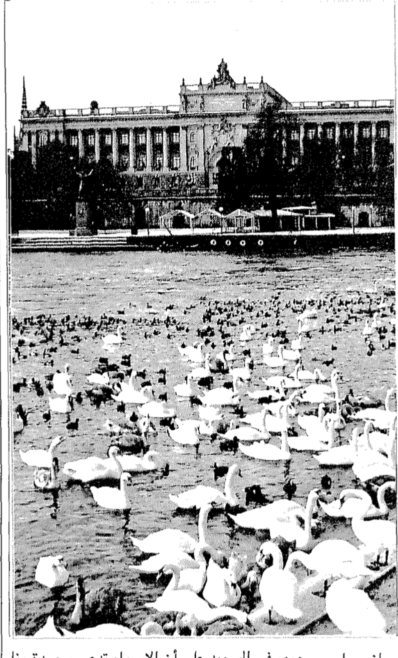
ومن الطبائع الغالية على السويدى الدقة في المواعيد فهو يحافظ عليها حتي ولو كان الجو مثلجاً بارداً ، او ممطراً ليناً. ويحترم السويدى القانون والشرطة، وبالذات اشارات المرور، ولا سيما انه لا يوجد شرطي ينظم حركة المرور فى الشوارع، ولكن تتغير هذه الاشارات «اتوماتيكياً» من تلقاء نفسها، ومن طبائعه ايضاً الامانة فهو موثوق فيه حريص على دفع الضريبة للدولة حتى انه يدفع ضريبة التليفزيون لأن القانون هناك يمنع عرض الاعلانات التجارية على شاشة التليفزيون.

ومن صفات الشعب السويدى انه مخترع ماهر استطاع أن يطور الصناعات القديمة، واستوعب التقنيات الحديثة فابتكر صناعات جديدة تحمل اسمه. وبذلك يكون السويدى قد ساهم فى نهضة اقتصاد بلده، وساعده على ذلك الاستقرار والسلام اللذان تنعم بهما السويد باتباعها سياسة الحياد، والتعايش السلمي لضمان امنها القومى والمحافظة على استقلالها ـ وتقوم السويد بمنح جائزة «نوبل» العالمية تشجيعاً وتقديراً لكل عمل جديد وجيد، ومفيد للبشرية سواء داخل السويد او خارجها.

ومن خلال معايشتى للشعب السويدى لمست انه ليس من عادته التدخل فى شئون غيره سواء على المستوى الحكومي او الفردى فتعمل الحكومة على مساعدة الدول الفقيرة، كما ان السويدى لا يضمر الحقد او الحسد ولا يسمح بوجود التعصب داخل بلده وبالذات ضد الأجانب المقيمين هناك، فالاجانب فى السويد متساوون مع أهل البلاد فى الحقوق والواجبات فيسمح للاجنبى بممارسة عقيدته فى حرية، كما أن الدولة لا تبخل بمساعدتهم فى بناء دور العبادة كبناء المساجد والكنائس والمعابد. فالمساواة سمة الدولة والشعب السويدى، فتجدها واضحة حتى فى السويديين انفسهم فنجد «القاب اسرهم واحدة مثل «سفنسون، بيترسون، نبلسون» كما تجد ان الاجور فى السويد متقاربة بعد خصم الضريبة ولذلك تجد منازلهم تقريباً واحدة وتحوى نفس الشيء.

ولأن من طابع الشعب السويدى تقديس الصداقة الخالصة أحببت البلد والناس، فتوثقت صلتى بصديق يدعى «هسى Hasse وكنت ادعوه بـ «حسن»»، وصديق آخر يدعى «اوستافنس Astfan وكنت اطلق عليه «مصطفى» واتفقنا على ان ادعوهما بهذه الاسماء العربية، لاشعر اننى فى موطنى وبين عشيرتى. وبمعرفتى بالصديقين عرفت أسرتيهما زوجة الاول تدعى «سلمى Salme كما ننطقها بالعربية، وزوجة الثانى «اليزابيث Elisbith الاسماء كما تبدو اسماء عربية شائعة فى السويد، وما وجه الغرابة وأنت تسمع فى لغتهم كلمات كثيرة، متداولة يومياً تشبه تماما فى اللفظ والمعنى نظيراتها فى اللغة العربية ـ فكلمة «جرنا Granna تعنى عندهم وعندنا «جيران» وكلمة «خده Kudda » هى نفس كلمة «مخدة» وفى الفصحى «وسادة» .. وكلمة «مدراس Maddraså السويدية تحمل نفس المعنى لكلمة «مرتبة» بلغتنا العامية.

وينطقون كلمة «سكر Socker كما ننطقها نحن العرب بضم «السين» ووضوح «الراء» وليس كما يقولها الانجليز «شوجر Sugarå أما الفعل السويدى «أستنار Stannarå الذى يعنى عندهم «استنى» بعاميتنا وفى الاصل العربى «تنى» اى بمعنى «انتظر» ففى الاتوبيس العام فى السويد عندما يرغب احد الركاب النزول فى أحد المحطات عليه فقط، أن يضغط على زرار بجانبه، عندئذ يدق «جرس» فيتنبه السائق بان احد الركاب سينزل فى المحطة القادمة، وتظهر على الشاشة أمام السائق جملة «استنارهيز Stannarhar اى اقف فى المحطة القادمة، ومن المفارقات اللطيفة من الامثال الشعبية هناك (Mitt nammenar Anna for inte Stanna) أنا اسمى «آنا Anna الجميلة لا تستنى» اى لا تنتظر أننى سوف اقابلك. واذا وقفنا عند تلك الكلمات، نسأل انفسنا .. هل كانت هناك



صـلات قـوية بين الناطقين باللغـة السويدية والناطقين باللغـة العربيـة؟ وهل لعبت الرحلات البحرية والتجارية لملوك السويد القدامى من «الفايكنج» منذ عـام ٨٠٠م الى عـام ١٠٦٠م دوراً في هذا الاتصـال او الاحـتكاك الحضارى؟ فهولاء «الفيكنج» كانوا قد جـابوا عـبـاب البـحـار ووصلوا الى الاندلس وبالقرب من المغرب العربى حتى انهم وصلوا الى بغداد بالعراق عن طريق بحر «قزوين» أو كانت نتيجة الاحتكاك الحضارى والثقافى بين اوربا وبلاد العـرب فى الاندلس، خـاصـة «طليطله» التى كـانت مـركـز اشـعـاع ثقـافـى وحـضـارى فى وقت ازدهـار الحضارة العربية٠٠؟

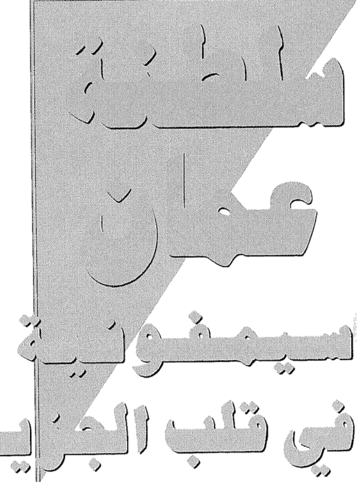
تأملت وفكرت كـثـيراً فى مـجـمل خـواطرى٠٠ فـإطرائى على الشـعـب السويدى، ومدحى له فى جوانب كثيرة، لم يكن وليـد تلك اللحظة التى اشـاهد فيها الخريطة٠ وهى على بعد منى فى الافق٠ وإنما هو ما عايشته ولمسته من عادات وتقاليد شعب السويد٠ في هذه اللحظة كـانت الخـريطة قـد غـربت واختفت من امامى، وكأنها ذهبت مع الشـمس التى مالت للغـروب، وفى هذه اللحظة أحـسـست بـأن الحـركـة بدأت تدب فى «التراس» واصـوات الموسيقى الشرقية الاصيلة انبعثت وبدأت تسبح فى المكان فاخذت أذناي تنصت اليها فى انسجام، بينمـا السـيـاح جـالسـون يتنسـمـون الهـواء العليل الممزوج بشذى رائحـة الورود والرياحين وأصدقـائى السويديين قد عادوا من رحلتهم النيلية وشـاركونى جلسـتى «اوسـتـافين» او «مـصـطفى» وزوجـتـه «اليزابييت» ومعهم طفلهم «اوستين» اما «هسى» أو «حسن» وزوجته «سلمى» فلم يتمكنا من القدوم الى مصر معهم هذه المرة٠

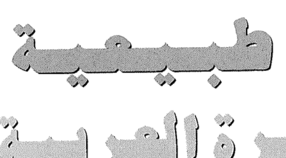
وبينمـا كـان الحـديث يدور بيننا، اذا بـالطفل «استين» ينادى أباه قـائلا: اوسـتـافين أريد اشـرب مـانجو؟ فلم يكن غريباً على مثلى ان اسمع سويدياً يدعو أباه باسمه مـجـرداً من كلمة «بابا» لان العـرف جرى فى السويد على أن الاسماء تدعى مجردة منا اية ألقاب٠

وحـديث الطفل «اسـتين» لم ينسنى سـؤال «اوسـتـافين» لى ان كنت قـد انتظرت طويلا فى هذا المكان الرائع الجميل؟٠٠ فـأجبـته وبداخلى سـرور كـبـير: أنه رغم طول الوقت الذى امـضـيـتـه هنا، إلا اننى لم اشـعـر بـه ، فقد كنت فى رحلة مع خـواطرى الى السـويد فـذكرياتها دائمـاً معى ومـهـيمنة على مخيلتى، دعوت الاصدقاء لتناول طعـام العشـاء، ثم ودعتهم على أمل اللقاء٠ إمـا فى مصر أو فى السويد إن شاء الله٠

ولنا لقاء فى حلقات قادمة٠٠٠

"بين صخب الموج وصمت الصخور.. بحر وجبل في عناق دائم وحوار لا ينتهى.. جدل شهير ودائم، جدل يمتد من تضاريس الجغرافيا ليسطر صفحات وصفحات في سجلات التاريخ الحافل.. تلك هى «عُمَان» التى تحمل أغنيات العشق القديم، هنا يكمن سر الإنسان العمانى الذى هبط من فوق وعورة الجبال ليركب وعورة الأمواج، فسيرة بحارة عمان تختلط فيها الحقيقه بالأسطورة، فقد اختلطت حكاياتهم بالواقع الأكثر غرابة واستطاعوا بمقدرة فائقة التسلل الى صفحات ألف ليلة وحكايات البحر القديمة، منذ أن طاف البحار العمانى الشهير «أحمد بن ماجد» ببحار الهند والصين وأفريقيا وعاد بحكايات السندباد البحرى. لندخل معاً الى صفحات التاريخ لنقلب بين أوراقها ونتعرف على البداية:"




عزيزه
يوسف
محمد
- القاهرة -

**«بوابة التاريخ»:**

تقع عمان في الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة العربية وتطل على المحيط الهندى والخليج العربي، أطلق عليها السومريون اسم «قجان» وهو أصل الاسم الذي تحول الى عمان وهو يعنى اسم خام النحاس الذى تخصصت فيه تلك المنطقة وصنعت منه سلاح الحضارات القديمة، وكان



# المباني العمانية لوحة طبيعية رسمتها يد فنان عاشق للجمال والحياة

هذا المعدن الثمين في تلك الآونة السبب في العديد من موجات غزو الفرس الاكاديين والساسانيين، كذلك كانت عمان هى البوابة التي عبر منها الإنسان الأول في طريق الهجرات الأولى من وسط أفريقيا الى آسيا حيث كانت تمثل منطقة جذب للإقامة وهناك الكثير من الحفائر التي تؤكد على وجود إنسان ما قبل التاريخ في تلك المنطقة. وبعد انهيار سد مأرب استوطنت قبائل الأزد شاطئ الخليج وأقاموا أول مملكة عرفها التاريخ وظلت مزدهرة حتى دخلت فى الإسلام على يد عمرو بن العاص وأبى زيد الأنصارى، وخلال هذا التاريخ كانت سفن «البوم» الشهيرة تواصل تحديها للعواصف والأمواج حتى وصلت إلى شواطئ الهند والصين وجزر إندونيسيا وشرق أفريقيا، حيث كانت عاملا أساسيا في نشر تقاليد الحضارة العربية وتعاليم الدين الإسلامى، حتى الآن مازالت تقاليد البحارة العمانيين ومفرداتهم اللغوية منتشرة بين



# صناعات تراثية ومشغولات على أنغام الاهازيج والرقصات الشعبية

أهالي هذه البلاد، كما أنهم كانوا وراء نشأة اللغة السواحلية التي تختلط فيها اللغات الافريقية القديمة بالمفردات العربية وهي لغة التفاهم الرئيسية في شرق أفريقيا.

**أنشودة الصمت:**

عمارة اسلامية تغلب على المباني فتبدو كلوحة طبيعية رسمتها يد فنان عاشق للحياة والجمال.. البحر والجبال تقع في الخلفية في تناسق بديع

تلك هي مسقط التي تقع في حضن الجبل تتحدد من الجهات الثلاث أما الجهة الرابعة فتعانق البحر، أول ما يلفت نظر الزائر لمدينة مسقط هو النظافة والهدوء

والنظام الذي يغلب على الحياة هناك، تضم مسقط العديد من المدن الجديدة التي أقيمت على سفوح المرتفعات أو في الأودية فهناك مدينة قابوس والخوير والوادي الكبير وكلها مدن شاهدة على التطور الكبير الذي تعيشه البلاد، هذا الى جانب القرى القديمة التي تطورت مثل قرية «القرم» وقرية «مطرح» بأسواقها وقلاعها القديمة قدم التاريخ.

وسط جبال الجزيرة العربية القاحلة تتزين جبال وتلال قرية «صلالة» العمانية بثوب أخضر بديع اللون، فالأشجار هناك لها سحرها الخاص..

أشجار تجمع في غصونها كل فصول العام فهي تحضر كل عناصر الزمن وملامح الكون أغصان تشع باللون الأخضر وأخرى تتوهج بالألوان الزاهية المتداخلة هذا هو سحر الخريف في مدينة صلالة، وتعد صلالة تحفة في قلب الجزيرة العربية، فالحرارة







# الزى العمانى بساطة وابداع وتقاليد عريقة

لا تزيد في الصيف عن ٢٥ درجة مئوية، كما أن هبوب الرياح الموسمية بما يصاحبها من مطر هادىء وضباب شفاف يجعل جوها ساحراً.

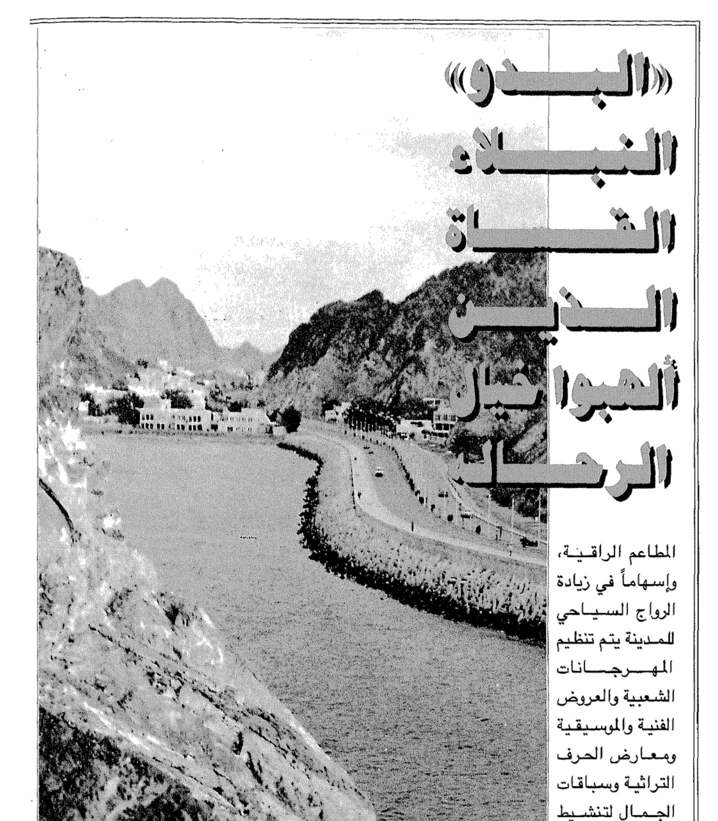
صمت مطبق فيه شيء من الابداع ورهبة الصخور وتباعد السحب، كل شيء صامت وحدها الطيور تعزف أنشودة حريتها فرحة بالأشجار وينابيع المياه العذبة.. هذا هو «وادى دربات» الذى يقع في مدينة صلالة ويعد من أجمل وديان «عمان» حيث الزهور والفراشات النادرة.

**مواقع ومهرجانات وبخور:**

تنقلنا مدينة «صلالة» إلى مواقعها الدينية وحكاياتها الغامضة، ففي وسط المدينة توجد آثار ناقة النبى صالح التى يحكى أنها كانت صخرة صلدة تكون سقف لإحدى المغارات ولكنها دكت عندما مشت عليها ناقة النبي صالح، كذلك هناك ضريح النبى عمران التوراتى الشهير الذى ترك فلسطين وعبر الصحراء ليدفن في صلالة، ويعد الضريح مثالا في الطول فهو عبارة عن ثلاثين متراً طولا ومغطى بالرخام والأبسطة الملونة وتتصاعد من حوله روائح البخور واللبان. هناك فوق قمة جبل « آتين» يوجد قبر النبي أيوب الملحق به مسجد أبيض واستراحة تبدو متألقة فوق قمة الجبل.

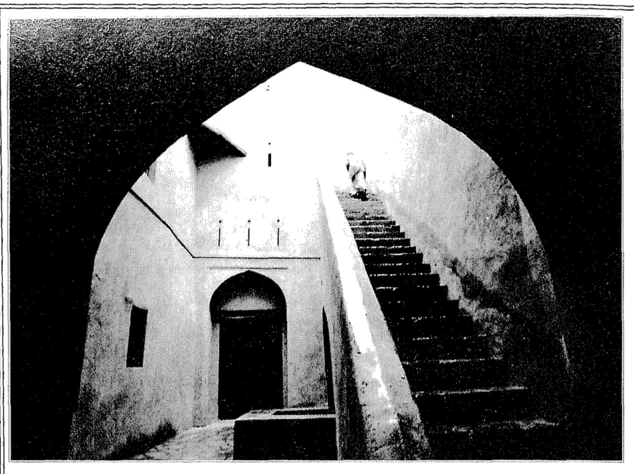
تشهد مدينة صلالة رواجاً سياحيا كبيرا حيث يفد إليها الكثيرون ممن يطلبون الاستمتاع بالطبيعة الخلابة والتراث الفريد، ويوجد في المدينة العديد من الفنادق الراقيه والإستراحات الجبلية والمنتجعات والمتنزهات الى جانب

# «البدو» النبلاء القساة الذين ألهبوا خيال الرحالة



المطاعم الراقية، وإسهاماً في زيادة الرواج السياحي للمدينة يتم تنظيم المهرجانات الشعبية والعروض الفنية والموسيقية ومعارض الحرف التراثية وسباقات الجمال لتنشيط الموسم السياحي.

من العادات المتأصلة فى مدينة صلالة ما يعرف بعادة «التنوير» ويستخدم فيها البخور وهى عادة متبعة عند قدوم السلطان الى المدينة، حيث يتم فيها صعود الأهالى إلى أسطح المنازل ويحضرون من قدراً من البخور ثم يشعلونها فتبدو وكأنها شعلة نور تتوهج ويفوح أريجها فى كل مكان وذلك تعبيراً عن الفرحة والابتهاج.



# «اللبان» النفط العماني الساحر الذى عطر جو التاريخ

**نفط عمان: (شجرة اللبان)**

هناك منذ أقدم العصور ووسط عراء الصحراء القاحلة، تنمو وتتفرع وتضرب بجذورها فى قلب الصخور، تسقى من ماء المطر وتتحدى عوامل القيظ والبيئة القاحلة، شجرة صبورة غصونها جافة وأوراقها صغيرة وقليلة، إنها «شجرة اللبان» أو كما يطلقون عليها «نفط عمان» توجد شجرة اللبان فى المنطقة الجنوبية «ظفار» ولكى يتم تجميع اللبان لابد من استخدام سكين خاص بذلك

كذلك تستخدم عادة التنوير فى ليالى الأفراح والزواج حيث تتصاعد رائحة البخور الذكية مع أنغام الموسيقى وأصوات الزغاريد، كذلك الأمر فى حالات الولادة وقدوم أطفال جدد للأسرة حيث يتم إشعال أنواع البخور الفريدة والمتنوعة ابتهاجاً بالمولود الجديد.

وتعتبر منطقة «حنون» التى تبعد «٦٠» كيلا عن صلالة من أشهر مناطق شبه الجزيرة العربية في زراعة أشجار البخور.

يزاح بواسطته جزء من لحاء الشجرة حتى يتم تعريه جزء من الفرع، وتبدأ المنطقة العارية فى إفراز سائل اللبان الذى يشبه اللبن الصافى وتترك لمدة أسبوع تواصل الإفرازات حتى تتكون كرة صغيرة من اللبان، وقد كانت هذه الشجرة مصدراً مهماً للتجارة فى العصور القديمة، ومما يذكر أن المصريين القدماء عرفوا اللبان واستخدموه فى تحنيط موتاهم وعلاج بعض الأمراض، كذلك تعطرت كنائس روما وأوربا بالرائحة الذكية للبان المحترق، فهو الساحر الذى عطر جو التاريخ، ويعد ميناء «سمهرم» من أشهر الموانيء العمانية التى استخدمت في تصدير اللبان الى بلاد العالم. تبلغ مساحة «ظفار» ١٢٠ ألف كيلومتر مربع جنوب غرب سلطنة عمان، تنتشر في شوارعها أشجار «جوز الهند» و«الموز» و«الفافاى» فتبدو أراضيها وكأنها مفروشة بسندس أخضر يمتد بألوانه المتدرجة فى شكل بالغ الروعة والسحر، كذلك تتمتع منطقة «ظفار» بامكانيات سياحية كبيرة حيث الطبيعة الخلابة والشواطى وعيون المياه مثل « عين أرزات، عين حمران، عين حرزيز، عين صحفوت «كذلك يوجد فى جنوبها مرتفعات «نميز» التى تنتشر فيها سياحة المخيمات فى أحضان الطبيعة، كما بها آثار قديمة مثل آثار مدينة «البلير».

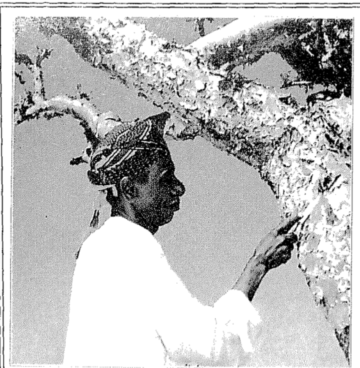
**النبلاء القساه:**

«الأنظف والأكمل والأفضل ثياباً والاكثر لباقه بين سكان الجزيرة» هكذا وصف الرحالة الانجليزى «جيمس سيلك» أهل عمان عندما زار مسقط في أواخر القرن التاسع عشر، يتميز الشعب العماني بأنه شعب متجانس انصهرت قبائله وعناصره على تلك البقعة من الأرض فقد فرضت عليهم ظروف الطبيعة نوع من التجانس واستقرار التقاليد والعادات التي تتنوع ولكن في إطار الوحدة التى تربطهم جميعاً بهاء العطاء والكرم جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان العمانى الذى يتميز بالكرم والخصال الحميدة.

ينقسم سكان عمان الى قسمين: أهل الساحل والبدو يعتمد أهل الساحل على الصيد حيث ترحل سفن البوم الشهيرة الى شواطئ زنجبار وأفريقيا الشرقية محملة بالتمر واللبان وتعود مرة أخرى محملة بالعاج والعسل وأصداف السلاحف التى يصنع منها مقابض الخناجر العمانية الشهيرة، ولا تتوقف رحلات «البوم» أبداً فهى ترحل الى البنغال لتحضر الحرير والبهار وإلى ملبار لتحضر أخشاب السفن والأرز، وقد تحول ميناء «الريوث القديم» الى ميناء حديث تخرج منه سفن الصيد وتأتى إليه محملة بسفن البضائع المختلفة. أما البدو فهم سكان عمان الذين يسكنون الجبال ويشتغلون بالرعى ، وقد أثار البدو خيال كل الرحالة الذين جاءوا الى الجزيرة العربية خاصة الرحالة ألفريد بتسجر الذي عشقهم وعاش حياتهم الخشنة التى تعتمد على التنقل والرعى وكان يطلق عليهم اسم «النبلاء القساه» ومازال حتى الآن يحافظ بدو ظفار على كثير من تقاليدهم القديمة ومنها اللغة الخاصة التي يتكلمون بها والتي تعود جذورها الى اللغة الحميرية القديمة.

**بساطة وإبداع:**

غطاء رأس تقليدى ذو ألوان زاهية، حزام معلق به خنجر في وسط الجسم، نقوشات وزركشات جميلة توحى بالجمال والابداع ثمة علاقة وطيدة وواضحة بين الأزياء التقليدية فى





سلطنة عمان والبيئة المتعددة الملامح، يرتبط الزى الوطنى العمانى وعادات لبسه سواء لدى الرجال أو النساء بالحقب التاريخية التى مرت بها البلاد وكذلك يتأثر بالظروف المناخيه والبيئيه والعادات والتقاليد العربية، إن الأزياء العمانية تراث وتقاليد يحافظ عليها الجميع، فالرجل العماني يرتدى الثوب «الدشداشه» ويضع على رأسة «المصر» أو الكمه» ويعلق فى وسطه الخنجر العمانى التقليدى، كما يضع العباءة «البشت» التى تكون أطرافها مزدانه بالخيوط الذهبية. تكشف المرأة العمانية عن قدرتها الفائقه فى مجال التطريز والنقش التى لا تخلو من البساطة والذوق الرفيع، وتختلف الأزياء النسائية العمانية من منطقة لأخرى من حيث رسوماتها وألوانها والخيوط المستخدمة في تطريزها ومثلما تفتخر كل إمرأة عمانية بزيها التقليدى البديع، كذلك تفتخر كل منطقه من المناطق وتعتز بزيها الذى يميزها عن سائر المناطق الأخرى، فعلى سبيل المثال للمنطقه الشرقية من السلطنة زيها المستمد من واقعها البيئى والذى يعرف باسم «القبعة» وهو عبارة عن قماش خفيف من اللون الأحمر أو الأسود أو الازرق ويطرز باليد بنقوش جميلة على الوجه والخلف وواجهة الدشداشة وعلى الاكمام، ويزين هذا الزى بلبس الحلى الذهبية والفضية، أما المنطقة الداخلية من السلطنة فتتميز ببساطة أزيائها وتعدد ألوانها المزينة وتطريزاته الدقيقة.

ستظل عمان بأبنيتها الأثرية وحصونها وقلاعها المنتشرة.. وصناعاتها التراثية كالسيوف والخناجر والمشغولات الفضية، على انغام الاهازيج والرقصات الشعبية ونحن نشم رائحة البخور الذكية التى تعطر جو التاريخ عبر الزمان والمكان، ستظل عمان دائماً وأبداً سيمفونية طبيعية في قلب الجزيرة العربية تعزف أعذب الألحان وسط الجدل الدائم بين البحر والجبل.

معجزات إلهية:

# جنين النبات.. كيف ينمو وينفطم

بقلم:
د. عبد البديع حمزة زللي
جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة -

لقد حفظ الله سبحانه وتعالى الأجناس والأنواع بالتكاثر والتوالد، وكما هو معروف للجميع أن التكاثر في الإنسان وفي الحيوانات يتم بعد أن يهيء المولى سبحانه وتعالى الفرصة للتزاوج بين الجنسين، فيتخلق الجنين بعد ذلك، وهو يشبه الأبوين، وبعد ولادته يظل المولود غالباً ملتصقاً بأمه كي ترعاه وتمده بالغذاء الخاص به، إذ أن الغذاء الذي يتناوله الكبار لا يصلح له، وبعد أن يبلغ من العمر مرحلة يستطيع عندها أن يتناول من الغذاء ما يتناوله الكبار يمكن لأمِّه عندئذ أن تفطمه عن غذائه الخاص.

هذه الصورة معروفة لدى الجميع، ولكن الصورة التي قد يجهلها كثير منا هي حالة التكاثر في عالم النباتات الراقية. فهل تتكون أجنة بعد عملية تلقيح منتجات الأعضاء الجنسية الأنثوية بمنتجات الأعضاء الجنسية الذكرية في النبات؟، وهل أجنة النبات تتكون من نفس الأعضاء الأساسية الموجودة في النبات البالغ؟، وبعد أن تُخَلّق الأجنَّة ويكتمل نموها فهل تحتاج غذاء خاصاً كما هو الحال في الإنسان والحيوان؟، وإذا نفد هذا الغذاء وفطمَت عنه، فمن يرعى صغَار النبات، ويمدها بالغذاء حتى تكبر؟. هذا ما سنلقي عليه الضوء في هذا المقال.

نعم .. إن حالة التكاثر في عالم النباتات الراقية تشبه الى حد كبير حالة التكاثر في الإنسان وفي الحيوان، فبعد أن تتم عملية التلقيح في النباتات، يخلق الله سبحانه وتعالي الأجنة التي تتميز بأن لها نفس الأعضاء الأساسية التي يتكون منها النبات البالغ، وهي الجذر والساق والأوراق، ولكن هذه الأجنة تكون صغيرة جدا، وقد يصعب علينا أن نميز أعضاءها بالعين المجردة في بعض النباتات. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: كيف تكون علاقة هذه الأجنة بالنبات الأم؟، وأين توجد؟.

على عكس الحال في الإنسان والحيوان، فإن العلاقة بين الأجنة النباتية وبين النبات الأم هي علاقة مؤقتة، إذ تظل الأجنة ملتصقة بالنبات الأم إلى أن يكتمل نموها وتنضج، بعدها يمكن لهذه الأجنة أن تنفصل تماماً عن النبات الأم، ولكن بعد أن يكون كل جنين قد خصه الله سبحانه وتعالي بكمية وافرة من غذاء خاص به. ويغلف هذا الجنين مع الغذاء المدَّخر له بغلاف يعمل على حمايته ووقايته من المؤثرات الخارجية. هذا التركيب الذي يحوي بداخله الجنين الصغير جداً، والمادة الغذائية الوافرة، والغلاف الذي يحيط بهما هو ما نسميه بالبذرة، وقد يعتقد كثير منا أن بذرة النبات هي أصلا الجنين، والحقيقة أن الجنين يختبئ داخل هذه البذرة.

ويختلف حجم الجنين ودرجة وضوح أجزائه باختلاف النبات، فنواة البلح مثلا على الرغم من كبر حجمها إلا أنها تحتوي على جنين صغير جداً لا يمكن تمييز أجزائه بالعين المجردة، وعلى النقيض من ذلك فإن الجنين في بذور الفول والفاصوليا كبير وواضح، ويمكن تمييز أجزائه بالعين المجردة(١). وسوف نلقي الضوء هنا على كيفية نمو هذه الأجنة وتحولها إلى نباتات بالغة.

### كيف ينمو الجنين ويتحول الى نبات بالغ؟

بعد أن تنفصل الأجنة ومعها غذاؤها الخاص الذي تحتاجه، تظل ساكنة كامنة لا تنمو ولا تكبر لفترات مختلفة، وتظل على هذا الحال إلى أن يهيءَ المولى سبحانه وتعالي للجنين العوامل الأخرى التي

تخرجه من فترة السكون والكمون الى النشاط والنمو.

فوجود الغذاء الخاص مع الجنين في البذرة لا يعني له شيئاً، فهو غذاء غير متاح للامتصاص، وقد تعرفنا في المقال السابق على حقائق الإتاحة والإمساك، وعرفنا أنه لا نفع من تلك المواد النافعة التي تكثر في بيئة النبات، ولا ضرر من تلك المواد الضارة القاتلة التي توجد في نفس المكان ما لم تدخل هذه المواد أو تلك في داخل النبات وتختلط بأنسجته. وقد ذكرنا أن هذه الحقائق العلمية منسجمة انسجاماً واضحاً مع آيتين (ذكرناهما) في كتاب الله، ووجود الغذاء الخاص بالجنين والمصاحب له في البذرة يوضح لنا أيضا صورة الإتاحة والإمساك، فهذا الغذاء موجود على هيئة مواد غير ذائبة، ولا يمكن للجنين أن يمتصه لينمو ويكبر، لذا فإنه إذا استمر الحال على هذا الوضع فإن الجنين بعد مدة سيموت، ولكن إذا أراد الله سبحانه وتعالى لهذا الجنين الحياة والنمو فإنه يسخِّر له الماء كما يقول سبحانه وتعالى في سورة (الأنبياء) الآية/٣٠: «وجعلنا من الماء كل شيء حي».



فبالماء يتحرر الغذاء الخاص من القيد والإمساك فيصبح في صورة غذاء ذائب متاح للامتصاص، فيمتصه الجنين بسهولة، ويدخل فيه، ويختلط



بأنسجته، فينمو ويكبر، وتبدأ معالم الأعضاء في الوضوح بصورة جلية، ليتحول من جنين إلى نبات صغير يسمي «البادرة»(٢).

وصغار النباتات تتشابه في هذه الحالة مع صغار الإنسان والحيوان، فالجهاز الهضمي في حديثي الولادة غير مهيأ لاستقبال وهضم الغذاء الذي يتناوله الكبار، ولكن مع مرور الزمن وعند مرحلة معينة يتهيأ هذا الجهاز تدريجياً للهضم ويستفيد من الغذاء الذي يتناوله الكبار، ووجه التشابه هنا هو أن صغار النباتات لا تتميز فيها في البداية الأجهزة الموجودة في النباتات الأكبر في العمر، والتي تمكنها من صنع الغذاء لنفسها، لذلك تظل صغار النباتات تعتمد بصورة مباشرة على الغذاء المدَّخَر لها في البذرة، وعندما ينضب وينفد هذا الغذاء - وهذه الحالة تشبه عملية الفطام - تحتاج صغار النبات الى الغذاء من مصدر آخر. فمن يقوم عندئذ بتغذيتها؟.

**من يقوم بتغذية صغار النبات عند فطامها؟**

سبق أن أشرنا إلى أنه بواسطة الماء يتحرر الغذاء المدخر في البذرة للجنين، وتبدأ عندئذ عملية النمو، وتبعا لذلك فإن الجُذَيْر (الجذر الصغير) يبدأ في الاستطالة، وينمو في التربة بسرعة متجها لأسفل، ثم تبدأ الساق الجنينية - وتسمى عادة بـ «الريشة» - في الاستطالة والخروج من البذرة، ويستمر نموها حتى تصل الى سطح الأرض، فتخرج من الأرض الى الهواء وضوء الشمس، وبذلك يكون الجنين قد تحول إلى بادرة صغيرة استهلكت قدراً كبيراً من الغذاء المدخر، لذا فهي تحتاج في هذه المرحلة الى مصدر آخر يمدها بالغذاء وخاصة عندما ينفد تماماً الغذاء المدخر في البذرة وتنفطم البادرة. في هذه المرحلة يهيء المولى سبحانه وتعالى للنبات القدرة على تكوين أعداد ضخمة من عضيات صغيرة للغاية خضراء اللون، مما يؤدي الى اخضرار الجزء النباتي الذي خرج من الأرض. فما هذه العضيات الخضراء؟ وما سبب اخضرارها، وما وظيفتها؟.

هذه العضيات تسمي علمياً بالبلاستيدات الخضراء، وهي جمع بلاستيدة، وهذا اللفظ يعود أصلا الى الكلمة الأجنبية plasTid , ومن الأفضل أن نستخدم لفظاً عربياً يدل عليها، وسوف نطلق عليها هنا «الخضر» وهو جمع «خضرة» «بلاستيدة» ، وذلك حسب ما يبدو لنا من الإشارة إليها في آية من كتاب الله الكريم سنلقي عليها الضوء فيما بعد. هذه الخضرة تكثر بشكل خاص بأعداد ضخمة في أوراق النبات المتكونة وتصطبغ باللون الأخضر، وذلك لأنها تحمل في داخلها الصبغات الخضراء المسماة بصبغات اليخضور (الكلوروفيل Chlorophyll). ووجود هذه الصبغات في هذه الخضرة له أهمية بالغة في تغذية

النبات. ولا نريد أن نبسط القول في هذا الموضوع من الناحية العلمية حتى لا يمل القارىء ونوجز ذلك في الآتي:

لقد عرفنا منذ المراحل المبكرة من التعليم أن النبات يتميز عن الحيوان في أنه ذاتي التغذية، أي أنه يصنع غذاءه بنفسه، فهو يستطيع أن يكون المواد الغذائية التي تعمل على نموه، وتحديد ما تلف من أجزائه، وتكوين الحبوب والثمار من مواد بسيطة تتمثل في غاز وماء، ولكن لابد من وجود المصانع التي تكوِّن مواد البناء، فتخرج هذه المواد من تلك المصانع الى سائر أجزاء النبات، فتعمل على نموه، وتكون الحبوب والثمار فيما بعد، هذه المصانع تتمثل في تلك العضيات الصغيرة الخضراء والتي أطلقنا عليها الخضر.



**مصانع للغذاء تتخلق في النبات عند انفطامه:**

نعود الآن إلى الحديث عن المصدر الذي يمدُّ البادرة بالغذاء بعد أن ينضب تدريجياً الغذاء المدخر لها في البذرة، ففي هذه المرحلة تتكون الخضر التي تجعل البادرة تستقل بعد ذلك في عملية التغذية، وتقوم هذه الخضر بتصنيع الغذاء اللازم للنبات كما أسلفنا القول من غاز وماء، ولكن لابد من توفر شروط معينة حتى يمكن لهذه المصانع إخراج المواد الغذائية، ومن أهم هذه الشروط: وجود صبغات اليخضور، وتوفر الضوء، وإذا لم تتحقق هذه الشروط فلا يمكن لهذه المصانع أن تخرج المواد الغذائية. وعملية تكوين الغذاء عبر هذه المصانع تسمى بعملية البناء الضوئي أو التمثيل الضوئي.

وعملية البناء الضوئى لا يمكن أن تتم إلا بوجود هذه المصانع الخضراء، ويتضح ذلك من التجارب التي قام بها العلماء(٣)، فعندما قام بعض العلماء بتجارب في المعمل حيث وضعوا ثاني أكسيد الكربون والماء في أنبوب اختبار وأضافوا إليه صبغة اليخضور، وعرَّضوا الأنبوب للضوء فلم يتكون الغذاء، ولكن عندما أضافوا الخضر تكوَّن الغذاء (وهو المواد السكرية التي تتحول الى بروتينات ودهون حسب حاجة النبات) وانطلق الأكسجين، لذا فإن عمليات البناء الضوئى تسهم في إمدادنا نحن البشر وما تملكه من كائنات حية بمقومين أساسيين للحياة وهما الغذاء والأكسجين، وذلك وفقاً للمعادلة الآتية:

ماء + غاز ثاني اكسيد الكربون ـ بتوفر الضوء وصبغات اليخضور في داخل الخضر = غذاء + اكسجين

**الحقائق العلمية تنسجم انسجاماً بليغاً مع هذه الآيات:**

يقول المولى سبحانه وتعالى في محكم التنزيل في سورة الأنعام، الآية/٩٩: «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كُلِّ شيء فأخرجنا منه خضرا نُخرج منه حبا متراكبا، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب.. إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون».

وحتى نرى مدى الانسجام الدقيق لحقيقة نمو النبات وتكوين الحب والثمار نتتبع سويا الخطوات المتتالية التي تتم فيها هذه العملية:

١ ـ عادة ما تكون بذور النباتات المختلفة والمتنوعة في باطن الأرض ساكنة لا تنمو، ولكن بعد أن يسخر لها المولى سبحانه وتعالى الماء الذي به يتحرر الغذاء للجنين فتدب فيه الحياة وينمو ويكبر حتى يخرج من الأرض. وجميع نباتات الأرض بمختلف أشكالها وأنواعها تخرج من الأرض بواسطة الماء، يقول تعالى: «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كُلِّ شيء» وإمداد أجنة النبات بالغذاء اللازم لها في هذه المرحلة يكون عن طريق تحرر الغذاء المدخر لها في البذرة.

٢ ـ بعد أن تخرج النباتات من الأرض تكون عند هذه المرحلة قد استنفدت قدراً كبيراً من الغذاء المدخر لها، وتحتاج عندئذ إلى مصدر آخر يقوم بإمدادها بالغذاء، وهنا يسخر المولي سبحانه وتعالي للنباتات الأشياء الدقيقة للغاية الخضراء اللون (الخضر)التي سبق أن تحدثنا عنها، وجميع النباتات يجعل فيها الخالق الكريم القدرة على تكوين هذه الخضر، إذ أنها هي المصانع التي تخرج منها مواد البناء والنمو والتكاثر.

ولقد ورد في الكشاف(٤) عن قوله «فأخرجنا منه خَضرا»: أى أخرجنا من النبات «خضرا» أي شيئاً غضَاً أخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة، «نخرج منه» أى نخرج من الخضر «حبا متراكبا» وهو السنبل.

ونجد أن بعض المفسرين كالطبري (٥) وابن كثير(٦) يقولون في قوله تعالى: «فأخرجنا منه خضرا»: أي زرعاً وشجراً أخضر. ونجد أن الواقع ينسجم مع القول الأول لأن النباتات ليست كلها خضراء، فمنها الأصفر، والأحمر، والبنفسجي،.. فإذا كنا نحصر وجود الخضر في النباتات خضراء اللون فقط فكأننا بذلك نستثني بقية النباتات الملونة، ويقول سبحانه وتعالى في هذه الآية: «وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء» فبالماء إذاً تنبت جميع النباتات الخضراء وغير الخضراء (الملونة) ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر، الآية/٢١: «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه». ومن هنا يظهر لنا الإعجاز في قوله تعالى: «فاخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا» إذ أن الواقع العلمي ينسجم مع هذه الآية، فجميع النباتات الخضراء وغير الخضراء (الملونة) تحتوي في داخل خلاياها على المصانع الخضراء (الخضر).

٣ ـ عرفنا أن الخضر هي المصانع التي تمد النباتات الخضراء وغير الخضراء بالمواد اللازمة للبناء والنمو وتكوين الحبوب والثمار، ولم يكن أحد يدرك قبل اختراع المجاهر وأجهزة التحليل الكيميائى أن النباتات الملونة تحتوى هى أيضا على الأشياء الخضراء (الخضر) مثلها في ذلك مثل النباتات الخضراء، لذا فإن النباتات الملونة تبدو ظاهرياً ملونة ولكن في الحقيقة فإن أجسامها تحتوى أيضاً على الخضر.

فالخضر في جميع النباتات تقوم بإمداد النباتات بالمواد اللازمة للبناء والنمو والتكاثر فتتكون الحبوب والثمار والفواكه. وقد ذكرنا سابقا أن الزمخشري يقول في الكشاف عن قوله تعالى: «نخرج منه حبا متراكبا» أى نخرج من الخضر هذه الحبوب والثمار.

ومن خلال ما تقدم ندرك أن الحب والنوى ما هي إلا بذور نباتية يشتمل كل منها على كائن حي صغير وهو الجنين، وكذلك مادة غير حية وهي الغذاء المدخر، ولا يمكن لهذا الكائن الحي (الجنين) أن يخرج من البذرة وينمو ويكبر ما لم تتح له المادة غير الحية، فإذا أتيحت له هذه المادة خرج النبات من البذرة ونما وكبر وأعاد من جديد تكوين الجنين



والمادة غير الحية لتكتمل بذلك دورة حياته.

وهكذا يبدو لنا كيف أن المادة غير الحية (الشيء الميت) بعد أن أخرجت لنا النبات من البذرة وساهمت في نموه، رجع النبات وأخرجها من جديد مصحوبة مع الأجنة في البذور الجديدة التي يكونها.

وسبحانه القائل في محكم التنزيل في سورة الأنعام، الآية/٩٥: « إن الله فالق الحبِّ والنّوى، يخرج الحي من الميت ومُخْرِجُ الميِّتَ من الحي، ذلكم الله، فأنى تؤفكون».

ومن هنا يتكشف لنا الإعجاز في هذه الآية الكريمة. وفي آية أخرى من كتاب الله يقول المولى جل ثناؤه «يُخرج الحيَّ من الميت ويُخرج الميت من الحي ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخْرَجُون» (الروم/١٩).

لقد سبق أن عرفنا في مقال سابق بعنوان «معجزات إلهية تتجلى في هذه الآيات القرآنية» أن الله سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلا واحداً تترتب عليه صور ومشاهد مختلفة. وواقع إحياء الأرض الجرداء الميتة يتم هنا بصور ومشاهد تختلف عن صورة خروج الجنين من البذرة وإعادة تكوينه من جديد. لذا يتكشف لنا مرة أخرى إعجاز علمي آخر عندما نجد أن الحقائق العلمية التي تفسر كيفية إحياء الأرض الجرداء الميتة تنسجم انسجاماً كاملاً مع هذه الآية، وسوف نوضح ذلك في المقال التالي بإذن الله.

---

**الهوامش :**

**(١) د/ مصطفى عبد العزيز وزملاؤه. النبات العام ط٦: ص ١٩ - ٢٠ - القاهرة مطبعة الانجلو المصرية ١٩٨٦.**

**(٢) المرجع السابق صفحة ٢٣.**

**(٣) أنظر كتاب «علم الأحياء» للصف الأول الثانوى للبنات ص ٩٦ - ٩٧ ، الرياض ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ١٤١٤هـ.**

**(٤) العالم بن القاسم رجاء الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج٢ ص٣١، بيروت، دار المعرفة.**

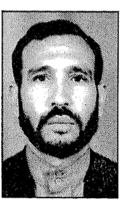
**(٥) العالم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٥ - ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ط٣ ج٧، ص٢٩٢، القاهرة، شركة ومطبعة مصطفي البابى الحلبى وأولاده ١٣٨٨هـ.**

**(٦) أبو فداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ط٢ ج٢ ص ١٦٤ - ١٦٥، بيروت، دار المعرفة ١٤٠٧هـ.**

# نماذج من أزمات الاقتصاد الرأسمالي (١)

**الفصل الأول: الكساد الكبير ١٩٢٩م:**

من الحقائق الأساسية في عالم الاقتصاد تعرض النظام الرأسمالي لأزمات اقتصادية دورية تتفاوت في عمقها وحدَّتها بحسب السياق التاريخي الذي تحدث فيه. هذه الحقيقة التي تقول أن هناك تناقضاً رئيسياً بين المقدرة اللامحدودة لهذا النظام على الانتاج ومحدودية قدرته على الاستهلاك أو التصرف بسبب علاقات توزيع الدخل والثروة في هذا النظام فعندما يصل التناقض بين الانتاج والاستهلاك الى مستوى حرج بتراكم السلع المنتجة فلا تجد لها سوقاً لتصريفها تحدث الأزمة فتهبط الأسعار لكثرة العرض وتنتشر البطالة وينخفض الربح ويحاصر رأس المال المتراكم - إن الأزمة هنا ليست في نقص الانتاج بل في زيادة الإنتاج وضالة التصريف أو بمعنى آخر نقص الطلب الكلي عن حجم العرض الكلي مما يعني هبوطاً في الأسعار وتدهوراً في الإنتاج.




**بقلم:**
**محمد على حسين الحريرى**
- أبهـــا -


وعبر الأزمة لابد أن يتوقف جزء من جهاز الانتاج عن العمل وهو القسم الموازي لفائض الانتاج العرض السلعي ولا يثبت في ساحة الانتاج إلا القادرون على مواجهة العاصفة ريثما يتعافى رأس المال فيتمكن من دخول التوظيف من جديد.

إن الأزمات الدورية للرأسمالية قد تغلب عليها أولئك الذين سيطروا على مقاليد القوة الاقتصادية في العالم (غرب أوروبا - أمريكا - اليابان) من خلال توسيع أسواقهم إلى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث أصبح العالم الثالث سوقاً مفتوحاً لإنتاج الرأسماليين وكأنها مستعمرات تستهلك إنتاج الرأسماليين وتمنحهم المواد الخام بأسعار رخيصة.

وبرغم تعدد الأزمات الاقتصادية التي تعرض لها النظام الرأسمالي فإن الأزمة التاريخية التي شهدها العالم خلال الفترة (١٩٢٩ - ١٩٣٣م) كانت الطريق الذي قذف بالعالم في جحيم الحرب العالمية الثانية. ولا يقل عنها أزمة بورصة نيويورك عام ١٩٨٧م.

**١ - الكساد الكبير ١٩٢٩ - ١٩٣٣م.**

لم تعرف البلدان الصناعية في تاريخها الاقتصادي فترة أقسى من فترة الكساد الكبير great Depression الذى عصف باقتصاد البلدان الصناعية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية وأوربا الغربية خلال فترة أربعة أعوام بدأت في نهاية عام ١٩٢٩ واستمرت حتى ١٩٣٣ وقد تركت هذه الازمة الاقتصادية الخانقة آثاراً وبصمات لا تنسى في ذهن المسؤولين والموظفين كما أنها غيرت النظرة كلها الى مسار الرأسمالية ودور الدولة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية واخيرا افرزت نظرية اقتصادية جديدة للعمالة والاسعار والانتاج صاغها الاقتصادى البريطاني الشهير **جون مينارد كينز** في عام ١٩٣٦ وقد اصبحت لفترة طويلة من الزمن أساسا لجميع السياسات الاقتصادية في معظم البلدان الصناعية خارج الاتحاد السوفياتي.

ولكن ما هي قصة واسباب هذا الكساد الكبير هذا ما سنحاول ايجازه في هذه الصفحات .

خلال الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ كان الاقتصاد الامريكي قد وصل الى أوج ازدهاره ونضوجه.. فقد ظهرت صناعة السيارات على نطاق واسع بعد أن قام (جون فورد) بصنع أول سيارة في التاريخ كما ارتفع انتاج القطاع الزراعى بشكل كثيف نتيجة إدخال المكننة والاسمدة الكيماوية على نطاق واسع وساهم في هذا الازدهار اتساع حجم السوق الامريكى وارتباط مختلف مناطق الولايات المتحدة بشبكة حديثة من مختلف انواع المواصلات.

أما سوق الاوراق المالية البورصة في نيويورك فقد وصل الى ذروة نشاطه وازدهاره حيث ارتفعت قيمة الاسهم بشكل درامتيكى بحيث جنى كثير من المستثمرين أرباحا طائلة وكونوا ثروات هائلة واندفع المستثمرون الامريكيون في موجة مضاربة هائلة نتيجة تفاؤل عارم حول مستقبل اسعار الاسهم ومسيرة الاقتصاد الامريكي.

غير انه في شهر تشرين الاول من عام ١٩٢٩ بدأت تظهر في الاقتصاد الامريكى بوادر ازمة سيولة حيث شعرت فيها المصارف التجارية نتيجة اقدام البنك الفيدرالى على خفض حجم الكتلة النقدية بحوالى ٤٠٪ والكتلة النقدية تتألف من النقد المتداول مضافا اليها الودائع تحت الطلب وقد أدت هذه الظاهرة الى وقوع المصارف التجارية في ازمة سيولة خانقة ادت الى افلاس كثير منها واغلاق ابوابها.

وكان رئيس الولايات المتحدة انذاك (هربرت هوفر) الذي انتخب في عام ١٩٣٠ قد بذل جهودا ورسم سياسات اقتصادية ضمن تصور تقليدى لمسيرة الاقتصاد الرأسمالي حيث يقتصر دور الدولة على ضمان اجواء المنافسة بينما يقوم القطاع الخاص بكافة اعمال التثمير والانتاج والتوزيع في الاقتصاد غير أن انهيار الثقة بالمؤسسات والمصارف العاملة قد عطل جميع السياسات الاقتصادية الموضوعة وفي رأى الاقتصادى الشهير جون كبنيث غالبريث الذى الف كتابا بعنوان (الحطام الكبير) في عام ١٩٥٥ أن هناك خمسة اسباب وعوامل رئيسية وراء الكساد الكبير وهى على النحو التالي:(١)

أ) النظام المصرفي في الولايات المتحدة الذى

كان يضم مصارف عديدة صغيرة الحجم نسبيا والتى كانت معرضة لاى نكسة بمجرد تهافت المودعين على سحب اموالهم من هذه المصارف.

ب) سوء توزيع الثروات والدخل في الولايات المتحدة الذى حد من اتساع السوق الاستهلاكى وجعل الاستثمار والانفاق على السلع الانتاجية معرضا للهبوط السريع.

جـ) قيام بعض المؤسسات التجارية والصناعية بخداع الجمهور والمواطنين عن وضعها المالي الحقيقي الامر الذي جعلها غير قادرة فعلا على تحمل أى هزة او نكسة مالية.

د) تراكم الديون الاوربية في الولايات المتحدة ولجوء الاخيرة الى اتباع سياسة اقراض خاطئة ولجوء حكومة الولايات المتحدة الى وضع تعرفة جمركية مرتفعة في وجه السلع الاوربية مما جعل الدول الاوربية غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها عن طريق زيادة صادراتها للسوق الامريكى.

هـ) عدم وجود سياسة اقتصادية على مستوى التحديات الاقتصادية التى واجهت الاقتصاد الامريكى.

كان الهبوط المريع في اسعار الاسهم في بورصة نيويورك العالمية اول مؤشر عن بدء الكساد الكبير فخلال الفترة الواقعة بين ١٩٢١ - ١٩٢٩ اندفع المستثمرون الامريكيون من الفئات، رجال الأعمال، الاساتذة، الاطباء، المهندسون، الطلاب العمال في موجة مضاربة هائلة على شراء الاسهم وكان يكفى انذاك ان يدفع المستثمر ٢٪ من قيمة السهم وتقسيط الباقى لقاء رهن السهم ويصف الاقتصادى الشهير بول ساملسون حامل جائزة نوبل في عالم الاقتصاد هذه الفترة بأن جميع الذين ضاربوا على اسعار الاسهم حققوا ارباحا اكثرها ورقي، وهذه الارباح تتلاشى بمجرد ان يحاول كل فرد أن يقبض ثمنها، ويصف سلوك هذا النوع من المضاربة بقوله (حين يصبح العالم كله مختلا يصبح التعقل ضربا من الجنون)(٢).

وفجأة بدأت السوق المالية بالانهيار وبدأت اسعار الاسهم بالهبوط السريع حتى ان كثيراً من الاسهم المضمونة شهرة وربحا هبطت ما بين ٧٠ - ٨٠٪ من قيمتها الامر الذى اوقع خسائر هائلة ودفع بعض المستثمرين الى الانهيار وبعضهم أقدم على الانتحار فعلا.

انتقلت عدوى هبوط اسعار الاسهم الى المصارف التجارية التي بدأت تتعرض لضغوطات سحب كثيفة من المودعين مما ادى الى اغلاق كثير من البنوك واعلان عدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها، فالبنوك بطبيعتها لا تحتفظ باكثر من نسبة مئوية ضئيلة يحددها القانون على شكل ودائع سائلة وفي مثل هذه الحالة فان استرداد التسليفات المقدمة يصبح عملية مستحيلة نظرا لان معظم المؤسسات والشركات غير قادرة على دفع ديونها فى وقت هبطت فيه المبيعات وتدنت الاسعار بشكل كبير كما حدثت خلال ازمة انترا الشهيرة في لبنان(٣).

انتشر الكساد الكبير كالنار في الهشيم وبدأت كثير من الشركات في اعلان افلاسها وتصفية موجوداتها وارتفعت البطالة حتى وصلت ٣٥٪ (١٢ مليون عاطل عن العمل) من مجمل القوى العاملة واشرفت كثير من الطبقات العاملة على المجاعة وقامت مظاهرات صاخبة في كثير من المدن الامريكية مثل نيويورك - أنترويت (مركز صناعة السيارات) فيلادلفيا ويلتمور وغيرها تطالب الحكومة الفدرالية بالتحرك السريع لايجاد فرص العمل للعاطلين واعطاء معونات تقدير لمواجهة متطلبات الحياة ومن المشاهد المألوفة انذاك وقوف المواطنين في طوابير طويلة للحصول على الغذاء والمعونات المالية.

ومما زاد الامور تعقيدا انهيار نظام قاعدة الذهب الذى كان معمولا به في البلدان الصناعية

وقد حدث هذا الانهيار في خريف عام ١٩٣١ ويموجب هذا النظام كانت الدول الصناعية تعلن عن سعر تبادل لعملتها تجاه الذهب وتلتزم بالدفاع عنه فاذا حقق هذا البلد فائضا في الميزان التجارى فان ذلك يعني تدفق الذهب داخل الاقتصاد واذا حقق عجزا فانه يسدد هذا العجز بما قيمته ذهبا وهذه الميكانيكية في العمل تؤدى الى احداث تغيير فى مستوى الاسعار العام بحيث يرتفع في البلد الذى يتسلم الذهب وتنخفض في البلد الذى يخسر رصيدا من ذهبه وهذا التأثير يحصل من خلال التأثير على حجم الكتلة النقدية وعندما انهار نظام قاعدة الذهب لم يعد هناك ثقة كافية في قيمة العملة الورقية مثل الدولار والاسترليني والمارك الالماني وغيرها من عملات البلدان الصناعية وفي ٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٣٢ أوقفت امريكا الصرف بالذهب واغلقت البورصة.

وفي وجه هذا التدهور حاول الرئيس هوفر معالجة الكساد الكبير عن طريق تقديم مساعدات للمزارعين والعاطلين عن العمل وقد الف (هوفر) مؤسسة اعادة الاعمار لتقديم القروض الى المصارف والشركات الواقعة في مشكلة السيولة المالية غير ان جميع الاجراءات لم تحقق شيئا حتى وصول «فرانكلين روزفلت» الى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٣٣ وعندما استلم روزفلت الحكم كان القطاع المصرفي قد شارف على الانهيار الكامل كما ان ٩٠٠٠٠ شركة قد اغلقت ابوابها وحوالى ١٥ مليون عامل عاطلين عن العمل، لقد اهتز كيان الاقتصاد الامريكي واصبح النظام الرأسمالي بأسره على شفير الهاوية ومما زاد الامور تعقيدا ان السياسة التى اتبعها البنك الاتحادي الفيدرالى ادت الى خفض الكتلة النقدية بـ ٤٠٪ عما كانت عليه عام ١٩٢٩ وكانت السياسة الاقتصادية ترتكز على اساس عدم التدخل في الشؤون الاقتصادية والاكتفاء بدور الحكم والمراقب وقد اضطر روزفلت الى اعلان عطلة لجميع المصارف حتى يتمكن من اعادة الثقة الى النظام المصرفى وعندما باشر «روزفلت» صلاحيته أعلن عن «البرنامج الجديد» الذى ارتكز على اساس برنامج انعاش ضخم عهد به الى عدد كبير من المؤسسات الحكومية وشمل البرنامج سياسة دعم الاسعار للمنتجات الزراعية ومنح اعانات مالية وشق الطرق واقامة الجسور واتباع سياسة انفاقية ترتكز على حصول عجز في الميزانية العامة للدولة كما اقدمت الولايات المتحدة على الانسحاب من نظام قاعدة الذهب بعد أن

سبقتها بريطانيا في الانسحاب.

بدأ التحسن طفيفاً ابتداء من عام ١٩٤٣ غير أنه في عام ١٩٣٧ حصلت نكسة اقتصادية عندما هبط الانفاق الحكومى ولم تتحسن الامور الا فى مطلع الاربعنيات عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية ولم تكن الولايات المتحدة وحدها ضحية الكساد الكبير فالمانيا تعرضت بدورها لكساد كبير تمثل في هبوط الدخل القومي ما بين ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢ قدره ٤٠٪ وارتفعت البطالة الى مستوى لم تعرفه المانيا من قبل حيث كان هناك ستة ملايين عاطل عن العمل وقد وقعت المانيا فريسة للديون الخارجية وفي كانون الثاني من عام ١٩٣٣ وصل «ادولف هتلر» على رأس الحركة النازية حيث عمد الى الغاء جميع نقابات العمال والاحزاب السياسية وبدأت الحكومة في اتباع سياسة انفاق واسع لمحاولة محاربة البطالة خصوصا شق الطرق والاتوستردادات الواسعة وبناء قوة عسكرية كبيرة في محاولة للقضاء على نتائج «معاهدة فرساى» التى وقعتها المانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى وقد أنفق «هتلر» مبالغ طائلة لتقوية الترسانة العسكرية عن طريق السيطرة على المزيد من الموارد المالية التي اقتطعها من القطاع الخاص في المانيا ويمكن القول بأن «هتلر» نجح في ايصال الاقتصاد الالماني الى مستوى العمالة الكاملة ولكن عن طريق بناء اقتصاد حربي توطئة لشن هجومه المنتظر على جيرانه في اوربا.

على ضوء ما تقدم يمكن القول بأن كلا من الاقتصاد الامريكي والاقتصاد الالمانى لم يخرجا فعلا من حالة الكساد الكبير الا في أواخر الثلاثينيات عندما بدأت الحرب العالمية الثانية وإن كانت الفترة الواقعة بين ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩ يمكن وصفها بفترة الركود الاقتصادى أكثر منها بفترة الكساد الكبير نظرا للتحسن الطفيف الذى طرأ على مستويات الدخل والانتاج والعمالة والاسعار والارباح.

والواقع ان الكساد الكبير قد طرح على الانظمة الاقتصادية الرأسمالية تحديا جديدا فلم يعد مضمونا استقرار اقتصاديات هذه البلدان على مستوى العمالة الكاملة كما كانت تبشر بذلك النظريات الكلاسيكية ولا شك أن حجم الصدمة وعمق الازمة قد دفع بالاقتصاديين لاعادة النظر في ميكانيكية الاسواق وفي قدرة القطاع الخاص على أن يوفر فرصا للعمل لجميع المواطنين الذين يريدون الحصول على وظيفة أو مصدر رزق لذلك اتجهت الانظار الى ضرورة اعطاء القطاع العام دورا متزايدا في عملية توزيع الموارد المتاحة بهدف تدعيم جهود القطاع الخاص وكانت الدول الصناعية حتى وقوع الكساد الكبير غير راغبة في ادخال الدولة الى مجال الحياة الاقتصادية الا من زاوية كونها مراقبة لمجرى الحياة الاقتصادية للتأكيد من أن التبادل والانتاج التجارى يتم في اجواء المنافسة المثالية غير أن التغيير الهيكلى الذى ضرب أعماق الاقتصاد الامريكى واقتصاديات أوروبا الغربية خلق تحديات فكرية لمعالجة الخلل الحاصل وكانت حصيلة ذلك ظهور «نظريات كينز» عام ١٩٣٦ للانتاج والدخل والعمالة وقد دعت هذه النظرية الى تدخل متزايد للدولة في الشئون الاقتصادية عن طريق تنفيذ مشاريع واسعة ومن خلال التحكم بحجم الانفاق والاستثمار من خلال سياسات مالية ونقدية وضرائبية متنوعة لمساعدة الاقتصاد الوطنى الى العمالة الكاملة.

وفعلا بدأت الدول الصناعية في اعتناق السياسات الكينزية ابتداء من عام ١٩٣٨ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية لتزيد من حجم الانتاج والعمالة لمواجهة الجهد العسكرى المطلوب لكسب الحرب وانسحار الانفاق العسكرى بدأ الانفاق

الاستهلاكى يتعاظم وظهرت سلع استهلاكية رفيعة المستوى لم يعرفها الانسان في حياته من قبل وبدأت الاختراعات والتطورات التكنولوجية تتوالى بحيث ادت الى زيادة الانتاج وتخفيض كلفة الانتاج واوجدت حالة من الرفاهية الواسعة.

ولم يكن ممكنا للدول الرأسمالية التخلص من أثار تلك الازمة الا بانفجار الحرب العالمية الثانية ومع عمق الكارثة وانتشار البطالة الهائلة واكتظاظ المدن بالمفلسين والجياع الذين يبحثون عن الغذاء في القمامة أو يرتكبون الجرائم ليصار بهم الى السجن طمعا فى الدفء والطعام وبرغم هذا كله وانتشار الازمة في اوروبا وامريكا على حد سواء وتأثر العالم الثالث بذيول الازمة وتحمل جزء من تبعتها رغماً عنها وبرغم كل هذا بقي الاقتصاديون المدرسيون يصرون على قدرة النظام الرأسمالى على تحقيق التوازن التلقائى في المستقبل وتصحيح نفسه بنفسه وان ما حدث من ازمات يعود الى إعاقة عمل قوى السوق والمبادرات الفردية.

ولكن الاقتصادى البريطانى «جون مينارد كينز» قلب الوضع رأسا على عقب عام ١٩٣٦م في كتابه الشهير «النظرية العامة للنقود والفائدة والتوظيف» فاثبت عجز الرأسمالية عن الاستمرار والنمو التلقائى لانطوائها على آليات تعرضها لازمات افراط الانتاج العامة فلابد من التدخل لمواجهة تلك الآليات من خلال سياسة الانفاق العام أو السياسات النقدية وبذلك قدم كينز «صك غفران» لخطيئة تدخل الدولة اقتصاديا(٤) وهو التدخل الذى كان يعتبر عند الرأسماليين شرا محضا يعادى الحريات الفردية ونظام السوق ويؤكد كينز أن تدخل الدول يجنب المجتمع هدم المؤسسات الاقتصادية هدما تاما كشرط ضرورى لاستمرار نجاح المبادرات الفردية المحتاجة للتشجيع في بدايتها لقد كان كينز يلمح ببصره تدخل روزفلت لحل ازمة الكساد الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٢) كتأصيل للتدخل والمزج بين قوى رأس المال وجهاز الدولة(٥).

وبعد الحرب الثانية اعيد تشكيل خريطة العالم اقتصاديا وسياسيا واستراتيجيا ودخل النظام الرأسمالى العالمي في حقبة جديدة (١٩٤٥ - ١٩٧١م) وهى حقبة النمو المزدهر المتسم بدرجة من الاستقرار النقدى في ظل نظام بريتون وودز وصندوق النقد الدولى.

ولكن التوازن الداخلى الذى شهد استقرارا في الاسعار وهبوط البطالة لم يرجع باسبابه الى ميكانيكية السوق الرأسمالية وانما نجم عن اعمار ما بعد الحرب الذى فرض مزيدا من التشغيل وتوفر الطاقة (النفط) بكميات ضخمة ورخص اثمان المواد الاولية المستنزفة من العالم الثالث والتقدم في فنون الانتاج والسيطرة المطلقة للدول الصناعية على القرار العالمي سياسيا واقتصاديا والتطبيق الناجح لآراء كينز في الضمان الاجتماعي والانفاق العسكرى وهذه الاسباب مجتمعة لم تحدث فى السبعينيات ازمة في الدول الصناعية كأزمة ١٩٢٩م بل ادخلت العالم كله فقراءه واغنياءه فى ازمة الديون العالمية المعاصرة بعد أن استخدم العالم الصناعى وسيلتين هامتين.

**الاولى:** نظام بريتون وودز فى النقود وذاك بقابلية الدولارات للصرف وتثبيت اسعار صرف العملات مع بعضها قبل نظام التعويم.

**الثانية:** حرية التجارة وتخفيف القيود عليها، وقد أسيء تطبيق هذا المبدأ بحيث صار يعمل باتجاه واحد لصالح الغرب ولا يعمل لصالح العالم الثالث.

وهاتان الوسيلتان سمحتا بظهور شركات دولية عملاقة تسيطر على السيولة العالمية وتمتع العالم بشيء من الرخاء حتى انهيار بريتون وودز بتعويم الدولار عام ١٩٧١م وعدم صرفه بالذهب

كما ان ارتفاع سعر الطاقة بارتفاع اسعار النفط انهى عصر الرخص وبساطة الاثمان وتزايدت علاقات التنافس بين أركان الدول الصناعية السبعة واهتز الاقتصاد الامريكى فى المجال العالمى مما حمل أوروبا وغيرها من الرأسماليين على الثورة ضد الدولار وساءت احوال دول العالم الثالث سوءاً شديدا بزيادة ديونها وتضخم عجزها الاقتصادى في ظل سيطرة الاحتكارات الدولية على اقتصاد هذا العالم واصبحت الديون الدولية سمة العقدين الاخيرين من القرن العشرين لدرجة أن الولايات المتحدة نفسها اصبحت مدينة عام ١٩٨٥م ولأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الاولى لينفجر النظام الرأسمالى ثانية في ١٩ أكتوبر ١٩٨٧م.

**الجانب النقدي في كساد ١٩٣٩م:**

فشلت قاعدة السبائك الذهبية والحوالات المصرفية بالذهب التى أقرها مؤتمر جنوة ١٩٢٢م في تحقيق الاستقرار المنشود فقد انتشر التضخم في أوربا وأمريكا وبقية دول العالم حيث ازداد حجم الاسترليني والدولار عن الكمية المطلوبة - فحدث الخلل وخاصة في عملهما كغطاء لإصدارات النقود في البلدان المتخلفة التي تأخذ بنظام الحوالات المصرفية الذهبية. وتدهور النظام النقدي ليس فقط لزيادة المعروض من كمية الدولار والاسترليني بل اتفق العالم على خطأ كبير وهو الافتراض بأن الدولار والاسترليني يعادلان الذهب في الحجم والوظائف وما لبث أن عرف العالم عدم تعادلهما وهو ما أدى الى عدم الاستقرار النقدي.

وقد عالجت معظم دول العالم هذه الأزمة بخفض سعر عملتها لتحقيق التوازن فخفضت بريطانيا قيمة الاسترليني عام ١٩٣١م ومنعت تحويله الى ذهب فصار مجرد قطعة ورقية تحمل صورة - فيكتوريا - اليزابيث - تخضع للعرض والطلب ولم يكن هدف التخفيض إلا قضم ديون المستعمرات البريطانية على بنك انكلترا وتخفيف أعباء الاقتصاد الانجليزي بتوزيع الخسائر على دول الكومنولث.

وكذلك الأمر بالنسبة لفرنسا وأمريكا في تخفيض الفرنك والدولار. ولم ينجح في تلك الأزمة سوى ألمانيا التي اتبعت أسلوب التدخل الحكومي المباشر (أثناء الحكم النازي) فأقامت المشروعات والكباري وساعدت المشروعات الاقتصادية وزيادة الانتاج الحربي واتباع اسلوب المقايضة في المبادلات الدولية وكان التشجيع لرأس المال الألماني - غير اليهودي يشبه شركة المضاربة في الفقه الإسلامي.

**الازمة المالية فى (وول ستريت) وابعادها السياسية والاقتصادية (١٩٨٧م):**

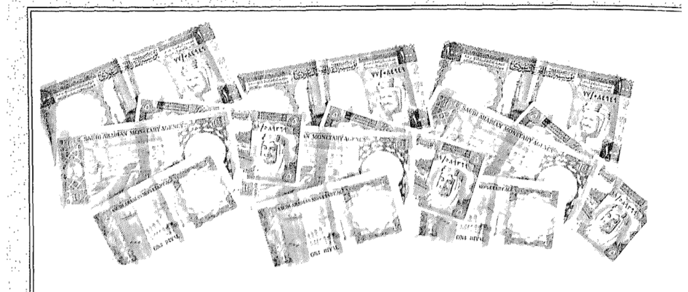
فى كل يوم يؤكد التاريخ عجز الإنسان بمفرده وبانفصال عقله عن نور الوحى أن يحل مشاكله أو يؤمِّن للمجتمعات البشرية نوعاً من الاستقرار يعصمه من التخبط والانهيار (تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش)

(من جعل النقود وثنا يعبد فلا شك أن النقود ستعامله معاملة الشياطين) ومع الكوارث والمحن يلجأ الانسان الى الحكمة والحكم فى عصر ملك كل شيء إلا الحكمة ... التخبط والاضطراب سمعة العصر الاقتصادية والكومبيوتر لا يقتل الاسواق فالبشر هم الذين يفعلون ذلك.

النظام الرأسمالى يهتز بعد ذلك الاضطراب الخطير ويعلن للعالم فشل عدد من قوانينه ومسلماته التى صاغتها عقول الاقتصاديين عبر العصور.

- لقد مضى عصر المضاربين الشباب الذين يريحون الملايين في اليوم الواحد ولن يفيدها اعتذار القائل (دلونى على مجتمع غير قائم على الطمع)

- ومضى العصر الذى ظل يؤمن مفكروه بالفصل بين علم الاقتصاد والاخلاق أولئك الذين لم يروا فى النظام الرأسمالي إلا صورة من الطمع المرتب.



ـ وعصفت الكارثة بالنظرية النقدية التى يتزعمها ـ ميلتون فديدمان ـ الاقتصادى الامريكى الشهير والتى تؤكد على الدور الحاسم للنقود فى النشاط الاقتصادى حتى جعلت رأس المال عنصرا منتجاً يفوق عنصر العمل.

ـ لقد آمن ـ فريدمان أن حرية الملكية الخاصة والآلية العفوية للسوق الرأسمالية تؤمنان الحركة الاعتيادية لاعادة الانتاج دون تدخل الدولة التي تنحصر مهمتها في تنظيم نمو النقود وتداولها.

ـ وباتِ من المؤكد أن عنصر التدخل نفسه هو احد الاسباب التي فجرت الازمة فهم يقولون (دعوا آلية السوق بلا تدخل ويتدخلون).

فى أواخر ايلول الماضي ـ ١٩٨٧م وقبل الكارثة المالية بشهر يجتمع المؤتمر السنوى لصندوق النقد الدولى وقد جلس المؤتمرون يستمعون لوصفة طبية من الرئيس الامريكى تعالج الازمة الاقتصادية فى العالم فيقول (من الضرورى أن تعيش كل دولة فى حدود امكانياتها والخطر كل الخطر ان تحلق الدولة فى الخيال ولا تعيش على ارض الواقع.. من الضرورى أن تسعى كل دولة الى موازنة ميزانياتها وتعيش في حدود مواردها وأن تتجنب الانفاق الذى يزيد عن الموارد كيلا تضطر الدولة للاقتراض(٦) وهى النصائح نفسها التى طرحها الرئيس الأمريكى عام ١٩٨١م..

ويقول (ريمون بار) إن الامريكيين يعيشون فوق مستوى قدراتهم الحقيقية والسياسة المالية الامريكية هي مصدر خلل النظام النقدى الدولى(٧).

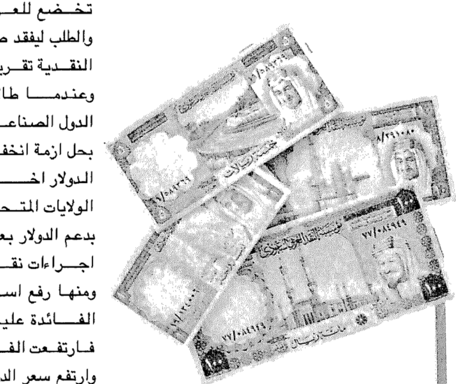
وتبدأ قصة الازمة العالمية الاقتصادية من نهاية الحرب العالمية الثانية فقد عاش العالم فى فترة ما بين الحربين على أحكام أنظمة نقدية متعددة تعتمد نظام الذهب أو السبائك الذهبية وكما اقتسم كبار العالم مناطق النفوذ فى العالم من خلال مؤتمر (يالطا) قرروا السيطرة على اقتصاد العالم وتكريس هذه السيطرة رسمياً من خلال اتفاقية (بريتون وودز ١٩٤٤) التى ازاحت الذهب عن عرش النقد ليتوج الدولار نقداً علياً مع قابلية صرف الذهب بالدولار بسعر ٣٥ دولار للاوقية الواحدة وكان من نتائج بريتون وودز انشاء صندوق النقد الدولى الذى يسعى لتأمين حرية المدفوعات التجارية بعملات العالم وممارسة الرقابة على اسعار الصرف وتقديم القروض للدول الأعضاء عند الازمات.

. لقد اصبح الدولار هو الصورة المثلى للاحتياطيات الدولية فى ظل النظام النقدي العالمي الجديد الذى ربط العالم كله بالسياسة النقدية الامريكية وادائها الاقتصادي الوطني.

ومنذ بداية الستينيات تلاشى دور الجنيه

الاسترليني لصالح الدولار الذى بدأت متاعبه تظهر فى عهد الرئيس الفرنسي ديجول حيث سعت فرنسا لتحسين ميزان مدفوعاتها فحولت الدولارات المتراكمة عندها الى ذهب عن طريق الخزانة الامريكية الى أن توقفت فرنسا عن شراء الذهب بعد أيار ١٩٦٨م.

وشعرت امريكا بضخامة نفقاتها فى حرب فييتنام فموّلت عجزها بأسلوب تضخمى (زيادة كمية الدولارات المتداولة) مما اوجد تناقضاً كبيرا بين سعر صرف الدولار بالذهب وسعره الحقيقى فى الاسواق العالمية والذى جعل الناس يسارعون الى صرف دولاراتهم بذهب وشعر الرئيس (نيكسون) بعمق الكارثة اذا استمر حصن(٨) «فورت نوكس» فى استنزاف سبائكه الذهبية فقرر فى ١٥ آب ١٩٧١م فك الارتباط بين الدولار والذهب وتوقفت امريكا عن صرف الدولار بالذهب بل اضطرت لخفض قيمة الدولار تجاه الذهب عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ بنسبة ١٠٪ سنويا وهو تخفيض نظرى لا فائدة منه بعد أن استحال استبدال الذهب بالدولار وتركت امريكا دولارها يخضع لنظام التعويم حيث يحدد سعره بالعرض والطلب وهذا يعنى ـ انهيار ـ بريتون وودز ـ وخضوع الدولار وغيره من النقود العالمية لنظام التعويم.



ـ وبدأ الدولار بالهبوط تجاه الذهب الذى انطلقت اسعاره في ارتفاع شديد معاكس للدولار ونصت اتفاقية (جامايكا ١٩٧٦م) على فك الارتباط بين الذهب وسائر العملات واصبح الذهب سلعة تخضع للعرض والطلب ليفقد صفته النقدية تقريبا وعندما طالبت الدول الصناعية بحل ازمة انخفاض الدولار اخذت الولايات المتحدة بدعم الدولار بعدة اجراءات نقدية ومنها رفع اسعار الفائدة عليه فارتفعت الفائدة وارتفع سعر الدولار ولكن هذا الدواء كان سبباً فى ارتفاع عجز الميزان التجارى الامريكى وعجز الميزانية الامريكية نفسها وهو السبب الذى فجر الازمة المالية في الظاهر وكان للقروض الامريكية الضخمة التي تمت فى عهد الرئيس نيكسون أحد الاسباب التى عجلت حصول الكارثة(٩).

وبارتفاع اسعار الدولار لارتفاع سعر الفائدة وهو ارتفاع سرطانى وهمي ازدادت الاعباء المالية على الدول النامية التى عجزت عن دفع خدمات ديونها وهو اسلوب يهودى لاستنزاف موارد الدول الفقيرة وسرقة خيراتها وامكانياتها الاقتصادية.

وتفاقمت مشكلة الديون العالمية حتى اعلنت دول من امريكا اللاتينية افلاسها وعجزها عن اداء خدمة الديون فضلا عن الديون نفسها.

وشعر العالم أن الذى يحرك الاقتصاد العالمى هو عوامل سياسية نفسية لا علاقة للقوانين الاقتصادية فيها.. فقوة الدولار تنبع من زيادة الطلب عليه لتمويل الميزانية الامريكية واستثماره فى اسواق الاسهم والسندات الامريكية التى اسقطت مبالغ ضخمة فى التصنيع العسكرى وهذا يعنى الحاق الضرر بالدول الصناعية والدول النامية معاً.. ولان الدولار يغطى ٨٠٪ من عمليات التجارة الدولية ويشكل اكثر من نصف احتياطى البنوك المركزية فليس معقولا أن يبقى عرضة لتقلبات السوق ورغبات المضاربين.

وتدخلت قضية العجز فى الميزانية الامريكية لينخفض الدولار من جديد ولا تعطي النظرية الاقتصادية تفسيراً مقبولا لما يجرى فى اقتصاد هذا العالم المضطرب.

وتبدأ سلسلة المؤتمرات لحل الازمة بين أقطاب الدول الصناعية (مؤتمر وليا مزبورغ ١٩٨٣) - نيويورك ١٩٨٥م - اتفاقية البلازا - ايلول ١٩٨٥م اتفاقية اللوفر ١٩٨٧م.

وتفشل كل هذه اللقاءات فى تثبيت سعر صرف الدولار ويزداد الجو حلكة بزيادة العجز الامريكى باستمرار ويظهور ملامح الركود الاقتصادى العالمى الذى تحدث عنه المنجمون والفلكيون كما تحدث عنه علماء الاقتصاد والنقود.

ومن المضحك أن تقترح الولايات المتحدة ضرورة استقرار سعر الذهب على (٤٥٠ دولار للأونصة) وكأن سعر الذهب هو مشكلة هذا العالم وليس نمو الاستثمار وانتعاش الاقتصاد العالمى والتخفيف من هيمنة الوثن الجديد الذى خضع له اقتصاد العالم قرابة نصف قرن - الدولار - وما علاقة سعر الذهب الذى تضاعف عشرين مرة عن السعر المحدد فى صندوق النقد الدولى.

- ان المشكلة الاساسية تكمن فى السياسة النقدية التى تعتمد على الفائدة نظاماً اقتصادياً ومهما اتخذنا من الاصلاحات وعقدنا من المؤتمرات فإن الفائدة الربوية مرض ينخر فى جسم اقتصاد العالم الى أن ينهار نهائياً أو يظهر نظام اقتصاد جديد يستبعد نظام الفائدة ويسعى لتأكيد العدالة فى التعامل بين اعضاء المجتمع الدولى - فاستقرار سعر الصرف يخدم النظام النقدى العالمى وان لم يخدم الولايات المتحدة التى تربح كثيراً من وراء التذبذب والتقلب فى سعر الدولار. ولعل ما حدث فى ازمة سوق المال فى نيويورك يعيد الوعى الى العالم للبحث عن النظام الجديد - بعد أن مر عليه فى قرن واحد كارثتان مدمرتان.

**«للبحث صلة»**

---

**الهوامش:**

**(١) من مقال للدكتور يوسف الشبل فى مجلة تاريخ العرب والعالم ١٩٨٣.**

**(٢) حدث ما يشبه هذه الأزمة فى كثرة الرمج الورقى والعقود الوهمية فى أزمة سوق المناخ الكويتى ١٩٨٢م.**

**(٣) اغلق ١٣٢٥ بنكا امريكيا عام ١٩٣٠ ثم ارتفع الرقم الى (٢٢٩٤).**

**(٤) تعبير د. رمزى زكى فى مقاله بمجلة العربى العدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨م ص٢٥.**

**(٥) لاحظ تشجيع الدولة فى المملكة العربية السعودية للمؤسسات الناشئة فى بداية طفولتها.**

**(٦) جريدة الاخبار القاهرية الأحد ١٩٨٧/١١/١م.**

**(٧) مجلة آخر ساعة المصرية عدد تشرين الثانى ص١٢ - عام ١٩٨٧م.**

**(٨) الذي يحتوي المخزون الذهبي للولايات المتحدة.**

**(٩) الشرق الاوسط ص٦ - ١٩٨٧/١١/٥ والسياسية الكويتية ١٩٨٧/٨/٢٠ ص٧.**

أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه».




**١١٥ ـ نص قرآني:**

يقول الله عز وجل «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم الى ربهم يحشرون» ومنطوق هذا القول الكريم يدل على أن جماعات الحيوان أمم يربط آحادها رباط اجتماعي متين، وليس الحيوان وحده، بل الحشرات أيضا كالنمل والنحل فإنها تعيش مجتمعة متساندة، وكأن كل فريق منها، قرية إنسانية تخضع لنظام مدني يعاقب من يخرج عليه، ولها من أدوات التفاهم ما تقضى به جميع حاجاتها في يُسْر هيِّن ولا يستغرب بعد ذلك أن يكون للطير منطق فإننا نعرف قول الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام «علّمنا منطق الطير» وقوله عز وجل: «قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطمَنَّكُم سلُيْمان وجنوده وهم لا يشعرون» وهو قول فهمَه نبيٍ الله حق الفهم فتبسم ضاحكا من قولها، وقال «ربِّ أوزعني

**١١٦ ـ نبدأ بالجاحظ:**

وللعلماء شرقا وغربا وقديماً وحديثا ما يؤكد هذه المقررات العلمية، ويؤكد أن أمماً أخرى غير الإنسان لها مملكة وقادة ورجال وعبيد، يقول الجاحظ في كتاب الحيوان: وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف، وتتقدم في حال المهلة، ولا تضيع إمكان الحزم، ثم يبلغ تفقدها ـ وصحة تمييزها والنظر في عواقب أمرها أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء أن تتعفن وتسوس في بطن الأرض فتخرجها الى ظهرها، لتنشرها وتعيد إليها جفوفها، ويضربها النسيم فينفي عنها الفساد، فإن كان مكانها نديا، وخافت أن تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها أنها من ذلك الموضع تنبت، وربما فلقت الحبة نصفين، فأما حبة الكزبرة فإنها تفلقها أرباعاً لأن أنصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب فهي من هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس، ولها مع خفة وزنها، ولطافة شخصها في الشم والاسترواح ما ليس لشيء، وربما أكل الإنسان الجرادة أو بعض ما يشبه الجرادة، فيسقط من يده الواحدة أو صدرها، وليس يرى بقربه ذرة، ولا له بالذر عهد في ذلك المنزل، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة الى تلك الجرادة، فترومها وتحاول نقلها وجرها الى جحرها، فإذا أعجزتها بعد أن تبلى عذرا، مضت الى جحرها راجعة، ثم أقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود حتى يتعاونَّ جميعا عليها ويحملنها، فاعجب بصدق الشم لما لم يشمه الإنسان الجائع، ثم انظر الى بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة، وأكثر من مائة مرة. بل أضعاف أضعاف المائة وليس شئ من الحيوان يقوى على حمل ما يكون اضعاف وزنه مراراً غيرها.


د. أبو حسام
المنصورة


**١١٧ ـ من حيل النمل:**

كتب أحد الضباط الأمريكيين فى مذكراته

يقول بعد أن عاد الى موطنه «وقد أقبل علينا العيد ونحن في غربتنا البعيدة فأرسل لنا الأهل والأصدقاء هدايا العيد من الحلوى والأطعمة السكرية، ولكنى خفت أن يهجم النمل عليها وهو منتشر فى هذا المكان فخطر لى أن أضع الحلوى في صندوق محكم الإغلاق فوق عمود قصير، يقوم وسط إناء كبير مملوء بالماء، فلا يستطيع النمل حينئذ أن يصل الى الصندوق وبالغت في الاستعداد فطوقت إناء الماء من الخارج بحزام عريض لزج إذا لمسه النمل اشتبك فيه ولم يستطع الفكاك.

وقمت برحلة قرابة يومين، وعدت الى منزلى لأجد النمل قد غزا الحلوى براً وبحراً وجوا، فقد وصلت طلائعه الى الحزام الأول المحيط بالماء، ولم تستطع الخلاص، ولاقت مصرعها وظلت كامنة به، ولكن جموع النمل اتخذت من أجسام القتلى جسراً طويلا سارت فوقه الى الناحية الأخرى، ثم واصلت سيرها الى الماء فلم تستطع عبوره، فلم تجد بدا من أن ترجع الى الأرض لتحمل فى أفواهها من الهباء والقش فترميه فوق سطح الماء، وتصنع منه قنطرة تمر فوقها الى العمود القائم في الوسط، وقد نجحت فيما حاولت، فصادفها الشريط اللزج المحيط به، ففعلت به ما فعلت بنظيره الأول واتخذت من أجسام القتلى جسراً إلى غايتها المنشودة.

وأغرب من هذا أنها لم تقتصر فى إدراك غايتها على الخطة السابقة وحدها، بل أعدت خطة أخرى تسير مع هذه جنبا الى جنب، فأرسلت كتائب منها تسلقت الخيمة من الداخل، وواصلت الصعود حتى بلغت السقف وصارت منه في موقع رأسي فوق الصندوق، وشرعت ترتمي على الصندوق نملة نملة لا تخطئ الهدف ولا تنحرف عنه، ونجحت في هذه كما نجحت في تلك.

## ١١٨ ـ طرفة عجيبة:

ذكر اللورد أقبري في كتابه (محاسن الطبيعة وعجائب الكون) كثيرا مما شاهده من غرائب النمل، ومما قاله في هذا المجال:

لا تعدم الملكة من العملة محبة البنين وإخلاص الرعية، وقد اتفق لي إذ كنت أنقل بعض النمال من مكان الى مكان أن قتلتُ الملكة بيدي فأسفت وحزنت، ثم ألقيت جثتها وسط العمال من النمل، فعرفن لها حق الإجلال، واحتملنها الى بيت جديد، حيث لزمنها عدة أسابيع كما يلزم الأهل من الإنس فراش المريض العزيز، كأنهن حسبنها مريضة يرجى لها البرء بعد حين، فلما تحققن موتها اجتمعن للبكاء حولها.

ولك أن تعجب حين تعلم أن عدد نمل القرية الواحدة يبلغ خمسمائة ألف أو زكثر ومحال أن تختصم نملتان من جماعة واحدة، كأن للوطن حقوقا خاصة على ساكنيه عند النمل، فإذا جاءت نملة أو عدة نمال من قرية اخرى فلابد أن يحدث الصدام العنيف صوناً لكرامة الوطن من العدو المغير، وقد أردت أن أقوم بتجربة شخصية فقسّمت قرية النمل الى قسمين منفصلين وأبعدتهما قرابة تسعة أشهر ثم جمعتهما معا فرأيت النمل في غاية الوفاق والوئام وكأنه يعرف أن الجميع أصلا من موطن واحد، مع أنى كنت أدخل النملة الغريبة قرية أخرى فلا تلبث أن تطرد كما يطرد الغريب المتطفل.

ويعطف النمل على بعضه عطفا شديدا، ويقال إن الذئاب إذا مرض أحدها وعجز عن العيش أكلته الذئاب الصحيحة (والى ذلك أشار الشاعر العربي في قوله:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً
بصاحبه يوماً أحال على الدم

ولكن النمل لا يفعل هذا، فقد رأيت إحدى نمالي مكسورة الرجل، وأخواتها من حولها يطعمنها ويعتنين بها وظللن كذلك قرابة ثلاثة أشهر، وشاهدت نملة سقيمة الأعضاء خرجت من قريتها في طلب القوت، فهاجمتها نملة غريبة من قرى النمل المجاورة، ولكن نملة أخرى مواطنة، قد خفت الى نجدة صاحبتها وأصابت النملة الغريبة بالسوء، ثم احتملت النملة الضعيفة ورجعت بها حيث كانت مكسورة الرجل لا تقدر على السير.

## ١١٩ ـ معركة حربية:

نقل صاحبا الطرائف الأدبية هذه النادرة عن عالم كبير من علماء الحشرات صادف موقعة حربية بين قريتين من قرى النمل فوصف المعركة قائلا ما ملخصه:

كنت بين قبيلتين عظيمتين من قبائل النمل تقتتلان فى شراسة، وكان بينهما نحو مائة خطوة

بالنسبة الى المسكن الدائم، ولم أعلم السبب الذى آثار الفتنة، ثم رأيت الفريقين أخذا في الزحف الى أن التقى الجمعان فى وسط المسافة، ورأيت خلف كل جيش عددا مستعدا للمدد والمعونة، كما تفعل الجيوش الإنسانية، ثم حمي الوطيس، والتقت الألوف بالألوف وصار كل فريق ينتفع بما يصادفه من حجر ومدر وغيره ليتَّرس به، والقوم أقسام، ففريق يضرب، وفريق يحوز الغنيمة، ويضبط الأسرى التي تلوح عليها سيما الكآبة ثم تغطت الساحة بجثث القتلى.

وكان ابتداء القتال بينهما أن برزت نملتان كل منهما للأخرى، فتماسكتا بالأرجل وتصارعتا، ثم أتى لكل نملة مدد من فريقها، حتى صار الأوليان، مع ما انضم إليهما - أشبه بحبل طويل، يشد أحد طرفيه الى جهة،

والآخر إلى الجهة المقابلة لها، كي يتغلب أحد الخصمين فيشد غريمه الى جهته، أو ينفصلا من غير أن يتغلب أحد ثم يستأنف القتال صباحا فاذا جاء الليل انفصل الفريقان.

وباستقراء أحوال النمل، عرفنا أن النمل المحارب لا يشتغل بغير الحرب حتى إذا تم له الظفر لجأ الى الراحة ويخدمه ما يستحوذ عليه من الأرقاء - وإذا رام الانتقال من مكان الى آخر نقله خدمه من العبيد وامتحن أحد العلماء بعض النمل المحب للسيادة فعزل جماعة منه عن خدمها، وأحضر لها طعاما مما يتهالك النمل في طلبه، فصدقت عنه، حتى مات أكثرها جوعاً، ثم نقل إليها واحدة من الإماء فجعلت تخدمها وتغذيها، فأكلت ما أحضرته لها ولم تشأ أن تأكل هى بمجهودها لأنها من طبقة السادة.

## ١٢٠ - خرائب النمل:

من النمل ما يسكن المزارع فيضر بها ضررا بليغا إذ يحفر فيها بيوتاً ومغاور، ويعمقها حتى يبلغ التراب خمس عشرة قدما، فتتلف المزرعة، ويضطر الزارع الى إحراقها بما فيها ليفسد البيوت الداخلية للنمل ومن النمل نوع يترك المزارع الى المنازل، فيحتفر تحتها سراديب - ذلك قبل عهد البلاط - ويخرج أثناء الليل ليأكل الأثاث الخشبي وما فى مستواه، وقد روى بعض المشتغلين بدراسة النمل: أن فريقا من هذا النوع المنزلى أكل سلماً خشبيا بداخل المنزل في مدة قدرها خمسة عشر يوما، كما أن الأثاث من كرسى وخوان وقمطر لم يبق منه ما يصلح، والغريب أنك ترى هذه الأشياء هياكل في مجال بصرك، فإذا لمستها بيدك صارت كالهباء المنثور وقد حكى الجاحظ أن النمل فى بعض الأيام قد كثر فى دروب بغداد حتي ارتحل أهلها منها، وخلوا له مساكنهم وفى مصر في سنة ١٩٣٦

، كما روى الشيخ عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء نقلا عن جريدة الجهاد - أن قرية (برسيق) التابعة لمركز أبى حمص بمديرية البحيرة تقع على كوم قديم كانت به مقابر عتيقة، وتفشت فيها دويبة صغيرة وهي نوع من النمل الأبيض، فتكاثرت بدرجة مخيفة، وجعلت تلتهم كل شيء في مساكن القرية، ولم تبق حتى على جدرانها وسقوفها ونوافذها، أما المحصولات الزراعية

وآلات الزراعة والثياب فقد أصبحت هباء، ومن الصعب على الأهالى مكافحتها لأنها تعيش في أنفاق غائرة تحت جدران المنازل، ولها قرى فى أغوار الأرض تحت المساكن،

كما لها ملكات تبيض الواحدة منها بيضة كل ثانية، وقد ضج السكان بالشكوى للمسئولين لأن الحكومة وحدها هي التى تستطيع مقاومة هذا الجيش الكثيف.

هذا والنمل - كما يقول الدميرى في حياة الحيوان - شديد الشره الى الطعام، وفي أواخر حياته تنبت له أجنحة فيطير بها في الجو، ويصبح حينئذ طعاما للعصافير، إذ تصيده حالة الطيران، وإلى هذا المعنى ألم أبو العتاهية حين قال:

وإذا استوت للنمل أجنحة
حتى يطير فقد دنا عطبه

وهو يحفر قريته بقوائمه، وهى ست، فإذا حفرها جعل لها تعاريج تعوق المطر حين ينزل، وربما بنى قرية فوق قرية، مقدرا ذهاب القرية العليا عند سقوط الغيث، فتكفي القرية الدنيا بما تجمع من القمح المخزون لغذائه.

وفي قرى النمل طرق ودهاليز وغرف، وطبقات تعلو طبقات، حتى ليجوز أن يكون من النمل فريق تخصص فى البناء الهندسى، كما وجد فريق مجند للحروب!! أفلا يعد ذلك كله مثالا تطبيقيا لقول الله «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالك».




**محمد العربي الخطابي**
- المغرب -

قال الفتى لنفسه وهو يشاهد البحر لأول مرة: لقد كان والدي على حق حينما حذرني قبل مغادرة قريتنا من أهوال البحر ومخاطره مع أن مثلي لم ير البحر قط، وإنما سمع الناس يتحدثون عنه. أما خالي عياش فقد حاول أن يطمئنني

فقال: لا خوف عليك من البحر فأنت تحسن السباحة.

أمسك الفتى قليلا عن الكلام ثم قال وهو يحدث نفسه: كيف أسبح في مواجهة هذه الأمواج المتلاطمة المزبدة وأنا إنما تعودت السباحة في النهر لا يغالبني موج ولا يجذبني قرار؟

أحس الفتى بوحشة شديدة وغربة مضنية، ولكنه تجلد وقاوم مشاعر الغم والجزع التى أثارها البحر في نفسه، ثم سرح ببصره في الآفاق البعيدة، وفكر في المجهول الذي ينتظره وهو لا يعلم من غوامضه شيئاً إلا ما كان يسمعه من رفقائه عن أفراد ابتلعتهم الأمواج وهم يحاولون العبور إلى العُدوة الأخرى في سفن لم تكن مهيأة لذلك، ولم يكن فتانا يعرف من الدنيا سوى قريته الجبلية والضيعات المجاورة لها والأسواق القريبة منها، وهو لم يدخل قط مدرسة نظامية مع أنه قضى بضع سنين في كُتّاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من سور القرآن القصيرة، ثم تفرغ لمساعدة والده في مشاق الزراعة ورعي الأغنام، ولم تكن الأرض الصغيرة التي يملكها والده وافية بإعالة أسرة يزداد عدد أفرادها سنة بعد سنة في بيئة اجتماعية لا تنمو إلا بالإنجاب وكثرة الولد.

وكان الفتى قوي البنية، صبوراً مغرماً بحديث النفس، وتلك كانت طريقته في التفكير وأسلوبه في الأخذ والرد، وكان أقرانه يظنون أنه يؤثر الصمت مع أنه كان دائم الكلام مع نفسه لا يفتأ يخاطبها ويحاورها في الصغيرة والكبيرة، ومن أجل ذلك كان يبدو في عين أنداده كثير الصمت قليل الكلام. وكان دائم التفكير في شؤون أهله، مضطرا الى معاناة أعمال إضافية شاقة كلما وجد إلى ذلك سبيلا

مقابل دريهمات يعين بها والده.

وكثيراً ما كان الفتى يسمع عن بعض شبان القرية الذين رحلوا عنها وتفرقوا في بلدان الغربة طلباً لسعة الرزق أو بحثا عن هواء جديد يتنفسونه بملء صدورهم. ووصل الى سمعه أحاديث وحكايات عن أقطار بعيدة ومدن عامرة واقعة كلها وراء البحر يكثر فيها الصخب ويسكنها قوم جفاة منغلقون على أنفسهم، كارهون للغريب، يتحركون في كل اتجاه، ويهبون مع كل ريح، فلا يهدأ لهم حال ولا تعرف نفوسهم الطمأنينة، وهم ينطقون برطانات مختلفة يشقى الغريب في تعلمها ولا يكاد.

وذات يوم كان الفتى قاعداً مع صاحبه شعيب في ظلال الجوزة العتيقة على الطريق الصاعد إلى الجبل، وفجأة قال له شعيب: لماذا لا نرحل نحن أيضاً كما فعل فتيان آخرون، نغادر قريتنا هذه، حتى اذا انتهينا الى شاطئ البحر من جهة بلادنا فكرنا في طريقة للعبور الى العدوة الأخرى، إنهم هنالك في بلاد الرطانات محتاجون - كما سمعت - الى السواعد القوية الرخيصة، والأفواه المسدودة، والآذان الطرشاء، والنفوس المدربة على الامتثال، وأنت - يا صاحبي - مثال يحتذي، تجتمع فيك كل هذه الخصال، فأنت لا تتبرم ولا تشتكي ولا تكشف عن سريرة نفسك إلا لنفسك، تصغي ولا تسمع، وتنظر ولا ترى، وتتألم ولا تشكو، وهذه صفات مستحسنة عندهم هنالك في بلاد الرطانات، وأما أنا فسأحذو حذوك متى عزمنا على الرحيل.

فكر الفتى في كلام صاحبه شعيب وتأمله طويلا من غير أن ينطق بكلمة، فلما خلا به المكان في حريسة الدار، ولفة ظلام الليل، وأمن من نظرات العيون، قال لنفسه، ولم لا نرحل وقد اجتمعت فينا الخصال المطلوبة ونشأنا على اصطناع الطرش والخرس وبرودة الحواس، وهذا سينفعنا إذا نحن عبرنا البحر في اتجاه بلدان الرطانات؟

صمت الفتى لحظة ثم قال مخاطباً نفسه: ألا تفكر في مضاضة الغربة التي سوف تعتريك لحظة إشرافك على ساحل البحر، فكيف الحال إذا أنت وجدت السبيل الى ركوبه واقتحام أهواله التي كثيراً ما يتحدث عنها العارفون المجربون؟

أجاب الفتى نفسه قائلا: أما الغربة فيمكنني التغلب عليها بالصبر والتجلد، إنما المعضلة الكبرى هي البحر الذي يفصلنا عن بلاد الرطانات، وكيفما كان الحال فإنني لن أقطعه سابحاً، كيف وأنا لا أعرف مسالكه، ولا أقدر أغواره ولا آمن غوائله؟ ليس عليّ إلا أن أغامر وأجازف كما فعل فتيان آخرون سبقونى إلى الرحيل والاغتراب!

نام الفتى تلك الليلة نوماً مضطرباً على غير عادته في الليالي الماضية، لقد كانت همومه من قبل صغيرة وأحلامه قصيرة لا تبعد عن محيط الأرض والزرع والضأن والنهر والوجوه الأليفة في قريته وما جاورها. حقاً، إن البحر لهمٌّ كبير لا يتحمله إلا المغامرون الأشداء!

ومرت سنتان، وذات صباح بارد من أيام جبال الأطلس حينما يكسوها الثلج، قرر الفتى وصاحبه الرحيل بعد متاعب ومشاق لقياها في سبيل الحصول على الوثائق اللازمة للسفر، وقد أنفقا على ذلك ثلث ما ادخراه من دراهم توفرت لهما من عرق غزير اقتضاه عملهما في حفر الآبار، وشق الطرق، وارتياد الغابات، وتسلق الجبال، والمبيت في البيادر وأوراش البناء، يحملان الحجارة أحياناً، ويجمعان العساقيل ويقطعان القصب وأعواد السمّار أحياناً أخرى، ويحرسان مطامير الحبوب تارة، ويصنعان الحبال

والأطباق والسلال تارة أخرى، الى غير ذلك من الأشغال التي كانت تضطرهما الى التنقل بين السهل والجبل والوادى فلا يتقاضيان عليها سوى أجور زهيدة. وبعد أن ودّع الفتى وصاحبه أهلهما استقلا فى ذلك الصباح البارد حافلة قديمة كان من دأبها أن تترصد المسافرين في مفترقات الطرق. وقد بدا لهما ركوب الحافلة بمثابة مغامرة مثيرة أتاحت لهما اكتشاف أماكن جديدة تعج بخلائق من الناس يحسب الناظر إليهم أنهم تائهون لا وجهة لهم ولا قصد، يسعون في الأرض ويسيرون في مناكبها من غير أن تبدو على وجوههم علامات التفكير فيما يخبئه لهم الغد، وهم مع ذلك مجدون، دائبو الحركة يدبون دبيب النمل إن ساروا، والقاعدون منهم يتفحصون وجوه المارة العابرين، وكأنهم يبحثون عن شيء مفقود أو قريب طال غيابه وانقطعت أخباره، منهم الصانع والبائع والمشترى والدلال والسيال والفضولي والرقيب وقارىء الكف وكاتب التمائم وصياد الغفلة، يتضخم بوجودهم الزحام ويكثر اللغط والضوضاء. وبعد رحلة طُويلة ومضنية طويت فيها مراحل وأشواط وصلت الحافلة الى مدينة كبيرة، كثيرة البنيان، آهلة بالسكان، مكتضة بالغرباء، يُسمُّونها طنجة، وما أن نزلا ومعهما أمتعتهما الخفيفة حتى بدا لهما البحر بأمواجه العارمة، ومياهه الزرقاء، وآفاقه البعيدة التي لا تُرى لها نهاية.

قال الفتي مخاطباً ـ كعادته ـ نفسه: يا له من منظر مهول وما كاد يسرح بصره فى امتداد البحر وعرضه حتى تذكر النهر الصغير الذي يجري قريباً من قريته. رباه، أين هذا من ذاك؟

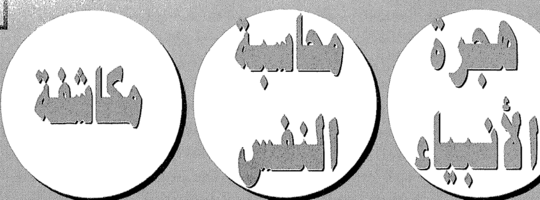
وكانت السفن التى تشق البحر تبدو وكأنها أعلام تتأهب لمغيب لا ظهور بعده، تعلو وتنخفض، وينطلق منها صفير حاد يذكّر بعُواء الذئاب الجائعة السارحة في الغابات.

اشتد القلق بالفتى، وتمكن الذهول من نفسه حينما طلب منه صاحبه أن ينتظره في مقهى قريب من الشاطئ وذهب هو ليستخبر عن وسيلة للعبور. انتظر الفتى طويلا، وبقي كذلك حتى جن الليل وأظلمت الدنيا وخلا الشاطئ من الناس، ولبث في قلق وترقب حتى غلبه النعاس فنام فوق الرمال، وما هو إلا أن رأى في منامه أن أباه تتخبطه أمواج البحر وكأنه يوشك أن يغرق، فهو يرفع يديه الى السماء، وكأنه يستغيث ولا مُغيث، ينادى ولده: يا عبد الله، امدد يديك وانتشلني، انني أموت، أنقذني من الغرق!، وولده في منامه لا يقوى على الحركة وكأنه شُدّ الى الأرض بحبال من مسد. وبينما كان والده يحاول عبثا أن يصارع الأمواج، ظهر في الأفق فجأة ـ طائر عظيم من الجوارح يظلل المكان بجناحيه الممدودين، وما هو إلا أن نزل من عليائه كلمح البصر، وانتشل والد الفتى من بين الأمواج الضارية، ثم طار به في الجو متجها نحو العدوة الأخرى، وما لبث أن غاب في الظلام.

استيقظ الفتى من نومه مذعوراً وبقي كذلك مدة، فلما استعاد شيئا من رشده قال لنفسه: هذه رؤيا لا محالة صادقة، وتعبيرها أن والدى مقبل على مفارقة الدنيا.. لم ينتظر الفتى عودة صاحبه «شعيب» بل حزم متاعه واستقل حافلة حملته إلى قريته، وما كاد يصل الى داره فى أول الطريق الصاعد الى الجبل حتى أخبره أحدهم بأن والده يعالج سكرات الموت، وما أن وصل الفتى الى البيت حتى وجد أباه قد فارق الدنيا.

وهكذا يُكدِّر البحرُ أحلام كثير من الناس، ويلاحقهم بصخبه وأمواجه، ولا يسلم من غوائله حتى أولئك الذين لم يخطر قط على بالهم ركوب أهواله.

•




# أوراق زوجية

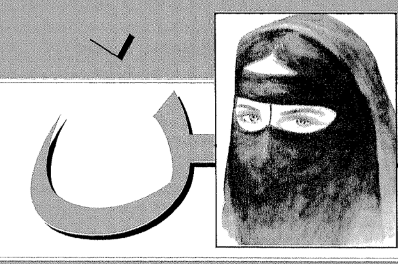
ابو عواد / ام عمرو

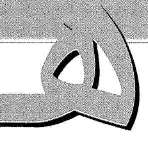
# هاتف

قصة قصيرة ـــ رسالة الي السيدة الجميلة

# نوافذ على ثقافات العالم

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها





# هجرة الأنبياء

امتاز القرآن الكريم بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه، واشتمل على فصول في الاخلاق مما يهذب الناس، ويجمل الطباع، وينشر الحكمة والاداب، كما حوى كثيرا من تاريخ الانبياء والرسل مع أقوامهم، ولقد أرسل الله الى عباده منذ بدء الخلق عدداً من الانبياء والرسل اختصهم بالمعجزات والآيات وأقام بهم الدين الذى اصطفاه لهم، فهدى بهم من الضلالة، وأنقذ بهم من الجهالة، وجعلهم أدلاء على الهدى لمن استهداهم.

ولقد هاجر عدد من الانبياء والرسل من بلدهم الى بلاد وأماكن أخرى بناء على وحي من الله تعالى، وأحيانا كانت هجرتهم بعد يأسهم من اصلاح الاقوام التى ارسلوا اليها، فحق عليها عذاب الله.

ولقد أعلمنا القرآن الكريم بأن سيدنا آدم أبا البشر جميعا، قد أخرجه ربه من الجنة عندما خالف أمر ربه وقطف من ثمار الشجرة التي نهاه ربه عن الاقتراب منها، وأرسله الى الارض مع زوجه حواء، قال تعالى فى سورة الاعراف فى الآية ٢٤ «اهبطوا بعضُكُمْ لبعضٍ عدوٌ ولكم في الارضِ مُسْتَقَرٌّ ومتاعٌ إلى حين»

**هجرة سيدنا ادريس عليه السلام:**

قال تعالى: «واذْكُرْ في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه، مكاناً عليّا» ولقد اعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وكان أول من خط بالقلم وقال الحكماء بأن مولده كان في بابل ولما شب أتاه الله بالنبوة فنهى المفسدين عن مخالفة الشريعة، فأطاعه أقلهم فعزم على الهجرة عنهم، وقال لمن اتبعه: (إذا هاجرنا لله رزقنا، فخرج وخرجوا معه وساروا الى وادى النيل في مصر، وأقام هناك يدعو الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل.

**هجرة سيدنا نوح عليه السلام:**

هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام، وهو أول الرسل، ولقد ورد ذكره فى ثلاثة وأربعين موضعا من القرآن الكريم، وكان قوم نوح قد عكفوا على عبادة الاصنام، فاختار الله لهم نوحا لينذرهم عذاب الله اذا تمادوا في طغيانهم وضلالهم، فعتوا عن أمر ربهم وكذبوه واحتقروه، ومكث في قومه الف سنة الا خمسين يدعوهم للايمان بالله وهم لا يزدادون الا اعتراضا وتبرما، فاستعان بالله عليهم بعد أن نفد صبره، قال تعالى في سورة نوح الآية ٢٦ ـ ٢٧: «ربِّ لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديَّارا، إنَّك إنْ تذرهم يُضلُّوا عبادَكَ ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا» فاستجاب الله دعاءه وأوحى اليه أن يصنع السفينة وأن يأخذ معه من آمن من قومه وكانوا قليلا، وكذلك أهله الا زوجه، وزوجين من كل حيوان ووحش وطير، فلما استووا على ظهر السفينة تفتحت أبواب السماء بالماء وتفجرت العيون من الارض وحملت المياه السفينة ومن فيها ومكثت ما شاء الله أن تمكث الى أن أغرق كل ما على الارض من انسان وحيوان، واستقرت السفينة على جبل الجودي في نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة وهو يتصل بجبال ارمينية.

**هجرة سيدنا هود عليه السلام:**

قال تعالى فى سورة هود الآية/٥٠ «وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبُدُوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم الا مفترون»، أقامت قبيلة عاد بالاحقاف بين اليمن وعمان ردحاً من الزمن، وكانوا فى سعة من العيش وشادوا القصور، وأتاهم ما لم يؤت أحد، واتخذوا أصناما يعبدونها فأرسل الله لهم رسولا من أنفسهم هو هود، يحدثهم بلغتهم ويدعوهم الى عبادة خالقهم الواحد، وهم معرضون، قال تعالى فى سورة فصلت الآية ١٥ ـ ١٦ «فأمَّا عادٌ فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منَّا قوة أو لم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا في أيام نَّحِسَاتٍ لنذيقهم عذابَ الخزي في الحياة الدنيا ولعذابُ الآخرة اخزَى وهم لا يُنْصَرُون»، ونجَّى الله هودا والذين معه، فهاجروا الى أرض حضرموت.

**هجرة سيدنا صالح عليه السلام:**

قال تعالى فى سورة الأعراف الآية/٧٣ «والى ثمود أخاهم صالحاً يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيِّنةٌ من ربِّكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسُّوها بسوء فيأخُذكُمْ عذابٌ أليم»، ولكن قوم ثمود عقروا الناقة وطلبوا من صالح أن يأتيهم بالعذاب، وحاولوا قتله غدرا فى جنح الظلام وأهله نيام، ولكن الله أنقذه والذين

رقية صالح طه ـ دمشق ـ

معه وأنزل بالكافرين عقابه، فأخذتهم الصاعقة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وعند ذلك هاجر صالح ومن معه باتجاه الرملة في فلسطين وتابع دعوته.

**هجرة سيدنا ابراهيم عليه السلام:**

في قرية فدام آرام من بلاد بابل ولد سيدنا ابراهيم خليل الله، وكان أهل بابل يعبدون الاصنام، وعندما أرسله الله لهدايتهم صدوا عن سبيله وأعرضوا عن دعوته، وتابع دعوته بعد أن نجاه الله من النار، وبعد أن ضاقت نفسه بالمقام بين قومه هاجر الى فلسطين، وبعدها هاجر الى مصر تصحبه زوجه سارة وهناك تآمر عليه القوم، فعاد الى فلسطين مع زوجه وخادمتها هاجر، وكانت سارة عاقراً، وتزوج ابراهيم من هاجر فولدت له اسماعيل، فهاجر الى الجزيرة العربية وتركهما في أقدس أرض في مكة المكرمة وقفل راجعا الى فلسطين عند سارة، وأكرم الله هاجر وابنها اسماعيل بماء زمزم وباستقرار القبائل حولهم وظل سيدنا ابراهيم يتردد لزيارتهم حتى أمروا ببناء البيت الحرام.

**هجرة سيدنا لوط عليه السلام:**

كان سيدنا لوط قد عاد مع سيدنا ابراهيم راحلين من مصر الى بلاد فلسطين ثم هاجر واستقر في مدينة سدوم في فلسطين بعيدا عن عمه ابراهيم وكان أهل البلدة ذوو اخلاق فاسدة، وكانوا من أفجر الناس وأسوأهم وأكثرهم كفرا ومعصية، فأوحى الله الى لوط أن يدعوهم للايمان وعبادة الله الواحد، ولكنهم أعلنوا عصيانهم وتحدوه بأن يأتيهم بالعذاب فاستجاب الله لدعاء لوط عليه السلام وحقق سؤاله فأمر الله لوطاً ومن آمن معه بترك القرية والرحيل عنها، ثم نزل بها عذاب الله الشديد حيث زلزلت الارض زلزالها، فصار عاليها سافلها.

**هجرة سيدنا شعيب عليه السلام:**

كان أهل مدين عربا يسكنون أرض معان وكانوا يكفرون بالله ويشركون به، فبعث الله فيهم شعيبا رسولا وآزره بالمعجزات وأيده بالبينات فدعاهم الى عبادة الله وأمرهم بالعدل، فسخروا منه فأخذتهم الرجفة فبادوا جميعا، ثم هاجر شعيب ومن آمن معه الى أصحاب الايكة قرب مدين ودعا سكانها الى عبادة الله الواحد، فسخروا منه وتحدوه بأن يرسل عليهم العذاب والعقاب فأخذهم عذاب يوم الظلة فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام ثم ساق اليهم غمامة أمطرت عليهم نارا أحرقتهم جميعا.

**هجرة سيدنا يعقوب عليه السلام:**

تقدم يعقوب الى أبيه اسحاق لينصفه من طمع أخيه عيسو، فطلب منه أن يهاجر الى بلدة (فدام آرام) في بلاد بابل من أرض العراق، حيث عمل عند خاله لابان، تزوج من ابنته بعد أن عمل عنده برعاية الغنم أكثر من ١٤ سنة، وفي طريقه بورك بالرسالة، ورزق يعقوب من زوجاته اثنى عشر ابنا هم الاسباط، ومنهم كان يوسف عليه السلام من راحيل، وعندما ظهرت نبوة يوسف ومكنه الله فى أرض مصر، أحضر أهله ووالده يعقوب الى مصر، وبعد وفاته دفن في الخليل في فلسطين.

**هجرة سيدنا موسى عليه السلام:**

ولد موسى في مصر وشب في بيت فرعون، ثم هاجر باتجاه أرض مدين في بلاد الشام، وتزوج من ابنة شيخ كبير بعد أن عمل عنده برعاية الغنم سبع سنوات، ثم قفل عائدا بأهله الى بلاد مصر لاخراج بني اسرائيل من ذل فرعون، وفي الطريق كلمه رب العالمين في الوادى المقدس طوى، ولم تفلح دعوته مع فرعون الذى ادعى الالوهية، فأمره الله بترك أرض مصر، فانطلق مع قومه مهاجرا الى أرض فلسطين، فكان انشقاق البحر وغرق فرعون وجنده.

**هجرة سيدنا يونس عليه السلام:**

في نينوى من بلاد بابل ظهرت دعوة سيدنا يونس لاصلاح شأن قومه الذين عبدوا الاصنام وقالوا له: ما نحن بمستجيبين لدعوتك، ولا خائفين من وعيدك، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين، ولم يطق يونس صبرا فهاجر عنهم باتجاه البحر، ولم يكد يبعد يونس عن نينوى قليلا حتى وافت أهلها نذر العذاب فعلموا أن دعوة يونس حق، فلجأوا الى الله الذى تقبل منهم توبتهم، وفي البحر وبعد أن ابتلعه الحوت وأعاده الى الشاطئ بأمر ربه أوحى الله اليه أن يرجع الى بلده وعشيرته بعد توبتهم فعاد الى نينوى فوجد السنتهم تلهج بذكر الرحمن.

**هجرة خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ**

بعد أن علم رجال قريش بخروج المسلمين مهاجرين الى المدينة المنورة بعد أن أذن لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة،، اجتمعوا في دار الندوة يتشاورون ويتدبرون، وبناء على اقتراح أبي جهل اتفق المجتمعون على قتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحيث يتفرق دمه علي القبائل، وعندما أذن الله لرسوله بالهجرة توجه من ساعته الى صديقه ابى بكر الصديق رضى الله عنه وأعلمه بذلك ومن دار أبي بكر بدأت الهجرة باتجاه المدينة المنورة، وتابع الرسول الكريم دعوته.

# رسالة إلى أختي

**شيخة بنت عبد الله الهاشل** ( الاحساء)

أُخَيَّتي:

عندما ترين جنازة أو تسمعين عن وفاة ألا تتأملين أنك صاحبة هذه الجنازة؟! إذا تأملت ذلك فماذا أعددت لهذا اليوم القريب المنتظر؟

اعلمي أن أعدى عدوك نفسك، التي بين جنبيك، وقد خُلقت أمَّارة بالسوء، ميالة الى الشر، فرَّارة من الخير، وأُمرتِ بتزكيتها وتقويمها، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها، ومنعها عن شهواتها، وفطامها عن لذاتها.

فإن أهملتها جمحت وشردت، ولم تظفري بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة، رجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة للدخول في زمرة عباد الله راضية مرضية. فلا تغفلي ساعة عن تذكيرها ومحاسبتها ومعاتبتها.

قال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكرُ الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل.

وقالت صفية (رضي الله عنها): إن امرأة اشتكت إلى عائشة (رضي الله عنها) قسوة قلبها، فقالت لها: اكثري ذكر الموت، يرقُّ قلبُك، ففعلت. فرقَّ قلبُها، فجاءت تشكرُ عائشة (رضي الله عنها).

وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل (رضي الله عنهما)، دخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال: كيف أصبحت يا «معاذ» ، قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً. قال (صلى الله عليه وسلم): إن لكل قول مصداقاً، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول. قال يا نبي الله: ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أصبح ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها، معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة.

قال عليه الصلاة والسلام: عرفْتَ فالزم، وقال أحد الشعراء:

يا نفس أنَّى تُؤفكينا
حتى متى لا ترعوينا
يا نفس إن لم تصلحي
فتشبهي بالصالحينا
وتفكري فيما أقول
لعل رشدك أن يحينا
أين الألي جمعوا وكانوا
للحوادث آمنينا؟
أفناهُمُ (الموتُ) المظلل
على الخلائق أجمعينا!!
فإذا مساكنهم وما
جمعوا لقوم آخرينا!

اعلمي أُخَيَّتي:

أن التراب بعد الفراش مضجعك. وأن الدود والحشرات أنيستك في قبرك، وأن القيامة الكبرى موعدك، وأن الجنة أو النار موردك. فإذا جعلت هذا نصب عينيك ليلا ونهاراً، سراً وجهاراً، وأمعنت في التفكر فيه، فلابد أن يكون لذلك تأثير بإذن الله تعالى.

ها هو أحد الشعراء يعظ قائلا:

عليك بما يُفيدك في المعاد
وما تنجو به يوم التناد
فمالك ليس ينفع فيك وعظ
ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المناد
فلا تفرح بمال تقتنيه
فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت، وأنت حي
وكن متنبِّهاً عن ذا الرقاد.

# يا لجنوني

يا لجنوني ويا لجنونك
كلانا مجنون بالآخر
وكلانا مفتون بهوى الآخر
وكلانا يتعذب في صمت
دون أن يشكو للآخر
يا لجنوني ويالجنونك
كلانا يهوى ويدارى وكلانا
يضحك ويعاني
وكلانا يسهر ، يحلم ،
يتمنى ، يناجي
يا لجنوني ويا لجنونك
كلانا يحب وكلانا يذوب
في عشق الآخر
وكلانا يحلم ويسعد ثم
يصحو ويا للقسوة
يا لجنوني ويا لجنونك
كلانا مفتون في هوى الآخر

**بهية بوسبيت**

ـ السعودية ـ

# مكاشفه

وتائهة في البدايات
تائهة في النهايات
هل تفتحين انغلاقك
اعماقك المرهقه
وهل تملئين حويصلة في الرئة
وهل تصعدين رويداً رويداً
إلى أفق صدرى
مجنحة في سمائى
وهائمة في دمي !!؟

* * *

زجاجية الشوق
هل نبهتك المساءلة الحاسمة
وهلا احتكمت ظلال الجبال
وحبات فجر
تناثر من بينها
الافتتان

* * *

ضبابية الحكم
شُدِّى نصالك
عودى وقوفاً
ورُدِّى ستائرك الواهيه
وموتى على دقة الهدهدات
الجميلة...

**شريفة السيد محمد**

ـ مصـــر ـ

# قصة قصيرة

# هاتف

مريم جبر
- الاردن -

إذا أتتك ريحها فدع عنك هذي الهدأة واقبل ..
مطراً يبعث شهوتها للحياة، فليس هذا اللون لونها، ولا حثالات النساء من بقاياها.

هيا احمل نفسك إلى هذا الرنين الذي يجيئك بين ساعة وأخرى ..
واستقبل صوتها - النهر الذي صار له اتجاه واحد.. يأتيك فتهرب ويعرج نحوك أنّى اتجهت.

لترفع سماعة الهاتف الى أذنك فينهال صوتها على مسامعك ثائراً منظماً بمنطق لابدّ أن يقنعك .. فلا تملك إلا أن تجيب:

- حاضر.

أحاديثها ، جرأتها، حركاتها، أفكارها، أحلامها، زياراتها، أسفارها ... كلها أشياء تدخل الى نفسك الرهبة فتجدها بالرغم من صراحتها غامضة، وتشعر بعد أحاديثها الطويلة إليك؛ أنها لم تقل كل شيء.

تذهب الى السوق وتشتري أشياء كثيرة، لنفسها وللصغيرين ولك، أنت ترى ما جلبته، لكنها لا تحدثك كيف حدث هذا؟ ومتى؟ من اين؟ وكم الثمن؟ وربما قابلت بعض من تعرفهم في السوق، الشارع، المكتب.. لكنها لا تحدثك عن شيء من ذلك، وأنت لا تجرؤ على سؤالها، وإلا ردت عليك واثقة بأن هذه أمور صغيرة لا تستحق أن تستحوذ اهتمامكما.

«أليست هذه معضلة؟»

تجلس إليها فتحدثك عن أحلامها.. عن هذين الصغيرين وعنك.. نعم أنت، غالباً ما تكون أنت محور أحلامها.. تحب الحياة وأنت جزء منها.. لا ، كلها، هكذا قالت لك أكثر من مرة، لكنك تخاف منها، تخاف؟! يا للخيبة!!

رنين الهاتف مرة أخرى..
وهروبك ترجمة لخوفك، فاخلع عنك هذا الخوف والتقيها مرة أخرى.. ستمطرك دفءاً غريباً .. دفءاً لم تشعره قط، وهذا أيضاً يخيفك!
ستشف لك مبررات الاحساس بالسعادة من جدران البيت الصلدة، كما كانت تفعل، لكنك تخاف قدرتها تلك، تشعر بنشوة من الفرح أمامها، تكاد أن تبكي .. فتهرب.
تخاف هذه اللحظة المقيته على قلب كل رجل..
أتبكي أمام امرأة لا تملك من أمرها شيئاً؟!
لكنها تملك كل شيء.. دفء البيت وحركة النهار، انتظار الغياب، وشمس الشتاء.. ولذا تخاف منها.. والسبيل الأوحد أمامك هو أن تنفد بجلدك قبل أن تغرق في يمها، وتتيه في براريها ثم لا تقدر على الفكاك من حصارها.

- جبان!

«لو أنها تقول ذلك .. لو تشتمني مرة!!»

هي لَم تفعل ذلك، ولن تفعل، هي ذكية، وذكاؤها؟؟ كل ما فيها يثير حيرتك وخوفك.
الهاتف .. يدك تقترب .. ترد بتخاذل:

- نعم ..
- هل فكرت جيداً بعواقب هروبك هذا؟
- ( .... )
- لا تنسى أن ارتباطنا هذا حدث بعد سنوات من المعرفة والتفاهم!
- ألم تكن شديد الاعجاب بشخصيتى وجرأتي وذكائي؟
- ( .... )
- كنت منافستك الوحيدة في الكلية.
- ( .... )
- لم تكن تخشى أن أتفوق عليك، فقد كنت اكثر جرأة مني وأشد ذكاء.
- ( .... )

فيك جسدت لحظات صدقي ومودتي وكبريائي وتفاني في العطاء وسخائي.

- ( .... )
- ( .... )
- هل ننتظرك اليوم .. وقت الغذاء؟
- .... نعم
- لا تتأخر!
- حاضر..

# أوراق زوجية

## أبو عواد / ام عمرو

**٧٣٦= ابو عواد:**

لماذا - وما دمنا بصدد البكاء - تبكي العروس ليلة الزفاف؟ سؤال طرحه ليس جديداً.. وقد لا يكون رأيي فيه أيضا هو الآخر بجديد.. ولكنني بيني وبين نفسي أقول لعله الخوف من المجهول..؟!.. ثم أعود وأتساءل.. لعله الامتحان الصعب.. ثم لا ألبث أن استقر على رأي أحدهم: بأن هذا البكاء هو عربون إظهار الضعف.. واستدرار الشفقة.

**٧٣٦= ام عمرو:**

ولماذا لا يكون بكاء الفتاة ليلة زواجها ناتج عن تأثرها بترك أسرتها حيث تربت وشعرت بالأمان؟ إن أفضل التفاسير عادة ما يكون أبسطها.

**٧٣٧= ابو عواد:**

قال حكيم: لو اقتنعت المرأة بنصيبها في الحياة لعاشت سعيدة.. ولأنها ليست كذلك.. فان معظم النساء لا يعرفن طعماً للسعادة بالمعنى الصحيح.

**٧٣٧= ام عمرو:**

القناعة والطمع صفتان فرديتان في الرجال والنساء ولا يتميز بها جنس عن آخر.. والمرأة عادة ما تزداد قناعة إذا أحست بالأمان والاستقرار في حياتها. هذا لأنها تأمل في يوم آت وتنتظره.

**٧٣٨= ابو عواد:**

أعجب لبعض النساء تكون سعيده في بيتها مع زوجها وأولادها ورغم أنها توشك أن تصبح جده لاحفادها من ابنائها وبناتها إلا أنها عند أدنى مشكلة تحصل بينها وبين زوجها لا تتردد أن تقول له - وبالحرف الواحد - طلقني!!!

**٧٣٨= ام عمرو:**

إن إسراع المرأة بقول كلمة «طلقني» هو نوع من الوقاية من سماعها من الرجل، على مذهب «بيدى لا بيد عمرو».

**٧٣٩= ابو عواد:**

هناك فرق واحد بين الزوجة الواعية والزوجة غير الواعية وهو أن الأولى تعتني لزوجها ولنفسها والثانية تعتنى لنفسها ولزوجها.

**٧٣٩= أم عمرو:**

يقول علم النفس إن من يبدأون بحب أنفسهم يحبون غيرهم أكثر.. على ألا يتحول هذا الحب إلى «أنانية».. فتش عنها.

**٧٤٠= ابو عواد:**

أحدهم قال لي: هل تعرف لماذا أصبح الكل يفضل أن تكون الزيارة بسابق موعد..؟!.. فقلت له: قد يبدو الأمر منطقيا على أساس الاستعداد للقادم!!!.. فرد قائلا: بل - لارتداء القناع في انتظار القادم!!!.. ولا أدري حتى الآن ماذا يقصد صاحبي بالقناع؟!!

**٧٤٠= امر عمرو:**

لابد وأن يكون لكل بيت «أقنعته» وخصوصياته التى لا يطلع عليها إلا أهله، وما الضرر فى أن تبدو فى أحسن صورة أمام الآخرين؟

**٧٤١= ابو عواد:**

سيدتي.. وفرى عليك كل هذه «الخربطات»!!!.. الرجيم اكبر تحد للنساء.. وهناك طريقة واحدة لنجاحه هى أن تقبل الزوجة بحياة التقشف البسيطة في بيتها أما أن تملأ الثلاجة والأرفف بما لذ وطاب.. وتفرض على نفسها حمية ليوم أو يومين تنهار بعدها.. فانها أشبه بوقف إطلاق النار الذي أشبه ما يكون بالهدوء الذى يسبق العاصفة!!

**٧٤١= ام عمرو:**

الإسراف والتقتير في توفير واختيار طعام الأسرة طريقتان مرفوضتان والأفضل أن تكون اختياراتنا للطعام على أساس التكامل والاقتصادية معاً.

**٧٤٢= ابو عواد:**

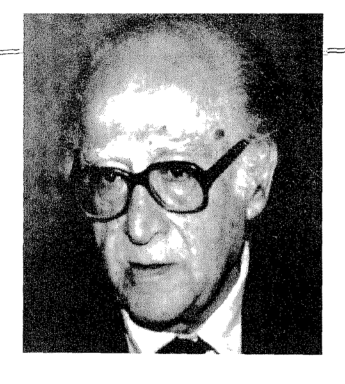
أجل إننى أحترم هذه السيدة.. وعندى الاستعداد لكى أحمل لها الحقيبة.. لأنها يا سيدتى لم تتنكر لزوجها الكفيف.. ولأنه إذا غضب عليها وهم بمد يده عليها اقتربت منه وقالت ها أنا بجانبك يا أبا قاسم.. اضربنى إذا شئت.. فيقبض على يده ويقول: الله يلعن الشيطان.. أنا أسف يا أم قاسم!!.

**٧٤٢= ام عمرو:**

يؤسفنى أن أقول إننى لا أحترم هذه السيدة ولا أحترم هذا الرجل أيضاً. بعض الرجال يريدون أن يحولوا المرأة الى ظل والظلال لا تتحرك ولا تحرك شيئاً حتى لو بدت لنا غير ذلك. العلاقة بين الرجل والمرأة تبدأ وتنتهى من الاحترام المتبادل الذي لا يحتاج فيه أى منهما الى أن «يتخيل» رفع يده على الآخر. بعض الناس نزل من قطار الزمن فى «محطة» القرن الثانى عشر وتوقف هناك!.

## من الأدب العربي:

# قمة من قمم الابداع العربي:



جبرا ابراهيم جبرا واحد من أبرز الأدباء العرب المعاصرين، مارس الابداع فى مختلف مجالات الأدب، فكان شاعراً في القمة، وكان روائياً لا يشق له غبار، وكان ناقداً شمولياً يتعامل مع معظم مدارس النقد بوعي ومعرفة، وكان قاصاً تتألق الكلمات بين يديه، وتشرق العبارات التي يبتكرها، حتى ليجد كل قارىء يقرؤه نفسه وقد امتلك روح الابداع، وسافر فى كل مدارات الحلم الجميلة، وتجاوز كل بوابات المعرفة الأصيلة إلى مساحات الثقافة العربية والعالمية المدهشة.

امتدت حياة جبرا ابراهيم جبرا أربعة وسبعين عاماً، ما بين عام ١٩٢٠ حيث ولد في أحد خانات مدينة بيت لحم في فلسطين، وعام ١٩٩٤ حيث توفى في بغداد التي حملته إليها نكبة عام ١٩٤٨ ضمن رحلة الشتات الفلسطيني التي توزع خلالها الشعب الفلسطيني بين الأقطار العربية أو البلاد الأجنبية، توزعاً قسرياً قهرياً وليس اختيارياً.

**نوافذ على ثقافات العالم**

حياته مزيج من الرحيل المتواصل والبحث المستمر عن الذات والانتماء من خلال الاستزادة من العلم والمعرفة، فعندما كان في الثانية عشرة انتقل الى القدس مع عائلته، تاركاً مرابع ذكريات الطفولة والصبا في بيت لحم، دون أن تغيب هذه الذكريات عن خاطره، وفي القدس تابع دراسته الابتدائية ثم الاعدادية ثم الثانوية، وخلال تلك الفترة بدأت تتفتح مواسم الابداع لديه، فكتب أولى محاولاته الأدبية التي كشفت عما لديه من كم هائل من القدرة الأدبية والفنية فيما كتب.

انتقل الى انجلترا لاستكمال دراسته في جامعة اكستر ثم في جامعة كامبردج، ما ساعده على التمكن من الكتابة باللغتين العربية والانجليزية بمستوى واحد من القيمة التعبيرية، وما كان له أكبر الأثر في إصداره أكثر من خمسة واربعين كتاباً باللغتين، كان بينها روايات ودواوين شعر، ودراسات نقدية، ودراسات فكرية، وتأملات وحوارات، وترجمات لأعمال اعتبرت من أحسن ما ترجم الى اللغة العربية.

لم يتوقف طول حياته عن السعي والتجديد في اللغة والأفكار، واكتشاف أشكال غير مسبوقة للتعبير، وتجاوز الأطر التقليدية التي سيطرت على الساحة الأدبية العربية زماناً طويلا، ولكنه التجاوز المرتبط بالوعي وفهم الدور الحضاري للثقافة العربية.

**نهاوند عبد الله - جدة**

في مقدمة مجموعته الشعرية الكاملة الصادرة عام ١٩٩٠ يقول جبرا ابراهيم جبرا محدداً موقفه ورأيه:

«سميت هذا الشعر، منذ البداية، شعراً حراً وفق مفهومي للشعر الحر، وهو مفهوم اختلفت فيه مع العديدين ممن تصدوا له من نقاد ودارسين، ومازلت معهم على خلاف، وقد رأيت فيه بعد ركود الكثير من الحوافز النهضوية والاحيائية التي عرفناها منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين توسيعاً لطاقات اللغة واشكال القول، ومؤشراً لطاقات مازالت كامنة فى

اللغة والقول، سيكون مستقبلنا، كأمة وحضارة، قادراً على تفجير المزيد منها، بعد أن مهدنا لذلك بعناد المحب واصرار العقل العربي ازاء المصرين على النكوص بهذا العقل والانكفاء به اصراراً ملؤه الضجيج والجهل».

وكما هو حاله مع الشعر كان حاله مع الرواية حتى أصبح واحداً من أبرز روادها في العصر الحديث، منذ روايته الأولى «صراخ في ليل طويل» مروراً برواياته «صيادون في شارع ضيق»، «السفينة»، البحث عن وليد مسعود»، «عالم بلا خرائط» مع عبد الرحمن منيف، وحتى روايته «الغرف الأخرى».

كذلك كان للترجمة نصيب كبير بين مؤلفاته حتى بلغ عدد الكتب التي ترجمها أكثر من خمسة وعشرين كتاباً في مختلف مجالات الابداع الغربي.

من قصيدة «خماسية الصيف» هذا المقطع:

***أذكر ما قاله الشعراء قبلي،***
***أذكر ما قلته وناقضت به نفسي،***
***وما نسيته أكثر مما أذكره.***
***ولكن الذي يلصق بي من دأبه***
***تعقيد نقطة كنت أنشدها واضحة***
***ساعة ما بعد انتصاف الليل***
***والنوم قد جفا،***
***ساعة النهوض صباحاً***
***وقلع الضرس أسهل من***
***مجابهة النهار:***
***ما هذه الشجرة التي نمت،***
***ما هذه الثمرة؟***
***أتفاحة مذاقها نزاع وتمرد؟***
***أعنقود تدلى لمعذب لايطاله؟***
***أصبارة زهرها يتفتق كالشمس***
***تلقفتها يد غافلة؟***
***ما أطيب فواكه الوهم لولا أنها***
***على عوسج متعطش لدمي***
***والموت، ما الذي يخرج به***
***من هذه التجربة؟***
***لكأنه فارس يتحدى،***
***يخرج من خبائه في أحرج الأوقات***
***مرتدياً الدرع والحديد***
***ويلوح بالرمح الطويل***
***من على حصان مطهم،***
***صهيله إغراء بالصراع***



## * موسيقى:
# فرقة برلين الفيلهارمونية

نسمع في كثير من الأحيان نغمات موسيقية تشدنا إليها بغير تمهيد، ولا فرق في ذلك بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية، لأن الموسيقى غذاء للروح، ومخاطبة للوجدان لا تحتاج إلى تمهيد أو تقديم، وهي قادرة على اختراق كل الحواجز لتصل إلى الاسماع، وتطرب النفوس عندما تكون

خارجة من بين أنامل موسيقيين فنانين يستنطقون آلاتهم أجمل النغمات.

ولقد كانت هناك دائماً فرق موسيقية عربية وأجنبية كبيرة قدمت أعظم الأعمال الموسيقية لأشهر الفنانين العرب والأجانب، فكسبت من ابداعهم تلك الشهرة التي جعلتها معروفة أينما حلت وعزفت وامتعت السامعين.

من الفرق الموسيقية العالمية التي يمكن تصنيفها على أنها من أفضل الفرق الموسيقية في العالم فرقة الأوركسترا «الفيلهارموني البرلينية» أو «فرقة برلين الفيلهارمونية» التي تأسست في العاصمة الألمانية عام ١٨٨٢م، بعد انتهاء فرقة موسيقية صغيرة أسسها في بلدة «ليغنيتس» الألمانية الصغيرة موسيقي البلدة «بنيامين بلزه» في عام ١٨٦٧م لتقديم مؤلفات موتسارت وبيتهوفن وشوبرت الموسيقية.

وكان خمسون موسيقياً من الفرقة الصغيرة قد تركوا الفرقة ليعزفوا في حفلات موسيقية خاصة، فوجد متعهد الحفلات الموسيقية البرليني «هيرمان فولف» الفرصة مناسبة ليشكل منهم فرقة برلين الاوركسترالية (الفيلهارمونية) التي قدمت حفلات نظمها وحققت نجاحاً منقطع النظير، خاصة بعد أن أسندت قيادة الفرقة الجديدة في عام ١٨٨٧ إلى موسيقي متمرس هو «هانس فون بولو» صهر الموسيقار الشهير « فرانتس ليست» الذي استطاع أن يجعل منها فرقة من أرقى الفرق الموسيقية فى إطار برنامجه الذي يعتمد علي برامج قصيرة وتدريبات طويلة، وخلال ثلاث سنوات فقط، ليتخلى عنها في عام ١٨٩٠م.

في عام ١٨٩٥م تولى قيادة الفرقة الموسيقي المجري «آرتورنيكيش» الذي كان يتولى في الوقت نفسه قيادة أوركسترا «غيفاندهاوس» في لايبزيغ، واستطاع برغم ازدواجية القيادة أن يحقق شهرة كبيرة ونجاحاً شعبياً للفرقتين، خاصة وأن نيكيش بنى مجده وشهرته على الأداء النموذجي لمؤلفات بروكنر وبرامز وفاغنر الموسيقية، وجاء النجاح الهائل لفرقة برلين عندما قدمت في الحفلة الافتتاحية بقيادته في برلين «السيمفونية الخامسة» لتشايكوفسكي.

بعد وفاة نيكيش في عام ١٩٢٢ تولى قيادة الفرقة قائد اوركسترا شاب في السادسة والثلاثين من عمره هو «فيلهلم فورتغينجلر» الذي استطاع أن يدعم شهرة ونجاح فرقة برلين الفيلهارمونية بتقديم المؤلفات الموسيقية من القرن العشرين لكل من «بوسوني وهينده مت وبروكوفييف وريتشارد شتراوس» إلى جانب تقديم المؤلفات الموسيقية الشهيرة من القرن التاسع عشر.

كان «هيربرت فون كارايان» هو القائد الجديد للفرقة بعد وفاة فورتفينجلر، وقد اهتم كثيراً بالتدريبات وتعيين الموسيقيين الموهوبين الجدد في الفرقة بعد أن يمضوا سنتين في التدريب ليتلاءموا مع طبيعة عمل الفرقة العالي المستوى، كما اهتم بتأمين آلات موسيقية غالية الثمن من مشجعي الموسيقى المقتدرين، وبذلك انضم إلى الفرقة عدد كبير من الموسيقيين الجدد الممتازين القادمين من مختلف القارات واندمجوا فيها اندماجاً كاملا، وقدمت الفرقة تحت قيادة «كلاوديو آبادو» المعروف بحبه للموسيقى الحديثة والمؤلفات المنسية برنامجاً أكثر تنوعاً وأوسع عطاء، جعلها تحافظ على مكانها في القمة.

«المصدر: المجلة الألمانية»

## * من الأدب الصيني:
# (لوسين الأديب الإنسان!)

يعتبر الأدب الصيني من أقدم الآداب في العالم، فهو يمتد إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وهو يعبر عن الحضارة الصينية العريقة التي تركت بصماتها بأشكال كثيرة على الحياة الانسانية بصورة عامة، وكان الأدب الصينى يأخذ صفة الملحمية في تلك الأحقاب الغابرة مثله مثل آداب الحضارات العالمية الأخرى المصرية والسورية واليونانية والهندية والأنكية وغيرها.

وقد ظل الأدب الصيني في حركة مستمرة حتى بدايات هذا القرن التى تعتبر من المراحل الهامة في حياته، فظهر الأدب الانسانى الطليعى الذي يرفض العالم القديم، ويدعو الى نشر المثل الديمقراطية وتجديد اللغة وإقامة علاقات متينة مع ثقافات الشعوب الأخرى وخاصة الشعوب المجاورة.

وبرز أدباء كبار في الصين في إطار هذا الأدب الانساني قدموا أعمالا أدبية متميزة ورائعة، منهم



الكاتب الصيني الانساني «لوسين» الذي ولد عام ١٨٨١ وتوفي في عام ١٩٣٦، وخلال هذه الفترة القصيرة نسبياً حقق نجاحاً ادبياً كبيراً وكتب مؤلفات هامة في مجال القصة ركز فيها على الانسان العادي من أبرزها «نداء، لمعان، سيف، الصلاة من أجل السعادة، حادث صغير، الضياع، الأعشاب البرية، مذكرات مجنون» وفيها جميعاً يقف الى جانب الانسان المضطهد محاولا مساعدته في تحرير مشاعره، وهو بذلك يعكس صوراً من معاناة الشعب الصيني.

من قصة «مذكرات مجنون» نقتطف هذا الجزء: اليوم لم يسطع القمر نهائياً، فهمت أن هذا لا يحمل لي إلا السوء، خرجت صباحاً يحيطني الحذر خارج البوابة، نظر إلي تشو جاوغوي فين بعينين غير طبيعيتين، إما أنه كان يخاف مني، وإما أنه كان ينوي قتلي، وهناك وقف سبعة أو ثمانية رجال يتهامسون بشيء ما عني، غير انهم في الوقت ذاته كانوا يخافون أن ألاحظ هذا، وكل من شاهدت في الطريق كان يتصرف أيضاً على هذا المنوال، أحدهم كان شريراً، عندما شاهدني أخذ يضحك بصوت عال، أصابتني نوبة برد شديدة، من رأسي وحتي أخمص قدمي كانت خلايا جسمي ترتعد وترتجف، ساعتها فهمت أن ما كانوا قد حضروه ضدي قد انتهى.

لم أخف من أحد، تابعت طريقي، وعلى مقربة مني كان يسير جمهور من الصبية، كانوا هم أيضاً يتحدثون عنّي، نظراتهم لم تختلف عن نظرات تشوجاو، ووجوههم سوداء كوجهه.

فكرت: هل أسأت التصرف مع هؤلاء الصبية حتى اصبحوا يكرهونني هذا الكره الشديد؟ لم أقدر على تحمل نظراتهم فصرخت بهم: إيه، ماذا تريدون؟ ولكنهم لم يجيبوا وهربوا.

فكرت في قرارة نفسي: هل أزعجت جاري تشوجاو؟ هل أسأت للناس يوماً؟ ولماذا ينظرون إليّ في الطريق هكذا؟ هل لأنني قمت قبل عشرين عاماً بتمزيق كتاب الدخل والمصروف لـ غوتسيزو؟ إن السيد غوتسيزو كان فعلا غير راض عن تصرفي، ولكن تشوجاو لم يعرفه سابقاً، ربما سمع بهذه الحادثة ووقف الى جانب غوتسيزو، هذا هو بالذات الذي أقنع الناس أن يكرهوني، ولكن الصبية لم يكونوا قد ظهروا الى الوجود آنذاك، لماذا كانوا يحدقون اليوم في وجهي عن كثب؟ ربما كانوا يخافونني، وربما كانوا يريدون أن يقتلوني. كل هذا يخيفني، يدهشني، ويزعجني بآن واحد.

أفهم .. ربما علمهم بهذا ضدي!

## * صورة:

# (هذه المقاتلة)

من قلب حرائق الأرض والروح، تخرج هذه الفلسطينية العجوز، تحمل البندقية وتعلن استعدادها لمواجهة العدو في كل مكان وزمان، وبكل أسلوب، حتى يرضخ للسلام العادل وينهزم جبروته وطغيانه.

سنوات العمر ليست حملا ثقيلا، إنها تاريخ وذكريات ودروس تحريض، والبندقية باليد القادرة تصنع السلام العادل القوي، كما تحرر الأرض المغتصبة التي لا تحررها البيانات الرسمية والشعارات الجوفاء. هذا ما تقوله هذه الفلسطينية العجوز التي ترفض الخروج من أرضها في هذه اللقطة المعبرة التي تؤكد أن التصوير الضوئي فن ابداعي قد يتجاوز الفنون الأخرى.

# رسائل إلى أم البنين من أبي تمام

محمد عبد الواحد حجازي
مصر

* هو حبيب بن أوس بن الحارث بن طئ
* من كبار الشعراء العباسيين.

حبيبتي زوجتي هند:

تركتك في دمشق أنت وأولادي وأهلي طلبا للمجد والصيت العريض والمال الوفير، وكنت قد وعدتك بل عاهدتك ساعة خروجي أنني سوف أرسل إليك برسائلي لأطمئنك على أحوالي وما يحدث لي في كل بلد أستقر به.. كانت أولى رحلاتي إلى مصر، وليس ذلك بعجيب مني ولا غريب. فمن في الدنيا لا يسعده أن يزور مصر جنة الله في الأرض؟ ومن في الدنيا لا يسعده أن يعيش بين أهل مصر وهم كرام طيبون سمحاء؟

لقد مضى عليّ في مصر أكثر من خمس سنوات بغير أن أدري كيف صبرتُ على فراقك.. وكيف سولت لي نفسي أن أهجر دمشق وهي مني وأنا منها.. ألا ما أجملك يا دمشق، ما أعظمك:

سقى الرائح الغادي المهجِّر بلدة
سقتني أنفاس الصبابة والخبل
فجاد دمشقاً كلها جود أهلها
بأنفسهم عند الكريهة والبذل
فلم يبق في أرض البقاعين بقعة
وجاد قرى الجولان بالمسبل الهطل
بنفسي أرض الشام لا أيمن الحمى
ولا أيسر الدهنا ولا أوسط الزمل
عدتني عنكمُ مكرهاً غربةُ النوى
لها وتر في أن تمر ولا تحلي
أخمسة أعوام مضت لمغيبه
وشهران بل يومان شكل على شكل
توافي وثيق النجح عنه ووكلت
به عزمات أوقفته على رجل
قضى الدهر مني نحبه يوم قتله
هواي بإرقال الغويرية الفتل
نأيتُ فلا مالا حويتُ ولم أقم
فأمنع إذ فجعت بالمال والأهل

حبيبتي زوجتي هند:

من حسنات الاغتراب أنه يعيد الإنسان الى ذاته وتاريخه، يعيد الإنسان إلى ذكرياته فإذا هي شاخصة أمامه بظواهرها وظلالها وأضوائها وأنيسها تحادثه حديث الشوق والحنين.. إنها ليست طيوفا لكنها حقائق عشناها وأعيشها اليوم رؤى ففي ليلة من الليالي التي كنت فيها مطمئنا من الهموم تراءى لي طيفك في بسمتك وحلاوتك، وباغم صوتك ورشاقة معابثتك فاشتعلت مشاعر أشواقي إليك يا تحفة الجمال ويا عذبة الدلال:

ومضمخ بالمسك في وجناته
حسن الشمائل ساحر الألفاظ
أبداً ترى الآثار في وجناته
مما يجرحها من الألحاظ
وتراه سائر دهره متبسما
فإذا رآني مر كالمغتاظ
في القلب مني والجوانح والحشا
من حبه حر كحر شواظ

فلا تستغربي إذن إن قلَّ نومي وطال سهادي واشتغل فكري بالانشغال عليك وعلى أهلي .. نعم، قل نومي وطال سهادي حتى عاتبني الأصدقاء على ما صار إليه حالي من سقم وقالوا لي: خفف عن قلبك عذاب الأشواق وإلا أهلكت نفسك.. فبالله يا معذبتي إلا مننت بوصالك على خيالي:

إجعل لعيني في الكرى حظا
ولا تكن لي مالكا فظا
أما لعيني بك من حرمة
إذا أعملت في حسنك اللحظا
ألزمتني ذنبا فعاقبتني
من قبل أن تسمع لي لفظا

حبيبتي زوجتي هند:

جاءتني دعوة من الأمير عبد الله بن طاهر والي خراسان لزيارته ولذلك أرجأت قدومي إلى دمشق.. وما أرجوه منك أن تتفهمي موقفي في ضرورة إجابة دعوة الأمير فهو رجل جميل الخلق جم الحياء سخي العطاء .. ذهبت إليه فغاض عليّ بنعمائه وبرِّه وكان أن جادت قريحتي بقصيدة أعترف فيها بجميلة مقدراً لمقامه فقلت:

إذا أنت وجهت الركاب لقصده
تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه
جدير بأن يستحي الله باديا
به ثم يستحي الندى ويراقبه
سما للعلى من جانبيها كليهما
سمو عباب الماء جاشت غواربه
فنوَّل حتى لم يجد من ينيله
وحارب حتى لم يجد مَنْ يحاربه

وخرجت من خراسان إلى أرمينية حيث استقبلني واليها خالد بن يزيد، فأسدل على ستر خيره وعطاياه.. أفلا يستحق مني الشكر؟ بلى:

يقول أناس في حبيناء أبصروا
عمارة رحلي من طريف وتالد
أصادفت كنزاً أم صبحت بغارة
ذوي غرة حاميهم غير شاهد

فـقلت لهم لاذا ولا ذاك ديدنى
ولكننى أقبلت من عند خالد
جذبت نداه غدوة السبت جذبة
فخرّ صريعاً بين أيدى القصائد
فأبت بنعمى منه بيضاء لدنة
كثيرة قرح فى قلوب الحواسد
فرعت عقاب الأرض والشعر مادحا
له فارتقى بى فى عقاب المحامد
فألبسنى من أمهات تلاده
وألبسته من أمهات قصائدى

وهكذا ترين يا حبيبتى أننى فى سفر لا ينقطع وترحال لا يقرلى فيه قرار وأنا فى ذلك بين أشواق وأحزان ووله وحنين.. يا لخيالى المعذب بأشجان الحنين إليك.. فجأة شخص طيفك لخيالى ودموعك تنساب على خديك عند رحيلى الأول.. لا أعرف السبب فى أن تسترجع ذاكرتى ذلك المشهد إلا أن يكون طيفك قد شاء أن يعبث بى فيضاعف من أشواقى إليك:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتاداً عندها كل مرقد
وأنقذها من غمرة الموت أنه
صدود فراق لا صدود تعمد
فأجرى لها الإشفاق دمعا موردا
من الدم يجرىٰ فوق خد مورد
هى البدر يغنيها تودد وجهها
الى كل من لاقت وإن لم تودد

حبيبتى زوجتى هند:

ورحلت الى بغداد، وهنا التقيت بأمير المؤمنين المعتصم وكان راجعا لتوه من انتصاره فى فتح عمورية.. وهو الانتصار الذى تجاوبت به الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها عزة وفخاراً وفرحا.. التقيت بأمير المؤمنين وألقيت بين يديه درة قصائدى التي تغنى بها الزمان وازدهى.. ومما قلته:

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض فى أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفّلاً معسولة الحلب
أبقيت جد بنى الإسلام فى صعد
والمشركين ودار الشرك فى صبب

وهكذا ترين يا حبيبتى أننى فى سفر لا ينقطع وترحال لا يهدأ وأنا فى كل ذلك راض بقدرى:

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى
البين أكثر من شوقى وأحزانى
دع الفراق فإن الدهر ساعده
فسار أملك من روحى بجثمانى
خليفه الخضر من يربع على وطن
فى بلدة بظهور العيسِ أوطانى
بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا
بالرقمتين وبالفسطاط إخوانى
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تشافه بى أقصى خراسان
خلفت بالأفق الغربى لى سكنا
قد كان عيشى به حلواً بحلوان

حبيبتى زوجتى هند:

نصيحتى إليك وأنا فى اغترابى وتجوالى ألا تبتئسى أو تحزنى إذا أرجف حولى الحاسدون بما يسئ إلى.. عليك أن تتذكرى كلماتى التى طالما أسمعتها لك:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

ولا تشغلى نفسك بما يفترون:

إذا لم تخشى عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاء
لئيم الفعل من قوم كرام
له من بينهم أبداً عواء

إيه يا حبيبتى:

سهرت فيك فلم أجحد يد السهر
وطال عتبى فلا عتب على الفكر
نادمت ذكراك والظلماء عاكفة
فكان يا سيدى أحلى من السمر
يا من إذا قلت يا من لا نظير له
فى حسنه قيل لى يا أصدق البشر

وغدا إلى الموصل ...

حيث ألقى عصا التسيار.. وفيها يعود شملنا إلى ألفته.. وفيها يعود للقلوب الواجفة فرحها.. وللعيون الحائرة اطمئنانها.

# كتب وإصدارات

* صدر حديثا عن دار القمم للإعلام كتاب بعنوان «الملك عبد العزيز ٠٠ رؤية عالمية» الطبعة الأولى تأليف الدكتور ساعد العرابى الحارثي٠

وهذا الكتاب عبارة عن مجلد فخم من الحجم الكبير والورق المصقول ويحتوى على أكثر من ستمائة صفحة٠

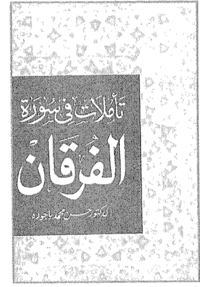
تناول فيه مؤلفه حياة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ متوِّجا أحاديثه بمئات من شهادات بعض من تعاملوا مع الملك عبد العزيز أو عاصروه من العالم «إن الملك عبد العزيز هو ذلك الرجل الذى شاد على مدى نصف قرن من الزمان كيانا شامخا متميزا٠٠ زاوج فيه بين أصالة الماضي وتراث الأجداد، وبين مفردات ولغة العصر الحديث بكل ما فيها من تطور لا يتناقض مع روح وتصور العقيدة، مجسدا بذلك النموذج الأروع لمجتمع الفضيلة، المتمسك بتعاليم دينه الإسلامي»٠




وقد تناول مؤلف الكتاب حياة جلالة الملك عبد العزيز مقسما كتابه الى تسعة فصول مسبوقة بمقدمة بعنوان «الملك عبد العزيز كما يراه العالم» أما الفصول فهي: «استعادة الرياض ـ الملك عبد العزيز البطولة والزعامة ـ أخلاق القيادة وقدراتها ـ توحيد المملكة وتوطيد الأمن ـ تحكيم الشريعة والشورى ـ التنمية الشاملة ـ مكانته العربية والاسلامية ـ مكانته الدولية ـ الرحيل»٠

* صدر مؤخرا الطبعة الثانية من كتاب «تأملات فى سورة الفرقان» للدكتور حسن محمد باجودة أستاذ الدراسات القرآنية البيانية جامعة أم القرى ـ والكتاب من الحجم الوسط ويحتوى على (٢٦٤) صفحة٠

تناول فيه مؤلفه مظاهر إعجاز سورة الفرقان والدروس المستفادة منها٠ وقسّم الكتاب الى خمسة أقسام «محمد (صلى الله عليه وسلم) عبد الله ورسوله للعالمين ـ اعتراضات وردود ـ الذين لا يرجون النشور لا يسمعون ولا يعقلون ـ من آيات الله تعالى ـ عباد الرحمن»٠




وهذا الكتاب يعد مرجعا فى التأملات الخاصة بصورة الفرقان٠

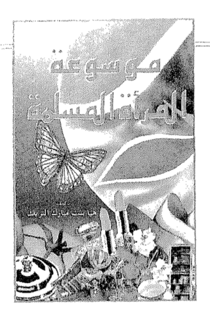
* «بحوث ومقالات فى فقه العربية»: للدكتور/ محمد السيد علي بلاسي٠٠ مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر بالزقازيق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، وقد صدر عن دار الولاء للتراث بالزقازيق فى ١٥٠ صفحة من القطع الكبير٠

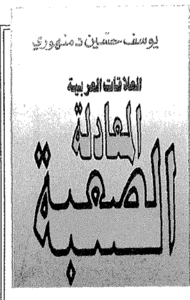
والكتاب نموذج لفهم اللغة العربية، ووضعها فى المكانة اللائقة بين اللغات العالمية جميعا، حيث يوضح ـ بأسلوب سهل مشوّق ـ ميزات اللغة العربية وخصائصها، كما يعالج بعض قضاياها الشائكة، مبرزا أشهر أعلامها الأفذاذ الذين كشفوا عن أسرارها٠

الدكتور
محمّد السيّد علي بلاسي

بحوث ومقالات
في
فقه العربية

الطبعة الأولى




والكتاب - في مجموعه - يمثل بعض الأبحاث والمقالات اللغوية التى نُشرت للمؤلف على مدى عشر سنوات خلت، على صفحات بعض المجلات العربية المشهورة التى تصدر فى العالم الاسلامي.

* صدر حديثا عن دار المداد للنشر والتوزيع كتاب بعنوان: «موسوعة المرأة المسلمة» تأليف هيا بنت مبارك البريك ويقع فى مائتين وخمسة وخمسين صفحة من القطع الكبير.. وتعد هذه الموسوعة من أوائل الموسوعات المتخصصة فى شئون المرأة لمؤلفة سعودية.

وقد استهلت المؤلفة كتابها بنبذة موجزة عن المرأة ومكانتها فى الاسلام. ثم قسمت كتابها الى خمسة أقسام الأول بعنوان لك سيدتى والثانى بعنوان لك ولزوجك والثالث بعنوان لك ولطفلك والرابع بعنوان لك ولعائلتك والخامس بعنوان لك ولمنزلك.

والموسوعة فى مجملها لا غنى عنها لأى امرأة مسلمة لما احتوت عليه من مواضيع متنوعة وشيقة.

* «الغطاء النباتى الطبيعى فى الإقليم الجنوبى الغربى» تأليف فريدة بنت محمد بن حسين قدح الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م من اصدارات نادى أبها الأدبي.

الكتاب من الحجم الوسط ويشتمل على ١٥٠ صفحة. ويحتوى الكتاب على خمسة فصول: الفصل الأول حول البيئة الطبيعية لمنطقة الدراسة، والفصل الثانى عن مناخ الاقليم الجنوبى الغربى فى المملكة العربية السعودية، والفصل الثالث التربة فى الاقليم الجنوبى الغربي ، والفصل الرابع النبات الطبيعى فى الاقليم الجنوبي الغربي، والفصل الخامس استغلال النبات الطبيعي في الاقليم الجنوبي الغربي.

وهذا الكتاب ذو أهمية إذ أنه يتناول موضوعا قلما طرق من ذى قبل بهذه الصورة الدقيقة والعلمية، علاوة على أنه يتعلق بمنطقة تمثل الرئة الطبيعية للمملكة ويتطلع أهلها وزوارها الى معرفة ما يتعلق بجغرافيتها ومناخها.

* تداعيات الواقع العربي والإسلامي منذ غزو العراق للكويت، وما أحدثه من شرخ هائل على جدار العلاقات العربية، وما جاء بعد ذلك من أحداث زادت الطين بلة - كما يقولون - فى المحيط العربي، ثم تجيء اتفاقيات السلام مع اسرائيل التى لا تزال احداثها واحباطاتها تتوالى، لكل هذه الاسباب وغيرها، يأتي هذا الكتاب (العلاقات العربية والمعادلة الصعبة) ليقول شيئاً في هذا الواقع الاليم.

الكتاب لمؤلفة الأستاذ الصحفي يوسف حسين دمنهوري رئيس تحرير جريدة الندوة.. في طبعته الأولى ١٤١٥هـ/ والكتاب من الحجم العادي فى (٢٥٠) صفحة.

مسك الختام

أحسبني واحدا من الذين شهدوا معالم نهضة الأدب ويقظة الفكر في عالمنا العربي في هذا القرن العشرين، وعاصروا فريقا كبيرا من أئمة تلك النهضة وأعلام هذه الصحوة الذين بنوا هذا الصرح الماثل المختلف الجوانب المتعدد الطبقات.

وشهدت بعدها وفي اثنائها فترات من المد والجزر والسعة والامتداد، وفترات من الانقباض والانكماش.

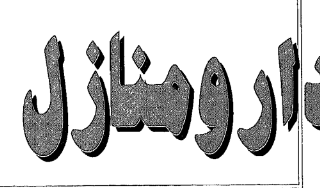
وقد أسهم في بناء هذا الصرح عدد كبير من أعلام الشعر والخطابة، وعدد كبير من حملة الأقلام، ومن رجال السياسة وعلماء الدين الذين يعرفهم عامة أهل الأدب وأرباب الفكر من نابتة هذا الزمان، لكثرة ما يطالعون أسماءهم التي ما تزال تتردد أصداؤها في أجواء حياتنا الثقافية ولكثرة ما يقرءون من آثارهم الباقية التي يجدون فيها زاداً وإمتاعا، ويرون فيها إجادة وإبداعا.

ولم يكن أولئك الرواد المعروفون على درجة واحدة من الوعى أو من العطاء، أو من القدرة على التأثير في الحياة الأدبية أو الثقافية، ولكنهم اختلفوا فى ذلك بقدر اختلافهم فى المواهب والطباع، وبقدر طرائقهم فى التفكير، وقدرتهم على التعبير، وبقدر تصورهم للغايات والمثل التى تتطلع إليها مجتمعاتهم، وتسعى جاهدة لبلوغها، وبقدر الإختلاف الواضح فيما حصلوا من ثقافات عربية أو ثقافات أجنبية، فقد كان منهم من اتسعت ثقافته وتنوعت معارفه بما استطاع أن يحصل من معارف الغرب أو الشرق، كما كان منهم من اقتنع بما عرف من ثقافة البيئة التى عاش فيها، والجماعة التى عاش بينها، وكما كان فيهم من سافر وهاجر، وخالط أقواما مختلفين فى العقائد والتقاليد والنظر الى الحياة، ومن لم يبرح مكانه، ولم تقع عينه إلا على المعروف المألوف.


بقلم: أ.د. بدوي طبانه

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة


ولهذه الأسباب وغيرها اختلفت منازلهم في عالم الفكر وعالم الأدب، ولم يستطيعوا أن يكونوا مدرسة فكرية أو مدرسة فنية ذات خصائص متميزة في عالم الفكر وفى عالم الأدب.




بل يمكن القول بأنه لم يكن هنالك رباط يصل بعضهم ببعض سوى اللغة العربية التى كانوا يستعملونها في التعبير عن نوازعهم ومشاعرهم. حتى هذه اللغة لم يكن حظهم في العلم بها

والتصرف في استعمالها واحدا.

وكان لكل علم من أولئك الأعلام مزاجه في تخير الموضوعات، وفى أسلوب التفكير وأسلوب التعبير، حتى لقد يمكن القول بأن كل واحد من أولئك الأعلام كان مدرسة وحده.. وأنت تقرأ للشيخ محمد عبده مالا تقرأ لأحمد لطفى السيد وغير ما تقرأ لأحمد أمين وما تقرأ للرافعي أو لسلامة موسى أو العقاد أو المنفلوطى أو المازنى أو الزيات أو طه حسين.. فإن لكل واحد من هؤلاء أسلوبه الخاص الذى يعالج به ما يلح على فكره، وما يؤثره على غيره من موضوعات الكتابة أو البحث.

حتى أولئك الشعراء الذين يظن أنهم من بيئة واحدة أو من مدرسة واحدة يختلفون اختلافا كثيراً، فإن شعر الجارم مثلا يختلف عن شعر محمد عبد المطلب، وشعر البارودى وشعر شوقى يختلف عن شعر إسماعيل صبرى، وشعر أحمد محرم، وشعراء «جماعة الديوان» العقاد والمازنى وعبد الرحمن شكرى يختلف مذاق شعر كل واحد منهم عن مذاق شعر رفيقيه اختلافا كثيراً. وكذلك يختلف شعر أبى شادى عن شعر رفاقه من «جماعة أبولو» على محمود طه وحسن كامل الصيرفى وإبراهيم ناجى والهمشرى وصالح جودت ومختار الوكيل.. فإن لشعر كل شاعر منهم لونه ومذاقه الخاص، فوق اختلافهم من حيث إجادة الصنعة وإتقان البناء.

ولا شك ان الاختلاف في عالم الفنون شيء طبيعى بل هو الأصل فى صناعتها، وإلا كانت الأعمال الفنية صورا مكرورة لنماذج معروفة، تنمحى فيها معالم الشخصيات الفنية.

وليس ذلك الاختلاف مقصوراً على ثمرات الفكر أو مجالات الفنون، بل إن ظاهرة اختلاف النتائج مع اتفاق الأسباب وتشابه الظروف كثيرة ملحوظة فى حياتنا، حتى فى مجالات المعرفة والتحصيل، فقد رحل إلى أوربا فى أوليات هذا القرن كثيرون من شباب مصر الذين أوفدوا إليها فى بعوث علمية، ومنهم من عاد خالى الوفاض كما ذهب، وعاد كثيرون منهم وقد أفادوا علما وثقافة وأدبا، وعهد إليهم بالتدريس في جامعات أوربا التى تخرجوا فيها قبل أن يعودوا إلى بلادهم ليملئوها نورا ومعرفة، ويشعوا فيها أضواء الحضارة التى اقتبسوها في مبتعثاتهم.

وقد اختلفت منازل هؤلاء أيضا من حيث الإفادة، ومن حيث ما اكتسبوا من الجاه وذيوع الصيت، فقد غشت حفاوة الناس بالدكتور طه حسين وذيوع صيته على كثير من أنداده النابغين الذين ابتعثوا إلى جامعات الغرب، ومنهم الدكتور على العنانى والدكتور أحمد ضيف، وهما صنواه فى الدرس وفي العمل بعد العودة من أوربا.

وأنا موقن أن هذين الأستاذين الجليلين لم ينالا من التقدير ما يستحقان، ولم يجدا ما وجد طه حسين من عناية الناس واهتمام حملة الأقلام به حيا وميتا حتى طار صيته وطبقت شهرته الآفاق، ولم يعد يذكر علي العناني أو أحمد ضيف إلا أولئك الذين تتلمذوا عليهما، ونهلوا من علمهما وإن لم يقم واحد منهم استجابة لحق العلم أو واجب الوفاء بقليل مما كان ينبغى لهما من الإشادة والتنويه بدراسة آثارهما فى مسيرة العلم ونهضة الفكر في العصر الحديث.

وليست هذه الظاهرة وقفا على زماننا بل إن لها أشباها ونظائر كثيرة فى سائر العصور. وقد حكي أن جريراً استطاع أن يخمل ثمانين شاعراً من فحول معاصريه، ولكنها منازل ودرجات أتاحتها الظروف وهيأتها الأقدار.

# عيد مبارك

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك تتقدم أرامكو السعودية
بأخلص التهاني إلى خادم الحرمين الشريفين

## الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي الأمير

## عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير

## سلطان بن عبد العزيز آل سعود

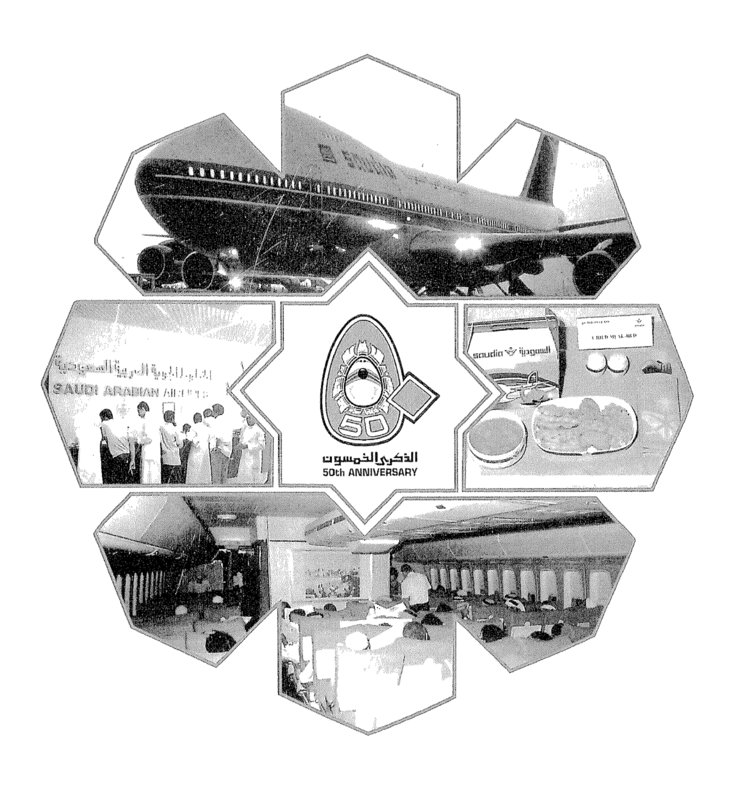
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وإلى حكومتنا الرشيدة وإلى الشعب السعودي الكريم سائلين المولى عز وجل
أن يعيده على الجميع باليمن والبركات.

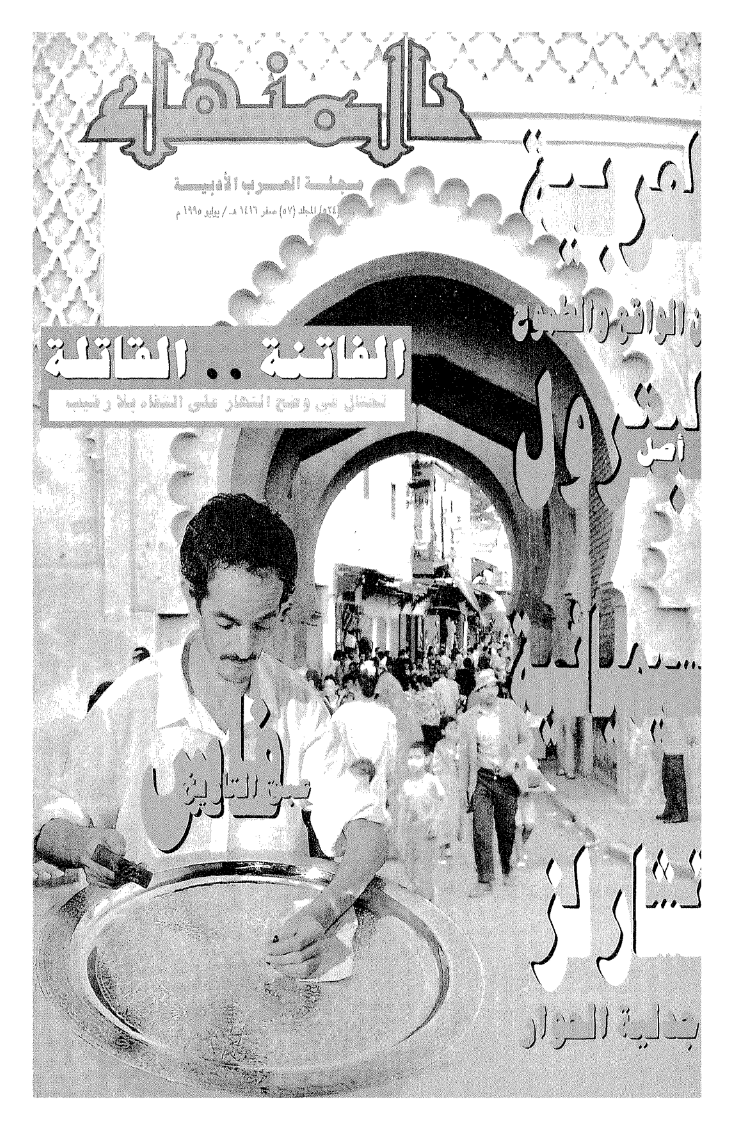
أرامكو السعودية

شركة الزيت العربية السعودية

PRS-6-95




بهذه المناسبة الخالدة
دارة مجلة المنهل للصحافة والنشر تتقدم
بتهانيها القلبية الخالصة .. متمنية
لـ (( السعودية saudia )) كل تقدم وإزدهار


المنهل
مجلة العرب الأدبية
المجلد (٥٧) صفر ١٤١٦ هـ / يوليو ١٩٩٥ م
الفاتنة .. القاتلة
أصل
فاس
عبق التاريخ
جدلية الحوار

مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

**المركز الرئيسي:**

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

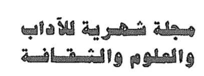
**سعر النسخة:**

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

**الاشتراكات:**

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال







# ظاهرة تبشر بخير

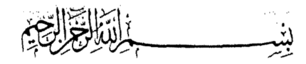
جم غفير من رجال شعبنا التليد، أصبح اليوم يدرك أهمية التعليم.. التعليم النظري بشطريه الديني والدنيوي، والتعليم العملي بقسميه الصناعى والزراعي اذن نحن الآن فى دور انتقال حميد، وفى مستهل مرحلة من مراحل التطور الميمون.. المدارس تُفتَتحُ فى طول البلاد وعرضها، فى المدن الكبيرة والصغيرة وفى القرى، والمتعلمون يتدفعون إليها فى إقبال مطرد تدفعهم رغبة نزاعة لاصلاح حالهم ورفع مستواهم، وتسوقهم حكمة اوليائهم الذين مضت بهم سفينة الحياة فى بحر راكد قاتم، فهم يريدون لفلذات اكبادهم نموا وسموا، فى جو صحو رائق.

هذه ظاهرة مجيدة تبشر بخير. ومن واجبنا ان نسجلها فى ابانها، لأن لها ما بعدها فأول الغيث قطر ثم ينهمر.

واذا كانت لنا كلمة فى هذه المناسبة السارة فهى ان نهمس فى آذان المعلمين والمتعلمين بأن لابد لهؤلاء - اذا ارادوا النهوض بمستقبلهم - من تعميق الدراسة ومن تسميقها.. التعميق فى مراحلها الأولى والوسطى، والتسميق فى مراحلها العليا.. والا فما يجدى فى التعليم اكتفاء بالسطحيات والقشور فى قليل ولا كثير.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(صفر ١٣٦٨هـ/ ديسمبر١٩٤٨م)



# لقطة الشهر



* هذا الانسان .. وهبه الله سبحانه قدرا من الطاقة يمكنه بها صنع ما يفوق تصوره.. هذا إذا لم يستسلم الانسان لليأس والقنوط .. لأنهما يئدان كل ابداع جميل في داخل الانسان..
وهذه «اللقطة» مصداق لطاقة طموح لم يعجزها فقد اليدين أن تبدع بأصابع قدمها.

## اشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.




طبع بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة .
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦



صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

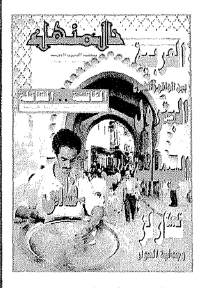
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري


عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

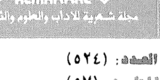
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.




غلاف العدد

م
ن
ه
ل
ي
ا
ت




العدد: (٥٢٤)
المجلد: (٥٧)
العام: (٦١)







«أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هي أحسن»

«الحسنُ» و«الحُسْنُ» قيمتهما الجمالية تكمن في عمقهما، ولا يتأتى لنظرية «التحسين والتقبيح» أن تقوم على رجلين إن ظللت العتمة مسارب الحق فى النفس الإنسانية.. إذن لن يفيد الحوار والحالة هذه.. وما الدعوة الى سبيل الله إلا حوار داخلي يقيمه المتلقي للدعوة فى أعماقه «حوار جاد».. بين ما هو مقيم عليه الآن، وبين الفكر الجديد الوافد إليه.. وبقدر نزوع النفس الانسانية إلى الفطرة التى فُطِرَتْ عليها - أى الحُسْنُ المقيم فى داخلها - بقدر ما يكون تجردها التام في عملية (التحسين والتقبيح) وان كان الأمر غير ذلك، بعيداً عن نقاء الفطرة، فإن الباب قد فتح واسعاً لأباطيل الهوى التى تغلف جدار النفس بحائل أو عازل سميك من الظلمة.

وما انغلاق جمهرة من العقول دون سماع الحق إلا لأنها فى أكنَّة عن فقه هذا الدالِّ إلى الخير.

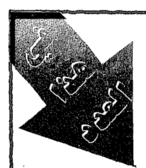
والحوار الهادىء الملتزم بعقلانية الحكمة، وحسن المجادلة، ورقة الموعظة وشفافيتها، لا شك تصغي إليه القلوب، وتعيه الافئدة ويحتضنه الضمير.

وكم نحن الآن فى حاجة ماسة لهذا المنطوق الحواري، نطبقه واقعاً.. حوار النفس مع النفس .. حوار الأمة فيما بينها.. حوار المسلمين مع غير المسلمين. وكل هذه المدارات الحوارية إن سارت في مجراها الطبيعى أخذت بأيدينا إلى نعيم مقيم.

**نبيه الأنصاري**




الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.



# الفهرس



- المستقبل العلم وعصر المدينة الهائلة ص٤
- الخديعة المبيتة لاحتواء الحضارة الاسلامية عبر مقولة «عالمية الحضارة والثقافة» ص١٠
- التعددية الفكرية ٠٠ حافز إبداعي ص ١٥
- السيميائيه ٠٠ وتبليغ النص ص ٢٨
- هل ساهم العرب في تطوير الجغرافية الحياتية ص٣٦
- الشماريخ في علم التاريخ ص ٤٤
- العربية ومتطلبات العصر ص٥٨
- الشيخ عبد الحليم محمود ص ١٢٨
- الحقيقة والوهم ،الموضوعية والاسطورة٠٠ بين العقاد ومي زيادة ص١٦٦

## أقلام:

أ٠د٠ حسين نصار
أ٠د٠ محمد عمارة
أ٠د٠ جابر قميحة
أ٠د٠ محمد رجب البيومي
د٠ يوسف يحي طعماس
د٠ الأخضر جمعي
م٠ محمد عبد القادر الفقى
عبد الله الحقيل

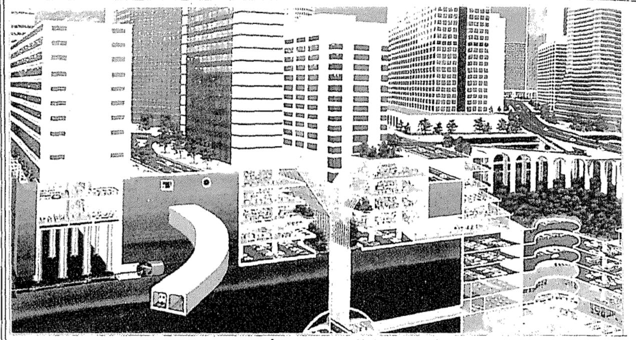
## المدينة

مدينة المستقبل كما صممها والت ديزني؟

«تـــقـــع الأرض عند مـــحـــور امـــبـــراطورية واقـــعـــة بين النجوم، تخدمـهـا المناطق النائيـة في المجـرات وليس بـهـا زراعة ولا صناعات ثقيلة، فهذه الإحتياجات يتم الحـصـول عليـهـا من الكواكب الأخـرى فـفـوق الأرض لا يوجـد إلا مـدينة واحـدة مـبـانيـهـا مـرتـفـعـة فى الهـواء أو مـدفـونـة تحت الأرض أو طافـيــة فـوق الأمـواج، تطوق الكرة الأرضية بطوق من المعدن والحجارة والزجـاج، أمـا المراكـز الأرضـيـة القديمة، فلم يبق منها سوى أسمـاء لبعض المبانى العـريقـة، إنه عـصـر المدينة الهائلة.».




أحد الفنادق الكبسولية في طوكيو.



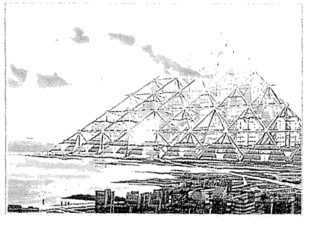
ـ رؤية لمدينة المستقبل الممتدة من تحت الأرض الى سطحها.

# مدينة المستقبل

مصطفى غنيم
ـ الكويت ـ

هذا الوصف مما يغرم به كتاب الخيال العلمي، ولكن الخيال قد يقترب من الحقيقة يوماً ما فمدن العالم الصناعي أوشكت على نقطة الانفجار، فمدينة طوكيو مثلا بها ٨٫٦٠٠ نسمة فى الكيلومتر المربع.

إن سكان العالم يتزايدون و٩٠٪ من هذه الزيادة فى المناطق الحضرية، فكيف ستتكيف مدن العالم مع هذه الزيادة؟ إن الإنسان منذ أن عرف الاستقرار الزراعى فى الشرق الأوسط منذ حوالى عشرة آلاف سنة وحياته مرتبطة بالمدن، فالزراعة تعنى وجود فائض، وهو بدوره يعنى التجارة التى تحتاج الى سوق وبنمو هذه السوق تتكون المدن. والآن ماذا عن مدن المستقبل وماذا أعد العالم لها



.منظر لمشروع المدينة اليابانية العائمة ولم تنفذ لارتفاع تكاليفها.



ـ مشروع مدينة الفضاء اليابانية وسعتها ٢٤٠ وحدة

لكى تستوعب العشرة بلايين من سكانه عام ٢٠٥٠ حسب توقع الأمم المتحدة؟.

لنبدأ بتصور «والت ديزنى» الذى يتعدى مرحلة الخيال، فقد وضع تصميماً لمدينة تتسع لحوالى ٢٠٫٠٠٠ مواطن يعيشون ويعملون فيها وهى عبارة عن ناطحات سحاب حول مساحة واسعة من الأرض مزودة بكل الخدمات التى يتم التحكم فيها بالكمبيوتر، وهذه المدينة تبنى تحت قبة زجاجية. أما المجتمع الذى يعيش فيها فيجب أن يحكم بحزم، فلا تربى فيها الحيوانات الأليفة ويطرد منها السكارى والمسرفين فى الجنس، ويبعد عنها كل شرور المدن، ولا يسمح بوجود أحياء للفقراء بها كما أنه لن يكون بها متقاعدون فالكل يجب أن يعمل. ولكن هذه المدينة الفاضلة التى حلم بها والت ديزنى ثبت انها غير عملية رغم مبلغ ١٫٢ بليون دولار أنفق عليها وافتتحت عام ١٩٨٢ لتكون مجرد منتزه حديث، وفشلت مثل كل المدن الفاضلة.

أما المدينة التى فكر فيها اليابانيون فهى أكثر واقعية، إنها مدينة تحت الأرض يخططون للبدء فى العمل بها فى القرن القادم حيث سيحفرون كهوفاً واسعة على عمق خمسين مترا تحت الأرض ويزودونها بخطوط سكة حديد سريعة ويركبون منشورات زجاجية دوارة لتعكس الضوء الطبيعى إلى أسفل، كما أن سكان هذه المدينة سينظرون الى المناظر الطبيعية فوق الأرض من خلال نوافذ عملية هى شاشات تلفزيونية. كما ستكون هناك آلات تقلد الأصوات والروائح المعبرة عن الظروف الجوية بالخارج، وهناك مشروع آخر فكر فيه اليابانيون قبل تفكيرهم فى هذه المدينة الأرضية وهو بناء مدينة فوق سطح البحر. ولكن أعاقتهم ضخامة تكاليفها رغم ثقة المهندسين أنها فكرة عملية جداً.

هذه إذن بعض الحلول التى يتم التفكير فيها لمواجهة المدن ذات الكثافة السكانية العالية والتى يتركز فيها الناس ليحصلوا على مزايا أفضل في العمل والتمتع وحيث يجدون ما يشترون ويقابلون من يريدون، ولكن هل سنحتاج فى المستقبل الى أن نسكن في مدينة لكى نجنى هذه المزايا؟

- إن التقدم فى وسائل المواصلات قد جعل المدينة لا حاجة لها كمركز للعمل، كما أن الكثير من العمل الآن يمكن أن يتم فى المنازل التى يتم ربطها بالكاتب عن طريق الكمبيوتر والتليفون، ففى بريطانيا هناك ٧٠٠٫٠٠٠ عامل يؤدون أعمالهم من منازلهم لأن أصحاب الأعمال وجدوا أنه لا داعى لدفع تكاليف تواجدهم فى مكاتب لا حاجة لوجودها، إذن فمن المكن أن يسكن الناس فى أى مكان يختارونه خارج المدن. ولمدة طويلة خلت والناس يفكرون فى الهرب من تلوث وزحام المدن الى ضواحيها تشجعهم على هذا سهولة المواصلات، حتى ان نصف سكان بريطانيا اليوم يعيشون فى الضواحى، وفى امريكا نجد أن مدينة لوس أنجلوس عبارة عن مدينة من الضواحى، فعلى مساحتها البالغة ٥٠٠ ميل مربع نجد أن المدينة التقليدية توجد فى جزء قليل منها، لقد كانت المنازل تبنى حول أى طريق جديد يتم إنشاؤه مما جعل هذه المدينة نموذجاً لما تعانيه المدن الحديثة من مشاكل، فهى تعانى من نقص فى إمداد المياه، كما أن طرقها الواسعة قد وصلت الى درجة التشبع منذ عام ١٩٧٨ فقد نمت المدينة نمواً غير عادى بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٨٦م، ففى هذه المدة زاد سكانها



- لقطة نادرة من مدينة لوس انجلوس.

حوالى ثلاثة ملايين، والآن يصل تركزهم الى حوالى ٢٨٫٠٠٠ فى الميل المربع، وما يقال عن لوس انجلوس ينطبق على كثير من المدن حول العالم مثل سيدنى وبيونس آيرس وملبورن وجوهانسبرج.

إن ما يحدث في المدن الحديثة قد يكون اضطرارياً نتيجة لظروف جغرافية مثلما هو الحال في اليابان حيث يضطر ٩٠٪ من الناس للتكدس فى ٢٠٪ من المساحة، ولكن في أماكن اخرى خصوصاً فى العالم الثالث حيث تبقى العواصم هى مراكز الحكومة والخدمات المتميزة والشركات الكبرى مما يغرى بالهجرة إليها، ولنأخذ على ذلك مثالا وهو مدينة ليما عاصمة بيرو، ففى عام ١٩٥٢ كانت مدينة حدائق جذابة يسكنها ٧٠٠٫٠٠٠ مواطن فقط، أما الآن فبها أكثر من ستة ملايين نسمة وهم حوالى ثلث سكان الدولة.

ولو استمر الحال فى هذه المدن التى تتمدد باستمرار، فمع قدوم عام ٢١٥٠ واذا وصل سكان العالم إلى ٢٨ بليون نسمه، فلن يحتاج سكان المناطق الريفية الى النزوح إلى المدينة لأن المدينة هى التى ستكون قد أتت إليهم.

---

(*) عن مجلة (Focus) البريطانية عدد يناير ١٩٩٥م

في ثقافة

# الخيول العربية

شعر مقبل بن عبد العزيز العيسى - جدة

لم يبق إلا .. أن نكون خيولا
في ركضها .. تجد النهي مغسولا!!
تجترّ فكراً للحداثة زائفاً
القصد منه .. أن نكون ذيولا!!
تدعو لموت النص .. رغم أصالة
فوضى حياة .. جوهراً وهيولا!!
دعوى ضلال في الحياة سياقها
لا يرتضي .. غير الردى مدلولا!!
تدعو لرفض .. أو تبين حلولا
يرتدّ سهماً .. للنهى مسلولا!!
والحل لا ياتى بغير أصالة
وبناء علم .. بالهدى موصولا!!
من ذا .. يعيد الى العروبة مجدها
بالعلم .. لا فكراً يضلّ عقولا!!
فالعلم آخر .. ما تعيش بظله
ليقود منها .. فيلقاً وخيولا!!
لكنّ خيل العرب .. في إبداعها
تهوى من الفكر الحديث طبولا!!
فيض من الأفكار .. تهوى طرحها
الكف منها .. ما بنى أسطولا!!

أواه من دنيـــا العـــروبة أنهـــا

بالجــهل ·· ترضى للشمـوس افـولا!!

دنيـا ·· على كف الجـهـالة كم شكت

بوسـاً ·· وعـانت نكسـة ونحـولا!!

دنيـاً لهم ·· كم اظلمت وتشـرذمت

بأفـول مـجـد ·· في القـرون الأولى!!

والســـر في هذا الأفــول مــذاهب

شـتى ·· وفكر قـد أضل عـقـولا!!

الكيـد منه في الحـيـاة·· حـقـيـقـة

والحـقـد منه ·· لم يعد مـجـهـولا!!

* * *

مـا في المذاهب غـيـر فكر وحـيـه

يغـتـال عـرضـاً للجـمـال وطولا!!

والعـــيب أن نرضى المذاهب ترتـضي

بؤسـاً ·· وليـلا للصـراع طويلا!!

فـــالحق كـل الحق في إيمانـنا

بالله رباً ·· والسـلام سـبـيـلا!!

طوبى لمن كـــان الهـــدى نوراً له

يهـوى السلام ·· ولا يضـيـر قـبـيلا!!

طوبى لمن يهـدي الحـيـاة مـحـبـة

بين الأنام ·· شـبـيـبـة وكـهـولا!!

مـا اجـمل الإنسـان يحـيـا دائمـاً

حـرّ الضـمـيـر ·· مناهضـاً وخليـلا!!

رب النهى ·· من كـان عـوناً للورى

دومـاً ·· ومن يهـدي الحـيـاة جمـيـلا!!

# الإسلام والحضارة العالمية

بقلم المفكر الاسلامي: **انور الجندي** ـ القاهرة

إذا كان للتاريخ نهاية بعد سقوط الماركسية كما يدعى بعض كتاب الغرب الذين يعملون لحساب جهات ماركسية او صهيونية فان هذه النهاية لن تكون بأى حال لحساب الحضارة المعاصرة او الغرب الراسمالي، ذلك لان الازمات المتصلة بالغرب لا تقل خطورة عن الازمات التي اودت بالماركسية والنظام الشيوعى اساسا، هذا فضلا عن ان الماركسية التي سقطت لم تكن جرما مستقلا وانما كانت قطاعا من تجربة كاملة هي الحضارة الغربية.

**قد جاءت الماركسية كرد فعل للتجربة الرأسمالية الليبراليه اساسا ولم تكن نظاما عالميا مستقلا أو منهجا صالحا للبشرية كلها او حتى للغرب نفسه غير ان السبب الذى عجل لسقوط الماركسية هو عجزها عن التحرك والتطور ودخولها مرحلة القداسة التى حاولت ان تجعل منها نظاما قريبا من نظام الأديان أو كأنها دين جديد بديلا عن النظم القائمة.**

أما الغرب فانه بالرغم من الازمات والضربات التي وجهت اليه فانه مازال قادرا على تغيير المواقف والتحرك فى سبيل الخروج من الازمات ومن هنا فنحن بشهادة الغربيين الليبراليين انفسهم نرى ان مصير الغرب ومصير الراسمالية الليبرالية مهما طال الامر فانه سيسقط على نحو نفس النهاية التي وصل اليها اليسار وذلك للاخطاء الاساسية التي ما تزال تنخر فى جداره والتى هو عاجز الآن عن التحول عنها لانها اصبحت من الثوابت الاساسية.

اما نهاية التاريخ فهي تأتى بالنسبة لنظام آخر تترقب البشرية تناميه وامتلاكه القدرة لتحقيق وجوه العدل والرحمة والإخاء البشرى الذي تتطلع اليه الانسانية: **ذلك هو الاسلام الذى أعطى خلال ألف عام تلك الركائز الاساسية التي اخرجت البشرية من الجمود والتخلف الذى امتد عشرة قرون تحت لواء الرهبانية والوثنية اليونانية والرومانية فاعطاها المنهج العلمى التجريبى واخرجها من العبودية.**

غير ان النظام الغربى القائم الآن قد استطال وتنامى على أساسين لابد ان ينتهيا به الى السقوط وهما:

(١) عجزه عن الايمان بالله تبارك وتعالى الذى اعطى علماء الغرب القدرة والعلم والقوة لاقامة هذا النظام.

(٢) تجاهله حقيقة الانسان ومهمته الحقيقية التى قررها له الدين الحق ورسمها له الخالق الاكبر.

وذلك حين قام ذلك الانفصال الخطيرين الدين والمجتمع والدين والدولة وعندما اقام فكرة العلمانية المسمومة الخطيرة التى قصرت الحياة على العقل والحس وتنكرت للوحي والنبوه والالوهية والغيب كله.

ومن هنا فقد قامت أيدلوجية النظام الغربي خلال خمسة قرون على هذا الاساس المادى فسقطت واحدة بعد اخرى وذلك عندما بدات عصر التنوير الذى هو انكار الدين جملة فاستغنت عن

رسالة السماء بكل عناصرها وأعلت من شأن الانسان على النحو الذى جعله مسيطرا وسيدا للكون من دون الله.

هذه هى الأزمة الحقيقية: التى تتمثل فى الانفصال الذى أحدثه العصر والتقدم بين عنصري الحياة فتنكر للوحي والنبوة والغيب والبعث والجزاء وأعطى الانسان نفسه الحرية في تكوين نظام للتعامل فى مجال السياسة والاقتصاد والتربية مما اسموه (الايديولوجيات) التى عجزت عن العطاء ولم تحقق للانسان الا الاضطراب والازمات فلما انتقلت هذه الطروحات الى بلادنا الاسلامية اوجدت صراعا شديدا بين مفهوم خلق الانسان الذى جاء به القرآن وما جاءت به نظرية دارون.

ووجدت الايديولوجيات كلها نفس المصير.

الدارونيه ، الماركسيه ، الفرويديه ، الوجودية ، العلوم الاجتماعية والانسانية فقد كانت كلها مستمدة من الفكر التلمودى الذى حوله اليهود الى منهج للحياة والمجتمع والحضارة فسقطت كلها فى بلادها أولا وعجزت فى افق الاسلام والقرآن ان تعطى فتساقطت لماديتها.

**جاءت هذه الايديولوجيات الرأسمالية والماركسية متصارعة عاجزة عن العطاء وسرعان ما أصابتها التحديات فلم تكد تخرج من مأزق حتى وقعت في مأزق اشد منه، ومن هنا لم تلبث ان اصابها العطب لانها خرجت اساسا عن منهج الله تبارك وتعالى وحاولت ان تقيم مناهج مضطربة بشرية عاجزة تخترقها الاهواء والمطامع**

وعجز الانسان عن فهم مسئوليته الحقيقية ورسالته الاصيلة وحين سقطت الايديولوجيات وفى مقدمتها الليبرالية والماركسية سقطت الى الابد مذاهب الفلسفة المادية كلها.

كان خطأ هذه المذاهب تجاهلها التكوين البشرى الجامع بين المادة والروح، اما هى فقد كانت على الفلسفة المادية التى ترى ان للانسان طبيعة واحدة هى المادة وتتنكر لوجوده الحقيقى الذى شكلته (قبضة الطين ونفخة الروح) فهى قد عجزت عن اقامة المجتمع الحقيقى: مجتمع الامن والسلام.

وكان الانحلال الاجتماعي أخطر أدوار هذا المجتمع فقد تفشت الشهوات وظهر الفساد في الارض وفتحت ابواب التحلل والحرام فى مجال المجتمع والمرأة كما تفشى فى مجال المال والاقتصاد والتعامل المادي وأعانت القصة

## دعوة الغرب الى عالمية الحضارة والثقافة خديعة مبيتة لاحتواء المسلمين وحضارتهم

والمسلسلات والاباحيات والقصص المكشوف والدعر وأدب الفراش الى هدم الشباب الناشىء الذى اعجزته هذه الاهواء عن التماسك فسقط منهاراً.

وكان خطر هذه المفاهيم بالغ الاثر فى مجتمعها المتفكك المنهار ولكن الخطر الاشد قوة هو خطر ما لحق بمجتمعنا الاسلامى القائم على القيم والضوابط والذى يرسم العلاقة بين الثوابت والمتغيرات.

هذه هى اخطر التحديات التى تواجه الحضارة المعاصرة والمجتمع الغربى كله وقد استتبعت التنكر للغيب والنبوات والبعث والجزاء وحولت مهمة الانسان تحويلا خطيرا: كل هذا هو الذي حطم وجهة الحضارة الغربية واعجزها عن ان تكون حضارة عالمية او انسانية.

ذلك ان أخطر ما هنالك هو تدمير الثنائية التى تضم فى مركب واحد الروح والمادة واقامة مفهوم المعرفة على العقل

وحده وحجب الجوانب الروحية والمعنوية وتدمير قيم الاخلاق التى هى جزء من الدين نفسه، هذه الانشطارية التى فصلت بين الايمان بالله تبارك وتعالى من جانب والتعامل مع الانسان فرداً ومجتمعا وهما فى الحقيقة وحدة ثنائية القطب.

# لقاء الحضارات منهجية يباركها المسلمون

كذلك فقد أخطأ الغرب فى فهم الدين على أنه تجربة فردية خاصة لا تذهب ابعد من العلاقة الشخصية بالله تبارك وتعالى وتجاهل علاقات المجتمع السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها.

كل هذا يوحى بل يؤكد ان البشرية التى تتطلع الى منهج اصيل جامع قوامه الامن النفسي وسكينة القلب والسلام الاجتماعي لا يمكن ان تجد نفسها فى هذه التجربة التى امتدت الآن اكثر من خمسة قرون ثم لم تستطع ان تحقق للبشرية ما ترجو من سلام اصيل ومن ثم فان تطلع الانسانية الى اشواق الروح وأمان المجتمعات ما يزال يبحث عن منطلق اصيل من داخل النفس لا يمكن ان يتخلى عنه الانسان ولا ان ييأس من وجوده.

هذا الامل العميق المستقر فى أعماق النفس الانسانية لن يتحقق الا بالدين الحق الذى أرسل الله تبارك وتعالى به خاتم رسله.

وبعد فاذا تقرر هذا وجب علينا ان نتعرف الى موقف الاسلام من الحضارات فالاسلام فى تاريخه كله يعرف لقاء الحضارات وليس صراع الحضارات كما عرف لقاء الاجيال ولم يعرف الصراع.

لقد اعطى الاسلام المجتمعات الغربية كل ما عنده من العلوم والتجارب والمعارف وسمح لاهل الغرب بتحصيلها فى معاهد الاندلس ولم يضع اى قيد عليها وذلك لايمانه بان عطاء العلوم والمعارف هو حق من حقوق البشرية على اهل الدين الحق وانه لا يجوز حبسها او حجبها لانها من عطاء الله تبارك وتعالى الوافر ولذلك استطاع الغرب ان ينقل العلوم التجريبية والكيمياء والفلك وعلوم البحر والصناعة جميعا بينما لم يفعل الغرب ذلك بعد ان اصبح ثمار هذه العلوم فى يديه **وما يزال يحجب عن المسلمين مقدرات العلوم حتى يحول بين المسلمين وبين الوصول الى مرحلة الانتفاع الحقيقى ورغبة منه فى ان يظل عالم الاسلام خاضعا له، ومرتبطا به ارتباط الحاجة المتصلة فى محاولة ضخمة واسعة لحصاره وجعله مصدرا للمواد الخام وسوقا لمبيع المصنفات.**

## الحضارة المادية جعلت من العقل الانساني صنماً يعبد في محاريب الحياة

ومن هنا جاءت فكرة صراع الحضارات مرتبطة بفكرة الصراع العامة التى يفرضها الغرب على مجتمعات المسلمين حيث لا يسمح لهم بان يمتلكوا ارادتهم او يقيموا حضارتهم المستقلة او مجتمعهم الخاص.

ولقد ذهب الغرب الى حد بعيد في محاولة (تغريب) العالم الاسلامى واحتوائه وصهره فى الحضارة الغربية وفرض الكثير من جوانب الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد عليه.

**«منهج الاسلام لا يزال يمثل غاية الانسانية وقمة العالمية وحاجة البشرية اليه»**

وما يزال العالم الاسلامى يجاهد جهاداً شديدا فى الحفاظ على ذاتيته من ان تنصهر والعمل على ابقاء اصالته وانتمائه قائما وكاملا.

ان علينا ان ننبه الى المحاولة الخطيرة التي ترمي الى ادخال المسلمين فى دائرة التسليم والخضوع وقبول الواقع وانهاء المقاومة.

ان هدفه الاصيل هو محاولة صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية (اليونانية ـ الرومانية اساسا المسيحية واليهودية حديثا).

ان التجربتين موجودتين: تجربة المسلمين فى لقاء الحضارات حين جاء فقبل من الحضارات الغربية ولم يقبل، قبل ما يتفق مع اصول الاسلام وقيمه ومفهومه الجامع بين التوحيد والغيب والنبوة والبعث والجزاء وباسلوبه القائم على الثوابت والمتغيرات فلما جاء الغرب ليأخذ العلوم الاسلامية لم يتوقف وسمح له بأن يأخذ كل ما يشاء ولقد ظل الغربيون يأخذون الى الوقت الذى اعلنوا فيه كفايتهم وعدم حاجتهم الى قبول معتقدات المسلمين.

فلما دارت الدائرة وتقدم الغرب فى مجال العلوم التجريبية لم يقف من المسلمين نفس الموقف ولكنه حجب ذلك عن المسلمين ولم يقبل منهم الا ان يكونوا مرتبطين به برباط التبعية التى لا تسمح بقيام حضارة مستمدة من اصلها القرآنى الجامع.

**ان كل ما يدعو الغرب اليه الآن من حوار مع الاديان او تعاقدات انما يرمى الى السيطرة** ولكن المسلمين الذين شكلهم القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا على الأصالة والانتماء ايمانا منهم برسالته الربانية التى وكلها اليهم تبارك وتعالى لابلاغها للعالمين والمسلم وقف صامداً فى وجه محاولة احتوائه او صهره فى بوتقة الغرب.

هذا فضلا عن ان النظريات المطروحة فى افق الفكر الاسلامى انما ترمى الى تفكيك الوحدة الجامعة بين المسلمين والحيلولة دون امتلاك ارادتهم واقامة مجتمعهم الاصيل.

وهذه النظريات المقدمة للمسلمين سواء اكانت الحداثة ام البنبوية ام العبثية أم غيرها فانها تهدف الى تمزيق الجبهة الصامدة التى شكلها الاسلام.

وتلك دعوى قديمة متجددة بدأها المستشرق جب حين دعا فى الثلاثينيات الى اقامة ثقافة محلية لكل قطر اسلامى مستقل عن الآخر حتى تتمزق الوحدة الثقافية الجامعة التى صنعها الفقه الاسلامي.

والهدف: هو انصهار المسلمين فى بوتقة الماسونية والعلمانية والفلسفة المادية، لقد اعطى الاسلام المسلمين الحق فى قبول كل ما هو صالح مما تقدمه تجارب الحضارة والامم خلال العصور وفى مختلف البيئات ما دام لا يتعارض مع منهج الاسلام.

ولقد اخذ المسلمون كل ما وجدوه ايجابيا من علوم الامم وحضاراتهم ايمانا بحكمه رسول الله (ﷺ) حين قال:

**(ان الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها)**، ولقد أوصى الاسلام المسلمين بأن يصهروا كل ما يأخذونه من علوم الامم وحضارتهم فى بوتقتهم الاصيلة حتى لا يكون هذا الذى اخذوه عاملا على صهرهم في ثقافات الامم او تصنيع لملامح ذاتيتهم الخاصة وحتى تبقى

مفاهيمهم الاصيلة ..... الاساسية القائمة على التوحيد الخالص قائمة فى الثوابت.

فالاسلام لا يكره أحدا على قبول فكره ولا يقبل ان يكرهه احد على قبول فكر الناس.

ان سماحة الاسلام التى وسعت البشرية كلها تكشف عن الحقيقة الجوهرية بما يؤكد (لقاء الحضارات) فقد اعترف الاسلام بالدينين الكريمين ما انزل على موسى وعيسى واعترف بالكتابين (التوراة والانجيل) وكان كريما فى معاملة اهل الاديان وعمل ما وسعه الجهد فى المحافظة على معابدهم واتاح لهم حرية العبادة فى كل مكان دخل اليه، استقبله اهله بالقبول فقد خلصهم من عنت الرومان وحكمهم وحكم قاضيهم فى سمرقند بخروج جيوش المسلمين بعد دخولها لانها لم تعلن قدومها على نحو ما رسمت شريعتهم.

**اما صلاح الدين فقد رفض دعوة رجاله فى الانتقام عند خروج الصليبيين من بيت المقدس على النحو الذى عمله الفرنجه عندما قتلوا ٧٠ الف مسلم،** رفض صلاح الدين ذلك وقال: ان (دينى لا يسمح لى بمثل هذا العمل بل انه ذهب الى اصحاب السفن وارغمهم على حمل الصليبيين العائدين الى بلادهم وتحمل الجزية عن الاف الفقراء وسمح لرجال الدين عند خروجهم من القدس بحمل كل ما يستطيعون حمله.

هذه هى سماحة الاسلام التى ستظل قائمة ونافذة على مدى العصور مما يؤكد مفهوم الاسلام فى لقاء الحضارات وليس فى صراع الحضارات.

# الشيوعية رد فعل غاضب للرأسمالية

ان الحقائق التى كشف عنها الاسلام حتى الآن لتوحى بانها تمثل الثروة المخبوءة التى يتطلع اليها العالم كله وقد مرت به العصور وهو يواجه الازمات نتيجة تنكب اهله منهج الله تبارك وتعالى واقامة المناهج المادية والبشرية بديلا لمنهج الله وشريعته التى انزلها لتهدى البشر الى الطريق الصحيح. واذا كانت الحقائق التى كشف عنها الاسلام واضحة تحقيقا للآية الكريمة **«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق».**

## أي نظام أرضي لا يستطيع اكتساب الشمولية

فان المذاهب والمناهج والدعوات التي سقطت وعجزت عن العطاء كل هذا يكشف الطريق الواضح لقرب تحقيق الامل الذى تنتظره البشرية.

إن دعوة الغرب الى عالمية الحضارة او عالمية الثقافة لا تهدف الا الى غاية واحدة هى احتواء الاسلام في دائرة حضارة الغرب أو ثقافته ، وهو امر لم يعد فى الامكان تحقيقه بعد ان جرب الغرب الف مره وفشل فى التجربة وقد تبين له ان عالم الاسلام لا يمكن ان ينصهر فى عوالم أخرى مهما كانت تملك القوة او السيطرة

**ذلك ان منهج الاسلام لا يزال يمثل غاية الانسانية وقمة العالمية وحاجة البشرية كلها والامل الذى يملأ القلوب والعقول والذى تسعى البشرية كلها اليوم لتصل اليه** ، هذا وبالله التوفيق

# رؤيـــة إسلاميـــة

## الإسلام والتعددية

بقلم المفكر الاسلامي:

**أ.د. محمد عمارة**

«التعددية» تنوع، مؤسس على «تميّز.. وخصوصيـة».. ولذلك، فهى لا يمكن أن توجد وتتأتى - بل ولا حتى تُتَصوَّر - إلا فى إطار «الوحـدة .. والجـامـع».. ولذلك لا يمكن إطلاق «التـعددية» على «التشـرذم» و«القطيـعة» اللذين لا جامع لآحادهما، ولا على «التمزق» الذى انعدمت العلاقـة بين وحداته.. وأيضا لا يمكن إطلاق «التعددية» على «الواحدية» التى لا أجزاء لها..

فبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميّز، ومن ثم تعددية..

والتعددية مستويات، يحددها «الجامع .. الرابطة الذى يجمع ويوحد أجزاءها.. فعلى المستوى العالمى، مثلا، هناك تعددية الحضارات المتميزة، والقوميات المختلفة، المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينها جميعا جامع الاشتراك فى الإنسانية، التى لاتمايز فيها ولا اختلاف.

وعلى مستـوى كل حضـارة من الحضـارات، هناك تعـددية فى المذاهب ومـدارس الفكر وفلسـفـاتهـا، وتيـارات السياسة وتنظيماتها، وقد تكون فى بعض الحضارات تعددية فى القوميات واللغات والأوطان.. مع اجتماعها فى رابط الحضارة الواحدة وجامعتها.

والتـعـددية، ككل الظواهر والمذاهب الفكرية، لهـا «وسط - عدل - متـوازن» ولهـا طرفـا «غلو»، أحـدهمـا «إفراط» والآخر «تفريط» و«وسطها - العدل - المتوازن» هو الذى يراعى العلاقة بين «التميز.. والتنوع .. والتعدد» وبين «الجـامـع .. والرابط .. والوحـدة» بينمـا يمثل التشرذم «غلو القطيعة والتنافر» الذى لا جامع له.. كما تمثل «الوحـدة» المنكرة للخـصـوصـيـة، «غلو القـهـر» المانع من تميز الفرقاء واختصاصها.

وإذا كانت الرؤية الإسـلامـيـة قد قـصـرت «الوحدة» التى لا تركب فيها ولا تعدد لها على الذات الإلهـيـة وحـدها، دون كل المخلوقـات والمحدثات والموجودات، فى كل مـيادين الخلق المادية والحيوانية والانسانية والفكرية، تلك التى قامت جميعها على التعدد والتزاوج والتركب والارتفـاق.. فـإن هذه الرؤية الاسـلامـيـة تكون، بهـذا الموقف الثابت - ثبات الاعتقاد الدينى - قد جـعلت من التـعـددية فى كل الظواهر المخلوقـة «سنة» من سنن الله، سـبـحـانه وتعالى فى الخلق والمخلوقات جميعا، و«آية» من الآيات التى لا تبديل لها ولا تحويل.

إنهـا «القـانون» الالهي، و«السنة» الالهية - الأزلية الأبدية - فى ميادين الكون المادي، والاجتمـاع الإنساني، وشئـون العمران وميادينه.. وبها تتميز عوالم «الخلق» المتعددة عن ذات «الحق» الواحدة.

وإذا كانت «الوسطية الجامعة» فى التصور الإسلامى، هى خصيصة من خصـائص الأمـة الإسـلامـيـة، (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)(١).. وهى وسطيـة العـدل المتـوازن «الوسط: العدل. جعلناكم أمة وسطا»(٢).. فإن التعددية الموزونة بميزان الإسلام، لابد وأن تكون تميزا لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعا لمذاهب وتيارات تظللها جميعا وتحكمها مرجعية التصور الإسلامى الجامع، وخصوصيات متعددة فى إطار ثوابت الوحدة الإسلامية.. فوحدة الأمة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة - أى فيما يدركه الكافة بالفطرة، دون نظر، وبلا خلاف فيه - هى فريضة إلهية (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)(٣) لا تعدد فيها ولا افتراق.. أما فيما هو فروع وموضوعات للاجتهادات، فإن التعددية فيها واردة، يجمع فرقاءها ومدارسها واجتهاداتها وتياراتها الوحدة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من العقيدة والشريعة والمبادىء والأركان.. فنطاق «الوحـدة» بمثابة أصل الشـجـرة الطيبـة.. والتـعـددية هى فـروع هذا الأصل لهذه الشجرة الطيبة.. وهذه الفروع - التعددية - لا تكون فروعا حقيقية إلا إذا ارتوت من الأصل - الوحدة - وسرت فيها جميعها روح الأصل ومزاجه وصبغته التى بها يتميز عن الأصول الأخرى للمعتقدات.

بهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الاسلامى الى قضية التعددية.. فيراها قانون التنوع الاسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

وقد أشار القرآن الكريم الى ميادين حكمت فيها السنة الإلهية بـ «التعددية» فى إطار «الوحدة»:

* ففي «القوميات والأجناس» تعددية، يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله فى الاجتماع الانسانى، فيقول: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين)(٤)٠٠ وهى تعددية فى إطار «جامع: الإنسان».

* وفى «الشعوب والقبائل»، هناك تعددية، تثمر التمايز، الذى يدعو القرآن الى توظيفه فى إقامة علاقات «التعارف» بين الفرقاء المتمايزين «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير»(٥)٠٠ فتعددية التمايز الى شعوب وقبائل، قائمة فى إطار «جوامع: التعارف» بين بنى الإنسان٠٠ أى التفاعل فيما هو معروف وما هو متعارف عليه.

* وفى «الشرائع والمناهج» ومن ثم فى «الحضارات» هناك تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية، التى هى الحافز للتنافس فى الخيرات، والاستباق فى الطيبات والسبب في التدافع الذى يقوم ويرشد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء٠٠ فهى المصدر والباعث على حيوية الإبداع والتجديد الذى لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصيات بين الحضارات «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم»(٦)٠٠ «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»(٧)٠٠ فالتعددية هى الحافز على امتحانات وابتلاءات المنافسة والاستباق فى ميادين الإبداع والتجديد بين الفرقاء المتمايزين فى الشرائع والمناهج والحضارات.

**التعددية في الظواهر المخلوقة سنة من سنن الله في خلقه.**

وفى هذا الإطار أيضا، إطار «وحدة الدين» و«تعددية الشرائع» جاء القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»(٨)، على حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم الرسالات، فى إطار «جامع: الدين الواحد»، وعلى النحو الذى صوره الحديث النبوى الشريف: «الأنبياء إخوة لعلات - (أى أمهات متعددات) -، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى»(٩).

**التعددية الواعية في المعطيات الاجتهادية اثراء في ميزان التصور الاسلامي.**

* وفى «رعية» الدولة الإسلامية الأولى - دولة المدينة على عهد رسول الله، (صلى الله عليه وسلم) كانت هناك «تعددية» فى إطار «وحدة الأمة» - تحدث عنها تفصيلا «دستور» تلك الدولة - المسمى فى تراثنا وفى صلب الدستور بـ «الصحيفة» و«الكتاب»٠٠ فالقبائل غدت لبنات متعددة - تحدثت «الصحيفة» عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها - فى إطار «وحدة الأمة»٠٠ والمهاجرون والأنصار، مثلوا جوامع فرعية، أشارت إليهم «الصحيفة» فى إطار الجامع الإسلامى الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة٠٠ والتعددية الدينية بين جماعة المؤمنين وجماعة يهود، تحدثت عنها «الصحيفة» ونظمت أطر وآفاق تعدديتها فى نطاق جامع الرعية ووحدة الأمة بالمعنى السياسى والدستورى والقانونى.

**الاختلاف في التأويل لا التنزيل**

وعن هذه «التعددية» فى إطار «الوحدة» نصت مواد «الدستور» - «الصحيفة» - فقالت:

«المؤمنون والمسلمون، من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم امة واحدة من دون الناس».

«وأن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

«وأن يهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

«وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله»(١٠).

ففى إطار جامع الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، ذات المرجعية الواحدة، تعددت الإنتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء.

* بل لقد وسعت « وحدة الأمة الاسلامية» ألوانا من التعددية بلغت تناقضاتها الداخلية حد الصراعات المسلحة، لأن فرقاء هذه التعددية، رغم صراعهم، قد ظلوا على ولائهم «للدولة الواحدة» - فحافظوا على «الجامع السياسى» وعلى ولائهم «للدين الواحد» فحافظوا على «الجامع الدينى» .. فكان القتال بينهم على «التأويل» لا على «التنزيل».. وكانوا جميعا، رغم القتال، على ولاء لوحدة الدولة ووحدة الدين.. ولقد كانت صراعات الفتنة الكبرى، زمن الراشدين، فى هذا الإطار، الذى وسعت فيه «وحدة الأمة» فرقاء هذه الفتنة وذلك الصراع.. فلم يكن اقتتالهم بالمخرج لأى منهم من «الأمة» ولا من «الملة» ولا من «الدولة».

وفى موقعة «صفين» (٣٧هـ/ ٦٥٧م)، التى مثلت قمة صراعات تلك الفتنة، يتحدث الإمام على بن أبى طالب عن «الجامع الدينى» الموحد لفرقاء القتال، وكذلك عن «جامع الدولة» فيقول: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء»(١١).

«فالدين واحد» وجامع.. و«الأمر واحد» وجامع.. والخلاف فى «دم عثمان» رضى الله عنه، فقط.

كما يرد الإمام عليّ على شبهة الخوارج وتأويلهم الفاسد، الذى كفروا به معاوية وأهل الشام، فيقول: «إننا والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء (الخوارج) من التكفير والفراق فى الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة (أى الجماعة السياسية) وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم»(١٢).

ثم يؤكد الإمام عليّ، كرم الله وجهه، على أن مصادر النزاع هى «شبهات» أثمرها «التأويل»، فهى لا تخرج من «أخوة الإسلام» فيقول: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل.

**الوسطية الجامعة إحدى خصائص الأمة الإسلامية.**

فإذا طمعنا فى خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها الى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها»(١٣).

وعندما سئل عن رأيه فى «أخرة» قتلى الفريقين؟!.. أجاب «.. وإنى أرجو ألا يقتل أحد نَقِي قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»(١٤).

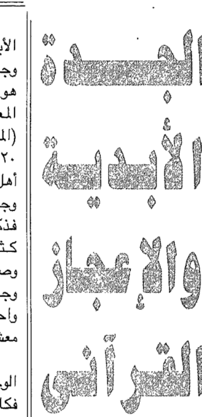
**التعددية تمثل الحافز الابداعي في ميادين استباق الخيرات.**

هكذا وسعت وحدة الملة والدولة التعددية، حتى عندما بلغت الفتنة بين فرقائها درجة الاقتتال.. الأمر الذى لا نعتقد أن له نظيرا خارج منهاج الإسلام!.

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الدين، مما هو معلوم منه بالضرورة.. فظلل «الجامع الاسلامى»، الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الاسلام.. ظلل التعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية.. وفى الأوطان والأقاليم المتميزة.. وفى الفرق الاسلامية السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية.. فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية فى إطار الجامع الثابت الخالد الذى تمثل فيما علم بالضرورة من أصول الدين

**الهوامش**

**(١) البقرة: ١٤٣.**
**(٢) رواه الامام أحمد.**
**(٣) الأنبياء : ٩٢.**
**(٤) الروم : ٢٢.**
**(٥) الحجرات : ١٣.**
**(٦) هود : ١١٨ ، ١١٩.**
**(٧) المائدة : ٤٨.**
**(٨) الشورى :١٣.**
**(٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.**
**(١٠) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص٥ - ٢٠، تحقيق: محمد حميد الدين الحيدر آبادى، طبعة القاهرة ١٩٥٦م.**
**(١١) ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة) جـ١٧ ص١٤١ تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة القاهرة ١٩٥٩م.**
**(١٢) الباقلانى (التمهيد) ص ٢٣٧ ، ٢٣٨، تحقيق: محمود محمد الخضيرى، د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، طبعة القاهرة ١٩٤٧م.**
**(١٣) (نهج البلاغة) ص١٤٧ ، ١٤٨، طبعة دار الشعب، القاهرة.**
**(١٤) الباقلانى (التمهيد) ص٢٣٧.**




# الجدة الأبدية والإعجاز القرآني


بقلم:
أ.د **حسين نصار** ـ الرياض


أول من عد الجدة الأبدية للقرآن الكريم وجها من وجوه إعجازه هو محمد بن يحيى المعروف بابن سُراقَة (المتوفَّى نحو ٤١٠/ ١٠٢٠م)، فقد أعلن أن أهل العلم اختلفوا في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة، كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره.

ثم أورد عددا من الوجوه التي ذكروها، فكان مما ذكر: كون قارئه لايكل وسامعه لايملّ: وإن تكررت عليه تلاوته(١).

واتبعه علي بن محمد الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨م) في هذا القول، غير أنه جعله أحد عناصر خمسة تكون الوجه الحادي عشر من إعجازه فقد صرح أن تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه، لا توجد في غيره. وعدَّها فقال:

أحدها: هشاشة مخرجه.

والثاني: بهجة رونقه.

والثالث: سلاسة نظمه.

والرابع: حسن قبوله.

والخامس: أن قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل(٢).

وأيدهما القاضي عياض بن موسى اليحصبي (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ/ ١٠٨٣ ـ ١١٤٩م)، وزاد عليهما تعليلا للظاهرة، عندما قال: قد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجاز القرآن وجوها كثيرة، منها: أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة. لا يزال غضا طريا، وغيره من الكلام ـ ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه ـ يملّ مع الترديد، ويعادى إذا أعيد. أما القرآن فيُستلذّ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمات. ثم وازنه بغيره من الكتب المقدسة، فاعلن أنها لا يوجد فيها ذلك، مما أرغم أصحابها أن يحدثوا لها لحونا يستجلبون بها التنشيط على قراءتها.

وختم كلامه بإيراد جزء من حديث نبوي، فقال: «ولهذا وصف رسول الله (ﷺ) القرآن بأنه (لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولاتفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد»(٣).

وعندما نعود إلى أمهات كتب الحديث يتبين لنا أن القاضي عياض أراد الحديث الذي رواه الترمذي في «باب ما جاء في فضل القرآن من سننه» قال: «حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا حسين بن علي الجعفي، أخبرنا حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت علي عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين: ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟! قلت: نعم، قال: أما اني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «ألا إنها ستكون فتنة» فقلت: «ما المخرج منها يارسول الله؟» قال: «كتابُ الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن ـ إذ سمعته ـ حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى إلى الرشد، فآمنا به» من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدَل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور». ولكن الترمذي عقب على الحديث بقوله: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال»:(٤).

وجمع الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى

٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) بين عدم الملل وقوة التأثير فى هداية البشر(٥).

وجعل محمد بن أحمد المعروف بابن جزى (٦٩٣ - ٧٤١هـ/ ١٢٩٤ - ١٣٤٠م) عدم الملل الوجه العاشر من وجوه إعجاز القرآن(٦)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ/ ١٤٤٥ - ١٥٠٥م) الوجه الحادى والعشرين، واعتمد فيه على ما قاله القاضى عياض، فأورده بألفاظه.

واقتفى أثرهم محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ/ ١٢٩٢ - ١٣٥٠م)(٧).

وانفرد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤هـ/ ١٣٠٢ - ١٣٧٣م) بقصر عدم الملل على العلماء(٨).

وجعل بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤هـ/ ١٣٤٤ - ١٣٩٢م) من وجوه إعجازه أنه لم يزل - ولا يزال - غضا طريا فى أسماع السامعين، وعلى ألسنة القارئين(٩).

وفى العصر الحديث أعلن مصطفى صادق الرافعى أن القرآن باين سائر الكلام، وانفرد بأنه لا يخلق على كثرة الرد وطول التكرار، ولا تمل منه الإعادة. وكلما أخذت فيه رأيته غضا طريا، وجديدا مونقا، وصادفت من نفسك له نشاطا مستأنفا، وحسّا موفورا. وواصل كلامه كأنه يرد على ابن كثير، فقال: هذا أمر يستوى فى أصله العالم الذى يتذوق الحروف ويستمرئ تركيبها. أما الجاهل فلا يثبت من كلامه إلا أصوات الحروف، وإلا ما يميزه من أجراسها، على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقة نفسه. ورد ذلك الى أن القرآن مقتصد فى كل أنواع التأثير على النفس، فلا يسرف عليها ولا يستفرغ مجهودها. ولذلك لا تضيق به النفس، ولا تنفر منه، ولا يتخونها الملال، ولا تزال تبتغى الاستزادة من حاجاتها فى التروح والإصغاء إليه، والتصرف معه، والانقياد له، والقرآن يسوغها من لذتها، ويرفه عليها بأساليبه وطرقه فى النظم والبيان. كما رده الى الخصائص الموسيقية لنظم القرآن(١٠).

ورد (د. محمد عبد الله دراز) الظاهرة الى الفوارق الطبيعية بين المعانى المختلفة التى ينتظمها القرآن فى السورة الواحدة منه، فهو لا يسترسل فى الحديث عن الجنس الواحد استرسالا يؤدى به الى الإطالة المملة. وإنما الحديث فيه ذو شجون، ولكنه حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها فى صورة مؤتلفة، ويجعل من اختلافها نفسه قواما لائتلافها(١١).

أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فقد رده الى الشعور بروح من وراء اللفظ والدلالة والمعنى فى القرآن، هى مزيج من الإحساس بالأنس والرهبة والتأثير الوجدانى، ذلك الإحساس الذى لا يجده المرء إلا فى كلام الله(١٢).

وذهب د. مصطفى الصاوى الجوينى أن كلام الخالق يعذب مع الأيام، وكلام المخلوقين - مهما جملت عباراته أو معانيه - يملّ ترداده، وفى أحسن الأحوال يفتر الإحساس بجماله(١٣).

واقتصرت د. صالحة عبد الحكيم شرف الدين على ترديد أقوال ابن سراقة والقاضى عياض والسيوطى(١٤).

وجملة القول: إن هذا الوجه من الإعجاز قام على حديث الترمذى وما جاء فى معناه(١٥)، وأن الحديث فيه لم يتشعب كثيرا ولا تطور بعيدا، كما وقع فى وجوه أخرى، وإنما ردده الكثيرون دون إضافة تذكر.

وامتاز القاضى عياض بالإفاضة، وإيراد حديثه فى قطعة أدبية، حملت السيوطى على الإتيان بها برمتها، وساقت من بعده الى الاستفادة منه ويقترب الرافعى منه فى الإفاضة، ويضيف إليه التعليل، الذى عنى به هو ودراز والبوطى.

---

*الهوامش*

(١) *الإتقان* ٢/١٤١.
(٢) *أعلام النبوة* ٦٥.
(٣) *سورة الجن* ١، ٢. *كتاب الشفا* ١/٥٣٥.
(٤) ٤/٢٤٥.
(٥) *مجمع البيان فى تفسير البيان - المقدمة* ٩ - ١٦.
(٦) *التسهيل لعلوم التنزيل* ١/١٤.
(٧) *الفوائد المشوقة*.
(٨) *التفسير* ١/٦٠.
(٩) *البرهان* ٢/١٠٧.
(١٠) *إعجاز القرآن* ٢١٨، ٢٢٣.
(١١) *النبأ العظيم* ١٦٠ - ١.
(١٢) *من روائع* ١٧٨.
(١٣) *جماليات المضمون* ١٢٨.
(١٤) *القرآن الحكيم* ٧٧، ٨٠، ٩٠.
(١٥) *الدارمى: سننه* ٢/٤٣١.

دراسات قرآنية

# التحليل الأسلوبي ومقاييسه

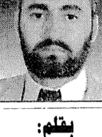
## في كتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي ٢ - ٢

قاعدة النص: مقاييس التحليل الأسلوبي للقرآن:

يتضافر الاستنطاق الاسلوبي للقرآن عبر انتقاء نماذج متنوعة، مع منظور موازن يدرج الخواص الأسلوبية للقرآن في مقابل السمات الأسلوبية للبيان الجاهلي المتمثل في شعر الجاهليين ولغتهم، ويقوم الأمر كله على أسّ نفساني يتنامى عبره دوما البرهان القار في مفاصل الكتاب، الذي يتم بمقتضاه الاستدلال على موضوعية القرآن واستقلاله عن الذات المحمدية، ويشرط هذه الأركان مقوم موضوعي يعاين كثافة الموضوعات القرآنية وشموليتها، وتجاوزها حجم المعطيات المعرفية والثقافية التي كان يتسع لها الواقع العربي قبل الإسلام، ويسنده أس ثقافي يرصد الفعالية الثقافية والحضارية لآي القرآن وآثارها في توجيه الأحداث، وذلك عبر بناء الأساس النفسي للمعتقد الديني، والكشف عن أشكال تمظهره في النسيج الثقافي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي الناشيء، وبالأخص عند رصد ظاهرة التنجيم القرآني ويتعاضد ما سبق مع جهاز أسلوبي يستنطق الخصائص الأسلوبية للكلام المعجز في المستويات المعجمية والدلالية والتركيبية ثم في البنية العامة لعدة جمل أو آيات ليخلص الى البنية النصية لسورة قرآنية وذلك من خلال قراءة اسلوبية مقارنة بين قصة يوسف، عليه السلام، في القرآن وفي الكتاب المقدس.

مالك بن نبي

ولا يستغرق هذا الاستنطاق الاسلوبي مجهوده في معاينة السمات الاسلوبية والآليات النصّية في ذاتها، بل بموقعها في منازل اعتقادية ونفسية وثقافية لبناء البرهان على علوية القرآن وتساميه على أي ذات انسانية.



بقلم:
د. الأخضر جمعي
معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر

أما أول المدارج في هذه المعاينة الاسلوبية فينتظمها بحث المعجم القرآني الذي يبين عن خصوصية وتفرّد في توظيف الفاظ تؤدي مفاهيم جديدة عن البيئة العربية الجاهلية التي كانت ثروتها اللفظية قبل الاسلام متعلقة بتحقيق «حاجات الحياة البسيطة الخارجية أو الداخلية لبدوي لا حضري» (١٩٠)، ومن هنا

# بعض ألفاظ المعجم القرآني كانت جديدة على البيئة الجاهلية

يظهر السبب في نضوب هذا المعجم الجاهلي، في نظر مالك، من الألفاظ الفلسفية والعلمية وكل ما من شأنه ان يبنى بناءاً تجريديا عاليا يتوافق مع عرض مقولات منطقية او صوغ جدال فلسفي.

والحق ان هذه المقابلة بين لغة القرآن واللغة الجاهلية التي ينبسط حيزها فيتسع الى مستويات معجمية وايقاعية، مجازية ودلالية عامة، تتعمق خصوصيتها فيما يعتني به مالك من عرض لنماذج من ألفاظ القرآن الجديدة: «وخاصة تلك الألفاظ الآرامية التي استخدمها لتعيين مفاهيم توحيدية جديدة، من الناحية النوعية، كلفظ (ملكوت)، والأسماء الخاصة مثل (جالوت وهاروت وماروت) فمن وجهة الدراسات اللغوية يبدو القرآن وكأنما قد استحضر ثروته اللفظية الخاصة، وانشأها انشاءاً بطريقة فجائية وغريبة (١٩١)، على أن استحضار القرآن لالفاظه الخاصة وبناءه لمعجمه المتفرّد يبلغ أقصى مراتب التميّز عندما يتمثل موضوعات جديدة ومفاهيم عميقة ثم لا يعمد الى ترجمتها حينما ترد خاصة فى سياق مفهوم عقيدي أو حدث تاريخي، وقصصي بل يكيّفها حتى تتلاءم مع ضوابط العربية والعقيدة الاسلامية، ومن ابرز الشواهد على ذلك ما: «حدث لذلك الاسم الخاص (Putiphare) وهو اسم الشخصية الكتابية التي أطلقت عليها رواية القرآن لقب (العزيز) في قصة يوسف، ولنا أن نتساءل عما اذا كانت هناك صلة في المعنى بين الاسم الاسرائيلى واللقب القرآني، فالتفسير العبري يبدو انه يقصد بكلمة Putiphare اشتقاقا مصريا يبدأ من الأصل puti=favori (عزيز) والأصل Phare (مستشار أو ناصح).

ونقلا عن بحث القسيس (فيجورو Vigoureu) في الموضوع نعرف أن هذه الكلمة مصرية مركبة معناها (عزيز الإله شمس).

وعلى أي من الرأيين نرى أن التكييف الاشتقاقي القرآني قد حذف اللفظ المكمل، الإضافي، ليتمثله في صورة أكثر تطابقا مع روح التوحيد الإسلامية، فإذا به يكتفي بلفظ العزيز.

ومما يذكر أن هذا التكييف الذي تجنب صعوبة الترجمة الصوتية للحروف الأولى، قد حل مشكلة لغوية لا يتسنى لجاهل بالدراسات المصرية أن يحلها، حتى ولو كان في أتم حالات وعيه» (١٩٣ - ١٩٤).

ويأخذ هذا المنظور الأسلوبي اللغوي المشروط بأصل عقيدي ثقافي مدى لا يقل خطورة عما سبق حين يعاين مراتب دلالية تسفر عنها صور بلاغية قرآنية موضوعة دوما في موازاة صور بلاغية من الشعر الجاهلي. ويتأسس هذا المنظور على قاعدة اسلوبية

نفسية تعلل الظاهرة الأسلوبية بواسطة القائل تصديقا للقولة الشائعة: «إن الأسلوب هو الرجل» (١٧٢)، ولكن هذه الأسلوبية التعبيرية التي تأخذ سندها التعريفي أيضا فيما يعتقده مالك من أن: «المزاج هو العنصر البلاغي الفريد الذي يحدد معالم الأسلوب، ويحدد بصورة ما موقعه الجغرافي» (٢٩٤)، تستمد أيضا بعضا من بعدها في المرجعية اللغوية والثقافية المطبوعة بخصوصية الجغرافية، وبخصوصية عناصر هذه الجغرافية، ففي بيت امرىء القيس المشهور في وصف الفرس:

مكر مفرّ مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل
من عل

نجد الشاعر قد استخدم: «عناصر احتواها الوسط الجغرافي، وهي صورة فرس يعدو، وصورة جلمود صخر حطه السيل، فالبيت عربي في جوهره، لأن الوسط الذي يتمثل فيه وسط عربي طبعه بطابعه الخاص» (٢٩٤).

ولكن المجاز القرآني قد يبني صوراً لا علاقة لها بجو الصحراء بل قد تتشكل عناصرها من أجواء وتضاريس عبقة بالرياض والزروع والأنهار، وقد تعلوها سماء كثيفة بالسحب والغيوم وفضلا عن ذلك فقد: «نجد في القرآن صوراً ذهنية كثيرة لا تتصل بسماء الجزيرة ولا بأرضها» (٢٩٥).

# المزاج هو العنصر البلاغي الذي يحدد معالم الأسلوب

فإذا كان في مثل قوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب»(النور/٣٩)، ما يبين عن: «عناصر مجاز عربي النوع» (٢٩٥) فإن في قوله تعالى: «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، اذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور»(النور/٤٠) ما يبين عن نقيض ما سبق، ذلك أن هذا: «المجاز يترجم على عكس سابقه عن صورة لا علاقة لها بالوسط الجغرافي للقرآن، بل لا علاقة لها بالمستوى العقلي، او المعارف البحرية في العصر الجاهلي، وإنما هي في مجموعها منتزعة من بعض البلدان الشمالية التي يلفها الضباب..

وفي الآية فضلا عن الوصف الخارجي الذي يعرض المجاز المذكور سطر خاص بل سطران: أولهما: الإشارة الشفافة الى تراكب الأمواج، والثاني: هو الإشارة الى الظلمات المتكاثفة في اعماق البحار، وهاتان العبارتان تستلزمان معرفة علمية بالظواهر الخاصة بقاع البحر، وهي معرفة لم تتح للبشرية إلا بعد معرفة جغرافية المحيطات، ودراسة البصريات الطبيعية، وغني عن البيان

أن نقول: ان العصر القرآني كان يجهل كلية تراكب الأمواج، وظاهرة امتصاص الضوء واختفائه على عمق معين في الماء، وعلى ذلك فما كان لنا أن ننسب هذا المجاز الى عبقرية صنعتها الصحراء، ولا الى ذات انسانية صاغتها بيئة قارية» (٢٩٦).

ويلحظ مالك على الصعيد التركيبي أن القرآن استبدل بالجملة البيت الشعري الموزون (١٩٢) قاصدا بذلك تكييف دعوته الجديدة ومفاهيمه التوحيدية مع بناء مرن متحرر من إلزامات الوزن وقيوده ، وينتظم هذا البناء الجديد للعبارة القرآنية نسق تنظيمي يتم بمقتضاه صوغ لحمة وحداتها بحسب مراتب معنوية مختلفة تتضافر بالطبع مع بنائها النحوي والصيغي والصوتي، ومعاينة أمر هذه الوحدة يدرج في مضمار البرهان الثابت المتمثل في استقلالية «الظاهرة القرآنية» عن «الذات المحمدية» رغم تغير عناصر الاستدلال المحققة لصحته، فهذه: «الوحدة تؤدى بالضرورة فكرة واحدة، وأحيانا مجموعة من الفكر المنتظمة في اسلوب منطقي يمكننا من ملاحظته في آيات القرآن ودراسة هذه الفكرة في ذاتها، وفي علاقتها ببقية حلقات السلسلة، تكشف عن قدرة خالقة ومنظمة، لا يمكن ان تنطوي عليها الذات المحمدية، في تلك الظروف النفسية الخاصة بحالة تلقيها الوحي، بل حتى في ظروفها الطبيعية» (١٨٢ ـ ١٨٣).

## المعجم اللفظى لعرب الجاهلية كان محدوداً ببيئتهم

ويهتم مالك بالتوقف عند شاهدين لهذه الوحدة متمثلين في انموذج للوحدة التشريعية وآخر للوحدة التاريخية، فشاهد الوحدة التشريعية الذي سنقتصر عليه في وصف هذا الأمر يستخلصه من آية كريمة من سورة النساء، تحصر المحرمات من النساء، وتضبط جردها وفق نظام خفي دقيق، وذلك في قوله تعالي: «حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت، وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم، وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم، وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيما»(النساء/٢٥).

ويري مالك ان مناقشة النص تُرينا: «تصنيفا للحالات المحرّمة بدرجة القرابة العصبية والترتيب النزولي: الأم والبنت، والأخت وبنت الأخ وبنت الأخت من القرابة المباشرة، والمرضعة، وأخت الرضاعة من القرابة الرضاعية، ولا يحل للمرء أن يتزوج أم امرأته، أو ابنتها أو اختها، فدرجة القرابة هنا مقيسة بالنسبة للمرأة. ويمكن ان نلحظ أيضا في هذا

التصنيف افضلية رباط الذكر علي رباط الأنثى، فابنة الأخ تذكر قبل ابنة الأخت، والقـرابة المتـصلة بالزوج قبل القرابة المتصلة بالزوجة مع اسبقية رباط الذكورة» (١٨٤ - ١٨٥). هذه المعاينة للوحدة التي تؤلف بين المكّونات اللغـوية للآية الكريمة يشرطها أساس منطقي دلالي اساسا، ويحكمـهـا تنوع الموضوعات القرآنية، وهي برهان حاسم على الإحكام والتدبير اللذين يتجاوزان حدود الطاقة البشرية في اطار خطاب كان يتلقاه الرسول سماعا في وميض الوحي وينقله مشافهة.

والواقع أن هذا الاسـتنطاق الأسلوبي لبـعض سـمـات النص الكريم المنزلة اساسا في مفاصل الاستـدلال على اعـجـاز القـرآن بحسب ما يرتئيه مالك من منهج، لا يغـفل الاشارة الى الموضـوعـات القرآنية في محاولة استيعاب فضائها الواسع الذي يختـزل القرآن نفسه كينونتـه في قوله تعـالى: «مـا فـرّطنا في الكتـاب من شيء»(الأنعام/٣٨).

هذا الفضـاء الواسع الذي يبدأ من ذرة الوجـود المستـودعـة باطن الصخـر، أو عـمق البحـار، الى النجـوم والأفـلاك السـابحـة في مداراتها ومستقراتها.

هذا الخطاب الذى يحفر عميقا في النفس الانسـانيـة، ويضـبط سنن الله المتـحكمـة في

**لو نزل القرآن جملة واحدة لتحول الى مجرد وثيقة دينية لا أثر لها في الحياة**

صيرورة المجتمعات والحضارات، ويستشرف آفاق المستقبل، ويحفر في بدايات البـدايات، وقـبل ذلك وبعده يضبط أنظمته الاعتقادية والأخلاقية والتشريعية والجمالية، فيغدو منظومة كلية شاملة لا يند عن حصرها شيء، تقطع بمحدودية المعـرفـة التي يهـبـهـا الإطار الجغرافي والاجتماعي الذي تنزل فيه القرآن بالقياس الى ما ورد فيه من مضامين، وهو بذلك يتعالى على سمات المعرفة الانسانية المرتبطة بطابع الارض الخاضعة لقانون المكان والزمان، فالذات المحمدية نفسها: «تشغل فيه مكانا ضئيلا، إذ نادراً ما يتـحـدث القـرآن عن تاريخ (محمد) الانسان، ان آلامه العظمى أو مسراته لم ترد فيه قط» (١٩٦).

وسيتدعم هذا الجهاز المعرفي الأسلوبي الذي اسـتـغـرقه بحث الصلات بين القرآن والذات المحمدية بأساس اجـتـمـاعي ثقـافي عـام يرصـد التـحـولات الاجتماعية والتغيرات الثقافية القائمة على ما هو مـركوز في الطبع الانسـاني، باعـتـبار أنّ فـاعليـة التـغـير تتم في الذات الداخلية، مع ضرورة مراعاة التوازن بين مقتضيات البناء النفسي والبناء الاجتماعي، ويوظف مـالك في هذا الصدد شاهد تحريم الخمر وفاعلية التدرج التي اعتمدها القرآن بدءا من اثارة المشكلة في الضمـير المسلم، وإدراجـهـا في مشكلات هذا

المجتمع الناشيء، الى غاية الحظر الخلقي ثم التحريم النهائي وتكييف ذلك كله مع الحالة الاقتصادية لمجتمع تنشط فيه تجارة الخمر (٢٩٧). وفي هذا المجرى يعلل بن نبي خاصية التنجيم في القرآن الكريم اذ انه لو: «نزل جملة واحدة لتحول سريعا إلى كلمة مقدسة خامدة وإلى فكرة ميتة، والى مجرد وثيقة دينية، لا مصدر يبعث الحياة في حضارة وليدة، فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الاسلام لا سر لها إلا في هذا التنجيم» (١٨١).

ثم يؤول الرصد الى غايته الكلية وذلك من خلال معاينة البنية القصصية لسورة قرآنية كاملة، هذه المعاينة التي تدرج أيضا في مجرى أسلوبي مقارن يتم بمقتضاه مقارنة قصة يوسف في القرآن وفي الكتاب المقدس.

والحق أن اصول هذه المقارنة تتجاوز اطار القصة في المصدرين الى رصد العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس من خلال الكشف عن علامات للتشابه بينهما، هذه العلامات التي لا ينكرها القرآن الكريم نفسه باعتباره الحلقة الخاتمة في سلسلة الكتب الإلهية المنزلة ولكن بالرغم من ذلك كله، فإن القرآن: «يحتفظ بصورته الخاصة في كل فصل من فصول الفكرة التوحيدية» (١٩٩).

**في القرآن الكريم صور ذهنية كثيرة لا تتصل بسماء الجزيرة ولا بأرضها**

ولقد تحكم منظور موضوعي في الفصول الأولى لهذه المقارنة تم عبره الكشف عن فرادة القرآن وتميزه بالقياس الى الكتاب المقدس في عرض المنظومة الكلية للفكرة الدينية التي جاء بها الوحي الإلهي، ولقد تكامل هذا العرض المقارن نزلا من اصل الفكرة الدينية القائمة على التوحيد الى شقها الغيبي الآخر المتمثل في الآخرة، فالكون والأخلاق والاجتماع (٢٠٠ - ٢٠٩).

أما عمق المقارنة فإنها تتمثل في التحليل الاسلوبي لقصة يوسف في القرآن الكريم وفي الكتاب المقدس، وهذا الاستنطاق الأسلوبي الذي يؤكد خصوصية القصة في القرآن بالقياس الى رواية الكتاب المقدس لا يلغي بعض وجوه الشبه بين القصتين، على أن هذه الوجوه الملحوظة: «لا تعزى الى تأثير يهودي مسيحي ذاع في البيئة الجاهلية، ولا إلى تعلم شخصي أو لا شعوري لشخص النبي» (٢٦١) ويشهد مطلع سورة يوسف بهذه الحقيقة نفسها.

ويهتم مالك بمقارنة السلاسل السردية للقصة في المصدرين للكشف عن وجوه التماثل أو الاختلاف بينهما دون أن يعتني بدراسة البنية السردية بتفصيل، أو يبحث في الروابط التي تنتظم المفاصل السردية، أو ما الى ذلك مما يتعلق بتحليل القصة، إلا أن عنايته

# الحركة الاجتماعية والروحية التي سرت في المجتمع غيرت منظومة حياته ؟!!

ستنصب على متابعة التمايز بين القصتين في المفاصل المختلفة لغاية الإبانة عن خصائص القصة في السورة القرآنية بالقياس الى رواية الكتاب المقدس وتبرز هذه المقارنة علامات تنزع بالقصة القرآنية نزوعا مغايرا في كثير من المفاصل السردية والعناصر الدلالية للقصة الكتابية، فمن شواهد هذه المقارنة أن مدخل القصة القرآنية يضعها في اطار الظاهرة الدينية، أما في القصة الكتابية فيضعها في الإطار العائلي، ثم هناك اختلاف في موقف يعقوب من بنيه عقب تآمرهم على يوسف. فيظهر الارتياب في القصة القرآنية ولا يفقد الأمل ويبدي في القصة الكتابية سرعة تصديق ويأسا، وقد يقع تماثل في القصتين كالحال في المفصل القصصي الذي يقص بيع يوسف ووصوله الى مصر، وقد يحدث ان تتميز القصة القرآنية بمفاصل لا ترد في القصة الكتابية كالحال في بعض المشاهد التي تقص مراودة امرأة العزيز يوسف، فلا يرد في القصة الكتابية ما يذكره القرآن من هَمِّ يوسف بالمعصية وبرهان الله له، أو انتشار الخبر في المدينة واجتماع النسوة، ودعاء يوسف امام الحاح المرأة، على أن التمايز بين القصتين يزداد ترسخا في منعطفات اخرى كالشأن في الحل النفسي لعقدة السجن وذلك عقب اعتراف المرأة في القرآن، والحل السياسي المترتب على رؤيا فرعون في الكتاب المقدس، كما أنه ينبني على قصة القرآن رد الاعتبار ليوسف، ويتأسس على القصة الكتابية اسناد مهمة إليه، وهكذا بقية المشاهد التي تروي الوقائع المختلفة للقصة خاصة بعد استقرار يوسف في مصر وتوليه مسؤولية الاشراف على خزائنها، ثم اتصال اخوته به وكيده لأخذ أخيه، ثم تختص القصة القرآنية بمتابعة عودة الأبناء الى يعقوب الذي يستعين بالأمل والمصابرة، وهكذا الى مشهد الحل الذي يبدي فيه يوسف في القصة القرآنية العفو على إخوته، ويتحقق الحل في القصة الكتابية بانفعال يوسف، ثم تختص القصة القرآنية بحلقات لا تذكرها القصة الكتابية كإرسال قميص يوسف الى أبيه وشفائه ودعائه وعفوه على بنيه، ثم ختام يوسف القصة بحمد الله والثناء عليه.

ويخلص مالك الى نتائج المقارنة المتمثلة في كون القصة القرآنية منزلة في رحاب ديني شامل، فإرادة الله تتدخل أكثر في القرآن، والمعالم الروحية تبدو أكثر بروزاً فيه، كما تتحكم العدالة في صيرورة بعض الوقائع في القصة القرآنية في حين تقابلها السياسة في القصة الكتابية (٢٥٠ - ٢٥١) وتأتي اشارة مالك الى الشخصيات تعميقا للملاحظات نفسها، هذه الشخصيات

التي لا يتناول ادوارها الغرضية تفصيلا، ولكن يهتم بالاشارة الى بعض العلامات المميزة لبعضها كالشأن في علامات النبوة التي تبدو أشد عمقا في شخصيات الانبياء في القرآن منها في القصة الكتابية، ويهتم بالكشف عما يضمره تكوينها النفسي الذي يجد الإفصاح عنه في مواقفها وتعابيرها المختلفة المتميزة بالطابع الروحي المستقر(٢٥٢).

ويسترشد هذا التحليل بسند تاريخي يشكل إطاراً مرجعيا للتدليل على التحريف والوضع اللذين لحقا القصة الكتابية، فمن شواهد ذلك أنه في قصة التوراه يستخدم: «إخوة يوسف في سفرهم «حميراً» بدلا من «العير» في رواية القرآن، على حين ان استخدام الحمير لا يمكن ان يتسنى للعبرانيين الا بعد استقرارهم في وادي النيل، بعد ما صاروا حضريين، اذ الحمار حيوان حضري عاجز في كل حالة عن أن يجتاز مسافات صحراوية شاسعة لكي يجيء من فلسطين، وفضلا عن ذلك فإن ذرية إبراهيم ويوسف كانوا يعيشون في حالة الرعاة الرحل، رعاة المواشي والأغنام» (٢٥٣).

ثم يؤول تفاعل مستندات هذه القراءة وأدواتها الاجرائية المتمثلة في البنية السردية للقصة في المصدرين، والشخصيات والمرجع التاريخي الى رصد المشهد الختامي الذي يتميز في الرواية الكتابية بطابع السرد التاريخى المتعلق بإيراد تفاصيل مادية عن استقرار العبرانيين في مصر، ويتمركز في القصة القرآنية على الشخصية المحورية بطابعها المتميز المتمثلة في يوسف الذي يتولى ختم المشهد النهائي (٢٥٣).

## القصة القرآنية منزلة في رحاب ديني شامل

تلك هي خلاصة المصادر التي ضبطت قراءة مالك لقضية الاعجاز، وتلك هي نتائج تفاعل منظومة المفاهيم وأسسها المعرفية وادواتها الاجرائية التي استخدمها لبناء برهان بديل للاعجاز القرآني. ولقد مثل الجدل الفكري للعصر الحديث مولدا حيويا في الجهاز المعرفي الأسلوبي الذي استخدمه مالك في بناء مشروعه، ومن هنا تجاوز هذا المشروع حدود التحليل الأسلوبي الى الممارسة الفكرية المشروطة بثوابت الفكر البنائي الذي أرقه الواقع الحضاري للأمة الاسلامية فأنشأ مشروعا معرفيا ثقافيا يتحسس مراكز الفعالية في الحسم الحضاري المتمثلة في جملته النفسية والثقافية، ولما كان للسند العقائدي في مجموعة الثقافة دور قطب الرحى بالقياس الى بقية عناصر المجموعة، فإن مالكا بوأه الصدارة في المتوالية الفكرية لمشروع النهضة، فكان انبثاق «الظاهرة القرآنية».

## في دراسة النص

تتأسس هذه المداخلة على عنصرين رئيسين هما:

العنصر الأول: ويشمل المصطلحات الأساسية في الدراسة وينصب على تحليل العنوان: «السيميائية وتبليغ النص الأدبي» فيطرح الأسئلة التالية:

ما معنى السيميائية؟ وما معنى التبليغ؟ وما معنى النص بشكل عام والنص الأدبي بشكل خاص؟.

ويشمل العنصر الثاني: سؤالا أساسيا هو الآخر: كيف نبلغ نصا أدبيا بالاعتماد على معطياته السيميائية؟ بشكل آخر التساؤل: ما علاقة السيميائية بالتبليغ وبالنص الأدبي؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال نطرح أسئلة أخرى:

ما معنى العلامة؟ وما معنى الإشارة؟ وما معنى الرمز والإيقون؟ وما هي الفائدة التي يمكن أن تقدمها هذه المفاهيم لدراسة النص الأدبي؟ ثم تطمح هذه المداخلة في الإجابة عن هذه الأسئلة كلها بالاعتماد على محاولات تطبيقية متعلقة بكل عنصر من العناصر التي تم ذكرها في شكل تساؤلات.





بقلم: **بشير إبرير**
جامعة عنابة ـ الجزائر ـ
معهد تعليم اللغة العربية


## أولا: المصطلحات الأساسية في الدراسة:

### ١ ـ *السيميائية:*

هي العلم الذي يدرس حياة العلامات أيا كان مصدرها في إطار الحياة الاجتماعية، وقد جعل دوسوسير هذا العلم مقتصرا على دراسة العلامات في دلالاتها الاجتماعية مما يفهم به البشر بعضهم بعضا، باعتبار اللغة نظاما من العلامات.

ثم تداخل مصطلح «السيميولوجيا» مع مصطلح آخر هو «السيميوتيقا» فلابسه في معناه، فمصطلح «السيميولوجيا» يستعمله الأوربيون، ومصطلح «السيميوتيقا» يستعمله الأمريكان.

ويوجد أيضا بالعربية مصطلح «السيمياء» و«السيميائية» وعلم العلامات بمعنى علامة أو ملمح، وتوجد علامية الأدب وتسعى إلى تأسيس نظرية في كيفيات الخطاب باعتباره حدثا إعلاميا، أي سيميائيا، يتألف من نظام من العلامات الجمالية.

وحتى لا ندخل في تفاصيل نظرية كثيرة نقول باختصار شديد:

إن السيميائية لم تصبح علما قائما بذاته إلا بفضل المجهودات التي قدمها كثير من الدارسين أهمهم الأمريكي: «بيرس» ١٨٣٩ ـ ١٩١٤م. ففي نظره هي: علم الإشارة الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى يقول: «ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون ـ

كالرياضيات والأخلاق والميتفيزياء والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم الفلك وعلم النفس وعلم الصوتيات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام والسكوت والرجال والنساء وعلم القياس والموازين إلا على أنه نظام سيميولوجي»(١).

## ٢ ـ التبليغ:

التبليغ ظاهرة معقدة تتحكم فيها عوامل عديدة: لغوية ونفسية واجتماعية وتعليمية وثقافية وعوامل أخرى غير لغوية، وهو تبليغ رسالة شفاهية أو كتابية تتضمن معلومات أو أفكارا أو آراء بفضل الكلام المنطوق أو المكتوب أو الإشارات.

والتبليغ عملية يتم من خلالها تبادل المفاهيم بين متحدث ينتج خطابا موجها الى متحدث إليه.

ويعد التبليغ عنصرا بالغ الأهمية في الحياة الإنسانية فهو «الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يشمل كل الرموز الذهنية مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن أيضا تقاسيم الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفزيون وكل ما يشمله آخر ما تم من الاكتشافات في الزمان والمكان »(٢).

وتتأسس العملية التبليغية على العناصر التالية:

**المرسل والمرسل إليه والرسالة وقناة التوصيل ومقامه والوضع اللغوي.**

## ٣ ـ النص :

نُسجِّل ـ من البداية ـ بأننا نجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات الخاصة بالنص وكل تعريف منها يعكس وجهة النظر الخاصة بمن يعرفه وبالمرجعيات الفكرية والتراكمات المعرفية التي ينطلق منها.

«فالنص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة»(٣)، وهو «.. شكل لساني للتفاعل الاجتماعي»(٤).

تبعا للمقام الذي أنتج فيه وكذا لعلاقاته الاجتماعية واللسانية والثقافية والمعرفية وقد ورد في معجم اللسانيات لـ «ديبوا» ان النص هو مجموع الملفوظات اللسانية الخاضعة للتحليل، فهو إذا عينة من السلوك الإنساني المكتوب او المنطوق.

وهو عند «هيلمسلاف.. ملفوظ مهما كان منطوقا أو مكتوبا طويلا أو موجزا، قديما أو جديدا، فكلمة «قف» هي نص مثله مثل رواية طويلة: فكل مادة لسانية مدروسة تشكل نصا يكون قابلا للتحليل الى صفات هي نفسها قابلة للتجزئة الى اقسام وهكذا الى أن تنتهي إمكانات التقسيم(٥) هذا عن النص بشكل عام.

أما النص الأدبي فهو في رأيي الخاص ـ نص معرفي تتلاقى فيه جملة من المعارف الإنسانية أهمها على الإطلاق المعرفة الأدبية، ولذلك فإن قارىء الأدب الذي يعرف الأدب وحده قراءته غير كافية ومعرفته غير كافية، فعليه أن ينوع معارفه الأخرى، لأن النص الأدبي قد نجد فيه المعرفة التاريخية والنفسية والسياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية والعلمية وغير ذلك من المعارف الإنسانية والاجتماعية وهو ما يلقي مسؤولية إضافية على كاهل المشتغل بالأدب كتابة أو قراءة في التزود من هذه المعارف قدر الإمكان للإستعانة بها في كتابة أو تحليل النصوص الأدبية.

## ثانيا: التبليغ السيميائي للنص:

إن السؤال الذي ينبغي لنا طرحه ههنا هو كيف نقرأ النص الأدبي قراءة سيميائية ، وكيف نبلغه الى المتلقي ؟ وكيف يصبح النص الأدبي ميدانا للبحث السيميائي؟.

«إن القراءة في حقيقة أمرها (تبليغ) وتواصل يتحقق بين القارىء وموضوع القراءة.. فالوظيفة النقدية في إطار عملية القراءة وظيفة تقوم على اساس السعي الى تحقيق تواصل فعال بين القارىء وموضوع القراءة»(٦).

إن هذا يتطلب منا - كما أشرنا في المقدمة - أن نبحث بشأن العلامة والإشارة والرمز والإيقون.

## ١ - العلامة:

تتكون العلامة من صورة حسية يتم إدراكها بحاسة من الحواس الخمسة: السمع أو اللمس أو البصر أو الشم أو الذوق، وتتأسس هذه الصورة على ما يتواضع عليه متخاطبان اثنان أو مجموعة من المتخاطبين(٧) فبارتباط الشكل الحسي مع ما يتواضع عليه المتخاطبون تفصح العلامة(٨) عن مكنونها وتبوح بمعانيها ودلالاتها، ويتحقق الاتفاق علي الوضع مع كل قناة يمكن استعمالها في إيجاد لغة ما.

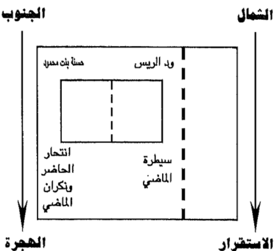
إن العلامة معطى نفسي واجتماعى وثقافي وحضاري(٩) اصله الوضع والعرف والاصطلاح من خلالها يمكننا معرفة العلاقة بين سعة أي نظام تبليغي وطبيعة مكوناته الدلالية. فهنالك تناسب طردي بين «اعتباطية أي نظام إعلامي وسعة إبلاغه، وهو ما يفضي بنا الى القول بأن مقبولية العلاقة بين الدال والمدلول في كل نظام تواصلي على أساس الاقتران الطبيعي أو الاقتران المنطقي تتناسب تناسبا عكسيا مع طاقة ذلك النظام المعتمد في الابلاغ، فيكون معيار الاعتباط الذي هو مرآة العرفية هو النموذج الأوفي للجهاز الإبلاغي»(١٠).

**نستنتج من هذا ان المكون الاعتباطي الذي تشمله العلامة في كل عملية من العمليات التبليغية هو الذي يبين لنا سعة القدرة على التبليغ، وعلى هذا فإن المتلقي للرسالة لابد أن يكون على معرفة بنظامها لكي يتمكن من فهمها وتحليلها ومعرفة مختلف وظائفها وأغراضها.**

وإذا تأملنا النص التالي(١١): «.. أرواح المخلوقات البشرية أنشئت دفعة واحدة، ووضعت بذورها في آدم فردا فردا..»

بيكاسو، فرانكو، اليندي، بينوشي، راسبوتين لينين، سالزار أميل كاركابرال، عرفات بيغن، شيوخ البترول والخميني، ناصر والسادات، بوجو الأمير عبد القادر، غاندي هتلر. لموينا تشومبي، بومدين، باش آغابو علام.. كلهم كلهم خلقوا دفعة واحدة، ووضعوا في آدم.. أنت أنا، السجان النقابة الخنساء صاحبة الراية.. الجميع انشئوا دفعة واحدة..» فبتأملنا لهذا النص نجده مؤلفا من علامات عديدة وكل علامتين لهما علاقة ببعض، فالعلامة الأولى تستدعي العلامة الثانية، والعلامة الثانية تنبني على العلامة الأولى، وهكذا فإن كل علامة تحيا وتفصح عن معانيها ومضامينها من خلال تضافرها مع العلامة الأخرى، على الرغم من التضاد أو التنافر الظاهر بينهما.

ويمكن لنا أخذ مثال من رواية عربية مشهورة، من أفضل ما جادت به قريحة المبدع العربي وهي رواية موسم الهجرة الى الشمال للروائي الطيب صالح.. هذه الرواية التي تظل تعيش لحظتها الإشراقية دائما. فإذا تأملنا عنوانها: «موسم الهجرة إلى الشمال»، فإننا نجد علامتين متتاليتين ظاهرتين في العنوان هما: «الهجرة» و«الشمال» وتقابلها علامتان أخريان مستترتان خلف العنوان هما: الاستقرار.. و«الجنوب» فالاستقرار تدل عليه «الهجرة» و«الجنوب» يدل عليه «الشمال» و«الهجرة تتعلق بالجنوب بينما الاستقرار يتعلق بالشمال » وعليه يمكن أن نقيم الشكل التالي:




وبملاحظتنا لهذا الرسم نجد الخاصية السابقة نفسها وهي خاصية التضاد، فهنالك صراع محتدم بين الشمال والجنوب، ثم إن الجنوب يحمل في داخله صراعا هو الذي يمثله «ود الريس» و«حسنة بنت محمود» فـ «ود الريس» يمثل الماضي في جانبه السلبي وكيف يريد الهيمنة على الحاضر وتوجيهه الى درجة تحويله الى المفعول فيه. وحسنة بنت محمود تمثل الرفض «لود الريس» ولذلك كان لقاؤهما دمويا فقد قتلته ثم قتلت نفسها، مما يدل على أن الجيل الحالي يعاني القطيعة مع الماضي ومن جانب آخر هو يمثل كفة الصراع مع حضارة أخرى هي حضارة الشمال/ الغرب، وبالتالي يحق لنا أن نتساءل كيف لمن يعاني الصراع مع ذاته أن يصارع الآخر؟! هل الكفتان متوازنتان فعلا؟! ألا يجب أن نتخلص من صراعنا أولا لكي نصارع الآخر؟! ألا ينبغي لنا أن نجيب عن السؤال: من نحن؟ وماذا نريد؟ لكي نعرف الآخر ونصارعه بعد ذلك؟!.

إن الرؤية مضببة وآفاق الصيرورة غامضة، وذلك ما تلخصه غربة مصطفى سعيد - بطل الرواية - المضحكة المبكية وصرخته وهو يغرق بين ضفتين شرقية وغربية.

## « النجدة .. النجدة »

إن موسم الهجرة الى الشمال .. مؤسسة على ثنائيات ضدية كثيرة تبين خلفيات الصراع وأسبابه وتوجهاته، وتبين نظرة الغرب للشرق والشمال للجنوب، نفسيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا وعسكريا ويمكن أن نوضح ذلك كما يلي:

| المستوى | الغرب: | الشرق: |
|---|---|---|
| النفسي | سوي/ خال من مركبات النقص | معقد/ مليء بالمركبات |
| الاجتماعي | متحضر | همجي قذر |
| الاقتصادي | منتج | مستهلك |
| الثقافي | ذكي | غبي |
| العسكري | مستعمر | مستعمَر |
| السياسي | متبوع | تابع |
| الديني | متفتح ومتسامح | منغلق وغير متسامح |

فكل هذه الثنائيات هي في حقيقة أمرها علامات متشابكة بينها وبين بعض، وكل ثنائية تتألف من علامتين متضافرتين تساهمان مع بقية العلامات في البنية العامة للنص الروائي، ولذلك فالقارئ للرواية حتما سيأخذ في اعتباره هذه الثنائيات من أول الرواية الى نهايتها.

## ٢ ـ الإشارة:

هي نتاج عمل إنساني يهدف الى غاية معينة وموجهة، الغرض منها إقرار واقع خارجي وإبلاغه للآخرين(١٣) وهي وسيلة لنقل المعنى من ميدان التخاطب باللغة إلى ميدان التخاطب بالإشارة أو بالإيماء، أي التخاطب بالصمت، ويمكن أن تترجم الإيماءات وحركات اليد فكرة أو كلمة أو مفهوما أو حالة نفسية أو روحية مرة أو تترجم مجموعة معقدة من الأفكار مرة أخرى(١٤).

كما يستطيع الانسان التعبير بعينيه عن كثير جدا من المعاني، فللعين لغة متميزة شكلت معينا ثريا للأدباء والفنانين عبر العصور.

**فإذا أخذنا البيتين التاليين لعمر بن أبي ربيعة**

**- أشارت بطرف العين خيفة أهلها**
**إشارة مذعور ولم تتكلم**

**- فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا**
**وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم.**

* وأردنا أن ندرسهما من ناحية الإشارة فإننا نجد:

أ - وجود كلمة «**إشارة**» وهي وسيلة تبليغية غير لغوية.

ب - وجود قناة للتبليغ وهي طرف العين.

جـ - وجود طرفي التبليغ وهما:

١ - **المشير**/ المرسل ويتمثل في المحبوبة.

٢ - **المشار اليه**/ المتلقي ويتمثل في المحبوب.

د - وجود مقام التبليغ وهو الخوف والذعر ولذلك تم إرسال الإشارة بالعين حتى لا ينتبه الآخرون للخبر ويعرفونه، فالمقام يتطلب الستر.

هـ - وجود مواضعة بين المشير والمشار إليه ولذلك حصلت الفائدة وتحقق «محصول الحديث»(١٥) على رأي ابن جني.

وبلّغت الرسالة كما ينبغي لها وتم فهمها وذلك ما يؤكده البيت الثاني:

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا
واهلا وسهلا، بالحبيب المتيم

ويمكن أن نلخص ما قلنا في الرسم البياني في هذه الصفحة



٣ - الرمز والإيقون:

أ - الرمز: إن الرمز إشارة مصورة ترتبط بما تدل عليه من أفكار وحركات وأشياء أخرى يمكن أن يشار إليها (١٦) وهو يمتاز بإحداث وقع الصورة التي يتخذ رمزا لها(١٧).

ب - الإيقون:

يتميز الإيقون بميزات خاصة تمكنه من أن يكون علامة كالصورة والرسم البياني ويتجلى موضوعه بناء على علاقة التشابه بينه وبين ما يشير إليه.

كما أن الطريقة المباشرة التي من خلالها يمكن أن نعرف الآخرين بشيء ما هي أن نعرضه عليهم كما هو فيدركوه بمختلف حواسهم: البصر والشم والذوق واللمس والسمع، فإذا تعذر علينا ذلك فإننا نعرض عليهم صورة ذلك الشيء، أي ما يشبهه ويماثله وذلك ما يسمى إيقونا، فهو نتيجة لصنع الإنسان وتصميمه بناء على الشيء الأول.

وإذا أردنا أن نأخذ أمثلة عن الرمز والإيقون فلا بأس أن نأخذ قصة قصيرة لقاص جزائري واحد هو: جمال فوغالي وهي: الجرافة: الظل والعفونة.

فعن الرمز نجد الجرافة ترتبط بالظل والعفونة وهي نتيجة للرؤوس الحليقة المعطرة التي تسكن بياض المدينة، **فعلى الرغم من كون**

**الرؤوس حليقة ومعطرة وتسكن بياض المدينة إلا انها عفنة ولا تنشط إلا في الظلام**، فالظل يمثل رمزا وهو أن هؤلاء ينشطون في الأوقات الحرجة ولذلك تعفنوا، وحولوا الجرافة عن وجهتها الحقيقية من كونها وسيلة ورمزا للبناء والتعمير الى وسيلة أورمز للتهديم والتدمير..

ثم إن الرؤوس الحليقة المعطرة ترمز إلى تعفن الطبقة التي بيدها الحل والربط وهي التي سببت بلاءنا. **أما الإيقون فيتمثل في اللون والرائحة والصوت:** أما الرائحة فتتمثل في رائحة العفونة، وأما اللون فيتمثل في: الأبيض والأزرق والأحمر الذي يشكل حضورا كبيرا في القصة ويتعلق كثيرا أو يكاد ينحصر في الدم مما يجعل مساحة الأمل والسلام قليلة في القصة ويتمثل الصوت في «آه» الذي شكل حضورا هو الآخر ويستدعي الجرافة فيصير التركيب: **«آه.. يا الجرافة يالون الدم!!»** في المقطع الأول من القصة وكذلك في المقطع الثاني. أما في المقطع الثالث فإننا نجده كما يلي: «آه يامة الحنينة وينو صدرك إيدفيني» وهو في ذلك يرتكز على وصية الجدة الطاعنة في السن المطعونة في الرئتين بالسل «اللي تتلفت فيه اجريه هذا الزمن يا ولدي، رد «عفريت»».

إن «آه» يمثل إيقوناً أساسيا في القصة يدل على طبقته ويعبر عنها وهو صوتها المميز فلا تنطق إلا به في محنها وأوجاعها «آه» أنها الطبقة المسحوقة، طبقة المعوزين والمقهورين والفقراء في المجتمع، وبذلك يشكل «آه» تضادا مع طبقة الرؤوس الحليقة المعطرة التي تسكن بياض المدينة.

## خلاصة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نركز على جوانب تطبيقية فاخترنا نصوصا لذلك وهي منوعة من الرواية الى الشعر الى القصة القصيرة لنبين من خلالها كيف نبلغ نصا أدبيا بالاعتماد على المعطيات السيميائية الكامنة فيه.

فنرجو أن نكون قد وفقنا في ذلك بقدر الإمكان ومن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد.

---


*المراجع:*

*(١) بيير غيرو- علم الإشارة السيميولوجيا - ترجمة منذر عياشي، دار طلاس ط(١) ١٩٨٨، من مقدمة مازن الوعر ص ١٠، ١١.*

*(٢) محمد أضرضور - المقاربة التواصلية وديداكتيكية اللغات، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، ص٧٣، عدد ١١/١٩٩٠ - كلية التربية - الرباط - المغرب.*

*(٣) د/ محمد مفتاح - تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، ص١٢٠.*

*(٤) نقلا عن سعيد يقطين - تحليل الخطاب الروائي ص٤٤.*

*(٥) معجم اللسانيات لدبيوا وآخرين».*

*(٦) محمد أديوان - نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الافعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل العدد «١» جانفي ١٩٩٤ - معهد اللغة العربية وآدابها جامعة تلمسان ص٣٤.*

*(٧) تمكن العودة الى د/ عبد السلام المسدي اللسانيات وأسسها المعرفية - الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦، ص٣٢ وما بعدها.*

*(٨) إن العلامة التي نقصد هنا هي العلامة السيميائية.*

*(٩) تمكن العودة الى: احمد حساني - العلامة في التراث - مجلة تجليات الحداثة - عدد «٨» ١٩٩٣ - معهد اللغة والأدب العربي - جامعة وهران - ص٢٧.*

*(١٠) د/ عبد السلام - اللسانيات وأسسها المعرفية - ص٧٤.*

*(١١) هذه الفقرة مأخوذة من رواية الروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة «الجازية والدراويش» ص١٣٢.*

*(١٣) تمكن مراجعة د/محمد عبد العزيز الحبابي - تأملات في اللغو واللغة ص٦٥. الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس ١٩٨٠.*

*(١٤) راجع* **R.Lafon Vocobuloice de psus Hopedagouix P.202/203**

*(١٥) ابن جني - الخصائص الجزء(١)، ص١١٠ - تحقيق محمد علي النجار.*

*(١٦) راجع محمد عبد العزيز - تأملات في اللغو واللغة، ص٦٠.*

*(١٧) د/ عبد السلام المسدي - اللسانيات وأسسها المعرفية ص٦٤.*

# الى قوم ايرما



**عقيل بن ناجي المسكين**
سيهات ـ السعودية

وانْتَ لأصـداك أقـوا
م يرتقـون المعـالي
لم تنأ عن كـشف أسـبا
ر في أتُون الخـيـال
في أبحـر ٠٠ في صحـار
في عـمقـهـا والتـلال
حـاكت من الحلم جـسـراً
فـوق الغـيـوم العـوالي
شـادت من الصلد صـرحـاً
بالشـاهقـات الأعـالي
أعـلامـهـم رفـرفـت في
أنحـائـهـا والجـبـال
لـكـنـهـم فـي دُنَاهـم
لم يقلعـوا عن ضـلال
والـوا عَدُوّاً وحـامـوا
في دائرات الخـبـال
أشـرارهـم لا تجـاري
كـالضـاريات الجـوال
إحـكامـهـم بـارز في
غـصـب ٠٠ ونهب لمال
غُرْبٌ عن الدين جـهـراً
أحـلامـهـم للزوال
نـأوا عـنـاداً وصـداً
عن هـولـكـم بـارتـذال
غـاروا عـليكم دمـاراً
بالعـاديات العـجـال
أطـمـاعـهـم حكم أرض
بالسـابقـات الوغـال
تعـدوا على الشـعب حـقـداً
لم يأبهـوا بالقـتـال
أحـمـوا سـيـوفـاً صـقـالا
أغمـادهـا في الشـمـال
مـا همَّهم حـرق طـفـل
حـقـدا بشـر عـضـال
مـا همَّهم سـحق جـمـع
قـد أوثقـوا بالحـبـال
أوهتك عـرض بحـشـد
من كـاسـرات فـحـال
صـاحت بندب صـغـار
قـد يتـمـوا بانثكال
يا قـاطني كل أرض
فلتنظروا ضعف حالي
باسم الصـليب حـراب
سـالت دماً بانسـجـال
قـد بان عنهم مـسـيح
بون الورى عن كمال(١)
هل قـال هيـا لسلب؟
فالسلب خير الفعال!!
أم قـال هيـا لسلم؟
فـالسلم أغلى المنال

---

*(*) ايرما ـ هى طفلة بوسنية من ضمن الاطفال اللواتي تبرع لهن خادم الحرمين الشريفين بعلاجهن في أرقى مستشفيات العالم ـ أدام الله بره ـ*

*(١) بان ـ ابتعد ـ بون ، بونا ـ ابتعاد، ابتعاداً .*

د. ثريا العريض

# الأنا والآخرون

حقيقة واحدة .. يعرفها المتوحشون في ادغال الأمازون، والارستقراطيون في قصور اوروبا، واللاهثون وراء قوت يومهم في افريقيا، والفنانون، والمبدعون، والفلاسفة.. وحتى المجرمون في السجون حقيقة تملأ الانسان منذ بداية وجوده كحضارة انسانية مستمرة الى ما شاء الله..

حقيقة اعطت الانسان أجمل رؤاه نغما وصورا وأدبا..

حقيقة .. إسمها الحب.

وليس الحب ذلك التجاذب المؤقت بين رجل وإمرأة..

بل تلك القوة الهائلة التي تدفع الانسان لكي يلتحم بمحيطه فيصبح جزءا منه.

كم حاول الانسان ان يضع تعريفا لتلك القوة.. وكم جاءت تعريفاته ناقصة.

يراها البعض ذلك الإنجذاب لمواصفات خلقية زائلة.. الإعجاب الذي يسحرنا فيه ألق الشباب.. أو وسامة القسمات.

ويراها البعض الرغبة العنيفة في إمتلاك أو إستعباد فرد آخر أو آخرين يسخّرهم لتحقيق رغباته وأحلامه.. وأوهامه.

ويراها البعض رغبة أعنف فى الخضوع لأولئك الآخرين وإرضائهم..

ترتبط عند البعض بالموجودات المادية.. الأرض .. والحقول .. والبيوت .. وكل ما يسميه الانسان .. وطناً.

وترتبط عند غيرهم بالمشاعر اللامادية.. بالأحلام والابداع وكل ما يسميه الانسان فناً..

وترتبط بالرغبة في الكمال .. والتميز فنسميها طموحا، تتناهى عند البعض حتى يرى نفسه في كل الآخرين لا يميزها عنهم بل هو على استعداد للتفاني بهم الى درجة الفناء.. عندئذ نسميها تضحية، وتتلاشى عند البعض الى درجة انه لا يرى غيره في الوجود فنعرفها فيه أنانية وحقدا وكراهية.

وبين منتهى الحب ومنتهى الحقد يتأرجح الإنسان.

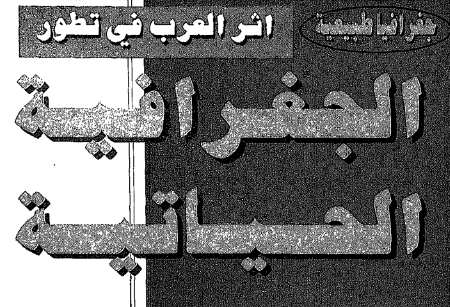
كلما ابتعد في ارتباطه بهذا الوجود عن بؤرة نفسه سمت تلك العاطفة فيه.. حتى تصبح حبا خالصا وشعورا مطلقا بالحرية.. وكلما التصق باحتياجاته هو جسدا ونفسا.. عاد متقلصا الى تطرف الحسد والحقد والكراهية فكبلته اغلالها الى رغام الارض. ولكن هذا الانسان الذكي .. بكل ما ميزه الله به من عقل يفهم وإدراك ووعي.. لا يتقبل من نفسه ان يكون منكفئا على ذاته.. حتى حين يكون فعلا منكفئا على ذاته. هو يعرف ان الآخرين يرفضونه كلما أحب نفسه حباً يلغي به الآخرين من وجوده.. وفي رفضهم له تهديد لبقائه.. ذلك البقاء الذي يزداد اهمية كلما ازداد الفرد انانية. ولذلك يبرر لنفسه كل مشاعره.. بما يتقبله هو ويتقبله الآخرون. يعطي لنفسه من الصلاحيات ما يبقيه راضيا عنها ويجعل كل افعاله مقبولة.. كل احكامه على الآخرين عادلة وصائبة.. بل يستمد من الآخرين قدرته على اخضاعهم لأحكامه مهما كانت جائرة.. وغير منطقية ومنافية للطبيعة الإنسانية.

وهو ينسب كل السطوة التي يمارسها في تحطيم غيره الى المجتمع وأعرافه.. لتكون الى جانبه حين يحاول اثبات تميزه على الآخرين.. دون أن تتضح معالم تهجمه الفردي على الآخرين.

ذلك الإنسان المحب لنفسه يلبس أقنعة المثالية..! وحين يرغب في اثبات تميزه يضع رغباته في صورة المثاليات التي عشقها الإنسان منذ الأزل.. يتكلم من منطلق .. العلم .. الفن .. الإنسانية.. التضحية.. الإبداع .. الحرية .. الدين .. الإصلاح .. المجتمع .. الوجود..

هكذا يستطيع ان يطالب الآخرين بالاعتراف بتميزه عليهم.. وأن يمارس غضبه وحقده ورغبته في تحقيرهم .. في صورة مسموح بها للتعبير عن تلك المثاليات.

إنما .. يسقط ذلك الانسان الذكي في الإمتحان.. حين ينسى أن هناك آخرين يتمتعون بالذكاء في الطرف الآخر.. أولئك الذين ينطلقون من مبدأ الحب المطلق.. وليس الأنانية الفردية.. أولئك القادرون بحسهم المتكامل من التمييز بين من يطلب الوصول الى المثاليات للجميع.. وبين من يطلب التميز لنفسه فقط.



جغرافيا طبيعية

# اثر العرب في تطور الجغرافية الحياتية

يحتل الفكر الجغرافي العربي مكانة متميزة في التراث الحضارى لامتنا العربية والاسلامية، فمن خلاله امكن الوصول الى الكثير من المفاهيم والنظريات الجغرافية التي اكتشفها العرب ولم يعتمد العرب في دراساتهم الجغرافية على الافكار النظرية فحسب بل انهم تجاوزوها الى الدراسات الميدانية التجريبية، وكانت تلك الاسهامات من الأسس المهمة لكثير من الافكار والنظريات الجغرافية الحديثة، وتهدف هذه الدراسة الى استعراض جانب مهم من مساهمة العرب في تطور واحد من فروع الجغرافية الحديثة الا وهو الجغرافية الحياتية.



## ما هي الجغرافية الحياتية؟

بقلم:
أ.د. يوسف يحيى طعماس
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

الجغرافية الحياتية في الواقع هي فرع من فروع الجغرافية الطبيعية حيث تهتم بدراسة التوزيع المكاني والزماني للكائنات الحية ومحاولة معرفة وتحليل اسباب التوزيع وربطها بالعوامل البيئية(١)، وهذا يتطلب بالضرورة الالمام بالعديد من المعارف العلمية منها الجيولوجيا والمناخ والتربة والتضاريس وذلك حتى يمكن التعرف على المظاهر الحياتية كظاهرة جغرافية(٢) وذهب البعض الى تعريف الجغرافيا الحياتية بانها ليست فقط مجرد دراسة توزيع النبات والحيوان على سطح الأرض وانما ايضا اثر هذا التوزيع على الانسان بل ودراسة العلاقة الحيوية بين الانسان وبين كل ما يحيط به من مظاهر الطبيعة الحية وغير الحية في بيئته وعليه فإن الجغرافية الحيوية ينبغي ان تتضمن دراسة الانسان شأنه في ذلك شأن الكائنات الحية الأخرى من حيث خضوعه لقوانين علم الاحياء(٣).

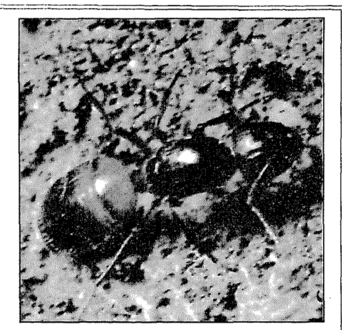
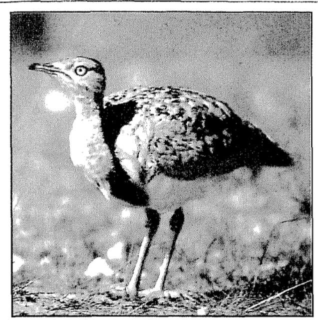
ذلك انه اذا كان صميم موضوع الجغرافيا هو الانسان بازاء الكائنات الأخرى او الكائنات العضوية بازاء الجماد فحقائق توزيع النبات والحيوان ووجود مجتمعات حقيقية من كل من النبات والحيوان هي في حد ذاتها حقائق جغرافية من حيث انها تعين على ابراز الفروقات في سطح الأرض وتكون عوامل هامة في البيئة البشرية(٤).

وتتكون الجغرافيا الحياتية من فرعين هما جغرافية النبات: **Phytogeography** وجغرافية الحيوان **Zoo-geography** وتهتم جغرافية النبات بدراسة العوامل البيئية المسؤولة عن توزيع النباتات على سطح الكرة الأرضية ومحاولة معرفة الاسباب المسؤولة عن ظاهرة التباين والتشابه في ذلك التوزيع كما تهتم بدراسة تصنيف النباتات وتطورها، اما جغرافية الحيوان فتهتم بتحليل للعوامل البيئية المسؤولة عن توزيع الحياة الحيوانية ضمن الغلاف الحيوى وتصنيف الحياة الحيوانية وبما يرتبط بخصائص البيئة، وتاريخيا فان جغرافية النبات قد تطورت بشكل مبكر مقارنة بجغرافية الحيوان وذلك يرجع الى جملة اسباب منها صفة النبات التي تمتاز بها النباتات مما جعل من السهولة حصرها وتصنيفها وملاحظة التأثيرات البيئية عليها هذا اضافة الى ان النبات يعتبر عنصرا اساسيا مهما ضمن النظام البيئى باعتباره مصدرا لغذاء الكائنات الحية على سطح الكرة الارضية، كما وان قلة عدد الانواع النباتية مقارنة بعدد الانواع الحيوانية يعتبر سببا مهما آخر.

ومن حيث التطور المعرفي تشير كتب الفكر الجغرافي إلى ان هذا النوع من فروع الجغرافية لم يبدأ الاهتمام به الا منذ نهاية القرن التاسع عشر وكان من أوائل من ساهموا في وضع الأسس العلمية لهذا الفرع العالمان الالمانيان الكسندر فون همبولت وكارل رنز، وقد زاد الاهتمام بهذا النوع في القرن العشرين وزادت الدراسات فيه وذلك استجابة للمشاكل البيئية المتزايدة.

## أهمية الجغرافية الحياتية:

زاد الاهتمام بالجغرافية الحياتية كنتيجة من نتائج زيادة المشكلات البيئية التي اخذت تعاني منها بيئة الحياة على سطح الكرة الارضية وهي نتيجة من نتائج التفوق العلمي والتكنولوجي والتي حولت الانسان في الكثير من الحالات الى عامل مخرب ومدمر للغلاف الحيوى، فمشكلة تدهور النظم البيئية وتأثيرها على الانتاج الزراعي ومخاطر التلوث والتصحر والفيضانات وتعرية التربة والنمو الحضرى والانفجار السكاني وانقراض العديد من الحيوانات وارتفاع نسبة بعض الغازات في الجو وتأثير ذلك على حرارة

سطح الارض ومشكلة طبقة الاوزون واستنزاف الموارد الطبيعية واستخدام المبيدات وتأثيراتها البيئية كلها امثلة على المشاكل التي اخذت تعاني منها البيئة، والجغرافية الحياتية تهتم بدراسة ابعاد تلك المشكلات وعلاقتها بالمحيط الحيوى ودور ذلك في مجال التخطيط البيئي السليم، هذا اضافة الى اهمية الجغرافية الحياتية بعملية التنبوء بطبيعة المشاكل البيئية مستقبلا وفي الكشف عن الخصائص الحيوية للاحياء النباتية والحيوانية وتقييم القيمة الغذائية لها بالنسبة للانسان وبما يمكن ان يساهم في حل مشكلة الغذاء، هذا اضافة الى ان الجغرافية الحياتية تهتم بتنمية الوعي باهمية الغلاف الحيوى وضرورة المحافظة عليه وذلك لما يقدمه للبشرية من منافع عديدة ومتنوعة ضرورية للحياة واستمراريتها، وليس من شك في ان خلق هذا الوعي يعتبر خطوة مهمة للاستخدام العقلاني للموارد البيئية وبالشكل الذى يعمل على صيانتها.

## اسهامات العرب في الجغرافية الحياتية:

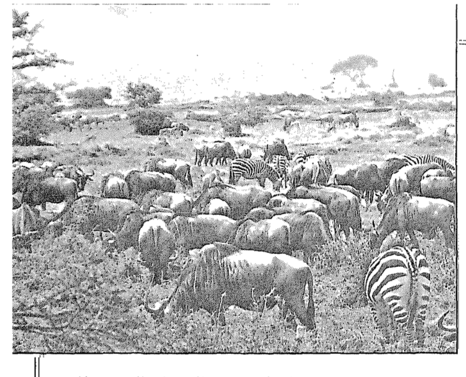
سنستعرض بعضاً من مساهمات العرب في تطور هذا الفرع وعلى اساس استعراض مساهمتهم في كل من جغرافية النبات وجغرافية الحيوان كلا على حدة وبالشكل التالي:

### ١ ـ جغرافية الحيوان:

عالج العرب في كتاباتهم العديد من الحقائق المتعلقة بأصل الحياة ونشأتها على سطح الكرة الارضية واسس تصنيف الحيوانات وتميزها على اساس النوع والخصائص الشكلية ودراسة التوزيع الجغرافي للحيوانات ومقارنتها ضمن النظام البيئي:

### أ ـ اصل الحياة ونشأتها:

تعتبر دراسة اصل الحياة ونشأتها على سطح الكرة الارضية من القضايا التي شغلت اهتمام المفكرين والعلماء ومنذ زمن طويل، ورغم اختلاف النظريات الا ان جميعها تقريبا متفقة على بعض الحقائق العامة منها ان الحياة بدأت اولا في الماء وانها تطورت ضمن سلسلة التطور من شكلها البدائي البسيط الى شكلها الحالي، وقد جاء في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء «وجعلنا من الماء كل شيء حي»، ومن العلماء الذين صاغوا تلك المقولة الفرنسي لامارك (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩) حيث ذكر ان منبع الحياة لابد ان يكون في البحر وليس على اليابسة ولابد ان تكون اولى الكائنات الحية قد نشأت في الماء او في الاماكن الرطبة(٥)، وقد توصل لامارك الى ذلك اعتمادا على دراساته



الميكروسكوبية الطويلة لانواع كثيرة جدا من الاحياء الدقيقة.

ودراسة الفكر الجغرافي توضح لنا ان اخوان الصفا قد توصلوا الى ذلك المفهوم قبل عدة قرون ومنها قولهم: «اعلم ان الحيوانات الناقصة الخلقة متقدمة الوجود على التامة الخلقة بالزمان في بدء الخلق وذلك انها تتكون في زمان قصير والتي هي تامة الخلقة تتكون في زمان طويل، وان حيوان الماء وجوده قبل وجود حيوان البر بزمان(٦)، كما انهم توصلوا الى نظرية مهمة اخرى لم تصغ علميا في الغرب الا في القرن العشرين وهي مقولتهم عن اصل الحياة من الطين» ان الحيوانات، كان بدء كونها من الطين اولا، وان الحيوانات كلها متقدمة الوجود على الانسان بالزمان(٧).

وفي كتاب الله العزيز ما يوضح ذلك وفي آيات عديدة ومنها ما جاء في سورة السجدة وفي الآية ٧ ـ ٨ ***(الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين)***.

وقد صاغ العالم برنال في القرن العشرين نظريته عن نشأة الحياة من الطين حيث افترض هذا العالم لعملية تخلق الحياة من المادة غير العضوية مرورها في سبع مراحل تتواءم كل مرحلة منها مع الظروف الطبيعية والكيميائية السائدة في البيئة وهذه المراحل هي:

ـ المرحلة العضوية الاولى وفيها تكونت الجزئيات العضوية البسيطة مثل الاحماض الامينية والسكريات من جزئيات غير عضوية كالماء وثاني اوكسيد الكاربون والنشادر الموجود في الغلاف المائي والجوى القديمين للارض.

ـ مرحلة تركيز بعض الجزئيات العضوية المعقدة والتي سماها تحت الحيوية عن طريق عملية الامتصاص السطحي على حبيبات الطين في البرك والمستنقعات الساحلية، ان تلك الجزئيات تمتص على السطح الطيني وتتركز اكثر فاكثر، ذلك ان حبوب الطمى لها سطوح نشطة تساعد على امتصاص المواد وبالتالي احداث التفاعلات الكيميائية وتساهم التيارات البحرية والامواج وعوامل التعرية على الشاطئ في تقلب حبيبات الطمى التي امتصت فوقها الجزئيات العضوية ويؤدي ذلك الى تعرضها للحرارة ولضوء الشمس وما يحتويه من اشعاعات ويؤدي ذلك إلى تنشيط التفاعلات الكيميائية.

ـ مرحلة تراكم الجزئيات العضوية السابقة واتحادها لطريق البلمرة.

ـ مرحلة ظهور الجسيمات الحية الاولية العارية التي ليس لها جدار مثل جسيمات الفيروس المعروفة.

ـ مرحلة تكوين غشاء دهني بسيط.

ـ مرحلة تكوين جدار للخلية الحية.

ـ مرحلة تكوين نواة للخلية الحية وظهور الحيوانات الاولى الدنيا.

الافكار السابقة هي افكار صاغها برنال في

ضوء تطور اساليب البحث العلمي بعد الثورة الصناعية لكن تظل الفكرة الرئيسية في نظرية متمثلة بتشكيل بوادر الحياة العضوية الاولى في الطين وتلك حقيقة اشار لها اخوان الصفا قبل عدة قرون.

**ب - تصنيف الحيوانات على اساس النوع والخصائص البيئية:**

يعرف النوع بانه مجموعة من الافراد ذات اصول مشتركة وصفات مشتركة تعيش في مكان واحد عادة ومعزولة جنسيا عن الانواع الاخرى وتتزاوج فيما بينها لتنجب ذرية لها نفس صفاتها وقابلة بدورها للتزاوج والانجاب. وتاريخ علم الحيوان يرجع الفضل في وضع اسس تصنيف المملكة النباتية والحيوانية الى العالم السويدي لينيوس حيث قسم المملكة الحيوانية الى مراتب وعوائل واجناس وانواع وعليه فان النوع ضمن هذا السياق هو اصغر وحدة تصنيفية. وقد ادرك العلماء العرب بعضا من حقائق النوع الاساسية وهي صفة التزاوج وفي هذا يقول المسعودي في وصفه للزرافة واكثر ما تكون الدابة المعروفة في ارضهم وان كانت عامة الوجود في ارض النوبة دون سائر بلاد الاحباش، وقد تتوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة، فمنهم من رأى ان بدء نتاجها من الابل ومنهم من رأى ان ذلك كان يجمع بين الابل والنمورة، وان الزرافة ظهرت من ذلك، ومنهم من زعم انه من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وان ليس سبيلها كسبيل البغال المولدة من النتاج بين الخيل والحمير(٨).

ويطابق ذلك القول ما قاله الدميرى عن الزرافة حيث قال: «وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير، ومما يحقق ذلك انه يلد مثله، وقد شوهد ذلك وتحقق»(٩).

كما ساهم العرب في وضع اسس التصنيف البيئي للحيوانات ومن ذلك ما ذكره اخوان الصفا: «والحيوان اربع اقسام فمنها سكان الهواء وهي انواع الطيور اكثرها والحشرات جميعها. ومنها سكان الماء وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والسرطان والضفادع والصدف ونحو ذلك. ومنها سكان البر وهي البهائم والانعام والسباع. ومنها سكان التراب وهي الهوام»(١٠).

كما ادرك القزويني اختلاف الحيوانات باختلاف البيئات حيث اشار الى: «وقال بعض المفسرين: من اراد ان يعرف معنى قوله تعالى **«ويخلق مالاتعلمون»** فليوقد نارا في وسط غيضه بالليل لينظر ما يغشى تلك النار من انواع الحيوان، فانه يرى صوراً عجيبة واشكالا غريبة لم يكن يظن وجودها.. على ان الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحاري، فان سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها»(١١).

كما ان الجاحظ قد صنف الحيوانات ايضا الى اربعة اقسام حيث قال «والحيوان على اربعة اقسام شيء يمشي وشيء يطير وشيء يسبح وشيء ينساح»(١٢).

**ج - النظام البيئي Ecosystem:**

يعرف النظام البيئي بانه عبارة عن شبكة معقدة تتكون من كائنات حية من البيئة التي تقطنها تلك الكائنات وكذلك من التفاعلات المتبادلة التي يمكن ان تنشأ في هذا التكوين المعقد، وعليه فان النظام البيئي هو نظام دينامي بيولوجي كيميائي تعتمد عناصره على بعضها(١٣).

ويتكون النظام البيئي من اربعة عناصر هي:

١ - عناصر جامدة غير حية وتسمى بالثوابت وتشتمل على المعادن والغازات المكونة للغلاف الغازى وهي اساسية للنظام البيئي.

٢ - عناصر صانعة للغذاء وتتمثل بالنباتات التي تقوم بصنع المادة الخضراء بعملية التمثيل



الضـوئي وذلك بالاعـتـمـاد على العناصر الجامدة.

٣ ـ العناصر المستهلكة للغذاء وهي ثلاثة انواع:

ـ مسـتـهلكون اوائل وتتـمـثل بالحـيـوانات التي تتـغـذى على النباتات.

ـ مسـتـهلكون ثانويون وهي الحـيـوانات التي تتـغـذى على الحيوانات.

ـ متنوعة وهي الكائنات المتنوعة الغذاء.

٤ ـ المحللات والمفسخات وهي كـائنات صـغيرة الحـجم تقـوم بتحليل بقـايا النباتات والحـيوانات لتحولها مرة اخرى الى عناصر غير حية وعليه فان الفطريات والبكتـريا تعـتبر اسـاسـية في النظام البيئى لانها تقوم بدور المنظف للبيئة من الملوثات وتحقق التوازن البيئى. وقد ادرك العرب ذلك الدور الذي تقـوم به الفطريات والبكتـريا ومنهـا مـا قـاله القزويني «ومن الناس من يقول اى فـائدة من هذه الهوام مع كثرة ضررها؟ والذي يحقق ذلك انا نرى الذباب والديدان والخنافس في دكـان القـصـاب والدباس اكثر مما يرى في دكان البزار والحداد، فاقـتضت الحكمـة الالهية صـرف العفونات اليـها ليصـفو الهواء منها وتسلم من الوباء(١٤)، ويشير اخوان الصـفا الى العنصـر الثـاني ضمن النظام البيئي واهميته «ان النبات متـقدم الكون والوجود على الحيوان بالزمـان لانه مـادة لهـا كلهـا وهيـولى لصورها وغذاء لاجسادها وهو كالوالدة للحيوان، اعني النبـــات، وذلـك انه يمتص رطـوبـات الماء ولطـائف اجـزاء الارض بعـروقـه الى اصـوله ثم يحيلها الى ذاته ويجعل من فضـائل تلك المواد ورقا وثمارا او حبوبا نضجا»(١٥).

ويشـيـر الدمـيـرى الى العنصـر الثـالث من العناصر المكونة للنظام البيـئي ومما يذكره «ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور فتأكله، والعصفور يصيد الجراد فيأكله»(١٦).

## ٢ ـ جغرافية النبات:

### أ ـ أصل النبات:

ترجع اهتمامات العرب بالنباتات الى قيمتها الطبية خاصـة بالنسبة لعديد من الاعشاب كما ان العرب قد اهتموا بدراسة اصل النباتات واسباب التـبـاين فيـهـا ووصـفـوا شكل النبـات من حـيث الاوراق والجـذور والثـمـار والفـروع ومميـزاتهـا وتوزيعـهـا الجـغـرافي وقد اضـاف (سـيـديو) بان العرب اضـافوا مـواد نباتية كثيرة كـان يجهلها اليـونان جـهـلا تامـا وانهم ادخلوا الكثـيـر من الاعشاب والنباتات الطبية في صناعة الادوية التي عن طريقهم وصلت الى الاوربيين(١٧).

كما اغنى العرب التراث الزراعي حيث قاموا بتجارب جديدة في الزراعة لتطويرها كما يتضح من كـتب الفـلاحـة. فـعنوا بدراسـة انواع التـربة ومـلاحظة خـصـائصـهـا وصـلاح كل صنف منهـا لمزروعـات مـعـينة، والتـفـتوا الى العناية بهـا من تنظيف وتسميد، كما اهتموا بمكافحة الحشرات

والآفات وقد ميزوا بين الارض البعل والمروية، ووجهوا عناية كبيرة الى الرى بالاكثار من السواقى في بعض المناطق، وباستخدام الآلات الرافعة مثل الناعورة والدولاب(١٨)، كما انهم اعتمدوا على التجارب الكثيرة التي قام بها العرب، فقد استطاعوا الحصول على انواع متطورة ومتعددة من النباتات والاشجار، وان يتوصلوا الى الحصول على نباتات جديدة لم تكن معروفة وخاصة في مجال نباتات الزينة، كما انهم اتبعوا المنهج العلمي التجريبي والتطبيقات العملية في دراستهم للنباتات ووصفها في اطوارها المختلفة معتمدين في ذلك دقة الملاحظة واستمرار التتبع(١٩).

وقد توصل العرب الى حقيقة ان النبات قد سبق وجوده على سطح الارض ظهور الحيوان وذكروا ان لكل نوع من النبات اصلا فما اصله لكيموس ما وليكموسة مزاج مالايتكون من ذلك المزاج الا ذلك الكيموس، ولا يتكون من ذلك الكيموس الا ذلك النوع من النبات. وهذا يحدث عندما تصل الاجزاء الدقيقة في التربة الى النبات فيتأثر النبات بفعل التركيبة الخاصة التي اسماها العرب روح النبات والتى وهبها الله سبع قوى هي الجاذبية والاحتفاظ والهضم والدفع والتغذية والبناء والامتداد وتقوم هذه القوى بسحب خلاصة العناصر الاربعة في صورة تناسب حاجة كل نوع من انواع النبات.

كما انهم ميزوا عائلتين من النبات الاول الشجر وهو كل نبت منتصب الجذع مرتفع في الهواء والثانية هي النباتات غير الجذعية وهي التي تمتد على وجه الارض او التي تتسلق الاشجار فترتفع مع جذوعها اعلى مثل الكروم والقرع والقثاء والبطيخ(٢٠).

## ب ـ التوزيع الجغرافي للنباتات واسس تصنيفها:

تتعدد طرق وتصنيف المملكة النباتية وتؤكد الدراسات الجغرافية على اهمية العناصر البيئية في التصنيف ذلك ان النبات هو انعكاس لظروف البيئة فالغابات تختلف في خصائص بنيتها عن مناطق الحشائش وهذه تختلف عن النباتات في البيئة الصحراوية ومن ذلك ما ذكره اخوان الصفا:

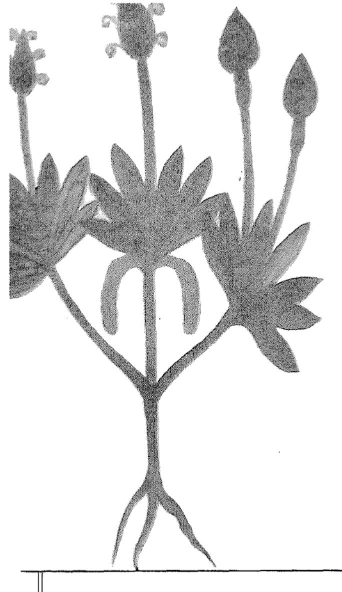
«واعلم بان النبات ما ينبت في البرارى والقفار ومنه ما ينبت على رؤوس الجبل ومنه على شطوط الانهار وسواحل البحار ومنه ما ينبت في الأجسام والفياض.. واكثر النبات ينبت على سطح الارض الا القليل منه فانه ينبت تحت الماء.. وان من النبات ما ينبت على وجه الماء كالطحلب ومنه ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن»(٢١).

كما ادرك العرب تأثير الظروف المناخية على التنوع النباتي ومنها قولهم «ومن النبات مالا ينبت الا في البلدان الدفيئة.. واعلم ان اكثر العشب والكلأ والحشائش ينبت في ايام الربيع عند اعتدال الزمان وطيب الهواء ولكثرة الامطار المتقدمة في الشتاء، واما الذي منها في الفصول الثلاثة فهي قليلة. فمنها ما يزرعها الناس ويتعهدونها بالسقي كالحنطة والشعير والباقلاء والعدس وغيرها مما يزرع في الخريف ويحصد في الربيع، ومنها ما يزرع في الخريف ويستحكم في الشتاء كالجزر والشلغم والكرنب والقرنابيط، ومنها ما يزرع في الصيف ويحصد في الخريف كالسمسم والذرة والارز وغيرها ومنها ما يزرع في الربيع ويستحكم في الخريف كالقطن والقنب وغيرها(٢٢).

## الخلاصة:

ساهم العرب في وضع العديد من الأسس العلمية للجغرافية الحياتية، فقد درسوا الحياة النباتية والحيوانية باسلوب نقدى متميز ولاحظوا

الاختلافات المكانية ودور عامل الزمن في التطور النباتي والحيواني وبالتالي في التنوع النباتي والحيواني، كما انهم ساهموا في تصنيف الانواع النباتية والحيوانية ودراسة توزيعها الجغرافي واهتموا بتفحص العوامل المسؤولة عن التوزيع مؤكدين على اهمية العوامل البيئية المثلة بالمناخ والتربة، معتمدين في ابحاثهم ودراساتهم على المنهج العلمي القائم على اساس الملاحظة الدقيقة والتجربة مع الاستفادة من تجارب الآخرين وتعدد اسهاماتهم في دراسة النباتات والحيوانات ركيزة اساسية لتطور المعرفة العلمية في اوربا.



*الهوامش:*

(١) *بريج كوبال، مبادىء علم البيئة، ترجمة د. ريزان محمد صالح وبشير علي، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٠، ص٢١٥.*

٢ - Barry Cox and Ian N. Healey and peter D. Moore, Biogeogreaphy, 1971, PP 1.2.

٣ - *د. زين الدين عبد المقصود، اسس الجغرافية الحيوية، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص١٨.*

٤ - *س.و. ولدرج وجوردن ايست، الجغرافيا مغزاها ومرماها، ترجمة د. يوسف ابو الحجاج، القاهرة بدون تاريخ ص٧٠.*

٥ - *د. انور عبد العليم، قصة الحياة ونشأتها على الارض، المكتبة الثقافية، القاهرة ١٩٦٤، ص١٣ - ١٤.*

٦ - *رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، عني بتصحيحه خير الدين الزركلي، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٨، الجزء الثاني، ص١٥٤.*

٧ - *نفس المصدر، ص١٥٥.*

٨ - *المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨، الجزء الثاني، ص٤ - ٥.*

٩ - *كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، القاهرة ١٣٦٧هـ، الجزء الثاني، ص٧.*

١٠ - *رسائل اخوان الصفا، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ١٦٧ - ١٦٨.*

١١ - *عزيز العلي العزي حقائق معاصرة عن علوم الحياة عند العرب، بحوث الندوة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، الجزء الثاني، شباط ١٩٨٩، ص١٠.*

١٢ - *د. عناد غزوان ود. جلال خياط ود. علي عباس، مختارات من اثار الجاحظ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص١٤.*

١٣ - *مكتب اليونسكو الاقليمي في الدول العربية، كتاب مرجعي في التربية السكانية، الجزء الخامس، السكان والبيئة في الوطن العربي، عمان ١٩٩٠، ص١٢.*

١٤ - *زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الافاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨، ص٤٦٦.*

١٥ - *رسائل اخوان الصفا، المصدر نفسه، ص١٥٤.*

١٦ - *الدميري، المصدر نفسه، ص١٧٦.*

١٧ - *سيديو، ل.أ. تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٦٩، ص٣٨٢.*

١٨ - *احمد بن محمد بن حجاج الاشبيلي، تحقيق صلاح جرار وجابر ابو صفية، مجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٨٢، ص/ت.*

١٩ - *د. عبد الله العمري، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٩٠، ص١٨٧.*

٢٠ - *ص.م ضياء الدين علوي/ الجغرافيا العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلادين تعريب وتحقيق د. عبد الله يوسف الغنيم، ود. طه محمد جاد، الكويت ١٩٨٠، ص١٣٣ - ١٣٤.*

٢١ - *رسائل اخوان الصفا، المصدر نفسه ص١٣٧.*

٢٢ - *نفس المصدر، ص١٣٨.*

تراث:

# منهج السيوطى التاريخي في
# كتاب الشماريخ في علم التاريخ

د. إسماعيل نوري الربيعي
كلية الآداب - قسم التاريخ - الاردن -

في رسالة موجزة سريعة، ينبعث منها حس التنافس، يقدم المؤرخ السيوطي(١) على وضع آراء مختصرة حول أهمية التاريخ وفائدته، ويبدو أن المصنَّف الذي وضعه لم يكن من أجل القراء والمتعلمين، بقدر ما كان إجابة موجهة الي المؤرخ السخاوي نده ومعاصره، الذي وضع مصنف الاعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ ورائحة التنافس يمكن أن نشمها من عدة نصوص وضعها مؤرخنا، يلمز فيها الى السخاوي، كما في «وبعد فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ، فلم أر فيه قليلا ولا كثيرا، ولا جليلا يستفاد ولا حقيرا، فوضعت في هذا الكتاب من فوائده ما تقر به الأعين وتتحلى به الألسن»(٢)، وإذا ما كان السخاوي قد اعتمد لقولة سفيان الثوري «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»(٣)، دون إسناد، فان السيوطي، يدرجها بإسناد تصل روايته لخمسة رجال مضيفاً اليها مقولتين لحفص بن غياث إذ يقول «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين ولحماد بن زيد «لم نستعن على الكاذبين بمثل التاريخ»(٤). أو كأنه يشير الى النقص الذي كان في كتاب السخاوي آنف الذكر، حين ينهي كتابه قائلا: «وانما سقنا هذه الفوائد هنا لأنها مهمة ولا يليق بالكاتب والمؤرخ جهلها، وبالله التوفيق»(٥).

ينبثق وعي السيوطي التاريخي، من البناء المعرفي الديني، شكلا ومضموناً، فهو يسند الأخبار والروايات بشكل مبالغ فيه، حتى لكأنه في حلقة درس، وليس بصدد إعداد موضوع تاريخي، حتى ان الأسناد وتعدد الروايات، تكون عبئاً عليه ليظهر بعض الاختلاط في موضوع «مبدأ التاريخ» على سبيل المثال، الا أن الدلالات الفكرية، تبقى قائمة في الطروحات التي يقدمها. فبدء التاريخ في المنهج المعرفي الاسلامي مرتبط بمفاهيم، الهبوط، الهلاك، التقسيم، التوزيع(٦)، الثواب والعقاب، إضافة الى إفراد أهمية الرسل في تحديد العصور والفترات التاريخية، لارتباطها بالمضمون العقيدي الديني، فكان طبيعيا إزاء مثل هذا الإدراك أن يكون التأريخ منذ هبوط آدم الى طوفان نوح، ومن الطوفان حتى نار إبراهيم، ومن نار ابراهيم الى مبعث يوسف، ومن يوسف الى موسى، ومن موسى الى ملك سليمان، ومن سليمان الى مبعث عيسى بن مريم، ومن مبعث عيسى الى مبعث سيد الكائنات محمد بن عبد الله (ﷺ)، ويشير مؤرخنا الى أقوام أرخت للظواهر الأعم التي شملت حياتها فبنو إسحاق أرخوا بظهور الانبياء والرسالات، وبنو إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم الى بناء البيت، واليهود بمبعث موسى، وقريش بالاعوام، والعرب

بالأيام، والنصارى بعهد الاسكندر ذي القرنين، والفرس بملوكهم(٧)· وحين يعمد الى دراسة بداية التاريخ الهجري، فأنه يكون اكثر جدية، فهو لا يكتفي بأطالة سلسلة الرواة أو تنويع الروايات، بقدر ما يكشف عن حس نقدي عال مدرب، وكفاءة تنوعت مشاربها وتعددت أصولها، وهو لا يكتفي بتحليل أحداث النص التاريخي، بل يبحث عن النصوص ويقارن الأصول ويستقرئها ويستنتج منها· حتى لتبدو شخصيته ظاهرة واضحة، حين يقطع بالقول «فالمؤرخ بالهجرة إذا رسول الله ﷺ وعمر تبعه في ذلك»(٨) ويفيد السيوطي من مرانه الطويل في مجالات الدراسة الفقهية، ليقدم القرائن الدلالية، من خلال تغيير النصوص، وليفصح عن مقدرة ومعرفة واسعة في مجال علوم اللغة· ويورد السيوطي مجموعة من الروايات، للبخاري في تاريخه الصغير وصحيحه، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه، وابن عساكر، وأبي الزناد، وابن أبي خيثمة، وشيخ الاسلام أبي الفضل بن حجرفي أماليه· وكل هذه الروايات التي يقدمها، إنما كانت تشتمل على بعدين أساسيين، حاول من خلال نصوصه التي قدمها أن يركز على أهمية الشورى، فالمسلمون لا يقطعون في أمر دون استشارة بعضهم الآخر وفائدة التقديم والتأخير في بدء التاريخ الهجري، والحكمة التي يمكن الخروج بها(٩)· وفائدة التاريخ لديه، لا تقتصر على معرفة الأجيال أو إنقضاء العدد وأوقات التعاليق ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم(١٠)، فحسب، بل تدوين، مشيراً في ذلك الى الآية الكريمة **«يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه»** (سورة البقرة/٨٢)، والتاريخ لديه مصفاة يتم فيها ترشيح الروايات الصادقة والكاذبة، ومادة يتم من خلالها التوافر على الدقة كقول عمر رضى الله عنه «ضعوا للناس شيئاً يعرفونه من التاريخ»(١١)، وكتابة التاريخ في مفهومه ليست نزهة، يحصل صاحبها على المتعة والمجد والخلود، بقدر ما هي حساب عسير وكلام دقيق، يفحص فيه المؤرخ، ويشرح على طاولة الجرح والتعديل ويستفهم عن حكمته ودقته، ونقله للاحداث سماعاً أو مشاهدة ودراسة للعصر الذي عاش فية وأستيعابه لذلك العصر·

وما أن يدخل السيوطي في دراسة فوائد شتى تتعلق بالتاريخ، حتى تبرز ملامح الوطأة التي أثقلت عليه، وجعلته يلحظ بيراعه بشكل عاجل وسريع وكأنه في لجة مطاردة أشباح، لينزع ثوب المؤرخ، ويعتمر عمامة النحوي، ليغرق في شروح الكلمات ومعانيها، ليفصح عن ملكته اللغوية وبراعته النحوية، ليجعل من «الشماريخ» درساً في اللغة العربية وليس مصنفاً تاريخياً· فيستغرق في دراسة المفرد والمثنى والجمع، وحذف تاء التأنيث، وما أشار اليه سيبويه في ما يجوز لفظاً وكلاماً، ويدخل في دراسة صفات أيام الأسبوع والأشهر(١٢)·

---

*الهوامش:*

*(١) الامام جلال الدين السيوطي، العلامة الحافظ المؤرخ الاديب والمنتج لاكثر من ستمائة مصنف· ت ٩١١هـ·*

*(٢) السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، تقديم د· ابراهيم السامرائي، بغداد مطبعة أسعد، ١٩٧١، ص٨·*

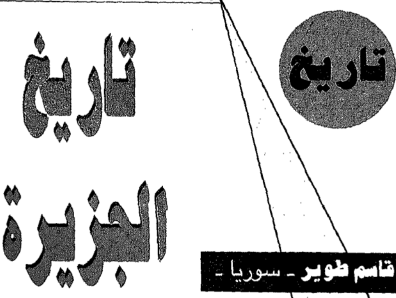
*(٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة وتعليق د· صالح أحمد العلي، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٣، ص ص ٢١ - ٢٢·*

*(٤) السيوطي، الشماريخ، المصدر السابق، ص١٣·*

*(٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) المصدر نفسه ص٢٠، ص٨، ص٩، ص١٠، ص ص ١١ - ١٢، ص١٣·*

*(١١) أيضاً·*

*(١٢) المصدر نفسه، ص ص ١٤ - ٢٠*




# تاريخ الجزيرة السورية وآثارها في العهود العربية الاسلامية

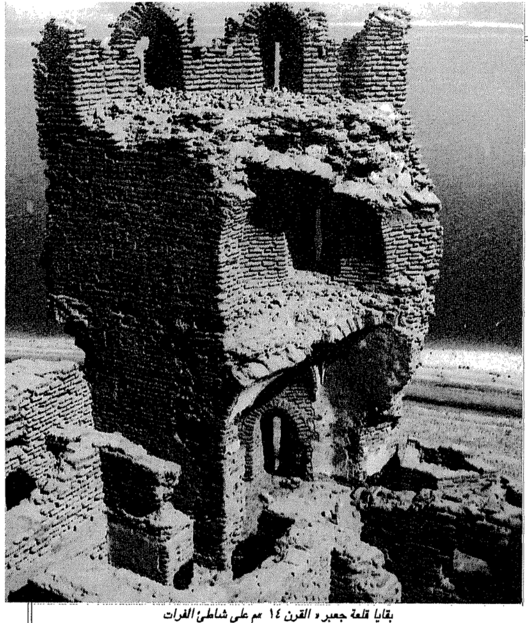
قاسم طوير - سوريا -

يخترق نهر الفرات اراضي الجمهورية العربية السورية قادما من تركيا لمسافة اكثر من ٦٠٠كم ويخرج من اراضيها الى الجمهورية العراقية عند بلدة البوكمال الحدودية ويشكل نهر دجلة القادم من تركيا ايضا جزءا من الحدود السورية العراقية لمسافة خمسين كم.

يتشكل من الحدود السياسية التركية السورية بين نقطتي دخول نهري دجلة والفرات من الشرق الى الغرب ومن الحدود السياسية السورية العراقية بين نقطة دخول نهر دجلة الى الاراضي السورية ونقطة خروج نهر الفرات من الاراضي السورية ودخوله الاراضي العراقية من الشمال الشرقي الي الجنوب الغربي ومن حدود امتداد نهر الفرات في الأراضي السورية، يتشكل مثلث على هيئة قبضة يد رافعة اصبع السبابة الى الامام ويطلق على هذه البقعة من شمال شرقي سورية الحالية اسم الجزيرة السورية ويخترق هذه الجزيرة من الشمال الى الجنوب رافدا نهر الفرات كل من نهر الخابور ونهر البليخ، وتشكل الجزيرة السورية كامل اراضى محافظة الحسكة ومحافظة الرقة وجزءا من محافظة دير الزور ومحافظة حلب.

تحتل الجزيرة السورية الجزء الاعظم من منطقة ما يسمى باعالي بلاد الرافدين (Upper Mesopatamia) غير ان مراكز حضرية قديمة ومشهورة مثل آشور ونينوى والموصل تقع حاليا في الجانب العراقي من اعالي بلاد الرافدين.

مما يلفت الانتباه حقا ان الجزيرة السورية احتضنت منذ العصور القديمة، ولأكثر من مرة، المقر المركزي الثاني لامبراطورية أو لمملكة كبرى أو لخلافه الى جانب العاصمة الرئيسية، ففي العصر الاكادي (النصف الثاني للالف الثالث قبل الميلاد) اتخذ الملك فارام سن حفيد الملك سرجون الاكادي من تل براك الواقع على نهر الجفجع رافد الخابور مقرا ثانيا له الى جانب العاصمة أكاد في جنوبي العراق القديم، وفي العصر الاشوري (مطلع الألف الثاني قبل الميلاد اتخذ الملك شمسي جدد من مدينة شباط إنليل (تل ليلان) عاصمة ثانية لامبرطوريته الى جانب العاصمة آشور، وفي


بقايا قلعة جعبر « القرن ١٤ »م على شاطئ الفرات

العهد الاموي اتخذ الخليفة مروان الثاني من حران مقرا رئيسيا له الى جانب العاصمة دمشق، وفي العهد العباسي اتخذ الخليفة هارون الرشيد من الرقة عاصمة له الى جانب العاصمة بغداد، يضاف الى ذلك ان الجزيرة السورية كانت مكانا لولادة حضارة تل حلف في الالف الخامس قبل الميلاد وبساطا افترشته حضارة العبيد في الالف الرابع قبل الميلاد٠

يجمع المؤرخون العرب امثال البلاذري والطبري على ان الجزيرة كلها قد خضعت للمسلمين على يد عياض بن غنم في ايام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في سنة ١٨هـ - ٦٣٩ ميلادية وكان اكثر سكان الجزيرة من العرب من قبائل ربيعة وتنوخ وبنى تغلب، وكان بنو تغلب من العرب النصارى فاراد المسلمون في البدء معاملتهم كعرب الجزيرة فلا يقبلون منهم غير الاسلام٠

لقد اهتم الجغرافيون العرب الاوائل بالجزيرة امثال ابن خرداذبة وقدامة وابن حوقل والمقدسي والاصطخرى٠ وعقد ابن حوقل فصلا خاصا بالجزيزة وزوده بمصور لها رسم فيه انهارها ومدنها وتوزع القبائل فيها ويصفها المقدسي بانها إقليم نفيس وثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم وهو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الاسلام ومعدن الخيل العتاق ومنه ميرة اكثر العراق، رخيص الاسعار، جيد الثمار ومن خصائص هذا الاقليم الخيل والصابون والسلاسل والسيور والقطن والموازين وفي مدينة آمد (ديار بكر) الصوف والكتان وبه نخيل مثل سنجار ومدن الفرات ويصفها ابن حوقل بان بها براري ومغاور وسباخ بعيدة الاقطار تُنْتَج لامتيارالملح والاشنان والقلي٠

أتى الجغرافيون العرب على ذكر ووصف

الكثير من مدن وبلدان وقرى الجزيرة السورية والفرات غير ان اكثر المدن والقرى التي نراها اليوم تحمل اسماء جديدة لا يمت اكثرها الى القديم بصلة وحتى التلال التي تدل على المدن الميتة فإن أكثر اسمائها لا تتصل باسماء هذه المدن، فهناك مدن حية احتفظت باسمائها الاولى مثل الرقة ورأس العين وجرابلس، ومدن ومواقع غدت خرائب مهجورة لكنها احتفظت باسمائها الاولى مثل قلعة جعبر وقلعة نجم ونصيبين، وهناك مدن انطوى ذكرها وتغيرت اسماؤها مثل الرحبة وصفين وقرقيسيا، وهناك مدن ومواقع مجهولة لا يمكن التعرف عليها الا بعد دراسة وتحقيق مثل التلال الاثرية الكثيرة المنتشرة في انحاء الجزيرة السورية.

فقد دلت اعمال المسح والتنقيب التي قامت بها بعثات آثارية سورية وأجنبية منذ مطلع هذا القرن حتى الآن في التلال والخرائب الاثرية المنتشرة بشكل كثيف في مختلف ارجاء الجزيرة وبصورة خاصة على جانبي كل من الفرات والخابور والبليخ على ان ١٥ تلا اثريا من اصل ٦٠ تلا أثريا تعود الى العهد الايوبي (القرن الثالث عشر) تنتشر على امتداد ٣٠كم في وادى الفرات بين دير الزور والبوكمال، وثمة ١٥ تلا أثريا يحتوى على بقايا اسلامية من اصل ٦٠ تلا على جانبي الخابور بين الحسكة والبصيرة حيث يصب الخابور في الفرات.

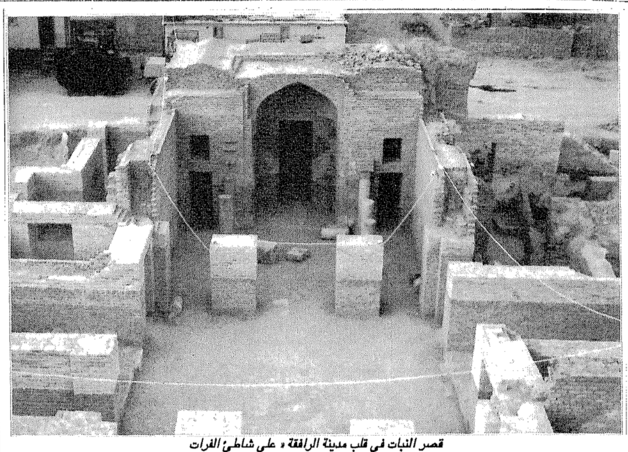
ثمة اربعة تلال اثرية اسلامية في منطقة بحيرة سد الفرات وثلاثة تلال اثرية اسلامية منتشرة في وادى عجيج الواقع الى الشرق من نهر الخابور.

وجميع تلك التلال تحمل اسماء حديثة ولا صلة لها باسمائها الاولية، ومنذ مطلع هذا القرن حتى الآن جرت تنقيبات اثرية في المواقع التالية من انحاء الجزيرة السورية:

الرقة وهرقلة ومسكنة (بالس) وقلعة جعبر وابي هريرة وطعس ومدينة الفار وقلعة نجم وقلعة الرحبة وبلدة الميادين وتل تنينير وخراب سيجر.

ان كثافة المدن والبلدان والقرى في ارجاء الجزيرة السورية منذ العصور القديمة حتى العهود العربية الاسلامية وخصوبة الاراضي وكثرة محاصيلها وثمارها وتنوعها تتطلب مصادر مياه خارجة عن نطاق ضفاف كل من الفرات والخابور والبليخ، ويفيدنا الجغرافيون العرب ان مشاريع انمائية لشق الاقنية والقنوات لرى الاراضي البعيدة عن ضفاف الانهار قد تحققت في العصور العربية الاسلامية ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر نهري الهني والمرى اللذين شقهما الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك قرب الرقة وقناة مسلمة التي حفرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان الاموى لسقاية الاراضي المجاورة لمدينة مسكنة/ بالس (ايمار القديمة) وقناة نهر النيل التي شقها الخليفة العباسي هارون الرشيد وربط بواسطتها الفرات مع البليخ لسقاية الاراضى الواقعة شمالي مدينة الرقة، وقناة سعيد التي شقها سعيد بن عبد الملك الاموى لسقاية الاراضي الواقعة بين قرقيسيا (البصيرة اليوم) والرحبة (الميادين اليوم). ويمكن للأرقام التي وضعها المؤرخ ابن الفقيه ان تعطي فكرة عن مدى خصب الجزيرة السورية وغناها وازدهارها حيث بلغ خراج الجزيرة في العصر العباسي مقدار تسعة ملايين وسبعة مئة وخمسة عشر الفا وثمانمائة درهم فضي.

كانت الجزيرة السورية مسرحا لاول حدث سياسي حاسم في التاريخ العربي الاسلامي فقد دارت على اراضيها معركة صفين بين الخليفة الرابع للرسول ﷺ علي بن ابي طالب من جهة



قصر النبات في قلب مدينة الرافقة « على شاطئ الفرات

وممثل الاسرة الاموية ووالي بلاد الشام (سورية) معاوية بن ابي سفيان بن امية والتي خرج فيها الثاني منتصرا.

كان من نتائجها انتقال الحكم من النظام الديمقراطي الانتخابي الى النظام الوراثي وانتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من الكوفة في جنوبي العراق الى دمشق في سورية وذلك منذ ٦٦١ ميلادية.

اعتنت الخلافة الاموية التي مقرها دمشق (منتصف القرن السابع حتى منتصف القرن الثامن) بتنظيم الجزيرة السورية من الناحية الادارية وعين الامويون عليها ولاة يرعون شؤونها ويبدو ان الرقة كانت من اهم مراكز الجزيرة بل عاصمتها منذ ذلك الحين لموقعها المتوسط فيها ولمكانها من شاطىء الفرات وقربها الى بلاد الشام (سورية)، وبدت اول مظاهر التمصير (Urbanization) فيها على يد الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك (٧٢٩ - ٧٤٣) حيث أقام في جوار الرقة مركزا زراعيا وسكنيا عرف بواسط الرقة وجر اليه قناتي الهني والمري، ونظرا لاهمية الجزيرة السورية من الناحية العسكرية والدفاعية لقربها من حدود الدولة البيزنطية فقد اسس مسلمة بن عبد الملك الاموى في القرن الثامن مركزا عسكريا وحضريا في قلب الجزيرة السورية عرف بحصن مسلمة ولعله موقع مدينة الفار على نهر البليخ والى الشمال من الرقة.

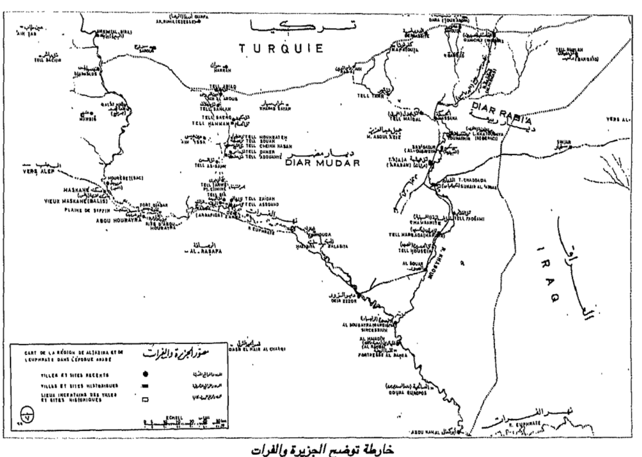
وفي ظل الخلافة العباسية (منذ النصف الثاني للقرن الثامن الميلادي) والتي انتقلت فيها عاصمة الخلافة من دمشق فى سورية الى بغداد في العراق، شهدت الجزيرة السورية ازدهارا من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والفكرية والعمرانية والفنية، فقد اسس الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور في سنة ٧٧٢م بجوار مدينة الرقة مدينة جديدة مشابهة لمدينة بغداد اطلق عليها اسم الرافقة.

وفي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩م) توسعت الرقة والرافقة خارج اسوارها واستقر فيها هارون واصبحت مقرا شبه رسمي للخلافة العباسية طيلة ثلاث عشرة سنة، وبمناسبة انتصاره الحاسم على الامبرطور البيزنطي نيقوفوروس في موقعة هرقلة ببلاد الروم في سنة ٨٠٦م) شيد هارون بالقرب من الرقة اضخم نصب تذكارى على هيئة مصغرة لمخطط مدينة بغداد المدورة اطلق عليه اسم هرقلة. وإلى هارون يُنسب تأسيس مدينة رحبة مالك ابن طوق التغلبي على شاطئ الفرات الأوسط حيث تقوم الآن بلدة الميادين وقلعة الرحبة.

بعد هذه الفترة من الاستقرار والرخاء والازدهار دخلت الخلافة العباسية مرحلة من الضعف منذ نهاية القرن التاسع، حيث نشأت حركات تمرد وثورات على السلطة مثل ثورة الزنج وحركة القرامطة ثم ظهور الدولة الفاطمية وانفصال شمال افريقيا ومصر عن الخلافة العباسية في القرن العاشر.

لقد تأثرت الجزيرة السورية بتلك التطورات فقامت في الموصل وحلب دويلة الحمدانيين، ولأخذ فكرة عن الحالة التي وصلت اليها الجزيرة السورية في ايام الحمدانيين حتى القرن العاشر نورد ما ذكره الجغرافي الشهير ابن حوقل خلال حديثه عن مدينة نصيبين (الواقعة على الحدود السورية ـ التركية الحالية) وهي بلده التي نشأ فيها قال:




خارطة توضح الجزيرة والفرات

أكب عليها بنو حمدان عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١م بصنوف الجور وتجديد الكلف فخرج منها بنو حبيب بزراريهم ومواشيهم والتجأوا الى ملك الروم فتنصروا ثم عادوا الى ارض الجزيرة على بصيرة وذخيرة وخبرة بطرقها وقلوبهم تضطرم حقدا وشنوا الغارات عليها وفتحوا حصونها ومدنها وخربوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها وزرعها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها . ويختم ابن حوقل حديثه عن الجزيرة بقوله: وجميعها قد تغيرت آثارها وانتقلت احوالها الى النقص والاستحالة .

مع ظهور السلاجقة في منتصف القرن الحادى عشر تخلصت الخلافة العباسية في بغداد من جور البويهيين وانهارت الدولة الفاطمية وبدأت الخلافة العباسية تستعيد استقرارها وقوتها، فتولى الجزيرة السورية اسرة آل زنكي وهم من الولاة الذين عينهم السلاجقة في الموصل ثم وسعوا سلطتهم الى حلب ثم الى دمشق ومن ابرز حكامهم السلطان نور الدين زنكي (القرن الثاني عشر) وتولى الامور بعدهم الاسرة الايوبية التي برز منها السلطان صلاح الدين الايوبي (القرن الثالث عشر) . شهدت الجزيرة السورية في ظلهم نهضة حقيقية من النواحي العمرانية والفكرية والاقتصادية، غير ان المنطقة خلال تلك الفترة تعرضت لخطرين حقيقيين في آن واحد هما الغزو الصليبي القادم من اوربا (منذ نهاية القرن الحادى عشر) والغزو المغولي القادم من الشرق (القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر) لكن الخطر الثاني قد مس الجزيرة السورية مسا مباشرا . ولاول مرة في تاريخ الجزيرة الاسلامي يستعيد نهر الفرات دوره الدفاعي كحام لبر الشام، ذلك الدور الذى لعبه فى ايام الدولتين الرومانية والبيزنطية والبارثية والساسانية، فقد شيد السلاجقة ومنهم آل زنكي ومن بعدهم الايوبيون قلاعا ضخمة على طول الفرات نذكر منها قلعة الرحبة على الفرات الادنى وقلعة جعبر على الفرات الاوسط وقلعة نجم على الفرات الاعلى غير ان هذا الخط الدفاعي الحصين لم يصمد امام الغزو المغولي الاول على يد هولاكو . فقد سقطت بغداد في سنة ١٢٥٢م والحق هذا الغزو المغولي الذى دام حتى سنة١٢٩٩م ووصل الى دمشق الكثير من الخراب في اراضي الجزيرة السورية . ثم جاء الغزو المغولي الثاني على يد تيمور لنك في سنة ١٤٠٠م الذى دمر كل شيء في طريقه الى دمشق فتهدمت المدن وهُجرت المزارع وجفت الاقنية وتحولت الغابات والاحراج الى صحار ولم نعد نسمع عن اخبار الجزيرة السورية منذ عام ١٤٠٠م . لكن الحياة اخذت تدب فيها من جديد منذ اواخر القرن التاسع حيث قامت القرى والمزارع على ضفاف الانهار ونشأت بلدان جديدة الى جوار الخرائب والمدن والميتة مثل مسكنة المجاورة لاطلال بالس والميادين فوق انقاض رحبة مالك بن طوق والقامشلي الى جوار نصيبين وبقيت بعض المواقع خرائب واطلال مهجورة مثل قلعة نجم وقلعة جعبر وابي هريرة وضاعت معالم كثير من المدن القديمة وتغيرت اسماؤها واصبحنا نجهل مكان الكثير منها . يبدو ان الجزيرة السورية ستستعيد الرخاء والازدهارا للذين عرفتهما اكثر من مرة خلال تاريخها الطويل فمنذ السبعينات من هذا القرن تجرى في ارجائها مشاريع انمائية واسعة النطاق من اقامة سدود وشق اقنية على طول الفرات والخابور وشق طرق المواصلات الحديثة واستخراج الثروات المعدنية وفي مقدمتها البترول .




جاء في القصص النبوي أن أركان الكافر والمنافق تشهد عليه يوم القيامة، وأن الفخذ والكف والألسن تتكلم، وحينئذ يود أحدهم لو يفتدى من عذاب الله بملء الأرض ذهبا، روى معاوية ابن حيدة القرشي أن النبى (ﷺ) قال: (تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام(١)، وأول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه)· وعن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله (ﷺ) فضحك فقال: (هل تدرون لم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يارب ألم تجرنى من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى، قال: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه انطقى ، فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعْدا لكنَّ وسحقا فعنكنَّ كنت أناضل)·

وجاء فى قصة أخرى عن أبى سعيد الخدرى(٢) عن النبي (ﷺ) قال: (إذا كان يوم القيامة عُرِّفَ الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقول: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا، فيحلفون ثم يصممهم الله ـ تعالى ـ وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار)· وفي رواية (إن أول ما يتكلم من الإنسان حين يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسار)·

وفي قصة أخرى يقول النبي (ﷺ)(٣): أول من يختصم يوم القيامة، الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها، يشهدان عليها بما كانت تغيب لزوجها، ويشهد رجلاه ويداه بما كان يوليها، ثم يدعى الرجل وخدمه، فمثل ذلك، ثم يدعى بأهل الأسواق وما يوجد، ثم دوانيق ولا قراريط، ولكن حسنات هذا تدفع الي هذا الذى ظلم، وسيئات هذا الذى ظلمه، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد، فيقال: أوردوهم إلى النار»·

ومن الشهود على الانسان يوم القيامة، الأرض تروى أعماله التى فعلها عليها فى حال حياته روى أبو هريرة(٤) رضى الله عنه ـ قال: قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية (يومئذ تُحَدِّثُ أخبارها) قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا ، كذا وكذا فهذه أخبارها)·

وكذلك الأيام والليالى تشهد على الإنسان عند الحساب· ففى القصص النبوى: (ليس من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد، فأعمل فيَّ خيرا أشهد لك به غدا، فإنى لو قد مضيت لم

# ـاب في القصص النبوي «٢ - ٢»



بقلم: أ.د. عبد الباسط حمودة
كلية التربية - جامعة الملك فيصل - الاحساء

ترنى أبدا، ويقول الليل مثل ذلك).

ويشهد المال أيضا على صاحبه، ويحاسب مانع الزكاة، ويحاسب الغادرون على غدراتهم، روى أبو سعيد الخدرى عن النبى (ﷺ) قال: وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم، هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل، أو كما قال رسول الله (ﷺ) وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة).

ويصور القصص النبوى مانعى الزكاة فى صور بشعة وفي موقف شديد الحسرة والندامة أمام الله يوم الحساب. حيث ينظر يمينا ويسارا فلا يجد إلا ما قدم، وها هو يرى ثمرة بخله بماله الذى تركه فى الدنيا خلفه، ولا يجد ما ينجيه من عذاب الله - يقول النبي (ﷺ) «يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج»(٥) فيوقف بين يدى الله - عز وجل - فيقول الله: أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتيك به كله، فيقول له: أرنى ما قدمت، فيقول: يارب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به كله، فإذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به إلى النار، و(من ترك بعده كنزا، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه، ويقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذى تركته بعدك، ولا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعها سائر جسده) وفى قصة أخرى(٦): (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من النار، فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) قيل يارسول الله: فالإبل؟ قال: (ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها، إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها) قيل يارسل الله فالبقر والغنم؟ قال: (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه آخرها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما الى الجنة وإما إلى النار) و(من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا (ولا تحسبن الذين يبخلون.. الآية) وجاء فى قصة أخرى: (ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعا أقرع، يتبعه فاتحافاه، فإذا أتاه فر منه، فيناديه: خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى، فإذا رأى أن لابد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل).

ويتحدث القصص النبوى عن الغلول وعظم أمره وعن مصير أصحابه يوم القيامة وكيف تكون صورتهم أمام الخلائق. روى عن أبى هريرة -

رضى الله عنه - قال: قام فينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره، ثم قال: (لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول يارسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول يارسول الله أغثني، فأقول: (لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك)٠

وقد قال العلماء إن هذه القصص على الحقيقة لأنها تفسير لقول الله تعالى: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أي يأت به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوبا بصوته وموبخا باظهار خيانته على رؤوس الأشهاد٠ وكما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في قصة أخرى: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان) و(ولكل غادر لواء عند استه يوم القيامة)٠

ويصور القصص النبوى الولاة والأمراء والحكام الذين لا يحكمون بالعدل، ولا ينصحون للرعية ولا يقسمون بالسوية ويأخذون أموال المسلمين بغير حق، يصورهم في صور تثير الرعب والخوف والهلع٠ لو تأملها الناس لقام المجتمع على أسس من العدل والأمانة والصدق والعفة ومكارم الأخلاق٠

روي أبو هريرة وغيره من الصحابة أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو يوبقه بجرمه) و(يجاء بالوالى يوم القيامة، فينبذ به على جسر جهنم، فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منها مفصل إلا زال من مكانه، فإن كان مطيعا لله فى عمله عما مضى فيه، وإن كان عاصيا لله - عز وجل - انحرف به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما)٠

وجاء في قصة نبوية ما يكشف حرمة استغلال المنصب والجاه، كأخذ الهدايا وما في حكمها مما يستهين به بعض الناس٠ فعن أبى حميد الساعدى عن النبى(٧) (ﷺ) أنه استعمل رجلا من بنى أسد، يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدى لى، فقام النبى (ﷺ) على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: (ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لى، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا، لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء يوم القيامة إن كان بعيرا فله رغاء وإن كان بقرة فلها خوار، أو شاه تبعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت) و(إذا كان يوم القيامة، دعا الله بعبد من عباده، فيوقفه بين يديه، فيسأله عن جاهه، كما يسأله عن عمله)٠

وتتجلى مهمة الأمراء والولاة فى نشر العدل بين الناس، وإنصاف الضعفاء من الأشداء ونشر الأمن والطمأنينة بين الرعية، بل بين سائر المخلوقات ومنها العجماوات، لأن الحكام هم ظل الله فى أرضه٠ فعن جابر - رضى الله عنه - قال: لما رجعت الى رسول الله (ﷺ) مهاجرة البحر قال: (ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟) فقال فتية منهم: بلى يارسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها تحمل

على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا، قال: يقول رسول الله (ﷺ) (صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم).

وجاء فى القصص النبوى ما يعلم البشرية احترام كل المخلوقات والتعامل معها بالرحمة والرأفة ورقة الاحساس، تحسبا ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، بل ويجمع الله فيه الأولين والآخرين من إنس وجن وطير ودواب ووحوش، ويعطى كل ذى حق حقه.

روى أبو ذر - رضى الله عنه - أن النبى (ﷺ) مر بشاتين تنتطحان فقال(٨): (يا أبا ذر أتدرى فيم تنتطحان؟) قلت: لا يارسول الله، قال: (لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة) وعنه أيضا قال: رأى رسول الله (ﷺ) شاتين تنتطحان فقال: (إن الله تعالى ليقضين يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء).

واستأذن ثابت بن طريف على أبى ذر فسمعه رافعا صوته يقول: أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك. قال ثابت: فدخلت فقلت ما شأنك يا أبا ذر؟ قال: هذه، قلت وما عليك إن رأيتك تضربها، قال: (والذى نفسى بيده، أو نفس محمد بيده لتسئلن الشاة فيما نطحت صاحبتها، وليسئلن الجماد فيما نكب اصبع الرجل).

وروى عمرو بن العاص - رضى الله عنه - عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وحشر الجن والإنس والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب، حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء تنتطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كونى ترابا، فيراها الكافر فيقول: يا ليتنى كنت ترابا) وفى رواية عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى (ﷺ): (يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والطير والدواب وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كونى ترابا، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: (ياليتنى كنت ترابا).

وإذا كان القصاص سيكون بين الدواب، ومن الجمادات للإنسان، فكذلك ومن باب أولى يكون القصاص للمخالف للمسلم فى دينه كالذمى والمعاهد، ففى قصة قصيرة وبليغة وتحمل من المفاهيم الكثير والكثير، مما تتضاءل أمامه المواثيق الدولية، وحقوق الإنسان وغيرها مما يتشدق به الناس فى أيامنا هذه. ففى هذه القصة يوقف المسلم يوم القيامة أمام خصمه المخالف له فى دينه، ويكون محمد (ﷺ) حجيجا للمسلم. (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه فى حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة).

هذه الخصائص فى القصص النبوى تسمو به فوق كل أثر أدبي، فمن خصائصه التفصيل والاسهاب، لأن السنة شارحة وموضحة للقرآن الكريم، كما رأينا فى قوله تعالى:(يا ليتنى كنت ترابا).

ومن خصائص القصص النبوى التصوير البديع، والتجسيم الرائع لمشاهد يوم الحساب وتناول كل الدقائق، ما يجرى بين الخالق وخلقه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الدواب والدواب، بل وما بين الجماد والإنسان، كل يوفى حسابه.

ومن خصائص القصص النبوى الإيجاز - أحيانا - كما فى قصة (ظلم المعاهد) فإنها تعطى بالتصريح والتلميح والإشارة ما تعجز عنه كبار

القصاص والمؤلفين.

ويخلص القصص النبوى إلى أن الحشر يوم القيامة للحساب والقصاص فلا تظلم نفس شيئا (يحشر الله - عز وجل - الناس يوم القيامة - أو قال العباد - عراة غرلا بُهما - قلت: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف وإنما نأتى الله عز وجل - حفا عراة غُرْلا بُهما؟ قال: بالحسنات والسيئات).

ومن خصائص القصص النبوى - إلى جانب بث الخوف والرهبة من يوم الحساب - دعوته الى التعلق بفضل الله ورحمته، فقد روى جابر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ)(٩): (خرج من عندى خليلى جبريل آنفا، فقال: يا محمد والذى بعثك بالحق إن لله عبدا من عباده، عبد الله - تعالى - خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعا والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج الله له عينا عذبة بعرض الأصبع، تنبض بماء عذب فتستنقع فى أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج فى كل ليلة رمانة فتغذيه يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسد عليه سبيلا حتى يبعثه وهو ساجد ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا، فنجد فى العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدى الله - تعالى - فيقول له الرب: أدخلوا عبدى الجنة برحمتى، فيقول: يارب بعملى، فيقول: أدخلوا عبدى الجنة برحمتى، فيقول: رب بل بعملى، فيقول الله - تعالى: حسابوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله، فيوجد نعمة البصر أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه، فيقول أدخلوا عبدى النار، فيجر إلى النار، فينادى: رب برحمتك أدخلنى الجنة، فيقول: ردوه، فيوقف بين يديه، فيقول: ياعبدى من خلقك ولم تك شيئا، فيقول: أنت يارب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة، فيقول: أنت يارب، فيقول: من أنزلك فى جبل وسط اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة فى السنة، وسألتنى أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك، فيقول أنت يارب، فقال الله فذلك برحمتى، وبرحمتى أدخلك الجنة. قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يامحمد).

هذه المشاهد التى تصور يوم الحساب والتى عرضها القصص النبوى حية ماثلة هى تلامس وجدان المؤمنين الصادقى الإيمان، وكأنهم يرونها رأى العين، لإيقانهم بوقوعها كما أخبر عنها الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى. ومن هنا يتحقق للمؤمنين بيوم الحساب الأمن، فلا يفزعون حين يفزع الناس، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

والدراسات الأدبية المقارنة ترى أن للقصص النبوى عن يوم الحساب تأثيرا فى الأدب العالمى حيث جعل الأدباء والشعراء يفكرون فيما وراء هذه الحياة الدنيا، فالكتب المقدسة السابقة تكاد تكون خالية من الإشارة الى يوم القيامة وما فيه من حساب وثواب وعقاب(١٠) (فى الوحى الدينى نعول كل التعويل على ما ورد فى القرآن الكريم وحده، دونما سواه من التوراة والأناجيل، أما التوراة المحرفة فإن عقيدة البعث فيها لانكاد نعثر على نص صريح، بل إن أوضح الواضحات فى التوراة أمر الثواب والعقاب مقصوران على هذه الحياة الدنيا، فالثواب إما خير تجود به الأرض،

أو كثرة فى الذرية، وسيادة اليهود على كل الأمم من غير اليهود. وأما العقاب فهو إما حرمان من الخيرات الدنيوية، وإما فى الذرية، أو هزيمة أمام الأعداء.

أما الأناجيل فإن ثقة الباحثين فيها قد اهتزت، حتى أخرجوها من دائرة النصوص المقدسة، ووصفوها بأنها تعبير بشرى، غير أمين عن حقيقة كبرى لا يشك أحد في وقوعها، وهى رسالة السيد المسيح - عليه السلام - إن الأناجيل هى تدوين لتلك السيرة النبوية، لم يراع فيها المدونون أمانة النقل ولا صدق التعبير).

ولذلك يقول القس الكاثوليكى ميجيل آسين، مؤلف كتاب أثر الإسلام فى الكوميديا الإلهية(١١) إن الوسيلة التى أدت الى انتقال أخبار القصص المتعلقة بالحياة الأخرى الشائعة فى العالم الإسلامى الى مختلف أنحاء أوربا، بل إلى أبعد مناطقها.. والتى تسمى بالقصص السابقة (لدانتى) هى فى أغلب الظن مبنية على أساس النماذج الإسلامية، وهى نماذج قد تكون انتقلت إلى أوربا عن طريق الحجاج والصليبيين والمبشرين والتجار.

ومما هو قريب من القصص النبوى عن الحساب يوم القيامة ما جاء فى الكوميديا الإلهية وفى القصص المسيحية السابقة لها، ما أشار إليه فى قصة (دانكونا) فى منظر رؤية المرابي (جوتشالك) حيث حكم على اللص بأن تدوسه وتنطحه البقرة التى سرقها من أحد الأرامل(١٢). وهنا يظهر جليا صورة طبق الأصل لما جاء فى أحد الأحاديث (قال محمد: والذى نفسي بيده ما من أحد ملك غنما أو بقرا أو إبلا فلم يزكها إلا جاءت يوم القيامة..) القصة.

وفى كتاب الكوميديا الإلهية يقسم(١٣) دانتى النار الى خنادق وفى الخندق السادس في مالبولج مأخوذ من منظرين شائعين فى المأثورات الإسلامية، خلطها دانتى معا. وجاء فى الروايات الاسلامية المتعلقة بيوم الحساب: أن البخلاء سوف يمشون فى النار، لا يكفون عن المشى، وهم يحملون الأموال التى اختزنوها.. ويتشابه وصف دانتى تشابها كبيرا مع ما جاء فى الآثار الإسلامية (من ملك نصابا ولم يزكه جاء يوم القيامة فى صفة ثعبان عيناه تتقدان نارا، وأسنانه من حديد، فيجرى خلف مانع الزكاة، فيقول له: اعطنى يمينك البخيلة حتى أقطعها(١٤).. الخ) و(يسود وجه الكافر يوم الحساب، ويمد فى جسمه ستون ذراعا ويلبس تاجا من نار... الخ).

هذه بعض الملامح من شهادة غير المسلمين لمكانة القصص النبوى وتأثيره فى العالم القديم وعالم النهضة الأدبية فى أوربا. ولعل ذلك يفتح المجال إلى إعادة النظر فى كتابة القصة العربية على أسس من تراثنا الأصيل القائم على توخى الصدق، وتنمية القيم والأخلاق التى ترفع من قدر الإنسان ليكون جديرا بالخلافة فى الأرض.

---

*الهوامش:*

*(١) الفدام: ما يوضع على الفم سدادا له.*

*(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٩٦ وكنز العمال جـ١٤ ص٣٧٥.*

*(٣) منتخب كنز العمال على المسند جـ٦ ص٧٢.*

*(٤) التذكرة ص٣٣١.*

*(٥) البذج: ولد الضأن.*

*(٦) التذكرة ص٣٤٠.*

*(٧) التذكرة ص٣٤٧.*

*(٨) التذكرة ص٣١٨.*

*(٩) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٣.*

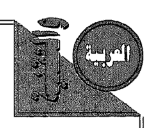
*(١٠) د. عبد العظيم المطعنى: الإسلام فى مواجهة الايديولجيات المعاصرة ص٢٧٤.*

*(١١) ص٢٣٥.*

*(١٢) المرجع السابق ص١٨٤.*

*(١٣) ص١٠٩، ١١٠، ١١٣.*

*(١٤) تقدم نص بهذا المعنى ص٤٠٥.*




# العربية التي استوعبت حضارات

# اللغة العربية ومتطلبات العصر والحضارة

بقلم: أ.د/ جابر قميحة
جامعة الملك فهد بالظهران

إن الحديث عن اللغة العربية والتقدم العلمي والتقانى في الوطن العربي يحمل في طياته السؤال التالى: هل تصلح اللغة العربية التي كانت وعاء لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي، أن تكون وعاء لحضارة أخرى هي الحضارة المعاصرة التي تتميز بالتقدم العلمي والتقاني؟ وبعبارة أخرى هل تستطيع اللغة العربية أن تُعبر عن معان ومفاهيم وأعيان ومستحدثات لم يبتكرها أو يضعها أهلها العرب أم انها عاجزة عن ذلك، وعليها بالتالى أن تنحسر وتتراجع لتترك للغة أخرى أن تكون لغة العلم والثقافة في الوطن العربي؟(١). وقبل الإجابة على هذا السؤال أرى لزاما أن نبرز عددا من الحقائق التي ستمكننا من الوصول إلى الإجابة السديدة:

الحقيقة الأولى:

أن اللغة العربية عاشت عصورا من القوة والرقي كانت مواكبة للتقدم العلمى والاجتماعى وخصوصا في الأندلس لذلك أخذت أوروبا كثيرا من ألفاظ العلوم والتجارة والبحارة والتعامل الاجتماعى عن العرب، تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه «إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة الى النفوس وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب(٢).

الحقيقة الثانية:

أن هناك آلافا بل عشرات الآلاف من المخترعات الأجنبية، وقطعها وأجزائها التي تتركب منها، ولم تجد لها حتى الآن البديل العربي أو البديل المعرب، وظل تعاملنا معها بأسمائها في لغتها، ولكن ذلك ليس عيبا في اللغة العربية، ولكنه جاء نتيجة التخلف التقني للشعوب العربية والإسلامية، فمن حق المخترعين أن يطلقوا التسميات التي يرونها لمخترعاتهم، وما على المنتفعين بهذه المخترعات إلا أن يأخذوا المسمى باسمه.

هذا هو الأصل إلا إذا قدروا على طرح البديل اللغوى، أو البديل التعريبى الذي ينشيء توفيقا بنيويا بين الاسم الأجنبى والشكل أو الوزن العربي، وإلا فليس هناك إلا اقتباس المصطلح الأجنبي الأصلى(٣). والمعروف «أن المفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل تلك اللغات أو برزوا فيها، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها، وأخذها منهم، أو اعتمد عليهم فيها أهل هذه اللغة(٤).

ومعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواح مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان.. ويتألف معظم المفردات التي اخذتها الإنجليزية عن النورماندية من كلمات دالة على

# سابقة قادرة على استيعاب حضارة اليوم

معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهو والطعام، وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الانجليز كثيرا في هاتين الناحيتين اللتين تمثل إحداهما مظهرا راقيا من مظاهر التفكير العام، وتمثل ثانيتهما ناحية من نواحي الترف الاجتماعي(٥).

الحقيقة الثالثة:

ان اللغة العربية - على مدى العصور، وابتداء من القرن الثاني بخاصة - لم تعش بمعزل عن اللغات الأخرى، بل عاشت في حالة «تفاعل» دائم أخذا وعطاء، وخصوصا بالنسبة للمستجدات والمخترعات، فقد كانت غالبا تنقل بأسمائها، أو ينال هذه الأسماء شيء من التغيير تبعا لمواضعات اللغة الناقلة، فقدرة اللغة العربية على الوضع والتدخيل والتعريب محسومة تاريخيا، والمقام لا يتسع لتفصيل هذه الحقيقة(٦).

والحقيقة الأخيرة:

أن المجامع اللغوية العربية تبذل مجهودات طيبة في التعامل مع المصطلحات الأجنبية تدخيلا أو تعريبا .. ولكن انتشار هذه الأعمال لم يكن على مستوى الجهود المبذولة.

ثم نعود الى السؤال الأصلى الذي أطلقه أحد المفكرين وهو:

«هل تصلح اللغة العربية التي كانت وعاء لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي، أن تكون وعاء لحضارة أخرى هى الحضارة المعاصرة؟

والواقع أن السؤال يحمل في طياته الجواب، أو بتعبير أدق جوهر الجواب وهو أن اللغة التي كانت وعاء لحضارة زاهية في الماضي لن يعجزها ان تستجيب لمواضعات الحضارة المعاصرة، لما في هذه اللغة من مرونة واتساع وتعدد الوسائل، والقابلية للنمو «وقد عقد القدماء من علماء العربية فصولا مستفيضة في كتبهم لبحث عدة مسائل من اللغة، تدور كلها حول ظاهرة واحدة هي نمو اللغة في الفاظها وأساليبها، ووسائل هذا النمو»(٧).

ويرى الدكتور أنيس أن هذه الطرائق - وإن لم يربط القدماء بينها تمثل طرائق مثلى لنمو اللغة وانها هي التي «أمدتنا بفيض زاخر من الألفاظ والأساليب، وجعلت من لغتنا العربية أغزر اللغات السامية مادة، وأكثرها تنوعا في الأساليب، وأدقها في القواعد»(٨).

**المتابعة السريعة لثقافة الحاضر كفيلة بايجاد المسمى البديل فى العربية**

فمن هذه الوسائل التى فصل الدكتور أنيس القول فيها: «القياس - الاشتقاق - النحت - الارتجال - الاقتراض».

١ - القياس: هو استنباط مجهول من معلوم، فإذا اشتق اللغوى صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة من مادة أخرى سمى عمله هذا قياسا، فالقياس اللغوى هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللغوى، وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية(٩).

٢ - الاشتقاق: هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى على أن يكون بينهما تناسب في اللفظ والمعنى(١٠) ويعتبر الاشتقاق من أهم الروافد التي تمد اللغة العربية بما تريد من ألفاظ عن طريق هذا التوليد من (المادة الواحدة) «ومن أجل هذا توصف اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، لأنها تتوصل إلى كلماتها عن طريق استخدام المادة بجميع صور الاستخدام»(١١).

٣ - النحت: وهو استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو

أكثر، فإذا كان الاشتقاق في أغلب صوره عملية إطالة لبنية الكلمات، فإن النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات(١٢)٠ وأمثلته القديمة في اللغة أكثر من أن تحصى مثل: بسمل٠ وحيعل واسترجع (أى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون) وبأبأ: أى قال له: بأبى أنت وأمي٠ وحوقل (أى قال لا حول ولا قوة إلا بالله٠ ويقولون كذلك عبدري (أى من بنى عبد الدار)، وعبشمى (أى من بنى عبد شمس)٠

وتكثر صوره الحديثة حاليا: مثل: درعمى (تخرج في كلية دار العلوم) وكلغوى (أى ينتسب إلى كلية اللغة العربية) وهو يشبه الاختزال الى حد كبير٠٠ ويتفق مع الاتجاهات العالمية الحديثة في اختصار الكلمات والجمل(١٣)٠ فنجد مثل ذلك في الاطلاقات السياسية والاجتماعية في المؤسسات الدولية والعالمية مثل (اليونسكو) و(الجات) و(الفيفا) و(الفيتو) أى حق إيقاف القرارات٠

**٤ ـ الارتجال:** مفهوم الارتجال في كتب القدماء من اللغويين مضطرب، فهم يطلقون الارتجال احيانا، ولا يقصدون به إلا الاشتقاق الذى يولد لنا صيغة جديدة من مادة معروفة، ولكن يستشف من كلامهم أيضا أنهم كانوا ـ في غالب الأحيان يعنون بالارتجال الاختراع، كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في معناها أو جديدة في صورتها فلا تمت لمواد اللغة بصلة، أو لا تناظر صيغة من صيغها(١٤)٠

والارتجال بهذا المفهوم الأخير ممكن، وخصوصا إذا جاء من الكبار، وهو لا يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة، بل في مكنة كل منا أن يرتجل متى شاء، وأنى شاء، وأن يعطى الكلمة ما يريد من المعنى، وهى لا تقل حينئذ عما نسبه القدماء من اللغويين للأعراب(١٥)٠

وقد تلجأ بعض الطوائف الخاصة من أصحاب الصناعات والحرف الى اختراع كلمات لا يعرفها غيرهم، رغبة في التعمية والتمويه على من ليس منهم(١٦)٠

ويرى الدكتور أنيس أن الارتجال في اللغة حقيقة واقعة، ولكنه محدود الأثر، ولذلك يرى معظم الباحثين من المحدثين أن الارتجال أتفه طرق الوضع اللغوى(١٧)٠

**٥ ـ الاقتراض:** وهو يعنى أخذ كلمات أو جمل من لغات الآخرين، وقد يقوم به الأفراد أو الجماعات والهيئات العلمية كالمجامع اللغوية وأمثالها٠ واقتراض الألفاظ في أغلب حالاته وليد الحاجة حينا، أو الإعجاب حينا آخر، وقد بلغ من إعجاب الفرس والترك بلغة العرب أن اقتبسوا معظم كلماتهم من اللغة العربية، ذلك لأن هاتين الأمتين ظلتا تحت تأثير الثقافة العربية عدة قرون(١٨)٠

والاقتراض بهذا المفهوم يشمل ما سماه الدكتور شاهين بالتدخيل، كما يشمل التعريب، وهو بذلك يعد من أوسع الأبواب لتنمية اللغة(١٩)٠

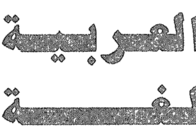
**الفرس والترك معظم كلماتهم مقتبسة من العربية**

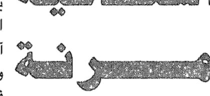
ويضيف عبد الصبور شاهين إلى هذه الروافد ما سماه «بالإلصاق» ويقصد به أن يضاف إلى أساس الكلمة زائدة في صدرها تسمى سابقة Prefixe أو في عجزها تسمى لاحقة Suffixe أو في وسطها وتسمى حشوا In-fixe(٢٠)٠

ويعتبر المجاز كذلك رافدا مهما من روافد التنمية اللغوية في وضع المصطلحات الجديدة، ويقصد بالمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى: فالطيارة تدل في الأصل على الفرس الشديد، والسيارة تدل على القافلة، ثم أطلقتا حديثا على الآلتين المستحدثتين اللتين تجوبان اليوم الأرض والفضاء(٢١)٠

سمتان بارزتان:

من فضول القول أن نذكر في هذا المقام أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم بالمفردات والمترادفات،






وهي على الأقل - أغنى بمفرداتها من مجموعة اللغات السامية، وقد انقرضت كلها - على وجه التقريب - ولم يعد منها إلا آثار تاريخية في النقوش والمخطوطات وهي الكنعانية والفينيقية والعبرية والآرامية والنبطية والبابلية والكلدانية والسريانية والهيروغرافية والحبشية.

ولا يدل على مرونة اللغة العربية واتساعها وشموليتها كثرة مفرداتها التي تعد بمئات الآلاف فحسب، ولكن يدل على ذلك أيضا كثرة الروافد والطرائق التي تغذى اللغة العربية وتسمح لها بالتوليد والإضافات كالقياس والاشتقاق والنحت والتعريب وغيرها.

وهذا يعنى أنها لغة مفتوحة للتواصل الدائم على مدى العصور، وأن باب الاجتهاد فيها لم يغلق ولن يغلق، وقد تحدث اللغويون عن خصائص اللغة العربية وتفردها في جوانب كثيرة، وتفوقها على كثير من اللغات الأخرى في هذه الجوانب، وذلك في دراسات مقارنة، وذلك يخرج عن نطاق بحثنا، ولكننا نجد من اللازم أن نتحدث في إيجاز عن مظهرين من مظاهر القدرة الذاتية في اللغة العربية وهما:

* **المظهر الأول:** دقة الفروق بين كثير من كلمات العربية مما يعتقد البعض أنها مترادفة أى متساوية تماما في المعنى(٢٢).

* **أما المظهر الثاني:** فهو الدقة في الاستيعاب، وتعريف المسمى بكل أنواعه التعريف الجامع المانع الذى لا يترك زيادة لمستزيد.

**أولا: دقة التفريق:**

ومن أشهر الكتب التي تناولت هذه الظاهرة كتاب الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى، ونجتزئ منه ببعض الأمثلة التي تبين عن هذه القدرة.

١ - **الفرق بين الصفة والنعت:** النعت لما يتغير من الصفات والصفة لما يتغير. فالصفة أعم من النعت ص١٨.

٢ - **الفرق بين الحقيقة والحق:** الحقيقة: ما وضع من القول موضعه فى أصل اللغة: حسنا كان أو قبيحا. والحق: ما وضع موضعه من الحكمة، فلا يكون إلا حسنا. ص٢١.

٣ - **الفرق بين الإعادة والتكرار:**
**التكرار:** يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات. أما الإعادة فهى للمرة الواحدة. ص٢٧.

٤ - **الفرق بين الهجو والذم:** الذم: نقيض الحمد، وهما يدلان على الفعل، والهجو: نقيض المدح، وهما يدلان على الفعل والصفة، كهجوك الإنسان بالبخل وقبح الوجه، وفرق آخر: أن الذم يستعمل في الفعل والفاعل فتقول ذممته بفعله، وذممت فعله. والهجو يتناول الفاعل والموصوف دون الفعل والصفة، فتقول هجوته بالبخل وقبح الوجه، ولا تقول هجوت قبحه وبخله. ص٣٨.

٥ - **الفرق بين المسألة والفتيا:** المسألة عامة في كل شيء، والفتيا سؤال عن حادثة. ص٤٩.

٦ - **الفرق بين العلم والمعرفة:** المعرفة: أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه. والعلم يكون مجملا ومفصلا. ص٦٢.

٧ - **الفرق بين القريحة والطبيعة:** الطبيعة ما طُبِعَ عليه الإنسان أى خلق. والقريحة فيما قال المبرد: ما خرج من الطبيعة من غير تكلف. ص٦٨.

٨ - **الفرق بين الإهلاك والإعدام:** الإهلاك: أعم من الإعدام، لأنه قد يكون بنقض البنية وإبطال الحاسة، وما يجوز أن يصل معه اللذة والمنفعة. والإعدام: نقيض الإيجاد، فهو أخص: فكل إعدام إهلاك، وليس كل إهلاك إعداما. ص٨٤.

٩ - **الفرق بين الجعل والعمل:** العمل هو إيجاد الأثر في الشيء والجعل تغيير صورته بإيجاد الأثر فيه. ص١١٠.

١٠ - **الفرق بين البعض والجزء:** البعض ينقسم والجزء لا ينقسم، والجزء يقتضى جمعا والبعض يقتضى كلا. ص١١٦.

١١ - **الفرق بين النصيب والحظ:** النصيب يكون في المحبوب والمكروه. والحظ ما يكون في الخير. ص١٣٦.

١٢ - **الفرق بين الولاية (بفتح الواو) والنصرة:** الولاية النصرة لمحبة المنصور لا للرياء والسمعة، لأنها

# «إننا لندين في كثير من أسباب الحياة الحاضرة»

تضاد العداوة، والنصرة تكون على الوجهين. ص١٥٦.

**١٣ ـ الفرق بين الإيجاب والإلزام:** الإلزام يكون في الحق والباطل، يقال ألزمته الحق، وألزمته الباطل. والإيجاب: لا يستعمل إلا فيما هو حق. فإن استعمل في غيره فهو مجاز، والمراد به الإلزام. ص١٩٠

**١٤ ـ الفرق بين الأبناء والذرية:** الأبناء يختص به أولاد الرجل وأولاد بناته، والذرية تنتظم الأولاد الذكور والإناث. ص٢٣٤

**ثانيا: الدقة في الاستيعاب:**

فالعربية وضعت للمسمى الحسي ـ بصفة خاصة ـ التسمية الجامعة المانعة بحيث لا يدخل معها غيرها. ونسوق هنا سطورا في كتاب «الفرق» لابن فارس اللغوي. وأغلبه في تحديد أسماء أعضاء الإنسان والحيوان، وما يتعلق بها:

**١ ـ باب الشفة:** الشفة من الإنسان، وهو من الإبل المشفر. ومن ذوات الحافر: الجحفلة. ومن ذوات الظلف المقمّة ومن الطائر غير الجارح: المنقار ومن الجارح المنسر. ومن الذباب: النقط. ص٥١

**٢ ـ باب الأصوات:** صاح الإنسان، وصوت، وعزف الجني. ورغا البعير، وهدر ـ وذلك عند هيجه ـ وكت البكر. والصريف صوت نابه عند حكه إياه. وثغت الشاة ونب التيس عند السفاد، وخارت البقرة، وتأج الثور وبغم الظبي بغاما وصهل الفرس. وحمحم عند الشعير، والخضيعة صوت يسمع من جوفه ولا يدرى من أين هو ونهق الحمار.. الخ ص٧٠

ويرى العقاد أن اللغة العربية فاقت غيرها من اللغات، بما اشتملت عليه العربية من تحديد دقيق لكل ساعة من ساعات الليل والنهار والشهور والفصول والمواسم وغيرها(٢٣).

ولا مبالغة فيما ذكره العقاد ففي «فقه اللغة» للثعالبي وهو يتحدث عن أوائل الأشياء:

الصبح: أول النهار. الغسق أول الليل، الوسمي: أول المطر، البارض: أول النبت. اللعاع: أول الزرع. اللباء: أول اللبن. السلاف: أول العصير. الباكورة: أول الفاكهة. البكر: أول الولد. الطليعة: أول الجيش. النهل: أول الشرب. النشوة: أول السكر. الوخط: أول الشيب. النعاس: أول النوم. الحافرة: أول الأمر. الفرط: أول الرواد. الزلف: أول ساعات الليل. الزفير: أول صوت الحمار(٢٤).

وفي ساعات النهار:

الشروق. ثم البكور. ثم الغدوة. ثم الضحى. ثم الهاجرة. ثم الظهيرة. ثم الرواح. ثم العصر. ثم القصر. ثم الأصيل. ثم العشى.

الغروب وساعات الليل: الشفق. ثم الغسق. ثم العتمة. ثم السدفة. ثم الجهمة. ثم الزلة. ثم الزلفة. ثم البهرة. ثم السحر. ثم الفجر. ثم الصبح، ثم الصباح(٢٥)

هذه الخصائص التي تفردت بها العربية ـ وغيرها كثير مما ذكر في كتب علم اللغة ـ تقطع بأن العربية لغة خالدة، لأنها مهما تكالب عليها من محن ـ يبقى لها هذا الرصيد الضخم من القوة الذاتية الداخلية التي تجعلها لغة قادرة في كل الظروف والأزمنة والأحوال.

---

**الهوامش:**

(١) شحادة الخوري: «اللغة العربية والتقدم العلمي والثقافي في الوطن العربي» ص٢٩ (من دراسته المنشورة في مجلة التعريب). ويلاحظ أن الكاتب يستخدم كلمة التقانة محل كلمة التقنية وهي الأشهر.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب»٢» وانظر في الكتاب بعض الأسماء العربية التي اقترضتها اوروبا ص ١٧ـ ١٩. وانظر جدولا كاملا (٥٥٢ ـ ٥٥٩) يضم الكلمات الألمانية المأخوذة عن العربية والفارسية، وكلها تتعلق بالعلوم التجريبية والانسانية والماكولات وأدوات المعيشة. وارجع كذلك الى الفصل القيم الذى عقده الدكتور على حسنى الخربوطلى بعنوان «الحضارة العربية أساس الحضارة الأوروبية» من ص١٠٦ الى ص١٣٤ من كتاب (العرب في أوروبا).

(٣) التعريب يعنى نقل اللفظ الأجنبي إلى العربية مع المحافظة على أصله ما أمكن ويؤخذ فيه بأقرب نطق إلى العربية (مذكور: في اللغة والأدب٩٨) ويحدث في الكلمة بعض التغييرات الشكلية لتوافق النطق أو الوزن العربي. (انظر عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ٣١٤. وهو يطلق كلمة (التدخيل) مقابلة للتعريب وتعنى إدخال الكلمة الأجنبية في اللغة العربية دون




أى تغيير (ص٣٣٥)٠ وانظر: باب: معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمى من ص٥٤ إلى ص٥٨ من كتاب (المعرب) للجواليقى٠

(٤) د٠ على عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع٢٢٠

(٥) وافى : السابق٢٣٠

(٦) انظر د٠ كارم السيد غنيم: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة: ١٠ ـ ٢٤٠

(٧) د٠ ابراهيم انيس من اسرار اللغة ٦٠

(٨) السابق الصفحة نفسها٠

(٩) أنيس: السابق ٨٠ وانظر التفصيل ٨ ـ ٦١٠

(١٠) شحادة الخورى: مرجع سبق ٣٧٠ وانظر شاهين مرجع سبق ٢٦٠٠

(١١) شاهين: السابق ٢٦٤، وانظر انيس السابق ٦٢ ـ ٦٨٠

(١٢) أنيس: السابق ٨٦٠

(١٣) انظر أنيس السابق ٨٦ ـ ٩٤٠

(١٤) أنيس السابق ٩٥٠

(١٥) أنيس السابق ١٠٥٠

(١٦) أنيس السابق ١٠٦

ومن الارتجال الذي سمعته بنفسي في مصر إطلاقات العامة على (الجنيه) وهي بالترتيب التاريخي: المحبوب ـ اللحلوح ـ الأهيف٠ وهم حاليا يطلقون كلمات: الأستك والباكو والأرنب: على المبالغ الآتية بالترتيب: مائة الجنيه، ألف الجنيه، المليون٠ ومن الارتجالات الخاصة بالجزارين: العضوان (اللحم) ـ الكوكل (للعظم)٠ الجارية (للكبد)٠ واذكر ـ من صفرى: أن تجار المنسوجات الحريرية في المنزلة (وهى مدينة في شمال مصر) كانوا يستعملون الكلمات الآتيه إذا طلب احدهم من آخر السكوت وعدم التدخل: خد الخيط ـ اسماعيل ـ دِكْ العتْمة، وأحدث ما سمعت٠ إطلاق كلمة «شلن» على الخمسين جنيها، وكلمة «بريزة» على مائة الجنيه٠

(١٧) أنيس: السابق ١٠٧ ـ ١٠٨٠

(١٨) أنيس: السابق ١٢٢٠

(١٩) انظر: أنيس: السابق ١٠٩ ـ ١٣١٠

)٢٠) انظر شاهين: مرجع سبق ٢٦٥٠

(٢١) انظر شحادة الخورى: مرجع سبق ٣٧٠

(٢٢) لمعرفة تفاصيل الخلافات في الترادف ارجع الى كتاب (فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٢ ـ ١٨٠)٠

(٢٣) انظر العقاد: اللغة الشاعرة ٧١ ـ ٧٣٠

(٢٤) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ١٩٠٠

(٢٥) الثعالبي : السابق ٣٢٨ ـ ٣٢٩

---

أهم المراجع:


١ ـ شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكه (أثر الحضارة العربية في اوروبا) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٥ (١٤٠١ ـ ١٩٨١)٠

٢ ـ العرب في أوروبا٠ د٠ على حسن الخربوطلي (الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥)٠

٣ ـ العربية لغة العلوم والتقنية: د٠ عبد الصبور شاهين ـ دار الاصلاح الدمام ط١ ـ ١٩٨٣٠

٤ ـ الفروق اللغوية: لأبى هلال العسكري ـ ضبطه وحققه حسام الدين القدسى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١٠

٥ ـ فقه اللغة وسر العربية: للثعالبي: أبى منصور إسماعيل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (د٠ت)

٦ ـ في اللغة والأدب: د٠ ابراهيم بيومي مدكور ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧١٠

٧ ـ في اللهجات العربية: د٠ ابراهيم أنيس ـ لجنة البيان العربي ـ ط٢ ـ القاهرة ١٩٥٢٠

٨ ـ كتاب الفرق: لابن فارس أبى الحسين أحمد تحقيق د٠ رمضان عبد التواب ط١ (١٤٠٢ ـ ١٩٨٢) ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة٠

٩ ـ اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد ـ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠٠

١٠ ـ اللغة العربية والتقدم العلمى والثقافي في الوطن العربي: شحادة الخورى ـ بحث في مجلة التعريب ـ دمشق ـ مارس ١٩٩١٠

١١ ـ اللغة والمجتمع: د٠ على عبد الواحد وافي ـ دار احياء اللغة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٤٦٠

١٢ ـ المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: الجواليقى: أبي منصور موهوب بن احمد٠ تحقيق وشرح أحمد شاكر ـ دار الكتب المصرية ١٩٦٩٠

١٣ ـ من أسرار اللغة: د٠ ابراهيم أنيس ـ ط٦ ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٨٠

لغتنا الجميلة

# العربية بين الواقع والطموح


بقلم د. :
احمد مصطفى أبو الخير
كلية التربية - دمياط


***إن تعلم العربية ودراستها وفقهها تدفع إليها عوامل كثيرة منها:***

**١ - الدين:**

***إذ يقر فى ذهن كل مسلم أن العربية شعار الإسلام وأهله، ولغة القرآن والسنة وأسفار هذا الدين(١)، والراسخين من علماء الإسلام، يقول ابن تيمية(٢): (فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربى، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا متكلمين به، لم يكن سبيل الى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين ، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب الى إقامة شعائر الدين، وأقرب الى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم..***

فاللسان تقارنه أمور أخرى من العلوم والأخلاق، فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله، وفيما يكرهه، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة).

ولما كانت اللغات من أبرز السمات التى تتميز بها الأمم والشعوب، فإنه ينبغى لكل من يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها، فهى اللغة التى يجب أن يرغب فيها المسلمون مع الإشارة الى أن النطق بغير العربية من لغات الأمم الأخرى لا يحرمه الإسلام، إلا أن المسلم إذا كان يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يصح أن يميل الى غيرها من اللغات، فإن هذا يورث النفاق.

يقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه: (تعلموا العربية، فإنها من دينكم) فهذا الذى أمر به عمر - رضى الله عنه - من فقه العربية، وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق الى فقه أقواله وفقه السنة هو الطريق الى فقه أعماله(٣).

صفوة القول أن تعلم العربية وفقهها من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد يقال: إذا كانت العربية

لغة القرآن ولغة الثقافة الاسلامية، فإن كثيرا من غير العرب يستطيعون قراءة القرآن بشكل جيد ـ ربما أفضل من بعض العرب أصحاب اللغة ـ دون أن يكونوا قد تعلموا العربية، كما أن القرآن نفسه وكتب السنة ومالا يحصى من الأسفار الإسلامية قد ترجم من العربية الى لغات العديد من الشعوب الاسلامية، أو ترجم الى بعض اللغات الأوربية التي يتكلم بها المسلمون كالإنجليزية والفرنسية(٤) مثلا.

والحق أننا لا ينبغي أن نغض من شأن الترجمة هنا، وبخاصة ترجمات معانى القرآن الكريم، أو أن نناقش الأمر من حيث الحل والحرمة، فالذى يترجم هو معانى هذا الكتاب، أو تفسيره كما يبدو للمترجم، الذى يحتاج الى فهم دقيق وعميق للعربية وللغة التى يترجم إليها، وهى درجة سامقة، قلَّ من يصل إليها، أو يقترب منها كثيرا.

وبرغم هذا فإن ترجمات معانى القرآن بشكل خاص أصبحت أمرا واقعا لا مناص منه، ولا سبيل الى تجاهله، وهى مفيدة لمن لا يعرف العربية، لكنها تحتاج من علماء العربية الذين يتقنون اللغات المترجم إليها أن يديموا النظر فى هذه الترجمات، إذ لا تخلو من مزالق وأخطاء بحسن نية، أو عن قصد، وسوء طوية(٥).

ففى نيجيريا مثلا ترجم أبو بكر(٦) جومى معاني القرآن الكريم الى لغة الهوسا ـ إحدى اللغات (٧) الثلاث المهمة هناك ـ ومع هذا كنت أسمع من الزملاء الهوسويين انتقادات مريرة لهذه الترجمة، وكان رأيى دائما أن كل هذه الملاحظات يجب أن تقيد بالكتابة وترسل للمترجم، أو دار النشر لتلحق بالترجمة، أو تعدل الترجمة إذا كانت الملاحظات جادة موضوعية مقنعة. وقد حفزتنى هذه الملاحظات الى النظر في ترجمة أبى بكر جومي، وترجمة عبد الله يوسف على إلى الإنجليزية(٨)، وأخيرا ترجمة معاني القرآن الكريم الى لغة الملايو(٩)، فخلصت الى أن هذه الترجمات لا يستعان بها إلا عند الضرورة، وبحذر شديد، مع وجوب النظر فيها باستمرار من قبل العلماء الراسخين فى العربية واللغات الأخرى التى يترجم إليها.

«تعلموا العربية فانها من دينكم» (عمر بن الخطاب)

نعود مرة أخرى إلى من يقرأ القرآن الكريم بشكل جيد، ومع هذا فهو لا يعرف العربية، أو لا يعرف شيئا من العربية، نعم هذا صحيح، ولكنه يقرأ دون أن يفهم شيئا من المعنى، ولا تتجاوز استفادته مجرد القراءة، ولا شيء غيرها.

وقد استمعت إلى محاضرة لأحد الزملاء في ماليزيا يجيد الفصحى بشكل واضح جلى، ومع هذا فهو يصرح ـ برغم عكوفه على العربية لسنوات ـ بأنه يحس بأن فى العربية من الأسرار مالا يدرك كنهها ولا يسبر غورها إلا العرب أنفسهم أصحاب اللغة.

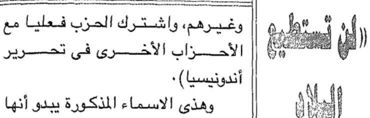
خلاصة القول أن تعلم العربية وفقهها فرض واجب، وإن كان فرض كفاية، إذ ليس من المنطقى شرعا وعقلا أن يكون هذا فرض عين على كل مسلم ليكون متفقها خبيرا بالعربية وعلومها ودروبها، بل كما قال الله ـ تعالى: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»(١٠).

**٢ ـ التواصل بين المسلمين:**

إن عدد المسلمين في العالم يزيد على المليار،

لهم لغات مختلفة، أشهرها فى إفريقية العربية والهوسا والفلانية والسواحلية(١١)، وفى آسيا التركية والفارسية والأوردية والملايو، ومن هنا كان لابد من لغة مشتركة يتحدث بها المسلمون حين يلتقون فى مؤتمراتهم، وفى مؤسساتهم العالمية أو الإقليمية، أو فى غيرها، وليس أقدر من العربية فى هذى الحالات.

ولا يقال هنا إن اللغات الأوربية، ولا سيما الإنجليزية، يمكن أن تقوم بهذا الدور، أو هى بالفعل تقوم بهذا الدور الآن، لأن الإنجليزية وإن كانت لغة رسمية فى بعض البلاد مثل نيجيريا، فإنها ليست سائدة منتشرة على المستوى الشعبى وخاصة خارج نطاق الموظفين، والأوراق(١٢) والمستندات. كما أنه يجب الاعتراف بأن المسلمين لا يميلون إلى الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأوربية، كما يفعل غيرهم، فضلا عن وجود جاليات عربية قديمة وحديثة في أرجاء المعمورة ونواحيها وعدد كبير من المسلمين الذين تعلموا العربية في بلادهم، أو فى بلاد العرب.



«لن تستطيع البلاد الإسلامية أن تتواصل إلا من خلال اللغة العربية»

د. السعيد بدوي

وفيما يختص بالجاليات والهجرات العربية التي ما تزال متواجدة على الساحة، ولها حضور وتميز فى الوطن الثانى الذى استقروا فيه ما يرويه محمد شهاب فى كتابه: (صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة)(١٣) من أنه فى سنة ١٩٣٧ قام جماعة من شباب العرب المثقفين - من مواليد أندونيسا - بتأليف حزب سياسى لهم باسم: حزب عرب اندونيسيا، بقيادة الشاب الناهض عبد الرحمن باسويدان، وعدد من زملائه، بينهم حسن بافقيه، وحسين العطاس، وعلوى بن شهاب، وغيرهم، واشترك الحزب فعليا مع الأحزاب الأخرى فى تحرير أندونيسيا).

وهذى الاسماء المذكورة يبدو أنها يمنية، من الهجرات القديمة التى يقال بأن بدايتها ترجع للقرن السادس(١٤) الهجرى، والتى يستمر تواجدها إلى الآن، هذا التواجد العربى الذى لمسته أثناء عملى فى الشرق الأقصى فى بداية التسعينيات، كما رأيته فى نيجيريا فى الثمانينيات، وقد أشار كثير من الباحثين إلى الجاليات القديمة) وبخاصة في إفريقية(١٥).

وإن المقام لا يتسع لمزيد من التفاصيل فى هذه المسألة، بيد أنه كان لابد من الإشارة الى أن العربية ليست حبيسة ما يسمى بالعالم العربي، وإنما تمتد أبعد من هذا بكثير، وأن الإنجليزية وإن كان لها انتشار واسع فى كثير من البلدان إلا أن السيطرة الكاملة ليست موجودة وليست أيضا متصورة بل هناك لغات أخرى إلى جانبها، منها اللغة العربية، التى لا يتخيلها بعض أبنائها إلا فى نطاق محلى ضيق.

**٣ - العلاقات الاقتصادية مع العالم العربي:**

مما لا شك فيه أن العرب قبل الإسلام كانت لهم علاقات تجارية بغيرهم من الأمم، ولذا امتن الله على قريش برحلتي الشتاء والصيف: (لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)(١٦).

ولو لم يكن هؤلاء على علاقة بالحبشة ما فكر المسلمون فى الهجرة إليها، بل إن قريشا أرسلت وفدا من رجالها لإعادة من صبأ عن أصنامهم - حسب رؤيتهم - (١٧).

# لا ‥ «سبيل الى ضبط هذا الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان» (ابن تيمية)

وبعد الإسلام خرج العرب من جزيرتهم إلى هذا العالم المتسع فتعددت العلاقات وتشابكت، ولا نريد أن نتحدث عن الماضى، بل نقصد حاضر العالم العربي الذى دفعه إلى بؤرة الاهتمام، وخاصة بعد ظهور الثروة النفطية، ومن ثم كانت هناك علاقات اقتصادية ضخمة بين العالم العربي وبين مختلف دول العالم، ولا سيما العالم الإسلامي.

يقول الدكتور السعيد بدوى (١٨): (إن حاجتنا الى اللغة العربية فى العصر الحاضر قد امتدت وخرجت عن نطاق الدائرة الضيقة التى كانت تشغلها فى الماضى؛ ولن تستطيع البلاد الإسلامية أن تتواصل وتتفاهم، وتتفق على الأسس الأخلاقية الضرورية للتنمية والازدهار إلا من خلال اللغة العربية‥ لقد رفضت الصين أن تتعامل مع البلاد العربية من خلال اللغات الأوربية ، ولهذا نرى العلماء والخبراء والدبلوماسيين الصينيين يتعاملون مع العالم العربى اليوم من خلال اللغة العربية فقط).

ولعل هذا سر نجاح الصين فى إقامة علاقات اقتصادية ضخمة مع الدول العربية، وليست هذه الدولة بدعا بين البلاد فى هذا الشأن، فهناك مثال آخر، حيث نجد اللغة العربية إحدى اللغات التى تدرس فى مركز اللغات، بمعهد مارا العالى للتكنولوجيا - الماليزى - بجانب اللغات الأوربية والآسيوية الأخرى مثل الفرنسية والألمانية واليابانية، وغيرها، وكانت بداية تدريس اللغة العربية فى معهد مارا فى أواخر الستينيات‥ وفى الثمانينيات بدأ تاريخ جديد لتعليم العربية، فى معهد مارا، حيث انتشرت هذه اللغة إلى جميع فروعه المتواجدة فى كل الولايات الماليزية‥ وفى عام ١٩٨٦م بدأ تدريس العربية بطريقة حديثة، بتدريسها كلغة اتصالية)(١٩).

ويحسن بنا أن نتوقف أمام الأهداف التى يتوخاها معهد مارا من وراء تدريس العربية، وبهذا الشكل، وبهذه الدرجة من الاهتمام.

**أولا: الأهداف العامة: (٢٠)**

(أ) منح الفرص للطلبة الذين سيدخلون فى مجالات الأعمال المتخصصة في جميع المهارات، للاتصال مع رجال الأعمال العرب، والتنافس معهم، داخل ماليزيا، وخارجها، فى البلدان التى تستخدم اللغة العربية.

(ب) حث الطلبة على الهجرة الى البلدان التى يقيم فيها رجال الأعمال العرب لممارسة مهاراتهم هناك.

(ح) إيجاد الجو الاستثمارى بين ماليزيا والشرق الأوسط، فى سبيل التنمية الوطنية، والتقدم الصناعى، الذي يعتبر الهدف الاقتصادى الأساسى للحكومة الماليزية فى الوقت الحاضر.

(د) تشجيع الطلاب على العمل فى الشركات أو المؤسسات العربية، فى الداخل، أو فى الخارج.

**ثانيا: الأهداف الخاصة: (٢١)**

(أ) معرفة مجالات الأعمال التى تستخدم فيها العربية بصورة مباشرة، وإيجاد العلاقات الودية مع العالم العربي، في المجالات المختلفة.

(ب) توثيق العلاقات بالعالم العربى بواسطة لغته

الأصلية.

(ج) فهم النصوص العربية واستيعابها حتى تساعد الطلبه على الإفادة من الكتابات العربية فى المجالات العلمية المختلفة.

**٤ - العمل فى الدول العربية:**

لقد شهدت بعض الدول العربية وبخاصة فى الخليج - تدفق البترول وعائداته مما أدى الى تزايد فرص العمل والكسب أمام عدد لا يحصى من الشرق أو الغرب، من المسلمين، ومن غيرهم، مما أدى الى إيجاد حوافز جديدة لدى الكثيرين على تعلم العربية(٢٢).

وتشير الاحصاءات السنوية التى تصدرها الجامعات فى الشرق والغرب - وبخاصة اليابان وأمريكا - إلى أن عدد المسجلين فى دراسة العربية - من غير العرب - يتغير طردا وعكسا مع درجة تغير العلاقات الدبلوماسية، وبالتالى الروابط الاقتصادية وفرص التجارة، والتبادل بين الغرب، والعالم العربى، ومنطقة الخليج على وجه الخصوص(٢٣).

وقد لوحظ منذ بضعة أعوام أن عددا كبيرا من طلاب الطب والهندسة والفروع التقنية، في الجامعة الوطنية الأيرلندية بدبلن، قد أخذوا يدرسون العربية قبل تخرجهم بسنوات حتى يكونوا مؤهلين لغويا للعمل فى البلاد العربية عندما ينتهون من دراستهم الجامعية، وقد امتد تأثير هذا العامل - فى إيجاد الحافز على تعلم العربية - الى بعض المجتمعات المسلمة، غير العربية، تلك التى كانت الى عهد قريب، تتخذ من تعلم العربية مجرد وسيلة الى العبادة، وقراءة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فقد قامت فى بعض المدن الكبيرة فى باكستان مثلا كثير من المدارس الليلية التجارية التى تعلم العربية بالأجر للراغبين فى السفر الى بلاد الخليج، من أرباب الصناعات والحرف، كالمرضات والعمال والفنيين، بل من الأطباء والمهندسين.. وكل هذا لم يكن من الممكن أن يحدث فى البلاد الإسلامية في الماضى(٢٤).

**الاستشراق مهما يكن مأخذنا عليه خدم العربية كثيرا**

**٥ - الاستشراق:**

ظهر اهتمام شعوب العالم بالعرب، منذ بزوغ الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة فى القرن السابع الميلادى، وقد نشأ عن هذا الاهتمام حركة واسعة - خصوصا فى الغرب الأوربى الناهض، والطامح إلى التوسع والسيطرة، إثر الحروب الصليبية، وعصر النهضة، متعديا حدود الدفاع عن النفس - أطلق عليها اسم الاستشراق، الذى كان يعنى دراسة الشرق من جميع النواحى، وكان مفهوم الشرق فى أذهان الأوربيين، ينصرف غالبا الى الشرق العربي، الذى كان يشمل فيما يشمل الشرق الإسلامى كذلك، لأنه ينضوى تحت اسم الحضارة العربية الإسلامية، ويحمل طوابعها، وخصائصها عموما(٢٥).

ولا نريد أن نخوض فى تاريخ الاستشراق وأهدافه المختلفة، وغاياته المتشابكة - سواء أكانت علمية أم دفاعية أم اقتصادية... الخ - وكذلك لا نرى تقييم نتائج الاستشراق، لنا أم علينا - لأن حركة الاستشراق نشأت فى الغرب برجاله وإمكاناته وعقليته، فلابد أن تعمل لخدمة الغرب أولا وأخيرا، وإن كان هذا لم يخل من خدمة للعربية من بعض الوجوه، إضافة إلى خدمة مراكز

# الكثير يتعلم العربية لأسباب وظيفية

الاستشراق، والبلدان التى تدعمها، كما كانت سببا مهما من أسباب انكباب كثير من العلماء - المستشرقين - على تعلم العربية، ودراستها، وإمعان النظر فيها، من جميع وجوهها ونواحيها، ولا يحتاج القارىء هنا إلى أمثلة من هؤلاء المستشرقين الذين أفنوا أعمارهم فى دراسة العربية وخدمة قضاياها.

ويعجب المرء حين يعلم أن المستشرق الألمانى (أوجست فيشر) (١٨٦٥ - ١٩٤٩م) عنى بالمعجم العربي، وظل قرابة الخمسين عاما(٢٦) يخطط ويعمل من أجل معجم عربى يتلافى ما نجده فى المعاجم العربية القديمة من ملاحظات وثغرات، وإذا كانت المنية قد وافته قبل إنجاز هذا العمل الطموح، فإن نخبة من المستشرقين الألمان، وعلى رأسهم البروفيسور شبيتالر، رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونيخ، يقومون بإخراج هذا المعجم الذى(٢٧) خطط له فيشر، يقول رودى بارت: (وقد أصبح المعجم - برغم عدم اكتماله - عدة، لا غنى عنها للمشتغل بالدراسات العربية، ونأمل أن يتقدم العمل فى هذا المعجم العظيم، الذى يعتبر نموذجا لنشاط العلماء الألمان، فيشمل الأحرف الأخرى)(٢٨) حيث وصل العمل الآن الى حرف الميم.

خلاصة القول أن الاستشراق برغم ما عليه من ملاحظات، أو انتقادات، فقد أفاد العربية ودرسها، كما كان - بلا شك - حافزا مهما لتعلم العربية ودراستها، بل الانكباب على دراستها لدى عدد لا يحصى من العلماء الذين ضمتهم بوتقة الاستشراق.

فهذه الحوافز الخمسة: (الدين - التواصل بين المسلمين - العلاقات الاقتصادية مع العالم العربي - العمل فى الدول العربية - الاستشراق) هى التى تدفع غير العرب الى تعلم العربية، وربما الانكباب والعكوف على درسها.

أما العرب أنفسهم فإن واجبهم نحو لغتهم، ونحو من يرنو الى العربية ودرسها، لهو واجب شرعي فى المقام الأول، دينى ودنيوى فى نفس الوقت، وبرغم الجهود الحثيثة التي يبذلها بعض المخلصين، وقيام بعض المؤسسات والمجامع والأقسام والمعاهد والكليات... الخ لخدمة اللغة العربية وقضاياها وهمومها، فإن هذا كله لا يتوازى مع أهمية القضية وخطورتها، ولا يشبه ما تفعله الشعوب الأخرى لإعلاء راية لغتها، لأننا - فى كثير من الاحيان - لا نرى الاهتمام بالعربية يخرج عن نطاق المهنة والتخصص، وبخاصة فيما يتعلق بشئون العربية خارج الوطن العربي.

وبرغم عدم إدراك بعض العرب لأهمية لغتهم وخطورة شأنها فإننا نجد غير العرب - لا سيما المسلمون - فى أرجاء مختلفة فى هذه المعمورة يهتمون اهتماما بالغا بالعربية، ويحرصون على تعلمها ونشرها، فكثير من المطبوعات والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات خارج الوطن العربي، بل كثير من المؤتمرات قد اهتمت بتعليم العربية لغير العرب، وعكفت على درسها، وكل هذا خارج إطار الاستشراق، ونشير هنا إلى ثلاثة فقط من هذه المؤتمرات.

(١) المؤتمر القومى عن الدراسات العربية فى مرحلة التعليم الجامعى، عقد فى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، نيجيريا، أكتوبر ١٩٨٧م.

(٢) ندوة تطوير تعليم اللغة العربية فى ماليزيا،

وموضوعها: (تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) نظمتها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بالتعاون مع وزارة التربية الماليزية، ومعهد العلوم الإسلامية والعربية بجاكرتا، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد عقدت الندوة فى أغسطس ١٩٩٠م.

(٣) المؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد عقد فى جامعة بروناى (دار السلام) نوفمبر ١٩٩٢م.

فإذا كان غير العرب يهتمون - لسبب أو لآخر - بلغتنا، فإن واجبنا دعم هذا الاهتمام ومؤازرته، ودفعه نحو الأمام، لتحقيق أفضل النتائج لخدمة العربية ودرسها.

وقد أدرك بعض المخلصين خطورة القضية وأهميتها فقامت بعض المؤسسات والجامعات فى العالم العربي بمجهودات مهمة فى هذا الشأن، يذكر منها هنا:

**المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو):**

فقد قامت بخطوات جادة فى خدمة العربية وبخاصة فى القارة الإفريقية، منها(٢٩):

أ - عقد دورات تدريبية لمدرسى اللغة العربية لغير الناطقين بها.

ب - إرسال الخبراء المختصين فى وضع المناهج الدراسية لعدد من المعاهد والجامعات.

جـ - تقديم المنح للطلاب الأفارقة للدراسة فى المراحل الجامعية، والدراسات العليا فى تخصصات مختلفة، منها اللغة العربية.

د - إيفاد أساتذة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية لعدد من الدول الإفريقية فى غرب القارة، وشرقها.

هـ - إصدار بعض الدوريات التى تهتم - فى جانب منها - بالعربية ودرسها(٣٠).

ز - على أن من المشروعات الطموح، بالغة الأهمية، مشروع دعم كتابة اللغات الإفريقية بالحروف العربية، يقول الدكتور عبد العزيز التويجرى الأمين العام للإيسيسكو(٣١): «الحرف العربى كان يستخدم فى كتابة لغات الشعوب المسلمة قبل مجيء الاستعمار، حيث أبدل الحرف العربي، ووضع مكانه الحرف اللاتينى، لكن الناس مستمسكون بارتباطهم الوثيق بالقرآن الكريم وبالدين الإسلامى، وبالحرف العربى، الذى كتبت به لغاتهم سابقا، لأن هذا رمز هويتهم الحضارية، ودليل انتمائهم للأمة الاسلامية، ولذا بادرت المنظمة منذ سبع سنوات إلى إعداد دراسات علمية متخصصة لتكييف الحرف العربى وتنميطه ليتم استخدامه فى كتابة لغات هذه الشعوب.. وقمنا - بالفعل - بتنميط الحرف العربى ليوائم كتابة لغات ست عشرة لغة إفريقية، فى شرق إفريقية وغربها، وتم صنع آلة كاتبة تستخدم هذا الحرف المنمط لكتابة هذه اللغات الست عشرة، ونحن الآن بصدد المرحلة الثانية، وهى كتابة لغات الشعوب المسلمة الآسيوية بالحرف العربي».

**لغات الشعوب المسلمة كانت تكتب بالحرف العربي**

**المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:**

وتسير هذه المنظمة فى نفس الدرب تقريبا الذى تسير فيه الإيسيسكو، وإن كان عمل المنظمة العربية يتم من خلال جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية(٣٢)، ومعهد الخرطوم

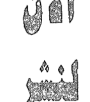
الدولى للغة العربية.

كما يلاحظ أيضا أنها تركز على القارة الإفريقية، حيث مقر المنظمة فى تونس - ومعهد الخرطوم أيضا - فى عقر الدار الإفريقية، ولذا رعت المنظمة - مثلا: (الملتقى العربى الإفريقى حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى) بالتعاون مع المعهد الثقافى الأفريقي بداكار، وقد انعقد الملتقى في أبريل ١٩٨٤م(٣٣).

ويقول الدكتور محيى الدين صابر الرئيس السابق للمنظمة: (ظلت قوة اللغة العربية أقوى من كل أسلحة أعدائها، إلا أنها أصيبت بضعف، لم تكد تقوم له جهود الدول العربية، بكفاية وقدرة بعد، ومن هنا تصبح تقوية اللغة العربية وتنميتها ضرورة قومية ودولية.. بما يضع اللغة العربية، والأجيال العربية فى مستوى المسئولية الحضارية والسياسية، التى يفرضها وضع الأمة العربية قوميا.. ودوليا فى مواجهة الالتزامات العقدية والثقافية، تحقيقا لعالمية اللغة العربية، ونشرا لها فى العالم الإسلامى، ودعما لوجودها فى المنظمات الدولية والقارية، وفى المؤسسات العلمية والأكاديمية، وهكذا يتحقق - عن طريق تقوية اللغة العربية وتنميتها - عالميتها دوليا، وعلميتها قوميا).










**مكتب التربية العربى لدول الخليج:**

الذى نهض الى العناية بها، والعمل على إشاعتها بين غير ابنائها - تعليما وتعلما - فأقام الدورات التدريبية، وعقد الندوات، وجمع المشتغلين بها فى حلقات للخروج بنهج علمي رائد فى سبيل انتشارها وتعلمها عند جمهور غير الناطقين بها(٣٥).

وقد بدأ بمنطقة الخليج، حيث يتوافد عليها جمهور من الأجانب للعمل.. إذ رأى من واجبه تجاه لغة القرآن الكريم أن يجتهد فى تقديم الزاد العلمى اللغوى، وفن الأساليب العلمية الحديثة فى تدريسها لغير الناطقين بها، ثم رأى أن من واجبه تجاه - هؤلاء الضيوف - أن يرشدهم - ومعظمهم من المسلمين - الى تعلم اللغة العربية، تمهيدا لتمكنهم من خلال وعائه - اللغة العربية - وتيسيرا عليهم في ذلك(٣٦).

**الجامعات العربية:**

إذا بدأ الحديث عن دور الجامعات فى العالم العربي، فلابد أن تكون البداية من الأزهر، فدوره رائد فى هذا المجال، فقد كان ومازال مقصدا للمسلمين من جميع أقطارهم، حيث يعيشون سنوات فى قلب العالم العربى، ولهذا تأثير يفوق ما يحلم به أصحاب أية لغة فى العالم، عندما يأتى إليهم طلاب لغتهم أو دينهم من جميع أقطار الأرض، وبهذا العدد الذى نراه فى الأزهر، جامعته ومعاهده، بل إنه خطا خطوة أخرى مهمة بإرسال المدرسين من أبنائه إلى مختلف أرجاء العالم وأقطاره، بل تقدم خطوات فى هذا السبيل بإنشاء معاهد أزهرية، على غرار معاهده فى مصر.

صحيح أن معظم الناس فى العالم العربى - وخاصة مصر - ربما لا يحسون بهذا الدور، ولا يقدرونه حق قدره، ولكن من يجوس خلال أقطار المسلمين وديارهم، يحس بأهمية هذا الدور وخطورته البالغة، وتأثيره البين الواضح على المسلمين فى مختلف أنحائهم وأرجائهم.

ونحن فى مصر بحاجة ماسة إلى تدعيم دور

الأزهر فى هذا المجال، وأن يتاح للجامعات الأخرى أن تفيد من تجربة هذا الصرح العلمى العريق، ومن ناحية أخرى فإن هذا الدور يجب أن يطور، كما طور الأزهر ذاته، كى نكون فى هذا البلد على مستوى التطور الذى يتلاحق فى عالم اليوم، وبما يليق مع أهمية مصرنا، ودورها الرائد فى العالمين العربى والإسلامى.

خلاصة القول: أن الأزهر برغم ما له وما عليه، فإن من الإنصاف أن نقرَّ له بالفضل والريادة فى نشر العربية والحفاظ عليها خارج العالم العربي، وذلك باستقدامه للطلاب المسلمين، وإرساله المدرسين والعلماء لمختلف أقطار المسلمين.

وبعد الأزهر تأتى الجامعات العربية الأخرى التى قدمت خدمات جليلة للعربية خارج الوطن العربى، فقد اعتمدت المؤسسات التى تحدثنا عنها من الإيسيسكو إلى غيرها - فى الأغلب الأعم - على الأساتذة الجامعيين، من مصر، أو من غيرها، سواء فى المؤتمرات والندوات أو البحوث والدوريات... الخ.

أما عن نشاطات الجامعات العربية فيتمثل فيما يلى:

١ - فتح باب القبول للطلاب للدراسة فى أقسام اللغة العربية، أو غيرها.

٢ - إنشاء معاهد متخصصة فى تعليم العربية، كما فى جامعة الملك سعود، والإمام (محمد بن سعود) والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة أم القرى(٣٨)، بل خطت جامعة الإمام خطوة موفقة ناجحة تمثلت فى إنشاء معاهد خارج الوطن العربى، فى جاكرتا وطوكيو وجيبوتى ونواكشوط وواشنطن(٣٩).

٣ - إصدار الدوريات المتخصصة، مثل: (مجلة معهد اللغة العربية) التى يصدرها معهد اللغة العربية، بجامعة أم القرى، وكذلك أصدرت وحدة البحوث التابعة للمعهد المذكور سلسلة دراسات فى تعليم اللغة العربية منها - مثلا - التمهيد فى اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور تمام حسان(٤٠).

٤ - إقامة الندوات والمؤتمرات، مثل:

(أ) الندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، الرياض، ١٩٧٨م.

(ب) ندوة خبراء تأليف كتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الرباط ١٩٨٠م.

(ج) ندوة معلمى اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٨١م.

(د) إقامة دورات تدريبية لمعلمى اللغة العربية فى بعض الدول الإسلامية، مثل (دورة تدريب معلمى اللغة العربية بماليزيا)(٤١) التى أقامتها جامعة أم القرى، فى ولاية كلنتان (دار النعيم) وهى معقل مهم من معاقل الثقافة العربية الإسلامية فى هاتيك البلاد.

(هـ) التعاون مع الجامعات غير العربية، سواء بإرسال الأساتذة أو الكتب أو بالمعاونة فى إعادة تخطيط مناهج اللغة العربية، والعلوم الإسلامية(٤٢)، وغيره من أوجه التعاون المختلفة(٤٣).

(و) على أن من الإنجازات المهمة لجامعاتنا العربية والذى كان تتويجا لجهود مخلصة دءوب، تأليف كتب لتعليم العربية لغير العرب، مثل:

** تعليم العربية لغير الناطقين بها، الكتاب

**الحرف العربي رمز الهوية الحضارية لكل المسلمين**

الأساسى جامعة أم القرى.

** العربية للحياة منهج متكامل فى تعليم العربية لغير الناطقين بها، جامعة الملك سعود بالرياض.

وهناك كتب أخرى - بالطبع - رعتها مؤسسات أخر، غير الجامعات، ولكن هذه الكتب خطط لها وصنفها - فى الأغلب الأعم - أساتذة الجامعات، منها:

** تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، عن طريق الراديو، إذاعة جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

** الكتاب الأساسى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

** العربية للناشئين، منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية، وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية.

إذن أصبح فى العربية أكثر من كتاب متخصص لغير العرب، وهذه خطوة مهمة، تتبعها خطوات أخر، تتمثل فى متابعة نتائج هذه الكتب على المستوى العملى، كى يعاد النظر فيها باستمرار، فتتقدم وتتطور.

وبعدما أشرنا بشىء من التفصيل إلى ما تبذله المؤسسات العربية والجامعات فى العالم العربى، وهى إنجازات مهمة وفى الاتجاه الصحيح، وقد تمت أيضا فى وقت قياسى، ومن هنا فهى بحاجة إلى دعمها، ودفعها خطوات أخرى الى الأمام، وإيجاد مزيد من التنسيق بين هذى الجهود المباركة.

**ولذا فإننا يمكن أن نذكر بعض المقترحات التى تدعم هذه الجهود، وتنسق بينها:**

(أ) يرى أحد الباحثين(٤٨) أننا بحاجة الى إنشاء: (المجلس الأعلى لتخطيط تعليم اللغة العربية) وبما أن الباحث كان يقدم مقترحة الى المؤتمر الدولى فى تعليم اللغة العربية فى بروناى - وقد سبقت الإشارة إليه - فقد اقترح أن يكون هذا المجلس مختصا بـ (جنوب شرق آسيا).

هذا المجلس يضم ممثلين لكل دولة من دول المنطقة، من قيادات تعليمية، وخبراء فى تعليم اللغة العربية، ورؤساء الجمعيات الإسلامية، ومديرى الجامعات المعنية، ورؤساء اتحادات معلمى اللغة العربية، كما يضم الراغبين فى عضويته، من علماء اللغة، وخبراء التربية، من الدول والمنظمات الإسلامية، خارج المنطقة، أو من يرغب الاستعانة بهم، أو بخبراتهم فى مجال تخصصهم(٤٥).

وقياسا على ما سبق يمكن إنشاء مجالس مماثلة فى مناطق مختلفة، مثل: غرب إفريقية - شرق إفريقية - وسط إفريقية - جنوب إفريقية - أوربا .. وهلم جرا، وهو اقتراح له وجاهته، على أية حال.

(ب) اتحاد أقسام اللغة العربية: يضم هذا الاتحاد أقسام اللغة العربية فى الجامعات العربية وغيرها، وكذا المعاهد والكليات الجامعية التى تدرس العربية، ويبدأ الاتحاد من مستوى القطر، مثل دول الخليج العربي... الخ، إلى المستوى الإقليمى أو المنطقة، مثل: شرق آسيا، جنوب شرق آسيا.. إلى المستوى العالمى، ليضم كافة الأقسام والمعاهد والكليات الجامعية المتخصصة فى دراسة العربية.

(جـ) ويتقدم الطموح خطوات واسعة، فيرنو الى وزارة لشئون العربية فى الخارج، فلسنا - فى العالم العربى - أقل من فرنسا، التى تخصص وزارة للشعوب الناطقة بالفرنسية، فإذا تم لكل دولة عربية وزارة(٤٦) من هذا النوع، فإن جامعة الدول العربية يمكن أن تجد نفسها أمام مجلس وزراء العربية فى الخارج، حيث تخصص ميزانيات وإمكانيات أوسع مما يخصص لجهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية الإسلامية.

(د) إن بلدا كمصر، برغم إمكانياته وموقعه يخلو من معهد لغير الناطقين بالعربية، مثل معهد الخرطوم، أو معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، أو غيرهما، كى يدرس فيه غير العرب، ويؤهل مدرسى اللغة العربية لتعليم غير العرب، ولإعطاء شهادات جامعية - دبلوم، ماجستير، دكتوراه - فى هذا التخصص المهم، الذى لا يوجد إلا فى معهد اللغة العربية بالجامعة الإمريكية فى القاهرة.

وفضلا عما سبق فإن هذا المعهد المقترح سيسهم فى إجراء البحوث والدراسات المتعمقة فى مجال تعليم اللغة العربية لغير العرب، كما يمكن أن يكون نافذة مهمة للتعاون مع الجامعات العربية وغير العربية فى هذا المجال.

ويحسن أن نختم حديثنا عن أهمية العربية، وضرورة العمل على نشرها، وخاصة خارج العالم العربى بدولة أوربية، تحاول استعادة مكانتها القديمة؟ إنها ألمانيا التى(٤٧) (بدأت تطبيق مفهوم فرد العضلاء لإنهاء سيطرة كل من فرنسا وبريطانيا؟ أول الأشياء التى بدأت بون فى تطبيقها ما جاء فى مذكرة الخارجية الألمانية بجعل اللغة الألمانية على قدم المساواة مع كل من الإنجليزية والفرنسية فى مدارس الاتحاد الأوربى، على الرغم من أن الألمانية حلت مكان اللغة الروسية فى وسط أوربة وشرقها، وهذه المحاولات الألمانية ليست وليدة اليوم، بل ترجع الى عام ١٩٩١م عندما طلب مستشار ألمانيا من رئيس البعثة الأوربية بتوسيع نطاق استعمال الألمانية، بوصفها إحدى اللغات الأوربية المستخدمة على نطاق واسع.. واللغة الألمانية هى واحدة من اللغات الرسمية الأوربية التسع، وينظر إليها - من الناحية الفنية - على أنها لغة عملية، برغم أن استخدامها قليل، ولذا تسعى ألمانيا - خاصة عقب توحيد الألمانيتين - الى الاستفادة من مكانتها الاقتصادية، ونفوذها داخل الاتحاد الأوربى، بإملاء شروطها، التى تدور حول دفع اللغة الألمانية إلى معترك التخاطب اليومي، بين أبناء القارة الأوربية وقد ضاعف من ذلك ما أقدمت عليه فرنسا من فرض غرامة مالية على كل من يتحدث بألفاظ أجنبية لها مقابل فى اللغة الفرنسية، كما يركز الرئيس الفرنسى (السابق) فرانسوا ميتران فى أحاديثه على ضرورة التمسك بالفرنسية(٤٨).

وترى ألمانيا أن لغتها تنتشر بسرعة فى مدارس أوربة، فمنذ عام ١٩٩٣ أصبحت الألمانية لغة إجبارية فى اليونان، أما فى البرتغال فسوف تصبح الألمانية لغة رسمية فى المدارس الأولية، وكذا أسبانيا، فى حين تضاعف عدد المدارس الأيرلندية التى يختار طلابها دراسة الألمانية إلى ستة أضعاف، فضلا عن أن أكثر من عشرين مليونا يتحدثون الألمانية خارج القارة الأوربية، وهكذا بدأت ألمانيا تستعيد مكانها بأسلوب جديد.. وهو العمل على نشر اللغة الألمانية(٤٩).

وقد نختلف فى بعض تفصيلات ما سبق، أو فى بعض تعبيراته ولكن الشىء الذى لا يقبل المجادلة أن كل أمة تسعى - ما وسعها السعي والجهد - لنشر لغتها خارج بلادها، فضلا عن داخل الوطن، فهل نحن أقل غيرة من الألمان أو الفرنسيين، أو الإنجليز على لغاتهم؟؟ اللهم لا ، اللهم لا.

---

*الهوامش:*

(١) ابن رسلان: فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، ص٢٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص١٤٦ - ١٤٧.

(٣) السابق، ص١٨٤، ١٨٥، وانظر أيضا: سعيد، عثمان الحاج: أهمية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص ٣ - ٥.

(٤) حسوبة، أحمد محمد: تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية فى جنوب شرق آسيا، المشاكل والحلول، ص٥.

(٥) انظر مثلا عبد العزيز، الدكتورة زينب: ترجمات القرآن الى أين؟ (وجهان لجاك بيرك) القاهرة ١٩٩٤م.

(٦) كان هذا أثناء عملى بقسم اللغة العربية بجامعة بايرو ١٩٨٣ - ١٩٨٤م، وقد نشرت الترجمة المذكورة فى بيروت سنة

١٩٧٩م.

(٧) أما اللغتان الأخريان فهما الفلانية واليوربا.

(٨) نشرته في لندن المؤسسة الإسلامية بالتعاون مع اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا.

(٩) نشرت الترجمة في جاكرتا سنة ١٩٧١م.

(١٠) ١٢٢/ التوبة.

(١١) حجازي، د. محمود: مدخل إلى علم اللغة، انظر ص١٤٨ - ١٥١.

(١٢) أبو الخير، د. أحمد: هوامش تاريخية تحت رسالة قلقشندية، انظر ص٢٢٥.

(١٣) ص ٣٠١.

(١٤) أبو الخير: الشرق الأقصى في عيون عربية، مجلة المنهل، مايو ١٩٩٤م، انظر ص١٠٨.

(١٥) انظر مثلا حجازي، الدكتور محمود فهمي: علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ص٢٨٨ - ٢٩٤.

(١٦) ١ - ٣/ قريش.

(١٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٣٢٣.

(١٨) التخطيط اللغوي وقضية الحافز في تعليم اللغة العربية في البلاد الإسلامية خارج الوطن العربي ص١٥، المؤتمر الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بروناي ١٩٩٢.

(١٩) حسيني وعبد الرشيد: اللغة العربية في معهد مارا للتكنولوجيا، الخبرات والتحديات ص١، المؤتمر الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بروناي ١٩٩٢م.

(٢٠) السابق ص٢.

(٢١) السابق.

(٢٢) بدوي: التخطيط اللغوي وقضية الحافز، ص١٠.

(٢٣) السابق.

(٢٤) السابق ص١١.

(٢٥) المقداد، الدكتور محمود: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص ٧ - ٨.

(٢٦) فيشر: المعجم اللغوي التاريخي، ص S.

(٢٧) عبد التواب، الدكتور رمضان: فصول في فقه اللغة، ص٢٨٧.

(٢٨) بارت: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة الدكتور مصطفى ماهر، ص٩٨.

(٢٩) التويجري، الدكتور عبد العزيز: الإيسيسكو تعمل لإدخال الخط العربي في اللغات الإفريقية ص٣٨، مجلة العالم بلندن، مارس ١٩٩٤، وانظر حجازي: كتب اللغة العربية للمدارس الحكومية في ماليزيا، ص٣.

(٣٠) انظر مثلا: اتيبو- إسهام العربية في تنمية اللغة السواحلية وتطويرها، ص٣٩، دورية الإسلام اليوم، الرباط، أبريل ١٩٨٤.

(٣١) مجلة العالم اللندنية ص٣٧، مارس ١٩٩٤م.

(٣٢) لمزيد من التفصيل حول دور المنظمة، انظر: بونجو، محمد: التعاون العربي الإفريقي، ص٧٤، دورية دراسات عربية، جامعة بايرو، نيجيريا ١٩٨٦م.

(٣٣) نشرت المنظمة بحوث الملتقى بعنوان: (العربية في اللغات الإفريقية) تونس ١٩٩٢م.

(٣٤) المجلة العربية للتربية ص٩ تونس ١٩٨٥م.

(٣٥) الرشيد، الدكتور محمد الأحمد: كلمة لابد منها، وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ص٩، جـ١، الرياض ١٩٨٥م.

(٣٦) السابق ص١٠.

(٣٧) نشرت وقائع الندوات الثلاث بالرياض ١٩٨٥م.

(٣٨) الشهوان، الدكتور عبد العزيز: معاهد تعليم العربية لغير الناطقين بها، مجلة المنهل ص٣٧، مايو ١٩٩٣م.

(٣٩) السابق.

(٤٠) نشر سنة ١٩٨٤م.

(٤١) الحارث، الدكتور محمد مريسي: حول دورة تدريب معلمي اللغة العربية بماليزيا ص٥٥٩، مجلة معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى العدد الثاني، ١٩٨٤م.

(٤٢) الشهوان، الدكتور عبد العزيز: معاهد تعليم العربية لغير الناطقين بها ص٣٧، مجلة المنهل مايو ١٩٩٣م.

(٤٣) حسوبة، أحمد: تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية في شرق آسيا، المشاكل والحلول ص٧، المؤتمر الدولي في تعليم اللغة لغير الناطقين بها، برناي ١٩٩٢م.

(٤٤) حسوبة: تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية، ص١٩.

(٤٥) السابق.

(٤٦) ولتكن وزارة دولة فقط، دون أن تكون عضوا في مجلس الوزراء.

(٤٧) عبد الله، أحمد: ألمانيا تبحث عن مكانتها القديمة ص٢، صحيفة المساء القاهرية ١٧ أغسطس ١٩٩٤م.

(٤٨) السابق.

(٤٩) السابق.

# معجزات إلهية: إعمار الأرض الجرداء (١)

بقلم:
د. عبد البديع حمزة زللي
جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة -

في المقال السابق(١) «جنين النبات كيف ينمو وينفطم» كنا قد عرفنا حقيقة علمية لم نكتشفها إلا في العصر الحديث، هذه الحقيقة تتمثل في أن الحب والنوى ما هي إلا بذور نباتية تحتوي كل منها على كائن حي صغير جدا وهو الجنين، كما تحتوي على مادة غير حية وهي الغذاء المدَّخر للجنين، ولا يمكن لهذا الكائن الحي (الجنين) أن يخرج من البذرة وينمو ويكبر ما لم تتح له المادة غير الحية بواسطة الماء الذي يعمل على إذابة هذا الغذاء المدَّخر تدريجيا ليصبح متاحاً للامتصاص من قبل الجنين، فإذا أتيحت له هذه المادة خرج النبات من البذرة ونما وكبر وأعاد من جديد تكوين الجنين الحي والمادة غير الحية لتكتمل بذلك دورة حياته.

وهذه الحقيقة تدل على أن المادة غير الحية (الشيء الميت) هي التي تسهم في خروج النبات من البذرة ونموه، ثم يرجع النبات ويُخرج من جديد هذه المادة عندما يكتمل نموه ونضجه، وهي بهذا تأتي منسجمة تمام الانسجام ومتوافقة تمام التوافق مع آية في كتاب الله تعالى من سورة الأنعام وهي قوله تعالى: «إن الله فالق الحبِّ والنوى، يُخرجُ الحيَّ من الميت ومُخرجُ الميت من الحي، ذلكم الله فأنى تؤفكون» فتكشف لنا عن إعجاز علمي في هذه الآية الكريمة.

وفي هذا المقال سنلقي الضوء على حقيقة علمية أخرى، تكشف كذلك عن إعجاز علمي متجدد، يتمثل في كيفية إحياء الأرض الجرداء الميتة، حيث نجد أن الحقائق العلمية التي تفسر كيفية إحياء الأرض الجرداء التي لا حياة فيها إطلاقا تنسجم انسجاماً كاملا مع آية في كتاب الله سبحانه وتعالى وهي الآية/١٩ من سورة الروم حيث يقول الحق تبارك وتعالى: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويحي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون» وواقع إحياء الأرض الجرداء يتم هنا بصور ومشاهد تختلف عن صورة خروج الجنين من البذرة وإعادة تكوينه من جديد، وسنوضح هذه الصور بعد أن نعرف أولا من هو المسهم الكبير الذي يسخره المولى - جلت قدرته - لإحياء هذه الأرض.

إن الحياة على الأرض الجرداء القاحلة تصعب على النبات والحيوان والإنسان على حد سواء. فظروف الحياة هنا لا يمكن أن تتحملها هذه الكائنات، وعدم توفر متطلبات الحياة والنمو يجعل من الصعوبة على الكائنات التي جلبت إلى هذه الأرض أن تستمر وتكمل دورة حياتها عليها، غير أن المولى سبحانه وتعالى قد خلق من بين ما خلق كائنات حية دقيقة تستطيع أن تتحمل كل ظروف الحياة الصعبة، وتنمو وتتكاثر فيها بسهولة إذا ما توفرت لها أدنى متطلبات الحياة.

والطحالب من أهم هذه الكائنات التي تستطيع أن تنمو على هذه الأرض وتكون سبباً في إعمارها.

**الطحالب تُسهم في إعمار الأرض الجرداء:**

من المعروف أن الأرض الجرداء لا حياة فيها، فهي أرض صخرية أو حجرية أو رملية قاحلة، تخلو من الماء ومن النبات والحيوان. وكيف تعمر مثل هذه الأرض بالأحياء مع انعدام مقومات الحياة الأساسية (الماء والغذاء)؟. لذلك فهي تظل قاحلة جدباء ما لم يهيء لها المولى - سبحانه - الظروف الملائمة للحياة. وعندما يشاء خالق الكون - جلت قدرته - أن يحيي هذه الأرض، فإنه يسخر ويوفر لها مقوما هاما من مقومات الحياة وهو الماء الذي يقول عنه - سبحانه وتعالى - في محكم التنزيل: «وجعلنا من الماء كل شيء حي»، كما يقول سبحانه في سورة الزخرف: «والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا، كذلك تخرجون». وعندما تُرْفَد هذه المنطقة بالمياه، فإن الطحالب تكون من أوائل الكائنات الحية التي تسهم في إعمارها. إذ انه لا فرصة للكائنات الحية الأخرى الراقية النباتية أو الحيوانية في الحياة على هذه الأرض في تلك المرحلة، حتى ولو افترضنا أن الرياح هبت محملة بالبذور النباتية من أماكن بعيدة، وأسقطتها على هذه المنطقة الصخرية أو الحجرية فإن هذه البذور باستطاعتها أن تنبت في وجود الماء، ولكن يصعب عليها أن تكمل دورة حياتها، وذلك لأن جذور النبات تحتاج إلى تربة كي تثبت النبات النامي فيها، كما يحتاج النبات إلى عناصر معدنية متاحة للامتصاص، وإلى مواد عضوية، وإلى أملاح النيتروجين وغيرها من الأملاح الأخرى. وعلى الرغم من أن بعض هذه المواد في تلك المرحلة من حياة الأرض قد تكون موجودة بوفرة، إلا أنها لا تكون متاحة للامتصاص بشكل كبير. لذا فإن بذور النباتات التي تسقط علي هذه الأرض سيتوقف نموها بعد حين، وتنتهي إلى الموت.

ومع استمرار نزول الأمطار تغمر المسطحات الأرضية بالمياه، وتبتل سطوح الصخور والأحجار، وتتكون في المنخفضات والمستنقعات والبحيرات، غير أن هذه البحيرات المتكونة في تلك المناطق تكون غير صالحة لمعيشة الكائنات الحيوانية المائية لعدم توفر بقية متطلبات حياتها. كما أن عدم توفر النباتات على أرض هذه المنطقة لا يشجع إطلاقا الكائنات الحيوانية على أن تعمرها.

## إذاً كيف تُعمِّر الطحالب هذه الأرض؟.

قبل أن نوضح ذلك نجد أنه من المناسب أن نتعرف أولا على هذه الكائنات العجيبة. ونتعرف أيضا على المميزات التي حباها إياها الله فجعلها - بإذنه سبحانه - متميزة على جميع الكائنات الحية الأخرى في تهيئة ظروف المعيشة التي تناسب هذه الأرض.

## ما هي الطحالب؟

يطلق بعض العامة على الشيء الأخضر الذي يعلو الماء اسم «الحمأ» وهذا الاسم في اللغة لا يدل على هذا الشيء، ولكنه يعني - حسب ما ورد في لسان العرب(٢) - الطين الأسود المنتن، ويشتق من هذا اللفظ الفعل فنقول: حَمِئَ الماء حَمأ وحمأ، أي خالطته الحَمأة فكَدِر وتغيرت رائحته، ومن هنا نلمس أن إطلاق الاسم العامي هذا قد يعود إلى أن وجود هذا الشيء في الماء من شأنه أن يغيِّر لون الماء ورائحته. لكن الاسم الصحيح في اللغة العربية الذي يدل على ذاك الشيء الأخضر الذي يعلو الماء هو «الطحلب» وذكر ابن منظور(٣) أن هذا الاسم يعني: خضرة تعلو الماء المزمن، وقيل: هو يكون على الماء كأنه نسيج العنكبوت، والقطعة منه: طُحلُبة وطِحلبَة.

ويندر أن نجد تعريفاً علميا كاملا يجمع كل ما يتميز به الطحلب، حتى إن العالمين بولد ووابن قالا: إن اصطلاح الطحالب يعني أشياء كثيرة لعامة الناس والمتخصصين. فعلماء النبات والحيوان قد وجدوا أن تعريف الطحلب أمر محير الى حد الإرباك والتشويش. ولا نريد أن نسترسل في هذا الجانب حتى لا نبتعد عن هدفنا، غير أننا نود أن نمد القارئ بصورة مبسطة عن هذا الكائن الحي «الطحلب» ونوجز ذلك فيما يلي:

الطحلب كائن حي ينتمي إلى عالم النبات على الرغم من كونه لا يمتلك ساقا ولا جذراً ولا أوراقا. ونسبته إلى عالم النبات تعود أصلا لكونه يمتلك الأصباغ الخضراء (اليخضور) التي تحدثنا عنها في المقال السابق، فتمكنه من عملية البناء الضوئي، أي أنه ذاتي التغذية، كما تعود أيضا إلى أن خلايا هذا الكائن لها جدار، وهذه من خصائص الخلايا النباتية فقط.

ويمكن لهذا الكائن أن يظهر في جميع البيئات التي نعرفها وبخاصة البيئات المائية منها ولذلك فقد اختلفت وتنوعت أشكاله بصور يصعب حصرها. كما اختلفت تركيباته وأحجامه إلى حد يجعل من العسير المقارنة بينها، ويرجع ذلك إلى محاولتها التكيف مع البيئات والظروف المختلفة. ومن هذه الكائنات ما يتناهى أحجامها في الصغر إلى درجة عدم رؤيتها إلا بالفحص المجهري، ومنها ما يصل طوله إلى ستين متراً. ومن الطحالب وبخاصة الدقيقة منها ما يتحرك كالحيوان بواسطة أعضاء حركية، ومنها الساكن الذي لا يتحرك. حقا إنها لهوة عظيمة تفصل بين مخلوقات شتى تضمها كلمة طحلب!.

ولقد خص المولى سبحانه وتعالى هذه الكائنات بقدرة عجيبة على المعيشة في البيئات والأماكن التي لا يمكن أو يصعب أن يعيش فيها غيرها من الكائنات الحية، وبخاصة الراقية منها، حيث تحول الطحالب هذه البيئات الى بيئات صالحة للمعيشة للكائنات الأخرى، وتهيء لها الظروف المعيشية المناسبة، فتسهم بذلك في إعمار الأرض بغيرها من الكائنات الحية.

ومن هنا فهي تستطيع أن تتحمل جميع الظروف القاسية، فيمكنها أن تنمو وتتكاثر تحت هذه الظروف بسهولة. ولنرى الآن ما هي البيئات والظروف التي تتحملها الطحالب:

## أولا: البيئات التي تنمو فيها الطحالب:

سبق أن ذكرنا أن الطحالب يمكن أن تتواجد في جميع البيئات التي نعرفها، ولكن المياه هي البيئات التي تسود فيها وتتكاثر فيها بغزارة، فجميع أنواع المياه: العذبة، والآسنة، والمالحة صالحة لنمو هذه الكائنات.

وتنمو الطحالب أيضا على سطح التربة الرطبة فتكسوها بكساء أخضر. وفي الوقت الذي يصعب على النباتات أن تنمو على سطوح الصخور المبتلة وكذلك الجدر، والأحجار، والحصى، و... نجد أن الطحالب تستطيع أن تنمو على سطوح هذه الأشياء بسهولة ويسر إذا ما استمر إمدادها بالماء، ونمو الطحالب على السطوح الصلبة لهذه الأشياء له مهمة في إعمار الأرض سنوضحها - بإذن الله - في حلقة قادمة. وتستطيع الطحالب أيضا أن تنمو على قلف الأشجار، كما ينمو بعضها على أو في أجسام الكائنات الحيوانية.

## ثانيا: الظروف البيئية التي تتحملها الطحالب:

رغم أن أجسام الطحالب تتميز بأنها رقيقة وغضة، إلا أن المولى - سبحانه وتعالى - قد جعلها تتأقلم مع الظروف القاسية. فهي

تستطيع أن تتحمل مثلا لطمات أمواج الماء بالغة العنف والشدة والتي يصعب على الكائنات الحية الأخرى أن تتحملها. كما تتحمل أيضا لظى الشمس الحارقة في الصحارى القاحلة.

وعلى أي حال سنعرض هنا باختصار شديد الظروف البيئية التي تتحملها الطحالب وهي:

## ١ ـ المدى الواسع من درجات الحرارة:

في الوقت الذي لا تتخيل فيه أن يضع أحدنا يده في ماء ينبوع حار نجد أن بعض أنواع الطحالب تعيش في مياه الينابيع الحارة أو العيون الساخنة التي تصل درجة حرارتها إلى ٧٨,٥ درجة مئوية دون أن تصاب أجسامها بأدنى تلف أو تشويه. وعلى النقيض من ذلك نجد أن بعض الطحالب المتحركة تتمكن من الحركة النشطة عند درجات حرارة منخفضة للغاية تصل إلى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر دون أن تتجمد أو تقف حركتها.

## ٢ ـ المدى الواسع من الضغط الجوي:

تتحمل الطحالب مدى واسعاً من الضغوط الجوية. فهي تستطيع أن تعيش في قمم الجبال العالية حيث ينخفض الضغط الجوي، وفي الوقت نفسه نجد أنواعاً منها تعيش في أعماق كبيرة من المياه حيث يرتفع في هذه الأعماق الضغط الجوي بشكل كبير.

## ٣ ـ درجات الإضاءة المختلفة:

من المعروف أن عملية البناء الضوئي لا تتم إلا في وجود الضوء، والنبات عموماً يحتاج للضوء بقدر معين، فلو زاد أو نقص عن القدر المطلوب لأثر ذلك في نمو وتكاثر النباتات. ونجد أن المولى ـ سبحانه وتعالى ـ قد أمد هذه الطحالب بأشياء سخرها لحمايتها من شدة الإضاءة وتعمل على تشتيت الضوء حتى لا يؤثر عليها. وإذا ما انخفض الضوء وبخاصة في أعماق البحار والبحيرات فإنه يصعب على النباتات المائية أن تنمو في مثل هذه الأعماق، ولذلك فهي تختفى عند أعماق معينة، بينما نجد أن الطحالب تستطيع أن تنمو في عمق يصل إلى اكثر من مائة وعشرين متراً، فتساهم بذلك في توفير الأكسجين للكائنات الحيوانية عند هذا العمق.

## ٤ ـ تنتقل من المياه العذبة الى المالحة والعكس:

تتحمل بعض الطحالب التي تعيش في مياه عذبة المعيشة في المياه المالحة أو العكس، كما نجد كثيراً من الطحالب تعيش في البيئات المائية شديدة الملوحة.

## ٥ ـ تتحمل الأحماض والقلويات:

نجد كثيرا من الطحالب تستطيع أن تعيش دون أي تأثير على نموها وتكاثرها في المياه الحمضية التي تعتبر أسيداً مخففاً يؤثر على نمو كثير من الكائنات الحية. وعلى النقيض من ذلك فإن بعض الأنواع الأخرى تستطيع أن تعيش في الأوساط القلوية، بينما تعجز كثير من الكائنات الحية الأخرى أن تعيش في هذه الأوساط.

٦ ـ تتحمل ظروف التلوث البيئي:

تنمو الطحالب بيسر في المياه والتربة الملوثة بالمواد العضوية أو المواد الكيميائية.

وبعد أن تحدثنا بإيجاز عن البيئة والظروف التي تتحملها الطحالب ـ مبتعدين قدر الإمكان عن الأسلوب العلمي البحت ـ فسيكون بإمكاننا أن نتعرف بعد ذلك على كيفية إسهام هذه الكائنات الحية العجيبة في إحياء وإعمار الأرض الجرداء في المقالات القادمة إن شاء الله.

---

*الهوامش:*

*(١) زللي، عبد البديع حمزة «جنين النبات كيف ينمو وينفطم» المنهل، ع٥٢٣، ١٤١٥هـ.*

*(٢) ابن منظور. لسان العرب، مج١ ، مادة حماء، ص٦١.*

*(٣) نفس المرجع، مادة طحلب ، ص ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧*

«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً *»

سورة الانسان ـ الآيتان (١ـ٢)٠

«والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يُعَمَّر من مُعَمَّر ولا يُنْقَصُ من عُمُرِه إلا في كتاب إنَّ ذلك على الله يسير» (سورة فاطر/ الآية ١١)-

# النطفة البشرية

بقلم:
**محمد فيض الله الحامدي**
ـ سوريا ـ

النطفة هي مرحلة من مراحل خلق الإنسان، والحديث عن خلق الإنسان، يقودنا للحديث عن الحياة، والحياة كظاهرة سر عظيم من الأسرار التى أودعها الخالق في تراكيب مادية، تعطي هذا التنوع الهائل في عالم النبات وعالم الحيوان ما ظهر منها وما لم يظهر للحواس٠

كيف ظهرت الحياة؟ وكيف تطورت؟ وكيف ظهر الإنسان؟ أسئلة لها أجوبة ظنية تخمينية من منطلق علمي، وما جاء في الكتب المقدسة، لا يشير الى كيفية الخلق، والزمن الذي استغرقه الخلق على وجه التحديد٠

ولكن المؤكد بدون لبس الآن، أن خلق الإنسان يبدأ من التقاء نطفة من مني الرجل (الذكر) ببييضة من المرأة (الأنثى)٠ في المكان المناسب، لتستقر بعد ذلك في الرحم، فتعطى جنيناً ذكراً أو أنثى، إذا تهيأت الظروف المناسبة للنمو والإكتمال والولادة٠

فما هي النطفة؟ وهل لها دور في تعيين جنس الجنين؟ وكيف تتشكل؟ وما هو دور المرأة في تعيين الجنس؟٠

سنجيب على هذه التساؤلات باختصار، بعيداً عن التعقيدات العلمية، بهدف تزويد القارىء الكريم بثقافة علمية تتعلق بقضية حساسة وهامة من جهة، ولبيان جانب من اعجاز القرآن الكريم الذى قرر الحقيقة قبل أن يكشفها العلم بأربعة عشر قرناً٠

## النطفة:

**«ألم يكُ نطفة من مني يُمْنَى» (سورة القيامة/ الآية٣٧)٠**

يقرر القرآن الكريم حقيقة علمية وهى ان جزءا صغيراً من مني الرجل، مسؤول عن خلق الانسان واكثر من ذلك، هذا الجزء مسؤول عن تعيين

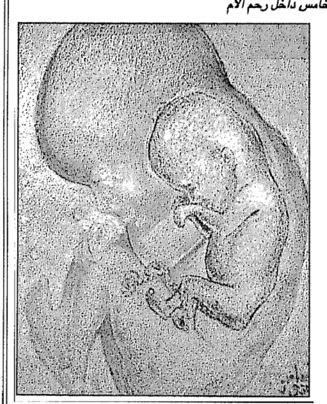


الجنين في اسبوعه الخامس داخل رحم الأم

جنس الجنين، ذكراً أو أنثى، كما سنرى. وذهب القدماء في تفسير معنى النطفة، فقالوا هي الماء القليل، وقالوا للمرأة نطاف كما للرجل على أساس أن الخلق يبدأ باختلاط وامتزاج ماء الرجل وماء المرأة، وبعد التقدم العلمى في مجال الطب، واكتشاف حقيقة تركيب ماء الرجل وماء المرأة، تبين أن ماء الرجل «المني» هو المسؤول عن تعيين الجنس لاحتوائه على خلايا متحركة تدعى بالحيوانات المنوية، وتتطابق في صفاتها مع النص الحرفي للآيات القرآنية، لذلك سميت بالنطاف، فهي جزء من المني وهي المسؤولة عن تحديد النوعين، الذكر والأنثى.

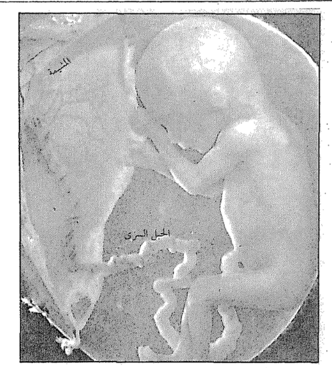
## كيف تتشكل النطاف؟

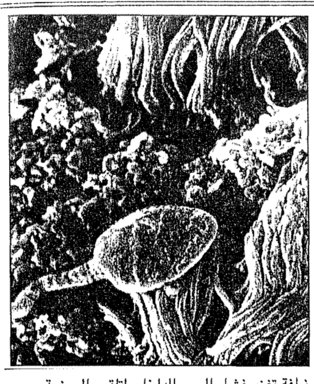
تتشكل النطاف في الغدد التناسلية للرجل «الخصية» في أنابيب منوية دقيقة، وفي الأصل



وضع الجنين في الرحم ويظهر الحبل السري

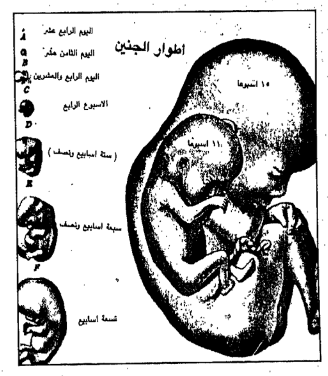
تكون خلايا كبيرة كروية الشكل في النسيج



نطفة تغزو غشاء الرحم الداخلي لتلقيح البييضة

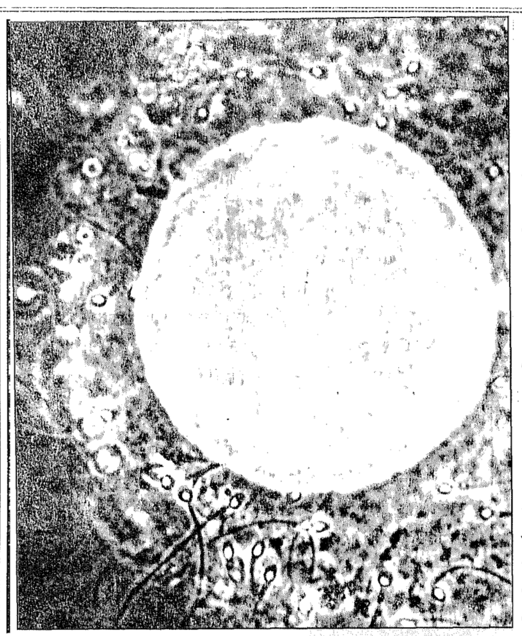
الظهاري للانبوب المنوي تدعى المنسليات المنوية Spermatogenies، وكل منسلية تضم في نواتها (٢٣) زوجاً من الصبغيات، أحد الأزواج يتكون من صبغتين غير متماثلتين في الطول والشكل، يرمز للطويل بالحرف اللاتيني (X) وللقصير




بالحرف اللاتيني (Y) وهما مسؤولان عن تحديد جنس الجنين. تنقسم الخلية المنسلية باستمرار فيتكاثر عددها، وهذا الانقسام يسبقه تضاعف عدد الصبغيات لذلك يبقى في كل خلية نفس العدد من الصبغيات، أي (٢٣) زوجاً.

وفي سن البلوغ يزداد حجم بعض المنسليات، وتتوقف عن الإنقسام العادي، أي لا يحدث تضاعف للصبغيات. ثم تنقسم انقساماً منصفاً للصبغيات، فتنتج من كل خلية منسلية خليتان في كل منهما (٢٣) صبغياً احداها تحمل الصبغي (X) والثانية تحمل الصبغي (Y). وكل خلية جديدة تنقسم انقساماً عادياً بعد تضاعف الصبغيات فتعطي خليتين في كل منهما ٢٣ صبغياًوهكذا تنشأ من كل منسلية أربع خلايا، اثنتان تحملان الصبغي (X) واثنتان تحملان الصبغي (Y) وبعد ذلك تتطور كل خلية وتتمايز الى نطفة بشكلها المعروف، ويختلف شكل النطفة حاملة (X) عن شكل النطفة حاملة (Y) في بعض الصفات.

وتنتج الخصية يومياً بعد البلوغ ملايين النطاف، ويستمر انتاجها مدى الحياة.



**شكل النطفة:**

تحدث تبدلات شكلية (مورفولوجية) على الخلية المنوية الأخيرة، لا مجال للتوسع فيها، تتحول من الشكل الكروي، الى شكل يشبه شرغوف الضفدع «أبو ذنيبة»·

والشكل النهائى للنطفة تتحدد فيه الأقسام التالية:

**أولا: الرأس:**

كروي الشكل أو متطاول، يضم النواة، وجزءا من الهيولي «السيتوبلازما» وفي مقدمة الرأس جسيم طرفي Acrosome يضم مجموعة انزيمات لتمزيق غلاف البييضة واختراقه أثناء التلقيح· وفي النواه (٢٣) صبغياً أحدها الصبغي (X)أو (Y) ·

## ثانيا: القطعة المتوسطة:

تلى الرأ س، وترتبط به بعنق قصير، والجسيم المركزي الوحيد في الخلية المنوية ينقسم الي قسمين، قسم يبقى في الرأس قرب النواة يسمى «المريكز القريب» وقسم يدخل في بداية القطعة المتوسطة يسمى «المريكز البعيد»· وينشأ من المريكز البعيد ذيل النطفة، تلاحظ في القطعة المتوسطة جسيمات كوندرية موضوعة بشكل حلزوني، وهذه الجسيمات هي محطات توليد القدرة في الخلايا، وفي نهاية القطعة المتوسطة مريكز خاتمي·

## ثالثا: الذيل: Taile

ونميز فيه قسمين، قسم أمامي محاط بالهيولى والغشاء الهيولي يدعى بالقطعة الرئيسية، وخلفي مجرد يدعى بالسوط· «انظر الشكل المرفق»·

هذا هو الشكل النموذجي للنطفة، لكن نشاهد أحياناً عند فحص السائل المنوي أشكالا من

النطاف مشوهة، منها نطاف برأسين، أو نطاف بذيلين، أو نطاف كبيرة الرأس وأخرى صغيرة الرأس، ولا يتجاوز عددها ٢٠٪ من مجموع النطاف. تسبح النطاف في وسط سائل مغذ هو المني، ومن المفيد التعرف على تركيبه ومحتواه.

## ماء الرجل «المني»:

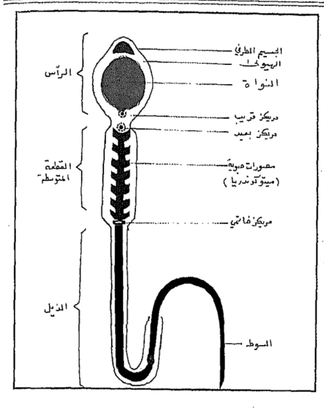
**«أفرأيتم ما تمنُون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون *** »(سورة الواقعة/ ٥٨ ـ ٥٩).

يتركب السائل المنوي من قسمين أساسيين:

**أولا:** النطاف وهي الحيوانات المنوية، وتشكل ٢٠٪ من حجم السائل المنوي. ويقدر عددها بشكل وسطي في كل سنتيمتر مكعب من المني بـ (١٠٠ ـ ٣٠٠) مليون نطفة.

**ثانيا:** السائل المنوي ويشكل ٨٠٪ من حجم المني، وينشأ من افرازات الحويصلات المنوية والبروستات بشكل أساسي ، وقليل من افرازات الحبلين المنويين، والبربخ. ويحتوى السائل المنوى على بعض السكريات مثل الفريكتوز (سكر الفواكه) واللاكتوز (سكر الحليب) والفيتامينات مثل فيتامين (C)وفيتامين (B2,B1) وحامض النيكوتين، ويحتوي علي بعض المعادن مثل الصوديوم والكالسيوم والبوتاسيوم والتوتياء (الزنك) والكلور والكربونات والفوسفات والسيترات.

ويحتوي على مادة بروستاغلاندين ، وقد اكتشفها العالم أولير عام ١٩٣٥ وأثبت بيرغيستروم عام ١٩٦٠ أنها تحرض على الطلق الإصطناعي. كما يحتوي السائل المنوي على مادة هيالينوريداز، لها دور في تسهيل نفاذ النطفة الى البييضة لالقاحها، وكلما كان عدد النطاف كثيراً في السائل المنوي كانت هذه المادة كثيرة، لذلك إذا انخفض عدد النطاف في السائل المنوي الى ٦٠ مليون نطفة في كل سنتيمتر مكعب يصبح السائل




المنوي غير خصب في الحالة الطبيعية، ويميل السائل المنوي الى الملوحة والقلوية بشكل عام، درجة الـ (PH) له تتراوح بين (٨ر٦ ـ ٧ر٧).

## دور النطفة في تعيين الجنس:

وجدنا أن الرجل يشكل نوعين من النطاف، نوع يضم في نواته (٢٢) صبغياً إضافة للصبغي (X) ونوع يضم في نواته (٢٢) صبغياً بالإضافة الى الصبغي (Y). واختلاف الصبغي (X) عن (Y) يجعل خصائص النوعين تختلف عن بعضهما من حيث الشكل والنشاط والشحنات الكهربائية التي يحملها الرأس والعمر الخ.. والصبغيات الأخرى مسؤولة عن الصفات الجسمية وهي متشابهة في نوعي النطاف.

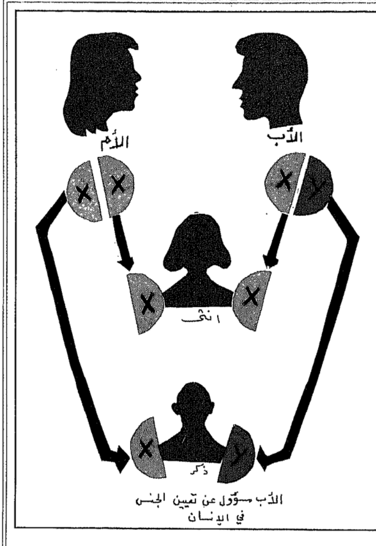
تنشأ البييضات في مبيض المرأة، بمعدل بيضة واحدة كل أربعة أسابيع بعد سن البلوغ حتى سن اليأس، ولا مجال لشرح تطور الخلايا المنسلية البييضية في المبيض، الى بييضة جاهزة

التلقيح، ما يهمنا أن نعرف أن البييضة في المرأة تحمل دائماً الصبغي (X).

ويبدأ خلق الإنسان من اتحاد نطفة ببييضة المرأة، فإذا اتحدت نطفة من حاملة (X) بالبييضة، تتشكل بيضة ملقحة فيها (٤٤) صبغياً إضافة الى الصبغيين (XX)، تتطور هذه البييضة بمشيئة الخالق الى انثى. وإذا اتحدت حاملة (Y) بالبييضة، تتشكل بيضة ملقحة تحمل (٤٤) صبغياً إضافة للزوج الصبغي (XY) تتطور إلى ذكر.

فيبدو أن تحديد جنس الجنين يتعين من لحظة التلقيح والنطاف هي المعنية بالتعيين، أي أن الرجل هو المسؤول عن انجاب الذكور أو الاناث، «انظر الشكل المرفق».

وقد أشارت آيات قرآنية الى هذه الحقيقة: «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تُمْنَى » (سورة النجم/ ٤٥ ـ ٤٦) ، «ألم يك نطفة من منيٍّ يُمْنَى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى» (سورة القيامة/ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩).



الأب مسؤول عن تعيين الجنس في الإنسان

## هل للمرأة دور في تعيين الجنس؟

من الناحية النظرية، ليس للمرأة دور في تعيين جنس الجنين، فالبييضة قبل التلقيح لا يمكن تحديد مستقبلها الجنسي، لكن تساهم المرأة عملياً في اختيار الجنس، وأقول (اختيار) وليس (تعيين)الجنس، فالرجل مسؤول عن التعيين أما المرأة فمسؤولة عن الإختيار، والإختيار يسبق التعيين.. إن بييضة المرأة محاطة بمادة مخصبة تدعى الإلقاحين Fertilisine وهي مادة بروتينية نوعية، لها شحنات كهربائية معينة.

والنطاف كما مرَّ سابقاً، لها نوعان، حاملة (X) أطول قليلا من حاملة (Y) ولكن هذه الأخيرة اكثر نشاطاً وأقصر عمراً، ولكل نوع شحنات كهربائية، فحاملة (X) لها شحنات سالبة وحاملة (Y)لها شحنات موجبة، ولما كان عدد النطاف من النوعين في السائل المنوي من الناحية النظرية متماثلا أي ٥٠٪ من كل نوع، فإن الإحتمال المبدئي هو أن تكون فرص التلقيح لأحد النوعين هي واحدة، لكن عملياً تختار البييضة أحد النوعين وترفض الآخر، لأكثر من سبب يتعلق بملوحة الوسط وتركيبه الكيميائي وشحنة الإلقاحين،

فالمرأة إذاً تختار النطفة وإذا تساهم في انجاب الذكور أو الاناث. وقد تنجب امرأة من رجل ذكوراً فقط لأنها تختار منه النطاف (Y) وقد تنجب اناثاً فقط وتختار منه النطاف (X) وإذا تزوجت بآخر بعد الطلاق أو وفاة الزوج، قد تنجب بعكس الأول، وهذا حاصل في كثير من المجتمعات.

## هل يمكن التحكم في جنس الجنين؟

بعد التقدم العلمي في مجال الطب والتقدم التكنولوجي، تمكن الإنسان من اجراء التلقيح بين النطاف والبييضات في أنابيب الاختبار، وكثر الحديث عن أطفال الأنابيب، والحقيقة أن التسمية مضللة، فالبييضة يتم تلقيحها في الانابيب بتهيئة الوسط الكيميائي بشكل مماثل لوسط قناة فالوب في جسم المرأة، وبعد عدة انقسامات تعاد للرحم المهيأ للتعشيش فيتم تطور الجنين، وليس في هذا العمل ما ينافي قدرة الله، فالانسان يتصرف في الطبيعة، في الجماد والنبات والحيوان كما يشاء، فكل ما في السماوات والأرض مسخر للانسان، والمحذور هو من مخالفة القضايا الشرعية، وقد أبدى العلماء والفقهاء رأيهم في اكثر من ندوة علمية دينية وأفتوا بما هو جائز وما هو محرم. لا مجال للعرض هنا.

## والسؤال الآن:

هل يمكن أن يتحكم الإنسان في تعيين جنس الجنين؟ أي إذا تمكن من فصل النطاف (Y) عن النطاف (X) وأحاط البييضة في انبوب الإختبار بأحد النوعين فقط، فهل سيتحدد جنس الجنين؟.

لقد أجريت تجارب على الحيوانات،

ففي عام ١٩٣٢م أجرى الدكتور (ف.ن.شرودر) في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) تجربة على السائل المنوي للأرانب، وضعه في محلول ضبط تركيزه وأيونه الهيدروجيني (PH) وأدخل المحلول في جهاز الحمل الالكتروني Electrophoretic وبنهاية التجربة وجد أن معظم النطاف حاملة (X) اتجهت نحو القطب الموجب (الأنود)

فهي تحمل شحنات سالبة، أما النطاف حاملة (Y) تجمعت حول القطب السالب (الكاثود) فهي تحمل شحنات موجبة. وعندما أخصب شرودر اناث الأرانب بالسائل المأخوذ من حول الأنود كانت معظم الأجنة اناثاً والعكس ذكورا. واستطاع (شيري لوين) في انكلترى عزل نوعي النطاف في مني الإنسان بنفس الطريقة.

ويمكن فصل النطاف بطرق كيميائية، بشل حركة أحد النوعين، أو ترك السائل المنوي فترة من الزمن، تموت حاملة (Y) قبل حاملة (X). والمهم هل يتحكم الانسان في جنس الجنين؟.

هناك جملة عوائق ومحاذير تحول دون إقدام الإنسان على توسيع نطاق هذه التجارب، بعضها تكنيكي وبعضها أخلاقي،

وإذا تمكن الإنسان فعلا من تحديد الجنس، فالله يهيء الأسباب وإذا شاءت إرادته أن لا يتم التلقيح لبييضة معينة،

ترفض كل نطفة مهما تهيأت الظروف الأخرى وهذا ما يلاحظه الأطباء الذين يجرون التجارب في انابيب الإختبار.

لله ملك السماوات والأرض، يخلق ما يشاء يهبُ لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير» (سورة الشورى/ ٤٩-٥٠).

ويمكن القول هنا: ان الانسان يقف دوره في حدود التعامل مع الموجود الممكن.

. وهو بالتالى لا يملك قدرة الخلق من عدم.. وهذه لله وحده خالق كل شيئ..

وحتى في حدود هذا المناخ الممكن نتمني أن يقف الانسان في حدوده حتى لا يفسد في الأرض.

مهندس
محمد
عبد القادر
الفقي
- الظهران -

# إنهم يبحثون عن «أصل» البترول!

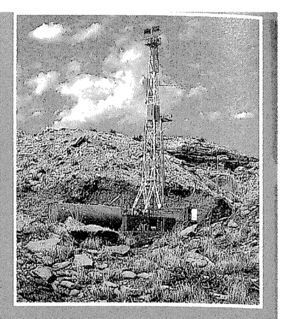
وفي غياب الحقيقة - ولابد من غيابها لأننا نتعامل مع مادة خلقت منذ ملايين السنين - يظل البحث عن أصل البترول هاجسا يراود أذهان العاملين في البحث العلمي. ويظل البترول - برغم قدم معرفة الإنسان به واستخراجه له منذ عصر الفراعنة والبابليين، وبرغم وفرة إنتاجه وكثرة الدراسات التي تناولته - غير معلوم المصدر، «مبنيا للمجهول» إن جاز استخدام هذا التعبير!

وسوف نتناول هنا بعض النظريات والفرضيات التي وضعت لتفسير نشأة البترول، كدليل على اختلاف الآراء حول الطريقة التي تكون بها النفط فى الطبقات الصخرية تحت سطح الأرض.

## نظريتان رئيستان:

إن إلقاء نظرة سريعة على النظريات والفروض التي وضعت بشأن تحديد أصل البترول تجعلنا نقول إن هناك نظريتين رئيستين: إحداهما تدعى النظرية غير العضوية inorganic والأخرى تسمى النظرية العضوية Organic. وتكمن أهمية هاتين النظريتين في دورهما في تفسير مستقبل المكامن النفطية.

والمعروف أن ثمة رأيا ساد في الأوساط العلمية حتى وقت قريب يقول بأن البترول مورد طبيعي محدود المقدار، بمعنى أن هذا المورد غير قابل للتجدد، ومن ثم فإن مخزونه سوف يتعرض للنفاد مع الاستمرار في إنتاج النفط. والمؤيدون لهذا الرأي - وهم كثرة - يستندون إلى النظرية العضوية التي ترد أصل النفط - كما سنذكر بالتفصيل بعد ذلك - الى مواد عضوية، أي الى مخلفات نباتية وحيوانية انطمرت في أعماق الأرض منذ حقب زمنية طويلة ثم تعرضت الى ظروف معينة أدت الى تحللها وتحولها الى البترول. وقد استغرق ذلك ملايين السنين وانطلاقا من هذه النظرية فإنه ليست هناك فرصة لتكوين نفط جديد في غضون قرن أو قرنين أو حتى خمسة آلاف عام!



بناءً على النظرية العضوية فإن البترول يمكن ان يوجد هنا

أما أصحاب النظرية غير العضوية فهم يردون أصل البترول الى مركبات كيميائية موجودة في الكرة الأرضية أو جاءت إليها من مصدر آخر (نيزك مثلا)٠ وهذا يعني أن بالإمكان تكوين نفط جديد، بل إن النفط يتكون الآن بالفعل، حتى أن أحد العلماء الروس قال بأن آبار النفط تتجدد كخلايا الجسم٠

ولو صدق ما يقوله أنصار النظرية غير العضوية لتغيرت مفاهيم واستراتيجيات وخطط تنمية، ولما كان هناك داع للتشاؤم والخوف من سرعة نفاد النفط في الدول المنتجة له، بل على النقيض من ذلك فإن هذه الدول سوف تستمر في إنتاج البترول إلى أن يشاء الله أمرا كان مفعولا٠

وفضلا عن ذلك فإن نظرية الأصل غير العضوى تفتح الأبواب أمام الجميع حتى يبحثوا عن البترول والغاز الطبيعي في أى موقع بالكرة الأرضية٠ والمناطق التي تحرم النظرية العضوية البحث فيها ـ باعتبارها مناطق يستحيل وجود البترول فيها ـ سوف تكون مضمارا كبيرا للباحثين عن النفط

تربط النظرية العضوية بين تكون النفط وبين المناطق المغمورة بمياه البحر

والتنقيب عنه.

وهكذا فإن قبول إحدى النظريتين، أو حسم الجدل العلمي الدائر حولهما لصالح إحداهما يعني الكثير والكثير.. ويفتح المجال أمام الدول لتحقيق الأحلام أو لحصاد الريح والأوهام!

## فرضية الأصل البركاني:

يمكن أن ندرج هذه الفرضية ضمن الفرضيات التي تنتمي الى النظرية غير العضوية. وتعود فرضية الأصل البركاني الى ثلاثينات القرن التاسع عشر الميلادي. وصاحبها عالم روسي كان قد رأى أن انطلاق الحمم البركانية يؤدي الى تصاعد كميات لا بأس بها من الهيدروكربونات (وهي المواد الكيميائية التي يتكون منها النفط والغاز، وتتكون - كما يوحي اسمها - من اتحاد عنصري الهيدروجين والكربون). وقد ذهب هذا العالم الى أن سطح الأرض قد تعرض - خلال العصور الجيولوجية القديمة - لعدة ثورات بركانية، نجم عنها انتشار الهيدروكربونات وتغلغلها في الصخور الرسوبية المنتشرة في القشرة الخارجية للأرض.

## فرضية النشأة الكونية:

تنسب هذه الفرضية الى العالم الروسي سوكولون، وهي أيضا تقول بالأصل غير العضوي للبترول، وإن كانت ترد المواد التي تكون منها النفط إلى الهيدروجين والكربون اللذين يعتقد بأنهما كانا موجودين في بدء خلق كوكب الأرض.

وتنص هذه الفرضية على أن الهيدروجين والكربون قد تفاعلا معا وكونا بعض الهيدروكربونات في القشرة الخارجية للأرض. وقد حدث ذلك حينما كانت الأرض ما تزال في حالتها النجمية (أي بعد انفصالها عن الشمس) حيث كانت درجة حرارتها آنذاك عالية جدا. وكلما كانت الأرض تبرد كانت الصخور المنصهرة (الماجما) تمتص هذه الهيدروكربونات.

ومع تكوّن القشرة الأرضية تسربت الهيدروكربونات الغازية الى الطبقات الصخرية الرسوبية (أي المكونة من الرسوبيات Sediments، مثل الحجر الجيري، والحجر الرملي Sandstone، وتكثفت هذه الهيدروكربونات مكونة النفط.

وبناء على هذه الفرضية يمكن تفسير سبب وجود كميات كبيرة من غاز الميثان (وهو الغاز الذي يشكل الجزء الأكبر من تركيب الغازات البترولية والغاز الطبيعي) في أجواء الكواكب الكبيرة بمجموعتنا الشمسية.

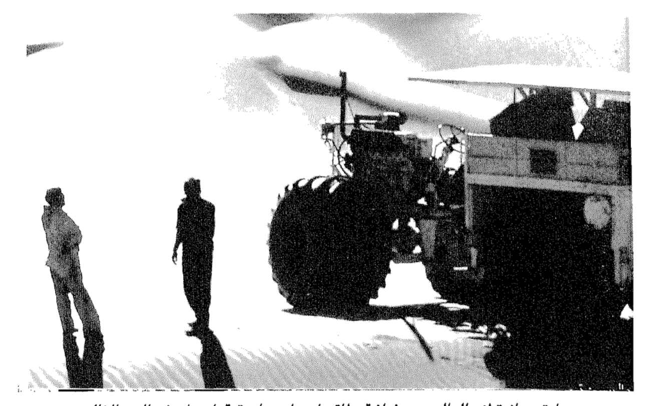
فرضية مندليف:

في عام ١٨٦٧م، صاغ عالم الكيمياء الروسي الشهير دميتري إيفانوفتش مندليف (١٨٣٤ - ١٩٠٧) Dmitri Ivanovich Mendeleev فرضيته حول تكون البترول، وهي الفرضية التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم النظرية غير العضوية in-organic theory.

وقد اعتمد مندليف في صياغة نظريته على التجارب المعملية التي أجريت في عصره، والتي برهنت على أن تمرير بخار الماء فوق كربيدات المعادن الثقيلة يؤدي الى تكوين الهيدروكربونات (والكربيدات هي مركبات كيميائية تنتج من تفاعل الكربون مع بعض الفلزات كالحديد والنيكل).

وقد افترض مندليف أن الهيدروكربونات المكونة للبترول قد تكونت بنفس الطريقة التي تكونت بها الهيدروكربونات في التجارب المعملية، أي أن البترول قد نتج من التحليل المائي hydroly-sis لكربيدات الفلزات Metal Carbides الموجودة في باطن الأرض.

وحسب هذه الفرضية يمكن أن نتصور أن بعض التقلصات التي طرأت على القشرة الأرضية



*سيارة مساندة لاعمال السيسموغرافية وطاقمها يعملون على قمة تل رملي في الربع الخالي*

قد تسببت في تسرب الماء من البحار الى جوف الأرض، حيث تفاعل مع كربيدات الفلزات ـ التي سبق ذكرها ـ وهي في حالة ساخنة جدا وتحت ضغط مرتفع، مما أدى الى تكوين خليط من الهيدروكربونات التي تعرضت لعملية (التبلمر) polymer ization ليتكون بذلك البترول والغاز الطبيعي.

## فرضية ساباتيه:

(بول ساباتيه) (١٨٥٤ ـ ١٩٤١م) عالم فرنسي حصل على جائزة نوبل في عام ١٩١٢م، وقد شُهد له بطول الباع في علم الكيمياء.

وقد افترض هذا العالم أن باطن القشرة الأرضية يحتوي على بعض المواد الكيميائية المعروفة باسم الفلزات القلوية (كالكالسيوم والصوديوم). كما يحتوي على كربيدات هذه المواد، إضافة إلى المياه الجوفية.

ومن المعروف ـ بين المشتغلين بالكيمياء ـ أن الماء يتفاعل مع الفلزات القلوية، وتكون المادة الناتجة من هذا التفاعل هي غاز الهيدروجين. أما إذا تفاعل الماء مع كربيدات هذه الفلزات فإن غاز الأسيتيلين هو الذي يتكون في هذه الحالة.

وقد تصور ساباتيه أن مخلوط الغازين الناتجين ـ أى الهيدروجين والأسيتيلين ـ قد لامس بعض الفلزات الساخنة التي توجد في جوف الأرض، (مثل: النيكل، والكوبالت، والمنجنيز)، فاتحد الغازان معا، وكونا مخلوطا من المركبات الهيدروكربونية التي يتكون منها النفط.

وهكذا، نجد أن فرضية ساباتيه تعد تطويرا لفرضية مندليف حول الأصل غير العضوي للبترول.

## النظرية العضوية:

في الحقيقة، هناك عدد من الفرضيات التي ترد نشأة البترول إلى أصل عضوي، إذ يرى بعض الباحثين أن النفط قد تكون من بقايا الحيوانات والأحياء البحرية التي كانت تعيش في البحار

القـديمة، في حين يرى آخـرون أنه تكون من الأعشاب والعوالق planktons النباتية البحرية، ويذهب فريق ثالث الى أن مصدر البترول هو بقايا النباتات والغابات التي كانت توجد على اليابسة في العصور الجيولوجية القديمة، التي غمرتها مياه البحر في فترة زمنية ما.

وأيا كان مصدر المادة العضوية التي تكون منها النفط فإن هذه المادة طمرت ودفنت مع فتات الصخور في أحواض الترسيب الجيولوجية التي تكونت عبر ملايين السنين.

وحتى تتمكن المادة العضوية من التحلل والتحول إلى هيدروكربونات بترولية فإنه لابد من وضعها في طبقات بمعزل عن الهواء (الأكسجين)، إذ لو تعرضت هذه المادة للأكسجين لاحترقت وتحللت بتأثير البكتيريا الهوائية.

ويقول أنصار النظرية العضوية: إن الأوساط المعزولة عن الهواء قد توافرت للمادة العضوية في قاع الأحواض الرسوبية التي تكون حركة المياه فيها محدودة. وبناء على ذلك، فإن الرسوبيات الفتاتية الناعمة (مثل الطين والحجر الطفلي) يمكن أن تحفظ المادة العضوية في الفراغ (أو المسام Pores) الموجودة بين حبيبات هذه الرسوبيات، وبذلك تكون بمعزل عن الهواء الذي يكون ذائبا في مياه البحر (تكون الرسوبيات عادة في قاع البحر، وقد يحدث بعد ذلك أن ينحسر البحر وتزحف اليابسة على بعض المناطق التي كانت مغمورة من قبل بمياهه) وتتعرض المادة العضوية مع زيادة عمق طمرها (نتيجة لزيادة سمك الطبقات الرسوبية التي تغطيها) الى تأثير الحرارة والضغط اللذين يؤدي تزايدهما الى تفاعلات كيميائية معقدة بين المكونات الأساسية للمواد العضوية (وهي الكربون والهيدروجين). وفي النهاية يتولد الزيت الخام Crude oil.

وقد حظيت النظرية العضوية بتأييد فريق كبير من العلماء. وترتب على اعتمادها من قبلهم أن أصبحت عمليات البحث والتنقيب عن البترول لا تتم إلا في الأحواض الرسوبية، سواء أكانت في المناطق المغمورة offshore (البحار والمحيطات) أم في المناطق البرية onshore التي كانت مغمورة بمياه البحر في فترة من فترات التاريخ الجيولوجي القديم للأرض. وبسبب هذه النظرية تم استبعاد مراكز القارات بسبب عدم غمرها بمياه البحر قديما، كما استبعدت الطبقات الصخرية غير الرسوبية في عمليات التنقيب عن البترول.

ويمكن تلخيص المراحل المختلفة التي تحولت خلالها المواد العضوية الى هيدروكربونات بترولية في الخطوات التالية:

١ ـ تترسب المواد العضوية في قيعان البحار القديمة، ثم تتعرض لعملية التحلل بواسطة بعض أنواع البكتيريا الهوائية وغير الهوائية، حيث يزال النيتروجين والأكسجين والكبريت من المادة العضوية.

٢ ـ يحدث اختزال للمادة العضوية، ويزداد انضغاط الرواسب، كما تحدث بعض التفاعلات الكيميائية نتيجة لوجود بعض العوامل الحافزة (المساعدة) Catalysts مما يؤدي الى تكوين الهيدروكربونات.

٣ ـ تظل الغالبية العظمى من المادة العضوية في التكوينات الرسوبية. وقد يحدث أن تنتقل الهيدروكربونات من التكوينات الرسوبية الأم الى صخور المكمن عن طريق بعض العوامل الفيزيائية الكيميائية.

٤ ـ تتحرك المكونات النفطية عبر صخور المكمن حتى يوجد حاجز يمنع حركتها.

وقد أجريت عدة تجارب للتأكد من صحة النظريات العضوية، نذكر منها على سبيل المثال لا


محطة تدفق البترول

الحصر:

أ - تجربة انجلر الذي حصل على خليط من الهيدروكربونات السائلة الشبيهة بالنفط عند تقطيره لزيت السمك تحت ضغط عال.

ب - ما قام به زيلنسكي من إيضاح إمكانية الحصول على مواد شبيهة بالنفط من مواد عضوية ذات أصل نباتي بطرق معملية.

## فرضية جولد Gold:

تنص هذه الفرضية على أن النفط قد نشأ عن التأثير البكتيري في الهيدروكربونات التي حبست في أجزاء عميقة من منطقة الوشاح Mantle التي تقع بين جوف الأرض وبين القشرة الأرضية. ويرى (جولد) أن ذلك قد حدث وقت تكون الوشاح.

ولاختبار صحة هذه الفرضية قام كل من معهد أبحاث الغاز Gas Research Jnstitute في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية وهيئة مصادر الطاقة السويدية Swedish State Power Authority بالحفر في منطقة تدعى ساحة سيليان Silijan Ring بالسويد الى عمق ٢٢ ألف قدم، أي الى منطقة الوشاح.

وقد تم استخراج عينة من صخر الجرانيت من عند هذا العمق تبين أنها تحتوي على وحل أسود شديد الرائحة ويوجد فيه جزيئات ذات أصل بيولوجي. ويتكون الوحل الأسود من حبيبات دقيقة من أوكسيد الحديد (الماجنتيت) Magnetite وهيدروكربونات متنوعة، بالاضافة الى علامات بيولوجية Biomarkersتعتبر دليلا على نشاط بكتيري.

ويرى جولد أن الرائحة الكريهة الحادة للوحل الأسود الذي تم الحصول عليه من ساحة سيليان توحي بنشاط بكتيري حديث. ومن المعروف أن البكتيريا قادرة على تكوين الماجنتيت. كما تبين أن هناك نسبة عالية من عنصر الإيريديوم في هذا الوحل. ولما كان الإيريديوم موجودا في بعض الأحجار النيزكية فمن المحتمل أن تكون هذه الأحجار قد أسهمت أيضا في إضافة الهيدروكربونات الى الأرض عندما كانت الأرض في مقتبل عمرها، خاصة وأنه قد ثبت جيولوجيا أن منطقة ساحة سيليان - التي تم فيها الحفر - عبارة عن منخفض قديم نجم عن اصطدام نيزك بسطح الأرض.

## فرضية أوريسون Ourisson:

تتشابه هذه الفرضية مع فرضية (توماس جولد) التي سبق الحديث عنها وذلك من حيث ردها أصل النفط الى تأثير البكتيريا، لكنها تختلف عنها في كيفية تكون النفط.

وقد تم الكشف عن تشابه كبير في مئات العينات الرسوبية المستخرجة بالحفر من جميع أنحاء العالم، حيث يبدو أنها جميعا تتكون بالدرجة الأولى من بقايا خلايا جرثومية. ولتأكيد هذا الرأي قام جاي أوريسون Guy Ourisson بالتعاون مع بيير البرخت Pierre Albrecht ومايكل رومر Michel Rohmer بتحليل المركبات الهيدروكربونية المعتمدة الموجودة في النفط ـ مثل رباعي الهوبان البكتيري (الذي تركيبه الكيميائي هو C35 H62 O4)، وتبين لهم أن المركبات الهيدروكربونية تستمد كثيرا من مادتها العضوية من لبيدات Lipids بكتيرية كانت فيما مضى غير معروفة للباحثين.

وطبقا لفرضية أوريسون فإن العديد من المكونات البسيطة للنفط الخام والمستخرجات الرسوبية يمكن أن تكون ذات أصل بكتيري. ومن الأمثلة الجيدة على ذلك مركبات الهيدروكربونات ذات السلسلة المستقيمة أو المتفرعة التابعة لمجموعة الميثان. ومن الأمثلة الأخرى أيضا: الفيتان والبريستان وهما مركبان يمكن اشتقاقهما بوضوح من الكلوروفيل (أي من النباتات والطحالب التي تقوم بعملية البناء الضوئي)، ولكنهما أيضا قد يكونان على شكل أحافير Fossils بعض الكائنات الجرثومية الدقيقة التي تولد غاز الميثان.

ويرى أوريسون أنه قد فُقد قدر كبير من المعلومات حول مصادر المادة العضوية الأحفورية نتيجة لعمليتين هما:

## الأولى:

تفاعلات الإنضاج Maturation Reactions الحرارية التي يساعد الطين في إتمامها، وهي مسؤولة عن عمليات التشابه Isomerigation وتكسير الجزئيات المعقدة التركيب إلى جزيئات أبسط من المركبات الهيدروكربونية النفطية.

## والثانية:

التحليل البكتيري للمركبات العضوية في الرواسب التي توضعت deposited في المناطق المغمورة التي تتصف بضحالتها.

وتبقى علامات الاستفهام:

في غضون العقود الأخيرة تم اكتشاف البترول في أماكن مختلفة في العالم وعلى أعماق مختلفة وبكميات كبيرة. وقد أدت هذه الاكتشافات الى طرح عدد من علامات الاستفهام أمام نظرية الأصل العضوي التي حظيت بتأييد كبير في الفترة الماضية.

إننا إذا أخذنا بما تقوله هذه النظرية فمن المفترض أن توجد مكامن البترول والغاز في القشرة الأرضية على مسافة قليلة من السطح، لكن هناك بعض الاكتشافات التي بينت وجود النفط في مواضع أعمق وصلت الى ٢٥ ألف قدم تحت مستوى سطح البحر.

كما تم اكتشاف كميات ضخمة من البترول والغاز تزيد بكثير على ما توقعته نظرية الأصل العضوي. ويطرح هذا بالتأكيد سؤالا جوهريا هو: من أين أتى كل هذا المخزون العالمي من البترول؟

إن نظرية الأصل العضوي لم تتمكن من تقديم إجابات وافية على الأسئلة التي كانت تطرحها الاكتشافات الجديدة من مكامن النفط والغاز. وفي المقابل، فإن نظرية الأصل غير العضوي يصعب التحقق من صحتها على مستوى الدراسات المعملية، لأنه سيكون من الصعب جدا محاكاة ظروف الضغط والحرارة في باطن الأرض.

وإذا قبلنا - جدلا - بصحة نظرية الأصل غير العضوي للبترول فكيف يمكن تفسير وجود بقايا عضوية، ومخلفات نباتية، وبكتيريا في مكامن النفط والغاز؟ للإجابة على هذا السؤال يقول أنصار هذه النظرية: «إن البقايا العضوية ليست إلا أحد أشكال التلوث العضوي الذي تعرضت له المكامن النفطية».



صورة لآبار البترول القديمة الموجودة في المملكة

إن الرأي النهائي في هذه القضية لم تقطع فيه «جهينة» برأى محدد بعد، أعني أن العلم لم يتمكن من الوصول الى إجابة شافية حول السؤال المتعلق بأصل البترول. والفرضيات التي ذكرناها تعد جميعها اجتهادات علمية لتفسير نشأة النفط. ومن يدري ربما تستمر الآراء مختلفة حول أصل البترول حتى ينضب دون أن يتفق العلماء على إجابة واحدة! وصدق الحق - عز وجل - حين يقول في محكم كتابه: (وفوق كل ذي علم عليم) يوسف/٧٦ ويقول أيضا: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء/٨٥.

---


أهم المراجع:

(١) T.M.B., Going For Gold, Scientific American, August 1988.

(٢) Guy Qurisson et al., The Microbial Origin of Fossil Fuels, Scientific American, August 1984.

(٣) محمد عبد القادر الفقي - البترول في العالم الإسلامي - مجلة الفيصل - العدد ٥١ - رمضان ١٤٠١هـ.

(٤) محمد عبد القادر الفقي - جيولوجيا البترول وطرق استكشافه - شركة ماس للاستشارات والخدمات - الكويت - ١٩٨٩.

(٥) بافلوف وأ. تيرينتييف - الكيمياء العضوية - دار مير الطباعة والنشر - موسكو ١٩٧١.

(٦) باكيروف - الأسس النظرية للبحث والتنقيب عن البترول والغاز - دار مير - موسكو.

(٧) ما هو أصل البترول - مجلة العلم - أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة - العدد ١٣/مارس ١٩٧٧.

(٨) د. سعود عياش نظرية الأصل غير العضوي للنفط - مجلة (الوطنية) شركة البترول الوطنية الكويتية - العدد ١٤٨ - ابريل ١٩٨٧.

# النينيو

د. علي احمد غانم
الجامعة الأردنية - الأردن -

«النينيو» كلمة اسبانية تعني الطفل نسبة الى الطفل المقدس، لانها ظاهرة تحدث في وقت عيد الميلاد Christmastime وتستمر لعدة شهور. النينيو مصطلح استعمله الصيادون على سواحل بيرو والاكوادور للدلالة على تيار المحيط الهادي الدافيء وما يجلبه من امطار غزيرة، وهو ظاهرة تسبب اضطراباً في الحياة الطبيعية في المحيط الهادي، كما تؤثر على مناخ العالم. فالتغيرات التي تحدث في المياه والرياح تسبب حدوث اضطرابات في النظام الايكولوجي المحلي لحياة اعداد هائلة من النباتات والحيوانات وعلى حياة مئات الملايين من الناس في العالم.

**طبيعته وتكوينه:**

يعد النينيو من الظواهر العشوائية حيث يتكرر حدوثه خلال مدة تتراوح من ٢ - ١٠ سنوات، وهو أيضا ظاهرة لا يوجد تشابه بين حالاتها. ولقد سجل في الاربعين سنة الاخيرة تسع حالات اثرت على سواحل امريكا الجنوبية. ويحدث النينيو بسبب ارتفاع درجة حرارة المياه السطحية في شرق المحيط الهادي، فترتفع بحوالي درجة مئوية واحدة في الحالات الضعيفة التي يقتصر تأثيرها على صيد الاسماك على سواحل بيرو والاكوادور، بينما ترتفع بحوالي خمس درجات مئوية في الحالات القوية التي يمتد تأثيرها الى الظروف الجوية والبحرية في مناطق كثيرة من العالم.

وفي السنوات العادية تهب الرياح الشرقية (التجارية) على طول المنطقة الاستوائية مسببة تحرك مياه المحيط السطحية الى الغرب بعيداً عن سواحل امريكا الجنوبية، ليحل مكانها تيارات من المياه الباردة الصاعدة من الاسفل Upwelling جالبة معها المغذيات التي تتكاثر عليها الاسماك. لذلك تعد هذه المنطقة الصغيرة (بعرض اقل من مائة كيلومتر) على سواحل بيرو والاكوادور من المناطق الغنية بالاسماك في العالم ولها تأثير كبير على اقتصاد المنطقة.

وعندما تضعف الرياح الشرقية خلال حدوث النينيو، تصبح الرياح غربية وتتجه الى سواحل المحيط الهادي الشرقية مسببة ارتفاع منسوب المياه في الشرق وانخفاضه في الغرب. وينتج عن ذلك تحرك المياه السطحية شرقاً باتجاه سواحل امريكا الجنوبية مما يؤدي الى توقف صعود المياه الباردة. ولانقطاع مصدر الغذاء، فإن الاسماك تهاجر شمالا وجنوباً بعيداً عن سواحل بيرو والاكوادور. فتكون هذه المدة عطلة عند صيادي الاسماك في بيرو والاكوادور.

**علاقته بالمناخ:**

بدأت عملية فهم النينيو في العشرينات من هذا القرن عندما لاحظ «جلبرت والكر» اختلاف الضغط الجوي بين محطات المناطق الشرقية والغربية في المحيط الهادي المداري. ولاحظ ان ارتفاع الضغط في الشرق يقابله انخفاض في الغرب، والعكس صحيح. ومن خلال تحليله لكميات الامطار لاحظ ان الجفاف يسود منطقة السواحل الشرقية للمحيط الهادي (صحراء اتاكاما) خلال السنوات العادية، بينما تسقط الامطار الغزيرة في المناطق الغربية. ويحدث العكس خلال سنوات حدوث النينيو، حيث تزحف منطقة الامطار الى السواحل الشرقية ويسود الجفاف في المناطق الغربية من المحيط الهادي ولوحظ أيضا اقتران النينيو بهطول امطار غزيرة في الاسكا وخليج المكسيك وجنوب الولايات المتحدة وسواحل تشيلي والارجنتين، بينما يسود الجفاف في مناطق مثل سواحل شمال البرازيل ومنطقة الساحل الافريقية The Sahel واندونيسيا والهند وجنوب شرق استراليا(١).

**النينيو ٨٢/ ١٩٨٣:**

لتوضيح اثر النينيو على الحياة سنعرض باختصار حالة النينيو ٨٢/ ١٩٨٣ والتي تعد من اقوى الحالات التي حدثت في هذا القرن وكان لها تأثيرات واسعة الانتشار. استمرت هذه الحالة من ايار ١٩٨٢ الى منتصف ١٩٨٣. ونتيجة لارتفاع درجة حرارة المياه

السطحية بحوالي (٥م) في شرق المحيط الهادي، تغير اتجاه الرياح الشرقية العادية الى غربية في المنطقة الواقعة الى الغرب من خط التاريخ الدولي International Date Line الى سواحل امريكا الجنوبية، مما ادى الى ارتفاع منسوب المياه بحوالي ٣٠سم في المناطق الغربية من المحيط الهادي، وكان لهذه التغيرات تأثيرات كبيرة على الحياة الطبيعية والبشرية، ولقد قدرت خسائر العالم الاقتصادية باكثر من ٨ مليارات دولار امريكي نتجت عن حدوث الفيضانات والاعاصير والجفاف والحرائق، هذا بالاضافة الى المعاناة التي واجهها الناس والتي لا تقدر بثمن. ومن تأثيراته:

١ - تضرر الطبقة العليا من المرجان المحيط بالجزر بسبب انخفاض منسوب المياه في غرب المحيط الهادي.

٢ - هجرت الطيور صغارها وانتشرت فوق المحيط بحثا عن الطعام.

٣ - هلك خلال مدة النينيو حوالي ٢٥٪ من الحيوانات البحرية مثل اسد البحر والفقمة وانواع كثيرة من الاسماك، بالاضافة الى هجرة سمك السردين من سواحل بيرو والاكوادور شمالا حتى كندا وجنوبا حتى وسط تشيلي.

٤ - هطول حوالي ٢٥٠٠ ملم من الامطار في الاكوادور وشمال بيرو خلال ستة شهور محولة الصحراء الجرداء الى اراض عشبية مليئة بالبحيرات. وادى ذلك الى تكاثر الجراد والطيور، وكذلك البعوض الذى ادى الى انتشار الاصابة بمرض الملاريا. ومن فوائد ذلك الحصول على ثروة سمكية كبيرة تم حصادها بعد جفاف البحيرات التي شكلت بيئات مؤقته للاسماك التي هاجرت من البحر خلال الفيضانات ثم اصبحت محبوسة.

٥ - وصاحب ذلك ايضاً انتشار الجفاف في مناطق عديدة في العالم مما ادى الى حدوث الكثير من الحرائق في الغابات في اندونيسيا وجنوب شرق استراليا. بينما انتشرت الفيضانات في مناطق اخرى في العالم مثل وسط تشيلي وسواحل الارجنتين الاطلسية وجنوب الولايات المتحدة، ومن تأثيراته ان غيرت الاعاصير المدارية المدمرة Hurricanes مسارها وضربت جزر هواي وتاهيتي التي لا تتأثر بمثل هذه الاعاصير في السنوات العادية.

**التنبؤ بالنينيو:**

يستفيد العلماء من المعلومات المتوفرة عن حالات النينيو بتحويلها الى نماذج رياضية للتنبؤ بالنينيو، وهذه النماذج عبارة عن معادلات تمثل ظاهرة النينيو. ويغذى الحاسوب بمعلومات رقمية تصف حالة النظام الجوي - البحري من حيث سرعة الرياح والتيارات البحرية ومستوى المياه وتغير درجات الحرارة على طول المنطقة الاستوائية في المحيط الهادي. ويعطي الحاسوب تنبُأ لما سيحدث في الحالة الجوية - البحرية خلال عدة سنوات. ويختبر العلماء دقة هذه النماذج عن طريق التنبؤ بالحالات التي حدثت في الماضي، فإذا ما نجحت في ذلك يمكن استعمالها للتنبؤ بما سيحدث في المستقبل.

وتلاقي عملية التنبؤ بالنينيو اهمية كبيرة في بيرو لما لها من تأثيرات هامة على اقتصادها. ويقوم المختصون باصدار تنبؤ لاربع حالات هي (أ) ظروف عادية (ب) النينيو ضعيف ورطوبة فوق المعدل خلال فصل النمو (ج النينيو قوي مع حدوث فيضانات (د) برودة المياه الساحلية اكثر من المعدل واحتمال حدوث الجفاف(٢).

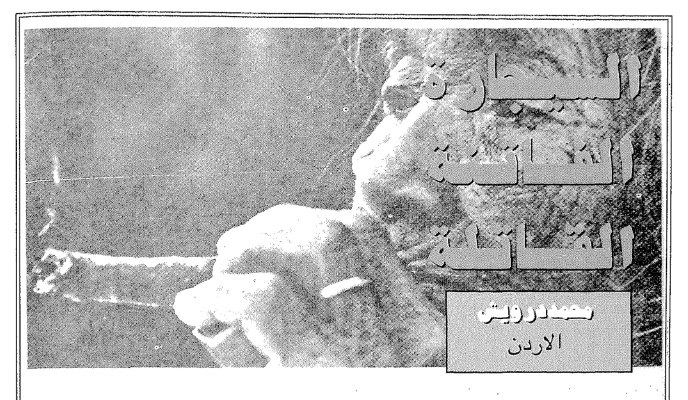
وحسب حالة التنبؤ يخطط المسؤولون لنوعية المحاصيل التي يجب زراعتها في ذلك العام للحصول على انتاجية عالية، فخلال سنوات النينيو يشجع الاكثار من زراعة الارز الذي يحتاج الى رطوبة عالية اثناء فصل النمو، بينما يشجع الاكثار من زراعة القطن في السنوات العادية. ويمكن الاشارة الى ان النينيو حالة يفرح بها المزارعون، ويستاء بها صيادو الأسماك وخاصة سمك السردين. وتهتم دول اخرى بظاهرة النينيو مثل استراليا والبرازيل والهند واليابان والولايات المتحدة، فهي دول مدارية تستفيد من عملية التنبؤ بالنينيو. ولقد اشتركت عدة دول معاً لبناء نظام عالمي من اجل مراقبة المحيطات المدارية والتنبؤ بالنينيو وغيره من الظاهرات، لما لذلك من اهمية كبيرة في تحسين ادارة الزراعة واستخدام المياه وصيد الاسماك وغيرها من الموارد.

---

*المصادر:*


١ - ***G. Egleman, Meteorolog: The Atmosphere in Action, Wadsworth, Inc, 1985.***

٢ - ***Noaa & Ucar, El Nino and Climate Prediction, Report to the Nation No.3, 1994.***




فتانة ساقت حبائلها على كل القلوب
تختال في وضح النهار على الشفاه بلا رقيب
رقاصة بين الأنامل في تألقها العجيب
يفتر منها الثغر في مرح يؤججه اللهيب

*********

طرحت علي غرامها ما بين اقنعة الضباب
كان الصبا مازال يدرج نحو آفاق الشباب
والنفس ما اسطاعت تميز بين غبي أو صواب
فعدوت في ساح الجهالة راكضا خلف السراب

*********

أغرقت فيها صبوتي حتى استبد بي الغرور
خلت الحياة كأنها طفحت بكاسات الحبور
لجلجت في دنيا الأماني الحالمات إلى الظهور
فشربت منها السم والاذلال والعار المرير

*********

عانقتها فإذا بها الأنفاس تزفر بالشرار
قبلتها فذوت على شفتي عند الاحتضار
امتص منها علقما فيهيج في رئتي نار
والموت حث لي الخطى ما عاد ينفعه اصطبار

**********

ضيعت زهر العمر أحسب أنني حزت الفلاح
يا ويح نفسي من غرام كان امضى من سلاح
فالويل لي مما جنيت من المصائب والجراح
والنفس مني قد غوت في لجة الوهم المباح

**********

أين الطبيب يعودني وأنا افارق للحياه
وبجهنم أمسيت ما بين الزبانية العتاه
من ذا يعيد لى الضياع وقد تسارع في خطاة
يا قبح يوم قد وضعت به السجارة في الشفاه

**********

يارب يا رحمن أنت المرتحى في شدتي
اقلعت عن غي السجارة فهي كانت فتنتي
وإليك أرجع تائباً مما جنيت بغفلتي
يارب فامنحني الثبات لكي لا اعود لزلتي

مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح مجلة




رحلة إلى فاس مدينة التاريخ والعلم والآثار

خواطر وتأملات عن السويد

في هذا العدد من السائح

# الحمامات



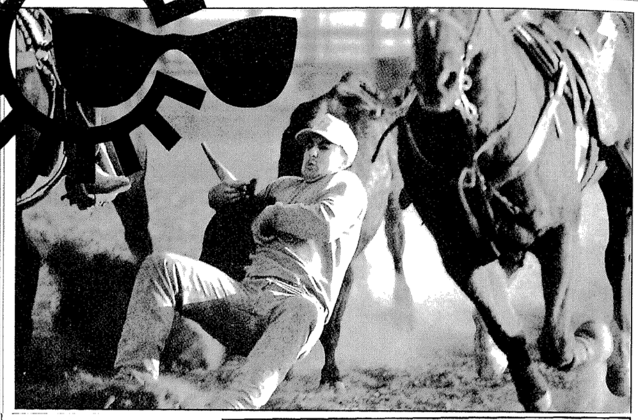
عرفت سوريا الحمامات منذ أقدم العصور وظلت منتشرة في أهم المدن كدمشق وحلب وحمص يرتادها الناس للنظافة والتطهر بالدرجة الأولى وكانت حتى عقود قريبة تعد بالمئات ولا يخلو حي أو حارة من حمام إلى جانب المسجد والمقهي.

ومع تطور الحياة ووجود حمام في كل منزل تراجعت اعدادها ولم يبق منها سوى عدد قليل وخاصة في دمشق وحلب، وانتشرت في معظم المدن السورية أيام الحكم العثماني وادخلت على بنائها فنون العمارة والزخرفة الاسلامية من قباب واقواس من الحجارة الملونة ما يزال الكثير منها قائماً حتى الآن.

وتعد الحمامات من معالم دمشق التاريخية وحضارتها الاسلامية والشرقية ولعبت دوراً اجتماعياً ودينياً وطبياً في حياة المجتمع العربي. وكانت الحمامات تفتح ابوابها من العشاء حتى ظهر اليوم التالي للرجال وتخصص الفترة الباقية للنساء، وهناك نوعان من الاستحمام ، نوع يتم في الفترة الصباحية للاغتسال والنوع الثاني في الفترة المسائية فيكون للنظافة والاستحمام الفعلي وخاصة في ليالي الجمع والأعياد وفي احيان كثيرة يكون الذهاب الى الحمام جماعياً يضم الاصدقاء ويتحول الى سهرة للغناء والسمر. أما النساء فكن يأتين الحمام للنظافة وللاحتفال ببعض المناسبات كليلة الزفاف وبعد الولادة وختان الأطفال ويتحول الى لقاءات لتبادل الاحاديث والشكاوي والهموم الحياتية والتعارف والمصالحة بين المتخاصمات!

وكانت الخاطبة تأتي الحمام لانتقاء العروس وتقوم الأمهات بمراقبة الفتيات الجميلات لانتقاء العروس المناسبة لابنائهن في افضل مكان للانتقاء وكان الحمام مناسبة كبيرة لعرض ما لديهن من الملابس الفاخرة او الحلي وتمتد اوقات الاستحمام ساعات طويلة يتناولن التبولة والمشروبات الباردة والساخنة وهذا النوع من الحمامات النسائية يتم مرتين في الشهر.

«منال يوسف»



## الناس فيما يعشقون مذاهب

مشاهدة كرة القدم عند المعجبين المتابعين تحولت إلى أنموذج يشد انتباه الآخرين.. وأصبح كثير من المشاهدين يحارون بين مشاهدة الملعب وما يجرى فيه، وبين الفرجة على ما جاء به بعض المشاهدين من تشكيلات لافتة للنظر، بل غريبة غاية الغرابة. هذان شابان رسما على ظهريهما مجموعة من الرسومات الاسطورية، وآخر صنع اجنحة زاهية الألوان، ولبس قناعاً تقليدياً على رأسه، وآخرون جاؤا في اشكال غاية فى الغرابة، وما على المتابع للكرة الا أن يوزع انتباهه، بين رائعة الكرة ورائعة الغرابة هذه



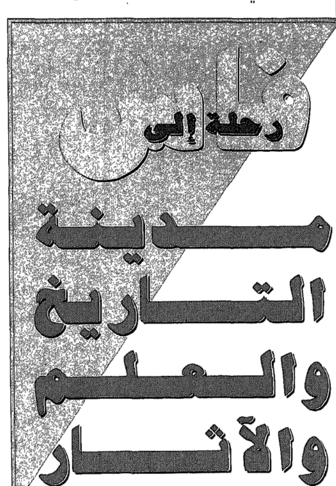
## مسابقات الروديو

في جنوب غربي الولايات المتحدة تنتشر مسابقات «الروديو» حيث التغلب على الثور الهائج، واخضاعه وبسطه على الأرض مغلوباً على أمره. لا شك ان انتشار هذا النوع من المصارعة أصبح في حدٍّ ذاته غاية سياحية كبرى، والطالب المنتمي لمدرسة مصارعة الثيران عليه ان يبذل جهداً خارقا، وإلا لضاعت آماله، وغير مستبعد أن يضيع هو نفسه.

والاختلاف بين مصارعة الثيران الاميركية وبين نظيرتها الأسبانية، أن الاميركية، يمتطى المصارع صهوة حصان مدرب، فيقفز من على ظهره ليمسك بقرني الثور لطرحه أرضاً.. والمسألة تحتاج الى قدر من الدربة اكثر شدة وعنفا.

قدر لي أن أقوم بزيارة مدينة فاس عدة مرّات حيث حضرت فيها عدة مناسبات علمية وثقافية ويطيب لي في هذه المناسبة أن اسجل انطباعاتى ومشاهداتي عن هذه المدينة التاريخية العريقة والمركز الثقافي والتراثي وقد تخرج فيها كثير من علماء المسلمين وكانت ذات مكانة رفيعة فهي حافلة بالآثار والأمجاد العربية الاسلامية حيث مر تاريخها بحقب وعصور وكان لعلمائها دور في الدفاع عن الاسلام ونشر رسالته في القارة الأفريقية.

ولكم تألق عالم وأديب ومحدث ومؤرخ من هذه المدينة فأسهم اسهاما كبيرا فى خدمة العلم والأدب والثقافة واللغة والتاريخ والحديث ونشر الثقافة الاسلامية والدفاع عنها والذب عن حياضها ونشرها في جنوب أوروبه وغرب افريقية ومازلنا نحمل في أعناقنا دينا لأولئك الاسلاف من علماء المغرب الذين كانت لهم المصنفات الفائقة من أعلام البيانى واساطين اللغة والأدب والشعر ومازالت أشعار الأندلسيين والمغاربة تحتل موقع الوجدان العربى الاسلامي وقد عدوا عن الحنين الى المشرق الغربى فى قصائدهم وأشعارهم.




لقد كانت مدينة «فاس» هي العاصمة العلمية وقد أسست في عهد المولى ادريس الثاني سنة ١٩٠هـ وتوجد بها جامعة القرويين التي بنيت سنة ٢٤٥هـ فى عهد يحيى بن ادريس ولقد ازدهرت هذه المدينة ووصلت أوجها فى عهد المرينيين الذين اتخذوها عاصمة لهم حيث انشأت بها عدة مراكز ومنشآت حضارية أهمها القصر الملكى الحالي وعدة مدارس ولقد قمت مع مجموعة من الاخوة الذين حضروا «ندوة ابو بكر بن العربي» بزيارة مدرسة المصباحية وسوق الصفارين وسوق العطارين وخزانة

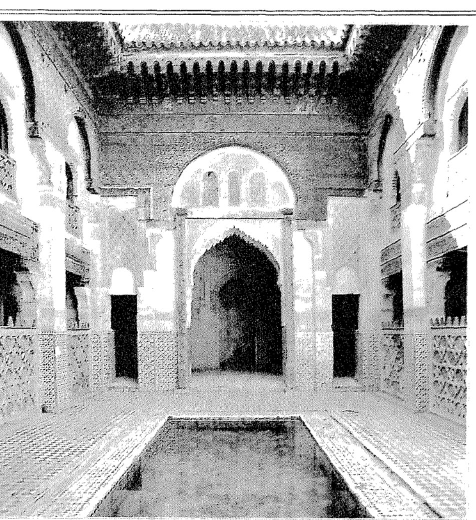


بقلم:
**عبد الله بن حمد الحقيل**
رئيس تحرير مجلة الدارة - الرياض

القـروين وهـي حـافلة بالمخطوطات ثم ذهبتا للمـدينة القـديمة وشـاهدنا اسـواقـهـا وبيوتها واسوارها ثم انتـقلنا للمـدينة الجـديدة الحـافلة بمعالم الرقي والتقدم والحضارة.

وخـلال وجـودي في مـدينة فـاس للمـشـاركـة في ندوة «ابو بكر بن العـربي المعـافـري» وجـه للمشاركين فى الندوة دعـوات من ضـمنهـا دعوة رئيس المجموعة الحضرية لولاية فاس وعميد «جامعة سيدى محمد بن عبد الله » ورئيس جـامـعـة القـرويين، ورئيس جـمعيـة فاس فكانت لقـاءات علمية وأدبيـة وأحـاديث فكريـة ولغوية تناولت العلاقات والصلات بين المشرق والمغرب قديما وحديثا، وقلت إنهـا قـديمة وثيـقـة على الدوام وتزداد مع الأيام تبلورا ورسـوخـا. كـمـا أن كـتب الرحـلات حـافلة بالرحالة من علماء المغرب الذين كتبوا عن الحرمين الشريفين ومصر والشام ووصفوا المشاعر المقدسة المتعلقة بالحج، وما فى مكة والمدينة من آثار كريمة كـابن بطوطة وابن جـبـيـر وابن عـبد السـلام ويحى القـرطبي ومـحـمـد الكنانى والعـبـدرى والفـاسي وادريس العلوي الحـسني الفـاسى ومـحـمـد بن الطيب الفـاسى صـاحب الرحلة الفـاسـيـة والتي وصف فـيـهـا رحلتـه الى الحج ومـازالت خـزانة القرويين والرباط تحفل بكتب كثيرة فقد برز الاخوة المغـاربة في هذا الجـانب ومـدوا الثـقـافـة العـربيـة الاسـلامـيـة بذخـائر المعـرفـة ونتـمنى أن ينفض

الصناعات اليدوية والاسواق القديمة والمعمار الفريد تمثل جانبا من روعة مدينة فاس


الباحة الداخلية لمدرسة الصهريج التي بناها ابو الحسن المريني عام ٧٢١ هـ

الباحثون الغبار عن كتب الرحلات التى مازالت مخطوطة في خزائن المكتبات.

وجرى الحديث عن الندوة وعلمها فهو يعتبر من العلماء البارزين الذين تعددت مواهبهم وتنوعت شخصياتهم وقد كان لرحلاته الأثر البارز في تكوين شخصيته ولقد اشترك في هذه الندوة اكثر من ثلاثين باحثا توافدوا من مختلف الجامعات ومراكز البحوث واقيم حفل الافتتاح في الجامعة.

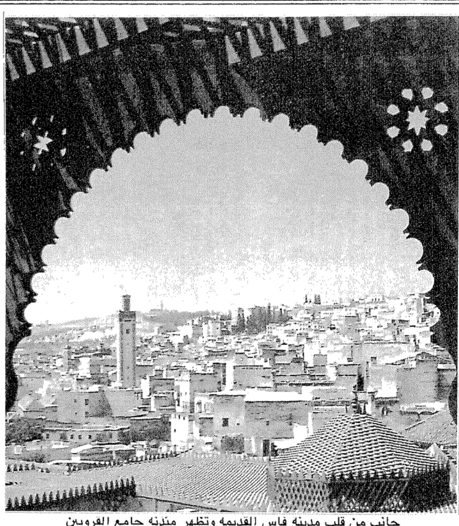
ولقد تناول الاخوة المتحدثون جوانب متعددة من شخصيته فى مجالات التفسير والحديث وأصول الفقه واللغة والأدب.

ثم ألقيت بعد ذلك حديثا في مقر الندوة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في فاس .. تناولت فيه مجموعة نقاط منها بعض مؤلفاته مثل:

- أحكام القرآن.
- كتاب المسالك في شرح موطأ مالك
- القبس على موطأ مالك.
- عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي
- القواصم والعواصم
- المحصول في اصول الفقه
- سراج المريدين وسراج المهتدين
- كتاب المتوسط
- كتاب المشكلين
- تأليف في حديث أم زرع
- الناسخ والمنسوخ
- تخليص التلخيص
- القانون في تفسير القرآن
- أنوار الفجر في تفسير القرآن. وقال هو نفسه عنه إنه ألّفه في عشرين سنة وثمانين الف ورقة في نحو ثمانين مجلداً وقد تفرقت بأيدي الناس.

ولقد أضحى بهذه الخلفية العلمية الرائعة نسيج وحده فهو عالم ثبت وفقيه متمكن ولغوي ضليع وهذه المؤلفات رصيد حافل تدل على شخصية فذه وجهود بارزة نهل من فكرها وعطائها الكثيرون وانتفعوا بها، وأن أعماله ومؤلفاته ستظل منهلا فياضا مفيدا، والآن نسأل اين ذهبت تلك الكتب والمؤلفات وفي أي موضع طوّح بها الزمان ولقد ضربت الأيام على كثير من تلك النفائس وهدمت تلك الصروح العلمية ومهما أحزننا فقد الكثير من آثاره فإن مما يجلب الينا العزاء أن هناك قدرا باقيا من تلك المصنفات والأمل كبير ان

شاء الله في هذه الندوة في تناول شخصيته ومعالم حياته ومواقفه الاصلاحية والعلمية والقاء الضوء على جوانبه اللغوية والأدبية والعلمية وإثرائها لتبقى مشعلا وهاجا للباحثين والدارسين وتبقى في المكتبة العربية من الذخائر العلمية الحضارية مشاعل معرفة في أوطان شتى من الأرض لما تستحق من عناية واهتمام ويتعطش لها الوسط العلمي.


جانب من قلب مدينه فاس القديمه وتظهر مئذنه جامع القرويين

وبعد فإني لأعبر عن الاعتزاز بالمشاركة فى هذه الندوة العلمية والمناسبة الفكرية والتعرف على شخصية ابن العربي من خلال محاور هذه الندوة ذات الدلالة الكبيرة والاستماع إلى بحوث الأساتذة الباحثين.

لقد اعتبره مؤرخو الأندلس - أحد أركان ثقافتها وعلمائها وحفاظها وكان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على أقسام الكلام من النظم والنثر وراويا لوثائقها بارعا في العربية وضروبها.

وهذا يدل على مدى اتساع ثقافته التى اكتسبها من بيئته الثقافية في الأندلس ومن تطوافه بحواضر العالم الإسلامي فهو يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي الإسلامي.

وكان حفيا باللغة العربية وحريصا عليها وكانت لديه الملكات والاستعدادات اللغوية مما جعله عالما بها بل ونحويا من أساتذة النحو وقد وضعه المؤرخون للحركة الأدبية في الأندلس في منظومة اللغويين وأخذ على كاهله تدريس اللغة العربية لأدباء الأندلس وكانت مجالسه الأدبية تحفل بالأشعار والأخبار الأدبية وعلوم النحو والصرف والبلاغة ويستعرض في دروسه أساتذة النحو وأئمة البيان من أمثال سيبويه والخليل بن احمد ويونس بن حبيب ومدرسة الكوفة والبصرة والكسائي والأخفش والفراء والأصمعي وكتب سيبويه والكسائى وغير ذلك من الكتب والأبحاث النحوية وفي عصره بلغت الدراسات اللغوية مستوى رفيعا ونشطت حركة التأليف في هذا الميدان وصدرت له كتب لغوية مثل «ملجئة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين واللغويين» وتعرض لأمور لغوية ومسائل نحوية في كتابه «أحكام القرآن» وكذلك شرح غريب الرسالة حيث شرح

بينهما من خلاف واهتم بمؤلفات علماء اللغة في بغداد والبصرة كابن جني والشجري وابن فارس وله آراء نحوية في مسائل كثيرة ونراه يرجح اراء سيبويه في بعض المسائل وينتقده بعض الأحيان ولا أريد أن أطيل عليكم في بحث وإيراد آرائه٠٠ وهي مبسوطه في كتب الدراسات اللغوية في الأندلس٠



حقا لقد ارتفع بمستوى اللغة العربية وإحياء تراثها الفكري ومقوماتها التاريخية وفاض شعره بالغزل والوصف والشوق للأماكن والبقاع الأندلسية فكان تصويرا دقيقا بليغا ووصفا صادقا وامتاز شعره بجزالة اللفظ

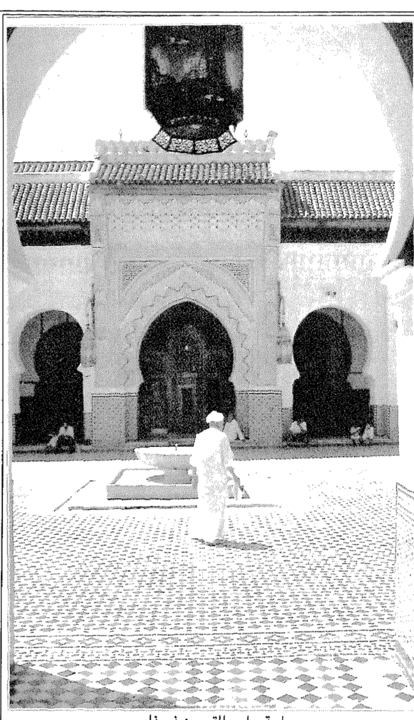
فيها المفردات والألفاظ التي وردت في رسالة أبي زيد القيرواني كما ذكر له حاجي خليفة والمقري في نفح الطيب رسائل في مسائل النحو وقضايا اللغة ولقد تتلمذ عليه عدد من العلماء والأدباء واللغويين حيث ورد في كتب الطبقات أن عدداً من علماء اللغة والأدب قد أخذ عنه مسائل النحو وعلوم اللغة العربية، لقد كان علماً من أعلام الأندلس في حقول علمية متعددة أوردها من كتبوا عنه وترجموا له وكانت له آراء وأفكار ذات دلالة ومضمون وفي مستوى علماء اللغة في عصره ولقد أسهب الرواة في هذا الجانب وفي الحديث عن عمقه اللغوي والأدبي وقالوا إنه درس كتاب سيبويه وهو في الأندلس قبل أن يذهب الى المشرق وفي بغداد اهتم بآثار مدرسة الكوفة والبصرة وما كان يحدث

ومتانة الأسلوب وبراعة التصوير وحفل بالمعطيات اللغوية السامية وابتعد عن الضعف والركاكة وأعرض عن الأغراض الشعرية التافهة ووظف اللغة والأدب في أمور علمية كثيرة، وترك آثارا واضحة وثروة أدبية ولغوية تشكل امتداداً فكرياً له ذات خصائص وسمات أدبية متميزة لا تغيب على من احتك بتراثه ووقف على عطائه الفكري والمتمثل في أسلوبه العميق خلال مناظراته للعلماء ولأستاذه الغزالى حيث يتجلي «الأسلوب البلاغي الرصين والبراعة اللغوية والمهارة الأدبية والإبداع الفكري وله رسائل لغوية وأدبية منها الرد على ابن السيد البطليوسي حيث نقد شرحه لديوان المعري « لزوم مالا يلزم» وهذه الرسالة كغيرها من رسائله الأدبية

واللغوية المفقودة وقد أشار لها صاحب الفهرست وكما ورد ذكر رسالته شرح غريب الرسالة والتي شرح فيها المفردات التي جاءت في رسالة أبى زيد القيرواني وقد نسبها إليه صاحب كتاب «نفح الطيب للمقرى» كما أن ديوانه الشعري تتجسد فيه الرؤية الفكرية الحافلة بروائع القصائد والأشعار والحكم البالغة وكانت مجالسه ممتعة بالعلم والأدب وصدق الحس والأصالة وحسن التذوق لهما مما يدل على مقدرة أدبية واطلاع واسع والواقع أن البحث عن ابن العربي في كل جوانب حياته العلمية والأدبية يتطلب الإطالة بدرجة كبيرة وحسبنا أن نعتمد في ذلك على التلميح دون التصريح والخلاصة أنه أدى رسالته في الحياة على اكمل وجه ورحل مخلفا إنتاجا علمياً ثرا مما جعله من مفاخر الثقافة الإسلامية ومن أشهر علمائها وتوفي في مراكش سنة ثلاث وأربعين وخمسمائه وحمل إلى هذه المدينة « فاس» ودفن بها رحمه الله وأكرم مثواه.. وقصارى القول: فإني لأشعر أن بياني يقصر عن أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حق هذا العالم وأرى قلمي عاجزا عن أن يجري بالحديث إلى الغاية التي تناسب فضله ومقامه متعللا بقول الشاعر:

إن القليل من الكلام بأهله
حسن وإن كثيره ممقوت

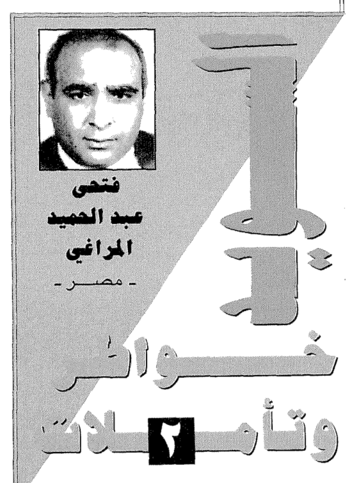
مازال ذو صمت وما من مكثر
إلا يزل وما يعاب صموت



ساحة جامع القرويين في فاس

وبعد تمضية أيام ممتعه في ربوع هذه المدينة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة والقديم والحديث غادرتها مرددا قول الشاعر الوفي:

بنفسي تلك الأرض ما أجمل الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

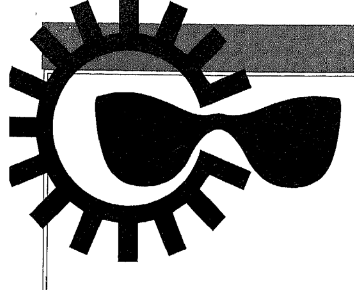


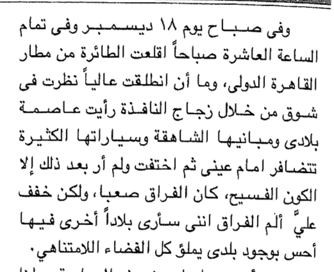

فتحي
عبد الحميد
المراغي
- مصر -

استهوتنى عادة القراءة والتسجيل منذ صباى الباكر، فدفعنى ذلك الى تدوين كل ما يدور بخاطرى من ملاحظات ومشاهدات اكتسبتها من حياتى الخاصة والعامة اثناء رحلاتى. وخواطرى عن السويد ترجع الى عام ١٩٨١م حينما سافرت اليها مدعواً من قبل عائلة سويدية كريمة المحتد.

والامر الذي حفزني لزيارة هذه البلاد الغريبة عنى هو: المعرفه، وقبل سفري كان كل تفكيري ينصب على، ما سافعل في تلك البلاد الجديدة عليّ؟ فأستقر بخاطرى انه اذا ما قدر لي السفر وامتد بي المقام هناك ألا اضيع لحظه إلا في العمل ومعرفة تلك البلاد، واخترت أن أقوم بزيارتى هذه فى شهر ديسمبر حتى أرى تلك البلاد وهي غارقة في برودتها وثلوجها المتراكمه.

فى صباح يوم ١٧ ديسمبر استقللت القطار السريع من محطة بلدتى بصعيد مصر وجلست فى مقعدى بجوار النافذة، اما المقعد الثانى فقد شغله أحد الصعايدة بلدياتى، وما أن أهل ضوء الصباح وخرجت الشمس من خدرها طاف بنا الحديث فى مرابع الذكريات الحلوة المسلية عن البلدة الأمر الذى قتل ساعات السفر الطويل.





وفى صبـاح يوم ١٨ ديسمبر وفى تمام الساعة العاشرة صباحاً اقلعت الطائرة من مطار القاهرة الدولى، وما أن انطلقت عالياً نظرت فى شوق من خلال زجاج النافذة رأيت عاصمة بلادى ومبانيها الشاهقة وسياراتها الكثيرة تتضافر امام عينى ثم اختفت ولم أر بعد ذلك إلا الكون الفسيح، كان الفراق صعبا، ولكن خفف عليَّ ألم الفراق اننى سأرى بلاداً أخرى فيها أحس بوجود بلدى يملؤ كل الفضاء اللامتناهي.

بعد أربع ساعات ونصف الساعة ربطنا الأحزمة، فها قد اقتربنا من مطار كوبنهاجن، وما ان بدأت الطائرة فى الهبوط حتى رأيت مياه بحر البلطيق الذى كادت اجنحة الطائرة تلمس مياهه. هذا المطار الواقع على جزيرة كاستروب الدانمركيه يعد من اكبر الموانىء الجويه فى الدول الاسكندنافيه فهو طريقى الى جنوب السويد، هالنى ما رأيته من شدة تساقط شرائح الثلج التى كانت تتطاير بسرعة مع الرياح الشديدة التى تشبه رياح الخماسين التى تحمل الرمال من الصحراء فتغطى الطرقات. مررت مع المسافرين داخل انبوبة كانت قد التحمت بباب الطائرة فور توقف محركاتها، ومنها دخلنا جميعاً الى المبنى الرئيسى للمطار وهناك كان فى انتظارنا رجل عربى يبدو من ملامحه أنه لبنانى الأصل رحب بنا وجمع جوازات السفر وتبعناه الى قسم الجوازات داخل المطار، ولم تمر دقائق حتى اعادها إلينا مختومة بتأشيرة دخولنا الاراضى الدانمركية. خرجت من الباب الرئيسى للمطار ومعى حقائبى محمله على عربة صغيرة، كانت الساعة المعلقة على الحائط الكبير للمطار تشير الى الثالثة بعد الظهر بينما ساعة معصمى كانت تقف عقاربها على الرابعة فادركت فارق التوقيت، وقبل أن أخطو خطوه واحدة للامام وجدت أسرة مضيفي: زوجته وابنتيه الجميلتين في انتظارى.. كانت لحظة جميلة واستقبالا حاراً لم اتوقعه. رافقت العائلة فى سيارتها «الفلفو» الوثيرة الفارهة التى اخترقت بنا شوارع «كوبنهاجن» المتسعة النظيفة ومبانيها على الجانبين تأخذ الطراز الواحد كما أنها فى مستوى واحد ارتفاعاً وتنظيما، وجميعها مطلية باللون البنى الداكن، فهو من الألوان التى تحتفظ بالحرارة لفترة طويلة. كنت اجلس الى جانب مضيفى فى المقعد الأمامى وهو يقود السيارة ويقوم بشرح أهم معالم المدينة.

وصلنا الى المرفأ، وهناك وقفنا خلف طابور السيارات الطويل لكى نأخذ موقعنا داخل العبَّارة السويدية المرفوع عليها علم السويد، وفى الطابق الثانى للعبَّارة جلسنا جميعاً فى «الكافتيريا» نحتسى الشاى والقهوة، بينما أخذت العبارة طريقها فى اتجاه جنوب السويد، رأيت من خلال الزجاج الذى كان يلف المكان شرائح الثلوج مازالت تتساقط بكثرة، ومياه البحر شبه متجمدة، والجو خارج العبارة مخيف، ولا يؤنسنى سوى البسمات التى كانت تشرق فوق وجوه اسرة مضيفى والمسافرين، مما اوحى إلىَّ انهم مشغولون بحياتهم الناعمه المترفة مما ابعدهم عن

العبوس والتكشير. حدثني مضيفي قائلا: بعد اقل من ساعتين من الآن سوف نعبر خليج «ايرسوند» الذى يقع بين منطقتى اسكونا السويدية وشالند الدانمركية، فأقصى اتساع لهذا الخليج ٢٧ كم، وأقل اتساع له ٤كم بين مدينتي «هلسن بورج» السويدية «وهلسن جر» الدانمركيه، وان حكومتي البلدين ستقومان بإنشاء كوبرى علوى يربط بين الدولتين بتكلفة قدرها ٨١٥ مليار كرون، وقتذاك، والمبلغ رغم كبر حجمه الا انه يعود على البلدين بفائدة اكبر.

وعندما اقتربنا من ميناء «ليم هامن» السويدى لاح لنا فنارها الجميل مضيئا وكأنه متألق لاستقبال الزائرين، وظهرت السفن وهى ترسو على ارصفة المرفأ باحجامها المختلفه، حينذاك اخذت العبارة تتهادى رويداً فوق سطح الماء وتتعامل مقدمتها لتفتيت الثلوج التى أمامها فى سهولة ويسر وكأنها عروس البحر وهى تقترب من الشاطئ. وما أن رست العبارة على الرصيف المخصص لها هبطنا جميعاً فى هدوء الى جوف العبارة لنستقل السيارة التى تحركت حتى وقفت امام مبنى جوازات السويد، وما إن أبرزت جواز سفرى، حتى سمحت الشرطية بمرور السيارة، بعد ان ألقت تحية مصحوبة بابتسامة لطيفة اطمأن لها قلبى.. فها نحن الآن على الاراضى السويدية من الجنوب وعلى ابواب مدخل مدينة «مالمو» عاصمة منطقة اسكونا.

انطلقت السيارة فى شوارع مدينة «مالمو» ولفت نظرى انها تشبه تماماً مدينة كوبنهاجن فى اتساع شوارعها ونمط المبانى القديمة التى تأخذ طابع الفن القوطى القديم فهى جميعاً تتشابه فى اذواقها وفى اتجاهات افكارها، وما ان توقفت السيارة فى ميدان كبير وسط المدينة يحمل اسم «جوستاف أودلف» حتى اعطتنى ابنة مضيفى الكبرى معطفاً مبطناً من «الفرو» و«قفازاً» فكانا بمثابة المنقذ لى من برودة الجو القارس الذى كنت أرتعش منه، القيت بنظرة شاملة على الميدان، ولكنى لم اتحقق من معالمه من اثر تراكم الثلوج الكثيفة، ولكن استطعت ان ارى الطابع العام للميدان، فهو محاط ببنايات قديمة الطراز وتتوسطه نافورة مياهها متجمدة، دخلنا «كافتيريا» تقع فى إحدى هذه البنايات القديمة وتطل على الميدان لنحتسى المشروبات الساخنة ونأكل بعضاً من قطع الكيك فقد كان ذلك ضرورة واجبة لكى أدفىء معدتى التى كانت تنتفض من شدة البرد والجوع، وبينما كنا جالسين حول المنضدة المستديرة وقع نظرى على كتيب صغير باللغة الانجليزية يحكى تاريخ مدينة «مالمو» رحت أقلب فى صفحاته، فالمدينة لم تعرف إلا بعد النصف الأخير من القرن الثالث عشر الميلادى، وكما يحكى التاريخ انه فى عام ١٢٦٠م تزوج الملك السويدى «فلاديمير» من الأميرة الدانمركية «صوفيا» فأهدى لها الملك هذا الاقليم كمهر لزواجه منها، تعجبت لهذا المهر الغالى الذى لا يستطيع أحد أن يقدمه إلا الملوك. وقصة الاقليم لم تنته عند هذا الزواج.. فالجيش السويدى كان قد هدد هذه المنطقة عام ١٣١٣م لكي يجبر حكامها على دفع الاتاوة لملك السويد ولهذا انضمت المنطقة كلها، والتى تعرف بـ «اسكونا» الى السويد عام ١٣٣٢م. ولكن الصراع ظل قائماً بين ملك السويد وملك الدانمرك لفترات متباعدة حتى سيطر عليها ملك الدانمرك، ونظراً لموقع المنطقة الحيوى على بحر البلطيق فهى المنفذ الى وسط اوربا عن طريق خليج «ايرسوفد» فاستولى عليها القراصنة عام ١٣٩٤م وأحكموا سيطرتهم على مدينة «مالمو» نفسها مما حدا بألمانيا ان توجه أنظارها الى تلك



المنطقة خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، وهذا يفسر سبب التشابه الكبير بين كنيسة القديس بطرس، فى مدينة «مالمو» وبين كنيسة «القديسة ماريا» فى مدينة «لوبك» الالمانية، وقدر لمدينة «مالمو» أن تظهر كمدينة كبيرة ومهمة فى القرن السادس عشر الميلادى فنما اقتصادها وازدهرت الثقافة بها حتى أصبحت منافساً قوياً لمدينة كوبنهاجن الدانمركية، مما جعل ملك الدانمرك «كريستان الثالث» يعطى اهمية كبرى لمنطقة اسكونا فاكمل بناء قلعة «مالمو» الشهيرة التى كان قد بدأ بناءها ملك «بومورينا» عام ١٤٣٤م، ويبدو ان المنطقة لم تستقر على حال إلا بعد معاهدة «روشيلدا» عام ١٦٥٨م والتي أصبحت بمقتضاها هولندا ومنطقة بحر البلطيق واقليم اسكونا بما فيه «مالمو» تحت سيطرة السويد. وفى عهد الملك السويدى «جوستاف الرابع» اصبحت مدينة مالمو العاصمة غير الرسمية للسويد، ففى عهد الملك «جوستاف الخامس» انعقد فى المدينة مؤتمر للسلام بين ملك السويد وملك النرويج «هيكون» وملك الدانمرك «كريستيان» العاشر ذلك الذى تُوّج ملكاً على الدانمرك عام ١٩١٢م. وقد اخذ نجم مدينة مالمو فى الصعود عام ١٩٤٤م لتصبح عاصمة ثقافية كبرى وذلك عندما افتتح مسرحها الكبير الذى عرضت عليه مسرحية «حلم ليلة صيف» للكاتب العظيم «شكسبير». وتعتبر «مدينة مالمو» الآن من أهم المدن السويدية إذ تحتل المركز الثالث بينها من حيث الاهمية وهى عاصمة اقليم «مالمو» وهى تحتل الجزء الجنوبى من منطقة اسكونا.. مساحتها «٨٠كم٢» يقطنها حوالى ٣٠٠ الف نسمه، وبها صناعات مختلفة ومراكز علمية وتجارية. وما ان انتهيت من قراءه هذا الموجز المبسط عن تلك المدينة كنت قد ارتشفت آخر قطرة من كوب الشاي الساخن، أما أفراد عائلة مضيفى فكانوا يرمقوننى بنظرات ثاقبة فى اهتمام شديد وكانت وجوههم تملأها ابتسامات عريضة، وكأنهم قد قصدوا الا يشغلونى عن متابعة القراءة فى الكتيب لكى اكتشف بنفسى

المدينة واتزود بالمعلومات عنها فكانت هذه خاصية من خصائص الشعب السويدى، فهم يتركونك فيما انت ذاهب إليه ثم يساعدونك إذا ما طلبت المساعدة، مما خلق انطباعاً عندى عن الشعب السويدى ان بداخلهم شعوراً عميقاً نحو بلادهم وولاء شديداً لوطنهم.

اقترح مضيفى ان نطوف فى مدينة «مالمو» لنرى أحياءها القديمة والحديثة قبل مغادرتها الى مدينة كريشان «استاد» التى وصلناها بعد ساعة ونصف الساعة فى رحلتنا بالسيارة على الطريق السريع (E66).

بت ليلتى فى كنف هذه الاسـرة الكريمة تغمرنى سعادة لا حدود لها من فرط ما وجدته من استقبال حار وحسن ضيافة من افراد الاسرة الى ابعد الحدود. وفى الصباح خرجت مع الاسـرة لكى نتجول فى المدينة التى تصغر مدينة «مالمو» قليلا اذ يقطنها حوالى ٥٠ ألف نسمه وهى عاصمة اقليم كريشان استاد ويحتل الإقليم الجزء الشمالي الشرقى من منطقة «اسكونا» ويكثر فى هذا الاقليم الجبال والمرتفعات فهناك مرتفعات هالند ولايندر وروميله وجبل كيولا. وتعتبر هذه المرتفعات اعلى الاراضى السويدية فى الجنوب فيبلغ ارتفاع أعلى قمة بها ٢١٢م، وتنمو فوق هذه المرتفعات الغابات الكثيفة كما تضم ارض الاقليم اكبر البحيرات فى الجنوب واهمها بحيرة «ايفا»، وتكثر بالاقليم الجداول والانهار وشواطىء هذا الاقليم تمتد على بحر البلطيق وأهمها شاطيء مدينة «اوهوس» وهي مدينة قديمة بها كنيسة القديسة «ماريا» التى بنيت عام ١٢٥٠م وتعتبر المدينة ميناء هاماً للاقليم وأصبح ميناؤها يضاهى ميناء «سيموس هامن» القديم. ويبلغ تعداد اقليم «كريشان استاد» ٢٥٠ الف نسمه ومساحته ٤١٩ر٦ كم٢، ومدينة كريشان استاد عاصمة الاقليم واشتق اسمها من اسم الملك الدانمركى «كريستيان الرابع» فهو الذى قام بانشاء المدينة عام ١٦٢٨م، وكما قال لى مضيفى: كانت المدينة فى الماضى تقع على جزيرة صغيرة محصنة، وكانت مركزاً للدفاع عن الاقليم فى حالة اى هجوم من الجيش السويدى اثناء النزاع الذى كان دائرا بين السويد والدانمرك حول منطقة اسكونا، وبمقتضى المعاهدة القديمة التى تمت بين ملك السويد والدانمرك وجدت أن هناك مبرراً كافياً ذلك الذى جعل سكان اسكونا يتعاطفون مع اهل الدانمرك فهناك صلات نسب وقربى بين سكان اسكونا والدانمركيين، فسكان اسكونا مثلا يفضلون الذهاب الى مدينة كوبنهاجن عن الذهاب الى عاصمتهم استكهولم، كما يفضل كثير من الدانمركيين الاقامة فى اقليم اسكوبا وخاصة مدينة «مالمو» و«هلسن بورج» كما أن كثيرا من السويديين المقيمين فى «مالمو» و«هلسن بورج» يعملون فى كوبنهاجن ويعبرون الخليج يومياً ذهاباً واياباً. مع العرض الشيق الذى قدمه لى مضيفى عن المدينة والاقليم كنا قد وصلنا الى الميدان الكبير للمدينة، القريب من محطة السكة الحديد والحديقة العامة للمدينة ومسرحها وشاهدت فى الميدان مبنى المحافظة القديم الذى بنى عام ١٦٤٠م وبالقرب منه فى الشارع الخلفى مبنى المحكمة القضائية وبرج الكنيسة العتيقة، وهى بناء قديم أنشىء فى عهد مؤسس المدينة الملك كريستان الرابع عام ١٨١٦م واثناء تجولنا فى المدينة دهشت عندما رأيت الناس وهم يسيرون فوق الثلوج المتراكمة فى الطرقات وكانت أقدامهم تغوص فيها بينما كان الاطفال يلعبون فوق الثلج ويصنعون منه كرات صغيرة يتضاربون بها وهم فرحين مسرورين فقد

كنت احسدهم وأنا داخل معطفي الثقيل متوشحاً بكوفيتي الصوف وكفيَّ داخل القفاز فعزمت على ان أروض نفسي وأفعل كما يفعل هؤلاء من الكبار والصغار. ومن الميدان الكبير اتجهنا الى وسط المدينة وبالقرب من موقف الاتوبيس العام دخلنا بناية كبيرة لتبتاع منها الاسرة حاجتها الخاصة بمناسبة اعياد الميلاد فكان هذا المبنى هو «السوبر ماركت» الرئيسي للمدينة واثناء تجولي بين أقسام السوبر ماركت وجدت به جميع انواع الفاكهة والخضر الشتوية والصيفية التي اعرفها والتي لا اعرفها، وكل شيء موضوع على ارفف ومعروض بطريقه انيقة جذابة، كما أنه يحتوي على اقسام كاملة لأنواع اللحوم والاسماك والطيور محفوظة في ثلاجات كبيرة لها ابواب زجاجية لترى ما هو معروض بداخلها، كما ان هناك اقساما كامله لانواع الملابس ولعب الاطفال، فهو باختصار سوق كبير فيه كل ما يحتاج اليه المرء وما أن اشترت العائلة ما يلزمها حملوا المشتريات على عربة صغيرة كانت تدفعها أمامها ابنة مضيفي الصغرى.. دفع مضيفي الحساب لخزينة المحل عند باب الخروج فتناهى الى مسمعي مشادة كلامية بين احد المشترين وهو غير سويدي يقول لموظفة الخزينة لو ان ميكنة الآلة الحاسبة تعطلت لعجزت عن حساب مشتريات الناس ومع ذلك فانا استطيع أن أحسب قيمة مشترياتي بدونها.

وبالطبع كان هذا الشخص يقصد ان المدنية والحضارة والاجهزة الحديثة التي استعاض بها الغرب عن تشغيل المخ قد اوقفت العقل عن التفكير، وكان لهذا اثره على الحاضرين ولكنهم تقبلوه بابتسامات خفيفة، وما ان خرجنا من الممر المخصص للخروج ذهبنا الى كافتيريا ملحقة بالسوق وكالعادة لنحتسي المشروبات الساخنة ونأكل وجبة خفيفة والكافتيريا تقع على ترعة صغيرة كانت مياهها متجمدة، وعلى مسافة منها توجد مكتبة المدينة وكان الحديث يدور حول رحلتنا الى الريف ومزرعه مضيفي لقضاء أعياد الميلاد هناك.

**«للحديث بقية»**

# من قراءاتي في الأدب العالمي

## (١٥)



بقلم:
محمد بن احمد العقيلي
- جازان -





ولد يوهان كرستوف فردريش شيلر في قرية (مارباخ) من أعمال دوقية (فيرتمبرج) في ألمانيا في ١٠ نوفمبر ١٧٥٩م، ينتمي الى أسرة من الأثرياء. ظل طول حياته مخلصا لدوق (فيرتمبرج) التحق بإحدى المدارس اللاتينية وهناك أظهر نبوغاً وميلا الى تذوق الشعر اللاتيني، إلا أن أمير الدوقية اختاره للالتحاق بمدرسة حربية، وظل ثمان سنوات، وفي تلك المدرسة تعلم اللغات اليونانية والفرنسية واللاتينية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والقانون والعلوم الطبية. كما تضمن منهج تلك المدرسة دروساً في علم النفس والأخلاق وعلم الجمال وكان يقرأ علم الأدب خلسة وقرأ ترجمة الشاعر الألماني (فيلاند) لعطيل وهو في السابعة عشرة من عمره، وألف أول دراما في هذه الفترة واسماها (طالب ناسو)، وفي الإمتحان النهائي له في تلك المدرسة لم ترض عنه لجنة الامتحان فاضطر للبقاء سنة أخرى بعدها تخرج لتقديمه بحثين أحدهما باللاتينية والآخر بالألمانية عن (الصلة بين طبيعتي الإنسان الحيوانية والروحية)، وأقر المتحنون نشر هذا البحث وتخرج من تلك المدرسة في ١٤ ديسمبر ١٧٨٠، وعين طبيباً (لألاي المدفعية).

واحتدمت الخلافات بينه وبين رؤسائه وأقبل في نهم على قراءة الأدب وألف أول مسرحية مشهورة له. ونشر ذلك العمل الأدبي في (فرانكفورت) كما أنها مثلت بعد ذلك في (مانهايم)، وصادفت نجاحاً باهراً إلا أن دوق (فيرتمبرج) غضب من اشتغاله بكتابة المسرحية ومن مغادرته مقر عمله إلى (مانهايم) بغير اذن، كما أصدر أمراً بمنعه من الإشتغال بالكتابة والأدب وفصله من عمله، فتعرض للجوع والحرمان والتشرد وازدادت أحواله سوءاً بسبب اعتزازه بكرامته وترفعه وإبائه ومع كل ذلك لم يتراجع أو يذعن بل زاد اعتزازاً وصموداً للنوائب. وهو عاكف على تأليف المسرحيات وفي أثناء تلك الأزمة لاح له الفرج وابتسم له الحظ مؤقتاً فلاقت بعض مسرحياته نجاحاً ووجد عملا يساعده على تأمين العيش

# «إني لا أود توضيح أفكاري للآخرين فحسب، بل أود أن أقدم لهم روحي بأسرها..» (شيلر)

وضرورة الحياة. وأخيراً وجد في (كرنر) - أحد مستشاري البلاط في (درسدن) - وهو من المولعين بالموسيقى والأدب والتاريخ - العون على اتمام روايته المشهورة (دون كارلوس).

وصل شيلر إلى (فيمار) في ١٧٨٧م، ومنها سافر إلى ايطاليا وهناك تعرف على شاعر ألمانيا الكبير (جوته) وتوطدت الصلة بينهما إلى أبعد حد. في سنة ١٧٩٥م أدرك (جوته) تعدد مواهب (شيلر) الأدبية والفنية والشعرية فزاد ذلك في مكانته عنده وعند غيره، وساعده بعض أصدقائه في الحصول على وظيفة ثابتة.. مدرساً للتاريخ في جامعة (يينا).


شيلر

في تلك الأثناء قدم محاضرات موضوعها (التاريخ القديم من العصور البدائية إلى عصر الإسكندر الأكبر) فأعجب بعض المفكرين بتلك المحاضرات، وكان أفضل ما كتبه فيها عن تاريخ حركة (الأراضي الواطئة)، وقد اتسمت كتاباته بالأمانة والصدق والأعتماد على المراجع الموثوق بها فأهداه ملك السويد (خاتما ماسيا). لأنه أنصف السويد عند كلامه عنها في كتابه (تاريخ حرب الثلاثين عاما).

وقد اختلفت الآراء في قيمة أبحاث شيلر في التاريخ خاصة ولكن بدون شك قد أفادته في مسرحياته التاريخية بعد ذلك وفي محاضراته في جامعات (يينا) اختار موضوع (الأستاطيقا)(١) بدلا من التاريخ، وازداد الإقبال على محاضراته فكان الطالب يدفع ما يوازي (الجنيه) على المحاضرة الذي يستمع إليها، وهو مبلغ له قيمته الشرائية في ذلك الوقت قل أن ظفر به سواه.

**الصداقة بين جوته وشيلر**

توطدت الصلة والإخاء والصداقة بين الاثنين في فترة إقامة الثاني في (يينا) بعد سنة ١٧٩٤م، كثيراً ما أمضى (جوته) أياماً طويلة معه عند زيارته لتلك المدينة، فيتبادلا الأحاديث والمناقشات العلمية والرأي في مختلف الموضوعات وفروع المعرفة.

يعترف جوته ضمناً بأن (شيلر) هو صاحب الفضل في إعادته إلى كتابة الشعر بعد انقطاعه عنه واتجاهه إلى العلم وأنه أعاده الى الشباب ثانية، وفي هذه الفترة ضعف اهتمام شيلر بالفلسفة والميتافيزيقيا(٢) وازدادت عنايته بالشعر، وقد يعزى هذا التغير الى تأثير جوته عليه، لأنه كان يرى أن الشعر في منزلة أسمى من الفلسفة ففيه على حد قوله - أى في الشعر - «كل شيء يبدو في صورة حقيقية حية بهيجة متألقة، بعكس الفلسفة التي تظهر الأشياء جامدة مجردة، مصطنعة.

ولا بدع بعد أن توثقت الصلة بين الاثنين أن يقرر شيلر الانتقال الى (فيمار) حتى يصبح قريباً من صديقه ومن مسرح تلك المدينة.

وأشرف الاثنان على ترجمة أهم روائع الأدب الألماني التي لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت، وكتب شيلر هناك مسرحياته عن (عذراء أورليان) و(عروس مسينا) وغيرها. وأنعم عليه الدوق بلقب (هوفاهيج Hoffahig). وفي سنة ١٨٠٥م أدركت ذلك الشاعر الموهوب الوفاة.

هذه نبذة مختصرة لحياة ذلك الشاعر الذي توفي في الخامسة والأربعين من عمره، ويتفق المؤرخون في الإشادة بدوره الأدبي وبصداقته مع جوته ومحاولتهم خلق أدب ألماني عالمي يتفق ومكانة ألمانيا العلمية والصناعية والسياسية والحربية. ويشيد المؤرخون بتشامخ واعتزاز ذلك الشاعر والأديب بذاته وصموده أمام ما صادفه في حياته من المحن والأرزاء وتفاؤله الدائم وما يراه أن في الإنسان من خصائص ترتفع به من الحضيض إلى التسامي إلى معالي الأمور. ومن رسائله البليغة ما كتبه إلى (فيشته) قوله: «إني لا أود توضيح أفكاري للآخرين فحسب، بل أود أن أقدم لهم روحي بأسرها، كما أحاول التأثير في أحاسيسهم بالاضافة الى عقولهم».

وإني أدرك أحياناً صعوبة الجمع بين خصائص الشاعر وخصائص الفيلسوف وفي الوقت نفسه بين الذي يطرح فيه الفيلسوف خياله جانباً، وفي الوقت الذي لا يعني فيه الشاعر بالتجريد، واني أرى نفسي مرغماً عندما أعمل شاعراً وفيلسوفاً في نفس الوقت على الاحتفاظ بالقدرتين (الخيال والتجريد)، إن عقلي يعمل وفقاً لطريقة رمزية فأنا أرفرف مثل الطيور الهجينة وأحار بين التصور والتأمل وبين المنطق والشعور والأعتماد على الفهم والقريحة الخلاقة فقد كان جانبي الشعري يطغى عندما كان الواجب أن أتفلسف، كما ان روحي الفلسفية كانت تتحكم عندما أود قول الشعر».

وقد أشاد به كثيرون في مقدمتهم (ستيفان تسفايج) في كتابه (هيلدرلين) وانتقده في نفس الوقت.

ولشيلر طريقته وآراؤه في التربية الجمالية مما لا يتفق مع مألوفنا وبيئتنا ومعتقدنا، فلنضرب صفحاً عن ذلك ونكتفي بحياته كشاعر وأديب له مكانته في الأمة الألمانية كانت ولا زالت الى هذا التاريخ.

ونهدف من وراء ذلك على تعريف القراء بشاعر مثل شيلر كما أن الغرب قد عرفوا ولا زالوا يعرفون بكبار الأدباء ونوابغ الشعراء العرب وفي هذا العصر الذي أصبح العالم لما وصل إليه من تقدم حضاري ورقي فكري وسهولة المواصلات وسهولة الترجمة وقرب الإتصالات حتى وكأن العالم مدينة كبيرة يختلط فيها الحابل بالنابل، وفي نفس الوقت ومع ذلك نحافظ على ما يتفق ودينا وبيئتنا وتقاليدنا ولغتنا، وإن كان في كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح ما يغني ويفيد.

**والله من وراء القصد.**

> **«إن عقلي يعمل وفقاً لطريقة رمزية»**
> **(شيلر)**

مساحة للضوء:





# كوخ الموت




**قصة قصيرة صينية:**

بقلم: الكاتب الصيني:

**وان كيتشينغ**

ترجمة:

**الرزاقي الحسان**

- المغرب -


يخشى الناس كثيرا في هذه القرية الصغيرة أي نطق لكلمة: «الموت» في يوم السنة الجديدة ، ورغم ذلك عندما بزغت شمس ذلك الصباح، لم يكن أحد من سكان القرية قد استيقظ بعد ولا ريب ان السبب هو التعب من الاستعدادت للعيد. وفجأة شق السماء قرع طبل دون ان يعلم احد متى وكيف انتهى به الامر هناك، ترى في وسط الشارع الوحيد منصة خشبية عالية نصب عليها كوخ من القش، قرع جديد على الطبل: الصوت يأتي بوضوح من المنصة والناس لا يفقهون شيئا مما يجرى. لكنهم لم يجرؤوا على الاقتراب وفضلوا البقاء بعيدا. تتابعت دقات الطبل تارة مسرعة وتارة اخرى مهيبة. وكالعادة تقدم اكثر القرويين شجاعة بحذر الى الكوخ فتبعه آخرون. وفجأة تراءى لهم دخان ازرق محفوف بالشرر يرتفع من الكوخ الى الجو وبعدئذ توقف الطبل على الفور. وها هم الآن قريبون جدا. نصبت المنصة التي ترتفع بحوالي اربعة امتار على اسقالة من ستة عشر جذعا من جذوع الاشجار مشدودة ببعضها البعض. ولم تكن بالواسعة جدا فقد صنعت من ألواح خشنة، ويشبه الكوخ معبدا صغيراً لتكريم الموتى بسقفه المقوس وجدرانه المزخرفة بمجسماته الورقية التي تمثل رجالا وحيوانات وكتبت على الباب كتابات بخط غير مقروء تشبه انحناءاته انحناءات أفعى أو تنين. بجانب الكوخ يوجد الطبل وبجانب الطبل رجل بوجه ملطخ ، ملفوف من القدم إلى الرأس بجلود الكلاب والخراف. وبرزت يدان وسختان هيكليتان من جلود الحيوانات وضعت على صوف الجلد الذى يغطي ركبتيه. إنه يشبه مخلوقا من عالم آخر. عندما رأوا اللوح بوضوح ابعد القرويون الخوف عنهم. وخاطبوا الشخص بنبرة ودية ودعوه بـ«الشبح» المسن غير أن الشبح لم يبد اي احساس تجاه علامات احترامهم بل ظل جامدا في مكانه دون ان يكلف نفسه عناء النظر اليهم. دونغ ! بحركة مفاجئة، دق الشبح الطبل من جديد، وما أن سمع الدق حتى أبرز صحيفة كتب عليها: «الحظ مرتبط بالقدر. القدر مكتوب في السماء، فأي حظ يحمله لكم القدر؟ ستعرفون ذلك داخل هذا الكوخ. (يمكن القاء نظرة عليه بعد دفع يوان واحد مقدما).

أعرب القرويون عن قدر من الارتياب خوفا من الاحتيال ومع ذلك فقد ظلوا في أماكنهم بمجموعات صغيرة حول الكوخ و«الشبح» عاجزين عن الانصراف.

عندما تقترب السنة الجديدة يتوفر الناس دائما على قليل من المال، ويشرع العديد منهم في تقليب ما تبقى في قاع حافظات نقودهم. جلس الشبح مربع الساقين وبدا كالنائم. وأخيرا تقدم رجل قريبا جدا من المنصة، ثم صعد فتطلع اليه الكل حابسين انفاسهم. واكتفى الشبح بمد صحن كبير وهو يتمتم بشىء ما . رمى الرجل يوانا واحدا فى الصحن ودفع باب الكوخ الذي كتبت عليه الخطوط الغريبة. ثم.. أعتقد انه مضى الى العالم الغامض للارواح.. ولم يعد.

ظل الشبح جالسا في صمت. وخرج الرجل أخيرا من الكوخ بوجه شاحب، يترنح كأنه على وشك الموت.

- ماذا رايت؟؟ سال احدهم في كثير من الاثارة.

ولم يستطع الرجل، بنظرته الشاردة أن ينبس ببنت شفة. و(بعد لحظة انفجر بضحكة بلهاء.

- رأيت ، رأيت ، قال الرجل وهذا هام جدا، هلموا جميعا. وببطء شديد استعاد وجهه لونه.

جرب الكثير من القرويين حظوظهم. وصعد احدهم بدوره الى المنصة وخرج من الكوخ بعد جهد وانفجر بنفس الضحكة البلهاء مؤكدا بأن التجربة شديدة الاهمية، لكنه رفض بعناد الافصاح عن المزيد. تضاعف الفضوليون، الذين رأوا وابتسموا بسمة ساخرة للذين خرجوا من الكوخ وابتسم هؤلاء ايضا ابتسامة غامضة للذين اوشكوا على الدخول.

اللعنة! تتالت الشتائم هى الأخرى (كأنها امر أقل اشتهاء مما لدى الآخرين). وعندما زار الجميع الكوخ اشعله الشبح نارا.

لما مر الشهر الأول، تجرأ الناس على الحديث: الكوخ فارغ غير أنه تُقرأ على الجدار الكلمتان التاليتان: «إني أموت».

مساحة للضوء:

# شعرية دوستويفسكي ونظرية ميخائيل باختين الروائية

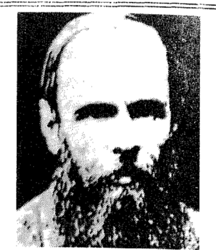
لا تكمن أهمية مؤلف «شعرية دوستويفسكي»(١) للكاتب الروسى ميخائيل باختين(٢) في تحليله لمظاهر إبداع مؤلف رواية «الأخوان كرومزوف» وتفسيرها بل في بعده النظرى العميق وفى المنهج الذى بشر به صاحبه


بقلم:
د. محمد الباردي
كلية الآداب - صفاقس - تونس -


، ويكتسي الفصل الرابع من هذا الكتاب الهام أهمية خاصة في سياق بحثنا(٣)، فهو إذ يحلل فيه الكاتب «الخصائص الصنفية والتكوينية المحورية» لأعمال دوستويفسكي يعرج على بعض المسائل النظرية المتعلقة بالجنس الأدبي وبالجنس الروائي الذي فيه أبدع هذا الروائى الروسي.

إن الأطروحة المركزية التي بنى عليها الكاتب آراءه حول شعرية دوستويفسكي هي أطروحة تعدد الأصوات أو البوليفونية في أعمال هذا الكاتب الروائية ولهذه الأطروحة صلة ببعض الأجناس الأدبية في التراث الثقافي الأوروبي التي خضعت بحكم التطور الزمني إلى تغيرات نوعية أدت إلى ظهور صنف الرواية «ففي الصنف الأدبي تجرى دائما المحافظة على العناصر غير القابلة للفناء في الكلمات والمصطلحات القديمة الحقيقية (ولكنه) تتم المحافظة عليها في هذا الصنف وذلك بفضل تجددها المستمر ومجاراتها لروح العصر» ذلك أن الصنف الأدبي يبدو دائما متشابها ومختلفا (كما) يبدو دائما قديما وجديدا في الوقت نفسه.. (فهو) ممثل الذاكرة الإبداعية في عملية التطور الأدبي(٤).

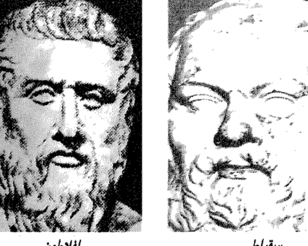
وفى سياق الحديث عن صلة رواية دوستويفسكي بأجناس الأدب الضاحك، يتعرض الكاتب الى جذور جنس الرواية عامة في بعض الجمل المقتضبة، فهو يقول «إذا قبلنا الحديث في شيء من التبسيط والتقنين، أمكننا القول إن للصنف الروائي ثلاثة جذور أساسية: ملحمي (نسبة إلى الملحمة) وبياني متكلف وخطابي وكرنفالي وتبعا لطغيان جذر ما واحد من هذه الجذر تمت



دستويفسكي




سقراط



افلاطون

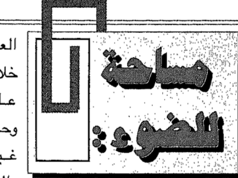
صياغة ثلاثة خطوط في تطور الرواية الأوروبية ملحمية (قصصية، روائية) وبيانية متكلفة خطابية وكرنفالية(٥).

بيد أن ميخائيل باختين يركز أساسا على الجذر الثالث الذي منه انحدرت الرواية واتصلت بإبداع دوستوفسكي وهو الجذر الكرنفالي، وهو يرجع الصنف الحوارى الذي في إطاره تدرج روايات دوستويفسكي إلى صنفين اثنين في قطاع «الأدب الضاحك بجدّ» وهما الحوار السقراطي والهجائية المينيبية، إذ كانت لهما «أهمية حاسمة في صياغة هذا الصنف الخاص بتطور الرواية والنثر الفني الحواري»(٦).

ويلاحظ أن الحوار السقراطي قد استند في تطوره إلى أساس كرنفالي شعبي فلئن كان بمثابة الذكريات المتصلة بالمناقشات التي أجراها سقراط والمثقلة بالسرد فإنه سرعان ما اتسم بحرية إبداعية حررته من قيوده التاريخية المتعلقة بالذكريات وتجسمت بصفة أجلى في «الحوارات السقراطية لأفلاطون» وقد ظلّ محافظا على طبيعته الحوارية الحقيقية التي تتعارض تماما مع المونولوج الرسمي الذى يصر على امتلاك الحقيقة الجاهزة، فقد استدرج سقراط الناس وجعلهم يصطدمون فيما بينهم في جدل يولد الحقيقة، بيد أن الاتجاه المونولوجي للمضمون أخذ يخرق شكل «الحوار السقراطي» عندما تحول إلى خدمة العقائد والفلسفات والتعاليم الدينية، فقد «أي صلة له بالموقف الكرنفالي من العالم واستحال إلى شكل بسيط لعرض الحقيقة المكتشفة والجاهزة»(٧) وقد تعمق ميخائيل باختين في تحليل المعنى الحوارى في «الحوار السقراطي» في مستويات عديدة ولذلك يعده مبدأ من المبادىء الأولية لتطور النثر الفني الأوروبي والرواية الأوروبية(٨).

أما الصنف الثاني الذي كان ركيزة من ركائز الرواية البوليفونية فهو يتمثل في «الهجائية المينيبية»(٩).

للهجائية المينيبية جذور عميقة في الأدب الإغريقي إذ تلوح بعض عناصرها في أشكال أدبية عديدة كالرواية الاغريقية والرواية الطوباوية العتيقة والهجائية الرومانية، وهي كذلك ذات اتصال بالحوار السقراطي، إذ في مدارها تطور عدد من الأصناف الأدبية التي اتصلت نشأتها بالحوار السقراطي كالخطبة اللاذعة ومناجاة النفس والأصناف الأدبية التي تعتمد التفلسف الهازل(١٠) وهي تتميز نوعية بطغيان عنصر الإضحاك فيها وتحررها من القيود التاريخية المتعلقة بالذكريات التي قام عليها الحوار السقراطي وكذلك لإغراقها في الخيال الجامح والجرىء وميلها إلى المغامرة والغريب إذ تصور حالات الانسان النفسية والأخلاقية الشاذة وغير




العادية من خلال اعتمادها على الحلم وحالات النوم غير العادية والنزوات والأهواء التي تصل إلى حافة الجنون وهي - تبعا لذلك - تتميز بخرق كل أشكال المألوف والعادي في مستوى الأحداث والمعايير المتصلة بالسلوك والآداب، وهي بذلك تخرق الكمال الملحمي والتراجيدى للعالم «وتحدث خللا في المجرى الثابت والاعتيادى والمهيب الخاص بالحوادث والشؤون الانسانية وتحرر التصرف الإنساني من دوافعه ومعاييره المقررة مسبقا»(١١). وتتميز الهجائية المينيبية بتوظيفها للأصناف الأدبية المركبة كالأقاصيص والرسائل والأقوال الخطابية المتكلفة وندوات المناقشة وتجمع بين النظم والشعر إضافة إلى اهتمامها بالتعبير عن مظاهر الحياة اليومية، ويشبهها الكاتب بصنف أدبي صحافي في العصور القديمة ترد بحدة على مواضيع الساعة الإيديولوجية(١٢) إذ تردُ مفعمة «بالجدل الظاهر والمخفي مع مختلف المدارس الفلسفية والدينية والايديولوجية والعلمية ومع اتجاهات وتيارات العصر». إن ما يجمع هذين الصنفين الأدبيين هو بعدهما الكرنفالي، فالكرنفال شكل تمثيلي توفيقي ذو طبيعة شعائرية(١٣) وهو «بمثابة المشهد المسرحي من غير أضواء أمامية ولا تقسيم للحاضرين داخل المسرح الى ممثلين ومشاهدين » وفيه يقيم الناس فيما بينهم صلات حرة وبعيدة عن الكلفة تعم كل القيم والأفكار والظواهر والأشياء وقد أثر الحوار السقراطي والهجائية المينيبية في الأصناف الأدبية عبر العصور وقد استطاع الأدب الحديث أن يستوعب خصائصهما النوعية بأشكال متنوعة فالقصة الفلسفية كما صاغها فولتير والحكاية الفلسفية الرومنطيقية كما كتبها هوفمان تتصفان بالملامح العامة للمينيبية(١٤) التي تجسدت بصفة أجلى وأثرى في أعمال دوستويفسكي السردية.

إن النتيجة التي يصل إليها ميخائيل باختين في نهاية هذا الفصل هي أن دوستويفسكي ألف قصتين وهما «بوبوك» (١٨٧٣) و«حلم إنسان تافه» (١٨٧٧) يمكن أن يطلق على كليهما مينيبية بالمعنى الدقيق والعتيق تقريبا، لهذا المصطلح(١٥) كما يمكن اعتبار بعض الأعمال الأولى كمذكرات من داخل القبو و«الوداعة» نماذج «مينيبية» أكثر تحررا وأبعد تصورا عن النماذج العتيقة ويعمم الكاتب في النهاية عندما يعتبر أن «المينيبية تتغلغل في جميع الأعمال الأدبية الكثيرة لدوستويفسكي خاصة في رواياته الناضجة الخمس، فضلا عن أنها تتغلغل في أكثر لحظات هذه الروايات أهمية، فهي التي تحدد نغمة كل إبداع دوستويفسكي(١٦) تبدو أهمية هذه الأفكار المتعلقة بتاريخ بعض الأجناس الأدبية ذات البعد الكرنفالي وصلتها بالرواية الأوروبية الحديثة في الإضافة التي يقدمها ميخائيل باختين لنظرية الرواية التقليدية التي تلح على انحدارها من جنس

# الرواية المتعددة الاصوات عند ديستوفسكى تمثل مجموعة ظواهر فنية مشبعة بالحوارية

# أسلوبية باختين أسلوبية اجتماعية تصنف اللغة وفق تنوع الاجناس التعبيرية.

نقي واحد وهو الملحمة وتلمح تبعا لذلك، إلى نقاوة هذا الجنس الحديث وعراقته المجيدة، فهو إذ ركز على بعض الأجناس الهامشية وأهميتها يؤكد على أهمية الأدب الشعبي (الكرنفالي) فى تأصيل الرواية الأوروبية ولكن القضية ليست مجرد قضية تاريخية تتعلق بتطور هذا الجنس الأدبي أو ذاك بل هي مسألة مفهوم عام ونظرية خاصة بالرواية، ذلك أن الرواية كما يفهمها ميخائيل باختين هي جنس هجين وليس جنسا نقيا صافياً ، لأن قوامه التنوع والتعدد في أسلوبه وتصوره للعالم الذى يبنيه فقد أخذ من أشكال أدبية عديدة مختلفة ومتنوعة، أساليبه الفنية، ولذلك فهولا يحقق ذاته بذاته بل بالأجناس الأدبية الأخرى التي يحتويها ويستوعبها ولكي يبرر ميخائيل باختين هذا المفهوم وهو يقرأ بعض النصوص الروائية الحديثة المتميزة عاد للنظر في هذه الأجناس الأدبية الشعبية ذات البعد الاحتفالي باعتبارها مصدرا رئيسيا من مصادر الرواية الأوروبية الحديثة. وهكذا يحدث ميخائيل باختين قطيعة ابستمولوجية عندما يتخلى عن الأطروحة السائدة التي تربط نشأة الرواية وتطورها بنمو البرجوازية باعتبارها طبقة اجتماعية تقوم على إبراز الفردية وتحقيق قيمها، فهو عندما يسعى إلى تجذير الرواية في أحضان الثقافة الشعبية والبحث عن مكوّناتها النصية في بعض النصوص النثرية الإغريقية والرومانية القديمة وبعض روايات العصور الوسطى، إنما يرمي إلى تأصيل الشكل الروائي خارج الشروط المجتمعية والتاريخية.

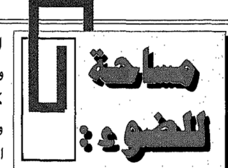
بيد أن نظرية باختين في الرواية تقوم على أساس لغوي، واللغة عنده ليست نسقا وبِنْية ثابتة بل هي اللغة الملفوظ، تلك اللغة التي تبتعد عن دلالة المعجم لتحتضن معاني المتكلمين داخل الرواية، فتكشف عن أنماط العلاقات القائمة بين الشخوص وعن الغاية التي يبطنها كلامهم وأفعالهم وبذلك نفهم تعريفه للرواية عندما يقول: «إن الرواية هى التنوع الاجتماعى للغات وأحيانا للغات والأصوات الفردية تنوعا منظما أدبيا»(١٧) وهو يرى كذلك أن «خطاب الكاتب وسارديه والأجناس التعبيرية المتخللة وأقوال الشخوص، ما هى الا الوحدات التأليفية الأساسية التى تتيح للتعدد اللساني الدخول إلى الرواية، وكل واحدة من تلك الوحدات تقبل الأصداء المتعددة للأصوات الاجتماعية وتقبل اتصالاتها وترابطاتها المختلفة التي تكون دائما في شكل حوارى قل أو كثر، تلك الاتصالات والترابطات الخاصة بين الملفوظات واللغات وتلك الحركة للتيمة التي تمر بها عبر اللغات والخطابات، وتشذرها الى تيارات وقطرات وصيغتها الحوارية آخر الأمر هو المظهر الذى يتخذه التفرد الأولى لأسلوبية الرواية.

يقوم كل نص روائي على مجموعة من الوحدات الأسلوبية غير المتجانسة هي:

١ ـ السرد المباشر الأدبي في مغايراته المتعددة الأشكال.

٢ ـ أسلبة مختلف أشكال السرد الشفوى التقليدى أو المحكي المباشر.

٣ ـ أسلبة أشكال السرد المكتوب المختلفة نصف




الأدبية والمتداولة كالرسائل والمذكرات الخاصة.

٤ ـ أشكال أدبية متنوعة من خطاب الكاتب، الا أنها لا تدخل فى اطار الجنس الأدبي مثل الكتابات الأخلاقية والفلسفية والاستطرادات العالمة والخطب البلاغية والأوصاف الاثنوغرافية والعروض المختصرة وغيرها.

٥ ـ خطابات الشخوص الروائيين المتفردة أسلوبيا(١٨).

بيد أن هذه الوحدات الأسلوبية غير المتجانسة، تتمازج عند دخولها الى الرواية لتكون نسقا أدبيا منسجما ولتخضع لوحدة أسلوبية عليا تتحكم في الكل، ولا نستطيع أن نطابق بينها وبين أية وحدة من الوحدات التابعة لها وعلى هذا الأساس تجسم الرواية هذا التنوع الأسلوبي وهذا التعدد اللغوي وذاك ما يميز الرواية ويمنحها خصوصيتها فاذا كانت المغايرات الأساسية للأجناس الشعرية تنمو داخل تيار القوى الجاذبة نحو المركز، فإن الرواية والأجناس الأدبية النثرية قد تكوّنت داخل تيار القوى النابذة المعاكسة للمركزة. فبينما كان الشعر يحل فوق القمم الاجتماعية الايديولوجية الرسمية، مشكلة المركزة الثقافية والقومية والسياسية للعالم اللفظي الإيديولوجي، كان هناك في الأسفل، فوق مصطبات الأكواخ والمعارض الشعبية، صدى التعدد اللساني على لسان المهرج الذى يسخر من جميع اللغات واللهجات وكان هناك أدب الحكايات المنظومة والدرامات المضحكة وأغاني الشارع والأمثال والطرائف ولم يكن هناك، في هذا المستوى، أى مركز لساني وانما كان هناك اللعب الحي بين الشعراء والعلماء والرهبان والفرسان، وجميع اللغات كانت بمثابة أقنعة في تلك اللعبة ولم يكن أى واحد من مظاهرها حقيقيا وغير قابل للنقاش(١٩).

إن أسلوبية ميخائيل باختين هي أسلوبية اجتماعية تصنف اللغة وفق تنوع الأجناس التعبيرية (الخطابية الصحفية، الأدبية ـ الدنيا ـ والأجناس المتنوعة للأدب الكبير) ووفق المهن (لغة المحامي ـ والطبيب، والتاجر والسياسي) اذ أنها تحتفظ «باختلاف اجتماعي، يمكنه من أن يصبح في بعض الفترات، اختلافا ملحوظا»(٢٠) ثم إن الحوار الداخلي، الاجتماعي للخطاب الروائي يستدعى الكشف عن سياقه الاجتماعى الملموس الذى يعدل مجموع بنيته الأسلوبية و«شكله ومحتواه» فضلا عن أنه لا يعدّله من الخارج وانما من الداخل، ذلك الحوار الاجتماعى يرن داخل الخطاب نفسه وداخل كل عناصره، سواء تلك التي تخص المحتوى، أو تخص الشكل(٢١). إن الكلمة في منهج باختين الأسلوبي هي التي تجسد هذا التنوع الاجتماعى في روايات دوستويفسكي، فهي تتولد ضمن ظروف العلاقات الحوارية أى في ظروف الحياة الحقيقية للكلمة، ولذلك فهو يعتبرها المادة الرئيسية للدراسة أو

## الوحدات الأسلوبية غير المتجانسة تشكل نسجاً أسلوبياً منسجماً داخل الرواية

بطلها الرئيسي(٢٢). وهكذا يلاحظ المتأمل أن منهج ميخائيل باختين في تحليل الرواية وفهمها وتفسيرها، يحمل بعدا توفيقيا بين الدراسة الفنية للخصائص النوعية للنص الروائي والسبر الدلالي للأبعاد الاجتماعية التي يتضمنها هذا النص، وعلى هذا النحو ينظر المؤلف في أبرز المسائل الفنية النوعية التي تطرحها أعمال ديستويفسكي ويتقصى دلالتها الاجتماعية وهو يلخص نظريته المتعلقة برواياته قائلا: «إن أول ما يلفت النظر في أعمال ديستوفسكي هذا التنوع غير الاعتيادي في الأنماط وفي تعدد أغراض الكلمة بالاضافة إلى أن هذه الأنماط والأغراض تقدّم في أكثر أشكالها التعبيرية حدة، فالسرد والحوار بين الشخوص والحوار الباطني ووجهات النظر والايديولوجيات وتنوع الأجناس الأدبية، كلها ظواهر فنية مشبعة بالحوارية، تؤسس لرواية متميزة كتبها دوستويفسكي هي الرواية المتعددة الأصوات أى الرواية البوليفونية. إن نقيض الرواية ذات الأصوات المتعددة هي الرواية ذات الصوت الواحد وهي تطرح من الاشكاليات المتعلقة بطبيعة الجنس ما تطرحه الرواية ذات الأصوات المتعددة وهو ما سنسعى الى ابرازه من خلال تحليل هذا النموذج في الرواية العربية الحديثة فى مبحث قادم.. إن شاء الله.

# الهجائية المينيبية تتميز بخرق كل أشكال المألوف والعادي

---

*الهوامش:*

(١) *شعرية دوستويفسكي، تعريب جميل نصيف التكريتي، دار توبقال ١٩٨٦. شد انتباه جمهور المثقفين عند صدوره لأول مرة سنة ١٩٢٩ وأثار ضجة عندما أعيد نشره سنة ١٩٦٣ والكتاب يقوم على ثلاثة أقسام متباينة ففي القسم الأول عرض المؤلف أطروحته عن عالم ديستويفسكي الروائي وفي القسم الثاني حلل بعض الأجناس الأدبية الثانوية كالحوارات السقراطية والهجاء اليوناني القديم والانتاج الثقافي الكرنفالي في العصور الوسطى باعتباره مصدرا نوعيا لأعمال ديستويفسكي، وفي القسم الثالث يعرض الكاتب مشروعه القائم على الدراسة الأسلوبية معتمدا على تحليل روايات الكاتب الروسي باعتبارها نماذج تجسد المنهج المتبع تجسيدا بليغا.*

(٢) *توفى سنة ١٩٧٥.*

(٣) *الفصل الرابع: الخصائص الصنفية والتكوينة المحورية لأعمال دوستويفسكي.*

(٤) *شعرية دوستويفسكي، ص١٥٤.*

(٥) *شعرية دوستويفسكي، ص١٥٨ ثم يشير إلى وجود أشكال عديدة ذات طابع انتقالي بين هذه الأصناف الثلاثة.*

(٦) *شعرية دوستويفسكي، ص١٥٩.*

(٧) *نفس المرجع ص١٦٠.*

(٨) *نفس المرجع ص١٦٣.*

(٩) *يعرف الكاتب هذا الصنف موضحا أن اسمه مقتبس من اسم الفيلسوف «مينيب من غادارا» وهو من فلاسفة القرن الثالث قبل الميلاد، والمصطلح بمعناه الأدبي استعمله لأول مرة العالم الروماني فارون (القرن الأول قبل الميلاد)، أما الصنف في حد ذاته، فقد ظهر قبل ذلك التاريخ بكثير، وقد يكون أول من كتبه أحد تلامذة سقراط وأحد كتاب الحوارات السقراطية (انتيسثيتس) الا أن أبرز من كتب «الهجائيات المينيبية» هو هيراقليدس بونتيك وهو من معاصري أرسطو (انظر شعرية دوستويفسكي ص١٦٤).*

(١٠) *شعرية دوستويفسكي ص١٦٥.*

(١١) *نفس المرجع، ص١٧١.*

(١٢) *شعرية دوستويفسكي، ص١٧٢.*

(١٣) *نفس المرجع، ص١٧٨.*

(١٤) *نفس المرجع ، ص٢٠١.*

(١٥) *نفس المرجع ، ص٢٠٢.*

(١٦) *شعرية دوستويفسكي، ص٢٠٢.*

(١٧) *ميخائيل باختين «الخطاب الروائي» تعريب محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧، ص٣٩.*

(١٨) *الخطاب الروائي ص٣٨.*

(١٩) *الخطاب الروائي، ص٤٥.*

(٢٠) *نفس المصدر، ص٦١.*

(٢١) *نفس المصدر ، ص٦٨.*

(٢٢) *شعرية دوستويفسكي، ص٢٧٠.*




ولد الشاعر والناقد الانجليزى ماثيو أونولد في ٢٤ كانون الأول عام ١٨٢٢ في ليلهام على نهر التايمز، اي بعد عشرة اعوام من ميلاد الشاعر براوتج، وبعد ثلاثة عشر عاماً من ميلاد الشاعر تنيسون، أما والده فهو المؤرخ توماس أرنولد مدير مدرسة رجبي وقد حصل على الدكتوراه عام ١٨٢٨، وكان له تسعة اولاد اكبرهم ماثيو، أما زوجته فهي ماري بروز وهى على جانب جيد من الثقافة.. وكان ولدها ماثيو يحاورها ويشرح لها افكاره وآراءه في رسائله اليها، مما يدل على ادراكها لنواحي ثقافة العصر.

تلقى ماثيو علومه الاولى في «رجبي» ثم أرسل وهو في الثالثة عشرة الى ونشستر حيث قضى عاماً، ثم اعاده والده الى مدرسة رجبي ليكون تحت اشرافه، وفي هذه المدرسة حصل على جائزة في الشعر، وفى عام ١٨٤١، التحق بجامعة اكسفورد وقضى فيها ثلاث سنوات أثبت فيها وجوده كشاعر لا كطالب، وحصل فيها على جائزة عن قصيدته «كرومويل» وقد وصف أخوه الاصغرحياة أخيه في اكسفورد في كتابه، دروب في حياة التجوال «فقال» في تلك الاعوام كان أخى يرعى موهبته الشعرية بحرص وعناية، ولكن طبيعته المرحة المتحمسة تطلبت ارضاء اكثر، فاسلوبه المازح في الحديث مع الآخرين جعله قريبا من الوصف - الاسد الاجتماعي - بين رجال اكسفورد، وكان يعتني بهندامه وأناقته، وتخرج بمرتبة الشرف الثانية عام ١٨٤٤، وانتخب عضواً في جمعية اوديل عام ١٨٤٥.

ويكتنف الغموض الفترة التالية من حياته، فلا نكاد نعلم فيها سوى ولاءه لفرنسا وزيارته باريس والتقاءه بالروائية جورج ساند، ولكن يبدو من قصائده التي كتبها الى المجهولة مارغريت، ومن رسائله الى صديقه الحميم هيوج كلاف ان ولاءه لفرنسا كان قد نما برابط عقلي غير قوي.

ويعود الى مدرسة «رجبي» ليدرِّس الأدب المدرسي، وليبدأ علاقته بالتربية، هذه العلاقة التي استمرت حتى عام ١٨٨٦، اى قبل وفاته بعامين .. وفي عام ١٨٤٧، أصبح سكرتيرا للّورد لانزداون

# الشعر هو نقد الحياة والمرشد العقلي للإنسان
# الثقافة متابعة الكمال التام برغبة في إدراك الأفضل

نواف نصار
- الاردن -

الذي أدى دوراً مهماً في تاريخ بريطانيا، وقد أتاحت هذه العلاقة لماثيو ارنولد الفرصة للتعرف بمناهج التربية الوطنية وقد شجعه لانزداون واخذ بيده، وقد كان مشجعاً للأدباء الشباب محبا لهم.

وفي عام ١٨٥١ - اي وهو في التاسعة والعشرين - عينه لانزداون مفتشاً للمدارس، فبقي في وظيفته هذه خمسة وثلاثين عاماً حتى تقاعده، وقد كان محبا لعمله هذا، مقبلا عليه، غير عابيء بمردوده المالي القليل غير مكترث لكثرة التنقل في الطقس المتقلب الى أماكن كثيرة، فقد كان التعليم يسري في دمه، وكان محباً للاطفال عطوفاً عليهم، هذا الى جانب دراسته لعلم التربية وتبحره فيه، فاجتمعت له عوامل المعلم والموجه الناجح، وفي نفس السنة تزوج فرانسيس لوسي (ويتمان) ابنة السير وليام ويتمان قاضي منطقة كوينزبيتش.

ويمكن تقسيم حياة أرنولد الادبية الى عقود، ففي عام ١٨٤٩، بغض النظر عن الجائزتين المذكورتين سابقا - انتج مجموعته الشعرية «المعربد الضال وقصائد أخرى» فلقيت اهتماماً ضئيلا رغم احتوائها على قصيدته «الغرانق المنبوذ»(١) التى تعد أصفى قصائدة ثم اتبعها بمجموعته «أمبيدوكليس» فلقيت نفس المصير.

أما أعماله النقدية فقد بدأت بمقدمته لمجموعته «قصائد» عام ١٨٥٣، والتي اشتملت علي قصائد من مجموعات أقدم، ومن هذه القصائد «سهراب ورستم» و«الطالب الغجري» ولكنه حذف قصيدة «امبيروكليس» وواضح فى هذه المجموعة تأثره بالشاعر الالماني جوته. والشاعر الانجليزي وورد زورث (١٧٧٠ - ١٨٥٠) الذي كان صديقاً لعائلته. واحتفظ أرنولد باعجابه به طوال حياته، فكتب بعد وفاته «قصائد تذكارية الى «ووردزورث» عام ١٨٥٠، ومقالا تحت عنوان «ووردزورث» كما أصدر مجموعته الشعرية الثانية عام ١٨٥٥ بعنوان «قصائد السلسلة الثانية».

أما عمله النقدي محترفا، فقد بدأه بعد تعيينه أستاذا للشعر في جامعة

اكسفورد عام ١٨٥٧، واستمر في عمله هذا حتى عام ١٨٦٧، وقد كان هذا التعيين خير اعتراف بعلمه وفضله، فاستغل منصبه الجديد كمنبر لتطوير مذهبه، ولممارسة اوسع لمفهومه للنقد، وخلال تلك الاعوام كتب مأساته «ميروب» عام ١٨٥٨، وفي عام ١٨٦١ ظهرت له «ترجمة هومر» اتبعها عام ١٨٦٢ بكتابه: «الكلمات الاخيرة فى ترجمة هوفر» وكلا الكتابين متميز فى اسلوبه وغني في مادته، وان اخذ عليه احياناً افتراضات اعتباطية يخرج بها الى نتائج ونهايات واهية الاساس. وظهرت له مجموعة شعرية أخرى عام ١٨٦٧ بعنوان «قصائد جديدة» بعد ذلك ظهرت طبعات من اشعاره القديمة ولم يكتب منذ هذا التاريخ الا القليل من الشعر حتى وفاته.

وإذا كان النقاد يعدون ارنولد أحد الشعراء الفيكتوريين العظام، ويضعونه الى جانب برادننج وتينيسون، فقد كتب ارنولد الى أمه يقول عن شعره «ان قصائدي اجمالا تقدم حركة العقل في الربع الاخير من القرن، لذا سوف تصل قصائدي الى وقتها حين يبدأ الناس يعون ويفهمون حركة العقل، ويهتمون بالادب الذي يعكس ذلك، وقد يكون هناك جدل أني اقل في العاطفة الشعرية من تينيسون واقل من قوة برادننج العقلية وغزارته لأني اقوى من الاثنين معاً في الدمج بين هاتين الخصلتين. وترسله حكومته عدة مرات الى البلدان المجاورة مثل فرنسا والمانيا وهولنده وسويسرة كمندوب عنها لدراسة احوال التعليم ومستوياته في هذه الدول فيكتب عدة كتب فى هذا المجال منها «التعليم الشعبي في فرنسا وملاحظات عليه فى سويسرة وهولندة» عام ١٨٦٠، و«التعليم الثانوى في البلاد الاجنبية» عام ١٨٦٦.

النقد: خلال عمله محاضراً جامعياً صدر كتابه المهم «مقالات في النقد» عام ١٨٦٧، وفيه يعرف النقد على انه «مسعى محايد لتعليم وزيادة افضل ما هو معروف من فكر» ومسؤولية الناقد هي تأسيس نظام للافكار كوسيلة لبناء طريق نحو جهد مثمر خلاق.

وفي هذا الكتاب يتحدث عن الشاعر الالماني «هايني» ويعده أعظم شاعر خلف «جوته» وسار على نهجه، ويرى كلا الشاعرين قد سارا على درب تحرير الشعب الالماني من العادات والتقاليد الموروثة التي لا تلائم الحياة الحديثة، ويغلب على هذا الكتاب النقد الاجتماعي ويتضح فيه تأثير الناقد الفرنسي سانت يوف شكلا ومضموناً، وهو لا ينكر هذا التأثير فقد ذكر ذات مرة اسماء اربعة اثروا في تشكيل فكره: سانت يوف، جوته، ووردزورث، ونيومان، اما في بناء شخصيته فيظهر التأثير الحاسم لشخصية والده القوية. وفي عام ١٨٦٨ صدر كتابه «مقالات في دراسة الادب السلتي، وهو رحلات وهمية ممتعة الى عوالم من فقه اللغة والانتروبولجيا (تاريخ

# مسئولية الناقد تأسيس نظام للأفكار يقيم جهداً خلاقاً

# النقد مسعى محايد لأفضل فكر

الجنس البشري) ويتضح في ذلك تأثير الفيلسوف الفرنسي «ريتان». وبعد هذا الكتاب ينصرف ارنولد الى النقد الاجتماعي والدينى والسياسي، فصدر له عام ١٨٦٩ «الثقافة والفوضى» الذي كرر فيه عبارات وشعارات ارتبطت باسمه مثل «الجمال والنور» وهو مأخوذ من سويفت او أن سويفت سبقه اليه. وفيه يعرف الثقافة بانها «متابعة الكمال التام برغبة في ادراك افضل القول والفكر في القضايا التي تهمنا .. ونعى في هذا الكتاب على الانجليز ضيق افقهم وضحالة ثقافتهم، وهذا يقودهم الى أخطاء سياسية ودينية، ويضيع جهودهم وقدراتهم العقلية. ولعل المسائل الدينية السائدة في سبعينيات هذا القرن قد استحوذت على تفكيره في هذه الفترة، فوضع فيها اربعة مجلدات أهمها «الادب والعقيدة» عام ١٨٧٣. وفي العقد الاخير من حياته عاد الى النقد الادبي فصدر له ما يعد اكثر كتبه تأثيراً وهو «دراسة الشعر» دافع وجادل فيه عن فكرة «ان الشعر هو نقد الحياة، وقدر له ان يأخذ مكان الدين كمرشد عقلي للانسان، لذا كان جوهريا ان نؤسس مقاييس ومعايير للحقيقة والجدية السامية».

ويرتحل ارنولد الى الولايات المتحدة، فيلقي هناك عدة محاضرات منها «الاعداد» و«الادب والعلم» و«امرسون» الشاعر الاميركي، وقد طبعت هذه المحاضرات في كتاب باسم «احاديث في اميركا» عام ١٨٨٥، وقد عده ارنولد افضل ما يستحق ان يتذكره من كتاباته النثرية.

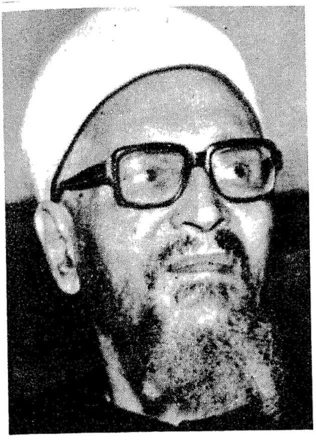
وفي عام ١٨٨٦، زار الولايات المتحدة مرة اخرى لزيارة ابنته المتزوجة من رجل اميركي، ولما ردت الزيارة عام ١٨٨٨ ذهب الى ليفربول لاستقبالها، وهناك وبينما كان يعدو لادراك عربة ترام، سقط ميتاً.

لقد ترك ارنولد بصمات واضحة في النقد ظلت معايير نقدية الى ما بعد الربع الاول من القرن العشرين، وان ظهر من نقد ونقض آراءه تلك امثال ت س - اليوت - كما بقيت آراؤه في الشعر وعلاقته بقرائنه التاريخية والدينية مقبولة بشكل واسع كذلك آراؤه في النقد والثقافة وتعريفه لهما.

## رجال في الذاكرة ٣٠

# الشيخ عبد الحليم محمود

من مزايا الدكتور عبد الحليم محمود أنه يتكلم بصمته كما يتكلم بلسانه، فأنت تجلس معه، وهو سابح في فكره، وكأنه في الخلوة التي اعتاد أن يفيء إليها من هجير الحياة! تجلس معه صامتاً فتقرأ في ملامح وجهه وفى بريق عينيه، وفى انطلاق بسمته حديثاً موجها إليك، مع أنه يشتغل بتسبيح وذكر، إذ يده تحرك مسبحته، ولست وحدى الذى يحس ذلك، بل أكثر مريديه يدركون ما أدرك. وحين جاءه اليقين، وهرعتُ الى محفل الوداع، وتقابل الأصدقاء والأهل، كانت مظاهر الهدوء الصامت تغلب مظاهر الحزن الناطق، لأن شعوراً خاصا سيطر على الناس بأن الرجل قد انتقل من مصر الى الجنة فى مقعد صدق، وكيف يحزن أحد لمن حظي برضوان الله، سبحانه، والله واهب الخير لعباده.. ثم استمعنا الى من أخبرنا أن الرجل فى ساعاته الأخيرة طلب منه أن يتهيأ لعملية جراحة فابتسم، ثم استسلم راضياً، وحين ادرك نهايته صاح في المجتمعين، الله حق، الموت حق!! لقد كان يعلم أن الإنسان فى معترك الحياة



يتأهب للرحلة الطويلة، ولابد منها، فلما حان موعدها، جزم بأنها حق لا مرية فيه، وعليه أن يستقبلها ببشر وابتهاج.

### أول لقاء :

كان الاستاذ مدرساً للأخلاق في كلية اللغة العربية، وكان الطلاب يحبون درسه ويعجبون باتجاهه الروحى، حتى كثر الحديث عن سعادتهم به، وجاء أحد الأساتذة الذين يدرسون البلاغة فى الكلية فاستمع الى أحاديث الإعجاب، ثم دفعه التسرع العاجل. فقال، وماذا في درس

الأخــلاق من الجــدة والابتكار؟ . إن كل خطيب مسـجد يتحدث كل يوم عن الأخلاق . ولا يمكن أن يأتي مدرسها بجديد، وكنت أستمع الى القائل.
فقلت يا سـيدى: الأخـلاق فى الدراسـات العاليـة بكليات الجامعة جزء من أجزاء الفلسفة، وقضايا الشـر والخيـر، والمسئوليـة والجـزاء، والالتـزام والإهمـال، والحق والواجب، كل هـذه القـضـايـا الشـائكة مـعـترك يخـوض فـيـه أسـاتذة الأخـلاق سابحين، ولهم أدلتهم العقلية، ويزيد عليها الشيخ عبد الحليم أدلة نقلية يلتمسها في القرآن والحديث وسـيـر السـابقين من ذوى الفـضـل، وأدلة ذوقـيـة يلتمسها من أحاسيسه المؤمنة، وأشواقها المتوهجة، فكيف تقول إن خطيب المسجد فى الريف يقوم بما يقوم به أستاذ الأخلاق فى كلية جامعية! قال الشيخ وهل تخرج الدروس عن الصبر والورع والأمـانة والإخـلاص، فقلت إن مدرس المدرسة الابتدائية يتحدث فى النحو عن الفاعل والمفعول به، وأستاذ الدراسات العليا بالجامعة يتحدث عن الفاعل والمفعول به فى النحو، فهل يتقارب الحـديثـان؟ قـال الرجل، دائمـا نتنـاقش فيما لا يفيد، وسكتَ وسكتُّ، ولا أدرى من الذى أوصل الحـديث الى الأسـتـاذ عـبـد الحليم محمود فبعث إليّ يرجو أن أقابله، وصافحنى في ابتسام، ثم قال: لا تعارض من تلمس فيه الغرض الواضح، لأن النقاش لا يفيد غير طالب الحقيقة، أما الذى يتمسك بما يقول رغم وضـوح خطئـه، فـمـعـارضتـه لا تفـيـد، دعـه يتكلم، فـالكلام لا يحق بـاطلا، ولا يبطل حـقـا، ثم تلا قـول الله عز وجل «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين».

## (فى بنى عامر)

توجهت فى إحدى المناسبات الى زيارة أخى الاستاذ محـمـود أحمد هاشم رحمه الله، فوجدت الجمع بساحة المسجد حـافلا يغص بالمجتمعين، كعادة أهل الشرقية فى ذكرى الشيخ احمد هاشم، وعلمت أن الدكتور عبد الحليم محمود يجلس فى صـدر الحـفل مع نفـر مـن أسـاتذة الازهـر، وحين رآنى، نهض فسلمت عليه مبتهجاً فقال لى: نحن هنا منذ ساعة، والناس يصخبون، فتحدث إليهم يارجب، فقد ينتفعون، ففوجئت باقتراح الاستاذ، فقلت إنى لم أهيء كلاماً يليق بالمجتمعين، ولابد من الإعداد الجيد لأفيد، ولست من رجال المنبر، فهل يتفضل سواي؟ فقال الأستاذ: لا أرى داعياً لهذا التحفظ، إنك تحفظ كتاب الله، ويكفى أن تقرأ آية أو آيتين وستجد الفتح المبين، لأن للقرآن نوراً يشرح الله به صدر المؤمن، ثم التفت إلى الزملاء فقال:

**بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى - المنصورة -**

كنت فى شـبـابى أهاب الحـديث فى الاجـتـمـاع العـام، لأنى أريد أن أحظى بقبول المستمعين، ثم صرفني الله عز وجل عن هذه الرغبة، فأصبحت أريد النفع ولو لمستمع واحد، فكنت أسرع للكلام، وفق ما يوجهنى الله اليه دون إعداد، وأنا أعترف أنى لم أكن آتى بالجـديد، ولكن أذكـر الناس، فالذكرى تنفع، وهنا نهض الشيخ حسينى هاشم فألقى كلمة موجزة حازت القبول، فدعانى الشيخ قائلا: هل قال الحسيني غير ما تعلم، ولكن هنا فى محيط العامة من ليس يعلم، فنفعه إذن ضرورى، تشجع يا أخى ولا تنكص.

ثم انتقلنا الى حجرة الطعام، وكانت مهيأة بأنفس ما يؤكل، فقال الشيخ لا أريد غير العيش والجبن، فقال قائل العيش موجود، أما الجبن فهو مصنوع من نتاج اللحم، واللحم حاضر ينوب عنه، فابتسم الرجل وقال: ليس عندى استعداد لغير ما طلبت فأنا أفهم نفسى، ثم قال: عاش المفكر الإسلامى الكبير عبد الواحد يحيى سنوات لا يذوق فيها غير كوب اللبن، يقدم له فى الصباح والمساء، مرتين فقط في اليوم، فقال أحد الحاضرين ، ومن عبد الواحد يحيى هذا؟ إنى لا أعرف عنه شيئا،

فضحك الشيخ وقال تذكرني بموقف طريف، لأني سمعت عن الرجل كثيرا وأنا في فرنسا دون أن أعرف من أمره شيئا، وعجبت كل العجب أن يعيش في مصر، فتحدث عنه باريس، ولا تتحدّث القاهرة، وحين رجعت من البعثة كان أكبر همي أن أحظى برؤيته، وبذلت جهدا جاهدا حتى عرفت مكانه، وسعيت إليه، فحجبت عنه عدة مرات لاعتذاره عن مقابلة أحد، حتى ضاق بي الأمر، ثم علمت أن سفير الأرجنتين المفوض في مصر، يزوره في منزله، وإذا أردت الاتصال به فعن طريقه، فبادرت إليه راجيا، حتى سمح بمرافقتي إياه، واتجهنا إلى (فيلا فاطمة) في إحدى ضواحي الدقي فدققنا الجرس، وانتظرنا لنرى شيخاً مهيبا، طويل القامة، يغمر النور وجهه كأنه بدر ساطع، فاستقبلنا باسماً، والتزم الصمت، ولكن السفير أخذ يتحدث في ملاطفة، والشيخ يبتسم دون أن ينطق، ثم رجعنا الى المفوضية، فقال السفير لزوجته، لقد قابلنا اليوم شخصية هامة جدا، فمن تظنين؟ قالت: وزير الخارجية، قال السفير: أعظم، فقالت: رئيس الوزراء، قال السفير: أعظم قالت: الملك، قال السفير: أعظم، قالت ماذا أقول، ؟ فقال السفير: هو عبد الواحد يحي، فصرخت: لماذا لم أذهب معكما، أنت تعلم شوقي لمقابلته هل هذا يليق؟» وعجبنا من القصة إذ كانت شخصية عبد الواحد غريبة على أكثر المستمعين..

## (ابن عطاء الله السكندري)

اتصل بي الدكتور يوسف الشال سكرتير تحرير مجلة الأزهر، وقال لي إن الدكتور عبد الحليم محمود كلفني بأن أدعوك لزيارته سريعا بمكتبه بالازهر، وأنا أسعد كثيرا بلقاء الرجل، ولكن لا أحب التردد على المكاتب العامة للمسئولين فلما علمت دعوته إلي سارعت للقائه، فقال لي دعوتك لتكتب مقالا بمجلة الأزهر عن ابن عطاء الله السكندري تتحدث فيه عن تاريخه ومجده العلمي وأثره الأدبي، وتدعو القادرين للتبرع كي ننهض ببناء مسجد تنعقد وتتواصل فيه حلقات العلم والذكر.. ولينتفع الناس باشراقاته.. وقد افتتحت باب التبرع بما أذن به الله، فما رأيك؟ قلت: إني على صلة بآثار ابن عطاء، واحفظ من حكمه أقوالا تكاد تكون شعراً، فقال: ما شاء الله: أسعفني ببعض ما تحفظ! قلت قول ابن عطاء عن ربه:

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى أظهر كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر بكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر في كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الواحد، ليس معه شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء، كيف يتصور أن يحجبه شيء، ولولاه ما كان وجود شيء!

فابتسم الرجل، وقال تقول هذا يكاد أن يكون شعرا! إن الشعر لن يبلغ شيئاً من تحليقه الساحر! اذهب لتكتب المقال الليلة، وأقرأه في الغد.

## ( اعتكاف الشيخ )

أعدت الجمهورية قراراً بشأن الأزهر يُحيل الأمور به إلى وزير شئون الأزهر، ويسلب شيخ الأزهر حقه في إدارة الأزهر وتوجيهه، فعارض الشيخ هذا القرار، وأبدى من الحجج ما كان موضع الإقناع، ثم قدم استقالته وآثر الاعتكاف في منزله، فانهالت الوفود عليه مؤيدة محبذة، وزحف أبناؤه نحوه من كل صوب، ورأت الحكومة أن تتراجع بعد أن لمست صدى اعتزال الشيخ لدى الرأي العام، ولكن بعض من يضيقون بالشيخ من اليساريين رأوها فرصة لمهاجمته، فأخذوا يفترون الأكاذيب، ويقولون إن آلاف الدولارات تجيء إليه من بلاد البترول دون أن تعرف عنها الدولة شيئا. وقد دار حديث الشيخ معنا حول هذه الأراجيف، فقال «إن كشوف التبرعات موجودة في أمانة لجنة

أزهرية خاصة بها، وبهذه التبرعات أنشئت عشرات المعاهد الأزهرية فى شتى أنحاء الجمهورية كما أنشئت مئات المكاتب لتحفيظ القرآن الكريم، ولدى الحكومة سجل بما أنشىء، وما تبرع به المصريون مضافا الى ما جاء من الخارج) والذين فى قلوبهم مرض يعرفون ذلك ثم ينكرون الحق الصريح، ومع وضوح البراهين فقد وُجد الأفاكون الذين لا يجرءون أن يقولوا كلمة واحدة عن التبذير المسرف فى أكثر المرافق، ثم يتعمدون مهاجمة الشيخ لأنه حارب الشيوعية بلسان باتر، فألف الكتب، وأقام الندوات، وساح فى البلاد هادياً ومرشدا، حتى أفاق الناس من سكرة الخداع الشيوعى قبل أن تتزلزل أقدامه فى روسيا ودول الحلف بسنوات طوال، ثم مات الشيخ ولم يترك مليما واحدا، ولم تجد أرملته غير المعاش الحكومي، ثم ما لبثت أن لحقت به؟ فأين ما أفك به الخراصون؟

حدثنى مدير مكتب الشيخ، أنه كان ينفق العشر مباشرة حينما يقبض مكافأة على مقال أو كتاب، وقد قيل له إن الزكاة لا تجب إلا بعد أن يحول الحول، فقال أنا أفهم فهماً خاصاً فى قول الله عز وجل (وآتوا حقه يوم حصاده) إذ لا أقتصر بالحق مع المزروع فقط، بل على كل ما يجيء من المال، وهذا فهمى ولا أقيد به أحدا!

## ( درس بليغ )

كان الشيخ عبد الحليم على معرفة جيدة بمن يمتّون للوعظ بالمساجد، لأنه يتحسس أخبارهم فى يقظة فإذا علم من أحدهم مثابرة ودأباً شجعه وزاره فى مجلس وعظه، وإذا لمس تقصيرا لدى بعض من يكتفون بالرسميات دون إخلاص نبههم بالحسنى الى ما يجب نحو المسلمين من إرشاد وتوجيه، ومن طرائفه النادرة أن أحد المنتسبين الى الإرشاد والاصلاح وله وجاهة فى محيطه وأسرته، جاء إليه ناقما يشكو الشيخ صالح الجعفرى خطيب الجامع الأزهر، والداعية الإسلامى الشهير، لأنه يجمع نفراً من أتباع الشاكى واستمع الشيخ الى الشكوى، فكتم تأففه فى داخله، وقال للشاكي: متى سيلقى الشيخ صالح درسه المقبل، فقال علمت أنه سيلقي درساً بالأزهر بعد صلاة العشاء هذه الليلة، فقال الشيخ سأكون لديه فتعال معى، لنتحدث معه، وحان الموعد فذهب الإمام الأكبر متواضعا ليجلس فى أقصى الحلقة مستمعاٍ دون أن يشعر الشيخ صالح بمقدمه، وكان الشيخ موفقاً كل التوفيق فيما أبدع من شرح، حيث فتح الله عليه بما أنعش السامعين، وجذبهم الى مورده الصافى مسترسلا فى روائع الآيات ورقائق الأخبار، ثم انتهى الدرس بعد ساعة ونصف، فتوافد السامعون فى طابور على الشيخ يلثمون يديه كعادتهم معه، وانتظم الإمام الأكبر فى الصف، ووراءه من شكا الرجل الكبير ظانًّا أن الإمام سيفاجيء الداعية بما لا يتوقع، فلما دنا من الشيخ صالح، قبل كفه ومضى، فصاح بعض الحاضرين ينبه الشيخ صالح بأن الذى قبل كفه هو الإمام الأكبر، فصاح الشيخ صالح متأثرا ينطق بلا إله إلا الله - كمن يستجير - ثم جرى خلف الشيخ ليعانقه قائلا: من أنا يا سيدي بجوارك! كيف غفلت عنك وأنت تقبل يدى، ثم انحنى على كف الشيخ عبد الحليم لاثما عدة مرات، وخرج الإمام ليقول لصاحبه لماذا لا تجمعون أتباعكم كل ليلة، وتُحضرون من يفسر لهم كتاب الله إذا كنتم عاجزين: لقد جئت بك هذه الليلة لتتعلم من الشيخ، هل الارشاد والاصلاح وجاهة أو أنهما رسالة ذات هدف، أنتم بتقاعسكم عن هداية الناس تصدون عن سبيل الله! ثم تنقدون من يقوم بواجبه عن قناعة وإيمان، أنتم فى واد، وهو فى واد.

وكم للدكتور عبد الحليم من مواقف ذات تأثير، فما كتبت هنا غير القليل.

# نماذج من أزمات الاقتصاد الرأسمالي ٢ ـ ٢

**الكارثة المالية في نيويورك ١٩٨٧م:**

في الثلاثاء الاسود ٢٨ اكتوبر من عام ١٩٢٩م حدث انهيار خطير في بورصة نيويورك وشهد العالم في تلك الفترة كساداً اقتصاديا رهيباً ولكن ما حدث في ذلك الوقت كان محكوماً بظروف تختلف عن الازمة الحالية ١٩/اكتوبر ١٩٨٧م.

لقد كانت أزمة ١٩٢٩ فى ظل قاعدة الذهب ولم تكن علاقات الاقتصاد العالمي بالشكل المتشابك كما في عصرنا الحاضر ولهذا فإن تلك الازمة التى مر عليها نصف قرن تقريباً كانت نتيجة ظروف اقتصادية محضة ولكن الصيارفة المحترفين تمكنوا من توظيف تلك الازمة لصالحهم وخرجوا منها بثراء وفير على حساب الغالبية العظمى من صغار المستثمرين.

أما الازمة المالية المعاصرة فهى تحدث فى ظل اقتصاد عالمى مترابط تسيطر عليه نقدية واحدة (الدولار) الذى هو وسيلة تقويم سلع العالم كله تبعاً للهيمنة السياسية التى تتمتع بها الولايات المتحدة وتبقى الأزمة ممثلة في الدولار الذى هو الخصم والحكم ولم يحدث فى تاريخ العالم الاقتصادى توقف المصير المالى لاقتصاد العالم على عملة واحدة ومزاج شخص واحد.

إننا نتساءل الى متى يبقى هذا العالم مستعبداً لنظام اقتصادى يحكمه نقد واحد.

لقد وعدت امريكا في اتفاقية البلازا ـ ايلول ١٩٨٥ ـ وفى اتفاق اللوفر ١٩٨٧م أن تحافظ على استقرار سعر الدولار ولكنها تنكث بهذه الوعود وتحمل مسئولية عجزها الى مسئولية ـ المانية ـ يابانية ـ وهما الدولتان اللتان تفرض عليهما امريكا عدم رفع سعر الفائدة لتتيح الطلب على السلع الاستهلاكية وبالرغم من التجاوب الاوربى لمطالب امريكا وصل الامر الى طريق مسدود حيث تصر الولايات المتحدة على النظر إلى الدولار كعملة داخلية متجاهلة دوره الدولى فى الاقتصاد العالمي.

ان السلوك الاقتصادى الامريكى والسياسة النقدية الامريكية أثارت غضب حلفائها فى اتفاقية اللوفر حتى طلبت بريطانيا رسميا التخلى عن سياسة التقويم الراهنة لاسعار القطع في التجارة الدولية(١).

بقلم:
محمد على حسين الحريرى
ـ أبها ـ

وقد ابدت امريكا بعض الليونة تجاه الطلب البريطانى حيث اقترح اعادة الاستقرار الى أسواق القطع باستخدام سلة من العملات الرئيسية مع الذهب لربط سعر الصرف العالمي وتكررت تلك الدعوة الامريكية فى الاجتماعات السنوية لصندوق النقد الدولي(٢) وهذه الدعوة الامريكية لا تعتبر عودة للنظام النقدي المرتبط بالذهب ولكنه اقرار امريكى رسمى بفشل نظام النقد الحالى فى اعادة الاستقرار الى اسواق المال وضرورة الاعتماد على نظام اكثر ثباتا لاسعار القطع ـ او التمسك من جديد بمقررات (بريتون وودز) الذى يحترم الذهب الى حد ما ولعل اوروبا التى عانت من الازمة هى التى ستقود العالم بهذا الاتجاه فالولايات المتحدة التى عجزت عن حل مشاكلها المالية لا يمكنها حل مشاكل العالم الاقتصادية ولابد من تعاون دولى ومسئولية جماعية لتحقيق الاستقرار فى اسواق المال العالمية.

لقد تنبأ عالم اقتصادى امريكى - رافى باترا - بحدوث كساد بحلول عام ١٩٩٠م ما لم تزد الضرائب على كبار الاثرياء الامريكيين ولكن لجنة من الخبراء الاقتصاديين التابعة لمجلس الشيوخ انتقدت بشدة هذه الآراء - ويقول - باترا - استاذ الاقتصاد فى جامعة ميثوديت الجنوبية فى دالاس فى كتابه (الكساد الكبير عام ١٩٩٠م (ان المشكلات الاقتصادية للولايات المتحدة ترجع الى التركيز المتزايد للثروة فى أيدى فئة قليلة من الاثرياء الافراد واذا لم تعالج هذه المشكلة فان التسعينيات ستمر بكارثة اقتصادية يتضاءل امامها الكساد الكبير فى الثلاثينيات.

ودعا - باترا - الى فرض ضريبة اضافية على كل من تبلغ ثروته مليون دولار فأكثر ويمثل هؤلاء تقريبا ١٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة وقال ان فرض هذه الضريبة سيؤدى الى حصيلة مقدارها ٢٥٠ مليار دولار وهو رقم يكفى للقضاء على العجز فى الميزانية الاتحادية.

غير أن - ريتشارد ران - كبير الخبراء الاقتصاديين فى غرفة التجارة الامريكية قال ان مقترحات الدكتور - باترا - تقوم على افتراضات خاطئة فأينما فرضت ضريبة على الثروة حدثت كارثة ويقترح - ران - الى خفض ضريبة ارباح رأس المال من ٢٨٪ الى ٢٠٪ وتقليل الانفاق الاتحادى وتخفيف سياسات تضييق الائتمان فى البنك المركزى الامريكى(٣).

ويقول - بول كريج - احد الباحثين فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ان مجلس الاحتياطى الفيدرالى - البنك المركزى - هو الملوم فى هبوط الدولار وهبوط اسعار الاوراق المالية فى بورصة نيويورك - وذلك بسبب سياسة البنك المركزي القائمة على رفع اسعار الفائدة ويقول - جون كينيث غالريويث - فى حديث مع صحيفة (ليبراسيون) أن ما شهدته سوق نيويورك هو نتيجة المضاربات المسعورة التى مولتها الديون المصرفية تماماً كما حدث عام ١٩٢٩م فى انتكاسة بورصة نيويورك المشهورة - ويتحمل - ريغان - المسئولية بسبب تضخم الكمية النقدية التى يملكها مضاربون أجانب بفعل العجز الخارجى الامريكى مما يهدد الدولار مباشرة(٤).

لقد اتخذت الازمة المالية فى بورصة نيويورك منحنى خطرا عندما بدأت تظهر ملامح (حرب نقدية) بين الولايات المتحدة وألمانيا الغربية لا سيما بعد أن تأكد للمستثمرين ورجال الاعمال فشل (اتفاق اللوفر) المنعقد فى باريس بين الدول السبع الصناعية.

وقد برزت هذه الحرب النقدية - وإن الحرب اولها الكلام - بتصريح وزير الخزانة الامريكية (جيمس بيكر) بأن الانخفاض الاخير فى سعر الدولار والسقوط فى سوق الاسهم يعزيان الى عصابة صغيرة من المسئولين عن البنك المركزى فى المانيا الغربية. حيث أصر - نائب رئيس البنك الالمانى هليموت سليسنغر ومساعدوه على زيادة معدل الفائدة بنسبة ٤٪ وذلك قبل اسبوع من سقوط سوق الاسهم فى ١٩ اكتوبر الماضي.

وبرفع المانيا لمعدل الفائدة خرقت (اتفاق اللوفر) بالحفاظ على حد أعلى وأدنى للدولار وذلك لان المحافظة على سعر الدولار يتعارض مع مصلحة الاقتصاد الالمانى فى الظروف الحالية والحق أن وزير المالية الالمانى - جيراد ستولتنبوغ - قد حاول دعم اتفاق اللوفر منذ انعقاده فى شباط الماضى ولكن انزلاق الدولار فى هبوطه كان اصعب من كل الكوابح الاوربية كما تبرر المانيا رفعها سعر الفائدة بمؤشرات اقتصادية كانت تتطلب هذا الاجراء منعاً من التضخم.

قد يكون صحيحاً انه لا فائدة لالمانيا من رفع الفائدة على الدولار وانما تصرفت كذلك تاركة الدولار فى مهب الريح لاسباب اقتصادية فى علاقاتها بأمريكا وهى اكبر من ثبات سعر الدولار نفسه حيث يطالب - بوهل - رئيس البنك الالمانى بأن توجد ادارة (عملية ومرنة) للعملات الرئيسية وقال ايضا (إنه فى عالم يستمر فيه الخلل المالى على مستوى الكرة الارضية لا يمكن أن يتحقق فى آن واحد استقرار اسعار الصرف ومعدلات الفائدة) وقد جاءت هذه التصريحات للمسئول الالمانى بعد اسبوع واحد من

الاثنين الدامى الذى شهد انهيار وول ستريت(٥).

لقد تبخر اتفاق اللوفر مطالباً بإعادة النظر فى السياسات الاقتصادية ورفض بوهل الانتقادات الموجهة للالمان برفع الفائدة قائلا (ان ارتفاع اسعار الفائدة بدأت من الولايات المتحدة لاسباب معروفة تماماً) وبدءا من اليوم لن تتدخل امريكا ولا المانيا لدعم الدولار - وان اتفاق اللوفر قد تحطم وتطالب المانيا الولايات المتحدة معالجة ميزان المدفوعات الامريكية وخفض العجز التجاري الذى تنوء به امريكا وسياستها النقدية وبدون هذه الشروط فإن اليابان والمانيا وسائر الدول الاوربية لا يمكنها أن تخفف من انهيار الدولار وهو الامر الذى تسعى اليه الولايات المتحدة، فارتفاع الين اليابانى تجاه الدولار جعل السلع اليابانية اكثر تكلفة فى الخارج وألحقَ الضرر بالاقتصاد اليابانى وقلص من ارباح الشركات وادى الى خفض الانتاج والاستثمار والعمالة

ماذا حدث؟!!!

سقطت الاسهم والاوراق المالية وانخفض مؤشر (داو جونز) بنسبة ٢٥٪ وحصد الانهيار ١٧٥ مليار دولار من قيمة الاسهم المتداولة فى المؤسسات الامريكية واشتعل الفتيل ليحرق كافة اسواق الاسهم فى العالم ففى بريطانيا يتراجع مؤشر (F : T) ٢١٪ ليحصد ما قيمتة ٩٥ مليار دولار وتنخفض كل المؤشرات متراجعة بشكل عنيف فى بلجيكا بنسبة ١٧٪ وفى زورخ وفينا وباريس وامستردام يبلغ الانخفاض ١٠٪ وفى هونغ كونغ تنخفض قيمة الاسهم بمقدار ١١٪ لتبلغ الخسائر (٧٠ مليار) دولار محلى ولم تنج طوكيو من الكارثة وبينما انخفضت اسعار الاسهم فيها بنسبة ملحوظة وبينما المستثمرون يبحثون عن بارقة أمل تعلن وزارة الخزانة الامريكية أن العجز التجارى لشهر آب - بلغ حوالى ١٦ مليار دولار فزاد الطين بلة وبلغ اليأس حد الأنتحار عند بعض المستثمرين، لقد زاد العجز عن الشهر الماضى (١,٢) تريليون دولار ولم يفلح خفض الدولار فى السنتين الماضيتين بنسبة ٣٠٪ فى تقويم العجز مع قناعة البنك المركزى الامريكى ان خفض الدولار هو الحل الافضل لرفع مستوى الصادرات وتخفيض الواردات.

من هنا رأى الخبراء أن الادارة الامريكية قد تخفض الدولار ثانية مما يؤدى لارتفاع مستوى التضخم وسعر الفائدة وفى هذه الاثناء يصرح جيمس بيكر أن المخاوف فى (وول ستريت) لاتستند الى مقومات اقتصادية صحيحة.. لاسيما أن نسبة التضخم فى الولايات المتحدة لا تتعدى ٥٪ وهى واحدة من أقل النسب فى العالم وما يزال الاقتصاد محافظاً على نسبة من التوسع كما لا تزال القوة الشرائية نشطة على المستوى الشعبى، ولكن الفتيل الذى فجر الموقف هو تعليق - بيكر - على رفع المانيا الغربية لنسبة الفائدة المحلية وأن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الايدى ولابد من اعادة النظر فى مقررات (اتفاق اللوفر) المنعقد بين الدول الصناعية فى ١٩٨٧/٢/٢٢ ويريد الوزير الامريكى أن يقول لالمانيا الغربية ان رفعها لسعر الفائدة فى بلادها يعيق التوسع الاقتصادى ويضع حاجزا أمام سيل الصادرات الامريكية لالمانيا وجاء كلام الوزير - بيكر - فى وقت حملت الانباء فيه الهجوم الامريكى على منصتى النفط الايرانى حيث كان ذلك سبباً فى رفع سعر البرميل الى ٢٠ دولاراً وأدرك المستثمرون اقتراب حرب نقدية بين امريكا والمانيا الغربية وسيكون السلاح الامريكى فى هذه المعركة تخفيض قيمة الدولار ٢٥٪ او ٣٠٪ مما ينعكس على سعر الفائدة ويدفعها الى الاعلى على الصعيد العالمى وذهب بعضهم الى حدوث تغيرات جذرية فى الملامح الاقتصادية والسياسية للعالم الرأسمالي(٦).

انها كارثة اقتصادية مدمرة فرضتها الولايات المتحدة على العالم بفعل عوامل متعددة كانت تعمل فى جسم الاقتصاد العالمى منذ اكثر من خمس سنوات ولكنها تفجرت بشكل خطير (يوم الاثنين الدامى) (١٩/اكتوبر - تشرين الاول ١٩٨٧م).

(بورصة نيويورك فى وول ستريت) اكبر بورصات العالم التى يحلو لبعضهم تسميتها (بعش الدبابير) او

(حائط المبكى الجديد) يخرج منها الخراب المدمر لثروات العالم الذى ابتعد عن منهج الله سبحانه واتخذ من الاقتصاد وثنا جديدا يعكف العالم أمامه لحل المشاكل - وأى مشاكل - انها كما قال المعري - كلما حللت لها عقدة بدت عقد -

بدأ الهبوط الفلكى فى اسعار الاوراق المالية - الاسهم والسندات - فمؤشر داوجونز - وهو ميزان حرارة البورصة الذى يتكلم كمبيوتريا - معطياً رواد البورصة - متوسط سعر الأسهم والسندات لثلاثين شركة صناعية فى الولايات المتحدة كشركة - جنرال موتورز - وإيكسون - وغيرها ٠٠ هذا المؤشر الذى يعمل بالنقاط فكل نقطة تمثل الف دولار وقد هبط المؤشر بأرقامه الى حد أن تلك الشركات خسرت خلال ستة اسابيع قرابة - تريليون دولار - تبخر آخرها فى ذلك اليوم ١٩/١٠/١٩٨٧٠

عالم مجنون - يهفو الى الثراء السريع - يبيع - يستلف - والبنوك تعطى السلف على شيكات مؤجلة وعالم من الافراد والدول لا يستطيع تسديد الديون بل ولا تسديد فوائد الديون وفجأة يضيع كل شيء وتهبط الاسهم والسندات فى كساد رهيب٠

- سيتى بنك - تهبط اسهمه من ٦٥ دولارا الى ٣٥ دولارا - ويدب الرعب والجمود فى السوق وتلحق الخسارة عددا من الامريكيين يمثلون ما بين ١٨ - ٢٢٪ من مجموع الامريكيين يقول - مارتن جواوى - مدير اموال المعاشات فى الحكومة الامريكية تقدر بخمس مليارات دولار ويضارب بجانب منها فى البورصة - لقد خسرت فى يوم واحد ٢٠٪ من المشروع اى مليار دولار ويصر على أنه سيربح ثانية بعد خمس سنوات حيث سترتفع الاسهم ثانية - ويفسر الكارثة بأن قيمة الاسهم زادت بشكل غير طبيعى تصور أنه من عام ١٩٨٢ ارتفعت اسعار الاسهم من ٨٠٠ نقطة الى ٢٧٠٠ نقطة ثم انهار كل شيء ويعلل ذلك بعدة اسباب منها:

١ - جشع الناس وطمعهم بالثراء السريع٠

٢ - التضخم المالى الذى بلغ ٤ر٢٪ واصبح كل شيء هناك يحقق ربحاً٠

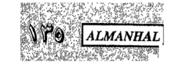
٣ - ارتفاع اسعار الفائدة فى البنوك من ٦٪ الى ٩٪٠

٤ - الخلاف الذى حدث بين الدول الصناعية الكبرى عندما رفعت المانيا سعر الفائدة فى بنوكها ٠٠

ويلخص الدكتور - محمود وهبة - استاذ ادارة الاعمال بجامعة نيويورك(٧) ما حدث بأنه انهيار عام فى البورصة الامريكية حيث انخفضت اسعار الاسهم بنسبة ٣٧٪ خلال أربعة أيام - حيث بدأ الانهيار يوم الأربعاء ١٤/١٠/١٩٨٧ وبشكل غير متوقع ثم يبلغ الذروة يوم الاثنين ١٩/١٠/١٩٨٧ حيث بلغ حجم الانهيار ٢٢٪ وهذا حدث تاريخى لم تشهده أمريكا إلا عام ١٩٢٩ فيما عرف (بالانهيار العظيم) ولكنه لم يتجاوز فى ذلك الوقت ١٢٪ من قيمة الاسهم أى نصف تريليون ليتصور أحدنا شقته التى يسكنها تنخفض قيمتها حوالى الثلث خلال أربعة أيام بسبب انخفاض قيمة الشركات وهبوط الدولار وهروب رأس المال الى أوعية أخرى مما يهدد بأزمة طاحنة ربما أدت الى الخمود والركود الاقتصادى وقد بدا ذلك فى انخفاض الاسهم فى هونج كونج وطوكيو ولندن٠٠ ان الركود الاقتصادى يعنى - البطالة وانخفاض مستوى المعيشة وهو أمر لابد منه في ظل النظام الرأسمالى الذى يتعرض دورياً لنوبات من البرد والدورات الاقتصادية، فهناك أزمات اقتصادية مرت بها الولايات المتحدة خلال سنوات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى التواريخ التالية كأمثلة (١٨١٥ - ١٨٥٢ - ١٨٥٧ - ١٨٦٦ - ١٨٧٣ - ١٨٨٢ - ١٨٩٠ - ١٩٠٢ - ١٩٠٧ - ١٩٢٩ - ١٩٣٢ - ١٩٦٢ - ١٩٦٧ - ١٩٧١ - ١٩٨٧م)٠ وهذه الازمات الاقتصادية انما هى اضطراب خطير فى الكيان الاقتصادى للدولة أو لعدة دول يرجع بشكل رئيسى الى اختلاف التوازن بين الانتاج والاستهلاك - حيث سيتأثر فريق من الناس بأرباح كبيرة دون أى نشاط انتاجي ملحوظ٠

ويلاحظ أن الازمة الاقتصادية يسبقها فترة رخاء مؤقتة فيحدث نشاط فى الصناعات المهمة ثم يمتد الى بقية الصناعات ويترتب على ذلك عدة نتائج منها:

١ - ارتفاع الاجور بسبب زيادة الانتاج وكثرة



الطلب على العمال.

٢ ـ ارتفاع سعر السهم بسبب نشاط المصانع وزيادة الارباح.

٣ ـ ارتفاع الاثمان لقوة النشاط الاستهلاكى وكثرة النقود وسهولة الحصول على الائتمان.

٤ ـ كثرة المشروعات ولجوء اصحابها الى البنوك التى تقرض بسخاء لثقتها بسهولة استرداد المبالغ مع عائداتها الربوية الضخمة(٨).

٥ ـ يكثر تقديم الكمبيالات للخصم لزيادة المعاملات التجارية وهذا يعنى أن المصارف تأخذ الفائدة مرتين فى عملية الخصم التى تكثر فى فترة الرخاء وتستمر بعض الوقت ثم لا تلبث أن تظهر الازمة الاقتصادية فى صورة انحسار فى النشاط الاقتصادى وانهيار بعض المشروعات بسبب زيادة تكاليف الانتاج على اثمان السلع المنتجة وقد رأينا قبل ست سنوات افلاس شركة ـ كرايزلر ـ وهى من اضخم مصانع السيارات الامريكية واخطر النتائج المترتبة على إفلاس المشروعات انتشار البطالة بين العمال وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية.

## ما معنى البورصة؟:

هى سوق عام للمضاربة على اشياء متعددة كالاوراق المالية والمحاصيل الزراعية كالقطن والقمح وغيرها.. ولا يقصد بالمضاربة هنا عقد المضاربة المعروف عند الفقهاء كنوع من الشركات ولكن المضاربة هنا ـ بيع وشراء آجل بلا تسليم فهو شبيه بعقد السلم ولكنه فى البورصة لا يوجد تسليم لرأس المال (الثمن) ولا المبيع وانما هى بيوع وهمية تتخذ وسيلة للتأثير على السوق والاسعار وكأنها مجموعة من بيوع النجش التى تشكل طلباً وهمياً وعرضا كاذبا يفعله المهيمنون على السوق والمحتكرون فى النظام الرأسماليين فيحدث تقلبات غير طبيعية ويعمد كبار الرأسماليين الى طرح مجموعات من الاوراق المالية المعينة فيهبط سعرها ويسارع صغار حملة الاوراق الى بيعها ايضا خشية الهبوط فيشتريها كبار التجار ثانية محققين مكاسب كبيرة على حساب الكثرة الغالبة من المضاربين الصغار.

فاذا اضفنا الى مساوىء نظام البورصات ـ وجود التكتلات الرأسمالية على شكل احتكارات لتجارة بعض السلع عرفنا كيف يتصرف دهاقنة البورصة ويتلاعبون بالاسعار، وهذا ما حدث فعلا من ثراء بعض الناس على حساب الشعوب الفقيرة التى تئن تحت زيادة الاسعار حتى باتت النقود لا قيمة لها وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما روى البخارى عن عوف بن مالك (أعدد ستاً بين يدى الساعة ـ موتى ـ ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ـ ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا(٩).

لقد عرفت بلاد الاسلام نظام البورصة مع دخول المصارف والنظام الربوى على عالم الاقتصاد فى بلادنا فقد كان فى مصر ـ بورصة للقطن ـ وغالب البورصات فى العالم الاسلامى ضعيفة محدودة التأثير لا تشبه من قريب أو بعيد ـ بورصة نيويورك أو هونغ كونغ ـ ذات التأثير العالمى ولكن منطقة الخليج شهدت قبل سنوات قليلة ـ أزمة سوق المناخ الكويتى(١٠) وهى تشبه نظام البورصة فى عملها حيث أصر البنك الدولى على نقل هذا الوباء الى ديار المسلمين مما يضيف الى آفة الربا الوبائية آفة البورصة التى يشكل البيع الآجل المحرم عماد نشاطها الاقتصادي وتحت وطأة تأسيس شركات خيالية لا وجود لها وطرح اسمها فى سوق المناخ وتواطأ امراء المناخ مع المصارف التى منحت الائتمان للمتعاملين بالسوق دون أى ضمانات من المقترض وهو خروج عن ابسط قواعد المعقول وانهار السوق عند صرف اول شيك مؤجل لا رصيد له وتوسعت ندوبه وجراحه حتى اصابت عددا كبيراً من السكان وكانت آثاره الاجتماعية اخطر بكثير من آثاره الاقتصادية.

## الغاية من الأسهم:

الاسهم أوراق تمثل الحصص من ملكيات المؤسسة الاقتصادية ـ الشركات المساهمة ـ التى من خصائصها أن أقصى ما يفقده مالكو الاسهم حال الافلاس لا يتجاوز قيمة الاسهم التى يمتلكونها

والهدف الاساسى من اصدار الاسهم بالاضافة الى التمويل هو تيسير الاستثمار لافراد الامة وتمتاز الاسهم بإمكانية نقل ملكيتها من خلال التبادل حيث تعمل سوق الاسهم على جعلها سلعة سائلة يسهل تحويلها بسرعة الى نقود وهذه السيولة من اهم العوامل التى تجعل اقتناءها من افضل قنوات الاستثمار ويبقى التمويل هو الهدف الاساسى للأسهم حيث تطرح كبديل للاقتراض.. هناك مقاييس مختلفة تحدد الاتجاه العام لمستوى اسعار الاسهم فمؤشر (داو جونز) يعطى الاتجاه العام لاسعار الاسهم فى ثلاثين شركة امريكية فى بورصة نيويورك (وول ستريت) وتتأثر أسعار الاسهم بعدة عوامل اقتصادية وسياسية.

فهناك عوامل خاصة: بكل شركة كتغير ادارتها وتحسن مستواها الانتاجى أو تدنى سلعها فى السوق أو ظروف المنافسة مع الشركات المماثلة الاخرى - وهناك (عوامل عامة) كنسبة النمو الاقتصادى ومستوى اسعار الفوائد ونسبة التضخم وعوامل عدم الاستقرار السياسى فالخوف من التأمين والمصادرة قد يكون عاملا من عوامل الانهيار الاقتصادى فى سوق الاسهم.

ان التنبؤ بأسعار الاسهم فى المستقبل هو رجم بالغيب ولكن المؤكد عبر تاريخ الاسهم أن نمو الاقتصاد اذا كان يفوق نسبة التضخم فإن اسعار الاسهم ترتفع وتصبح اكثر فائدة وجدوى من الاستثمار فى العقار والذهب والسندات، والذى يبدو أن نمو الاقتصاد الامريكى فى المستقبل سيشهد تراجعاً فى الأعوام القادمة مما يقلل ارباح الشركات وتهبط اسعار الاسهم وربما هبط الدخل القومى وارتفعت نسبة البطالة ولكن الذى يقلل من هذه الآثار هو نظام الضمان الاجتماعى المعمول به فى الولايات المتحدة.. إن هناك نظريات متعددة تفسر تقلبات اسعار الاسهم فبعضها يفسر تقلبات الاسهم بمواقع الكواكب والنجوم والتنبؤ الغيبى القريب من المقامرة وبعضها يفسره بعوامل اقتصادية، وهناك رأي ثابت ان الذى يحكم اسعار الاسهم مؤامرات المضاربين ودهاقنة المال والصيرفة واعوانهم أو اتباعهم من القادة السياسيين الاقوياء فى العالم.

## السندات والديون الامريكية - عجز الموازنة:

السندات: يباع فى بورصة نيويورك اضافة الى اسهم الشركات ما يسمى بالسندات وهى أوراق تتعهد الجهة التى اصدرتها بدفع المبلغ المكتوب عليها عند حلول أجلها وهى فترة تتراوح بين ثلاثة شهور وثلاثين سنة والذى يبيع هذه السندات من يحتاج الى الاقتراض من المؤسسات الاقتصادية ويشتريها من يقرض أمواله مقابل جزء من عائدات استثمار تلك الاموال أى أن تداول السندات فى بورصة نيويورك يمثل الحق فى استخدام الدولارات لفترة زمنية معينة.

فعندما تقترض الحكومة الامريكية يزداد الطلب على استخدام الدولارات فترتفع الفوائد وارتفاعها يزيد من التكلفة الكلية للانتاج مما يؤدى الى خفض مكاسب الشركات وبالتالى انخفاض اسعار اسهمها وهذا يعنى أن اقتراض الحكومة الامريكية - زيادة عجز الموازنة - يؤدى عاجلا أو آجلا الى خفض الناتج الوطنى كما يؤدى بطريقة اخرى الى رفع مستوى التضخم وهو بيئة سيئة تنخفض فيها اسعار الاسهم والسندات(١١).

ان اقتراض الحكومة الامريكية يمثل ديون الحكومة أو (الدين الوطنى) تلجأ اليها الحكومة الامريكية عندما يزداد انفاقها على دخلها - عجز الميزانية - ولا تلجأ الى زيادة العبء الضريبى لانه خطوة محفوفة بالمخاطر السياسية الداخلية وقلما يعاد انتخاب رئيس من الاحزاب الذى يلجأ الى زيادة الضرائب على الشعب وقد اتفقت الاحزاب الامريكية على هذا الدرس ووعته بشكل جيد ان الدين الوطنى - الامريكى وقد تجاوز الالف بليون دولار - وهو رقم لا يتوقع العارفون تسديده وكلما يطمع فيه خبراء الاقتصاد ودهاقنة البورصة هو منع زيادة الديون أو خفض العجز السنوى فى الموازنة الامريكية وضغط النفقات الباهظة على التسليح وحرب النجوم ولم يقتصر الامر على الدين الوطنى الداخلى فأمريكا

مدينة بمبالغ فلكية الارقام للعالم الخارجي فقد تعمد الرئيس - ريغان - في الفترة الاولى من رئاسته الى اتباع سياسة الفائدة المصرفية العالية وبالتالى رفع سعر الدولار فى الاسواق للحاجة الشديدة الى مبالغ ضخمة من القروض الخارجية لتمويل البرامج التسليحية الضخمة (الصواريخ العابرة للقارات م. اكس والقاذفة الاستراتيجية وغيرها من تسليح الفضاء) وتمويل هذا البرنامج يتطلب مبالغ ضخمة لابد من اقتراضها من الخارج وبفائدة عالية (٧٠٠ مليار دولار بفائدة اكثر من الحد الاعلى فى أوروبا بنسبة ٥٪).

وهكذا جلبت امريكا سيولة دولية ضخمة لاستثمارها في امريكا وشكل ذلك طلباً متزايدا على الدولار فارتفع سعره (فى شباط ١٩٨٥ - صرف الدولار بـ ٥ر٣ مارك المانى وهو سعر يفوق قوة الدولار الشرائية بنسبة ٣٠٪) فامتصت الولايات المتحدة سيولا جارفة من الاموال الاوربية تجبيها الفائدة المرتفعة لصالح ميزان الحرب الامريكية ولاحظت الدول الاوربية افتقارها لرؤية الاموال للاستثمار المدنى بعد أن رفع الدولار من ثمن الموارد الاولية والنفط بشكل خاص الذى يستورده العالم كله عدا امريكا لا سيما وأن معظم المواد الاولية فى العالم تقوم بالدولار كنقد عالمى، حتى اليابان ذات النجاح الاقتصادى الباهر تعتمد على السوق الامريكية لبيع صادراتها ويتم التقويم بالدولار نفسه وقد تمكنت امريكا باستخدام الدولار كسلاح نقدى من شراء بضائع تزيد على الثلث بنفس كمية الدولارات مما اثقل كاهل الدول الصناعية ودول الاطلس بشكل خاص التى احتجت بشدة على السياسة النقدية الامريكية.. إذن فهناك عجز خطير فى الموازنة الامريكية - زيادة النفقات على الواردات - وقد عالجت ذلك بمزيد من الديون الداخلية والخارجية، ثم رأت امريكا عام ١٩٨٥م - الايعاز بالهبوط السريع للدولار فانخفض سعره تجاه المارك الالمانى باكثر من الضعف وتجاه الين اليابانى.

ان رفع سعر الدولار ثم تخفيضه بشكل حاد - مكن امريكا من التسليح على حساب الدول الاخرى وهى طريقة شيطانية جعلت امريكا اكبر بلد مدين فى العالم فقد زاد حجم الديون الخارجية على (٢٥٠ مليار دولار)(١٢).

ويزعم الرئيس ريغان - فى تبرير يائس للأزمة المالية أن الترسانة العسكرية التى انشأها فى عهده هى التى ارغمت السوفييت على الموافقة على اتفاقية الحد من الاسلحة الاستراتيجية وفي قمة - ريغان - غوربا تشوف الأولى فى جنيف ١٩٨٥م وفى قمة ريكيافيك ١٩٨٦م تمكنت الولايات المتحدة من كسب بعض التنازلات الروسية فى مجال الاسلحة النووية، وعندما حدثت الازمة المالية طلب - غوربا تشوف تأجيل القمة المنتظرة بين العملاقين حتى تتضح لديه الصورة عن آثار هذه الازمة على الاقتصاد الامريكى، ويرى بعض الامريكيين ان الحشد العسكرى الامريكى الذى صنعه - ريغان - وكلف امريكا اكثر من (٢ تريليون دولار) بعد صفقة خاسرة لانه افقد الولايات المتحدة الامن القومى فى الحياة الاقتصادية وإنما نجح فى جر السوفييت لمفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية.

## العجز الامريكى فى ميزان المدفوعات الامريكية:

لم يقتصر عجز الاقتصاد الامريكى على مديونيته وحدها بل هناك عجز فى الميزان التجارى فقيمة ما تستورده الولايات المتحدة اكثر مما تصدره وهذا بدوره يؤدى الى انخفاض المطلوب من دولارات خارج الولايات وضعف قيمة الدولار يؤدى الى نتيجتين:

١ - يقلل من الاستثمارات الاجنبية فى الولايات المتحدة سواء وظفت فى المشروعات او شراء الاسهم والسندات.

٢ - يسعى البنك المركزى الامريكى الى رفع الفائدة على الدولار تحاشيا لهبوط قيمته.

] وقد زاد العجز فى الميزان التجارى الامريكى عام ١٩٨٦م فوصل الى اكثر من ١٧٠ مليار دولار وهو ما يشكل تأثيرا سلبيا على اسواق الاسهم والسندات.

ان ارتفاع سعر الدولار فى الاسواق الخارجية رفع اسعار السلع الامريكية وجعلها غير قادرة على

المنافسة كما أن قطاع التسليح سحب جميع الامكانيات المالية للصناعة المدنية الامريكية. وبذلك فقدت امريكا هيبتها فى التجارة الدولية مما اضطر الخزانة الامريكية الى الحد من اسعار الفائدة البنكية وترك الدولار يتراجع الى الهاوية وتطلب من المجموعة الاوربية واليابان خفض اسعار فائدتها المصرفية التي مازالت أعلى من الفائدة فى امريكا بسبب الازمة الدولارية المفتعلة وتطلب امريكا من المانيا الالتزام بتنفيذ (اتفاقية اللوفر) التى تتضمن المحافظة على حد أدنى لسعر الدولار وحد أعلى.

ان انخفاض سعر الدولار يصيب الدول المعتمدة على الصادرات (اليابان والمانيا الغربية) بضرر كبير حيث يزيد من سعر سلعها فى الاسواق العالمية لان الدولار هو وحدة النقد العالمية ولابد من رفع اسعار السلع فى تلك الدول تجاه الدولار المنخفض واصبحت الولايات المتحدة على حافة حرب نقدية مع المانيا الغربية واليابان والدول الاوربية وكان المتعاملون فى الاسواق المالية يأملون أن يتوصل الكونجرس الى اتفاق مع الرئيس الامريكى لتخفيض العجز فى الموازنة ـ وهو الامر الذى حدث فيما بعد ـ وكان له أثر ايجابى فى تحسن حالة بورصة نيويورك وتماسك سعر الدولار ولكن تأخير هذا الاتفاق جعل خيبة الامل تتسرب الى نفوس المستثمرين ويحدث الانهيار فى بورصة نيويورك وساعد الكمبيوتر بسرعة ايصاله للمعلومات فى ايجاد الهلع والذعر بين المستثمرين مما سبب فى حدوث الكارثة التى ربما ترجع الى اسباب اقتصادية فى البداية ثم تدخل العوامل النفسية فى التعجيل بالازمة.

## الاسباب التى فجرت الازمة المالية:

لن نتناول الأسباب التي ترجع الى طبيعة النظام الرأسمالى وأثر الدورات الاقتصادية المستمرة فى حدوث هذه الازمات كما أن الاسباب المطروحة من خلال التحليلات الاقتصادية المختلفة لا تشكل القناعة العقلية لتبرير ما حدث على نطاق الاقتصاد العالمي.

ان الاقتصاد الامريكى يشكل المحور الاساسى لاقتصاد العالم فإذا اصيب هذا الاقتصاد بالزكام ربما أصيب الاقتصاد العالمى بالسل الرئوى فآثار الازمة تنسحب على الدول العربية والعالم كله والسبب المحورى الظاهرى الذى يشكل جوهر المشكلة هو العجز المالى الخطير فى ميزان التجارة الامريكى فهناك عجز فى الولايات المتحدة فى ميزانيتها العامة (النفقات ـ الواردات) وفى ميزانها التجارى (صادرات ـ واردات) وقد عملت هذه الاسباب مع طبيعة النظام النقدى العالمى الذى جعل من الدولار عملة عالمية وصاعاً يكتال به كل العالم.

ولكن هذه الاسباب بجملتها تحتاج الى تفصيل فهناك اسباب سياسية واقتصادية متعددة عملت عملها فى الازمة منها:

١ ـ زيادة الخلل بين الدول الصناعية والدول النامية وفشل محادثات الشمال والجنوب والسكوت على الامر الواقع بين مجتمع صناعى يتمتع بالوفرة ومجتمعات نامية أعوزها الخبز.

٢ ـ تراكم الديون العالمية على الدول النامية وهى مشكلة تتفاقم بسرعة حتى عجزت بعض الدول عن سداد خدمة ديونها فضلا عن سداد الدين نفسه.

٣ ـ خلل فى النظام النقدي الدولى الذى مازال يؤمن بسيطرة الدولار ولم تستطع (حقوق السحب الخاصة) ووصفات صندوق النقد الدولى معالجته بالرغم من قلة الطلب على الدولار مع انخفاض كميته وانخفاض سرعة تداوله مما قلل من مكانته كعملة دولية.

٤ ـ وهناك اسباب يعرفها الراسخون فى علم التلاعب بالبورصة ولعلها السبب الرئيسى فى الازمة وهو الاحتيال والمكر من الصيارفة اليهود هناك على عدد من المستثمرين العرب وهو ما يرشحه عدد من الاقتصاديين العرب كما سنرى فى آثار هذه الازمة على الدول العربية.

## آثار الازمة على الدول العربية:

تذكر هنا حكمة لابن عطاء الله الاسكندرى قوله (ربما كانت المنن فى المحن وربما كانت المحن في المنن) فكم من نقمة خرجت من لبوس نعمة وكم من نعمة خرجت من ثياب نقمة. إن الكارثة المالية فى (وول ستريت) هى ضربة يجب الانتباه إليها ولعلها

نبهت كثيرا من اصحاب رؤوس الاموال العرب الى ضرورة العودة الى بلادهم واستثمار اموالهم في العالم الاسلامي فذلك اضمن ربحا وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة. ان ما قرأناه وسمعناه من التبريرات الامريكية للأزمة لا تكون لدينا القناعة الكاملة فمازال وراء الاكمة ما وراءها وما تحت السطح اخطر واكبر من الظاهر للعيان فقبل أن تعطى شاشات الكمبيوتر اشارات الانذار والخطر كان هناك عقول مفكرة وصيارفة ونقاد يحيكون في الخفاء مشروع سرقة على مغلف بأسباب اقتصادية فالخسائر التى حلت بالمستثمرين الخليجيين والعرب لم تتكشف بعد عن كامل ابعادها وما وصل ألينا أن مصر وحدها وهى الدولة المثقلة بالديون قد خسرت في الازمة (٥ر٢) مليار دولار وهى قيمة خسائر شركات الاموال المصرية. وقد طلب رئيس الوزراء المصرى تشكيل لجنة من الدكتور محى الدين الغريب نائب رئيس هيئة الاستثمار ود. محمد حامد رئيس سوق الاوراق المالية بإعداد تقرير مفصل عن حجم الخسائر الحقيقية لشركات الاموال عقب الانهيار الذى اصاب اسواق المال وتم استدعاء اصحاب الشركات للتحقيق بعد الإمتناع عن رد اموال المودعين اثر الكارثة(١٣) وتفيد انباء صحفية ان الاستثمار الكويتى فقد في الازمة ما يقرب من (خمسة بلايين دولار) وهى خسارة من احتياطى الاجيال القادمة كما يقول الاستاذ جاسم خالد السعدون في بحث له بجريدة الوطن الكويتية (١٤) ولا يجدى شيئا قولنا أنه كان بالإمكان تسييل الاسهم والخروج من ساحة الدولار فقد حدث ما حدث والخطأ الاول في طريقة الاستثمار نفسها وعدم الانتباه الى موضوع الجدوى الاقتصادية الدنيوية والاخروية ولا شك أن هناك استثمارات كبيرة وضخمة حلت فيها خسائر كبيرة لا سيما وأن العرب الأثرياء قد اقتحموا - وول ستريت - منذ أواخر السبعينيات وسيطروا على عدد كبير من أسهم شركات امريكية الى حد أن الصحافة الامريكية تحدثت عن (اللوبى العربى) في اسواق المال العالمية مقابل اللوبى الصهيونى الذى هو صانع الأزمة الحالية ومهندسها الاول فهناك حرب سرية بين العرب واليهود في عالم المال تحدثت عنه مجلة الوطن العربى في عددها ٣٢١ نيسان ١٩٨٣م عندما عرضت على حلقات كتاب (هوغ ليغنز) الحرب السرية بين العرب واسرائيل.

* وهذه بعض آراء الاقتصاديين المصريين في تفسيرهم للأزمة:

- يقول د. عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى الاسبق ورئيس الشركة المصرفية العربية: إننا نبحث الامور دائما بعد حدوثها ولا نبحث المؤشرات والعلامات التى تسبقها فمنذ شهور كانت اسعار الاسواق المالية في البورصات العالمية وصلت الى ارقام خيالية ولم يسأل أحد لماذا حدث ذلك والذين يرجعون ما حدث الى ان العجز في الميزان التجارى الامريكي كان قد وصل الى ٥ر١٥ مليار دولار فهذا امر غير معقول لان نصف مليار دولار لا يحدث عجزاً اضافيا يحدث مثل هذه الكارثة فقد كان متوقعا ان يتراوح العجز بين (١٣ - ١٥) مليار دولار وكذلك تفسير ما حدث بارتفاع سعر الفائدة من ٧ - ٩٪ هو غير معقول فقد وصلت الفائدة في السنوات الماضية بتزايد المديونية الامريكية، فهذه الاسباب بمجملها سلطت عليه الاضواء لتعمية الابصار عن الحقيقة الغامضة، ان هناك ازمات وكوارث تحدث لاسباب لا علاقة للانسان بها كما في الكوارث الطبيعية فهناك اسباب ربانية نجهلها واسباب سياسية يكتمها اولئك الذين فجروا الازمة. وربما ادت هذه الازمة دورا ايجابيا في عودة رؤوس الاموال العربية للاستثمار في البلاد العربية وفي مشاريع منتجة تعود بالرخاء على امتنا. ويقول على نجم - محافظ البنك المركزى السابق ورئيس اتحاد المصارف العربية الفرنسية - لا يوجد سبب مباشر لما حدث .. اللهم إلا إذا كان الأمر مخططاً من قبل السماسرة أنفسهم خاصة إذا كان هناك مبالغة في اسعار الأوراق المالية قبل ذلك.

إن تضخيم السماسرة لأحجام التعامل وعمليات العرض والطلب وهم المنفردون في تحديد هذه العمليات عبر وسائل الاتصال السريعة وفي غياب

البائع والمشترى - البيع آجل - يجعلنا نؤكد أن الأزمة مفتعلة وذات مغزى سياسي بعيد عن الاقتصاد وقوانينه. ويقول الدكتور - ابراهيم كامل - استاذ إدارة الأعمال السابق أنه من حسن النية تفسير العجز بالميزان التجاري الامريكي، كسبب للأزمة وتورط امريكا في حرب الخليج على غرار فيتنام ولكن الاحتمال الذي يفترض سوء النية فهو أن الإنهيار موجه أساسا الى الاستثمارات الأجنبية ومعظمها عربية فالأزمة التى عانى منها الاقتصاد الغربي في منتصف السبعينيات ترك جراحا مؤلة وتهديدات بالانتقام وقد نفذت هذه التهديدات بشكل مباشر وغير مباشر من خلال أزمات المضاربة على الذهب والمعادن التى خسرت فيها دول الخليج أموالا ضخمة وجاءت بعد ذلك حرب لبنان وحرب الخليج ولو كانت أسباب الأزمة اقتصادية محضة.. لقد خلت الإدارة المسؤولة عنها ومنعت حدوثها ويقول الدكتور إبراهيم كامل إنه لن تكون هذه الأزمة نهاية المطاف بل هي مقدمة لما يمكن أن يحدث في خطوة قادمة أشد قسوة للإضرار بأصحاب الفوائض البترولية(١٥).

إن ما نراه ونسمعه من التلاعب بأسعار البترول يؤكد لنا أن مبدأ العرض والطلب في الأسواق قد تعطل عن العمل فيما يخص سعر النفط الذي يتلاعب به دهاقنة البورصات والمصارف العالمية فكل المعطيات الحاضرة والمستقبلية تفترض أن يحلق سعر النفط عاليا، فزيادة الطلب العالمي في مواجهة محدودية القدرة على زيادة الانتاج وعدم توفر الأموال الضخمة لتطوير الحقول تؤكد كلها انفجار الطلب العالمي خصوصاً في آسيا ففي هذه السنة ١٩٩٤ ستتحول الصين من حالة التصدير الى حالة الإستيراد كما أن بعض الدول النفطية متوقفة عن الانتاج نهائياً بسبب الحصار الاقتصادى الدولي وتستخدم أوروبا مخزونها النفطي بذكاء مبرمج لتخفيف الطلب وتنخفض الأسعار إلى الحضيض وكل ذلك يستهدف الوصول الى تثبيت حقائق دائمة في سوق النفط تريحها من فاتورة النفط المستقبلية وتقضي على فرصة الدول المنتجة في الحصول على عائدات جيدة كيلا تتحول الى قوة اقتصادية مؤثرة لاسيما بعد ذوبان الاحتياط النقدي لهذه الدول في غمرة الحروب والصرعات المستمرة، وتريد أوروبا وأمريكا دوام انخفاض أسعار النفط لوضع الدول المنتجة في وضع حرج سيضطرها في المستقبل أن تطلب من الحكومات الغربية مساعدتها في تطوير الحقول ورفع الانتاج وعندها ستتقدم هذه المؤسسات الاستعمارية مشكورة لفرض أنماط جديدة من العقود والامتيازات تقوم على المشاركة في الانتاج والاستثمار الطويل أو تأجير الحقول بنفس الأسلوب الذي جرى العمل به في بدايات هذا القرن عندما كانت شركات التنقيب يحظى اليهود بملكية أجزاء كبيرة من أسهمها ورأسمالها. وتفقد الدول المنتجة ما حققته من مكاسب طيلة العقود الماضية في استخلاص حقوقها من شركات النفط الغربية.

إن انخفاض أسعار النفط ليست عملية سوق خاضع للعرض والطلب ذات طابع مؤقت بل هي عملية مستندة لحسابات مستقبلية ترمي إلى ترتيب الأوضاع النفطية من جديد.

---

*الهوامش:*

*(١) مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٨٧/١١/٦ ص٢٣.*

*(٢) جريدة الشرق الاوسط ١٩٨٧/١١/٥ ص٦*

*(٣) جريدة الوطن الكويتية ص٢٠/٥ نوفمبر ١٩٨٧م*

*(٤) جريدة الوطن الكويتية الاربعاء ١٩٨٧/١٠/٢١م.*

*(٥) جريدة الوطن الكويتية - الاربعاء ١٩٨٧/١١/٤م ص١٠*

*(٦) مجلة الصياد اللبنانية فى ١٩٨٧/١٠/٣٠م - ص ٣٨ - ٤٠.*

*(٧) جريدة الاهرام ١٩٨٧/١١/٧ - ص٣.*

*(٨) أصول الاقتصاد السياسي - عبد الحكيم الرفاعى - ص٣٦٩.*

*(٩) الفقه الاسلامي - آفاقه وتطوره - د. عباس حسنى محمد - سلسلة دعوة الحق (١٠) ص١٦٦.*

*(١٠) مجلة المجلة - شباط ١٩٨٢ - ومجلة المجتمع عدد ٥٦١ - ٥٦٦.*

*(١١) جريدة الشرق الاوسط - السبت ١٩٨٧/١١/٧م، مقال د. طلال بن على الجهنى ص١١.*

*(١٢) مجلة العهد عدد ٦٣٤ - ١٤٠٧/١٢/١٠هـ.*

*(١٣) الوطن الكويتية ص٦ - تاريخ ١٩٨٧/١١/٢٨م.*

*(١٤) الوطن الكويتية ص٩ تاريخ ١٩٨٧/١١/٢٣م.*

*(١٥) مجلة آخر ساعة عدد اكتوبر ١٩٨٧ - ص١٠ - ١١.*

# اذكريني

شعر:
**حسن منصور**
خميس مشيط

إن هفا قلبك يوماً باشتياق لنجوم زينت ليل التلاقي
أو لبدر كان من خير الرفاق تلتقي الأعين فيه بعناق

فأذكريني

إن أطل الفجر في الأفق نديا بنسيم داعب القلب الشجيا
وبزهر يرسل العطر الزكيا كشذا شعرك معسول المذاق

فاذكريني

إن رأيت الزهر في الفجر حزيناً مثقلا بالهم قد أرخى الجفونا
ورأيت الطل قد بل العيونا كحبيب مسه دمع الفراق

فاذكريني

إن رأيت الطير غنى بكلام مس أوتار فؤاد مستهام
باحثاً عن خله باقي الذمام بفؤاد في حنين واحتراق

فاذكريني

إن رأيت الغيث يوماً مستهلا ملأ الدنيا رياحين وظلا
رغم طول البعد وافاها وعلا فهو لم ينس عهوداً وهو باق

فاذكريني

إن رأيت الشمس يوماً في الأصيل تتهادى فوق أكتاف النخيل
كمريض مدنف بادى الذبول ضمه الصحب بلطف وارتفاق

فاذكريني

واذا طال عليك الليل بعدي حائراً ما بين أنات وسهد
ودموع سكبها ما كان يجدي ورأيت القلب مشدود الوثاق

فاذكريني

وإذا سرت على درب الحياة فاجعلي للأمس بعض الالتفات
لفتى أهداك أحلى الكلمات واذكري لي كلماتي في البواقي

واذكريني

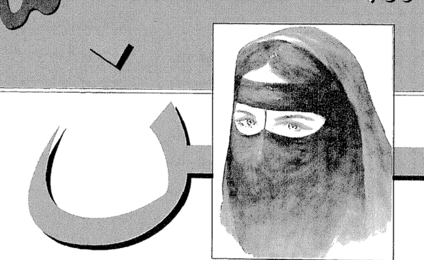
# الموشحات الاندلسية

## أوراق زوجية
ابو عواد / ام عمرو

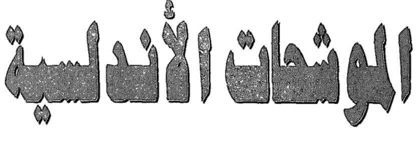
## رسالة الي السيدة الجميلة

## نوافذ على ثقافات العالم

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



# دراسة:



بقلم: **ليلى عبد الفتاح أبو السعود** - الاردن-

شهد الشعر العربي في الأندلس حركة تجديد واسعة، وعلى مدى ستة قرون تقريباً تطورت خلالها مضامينه وأشكاله الفنية، واتسعت بعض أغراضه وشاعت شيوعاً واسعاً مثل شعر الطبيعة ووصف مظاهر الحضارة ومجالس اللهو والغناء وذلك بتأثير البيئة الأندلسية التي جمعت بين جمال الطبيعة الخلاب وتيارات الترف والإنفتاح في مجتمع امتزجت فيه الأجناس والثقافات بين المشرق والمغرب امتزاجاً كبيراً أدى إلى تبادل التأثر والتأثير وظهور نتاج شعري يتمثل به سمات البيئة الجديدة وخصائصها.. وتعدّ الموشحات الأندلسية من الفنون الشعرية التي شاعت في الأندلس ومنحتها تلك البيئة شكلها ومضمونها وخصائصها الفنية.

## نشأة الموشحات:

إن الموشحات بصورتها النهائية التي وصلت إلينا هي أندلسية المنشأ، وهي مرتبطة بالحياة الإجتماعية الأندلسية.

ويجمع معظم النقاد والباحثين على أن ظهورها كان نتيجة لمجموعة من العوامل التي يعود بعضها الى جذور مشرقية حيث بدأت في محاولات بعض الشعراء في المشرق الخروج على نظام القصيدة الشطرية منذ بدايات العصر العباسي. وتمثلت هذه المحاولات في ما أحدثه بعض الشعراء العباسيين مثل أبي نواس وأبي العتاهية من تنويع في الأوزان والقوافي وظهور ما عرف بالمزدوجات وهو أن يؤتى بشطرين من رويّ، ثم بآخرين من رويّ آخر. والمخمسات، وهو أن يؤتى بخمسة أشطر من وزن ورويّ ثم بخمسة أشطر أخرى من وزن ورويّ جديد. وهكذا حتى آخر القصيدة.

وقد شاعت مثل هذه المحاولات التجديدية في تنويع الأوزان وحروف الروي عند عدد من الشعراء المشارقة إلى الحد الذي جعل بعض النقاد والدارسين الذين تتبعوا هذه المحاولات، يرون فيها البدايات التي تلقفها شعراء الأندلس وتوسعوا فيها، فأسهمت مع عدد من المؤثرات الاجتماعية والاقليمية والأدبية في بيئة الأندلس في تكوين الموشحات وفي جعل هذا الفن نتاجاً أندلسياً شكلا ومضموناً.

**ومن هذه العوامل ما يلي:**

١ - تيار اللهو والحياة المترفة وانتشار مجالس السمر في بيئة جميلة وما صاحب ذلك من شيوع الغناء والحاجة الى الشعر الخفيف الذي تنسجم أوزانه وقوافيه مع النغم والموسيقى.

٢ - التجديد الموسيقي الذي أدخله زرياب وتلاميذه في الألحان والغناء في الأندلس وما اشتمل عليه هذا التجديد من تنويع في الإيقاعات والأنغام وتقسيم الغناء مراتباً. وقد اقتضى هذا التجديد في الموسيقى والتنويع في مراتب الغناء، تجديداً في شكل القصيدة المغناة مما ساعد على ظهور الموشح.

٣ - وثمة آراء لبعض الباحثين تجعل للأغنية الشعبية الإسبانية أثرا في ظهور الموشحات.

ومهما تعددت الآراء في العوامل التي أسهمت في تكوين الموشح، تظل الحاجة الغنائية في طليعة هذه

# محاولة الخروج من القصيدة الشطرية كان بدايات الموشح في المشرق

العوامل ويبقى إجماع الباحثين على أن فن التوشيح أندلسي المنشأ وفي البيئة الأندلسية اكتسبت قواعده وأصوله ولم يكد القرن الرابع الهجرى ينتهي حتى أصبح فن الموشحات من الفنون الذائعة في الأدب الأندلسي لا تخلو منه مجالسه ولا تعمر إلا بإنشاده. كما ظهرت أسماء لكبار الوشاحين مثل أبى بكر عبادة بن ماء السماء، وابن اللبانة وابن بقي، والتطيلي، وابن سهل الإشبيلي، وابن زهر الإشبيلي، ولسان الدين بن الخطيب، وأبي عبد الله بن زمرك الغرناطي.

## سبب التسمية :

هناك وجهتا نظر في تعليل تسمية هذا الفن الشعري بالموشح:

الأول - وهي الأشيع - ترى أن لفظ «الموشح» مشتق من «الوشاح» وهو حزام مرصع بالجوهر واللؤلؤ المنظوم تتزين به المرأة. وشبه الموشح به لما فيه من صنعة وترصيع وتزيين وتنويع أوزانه وقوافيه.

أما وجهة النظر الثانية، فترى أن «الموشح» يعني «المُعْلَم» أى أنه الشيء الذي به خطوط أو الوان تخالف سائر لونه، أو الثوب الموشى أو المطرز بألوان وزخارف متداخلة مختلفة عن لونه الأصلى.

ويمكن القول أن كلا الرأيين السابقين يلتقيان عند فكرة و احدة هي أن تسمية هذا الفن بالموشح مستوحاة مما يتميز به الشكل الفني للموشح، من تنويع في الأوزان والقوافي وتتابع الأجزاء بنظام مخصوص، إضافة الى العناية بالصنعة والزخرف اللفظى، والتأنق في المعنى والتنويع الموسيقي الدقيق.

## أجزاء الموشح:

اتخذ الموشح شكلا فنيا محددا يتكون من أجزاء معينة تتردد في الموشح بنظام معروف، ولكل جزء من هذه الأجزاء اسمه الذي اصطلح عليه الوشاحون، ومن الأجزاء الرئيسية التي يتركب منها الموشح ما يعرف «بالمطلع» ثم «الدور» ثم «القفل».

ويؤلف الدور والقفل معا البيت وينتهي الموشح بما يعرف «بالخرجة» وهي القفل الأخير.

ولكي نستطيع توضيح هذه الأجزاء وسائر الأجزاء الفرعية للموشح يحسن بنا أن نتتبعها من خلال موشحة قصيرة لابن مهلهل يصف فيها الطبيعة وصفاً رقيقاً فيقول:

*النهرُ سلَّ حساما* — *على قدود الغصون (مطلع)*

*( غصن )* — *( غصن )*

*والنسيم مجال* — *( سمط )*

*والروض فيه اختيال* — *( سمط ) (دور)*

*مدت عليه ظلال* — *( سمط )*

*والزهر شق كماما* — *وجداً بتلك اللحون (قفل)*

*أما ترى الطير صاحا*

*والصبح في الأفق لاحا*

*والزهر في الروض فاحا*

*والبرق ساق الغماما* — *تبكي بدمع هتون*

*المطلع في الموشحة السابقة هو:*

*النهر سل حساما على قدود الغصون*

ويلاحظ أنه يتكون من قسمين يسمى كل منهما «غصنا» فالمطلع هنا يتكون من غصنين ويجوز أن يتكون من ثلاثة أغصان أو اكثر على أن تلتزم في سائر أقفال الموشح. وقد يخلو الموشح من المطلع فيسمى «بالأقرع» أما إذا بدىء بالمطلع فيسمى تاماً.

الدّور: مجموعة الأقسمة التي تلي المطلع مباشرة، ويسمى كل منها «سمطا» والدور في الموشحة السابقة يتكون من ثلاثة أسماط هي:

*والنسيم مجال*

*دور والروض فيه اختيال*

*مدت عليه ظلال*

ويلاحظ أن قافيتها تختلف عن قافية المطلع كما تختلف عن قافية الدور الثاني في الموشحة السابقة

القفل: وهو ما يلي الدور مباشرة وهو شبيه بالمطلع من حيث القوافي وعدد الأغصان ومثاله في الموشحة السابقة

*قفل «والزهر شقّ كماما وجْداً بتلك اللحون»*

أما البيت في الموشح فأمره مختلف عن البيت في القصيدة إذ انه في الموشح يتكون - في الغالب - من الدور والقفل الذي يليه ومثاله في الموشحة السابقة.

*والنسيم مجال*

*بيت دور والروض فيه اختيال*

*مُدّت عليه ظلال*

*قفل: والزهر شق كماما وجداً بتلك اللحون*

أما «الخرْجَة» فهي القفل الأخير في الموشح. وهي قفل من حيث وزنها وقافيتها إلا أنها تقع في آخر الموشح.

والخرجة نوعان، خرجة فصيحة اللفظ بعيدة عن العامية، وخرجة عامية أو أعجمية الألفاظ، وقد كان بعض الأندلسيين يستحسنونها ويكثرون من استعمالها. ولكنهم يفضلون الخرجة المعربة في موشحات المدح وخاصة إذا ورد بها اسم الممدوح. وتعد الخرجة جزءا هاما في الموشحة يعتنى الشاعر بصياغة وتكثيف المعنى فيه وتصعيد العاطفة وكأنه يضع في الخرجة خلاصة المعنى والإحساس.

ومن أمثلة الخرجات الفصيحة ما قاله الشاعر يوسف بن عتبة الإشبيلي في وصف الرياض ومجلس لهو استمر حتى إطلالة الصباح إذ يقول في الدور الأخير والخرجة:

*فقم بناكرها للإصطباح*

*دور والشهب تُنْثَر من خيط الصباح*

*والقضب ترقص في أيدى الرياح*

*على غناء الحمام والكاس ذات ابتسام*

*خرجة والظلام قتيل والصبح دامي الحسام.*

## أغراض الموشحات:

نظمت الموشحات في أكثر أغراض الشعر المعروفة، من الغزل والمدح والثناء والزهد. ولكن، بما أن الموشحات نشأت في خدمة الغناء، فقد كان من الطبيعي أن تنظم بكثرة في الأغراض التي تناسب هذا الفن، كالغزل ووصف مجالس اللهو والطرب أو وصف الطبيعة. وكثيراً ما كانت الموشحة الواحدة تنشأ وتنشد متضمنة هذه الموضوعات مجتمعة. ثم ما لبثت الموشحات أن ظهرت في مجال المديح بغية التكسب، ولأن قصور الخلفاء والأمراء كثيرا ما كانت تضم مجالس الغناء والسمر فيجد بها بعض الشعراء الوشاحين فرصة للوصول إلى مسامع الأمراء ونيل عطائهم، كما ظهرت موشحات تتغنى بجمال المدن الأندلسية والتشوق إليها وبخاصة حين يبتعد الشعراء عنها ويحنون اليها. ولم يلبث ميدان القول أن اتسع أمام الوشاحين فشمل موضوعات الرثاء والتصوف. وفيما يلي نماذج من موشحات أنشئت في الأغراض

# خفة النغم، عذوبة الايقاع، سهولة اللفظ من العلامات البارزة في الموشح

المذكورة يمكن أن تلقي الضوء على مضامينها وما اشتملت عليه من معان وصور فنية لدى كبار الشعراء الوشاحين في الأندلس أمثال ابن سهل الإشبيلي وموشحته المشهورة في باب الغزل التي يقول فيها:

| | |
|---|---|
| هل درى ظبي الحمى أن قد حمى | قلب صبٍّ حله عن مكنس(١) |
| فهو في حر وخفق مثلما | لعبت ريح الصبا بالقبس |

* * *

| | |
|---|---|
| يا بدوراً أشرقت يوم النوى | غرراً تسلك بي نهج الغرر |
| ما لقلبي، في الهوى، ذنب سوى | منكم الحسن ومن عيني النظر |
| أجتني اللذات مكلوم الجوى | والتذاذي من حبيبي بالفكر |

* * *

| | |
|---|---|
| كلما أشكوه وجدي بسما | كالربى بالعارض المنبجس(٢) |
| إذ يقيم القطر فيها مأتما | وهي من بهجتها في عرس |

تمثل الأجزاء السابقة مطلع الموشح وأحد الأدوار والقفل الذي يليه. ويلاحظ فيها خفة النغم وعذوبة الايقاع الموسيقي دون عمق في المعاني أو حدة في الأفكار فالشاعر يتحدث عن اللهفة والشوق والتعلق بحبيب لا يبالي بشكوى الشاعر وبكائه، بل يقابل ذلك بالإبتسام كما تفعل الربى إذ تزداد جمالا وبهجة كلما ازداد المطر انهماراً. وهكذا لا يوجد في المعاني ما يسترعى الإنتباه سوى اللطف والرقة في المعاني والخيال وتآلف الصور مع الطبيعة كما أن الألفاظ سهلة والعبارات تتسم بالبساطة مما يتلاءم وفن الغناء. ويمكن ملاحظة هذه الخصائص في سائر أجزاء الموشحة إذ يتابع الشاعر الحديث عن معاناته وحرمانه فيقول في البيت الثاني:

| | |
|---|---|
| أيها السائل عن جرمي لديه | لي جزاء الذنب وهو المذنبُ |
| أخذت شمس الضحى من وجنتيه | مشرقاً للشمس فيه مغرب |
| ذهب الدمع بأشواقي إليه | وله خدٌّ بلحظي مذهبُ |

* * *

| | |
|---|---|
| ينبت الورد بغرسي كلما | لاحظته مقلتي في الخلس |
| ليت شعري أي شيء حرما | ذلك الورد على المفترس |

وهكذا تتوالى أجزاء الموشحة بترداد المعاني السطحية مع استعارة الصور اللطيفة من الطبيعة والتلاعب بالمعاني والألفاظ ولكن بخفة ورشاقة وإيقاع جميل. وتعد هذه الخصائص سمة عامة في موشحات ابن سهل الاشبيلي جعلته من أشهر الشعراء الوشاحين في الأندلس حتى اقتدى به كثير من الوشاحين الكبار ونظموا على نسق موشحاته أمثال الشاعر الوزير لسان الدين بن الخطيب، وأبي عبد الله بن زمْرَك.

أما الطبيعة فكانت ملهمة الشعراء والوشاحين، ومنها يستمدون صورهم الرشيقة وخيالهم الرقيق، وهم يصفون مجالس أنسهم التي كانوا يقيمونها في ظلال دوحة وارفة أو حديقة غناء أو على ضفاف نهر سيّال أو غدير صاف وقد زادهم إقبالا على الطبيعة ما تتمتع به بلادهم من جمال خلاب وماء وفير وخضرة دائمة، فهم في موشحاتهم يتوقفون عند كل مظهر من مظاهر الطبيعة فيصفونه أو يتمثلون به ليعبروا عن معانيهم

ومشاعرهم. فالشاعر ابن زمرك يستهل إحدى موشحاته بوصف الفجر كأنه ريحانة أطلت أو راية للصبح نشرت في أفق المشرق، بينما راحت بقايا الشهب تخفق في خفوت، وسط لواعج البرق في ليل ينحسر عن صباح ممطر ندي إذ يقول:

ريحانة الفجر قد أطلت     خضراء بالزهر تزهر
وراية الصبح قد أظلت     في مرقب الشرق تُنشر
فالشهب من غارة الصباح     تُرعد، خوفا وتخفق(٣)
وأدهم الليل في جماح     أعنّة البرق يُطلق
والأفق في ملتقى الرياح     بأدمع الغيث يشرق
والسحب بالجوهر استهلت     فالبرق سيف مجوهر(٤)
صفاحه المذهبات سلّت     في واحة الجو تشهر

ويخاطب ابن سناء الملك السحب في إحدى موشحاته ويطلب منها ان تكلل الربى بالحلي وتحيطها بسوار من الجداول وتفتح الأزهار فيها نجوماً مشرقات فيقول:

كللي يا سحب تيجان الربى بالحلي     واجعلي، سوارها منعطف الجول
يا سما فيك وفي الأرض نجوم وما(٥)
كلما أغربت نجماً أطلعت أنجما(٦)
وهي ما تهطل إلا بالطلاء والدمي
اهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي     وانقلي للدّن طعم الهد والقرنفل

على أن معظم الوشاحين كانوا يمزجون في الموشحة الواحدة بين الغزل ووصف مجالس اللهو والطبيعة معاً كما فعل ابن زهر في قوله:

شاب مسك الليل كافور الصباح     ووشت بالروض أعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلق
وغناء الوُرق بين الورق
كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح     فلك اللهو وشمس الإصطباح
وغزال سامني بالملق
وبرى جسمي وأذكى حُرقي
أهيف مذ سل سيف الحدق
قصرت عنه مشاهير الصفاح     وانثنت بالذعر أغصان الرماح

فابن زهر يستهل موشحته بوصف جوّ عبق بالعطر والألوان فالليل مسك بسواده، والنهار كافور بوضوحه وإشراقه، ومع ايحاءات العطر بذكر المسك والكافور يمتزج عطر الرياض تحمله الرياح وتنشره في كل مكان، وفي مثل هذا الجو يحلو للشاعر اللهو والسمر والغزل فيتابع وصفه بمعان رقيقة - وإن كانت سطحية - وصور مشرقة مستمدة من الطبيعة وألفاظ خفيفة مع عناية بالصنعة كالجناس في قوله «الوُرق والوَرَق» والطباق بين لفظ الليل والنهار وهي ظاهرة شاعت كثيراً في الموشحات الأندلسية.

وهكذا يمكن القول إن الموشحات نشأت لتصف جو الأنس وحياة الرخاء والدَّعة واللهو. ثم لم تلبث أن امتدت إلى أغراض أخرى كالمديح دون أن تتخلى وفي معظم الحالات عن تناول هذا الغرض في إطار وصف الطبيعة ومجلس الأنس فالشاعر لسان الدين بن الخطيب يمدح أمير غرناطة الغني بالله في موشحته المشهورة:

جادك الغيث إذا الغيث همى     يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما     في الكرى أو خلسة المختلس

وهي الموشحة التي عارض فيها ابن سهل الإشبيلي «هل درى ظبي الحمي» وقد رصع لسان الدين الخطيب موشحته هذه بوصف الطبيعة والغزل. وتحدث عن الهوى والشكوى وأيام الأنس وجعل كل هذه المعاني تمهيداً يهدي من خلاله باقات المديح الى الأمير وختمها بخرجة هي مطلع قصيدة ابن سهيل المشار إليها.

والموشحة طويلة يتوصل فيها إلى المدح بقوله في أحد الأقفال:

لاعج في أضلعي قد أضرما     فهي نار في هشيم اليبس
لم يدع في مهجتي إلا ذما     كبقاء الصبح بعد الغلس(٧)

* * *

سلّمي يا نفس في حكم القضا     واعمري الوقت برجعى ومتاب
ودعي ذكر زمان قد مضى     بين عتبى قد تقضت وعتاب(٨)

# حياة الرخاء والدعة ، واللهو، الجو الطبيعي للموشح

واصرفي القول الى المولى والرِّضى    مُلهم التوفيق في أم الكتاب

الكريم المنتهى والمنتمى    أسد السرج وبدر المجلس

ينزل النصر عليه مثلما    ينزل الوحي بروح القدس

***

مصطفى الله سميٌّ المصطفى    الغني بالله عن كل أحد

من إذا ما عقد العهد وفى    وإذا ما فتح الخطب عقد

من بني قيس بن سعد وكفى    حيث بيت النصر مرفوع العمد

حيث بيت النصر محمي الحمى    وجنى الفضل زكي المغرس

والهدى ظل ظليل خيما    والندى هب الى المفترس

***

هاكها يا سبط أنصار العلى    والذي إن عثر الدهر أقال

غادة ألبسها الحسن مُلا    تبهر العين جلاء وصقال

عارضت لفظاً ومعنى وحلى    قول من أنطقه الحب فقال

هل دري ظبي الحمى أن قد حمى    قلب صبٌ حلَّه عن مكنس

فهو في حر وخفق مثلما    لعبت ريح الصبا بالقبس

وهكذا يلاحظ أن لسان الدين تمكن من التنقل ببراعة بين موضوعات لم يؤلف التنقل بينها على هذا النحو في غير الموشحات فقد خلص الشاعر من الموضوعات الطبيعية والغزل والوصف الى مخاطبة النفس ودعوتها الى الرضى والتسليم، بعد انقضاء زمان اللهو والعودة الى الصواب والجد، ويوجه القول الى الممدوح فيصفه بكرم الأصل والوفاء والشجاعة والفضل والمقام الرفيع.

أما الرثاء في فن التوشيح، فقد أسهمت الموشحات في هذا الباب رغبة من الشعراء في الوصول الى كل موضوعات الشعر والسؤال الذي يمكن أن يسأل هنا هو: هل يمكن لفن أنشيء أصلا لخدمة الغناء ومجالس الطرب ان يعبر عن الأسى والحزن أو اللوعة في باب الرثاء؟

يرى معظم الباحثين أن الوشاح يمكن أن يقدم شيئاً ولكنه قد لا يستطيع أن يقدم كل ما يتطلبه الموقف الحزين في مقام الرثاء، من وصف الفجيعة وتصوير مشاعر اللوعة أو تقديم العبرة والعظة من الموقف، نظرا لطبيعة الموشح وتركيبه وقيود الشكل في أجزائه التي تحد من تلقائية الشاعر وربما توقعه في التكلف، وقد غلب على معاني الموشحات في مجال الرثاء تعداد مناقب المرثي وتقديم صفاته وشمائله على نحو يشبه المديح ولكن بحضور صيغة الموت والبكاء.

ومن أمثلة الموشحات في مجال الرثاء ما قاله ابن حزمون في رثاء أب الحملات وهو أحد قادة العرب قتل في بلنسية يقول ابن حزمون في رثائه.

يا عين بكي السراج    لأزهرا، النيرا اللامع

وكان نعم الرتاج،    فكُسِّرا، كي تنثرا مدامع

عهدي بتلك الجهات    أبى الهوى أن أحصيه

يا حادي الركب هات    حدث لنا بمرسيه

أودى أبو الحملات    يا ويحها بلنسية

في طاعة الله مات    حاشا له أن يعصيه

مضى بنفس تهاج،    مُصبِّرا، مصطبرا وطائع

وباعها في الهياج، لقد درى،    ماذا اشترى ذا البائع

يلاحظ أن الشاعر معني بألفاظه وعباراته وتقسيم

الكلام وتشطيره أجزاء تراعي القوافي وحروف الروي أكثر من عنايته بمعانيه وأفكاره التي جاءت سطحية في كل الموشحة لا تعدو وصف المرثي بالشجاعة والاستبسال والصبر وبيع النفس في ساحة الوغى. أما العاطفة فتتمثل في ما عبر عنه الشاعر من لوعة وأسى ومشاعر الحزن وانهمار الدمع إزاء الفجيعة الكبيرة بمقتل المرثى. ومع هذا فالقضية لا تخلو من تكلف مبعثه عناية الشاعر بالألفاظ وصياغة أجزاء الموشح.

ومن الأغراض التي تناولتها الموشحات كذلك، وصف المدن الأندلسية والتغني بجمالها وكثيراً ما كان هذا الوصف ضمن وصف الطبيعة أو مجالس اللهو. ومن أمثلة تغني الوشاحين بجمال المدن الأندلسية ما قاله ابن زمرك متغنياً بجمال غرناطة والحنين إليها:

| | |
|---|---|
| *غرناطة منزل الحبيب* | *وقربها السؤل والوطر* |
| *تبهر بالمنظر العجيب* | *فلا عدا ربعها المطر* |

* * *

| | |
|---|---|
| *عروسة تاجها السبيكة* | *وزهرها الحلي والحلل* |
| *لم ترض من عزها شريكه* | *بحسنها يُضرب المثل* |
| *أيدها الله من مليكه* | *تملكها أشرف الدول* |
| *بدولة المرتجى المهيب* | *الملك الطاهر الأغر* |
| *تختال في بردها القشيب* | *في حالة النور والزهر* |

فالشاعر في هذه الأجزاء من موشحته يصور غرناطة بعروس تاجها من الذهب وحللها من الزهور، وهي في حسنها ليس لها شريكة، وفي الجزء الأخير يتطرق الى مدح الأمير الغني بالله مصوراً عزة غرناطة ومجدها في عهده.

وهكذا يمكن القول إن الموشحات التي أنشئت أصلا لحاجة غنائية وبنيت - شكلا ومضمونا - لتلبية هذه الحاجة إلا أنها اقتفت أثر القصيد وسعت الى تناول جميع الأغراض التي تناولها ولكنها لم تحقق في سائر الأغراض الشعرية من النجاح والتوفيق ما حققته الموشحات التي أنشئت في وصف الطبيعة والغزل ومجالس اللهو ذلك أن الموشحات في هذا المجال جاءت اكثر انسجاماً مع الغاية والهدف الذي ابتدعت من أجله.

### لغة الموشحات وخصائصها الفنية:

تعد الموشحات من حيث الشكل التقليدي للقصيدة العربية ملتزمة وحدة الوزن والقافية وهي بالنسبة للأندلسيين شاهد على قدرتهم على الإبداع والإبتكار. على أن هذا الإبداع والابتكار اقتصر على الشكل الخارجي ولم يستطع أن يتجاوز في مضامينه حدود ما اشتملت عليه القصيدة العربية من معان وأفكار، بل إن الموشحات في كثير من الأحيان قصرت عن بلوغ ما بلغته مضامين الشعر من عمق في المعاني والأفكار ما عدا ما تميزت به بعض الموشحات المشهورة لكبار الوشاحين من حلاوة في النغم وجمال في الإيقاع وأناقة في العبارة والصورة الشعرية كما هو الحال عند ابن زهر أو لسان الدين بن الخطيب أو ابن سهل الإشبيلي وفي أغراض وصف الطبيعة والغزل والغناء خاصة. في حين جاءت الموشحات أكثر تكلفاً في مجال المدح والرثاء والتصوف ويمكن إجمال الخصائص الفنية للموشحات بما يلي:

### ١ - من حيث اللغة:

تفاوت اللغة في الموشحات تفاوتاً كبيراً بين الفصاحة والتزام قواعد اللغة، أو الركاكة والضعف ذلك أن الغاية الغنائية للموشح وائتلافه مع روح العامة قادت اللغة الشعرية في كثير من الحالات إلى التساهل اللغوي بل إن كثيراً من الوشاحين عمد إلى استخدام بعض الألفاظ العامية أو الأعجمية وبخاصة في الخرجة وكان هذا الأمر مستحسناً فيها كما مر.

**٢ ـ الأساليب:**

مالت الأساليب نحو الصنعة البديعية من جناس وطباق وتورية وكثيراً ما أضافت هذه الصنعة قيوداً على الألفاظ والأساليب أدت بها الى مزيد من التكلف والضعف في التركيب في بعض الأحيان.

**٣ ـ المعاني والأفكار:**

اتسمت المعاني والأفكار بالسطحية والبساطة والتكرار لمعان تقليدية مألوفة دون تجديد أو إبداع ولكنها كانت مستمدة من البيئة الأندلسية ممثلة بما فيها من معطيات الحضارة والطبيعة.

**٤ ـ الصور والأخيلة:**

اعتمدت الموشحات في التصوير الشعري على الجانب البياني المستمد من الطبيعة في مجال التشابيه والإستعارات والكنايات، وبخاصة في الموشحات التي تناولت موضوع الغزل ووصف الطبيعة ومجالس اللهو. وقد كانت معظم هذه الصور مألوفة في مجال الوصف، فالقدود غصون، والوجوه بدور والغمام كالوشاح الأبيض، وحبّات البردِ تنتثر كالآلىء، وهكذا تتوالى الصور ببساطة ويسر مع ميل الى تشخيص ظواهر الطبيعة إذ كثيرا ما شبه الشعراء تُفتح أكمام الزهر بالإبتسام أو تثني الغصون بالرقص.

**٥ ـ العواطف:**

تختلف العواطف باختلاف موضوع الموشحة والجو الإنفعالي الذي تعبر عنه ويغلب عليها في مجال الغزل ووصف مجالس اللهو والطرب إنها انفعالات مؤقتة مرهونة بأجواء تلك اللحظات العابرة التي يعيشها الشاعر من دعة العيش وهناءته وهي رصينة هادئة في موضوعات المدح أو الرثاء.

**٦ ـ من حيث الموسيقى الشعرية:**

حظيت الموسيقى الشعرية في الموشحات باهتمام كبير مبعثه حرص الشاعر على تنويع النغم والأوزان وترداد القوافي وحروف الروي على نحو يحقق إيقاعاً رشيقاً يتلاءم مع اللحن والغناء. ولهذا فقد جاءت الموسيقى الشعرية في الموشحات التي تناولت الغزل ووصف الطبيعة ومجالس اللهو اكثر إنسجاماً مع الغاية من الموشحات التي تناولت أغراضاً اخرى.

---

*الهوامش:*

*(١) المكنس: مأوى الظبي.*

*(٢) العارض النجس: الغيم المطر*

*(٣) ترعد: الفعل مبني للمجهول. إذ صور الشاعر قدوم الصباح كأنه الغارة التي جعلت الشهب ترتعش وتختنق خوفاً وهي توشك أن تختفي.*

*(٤) استهلت: أمطرت.*

*(٥) أي في الأرض زهر وماء.*

*(٦) (نجما) الأولى هب النجم في السماء وأنجماً الثانية أي زهر.*

*(٧) الذما: بقية الروح، الغلس: الظلام.*

*(٨) العتبى: الرضى.*

---

*المراجع*


*ـ تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، د. إحسان عباس دار الثقافة، بيروت.*

*ـ تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس الطبعة الرابعة ١٩٧٥ دار الثقافة، بيروت.*

*ـ الأدب الأندلسي ـ موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة الطبعة الخامسة ١٩٨٣ دار العلم للملايين، بيروت.*

*ـ في الأدب الأندلسي، جودت الركابي ١٩٧٠ دار المعارف، القاهرة.*

*ـ الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د. محمد مجيد السعيد.*

*ـ ديوان الموشحات الأندلسية، تحقيق د. سيد غازي المجلد الأول، منشأة المعارف، اسكندرية ١٩٧٩.*

# أوراق زوجية

## أبو عواد / أم عمرو

**٧٤٣ - أبو عواد:**

***ان دورك رئيسي في تربية الأولاد .. من يدري فقد تكونين المسؤول الأول والمباشر عن هذه المهمة .. فلا تحاولي تهميش دورك فيها بوجودي.***

**٧٤٣ - أم عمرو:**

لكل من الأب والأم دور هام في تربية الأبناء يكمل كل منهما الآخر ويعززه ولا تصبح الأم مسئولة وحدها عن تربية الأبناء إلا إذا أصبحت أرملة. أخشى إذا استمر إصرار الآباء على ترك مسئولية التربية للأم وحدها أن تتحول الأسرة مع الزمن الى خلية نحل!

**٧٤٤ - أبو عواد:**

***في مواقف معينة .. في أوقات معينة .. أنت معنية بتحطيم كل هذه القوارير ونثر كل هذه المساحيق وعلب الألوان الزيتية والمائية .. !! وكسر حتى مرآتك لتثبتي ولو لمرة أنك فوق هذه التفاهات المفروضة المرغوبة!!***

**٧٤٤ - أم عمرو:**

إذا أصبح للمرأة دور هام فى الحياة داخل وخارج بيتها فلن تجد وقتاً ولا ضرورة للألوان والمساحيق .. أو حتى تحطيم المرآة والقوارير.

**٧٤٥ - أبو عواد:**

***الرجل يوظف مكاسبه المادية لأشياء معنوية فيما توظف المرأة مكاسبها المعنوية لأشياء مادية.***

**٧٤٥ - أم عمرو:**

إهمال المعنويات والتركيز على الماديات لم يكن أبدا صفة تميز جنسا عن آخر.

**٧٤٦ - أبو عواد:**

***ثمة نساء آية في الجمال .. ونساء حجة في الفكر والمنطق وأخر قمم في العطاء والابداع ونساء أخريات وظفن كل مواهبهن لإحباط كل خطط الرجيم ولكن الذين يعايشونهن عن قرب لهم فيهن رأي آخر.***

**٧٤٦ - أم عمرو:**

.. ربما لأن بعض الرجال يبحث عن سر الحياة بملعقة تحت أغطية قدور وأطباق المطبخ.

**٧٤٧ - أبو عواد:**

***إذا كنت في جلسة طاقمها من المبهورات بالغرب وحياته .. وكن يرددن أغنية مستوردة في حفلة عيد ميلاد لطفل رضيع أو عجوز تجاوزته الكهولة وقد تجمعوا حول كعكة كبيرة وبأيديهم الأطباق .. فلا تنسي أن تترحمي على جدتي التي كانت تأكل «كراديش الشعير» و«غلايس الذرة» بدون «كريمة»!!!***

**٧٤٧ - أم عمرو:**

التشبث بتلابيب الجدود يشبه أحيانا صراخ الأطفال عندما يمسكون بتلابيب الأمهات والآباء مفزوعين من كل جديد أو غريب. لماذا لا نوظف هذا الذى منحنا الله إياه والمسمى بالعقل في الاختيار من الشرق والغرب لما يناسبنا حتى نصنع أنفسنا من جديد في صياغة تناسب طبيعة الزمن الذى لا يتوقف.

**٧٤٨ - أبو عواد:**

***أكره فيك خصلتين نميمتين: رفع صوتك عليّ ورغبتك الموثقة بممارسة دور***

*المحاسب على تصرفاتي العاقله.. فكأنما الرجل محكوم عليه أن ينتقل من وصاية الى وصاية.. في وقت تطالب فيه الأمم المتفرنجه بالمزيد من الحقوق للمرأة.*

**٧٤٨ـ أم عمرو:**

المحاسبة نوع من الضعف لطرفيها. والشراكة الأفضل في الزواج تقوم على أساس التواصل والتفاهم بين الزوجين.

**٧٤٩ـ أبو عواد:**

*ليس جميع الذين لا يقيمون وزناً لمشاعر المرأة قساة القلوب.. فقد تكون الخبرة الذاتية أو المكتسبة قد علمتهم أن استدرار العطف من قبلها أو التقرير بالاعجاب والاستحواذ عليه انما هي في الغالب وسيلة طيبة لمآرب في الغالب طيبة.*

*.أو على نحو من هذا.*

**٧٤٩ـ أم عمرو:**

بعض الرجال لا يشعر بالثقة فى نفسه لدرجة تجعله يحتفظ بكل ما بداخله ويخاف من البوح حتى بكلمة طيبة. هناك فارق كبير بين التجاهل والتزلف والإعجاب أو المديح المقبول. الأخير ضرورى لأى علاقة حتى تستمر وتقوى.

**٧٥٠ـ أبو عواد:**

*بعض النساء كبعض الموظفين اذا أعطاهم صاحب العمل وجها خربُوا..*

**٧٥٠ـ أم عمرو:**

من الأسلم للأزواج ألا يتصوروا زوجاتهم موظفات عندهم. فلن يكون هناك أجر كاف لهن ولن يكفى الزوج عشرة أضعاف أجره للوفاء بأجر زوجته، لذا أقول لهم: إن إعطاء الوجه سيكون أرخص بكثير..

**٧٥١ـ أبو عواد:**

*اذا وصل الأمر بأحد أبنائك أن يرفع يده عليك.. فاسمحي لي أن أقول إنك راسبة في مساق التربية.. وأنك حصدت دون شك ما زرعت..*

**٧٥١ـ أم عمرو:**

إذا وصل أحد الأبناء الى رفع يده على أمه فأنا أعتقد أن الأبوين مسئولان عن هذا.. واعتقد اكثر من ذلك أن هذا الابن كان ضحية أب ممن يرفعون أيديهم على زوجاتهم حيث يتعلم الابن أن هذا السلوك جائز مع الأم.

**٧٥٢ـ أبو عواد:**

*الرجل اذا قيل له إنه محكوم لزوجته اعتبرها اهانه.. إلا اذا كانت تلك المرأة رئيسته في العمل.. لهذا فلا أحد يحب أن يعمل عند زوجته.*

**٧٥٢ـ أم عمرو:**

العبودية لله وحده والعلاقة الزوجية هى علاقة مودة ورحمة وكما يقول أحد الأمثال: «الحرية هي أن نؤدب أنفسنا فلا نحتاج تأديب غيرنا لنا»..

**٧٥٣ـ أبو عواد:**

*رغم أنف زوجتي.. ورغم الطّفر.. والأعباء.. لو أقنعتني امرأة انها تختلف عن زوجتي لما ترددت في الزواج.. ولكن الاكيد انني لن أتزوج فـ «ضربتان بالرأس ـ كما يقولون ـ مؤلمة».*

**٧٥٣ـ أم عمرو:**

يقول ابن المقفع «إنما النساء أشباه وما يرى فى العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن عن معروفاتهن باطل وخدعة». إضافة الى أن من تطمع عيناه الى ما ليس عنده منهن تقلّ مروءته ويذهب وقاره ويضيع ماله وما أكثر هؤلاء!.

## طرفة في مدار وحيد:

هو شاعر من شعراء الجاهلية البارزين، لقبه «طرفة» غلب على اسمه عمرو بن العبد، فعرف بـ «طرفة بن العبد» من بني بكر بن وائل، أبوه العبد البكري شاعر، وأمه وردة ذات نسب رفيع وجده وعماه المرقش الأكبر والمرقش الأصغر وخاله المتلمس جميعهم شعراء، ما اكسبه هذه المكانة العالية في الشعر العربي.

ولد طرفة في البحرين عام ٥٤٣م، ومات شاباً لم يكمل الثلاثين من العمر، إذ قتل فى عام ٥٦٩م بيد رجل من تغلب استعمله ملك الحيرة على البحرين بعد أن رفض عامل البحرين السابق قتله لنسب بينهما، وتروي الكتب أن عمرو بن هند ملك الحيرة كتب لكل من طرفة والمتلمس ، وكان في نفسه موجدة عليهما، كتاباً إلى عامله فى البحرين أمر لهما فيه بعطاء يجريه لهما على يد عامله، وطلب منهما أن يمضيا بالكتاب اليه فى الحال، وبينما هما فى الطريق شك المتلمس بما فى كتابه ففضه فوجد فيه أمراً بقتله، فمزق الكتاب وألقاه فى نهر مرّاً بقربه، ثم قال لطرفه أن يطلع على مضمون كتابه أيضاً لكنه لم يفعل، بل سار حتى قدم على عامل البحرين ودفع اليه بالكتاب، فلما وقف عليه العامل أوعز إلى طرفه بالهرب لما كان بينه وبين الشاعر من نسب فأبى، فحبسه الوالي وكتب الى عمرو بن هند قائلا «إبعث الى عملك من تريد، فإني غير قاتله»، فبعث ملك الحيرة رجلا من تغلب واستعمله على البحرين، فجيء بطرفة إليه فقال له «إني قاتلك لا محالة فاختر لنفسك ميتة تهواها» ثم قتله.

وتظهر هذه الحادثة مدى ما كان يتميز به طرفة من قوة الشخصية والشعور بالاعتزاز بالنفس والتمسك بالشيم البدوية الأصيلة وأبرزها الشجاعة والنجدة وإباء الضيم، بالاضافة الى حرية التفكير والصراحة فى القول والعمل، والتمسك بالحرية والحيوية التي تميز الشباب في مثل سنه، كما كان يمتلك حكمة في فهم أمور الحياة ومعالجتها في إطار المحافظة على كرامة النفس.

عرف طرفه بشاعريته الفذة بالرغم من عمره القصير، وتمثلت هذه الشاعرية فيما يقارب ٦٦٠ بيتاً من الشعر خلفها وراءه أشهرها معلقته الدالية المؤلفة من ١٠٤ أبيات مليئة بكل ما يميز الشعر الانساني، وما يمثل خير تمثيل حياته المتقلبة بين اللهو والعزة والتشرد والضياع، فمنذ مات أبوه وهو بعد صغيرا يلقى معاملة سيئة من أعمامه الذين كفلوه، ويرى كيف هضموا حقوق أمه البعيدة عن قومها فيتهددهم بأبيات من الشعر يقول فيها:

ما تنظرون بحق وردة فيكم
صغر البنون ورهط وردة غيب

قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب

والظلم فرق بين حيي وائل
بكر تساقيها المنايا تغلب

وقد طردته قبيلته وهو فتى لأنه ظل مكابراً لا يرعوى ولا ينصاع لما يؤمر به راح يضرب فى البلاد على ظهر ناقته، فكان يغزو تارة، وتارة يأوى الى مغاور الجبال، وتارة يبحث بلا هدف حتى وصل الى الحبشة، وعندما تعب من الترحل قرر العودة الى عشيرته، وقبل أن يرعى إبل أخيه لأبيه معبد، لكنه لم يستطع الاستمرار في ذلك وهو الشاعر الشاب الفخور بنفسه وبقومه، فعاد الى حياة التنقل فى البلاد حتى وصل الى ملك الحيرة عمرو بن هند الذي قربه وجعل مكانه بين جلسائه، لكن روح الشباب المتوثبة فى داخله لم تتوقف عن الحركة والموران، واستغل بعض الوشاة أمراً ما فأوغروا صدر الملك ضده، فهجاه مع أخيه قابوس بن هند بأبيات منها:

فليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند

**نهاوند عبد الله - جدة**

نوافذ على ثقافات العالم

ليـــخلطُ ملكه نوكُ كـــثـــيـــر

وتلك الأبيات كانت السبب في مقتله فيما بعد.

يقول حنا فاخوري عن طرفه «كثيرون هم الذين فضلوا معلقة طرفة على جميع الشعر الجاهلي لأنها تزخر بالشعر الانساني، بعواطف متضاربة، باراء في الحياة والموت وبفوائد تاريخية، وبما يفيد الفن من جمال وصف وبراعة تشبيه، وقوة تعبير، وفي هذه المطولة أروع شرح لأحوال نفس شابة وقلب متوثب عرفا الحياة، وجهلا معناها السامي، فأصاب كثيراً، وأخطأ كثيراً، وكان شاعراً قبل كل شيء، صادقاً بعد كل شيء، محبباً أبداً».

ولقد تضمنت هذه القصيدة الرائعة الكثير من المعاني السامية، والأفكار الجريئة والحادة، والوصف الابداعي، الى جانب الفلسفة الشخصية التي برزت في أبياتها على صورة آراء في كل ما مر به الشاعر في حياته، ولعل قوله فيها:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

يعطى فكرة واضحة عن أسلوب طرفة بن العبد وفلسفته، ويفسر مالاقاه فى حياته القصيرة من عنت وظلم ومصاعب، قابلها بالتحدي لأنه يرى في الموت أمراً لابد منه لا يميز بين غني وفقير وكريم وبخيل وجبان وشجاع، ووصفه وصفاً مدهشاً بقوله:

ألا أيها اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد
أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوى في البطالة مفسد
إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
ولكن نفى عنى الرجال جراءتي
عليهم واقدامى وصدقى ومحتدي
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني
منيعاً إذا بلّت بقائمة يدي

لقد عاش طرفة بن العبد حياة قصيرة، لكنها كانت مزدحمة، فلم يبق فيها مكان لغير الشعر الذي فطر عليه صغيراً، ثم تغنى به فتى، حتى اكتنفه من كل جانب.

## * من الأدب الانكليزي:

## «أغنية الواطئين»

هذه فقرات من قصيدة طويلة كتبها الشاعر الانكليزي ايرنست جونز الذي عاش في الفترة من ١٨١٩م إلى ١٨٦٩م، خمسين سنة كانت حافلة بالعطاء الابداعي لشاعر من زعماء الحركة الوثيقية التي قام بها بعض المسلحين السياسيين الانكليز في القرن التاسع عشر، وهي الحركة التي كانت تطالب بتحسين الأوضاع المعيشية للعمال وتطوير ظروف عملهم، وقد حكم عليه في عام ١٨٤٨م بالسجن المنفرد لمدة سنتين بتهمة التحريض على الفتنة، فكتب قصيدته التي حملت عنوان «أغنية الواطئين» ولاقت قبولا كبيراً في صفوف العمال الانكليز وانتشرت بينهم انتشاراً واسعا وبسرعة، حتى صار لها لحن خاص تغنى به.

قيل عن ايرنست جونز إنه الانكليزي الوحيد المثقف بين السياسيين الذين هم في أعماقهم الى جانب العمال:

نحن نفلح ونبذر،
فنحن واطئون جداً جداً جداً.
إلى درجة أننا ننقب في الطين القذر
إلى أن نبارك السهل بالقمح الذهبي
والوادي بالتبن المعطر

* * *

مكاننا نعرفه، فنحن واطئون جداً
إنه تحت ، عند أقدام المالك
ونحن لسنا واطئين

إلى درجة أن لا نصنع الخبز
لكننا واطئون إلى درجة أن لا نأكله

* * *

نحن واطئون ، واطئون،
نحن واطئون جداً جداً
إلا أنه من أصابعنا يتسلسل الجدول الحريري
والأردية المتوهجة حول أطراف أبناء الأبهة
ما نحصل عليه ، وما نمنحه
نعرفه، ونعرف حصتنا
نحن لسنا واطئين
إلى درجة أن لا نحيك الملابس،
لكننا واطئون الى درجة أن لا نرتديها.

* * *

نحن واطئون ، واطئون
نحن واطئون جداً جداً
ولكن حين يدق النفير
فإن الطعنة من زند رجل فقير
تخترق قلب أكثر الأعداء غطرسة!
نحن واطئون ، واطئون
نعرف مكاننا..
نحن مجرد صف الجنود والرتل
لسنا واطئين الى درجة أن لا نقتل العدو
لكننا واطئون الى درجة أن لا نمس الغنائم

## * من الأدب التركي:
## «قصص من الحياة»

القاص التركي فخري اردينتش، من أبرز كتاب القصة، الأتراك الذين تجاوزت شهرتهم بلادهم حتى ترجمت أعماله الى العديد من اللغات العالمية مثل الروسية والألمانية والفرنسية والانكليزية ومعظم لغات بلدان أوروبا الشرقية بالإضافة الى اللغة العربية.

قال عنه ناظم حكمت الأديب التركي الكبير في المقدمة التى كتبها لمجموعته القصصية التي تحمل عنوان «حكاية بلادي» إنه كاتب واقعي، وقاص بارز متمكن من لغته، واعتبره النقاد من أكثر الكتاب إحساساً بتفاصيل الحياة اليومية للناس البسطاء الذين كانوا يبدون وكأنهم يعيشون على هامش الحياة. ولد فخرى اردينتش عام ١٩١٧ في مدينة اكخسيار، ثم انتقل للعيش في بلغاريا هرباً من الملاحقة السياسية، وعمل لفترة طويلة رئيساً لقسم الأدب التركي في دار النشر البلغارية «نارودنا بروسفينا».

** من أشهر مؤلفاته:

- مجموعة قصص «العقارب» ١٩٥٢م.
- مجموعة قصص «المتمرد» ١٩٥٥م.
- ديوان «على هذا المنوال» ١٩٥٦م.
- رواية «رجل ما يدعى علي» ١٩٥٨م.
- مجموعة قصص «حكاية بلادي» ١٩٦٠م.
- رواية «اللقمة المرة» ١٩٦١م.
- مجموعة قصص «مقبرة الأحياء» ١٩٦٤م.
- رواية «أين كوريا» ١٩٦٦م.
- مجموعة قصص «المتاريس الحية» ١٩٧٣م.

من قصة بعنوان «مرآة» للكاتب التركي فخري اردينتش نقتطف هذا المقطع: «أخيراً عينت، كانت وظيفتى تصحيح أخطاء جريدة «الحقيقة» المسائية الشهيرة، أعني الاخطاء الاملائية، لأن بقية أخطائها وخطاياها لا يمكن للمرء أن يصححها إلا إذا مزق الجريدة ورماها.

كان هناك مصحح آخر، زميلي معلم متقاعد اسمه معمر أفندي، وفي اليوم الأول أخذ يمتحنني، وبعد سؤال «من أين أنت؟» وما شابه ذلك وبعد سماع اجوبتي، لم يكن من الصعب أن نتفاهم ولقننى قبل أي شيء آخر الدرس التالي:

- افتح عينيك جيداً، انتبه لعناوين الصفحة الأولى، إن رأيت كلمتي «اسمت اينونو» فاقرأ كل حرف تسعاً وعشرين مرة، لأنك ستهلك يا بني إذا أصبح اسم «اسمت» «سميت» كما هو في الحقيقة!

ربما كان ذلك هو السبب في أن معمر أفندى

يصحح بزوجين من النظارات وعندما يضطره الأمر يبحث عن عدسته الضخمه، وأي شيء يجده المرء على طاولته: أقلام ملونة، موسى بمقبض من العظم، علب للنظارات، عدة زجاجات من الفاليوم، كيس مليء بالصودا بيكربونات، علبة سجائر، قداحة.. كان زميلي، وهو يصحح، يشتم بعد كل جملة: «ابن القذرة، هذا الكاتب، واولئك الذين يدفعونه للكتابة..»

ومنذ المساء الأول أوضح لي:

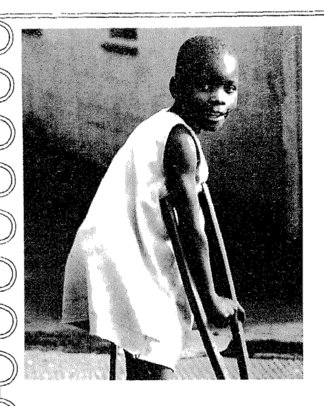
- يا بني إذا كنت مصححا لجرائد كهذه، ولم تشتم، فإنك ستذهب بأول قطار سريع الى المقبرة!

كانت الجريدة لسان حال ذاك الجانب الذي تهب الريح منه، وما تزال حتى الآن كذلك، وهي ترفع خلال أيام الأسبوع الستة، الى السماء السابعة «المساعدة» الأميركية، وفي اليوم الأخير تطلق على سبيل التنويع بالوناً منفوخاً إلى درجة الانفجار، ضد الدول الواقعة خلف الستار الحديدي.

كنا نعلق بعد قراءة العناوين، يصل مثلا موضوع الصفحة الأولي: «وزير الخارجية يسافر!» فيضيف معمر أفندي «ليذهب إلى الجحيم» «وزير الاحتكارات سيقدم الى المحكمة العليا» يقول: «لا تعر ذلك أي اهتمام، إنها لعبة، الأفعى لا تلسع أفعى، سيبرئونه.

«براءة وزير التجارة المتهم بقضية القمح» يقول: «حقاً إنه بريء تماماً ، لقد صرخ في خطابه أمام المجلس النيابي دفاعاً عن نفسه قائلا: إن ثروات الوطن مثل البحر، والخنزير هو الذي لا يمد يده إليها، أي أن جبيني مكشوف، ووجهي نظيف، أغسله كل صباح بالصابون، واهتز المجلس من صيحات الاستحسان - برافو - ومن التصفيق المتواصل، لدرجة أن محطة الإرصاد في استانبول سجلت هزة أرضية شديدة استمرت ١٧ ثانية».

هل تريدون مزيداً من هذه المواضيع الهامة التي تنشرها الجريدة؟



## * في التصوير الضوئي: «صرخة للعالم»

في التصوير الضوئي، وعندما يدرك المصور أن مهمته إنسانية وجمالية وفنية في آن معاً، تكون النتائج إبداعا يتمثل في الصور المدهشة التي يمكن لآلة تصويره أن تلتقطها عندما يكتشفها هو بحسه الخاص في كل شيء من حولنا. في هذه الصورة نستطيع أن نكتشف من اللحظة الأولى أن الموضوع أكبر كثيراً من مجرد فكرة غريبة اكتشفها في هذا الموقف المصور العالمي مايك ويلز، عندما صور هذه الطفلة وهي تضع قدمها السليم في حذاء امرأة والبؤس هو الملمح الأساسي في المشهد ككل.

الموضوع هو تذكير العالم بمدى ما يتركه أي نوع من الأمراض السارية على الأطفال بصورة خاصة من آثار خطيرة، فهذه الطفلة ضحية شلل الأطفال، والنتيجة تحرك على عكازين خشبيين نحو مستقبل مظلم غير محدد المعالم.

إنها صرخة استنجاد أن يكون هناك اهتمام عالمي بانقاذ الطفولة من كل ما يهددها.

# رسالة الى السيدة الحبيبة

## من العباس بن الأحنف

**محمد عبد الواحد حجازى**
مصر

* هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة
* شاعر غزل طريف من شعراء الدولة العباسية
* لم يكن يتجاوز الغزل الى مدح أو هجاء.
* لم يكن خليعا ولا ماجنا

**حبيبتى زوجتى ظلوم:**

من رياض خراسان ومغانيها ونحن نتنقل من مغنى الى مغنى، ومن روض الى روض حيث الحياة فرحة سكرى بابتهاج أمير المؤمنين الرشيد .. أعز الله ملكه وأيده وأدام سعده. ونحن فى معيته وحاشيته يكون صباحنا للصيد والطرد، وفى الظهر يكون الغداء والراحة، وفى العشاء أنس وطرب فتترنم الأوتار بأعذب الألحان وتنطق الحناجر بعبقرى القصيد، والوجوه يعلوها البشر والحبور.. هكذا حياتنا فى رحلة أمير المؤمنين الى خراسان.. وطوالها ما غفل خاطرى عنك يا ظلوم، يا مهجة الروح، وفى يوم وعند القيلولة أخذتنى سنة من نعاس فرأيت حلما فتمنيت لو أنى عشت به سكراً طول عمرى.. رأيت أننى رجعت شاباً فتيا كما كنت، وأننى جالس فى وادى الرميلة تحت شجرة كريمة الظلال وكان المشهد القديم الذى كان لى معك فى أول لقاء تم بيننا .. حاولت أن أحادثك ولكن الحياء من جمالك عقد لسانى، ولم أدر إلا ودموعى تنهمر فقلت:

لاجزى الله دمع عينى خيرا
وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا
ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌّ
فاستدلوا عليه بالعنوان

**حبيبتى زوجتى ظلوم:**

ثم رأيتك ترقين لحالى وتعطفين علىّ، وتوحى إلىّ عيناك بأن هواي ملأ وجدانك وغمر مشاعرك ولكنك قلت لى محذرة: إياك يا عباس أن يراك أحد من أهلى فأبناء عمى كثير، وهم غُيُر، إن رأوك ربما نالك منهم أذى .. ثم رأيتنى فى منامى وكأن حبك قد أطار النوم من عينى من شدة وجدى بك ولهفتى عليك، وشكوت حالى إلى صديقيَّ قائلا:

قفا خبرانى أيها الرجلان
عن النوم الذى الهجر عنه نهاني
وكيف يكون النوم أو كيف طعمه
صفا النوم لى إن كنتما تصفان
وإنى لمشتاق إلى النوم فاعلما
ولا عهد لى بالنوم منذ زمان

ورأيتنى كأننى دهش من كثرة إخلافك لمواعيدى. واعتذارك عن لقائى بأسباب كلما فكرت فيها أدركت أنها لا تثبت على فحص ولا تستقيم على منطق فخشيت أن تكونى قد مللتنى ومن يدرى؟

لو كنت عاتبة لسكّن لوعتى
أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لى حيلة
صد الملول خلاف صد العاتب

] ورأيتنى فى عتبى لك أناجيك، بل أنبهك وأناديك متسائلا، وفى نفس الوقت ضارعاً إلى ربى أن يرحمنى من ظلمك الذى أنزلته بى وكأننى لست حبك الذى استهويته بحسنك وجمالك فقلت ما

سـبق لى أن رددته فى يقظتى:

إن قال لم يفعل وإن سيل لم
يبذل وإن عوتب لم يعتب
صب بعصيانى ولو قال لى
لم تشرب الماء البارد لم أشرب
إليك أشكو ربّ ما حل بى
من ظلم هذا المذنب المغضب

**حبيبتى زوجتى ظلوم:**

ورأيتك تعتبين علىّ أن صار سر حبنا مذاعاً يتناقله الناس، وكأنك كنت تريدين منى أن أكتم حبى فى صدرى. وهل استطاع إنسان أن يفعل ذلك من يوم أن خلقت الدنيا؟ هل استطاع محب صادق فى حبه أن يكتمه فى صدره فيقهره على غير طبعه؟ الحب تفتح للحياة والنور، والحب تفتح للتآلف والتعارف:

الحب أملك للفؤاد بقهره
من أن يرى للسر فيه نصيب
وإذا بدا سر اللبيب فإنه
لم يبد إلا والفتى مغلوب

عجيب أمرك والله يا ظلوم، سمتنى سوء العذاب، كأن الحب قد أوصاك بتعذيبى وأن تفتنى فى ابتداع أساليب الظلم وفى رؤياى رأيتك تسألينني عن سر وهنى وضعف جسمى، فقلت لك:

قالت ظلوم سمية الظلم
مالى رأيتك ناحل الجسم
يا من رد قلبى فأقصده
أنت العليم بموقع السهم

ثم قلت لك: كأنك ما دريت أنك التى سلبتنى بهجة الحب وسروره بصدودك وظلمك؟.. ماذا أقول يا إلهى؟ لقد جرى على لسانى قولى:

سلبتنى من السرور ثيابا
وكستنى من الهموم ثيابا
كلما أغلقت من الوصل بابا
فتحت لى إلى المنية بابا
عذبينى بكل شيء سوى الصـ
ـد فما ذقت كالصدود عذابا

ومن الطريف أننى وأنا فى هذه المرحلة من رؤياى، وجدت نفسى وأنا أنصح نفسى أن أتحمل عذاب الحب وضناه، وأن أتحمل عذاب الصدود وأساه، وأن اتحمل قسوة الطبع وجفاه، فقلت:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه
وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إلا تغفر الذنب فى الهوى
يفارقك من تهوى وأنفك راغم

هكذا فى رؤياى رأيتك تتحكمين وتظلمين، وفى تحكمك تجدين متعة، وفى ظلمك تنعمين بنوم هنيء.. يا عجبا!!

نام من أهدى لى الأرقا
مستريحاً سامنى قلقا
كان لي قلب أعيش به
فاصطلى بالنار فاحترقا
أنا إن لم أرزق مودتها
إنما للعبد ما رزقا

حبيبتى زوجتى ظلوم:

وكان آخر مشهد لرؤياى أننى وجدت نفسى أضرع إليك مستنصرا بحبك أن يرحم قلبى من لوعة القلق ولظى الحرمان، فقلت لك:

وإنى ليرضينى قليل نوالكم
وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بينى وبينكم
من الود إلا عدتم بجميل

وفجأة انتبهت من حُلمى على صوت ينادينى: انهض يا أبا الأحنف فإن موكب أمير المؤمنين الرشيد يوشك أن يتحرك إلى أرمينية.




د. أبو حسام
المنصورة

## ١٢١ ـ عاشق مريض :

عرض عليّ أحد الأصدقاء قصيدة غزلية ذات حنين دافق، ليأخذ رأيي فيها. فقلت إنها من جيد الشعر وتدل على تجربة صادقة فلمن هي؟ فقال إن صاحبها مريض بمستشفى الأمراض العقلية، وقد نظمها وكثيراً من أمثالها في هذا المكان الحزين! فقلت: ولكنها شعر إنسان عاقل ذي مقدرة على تصوير الخوالج وتشريح الأحاسيس، فقال: يعود له عقله الفينة بعد الفينة، فيطلب الورق والقلم وينظم هذه المقطوعات، وقد يستمر شهورا متطاولة دون أن تصيبه اللوثة، ولكن أهله يؤثرون بقاءه في المستشفى، ولا مانع لدى أطبّائها من أن يخرج، على أن تراعى حالته في منزله، فيظل تحت المراقبة الدقيقة.

قلت ولماذا يصر أهله على ذلك؟ قال: إن الشاعر الحزين ما يكاد يأتي إلى قريته حتى يهيج هائجه وينطلق إلى منزل ليلاه كالهائم المخبول، وهي شابة متزوجة من سواه، وقد يرقّ أهله فيتركون له أن يطوف بالمنزل في منتصف الليل حين يهجع الناس، فلا يراه أحد، لذلك آثر ذووه أن يبتعد في المستشفى تجنبا للهرج! ومن الغرائب أنه نظم قصيدة ممتازة وأعطاها لبعض زائريه فتجرأ هذا الصفيق على أن ينشرها باسمه في صحيفة سيارة، وقد علم العاشق فلم يغضب، وقال لقد رفهت عن نفسي، وما يهمني أن أكون شاعراً عند الناس، ولكن عندها! قلت: وهل تقرأ ليلاه شعره! قال ـ للأسف ـ هي تكرهه، ولا تشعر نحوه بأدنى عاطفة، ولكنه مع علمه بهذه الحقيقة يهيم بها، ويتحدث في شعره عن لقاءات خيالية، لا أدري أأوحتها إليه أحلام اليقظة أم أضغاث الرقاد.

قلبت كفا على كف آسفا، ولم أستطع غير أن أقول: له الله من مسكين!

## ١٢٢ ـ (مريض ثان) :

أذكر أن الأديب الكبير الأستاذ على الطنطاوي تحدث في الثلاثينيات عن مجنون (عاقل) رآه في زيارة لإحدى المصحات العقلية، وقال عنه إنه كان عارياً إلا من خرقة تستر عورته، وله لحية تبلغ سرته وتحجب صدره، وكان قبل جنونه شيخاً من ذوي الفضل، يقرأ كتب الأدب والدين والتصوف، ويسمى الشيخ فضل الحموي.

قال الأستاذ الطنطاوي، وهرعت إليه مع رفيق لي، حين رأيناه مستترا تحت ظلال شجر ممتد، فقلت له بعد التحية: ألا تسير بنا إلى النور؟ فقال لنا وهو يضحك، لولا أننا هنا ـ في المصحة العقلية ـ لقلت إن نوركم كاف، ولكن لا داعي للنفاق في هذا المكان! قلت: وهل ترى نوراً تحت الشجر المتكاثف؟ فقال: إن في كل كائن نوراً وجمالا، ولكن العيون المدركة قليلة، إن الناس جميعا يؤخذون بجمال القمر ولكن الشمس لا

يؤخذ بجمالها إلا من كانت له عين تصبر على نورها ولذلك كان الشمسيون (والتعبير له) أقل من القمريين وأندر، وهؤلاء هم الكبار، فإذا جاوزوا مرحلة الشمس ونفذوا منها إلى السديم، استوى عندهم جمال القمر، وجمال النجم، واستوت عندهم الظلمة والنور.. ثم تكلم ساعة فى مثل هذا المنحى، ففسَّر آيات وشرح أحاديث، وأتى بكلام ما سمعت مثله، ولا قرأته، وكاد يمضى في حديثه الى الليل، لولا أن قرع الناقوس ليجمع هؤلاء، فقلت له: لقد استفدت منك كثيرا، فضحك وقال: أعاقل يستفيد من مجنون؟!

## ١٢٣ ـ فى القديم:

هذا من الحديث، أما القديم فما أكثر طرائفه وكتب المحاضرات والمسامرات تزدحم بالعُجاب العاجب من نوادر القوم، ولعل من أطرفها ما تحدث به صاحب العقد الفريد عن رجل في زمن المهدى العباسى كان يتجن ليجد السبيل الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يركب قصبته في كل جمعة يومين فى الاثنين والخميس فإذا ركب وأقبل، فليس لمعلّم على تلاميذه حكم ولا طاعة، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان فيصعد تلا، ثم ينادى بأعلى صوته: ما فعل النبيون والمرسلون؟ أليسوا فى عليين؟ فيقولون نعم، فيقول: هاتوا أبا بكر الصديق، فأُخذ غلام فأجلس بين يديه، فيثنى عليه، ويتركه، ثم يقول هاتوا عمر بن الخطاب فيفعل بغلام اخر ما فعل بغلام أبى بكر مادحاً مثنيا، وكذلك الأمر فى عليّ وعثمان حتى يجيء دور معاوية فيقول: هاتوه: فيجلس غلام بين يديه فيقول له: أنت قاتل عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت وحجر بن عدي، وقد جعلت الخلافة ملكا، واستأثرت بالفيء، وأنت أول من غيّر سنة رسول الله، اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة.

ثم يقول هاتوا يزيد: فيجلس بين يديه غلام، فيقول له: أنت الذى قتلت أهل الحرَّة، وأبحت المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكت حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآويت الملحدين وتمثلت بشعر الجاهلية:

ليت أشياخى ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا، وحملت بنات رسول الله على حقائب الإبل، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل، ولا يزال يذكر خليفة بعد خليفة، فيجبه ويوبخ حتى يأتى دور عمر بن عبد العزيز فيقول: هاتوا عمر، فيؤتى بغلام، فيجلس بين يديه، فيقول، جزاك الله خيرا عن الاسلام، فقد أحييت العدل بعد موته وألفت القلوب القاسية، وقام بك عمود الدين على ساق، بعد شقاق ونفاق، اذهبوا به فألحقوه بالصديقين. ثم يذكر من بعده من الخلفاء، حتى يبلغ بنى العباس فيسكت، ثم يقول: لقد بلغ أمرنا بنى هاشم، فهيّا.

## ١٢٤ ـ مع الرؤساء:

الاستماع إلى أحاديث الملتاثين حبيب لدى الخاصة والعامة، وقد كان الخلفاء ومن يليهم، يتُوقُون الى أخبار المجانين، ويحرصون على الاستمتاع بأحاديثهم، وقد يشمخ المجنون منهم على الرئيس الخطير، والحاكم المتغطرس فلا يجد غير الصفح والغفران، وتعليل ذلك أن الجنون محنة تكفي صاحبها عوضا أكبر عن جميع المصائب، فبأي شيء يعاقب، بعد أن التاث أمره، وعز عليه أن يجد سبيل الاستقرار، كان البهلول على عهد الرشيد أظرف من اشتهر بالجنون، وكان يلاقى من الصبيان بلاء كبيرا إذ يتعقبونه بالحصا، فيفر منهم ويجرون وراءه، ومن الطريف أنه اعتصم منهم بسور أغلق بابه وظل داخله، وأخذ الصبية يقذفونه بالطوب من أعلى السور وهو يقرأ قول الله عز وجل «فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وقد نظم فى ذلك شعرا قال فيه:

حسبى الله توكلت عليه
ونواصى الخلق طرا فى يديه
ليس للهارب فى مهربه
أبدا من روحة إلا إليه
رب رام لى بأحجار الأذى
لم أجد بُدّا من العطف عليه

وقد نقلت عنه هذه المحاورة مع الرشيد:

الرشيد: كنت مشتاقا إليك يا بهلول

البهلول: ولكنى لم أكن مشتاقا إليك!

الرشيد: أعرف ذلك، ولكنى أدعوك كى تعظنى

البهلول: ماذا أقول، عيناك تريان، هذه قصورهم، وتلك قبورهم

الرشيد: مفكرا ـ زدنى بربك

البهلول: من أعطاه الله مالا وجمالا، فعف فى جماله، وواسى فى ماله كُتِبَ فى ديوان الأبرار

الرشيد: هذا حق وقد أمرنا بقضاء ديونك إن كانت!

بهلول: معاذ الله، لا يقضى دين بدين، ارْدُدِ الحق الى أهله، واقض دين نفسك

الرشيد: ألك حاجة؟

بهلول: أنا وأنت عيال الله، فمحال أن يذكرك وينسانى

ثم ركب قصبته وجرى مهرولا.

قد يرتاب بعض القارئين فى هذا الحوار متعاظما أن يفرغ الرشيد لمثل البهلول، وأن يجابه البهلول الرشيد بهذه القوارص ولكن المجانين كثير، ولم يلصق بهم الرواة مثل هذا الحوار، فلابد أن تكون للبهلول ميزة عليهم، جعلت أحاديثه تذيع حتى يحب أن يحاوره أمير المؤمنين.

## ١٢٥ ـ تعليق جيد:

ذكر الدكتور احمد أمين بعض نوادر البهلول في مقال بارع وقد ختمه بقوله

«هكذا ملأ البهلول عصره فكاهة وموعظة، أضحك الكبار وأفرح الصغار، وكان في الكوفة نظير صاحبه عليان فى البصرة، وأمثالهما كثير، منهم من عرف بالشعر الظريف، ومنهم من عرف بالنوادر الطريفة، ومنهم من كان مجنونا حقا، ومنهم من رأى العالم مجنونا فجن حتى لا يتعبه عقله ومن العلماء والرواة من خاف قول الحق، والجهر بالصدق، فخلق بخياله مجنوناً نسب إليه ما كان يجب أن يكون، وما كان يجب أن يقال، وتستر وراء ذلك حتى لا يؤخذ به، ومنهم من رأى أن الحكمة إذا صدرت عن عاقل فأمر مألوف، لا يسترعى النظر، ولا يستوجب العجب ولكن إذا صدرت عن مجنون كانت أوقع فى النفس، وأدعى الى التفكير والاعتبار، فحمله عقله على أن يستصدرها من مجنون، وقديما قالوا: «الجنون فنون».

## ١٢٦ ـ رأى مجنون:

رُوِى أن رجلا حلف ألا يتزوج حتى يستشير أول من يقابله فى الصباح، فكان من حظّه أن قابل رجلا مجنونا، فأراد أن يبر بقسمه، فتقدم إليه قائلا: لقد أصبت من النساء بلاء، وحلفت ألا أتزوج حتى استشير أول من ألقاه، وهأنذا قد لقيتك فما ترى؟

فقال المجنون فى هدوء العاقل: اعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التى لك فشابّة طرية لم تمس الرجال ـ فهى إن رأت خيرا حمدت، وإن رأت شرا، قالت كل الرجال على مثل هذا، وأما التى عليك فامرأة ذات ولد من غيرك، فهى تفرق مالك لتجمع لولدها، وأما التى لا لك ولا عليك، فامرأة تزوجت قبلك ولا ولد لها، فإن رأت خيرا قالت هكذا يجب، وإن رأت شرا حنت إلى زوجها ولم تسيء إليك.

قال الرجل: فأعجبنى والله كلامه، وملأ نفسى، فسألته عما غير من امره، ووضعه هذا الموضع، فقال: أنا فقيه، وقد رشحت للقضاء فى هذا الزمن، ولن أرضى الله بما أحكم حين أرضى هؤلاء، فاخترت الجنون ونجوت.

## ١٢٧ ـ بيت نادر:

وكل الناس مجنون ولكن

على قدر الهوى اختلف الجنون



# من حجازيات باكثير المجهوله (٢)


شرح وتقديم:
**د· محمد ابو بكر حميد**
كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود


ربطت بين الشاعرين علي أحمد باكثير وعبد الله عمر بلخير صداقة حميمه امتدت طوال حياة باكثير ولا تزال مستمرة الى اليوم متمثلة فى وفاء معالى الشيخ عبد الله بلخير لصديقه الراحل الكبير· فلقد كان الشيخ عبد الله بلخير فى طليعة شباب مكة الادباء الذين استقبلوا باكثير عند وصوله الى المملكة الناشئة فى ١٤/١٢/١٣٥١هـ قادماً من عدن، وكان الشيخ بلخير فى ذلك الوقت طالباً مبرزاً فى مدرسة الفلاح وشاعراً مفلقاً تجاوبت مع صدى صوته مشاعر الناس واحاسيسهم، وقد اعجب بالكثير بشعره وبحماسه العروبي المتقد وروحه الاسلامية المستنيرة·

**هموم حضرموت:**

لقد وصل باكثير الى البلاد السعودية قادماً من عدن مثقلا بالهموم والاحزان·· هموم وطنه حضرموت التى أقام بها معه فى عدن عاماً كاملا يخطب عنها فى المحافل وينشد الشعر فيها فى النوادي ويستنهض همم قومه الحضارم فى مهاجرهم القريبة والبعيده ويدعوهم الى الالتفات الى وطنهم المسكين والمشاركة فى بنائه ونشر العلم فيه والاسهام في الحاقه بركب الحضارة· فقد كان باكثير يرى الحضارم يسهمون إسهاماً عظيماً في بناء الأوطان العربية والاسلامية التى هاجروا اليها لكنهم يقصرون فى بناء وطنهم الام· وكان باكثير بعد وصوله المملكة قد اعجب بالاتجاه الاصلاحي الذي يقوده الملك عبد العزيز فى مملكته الناشئه في كافة الميادين وخاصة الديني والسياسي، فلا غرو أن يأسى شاعرنا الغيور لحال وطنه ويتمنى وقتها ـ كما حدثني الشيخ عبد الله بلخير ـ ان لو استطاع الملك عبد العزيز ان يوحد جزيرة العرب كلها لينهض نهضة واحدة نهضة قوية وثابة·

لهذا كله نجد باكثير يخاطب صديقه الشاعر منذ مطلع القعيدة ان يهتف بالاصلاح لحضرموت من القصيدة التالية المثبته فى آخر هذا المقال، وان لا يبالي بقول «العذول» و«اللاحي» فهؤلاء قوم خلو من الطموح والنجاح·

**عظمة وانكسار:**

إبتداء من البيت العاشر حتى نهاية القصيدة يتحدث باكثير عن حال حضرموت والحضارم، فهو من خلال ذكره في البيت الحادي عشر لـ «حلبة التلاحي» يشير الى الخلاف الذي ثار في اندونسيا مهجر الحضارم الكبير بين جماعة «جمعية الارشاد» و«الرابطة العلوية» بسبب إنتقاد جمعية الارشاد السلفية المنزع للاستعلاء والاستعباد الروحي الذي يمارسه بعض السادة العلويين على غيرهم من ابناء جلدتهم الحضارم بصورة خاصة واصرارهم على الاحتفاظ ببعض الامتيازات مثل تقبيل الغير لايديهم دون غيرهم من الناس وإبقاء لقب «السيد» لهم وحدهم· وثار جدل كبير على مثل هذه الأمور الجانبية التى لا تمس صلب العقيدة بل ان فيها من العصبية والعنصرية الجاهلية اكثر مما فيها من الدين· وقد وقف باكثير عند هذه المشكلة وقفات طويله في شعره ونثره وندد بها واعتبرها فتنة كبرى قصمت ظهر حركة الاسلام في الشرق الاقصى، فالحضارم هم الذين نشروا الاسلام فى تلك الجزر النائية بدون سلاح وبدون جيوش، فقد كان سلاحهم الكلمة الطيبة وكانوا فقراء ولكن كان رأسمالهم الصدق والامانة التى اشتهروا بها في ربوع الارض فما ساكنوا قوماً الا وأحبوهم لتلك الخصال واختلطوا بهم وجعلوهم منهم، وهكذا أقام المهاجرون الحضارم ممالك كثيرة في جزر الهند الشرقية والفليبين وشرق أفريقيا منذ عدة قرون عملا بالآية الكريمة «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»·

**آخر العلاج الكي:**

فلا عجب إذن ان يقسو شاعرنا الغيور على قومه



ويشدد عليهم النكير وهم أبناء وأحفاد رجال أسسوا حضارة الاسلام في المشرق النائي بعدة « الكلمة الطيبة» و«الفطرة السليمه» لهذا تجده في البيت التاسع عشر يعتذر عن قسوته ويرى ضرورتها لان «الداء» قد احتار فيه الدواء وان نهاية العلاج الكي، فكانت الاشاره الى «مبضع الجراح» للتدليل على خطورة الامر وهل هناك أدل من البيتين الآخيرين للتدليل على «الخطورة» التى وصلت اليها «الحالة» و«التأزم»، لقد تحولت كلمات الشاعر الى «مبضع الجراح» والشعرالى «جراح» وحين نكأت قلب الشاعر تلك «الهموم» سال بها «قلبه الملتاح». لقد اراد باكثير - رحمه الله - لابناء قومه وأمته ان يكونوا حملة الدعوة دائماً ولا ينكسروا أبدا، لهذا ساءه ما حدث بين قومه الحضارم في مهجرهم البعيد فكان همه الذي ارقه وعذبه في باكرة شبابه مثلما أرقته بعد ذلك هموم العرب والمسلمين الذين حلت بهم المصائب تترى طوال عمره حتى جاد بالنفس الاخير.

**القصيدة والمناسبة:**

اما مناسبة هذه القصيدة فقد كانت زيارة أمير البيان المجاهد شكيب أرسلان للاراضى المقدسة وكان الامير المجاهد محط اعجاب شباب العرب الناهض فى كل مكان لدفاعه عن قضايا العرب والمسلمين وحرصه على وحدة كيانهم فحياه شاعر الفلاح الشاب - آنذاك - بقصيدة عصماء نشرتها مجلة «الفتح» بالعدد ٣٩٥ تاريخ ١٣٥٣/٣/٢هـ الاسلامية الشهيرة فى حينها واطلع عليها صديقه الاستاذ علي أحمد باكثير الذي كان قد وصل لتوه القاهرة قادماً من الحجاز فكتب الى صديقه الشيخ عبد الله بلخير برسالة فيها من تواضع العلماء بقدر ما فيها من عزم القادة والمصلحين.

رسالة باكثير لصديقه بلخير:

الى شاعر الفلاح الاخ الاديب الناهض عبد الله بن عمر بلخير - حفظه الله واكثر من امثاله

ارجو أن يسبل الاخ ذيل الاغضاء عما عسى أن يكون فى هذه الابيات من خلل لفظي او معنوي فقد كتبتها فيض وقتها وعفو ساعتها عندما جاءني مكتوبه وقرأت قصيدته في «الفتح» الاغر فبورك فيه من شاعر وحياه الله من ناهض. وقد كان لخطاب الاخ - حفظه الله - عندي وقع حسن وإن كان حضرته كال لي من الثناء ما لا استحق نُصَيْفَه بل ولا ثُمَيْنَه ولكنها النفوس الكريمة تأبى إلا أن تشكر من الاحسان ولو ظله ورجائى ان يطَّرد الاخ فى نهضته وأن لا يبالي فى سبيل الحق والدفاع عنه لومة لائم ولا زعم زاعم وسيطمئن قلبى الى أخ أجده بجانبي يرمي فيصيب ما لعلي أخطئه ويمد يده فيبلغ ما لعلي أقصر عنه، وحسبى فخراً أن اكون من المؤذنين وإن لم اكن في المقبولين من المصلين والسلام على الاخ الناهض وعلى الصديق العزيز الكريم الاخ محمد باحمدين وعلى الاديب الظريف السيد على بن حسن فدعق وعلى الاستاذ السيد أمين كتبى والسيد علوي مالكي وعلى السيد الاديب محمد حسن كتبي والاخ الفاضل سراج مطر والاخ الاديب عبد الله فدا والسيدين المهذبين علي وطاهر آل الحبشي وعلى كل من لي به صلة من الاخوان الافاضل ولا تنسوا الاخ الاديب محمد علي شالي وإن كنت اظنه قد نسيني!

**المخلص / علي احمد باكثير**

# يا شاعر الفلاح

شعر: علي احمد باكثير

**أهداها الى صديقه الشيخ عبد الله عمر بلخير تلميذ مدرسة الفلاح النجيب وشاعرها الصداح.**

يا شــاعــر الفــلاح
حُيّيت من صدّضاح
اهتف (بحضرموت)
وغنِّ بالإصـــلاح
كم هز من ســروري
وداعب ارتيـــاحي
صـــوتك لما غنىً
بمـنـعـش الأرواح
وجـــاد بالامـــداح
للكاتب الجحجاح!(١)
غـنِّ ولا تبـــــال
بعـــاذل أو لاحي
فـــــإنهم أناس
خلو من الطمـــاح
ليـسوا إلى حيـاة
ولا إلى نجـــاح
وهل يضيـر البدرَ الـ
ـكلابُ بالنبـــاح

*   *   *

آه عــلـــى بـــلاد
مـهيـضـة الجناح
وأمّة ســبـــوق
في حلبـة التـلاحي
لكنهـــا كســـول
في ســبل الفــلاح
أودت بهـــا نفـــوس
عطشى من الصلاح!
لـكـنـهـــــا رواء
بالخلل القـبـاح(٢)
تأخـرت فـعــافت
تقـــدم النجـــاح
تعـيش في الدياجي
تموت في الإصبـاح
تضـيق بالهـدى وبالـ
إرشـاد والإصـــلاح
فاعجب لقوم ضاقوا
بالقـمـر اللياح!(٣)
إن أقسُ فـــالدواهي
من رحـمـة النصاح!
وشـعـبنا مـريض
فـي أخطر النواحي
ومــــاله عـــلاج
كـمـبضـع الجراّح!!

*   *   *

وليس هذا شـعـري
لكنه جـــراحي
نكأتهـــا فـســالت
من قلبي الملتاح!!(٤)

---

*الهوامش*

*(١) الامداح: فيها تجوز للضرورة الشعرية وهي من مدحه جمعها أماديح أو مدائح. الكاتب الجحجاح: يقصد به الامير شكيب أرسلان.*

*(٢) رواء: مرتويه ممتلئة.*    *(٣) اللّيّاح: الناصع المتلألىء*

*(٤) الملتاح: المتغير العطش.*

# في ذكرى ميلاده السادسة بعد المائة

# غراميات العقاد

الحديث عن الأبطال يختلط فيه - غالباً - الوهم بالحقيقة، وتمتزج فيه الموضوعية بالأسطورة، وفي الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٨٨٩م وفي أسوان من إقليم مصر، ولد بطل - لا جرم - من أبطال أمتنا العربية هو عباس محمود العقاد، ولأنه بطل تناولت سيرته أقلام متعددة، ولأن البطل عاش ومات عزباً لم يتزوج، كانت علاقته بالمرأة أحد المحاور التي دارت عليها الأحاديث، ومن ذلك ما وقع مني البصر عليه في مقال لكاتب من كتابنا الكبار، نشره غير مرة، وفي غير موضع.

يصف كاتبنا الكبير العلاقة بين الاستاذ العقاد والآنسة ميّ زيادة بكلماته: «... وكان العقاد يضيق بمنافسيه مع أنه وحده كان يأكل الفاكهة ويترك للعشاق الآخرين القشر والبذور، وكانت ميّ تحب العقاد الرجل، وتعشق جبران خليل جبران الكاتب، ومع أنها كانت تقابل كل يوم العقاد في جريدة المحروسة التي يملكها والدها ولم تلتق بجبران طوال حياتها مرة واحدة، وكان العقاد يغار من هذا الرجل الذي كان بينه وبين ميّ بحار وقارات بينما كانت ميّ بين ذراعيه...».

وليس من شك في أن هذه الصفة تجافي ما أورده العقاد نفسه عن علاقته بـ «ميّ» في كتابه «سارة» تحت عنوان: «حبان» أشد المجافاة، ف «هند» هي «ميّ»، ليس إلى شك في ذلك من سبيل، وإلا فمن «هند»؟! يقول الأستاذ العقاد متحدثاً عن علاقته بـ «هند»: «... ولكنهما في جميع ذلك كانا أشبه بالشجرتين منهما بالإنسانين، يتلاقيان، وكلاهما على جذوره، ويتلامسان بأهداب الأغصان، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق... كانا يتناولان من الحب كل ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل، ولا يزيدان.. وكان يغازلها فتومئ إليه بأصبعها كالمنذرة المتوعدة، فإذا نظر الى عينيها لم يدر أتستزيده أم تنهاه، ولكنه يدرى أن الزيادة ترتفع بالنغمة الى مقام النشوز.. وكان يكتب إليها فيفيض ويسترسل، ويذكر الشوق والوجد والأمل، فإذا لقيها بعد ذلك لم ير منها ما ينم على استياء، ولم يسمع منها ما يدل على وصول الخطاب، وإنما يسمع الجواب باللحن والايماء دون الإعراب والإفصاح. وربما تواعدا إلى جلسة من جلسات الصور المتحركة في مكان لا غبار عليه، فيتحدثان بلسان بطل الرواية وبطلتها، ويسهبان ما احتملت الكناية الإسهاب، ثم يغيران سياق الحديث في غير اقتضاب ولا ابتسار. وكانا أشبه بالنجمين السيارين في المنظومة الواحدة، لا يزالان يحومان في نطاق واحد، ويتجاذبان حول محور واحد، ولكنهما يحذران التقارب.. لأنه اصطدام!».




بقلم: أ.د. محمد عبد العظيم سعود

كلية العلوم - جامعة عين شمس -


إذن فلم يكن العقاد يأكل الفاكهة، ويترك للعشاق الآخرين القشر والبذور، وما كانت «ميّ» بين ذراعيه!

ويوازن العقاد بين «ميّ» و«سارة» في روايته «سارة» فيقول: «ولقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين: كلتاهما أنثى حقا، لا تخرج عن نطاق جنسها، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى إحداهما أن تحل محل الثانية، ويوشك أن تزدريها.. فإذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة فهند قد خلقت راهبة في دير، من غير حاجة الى دير!

تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر ما استطاعت، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود، ثم توشيها بطلاء الذهب، وترصعها بفرائد الجوهر.

تلك لها عدة المتانة والمجاملة، وهذه لها عدة

الرخاصة والبساطة.. كلتاهما جميلة، ولكن الجمال فى هند كالحصن الذى يحيط به الخندق، أما الجمال في سارة فكالبستان الذى يحيط به جدول من الماء النمير، هو جزء من البستان لا حاجزاً دون البستان، وهو للعبور أكثر مما يكون للصد والنفور..»

وهذا شاهد آخر: يقول الدكتور عبد الفتاح الديدى - وكان من أخلص خلصاء الأستاذ العقاد، رحمه الله - فى كتابه «عبقرية العقاد» عن علاقة العقاد بـ «ميّ».

«يبدو أن هذه الفتاة لعبت أخطر دور فى حياة العقاد لأنها أعطته من السعادة ما لم يكن يخطر له على بال، ولكنها وقفت أمامه نداً لند، وناوأت رجولته وسطوته وكبرياءه. وصدمت أحلام العقاد بفرديتها واستقلالها وشبابها المتأنق المدرك لأصول العلاقات..» ونحسب أن فى هذا الكفاية، بل ما فوق الكفاية، هذه واحدة، وأخرى، فليسمح لنا كاتبنا الكبير بالشك فى قصة «البلوفر» فنحن نستبعد جدا أن ينظم العقاد قصيدة رائعة فى «بلوفر» يعلم أن «هنومة» لم تحكه يدها، بل هو من صنع محل الصوف فى شارع سليمان باشا، يقول فيها:

نسجته بيديك

على هدى ناظريك

إذا ما احتوانى فإنى

مازلت فى إصبعيك!

إلا أن يكون العقاد لم يكتشف خديعة «هنومة» ، فقد دفعت بالصوف الى ذلك المحل فى شارع سليمان باشا، إلا بعد أن نظم قصيدته! على أية حال، يقول الأستاذ عامر العقاد - رحمه الله - فى كتابه «غراميات العقاد».

« وتصنع له تلك المحبوبة السمراء «بلوفر» على يديها، وتهديه له، فيقول لها:

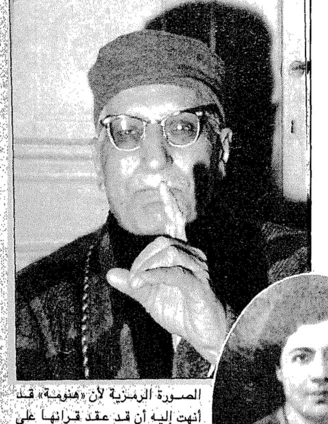
هنا مكان صدارك

هنا هنا فى جوارك

إلى آخر القصيدة.

وثالثة، فليس يقوم فى الأفهام أن يطلب العقاد الى صلاح طاهر أن يرسم صورة رمزية لـ«هنومة»:

«فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبعان، بل يشتهيها المتخوم المكظوظ.. وعليها صرصور وذباب يحوم، وفى القدح الذى يفرغ عليها الحلاوة عسل يضطرب فيه بعض الذباب ويموت.. فلا يأكل من الفطيرة الحلوة على هذه الصورة شبعان ولا جوعان، بل تعزف النفس حين تراها عن كل طعام..» يطلب العقاد إلى صلاح طاهر هذه



الصورة الرمزية لأن «هنومة» قد أنهت إليه أن قد عقد قرانها على المطرب محمد أمين! وصفة هذه الصورة الرمزية هى نص كلمات العقاد، كما أوردها فى كتابه: «في بيتى».

بل يصح فى الأفهام أن يطلب العقاد ذلك حين حدثته «هنومة» بأنها قد قررت الاشتغال بالتمثيل فى دور الصور المتحركة «السينما»!

وبعد،

فنحن نعلم عن يقين حب كاتبنا الكبير لأستاذنا الكبير العقاد، وولعه الشديد به، وقد كنا نتمنى عليه لو لم يورد فى ثنايا مقاله قصة مصادقة العقاد لأبى «هنومة» التى إن صحت فهى هنة للعقاد. لكن مَن من الناس برىء من الهنات؟!

والقصة برمتها لا نحسب أن العقاد كان ينظر إليها - من بعد - بعين الرضا. أو لم يعب هو بذات نفسه على شاعر الألمان الأكبر «جيتى» حبه فى شيخوخته الغاربة فتاة العشرين:

يا صديقى القديم «جيتى» اعتذاراً

لك من سوء ظنتى وملامى

كنت أنعى عليك حبك فى

الستين بنت العشرين، فاغفر ملامى!

رحم الله العقاد، وعفا عنه، جزاء ما قدم لدينه وأمته




# «الإمام ابن قتيبة»

صاحب «أدب الكاتب» وعيون الأخبار

محمد بن عبد الرحمن
آل إسماعيل
- الأحساء -

«الحلقة الأخيرة»

والآن جئنا إلى أحد كتب الأدب الأربعة، ألا وهو «أدب الكاتب» الذي قال فيه العلامة (ابن خلدون) في مقدمته: «وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم، أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب (لابن قتيبة)، وكتاب الكامل (للمبرد)، وكتاب البيان والتبيين (للجاحظ) وكتاب النوادر لأبى علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة، فتبع لها، وفروع عنها»(١)٠

وقال «ابن خلكان»: والناس يقولون: إن «أدب الكاتب» خطبة بلا كتاب ٠٠ وهذا فيه نوع تعصب عليه، فإن أدب الكاتب قد حوى كلّ شيء وهو مفنن، وما أظن حملهم على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة، وقيل: إنه صنف هذا الكتاب لأبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله بن المتوكل على الله الخليفة العباسي(٢)٠

* أقول: إن هذا الكتاب من حين تأليفه وهو في متناول العلماء والأدباء والكتاب بين شارح وناقد، وما ذاك إلا لأهميته وقيمته، ولولا قيمته العلمية، وظهور فائدته، ومساس حاجة الناس إليه لما تسابق المتسابقون على شرحه٠

* فممن شرحه:

إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة خمسين وأربعمائة، أو ما يقاربها، كما فى (معجم الأدباء) «لياقوت» ، وإسحاق هذا، خال اسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب كتاب «الصحاح فى اللغة»، وأبو إبراهيم، هو صاحب كتاب «ديوان الأدب» المشهور اسمه، الذائع ذكره(٣). فلولا قيمته العلمية لما أقدم على شرحه عالم كهذا. وممن شرح خطبته المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب. قال عنه ياقوت: «وكان قيماً بالنحو، عارفا باللغة، وقد توفي في ذى القعدة سنة خمسين وخمسمائة»(٤).

وممن شرحه: محمد بن عمر بن عبد العزيز، المعروف (بابن قوطيّة) أبو بكر اللغوي النحوي، الأديب الشاعر كان أعلم أهل زمانه باللغة العربية إماماً متقدماً(٥)

وممن شرح أبياته: أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي المتوفى في رجب سنة ثمان واربعين وثلاثمائة، له «تفسير أبيات أدب الكاتب»(٦).

قال في كشف الظنون: وله شروح أجلها شرح القاضي الأديب أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف (بابن السيد البطليوسى) المتوفى سنة ٤٢١هـ، وهو شرح مفيد جداً، ومنها شرح منصور بن موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفي سنة ٥٣٩هـ، وسليمان بن أحمد الزهراوي، وأبي علي حسن بن محمد البطليوسي المتوفى سنة ٥٧٦هـ، وأحمد بن داود الجذامي المتوفى سنة ٥٩٨هـ.. الخ(٧).

* قلت: وشرح السيد البطليوسى «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» شرحاً طيباً، ولكنه كثير الاعتراض على المصنف، ولخصه العلامة المحدث اللغوي الشيخ طاهر الجزائرى (رحمه الله) وطبع في المطبعة السلفية(٨).

هذا الكتاب الذي تتابع على شرحه، وشرح خطبته، وشرح أبياته العديد من الفحول لابُدَّ.. أنه يستحق ذلك، ولابد من أن نعرف سرّ ذلك، وسوف يظهر لنا جلياً قيمة هذا الكتاب.

* قال صاحب كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية): «أدب الكاتب يبحث فيما يحتاج إليه الأديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم وإصلاح ما كان يقع فيه الكُتّاب بأيامه من الخطأ أو الوهم في معاني الألفاظ أو الاشتقاقات، والتراكيب، مما نحن في حاجة إليه اليوم وقد قسّم ذلك إلى أبواب في إقامة الهجاء، وتقويم اللسان، والأبنية»(٩).

والقارىء لهذا الكتاب يرى أنه إنما ذكر فيه ما يحتاج إليه الكاتب، وإصلاح ما يقع فيه الكُتّاب من الخطأ، ثم إننا في حاجة إليه اليوم. أقول: بل فى أمس الحاجة إلى مثله، لاستعجام لغة عصرنا (لغة الصحف والإذاعات والخطب).

وأسوق نماذج لخطبته الإصلاحية (رحمه الله)، بعد ما حمد الله وأثنى عليه، ونعى سوق الأدب، وحال بعض العلماء، وكساد سوق البر، قال:

«فأبعد غايات كاتبنا في كتابه أن يكون حسن الخط قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة، أو وصف كأس، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب، وينظر فى شيء من القضاء، وحدّ المنطق، ثم يعترض على كتاب الله عز وجل بالطعن ، وهو لا يعرف معناه، وعلى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتكذيب، وهو لا يدري من نقله.. الخ».

ثم قال: «وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم، ومن الكتابة إلا بالاسم، ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة، ولكنها لمن شدا شيئاً من الإعراب ، فعرف الصدر والمصدر، والحال والظرف، وشيئاً من التصاريف والأبنية، وانقلاب الياء عن الواو، والألف عن الياء وأشباه ذلك..»

ثم عرَّج على السلوك والأخلاق وأدب النفس، فقال: «ونحن نستحب لمن قبل عنَّا وائتمَّ بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة، وصناعته عن شين الكذب ويجانب قبل مجانبته اللحن وخطل القول وشنيع الكلام، ورفث المزح.

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولنا فيه أسوة حسنة - يمزح، ولا يقول إلا حقّاً، ثم قال: «ونستحب أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام».

وإليك الآن النماذج التي اخترتها، وهي قطر من بحر، انتقيتها لحاجة المثقفين فى عصرنا إليها، ولحاجة المذيعين والخطباء والمحاضرين.

قال فى كتاب المعرفة (باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه):«فمن ذلك: (القافلة) يذهب الناس الى أنها الرفقة في السفر، ذاهبة كانت أو راجعة، وليس كذلك، إنما القافلة الراجعة من السفر، يقال: قفلت فهي قافلة، وقفل الجند من مبعثهم، أى رجعوا، ولا يقال لمن خرج من العراق إلى مكة قافلة حتى يصدروا.»

* ومن ذلك (الطرب)، يذهب الناس إلى أنه في الفرح دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع، قال الشاعر، وهو النابغة الجعدي:

وأراني طرباً في إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل !

وقال آخر:

فقلن: لقد بكيت فقلت: كلا
وهل يبكي من الطرب الجليد؟!

* ومن ذلك (الحشمة)، يضعها الناس مع الاستحياء، قال الأصمعي: وليس كذلك، إنما هي بمعنى الغضب، وحكي عن بعض فصحاء العرب: إنَّ ذلك لما يحشم بني فلان أي يغضبهم.

* ومن ذلك (العترة)، يذهب الناس إلى أنها ذرية الرجل خاصة، وأن من قال عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فإنما يذهب إلى ولد (فاطمة) رضي الله عنها، وعترة الرجل ذريته وعشيرته الأدنون، من مضى منهم، ومن غبر، ويدلك علي ذلك، قول أبي بكر رحمه الله تعالى: نحن عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي خرج منها، وبيضته التى تفقأت عنه، وإنما جيبت الرحى عن قطبها، ولم يكن أبو بكر رضى الله عنه ليدعى بحضرة القوم جميعاً مالا يعرفونه.

* ومن ذلك (العبير) يذهب الناس إلى أنه أخلاط من الطيب. وقال «أبو عبيدة» العبير عند العرب الزعفران وحده، وأنشد:

وتبرد برد رواء العرو
سريا لصيف رقرقت فيه العبير

* ومن ذلك (الدِّعوة) في النّسب بكسر الدال و(الدَّعوة) الى الطعام بالفتح.

* قلت: وممن شذَّ، فضمَّ دال (دُعوة) الطعام «قطرب» في مثلثته المشهورة.

و(قد أفصح الأعجمي)، إذا تكلم بالعربية، و..(فصح) إذا حسنت لغته، ولم يلحن.

و(أعال الرجل) إذا كثر عياله، وعال يعيل إذا افتقر. وعال يعول إذا جار، قال الله عز وجل: «ذلك أدنى ألا تعولوا».

* ويقولون. (رجل أعزب) وإنما هو عزب. وفلان خير الناس وشر الناس ، ولا يقال أخير، ولا أشر.

* ويقولون (فلان مستأهل لكذا)، وهو خطأ، وإنما يقال: فلان أهل لكذا. والمستأهل هو الذي يأخذ الإهالة.

* ومنه (ابن) إذا كان متصلا بالاسم، وهو صفة إذا كتبته بغير ألف. تقول: هذا محمد بن عبد الله، ورأيت محمداً بن عبد الله، ومررت بمحمد بن عبد الله.. الخ.

* أقول اعتاد المذيعون والخطباء أن يسكنوا نون «بن» مع انها يجب أن تتبع ما قبلها فى الضم والفتح والكسر، ولكنهم يسكنونها، ويأتون بها هكذا «ابنْ» فى جميع الحالات، فإلى متى هذا الإصرار على الخطأ؟!.

* ومنه (مائة)، زادوا فيها ألفاً، ليفرقوا بينها وبين «منه» الأحرى أنك تقول: أخذت مائة، وأخذت منه» فلو لم تكن الألف لالتبس على القارىء.

* أقول: ولكن بعض الخطباء والمذيعين والمدرسين رأوا هذه (الألف) فظنوها مدة فمدوها، وهم يعلمون أنها تكتب، ولا تنطق، ولكنهم يجعلونها مدة، ومادروا بأن المدَّ يغيرُ المعنى، فإنهم إن سكنوا التاء المربوطة يكن المعنى من إضافة «الماء المعروف» هذا والله وأعلم.

---


المصادر والمراجع:

(١) مقدمة ابن خلدون ص١٠٧٠
(٢) وفيات الأعيان.
(٣) معجم الأدباء ج٦ ص٦١، ٦٢، ٦٣
(٤) معجم الأدباء ج٧ ص٥٤.
(٥) معجم الأدباء ج١٨ ص٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥
(٦) معجم الأدباء ج٤ ص٢٠٨
(٧) كشف الظنون ج١ ص٤٨
(٨) مقدمة عيون الأخبار ج١ ص٣٢
(٩) انظر جورجي زيدان.

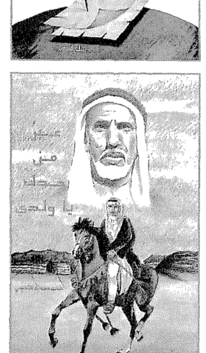
# كتب وإصدارات

* صدر مؤخرا كتاب للدكتور/ محمد جمعة عبد الصمد عابد أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر بعنوان (تأثر العرب بالفرس فى حياتهم الأدبية ومدى هذا التأثر).

والكتاب ذو حجم كبير يحتوى على ١٦٧ صفحة/ الطبعة الأولي.

وفى هذا الكتاب يرد المؤلف على دعاوى ومزاعم من يدّعي أن العرب فى تاريخهم القديم كانوا عالة على الأمم الأخرى فى حياتهم الأدبية والفكرية والثقافية وغير ذلك. بل يثبت هذا الكتاب بالدليل القاطع والنصوص الأدبية الناصعة الرائعة، أن العرب - فى الجاهلية والإسلام - كان لهم نثر فني بلغ درجة عالية، فى بلاغة القول، وفصاحة اللسان. كما اتخذ من القرآن الكريم - أيضا - دليلا، حيث بين أنه نزل لهداية هؤلاء الجاهليين، وأنه خاطبهم وتوجه اليهم بالأسلوب الذى يعرفونه ويألفونه، ولا يعقل أن يتوجه الحديث الى قوم ليسوا أهلا لذلك بل لقد تحداهم فى أن يحاكوه، وأن يأتوا بسورة من مثله. ولا يجوز فى المنطق أن يكون التحدى لقوم بلغوا مستوى يسيرا فى البلاغة والفصاحة، وإنما منطق الأمور أن يكون التحدى لقوم بلغوا درجة عالية ومنزلة سامية، فى بلاغة القول، وفصاحة اللسان.. وهذا الكتاب يتولى تفصيل ذلك، ويتحدث عن بلاغة العرب فى الجاهلية والاسلام.

* صدر مؤخرا كتاب «عبَرٌ من جدّكَ يا ولدي» - للأستاذ/ حمد محمد النعيمي. الطبعة الأولى يحتوي على ثمانين صفحة من الحجم الكبير ، والكتاب مجموعة عظيمة من العادات والتقاليد التراثية يعرضها الكاتب فى صورة مشوّقة ليستنير بها جيل اليوم ويحذو حذو الآباء والأجداد فى الحفاظ على العادات والتقاليد التراثية العريقة.



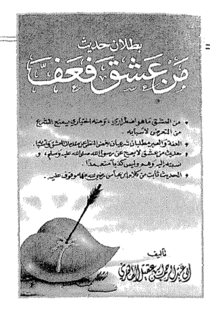

* صدر حديثاً عن دار ابن حزم للنشر والتوزيع لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري كتاب بعنوان «بُطلان حديث منْ عشق فعف»، ومن المعلوم أن قضية العشق والعشاق من القضايا القديمة الحديثة التي تسترعي انتباه السامع والقارىء على حد سواء، وأيضاً تعتبر من القضايا الجدلية بين علماء الفقه على مر الدهور.. وفي هذا الكتاب يتناول المؤلف هذه القضية من الوجهة الشرعية حيث أن الكتاب يدور حول مدى صحة الحديث المنسوب للرسول (صلى الله عليه وسلم) بلفظ «من عشق فعف وكتم ومات مات شهيداً» وقد ساق أبو عبد الرحمن الآراء المختلفة بأسانيدها وبراهينها حول صحة هذا الحديث ولم يترك القارىء يتيه بين الحجج والآراء المتناقضة حيث أنه خلص إلى ان الحديث لا يصح من كلام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولكنه ثابت من كلام ابن عباس رضي الله عنهما.

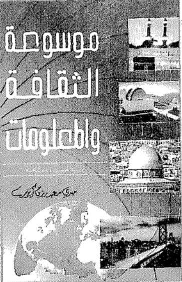
ويتخلل الكتاب بعض التعليقات الطريفة والمشوقة، والكتاب من الحجم الصغير وعدد صفحاته ٥٩ صفحة ويمكن القول بأنه وجبة ثقافية وعلمية خفيفة حول العشق الحلال والحرام.

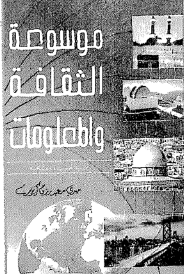
* أصدرت دار طويق للنشر والتوزيع الطبعة الثانية من موسوعة الثقافة والمعلومات وهى طبعة مزودة ومنقحة من الأخطاء وملونة من الداخل.

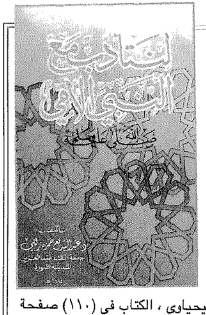
وقد استهل معد الموسوعة الأستاذ/ مهدى سعيد رزق كريزم الموسوعة بمعلومات شاملة عن المملكة تحت عنوان حقائق ومعلومات عن المملكة ثم قدّم معلومات مبسطة عن المعالم والآثار والمنظمات الدولية بالمملكة والوزارات والصحف والمجلات اليومية، وأشهر المكتبات العامة والبنوك وفروعها.

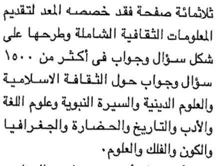
أما القسم الثانى من الموسوعة ويقع فى حوالى





ثلاثمائة صفحة فقد خصصه المعد لتقديم المعلومات الثقافية الشاملة وطرحها على شكل سؤال وجواب فى أكثر من ١٥٠٠ سؤال وجواب حول الثقافة الاسلامية والعلوم الدينية والسيرة النبوية وعلوم اللغة والأدب والتاريخ والحضارة والجغرافيا والكون والفلك والعلوم.

وأقسام أخرى جاءت بالعناوين التالية.. من القائل - مخترعون ومكتشفون - الأوائل والأواخر - قادة ومعارك - وبلدان وعواصم - أسماء وألقاب وكنى - لغات وعملات - كتب ومؤلفون - فنون - اعلام رياضية - معلومات عامة.

وجاء القسم الثالث من الموسوعة تحت عنوان ثقافة متنوعة ومن أهم عناوينه، دول العالم - المقاييس والأطوال - المنظمات والهيئات الدولية - الحملات الصليبية في العالم الاسلامى قضية فلسطين - أشهر الصحف اليومية.

واختتم المعد الموسوعة بمقطوعات شعرية مختارة لمجموعة من الشعراء القدامى والمحدثين.




* «الافق الرابع» ديوان شعر للشاعر أحمد السعد والديوان من الحجم الوسط اشتمل على مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية المتنوعة الأغراض. كما اشتمل الديوان على مقدمة له بقلم الشاعر الدكتور/ ابراهيم بن محمد العواجي.

* (مقدمات فى نظرية الأنواع العربية) لمؤلفه رشيد يحياوي ، الكتاب في (١١٠) صفحة من الحجم العادي - جاء الكتاب في أربعة فصول تناولت: النوع الأدبى بين الإثبات والنفي، ثلاثية الملحمي الغنائي، الدرامي.. تصنيف الأنواع.. وتحول الانواع.

* «لنتأدب مع النبي الأمي» كتاب من تأليف الدكتور عبد البديع حمزه زللي، في ١٨٤ صفحة من الحجم العادي.. جاء الكتاب فى ثلاثة أبواب، تناولت: المعنى الصحيح للأمية.. الحرص على التأدب مع النبى (صلى الله عليه وسلم)، والبعد عن كل ما يمس هذه الصفحة المنعوت بها.. لمحات عن كنوز اللغة العربية وما تميزت به عن اللغات الاهرى.. والبابان الأول والثاني اشتمل كل واحد منها على اربعة فصول، فيما اشتمل الباب الثالث على خهمسة فصول.

وهذه الفصول في مجملها تناولت قضية (الأمية والأمي) من حيث معناها الحقيقى ومضمونها، وقد تتبع المؤلف ذلك في (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفى اللغة العربية، وفي اقوال المفسرين واهل اللغة.. ثم اتبع ذلك بمضمون (الامي والأمية) فى اللغة الانجليزية حيث المعنى مغاير تماماً لمعناها فى العربية).

رسالة الختام

# صوت منصف من الغرب هل يسمعه العلمانيون في الشرق؟

أ.د / السيد رزق الطويل جامعة الأزهر

معطيات الرسالة الخاتمة حقيقة واقعة، تبقى ما بقى الدهر، وتستعصى على عوامل الجحود وتأثيرات الاهواء، وبغى الاعداء.

وكما وعد الله تبارك وتعالى نبيه الكريم بالعود الحميد وهو يعيش معاناة الهجرة من رحاب البيت الحرام قائلا له: (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) وعد هذه الامة بأن حقائق دينها ستستبين يوما لأعدائها، إذ قال في كتابه الحق (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (سورة فصلت)

طافت بذهنى هذه الحقائق الإسلامية وأنا أقرأ خطاب الأمير تشارلز ولى عهد إنجلترا في قسم الدراسات الإسلامية بإحدى جامعات بريطانيا وهو يتحدث عن الإسلام والغرب، لقد بدا لى الامير وكأنه وصل إلى حقائق عن الاسلام لم يسبقه إليها أحد من بنى جلدته، وبمروءة المقر الواثق وشهامته القى ما في جعبته ونثر عيدان كنانته،

إن الأمير هنا حريص على قومه وعلى مستقبل أمته، ويرى أن هذا المستقبل في التعاون مع العالم الإسلامى لكنه في الوقت نفسه يسوى بين قومه والمسلمين في درجة سوء الفهم مع أن التعصب البغيض صدر من الغرب وألقى علينا أستاره السوداء، والسنتهم هى التى سبقت بالسوء، إزراء بالمسلمين وطعنا في دينهم وثمة باعث آخر جعله يفتح قلبه بمقولات قد تغضب جمهرة من علماء الغرب ومفكريه، وإن كنت ألمح وراء السطور تمويها وتشويها يتجلى ذلك خلال هذه الكلمات:

إن عدد المسلمين في العالم اليوم يقدر بواحد بليون، وفى عشرات السنين الماضية أخذ المجتمع الاسلامى فى بريطانيا يتزايد، وينبغى أن تزداد توقعات السلام الآن أكثر مما كانت عليه سابقا، إن الأحداث التي جرت مؤخرا في الشرق الأوسط قد بعثت الأمل فى وضع نهاية لمشكلة تسببت فى تقسيم العالم، كما كانت مصدرا للعنف والكراهية لفترة طويلة من الزمن إلى أن يقول: إن جذور المشكلة تكمن فى الصراع الذى نشأ عبر فترات طويلة من تاريخنا، فتلاميذ المدارس فى الغرب يعتبرون الصليبيين ابطالا، بينما يعتبر المسلمون الصليبيين غاية في القسوة.

على أن الامير عند تناوله للحروب الصليبية لم يشأ أن يدين قومه، وحاول ان يجعل الغرب والمسلمين جميعا شركاء فى إراقة الدماء التى أريقت، وان مبلغ ما انتهت إليه هذه الحروب الظالمة مجرد تصورات غير صحيحة فى مخيلة تلامذة أوربا الذين رأوها بطولة وتلامذة المسلمين الذين رأوها عدوانا وظلما وهنا يتجاهل الامير قضية امتداد الحقد الصليبى على المسلمين حتى عصرنا الحاضر، ولا أظن أنه لم يقرأ كتاب الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون والذى أعلن فيه صراحة ان الإسلام هو عدو المستقبل والبديل للشيوعية بعد تداعى بنيانها.

ومع هذا كله فالأمير مؤمن بضرورة الحوار، ويرى الظروف

مهيأة له، ويؤكد ان نقاط الاتفاق بين الاسلام والغرب اكثر من نقاط الاختلاف، قائلا: ان المسلمين واليهود والمسيحيين جميعا من اهل الكتاب إننا نشارك جميعا فى العقيدة بإله واحد، وكذلك فى كثير من القيم الروحية الاخرى.

غير انى اقف امام مصطلح (اهل الكتاب) الذى يبدو غامضا فى ذهن الأمير، فهل يتصور ان الجميع يأخذون من كتاب واحد او ان الكتاب مراد به الكتاب المنزل من السماء شاملا التوراة والانجيل والقرآن ،ان كان يعنى الفهم الاخير فلا بأس عليه فى هذا الفهم.

وفى موضوعية رائعة وعادلة ينتقد الامير فهم الغرب للإسلام، ويرد مصطلحاتهم المدخولة التى يسيئون بها إلى هذا الدين وأهله، ويطالب الغرب بدراسة واعية للإسلام، مفندا ما القوا به من اتهامات، وهذه كلمة الامير: والكثيرون فى الغرب يرون الإسلام على أنه حرب أهلية دامية في الشرق الأوسط، وأصولية إسلامية.

إن حكمنا قد شابه التشوه لاعتبار ان التطرف هو القاعدة، ويظن الكثيرون ان احكام الشريعة غير عادلة ولكن ينبغى ان نتدارس تطبيقاتها قبل أن نصدر حكما. هناك عدد من الدول الإسلامية اعطت حق التصويت للمرأة فى نفس الوقت مع أوربا، كما أن النساء المسلمات لا يعتبرن مواطنات من الدرجة الثانية، ألا ما اروع الانصاف فى كلمات الامير!! ، إنى ارى فيها دلالة برغم كل شيء على شخصية واعية متزنة، لا تشغل العصبية الحمقاء مساحة ذات بال في فكرها الإنسانى، وبالنصفة والعدل، وعدالة الرأى يعلو شأن الرجال ويواصل الامير حديثه الموضوعى عن الاسلام والغرب فيؤكد أمرين:

اولهما: أن الغرب فى حاجة الى مزيد من الفهم لوجهة نظر العالم الاسلامى، ورأيه فى الغرب.

والآخر: ان الكثير من المسلمين يرون فى الغرب تهديدا لثقافتهم الإسلامية واسلوب حياتهم، ثم يحذر من التعريف الانفعالى للفظة الأصولية، وأن يميز الغرب بين من لديهم النزعة لإحياء الطرق السلفية القويمة وبين المتطرفين، ثم يؤكد أن التطرف ليس حكرا على الاسلام دون غيره من الديانات الاخرى.

ولا يتوقف إنصاف الامير عند هذا الحد، إنه يؤكد فضل الاسلام على أوربا، وأن أوربا فى نهضتها مدينة له ، ويقول فى صراحة ووضوح: كثير من السمات التى تفخر بها أوربا الحديثة جاءت إليها من الأندلس، إن الاسلام جزء من ماضينا ومن حاضرنا.

ماذا أقول إزاء هذه الكلمات؟ لا يسعنى وأنا واحد من علماء الازهر ورجال الدعوة فى مصر إلا أن ادعو ولى عهد بريطانيا ليحاور العلمانيين فى بلاد المسلمين عسى أن يقتنعوا بإسلامهم الذى ظلموه وحرصوا على إبعاده عن قيادة الحياة، وريادة الأحياء علهم يثوبون إلى رشدهم، ويدركون فضل تراث عظيم جهلوه وعرف قدره سواهم، وعلى طريق الاعتراف بفضل المسلمين يشير الأمير إلى فضل المجتمعات الإسلامية فى بريطانيا واسهامهم فى اقتصاد البلاد وإثرائها ثقافيا، ثم يختم كلمته بقوله: وينبغى ان نعترف بتفانيهم، وبالمثل الذى يعطيه كل الذين كرسوا أنفسهم لنشر التفاهم بين الناس ويعود الأمير ويلح على الحوار بين الاسلام والغرب وإلى أن يتسم هذا الحوار بالصبر، إذ يقول ، ولكن ذلك يتطلب جهدا شاقا لكى يفهم بعضنا الآخر، ولكى نتمكن من إبعاد شبح الخوف والتشكك .. وصدق الامير فى تصوره.

مرحبا بالامير فى دعوته الهادفة والبناءة

وتحية له على إنصافه، واستقامة رأيه

وعفا الله عنه إذا اخطأه التوفيق فى بعض تصوراته

ولكن هل نجد صدى مؤثرا لكلمات الأمير فى ابناء الغرب علمائه ومفكريه؟

بل هل ترى لها صدى فى نفوس بعض الكتاب والمفكرين المسلمين؟

على أية حال إنها حقيقة استبانت كما وعد الله فى كتابه، وليتحمل الغافلون مسئولية غفلتهم والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.



# أرامكو السعودية

## نتيجة المسابقة السنوية السادسة عشرة لرسوم الأطفال

يسر أرامكو السعودية، ممثلة في إدارة العلاقات العامة، ان تزف تهانيها الحارة الى جميع الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية السادسة عشرة لرسوم الأطفال وتتقدم بخالص الشكر والتقدير لجميع الاطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجعهم وحثهم على المشاركة في هذه المسابقة. وكان ما يربو على ستة آلاف لوحة قد تلقيناها من مختلف انحاء المملكة. والشركة إذ تكرر شكرها وتهانيها للفائزين، يسعدها ان توجه الدعوة مرة اخرى إلى جميع الاطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم، ان شاء الله.

وفيما يلي اسماء الاطفال الفائزين بجوائز المسابقة لهذا العام:

## أسماء الفائزين

**ابتسام سعد السويهري**
معهد الامل للصم والبكم
مكة المكرمة

**ابجاد محمد الرشيدي**
مدرسة عبدالرحمن بن عوف
طريف

**احمد عيد السيد**
مدرسة الحسن بن الهيثم الابتدائية
عرعر

**احمد خضر علي**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر

**احمد جهمان علي الشهري**
المدرسة السابعة للأبناء الابتدائية
تبوك

**احمد محمد فاروق حامد**
مدرسة عمر بن الخطاب الابتدائية
جدة

**احمد درويش احمد شهدا**
المدرسة النموذجية الاهلية الابتدائية
الدمام

**احمد عبدالرحمن محمد السويل**
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهران

**احمد محمد علي ال صالح**
مدرسة ضرار بن الازور الابتدائية
صفوى

**احمد خميس ابوزهرة**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف

**احمد رائف كمال**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران

**احمد جمال حسين عبدالرحمن**
بنك القاهرة السعودي
الجبيل

**احمد محمد كمال الدين امام**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر

**احمد عبدالله صالح الحمدان**
مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
عرعر

**احمد محمد عبدالعاطي جاد الرب**
مدرسة سعد بن ابي وقاص الابتدائية
الرياض

**اريج عبدالله عوده العوده**
مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع
الخبر

**اسعد عصام خليفه**
روضة جدة النموذجية
جدة

**اسماء ابراهيم برات التركستاني**
المدرسة السادسة المتوسطة
الطائف

**اسيل المضراب**
مدارس الرياض الأهلية
الرياض

**افنان سمير الحميد**
مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع
الخبر

**اكرم محمد عبدالجليل**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر

**الاء محمد عبدالله**
مدارس الرياض الأهلية
الرياض

**العنود عبدالعزيز صالح الغنام**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض

**امنة محمد السعدي**
مركز سعد الصانع لتقويم النطق والسمع
الخبر

**اياد ابراهيم ناصر الشاوي**
المدرسة النموذجية الاهلية الابتدائية
الدمام

**باسل محمد عثمان الخواص**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران

**بدر محمد احمد موسى**
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
الظهران

**بسام واصل ابراهيم الموسى**
مدرسة ابوعبيدة الجراح المتوسطة
بقيق

**بسام حماد العنزي**
مدرسة صلاح الدين الايوبي
عرعر

**بسمة يوسف سلمان الاحمد**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض

**بندر عبدالله الغامدي**
مدرسة أحد الابتدائية
الدمام

**بيتر سوينن**
المدرسة العالمية
تبوك

**تركي محمد عبدالله العريفي**
مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
عرعر

**تركي محمد هادي علي**
مدرسة عبدالله بن مسعود الابتدائية
ابها

**تركي عبدالله ابراهيم الدبيخي**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض

**ثامر حصاد الحازمي**
مدرسة عبدالرحمن بن عوف الابتدائية
طريف

**جهاد علي صالح حسين**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف

**جواهر عايش محمد الحربي**
معهد الامل للصم والبكم
مكة المكرمة

**حاتم عويض الزايدي**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف

**حسن نبيل حسن شرف**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر

**حسن علي محمد عسيري**
المدرسة السابعة للأبناء الابتدائية
تبوك

**حسين نصر احمد ال اسماعيل**
مدرسة الشاطيء الابتدائية
القطيف

**حسين علي حسين السلمان**
مدرسة ضرار بن الازور الابتدائية
صفوى






**حسين السيد سلامة**
مدرسة الملك عبدالعزيز الابتدائية
الخرج
**حمد محمد الغنيم**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران
**حمود جريد الشمري**
مدرسة طلعة التمياط الابتدائية
عرعر
**حنان علي حيدر الحيدر**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**خالد سعد الضاحي**
مدرسة جنوبية سدير الابتدائية
سدير
**خالد علي ابوطالب عريبي**
مدرسة الموسم المتوسطة
جيزان
**خالد سلمان عبدالعزيز ال سعود**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**خديجة خليفة وصال السلمي**
معهد الامل للصم والبكم
مكة المكرمة
**خليل محمد فرحان الغمري**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**داهي كيم**
مدرسة الظهران
الخبر
**دوري زايد حمود الشمري**
مدرسة طلعة التمياط الابتدائية
عرعر
**دينا عثمان محمد الصائغ**
مدرسة روضة الطائف الاهلية
الطائف
**دينا هشام عمر غاربو**
مدرسة تلال الظهران الابتدائية
الظهران
**راجح جعفر احمد اليامي**
المدرسة النموذجية الاهلية الابتدائية
الدمام
**رامز حسين علي العلوان**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران
**رامية عقاب الثقفي**
مدرسة الملك فهد المتوسطة (بواسطة والدها)
الطائف
**رانية صلاح القريوتي**
مدرسة الفيصلية الاسلامية
الخبر
**رفال كامل محمد علي**
مدرسة منارات الشرقية للبنات
الدمام
**رمضان غرم الله عوض الزهراني**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**رولا خيرالدين قويدر**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**ريم احمد شهوان الشهوان**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**زهراء احمد حسن الناصر**
معهد الامل للصم والبكم
الدمام
**زهراء رديف محمد القرني**
معهد الامل للصم والبكم
مكة المكرمة
**زينب محمد الهزاع**
المدرسة السابعة الابتدائية
سيهات
**سارة جوبر**
المدرسة العالمية
تبوك
**سارة صالح عبدالرحمن العسكر**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**سارة محمد زهير عرنوس**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض

**سارة عبدالمحسن عبدالعزيز اليحيى**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**سارة صلاح علي ابا الخيل**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**سعد خلف الحربي**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**سعود رشيد الهزيمي**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**سعود مطير عبدالمعين الجحدلي**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**سلطان عبدالله عواض الحارثي**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**سلطان خلف حمود القاران**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**سلمان علي عوض الحارثي**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**سما سالم بن لادن**
مدارس دار الفكر
جدة
**سناء يحي ناصر بن الشيخ**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**شادي نزيه عقله**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**شذى احمد محمد بكر**
شركة الزيت العربية المحدودة - مكتب الاعلام
الخفجي
**صالح عباس منير النفيعي**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**ضياء انور السعيد**
مدرسة القنائير الابتدائية
الجبيل الصناعية
**طارق محيسن الحماد**
مدرسة عمرو بن العاص الابتدائية
الجوف
**طلال عبدالعزيز صالح التميمي**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران
**عادل متروك الشمري**
مدرسة القنائير الابتدائية
الجبيل الصناعية
**عامر ماجد صلال**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**عايد حواس طليحب الحازمي**
مدرسة عثمان بن عفان المتوسطة
عرعر
**عبدالرحمن حمود معطش الجمعان**
مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
عرعر
**عبدالرحمن فوزي محسن باجري**
مدرسة منارات المدينة المنورة
المدينة المنورة
**عبدالرحمن محمد سعيد السيد**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**عبدالعزيز حسن محمد دهلوي**
مدارس دار الفكر
جدة
**عبداللطيف سعيد مطر**
مدرسة طلحة بن عبيدالله الابتدائية
عرعر
**عبدالله صلاح الدين محمد ماريديني**
مدارس دار الفكر
جدة
**عبدالمحسن عبدالعزيز عيسى آل بن علي**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران

**علا تاج الدين عمر مليباري**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**علي محمود بستاني**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**علي عوض علي الوادعي**
المدرسة السابعة للأبناء الابتدائية
تبوك
**علي احمد دعزيري**
مدرسة الحويلات الابتدائية
الجبيل الصناعية
**علياء احمد محمد الضبيب**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**عمار شاكر عبدالكريم الصائغ**
مدرسة ذات الصواري الابتدائية
الظهران
**عمر محمد شريف فتحي**
مدرسة الامل للغات
الرياض
**فارس عوض الكريم احمد**
مدرسة عبدالله بن مسعود الابتدائية
ابها
**فراس محمد عبدالعزيز مطر**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**فهد حمود معطش الجمعان**
مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الابتدائية
عرعر
**فهد خالد الرميح**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**فهد دباس فهد الشمري**
مدرسة الامام مسلم الابتدائية
عرعر
**فيصل صالح المرزوقي**
روضة جدة النموذجية
جدة
**فيصل عبدالعزيز عبدالله ال الشيخ**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**فيصل دهش عثمان الدهش**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**فيصل فهد جري العتيبي**
مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب
عرعر
**كرم احمد جاسم الداوود**
مدرسة ضرار بن الازور الابتدائية
صفوى
**كريم رأفت محي الدين محمدي**
ص.ب ١٠٦٨٢ - الجبيل الصناعية ٣١٩٦١
الجبيل الصناعية
**كوثر طاهر عبدالعزيز الصُّبي**
بيت الطفولة السعيدة
سيهات
**ليلى علي حسن الخلف**
المدرسة المتوسطة الثانية
صفوى
**ماجد عبدالله ال الشيخ**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**محمد علي ماضي**
مدرسة النعمان البشير الابتدائية
جدة
**محمد نجم الدين عكاشة**
مدرسة منارات عسير
ابها
**محمد عبدالرحمن بشير السكيبي**
المدرسة النموذجية الاهلية الابتدائية
الدمام
**محمد سعيد محمد رزق**
مدرسة مصعب بن عمير المتوسطة
عرعر
**محمد عبدالكريم البيبي**
مدرسة القنائير الابتدائية
الجبيل الصناعية
**محمد سالم راشد العليان**
مدرسة الخوارزمي المتوسطة
صفوى

**محمد سلمان خويلدي**
مدرسة الخوارزمي المتوسطة
صفوى
**محمد عادل هيثم عادل**
مدرسة الملك فهد المتوسطة
الطائف
**محمد سامي القويرس**
مركز سعد الصائغ لتقويم النطق والسمع
الخبر
**محمد عبدالرحمن ابراهيم الضبيب**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران
**محمد سالم عبيد العنزي**
مدرسة صلاح الدين الايوبي الابتدائية
عرعر
**محمد علي الرطبي**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**مساعد عوده العنزي**
مدرسة صلاح الدين الايوبي الابتدائية
عرعر
**مشاعل عبدالرحمن سعد الهويش**
مدارس دار الفكر
جدة
**مشرع ناصر القحطاني**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**ممدوح عمير جازي العنزي**
مدرسة عثمان بن عفان المتوسطة
عرعر
**مهند عادل يوسف سبيبة**
مدرسة الامام مالك الابتدائية
ينبع الصناعية
**ميعاد عبدالله عبدالرحمن باعشن**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**نادية محمد هيثم الكن**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**نايف عبدالمحسن احمد الحصين**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**نذير كفاح سعيد الجشي**
مدرسة الشاطيء الابتدائية
القطيف
**نسيم عبدالله الشمراني**
معهد الامل للصم والبكم
مكة المكرمة
**نهى محمد مرسي رمضان**
الشركة الوطنية للمحافظة على البيئة
الجبيل الصناعية
**نهى محمد زمزم**
مدرسة منارة قاعدة الملك خالد الجوية
ابها
**نواف غدير الشمري**
مدرسة طلعة التمياط الابتدائية
عرعر
**نور محمد فواز الطباع**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**نوف خالد عبدالله ال سعود**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**نوف حمد سعيد السياري**
مدارس الرياض الاهلية
الرياض
**نوف عبدالعزيز علي الزبن**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**هاني محمد شريف فتحي**
مدرسة الامل للغات
الرياض
**هاني عبده عبدالله قاسم**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**هبه خالد فيصل الشريف**
مدارس دار الفكر
جدة

**هديل صالح حمد العيسى**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**هيثم هشام سعيد البحراني**
مدارس الظهران الاهلية
الظهران
**هيفاء عبدالرحمن احمد الادريسي**
مدارس التربية الاسلامية
الرياض
**وائل بكر احمد الحاج**
مدرسة ابن الاثير الابتدائية
عرعر
**وديع علي حسن الخلف**
مدرسة صفوى المتوسطة
صفوى
**ولاء محمد فاروق احمد**
المدرسة الثامنة والعشرون المتوسطة
جدة
**ياسر عبدالعظيم عبدالله يحيى**
مدرسة عبدالله بن مسعود الابتدائية
ابها
**ياسر انصاري**
المدرسة البريطانية
الرياض
**يحيى عبده الدربي**
المدرسة السابعة للأبناء الابتدائية
تبوك
**يحيى عبدالعزيز العساف**
مدرسة مصعب بن عمير المتوسطة
عرعر
**يوسف فاروق قرشي**
ص.ب ٢٧١٠٦ - الرياض ١١٤١٧
الرياض




# المنهل

AL MANHAL

...وم الوطني ..
...أمس الماثل
...الغد المتجدد

...ورة النسيان !!
...نقد الورقي ..
...غطاء الأدب
...طقة .. الثغرة
الوراثية

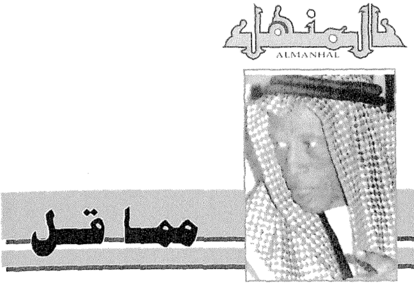
... أهل الكهف ..
...يقة الضائعة !!

## الرحمة المهداة

## الحرية وحقوق الإنسان




## الخروج عن النص




## ( عنوان للرقي )

ان انشاء الشركات الكبرى التى تتولى كبريات المشروعات الصناعية والتجارية والزراعية، هو الطريق الوجيز للوصول بالبلاد سريعا الى مرتبة «التصنيع» العام.. وهذا التصنيع العام هو عنوان بارز لرقي الامة، ذلك انه ينهض بالمرافق الحيوية ويشغل الايدى العاطلة، وييسر سبل الرخاء العام، وينمي دخل الفرد والجماعة، ويزيد من طاقة البلاد الانتاجية، ويكفى البلاد استيراد كثير من ضروريات الحياة وكمالياتها الموجودة فى داخل بلادهم خاماتها. وكم كان سرورنا بالغا حينما رأينا شركة الكهرباء السعودية بمكة والطائف تقوم بتقديم كل ما تنتجه الكهرباء من نور ووقود ووسائل تبريد وتدفئة للمواطنين، وكذلك الشأن في كهرباء الرياض وفى كهرباء جدة، وكهرباء غيرها من مدن المنطقة الشرقية..

وكم كان سرورنا عظيما حينما رأينا الشركات الوطنية الكبرى تنشئ المصارف (البنوك) برؤوس أموال ضخمة.. وبادارات قوية، الى جانب البنوك الاجنبية الموجودة لدينا.

وكم كان سرورنا كذلك حينما رأينا شركات من الوطن تنشأ لصناعة المرطبات والمثلجات بدلا من ان تقوم بها شركات غير وطنية.

ان ثروة طائلة ستحتفظ بها البلاد وان دخلا كبيرا سيدخل الى جيوب المواطنين.. وان مادة اساسية من مواد التعمير والتصنيع قد أمنت لصلحة البلاد في البلاد.

تحية من المنهل لجميع الشركات الوطنية العاملة.

واذا كان لنا ما نقترحه في هذه المناسبة فهو ان تقام مصانع اخرى لصناعات اخرى، بلادنا فى أمس الحاجة الى ان تنقل اليها.. مثل صناعة الزجاج، وصناعة الورق، وصناعة الحديد، وصناعة البلاستيك وغيرها.. وبذلك ستكون أول مدينة صناعية حديثة في بلادنا ستعقبها مدن مماثلة في كثير من الارجاء ان شاء الله.

«عبدالقدوس الأنصاري»

ربيع الثاني ١٣٧٧هـ/ نوفمبر ١٩٥٧م


**مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة**

**تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة**

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

**المركز الرئيسي:**

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

**سعر النسخة:**

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ قلس.

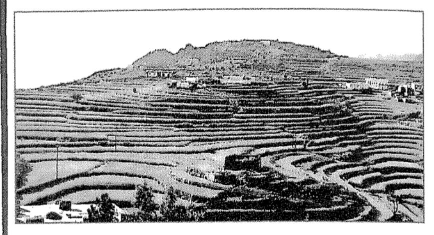
**الاشتراكات:**

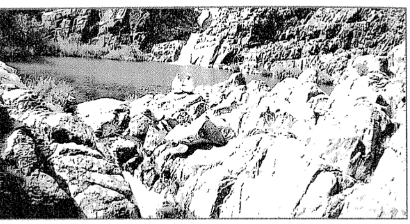
جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال




# لقطة الشهر





**بحمد الله تعالى بلادنا تملك من معالم السياحة « طبيعة وجواً وموقعاً » ما لا يتوفر في كثير من بلدان العالم ...هذا فضلاً عن تعرفنا عن كثب بمقومات هذا الكيان الكبير**

## الـــــارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

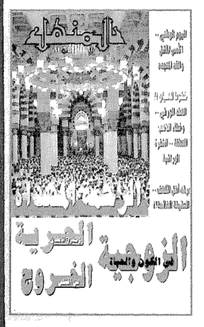


طبع بمطابع شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة .
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦

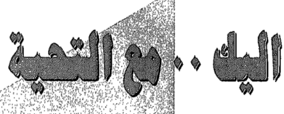


عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.




غلاف العدد




منهل يات

القــارئ .. مــرتكز الدائرة المنداحــة في أعــمــاقنا .. أداء، وعطاء، وتوجها..

القارئ الطُلعة ... العين الباصرة لمطبوعته، ما أحبها، والمنهل تبادل قارءها حباً بحب ووفاء بوفاء.. وهذا الحب الموصول هو زاد الاستشراف الدائم الى القمة السامقة في الأداء تأصيلا وتجويداً..

المجلة الناجحة تعني: القارئ والموضوع والابداع في الاخراج والتنظيم. ثلاثي متلازم .. ويأتى القارئ في قمة هذا المثلث الهرمي .. والقارئ هنا نعني به (الكاتب المشارك) و(القارئ الملتزم) والواجب المتبادل بين المنهل وقرائها أن تطلعهم، بل تشركهم فى خططها التى تهدف الى تحقيقها. منذ ما يربو على عشر سنين اعتاد المنهل أن يصدر - إضافة الى أعداده الشهرية المعتادة - عددين سنويين لهما توجههما المتميز، من حيث وحدة الموضوع ومرجعيته، ومن حيث التناول والمعالجة، وتخيّر الاقلام المشاركة فيه ..

أحدهما يصدر فى (الربيعين من كل عام) يأتى ملامساً نورية مولد الرحمة المهداة، وقدسية الهجرة المباركة.. وفي هذا الاطار يمتح من هذا الروح الخالد.

والعدد الآخر، هو العدد (السنوي المتخصص) ويصدر غالباً في الربع الأخير من كل عام.. وهذا يتناول موضوعاً فى التاريخ أو الأدب أو الابداع، أو يتناول واحداً من جوانب العلوم الانسانية.

وبعد دراسة متأنية فاحصة لكل ما صدر من اعداد سنوية رأينا أن نركز الجهد فى عدد (سنوي واحد) الى جانب الأعداد الشهرية المعتادة - نضع فيه جل اهتمامنا، وعميق تصوراتنا، ويكون اكثر رحابة من سابقيه.. وبمشيئة الله تعالى سيكون موعد اصداره فى شهري (شوال وذي القعدة) من كل عام.

وأملنا دائماً ان نكون عند حسن ظن القارئ الكريم بنا.

**نبيه الأنصاري**




العدد: (٥٢٥)
المجلد: (٥٧)
العام: (٦١)



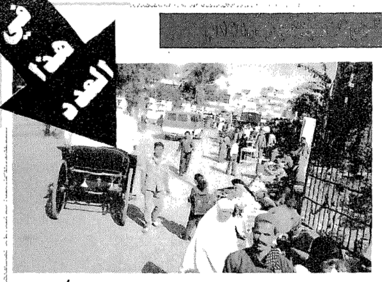




**وكــلاء التوزيع**

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

# في هذا العدد



- السيرة النبوية فى الجذور البعيدة / ص
- اليوم الوطني ٠٠ الأمس الماثل والغد المتجدد / ص٤
- الحرية وحقوق الانسان / ص
- عالمية الأدب ٠٠ واشكالية الترجمة / ص
- مرقد أهل الكهف ٠٠ الحقيقة الضائعة / ص٩٨
- النقد الورقي ٠٠ وغطاء الذهب / ص١١٤
- الخروج عن النص / ص١٢٠
- خطوط للنسيان / ص١٣٠
- الزوجية في الكون والحياة / ص١٥٥

## أقلام:

د٠ عبده بدوي
د٠ محمد رجب البيومي
د٠ فوزى الفيشاوي
د٠ محمد عمارة
د٠ ابو بكر حميد
د٠ عبد القادر طاش
الاستاذ محمود السيد الدغيم
د٠ ثريا العريض

## الفهرس

# اليوم الوطني ٠٠ الأمس الماثل والغد المتجدد

« ٠٠٠ كان موفقاً ملهما، محبوباً، عمَّر ما بينه وبين ربه، وما بينه وبين شعبه، شجاعاً بطلا، انتهى به عهد الفروسية فى شبه الجزيرة، كريماً لا يجارى خطيباً حدِّيثاً، لا يبرم أمراً قبل إعمال الرويّة فيه، يستشير، ويناقش، ويكره الملق والرياء٠٠» الأعلام - الزركلي ص٢٥/ج٤٠

كلمات صدق ختم بها صاحب «الأعلام» ترجمته للملك عبد العزيز - عليه رحمة الله - وهي رغم قصرها، تمثل وصفاً لدقيق المعالم الإيمانية والخلقية للملك عبد العزيز٠٠ وهي خصال في مجملها - إذا أعدنا قراءتها ثانية - تمثل مقتضيات الزعامة، وحيثيات الريادة٠٠ والرائد لا يكذب أهله٠٠ «عمَّر ما بينه وبين ربِّه»٠٠ وهي الخطوة الأولى على طريق الهدى والرشاد، «قل آمنت بالله ثم استقم» واستقامة النفس على هدي الحق إعمار ظاهر وباطن لكل معارج الخير فيها٠

«كان موفقاً ملهما» ٠٠ ولا نحسب هذا إلا تدرجاً طبيعياً، وليد الاستقامة٠٠ التوفيق من الله سبحانه على طريق الخير وتسديد الخطى، والإلهام - وهو درجة عالية رفيعة من الوعي الداخلي غير المنطوق٠٠ أو الوعي الصامت، إن تجاوزنا فى العباره - وهو صوت القلب الذي جاء فيه «استفت قلبك وان افتاك الناس» والالهام الوارد على النفس القائمة على طريق الحق هو الصدق الذى لا يسير بمحاذاته باطل٠٠ وكل ما يأتى بعد هذه الخصال الكريمة يعد اسقاطاً طبيعياً لسوابقه، إذ اللواحق تمسك بعنان سوابقها، لانها على نهجها سائرة٠

خادم الحرمين الشريفين يحمل الأمانة بين عينيه٠

من هذه الإلماحة الخاطفة نستطيع تحديد ملامح التكوين الجديد للدولة الجديدة التى يقوم - من هذه صفاته وملامحه الإيمانية والخلقية - على تأسيسها وتكوينها٠

إذن ، هي أولا دولة «الإيمان» ، وما ركيزتها إلا شرع الله المبين ٠٠ وهي ثانياً دولة «الأمان» ٠٠ الأمان المنتشر فى ربوعها وأنحائها٠٠ في كل سهولها ووديانها٠٠ الأمان المنتشر فى البدو



*المؤسس الملك عبد العزيز*

والحضر٠٠ وهل تقوم حياة بغير إيمان ٠٠ انه استقامة النفس الانسانية على طريق الحق ٠٠ واستقامة الأفراد هي استقامة تلقائية للمجموع بكامله٠٠ وهل تقوم حياة بغير أمان ٠٠ لقد امتن الله سبحانه وتعالى على قريش بتوفير لقمة العيش والأمان «أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» ٠٠ «وإذا الإيمان ضاع فلا أمان» ٠

مقومان أساسيان، هما أبجدية الدولة الجديدة (الإيمان والأمان) وكل الأبجديات الأخرى تأتي تبعاً مقودة بخيط الأوليان ٠٠ وهنا ينتظم عقد المنظومة الاجتماعية للشعب السعودي بكامله ليصبح في مجموعة نبضاً سلوكياً وأنموذجاً حياتياً واحداً٠٠ يستقرىء الماضي القريب والبعيد ليصوغ منه حاضره وغده، على منهاج رؤية واضحة تنتظمها:

- المحافظة على القيم الاسلامية وتطبيق شريعة الله وترسيخها ونشرها٠
- الدفاع عن الدين والوطن والمحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي للبلاد٠
- تنمية القوى البشرية، باعتبارها الرصيد الحيوى المتنامي أبداً ، الذي تقوم عليه وبه كل أسباب النهضة، في كل مجالاتها٠٠ والعناية

بالرصيد البشري، تمثل عناية بكل أسباب التقدم الحضاري، في عصر لا يعرف التوقف.

فى مطلع هذا القرن الميلادي لم تكن المملكة كياناً موحداً ، بل كانت دويلات صغيرة تتنازعها القبائل، وهي متنازعة فيما بينها، لا شيء يربط بينها.. لا أحد يأمن على نفسه في حله وترحاله.. قطاع الطرق لم يتركوا للناس مكاناً آمنا.. حتى الحجيج لم يكونوا في مأمن عن قطاع الطرق الأشداء هؤلاء.

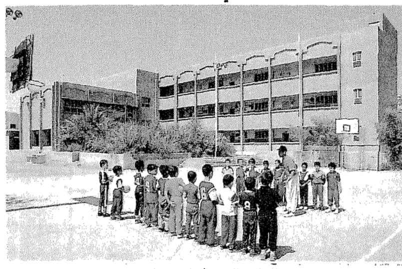
إذن، الوضع القائم آنذاك في مجمله كان فوضى ضاربة الأطناب، بعيدة الخطر، عميقة الأثر، غائرة الجرح..

وجاء الملك عبد العزيز (١٢٩٣هـ/ ١٣٧٣هـ) الموافق لـ (١٨٧٦م - ١٩٥٣م) فبدأ باسترجاع مدينة الرياض فى ١٩٠٢م «لتكون بداية الانطلاقة للتوحد، ولما بلغ عام ١٩٢٦ دانت له شبه الجزيرة العربية في معظمها .. وما جاء عام ١٩٣٢م حتى كانت المملكة موحدة ، واكتسبت اسمها الحالي (المملكة العربية السعودية) منذ ذلك التاريخ..

«ولعل اكبر وأعظم انجاز تحقق في تاريخنا المعاصر، كان ذلك الغمل العظيم لمؤسس هذه البلاد الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - بتوحيده للمملكة ، وجمع شتاتها واحلال الأمن في ربوعها، وجذب التجمعات البدوية المتنقله الى مناطق استقرار زراعي، ولم يكن لذلك ان يتحقق الا بعد ان أوجدت القيادة السعودية في ذلك الزمن مصادر المياه التي يقوم عليها النشاط الزراعي والبشري



الموانيء : بوابة العطاء



التعليم والتربية أساس البناء.



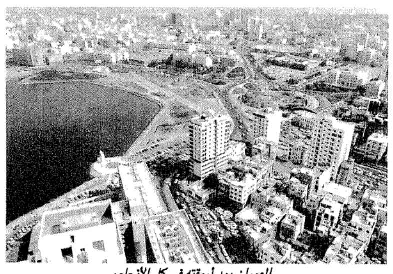
الانسان السعودي: قيمة العطاء الأمثل.

والمجتمعات السكانية٠٠»٠

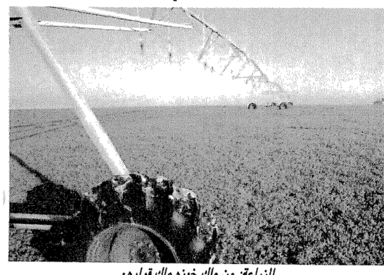
خلال سنوات الفتح هذه من أجل لمٍّ الشمل وتوحيد هذا الكيان، كان من خطة الملك عبد العزيز ـ عليه رحمة الله ـ الحكيمة أن يكون العلماء في ركبه يعلمون الناس دينهم، ويصلحون ما فسد من عقائد، ويعظون الناس ويدعونهم إلى الحق بالحسنى، بل يبينون للناس الحلال والحرام حتى يكونوا على بينة من أمرهم٠

وما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا دعوة مصلح مجدد، ولا تمثل دعوته مذهبا جديداً ولقد كان الملك عبد العزيز دقيقاً في تحديد منهج الصيغة الاصلاحية التى كان يتزعمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومَنْ والاه من العلماء ٠٠ وكان ذلك فى خطبته التي القاها في القصر الملكي في مكة المكرمة في غرة ذى الحجة ١٣٤٧هـ (١١ مايو ١٩٢٩م) وجاء فيها:

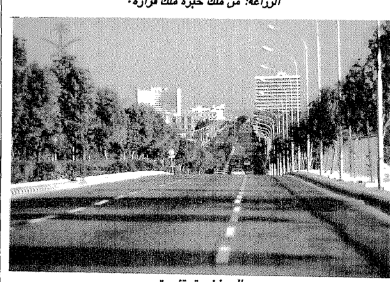
«يسموننا بالوهابيين باعتبار أننا أصحاب مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض٠٠ نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح، التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعى وأحمد وأبى حنيفة٠٠ كلهم محترمون فى نظرنا»٠



العمران يمد أروقته في كل الأنحاء٠



الزراعة: من ملك خبزه ملك قراره٠



جمال وخضرة وتنسيق٠

بهذا المستوى من وضوح المنهج قامت المملكة،

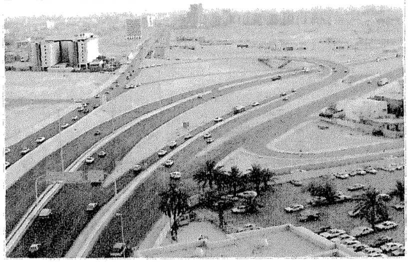
الطرق ـ الأنفاق ووسائل المواصلات .. أداء وعطاء وتقدم.

وبهذا المستوى من الوضوح تسيِّر كل أمرها..

ويأتى أبناء الملك عبد العزيز من بعده، يحملون الأمانة، ويسيرون على الطريق المختط قبلا، مضيفين إليه ما تقتضيه مسببات التطور، وموجبات النماء والازدهار.

«ولقد استطاعت المملكة خلال اثنين وستين عاماً أن تؤسس لنفسها قواعد حضارة وتطور تساوي في قيمتها انجاز قرنين من الزمان».

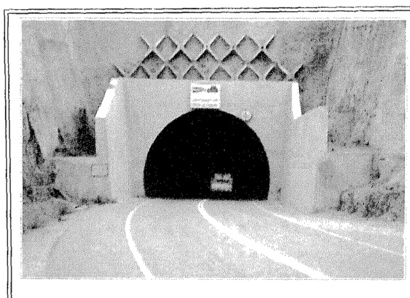
وخلال ربع قرن من الزمن استطاعت المملكة بفضل الله سبحانه أن تحقق من الانجاز ـ فى كل الميادين ـ ما يُعدّ معجزة بكل المقاييس.. خلال هذه المدة الوجيزة أصبحت الدولة أنموذجاً حضارياً.. لقد بذل قادتها كل ما في وسعهم، لبناء دولة قوامها الانسان الواعي المدرك لمسئوليته وواجباته.. والناظر للمملكة اليوم يجد ركائب الإعمار تجوب ربوع البلاد، لا تدع سهلاً أو واديا أو جبلا، إلا اصلحته..

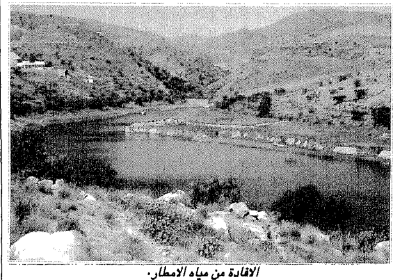


التعليم، الصحة ، الصناعة ، الزراعة ، كلها ميادين انفقت عليها الدولة انفاق من لا يخشى الفقر، وجعلت منها جميعها نماذج تحتذى.

الأمجاد التى يسير بها الركبان ، وترددها الأجيال ، تقوم على ركائز الإيمان وصادق العزائم .. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.. والعطاء يظل موصولا بأهله أبدا..

والتاريخ ـ ذلك اليراع النابه ـ يرصد ويسجل ، وما أحق الأجيال بقراءة صفحات امجادها وعظمائها. ومن أزهرت حدائق الايمان في نفوسهم تدفقت منهم ينابيع الخير تروي صحراء





الافادة من مياه الامطار.



احدث انواع العمران.

دنياهم لتحيلها خضرة يانعة.

ولا نحسب ان عقود يومنا الوطني تتوالى لتعود ذكرى .. وانما هي انجاز سابق.. وأداء لاحق، وفخر سامق..

وتتصل حلقات عقد البذل والعطاء والجهاد وتتلاحق سحائب الخير مدرارة من موحد هذا الكيان الشامخ الى أبنائه الغر الميامين خلفه الصالح وقادة مسيرة الخير والنماء.. حركة التاريخ لا تتوقف، بل تظل حلقات هذه الحركة متصله ببعضها، والقراءة الواعية الذكية للأمس تعطينا الدفع القويّ لحاضرنا وغدنا، والامم الناهضة تفيد كل الافادة من سابقيها.

وحكمة قادة هذا الكيان الكبير، هى حكمة ، المستوعب لوقائع أمسه، الممسك بمجريات يومه، الناظر بعين الأمل لغده..

وما وصلت اليه المملكة اليوم من أسباب النهوض الحضاري، والتقدم العلمي والتقني، والصناعي، والتوسع التعليمى في المدارس والمعاهد والجامعات، ما هو الا دليل على حكمة القيادة، وصلاح أمرها، وجدّها في خدمة مملكتها ووطنها.. وكل هذا واضح للعيان، لا تخطئه العين، ولا يغيب عن ذاكرة المتأمل .. ونحن في ظلال هذه الذكرى العطره نرفع أكفّ الضراعة .. داعين المولى عز وجل ان يحفظ بلادنا العزيزة تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حماه الله ـ

« رئيس التحرير »

كلمات اجتزأناها من مقالات كتابها ، وهي منشورة في مجلة المنهل في ربيع الاول ١٣٧٣هـ الموافق لشهري نوفمبر وديسمبر ١٩٥٣م.. وكانت تأبيناً للراحل المغفور له الملك عبد العزيز.. وهذه الفقرات تمثل استرجاعاً لذاكرة تاريخ مجيد ينبغي ألا يغيب عن ذاكرة الاجيال.

# قالوا عن الملك عبد العزيز

**قال الملك من أول يوم بايعه فيه الشعب:**

***«أما وقد قضت عليّ البيعة الشرعية التي في عنقي ان ارتقي عرش الملك، واتقلد مسؤولية الحكم، فإني سأجعل نصب عيني، سيرة والدنا - المغفور له - وآراءه السديدة وسجاياه الحميدة ومزاياه المجيدة، في ادارة البلاد وتصريف شؤونها متبعا احكام الدين المبين معتصما بحبل الله المتين، واعاهد الله بالتمسك بكتابه الكريم، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وسأكافح دونهما بلساني وجناني باذلا قصارى جهدي في اسعاد شعبي العزيز ورفاهيته والعمل على رقي البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ساهراً على مصالح البلاد وتأمين حقوق ابنائها، مذللا كل عقبة تعترض خيرنا في هذا السبيل، ضاربين على كل اسلوب فاسد معيب وسأولي عنايتي الخاصة الى قواتنا العسكرية والوطنية كما اني سأواصل في توثيق عرى الاخاء الاسلامي والعربي مع الدول الاسلامية والعربية وساحتفظ بصداقة الدول الأجنبية التي اولاها فقيدنا الغالي عنايته، جاعلا بلادنا المحبوبة المكان اللائق ان شاء الله».***

** انه اسد الجزيرة و(صقر العرب) حقا دون منازع، بما خاض من معارك، وما صادم من أبطال وأقيال، وما دك من معاقل، وما اقتحم من أهوال، وما اجتث من فساد، وما فتح من بلاد، وما وحد من شتات، وما جمع من متفرق، وما اسس من ملك (على قواعد الشورى) وما شيد من عمران وانشأ من علاقات وسفارات وبذر من مبادىء، وثبت من عقائد، وواجه من مشاكل، وذلل من صعاب، وبما دون من دواوين، ووطد من دعائم، ورفع من ألوية، وبما اقام من شريعة الله، فهو في كل ذلك كان (نسيج وحده) كان أمة في رجل - بل كان هو الشعب في مجموعه ومميزاته وسماته العليا - فلا غرو إذا كان لنعيه في الخليقة هذا الدوي البعيد!.

***احمد ابراهيم الغزاوي***

** كان صانعا في التاريخ لأن الرقعة الواسعة التي استطاع ان ينشئها من لا شيء استطاع ان يغنيها في كل شيء.



نسى خصومة من يعاديه ، وعالج حرد من تعصب عليه، ونشر عدله، واشاع حزمه ونشط لأسباب النهوض فشيد بيوت العلم، وبذل الكثير فى سبيل العمران، واستطاع ان يكتب لشعبه الجديد صفحة جديدة فى سجل العالم الحي.

ودوى صوت ما أسس فى قارات الأرض الخمس، فاعترفوا بمجده، واشادوا باسمه وأحلوه المكان السامى بين شعوب المسلمين، واعتبروه سيدا بين الناطقين بالضاد.

***احمد سباعى***

** ان مآثر الملك عبد العزيز آل سعود متعددة الجوانب والاهداف فهو كملك على البلاد السعودية لم يأل جهدا فى العمل على كل ما من شأنه استتباب الأمن والنظام وراحة الحجاج وتقدم جميع مرافق البلاد العامة من اقتصادية وثقافية واجتماعية وفوق ذلك تطبيق احكام كتاب الله والعمل على احياء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهو كملك من ملوك العرب لم يترك فرصة واحدة الا واتخذها للم الشعث وتقوية أواصر المحبة والتعاون بين الاقطار العربية والاخذ بيدها الى العزة والمجد ولست ارانى بحاجة الى التدليل على ذلك باكثر من ذكر حقيقة جلية واحدة واعنى بها زيارة ملوك المسلمين ورؤسائهم له فى عرينه فى الرياض للتداول فى شؤون الامة العربية، الامر الذى يدل دلالة قاطعة على مقدار الاحترام الذى يكنه له اولئك الملوك والأمراء.

***السيد عبد الحميد الخطيب***

*(الوزير السعودى بباكستان)من كلمة القاها من اذاعة باكستان يوم الخميس ٥/ربيع الأول ١٣٧٣هـ*

** وما إن وطئت أقدام الامام عبد العزيز الديار المقدسة سنة ١٣٤٣هـ حتى كان فى طليعة ما عنى به من أعماله المبرورة بعث الحركة الدينية من جديد، وكان يصارح الملأ

بقوله: «نحن دعاة ولسنا بحكام. دعاة لدين الله ولإخلاص العبادة لله ولم نقدم من ديارنا اليكم الا انتصاراً لدين الله».

وقد أفسح المجال وأوسع الصدر لحضرات أصحاب الفضيلة العلماء فى مناقشته شخصيا والاجتماع به ثم بحضرات اصحاب الفضيلة علماء نجد لوضع أسس التفاهم الصحيح وتعرف واقع الدعوة وفحص التهم والمفتريات التى الصقت بالدعوة واستغلها المغرضون لصد الناس عن سماع صوت الحق والاستجابة لدعاته واسفر ذلك عن اقتناع تام وتفاهم فى الأصول والفروع قضى على الظنون والتوجسات والحركة الدينية التى يتزعمها الإمام عبد العزيز، هي حركة تجديد لما اندرس وعفى عليه الزمن من دين الحنيفية، وحركة تطهير للمعتقدات وتنقيتها من الزيف والشوائب واعادتها الى ما كانت عليه فى العصور الذهبية وخير القرون.

***عبد الله خياط***

*(مدير مدرسة الأمراء بالرياض)*

** العدل الذي بنى عبد العزيز ملكه على اساسه هو الذى أوجد الأمن، والأمن هو الذى أوجد النظام، والنظام اخيراً هو الذى هيأ لكل ما اصبحنا نراه اليوم من شتى مظاهر النهضة العلمية والعمرانية الشاملة فى هذه المملكة السعودية.

***محمد سعيد العامودى***

** فأنعم به من ملك تعلق قلبه بحب شعبه .. فخفق قلب شعبه بحبه .. هو يسهر على راحته، وهذا يخلص له فى طاعته.. هو يسعى لأنهاضه واسعاده، وهذا يمتثل أمره وارشاده.. هو يعمل جاهداً لخير العروبة والمسلمين، وهذا يدعو له ـ من قلبه ـ بالنصر المبين.

***محمود عبد الوهاب***

** عبد العزيز الامام الجليل، وعبد العزيز الملك العادل، وعبد العزيز العاهل الراحل.

ان نواحي العظمة فى هذا الرجل عديدة ومتشعبة، وجديرة بأسفار ومجلدات، فمادته غزيرة، ومعين الأدب فى تاريخه لا ينضب، فهو عظيم فى مولده، عظيم فى نشأته، عظيم فى دينه واستقامته، عظيم فى جهاده وغزواته، عظيم فى حلمه وعفوه وكرمه، عظيم فى واقعيته وبعد نظره،

***محمد أمين التميمى***

** رحم الله ابن سعود، فقد كان عظيما بين عظماء الرجال، وعبقريا من عباقرة التاريخ الذين تلمع أسماؤهم ـ ويدوي ذكرهم فى مشارق الأرض ومغاربها على مر الدهور ومدى الأزمان للاعمال المجيدة والمآثر الباهرة التى كانت سبباً فى رفعة أوطانهم وعلو شأنها واصلاح أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية العامة من ناحية.. والسير بالانسانية المعذبة الى عالم تسوده روح

التعاون والتضامن والوئام والبذل والتضحية من ناحية أخرى.

**السيد محسن احمد باروم**

*المفتش الأول للغة العربية بالمعارف*

** إن تاريخ المملكة العربية السعودية - فى حقيقة الامر تأريخ لحياة الملك ابن سعود، فالعلاقة بين الاثنين، أشد اتصالا منها بحالة تركية الحديثة مع كمال اتاتورك، فالزعيم التركي يعتبر مصلحا لاشياء كانت موجودة من ذى قبل، اما ابن سعود فقد انشأ دولة، لهذا فهو مسئول عن كل شيء يجعل من المساحات الشاسعة فى الصحراء القاحلة، والقبائل المتباينة العناصر، وحدة وطنية.

**المستشرق البريطاني الدكتور روم لاندو**

** أدخل ابن سعود السيارة الى شبه الجزيرة، حتى لقد انتهت مواصلات الحج الى أن تكون اليوم الية بالكلية، ليس هذا فلحسب، بل لقد اصطنع ابن سعود منذ زمد طويل كلا من التليفون والراديو في دوائره الحكومية. وطفق يسعى مؤخرا - وخاصة بعد أن لمس شخصيا حسنات الطب الأوربى - الى أن يجعل منافع علمى الصحة والطب الحديثين فى متناول رعاياه، كذلك لقى التعليم الذى كان مهملا حتى ذلك الحين فى شبه الجزيرة، باستثناء مكة والمدينة - اهمالا تاما، اهتماما من جانب العاهل السعودى.

**(كارل بروكلمان)**

** «كل بدوي فى وسعه أن يدخل على أميره ويطالبه بحكم الشرع، واقامة العدل بينه وبين خصومه.

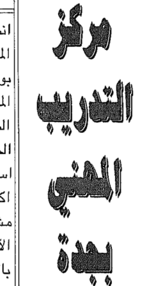
«وللملك ساعة معينة من كل يوم يجلس فيها للنظر فى شئون الرعية والاستماع الى شكاواهم التى يعرضها عليه نفر من الرؤساء، وأوامره لا اعتبار فيها للون أو للنسب. «وجلالته - باتفاق الآراء - رجل صالح وملك عادل ومفكر كبير وجواد كريم يغمر ضيوفه بكرمه وسخائه»».

**المهندس الجيولوجي الأمريكي «كارل توتشل»**

** «هل بين ملوك الشرق الحاضرين من يضارع ابن سعود؟ لا أذكر حاكما قويا يخشى الله قد وصل الى مكانة هذا المليك، فلا شك أنه لا يعدله ملك فى العالم الاسلامي فهو الجندى الباسل والمصلح الكبير، والمخلص لدين الله، والانسان الظريف الكريم الصريح الثابت، الذكي الشجاع المتواضع، فليس كمثله ملك.

ومن السهل أن يخالفه فى الرأى رجال من رعيته، وهذا الاختلاف لا يقلل من احترامهم لشخصه والاخلاص له. وقد بعثت شخصيته الحية المثل العليا فى نفوس الكثيرين فى سائر البقاع الاسلامية»

**الكاتب البريطاني مستر كنيث وليامز**




# بوتقة المهارات .. ومصنع الرجال

المعادن تُصهر في بوتقة حتى تصير سائلا، ثم تصب في قوالب، فتأخذ شكل القالب الذي صبت فيه تماما، وتظل ثابتة عليه، مالم تتدخل عوامل مغيرة لهذا الشكل.

والمعدن هو المعدن ولكنه بعد صهره وتشكيله وتشذيبه وصقله، يبدو للرائي وكأنه شيء جديد تماما.. أجمل وأحسن.

والمعدن الذى أمامنا الآن هو أغلي وأنفس المعادن على الاطلاق - والبوتقه التى أمامنا.. هى بوتقة من نوع آخر.

فمعدننا هو الإنسان. وبوتقتنا هى مركز التدريب المهنى بجدة - الذي زارته المنهل، وتجولت بين أقسامه العديدة، والتقت المسئولين الاداريين والمدربين والطلاب المتدربين به، وخرجت منه بهذا الاستطلاع المصور.

ولكن .. لماذا اختارت المنهل مركز التدريب المهني بجدة ليكون موضوع استطلاعها؟

يقول ابن خلدون في مقدمته «على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع».. ولو أننا فسرنا هذا المنطوق بحرفيته .. لوجدناه منطوقا معكوسا فإن الواقع يقول: إنه على مقدار جودة الصنائع يكون عمران البلد» لأن جودة الصنائع تسبق عمران البلد.. إذ لو لم تكن الصنائع موجودة.. لما كان هناك عمرانا.. فالصانع الجيد والحرفى الماهر هما اللذان قام على أيديهم العمران.. وبالصناعات الجيدة، والحرف المتقنة تروج التجارة، وينتعش الاقتصاد. ويزداد العمران والعمار.

وقد يكون قول ابن خلدون « على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع» مقصودا به تحريض التجار وحثهم على اختيار البلدان ذات العمران حيث تتوافر الصنائع والبضائع الجيدة بها.. وهذا هو التفسير الحرفي والعصرى لمقولة ابن خلدون.. أما المعنى الرمزي الذي كان يقصده ابن خلدون.. فعند ابن خلدون نفسه.

انطلاقا من هذا المفهوم (تفسيرنا) اختارت المنهل مركز التدريب المهنى بجدة بوصفه بوتقة المهارات.. ومصنع الرجال.. ذلك المصنع الذى يمنح خريجيه مفاتيح أسرار الصناعة أو الحرفة أو المهنة التى اختارها الخريج نفسه لنفسه.. مفاتيح لا يستطيع استعمالها شخص غيره.. ولكى يكون كلامنا اكثر وضوحا .. نطابق كلامنا على واقع مشهود. كلنا أو السواد الأعظم منا يعلم أن الآلات صنعت لتساعد الإنسان على القيام بالأعمال بأقل قوة وأقل جهد.. ونعلم أن الآلات البسيطة ستة انواع هى: (الرافعة - العجلة ومحورها - البكرة - المستوى المائل - البرغي - الاسفين).

وايضا نعرف أنواع الروافع وعلاقة ذراعيّ القوة والمقاومة (الثقل) بمحور الارتكاز.. وهذه هى الركائز التي تقوم عليها الصناعات والحرف .. ولكن كم منا يستطيع التعامل مع هذه المعطيات النظرية؟!!

إن واقع هذه المعطيات - النظرى - واضح شديد الوضوح.. أما واقعها العملى.. فهو سر غامض .. وأبواب مغلقه.. ومفاتيح هذه الأبواب متاحة ومتوفرة لدى مراكز التدريب المهني.. وهى تمنحها لمن يرغب الحصول عليها بلا ثمن ولا منّ..

فما حكاية مراكز التدريب المهنى هذه؟ وأين؟ ولماذا تمنح مفاتيح أسرار المهن والحرف بلا مقابل؟؟

هذه الأسئلة وغيرها حملتها المنهل.. وتوجهت بقلمها وعدسة تصويرها الى مركز التدريب المهنى بجدة - كنموذج - لمراكز التدريب المهنى المنتشرة بكل مدينة من مدن المملكة العربية السعودية - وتوجهنا الى مكتب الأستاذ/ محمد بن عبد الله القاضي - مدير المركز - وتصادف أن كان معه فى مكتبه الأستاذ/ فايز مصطفى دمياطى مدير مكتب التدريب المهنى بمكة المكرمة -

يتبادلان المشورة والتنسيق، وطرحنا بعض الأسئلة على الأستاذ مدير مركز التدريب المهنى بجدة - قبل تجولنا بين أقسام المركز حيث دار الحوار التالى:

***المنهل: ما مدى إقبال الشباب على الالتحاق بالمركز مقارنا بفترة سابقة.***

** لا وجه للمقارنة، فالبداية رغم انها كانت طيبة - إلا أن الاقبال كان أقل بكثير.. أما بعد أن تخرجت عدة دورات - وعرف الشباب مزايا التدريب المهنى - ودوره الفاعل فى خدمة الوطن والمجتمع - وكيف عاد على الخريجين بالخير الوفير أصبح الاقبال على المركز كبيرا.

والآن عندما نعلن عن بدء التسجيل لدورة ما .. نجد الشباب قد توافدوا على المركز باعداد كبيرة مبدين رغبتهم في الالتحاق بالمركز وإني أعزى هذا الاقبال الكبير لسببين رئيسيين:

أولهما: الدعم الكبير الذى اولته وتوليه حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله - وسمو ولى عهده الأمين - يحفظه الله - لقطاع التدريب المهني - وما تقدمه من ميزات وحوافز للمتدربين.




* مجموعة من طلاب المركز في درس نظرى.



ثانيهما: الطرح الاعلامى الجيد للمهنة والمهنيين - والذى أدى الى خلق نظرة واعية تتسم بالموضوعية والايجابية تجاه المهن والمهنيين واصحاب الحرف - فبمساعدة الإعلام ازدادت هذه النظرة رسوخا فى أذهان المواطنين. وبطبيعة الحال فإن المردود الايجابي سيعود على الوطن والمواطن تطورا وازدهارا وتقدما.

المنهل: كم عدد الأقسام الفنية بالمركز وما نوعيتها؟

** أربعة عشر قسما فنيا هى ( الطباعة، الالكترونيات، التصوير الفوتوغرافي، التبريد والتكييف، الكهرباء الانشائية، الكهرباء الصناعية، الاعمال التجارية، صيانة الآلات المكتبية، الميكانيكا العامة، ميكانيكا السيارات، السمكرة والدهان، اللحام، النجارة العامة، التمديدات الصحية..

***المنهل: في العادة تقوم المنشآت التعليمية التى تحتاج بعض مقرراتها الى تدريبات عملية بإرسال منسوبيها الى جهات متخصصة للتدريب العملي.. فهل هذا الأسلوب متبع فى المركز؟***

** بالفعل نحن نقوم بالحاق المتدربين - كل حسب تخصصه - بالمؤسسات والشركات والمصانع الكبيرة للتدريب لمدة شهرين قبل التخرج مباشرة - وفي الغالب تقوم هذه الجهات بترشيح المتدربين لديها للعمل بها بعد التخرج. مما يؤكد أن خريجي المركز على مستوى متميز من المهارة.

***المنهل: هل تم استحداث أقسام جديدة بالمركز؟***

** المؤسسة العامة للتعليم الفنى والتدريب المهنى تقوم بجهود كبيرة واتصالات مكثفة بالجهات المعنية. ورجال الأعمال وأصحاب الشركات والمصانع لمعرفة احتياجات سوق العمل من الصناعات والحرف وباقى التخصصات الفنية المطلوبة بالمملكة ثم تضع المناهج التعليمية

المناسبة بواسطة متخصصين وتعد المدربين اللازمين للأقسام المستحدثة.

ثم تزود المراكز الفنية والمهنية بهذه الأقسام الجديدة التى ترى أن فى استجداثها مساهمة فى توفير العمالة الوطنية المطلوبة للوطن.

***المنهل: وماذا عن النشاطات غير المنهجية بالمركز؟***

** تمارس بالمركز كل الأنشطة المتعارف عليها.. فلدينا الفرق الرياضية التى تمثل العاب الكرة بأنواعها: القدم - الطائرة - اليد - التنس ... الخ .. كما توجد فرق ألعاب القوى واختراق الضاحية.. إضافة الى جماعة الثقافة - جماعة الكشافة - وجماعة الخدمة الاجتماعية.

كذلك يشترك المركز فى أسابيع الخدمة الاجتماعية التى تنظمها بعض الجهات الحكومية كأسبوع المرور - اسبوع الشجرة - اسبوع النظافة اسبوع الصحة ..الخ..

وهذه الانشطة ذات فعالية كبيرة.. وتحظى باهتمام المتدربين.

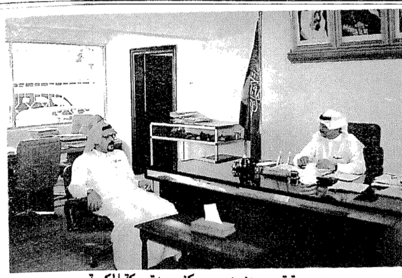
***المنهل: هل يوجد بالمركز مكتبة تثقيفية للحرف المختلفة؟ بمعنى أنها تحوى كتبا تنمى الثقافة المهنية والفنية المتخصصة لدى قارئها المتدرب؟***

** توجد مكتبة جيدة التجهيز والمحتوى، فهى علاوة على الكتب المهنية والفنية - تحوي كتبا فى معظم العلوم والآداب والشرع والفقه - وهي كتب مختارة بعناية - ليجد فيها المتدرب ما يشبع رغبته التثقيفية.

***المنهل: لاحظنا قرب الباب الخارجى للمركز مباشرة مسجدا كبيرا ومكتبة ملحقة به - فهل هما تابعان للمركز؟***

** نعم .. والمسجد كما لاحظت كبير يستوعب كل المصلين من موظفين ومدربين ومتدربين وعمال - أما المكتبة الملحقة بالمسجد فانها تشمل كتبا وكتيبات دينية كثيرة.. ومسموح لأى منتسب للمركز استعارة ما يرغب منها.. والاقبال عليها - ولله الحمد - ينبيء بتعاظم الجانب الديني لدى منتسبى المركز.

***المنهل: نشكر لكم تعاونكم - وتستأذنكم فى المرور على أقسام المركز.***



* صورة تجمع بين مديري مركزي جدة ومكة المكرمة.



* طلاب التصوير الفوتوغرافي في درس عملي.

** ونحن نشكر ما تقوم به مجلة المنهل الغراء العزيزة على كل عربي.

**الصمت الصاخب:**

عندما وصلنا إلى المركز ودخلنا من الباب الخارجي احسسنا بأن المكان هاديء لا صوت ولاحركة ، والتقينا الأستاذ/ جمال حسن بالخير مشرف عام الأنشطة ومدير العلاقات العامة - الذى قابلنا بترحاب مزدوج - واعنى بذلك الترحاب الذى هو مزيج من طباع المواطن السعودي اضافة الى ما يمليه عليه واجب عمله كمدير للعلاقات العامة.. وهو الذى كان قد أوصلنا الى مكتب سعادة مدير المركز. وعدنا اليه لتنسيق عملية مرورنا على أقسام المركز - وتم فعلا عمل خريطة المرور على الأقسام ورافقنا المدرب احمد على الغامدي واتجهنا الى منطقة الأقسام، وما أن دخلناها حتى تبدد تماما انطباعنا الأول عن الهدوء وعدم الحركة ففي هذا المكان تشعر أنك داخل

خلية نحل.. الكل يتحرك - الكل يعمل ..
الآلات - الماكينات - الأدوات الأولية - حتى الخامات التى يتم التدرب عليها كانت تتحرك، وحتى إذا كان هناك تلقين نظري من المدرب - تشعر كأنك ترى ما بداخل رؤوس المتدربين يتحرك، ويتجلى ذلك فى اسئلتهم التى يوجهونها لمدربيهم.

كل قسم خلية متحركة دؤوبة تعرف قيمة الوقت .. وتدرك اهميته.. أربع عشرة خلية هى أقسام المركز - ولكل قسم المواد الخام التى تتناسب وتخصصه - فتجد الحديد بأنواعه (الصلب - الطيّع - الزهر) - النحاس - الالمنيوم - الخشب - البلاستيك - الزجاج .. الخ ، كذلك تجد الأحماض .. والاملاح .. والمواد الكيميائية.. الخ .. مواد كثيرة .. كثيرة .. تجعل الانسان يسجد بقلبه قبل جسده حامدا شاكرا للعزيز القائل: «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه... الآية» (سورة الجاثية/آية١٣).



* تدريب عملي على السيارة.

**قسم التصوير الفوتوغرافي:**

التقينا الأستاذ/ محمد المالكى رئيس قسم التصوير الذى قال:

هذا القسم من أحدث الأقسام إذ أنه أنشيء في ١٤١٣/٨/١هـ ومدة التدريب في هذا القسم (١٨) ثمانية عشر شهرا.. الشهران الأخيران من الدورة تدريب عملى فى المؤسسات الصحفية ووكالة الأنباء والتلفزيون.

والدراسة فى هذا القسم نظرية وعملية واضاف الأستاذ/ جمال الدين احمد حسن مدرب تصوير فوتوغرافي ان المواد التى تدرس فى هذا القسم يمكن تلخيصها فى الآتى:

* نشأة فكرة التصوير وتطوره.
* الوظائف والأعمال فى مجال التصوير.
* المصطلحات الهامة المستخدمة في مجال التصوير.
* مبادىء الضوء وخواصه التى تهم المصور.
* تصوير الفيديو.
* الأفلام الحساسة وانواعها.
* الورق الحساس (ابيض/ أسود/ وملون)
* أنواع كاميرات التصوير الفوتوغرافي
* تركيب اجزاء الكاميرات.
* دراسة العدسات.
* التعريض الضوئي للفيلم.
* الاضاءة الطبيعية الصناعية والفلاش.
* كيفية انتاج صور فوتوغرافية عالية الجودة.
* دراسة المرشحات الضوئية واهميتها فى التصوير (الابيض/ اسود والملون).
* التعرف على المعمل وعمليات الاظهار والطبع والتحميض للافلام.

ويتم التطبيق العملى أولا بأول خلال النصف الأول من الدورة ثم يركز فى النصف الثاني من الدورة على اكتساب المهارات الفنية العالية - حتى يصبح المتخرج مؤهلا للقيام بجميع أعمال التصوير التى توكل اليه مثل:

- تصوير الاشخاص.

- تصوير الاعلانات.
- التصوير الصحفي.
- تصوير الآثار والمعالم الهامة.
- تصوير الموضوعات البيئية المختلفة.
- التصوير الخارجى الذى يتم بالاضاءة الطبيعية.
- التصوير الداخلى فى الاستديو باستخدام اجهزة الاضاءة الصناعية المختلفة.
- تصوير المباني.
- تصوير فيديو.

فالمتخرج يجيد كل أعمال التصوير هذه..

وقد التقينا أحد المتدربين واسمه سعيد حسن الزهراني وحاورناه:

***المنهل: هل انتسابك لقسم التصوير الفوتوغرافي كان باختيارك؟.***

** نعم باختياري

***المنهل: ولماذا اخترت هذا القسم بالذات؟***

** أنا خريج معهد الاتصالات السلكية واللاسلكية تخصص (استديوهات)، ومن أجل تحسين مستوى الفنى ورفع كفاءتى العلمية في تخصصي اخترت هذا القسم.

***المنهل: وهل أفادك التحاقك بهذا القسم كما تمنيت؟***

** بل أكثر مما توقعت .. فقد استفدت كثيرا جدا، والمدربين هنا على درجة عالية جدا من الثقافة الفنية ولا يضنون علينا بأى معلومات فنية نطلبها منهم.

***المنهل: هل تعمل؟***

** مرشح للعمل بوزارة الدفاع والطيران.

قسم ميكانيكا السيارات:

في بداية جولتنا دخلنا الى هذا القسم وقابلنا المدرب/ توفيق ابراهيم عسيرى نائب رئيس قسم السيارات بالمركز.. ورافقنا فى جولتنا على أفرع القسم شارحا وموضحا ما نشاهده من تلقينات نظرية وعملية مضمنا حديثه اجابات على ما عنّ لنا من أسئلة.. وقد قمنا بدمج الشروح وإجابات الأسئلة فى استطراد حتى لا نقطع على القارىء تسلسل المعلومات لا سيما وأن التحدث عن السيارات يهم قطاعا كبيرا من القراء الاعزاء.


* درس في التمديدات الصحية.

وعلى لسان محدثنا نقول:

هذا القسم من أقدم الأقسام فى المركز حيث بدأ مع انشاء المركز - وعليه اقبال كبير من الطلاب المتدربين حيث يصل عددهم حاليا حوالى ١٢٥ مائة وخمسة وعشرين متدربا.

والدورة مدتها ١٦ (ستة عشر شهرا) وهى عبارة عن خمسة فروع موزعة كالآتي:

١ - فرع الأساسيات:

يقول مدرب الفرع الأستاذ/ محمد جان عبد الكريم: التدريب فى هذا الفرع مدته شهران - يتعرف فيه المتدرب على بعض المعدات والأدوات اليدوية وكيفية العمل بها والتعامل معها.

٢ - فرع المقدمة:

ومدته ثلاثة أشهر يدرس فيها المتدرب - أنواع الفرامل/ نظام التوجيه/ نظام التعليق/ زوايا القيادة الهندسية/ مخارط الدسك والهويات.

٣ - فرع نقل الحركة: يقول مدرب الفرع الأستاذ/ خالد عبد القادر: مدة التدريب فى هذا الفرع ثلاثة شهور، يدرس فيها الطالب مرحلة نقل الحركة من المحرك الى العجلات الخلفية - والتدرب على فك وصيانة قطع المرحلة والتعرف على اعطالها.

وبعد اتمام التدريب على هذه الأفرع يعقد اختبار نصف الدورة الأول.

وفي النصف الثاني من الدورة يتم التدريب في فرعين:

(١) فرع المحركات (بنزين):

يتم فيه التدريب النظرى والعملى على:

أ ـ أجزاء المحرك وطريقة عملها.

ب ـ دورة التزييت.

جـ ـ دورة التبريد.

د ـ دورة الوقود.

ومدة التدريب في هذا الفرع ٣(ثلاثة شهور).

(٢) فرع الكهرباء:

ومدة التدريب فيه ثلاثة شهور ويشمل التدريب على: (البطارية ومكوناتها ـ الدينامو (المولد الكهربائي) ـ السلف (بادئ الحركة) ودائرة الاشتعال.

التدريب الميداني:

بعد الانتهاء من دراسة هذه الافرع يتم توزيع المتدربين على الشركات والمؤسسات الكبرى داخل مدينة جدة مثل: شركة الجميح ـ الجفالي ـ العيسائي ـ باخشب ـ مازدا ـ وساسكو لصيانة السيارات وذلك حسب اتفاق مسبق مع هذه الشركات ـ حيث يمضى المتدرب من ٣٠ ـ ٤٥ يوما في هذه الشركات ويتلقى أيضا فيها تدريبات خلال هذه الفترة ، كما تساعده هذه التدريبات على اكتساب الخبرة والتعود على تحمل المسئولية والتعامل مع السيارات ذات الموديلات الحديثة.

وبعد انتهاء فترة التدريب الميدانى يعود للمركز للمراجعة على جميع الأفرع وبعدها الاختبار النهائى والحصول على شهادة فنى ميكانيكا سيارات بنزين.. تتيح له فرصة العمل بالقطاع الحكومى أو الشركات والمؤسسات أو العمل لحسابه الخاص.

**عزيزى القارئ:**

ما قدمته لك عن قسم السيارات ـ يبدو مشواراً طويلا ـ وقد دار فى خاطرى ما اعتقد انه دار في خاطرك .. وهو نفس السؤال كيف يقطع الشاب المتدرب كل هذه المرحلة الطويلة؟ ويستوعب كل هذه المعلومات عن كل جزء من أجزاء هذه الآلة الكبيرة (السيارة)؟.

وعندما سألت نفسى عن سر تقبل المتدرب لكل هذه المعاناه.. قفزت الى ذهنى مقولة بعض الحكماء «إذا لم تعمل ما تحب.. فعليك أن تحب ما تعمل»، وكأنما أراد أن يقول إذا كنت تحب عملك فانك ستجوِّد وتحسن وتبدع فيه.. أما اذا اضطررت لعمل لم تختره فعليك أن تتلمس فيه الجوانب الحسنة حتى تحبه وتتقنه وتنجح في تحسينه.. ومن ثم تصل انت الى النجاح.



* طلاب الكهرباء الصناعية.

هذا باختصار ما أراده ورمى اليه الحكيم وهو فى الوقت ذاته اجابة سؤالى وسؤالك أيها القارئ العزيز.. فهؤلاء الشباب اختاروا هذا العمل بانفسهم.. أى انهم أحبوه قبل ان يبدأوا فى تعلمه.. فتعلموه بحب واستوعبوه بشغف وكأن لسان حالهم يقول: هل من مزيد؟

**الكهرباء الصناعية:**

استحدث هذا القسم لسايرة النهضة الصناعية التي تشهدها المملكة لتغطية حاجة المصانع الوطنية الى الأيدى الصناعية الوطنية المؤهلة.. ويتلقى المتدرب فى هذا القسم تدريبات نظرية وعملية على:

١ ـ التمديدات الكهربائية: لانارة المصانع والورش والمنازل.

٢ ـ المحركات الكهربائية: وتنقسم الى فرعين:

أ ـ المحركات ثلاثة أوجه المستخدمة في آلات المصانع والورش كالمخارط والمقاشط والمناشير.. الخ.

ب ـ محركات الوجه الواحد: المستخدمة فى آلات المنازل كالغسالات ومضخات المياه... الخ.

٣ ـ القواطع الكهربائية:

وهذه القواطع هامة جدا لمعدات المصانع والورش فهى تمثل دائرة حماية للمحركات الكهربائية.

٤ ـ الدوائر الالكترونية:

حيث يتم التحكم الكترونيا في الآلات الحديثة بالمصانع والورش.

* هذا ملخص ما أفاد به الأستاذ/ عجب عبد الله الطيار رئيس قسم الكهرباء الصناعية بالمركز.

**قسم الكهرباء الانشائية:**

الأستاذ/ سعيد إبراهيم الزهراني رئيس القسم يبين لنا المراحل التي يمر بها المتدرب في هذا القسم: يتلقى المتدرب مواد نظرية ومواد عملية:

المواد النظرية: (مواد تتعلق بعلوم الكهرباء والرسم الهندسي والرياضيات واصول الصناعة وطرق السلامة).

مواد عملية: (أساسيات الكهرباء - التمديدات المنزلية - لوحات لتوزيع عدادات الطاقة الكهربائية - حماية الدوائر الكهربائية من التسريب - أجهزة القياس بأنواعها (قياس القدرة الكهربائية/ الطاقة/ المقاومة/ شدة التيار).

كما يتم تدريبه على المتممات المغناطيسية/ القواطع الأوتوماتيكية/ صيانة وتشغيل المحركات ذات الثلاثة أوجه وذات الوجه الواحد / محولات التيار الكهربائي.

**قسم النجارة العامة:**

يقول المدرب طارق العلي: «ان المتدرب في هذا القسم يتلقى تدريبا يؤهله للعمل بكل الأدوات القديمة منها والحديثة.. فهو في أول الدورة يتعرف على الأدوات اليدوية ويتدرب على استعمالها - وهي في الغالب تكون معروفة له سلفا مثل: الشاكوش - الكماشة - المنشار اليدوي - الازميل ... الخ.

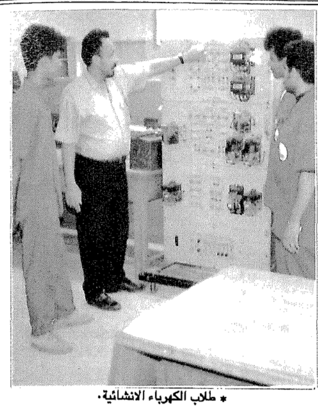
وبعد هذه المرحلة يتم تدريبه على استخدام الآلات الحديثة وصيانتها مثل: منشار الصينية: (لنشر ألواح الخشب المصنّع كالابلكاج والكونتر).

والمنشار الشرطي - وماكينة الحلية - ماكينة الرابوه - المكبس - المنقرة العامودية والمنقرة الأفقية.

**قسم التمديدات الصحية:**

البعض منا يعتقد أن التمديدات الصحية عملية بسيطة لا تحتاج الى تعلم ولا تدرب - على أساس انها عبارة عن توصيل بعض المواسير ببعضها أو توصيلها إلى المغاسل أو الأحواض.

ولكن عندما زرنا قسم التمديدات الصحية بالمركز والتقينا عددا من المدربين ومنهم حمدان محمد الشريف، وعبد العزيز عابد عبد الله، واستفسرنا عن كيفية التدريب وشاهدناها ميدانيا تبين لنا أن المتدرب يتلقى علوما نظرية وعملية لا تتوفر لدى كل شخص.. فهو يعرف نسبة ميل أنابيب المياه من جهة المصدر إلى المصب في كل متر من الانابيب وعليه أن يحسب عدد أمتار التمديد مضروبا في هذه النسبة ويعرف عمليا تسطح المياه طبقا لنظرية الأواني المستطرقة وضغط الهواء للمياه والعكس.



* طلاب الكهرباء الانشائية.

ويتدرب المتدرب في هذا القسم على استخدام الأدوات اليدوية وكذلك على الماكينات الحديثة ليكون ملما بكل جوانب مهنته.

**قواسم مشتركة:**

نلحظ في كل الأقسام أن مناهجها تبدأ بتلقين المتدرب ثوابت تتعلق بسلامة المتدرب، وسلامة المكان الذى يعمل فيه، وسلامة معداته وادواته وصيانتها.. وأن يعمل بكل طاقته لاتمام عمله على أحسن صورة.

كما تشترك كل الأقسام في التدريب الميداني خارج المركز كل في تخصصه.

المتدرب الذي لا ينجح في الاختبار يمنح فرصة أخرى - واذا لم يوفق ينقل الى قسم آخر في نفس المركز

**قسم التبريد والتكييف:**

يقول مدرب القسم الأستاذ/ محمد عيسى إن فترة التدريب في هذا القسم (ستة عشر شهرا) موزعة على النحو التالي:

١ - تدريب لمدة ثلاثة شهور على الأساسيات أى عمليات البرادة واللحام والكهرباء، نظرياً وعملياً حتى يمكن للمتدرب التعامل مع كل اجهزة التبريد والتكييف التى يتم تدريبه عليها في الفترة اللاحقة.

٢ - تدريب لمدة ثلاثة شهور في قسم برادات المياه فيتم

تعريفه على كل أنواعها وأحجامها ٠٠ وكيفية فكها والتعرف على أعطالها وتوصيل الكهرباء.

٣ - التدريب لمدة ثلاثة شهور على الثلاجات من حيث الأنواع والاحجام وفكها وتركيبها وأعطالها وتوصيل الكهرباء وتعبئتها بالفريون أى كل ما يتعلق بالثلاجات.

٤ - التدريب لمدة أربعة أشهر على مكيفات الهواء بأنواعها سواء كانت (شباك/ سبليت/ مركزى أو مراوح) وايضا يتدرب على فكها وتركيبها وصيانتها وإصلاح الأعطال فيها وتعبئتها وكل ما يتعلق بها.

ثم يتوجه الطلاب المتدربون الى المؤسسات والشركات التى تعمل فى هذه المجالات كتدريب ميداني خارج المركز وهذه الفترة الميدانية لمدة شهرين والمتدرب يستفيد منها جيدا من ناحية اكتساب الخبرة والتعرف على أنواع حديثة من المبردات والثلاجات والمكيفات والمراوح٠٠ إلخ.

ثم بعد ذلك يعود للمركز وبعد شهر من المراجعة على كل أفرع القسم ٠٠ يتم الاختبار النهائي٠٠ ثم التخرج، وقد أجرت المنهل حوارا قصيرا مع المتدرب ممدوح سعيد عوض من قسم التبريد والتكييف:

***المنهل: هل التحاقك بهذا القسم جاء باختيارك؟***

** نعم انا اخترته بنفسى.

***المنهل: ولماذا هذا القسم بالذات***

** أنا أحب هذا العمل ورغبت فى أن أتعلمه عن دراسة وأعرف أصوله عن علم.

***المنهل: هل وجدت فى التدريب هنا ما كنت تريد أن تتعلمه؟.***

** التدريب هنا جيد جدا وكل الأجهزة والأدوات والعدد والآلات والمواد متوفرة هنا علاوة على أنى ممكن أسأل عن الأشياء التي لا أعرفها فأجد من يفهمنى كل ما اريد أن أفهمه.

***المنهل: ماذا تنوى أن تعمل بعد التخرج؟***

** إن شاء الله سأفتح ورشة لاصلاح المبردات والمكيفات والثلاجات.

***المنهل: هل يمكنك افتتاح ورشة إصلاح بمفردك؟.***

** سأشرك معى زميلا أوزميلين من نفس دفعتى بالمركز.

***المنهل: نتمنى لك مستقبلا زاهرا سعيدا.***

** شكرا للمنهل الف شكر وشكرا لكل الاعلام السعودى.



* خراطة الخشب والتجارة العامة.

وقد تكون فى اجابات هذا الشاب (المتدرب) مالا نحتاج معه إلى وصف ما يملأ نفسه من حماس وأمل وتفاؤل وما يتمتع به من ثقة فى الله ثم فى المستقبل.

**معلومات عن المركز وشروط الالتحاق:**

١ - تأسس فى العام ١٣٨٦هـ.

٢ - تخرج فيه حتى الآن حوالى ٨٠٠٠ ثمانية آلاف متدرب.

٣ - يشتمل المركز على أربعة عشر قسما.

٤ - مدة التدريب بالمركز ثمانية عشر شهراً.

٥ - شروط الالتحاق بالمركز.

أ - أن يكون المتقدم سعودى الجنسية.

ب - أن لا يقل عمره عن خمسة عشر عاما ولا يزيد عن خمسة واربعين عاما.

ج - أن يكون لائقا طبيا للمهنة المتقدم اليها.

د - أن يكون حاصلا على الشهادة الابتدائية كحد أدنى. ويشترط الحصول على شهادة الكفاءة لبعض الأقسام وهي: التصوير الفوتوغرافى - الاعمال التجارية - الكهرباء الصناعية.

٦ - ميزات يتمتع بها المتدرب.

أ - يمنح شهريا ٧٢٠ ريالا (مكافأة وبدل اعاشة) خلال نصف الدورة الأول.

ب - تزاد إلى ٩٢٠ ريالا (مكافأة وبدل اعاشة) خلال

النصف الثاني من الدورة.

ج ـ يمنح مبلغ ٢٦٠ ريالا نظير الملابس والأحذية الخاصة بالتدريب.

د ـ يؤمن للمتدرب المواصلات والسكن والنقل والرعاية الصحية والاجتماعية.

هـ ـ يمنح الفى ريال بعد انتهاء مدة الدورة بنجاح.

و ـ فى حالة حصوله على تقدير ممتاز يمنح مكافأة قدرها (١٠٠٠) ألف ريال.

ز ـ يحق للخريج طلب قرض من بنك التسليف لا يتجاوز ٢٠٠,٠٠٠ مائتى ألف ريال لدى الرغبة فى افتتاح ورشة خاصة.

٧ ـ دورة مسائية للموظفين.

هذه الدورة مخصصة للذين يرغبون فى تنمية قدراتهم المهنية ـ ومدتها ٦ ستة شهور يتمتع المتدرب خلالها بالميزات الآتية:

أ ـ مكافأة شهرية ٤٠٠ أربعمائة ريال.

ب ـ مبلغ ١٣٠ مائة وثلاثون ريالا مقابل ملابس وأحذية التدريب.

ج ـ تأمين لوازم التدريب من عدد وخامات.

د ـ مكافأة ٢٠٠٠ ريال بعد انهاء الدورة بنجاح.

أما عن شروط الالتحاق بهذه الدورة (المسائية) فهى نفس شروط القبول فى الدورة الصباحية فيما عدا شرط السن فهنا من ١٧ ـ ٥٥ سنة.

**قسم الطباعة:**

وهو من الأقسام الكبيرة فى المركز .. وقد التقت المنهل الأستاذ/ محمد سيد احمد القرمانى رئيس القسم والأستاذ/ فوزى عبد الله النجار المدرب بالقسم وخرجنا بهذه المعلومات: «هناك جولة عامة مدتها شهر واحد لكل متدربي القسم للتعرف على مراحل الطباعة الأربع وهى:

١ ـ الكمبيوتر (الصف التصويري)

٢ ـ التصوير الميكانيكي.

٣ ـ طبع الأوفست والحروف.

٤ ـ التجليد.

وبعد أن يلم المتدرب بأفرع القسم يتم توزيع المتدربين على الأفرع حيث يتخصص فى فرع واحد لمدة ١٥ شهرا ويراعى فى هذا التوزيع عدة اعتبارات منها مدى إلمام المتدرب باللغة الانجليزية، وبنيانه الجسماني .. الخ.

ونظرا لأهمية دور الطباعة فإن المتدرب الذى يتخصص فى أى من الأفرع الأربعة يجب أن يكون على مستوى رفيع من المهارة. فنراه فى فرع التصوير الميكانيكى يتدرب على مراحل التصوير المختلفة والرتوش والمونتاج وتحضير البليتات (الزنكات) وعمل الماكيت (النسخة الأصلية للمطبوع). وفى فرع طبع الأوفست والحروف يتم تدريبه على تركيب البليتات على ماكينة الطباعة وضبطها وتركيب الألوان من الاحبار المختلفة ـ بخلط الألوان الابتدائية (الازرق ـ الأصفر ـ الاحمر) للحصول على الألوان الثانوية وكذلك خلط الألوان الأولية مع الثانوية للحصول على الألوان الثلاثية ـ ومعرفة تجانس الألوان وتوافقها وتأثيراتها النفسية فى الطباعة.



* الطباعة الحديثة.

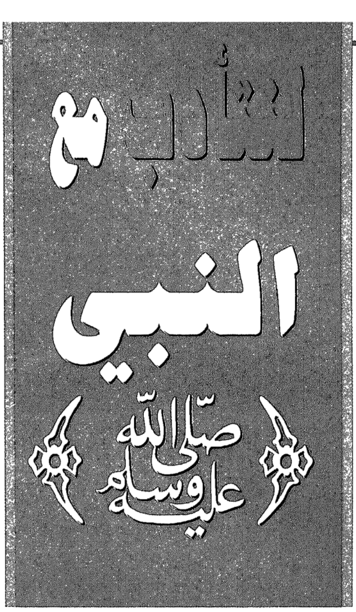
أما عن فترة التدريب الميداني فيقضيها المتدرب فى المطابع المحلية والصحف ودور النشر لمدة شهرين ـ يعود بعدها لأداء اختبارات آخر الدورة .. والتخرج.

والمركز كما سبق الإشارة أقسامه عديدة ما بين عالى التقنية ومتوسط التقنية وصناعى صرف .. لذا فقد اخترنا بعض الأقسام التى تمثل هذه الضروب ـ كنماذج يقاس عليها ـ حيث لا تسمح مساحة الاستطلاع بتغطية كل أقسام المركز.

**اعداد وتصوير:**

**يعقوب السيد حسنين**


الرحمة المهداة
محمد
صلى الله عليه وسلم




قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض اليحصبي(١) رحمه الله «لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم أو خُصَّ بأدنى لمحة من الفهم: بتعظيم الله قدر نبينا (ﷺ)، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه عن عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرَّح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذى تفضل وأولى، ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعوداً، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة».

ولقد كرمه المولى سبحانه وتعالى فلم يناده سبحانه باسمه، ولم يخاطبه بشخصه، وإنما كان يخاطبه بالنبوة **(يا أيها النبي)** وبالرسالة **(يا أيها الرسول)** بخلاف ما خاطب به تعالى أنبياءه السابقين، عليه وعليهم الصلاة والسلام(٢).

**كما أمرنا سبحانه وتعالى بأوامر في حقه منها:**

١ - أمرنا بأمر بدأ فيه سبحانه وتعالى بنفسه، فقال عز من قائل: **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)**، وتأكد لنا هذا الأمر بما جاء في صحيح الإمام الترمذي(٣) - رحمه الله - قال: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضانُ ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورغم أنفُ رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما**».

٢ - قوله تعالى في سورة النور، الآية ٦٣ «**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**». وجاء في تفسير ابن كثير(٤) أن قتادة قال: أمر الله أن يُهاب نبيّه (ﷺ) وأن يبجل وأن يعظم، وأن يُسوَّد. وقال مقاتل في قوله «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» يقول: لا تُسمُّوه إذا دعوتموه يا محمد، ولا تقولوا يا ابن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله، ويا رسول الله.

٣ - قوله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات، الآيات ١ - ٣ «**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم**

**وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم».**

قال ابن كثير(٥)، هذه آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﴿ﷺ﴾ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام.

٤ ـ قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة، آية ١٠٤ **«يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم».** قال ابن جرير(٦): رحمه الله «وكأن الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه ﴿ﷺ﴾ حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عن رفع أصواتهم فوق صوته وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض وخوّفهم على ذلك حبوط أعمالهم، فتقدم إليهم بالزجر لهم على أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء، وأمرهم أن يتخيروا له من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أرقها، فكان من ذلك قولهم «راعنا» لما فيه من احتمال معنى ارعنا نرعاك.

ومن خلال ما تقدم من آيات كريمة، وما ذكر حولها المفسرون يتبين لنا ضرورة تحري الأدب معه ﴿ﷺ﴾، لا في حضرته فحسب، ولكن بمجرد سماع اسمه الشريف، وتبجيله وتعظيمه وتوقيره، والتأدب عند مخاطبته، وعدم دعائه باسمه ولكن بصفاته الكريمة التي دعاه الله بها ومن الأدب معه ﴿ﷺ﴾ تنزيه صفاته عن كل ما يسيء إليه.


بقلم:
د. عبد البديع حمزة زللي
جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة


**التأدب عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم:**

أورد الشيخ خليل ملاّ خاطر - حفظة الله - في كتابه «عظيم قدره ﴿ﷺ﴾ ملخصا لمائة خصلة انفرد بها صلى الله عليه وسلم عن بقية الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام: ومن هذه الخصال: النهي عن مناداته باسمه ﴿ﷺ﴾(٧)، وقد أمر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بتبجيله وتشريفه واحترامه وتقديره، فلا ينادونه باسمه، بل ينادونه: يارسول الله، يا نبي الله، وهذا بخلاف ما كان عليه الأنبياء السابقين في أممهم.

ففي ذكر اسمه ﴿ﷺ﴾ مجرداً من التبجيل والتوقير حرج، وواجب علينا أن نقرن التبجيل بالصلاة والسلام عليه، فلو قلنا مثلا: نبينا أو رسولنا محمد فقط نكون قد امتثلنا لأمر واحد وهو التبجيل بعدم ذكر اسمه الشريف مجرداً من صفة النبوة أو الرسالة، ولكننا نكون قد تركنا الأمر الآخر وهو الصلاة والسلام عليه عند ذكر اسمه عملا بقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما»، وقوله ﴿ﷺ﴾ «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يُصل عليّ» وإذا قلنا: «محمد ﴿ﷺ﴾» نكون قد أتينا بالصلاة والسلام عليه، وتركنا تبجيله بذكر اسمه مجردا عن وصفه، وخالفنا قوله تعالى «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا».

**التأدب باختيار الألفاظ التي تناسب مقامه ﴿ﷺ﴾ :**

لقد ضرب لنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم المثل، وقدّموا القدوة الحسنة في التأدب واختيار الألفاظ التي تناسب مقامه ﴿ﷺ﴾، فهناك من الصحابة من ولد قبل رسول الله ﴿ﷺ﴾، ولكنه لم يقل: أنا أكبر منه. فهذا العباس - رضى الله عنه - عندما سئل عن عمره وعمر الحبيب المصطفى ﴿ﷺ﴾ قال: «هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله» وورد في كتاب دلائل النبوة للبيهقي(٨) أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سأل قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن كيث: أأنت أكبر أم رسول الله ﴿ﷺ﴾؟. فقال: رسول الله ﴿ﷺ﴾ أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد. كما ورد في نفس الكتاب في موضع آخر أن الخليفة عبد الملك بن مروان سأله نفس السؤال فقال: رسول الله ﴿ﷺ﴾ أكبر مني، وأنا أسنُّ منه. وورد في الاستيعاب لابن عبد البر(٩) أن سعيد بن يربوع كان يلقّب صرما، يقال له سعيد الصرم وهو مخزومي، فغير رسول الله ﴿ﷺ﴾ اسمه وقال: أنت سعيد. وقال له ﴿ﷺ﴾: أيُّنا أكبر؟ فقال: أنا أقدم منك، وأنت أكبر مني وخير مني. وورد أيضا نفس الحديث في نفس الموضع بلفظ مختلف وفيه: أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال له: أيُّنا أكبر، أنا أم أنت؟ قال: يارسول

الله. أنت أكبر مني وخير، أنا أقدم منك سناً. قال: أنت سعيد. فهل هناك أدب أفضل من ذلك؟.

ولقد كان لشدة حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على اختيار أحسن الألفاظ وأرقّ المعاني عند الحديث عنه «ﷺ» أثر بالغ في نفوسنا، فكان الاستنكار على ما لحظناه من المساس بصفة محبوبة من صفاته الحميده، وصفه الله سبحانه وتعالي بها في القرآن الكريم، فلقد وصفه بالنبي الأمي، فكانت الأمية وصفاً خُصَّ به الحبيب «ﷺ»، ولم يصفْه الله سبحانه وتعالي إلا بصفات هي أحسن الصفات وأكملها نقاء وصفاء.

ومما زاد استنكارنا وأثار إحساسنا أن شاع بين الخاصة والعامة أن هذا الوصف النقي تدخل في معانيه معان ليس لها علاقة به مثل الجهل والتخلف والتبلد، وقد ذكرنا أن وصف الأمية قد نعت الله به المصطفى «ﷺ» ومعاذ الله أن يصف حبيبه بوصف يدخل في معانيه الجهل والتخلف وغيرها مما لا يليق به «ﷺ».

وقد بحثنا عن كيفية دخول هذه المعاني على لفظ الأمي ووجدنا أن ذلك قد يعود إلى كلمة أجنبية هي ILLITRAT، يُزعم أنها تعني الأمي، إلا أنها في الحقيقة تتجاوز حدود الأمية بكثير، فيدخل في مضمونها معان أخرى بذيئة. ويظهر لنا أن هذه المعاني بدأت تتسرب وتدخل على الكلمة العربية النقية «الأمي» حتى أصبح هذا المفهوم شائعاً لدى الناشئة، فتشوه لفظ الأمي، وتكدر نقاؤه وصفاؤه.

ولكي ندرك كيف كدرت هذه الكلمة نقاء الأمية كان لزاما علينا أن نبحث في المعاجم الأجنبية لنتعرف على معاني هذه الكلمة. ولكن قبل ذلك نعود مرة أخرى إلى لفظ الأمي لندرك أن رسول الله «ﷺ» كان يحث الصحابة على وصفه به، لندرك بعدها أن أي مساس بهذا الوصف سوف يؤثر على نقائه وصفائه.

**النبي الأمي وصف محبوب منعوت به ﷺ»:**

كان النبي «ﷺ» يحب أن يوصف بالنبي الأمي، وكان يعلِّم الصحابة هذا الوصف، فعندما جاءه رجل يسأله كيف يصلي عليه، أجابه عليه الصلاة والسلام كما ورد في مسند الإمام احمد من حديث طويل(١٠): «إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا: اللهم صل على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل ابراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، كما باركت على ابراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

ومرة أخرى يؤكد لنا صلى الله عليه وسلم أنه النبي الأمي، ففي مسند الإمام أحمد(١١) أن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: خرج علينا رسول الله «ﷺ» يوماً كالمودِّع فقال: «أنا محمد النبي الأميّ، ثلاثا، ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم، وجوامعه، وعلّمت كم خزنة النار، وحملة العرش، وتجُوِّز بي، وعوفيت وعُفيتْ أمتي، فاسمعوا وأطيعوا ما دمتُ فيكم، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلُّوا حلاله وحرّموا حرامه».

وهذا نبي الله موسى عليه السلام ينعت نبينا محمداً «ﷺ» بالأمي عندما لقيه ليلة أسري به فرحب به وقال: مرحبا بالنبي الأميّ(١٢).

ولقد حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على وصفه «ﷺ» بهذه الصفة، فهذا أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه يقول(١٣) عهد إليّ النبيُّ الأمي «ﷺ» أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق.

ويقول الشيخ محمد عاشور في «تفسير التنوير والتحرير»(١٤): إن الأمية في رسول الله «ﷺ»: هى وصف خصَّ الله به من رسله محمداً «ﷺ»، إتماماً للإعجاز العلمي والعقلي الذي أيده الله به، فجعل الأمية وصفا ذاتيا له.

**التأدب بعدم المساس بصفاته صلى الله عليه وسلم:**

مرَّ بنا أن للنبي «ﷺ» صفات حميدة عديدة، وصفه الله بها في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة، ويعرفها كل مسلم، وواجب على كل مسلم أن ينزه هذه الصفات عن كل ما يكدر نقاءها وصفاءها.

وكما عرفنا أن صفة الأمية في رسول الله (ص) صفة حميدة محبوبة، وقد حرص الأنبياء عليهم السلام على نعته بها، لذا فإن رفع شعار للنداء بـ(محو الأمية) يمس هذه الصفة

الحميدة، كما يؤدي ذلك إلى تأكيد المفهوم الخاطيء أن الجهل والتخلف والتبلد من معاني الأمية، وقد عرفنا أن هذا الادعاء غير صحيح.

**الأمي والأميون في القرآن الكريم:**

ورد لفظ «الأمي» في القرآن الكريم في موضعين، وكلاهما خص النبي ﴿ﷺ﴾ يقول سبحانه وتعالي في (سورة الأعراف، الآية/١٥٧): (الذين يتَّبعون الرسول النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به، وعزروه، ووقروه، واتبعُوا النور الذي معهُ أولئك هُمُ المُفلحُون). ويقول سبحانه في نفس السورة (الآية/١٥٨): (فآمنُوا بالله ورسُوله النبيِّ الأميِّ الذي يؤمنُ بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون).

أما لفظ «أميُّون» فقد ورد في القرآن الكريم في موضع واحد في قوله تعالى من (سورة البقرة، الآية/٧٨): (ومنهم أمِّيُّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ وإن هُم إلا يظنون).

وورد لفظ «الأميين» في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: الأول في قوله تعالى من (سورة آل عمران، الآية/٢٠): (فإن حاجُّوك فقل أسلمتُ وجهي لله ومن اتَّبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمِّيِّين ءأسْلَمْتُمْ، فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد). والثاني في قوله تعالى في (الآية/٧٥) من نفس السورة: (ذلك بأنهُم قالوا ليس علينا فى الأُمِّيِّين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون). والثالث في قوله تعالى من (سورة الجمعة، الآية/٢): (هو الذي بعث في الأمِّيِّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

ولكى نعرف سوياً ما قاله المفسرون في معنى الأمي والأميين في هذه الآيات، سوف نعرض ما قاله المفسرون في بعض امهات كتب التفسير تدرجاً من القديم إلى الحديث.

**١ - كتاب معاني القرآن للفراء:**

لم يبين الإمام أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) رحمه الله(١٥) معنى الأمي في أي من الآيات التي ذكر فيها الأمي أو الأميون، ولكنه ذكر أن المعنيِّين بالأميين في قوله تعالى من سورة آل عمران هم العرب. حيث قال: (وذكر بعضهم: ليس للأميين - وهم العرب - حرمة كحرمة أهل ديننا،...).

**٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري):**

وردت في تفسير الإمام الطبري(١٦) - رحمه الله - أقوال تبين أن المراد بـ (النبيّ الأميّ) في الآيتين السابقتين هو النبي محمد ﴿ﷺ﴾ونختار منها قولا يوضح معنى الأمي:

(حدَّثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: لما قيل (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) تمنتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطا بيِّنا وثيقاً، فقال: (الذين يتَّبعون الرسول النبي الأمي) وهو نبيكم ﴿ﷺ﴾ كان أمِّياً لا يكتب).

ولأن لفظة «أميُّون» قد ذُكرت في سورة البقرة المتقدمة على سورة الأعراف لذا فإن الطبري قد بيَّن معنى الأمي في هذا المكان ولم يبينه بعد ذلك واكتفى بالإشارة الى أنه قد بيَّن معنى الأمي فيما مضى بما يغني عن الإعادة. لهذا رجعنا إلى ما قاله الطبري(١٧) عن معنى الأمي عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: (ومنهم أميُّون لا يعلمُون الكتاب إلا أمانيَّ وإن هُمْ إلا يظُنُّون) (الآية/٧٨) فوجدناه أورد أقوالا تبين معنى الأمي:-

أ - قولا لأبي جعفر قال فيه: قال أبو جعفر: يعني بالأميين: الذين لا يكتبون ولا يقرأون، ومنه قول النبي ﴿ﷺ﴾ : (إنّا أمة أمِّية لا نكتب ولا نحسب). يقال منه رجل أمِّي: أي بيِّن الأمية. وقال أرى أنه قيل للأمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه، لأن الكتابة في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه كما ذكرنا عن النبي ﴿ﷺ﴾ من قوله (إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) وكما قال: (هو الذي بعث في الأمِّيِّين رسولا منهم).

ب - قولا لإبراهيم النخعي قال فيه: حدَّثني المثني قال: حدثني سويد بن نصر قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: (ومنهُم أميُّون لا يعلمُون الكتاب) قال: منهم من لا يحسن أن يكتب.

ج - قولا لابن زيد قال فيه: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب: قال ابن زيد في قوله: (ومنهُمْ أمِّيُّون): أميون لا يقرأون الكتاب من اليهود.

وقد رجَّح الطبري الأقوال التي بيَّنت أن المراد بالأميين هم الذين لا يحسنون القراءة والكتابة على ما روي عن ابن عباس بقوله: (وهذا التأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أنَّ الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب.

**٣ - معاني القرآن وإعرابه (للزجَّاج):**

قال أبو إسحق إبراهيم بن السري المشهور بالزجَّاج - رحمه الله - عن معنى الأمي في قوله تعالى: (النبيّ الأميّ) في الآيتين اللتين وردتا في سورة الأعراف: الأمي هو على خلقة الأمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته(١٨). وكان أول بيان ذكره الزجاج عن معنى الأمي في اللغة عندما فسَّر قوله تعالى من سورة البقرة: (ومنهُم أمِّيُّون) فقال: معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلة أمته، أي لا يكتب، فهو أنه لا يكتب على ما ولد عليه، وارتفع (أمِّيُّون) بالابتداء، و(ومنهُم) الخبر، ومن قول الأخفش يرتفع أميون بفعلهم، كأن المعنى واستقر منهم أميون(١٩). ثم أكد هذا المعنى عندما فسَّر قوله تعالى في سورة آل عمران: (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم)، وقوله تعالى في نفس السورة (ليس علينا في الأميين سبيل).

وأوضح أن المراد بالأميين في الآية الأولى هم مشركو العرب(٢٠)، والمراد بالأميين في الآية الثانية هم إما العرب لأنهم لم يكونوا يقرأون ولا يكتبون، فالكلمة من أمِّي، وإما المراد جميع الأمم عدا اليهود من «أمة وأمم» أي الأميون(٢١).

**٤ - الكشاف (للزمخشري):**

لقد بيَّن أبو القاسم الزمخشري(٢٢) - رحمه الله - معنى الأمِّي عندما فسَّر قوله تعالى في سورة الجمعة: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) فقال: (الأمي منسوب إلى أمَّة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الأمم). ثم بيَّن معنى (بعث في الأميين رسولا منهم): أي بعث رجلا أميًّا في قوم أميين(٢٣)، ولم يذكر شيئاً عن (النبي الأمي) عندما مرَّ على الآيتين في سورة الأعراف اللتين ورد فيهما ذكر هذا اللفظ(٢٤).

ونجده قد أوضح المعنيين بقوله «أميين» في الآية التي وردت في سورة البقرة والآيتين اللتين وردتا في سورة آل عمران فقال: المراد من قوله تعالى في سورة البقرة (ومنهم أميون) أي من اليهود لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها(٢٥). والمراد من قوله تعالى في سورة آل عمران (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم): أي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب والمراد من قوله تعالى في نفس السورة (قالوا ليس علينا في الأميين سبيل): أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب(٢٦).

**٥ - التفسير الكبير (تفسير فخر الدين الرازي):**

نقل الإمام الرازي(٢٧) - رحمه الله - ما ذكره الزجاج من معنى الأمي وهو الذي لا يحسن الكتابة، وذكر أنه لهذا السبب وصف النبي «ﷺ» أميًّا، وبين أن قوله تعالى في سورة الأعراف (الذين يتَّبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية هو أنه تعالى جل ثناؤه قد وصفه في هذه الآية بصفات تسع ومنها كونه أمِّيا حيث ذكر أن أهل التحقيق قد قالوا في كونه أميًّا بهذا التفسير كان من جملة معجزاته، وبين ذلك من ثلاثة وجوه هي:

**الوجه الأول:**

أن النبي «ﷺ» كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ترجَّل خطبة ثم أعادها فإنه لابد وأن يزيد فيها أو ينقص منها بالقليل والكثير، ومع أن النبي «ﷺ» كان لا يكتب ولا يقرأ فكان «ﷺ» يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير. فكان ذلك من المعجزات، وإليه الإشارة

بقوله سبحانه جلت قدرته (سنقرؤك فلا تنسى).

**الوجه الثاني:**

أنه لو كان يحسن القراءة والكتابة لقيل أنه طالع كتب الأولين وتعلم منها، ولذا فإن الأمية في رسول الله ﴿ﷺ﴾ معجزة من المعجزات، وذكر أن هذا هو المراد من قوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون).

**الوجه الثالث:**

ومع أن النبي ﴿ﷺ﴾كان أميا لكن الله تعالى قد آتاه علوم الأولين والآخرين، وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة من العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم القراءة والكتابة، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرى الجمع بين الضدين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجاري مجرى المعجزات.

وقد عاد الرازي(٢٨) وذكر مرة أخرى عن الإعجاز في كونه ﴿ﷺ﴾ أميًا عندما شرح قوله تعالى في سورة الأعراف: (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) فقال: (واعلم أن هذه إشارة الى ذكر المعجزات الدالة على كونه نبياً حقاً، وتقريره أن معجزات رسول الله ﴿ﷺ﴾ كانت نوعين:

النوع الأول: المعجزات التي ظهرت في ذاته المباركة، وأجلها وأشرفها أنه كان رجلا أميا لم يتعلم من أستاذ، ولم يطالع كتاباً، ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء، لأن مكة ما كانت بلدة للعلماء، وما غاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن مكة غيبة طويلة يمكن أن يقال أنه في تلك الغيبة قد تعلّم العلوم الكثيرة، ثم إنه مع ذلك قد فتح الله عليه باب العلم والتحقيق، وأظهر عليه هذا القرآن المشتمل على علوم الأولين والآخرين، فكان ظهور هذه العلوم العظيمة عليه - مع أنه كان رجلا أميا لم يلق أستاذاً ولم يطالع كتاباً - من أعظم المعجزات، وإليه الإشارة بقوله تعالى: النبي الأمي).

النوع الثاني: من معجزاته الأمور التي ظهرت من مخارج ذاته مثل انشقاق القمر، ونبوع الماء من بين أصابعه.

وقد رجّح الرازي المعنى الذي يدل على أن الأمي هو الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة على القول الذي يشير إلى أن الأمي هو من لا يقر بكتاب ولا رسول مستنداً إلى أن الآية في اليهود، وكانوا مقرّين بالكتاب والرسول، ولأنه عليه الصلاة والسلام قال «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وهذا يدل على هذا القول.

وترجيح الرازي للمعنى الأول يعزز رأينا - الذي سبق أن ذكرناه في آية: (ومنهم أميُّون). ولا يدل على معنى الأمي. والله أعلم.

وقد بين الرازي أيضاً إلى أي شيء يُنسب الأمي(٢٩) فقال هو منسوب إلى الأم، وسُمِّي النبي ﴿ﷺ﴾ أميًّا قيل لأنه لا يكتب وذلك لأن الأم أصل الشيء ممن لا يكتب، فقد بقي على أصله في أنه لا يكتب، وقيل نُسب إلى مكة وهي أم القرى.

وعن قوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم). فقد أوضح أن المقصود بالأميين هنا هم مشركو العرب فقال: «إنما وصف مشركو العرب بأنهم أميون لوجهين:

الوجه الأول: أنهم لما لم يدعوا الكتاب الإلهي وصفوا بأنهم أميون تشبيهاً بمن لا يقرأ ولا يكتب.

الوجه الثاني: أن يكون المراد أنهم ليسوا من أهل القراءة والكتابة، فهذه كانت صفة عامتهم وإن كان فيهم من يكتب فنادر من بينهم. والله أعلم.

**٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:**

قال الإمام القرطبي رحمه الله (٣٠) «الأمي هو منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها، قال ابن عزيز - وهو من علماء المالكية - وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان نبيكم ﴿ﷺ﴾ أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب.» ثم استشهد بقوله تعالى في (سورة العنكبوت، الآية/ ٢٨) (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)، وحديث «إنَّا أمَّة أمية لا نكتب ولا نحسب».

وقد رجّح القرطبي القول الأول الذي يدل على أن المعنيين بالأميين هنا هم اليهود الذين لا يقرأون ولا يكتبون.

وعن قوله تعالى في سورة آل عمران (ليس علينا في الأميين سبيل) ذكر القرطبي (٣١) أن اليهود كانوا إذا بايعوا المسلمين قالوا ليس علينا حرج في ظلمهم لمخالفتهم إيانا. وادَّعوا أن ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل، ورد عليهم في تتمة الآية: (بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين).

وبيَّن أن اليهود كانوا قد استدانوا من الأعراب أموالا، فلما أسلم أرباب الحقوق، تنصلت اليهود من دفع الحقوق إلى أصحابها، وقالوا ليس لكم علينا شيء لأنكم تركتم دينكم فسقط عنا دَيْنكم. وادَّعوا أنه حكم التوراة. فقال الله تعالى: (بلى) ردا لقولهم، أي ليس كما تقولون، ثم ذكر أن الله سبحانه وتعالى استأنف وقال: (من أوفى بعده واتقى) الشرك فليس من الكاذبين بل يحبه الله ورسوله.

**٧ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير:**

بيَّن الإمام ابن كثير(٣٢) ـ رحمه الله ـ معنى الأمية عندما فسَّر قوله تعالى من سورة البقرة (ومنهم أميون) فقال: الأميون جمع أمي وهو الرجل الذي لا يحسن الكتابة. واستشهد بقول إبراهيم النخعي وغير واحد وهو ظاهر في قوله تعالى: (لا يعلمون الكتاب) أي لا يدرون ما فيه. وقد عزا وصف النبي ﴿ﷺ﴾ بالأمية إلى أنه لم يكن يُحسن الكتابة مستشهداً بحديث «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» وبالآية رقم ٤٨ من سورة العنكبوت التي يقول فيها المولى سبحانه وتعالي: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون). وشرح ابن كثير هذه الآية فقال: أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهذه صفته في الكتب المتقدمة كما قال تعالى في (سورة الأعراف الآية/١٥٧) (الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) الآية. وهكذا كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ دائماً إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كُتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ولقد أوضح ابن كثير قوله تعالى (وما كنت تتلو) أي تقرأ (من قبله من كتاب) أي لتأكيد النفي (ولا تخطه بيمينك) أي تأكيد أيضاً، وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه)، وقوله تعالى: (إذاً لارتاب المبطلون) أي لو كنت تحسنها (القراءة والكتابة) لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء. ثم نقل ما ذكره ابن جرير الطبري، وما روي عن ابن عباس(٣٣)، ولقد ذكرنا سابقاً رأي ابن كثير فيما روي عن ابن عباس(٣٤).

وقد ذكر ابن كثير المعنيين بالأميين في الآيتين من سورة آل عمران ففي قوله تعالى: (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم) قال: هم الأميون من المشركين(٣٥)، وفي قوله تعالى (قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) أي ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب(٣٦)، كما بين أيضاً أن المراد بالأميين في قوله تعالى في سورة الجمعة: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) هم العرب مستشهدا بقوله تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم)، ولكنه أوضح أن تخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنه عليهم أبلغ وأكثر كما في قوله تعالى: (إنه لذكر لك ولقومك). وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به(٣٧).

لقد أسهب ابن كثير في بيان وصف النبي ﴿ﷺ﴾ بالأمية ونعته بها في الكتب المقدسة، وبيَّن أن المراد في قوله تعالى (النبي الأمي) في الآيتين من سورة الأعراف هو النبي محمد ﴿ﷺ﴾ (٣٨).

**الأمي والأميون في الحديث الشريف:**

جاء في صحيح الإمام البخاري(٣٩) حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا الأسود بن قيس، حدثنا سعيد بن عمر: أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﴿ﷺ﴾ انه قال: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين». وكذلك عند الإمام مسلم(٤٠) والإمام أبي داود(٤١)، والإمام النسائي(٤٢)، والإمام أحمد(٤٣) ورد الحديث بروايات مختلفة ولقد اكتفينا بذكر رواية الإمام البخاري والإشارة إلى بقية المصادر.

جاء في شرح الحديث للإمام ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - قال: قول النبي ﴿ﷺ﴾ «لا نكتب ولا نحسب» بالنون فيهما، والمراد أهل الإسلام الذين بحضرته عند تلك المقالة، وهو محمول على اكثرهم، أو المراد نفسه ﴿ﷺ﴾، أما قوله «إنا» أي العرب، وقيل أراد نفسه، وقوله «أمِّية» بلفظ النسب إلى الأم فقيل أراد أمة العرب لأنها لا تكتب، أو منسوب إلى الأمهات أي أنهم على أصل ولادة أمهم، أو منسوب إلى الأم لأن المرأة هذه صفتها غالباً، وقيل منسوب إلى أم القرى، وقوله «لا نكتب ولا نحسب» فهو تفسير لكونهم كذلك.

ثم أوضح الإمام ابن حجر لماذا سمي العرب بالأميين فقال: قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة، ثم جاء بقوله تعالى (هو الذي بعث في الأمِّيين رسولا منهم)، وقال لا يُردُّ على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة فيهم قليلة نادرة، ثم بيَّن أن المراد بالحساب هنا في قوله «ولا نحسب» أي حساب النجوم وتسييرها، ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا النزر اليسير.

ولقد أكد الإمام النووي(٤٤) - رحمه الله - أن الأمية في هذا الحديث تعني عدم القدرة على القراءة والكتابة، فقد ذكر أن العلماء قالوا: الأمية هنا تعني باقون على ما ولدتنا عليه الأمهات لا نكتب ولا نحسب، ومنه النبي الأمي، وقيل هو نسبة الى الأم وصفتها لأن هذه صفة النساء غالباً.

وقد جاء ذكر لفظ «الأميين» في حديث آخر. ففي سنن الإمام الترمذي(٤٥) - رحمه الله - عن أبي بن كعب قال: «لقي رسول الله ﴿ﷺ﴾ جبرائيل، فقال: يا جبرائيل إني بُعثت الى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط. فقال: يامحمد إن القرآن نزل على سبعة أحرف».

وجاء في شرح هذا الحديث للإمام المباركفوري في قوله: «إني بُعثت إلى أمة أميين» إشارة توضح أن الأميين مشتقة من كلمة أمي، وبيَّن معنى الأمي فقال: فالأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً. مستنداً إلى حديث» إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» أمَّا عن قوله ﴿ﷺ﴾ : «منهم العجوز والشيخ الكبير» أي هما عاجزان عن التعليم للكبر، وقوله: «والغلام والجارية» أي هما غير متمكنين من القراءة المصغر(٤٦) وقوله: «والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط» المعنى أني بُعثت إلى أمة أميين منهم هؤلاء المذكورين فلو أقرأتهم على قراءة واحدة لا يقرون عليها.

وورد في مسند الإمام أحمد(٤٧) - رحمه الله - نفس الحديث برواية أخرى.

ونجد أن لفظ «الأميين» قد تكرر في أحاديث أخرى في مواضع مختلفة، وقد أضيفت إلى «النبي» كقول ابن الصياد لرسول الله ﴿ﷺ﴾ : أشهد أنك رسول الأميين(٤٨) وكقول الدجَّال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل(٤٩).

**احاديث توضح معنى الأمي:**

ورد في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - حديث في وصف الدجَّال، يتضح لنا منه أن الكاتب نقيضه الأمي، أي الذي لا يكتب، ويتأكد لنا هذا المعنى من أحاديث وردت في صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - في وصف الدجَّال أيضا، يتبين منها أن الكاتب نقيض غير الكاتب، وكذا يظهر من هذه الأحاديث أن الأمي هو غير الكاتب، ونورد هنا طرفاً من هذه الأحاديث.

*** جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله:**

١ - حدثنا عبد الله، حدثني أبي قال: قال عبد الوهاب في حديثه: قال قتادة: وثنا أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال: «إنه مكتوب بين عينيه كفر، يهجاه يقرؤه كل مؤمن أمي أو كاتب»(٥٠).

٢ - حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا روح، ثنا سعيد، عن قتادة أن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنبأهم أنه ﴿ﷺ﴾ قال: «إن بين عينيه مكتوب ك ف ر، أي كافر يقرؤها المؤمن أمي وكاتب»(٥١).

٣ - حدثنا عبد الله، حدثني أبي ثنا شيبان، عن قتادة قال: وحدثني أنس بن مالك أن نبي الله ﴿ﷺ﴾ قال: «ما بين عينيه مكتوب ك ف ر مهجي يقول كافر يقرؤه كل مؤمن أمي وكاتب»(٥٢).

وفي صحيح مسلم - رحمه الله - وردت أيضاً هذه الأحاديث:

٤ - حدثني زهير بن حرب، حدثنا عفان، حدثنا عبد الوارث، عن شعيب بن الحبحاب،

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم»(٥٣).

٥ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: لأنا أعلم بما في الدجال منه، معه نهران يجريان احدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإمَّا أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطيء رأسه، فيشرب منه فإنه ماء بارد، وإن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب(٥٤).

ومن هذه الأحاديث الشريفة يتضح لنا بصورة واضحة جلية لا تقبل الشك أن الإنسان القادر على القراءة والكتابة يُدعى كاتباً، وأن الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة يدعى أميا، فالأمي ضد الكاتب. ويظهر لنا من قوله ﴿ﷺ﴾ فى الأحاديث التي وردت في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - «تهجَّاه يقرؤه كل مؤمن أمي وكاتب» وتأتي الأحاديث التي وردت عند الإمام مسلم - رحمه الله - لتؤكد لنا أن الأمي هو غير الكاتب، حيث نجد أن لفظ الأمي الذي ورد في الحديث رقم -١- والحديث رقم -٢- والحديث رقم -٣- قد حلَّ محله في الحديث رقم - ٥ - لفظ «غير الكاتب» في قوله ﴿ﷺ﴾: «مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» والله أعلم.

**الخطأ في ترجمة الشعار الأجنبي يمس صفة من صفات النبي ﴿ﷺ﴾:**

قد يسأل سائل:

١ - هل هناك إساءة إلى النبي الأمي ﴿ﷺ﴾ في تحريف الشعار الأجنبي «يوم التعليم» إلى «يوم محو الأمية»؟

٢ - وهل هناك إساءة إلى المجتمعات التي صيغت لها هذه الترجمة؟

** ونجيب على هذين السؤالين فيما يلي:

يدعو الشعار المحرَّف الى طمس ومحو صفة محبوبة من صفات المصطفى ﴿ﷺ﴾، وهو شعار غير متأدب مع وصف النبي (ص) بالأمية، فكيف يصفه الله سبحانه وتعالى بهذا الوصف النقي الصافي، وندعو نحن إلى محوه؟.

هذا الشعار المحرَّف يؤكد وبشكل غير مباشر المفهوم المغلوط الذي شاع بين الناس من أن الأمية يدخل في معانيها الجهل والجهالة، وأن جميع المفسرين وشرَّاح الحديث وعلماء اللغة لم يذكروا أبدا أن من معاني الأمية الجهل والجهالة.

لذلك فعندما ندعو اليوم إلى محو وطمس الأمية فإن ذلك قد يوحي في النفوس، وبخاصة نفوس الناشئة أن الجهل والجهالة مرادفات للأمية، كيف لا والكل يعلم أن هذا الشعار رفع خصيصاً لمحاربة ولمكافحة الجهل والتخلف العلمي؟ فبدلا من الدعوة إلى محو وطمس الجهل والتخلف - وهو الهدف المنشود - دعونا إلى محو وطمس الأمية - فهل محو الأمية يحقق الهدف؟

إن نقل الناس من الأمية إلى امتلاك القدرة على القراءة والكتابة لا يحقق أبدا الهدف المنشود ما لم تكن القراءة والكتابة وسيلة لزيادة العلم والمعرفة، فما تعليم الناس القراءة والكتابة إلا وسيلة مثلى من وسائل التزود بالعلم والمعرفة والثقافة كي ينفوا عن أنفسهم صفة الجهل والجهالة، ومن أدرك هذه الوسيلة ولم يعمل بها ظل موسوماً بالجهل والجهالة، لأنه بعدم ممارستها سيظل بعيداً عن منابع العلم والمعرفة، ولربما صعبت عليه من جديد القدرة على القراءة والكتابة.

ويدل على ذلك ما نشرته المجلة الأمريكية المشهورة (الناس The People) (٥٥) وما دعت إليه لتعليم وتثقيف ٢٧ مليون أمريكي بالغ، ومن وقت قريب جداً أشار جيمس ككرفت (٥٦) إلى أنه يوجد ٢١ مليون أمريكي بالغ غير متعلمين، ولا يحسنون التعليم حتى على مستوى الصف الرابع، ورغم أنهم يقرأون ويكتبون إلا أنهم صُنِّفوا - حسب الشعار الأجنبي - من الجهلة لأنهم لم يستخدموا القراءة والكتابة وسيلة للتزود بالعلم والثقافة وهو ما تصبو إليه المجتمعات المختلفة.

الثالث: عدم الالتزام بالأمانة العلمية في نقل وترجمة هذا الشعار استخفاف بمن لا يعلمون اللغة الإنجليزية وتدليس عليهم، لأنه بتحريف الشعار من «يوم التعليم» إلى «يوم محو الأمية» يكون قد غيَّر من هدف الشعار

وهو التعليم إلى محو الأمية، وتعليم القراءة والكتابة كما أشرنا ما هو إلا وسيلة مثلى للتخلص من صفة الجهل والجهالة، بمعنى أنه توجد وسائل أخرى للتعليم والتثقيف غير القراءة والكتابة إلا أن هذه تعدُّ أمثل وسيلة من هذه الوسائل، وعدم المقدرة على القراءة والكتابة لا يمنع الإنسان أبداً من تحصيل العلم ولا أن يكون عالماً ومثقفاً ومفكراً، فكم من العباقرة والعلماء الذين لم يعرفوا من القراءة والكتابة شيئاً - بسبب فقدان البصر أو أي سبب آخر - إلا أنهم سموا في أجواء العلم والفكر وعرفوا بغزارة علمهم وسعة أفقهم.

ومن هذا المنطلق وحسب ما ذكرناه في شرح معني الأمي والأمية من الكتاب والسنة، يكون مضمون الأمية مقصوراً على عدم القدرة على القراءة والكتابة، ولا يتعدى أبداً هذا المعنى، أما إذا تعداه فإنه لا ينطبق أبدا على الأمية، وإنما ينطبق على لفظ آخر وهو الجهل والجهالة.

ولهذا فإن تغيير الكلمة التي تدل على الهدف في أصل الشعار إلى كلمة تدل فقط على وسيلة للوصول إلى الهدف هو استخفاف بمن ليست له دراية باللغة الإنجليزية، وإيحاء يؤكد أن الأمية تتعدى حدود عدم المعرفة بالقراءة والكتابة إلى الجهل والجهالة.

إن تحريف الشعار من يوم التعليم إلى يوم محو الأمية قد يترك في نفوس من صيغت لهم هذه الترجمة أثرا وشعورا بالاحباط، كيف لا والدعوة المتكررة كل عام لا تدعو إلى التعليم والتثقيف - الذي لا حدود له، ويطالب به كل مجتمع حتى وإن بلغ أعلى درجات الثقافة والتعليم - وإنما تدعو فقط إلى تعليم القراءة والكتابة مما يترك انطباعاً سيئاً في النفوس عن حالة التعليم في المجتمع الذي يعيشون فيه، وأنه متخلف كثيرا عن بقية المجتمعات الأخرى، ويتأكد هذا الانطباع عندما تقارن الدعوة السنوية المتكررة في المجتمعات المختلفة فهذا المجتمع يدعو الى التعليم والتثقيف، بينما ذاك يدعو فقط الى تعليم القراءة والكتابة، فيشعر الفرد في المجتمع الأخير أن التأخر العلمي في أفراد مجتمعه متمثلا فيه.

تشير بعض القواميس الإنجليزية إلى أن كلمة ILLITERATE تتركب من جزءين، الجزء الأول: هو البادئة - IL، وهذه البادئة تعود أصلا إلى البادئة - In، ومعروف أن البادئة إذا وضعت قبل الكلمة غيرت معناها، وهي هنا تعني «غير»، أو «لا». أمّا الجزء الثاني من الكلمة الإنجليزية فهو Literate وهي تعني المتعلم، المتثقف،.. لذا فإن المعنى الصحيح للكلمة الإنجليزية Illiterate هو «غير المتعلم» وهي لا تعني بصورة مباشرة الأمي، ولكن معنى الأمي يدخل في معاني هذه الكلمة، إذ أن الجاهل غير المتعلم من باب أولى أنه لا يقرأ ولا يكتب.

ويشير القاموس الإنجليزي الموجز(٥٧) إلى ان شقي الكلمة ILLITERATE يعودان إلى الكلمة اللاتينية ILITERATUS ونستخلص معانى هذه الكلمة من كلا المرجعين، فهي تعني: غير المتعلم، غير المثقف، الجاهل بالأدب، غير القادر على القراءة والكتابة. جاهل، غليظ، فظ، جلف، غير مهذب، بذيء. ويضيف قاموس جارمنسي وي(٥٨) أنها تعني: شديد الجهل.

أما الكلمة الثانية التي يزعم أنها تعني الأمي فهي كلمة Unlettered. وقد يبدو ظاهريا أنها أخف وطء من الكلمة الأولى، ولكنها أيضا تتضمن نفس المعاني غير الحميدة، وتتجاوز حدود معنى لفظ الأمي بالعربية. فكلمة Unlettered تتركب هي الأخرى من جزءين: الجزء الأول منها هو بادئة -Un، وهي تعني «غير» أو «ينقض» أو «يعكس». والجزء الثاني منها كلمة Lettered وهي تعني: عالم، مثقف، مكتوب أو منقوش بأحرف. إذاً فالمعنى المباشر لهذه الكلمة هو نفس المعنى المباشر للكلمة الأولى Illiterate وهو غير المتعلم أو غير المثقف.

ونستخلص المعاني التي تشملها كلمة Un-lettered من القاموس الإنجليزي الموجز(٥٩) وهي:

نفس الكلمة Illiterate، غير مأذون، غير مهندم، غير مهذب، أو غير مصقول؛ فظ، جلف، خشن،....

وكلمة Illiteracy التي يزعم أنها تعني الأمية فهي اسم مشتق من الكلمة Illiterate وقد سبق أن ذكرنا معانيها، ويضيف قاموس

اكسفورد أنها تعني أيضا: غياب أو فقدان أو انعدام التعليم.

يظهر لنا من خلال ما ذكرناه أن جميع الكلمات الإنجليزية التي يزعم أنها تعني الأمي والأمية لا تنطبق أبدا على الألفاظ العربية والتي سبق أن عرفنا أن معناها ينحصر فقط في عدم القدرة على القراءة والكتابة، ولا تتجاوز هذا المعنى، فإذا تجاوز المعنى هذه الحدود فإن اللفظ العربي الصحيح الذي يدل عليه هو لفظ «الجهل» و«الجهالة»، والفرق بين معنى الأمية وبين معنى الجهل كبير جدًا.

ولم يرد في جميع كتب التفسير وشرح الأحاديث والمعاجم اللغوية أن الأمي يعني الجاهل، ولا يدخل في معنى الأمية الجهل والجهالة، ولم يكن النبي الأمي ﴿ﷺ﴾ جاهلا أو جهولا، حتى إن كفار قريش على الرغم من انهم كانوا يظهرون عداوتهم له، وفي حديث طويل ورد في مسند الإمام احمد قالوا له: «فوالله ما كنت جهولا»(٦٠).

وبعد أن تكشف لنا المعنى الحقيقي للكلمات الإنجليزية التي يزعم أنها تعني الأمي والأمية تظهر لنا بشكل واضح جلي خطورة استخدام هذه الكلمات في التعبير عن أمية المصطفى ﴿ﷺ﴾.

**خطر خفي نلفت الانتباه إليه:**

إلى كل من يدرس اللغة الإنجليزية، وإلى كل من له علاقة بطباعة ترجمة معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالإنجليزية، نلفت انتباه هؤلاء إلى استبعاد الكلمات الإنجليزية Unlettered, Illiteracy, Il-literate عند نقل لفظ الأمي والأمية من العربية إلى الإنجليزية وذلك لأسباب عديدة نذكر منها:

١ ـ المعنى المباشر للكلمات الإنجليزية المذكورة لا يعني الأمي وإنما يعني غير المتعلم وغير المثقف، وقد سبق أن ذكرنا أن معنى الأمي الصحيح دخل في معاني الكلمات الإنجليزية تبعا لأن غير المتعلم وغير المثقف من باب أولى أنه لا يحسن القراءة والكتابة، وعرفنا أيضاً أن الأمي على الرغم من عدم قدرته على القراءة والكتابة فقد يكون عالماً ومعلماً ولا تعيقه أميته عن تحصيل العلم إن أراد ذلك. وحتى إن أخذنا بالمعنى المباشر فقط للكلمات الإنجليزية ولم نلتفت إلى المعاني الأخرى، فإن هذا المعنى أو الوصف (غير المتعلم) في حدّ ذاته لا ينطبق بكل معانيه على النبي الأمي ﴿ﷺ﴾، فصفة الأمية فيه ﴿ﷺ﴾ تعني أنه لا يمتلك وسيلة التعليم المثلى وهي أنه لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه علّمه ربُّه سبحانه وتعالى، فكان عالماً ومعلّما. وسبق أن مرَّ بنا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال فيه: خرج علينا رسول الله ﴿ﷺ﴾ كالمودع فقال: «أنا محمد النبي الأمي، أنا محمد النبي الأمي، ثلاثا، ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم، وجوامعه، وخواتمه..» إلى آخر الحديث.

٢ ـ الكلمات الإنجليزية إضافة إلى معناها المذكور في الفقرة الأولى فإنها يدخل في معناها أيضا الجهل والجهالة والمعاني البذيئة الأخرى غير المحمودة والتي لا تليق ولا تنطبق بأي حال على وصف النبي الأمي ﴿ﷺ﴾.

وقد ذكرنا سابقاً أن الأمية هي وصف خص الله به الحبيب المصطفي ﴿ﷺ﴾، ونعود هنا لنكرر فنقول: معاذ الله أن يصف حبيبه في كتابه العزيز بوصف يدخل في معانيه الجهل، والجهالة، والبذاءة والجلافة.

٣ ـ لا توجد في اللغة الإنجليزية كلمة تعني «الأمي» بحيث لا تتعدى حدودها، أي تعني فقط عدم قدرة الإنسان على القراءة والكتابة.

وهنا ومن باب الفخر والاعتزاز نقول يكفي اللغة العربية أن تتميز باحتوائها على كثير من الألفاظ أو المفردات التي يندر أو لا يوجد ما يقابلها في اللغات الأخرى.

٤ ـ كتابة الكلمات الإنجليزية في المواضع التي يذكر فيها لفظ الأمي أو الأميين عند ترجمة معاني القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة تجعلنا نثبت الأوصاف البذيئة ـ معاذ الله ـ للنبي الأمي وصحابته الكرام لغير الناطقين باللغة العربية، وهم من هذه الأوصاف براء وبعد أن كشفنا النقاب عن المعنى الصحيح للكلمات الإنجليزية المزعوم أنها تعني الأمي والأمية، وتحدثنا عن خطورة استخدام هذه الكلمات في الكتب الإنجليزية التي تترجم فيها معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من العربية إلى الإنجليزية، كان لزاماً

علينا أن نوضح أن هذا الخطر قد تمثل حقيقة في كثير من الكتب الإنجليزية الشائعة عند المسلمين وغير المسلمين.

---

الهوامش:

(١) أبو الفضل عياض اليحصبي. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. بيروت: دار الكتب العلمية، ص ص ١١ ـ ١٢.

(٢) خليل إبراهيم ملا خاطر. عظيم قدره ورفعة مكانته عند ربه عز وجل. ط ٥، جدة: دار القبلة للثقافة، ص ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٣) أبو العلاء محمد عبد الرحمن (١٢٨٣هـ ـ ١٣٥٣). تحفة الأحوذي بشرح جامع الإمام الترمذي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، مج٩، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢، ح ٣٧٧٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (مرجع سابق) مج٣، ص ٣١٨.

(٥) المرجع السابق، مج٤، ص ٢٢٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (مرجع سابق)، مج١، ص ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.

(٧) عظيم قدره (ص) لملا خاطر (مرجع سابق)، ص٥٤.

(٨) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٤٨ ـ ٤٥٨هـ) دلائل النبوة. ط١، وثق وخرّج احاديثه وعلّق عليها د. عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ١، ص٧٧.

(٩) أبو عمر يوسف بن عبد البر محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البخاري، القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ج٢، ص٦٢٧.

(١٠) مسند الإمام أحمد. (مرجع سابق)، مج٤، ص ١٤٧، ح١٧٠٧٦.

(١١) المرجع السابق. مج٢، ص٢٨٤، ح٦٩٩٧، ١٦١٤.

(١٢) نفس المرجع مج١، ص٣٢٧، ح٢٣٢٨.

(١٣) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجه حققه ورقم احاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص٤٢، ح١١٤. وبلفظ آخر عند النسائي، ج٨، ص١١٦.

(١٤) محمد الطاهر عاشور. تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٩، ص١٣٣.

(١٥) أبو زكريا يحي الفراء (ت٢٠٧هـ): كتاب معاني القرآن. ط٢، ج١، بيروت: عالم الكتب ص٢٢٤.

(١٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري. (مرجع سابق)، ج٩، ص٨٣.

(١٧) المرجع السابق. ج١، ص ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(١٨) أبو إسحاق ابراهيم بن السري الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق وشرح عبد الجليل عبده شلبي، ط١، مج٢، بيروت: عالم الكتب ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٨١.

(١٩) المرجع السابق. مج١، ص١٥٩.

(٢٠) نفس المرجع. مج١، ص٣٩٠.

(٢١) نفس المرجع. مج١، ٤٣٣.

(٢٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧هـ ـ ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مج٤، ص٩٦.

(٢٣) نفس المرجع. مج٤، ص٩.

(٢٤) نفس المرجع. مج٣، ص٩٧.

(٢٥) نفس المرجع. مج١، ص٧٨.

(٢٦) المرجع السابق. ص١٩٦.

(٢٧) فخر الدين الرازي. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ط١، ج ١٥ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ، ص ص ٢٤ ـ ٢٧.

(٢٨) المرجع السابق. مج١٥، ص٣٢.

(٢٩) المرجع السابق. مج٢، ص١٤٨.

(٣٠) أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن. ج ٧، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣١) المرجع السابق. ج ٤، ص١١٨.

(٣٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. (مرجع سابق)، مج ١، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٣٣) تفسير القرآن لابن كثير (مرجع سابق)، مج١، ص١٢١.

(٣٤) انظر ص ١٦ من هذا الكتاب.

(٣٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (مرجع سابق) مج١، ص٣٦٢.

(٣٦) نفس المرجع. مج١، ص٣٨٢.

(٣٧) نفس المرجع. مج٤، ص٣٨٨.

(٣٨) نفس المرجع. مج٢، ص ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٣٩) فتح الباري لابن حجر (مرجع سابق) ج٤، باب قول النبي (ص) «لا نكتب ولا نحسب»، ح١٩٣١.

(٤٠) الإمام محي الدين يحي النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. ط١، ج٧، مكة المكرمة: المكتبة الفيصلية، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، باب «وجوب الصيام برؤية الهلال»، ص١٩٢.

(٤١) أبو داود بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) سنن أبي داود. ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، كتاب الصوم، باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، ح٢٣١٩.

(٤٢) أبو عبد الرحمن أحمد النسائي سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. مج٢، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، كتاب الصيام ذكر الاختلاف على يحي بن أبي كثير في خبر أبي سلمة فيه، ص ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٤٣) الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد. ط١، مج١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ح٥٠١٦.

(٤٤) صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق)، ج٧، باب وجوب صيام رمضان برؤية الهلال، ص١٩٢.

(٤٥) الإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠، ج٨، باب ما جاء في أن القرآن نزل على سبعة أحرف، ح ٣١١٣، ص٢١٢.

(٤٦) فيها تصحيف ولعلها «من الصغر»

(٤٧) مسند الإمام أحمد، (مرجع سابق)، ج٥، ح ٢١٢٦٢، ص١٥٩.

(٤٨) انظر فتح الباري لابن حجر، (مرجع سابق) ج٣، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه، ح ١٢٤٥، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي. (مرجع سابق)، ج١٨، ص ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٤٩) انظر صحيح مسلم بشرح النووي. (مرجع سابق) ج١٨، ص ص ٧٨ ـ ٨٣، حديث طويل «قصة الجساسة».

(٥٠) مسند الإمام احمد (مرجع سابق)، ج٣، ح١٣١٥٠.

(٥١) نفس المرجع. ج٣، ح ١٣١٥٤.

(٥٢) نفس المرجع. ج٣، ح ١٣٣٩٩.

(٥٣) صحيح مسلم بشرح النووي (مرجع سابق)، ج١٨، ص٦٠ باب ذكر الدجّال.

(٥٤) المرجع السابق. ج١٨، ص٦١، باب ذكر الدجال.

(٥٥) 27 Million Americans Can,T Read a Bedtime Story to a Child The People, No. 23 - 30 December (1985).

(٥٦) Games D. Cockroft. Functional Literacy in: Grolier International Encyclopedia ,12; 3 `68-369 (1993).

(٥٧) The Concise English Dictionary on Historical principles.

(٥٨) The Penguim English Dictionary.

(٥٩) The Concise English Dictionary

(٦٠) مسند الإمام احمد بن حنبل. (مرجع سابق)، ح ٦٩٨١، ٧٠٣٦.

كتابة السيرة النبوية في

هذا العصر ... الثقافات

المتباينة ... وقد كانت

مهمة الذين كتبوا السيرة في العصور القديمة

أسهل وأهون، لأننا في زماننا هذا قد وجدنا سيلا

من الكتابات الأوربية تتحدث عن سيرة رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) ... ، وكان الظن

بأبناء الإسلام جميعا أن ... ما يكتبه المغرضون بما

يستطيعون من الحذر الدقيق، ولكن سيطرة الغرب السياسية

في مطلع هذا القرن قد جعلت لكتابة المستشرقين منزلة كبرى

لدى المخدوعين ببهرجه ... من دارسي الثقافة

الأوربية ... من المذ... ... يجعلهم

يسيرون مع ... في طريق واحد، ومن ... على

السيرة النبوية ان قيض لها من ذوى الإخلاص من كتبها

بنزاهة و... من كشف دخائل من يحرفون الكلم

عن مواضعه ... الإسلام، إذ هيأ

الله له ... المنطق

الحق، ومن يدفع كيد أعدائه في قوة

وشموخ، وكان حقا علينا نصر

المـــؤمـــنـــين!.

# البهرج العلمي لبعض المستشرقين شوّش كثيراً على فكر الآخذين به

بقلم:
أ.د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

ونحن نعلم أن الشك في ما دوّنه القدماء عن أبطال التاريخ إن جاز أن يتطرق الى شخصيات يكتنفها الضباب فلن يجوز أن يتطرق إلى سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، مهما بذل المغرضون جهودهم في نسج الأراجيف، إذ لا يوجد نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا قد حفظت سيرته الكريمة في شتى أحواله كما حفظت سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإذا كانت التوراة والانجيل وصحف أهل الكتاب لم تسلم من التحريف المقصود فإن بعض ما رُوي عن سير الأنبياء من السابقين في غير كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة لم ينج من التزيد والافتعال، أما سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلدينا منها أصل صحيح لا يتقبل ذرّة من شك فيما نزل به القرآن الكريم خاصا بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، وفيما دونته كتب الحديث الصحيح معزوا إلى رواته الأثبات ممن أطالوا التدقيق في المتن والإسناد فمهما اصطنع المغرضون من وسائل الشك في بعض ما روته كتب السيرة مما لا نجد دليله في كتاب الله وسنة رسوله فإنهم لا يجدون شفاء لنفوسهم في توهين ما جاء به القرآن وما روته السنة المطهرة، ونحن نعرف أن أكثر غزوات الرسول ومواقف جهاده، وساعات حرجه وبلائه في الدعوة الإسلامية قد نزل فيها وحيٌ من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما نعرف أن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا من شدة الحرص على أقواله وأفعاله بحيث رووا كلَّ ما عرفوه من قول أو فعل، وقد جُمعت الأحاديث في مجلدات متعددة، ووُجد منْ نسّق كل ما رواه المتقدمون منها في جوامع الأصول من أحاديث الرسول بحيث صار ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم مجموعا في كتاب واحد، تتعدد أجزاؤه فيقرب البعيد ويدني الشاسع، وفي هذه المرويات الحافلة تفصيل دقيق لسيرة رسول الله معزوّ إلى كبار الصادقين المخلصين من صحابته، فلو اقتصر باحث في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ما جاء بالقرآن الكريم معتمدا على ما قيل في أسباب النزول وعلى ما جاء في كتب الصحاح لوجد سيرة رسول الله كاملة لم تشب بنقص، أو تزود بافتعال متكلف، فالذين يحاولون ان يشكوا في أخبار السيرة النبوية لا يجدون لديهم دليلا يشفي ما في صدورهم من الدّخَل، ولئن وجدت زيادات مختلفة في بعض ما كتب ابن اسحاق أو ابن هشام أو الواقدي أو الطبريّ فإنها كلها لا تتصل بشيء من صميم السيرة المدوّن في كتاب الله وسنة الرسول، وكان على الذين يريدون أن يجعلوا أحداث السيرة النبوية مجالا للشك أن يعرفوا قداسة القرآن وطهارته، وأن يعلموا قيمة السنة المطهرة لدى الدارسين الأثبات، وإذا جاز لهم أن يعصفوا برواية مضطربة نقلها مؤرخ عن مؤرخ دون تحقيق فليس في ذلك ما يمس السيرة النبوية في شيء، لأن أصلها الراسخ ثابت صحيح!.

نحن نعرف أن السيرة النبوية لم تدوّن إلا في العصر الأمويّ، إذ نهض المحدثون بتدوينها روايات مسلسلة ينتهي سندها إلى رسول الله، وفي إكباب المحدثين بدءاً

# السيرة النبوية حفظها القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الشك والدَّخل

هذه الريادة الأولى فى التاريخ النبوى لجدير بالنظر الفاحص لنزيل عنه ما تكاثف من غبار حاول بعض المغرضين أن يثيروه ناسين أن لكل أثر بشريّ فى دنيا التأليف محاسنه ومآخذه، وأن الكمال المطلق لله رب العالمين.

نشأ ابن اسحاق بالمدينة بين قوم يتعبدون بذكر الله ورسوله، وما منهم إلا محدث راو يتلو كلام النبى ويروي سيرته، وأبوه وعماه من رجال العلم

على تدوين السيرة النبوية ما يدل على أنهم وجدوا الروايات الصحيحة التى تمدّهم بما يطلبون، ولا نظن أن عالما حفظ القرآن الكريم ودرس السنة المطهرة يجيز لنفسه أن يفتعل حديثا ينسبه إلى رسول الله؛ وهو يعرف أن من كذب على رسول الله متعمدا فسيتبوأ مقعده من النار، وإذا كان الدافع الحاث على تدوين هذه السيرة لديه هو حبّه الخالص لصاحب السيرة فإن هذا الحب الأكيد يمنعه أن يخلط الحق بالباطل أو أن يأتى بما يكون لديه موضع شك فضلا عن أن يختلق ما لم يكن، وهكذا نهض عروة بن الزبير وابن شهاب الزهرى وأبان بن عثمان بن عفان، وعاصم بن عمر وابن قتادة وغيرهم من كبار المتحرزين لجمع أحداث السيرة النبوية مما يحفظون من آيات القرآن وأحاديث الرسول وأقوال الصحابة، وفيهم من شاهد صحابة رسول الله والمخلصين من التابعين فعرف تفصيل المجمل، وتوضيح الغامض، وسأل عما يجهل فجاءه السديد من الجواب مؤيدا بالدليل الماثل حتى علم فاطمأن، وفيما سجل هؤلاء الكرام من أحداث السيرة ما أعان اللاحقين على تدوين التاريخ النبوي، وفى مقدمتهم شيخ رجال السيرة محمد بن اسحاق، ولا بدّ من وقفة لديه، إذ كان كتابه أول أثر علميّ مدوّن وصل إلينا مهذّبا عن طريق ابن هشام فكان أصلا أصيلا لدراسة السيرة النبوية، ومازال المصدر الأول لمن يحاول أن يتحدث عن رسول الله، وان كتاباً له

أمثال القاسم بن أبى بكر، وأبان بن عثمان وعطاء، والأعمش، وعبد الرحمن بن هرمز، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وقد كان أبان بن عثمان ذا أثر بارز فى توجيهه الكتابى إذ اهتم بجمع سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتدوين ما يدور حول حياته المباركة من حديث وشعر وأقاصيص وسار لما كتب ذكر فى عهده، وإن ضنت الأيام علينا بما كتب، فجعل ابن اسحاق يحذو حذوه، ثم لم يقف الأمر به عند المدينة، بل رحل الى شتى الأماكن ملتمسا رجال الحديث، وأئمة العلم فى الاسكندرية والكوفة والجزيرة والرى وبغداد، وكان من قدره أن يصطدم بالإمام مالك فيتهمه فى نسبه وعلمه، ويثور عليه ابن اسحاق فيرميه بأكثر مما رماه، وتتوالى المآخذ المعزوة الى ابن اسحاق فيدونها مؤرخوه دون نقاش، وأذكر أنى بسطت هذا الموقف فقلت فيه من كلام متصل(١).

كان ابن اسحاق ذا أصدقاء ينقلون فضائله، وذا خصوم يشهرون به، وكان الإمام مالك من أبرز خصومه، وله فى الناس رأى مسموع، وتوجيه قوى، وقد هاجم ابن اسحاق واتهمه، ولم يسكت عنه الرجل فطعن هو الآخر فى علمه وفى نسبه، والمعاصرة كانت ومازالت غشاء يحجب كثيرا من اللألاء عن العيون وأشد ما تكون لدداً بين العلماء وذوى المواهب الراقية من رجال الفنون، وقد اعتاد جماعة من الكتاب أن ينقلوا أقوال الخصوم ويحاولوا تأييدها أو تفنيدها، والأولى أن نترك هذه الأقوال إلى مؤلفات العلماء لنحكم عليهم من خلالها فهى

الوثيقة الصادقة دون مراء.

وكم اتهم فضلاء من العلماء بالزندقة زورا ثم قرأت ما كتبوه فما وجدت من أثر تشم منه رائحة الإتهام، وإذا كان البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه قَدْ رَوَوْا عن ابن اسحاق بعض الحديث فهذا كاف كل الكفاية فى تقديره، وفى مقدمة كتاب السيرة النبوية نصّ لابن عدي نقله محققو الكتاب وفيه يقول:

«ولو لم يكن لابن اسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومبعثه، ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن اسحاق وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم بالشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره، ولم يتخلف فى الرواية عنه الثقات والأئمة، أخرج له مسلم فى المبايعات واستشهد به البخارى فى مواضع وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه»(٢).

وأنا لا أغفل ما اتجه إليه ابن اسحاق من سرد كثير للأساطير الموهومة فيما كتب من تاريخ ما قبل البعثة النبوية وفيما حشد من أمور قد لا تكون قريبة التصديق لدى الفاحص المتأمل، ولكن ابن اسحاق فى ذلك ليس شاذا عن لاحقيه فقد كان المفهوم العام لجامع الأخبار التاريخية أن يسرد كل ما انتهى إليه بإسناده، إذ ليست مهمته حينئذ فحص الأخبار وتمحيص الأحداث ولكن مهمته هى تتبع كل ما يستطيع الحصول عليه من أنباء لدى من يثق فيهم، ولا يمكن أن يؤاخذ ابن اسحاق بميزان عصر لاحق، فالرجل متأثر ببيئته وبتوجيهها العلمى فى التدوين والتبويب، وإذا كان من تلوه من كبار المؤرخين من أمثال الطبرى والمسعودى واليعقوبى ومن لا نستطيع أن نحصى من الكاتبين قد سلكوا مسلكه فى الحشد الجامع دون التفات فى كثير من الأحيان الى التصويب والتخطئة فإن لمن تقدمهم العذر إذا جعل الإسناد دليله فى تدوين الرواية، وقد قال الإمام الطبرى شيخ المؤرخين فى مقدمة تاريخه (إنه أدّى ما وصل إليه من الأخبار كما وصل، لأن الأخبار لديه تعرف بالنقل لا باستنباط(٣) الفكر والحجج العقلية، وقد تبرأ من عهدة ما ينقله من الأخبار المتهمة حين جعل العهدة على الراوى الذى نصّ عليه فى الإسناد، والطبرى ومن نهجوا نهجه قد قدموا للباحثين شتى الآراء المختلفة لينتقوا منها ما يرجحون، وليجعلوا منها لبنات تقيم تاريخا، ولا أجد فى هذا المجال أصح مما أشار إليه الأستاذ محب الدين الخطيب فى بحث جيد حين قال: (ان مثل الطبرى ومن فى طبقته من العلماء الثقات المتثبتين فى إيرادهم الأخبار الضعيفة كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا قضية ما، فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفة إعتمادا منهم على أن كل شيء يتقدر بقدره، وهم يروون كل خبر معزوا إلى راوية، ليعرف القارىء قوة الخبر أو ضعفه من منزلة راويه العلمية وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة)(٤).




لقد جمع ابن اسحاق كل ما عثر عليه من سيرة الرسول فرواه معزوا إلى من صدر عنه، ومن يريد أن يحكم عليه فلابد أن يزنه بميزان عصره، وقد كنا نرى ذلك من الوضوح بحيث لا نحب أن نطيل فيه ولكن فريقا من باحثى

الغرب يسرهم أن يلقوا الريبة على كل ما كتب ابن اسحاق ليجعلوا حياة الرسول مظنة الخفاء والإبهام، وكأن ابن اسحاق وحده هو الذى سجل السيرة النبوية فإذا حامت الشبهة على كتابه فقد عصف المنطق بما قال! وهؤلاء يتجاهلون أن فى القرآن الكريم والحديث الشريف ما ينهض بتبيين حياة الرسول على وجه لا يتطلب المزيد، وما جاء به ابن اسحاق كمال يصل الأحداث، وينظم حلقات السلسلة على نحو مطرد، وليس جديدا مفاجئا لا أصل له سوى ما كتب! حتى يشتبه فيه الناس إن انتحاه أحد بتوهين، ومن العجيب أن نرى من الباحثين لدينا من يعتنقون هذا المذهب المغرض فيقول أحدهم فى مقدمة بحث عن ابن اسحاق(٥):

( لعل من العجيب حقا أن ننظر إلى كتاب ابن هشام الذى يرويه عن ابن اسحاق نظرتنا الى كتاب تاريخ حقيقى يؤرخ لحياة الرسول تاريخا يُراد منه وجه العلم والحقيقة وحدها فثمة أشياء تقف دون هذه النظرة وتجعلنا نحتاط قليلا ونحن نحاول أن نضع هذا الكتاب فى مكانه بين الكتب .. ثم يقول فابن اسحاق ليس مؤرخا بالمعنى العلمى لهذه الكلمة وإنما هو جامع ومبوب، كانت السيرة قبله أجزاء متفرقة، يروى كلّ من تناولها ناحية، فجاء هو ليجمع هذه النواحى فى نهج متسلسل تاريخي) ويتابع الكاتب مزلات المغرضين فيقول:

(الصورة التى تخرج بها عن محمد فى كتاب ابن اسحاق أقرب إلى الصورة الأسطورية منها الى الصورة التاريخية فهو يدعو ربه فينزل المطر. وحين يجلس تظله شجرة الأنبياء وحين يسير تمنع عنه الشمس غمامة إلى آخر ما فى الكتاب من معجزات، وعذر ابن اسحاق أنه يجمع شتى روايات يرويها أكثر من راو وفيهم من يتعشق الأساطير وفيهم من يكتب الأساطير). وفى هذا الكلام وأمثاله مما تركناه تخبط حائر، وشطط جائر، وكنا نطمع من صاحبه ألا يقيس ابن اسحاق إلا بميزان عصره، وقد قال عنه انه ليس مؤرخا بالمعنى العلمى لهذه الكلمة وكأنه يطلب منه أن يصطنع من مذاهب التحليل ما نصطنعه اليوم فى عصرنا الراهن!! ولئن نفى عن ابن اسحاق صفة المؤرخ فلابد أن ينفيها عن الطبرى وتابعيه! إذ جمعوا الروايات المختلفة كما جمع ابن اسحاق، ومثل الكاتب فى ذلك مثل من ينفى الطب عن ابن سينا لأنه لا يلتزم فى الشفاء بما التزم به أطباء اليوم من أسباب العلاج المعتمدة على الاكتشافات العلمية الحديثة ! وما درى أن ما كتبه ابن سينا كان احدى خطوات التطور العلمى فى طريق التقدم العلاجى، تلك التى أخذ العلماء يتابعونها حتى اهتدوا إلى أحدث الكشوف فهى إحدى اللبنات المتينة فى أساس الصرح، وكذلك كان جمع الروايات المختلفة لدى ابن اسحاق ومن تلاه إحدى الوسائل الدافعة الى انتهاج مذاهبنا المعاصرة فى التاريخ!.




وإذا كنا نطلب من مؤرخى القرن الثانى أن يلتزموا بما التزم به مؤرخو القرن الرابع عشر فليس لنا أن نخوض فى بحر لا نستطيع السباحة بين أمواجه، وإنما علينا أن نعرف قدرتنا المحدودة لنقف عندها دون جموح! وقد أراد الكاتب لنفسه أن يتابع المغرضين حين زعم أن صورة محمد (صلى الله عليه وسلم) فى كتاب ابن اسحاق أقرب الى

# السيرة النبوية لا يلحقها الشك لأنها دوِّنت من واقع حُبّ عميق

الصورة الأسطورية مرتكنا إلى ما دوّنه الرجل من معجزات نبي الإسلام! ومن الطبيعي أن ينكر المعجزة أوربيّ لا يؤمن بالاسلام، ولكن كيف ينكرها مسلم يعرف أن الله قد خص نبيه بما يثبت نبوته لدى المنكرين! وليت شعرى هل كان موسى لدى اليهود بطلا أسطوريا حين ضرب البحر فانفلق وحين ألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ، وهل كان عيسى لدى النصارى بطلا أسطوريا حين أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص وتكلم فى المهد؟ أيكون موسى وعيسى نبيين حقيقيين لدى من ينكرون نبوة محمد من باحثى الغرب مع اعترافهم بما أتيا من معجزات، ويكون محمد (صلى الله عليه وسلم) أسطوريا لدى بعض المسلمين لأن مؤرخيه قد دوّنوا ما وقع له من المعجزات! إننا ندعو الذين يتباهون علينا باتجاههم المتحرر، أن يكونوا متحررين حقا! فلا يقلّدوا المغرضين.

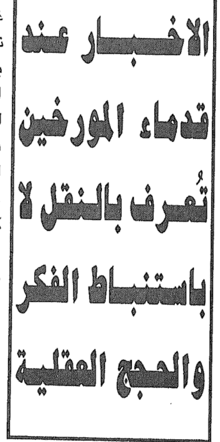
لقد كان ابن اسحاق رائد عمل جاد فى دنيا التاريخ العربي، وإذا كانت طريقة التدوين التى التزمها واحتذاها سواه من بعد ليست هى الطريقة المثلى فى هذا العصر، فإنه بطريقته هذه قد حفظ صحفا حافلة بالأخبار أوشكت أن تضيع، ومهما اقتفاه تابعوه فآثروا الرواية وأقلوا التمحيص فقد خدموا التاريخ العربي خدمة رائعة بما سجّلوه، ولعل الأستاذ الدكتور أحمد أمين قد عنى ذلك حين قال عن مؤرخى المسلمين فى حديثه التحليلى عنهم وقد أخذ عليهم ضعف النقد وإيجازه وسذاجته وتلوين التاريخ بلون العقائد حينا وإهمال النواحى الإجتماعية حينا آخر، أخذ عليهم ذلك كله ثم قال عنهم فى حيدة وإنصاف(٦) «ولكن هذه العيوب تقلّ حدتها، إذا نظرنا إلى ما رأينا من محاسنهم خصوصا أننا عند نقدهم يجب أن نقيس محاسنهم ومعايبهم باعتبار زمانهم وبيئاتهم التى تحيط بهم، لا بزمانا وبيئاتنا، حتى يكون النقد أدق، والحكم أصدق، فمن من المؤرخين غيرهم عنى فى عصرهم بتأريخ الحوادث بالشهر بل باليوم، وبعض المؤرخين الأوربيين يقول ان هذا النمط من كتابة التاريخ لم يعرف فى أوربا قبل سنة ١٥٩٧؟ ومَنْ منَ المؤرخين غيرهم عُني بالإسناد عنايتهم فينسب الرجل إلى أسرته وإلى أمته، ويدور على الناس فى اخبيتهم ومنازلهم يتلمس الأخبار ويطبق ما يسمع على ما يشهد؟ ومَن من المؤرخين فى مثل عصرهم يتشدد تشددهم فى الرواية والسماع، ولا يستجيز الأخذ عن الصحيفة إلا أن يكون ضعيفا مطعونا فيه، ومَن من المؤرخين فى مثل عصرهم، صبر على ما صبروا عليه من فاقة وبؤس، ورحل من غانة الى فرغانة مع بعد الشقة ووعورة الطريق، ثم قيّد كل ما سمع مع الإفلاس وغلاء القرطاس، الحق أنهم على عيوبهم لم يدخروا جهدا ولم يعرفوا دعة».  وإذا كانت سيرة ابن اسحاق قد حفلت فى بعض صفحاتها بما يصلح أن يكون موضع نظر، كما حفلت صحائف التاريخ من بعده بما كان مجال نقد حقيقى، فإن الله قد شاء لهذه السيرة أن تنال قسطها من النظر الناقد قبل أن تتداولها أيدى القارئين، إذ لم يعرفها المسلمون فى صورتها التى كتبها ابن اسحاق، بل عرفوها بعد أن تولى ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميرى تنقيحها وتعديلها حذفاً وزيادة فانتقل بذلك بالسيرة النبوية المطهرة من مرحلة الجمع والتبويب

# ابن اسحق تمسك بأسلوب الرواية التاريخية واجتهد في رعاية العبارة الأسلوبية

يضعون الكتب فى تجريحهم دون أن يكون لذلك أثر ما فى مكانتهم العلمية، وقد قام الخطيب البغدادى بتدوين ما وُجه لابن اسحاق من نقد ثم شفع ذلك بتفنيد عادل يضع الميزان بالقسط دون إسراف، ونحن فى حلّ من أن نترك ما قيل ما دام قد وجد الردّ الماحى، لنذكر لابن اسحاق فضيلة كبرى هى تمسكه بأسلوب الرواية التاريخية التي ينقلها عن أساتذته العلماء، فلم يشأ أن يغير فى أكثر ما كتب، واجتهد فى رعاية العبارة الأسلوبية إجتهاداً حفظ لنا أنصع التعبيرات وأوجزها إشارة، وأصدقها دلالة! وهو فى ذلك رائد للطبري في تمسكه بالعبارة الجزلة فأصبحت كتابة التاريخ لديه مجالا للتماسك الفكرى والأسر التركيبى فى غير جلجلة مفتعلة نجدها لدى المتكلفين ممن يريدون أن يقنعوا قراءهم بأنهم كتاب كبار فيتشدقون فى غير مجال! لن ترى عند ابن اسحاق مع هدوئه المطبوع غير اللفظ المحدّد، والأسر المتماسك، والتسلسل المطرد فى إيجاز معتدل يعرض أطايب البلاغات المعهودة لدى فرسانها الأقدمين، ونحارُ حين نريد التمثيل، ولكننا ننقل كما اتفق مما تحدث به عن رضاع رسول الله فى بنى سعد، ليكون مثالا صادقا لبعض ما نريد. قال ابن اسحاق (وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أو عمن حدثه عنه قال(٨): كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التى أرضعته، تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا، فخرجت على أتان لى قمراء(٩) معنا شارف(١٠) لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع، وما فى ثديى ما يغنيه، وما فى شارفنا ما يغذيه (قال ابن هشام ويقال يغذيه) ولكننا كنا نرجو الغيث

تلك التى تمت على يد ابن اسحاق إلى مرحلة النقد والتعليق وهى خطوة مهمة كان لها أثرها فى انتشار النقد التاريخي، وقد رسم ابن هشام نهجه فى عمله حين قال(٧): «وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم، ومن ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ولده وأولاده لأصلابهم الأول فالأول وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل على جهة الاختصار الى حديث سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له، ولا شاهدا عليه، لما ذكرت من ذلك الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشفع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره». هذه العناية النقدية الكبرى من ابن هشام قد جعلت سيرة ابن اسحاق قريبة للنفس شافية للصدر حقا، وكأن الله عز وجل قد شاء أن يفقد الأصل لتكون السيرة بعد صنيع ابن هشام أتم وأكمل وأوفى، وعلى الذين ينقلون شذرات سيئة مما قاله بعض معاصرى ابن اسحاق فى ثلمه أن يعلموا أن كلام الرجل قد وُكل إلى ناقد صقيل يتولّى جلاء غيمه، ونزع شوكه، كما عليهم أن يعرفوا أن كبار أهل العلم من الأثبات لم يسلموا من ناقدين

والفرج، فخرجت على أتاني تلك فقد أدمت(١١) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك إننا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى، فكنا نقول: يتيم، وماذا عسى أن تصنع أمه وجدُّه، فكنا نكرهه لذلك، وما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى والله إنى أكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنه قال: لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره، فلما أخذته رجعت به إلى رحلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى الى شارفنا تلك ، فإذا إنها حافل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريّا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبى حين أصبحنا تعلمى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت والله إنى لأرجو ذلك، ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملته عليها معى، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبى ليقلن لى: يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك، أربعى علينا، أليست هذه أتانك التى خرجت عليها، فأقول لهن، بلى والله، وإنها لهي هي، فيقلن والله إن لها لشأنا، ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمى تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعا لُبّنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم، ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمى شباعا لُبّنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشبّ شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا(١٢)، فقدمنا به إلى أمّه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها لو تركت بني عندى حتى يغلظ فإنى أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردّته معنا)٠ هذا نمط من سرد السيرة الرائع الذى رواه ابن اسحاق، وقد حرصنا على تسجيله لندل على شيئين هما خسارة التأثير النفسى الذى فقده من تنكب فى تدوين السيرة بالروايات البليغة كما تعورفت واكتفى بسرد المعنى فجاء هيكلا عظميا دون لحم ودم! وثانيهما ما نلحظه من تأثر بعض المعاصرين اليوم بهذا الأسلوب فيما كتبه من قصص نبوى ذاع واشتهر! وقد غفل الناقدون عن الكشف عن نواته المستترة لدى ابن اسحاق بعد أن باعدت بيننا وبينه الأحقاب! وما تزال فى روايات الرجل روائع لم تمسّ بتصوير! فهيا أيها المبدعون٠ وقد كان ابن هشام حريصاً كل الحرص على تتبع ابن اسحاق فى كل ما كتب، وقد كانت ثروته اللغوية أكثر من ثروة صاحبه فأخذ عليه أمورا هامة كما نفى كثيرا مما رواه من الشعر لأن ابن اسحاق قد توسع فى ذلك توسعاً كان مدعاة التهكم من قوم يناوءونه، ولم يقل أحد إن ابن اسحاق ناقد أدبيّ حتى نجعل روايته للشعر مصدرا من مصادره الصحيحة، وكان ابن سلام



الجمحي في طليعة من شهروا به عن حق، وإذا كان التاريخ النبوي هو مجال ابن اسحاق الذي ولج منه دنيا العلم والتأليف، فقد كفانا ابن هشام كثيرا ممّا وقع فيه ابن اسحاق من عثرات تاريخية نجد نظائرها لدى كل مؤلف! وأي مؤلف في القديم والحديث قد سلم من التعقيب؟ وكانت معرفة ابن هشام بتاريخ الرجال أبصر وأنفذ، فله من الغوص في سيرهم ما ظهر أثره جليا في تتبع ابن اسحاق ونكتفي بأن نمثل لذلك بشواهد منها:

١ - ذكر ابن اسحاق قتلى بدر من المشركين فجعل من بينهم السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر المخزومي، فقال ابن هشام: السائب بن أبي السائب شريك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (نعم الشريك السائب، لا يشاري ولا يماري) وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا والله أعلم، وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبه عن ابن عباس أن السائب بن أبي السائب بن عابد ممن بايع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قريش وأعطاه يوم الجعرانه من غنائم حنين(١٣).

٢ - ذكر ابن اسحاق فيمن عدّ من المنافقين ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، فقال ابن هشام تعليقا على ذلك (معتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب وهم من بني أمية بن زيد من أهل بدر، وليسوا من المنافقين، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن اسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر)(١٤).

هكذا قال ابن هشام، وفي نفسي مما علق به شيء، لأن أكثر المفسرين، يذهبون إلى أن قول الله عز وجل في سورة التوبة(١٥) (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدَّقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون)، قد نزل في ثعلبة بن حاطب وذكروا من قصة ثرائه بعد افتقار، وتضرعه لرسول الله كي يسأل ربه له الخير، وتدفق المال لديه، وضنّه بالزكاة، ذكروا من ذلك ما هو معلوم مشتهر وقد قال الله بعد هاتين الآيتين (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب)(١٦) فقطعت الآية صريحا بنفاق ثعلبة وأصحابه! ولا وجه لابن هشام في تعقيبه إلا أن يكون قد رأى أن الآية ليست في حاطب، وهو رأي يتطلب الترجيح.

٣ - ذكر ابن اسحاق فيمن بايع من الأنصار عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد، فقال ابن هشام (عمرو بن سواد) وليس لسواد ابن يقال له غنم(١٧)، وقد كرر ذلك ابن اسحاق في موضعين فعقب عليهما ابن هشام بما قال(١٨).

**«إننا ندعو الذين يتباهون علينا باتجاههم المتحرر، ان يكونوا متحررين حقا، فلا يقلدوا المغرضين»**

لقد تلقى ابن اسحاق كتابه عن أئمة المحدثين في عصره، وحشد فيه ما مال إلى تصديقه من أخبار العرب والأقدمين، ثم جاء ابن هشام فوقف من الكتاب موقف الناقد النزيه حتى جعل منه نصا تاريخيا ممتازا بالنسبة لزمنه التأليفي! فإذا جاء من يقول إن الكتاب يتسم بطابع أسطوري فعليه أن يعلم أن سيرة رسول الله في كتاب ابن هشام قد برئت من الأسطورة! وأن المعجزة لن

تكون اسطورة إلا عند قوم لا يؤمنون بمعجزات الأنبياء! أمّا ما مهّد به ابن اسحاق من قصص ظاهرة الشطط عمن سبق رسول الله فى التاريخ العربى البعيد فلن يضير السيرة النبوية فى شيء، لأن الكتاب فى أصله قد كان تاريخ العالم بأجمعه كتبه ابن اسحاق بتوجيه أبى جعفر المنصور، وإنسان يكلّف بكتابة سيرة العالم من لدن آدم لا بدّ أن يكتب فى زمنه البدائى ما يتطرق إلى سمعه مستندا إلى رواية، وما وُجد فى بيئته من علماء المسلمين من يهتم بتحقيق ما قيل فى هذا الزمن البعيد، لأن اهتمام هؤلاء الشيوخ كان منصبا إلى حديث الرسول وسيرته، وما نزل عليه من آيات الذكر الحكيم، وما جاء فى سيرة ابن اسحاق عن ذلك صحيح وثقه الرواة، وتداوله النقد التاريخى حتى تركه فى مكان مطمئن من القبول الوثيق.

وقد شاء الله لهذه السيرة المباركة التى كتبها ابن اسحاق ونقحها ابن هشام أن تصبح الأصل الأول لكتابة التاريخ النبوى فقد تضمنت من آيات القرآن وأحاديث الرسول وأقوال الصحابة والتابعين ما انتظمت منه هذه السيرة على نحو متسلسل ليسهل استيعابه فى غير جهد لدى الباحثين، وقد ظهر أثرها واضحا فى جُلّ ما قيل عن رسول الله سواء أكان ذلك فى كتب التاريخ العام أم فى كتب السيرة المتخصصة، أم فى كتب الطبقات الخاصة بصحابة رسول الله. وإن كتابا هذا مكانه لجدير أن يكون فى كل منزل، وقد لقى من احتفاء المسلمين فى كل عصر ما يناسب مكانته فتعددت شروحه واختصاراته، ووُجد مَن نظم وقائعه فى شعر تعليمى ينتسب إلى الرجز، وفى المقدمة التى كتبها الأستاذ مصطفى السقا وزميلاه فى صدر الكتاب ما يوضح ذلك مما يغنى عن إعادته، وقد ختمت هذه المقدمة بما نختم به هذا البحث حيث قال كاتبها المفضال:

## صنيع ابن هشام فيما دوّنه ابن اسحق جعل السيرة أتم وأكمل واوفى

«فابن اسحاق - فى الحقيقة - هو عمدة المؤلفين الذين اشتغلوا بوضع السير من بعده، حتى يمكننا أن نقول: ما من كتاب وضع فى السيرة بعد ابن اسحاق إلا وهو غرفة من بحره، هذا إذا استثنينا رجلا أو اثنين كالواقدى وابن سعد(١٩)».

---

*الهوامش:*

(١) *مجلة كلية اللغة العربية بالرياض (العدد السادس) ص٢١٨.*

(٢) *مقدمة السيرة النبوية لابن هشام ص٤ ط سنة ١٩٣٦.*

(٣) *الطبرى جـ١ ص٨ ط٢، دار المعارف.*

(٤) *مجلة الأزهر صفر ١٣٧٢هـ.*

(٥) *الرواية العربية فى أصل التجمع للأستاذ فاروق خورشيد ص٢٠٠ وما بعدها.*

(٦) *ضحى الإسلام جـ٢ ص٣٦٠، لجنة التأليف والترجمة.*

(٧) *السيرة النبوية جـ١ ص٤.*

(٨) *السيرة النبوية جـ١ ص١٧١.*

(٩) *ذات خضرة.*

(١٠) *الناقة المسنة.*

(١١) *أطلت عليهم المسافة.*

(١٢) *جفرا: شديدا.*

(١٣) *السيرة النبوية جـ٢ ص٣٧٠.*

(١٤) *السيرة النبوية جـ٢ ص١٦٩.*

(١٥) *سورة التوبة (٧٥)، (٧٦).*

(١٦) *سورة التوبة (٧٧)، (٧٨).*

(١٧) *السيرة النبوية جـ٢ ص٧٢.*

(١٨) *السيرة النبوية جـ٢ ص٣٥٦، ص١٠٥.*

(١٩) *مقدمة السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق الأساتذة مصطفى السقا وابراهيم الابيارى، وعبد الحفيظ شلبي ط مصطفى الحلبى سنة ١٣٥٥هـ ص (ل).*

# بيان محمد صلى الله عليه وسلم

# من امارات تفرده

بقلم:
د. ابراهيم عوضين
- مصر -

اقتضت حكمة الله جل شأنه أن يؤيد كل رسول بما يقنع قومه بأنه رسول الله، فأجرى على يدى كل رسول أمرا خارقا فى حدود ما يشتهر به قومه، ليؤكد لهم عجزهم فيه أنهم أمام إنسان مؤيَّد من الله.!

والناظر فى حياة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) يلاحظ أن العناية الإلهية كانت توجهه منذ طفولته إلى ما يلفت أنظار قومه لما يتفرد به من دونهم، تهيئة لاستقبال الأمر الأخطر، وإعدادا لإعلان الرسالة.!

نعم .. فلقد بدت أمارات التفرد فى سلوك سيدنا محمد منذ كان طفلا يتيما، ثم صبيا يتأبى على ما اعتاده أترابه وأنداده من العادات والأفعال، حتى لفت بشمائله وأخلاقه وسلوكياته أنظار المحيطين به فى وقت مبكر، فلقبوه بالصادق الأمين.

ومحمد - بذلك التأبى - لم يكن جاريا على سنن موجود يقتدى به، ولكنه كان مدفوعا بقوة خفية لينتقى مما تغص به بيئته كل فضل وفضيلة، فيكون السبّاق إليها، ويعرف كل ما فيه شذوذ عن الفطرة السوية فيرفضه، وينصرف عنه.. دون أن يدرى لهذا ولا لذاك سببا، فحقق بذلك ما جعله متفردا بين أترابه، وما مكن له فى نفوس العقلاء منهم، فأكبروه صغيرا، وقدروه صبيا، واعجبوا به شابا، حتى كان الآباء يتمنون أن يروا أبناءهم فى صحبته، اطمئنانا عليهم.. وحتى أصبح ما اختاروه له لقبا.. علما عليه، فلا تذكر كلمة (الأمين) إلا استحضرت هيئة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وحتى أصبح ما عليه من خلق عظيم أحد الخصائص التى ينعته بها القرآن الكريم.!

## «أدبني ربي فأحسن تأديبي»

وهكذا وصل محمد بن عبد الله مسيرته الحيوية - أو قادته العناية الإلهية - ليحرز فى كل مرحلة ما يميزه، ويعلن عن تفرده.

## عزوفه عن الشعر:

وكان موقفه من الشعر من أبرز ما ظهر فيه تفرده (صلى الله عليه وسلم) مبكرا؛ فعلى الرغم من أنه نشأ فى بيئة يهفو فيها كل بيت إلى أن يكون من بين أبنائه من يبرِّز فى الشعر؛ ليكون لبيته وأسرته ظهرا يرتكن إليه، ولسانا يدافع عن أهله، ويخوض به قومه المعارك.. حتى كان هم كل فتى أن يلازم شاعرا يتتلمذ عليه، ويأخذ عنه، ويحتذيه، فإذا شب عن الطوق حمل الرسالة، وقام بدوره بين قبيلته.. على الرغم من هذه النشأة الفنية البيئية، نرى أن محمدا لم يخط خطوة واحدة فى هذه السبيل، ولا حاول أن يدخل ميدان المنافسة فى ذلك مع أترابه، بل كان منها فى واد، وكل الآخرين فى واد آخر، لا فرق فى ذلك بين قصى وقريب.. وهذا أقرب مصاحبيه إليه - أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة - يروى الشعر وينظمه فى مبتدأ نشأته، ويأخذ نفسه بأسباب التفوق فيه، حتى عُرف بما حصَّل من تاريخ العرب وأيامهم - وهو مادة الشعر، وأساس النبوغ فيه - فأصبح مرجعا ثبتا فى ذلك.!

ولو حاول باحث يومها أن يتعرف على السر فى عزوف محمد عن ولوج ميدان الشعر - رواية ونظما - لوجد نفسه يسعى وراء سراب، فليس هناك من سبب مقنع، ولا سر واضح يقيم الباحث عليه علة ذلك الموقف من شاب عربى، نشأ فى تلك البيئة العربية التى يعد فيها الشعر إحدى ضرورياتها الحيوية، حتى كان واحدا من دواعى الاجتماع والتلاقى فيما اشتهر بأسواق العرب، فى عكاظ، ومجنة، وذى المجاز.

بينما نستطيع اليوم - وبعد أن بدا من أمره (صلى الله عليه وسلم) ما بدا - أن نلمح ما كان وراء عزوفه عن الشعر من قوة عليا مدبرة، لا تُدرك إلا من مظاهرها، ولا يكتنه سرها إلا بعد إنفاذ ما أرادت.!

فلو أن محمدا كان فى نشأته تلميذا لهذا

الشاعر أو لذاك - شأن غيره من معاصريه - لما كان له فى ذلك ما يميزه من غيره، إلا نبوغ فى جانب، وخمول فى جانب آخر، فهو - كغيره من الشعراء - امتداد لسابق، إليه يرجع فضل إعداده، وتقويم لسانه، ومنه يأخذ أسباب نجاحه، وعوامل تفوقه.. وهو كغيره من الشعراء - ينافس ندا، يعمل على اللحاق به، أو تجاوزه، أو الارتفاع عليه.

لكن صرف محمد عن هذا الميدان المعتاد فى تكوين الإنسان العربى بيانيا، يكشف لنا أنه كان - فى الحقيقة - صرفا لمحمد عن التتلمذ على مخلوق، حتى يحتفظ بتفرده وتميزه فى بيانه، كى تتم به أبعاد المعجزة، فلو كان فى بيانه تلميذا لمخلوق، لما كانت له فيه خصيصته، ولما حق له أن يرجع ما أوتيه من تفوق بيانى إلى الله تعالى، فيما أثر عنه من مثل قوله: «أوتيت جوامع الكلم».

ومن ثم .. نستطيع أن نقف على سر تلك المفارقة العجيبة، إذ نجد القرآن الكريم - فى معرض تمجيد محمد (صلى الله عليه وسلم) ينفى عن محمد تعليم الله إياه الشعر وآلاته، فى الوقت الذى كان يتفاخر فيه كل معاصر من أبناء أمته بتعلم الشعر، والتمكن من آلاته، حتى كان من لا يملك شيئا من ذلك يعمل على ادعائه، والتعلق بأذيال من نبغوا فى قول الشعر، حرصا على حيازة ذلك الفخر.!

فالقرآن الكريم فى قوله تعالى:« وما علمناه الشعر وما ينبغى له».. لا ينفى عن محمد (صلى الله عليه وسلم) ما نسبوه إليه من قول الشعر فحسب، ولكنه - إلى ذلك - ينبه إلى أن من مفاخره (صلى الله عليه وسلم) براعته كل البراعة مما يفخر به الآخرون، لأنه ليس كأحدهم - فى ميدان البيان - بل هو متفرد عنهم جميعا فى ذلك، وإن يكن - فى عموميات البشر - واحدا منهم، يناله ما ينالهم من آلام وهموم وعوارض، لا يكاد يختلف عنهم فى شيء من ذلك، اللهم إلا تلك الفوارق البيئية المعتادة.!

نعم ... إن القرآن الكريم - فى هذا القول الحكيم - يومىء إلى أحد مظاهر تفرده (صلى الله عليه وسلم)، دون القصد إلى تحقير الشعر - فى ذاته - ولا تحقير ما يتوصل به الى قول الشعر، فالآية الكريمة تلفتنا إلى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يتتلمذ على مخلوق، ولكنه إعداد رباني كامل، ارتفع به عن عموميات المخلوقين، حتى يحفظ - رسالته من احتمال التأثر بهذا أو بذاك.! ولو أن من خاصموا محمدا ودعوته ترووا فى أحكامهم، واتخذوا موقف المحايد فى نظرتهم.. لما جرؤ واحد منهم على الزعم بأن محمدا تتلمذ على هذا الراهب، أو ذاك المتحنف، لأن بيان هؤلاء وأولئك يختلف كل الاختلاف عن بيانه.

وما ذلك إلا لأن النظر العادل المحايد يقرر أننا - مع محمد (صلى الله عليه وسلم) - أمام ظاهرة متفردة، تتمثل فى كيان متميز فى بيانه، لم تصنعه أية قوة من القوى المخلوقة المعتادة، التى تتدخل - بعامل التطور والتدريب والمران -

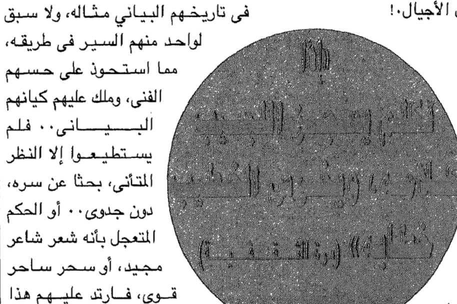
«وما ولدت العرب فيما مضى، ولا تلد فيما بقى أفصح منه» (برة بنت عامر الثقفية)

في صنع الآخرين، وتواصل الأجيال.!

## الإبداع المحمدي:

فإذا رجعنا النظر الى ما استبدله (صلى الله عليه وسلم) من الفنون البيانية بالشعر، وجدنا أنفسنا أمام ظاهرة بيانية فريدة، لم يكن للعرب ولا للعربية بها عهد سابق، إذ كان وكد فصحاء العرب وحكمائهم قول الشعر، فإذا اتجهوا إلى النثر لم يستطيعوا الخروج به عن دائرة الشعر.. حيث يلتزمون فيه بعض ما اعتادوا التزامه في الشعر؛ من مثيرات بيانية - مثل السجع، والطباق، والجناس - حتى استقر النثر العربي - أوكاد - على ما عرف بسجع الكهان.. وما خرج عن ذلك الالتزام جاء جملا مفردة مجموعة، أو حكما وأمثالا مفصولة، لا يكاد يسلكها نظام بياني، سوى المقصد العام منها، من خطبة، أو وصية، أو منافرة، كما نرى فيما ينسب إلى أكثم بن صيفي التميمي، وعامر بن الظرب العدواني، وهانئ ابن قبيصه الشيباني، والأوس بن حارثة.

فلما نزل القرآن الكريم على محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصبح له المدرسة المؤدبة، سار على الدرب في بيانه ودعوته، ففجأ العرب بما لم يخطر لهم على بال، إذ وجدوا في بيانه (صلى الله عليه وسلم) بدعا من القول لم يعهدوه، ولم يلتزم فيه بسابق مثال من كلامهم، على الرغم من أنه فيه لم يخرج على لغتهم، ولا شذ عن ترتيب كلامهم، فهم أمام بيان عربي أصيل لم يعرفوا



في تاريخهم البياني مثاله، ولا سبق لواحد منهم السير في طريقه، مما استحوذ على حسهم الفني، وملك عليهم كيانهم البياني.. فلم يستطيعوا إلا النظر المتأني، بحثا عن سره، دون جدوى.. أو الحكم المتعجل بأنه شعر شاعر مجيد، أو سحر ساحر قوي، فارتد عليهم هذا الحكم بأسرع مما أصدروه، لأنهم تبينوا أنهم أمام بيان لا هو من شعر الشعراء، ولا هو من هذيان السحرة والكهان.!

وهكذا .. لم يقتصر محمد (صلى الله عليه وسلم) على تفرده بين العرب بالعزوف عن الشعر، ولكنه ضم إليه تفردا آخر.. بإيثاره هذا المنهج البياني الذي أبدعه، إذ سار فيه على غير مثال بشرى سابق، حتى تقرر أنه (صلى الله عليه وسلم) كان فيه مُعَانا من ربه بجوامع الكلم التي جعلها - على حد وصف الخطابي - ردءا لنبوته، وعلما على رسالته، فتعجب من ابداعه البياني أقرب الناس إليه، أوثقهم صلة به.. من استجاب منهم لدعوته، ومن كابر منهم وعاند.

ولقد صرح (صلى الله عليه وسلم) بهذا التفرد فيما رواه ابن عساكر في الخصائص الكبرى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) «أنا النبي لاكذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأنىَّ يأتيني اللحن؟!».

ثم علل (صلى الله عليه وسلم) هذا التفرد بتتلمذه على القرآن الكريم، الذى تحدى به منزله سائر المخلوقين، وجعله معجزة تعلن عن صدق محمد فى دعوته.. فقد روى صاحب الخصائص الكبرى عن الرامهُرمزى - بإسناده - قال له (صلى الله عليه وسلم) أصحابه: «ما رأينا الذى هو أفصح منك، فقال: «وما يمنعنى، وإنما أنزل القرآن بلسانى، بلسان عربى مبين، وإنى من قريش، ونشأت فى بنى سعد بن بكر؟!».

وروى أبو الحسن احمد بن عبد الله محمد البكرى فى كتابه (أنس الواحش، وري العاطش): قالت برَّة بنت عامر الثقفية سيدة نساء قومها لإخوتها: يا بنى عامر أفيكم من أبصر محمدا (صلى الله عليه وسلم)؟ فقالوا: كلنا قد رأيناه أيام الموسم، فقالت: أفيكم من سمعه يتكلم؟ قالوا: نعم، فقالت: كيف هو فى فصاحته؟ قالوا يا أختاه إن أقبح مثالب العرب الكذب.. أما فصاحته، فما ولدت العرب فيما مضى، ولا تلد فيما بقى أفصح منه، ولا أذرب منه؛ إذا تكلم يعجز اللبيب كلامه، ويخرس الخطيب خطابه».

## الثبات على المستوى الفني:

فإذا رجعنا النظر إلى ما أثر من بيانه (صلى الله عليه وسلم)، رأينا أنفسنا أمام العديد من مظاهر التفرد الإبداعى.. سواء فى ذلك المحتوى، والشكل، وأثر هذا وذاك فى المتلقين.!

لقد كان نهج العرب الذين تلقوا بيانه - ومازال هو نهج الجميع عربا وغير عرب - يقتضى أن يعلو ذكر الأديب ببيت شعر يسير، أو بعبارة محكمة، أو بقول حكيم، دون تأثر بهبوط آخر قد يعتور هذا الأديب فى مواقف أخرى.

ولكن العرب أمام بيان محمد (صلى الله عليه وسلم) وجدوا الثبات على مستوى فنى واحد، لا يخضع لما ينشئه الضعف البشرى من تذبذب أو تردد بين الارتفاع والهبوط، تبعا للحالات النفسية التى يمر بها الأديب.. فالبيان النبوى على درجته العالية من التوازن مع كل المتلقين، مهما اختلفت هوياتهم، وثقافاتهم، ولهجاتهم، فما قدم عليه وفد عربى إلا كان معهم فى أرقى مستوى من لهجتهم التى قد لا يفهم أكثر كلامها الآخرون، حتى نهض على بن أبى طالب كرم الله وجهه مبديا دهشته لذلك فى قوله: «يارسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال (صلى الله عليه وسلم) : «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

> «يارسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره» (على بن أبى طالب)

والذى أثار دهشة عليّ، أثار دهشة أبى بكر رضى الله عنه - على تفوقه فى معرفة أخبار العرب وأنسابهم ولغاتهم - فقال: لقد طفت على العرب، وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم بما أجاب به عليا رضى الله عنه، قال: «أدبنى ربى

فأحسن تأديبي»٠

فكان تفرده في ذلك إعلانا صريحا أنه (صلى الله عليه وسلم) بعث الى كافة الناس من غير استثناء، فأوتي - لذلك - ما احتاجته تلك العمومية في حياته (صلى الله عليه وسلم) من قدرة على التكلم مع كل بما يناسبه، ممهدا بذلك الطريق لمن يخلفه في الدعوة الى الاسلام، حين يتسع ميدان الدعوة، ويصبح على الدعاة مخاطبة الأمم الأخرى٠

## تعدد الأشكال البيانية:

ومع هذا الثبات في المستوى الفني٠٠ فإننا نتلقى في بيانه (صلى الله عليه وسلم) أشكالا بيانية دائمة التغير، وفقا لما يستدعيه المضمون، والموقف، والمتلقي٠٠ فكانت تلك الفنون البيانية التي لم يكن للعرب سابق عهد بها، ولا كان لهم سابق عهد بهذا النهج من أديب واحد، إذ نجد أنفسنا مع بيانه (صلى الله عليه وسلم) أمام الحديث المباشر، والحديث غير المباشر، والحوار، والخطبة، والقصة، والرسالة، والمعاهدة، والوصية، والابتهال٠

كما نجد - مع التأمل الناقد - أن هذا التلوين في الفنون النثرية ليس مفروضا عليه (صلى الله عليه وسلم) من خارجه، ولكنه يتوجّه إليه بدافع ذاتي فطري يوجهه الى اللون البياني المناسب أدق المناسبة، بحيث لا يصلح غيره في مكانه، مما لا يتسع المقام لتفصيله، ولربما عدنا الى ذلك في مقام آخر٠

ولم يكن هؤلاء العرب الأقدمون هم وحدهم الذين تنبهوا الى ما في بيانه (صلى الله عليه وسلم) من تفرد، إذ لم تكن مظاهر التفرد تلك بالتي تخفى على الأديب الناقد المحايد، أيا كانت هويته الدينية، أو لغته وثقافته؛ فلقد تنبه إليها كثير من معتدلي النقاد الأوربيين في العصر الحديث - على الرغم من ذلك الفاصل الزماني الذى قارب خمسة عشر قرنا، إلى جانب الفاصل المكاني - فها هو ذا الأديب والمفكر الفرنسي (فيليب كاردينال) يقرر ما صرح به نقاد الأدب العربي قديما، في قوله الذى نقلته عنه صحيفة الأهرام القاهرية الصادرة في ١٣/١/١٩٨٤، إذ يقول: «أعتقد - كأوربي دارس للأساليب اللغوية المعاصرة - أن أسلوب هذه الأحاديث - يعني الأحاديث النبوية - هو أسلوب متفرد تماما، يدفعنا دفعا إلى إعادة صياغة وحداتها أو تطورها لإدخالها في بناء الرواية اللغوى، ويمكننا حينئذ أن نستفيد بهذه اللغة في إعادة النظر إلى لغتنا المعاصرة٠٠ أستطيع القول - بدون مبالغة - إن الأحاديث النبوية أحدث أسلوب أدبي في العالم المعاصر»٠

> «إن الأحاديث النبوية أحدث أسلوب أدبي في العالم المعاصر» (فيليب كاردينال)

وبعد ٠٠ فالحديث عن البيان النبوى ممتد، وأمارات تفرده (صلى الله عليه وسلم) أكثر من أن تعرض في كتاب - بل في مقال - وأشمل من أن يتناولها دارس٠!

# تحديد المفاهيم اللغوية عند الرسول ﷺ

هناك كلمات لغوية كانت تحمل معاني محددة عند العرب، ولما جاء الإسلام أثرى اللغة العربية بالقرآن والحديث النبوي، وحدد مفاهيم جديدة لعبارات قديمة، واستعمل لهذا الغرض استفهامات متنوعة(١) استدرج بها المخاطب، ليوقفه على خطأ فهمه أو نقصه، وأنه حرى به أن يراجع نفسه فيه، ليحدد المفهوم على ضوء الإيمان الذي هدم كثيرا من المألوف المحايد للحق.


بقلم:

**د. عبد الرحمن طالب**

**استاذ الحديث بالمعهد الوطنى العالى للحضارة الاسلامية**

**- الجزائر - وهران**


وتحديد المفاهيم لم يقتصر على المفردات اللغوية فقط، بل تعداها إلى الجمل والأفكار، فمثلا تغيير معنى الصرعة، من الشديد البطش بالناس، إلى معنى الذى يملك نفسه عند الغضب، هذا تحديد لمفهوم مفردة لغوية، ولكن تغيير معنى كراهية الموت، من الكراهية المألوفة عند كل أحد إلى كراهية الكافر له، عندما يرى عذاب الله ساعة الاحتضار، هو تغيير لمعنى جملة كاملة، وكذا تغيير لمفهوم قيمة الناس الحقيقية، فى مثل قوله (صلى الله عليه وسلم): «هذا [المؤمن] خير من ملء الارض من هذا [الكافر]. هو تغيير لفكر وعادة، ألفها الناس منذ الزمن البعيد، لأن تقييم الأشخاص عندهم كان بالمال والوجاهة، وليس بالأعمال الصالحة المرضية، هذا التغيير الصائب، وبعبارة أدق، هذا التحديد الهادف، أضفى على التربية كثيرا من المفاهيم الجديدة وأحدث أسلوبا جذابا لم يكن مألوفا عند العرب القدامى، وبه شد الرسول

(صلى الله عليه وسلم) انتباه مخاطبيه، فقربهم إليه، حتى مالوا إليه بأرواحهم، وعقولهم، وحواسهم، فاستفادوا من علومه الربانية، وأساليبه الخيرة التربوية، وتغيير المفاهيم، وتحديد معانيها، لا ينفي عنها المعنى اللغوي المتداول، بل يبقي المعنى الأصلي، ويضيف إليه معنى جديدا هادفا.

## نماذج من المفاهيم الجديدة

### ١ ـ الصُّرعة:

كان مفهوم الصرعة عند العرب هو الشخص الغلاب الذي لا يغلبه الرجال، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يعلم ذلك، وإنما أراد أن ينقل مخاطبيه إلى مفهوم آخر، هو أعلى وأهم وأكثر فائدة، وفي الحديث عن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٢) «ما تعدون فيكم الصرعة؟ قال: قلنا الذي لا يصرعه الرجال، قال: قال «لا، لكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب».

حدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هنا مفهوم الصرعة الحقيقي بالشخص الذي يستطيع أن يغلب نفسه عند الغضب، فيكظم غيظه، فلا يطيش، ولا يقول إلا خيرا، وقد جاء مصرحا بذلك في قوله:(٣) «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

والحقيقة أن الذي يملك نفسه عند الغضب هو أشد وأقوى من الغلاب للرجال، لأنه بذلك يكون قد قهر أشد أعدائه، وشر خصومه؛ وقد قيل(٤): «أعدى عدوك نفسك التي بين يديك».

### ٢ ـ كراهية الموت:

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٥): «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت يارسول الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله، ورضوانه، وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله، وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه».

الموت شيء مرهب مخيف، وقلَّ من يطلبه إلا المجاهدون المخلصون، والقانطون المتهورون، فالمجاهدون إذا قاتلوا، ثم استشهدوا هم عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، أما القانطون إذا انتحروا فهم في سواء الجحيم يعذبون بما انتحروا به.

إذاً كراهية الموت هي محل اتفاق بين الناس، والحديث القدسي نفسه يعبر عن هذه الكراهية من قبل الإنسان فيقول:(٦) «ما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس المؤمن هو يكره الموت وأنا أكره مساءته».

في حديث كراهية الموت، تعلن السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ صراحة، بأنهاتكره الموت، وقد قالت: «فكلنا نكره الموت» وهذا أمر طبيعي، إنما الرسول (صلى الله عليه وسلم) حدد مفهوم كراهية الموت التي كان قد صرح بها في حديث: «ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» وخصص هذه الكراهية بالكافر، وقال: «وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله، وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه».

فهذا التحديد في مفهوم الكراهية، أزال الغموض السائد بين الناس في هذا الموضوع، لأن المسلم الحقيقي يحب لقاء الله، ويفضله على كل النعم، وهو مستعد لسكرات الموت، انما الخوف من العذاب، هو الذي جعله يكره الموت، وعندما يبشر ساعة الاحتضار بمقامه عند ربه في جنته ورضوانه، يستعجل الموت للقاء ربه.

## ٣ ـ المفلس:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال(٧): «هل تدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام، وصلاة، وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

المفلس لغة، جاء من أفلس الرجل وصار ذا فلوس، بعد أن كان ذا دراهم، وعن هذا المعنى عبر الصحابي بقوله: «المفلس فينا يارسول الله من لا درهم له ولا متاع»، وهذا التفسير صحيح من حيث اللغة، وواقع الناس في الدنيا، والرسول (صلى الله عليه وسلم) يعلم ذلك ويُقرّه، ولكن أراد أن ينبه الناس إلى ما هو أهم، أراد أن ينقلهم من التفكير الدنيوي البحت إلى التفكير في الحساب الأخروي، فالإفلاس في الدنيا مصيبة وحرج، ولكن ليس كالإفلاس في الآخرة.

ومن أجل هذا حدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مفهوم المفلس، بأنه الشخص الذي لا ينتفع بحسناته يوم القيامة، لكثرة ما عليه من حقوق الناس، وتبعاتهم التي تعلقت بذمته، ولم يُسددها في دنياه بالعملات المتداولة أو بالتسامح، لأن التسديد يوم الحساب لا يكون إلا بدفع حسنات المدينين للدائنين، أو بتحمل سيئاتهم، وهذا هو الإفلاس الحقيقي، وهذه هي المصيبة العظمى، والحرج الخانق.

وهذا التفسير للإفلاس تربية مُثلى للناس حتى يحسنوا التعامل فيما بينهم فلا غبن ولا تطفيف في الميزان، ولا غش ولا خداع، وإن وقع فالمبادرة قبل فوات الأوان، للتسديد أو التسامح والاعتذار، وقد أثرت هذه التربية في الصحابة كثيرا، وأثرت أيضا فيمن جاء بعدهم ولو بمقدار بسيط.

## ٤ ـ الكِبْر:

للكبر عدة معان، فهو يعني في اللغة التجبر والكفر والشرك والتعالى عن الناس، وقد اختلط الكبر والتزيُّن عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) الكبر المُنهى عنه من غيره.

روى الصحابي ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال(٨): «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، فقال إن الله جميل يحب الجمال، والكِبْر بَطَر الحق وغمط الناس».

الكبرياء لله تعالى، ومن شاركه فيها قصمه الله وأهلكه، لقوله (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن ربه(٩): «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار. وليس من شيمة المسلم أن يكون متكبرا على بني جنسه ولا متجبرا، ولكن ليس من الكبر التزين بما أحله الله، من ألبسة فاخرة، ومشط للشعر، واستعمال الطيب، وهو ما ظنه الصحابي ـ رضي الله عنه ـ كبرا، إنما الكبر الحقيقي هو الذي أفصح عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس» الكبر عدم تقبل الحقيقة، والكبر دفع الحق وعدم الانقياد له، واحتقار الناس والاستهانة بهم.

هذا التحديد لمفهوم الكبر مهم جدا، لأن الإنسان قد يلبس أجمل الملابس وأغلاها، ويتزين

بأحسن الزينة وأطيبها، ولا يكون متكبرا، لأنه يعترف بالحق، ويحترم الناس، ولا يستهين بهم. وقد يلبس الشخص العباءة الممزقة، أو الأطمار البالية، ولكنه يغطي الحقيقة، ولا يعترف بالحق إذا ظهر، ويستهين بالناس، ولا يعترف بحقوقهم، وهذا رغم فقره، وقلة ذات يده، فهو متكبر، لأن التكبر فيه اصالة، وفي الحديث الذي خرجه الحافظ المنذري، يحذر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الكبر ويقول(١٠): «إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل، وإن عليه العباءة»

## ٥ - المسكين:

المسكين الشخص الذي لا شيء له يكفي عياله، قال ابن منظور:(١١) «وسمي مسكينا؛ لأن الفقر أسكنه، أي قلل حركته». والسائل الذي يطوف على الناس يطلب ما يقتات به، ليسد رمقه هو مسكين في عرف الناس، وهذا هو المتبادر في مفهوم المسكين، لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال(١٢): «ليس المسكين الذي يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

إذاً، في هذا الحديث، يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) حدد مفهوما آخر للمسكين، وقيده بثلاثة شروط:

١ ـ أن لا يجد يساراً يغنيه عن الناس.

٢ ـ أن لا يعلم الناس بحاله فيتصدقوا عليه.

٣ ـ أن لا يطوف على الناس يسألهم المساعدة.

فبهذه القيود الثلاثة، يكون الرسول (صلى الله عليه وسلم) اعترف بالمسكنة، للشخص الذي لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله، ولكنها مسكنة جزئية؛ لأنه بتطوافه على الموسرين يستطيع أن يحصل على حاجته وزيادة، ولكن المسكين الحقيقي الذي ضرب في عمق المسكنة القاتلة، هو ذلك الذي توافرت فيه الشروط الثلاثة السالفة الذكر.

وهذا الحديث يتفق تماما مع قوله تعالى:(١٣) «للفقراء الذين أحضروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرْبا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف».

والتربية في هذا الحديث اجتماعية أخلاقية، ذلك أن الناس تعودوا أن يعطوا ما استطاعوا السائلين الذين يجوبون الشوارع بأطمار ممزقة، ولم يتفطنوا إلى أناس هم أكثر مسكنة، وأشد فقرا منهم، ولكنهم لا يمدون أيديهم، ولا يعرضون بفقرهم للأغنياء، بل لازموا بيوتهم، وإذا ما خرجوا لمصالحهم مشوا مرفوعي الرأس أعزاء، «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» فمثل هؤلاء يجب البحث عنهم بجد، وينبغي أن تُمدَّ لهم يد المساعدة بسخاء، وفي خفاء.

## ٦ - قيمة الإنسان:

القيم النبيلة هي محل اختلاف بين الناس، فهي مثل السعادة والجمال وشبههما، فكل ينظر إليها بمنظاره الخاص، ويزنها بميزانه الذي يثق به، وقد يكون هذا الميزان وذاك المنظار مغايرين تماما لموازين الناس ومناظيرهم. فقيمة الإنسان عند بعض الأفراد، تقاس بما يملكه الفرد، أو ما تملكه الجماعة، وهي عند الآخرين تقاس بالوجاهة، أو بالحسب، أو بالجمال وهكذا.

وقد حصر الدكتور أبو العينين علي خليل مصطفى القيم في سبعة أشياء هي(١٤): «القيم الروحية، الخلقية، العقلية، الاجتماعية، الوجدانية، المادية، الجمالية». إنما الرسول (صلى الله عليه وسلم) جعل القيمة الحقيقية للإنسان الاسلام، ولا

تصح المعادلة، ولا الموازنة بين الإسلام والكفر أبدا، ولا بين المسلم والكافر، حتى ولو كان الكافر يتمتع بكل القيم المتعارف عليها، وفي الحديث الذي رواه سهل قال(١٥): «مر رجل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع. قال ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريٌّ، إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال لا يستمع. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».

ومع هذا التحديد للقيم فلا ينبغي أن يفهم أن هذه الخيرية مرجعها فقر الفقير، والشرِّية مصدرها غنى الغني، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني(١٦): «لا يلزم من ذلك تفضيل كل فقير على كل غني».

## ٧ ـ الصيام:

الصوم في لسان العرب: ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام، لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حدّد مفهوم الصوم الحقيقي بترك الباطل، والفحش في المنطق ولذا قال(١٧): «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابَّك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم، إني صائم. أراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يرتقي بأمته إلى مصاف الصائمين حقيقة، الذين يصومون عن الأكل والشراب وجميع المفطرات، ويصومون أيضا عن قول الباطل، والفحش في النطق والفعل، والابتعاد عن كل ماله علاقة بالنكاح، وأن يتحملوا سباب الناس وطيشهم، من أجل الحفاظ على صيامهم.

إذاً تحديد مفهوم الصوم عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) تجاوز المفهوم اللغوي، والمفهوم الفقهي الضيق، إلى المفهوم الحقيقي الواسع عند كبار المربين والمراقبين.

## ٨ ـ كُفر المنعمين:

هما نوعان من الكفر: كفر الإلحاد، وكفر النعمة، فالأول يُخلِّد صاحبه في النار إذا مات على ذلك، والثاني هو من جملة المعاصي التي تُمحى بالتوبة إن شاء الله. وكُفْرُ المنعمين نُكران وجحود لما يبذله الأزواج تجاه زوجاتهم من الإنفاق، والعشرة الطيبة التي كانت سببا في إنجاب الأولاد، والحديث النبوي حذّر النساء من هذا الكفر. روت الصحابية أسماء بنت يزيد إحدى نساء بني عبد الأشهل قالت(١٨): «مَرّ بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونحن نسوة فسلم علينا وقال: إيّاكنّ وكفر المنعمين، فقلنا يارسول الله وما كفر المنعمين؟ قال: لعل إحداكن أن تطول أيمتها بين أبويها وتعنُس فيرزقها الله عز وجل زوجا، ويرزقها منه ولدا فتغضب الغضبة، فراحت تقول: ما رأيت منه خيرا قط».

الحديث حذّر الزوجات من نكران جميل الأزواج، مما بذلوه تجاه زوجاتهم من صداق وإنفاق: المسكن ولوازمه، الثياب وأدوات الزينة، الإطعام والعلاج والدفاع والأنس. وهذه تربية جاءت موجهة للزوجات، ولكنها تعم الرجال والنساء: الشيوخ والكهول والشباب، الأساتذة المربون والطلاب، الرعايا والمسؤولون، فكلٌّ محسن، وكل منعم، وكل مرب ومعلم ومرشد، وكل طبيب أو مُزارع أو ذي حرفة، كل هؤلاء مُنعمون على بعضهم البعض، وكلهم مفيد ومستفيد.

الناس من بدو ومن حضر
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل من كفر بنعمة مُنعم فهو عاق، يحتاج إلى إعادة التربية من جديد، ويصدق عليه قول من قال:

وكم علمـــــتُه نظم القـــــوافي
فلمـــا قـــال قـــافـيـــة هجـــاني
وكم علمـــتـــه بري الســـهـــام
فلمـــا اشـــتـــد ســـاعـــده رمـــاني

والشخص البار هو الذي يقول:

أقـــدِّم أســـتـــاذي على برِّ والدي
وإن كـــان لي من والدي البـــر والعطف
فـــذاك مـــربي الروح والروح جـــوهـر
وهذا مـــربي الجسم وهو لهـــا صـــدف

وخلاصة القول، إن تحديد المفاهيم في الأحاديث النبوية كثيرة ومهمة، لأنها ثرية بالجديد، وملفتة للانتباه، تجعل السامع ينتقل من ضيق الفهم إلى سعته، ومن شح المعاني إلى سخائها، وبالتالي فالتربية تتنوع، والتكوين يستمر، والأهداف تتحقق، وهذا هو المقصود من تكوين الأفراد والجماعات، فالذي كان يعتقد - على غلط - أن قيمة المرء في مصارعة الناس وغلبتهم، والبطش بهم على حق أو باطل، أصبح بعد تحديد المفهوم الصحيح للصرعة، يتحلى بضبط النفس، ويملكها عند الغضب، وبهذا يختفي الظلم والتعدي، وتسود الأخوة بين أفراد المجتمع. والصائم الذي كان يجهد نفسه، ويمنعها من الأكل والشرب طيلة النهار، ويسمح لها بالغيبة واللغو والرفث والطيش ، ويحسب أنه صائم، قد أدرك بأنه بعيد عن صوم الكمّل من الناس، بعد ما علم بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: «ليس الصيام عن الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث» وهكذا قضية كراهية الموت، وسوء فهم الكبر والخلط بينه وبين التزين والتجمل، وسوء فهم الظلم ودمجه مع الشرك، وكذا شأن المسكين الذي لا يتفطن له الناس، وقيمة الانسان الحقيقية في الإسلام، وكذا قضية كفر المنعمين. مع العلم بأن ما سجل في هذه العجالة هو غيض من فيض، لأن تحديد المفاهيم عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحتاج إلى رسالة جامعية مستقلة.

---

*الهوامش:*

*(١) عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، عام ١٣٩٢، صفحة ٢٦٥.*

*(٢) الإمام البنا، بلوغ الأماني، الجزء ١٩ صفحة ٧٩. وقد أخرجه الامام البخاري أيضا في الصحيح، كتاب الأدب، الباب ١٠٢.*

*(٣) الامام البخاري، الصحيح: كتاب الأدب، الباب ١٠٢.*

*(٤) الإمام احمد القسطلاني، إرشاد الساري، مطبعة بولاق الطبعة السادسة ١٣٠٤هـ الجزء التاسع، صفحة ٧١.*

*(٥) الإمام النووي، رياض الصالحين، كتاب المنثورات والملح، الحديث رقم ٤١ وقال رواه مسلم.*

*(٦) وزارة الأوقاف لجمهورية مصر، الأحاديث القدسية، القاهرة ١٤٠٢هـ الجزء الأول صفحة ٨١.*

*(٧) الإمام البنا، بلوغ الأماني، الجزء ٢٤، صفحة ١٥٠.*

*(٨) الإمام النووي، رياض الصالحين، باب تحريم احتقار المسلم، وقال رواه مسلم.*

*(٩) أبو الحسن علي الشهير بالقلصادي، لب الأزهار اليمنية على الأنوار السنية، مطبعة السعادة، مصر، بدون تاريخ، صفحة ٣٤٠.*

*(١٠) عبد العظيم الحافظ المنذري، الترغيب والترهيب، الجزء الرابع، صفحة ٣٤٠.*

*(١١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سكن.*

*(١٢) الحافظ السيوطي، الجامع الصغير، حرف اللام، رقم الحديث ٧٥٨٥، وقال رواه الأئمة: البخاري ومسلم وابن حنبل وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنهم.*

*(١٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٣.*

*(١٤) أبو العينين علي خليل، القيم الإسلامية، مكتبة إبراهيم حلمي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ صفحة ٢٠٩.*

*(١٥) الإمام البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، الباب ١٥.*

*(١٦) الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، الجزء التاسع صفحة ١٣٦.*

*(١٧) الحافظ السيوطي، الجامع الصغير، حرف اللام، رقم الحديث ٧٥٧٨.*

*(١٨) الإمام البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند ابن حنبل الجزء ١٦ صفحة ٢٢٩.*

# هل عُرِف اسم محمد في الجاهلية؟

بقلم: **إياد فرعون** - سوريا

عندما ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ارسلت أمه آمنة بنت وهب إلى جده عبد المطلب تبشره، فاقبل مسروراً وحمله وقبله وسمَّاه محمداً، فقيل له: يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته محمداً ولم تسمه باسم آبائه؟ فقال: اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض(١).

هكذا تذكر لنا كتب السيرة سبب تسميته (صلى الله عليه وسلم) باسم محمد، ونستدل في هذه الرواية على ان اسم محمد لم يكن شائعاً عند العرب ولم يُسمَّ به احد من قبل، لكن هذا لا يعني ان العرب لم يألفوا اسم محمد، فقد عرف العرب هذا الاسم من اليهود والنصارى وكانت نبوءاتهم بداية معرفة العرب باسم محمد.

## محمد (صلى الله عليه وسلم) في التوراة والانجيل:

كان اليهود والنصارى يشيعون بين العرب ان نبياً عظيم الشأن يبعث في بلاد العرب، وكانوا يشيرون إلى هذا النبي باسم «محمد» فعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سأل كعباً: كيف تجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في التوراة؟ فقال: نجده: محمد رسول الله، مولده بمكة ومهاجره إلى طابة ويكون ملكه بالشام، ليس بفحَّاش ولا صخَّاب في الاسواق ولا يكافيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو»(٢).

وقال ابو سعيد الخدري: سمعت ابا مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الاشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة في الحرب فسمعت يوشع اليهودي يقول: «اظل خروج نبي يقال له «احمد» يخرج في الحرم» فرجعت الى قومي بني خدرة وانا يومئذ اتعجب مما يقول يوشع فاسمع رجلا منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟!! كل يهود يثرب تقول هذا(٣).

واخذت بشارة بعثة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) تشيع بين العرب حتى آمن بعضهم بها واخذوا يترقبون ظهوره كحال كعب بن لؤي بن غالب الذي آمن بأن رسولا يبعث اسمه «محمد» واخذ يبشر بين العرب بظهوره وكان كعب هذا يجمع قومه يوم الجمعة فيخطب فيهم ويعلمهم ببعثة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقول فيه(٤):

نهار وليل كل اوب بحادث
سواء علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالاحداث حين تأوبا
وبالنعم الضافي ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد
فيخبر اخباراً صدُوق خبيرها

## أول من تسمى محمداً في الجاهلية:

بعد ان شاعت نبوءات الرهبان بين العرب اصبح بعض العرب يسمى ابنه محمداً طمعاً بالنبوة ورجاء ان يكون الولد المسمى به هو النبي الموعود ببعثته، ففى خليفة بن عبده المنقري قال: سألت محمد بن عدي: كيف سمّاك ابوك محمداً؟ قال: اما اني سألت ابي عما سألتني عنه فقال: خرجت رابع اربعة في بني تميم انا احدهم وسفيان بن مُجاشع بن دارم، ويزيد بن عمرو بن ربيعة واسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة الغساني، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقربه دير فيه ديراني، فأشرف علينا وقال: إن هذه اللغة ما هي لأهل هذا البلد، قلنا: نعم، نحن قوم من مضر، قال: من اي المضريين؟ قلنا: من خندق قال: اما انه سيبعث فيكم وشيكاً نبي فإنه خاتم النبيين واسمه «محمد» فلما انصرفنا من عند ابن جفنة وصرنا إلى اهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً»(٥).

وكذلك يخبرنا ابن سيد الناس ان اول من تسمى محمداً: محمد بن سفيان ومحمد بن احيحة، ومحمد بن حمران، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على أحد الملوك وكان عنده علم بالكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) وباسمه، وكان كلُ واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ولد ذكر ان يسميه محمداً، ففعلوا ذلك»(٦).

وقد ذكر القاضي عياض في كتابه «الشفا» هؤلاء الذين تسموا بمحمد وهم: محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي، ومحمد بن مسلمة الانصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجُعفي، ومحمد بن خزاعى السلمي»(٧).

ثم يقول ان هؤلاء الستة لا سابع لهم في بلاد العرب بهذا الاسم ، لكنه يناقض قوله في نفس المكان فيقول بعد ذلك ان محمد بن اليحمد (وهو ليس من الستة السابقين) هو اول من تسمى بمحمد على قول اهل اليمن(٨) والحقيقة ان هناك غير هؤلاء الستة تسموا به، فقصة محمد بن عدي الآنفة الذكر دليل على وجود غيرهم، ويقول الخفاجي «ومنهم من زاد عددهم حتى بلغ العشرين، وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي ومحمد بن عثمان السعدي، ومحمد الاسيدي ومحمد الفقيمي، ومحمد بن عتوارة الليثي، ومحمد بن حرمان العمري، ومحمد بن خولة الهمداني، ومحمد بن يزيد بن ربيعة، ومحمد بن اسامة بن مالك(٩).

## معنى اسم محمد:

محمد (مُفعَّل) مبالغة فى كثرة الحمد، فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حَمِد وافضل من حُمِد وأكثر الناس حمْداً(١٠).

---

*الهوامش:*

(١) *السيوطي: الرياض الانيقة في شرح اسماء خير الخليقة:* ص٤٧.

(٢) *ابن الجوزي: الوفا باحوال المصطفى:* ج١ ـ ص٣٨.

(٣) *المرجع السابق:* ص٤٢.

(٤) *المرجع السابق:* ص ٧٤

(٥) *المرجع السابق:* ص٤٦

(٦) *ابن سيد الناس، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير:* ج ١ ـ ص٤٥.

(٧) *القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى:* ج١ ـ ص٣١٤.

(٨) *المرجع السابق:* ص٣١٢.

(٩) *الخفاجي: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض:* ج٢ ـ ص٢٨٦.

(١٠) *القاضي عياض: المرجع السابق:* ج١ ـ ص٣١٢.

# أحلام نور ونور


**شعر - عمر بهاء الدين الأميري**

رحمه الله


***في الطائرة إلى «المدينة المنورة» . . سرحت بعيدا في أعماق الآفاق . . أغمضت . . وأمعنت . . حتى تحرّرت . . وانطلق بي الخيال الجوال، من الأرض وأغلاقها . . إلى السماء وإشراقها . . أخذتني سبحة وجد، ونفحة سعد . . وتطاولت نفسي في تطلع لهفان . . تستعجل ساعة الوصول ونفحة المثول في مقام النور.***

أغـمـضـتُ، وقـلـبـي يُبْصِرُ لـي
في الغـيـب مـعـارج من نـور
غـرّاً لـمْ أوتَ جـدارتـهـا
فـجُرٌ ، وأنـا فـي ديـجُور
أملي . . لو أسـعـفـه عـمـلي
لسـمـوْتُ ؛ ولكن مـقـدوري
كـلا . . . غـفـرانـك يا ربي
بل ذلك من مـحض قـصـوري
تـفـريـطي سـوّل تـبـريري
نـقـصـانُ نُهى . . نفث غـرور
فـأنا الغـفـلان عن التـقـوى
وأنـا المنسـاق إلى البـور

* * *

أغـمـضت ، فـأطلقني غـمـضي
من أسـر العـيـش المكـرور
ومن الأبـعـاد بـسطح الأرض
إلى الإصـعـاد المنشـور
وسـمـوت ، وطائرتي تجـري
في الجـوِّ كـقـصـر مـسـحـور
تـسـتـدني لي هـدفي وأنـا
أسـتـعـجلهـا ، غـيـر صـبـور!

* * *

أغـمـضت ، فـأوصلني غـمـضي
كـالومض ، وبادرت عـبـوري
ودخلـتُ . بـأحـلام يـقـظى .
جنات الخـيـر المذخـور
ووجـيـبُ القلب بخـفـقـتـه
يشـدو بـدعـاء مـأثور

والعين ترف على صور
ما بين ظهور وضمور
أنا و«المحراب» على شغف
وحبور، بل فوق حبور
في سجدة روح والهة
في التوبة لاذت بغفور
و«الروضة» ترقى بجناني
من جنة عدن في طور
لم أبق أنا .. أصبحتُ سناً
ينساب مع العين الحور
صب ، والوجد له وهج
في العين، كدُرٍّ منثور
وخلايا كُنْهي في طرب
من فرط الحب المبرور
فالحُبُّ هنائي وصفائي
والحب نقائي وطهوري
والحبُّ بقائي وفنائي
العلويّ ، وبعثي ونشوري
وغفوتُ ، وقلبي في دأب
اليقظان ، يقدِّس لشكور

* * *

ورعشتُ .. فتحتُ العين فقدْ
نادى الربُّانُ من الصُّور
وأخذنا نهبط... وارتجت
بالأرض ، كنسر مذعور
وصحوتُ .. ولكن كالمشدود
من النعماء ، المجرور
ونهضت أغادر طائرتي
بخطى المأسور المأمور
لكنّ تطلُّع عاطفتي
والوجد يؤججها .. يوري
ويُغذُّ تلهُّفها - أجرى
سعيي بخشوع وسدور
حتّى يممتُ مقام النُّور
لأسجُد في فلك النور
سجدات تقدح تحليقي
في جوٍّ نجومي وبدوري
أدنو ما امتدتْ مُؤتلقا
وأغيبُ بأحلام .. «حضُورِ»




# صورة الم

مادة (وزن) فى معاجم اللغة تدور حول معان كثيرة، منها معرفة الشيء وقيمته أو المقابلة بين الشيئين للمفاضلة والترجيح أو المساواة والمعادلة، ومن معانيها الاعتدال فى وضع صحيح أو في السلوك، ومن ذلك أيضا قولهم: الشيء أوزن من الشيء بمعنى أقوى وأمكن.

والميزان: هو الآلة التي توزن بها الأشياء. والوزن: سنجة الميزان ويستخدم الميزان في الحسيات والمعنويات فهو فى الفلسفة قاعدة فكرية تعين على تمييز الحق من الباطل، ويسمى المنطق علم الميزان، وعند العروضيين تطلق الأوزان على تقطيع الشعر إلى تفاعيل فى كل بحر من البحور لضبط الحركات والسكنات(١).

وجاء فى القرآن الكريم كلمة الميزان، والموازين، والوزن ونحوها ما يفيد العدل والمساواة، وعدم مجاوزة الحد، ويعنى ذلك دقة التقويم والتبيين القائم على نظام حساس يعرف به الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، لأن الميزان قوام العدل في الدنيا والآخرة. قال تعالي: **(والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)**(٢).

وحول هذا المعنى يقول ابن كثير: إن الله وضع الميزان، يعنى العدل كما قال: **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)** وهكذا قال ههنا (ألا تطغوا في الميزان) أى خلق السموات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء بالحق والعدل، ولهذا قال تعالى : **(وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)** أي لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط.

والميزان فى الآخرة يوضع للفصل بين الخلائق بالقسط والعدل **(فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية)**(٣).

ويعنى ذلك وزن الحسنات والسيئات لقوله تعالى: **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)**(٤) أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. قال ابن كثير: الأكثر علي أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الموزون فيه(٥). وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما - توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له لسان وكفتان، وأن الله يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة. وروي عن سلمان الفارسى(٦) - رضى الله عنه - أنه قال: توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهن السموات والأرض لوسعتهن، فتقول الملائكة: ياربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقى، فتقول الملائكة عند ذلك: ربنا ما عبدناك حق عبادتك. وجاء فى الأخبار أن للميزان ملكا يزن به الخلق، وقيل إن صاحب الميزان هو جبريل.

# ـميزان يوم القيامة (١)

بقلم: أ.د. عبد الباسط حمودة
- مصر -

وفي ضوء القصص النبوي قال العلماء: الموزون على ثلاثة ةأوجه(٧):

**الأول:** أنه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ويؤخذ ذلك من قصة مروية عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). وما روي عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة) قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة، ومعاوية هو ابن سلام. وجاء في قصة نبوية عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فسمعته يقول: (تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة) قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: (تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت مقلتك وإن كل تاجر من وراء تجارتك، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: يأخذ ولدكما القرآن ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلا).

**والقول الثاني:** إن صحائف الأعمال هي التي توزن.

ففي قصة مروية عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن الله - عز وجل - يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب، قال: أفلك عذر أو حسنة؟ قال فبهت الرجل، فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقول أحضروه، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم).

**والقول الثالث:** أن الموزون هو العامل نفسه.

وجاء في ذلك من القصص ما روى عن علي - رضي الله عنه - أن ابن مسعود - رضي الله عنه - صعد شجرة يجتني الكباث، فجعل الناس يعجبون

من دقة ساقيه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (والذى نفسى بيده هما فى الميزان أثقل من أحد)٠

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) وقال: اقرأوا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)٠ ولابن أبى حاتم ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها) قال وقرأ: **(فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)**٠

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له، فلما قام على النبى قال: (يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا)٠

وجاء فى قصة صاحب البطاقة بما يفيد وزن الرجل، فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة، ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال فيبعث به إلى النار، قال فإذا أدبر إذا صائح من الرحمن ـ عز وجل ـ يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقى له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل الميزان)٠

وتروي عائشة ـ رضى الله عنها ـ قصة رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جلس بين يديه فقال: يارسول الله إن لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأضربهم واشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك) فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويهتف، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (وماله لا يقرأ كتاب الله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) فقال الرجل: يارسول الله ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء ـ يعنى عبيده ـ إنى أشهدك أنهم أحرار كلهم)٠

والميزان معلم من معالم يوم القيامة، وميقات يجتمع فيه الخلق، ويشهده الملائكة والرسل ينظرون أممهم كما جاء فى القصص النبوى عن أبى هريرة(٨) ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن الله ـ تعالى ـ يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاث معاذير يقول الله ـ تعالى: «يا آدم لولا أنى لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأوعدت عليه لرحمت اليوم ذريتك أجمعين، من شدة ما أعددت لهم من العذاب، ولكن حق القول منى لمن كذّب رسلي وعصى أمرى لأملأن جهنم منهم أجمعين، ويقول الله ـ تبارك وتعالى ـ يا آدم إنى لا أدخل أحدا من ذريتك النار، ولا أعذب أحدا منهم بالنار إلا ما قد علمت فى سابق علمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر ما كان فيه ولم يراجع ولم يعتب، ويقول له: يا آدم قد جعلتك اليوم حكما بينى وبين ذريتك، قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أنى لا أدخل النار منهم إلا ظالما)٠

وجاء فى القصص النبوى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) يحضر عند الميزان، فعن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال(٩): سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يشفع لى يوم القيامة، فقال: أنا فاعل ـ يعنى إن شاء الله ـ قلت: يارسول فأين أطلبك؟ قال: اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبنى عند الميزان٠ قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبنى عند الحوض، فإنى لا أخطىء هذه الثلاث المواطن)٠

ويخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الخلق

ينسون أهليهم عند الميزان، ويخافون ويضطربون حتى يعلموا أيخف ميزانهم أم يثقل، تقول عائشة - رضى الله عنها - قلت: يارسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال(١٠): (أما فى ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحدا، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حتى يقال هاؤم اقرءوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه، أفى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم، حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثير، يحبس الله بها من يشاء من خلقه، حتى يعلم أينجو أم لا) ويروى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا أملك لأحد فيها شفاعة .. الخ)(١١).

**الخلق طبقات عند الميزان:**

الميزان حق والإيمان به من السمعيات التي تدخل فى عقيدة المؤمن - ولكن بعض الخلق لا يرفع لهم ميزان ولا حساب عليهم، وبقية العباد يوزن لهم ويحاسبون (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

وفى ضوء النصوص التى جاءت فى القصص النبوى يتبين لنا أن الخلق عند الميزان على طبقات:

١ - **طبقة من أمة محمد** (صلى الله عليه وسلم) لا حساب عليهم ولا يرفع لهم ميزان، ولا يأخذون صحفا، ومن هؤلاء ما جاء فى قوله - عليه السلام - يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سواه.

وقد أورد ابن كثير(١٢) مجموعة كبيرة من الروايات فى الذين يدخلون الجنة بغير حساب نختار منها بعض النماذج، ففى قصة عن حصين قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال حدثنى ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، «عرضت على الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبى يمر معه النفر، والنبى يمر معه العشر، والنبى يمر معه الخمسة، والنبى يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا ولكن انظر الى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، فقال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم ، قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشه بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: سبقك بها عكاشة).

وفى رواية عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي - عز وجل - فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا) قال أبو بكر فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادى.

قال أبو حامد(١٣) والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا، وانما هي براءة مكتوبة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها، فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام.

ويلحق بهؤلاء من جاء في قصص آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (تنصب الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب)

وقال (صلى الله عليه وسلم) فى قصة اخرى: (يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب، ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبا، حتى إن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله - تعالى - لهم). وروى عن الحسين بن على - رضوان الله عليهما - قال: قال لى جدى (صلى الله

عليه وسلم) (يابنى عليك بالقناعة تكن أغنى الناس، وأد الفـرائض تكن أعـبـد الناس، يا بنى إن فى الجنة شجرة يقال لها: شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صبا، وقرأ: **(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)**.

**٢ ـ طبقة المتقين:** هؤلاء الذين ثقلت موازينهم فاستحقوا الفلاح والعيشة الراضية قال القرطبي(١٤): فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته. وستأتى الأحاديث التي تبين كيفية الميزان.

**٣ ـ طبقة المخلطين:** وهؤلاء توضع حسناتهم فى الكفة النيرة، وسيئاتهم فى الكفة المظلمة، على النحو الذى جاء فى القصص النبوى (١٥): (يوضع الميزان يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار) قيل: يارسول الله فمن استوت سيئاته وحسناته قال: (أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون) وفى رواية: (ما من أحد يموت إلا يوزن قوله وعمله، فإن كان قوله أوزن من عمله لم يرفع عمله، وإن كان عمله أوزن من قوله رفع عمله) وفى قصة اخرى: (يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتى الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه ينادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا).

**٤ ـ طبقة أصحاب الأعراف:** وهم الذين تقدم ذكرهم فى الحديث، قوم استوت حسناتهم مع سيئاتهم (أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون).

وقال العلماء سموا بأصحاب الأعراف نسبة الى السور الحاجز بين الجنة والنار(١٦)، لقول مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب، وقال ابن جرير: الأعراف جمع عرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفا. وفى رواية عن ابن عباس: تل بين الجنة والنار، حبس عليه من أهل الذنوب.

وجاء فى القصص النبوى عن أهل الأعراف فى رواية عن رجل من مزينة: سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمن استوت حسناته وسيئاته وعن أصحاب الأعراف فقال: (إنهم قوم خرجوا عصاة، بغير إذن آبائهم، فقتلوا فى سبيل الله) وفى رواية أخرى قال: (هم ناس قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من النار قتلهم فى سبيل الله) وقال أيضا: (هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائى، فارعوا من الجنة حيث شئتم).

وحكى القرطبى ما جاء فى الآثار عن أصحاب الأعراف فقال(١٧): قال كعب الأحبار: إن الرجلين كانا صديقين فى الدنيا، فيمر أحدهما بصاحبه، وهو يُجر إلى النار، فيقول له أخوه: والله ما بقى لى إلا حسنة أنجو بها، خذها أنت يا أخى فتنجو بها مما أرى، وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف، قال: فيأمر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة.

وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة: أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد له حسنة ترجح ميزانه وقد اعتدلت بالسوية، فيقول الله ـ تعالى ـ رحمة منه: اذهب فى الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة، فيصير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدا يكلمه فى ذلك الأمر إلا يقول: لقد خفت أن يخف ميزانى، فأنا أحوج منك إليها، فييأس فيقول له رجل: ما الذي تطلب؟ فيقول: حسنة واحدة، فلقد مررت بقوم لهم منها الألف فبخلوا على، فيقول له الرجل: لقد لقيت الله ـ

تعالى - فما وجدت فى صحيفتى إلا حسنة واحدة، وما أظنها تغنى عنى شيئا، خذها هبة منى إليك، فينطلق فرحا مسرورا فيقول الله له: ما بالك - وهو أعلم - فيقول: رب اتفق من امرىء كيت وكيت، ثم ينادى سبحانه بصاحبه الذى وهبه الحسنة، فيقول له سبحانه: كرمى أوسع من كرمك، خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة.

وكذا تستوى كفتا الميزان لرجل، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان، فيها مكتوب أفٍّ فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار، قال: فيطلب الرجل أن يرده الله تعالى، فيقول: ردوه، فيقول له: أيها العبد العق، لأى شيء تطلب الرد إلى؟ فيقول: إلهى رأيت أنى سائر إلى النار، وإذ لابد لى منها، وكنت عاقا لأبى، وهو سائر إلى النار مثلى، فضعف عليَّ به عذابى وأنقذه منها. قال: فيضحك الله تعالى ويقول: عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة، خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة.

٥ - **طبقة الكفار:** يوضع كفر الكافر فى الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها من الخير، فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه.

وقال القرطبى(١٨): إن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس، وعتق المملوك ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار، فإنها تجمع وتوضع فى ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها بها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفا، ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت.

فإن قيل: لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزي بها جزاء مثلها، وليس له منها جزاء. لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن عبد الله بن جدعان، وقيل له: إنه كان يقرى الضيف، ويصل الرحم، ويعين فى النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: (لا، لأنه لم يقل يوما: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين) وسأله عدى بن حاتم عن أبيه مثل ذلك، فقال: (إن أباك طلب أمرا فأدركه) يعنى الذكر، فدل أن الخيرات من الكافر ليست بخيرات، وأن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء.

**والجواب:** إن الله تعالى قال: **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا)** ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه، بدليل حديث أبى طالب، فإنه قيل له: يارسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ فقال: (نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار) وما قاله عليه السلام فى ابن جدعان، وأبى عدي، إنما هو فى أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها. والله أعلم.

---

*الهوامش:*

*(١) المعجم الوجيز.*
*(٢) سورة الرحمن.*
*(٣) القارعة.*
*(٤) سورة الأنبياء.*
*(٥) القرطبي: التذكرة ص٣٦٤.*
*(٦) منتخب كنز العمال على مسند احمد جـ ٦ ص٧٥.*
*(٧) معارج القبول جـ٢ ص٨٤٥.*
*(٨) منتخب كنز العمال على مسند الإمام أحمد جـ ٦ ص٧٥.*
*(٩) معارج القبول جـ٢ ص٨٤٥*
*(١٠) منتخب كنز العمال ص٧٥.*
*(١١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٧٥ سيأتى هذا النص كاملا.*
*(١٢) كتاب الفتن والملاحم جـ٢ ص١٠١.*
*(١٣) التذكرة ص٣٦١.*
*(١٤) التذكرة ص٣٦٦.*
*(١٥) منتخب كنز العمال ص٧٥.*
*(١٦) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢١٦.*
*(١٧) التذكرة ص٣٧٠*
*(١٨) التذكرة ص ٣٦٣.*

# ميلادك الميمون نور

شعر: د. محمد محمد محسن عضو إتحاد الكتاب - مصر -

أمُحَمَّدٌ يا رحمة الـ
ـرحمن في الأزمان طُرّاً
يا خاتم الرسل الكرام
.. وخير خلق الله براً
نور القلوب وقوتها
وربيعها روضا وعطرا
بالحب جئت غرستهُ..
في القلب إحساسا وفكرا
ونشرتهُ فى العالمين
فأطفئت نيرانُ كسرى
وتلوت آيات السماء
فقوَّضتْ بالحق كفرا
يا هاديا غُلف القلوب
وباعثا فى الشر خيرا
ذكراك تنبت فى النفوس
طهارة والشوك زهرا
تذكي بنا روح الجهاد
تزيدنا «بالعرب» فخرا
حين استعانوا بالإله
.. وحطموا الأصنام جهرا
باعوا الحياة لربهم
لم يبتغوا مالا وعمرا
والعون جاء من السماء
.. كتائب الرحمن تترى
«اللهُ أكبرُ» أرعدتْ
فتشتت الكفار ذعرا
فى يوم بدر سجل التـ
ـاريخ للإسلام نصرا
أهوى على رأس الظلام
.. يسومه بأسا ومُرا
فسرت بشارات الضياء
.. وما بقى الاسلام سرا

*　　　*　　　*

والآن من بعد الدّجى

قد أيقظ «العربان» فجرا

بالله والإيمان أضحى

.. جهلهم والفقر تبرا

بالسنة العلياء مات

.. الحقد إهمالا وبترا

بعد الذبول تضوعت

أرواحنا مسكا وعطرا

بعد المجون تطهرت

فكرا وأعمالا وصدرا

بعد الجمود تفجرت

قواتنا عزما وصبرا

تجتاح «بارليف» المنيع

.. وتسترد النصر ثأرا

كى تستعيد المسجد الـ

أقصى وأرض القدس طهرا

وتعيد للإسلام عصر

.. ضيائه مذ كان بدرا

*　　　*　　　*

يا سيدى بدت الحروف

.. جواهرا والشعر دُرّا

فى مدحك اجتزت النجوم

.. مكانة والشمس قدرا

ليت الفؤاد عصارة

والدمُ هل يرضيك حبرا

ميلادك الميمون نور

.. للدُنا يا خير ذكرى

قد فاز من زار المدينة

.. ليتنى أزداد فخرا

أدعو الإله الحق فيها

للهدى أن يستمرا

أن تنبع الخيرات فى

كل القلوب وتستقرا

فاسأل إله الكون عونا

للسلام وسله ذخرا

بداية الإسـلام، وعـلامتـه، وجـوهره: شـهـادة أن لا إله إلا الله، وأن محـمـدا رسول الله..

وبالتوحيد يتم تحرير الإنسان من استعباد كل الطواغيت والقوى المادية والموهومة والظواهر الطبيعية التى طالما استعبدته على مر تاريخ الوثنيات.. **ولذلك كـانت شـهـادة التـوحـيـد أفـعل شهادات التحرير للإنسان!..** ذلك أن إفراد وإخلاص العبودية لله، لا يحرر الإنسان فقط من استعباد الطواغيت، وإنما يمثل تدينا بدين جعل التحرر والحرية معلما من المعالم الرئيسية التى جاء بها كتاب هذا الدين، وركنا من أركان الرسالة الخاتمةالتي بلغها الرسول، عليه الصلاة والسلام.. فالقرآن الكريم يذكر الحرية والتحرير ضمن معالم هذه الرسالة المحمدية، وذلك عندما يتحدث عن المؤمنين **(الذين يتـبـعـون الرسـول النبي الأمـى الذى يجـدونه مكتـوبا عندهم فى التـوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فـالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)(١)**.

فمن مهام هذا الدين ومعالمه: وضع الإصر عن الإنسان والتحرير له من الأغلال!.

بل لقد بلغت إنسانية الإسلام إلى حيث جعل الحرية فطرة فطر الله الناس عليها - مطلق الناس - وليس فقط الذين حررتهم شهادة التوحيد.. فهي من معالم تكريم الله للإنسان - مطلق الإنسان **(ولقد كرّمنا بنى آدم)(٢)**.. وعندما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلمته الجامعة: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»؟!.. كان «الناس» هنا نصارى غير متديّنين بالإسلام؟!.. لكنهم من خلق الله، الذين استحقوا التكريم بخلق الله.

ولم يقف الاسلام عند تحرير الروح وحدها من عبودية الإصر والأغلال التى شدتها الى الطواغيت - رغم أنها الجوهر ونقطة البداية فى التحرير - وإنما شرع فى تقويض نظم الاسترقاق التى جاء فوجدها سائدة فى النظم الاجتماعية والاقتصادية بكل الحضارات.. فأمام الروافد العديدة والمنابع الكثيرة التى تمد نهر الرقيق صباح مساء بالجديد والمزيد من الأرقاء - من مثل الحروب العدوانية .. والغارات الدائمة.. والفقر المدقع.. والعجز عن سداد الدين.. والحرابة وقطع الطريق..الخ .. الخ - شرع الاسلام فأغلق كل هذه الروافد والمنابع، ولم يبق سوى الأسر فى الحروب المشروعة.. وحتى أسرى هذه الحرب المشروعة خيرهم بين «المنّ» وبين «الفداء»(٣).. ثم استدار - بعد «تجفيف منابع» الاسترقاق - إلى تركة ذلك النظام، فوسّع مصاب نهر الرقيق.. فجعل كفارات العديد من الذنوب تحرير الأرقاء.. ورغّب فى هذا التحرير طلبا للحسنات والعتق من النار.. حتى **لقد جعل هذا التحرير واحدا من مهام الدولة الإسلامية، ومصرفا من مصارف الزكاة، أى جزءا من أحد الأركان الخمسة للإسلام!..** بل وتقدم على درب التحرير خطوات أبعد، عندما اعطى الرقيق من الحقوق - من مثل المساواة بمالكيهم والمشاركة لهم فى الطعام واللباس.. وعدم

# الحرية فى الفلسفة الإسلامية حق واجب لكل إنسان

# العبودية لله وحده قمة الحرية

بقلم المفكر الاسلامي:
أ٠د٠ محمد عمارة

تكليفهم من العمل ما لا يطيقون٠٠ بل وإلغاء كلمة «العبد» «الأمة»، فى لغة الخطاب، واختيار كلمة «الفتى» و«الفتاة» بدلا منها(٤): الأمر الذى جعل الاسترقاق «عبئا اقتصاديا» على ملاك الرقيق، بعد أن كان من أهم مصادر «الاستغلال» والإثراء!٠

بهذا الإصلاح «الجذرى ٠٠ والشامل ٠٠ والمتدرج»، فى ذات الوقت، أنجز الاسلام بالسلم ما لم تنجزه الحروب والثورات فى ميدان التحرير للأرقاء٠٠ فأقام مجتمعا بلغ فيه بلال الحبشى ـ الذى كان رقيقا اشتراه ثم أعتقه أبو بكر الصديق ـ بلغ المكانة التى يقول عنه مثل عمر بن الخطاب: «سيدنا ـ أى أبو بكر ـ أعتق سيدنا» ـ أى بلال؟!٠

وإذا كانت حضارات حديثة ومعاصرة قد جعلت «الحرية» «حقا» من حقوق الإنسان ٠٠ فإن الإسلام، قبل أربعة عشر قرنا، قد جعلها **«فريضة إلهية٠٠ وواجبا شرعيا٠٠ وضرورة من الضرورات»** لا يحل للإنسان ان يتنازل عنها حتى بالطواعية والاختيار ٠٠ بل وجعلها بمثابة «الحياة» حتى لقد علل علماؤنا جعل الاسلام كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة، بأن **«الرق: موت» و«الحرية: حياة»**٠٠ فلما كان القاتل قد أخرج نفسا من عداد الأحياء إلى عداد الأموات فعليه أن يخرج نفسا من عداد الأموات ـ الأرقاء ـ إلى عداد الأحياء ـ الأحرار(٥)؟!٠

نعم ٠٠ قال علماؤنا بذلك ، فى تفسيرهم لقول الله تعالى: **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة)(٦)٠**

وإذا كانت كل الحضارات والعقائد والمجتمعات قد اشتركت فى وضع ضوابط وآفاق للحرية المشروعة لا تتعداها، فإن هذه الضوابط والآفاق التنظيمية قد تمايزت فى هذه الحضارات والمجتمعات بتمايز فلسفاتها الخاصة بمكانة الإنسان فى الكون وطبيعة العلاقة بينه وبين خالق هذا الكون٠٠ فما يعده مجتمع ما وعقيدة بعينها مقوما من مقوماته الاجتماعية وأساسا من أسس عمرانه وركنا من أركان اجتماعه البشرى يجعله سقفا للحرية لا تتعداه٠٠ فليس هناك مجتمع يفتح آفاق الحرية وأبوابها «للخيانة الوطنية»، أو لتقويض «أسس النظام الاجتماعى» أو «للجريمة» أو «للعدوان»، بل ولا «للعيب» فى ذات الحاكم، أو «إهانة» قطعة قماش، إذا كانت علَم الوطن ورمزه٠٠٠ فالجميع متفقون على أن هناك سقفا للحرية وآفاقا يجب أن لا تتعداها، حفاظا على المقومات التى يحفظ قيامها ما هو متاح للجميع من حريات وحرمات٠٠

والإسلام مع هذا المبدأ٠٠ لكنه يتميز فى الفلسفة التى تحدد آفاق الحرية فى المجتمع الذى تسود شريعته فيه٠

والمدخل إلى هذه الفلسفة الاسلامية المتميزة فى آفاق الحرية الانسانية هو نظرة الاسلام إلى

مكانة الانسان فى هذا الكون.. فعلى حين ترى الفلسفات المادية والوضعية فى الانسان «سيد الكون» فتحرر حريته من ضوابط الشريعة الإلهية وأطر الحلال والحرام الدينى، حتى ليستطيع - كما فى الديمقراطيات الغربية - أن يحرم الحلال ويحلل الحرام إذا هو أراد!.. **فإن الاسلام يرى الانسان خليفة لله، سبحانه وتعالى، فى عمارة هذه الأرض.. له حرية.. وإرادة.. وقدرة واستطاعة.. لكنها حرية الخليفة والنائب والوكيل، المحكومة ببنود عقد وعهد الاستخلاف..** فحرية الإنسان، وإن بلغت، فى الاسلام مرتبة الضرورة والفريضة، إلا أنها محكومة بحقوق الله سبحانه وتعالى، التى هى حدود الشريعة ومعالمها وفلسفتها فى التشريع - وهنا، وبهذا الاتساق، تكون العبودية لله حرية وتحريرا، وتكون الحرية الإنسانية ملتزمةبآفاق الشريعة وحدود الله ونطاق العبودية لواجب الوجود.

**فالحرية الإسلامية ليست هى تلك التى تحرم «العيب فى ذات الحاكم» بينما هى تبيح «العيب فى الذات الالهية»! ولا هى تلك التى تحرم إهانة «علَم الدولة» فى ذات الوقت الذى تسمح فيه بإهانة المقدسات الدينية!.. ولا هى الحرية التى تقدس «الوضع البشرى» على حين تتحلل من «الوضع والتشريع الالهي»!.. ولا التى تعلى من شأن «المصلحة» دون ضبطها بالمعايير «الشرعية» لتكون «مصلحة شرعية معتبرة»!.**

إن سيد الكون والوجود هو خالقه، سبحانه وتعالى.. وهو الذى استخلف الإنسان، وفطره على الحرية.. حرية الخليفة، المحكومة بحدود شريعة الاستخلاف.

وإذا كان «الإيمان الدينى» - والذى هو تصديق بالقلب يبلغ مرتبة اليقين - لا يمكن أن يأتى ثمرة للإكراه (لا إكراه فى الدين)(٧).. **(قال: يا قوم، أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون(٨))***!.. لأن الإكراه يثمر «نفاقا»، لا «إيمانا».. فإن الايمان الدينى، بنظر الاسلام، واحد من أهم مقومات الاجتماع البشرى، فالحفاظ عليه، والحيلولة دون «حرية هدمه» و«إباحة تقويضه»، إلى جانب أنه وفاء بحق الله على الانسان، الذى خلقه ليعبده **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون(٩))**.. فإنه، أيضا، حق من حقوق انتظام الاجتماع البشرى وارتقاء العمران الانسانى.. ولعل فى تحلل وانهيار الحضارات والمجتمعات التى جعلت من «المصلحة الدنيوية وحدها»، بل ومن اللذات والشهوات «سقوفا» وحيدة للحرية، على حين أهملت ضوابط الشرائع الالهية، وحدود الحلال والحرام الدينى، ما يزيد الانسان المسلم استمساكا بفلسفة الاسلام فى الحرية.. كفريضة إلهية، وواجب شرعى، وضرورة إنسانية، يمارسها إنسان مستخلَف لله، سبحانه وتعالى، فى إطار بنود عقد وعهد الاستخلاف.

وقياسا على ذلك، تكون الرؤية الإسلامية لكل ما تعارف الناس - فى الحضارات الأخرى - على

## الانسان مستخلف وحريته محاطة بحدود الله سبحانه.

## الحرية في المنظور الغربي تقوم على ساق واحدة

# الايمان الديني من اهم مقومات الاجتماع البشري
# العقل المسلم عليه صياغة حقوق الانسان من خلال الفكر الديني

وضعه فى قائمة «حقوق الانسان»٠

* فالحفاظ على «الحياة»، ليس مجرد «حق»٠٠ وإنما هو فريضة إلهية، وتكليف شرعى واجب، ولذلك يأثم المفرط فى الحياة، حتى ولو تم التفريط بالاختيار٠٠ انتحارا كان هذا التفريط أو قعودا عن الجهاد فى سبيل مقومات الحياة٠

* و«العلم»، ليس مجرد «حق» ٠٠ وإنما هو فريضة على كل مسلم ومسلمة٠٠ يأثم الذى يختار الجهل عليه٠٠ وفى بعض التخصصات، تصل فريضته الى مرتبة الفريضة الكفائية - الاجتماعية - فتأثم الأمة جمعاء إن هى فرطت فيها، حتى ولو كان التفريط طواعية واختيارا٠٠

* والمشاركة فى «العمل العام»، ليست مجرد «حق»٠٠ وإنما هى فريضة تطبيقية لفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، التى فيها جماع تكاليف المشاركة فى العمل العام٠

ولقد أفردت الحضارة الإسلامية المباحث المستقلة والمطولة فى هذه الضرورات٠٠ من مثل الضرورات الخمس٠٠ وهى الحفاظ على الدين٠٠ والنفس٠٠ والعقل٠٠ والنسب والعرض٠٠ والمال٠٠ وذلك قبل قرون عديدة من المواثيق والإعلانات التى صاغها الآخرون حولها، أو حول بعضها، كمجرد «حقوق»٠

لكن الكشف عن هذه الحقيقة يبقى منقوصا، إذا لم ينهض العقل المسلم بصياغة هذه المبادىء والمعالم فى مواثيق مفصلة، تقدم الضمانات التى قننها الاسلام للإنسان المسلم، ولمطلق الإنسان، فى سائر ميادين الحياة المعاصرة، التى بلغت فى التركيب والتشعب والتعقيد ما لم تبلغه الحياة الاجتماعية فى سالف العصور٠٠ إن العقل المسلم، والحركة الإسلامية مواجهة بالعديد من التحديات فى هذا الميدان٠

ما هى «الأشباه والنظائر»٠ وما هى «الفروق» بين فلسفة الإسلام وفلسفات الحضارات الأخرى» فى «حقوق الإنسان»؟٠

**وأخيرا - وهذا هو الأهم - كيف ومتى سنطبق أحكام الإسلام وفرائضه هذه فى الواقع الإسلامى الذى نعيش فيه٠٠ وذلك حتى تزول المفارقة الصارخة بين ما ضمنه الاسلام للإنسان من كرامة وتكريم، وبين الواقع الظالم والبائس الذى يعيش فيه هذا الإنسان؟!٠**

---

*الهوامش:*

*(١) الأعراف/ ١٥٧٠*

*(٢) الإسراء/ ٧٠٠*

*(٣) (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما منّا بَعْدُ وإما فداءا حتى تضع الحربُ أوزارها٠٠) محمد: ٤٠*

*(٤) وردت فى ذلك أحاديث عدة، رواها البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة والإمام احمد٠*

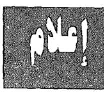
*(٥) انظر تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) جـ١ ص١٨٩٠ طبعة القاهرة ١٣٤٤هـ٠*

*(٦) النساء/ ٩٢٠*

*(٧) البقرة/ ٢٥٦٠*

*(٨) هود/ ٢٨٠*

*(٩) الذاريات/ ٥٦٠*










***لم يغب عن المستخدمين للراديو منذ بداية اختراعه أنه وسيلة مثلى لإيصال رسائلهم الاعلامية خارج الحدود. ولذلك بدأت ظاهرة الاذاعات الموجهة بالظهور مبكراً.***

***وفي حديثنا عن الاعلام الغربي الموجه، تصادفنا إشكالية مهمة فنحن اليوم بازاء تداخل منهجي بين ما نطلق عليه الاذاعات الموجهة، وما نطلق عليه الاذاعات الدولية.***

***ويميز بعض الباحثين بين النوعين من الاذاعات بوصفهم للاذاعات الموجهة بانها إذاعات موجهة بلغات المجتمعات المستهدفة بقصد تحقيق أغراض محددة، وبالمقابل يصفون الاذاعات الدولية بانها تلك التي تستهدف جماهير متنوعة في انحاء مختلفة من العالم بلغة يفهمها قدر كبير من الناس. فإذاعة لندن العربية في - نظر هؤلاء - إذاعة موجهة أما اذاعة الـ (بي بي سي) باللغة الانجليزية والتي تسمي بـ «الخدمة العالمية» فهي إذاعة دولية وهذا ينطبق أيضا على البث التلفزيوني لهيئة الإذاعة البريطانية عبر الاقمار الفضائية.***

## الرغبة في التوسع:

لقد ارتبط الاعلام الغربي الموجّه منذ بداياته بالرغبة في التوسع الايديولوجي أو الديني أو السياسي فالماركسيون - وهم أول من ادركوا الامكانات الهائلة للراديو في التأثير الخارجي - كانوا يرغبون في نشر الفكر الشيوعي خارج الحدود. وكان (لينين) زعيم الثورة البلشفية يستخدم الراديو بمهارة في ايصال صوته الثوري إلى الدول المجاورة لروسيا منذ عام ١٩١٧م. و(لينين) هو صاحب تلك العبارة الشهيرة التي يقول فيها: «ان الراديو ما هو إلا صحيفة بلا ورق ولا مطبعة ولا حدود تستطيع أن تصل إلى جميع الناس بسهولة، وتستطيع أن تنشر الايديولوجية الماركسية في جميع انحاء العالم». وقد بدأت أول خدمة اذاعية سوفيتية موجهة في اكتوبر ١٩٣٣م باللغة الالمانية. وما إن حلّ عام ١٩٣٢م حتى كان راديو موسكو يذيع بعشر لغات مختلفة. وقبل انهيار الاتحاد السوفيتي كان يحتل المرتبة الاولي في العالم في عدد لغات اذاعته الموجهة وعدد ساعاتها فقد كان راديو موسكو يبث باكثر من ٨٠ لغة(١).

أما الراغبون في نشر الدين والتبشير به فقد أدركوا مبكراً أيضاً أن الراديو هو وسيلتهم السهلة ليس في الوصول إلى اتباعهم فحسب، بل وفي اختراق اتباع الديانات الأخرى وكان (ماركوني) مخترع الراديو مخلصاً لدينه عندما أهدى بابا الفاتيكان أول مرسلة إذاعية ليستخدمها في توجيه رسائله الدينية، وفي فبراير ١٩٣١م كان صوت (راديو الفاتيكان) يجلجل بعدة لغات حتى وصلت الآن إلى ٣٢ لغة من بينها اللغة العربية. كما قامت منظمة امريكية تدعى (جماعة الراديو التبشيري) بانشاء اول محطة تنصيرية موجهة الى خارج الولايات المتحدة في ديسمبر ١٩٣١م وذلك في جمهورية الكوادر اسمتها (صوت المسيح)(٢).

ويمثل الصراع السياسي بين الدول الاستعمارية والتنافس من قبلها لتحقيق مصالحها أهم الدوافع التي اسهمت في نشوء الإذاعات

# الاعلام الموجه أحد صيغ التوسع الديني والسياسي والثقافي

# الارسال العالمي، صياغة جديدة للمجتمعات الاسلامية

# الإرسال العربي استسلام كامل للوافد الغربي

بقلم:
د. عبد القادر طاش - جدة

الموجهة. وقد استهدفت هذه الاذاعات في أول أمرها ربط الجاليات الاستعمارية باوطانها كما فعلت هولندا في ارسالها الموجه إلى جزر الهند الشرقية عام ١٩٢٧م. وكما فعلت بريطانيا عام ١٩٣٢م عندما وجهت إذاعتها المنتظمة باللغة الانجليزية لما وراء البحار. وكانت هذه الاذاعة تهدف إلى التأكيد على وحدة وسلامة الامبراطورية البريطانية، وتفنيد اخبار معارضيها.

وفي عام ١٩٣١م افتتحت فرنسا أول خدمة منتظمة الى مستعمراتها ووجهت اذاعات بالفرنسية وبعض اللغات التي كانت سائدة في مستعمراتها آنذاك. ودخلت بلجيكا مجال الاذاعة الموجهة عام ١٩٣٤م حين وجهت اذاعة الى الكونغو. حتى اليابان ارادت تعزيز امبراطوريتها وما ان حل عام ١٩٣٦م حتي وجهت ارسالا اذاعياً الى القارة الامريكية . ثم توسعت اليابان بعد ذلك في توجيه الاذاعات إلى أن اصبحت تغطي الكرة الارضية وبعدة لغات عالمية مما دفع الصين والاتحاد السوفيتي آنذاك إلى التشويش عليها(٣).

ومع اشتداد الصراع السياسي فيما بين الدول الاوربية، وبخاصة بين بريطانيا من جهة والمانيا وايطاليا من جهة اخرى، توسع الاهتمام بالاذاعات الموجهة ذات الاهداف السياسية. وكان الايطاليون يستخدمون إذاعتهم الموجهة المسماة (اذاعة باري) التي بدأت في الثلاثينيات وكانت تبث بـ ١٩ لغة، في الدعاية ضد البريطانيين. وكانت هذه الاذاعة تستحوذ على اهتمام بالغ وبخاصة في البلدان العربية التي كانت تحتلها بريطانيا مثل فلسطين ومصر والعراق. ويُروى أن عملاء ايطاليا قاموا في الثلاثينيات وبخاصة في فلسطين بتوزيع اجهزة راديو مجاناً قيل انها صممت خصيصاً لاستقبال الارسال الايطالي. وحرص هؤلاء على وضع هذه الاجهزة في الاماكن العامة.

وشهد عام ١٩٣٦م تصعيداً حاداً في الدعاية المضادة لبريطانيا التي عارضت بدورها الغزو الايطالي لاثيوبيا. واستغل الطليان على نحو خاص الاضراب العام ضد الاحتلال البريطاني في فلسطين الذي بدأ عام ١٩٣٦م واستمر ٣ سنوات. ووصفت (اذاعة باري) الانجليز بانهم «امبرياليون مُضطهدون واعداء للاسلام». ووصفت (موسليني) بانه «رجل السلام، ويدافع عن الاسلام، ويحرص على مصالح العرب»(٤).

ولم يجد البريطانيون بداً من مواجهة الدعاية المضادة لهم والتي كان يقوم بها الايطاليون في الدول العربية إلا بافتتاح القسم العربي لارسال هيئة الاذاعة البريطانية وذلك في شهر يناير ١٩٢٨م. وتعد خدمة اللغة العربية ثاني خدمة اذاعية لـ (بي بي سي) بعد الخدمة الانجليزية الموجهة التي بدأت منذ عام ١٩٣٢م. وتبث الـ (بي بي سي) الآن بـ ٣٧ لغة لعشرات الملايين من الناس

في جميع انحاء العالم.

أما الامريكيون فلم يلجوا ميدان الاذاعات الموجهة إلا متأخراً نسبياً اذ بدأ (صوت امريكا) في ظروف استثنائية بعد ٧٩ يوماً من الهجوم الياباني على (بيرل هاربور) وذلك في فبراير من عام ١٩٤٢م. واتسعت خدمات صوت امريكا بسرعة كبيرة حتى وصل عدد اللغات التي يبث بها إلى ٤١ لغة، منها اللغة العربية التي بدأ البث بها عام ١٩٥١م(٥).

## بين الماضي والحاضر:

لقد بدأ الاعلام الغربي الموجه - اذن - في احضان النزعات التوسعية سواء أكانت دينية أم سياسية أم ايديولوجية. فهل تختلف اوضاع هذا الاعلام اليوم عما كان عليه في نشأته الاولى، وبخاصة منه ذلك القسم الذي يوجه إلينا باللغة العربية؟

إنّ الاجابة المقنعة ليست سهلة ميسورة. وذلك لسبب واضح وهو أن الاعلام الغربي الموجه اليوم هو من التعدد والتنوع ما يستعصي تناوله على نحو تعميمي. كما أن التقنيات الفنية والاساليب البارعة التي يستخدمها ذلك الاعلام لإضفاء صفة الموضوعية والرغبة في اشباع حاجات المتلقي تسهم في خلط ايجابيات كثيرة مع سلبيات كثيرة أيضاً وتجعل الوصول إلى أحكام قاطعة أمراً بالغ الصعوبة. ولا يعني ذلك أن الباحث المتفحص لا يستطيع أن يميز خطوطاً عريضة وقواسم مشتركة تعينه على الخروج بمؤشرات واضحة على الاتجاهات العامة وربما أيضاً الاهداف التفصيلية لذلك الاعلام.

وبنظرة سريعة يمكننا تصنيف قنوات الاعلام الغربي الموجه باللغة العربية الى ما يلي:

٣أولا: الاعلام الاذاعي المسيّس الذي يتمثل على نحو رئيسي في الاذاعات المشهورة مثل: هنا لندن وصوت امريكا ومونتي كارلو.

ثانيا: الاعلام الاذاعي التنصيري الذي يتمثل في ١٤ محطة اذاعية تبث باللغة العربية ما يقرب من ١٥٠٠ ساعة اسبوعياً منها ٤ محطات من قبرص و٤ من امارة موناكو وواحدة من روما و٣ من جزيرة سيشل بالمحيط الهندي. ومن أهم هذه الاذاعات: راديو الفاتيكان، واذاعة حول العالم، واذاعة صوت الغفران.

ثالثا: الاعلام التلفزيوني الفضائي ويتمثل في تلفزيون هيئة الاذاعة البريطانية الـ (بي بي سي) باللغة العربية الذي يأمل القائمون عليه أن يبث في المستقبل على مدى الاربع والعشرين ساعة يومياً. وفي الطريق قنوات تلفزيونية غربية موجهة للمشاهدين العرب بلغتهم ، ومن أهمها القناة العربية لشبكة (سي ان ان) الامريكية. حيث يقول (بيتر فاسي) نائب رئيس المحطة العالمية ان هناك مفاوضات تجري منذ سنين للبث باللغة العربية ولا يستبعد أن تقوم (سي ان ان) بتقديم خدمة اخبارية بالعربية للشرق الاوسط(٦).

وهناك أيضاً مشروع اوربي لبث قناة اخبارية باللغة العربية من شبكة (يورونيوز) وينتقد (بيار برونيل لانتاك) امين عام الشبكة ومقرها في فرنسا شبكة (سي ان ان) الامريكية التي تريد - كما يقول - تصدير رؤية غير متعددة عن العالم، وهي الرؤية الامريكية. ويرى أن على اوربا وحوض المتوسط «تقديم شيء مختلف اكثر انفتاحاً وجدلا، ومحاولة فهم الارضية الاجتماعية والثقافية وحتى الجغرافية للمواقف التي تتخذها الدول». أما بالنسبة للبث باللغة العربية فيقول إننا «نريد أن نخاطب المشاهد بلغته الام. فالاستقصاءات كلها برهنت على أنه حتى في الشرائح الاجتماعية الاكثر تقدماً وثقافة فان ٧٢٪ من الجمهور يفضل رؤية وسماع برامج تبث بلغته الوطنية. وهذه النسبة ترتفع الى ٨٣٪ عندما تكون المواد اخبارية»(٧).

## مهمتان أساسيتان:

إن الاعلام الاذاعي الغربي الموجه يهدف إلى تحقيق مهمتين أساسيتين وهما:

# الاعلام العربي والاسلامي عليه ان يرتفع الى مستوى التحدي

١ ـ الدفاع عن مصالح الدول التي تنتمي اليها تلك الاذاعات سواء أكانت مصالح سياسية أم اقتصادية أم ثقافية.

٢ ـ تكوين صورة ذهنية ايجابية لدى المستمعين والمشاهدين عن الشعوب التي تنتمي إليها تلك الاذاعات والتعريف بثقافاتها او الترويج لأنماط الحياة فيها(٨).

ويشير النظام الاساسي لاذاعة (صوت امريكا) إلى هذين الهدفين إذ ينص على أن الاذاعة لابد أن تلتزم بثلاث مهمات هي: أن تكون مصدراً موثوقاً به وموضوعياً للانباء، وأن تقوم بشرح السياسة الامريكية والدفاع عنها، وأن تبرز قيم المجتمع الامريكي ونمطه في الحياة(٩).

واذا كانت الاذاعات الموجهة قد استخدمت سلاحاً فعالاً في الصراع السياسي بين الدول وكانت اداة من ادوات الحرب الباردة بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية فانها في ضوء المتغيرات الدولية الراهنة لا تزال ذات أثر فعّال. وقد توسعت دوائر اهتماماتها وغدت تهتم اكثر بالتأثير الثقافي الذي يعد سمة بارزة من سمات الواقع الاعلامي المعاصر. ولذلك فإن نفوذ الاعلام الغربي الموجه لم يعد مقتصراً على الميدان السياسي، بل تجاوزه إلى الميادين الاكثر رحابة واتساعاً وهي الميادين الثقافية والاجتماعية، ولعلّ الدراسة الفاحصة لتوجهات الاعلام الغربي الموجه ومضامينه واساليبه ستكشف لنا عن مدى التغير الذي يمكن أن يكون قد حدث مع التطورات الجديدة التي حفل بها المسرح الدولي خلال السنوات القليلة الماضية، ولا احسب أن مثل هذه الدراسة قد انجزت حسب علمي.

إن الاعلام الغربي الموجه، سواء منه الدعائي السياسي أو الثقافي العام أو الديني التنصيري، يمثل تحدياً بالغ الخطورة على الاعلام العربي. وتزداد هذه الخطورة مع تطورات وسائل الاتصال وتقنياته من جهة، ومع استمرار الاوضاع المتردية للاعلام العربي من جهة أخرى. ولا يمكن مواجهة ذلك التحدي الاعلامي إلا باصلاح اوضاع الاعلام العربي وتغيير استراتيجياته وتطوير مضامينه واساليبه ليقدم لمواطنيه إعلاماً راشداً وقادراً على المنافسة والاستقطاب. وليس ذلك بالمهمة المستحيلة وإن كانت مرتبطة بإصلاح الاوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في مجتمعاتنا العربية. وقد أثبتت بعض التجارب الناجحة في الاعلام أن بالامكان أحسن مما هو كائن إذا وجدت الارادة وسخّرت الامكانات وهُيىء المناخ الملائم.

---

*الهوامش:*

*(١) انظر: ماجي الحلواني: مدخل إلى الاذاعات الموجهة (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٢م)، ص١١.*

*٢ ـ انظر: كرم شلبي: الاذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب (القاهرة: مكتبة التراث الاسلامي، ١٩٩١م)، ص٧١.*

*(٣) انظر: ماجي الحلواني: مرجع سابق، ص١١ و١٢.*

*(٤) احمد سيف: «نجاح ارسال ال (بي بي سي) التلفزيونية بالعربية» جريدة الحياة العدد ١١٤٨٢، بتاريخ ١٩٩٤/٧/٢٦م.*

*(٥) انظر: ماجي الحلواني، مرجع سابق، ص١٠١.*

*(٦) مجلة «الوسط» العدد ١١٩، بتاريخ ١٩٩٤/٥/٩م.*

*(٧) جريدة الحياة، العدد ١١٩ بتاريخ ١٩٩٤/٥/٩م.*

*(٨) عبد العزيز بن صالح السلمة «الاذاعات الموجهة وظاهرة البي بي سي» جريدة الرياض العدد ٩٧٩١ بتاريخ ١٩٩٥/٤/٥م.*

*(٩) انظر: ماجي الحلواني، مرجع سابق، ص١٠٥، ١٠٦.*

## صفحات مطوية في «صحافة العميد» (1)

# التعبير الإعلامي لأدب طه حسين

**اتخذ الدكتور طه حسين من وسائل الإعلام - والصحافة بخاصة - وسيلة للاتصال بالجماهير في تحقيق التقارب، والتواصل، القائم على أن «الفكرة» في دلالتها الإجتماعية، و«الكلمة» في صيغتها العملية، من أقدم الوسائل لتحقيق ما تنشد. والفكرة والكلمة لهما القوة الساحرة التي تستطيع أن تتغلب على رواسب الفوارق والعنصريات بين الأمم في سبيل تحقيق المثل العليا من وحدة الشعور ووحدة الفكر ووحدة القيم، لتعزيز الأخوة الإنسانية بأعمق دلالتها وأكرم معانيها.**

ولقد كان طه حسين احد الطلائع الذين استوت على أيديهم معالم النهضة المصرية الحاضرة، فقوموها على ذلك النهج الواضح من الفكر والثقافة العصرية، وسبروا أعماق الشخصية المصرية وتمثلوها حتى استقامت على نهجها الواضح ومعالمها الأصيلة. فكانت مراحل حياته المختلفة، كما كانت جهوده في «الاتصال بالجماهير» مظهراً لإيمانه بهذه المثل، ومصداقاً لعمله على التعبير عنها في الوصول بمصر الى الغد المشرق، وفي تعزيز صلاتها بالفكر الانساني على تعدد آفاقه، وفي مقاومة العزلة بجميع ألوانها، متمثلا في ذلك كله تراثها التاريخي وطابعها العقلي وقيمها الفكرية ومقوماتها الأصيلة، التي كانت في مجرى الحضارة الانسانية الموصول، عاملا فعالا لا يجحد أثره الدارسون.

فتمثل نتاجه الفكري والأدبي والصحفي هذه الرؤيا، لا يفصل بين الفكرة والفعل، وإنما ترتبط رؤاه الذهنية برؤياه الاجتماعية الفاعلة لإحداث

التغيير الأساسي في المجتمع المصري، وتدعيم قيمه الايجابية٠

ولعل في ذلك ما حدا بكثير من المستشرقين، الى توكيد الارتباط بين الجوانب المختلفة في كتابات طه حسين ونبوغه الفني في كتاباته الثقافية والسياسية والأدبية على السواء، وهو الأمر الذي يؤكده التفسير الاعلامي لأدب طه حسين، وهو المنهج الذي آثرناه في هذه الدراسة من حيث عنايته: بالمؤلف والعمل والجمهور٠ ومن أجل ذلك عنينا بدراسة طه حسين من حيث وضعه الاقتصادي، وطبقته الاجتماعية، وجيله الأدبي، كما عنينا بدراسة الجنس المقالي الشائع في أدبه، ومضمونه، وأسلوبه، في تكامل مع عملية الاتصال في رؤياه الإبداعية٠

إن ذلك الطريق الطويل الشاق الذي قاد الشاب الأزهري الى هضم أعظم الثقافات الكلاسيكية والأوروبية على النحو الذي تحدث عنه طه حسين في أيامه، إنما يلخص سيرة «الاتصال بالجماهير» في أدبه، فسرعان ما تخلى عن الأساليب التقليدية في الصحافة والأدب، وسرعان ما اتجه الى تحويل الفكر الأكاديمي المجرد الى عرض فني منسق يستسيغه الجمهور دون أن يهبط الى مستوى الاسفاف والمبالغة، مواجها بأدبه المعادلة الصعبة أو التحدي العظيم الذي يواجه فن الاعلام من خلال ارتباطه بالجماهير، وتمثله للوظائف الاعلامية الاجتماعية، الى جانب تمثله في لغته القومية الأناقة والوضوح والشفافية التي امتازت بها اللغة الفرنسية التي أتقنها كل الاتقان، والتي يسميها بعض المستشرقين «لغته الثانية» دون مساس بروح اللغة العربية، ودون أن يعرض نفسه لتهمة الخروج عن قواعدها أو بث العجمة والكلمات الأجنبية في مفرداتها ذلك أن الرؤيا الاجتماعية للغة العربية هي التي جعلت لغته الاتصالية تبتعد عن الحذلقة والخشونة، لتنساب في يسر وبساطة، وفي عبارات وظيفية، لا تتعارض مع ما في نثره الفني من ثروة وتنوع، مكتفيا بالأثر الذي يشع عن الفكرة العملية، وما تتضمنه من إرادة في إحداث التغيير والتدعيم في المجتمع لتحقيق التواصل بين التجديد والأصالة، من خلال أدبه وصحافته على السواء٠

بقلم:

**أ٠د٠ عبد العزيز شرف**

ـ مصر ـ

ولعل في ذلك ما يشير الى هدف التفسير الاعلامي لأدب طه حسين، في التعرف عليه من وراء وسائل اتصاله بالجماهير، على النحو الذي يبرز رؤياه الإجتماعية التي تكمن وراء آثاره الفكرية والصحفية والأدبية على السواء، في نطاق الصحفيين والأدباء ودعاة الإصلاح الذين كان يعيش بينهم، وفي نطاق علاقات التأثر والتأثير التي تمثل لنا مقاله الصحفي أشد وضوحاً وتضعه في مكانه من آثار رواد النهضة المصرية الحديثة٠

ولعل في هذه الرؤيا الإجتماعية لآثار طه حسين، ما يفسر اتجاه بعض الدارسين الى اعتباره أكثر اتساقا في التفكير وفنية الأسلوب، وأكثر تأثيرا في النهضة المصرية، كما يذهب «البرت حوراني» إلى أن الأفكار التي نادي بها زعماء النهضة الحديثة قد بدأت تتبلور عند طه حسين، وأنها أثرت على التفكير الإجتماعي والعمل السياسي في العالم العربي بأسره على مدى ثلاثة أجيال٠

## المقومات الشخصية للدكتور طه حسين:

«ويدأب في التعلم أي دأب
ولا يرضى بأيسره منالا
ينال إجازة ويروم أخرى
فلا يرضيه إلا أن ينالا
ويرجع للكنانة المعيا
فيشغل منذ عودته الرجالا»

«خالد الشواف»

نتحدث الآن عن مقومات شخصية الدكتور طه حسين بما فيها المقومات الطبيعية والخلقية والمكتسبة ومنها مزاجه وثقافته، وذلك حتى نتبين الصلة بين الفرد والجماعة ونحاول تعيين ما لكليهما من أثر في ما أذاعه الدكتور طه حسين من خلال وسيلة الإتصال الصحفي بالجماهير من آداب وآراء فكرية ونظم اجتماعية وسياسية مختلفة، وذلك في إطار مفهوم العملية الإتصالية التي تتضمن تحرير الرسالة الإتصالية بطريقة تؤدي الى تحقيق التناغم والتوافق بين الكاتب والقارىء، من خلال ربط هذه الرسالة بجوانب من خبرة الكاتب تشابه الى حد كبير خبرة الوجهة أو المستقبل.

### نشأته في الصعيد:

ولد طه حسين في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ في عزبة «الكيلو» التي تقع على مسافة كيلو متر من «مغاغة» بمحافظة المنيا بالصعيد الأوسط، وكان والده حسين علي موظفا في شركة السكر التي كانت تملك أراضي الدائرة السنية في تلك المنطقة، وأنجب ثلاثة عشر ولداً سابعهم طه حسين.

وكان زواج والده (حسين علي) بأمه (رقية بن موسى محمد) هو الزواج الثاني بعد مرض زوجته الأولى، ذلك أن والده وخاله كانا يجتمعان على أخوة صوفية، هي التي كانت وراء المشورة بهذا الزواج.

والمعروف ان طبيعة الحياة في مثل هذه الأسر الكبيرة العدد، المتداخلة العلاقات الإجتماعية. أن ينشأ اطفال الأسرة على نوع من القدرة على الدفاع عن النفس وعمل ما ترضى عنه الأم مما قد لا يتوفر لأبناء الأسر الصغيرة بسيطة العلاقات. ولعل فى هذه النشأة ما يفسر اتجاه طه حسين من بعد في صحافته ومقالاته إلى النزال، والعنف فيه في كثير من الأحيان، على النحو الذي يبين من مقاله النزالي على الصعيدين الأدبي والسياسي.




أما ظرفه البصري الخاص، فقد نشأ عن إصابته بالرمد وإهماله «أياما، ثم دعى الحلاق فعالجه علاجا ذهب بعينيه» والقول المرجح أن هذا الظرف البصري قد وقع له في سن مبكر، الأمر الذي أدى إلى الحاقه بكتاب الشيخ محمد جاد الرب ، فقيه البلدة ليحفظ القرآن، وفي عام ١٨٩٨ كان قد أتم حفظ القرآن الكريم، وإلى جانبه كان قد وعى من الأغاني والتعديد والمأثورات الشعبية والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية جملة صالحة.

وفي «الأيام» نتلمس الألم الكبير، حين يهمس إلينا في استهلال الجزء الأول بلفظ غني بالإيحاء يجمع في تحفظه بين الحياء والكبرياء، وهو قوله «لا يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه» وإنما يقرب ذلك تقريبا، وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم في فجره أو عشائه يرجع ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس، ويرجح ذلك لأنه على جهله حقيقة النور والظلمة يكاد يذكر أنه حين تلقى هذا الهواء وهذا الضياء لم يأنس من حوله حركة يقظة قوية وإنما آنس حركة مستيقظة من نوم أومقبلة عليه»·

وإلى جانب هذا الظرف البصري الخاص فقد عاش الدكتور طه حسين طفولة قاسية، نتلمس أبعادها من مستوى حياة أسرته، التي كانت تعيش «من سعة» ولكنها كانت فقيرة على كل حال» بحيث كانت زيارة الشيخ «تكلف صاحب البيت الاقتراض لشراء ما لابد منه من الضأن والمعز» وكان لوالده «أبناء كثيرون، وكان يحرص على تعليمهم وتهذيبهم، وكان فقيرا لا يستطيع أن يؤدي نفقات ذلك التعليم، وكان يستدين من حين الى حين ويثقل عليه أداء الدين، وكان يطمع في أن يزاد راتبه من حين الى حين بل لقد كانت زوجته تضطر أحيانا الى بيع حليها·

وترتبط هذه الطفولة القاسية بالإطار العام للمجتمع التقليدي الذي تمثله بيئته الأولى في أواخر القرن الماضي من انحطاط الوعي الصحي وشيوع الخرافات وخضوعها للعرف والمألوف خضوعا بعيداً عن المنطق، كما يتضح من حرص الأسرة على صلتها بشيخ الطريقة وزياراته المتكررة برغم ما تكلف الأب من مال والأم من

الامام محمد عبده

جهد وعناء وكانت «لأهل الريف شيوخهم وشبابهم وصبيانهم ونسائهم عقلية» خاصة فيها سذاجة وتصوف وغفلة، وكان أكبر الأثر في تكوين هذه العقلية لأهل الطريق ثم هناك الى ذلك ما يتسم به المجتمع التقليدي من هبوط في المستوى الثقافي والتربوى وهي ثقافة ينم عنها «خليط من الأسفار» يتنقل بها باعة الكتب في «المدن والقرى وهي كتب في السحر والطلاسم»·

وتتضافر هذه العوامل جميعا على أن تجعل من طفولة طه حسين طفولة مرة أشفق من أن يسمع ابنته أطرافاً منها· ومهما يكن من شيء، فإن الصبي لم تبق له من هذه الآونة ذكرى واضحة بينة فهو «لا يذكر من القرية الا ذلك «السياج» ومع ذلك فقد كان عليه أن يستكشف بيئته الأولى، بكل ما يستطيع من وسيلة غير حاسة الإبصار· ولقد استكشفها في الدار وسط الأسرة في مقامه بين والديه وإخوته الكثار، فاستبان من علاقته معهم وما كان يجده من

**الصحافة عند العميد تحويل للفكر الأكاديمي المجرد الى عرض فني منسق يستسيغه الجمهور**

الإشفاق عليه ومن الإهمال المشوب بشيء من الإزدراء حقيقة علته التي لا ذنب له فيها، فكان ذلك يسلمه حين يذكره الى صمت عميق حزين.

أما استكشافات الصبي خارج الدار، فهو يذكر منها أنه «كان يحب الخروج من الدار إذا غربت الشمس وتعشى الناس، فيعتمد على قصب هذا السياج مفكراً مغرقا في التفكير، حتى يرده الى ما حوله صوت الشاعر قد جلس الى مسافة من شماله. والتف حوله الناس، وأخذ ينشدهم في نغمة عذبة غريبة أخبار أبي زيد وخليفة ودياب، وهم سكوت إلا حين يستخفهم الطرب أو تستفزهم الشهوة، فيستعيدون ويتمارون ويختصمون، ويسكت الشاعر حتى يفرغوا من لغطهم بعد وقت قصير أو طويل، ثم يستأنف إنشاده العذب بنغمته التي لا تكاد تتغير».

وفي هذه البيئة الأولى، كان للشخصيات التي اتصل بها طه حسين تأثيرها بحسب مدى صلته بها وأثر كل شخصية عليه: والده وأمه وسيدنا والعريف وأخيه الأزهري، ومفتش الزراعة ثم علماء المدينة وهذه البيئة تحدد لنا المكونات الثقافية الأولى، التي استمع إليها ورعاها الى جانب الأدب الشعبي والأوراد، والقرآن. فالأثر النفسي لصورة أبويه في نفسه، رغم ما كانا عليه من فقر وسذاجة يبين من حزمهما وطموحهما الأمر الذي دفع بالصبي الى أن يكون «من أول أمره طلعة لا يحفل بما يلقى من الأمر في سبيل أن يستكشف مالا يعلم. وكان ذلك يكلفه كثيراً من العناء واتجهت به حادثة اللقمة الشهيرة الى أن يعرف «لنفسه إرادة قوية» لم تعنه على أن يفهم حقا ما تحدث به الرواة عن أبي العلاء فحسب، وإنما أخذته بألوان من الشدة في حياته، جعلته مضرب المثل في الأسرة بين الذين عرفوه حين تجاوز حياة الأسرة الى الحياة الإجتماعية، الأمر الذي ييسر فهم دوره في الصحافة المصرية والفكر المصري الحديث على هدى من هذه المكونات الأولى، فأصبح يؤدي دوره القيادي في حزم شديد، وطموح الى المثل الأعلى في الحياة المصرية، وتجديد الحياة فيها على نحو ما سيجيء عند دراسة مضمون اتصاله بالجماهير. والشق التربوي في هذه البيئة الأولى، يتمم هذه المكونات الثقافية، التي جعلته يتجه بدوره القيادي اتجاها تعليميا وتربويا جديداً لا ينفصل عن دوره القيادي في الصحافة والفكر، دور المعلم. ومن أبرز المكونات الأولى في هذا الشق التربوي «كتاب القرية» الذي حمل إليه الصبي ليحفظ القرآن وفيه تتمثل لنا صورة التعليم في القرية المصرية أواخر القرن الماضي ونتعرف على شخصية «سيدنا» صاحب الكتاب.

ويذكر طه حسين على لسان أمين بطل قصة «صالح» أن الشيخ علمه أن الصراحة والشجاعة وقول الحق خصال لا تحسن في جميع المواطن» كما يذكر في «الأيام» أنه أفاد من نموذج الشيخ كذلك: الاحتياط في اللفظ، وتعلم أن من الخطل والحمق الإطمئنان الى وعود الرجال، وما

# «كنت أريد أن اكون شيخاً من شيوخ الأزهر مجدداً فى التفكير والحياة

يأخذون أنفسهم به من عهد.

ومن التصوير الكاريكاتيرى لنموذج «سيدنا» وأخلاقه وتصرفاته يبين اتجاه طه حسين من بعد الى مسألة التعليم اتجاها جديداً في إطار من الإتجاه القوي الى «زوال المجتمع التقليدي» كما سيجيء، بما فيه من يدعي علم ما لا يعلمون من أمثال «الأمي الذي يفتي الناس في شئون دينهم ودنياهم» ومشايخ الطرق وغيرهم من نماذج مجتمع القرية في أواخر القرن الماضي، وكان الصبي يختلف الى هؤلاء جميعا حتى اجتمع له من ذلك مقدار من العلم ضخم مختلف مضطرب متناقض ما أحسب إلا أنه عمل عملا غير قليل في تكوين عقله الذي لم يخل من اضطراب واختلاف وتناقض».

ويكون مقدم «المفتش» الى القرية مؤشرا لمعرفة الصبي بوجود لون آخر من العلم والثقافة، فهو مطربش يجيد الفرنسية، تخرج في مدرسة الفنون والصنايع ويحفظ القرآن الكريم على نحو فتن الصبي «وكان خفيف الظل جذابا» ولعل في انطباع طه حسين عن هذا المفتش المطربش ما يفسر اتجاه طه حسين فيما بعده الى بيئة المطربشين في «مدرسة الجريدة» بعد أن يئس من الأزهريين».

## في الأزهر:

ولم يلبث طه حسين بعد اتصاله بهذا المفتش، ووصوله الى الأزهر أن ينهي إلينا رفضه التام للعلم التقليدي في القرية: القائم على النقل والخرافة ومجافاة العقل والذوق «وقد أقسم لي بعد ذلك أنه احتقر العلم منذ ذلك اليوم».

ولم يكن الأزهر حين اتصل به طه حسين يتقبل دعوة التجديد والإصلاح التي ذهب إليها الأستاذ الإمام بسبب مناوأة الأمير، وتصوير العلوم التي أدخلها المفتي الى الأزهر في صورة الجناية على الدين، وفي هذه الفترة من تاريخ الصراع بين الجديد والقديم في الأزهر توجه إليه طه حسين في عام ١٩٠٢، وبعد أن أدى امتحانا في القرآن، انتسب الى الأزهر وحضر دروس المبتدئين، واستمر على ذلك ثلاث سنوات، سمع فيها آخر درسين ألقاهما الأستاذ الإمام في الأزهر في غضون شتاء ١٩٠٥.

ويصف لنا طه حسين نفسه في هذه الفترة الأولى مقبلا على الأزهر إقبال «صبي جد وعمل» تقتحمه «العين في هذا كله، ولكنها تبتسم له حين تراه على ما هو عليه من حال رثة وبصر مكفوف، واضح الجبين مبتسم الثغر مسرعا مع قائده الى الأزهر، لا تختلف خطاه ولا يتردد في مشيته، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التي تغشى عادة وجوه المكفوفين، تقتحمه العين ولكنها تبتسم له وتلحظه في شيء من الرفق، حين تراه في حلقة الدرس مصغيا كله إلى الشيخ يلتهم كلامه التهاما، مبتسماً مع ذلك لا متألما ولا متبرما ولا مظهراً ميلا الى لهو، على حين يلهو

الصبيان من حوله أو يشرئبون الى اللهو» وهو في ذلك مدفوع الى غاية يترسمها ومثل يسعى إليه يتمثل في قول أبيه له «إني لأرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضيا وأراك صاحب عمود في الأزهر».

ويشير طه حسين الى أثر حركة الأستاذ الإمام في الأزهر وخارجه وقت انتسابه إليه في حديث له مع سلامة موسي: «إن المدة التي قضيتها في الأزهر كانت فترة انتقال فكان محمد عبده يفسر القرآن على طرق حديثة والشيخ المرصفي يعلمنا الأدب وكلاهما يذم الطرق الأزهرية. وكان قاسم أمين يقول بحرية المرأة وفتحى زغلول يترجم كتباً قيمة و«الجريدة» تنادي بمعايير جديدة في السياسة والإجتماع فكنا في اضطراب ذهني لا نستقر وشعرنا نحن تلاميذ الشيخ المرصفي أن طرق الأزهر عتيقة فكنا نتكلم ونتناقش عن الإصلاح الذي يقول به الشيخ محمد عبده».

ويذكر عن جيله من الأزهريين أنه كان «يؤمن الى حد التعصب بحرية الرأي، وبغض الجمود، ووجوب الاجتهاد، وتحطيم هذه الأغلال التي كانت تأخذ بأعناق الشيوخ وأيديهم وأرجلهم. وكانوا يختلفون الى دروس الشيخ محمد عبده في التفسير والبلاغة والمنطق، مؤمنين أشد الايمان بأنهم ليسوا كغيرهم من طلاب الأزهر يدرسون ليعلموا ما كان يعلمه الشيخ، إنما كانوا رسل إصلاح وتجديد ونهضة، وكان من ألذ الأشياء وأحبها الى النفس أن تستمع إليهم وهم يتحادثون بين درس ودرس، يذكرون ما قال الشيخ وما عمل، يقلدونه في الصوت ونبراته، كما كان من ألذ الأشياء وأحبها الى النفس أن تراهم يسرعون الى الصحف يقرأون فيها متلهفين ما كان يكتبه خصوم الشيخ، وما كان يوحي به القصر حينئذ من كيد للشيخ، وتأليب عليه، وكان من ألذ الأشياء وأحبها الى النفس أن تسمعهم وهم يبسطون آمالهم العراض اذا انتهوا من الدرس، وظفروا بالشهادة وارتفعوا الى مناصب التدريس والقضاء، إذن فسيدرسون العلم على وجهه، وسينفذون في المحاكم الشرعية آراء الشيخ، وسيمحقون الرشوة محقا وسيحيون فلسفة ابن سينا وابن رشد وبلاغة الجرجاني وسيقضون على هذه الكتب العقيمة التي قضت على عقل الأزهر والأزهريين».

ومن ذلك يبين أن طه حسين منذ بداية التحاقه بالازهر كان مهيئا لاختيار جناح المجددين من تلاميذ الإمام وتمثل طموحهم ومثلهم العليا، فهو قد عايش أخاه الازهري الشيخ احمد حسين وأصدقاءه في «الربع» وهم من شيعة الامام، ثم إن أخاه عندما أخذه الى الازهر أول مرة تعمد أن يختار له أستاذاً من شيعة الإمام كذلك وكان هذا الشيخ المختار يدرس بطريقة متحررة فلم يكن يتقيد بكتاب وانما كان يحاضر متطلبا من تلاميذه أن يتابعوه في الفهم ويدونوا ما يشاءون من ملاحظات.




ولم يلبث طه حسين بعد وفاة الاستاذ الإمام، والتضييق على




جناح المجددين، أن تبرم بالازهر فلم يكن يحضر في سنة ١٩٠٨ غير درس الفقه في الصباح علي الشيخ بخيت، ودروس الأدب على الشيخ سيد المرصفي، الى أن منع الشيخ المرصفي من تدريس الأدب. واستاء منه شيخ الأزهر هو وصاحباه أحمد حسن الزيات والشيخ محمود الزناتي، فأظهر طردهم. ولم يستمر الطرد إلا لمدة قصيرة، إذ توسط لطفي السيد لدى الشيخ حسونة فأعيدوا الى الأزهر. وكان يحضر أحيانا درس البلاغة في شرح السعد على «التلخيص» على الشيخ عبد الحكيم عطا، ويثابر في الوقت نفسه على التردد إلى دار الكتب.

ويبين مما تقدم أن مرجع هذا التمرد يعود الى جمود أساليب التعليم وموضوعه، وسخط طه حسين على المناهضين لحركة الإمام خاصة باعتبارها رمزاً للتجديد في البيئة المصرية العامة، وهو السخط الذي اتخذ مظاهر الجدل المحرج للشيوخ التقليديين. والتنقل الكثير من حلقة الى حلقة وكثرة اصطدامه بالشيوخ وطردهم إياه أو مفارقته لهم طائعا كما يبين هذا السخط من المقال الذي كتبه في الهجوم ضد الأزهر، ومضى به الى لطفي السيد لكي ينشره في الجريدة، كل ذلك ينبىء عن استعداد مبكر الى الإنصراف عن الثقافة التقليدية السلفية التي تقوم على النقل، وأن يولى وجهه وجهة جديدة.

## في الجامعة :

قضى طه حسين أربعة أعوام في الأزهر «يعدها أربعين عاما، لأنها قد طالت عليه من جميع أقطارها كأنها الليل المظلم، قد تراكمت فيه السحب القاتمة الثقال، فلم تدع للنور إليه منفذا» ولم يكن يضيق ً بالفقر، ولا بقصر يده عما كان يريد، فقد كان ذلك شيئاً مألوفا بالقياس إلى طلاب العلم في الأزهر الشريف «وإنما كان يضيق» أشد الضيق بهذا السأم الذي ملأ عليه

حياته كلها وأخذ عليه نفسه من جميع جوانبها، ذلك أنه في الأزهر «يسمع كلاماً معاداً وأحاديث لا تمس قلبه ولا ذوقه ولا تغذو عقله، ولا تضيف الى علمه علماً جديداً، فقد تربت في نفسه تلك الملكة كما كان الأزهريون يقولون، وأصبح قادراً على أن يفهم ما يكرره الشيوخ من غير طائل».

وفي أثناء ذلك أنشئت الجامعة المصرية القديمة في سنة ١٩٠٨، فلم يلبث أن فهم كلمة الجامعة «فهماً مقارباً» وعرف أنها «مدرسة لا كالمدارس ، وأحس أن مزيتها الكبرى عنده أن الدروس التي ستلقى فيها لن تشبه دروس الأزهريين من قريب أو بعيد، وأن الطلاب الذين سيختلفون إليها لن يكونوا من المعممين وحدهم بل سيكون فيها المطربشون، وعسى أن يكونوا أكثر عدداً من أصحاب العمائم، لأن هؤلاء لن يعدلوا بعلمهم الأزهري علماً آخر، ولن يشغلوا أنفسهم بهذه القشور التي كان يضيع فيها أبناء المدارس.

ويختلف طه حسين الى دروس الجامعة منذ البداية فيسمع لأول مرة درسا في الحضارة الإسلامية «لم يكن بمثله عهد في الأزهر، فهذا أحمد زكي بك يبدأ الدرس بهذه الكلمات التي لم يسمعها الفتى من قبل» أيها السادة: أحييكم بتحية الإسلام، فأقول السلام عليكم ورحمة الله» وكان كلامه واضحاً لا يحتاج الى تفسير. كما حضر دروس أحمد كمال (باشا) في الحضارة المصرية القديمة ودروس «أجناتسيو جويدي» في

## الأناقة والشفافية والوضوح من معالم اللغة القومية عند طه حسين

أدبيات الجغرافيا والتاريخ، وكان «جويدي» يدرس بالعربية، ولضعف صوته كان له معيد يردد ما يقول. ولم يلبث جويدي أن عدل عن المجيء إلى مصر وجاء «ليتمان» لتدريس اللغات السامية فدرس السريانية وأصول العبرية والحبشية. ثم جاء «نللينو» سنة ١٩١٠ - ١٩١٣، فدرس لطلابه أولا تاريخ الفلك عند العرب، ثم تاريخ الأدب العربي. كذلك درس طه حسين على «سانتللانا» تاريخ الفلسفة الإسلامية، وكان له في نفسه أثر عميق يذكره بالتقدير، وكان يصحب «سانتللانا» الى بعض دروس الأزهر، وحضر معه درساً في التفسير كان يلقيه الشيخ سليم البشري الذي فسر فيه آية «ولو أننا نزَّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله».

وحضر كذلك في الجامعة دروس «ميلوني» في تاريخ الشرق القديم، وخصوصاً تاريخ بابل وآشور وسومر، كما حضر دروس «ماسينيون» ١٩١٢ - ١٩١٣ عن الاصطلاحات الفلسفية.

وكان طه حسين قد بدأ في تعلم اللغة الفرنسية منذ عام ١٩٠٨، وحين استأنس من نفسه القدرة على متابعة الدروس التي تلقى بها، حضر دروس الأدب الفرنسي التي كان يلقيها «لوى كليمان» وكان أستاذاً في جامعة (Lille) قبل انتدابه للتدريس بالجامعة المصرية.

كما استمع الى دروس الجغرافيا التي كان يلقيها إسماعيل رأفت، الذي لم يدرس لطلابه

# «إني لارجو ان أعيش حتى أرى أخاك قاضياً واراك صاحب عمود في الازهر»

غير أفريقية الغربية وبعض جزر المحيط.

على أن هذه الحياة الجامعية الجديدة لم تصرف طه حسين عن الأزهر تماماً، فقد ظل متصلا به حتى سنة ١٩١٢، ولعله كان يتمثل في ذهنه الجمع بين الدراستين، متأثرا بدور الأستاذ الإمام في البيئة العامة، وحسبنا أن نسوق هذه العبارة الصريحة: «كنت أريد أن أكون شيخا من شيوخ الأزهر مجدداً في التفكير والحياة على نحو ما كان يريد المتأثرون بالشيخ محمد عبده، أستعين في ذلك بما أسمع في الجامعة، وما أقرأ من الكتب المترجمة، وما أجد في الصحف، وما ألتقط من أحاديث المثقفين، فأصبحت وأنا أشد الناس انصرافاً عن الازهر ونفوراً من دروسه وشيوخه، وحرصاً على أن أهجر مصر وأعبر البحر الى بلد من هذه البلاد التي يطلب فيها العلم الواسع والأدب الراقي وتتغير فيها الحياة من جميع الوجوه.

وإذا كانت العوامل النفسية قد أثرت في هذا الإتجاه الى التجديد، فإن تحوله الى الجامعة القديمة التي فتحت أبوابها عام ١٩٠٨ يمثل انتقالا من بيئة محافظة سلفية أحالت، أو كادت تحيل العقول إلى أجهزة تجتر المحفوظ من الأقوال والصيغ والروايات، الى بيئة أخرى تكبر من شأن الفرد وتحترم قدرته على التفكير وتعينه على النقد والتقويم، وتدفعه الى الإبتكار إذا كان من أصحاب الإستعداد له، وتفتح له أبواب البحث لكي يضيف الى العلم جديداً والحق أن طه حسين استطاع أن يقوم التراث العربي، تقويماً يضعه في مكانه من تاريخ حضارة الإنسان.

وفي هذا الإتجاه الجديد، استشعار قوي للذات عند طه حسين، بعد رسوبه في امتحان العالمية كما هو معروف، يبين من الاستزادة من مناهج البحث الجديدة التي تختلف كل الإختلاف عن المناهج الأزهرية وفي تلك الأثناء كان يحضر رسالة الدكتوراه، ولم يكن التقليد قد جرى بعد بأن يحضرها تحت إشراف أستاذ من أساتذته، فحضرها بنفسه وقدمها، فنوقشت بين يدي الجمهور في ١٥ مايو ١٩١٤، (وكانت هذه الرسالة - كما يقول - «أول كتاب نال صاحبه إجازة علمية منها (أي من الجامعة) ونشرت هذه الرسالة في كتاب في العام التالي، وتولى نشرها عبد الحميد حمدي (صاحب السفور) سنة ١٩١٥. وكانت بسبيل أن تحدث ضجة لولا أنها أخمدت في المهد. ذلك أن احد أعضاء الجمعية االتشريعية، وهو عبد الفتاح الجمل عن بور سعيد، قدم سؤالا في الجمعية، وطالب بحرمان طه حسين من حقوق الجامعيين لأنه ألف كتابا فيه إلحاد وكفر، وهو هذه الرسالة، وكانت الأسئلة تقدم أولا إلى رئيس الجمعية التشريعية، سعد زغلول يومئذ، الذي أحضر صاحب السؤال وأقنعه بالعدول عن سؤاله لما يترتب على ذلك من

ضرر سيمتد إلى الأزهر أيضاً ولن يقتصر على الجامعة.

## الوسط الفرنسي:

أما الوسط الفرنسي في بيئة تكوين طه حسين، فيعمق إحساسه بذاته الفردية والقومية، والذي تعرفنا على بواكيره في الجامعة والجريدة، حيث أصبح مهيئاً لتقبل الثقافة الأروبية، وتمثلها من مصادرها وأتيح له ذلك حين قررت الجامعة في عام ١٩١٤ إيفاده في بعثة الى فرنسا، وكان من المقرر أن يسافر في ٢ أغسطس، ولكن هذا الموعد قد تأجل لنشوب الحرب العالمية الأولى، كما أعيد بعض الطلاب الذين كانوا يدرسون في أروبا، ثم أذن له بعد ذلك بالسفر، في نوفمبر ١٩١٤ على ألا يذهب الى باريس لقربها من ميدان الحرب. فسافر الى مونبلييه، وفيها اهتم بدراسة اللغة الفرنسية التي لم يكن يحسن الكلام بها بعد، وحضر بعض الدروس في جامعتها في علم النفس على «فوكو» و«الأدب الفرنسي» و«التاريخ الحديث» وبقى في مونبلييه من نوفمبر ١٩١٤ الى سبتمبر ١٩١٥.

ولم تلبث الجامعة المصرية أن ساءت حالتها المالية فقررت إعادة مبعوثيها في عام ١٩١٥، وعاد طه حسين ليمكث ثلاثة أشهر في مصر، حدث في أثنائها أن اختلف الى درس للشيخ محمد المهدي، فلم يرقه وأعلن رأيه في «السفور» مقارناً بين درس شيخه ودروس أساتذة الآداب الفرنسية التي سمعها في فرنسا. فاستشاط الشيخ المهدي غضباً، وشكاه الى مجلس إدارة الجامعة، وحاول إصدار قرار بمحو اسمه من بين طلاب البعثة، ولكن علوي باشا أصلح ما بينهما بواسطة علي بهجت مدير دار الآثار، فانتهت هذه الخصومة التي أوشكت أن تحرمه من العودة الى فرنسا، وفي ذلك يذكر طه حسين أنه قد تألم بسبب انقطاع دراسته، ألما ظهرت آثاره في مقالاته «بالسفور» إلا أن السلطان حسين كامل كان قد تدخل لحل أزمة الجامعة المالية فانصلح مركزها المالي، وتقرر إعادة إيفاد المبعوثين، وقابلوا قبل سفرهم السلطان الذي سألهم وسأل طه حسين من أول من أنشأ التعليم العالي في مصر، فلم يحر جواباً. ويعود طه حسين إلى فرنسا في أول يناير ١٩١٦، فيذهب الى باريس ويلتحق بكلية الآداب في جامعتها، ويتابع دروس اللغة الفرنسية، ويشرع في دراسة اليونانية واللاتينية. وكان قد بدأ يفهم الدروس التي تلقى بالفرنسية فحضر التاريخ اليوناني على «جلوتز» والتاريخ الروماني على «بلوك» والتاريخ الحديث على «سينوبوس» كما حضر دروساً فى علم الإجتماع على «أميل دوركايم» الذي حضر تحت إشرافه رسالته عن «الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون» وبعد وفاة دور كايم تولى «سلستان بوجليه» الاشراف عليه، ومناقشته بدلا من دور كايم. كما حضر دروس «كازانوفا» في تفسير القرآن الكريم، والتي كان يلقيها في «الكوليج دي فرانس».

وفي سنة ١٩١٧ يحصل

الجامعة عند العميد نمط جديد من التفكير واحترام قدرات الفرد

على درجة الليسانس في الآداب من السوربون، ويحصل في اللاتينية على ١٦ درجة من عشرين. ويحضر دروس «شارل ديل» عن بيزنطه وعن العصور الوسطى كما يحضر دروس «لانسون» في الأدب الفرنسي، ودروس ليفي بريل عن ديكارت. وفي ٩ أغسطس من نفس العام يقترن بزوجته «سوزان بريسو» التي يكون لها أبعد الآثار وأعمقه في حياته من بعد، ويذكر أنها قد مكنته في تلك الفترة من دراسة اللاتينية، وأنها كانت تصحبه الى مكتبة القديسة «جنيفاف» وقرأ عليها الأدب الفرنسي. ويشير الكاتب الفرنسي «روبير لا ندري» إلى هذا الزواج بقوله:

وذات يوم بينما كان طه حسين على مقعدة في قاعة المحاضرات في جامعة السوربون سمع صوتا جميلا يرن في أذنيه، صوت صبية حنون تقول له بعذوبة إني أستطيع أن أساعدك في استظهار الدروس، كانت صاحبة الصوت سوزان بريسو التلميذة الفرنسية المنحدرة من عائلة كاثوليكية في مدينة «بورجون».. وقد ظلت سوزان تتردد زمنا قبل أن تتزوج طه حسين المسلم. ولكن أحد أعمامها استطاع أن يقنعها، وكان ذلك العم قسيسا، فقال لها «مع هذا يمكن أن تشقي بأنه سيظل معك دائما»، على أن أثر هذا الزواج في نفس طه حسين يمثل - كما يقول في تصدير بعض كتبه - «نورا بعد ظلمة وأنسا بعد وحشة، ونعمة بعد بؤس» وهي التي أحاطت حياته اليومية بجو من النظام والتركيز والتوازن والإهتام بالشكل مع المحافظة على الجوهر، مما أعانه كثيرا على أداء دوره في الجامعة والفكر والصحافة. وهي التي أعانته على أن يفرغ من رسالة الدكتوراه عن ابن خلدون والتي نوقشت في يناير ١٩١٨ وكانت لجنة الحُكْم على الرسالة تتألف من «بوجليه» و«جستاف بلوك» و«كازانوفا» ثم انتهى بعدها من دبلوم الدراسات العليا في مايو - يونيو ١٩١٩، وكان موضوع بحثه لنيل هذا الدبيلوم:

**(La Loi de lese-Majeste sous Tibere d'apres Tacite)**

واضطر من اجل إعداد هذا البحث الى قراءة كتاب القانون المدني الروماني في ثمانية أجزاء وكتاب القانون الجنائي الروماني في ثلاثة أجزاء، وكلاهما تأليف «مومسن» العالم الشهير في التاريخ الروماني. وكان عليه أن يأتي بالنصوص في أصلها اللاتيني ليكشف عن مدى علمه باللاتينية. وقد حصل على درجة «ممتاز» في هذا البحث.

ولم ينفصل تمثل طه حسين للثقافة الفرنسية عن تمثله الوسط الفرنسي الذي يمثل لديه « الحياة بعد أن تخرج من هذه الأعماق» فباريس عند طه حسين تكاد تختصر العالم الإنساني باختلاف أزمنته وأماكنه. ويقوم تمثله لهذا الوسط الفرنسي على تعمقه في «الإتصال بحياته الحقيقية الداخلية، والوقوف على أسرار هذه الحياة، وعلى هذه الأمور الخفية التي تبعث الأفراد على أن يعملوا، والجماعات على أن يجاهد بعضها بعضا، ويمكر بعضها ببعض، ويتغلب بعضها على بعض» فهو لا يتمثل العمارة والتصوير والنحت والآثار وما يتصل بها من مصادر التاريخ فحسب ولكنه معني «قبل كل شيء» «بأهل» هذا البلد، وأساليبهم في التصور والحس والشعور والحياة بوجه عام، ويتوسل الى هذه المعرفة بـ «الإمعان في قراءة الصحف الفرنسية والكتب الفرنسية والإمعان في تفهمها وتعرف حقيقتها».

«**للحديث صلة**»

في الأدب

# علامات ومواقف



**محمد منذر لطفي**
رئيس اتحاد الكتاب
العرب ـ سوريا

***١ ـ لمن يكتب الأديب..؟***
***٢ ـ ما العلاقة الجدلية القائمة بين الأدب والحياة..؟***
***٣ ـ كيف ننظر إلى تراثنا الشعري..؟***
***ثلاثة أسئلة جادة وهادفة، جعلت منها المادة الرئيسية لموضوع هذه الحلقة، سأحاول الإجابة عنها تباعاً.. وبالتسلسل ذاته.***

## أولاً: لمن يكتب الأديب..؟

والذي أراه في هذا المجال أن في المسألة قولين:

* القول الأول: وينادي أصحابه بمبدأ حرية الكاتب فيما يكتب أو يقول، حتى ولو كان نتاجه بالكامل وقفاً على قضايا صاحبه الذاتية، ويدور في فلك الأبعاد الشخصية الخاصة به.. التي لا تلتقي في كثير من الأحيان مع قضايا وأبعاد الآخرين، مبتعدة عن «العام» مكتفية «بالخاص» ضمن حدود حدث وهدف معينين.

* القول الثاني: وينادي أصحابه بتقييد حرية الكاتب فيما يكتب أو يقول، ضمن حدود الالتزام بقضايا المجتمع وهموم الإنسان، وبذلك يُمثل الصدى الواعي لأحداث جيله ضمن حدود الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما، وبالتالي يكون الترجمان الأول والمُعبِّر الرئيسي عن آمال الأمة وآلامها في الأحوال كافة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الالتزام المقصود هنا هو الالتزام الطوعي النابع عن الذات دون قسر من آمر.. أو نهي من زاجر.

ومن المسلَّم به أن أصحاب القول الأول هم الذين يؤمنون إيماناً راسخاً بصحة مقولة (الفن للفن) التي عاشت عصرها الذهبي على مسرح الآداب والفنون ذات يوم، وكان لها الكثير من المؤيدين والأنصار عبر قرون حافلة من السنين، ولكن ظهور العديد من المدارس والنظريات الأدبية والفنية الحديثة أدى الى انحسار واضح وكبير في شعبية تلك المقولة أو المدرسة، قابله على الرصيف الآخر انتشار ومدٌّ واسعان للمقولة التي تنادي بالتزام الكاتب بقضايا المجتمع وهموم الانسان ضمن الأيديولوجية السياسية.. والعقيدة الدينية التي يؤمن بها، وبخاصة بعد ظهور المدرسة «الواقعية» على الساحات الأدبية، والتى وضَّحت وبلورت الكثير من معاني الالتزام.. ثم الواقعية الاشتراكية.. فالواقعية السحرية.

ولما كنتُ أحد الذين يؤمنون بالالتزام الطوعي النابع عن الذات، ولما كنت أيضاً أحد الذين يقولون إن الأديب كصدفة المحار لا يفرز عصارته الثمينة «اللؤلؤة» إلا إذا حرَّكه الى درجة كافية عامل داخلي مميز.. حدث جماهيري هام.. فكرة شخصية موحية ذات شحنات إيجابية عالية، لذلك وجدت أن الأخذ بمبدأ الالتزام الطوعي.. وإعطاءه المقام الأول في هذا المجال واجب وأكثر من ضروري، ولا سيما في أوقات الشدائد والمحن

الوطنية القومية.. والإنسانية الكونية، مع عدم إهمال القضايا الشخصية والتجارب الذاتية الفاعلة المنفعلة التي يشاركنا في أبعادها وموضوعاتها ومضامينها الكثير من الآخرين.

من هنا بالذات كانت فكرة تشبيه الأدب بقطعة النقد الذهبية التي تحمل وجهين متكاملين صحيحة إلى أبعد الحدود، حيث ينقش الشاعر أو الكاتب على وجهها الأول قضايا المجتمع والأمة.. والكون والإنسان، وعلى وجهها الثاني القضايا الذاتية.. البوحية الشخصية والانطباعية التي مر بها.

ومن يعلم، فقد ينظم شاعر مجيد قصيدة في إحدى بحيرات وطنه أو غاباته أو جمالاته، يوفق من خلالها الى رصد الكثير من القيم الفنية والجمالية والإنسانية، ثم تترجم هذه القصيدة الى اللغات الأخرى.. فتنتزع إعجاب الناس الغرباء بوطن الشاعر، ويحبون ذلك الوطن من خلالها وخلال الأفكار الجيدة والفنية العالية التي حفلت بها، فيؤدي بذلك خدمة كبيرة لقومه ووطنه.. تماماً كما تؤدي قصيدة جيدة ترصد إحدى قضايا المجتمع أو الوطن أو الإنسان خدمة كبيرة مماثلة أيضاً.

ومن المسلَّم به أن الشاعر أو الكاتب الجيد هو الذي يستطيع أن يزاوج بفنية واضحة المعالم بين الموضوع والمضمون اللذين يلتزمان طوعياً «بالبعد العام».. وبين الفنية والأصالة اللتين يقدمهما طوعياً «البعد الخاص» ذلك البعد الذي لا غنى لكل شاعر مجيد عنه، تماماً كما لا غنى، لكل شاعر ملتزم عن قضايا المجتمع والوطن والإنسان.

## ثانيا: ما هى العلاقة الجدلية القائمة بين الأدب والحياة..؟

وهو السؤال الثانى في موضوع البحث.. فالواقع يشير الى أن هناك من يسأل (هل الأدب هو الحياة.. أم الحياة هي الأدب؟) وهو كما نرى سؤال هام ودقيق.. ويضع أمامنا العديد من الأجوبة التي تحدد.. أو تقترب من تحديد العلاقة الجدلية بين هذين العنصرين اللذين يتمم أحدهما الآخر، وبالتالى فإن تلك الأجوبة تسهم في إيجاد برهان منطقي ومعقول لهذه المعادلة الاجتماعية الصعبة وتفسير واضح وصريح لتلك العلاقة القائمة بينهما.. أي بين الأدب والحياة.

ولكن أحد أبرز الأجوبة وأكثرها صوابا - وهذا رأيي الشخصي - ذلك الذي يقول إن الأدب هو الوجه الآخر للحياة.. والذي يتكون من رؤية الأديب الشخصية لها، وبمعنى آخر فإن الحياة هنا فى هذه المقولة أشبه ما تكون بالمادة الأساس أو «الموديل» النموذج، ويأتي الأديب أو الشاعر ليعكس صورتها على مرآته الشخصية التي يجب أن تكون صقيلة تعكس حتى الأطياف.. وتستوعب الماضي والحاضر.. لتقف على المستقبل.. وتمنح الرؤى والألوان.

ولكنَّ سؤالا جديداً يطرح نفسه تلقائياً من خلال ما تقدم، ويتعلق بالكاتب ذاته ودوره في هذا المجال، وهو: هل يجب أن يكون الأديب رساماً فقط لموضوعاته التي يستقيها من الحياة.. وبالتالي ناقلا حرفياً لما يرى ويلمس ويحس..؟ أم يجب عليه أن يضيف إلى الموضوع شيئاً من

أطياب وأضواء الأدب وبعضاً من أبجديته السحرية من رؤى وفنية وإبداع ليعزز القيم المطروحة، والمواقف المتخذة المتبناه، بحيث تكون الموضوعات الحياتية هي نقطة الانطلاق، ويكون الإبداع والفن والرؤى هي الأساس.. وهي الأدب الحق الذي يُمكِّن الشاعر أو الكاتب من الوقوف على الحاضر المعيش واستشراف المستقبل الآتي كما قال الشاعر الفرنسي «بول إيلوار» ذات يوم، فحدَّد من خلال هذه المقولة الهوية الحقيقية للشاعر حيث جعله «عرَّافة عصره»..؟

**الأدب والحياة عنصران متممان لبعضهما**

والكلمة الحق والفصل في هذا المجال - فيما أرى - هي أن الأدب والحياة عنصران يتمم الواحد منهما الآخر، ولا غنى لأحدهما عن صاحبه، فلا أدب جيد بلا مادة حياتيه.. ولا حياة غنية بلا مادة أدبية، وإن كان عنصر الأدب وتأثيره هو الأهم والأقوى في هذا المجال، لأن الأحداث الحياتية الهامة - الزمانية منها والمكانية - قد أبرزها أو قُل خلَّدها الأدب بشكل واضح ومثير وكامل على مسار التاريخ البشري منذ بداياته وحتى اليوم، والشواهد على ذلك أكثر من أن تعد أو تحصى..! وفي الوقت نفسه يجب ألا نقلل من دور الحياة في الأدب من حيث أنها عنصر هام فاعل ومنفعل، وتُقدِّم للأدب كل ما هو رائع وجديد من مواد خام.. وموضوعات منوعة، يلتقطها الأديب بشعوره، ثم يتمثَّلها في داخله، بعد أن يضفي عليها الشيء الكثير من نفسه وفنه وروحه، فتأتي مؤكده الخلود كما شاءت لها الحياة.. رائعة الفنية كما شاء لها الإبداع، ومن هنا.. من هذه العلاقة بالذات أخذ بعضهم يقول:

إن الحياة هي الأدب، وهذا هو الشطر الثاني من السؤال الذي تقدم ذكره، لأنها المعين الثر الذي لا ينضب. والنبع الدائم الذي يقدم للكاتب مجاناً ما شاء.. ومتى شاء، وما عليه إلا البحث والتنقيب واكتشاف آفاق جديدة، وإلقاء شباكه في محيط الحياة الزاخر ليحظى بكل صيد ثمين.

وخلاصة القول في هذا المجال هي أنه (لا حياة بلا أدب.. ولا أدب بلا حياة)، وتبقى هذه العلاقة الجدلية قائمة بينهما بكل تفاعل وتكامل، كما وتبقى هذه المعادلة «الأدبية الحياتية» صحيحة وصالحة عبر كل مكان وزمان.

## ثالثاً: كيف ننظر إلى تراثنا الشعري..؟

وهو السؤال الثالث والأخير في موضوع البحث.. فأنا أرى أن لكل أمة من الأمم أصولها الثابتة وهويتها المميزة التي يجب ألا تتخلى عنها بحال من الأحوال، وإلا أدى هذا التخلي إلى سقوطها الفكري.. وذوبانها الكامل أو شبه الكامل في بحار «الغير» ومحيطات الآخرين، وبالتالي فقدانها تلك الهوية المميزة.. وهاتيك الأصول الثابتة.

ولما كان الشعر يمثل بالنسبة للأمة العربية أحد تلك الأصول.. بل يمثل أحد أهم البصمات الرئيسية في هوية تلك الأمة، لذلك فإن سير الشاعر العربي بوجه مستعار.. وفكر مستعار، والابتعاد عن الجذور والتراث.. والتخلي عنهما وعدم استلهامهما يؤدي إلى فقدان هويته الأصلية، وذوبانه بالتالي في بحار ومحيطات الآخرين، وهو مالا يرضاه.. أو ترضاه لنفسها وتراثها أية أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، ويحضرني في هذا المقام إجابة مدير الفنون والآداب والموسيقى

في وزارة الثقافة الألمانية الدكتور «كورهارست دانه» عندما سألناه رأيه في التراث فقال: «التراث شيء مقدس بالنسبة لنا، ونحن ننظر إليه بأهمية بالغة، ونؤمن أن دول العالم كافة تشاركنا هذا الرأي، وتنظر إلى تراثها بمثل هذه النظرة، إنه مصدر اعتزاز وفخر لأنه يحمل وينقل إلينا معه «المشاعر الإنسانية في الماضي» لذلك فنحن نقدره ونجله ونعتبره المنطلق الرئيسي لمعالجة العديد من القضايا المعاصرة.. ولكن بوجهات نظر جديدة ورؤى مختلفة عن الماضي، وبمعنى آخر.. أوضح وأدق فإننا لا نسقطه من حسابنا على الإطلاق، ولا نحاول حذفه من قاموس أدبنا، ولا نعتبره عالة على ثقافتنا الحديثة وفكرنا المعاصر، وبالتالي فإننا لا نحكم عليه بالإعدام، لأننا إذا فعلنا ذلك فسنصبح كالشجرة التي لا تلبث أن تذوي سريعاً لأنها فقدت الجذور، إننا نعتز به.. ونعتبره ثروة طائلة ومعيناً لا ينضب، فهناك على سبيل المثال العديد من القطع الملحمية التى كتبت خلال القرنين العاشر والحادي عشر.. وأعدنا كتابتها بشكل معاصر يناسب الشباب في الوقت الحاضر، وما ينطبق على الأدب والشعر ينطبق على المسرح والفنون الأخرى كافة، إننا وباختصار نحافظ على التراث ونفتخر به ولا نتخلى عنه وننظر إليه برؤية معاصرة.. وبأبعاد جديدة.

نعم.. هكذا ينظر الآخرون إلى تراثهم الأدبي والفني.. فكيف ننظر نحن العرب إلى تراثنا الماثل..؟

مما لا شك فيه أن المثقفين عندنا ينقسمون حول هذا الموضوع إلى الفئات الثلاث التالية:

## ١ ـ الفئة الأولى:

وهي الفئة التي لا تنظر إلى أي عطاء إلا من خلال التراث، فتزنه بميزانه، وتسقط ما عداه، وهي فئة مغالية أغلقت أبوابها ونوافذها على روح العصر، واكتفت بالعيش على الأمجاد الغابرة.

## ٢ ـ الفئة الثانية:

وهي الفئة الرافضة التي تقف على الرصيف الآخر وتحاول إسقاط التراث عن عرشه، والحكم عليه بالإعدام، وهي فئة مغالية أيضاً، ولكنَّ غُلوَّها هنا يأخذ أقصى درجات السلبية والتنكر لماضي الأمة وحضارتها.

## ٣ ـ الفئة الثالثة:

وهي الفئة الإيجابية المعتدلة التي تشارك الدكتور «كورهارست دانه» نظرته الموضوعية إلى التراث، وترى أنها النظرة الأمثل.

ومن المسلَّم به أن الفئة الثالثة هي الفئة الأكثر واقعية وموضوعية في هذا المجال، وهي صاحبة الرأي الأفضل، لأنها لا تتنكر لماضي الأمة التراثي في الأدب والشعر.. والفن والموسيقى، ولا تُغرق في التحرر الحديث منه لدرجة الخروج عن الأصول، وبالتالي فأنا أرى أن من واجب كل مثقف عربي ـ إن كان موضوعياً حقاً ـ أن يقف مع هذه الفئة الإيجابية موقف المؤيد، لسبب بسيط واحد.. هو أنها تحفظ له هويته الأصلية المميزة.. وتضعه في المسار القومي الصحيح.. حتى لا يضيع في زحمة الوجوه الثقافية المستعارة، أو التيارات الأدبية الضالة المضلة.. وما أكثرها هذه الأيام.

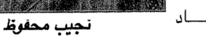
ترجمة الأدب العربي:

# عالمية الأدب واشكالية الترجمة

دعنا نسمي الأشياء بأسماء مختلفة، حتى لا نكون مغالين.

فهل أصبح الأدب العربي عالميا؟ السؤال يتردد الآن في أماكن عديدة، ليس فقط بعد فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، وترجمة بعض أعماله الى لغات عالمية، وتوزيع كتبه بشكل لافت للنظر، ولكن أيضا بعد ترجمة العديد من الروايات العربية إلى لغات عديدة منها ابداع حنان الشيخ، ويوسف ادريس، وادونيس، والغيطانى، وصنع الله ابراهيم، وادوار الخراط وآخرين.

لكن الترجمة وحدها ليست كافية، ففيما قبل ترجمت اعمال طه حسين، وتوفيق الحكيم، ولم يكن هذا بتأشيرة دخول الى العالمية، اذن دعنا نسمي الاشياء باسماء مختلفة، كما أشرنا، فهذه الترجمات تساعد على أن يكون هناك قارىء غير عربي، يمكنه الاطلاع على آدابنا بغير لغتنا، كمحاولة لكسر قيد القارىء الاجنبى الواحد، الذى يتمثل فى المستشرقين.



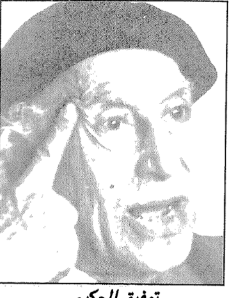
نجيب محفوظ

وعلى كل، فالامر الآن افضل من غيره قديما. والحركة أنشط، ولها عدة ابعاد وتتجدد يوما. ولعل أهم هذه الابعاد تتمثل في ان الادب الفرانكفوني يجد دائما فرسانه الجدد. باعتبار ان هذا الادب مكتوب باقلام عرب عاشوا، وبعضهم لا يزال يعيش فى وطنهم العربى، ويكتبون عن بيئتهم التى جاءوا منها.

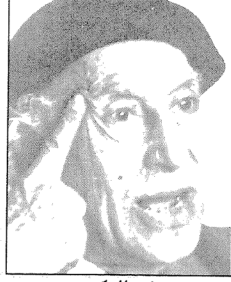
وفيما قبل، كان العالم لا يعرف عنا، الا من خلال ما يكتبه الرحالة والمستشرقون، وايضا الادباء الذين يكتبون عن رحلاتهم مثل اندريه جيد، وجان كوكتو، وقد اساء الكثيرون منهم الى الصورة العربية، أما الآن فان الامور تختلف، وتظهر من خلال عدة زوايا.

١ - ترجمة روايات عربية الى اللغات الاجنبية، وأغلبها اوربية، ويقوم على هذه الترجمات ايضا مستشرقون، ودبلوماسيون عاشوا طويلا فى البلاد العربية، وفى بعض الاحيان يتم اختيار روايات ذات علامات يمكن الوقوف عندها، مثل رواية «اصوات» لسليمان فياض، حول عملية ختان تقوم بها نسوة احدى القرى لزوجة فرنسية جاءت الى البلدة مع زوجها، فماتت أثر الختان. وهذه الرواية رشحت لنيل جائزة فيمينا، ووصلت الى التصفيات النهائية.

٢ - روايات مكتوبة باللغات الأوربية مباشرة، من أبناء المهجر الذين وجدوا أنفسهم في مدن اوروبا، دون أن يحملوا من تراثهم العربي سوى ذاكرة تتمثل فيما يقوله الآباء المهاجرون. وعلاقتهم باللغة العربية ضعيفة، مثل ليلى صبار، ومهدى شرف.



توفيق الحكيم



يوسف ادريس

٣ - ادباء عرب رحلوا الى فرنسا، ونشروا بدور النشر الكبرى فيها، وذلك ابان ازدهار الفرانكفون في الوطن العربي، وقد افرز هذا جيلا كبيرا من المبدعين في المغرب العربي، ولبنان، ومصر. وكان من المتصور ان هذا الجيل يندثر، أو تصيبه الشيخوخة، ومن أبنائه اندريه شديد، وكاتب ياسين، والبير قصيرى. وكثيرون.

ولكن سنوات الثمانينيات اكدت ان هناك اجيالا جديدة، تسير على الدرب، وتميزت، وحصلت على جوائز عديدة مثل الطاهر بن جلون، ورشيد ميموني، وامين معلوف، أما فى التسعينيات، فكانت المفاجأة فى ظهور كاتبة مثل اللبنانية جوزيت عاليا، والمصرى روبير سولين وكل منهما يعمل فى مركز مرموق فى الصحافة الفرنسية، فجوزيت تعمل في مجلة «لونوفيل اوبسرفاتور» أما سولين فهو حاليا رئيس تحرير جريدة لوموند اكبر جريدة تصدر باللغة الفرنسية.

وليست هذه الظاهرة قاصرة فقط على فرنسا. باعتبارها المهجر الانسب للادباء العرب، ولكن في المانيا لمع اسم الكاتب السورى رفيق شاى الذى حصل على جائزة «اولبيرت فون شاميسو» التى تعادل جائزة الفرانكفوني في فرنسا.

وهذه الظاهرة الاخيرة، هى الاكثر انتشارا في الفترة الاخيرة، ورغم عيوبها، ونقائصها، فان كتابها يحظون بمتابعة جيدة، وقد تقبل النقاد رواياتهم بكثير من الاستحسان، وهم عامة يمثلون الدماء الجديدة فى هذا الادب، وسوف نقدم هنا نموذجين برزا في الفترة الأخيرة الاول هو الجزائرية مليكه مقدم، والثانى هو روبير سوليه.

**محمود قاسم** - مصر -

تمثل مليكه نموذج المرأة التى عاشت فى بلادها سنوات طويلة، ثم قررت ان ترحل الى فرنسا فبعد ان انتهت من دراستها الثانوية بوهران سافرت الى مونبيليه ودرست الطب. وقد اتجهت للادب، ونشرت ثلاث روايات منها «قرن الجرادات» و«الرجال يمشون» ثم «الممنوعة».

وتجيء أهمية روايات مليكة فى

# الترجمة لا تعني بحال الدخول إلى العالمية

## الموضوعية الجادة والمثابرة المبدعة من وسائل التنافس للعالمية

انهـــا تعـــرضت لما تشـهـده الجزائر، من تطرف واقـتـتـال يبـدو اثره واضـحـــا على النسـاء، فـفـى روايتـهـا الاخيرة «المنوعة» نرى طبيبة جزائرية تدعى سلطانة، تستلم رسالة من حـبـيـبـهـا القديم يـاسين، ان تعــــود لبضعة ايام الى قريتها « عين النخلة» وهـنـاك تشـابه واضح بين المؤلفـة وبين بطلة روايـتـهـا، فكلتاهما تعمل طبيبة في نفس المدينة «مونبيليه». وتقرر أن تعود لبضعة أيام الى هناك، لقد سبق لها ان تركت كل هذا العالم كى تصبح حرة، ولذا ترفض ان تعـود ثانيـة الى القـرية، الا بعـد ان تعرف ان ياسين قد مات.

واحترامـا لذكراه، ولما سبق ان طلبـه منهـا، تقرر أن تعود الى «عين النخل» وان تستقر هناك وأن تعـمل فى نفس مكانه طبـيـبـة، وفى القـرية تلتـقى سلطانة برجل يدعى فـانسـان، جـاء الى هناك من أجل ان ينسى ذكرياته. وتنمو بينهـما قصة حب، لكنهـا تكتشف ان هـذا الحب ممنوع، وان على المرأة الا تكون حـرة، والا اسـتـحـقت الموت. وتبـدأ فى مـواجـهـة افكار التطرف التى تشـاع حـولها. والتى لا يمكنها ان تتـآلف معـها، وقد توقع القُرّاء ان تجعل المؤلفـة بطلتـهـا تعـاود الرحيل الى «مونبلليه»، ولكن سلطانة تقرر البقاء فى القـرية، فليس أمـامـهـا سـوى ان تفـعل ذلك. والكارثة بعـينهـا هى الهـروب. ليـست هناك اشـارة، فى المصـادر المتـوفـرة لدينا، عن تاريخ ميلاد روبير سوليه، ولكن هذه المصـادر تؤكد أنه قـد ولد بالقـاهـرة، وظل بهـا حـتى بلغ السـابعـة عشـر. وقد عـمل فـترة طويلة مـراسـلا لجريدة لومـوند في ايطاليـــا، وكــتب دراســتين عن «المسيحيين الجدد» و«التحدى الارهابي». قبل ان ينشر روايته الاولى «الطربوش» عام ١٩٩٢ والتى حصلت على جائزة البحر المتوسط الادبية، كما ترجمت أخيرا الى اللغة العربية. وتدور أحداث رواية «الطربوش» حـول عـائلة سـورية سـافـر سيدها بطرخانى من سوريا الى مصر فى القرن التاسع عشر. تخصصت فى صناعة الطرابيش. وتنتـقل الرواية بابناء هذه العـائلة طوال اربعـة اجـيـال ابتـداء من جيل الجدة ليندا التى تروي وهى على فـراش الموت وقـائع المذبحـة التى مـات فـيـهـا اجـدادها بدمـشق عـام ١٨٦٠. أمـا الابن ادمون فـهو شاهد على الازدحـام الذى حل بمدينة القـاهرة، فـقـد بدأ زحف البـشـر الى العـاصـمـة، ويبدو هذا واضحـا فى العدد الهائل الذى أصبح يراه فى ميدان باب الحديد. وكأن ذلك دليل على ما شـهـدته المدينة من تغـيير، فـسرعان مـا خلع الناس الطرابيش، وكان ذلك ايذانا بالانتقال الى زمن الحنين. وتقـول الراوية فى نهـاية الاحداث:

«لقد أجبرتنا الظروف ان نترك مصر. ولم يكن فى مقدورنا أن نفعل شيئا». والى القرن التاسع عشر عاد سوليه مرة أخرى فى روايته الثانية «سيمافور اسكندرية» انه نفس التاريخ تقريبا، ففى عام ١٨٦٣ يحضر ماكسيم توته الى مدينة الاسكندرية. لقد كان فى الثامنة عشر من العمر، كانت المدينة فى تلك الآونة مليئة بالبشر من كل الجنسيات، انه عصر مزدهر، كما يرى المؤلف، فقد جاء ديليسبس لشق قناة السويس، وتأسيس المدن الكبرى على ضفاف القناة، وحلم الخديوى بنقل حضارات العالم المتقدم الى بلاده، والرواية ليست عن شخصية «توته» ولكن عن مصر فى تلك الآونة، فقد كان هناك امير مشدوه بأوروبا، اراد ان يجعل من القاهرة «باريس» جديدة، وأمام هذا التغيير، يفكر ماكسيم فى المشاركة فيه، بأن يصدر صحيفة جديدة تحمل عنوان «سيمافور اسكندرية» وتصبح هذه الصحيفة وصاحبها بمثابة شاهد على عصر، فسرعان ما تدخل البلاد تحت وطأة الديون، ثم تحت وطأة الاحتلال البريطانى والرواية مليئة بالعديد من الاشخاص الذين عاشوا فى نفس الفترة فى المدينة، اغلبهم ليسوا من خيال المؤلف، مثل الجواهرجي الفريد فلكى، الذى يوجد شارع باسمه حتى الآن فى المدينة، والذى اطلق عليه البعض اسم ملك التجار. وهناك طبيب يغامر بحياته من أجل



ادونيس

صنع الله ابراهيم

مقاومة أحد الأوبئة التى اصابت المدينة، وفى عام ١٨٨٥، كانت الجريدة فى اوجها، وكان عليها ايضا ان تصدر عددها الأخير. وقد وصف الكاتب ابطاله باعتبارهم عاشوا اجمل لحظات المدينة، ويكفيهم انهم كانوا يسبحون فى مياه شاطئ الرمل، ويعيشون فى جنة ارضية كأنها اليوتوبيا.

ولم يشأ سوليه ان يؤكد ان ابطال رواياته كان عليهم الانتظار ليروا المدينة، وقد ازدحمت بالسكان ايضا، لكنه ليس ازدحام باب الحديد، فلا زال شاطئ الرمل يجذب اليه ابناء المدينة، ولا تزال الامواج تتحرك كأنها تجدد دماء المدينة، وتساعد على نقائها دوما. من الواضح ان سوليه يعيش فى ماضي المدن المصرية، اسوة بسابقيه الذين رحلوا فيما قبل الى فرنسا مثل البير قصيرى، واندريه شديد، حيث اصبحت الاماكن بمثابة خيالات اقل وضوحا يسعى الكاتب الى تجسيدها قدر الامكان فى سطوره، ويصبح من العسير عليه ان يتأقلم مع الواقع، باعتبار ان أسعد البشر هم الذين عاشوا في الماضى أو الذين يحاولون اجتراره فى رواياتهم.





## تعقيب

**مكان كهف أهل الكهف ظل مدار جدل طويل بين المؤرخين قديماً وحديثاً .. وتعددت الروايات في تحديد المكان ما بين مشرق ومغرب.. وان كان في ظننا أن الناحية الايمانية لأهل الكهف، والمعجزة الإلهية في إماتتهم واحيائهم ينبغي ان تكون هي مكان التركيز عند المسلمين ليأخذوا منها العبرة والدرس الذي يرتفع بإيمانهم إلى مرتبة اليقين في قدرة الله سبحانه.. وسبق لمجلة المنهل ان نشرت مقالا بعنوان (كهف أهل الكهف.. اين هو) للدكتور سعد ابوديه في عددها لشهر المحرم ١٤١٤هـ.. ونشرت تعقيباً عليه للأستاذ راغب محمد السعيد في عددها لشهر رجب ١٤١٤هـ.**

**وهذا المقال يتتبع ما نشر ويضيف روايات اخرى حول الموضوع.**

**ـ المنهل ـ**

اطلعت على تعقيب السيد راغب محمد السعيد من مصر على ما كتبه د. سعد ابو دية عن اهل الكهف في مجلة (المنهل) الغراء في عدد ٥١١ بتاريخ ديسمبر - يناير ٩٣ - ٩٤ ملاحظا على الكتاب اعتماده على اقوال بعض المؤرخين والرحالة في ترجيح وجود مغارة اهل الكهف ببلدة الرقيم بناحية عمَّان بالاردن ومضيفا اسم مغارة اخرى لاهل الكهف قال بأنها توجد على قمة جبل عكران في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة (تنومة بنى شهر) على بعد ١٢٥ كيلا شمال مدينة ابها على الطريق الاقليمي (ابها - الطائف) اعتمادا منه على ما ذكره الاستاذ عبد الله بو داهش فى كتابه (الحياة الفكرية في جنوب البلاد العربية) وهو أمر يزيد البحث عن اهل الكهف غموضا واشكالا.

وحسب ما توصلت اليه من البحث فى هذا الموضوع الشيق والشائك فهناك في العالم توجد اربعة مواقع تحمل اسم مغارة اهل الكهف سأذكرها بتفصيل، متحدثا عن كل مغارة على حدة:

١ - مغارة اهل الكهف بأفسوس بالاناضول بتركيا.

٢ - مغارة اهل الكهف بالرقيم ناحية عمان الاردن.

٣ - مغارة اهل الكهف ببلدة لوشة بغرناطة بالاندلس.

٤ - مغارة اهل الكهف بجبل عكران بالسعودية.

**مغارة اهل الكهف بأفسوس:**

ورد خبرها في عدة كتب نذكر منها:

- كتاب (النور المبين في قصص الانبياء

والمرسلين) للشيخ نعمة الله الجزائرى، صرح فيه ان مرقد اهل الكهف بمدينة يقال لها أفسوس في الروم، وان ملكا من ملوك فارس يقال له دقيوس اقبل بمائة الف من جنوده واحتل بهم هذه المدينة وجعلها عاصمة ملكه.

- كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) - لمحمد بن احمد اياس، نقل فى كتابه قول وهب بن منبه: «ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابناء الروم وكانوا فى فترة بين المسيح ومحمد (صلى الله عليه وسلم) مشيرا الى انهم كانوا يسكنون في أرض رومية في مدينة يقال لها أفسوس) فلما جاء الاسلام غيروا اسمها وسموها ترسوس) وكان لهم ملك صالح ولما توفي ملكهم ملك طاغية من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان كافرا من عباد الاصنام يسكن فى مدينة غرناطة من اعمال المغرب، ثم سار الى مدينة أفسوس فملكها واتخذها دار مملكته) وساق قول العزيزى ايضا الذى قال (ان الكهف الذى مات فيه الفتية هو مغارة فى الجبل الذى يقرب من مدينة ترسيس ومكانهم مشهور ومعلوم بها).

- كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) للقزويني وكتاب: (الترجمانة الكبرى فى اخبار العالم برا وبحرا - للزياني) ذكر فيهما أن الرقيم المذكور في القرآن الكريم هو اسم الجبل وقيل اسم القرية التي كان فيها اصحاب الكهف وهو بالروم بين ارقية ونيقية، واوردا حكاية عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذى بعثه ابو بكر الصديق رضى الله عنه رسولا الى ملوك الروم ليدعوهم الى الاسلام، ولما وصل الى الروم دخل الى مغارة اهل الكهف ووجد فيها ثلاثة عشر رجلا مضجعين، على ظهورهم كأنهم رقود، وحينما سأل عن حالهم اخبر بأن هؤلاء جميعا كانوا انبياء بعثهم الله الى تلك البلاد قبل ظهور المسيح باربعمائة سنة.

- كتاب (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) للوردى اشار بدوره الى وجود مغارة اهل الكهف فى رستاق بين عمورة ونيقة، وقال بأنهم في جبل عال علوه نحو الف ذراع وله سرب من وجه الارض كالمدرج يتعدى الى الموضع الذى هم فيه وفى اعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه الى السرب ويمشى فيه مقدار ثلاثمئة خطوة، ثم يفضى الى ضوء هناك فيه رواق على اساطين منقورة فيها عدة بيوت منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة وعليه باب من حجر وفيه اصحاب الكهف وهم سبعة نيام على جنوبهم واجسادهم مطلية بالصبر والكافور وعند ارجلهم كلب راقد مستدير رأسه عند ذنبه ولم يبق منه الا رأسه وعجزه وفقار الظهر) وهذا وصف دقيق لاصحاب الكهف يدل بأن ابن الوردى زار كهف اصحاب الكهف ويضيف ابن الوردى بعد وصفه قائلا: قال بعض الثقات لقد رأيت القوم وكلبهم فى هذا الكهف بين عمورية ونيقة سنة عشر وخمسمائة)

**مغارة اهل الكهف بالرقيم:**

ذكر هذه المغارة فى بلدة الرقيم عدة رحالة وعدة جغرافيين نذكر منهم:

- اسامة بن منقذ في (مواعظ الاعتبار) زار مغارة اهل الرقيم بناحية عمان بالاردن.

- المقدسى فى (احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم) قال بأن فى هذه المغارة يوجد ثلاثة قبور.

- ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) قال بأن دقيانوس ملك عمان وان الرقيم هو مرقد اصحاب الكهف.

- القزويني فى (اثار البلاد واخبار العباد) قال ايضا بأن مغارة اهل الكهف توجد ببلاد البلقاء

**ابن الريف البخلاخي**

- المغرب -

الرقيم بعمان، وتبعه فى ذلك وأكد قوله عبد المؤمن عبد الحق البكرى فى كتابه (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع).

- الثعالبي (ت ١٠٣٥م) فى كتابه (قصص الانبياء المسمى بالعرائس) اشار الى وجود مغارة اصحاب الكهف بالرقيم ونقل قول ابن عباس الذى قال ان الرقيم واد بين غطفان وايله دون فلسطين، وهو الوادى الذى فيه اصحاب الكهف).

**حول اكتشاف مغارة اصحاب الكهف بالرقيم:**

الحضارة فى الاردن موغلة في القدم، وقد عثر فى عمان وضواحيها على بقايا ادوات صوانية يرجع عهدها الى العصر الحجرى الحديث منذ مائتى سنة قبل الميلاد، واثبتت الاكتشافات الاثرية ان الانسان سكن عمان منذ ذلك التاريخ حتى العصر البرونزى الاخير ١٦٥٠ ق.م/ ١٢٥٠ ق.م اى حتى عهد العمونين، وتأكد ان الهكسوس بعد طردهم من مصر سكنوا عمان وضواحيها وتركوا فيها آثارا دلت على أن المنطقة كانت مزدهرة فى عهدهم.

وفي المدة الاخيرة كثر الحديث عن اكتشاف مغارة اصحاب الكهف بالرقيم ناحية عمان بالاردن، اكتشف هذه المغارة الاثرى رفيق وفا الدجاني المساعد الفنى لمدير الاثار بالاردن، ابتدأ الحفر فى هذه المغارة يوم ١٠ يونيو ١٩٦٣ وانتهى منه فى ٣١ اغسطس نفس السنة.

وفي كتابه (اكتشاف كهف اهل الكهف) يقول: «كهف الرجيب ذكره المقدسى فى احسن التقاسيم، وياقوت الحموى فى معجم البلدان، كما ذكره البيروني فى كتابه (الاثار الباقية) وغيرهم.

واذا كان المسلمون منذ صدر الاسلام هم فى شك من مكان اهل الكهف فإن حفريات الرجيب القت ضوءا مرجحا لهذا الكهف فى الاردن على الكهوف الاخرى.

وبقايا الكنيسة (او المسجد) فوق كهف الرجيب كما جاء فى القرآن وعلامات الطيب على الحجارة واضحة وكذلك على الحجارة التى تغطى المدفن، وقد ظهرت فى الكهف عند الحفر ثمانية مدافن اساسية منحوتة فى الصخر).

**مغارة اصحاب الكهف ببلدة لوشة بغرناطة بالاندلس:**

انفرد بذكر هذه المغارة ابو حامد الغرناطى (ت ٥٦٥هـ) فى كتابه (تحفة الالباب ونخبة الاعجاب) وننقل ما قاله بنصه لفائدته: (أما كرامة الله عز وجل فإنها فى بلدى الاندلس واسم بلدي غرناطة، وهو بلد كبير عظيم، يقال انه كان في مدينة دقيانوس ملك اصحاب الكهف.

وبالقرب من المدينة بثلاثة فراسخ مدينة صغيرة يقال لها لوشة، الى جانبها جبل حضيضه مثل الغار فيه كهف الشمس تزاور عن بابه ذات اليمين واذا غربت تقرضه ذات الشمال وفى داخله فتية عددهم سبعة موتى ستة منهم نيام على ظهورهم وأخرنائم على يمينه، وعند ارجلهم كلب، لم يسقط من اعضائهم ولا من شعورهم شيء وعلى الكهف مسجد ولهم هيبة عظيمة، وعلى الكهف نور عظيم كثير.

**مغارة اصحاب الكهف بجبل عكران بالسعودية:**

انفرد بنقل خبر هذه المغارة فى السعودية الدكتور عبد الله ابو داهش فى كتابه السالف الذكر، وهو من المغربات لم يذكره احد من الرحالة والمؤرخين العرب والاجانب الذين جالوا فى المملكة العربية السعودية طولا وعرضا ونتمنى من مجلة (المنهل) ان تقوم باستطلاع الى عين المكان لتكشف لنا بالصورة والكلمة اخبار وجود هذا الكهف.

**تعليقات على مغارات اهل الكهف المذكورة:**

واختم هذا البحث بتعليقات مفيدة على مغارات اصحاب الكهف التى ذكرناها مأخوذة من اقوال المؤرخين والبحاثة.

**مغارة اصحاب الكهف بأفسوس:**

يقول د. فواز احمد طوقان فى بحثه (قصة اهل الكهف ومعجزة ظهورهم) (١) (اما اكثر الكهوف شهرة، كهف الفتية الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم، فهو بالقرب من أفسوس، المدينة الاثرية التركية فى بلاد الأناضول، فقد عثر على جملة كهوف فى كنف جبل هناك من جهته الشمالية الشرقية، كما وجدت مئات الاضرحة المبنية من الطوب المشوى ولا أثر لكنيسة او مسجد عند الكهف او فوقه، وباب كهف الرقيم بحسب الآية القرآنية الدالة على المعجزة الالهية يفتح الى الجنوب اما كهف أفسوس فاتجاه بابه الى الشمال الشرقى مما يخالف نص الآية القرآنية (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) ولذلك فمن المستبعد ان يكون كهوف افسوس فى الاناضول هو كهف اهل الكهف( ومكتشف مرقد اهل الكهف بالرقيم دقيق والدجاني ينفى بدوره وجود مغارة اهل الكهف بأفسوس ويقول فى ذلك: (وقد درست قبل ذلك عددا من الكهوف التى نسب اليها اهل الكهف، واهمها فى أفسوس وطوروس فاستبعدتها لانها ذات فتحات لا تتفق فى سقوط الشمس عليها مع ما جاء فى الايات الكريمة، ولكن ذلك ينطبق على كهف الرجيب اى الفتحة الجنوبية، ويقع على خط عرض ٣٢ درجة شمالا تقريبا).

وفى عهد الواثق بالله تسربت اخبار عن ظهور مغارة اهل الكهف بافسوس فأرسل الواثق بالله بعثة اكتشافية الى عين المكان للتأكد من صحة ذلك الخبر، لكن البعثة الاكتشافية لم تعثر بأفسوس على مغارة اهل الكهف.

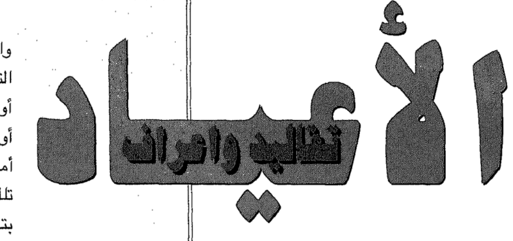
**مغارة اهل الكهف بلوشة بغرناطة:**

اثبت وجودها ابو حامد الغرناطى كما ذكرنا وشاهدها ووصفها بدقة، واشار اليها ايضا ابن الوردى فى كتابه (خريدة العجائب) وقال ان اصحاب الكهف هم اهل الاندلس حيث زعموا انهم الشهداء الذين فى مدينة لوشة، كما صرح المؤرخ ابن اياس فى (بدائع الزهور) ان الطاغية دقيانوس كان يسكن فى مدينة غرناطة).

**كلمة اخيرة:**

***لا يمكن التسليم بوجود مغارة اهل الكهف بالرقيم بعمان بالاردن الا بعد الكشف الدقيق لمواصفات مغارات اهل الكهف بجبل عكران بالسعودية، وبلدة لوشة بغرناطة بالاندلس، واذا تأكد لنا عدم مطابقات المغارتين المذكورتين لما جاء فى الآيات الكريمة عن اصحاب الكهف فحينذاك يمكن الترجيح والتسليم بأن مغارة اهل الكهف هى المغارة المكتشفة حديثا فى بلدة الرقيم بعمان بالاردن، والملاحظ أن المؤرخين اختلفوا فى اسم الملك دقيانوس فمنهم من قال بأنه من ملوك فارس كان نصرانياً، ومنهم من قال كان ملكا رومانيا ظالما يضطهد النصارى، ولرفع الشك وبيان الحقيقة لابد من اعادة كتابة تاريخ اصحاب الكهف خلال مدة نومهم فى الكهف وهى مدة ثلاثمئة سنة وتسع سنوات لمعرفة تسلسل احداث تاريخ العالم انذاك، لان ذلك سيعرفنا كيف كان يعيش العالم والملوك الذين حكموه.***

***فقصة اصحاب الكهف الواردة فى القرآن الكريم معجزة إلهية خالدة فى الارض، تخبر البشر يقينا لا ظنا ان الله تعالى قادر ان يعيد الخلق كما بدأه اول مرة، وان احياءه الموتى من القبور واعادتهم من جديد الى الحياة هين عليه، وامر واقع لا محالة ولا شك فيه يوم القيامة.***




# الأعياد تقاليد وأعراف

**لقد قص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من أخبار الأمم القديمة ما فيه موعظة وعظة، قال تعالى: «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك». وقال تعالى: «ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منهم قائم وحصيد». وقال: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون».**

بقلم:
**محمد بن احمد العقيلي**
- جازان -

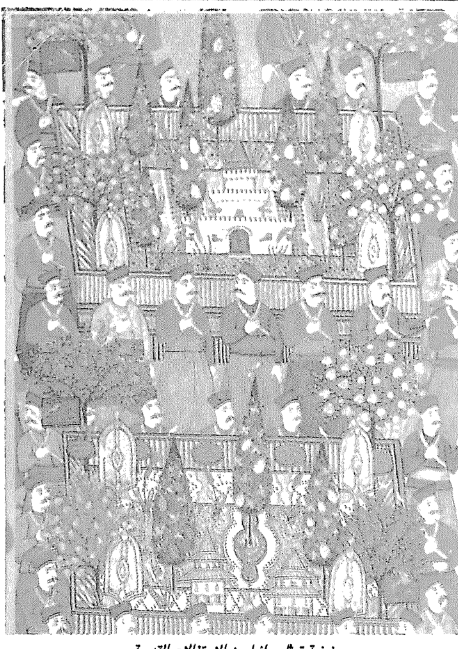
(العيد): الأعياد والمواسم هي الأيام التي فيها جمع أو تذكر أو ذكرى لمناسبة دينية أو حادثة تاريخية أو أمر عظيم، تحيا فيها تلك الذكرى ويحتفل بتخليدها، والعيد واحد (الأعياد) وقد عيدوا تعييداً. أي شهدوا العيد.

تزخر كتب التاريخ وكتب التراجم، وكتب الأدب والشعر في أكثر اللغات بما كان للأمم القديمة من أعياد قومية ومجامع قبلية، ومواسم اجتماعية وأسواق دورية واحتفالات دينية، ومجتمعات أدبية، ومهرجانات شعبية، تتخفف فيها النفوس من أعباء الحياة وتخلد إلى الراحة والألعاب التقليدية، وتشعر بالفرحة، وغير ذلك مما يدخل المسرات على القلوب، يكاد أن يكون ذلك شبه عام في تأريخ الأمم التي احتفل التاريخ بماضيها، مع الفوارق التي تقتضيها البيئة، وتحتمها العادات وتمليها الظروف وتوجبها التقاليد.

تكون لايام تلك المواسم حرماتها المرعية، وقداساتها المفروضة وتقاليدها المتبعة، حتى تتكون تلك الإجتماعات وتحقق تلك المواسم وتوائم تلك الإحتفالات الطقوس العقائدية، والمنافع المادية، والفوائد الأدبية، لها حرماتها، يحرم فيها القتال ويمنع التعدي، ويشجب الإعتداء فلا تزهق نفس، ولا يُنهب مال، ولا تُسرق ماشية ولا يعتدى على حرمة، إلا فيما شذ والشذوذ

خـروج عن القـاعـدة، وخرق للتقاليد، يوصم صاحبه بعيب الدهر واحتقار الأجيال ولعنة المجتمع.

إن تلك المواسم في تلك العصور البدائية والمجتمعات القبلية، التي تسودها الوثنية ويسيطر عليها الجهل وبالأخص في العالم القديم، الذي كانت كل قبيلة فيه تعتبر نفسها وحدة منفردة، تعيش منطوية في محيطها القبلي في حالة حرب بين عشائرها داخلياً، ومع مجاوريها خارجياً فإن تلك المواسم والأسواق تمنحها راحة الأمن وفرص الإستجمام وطمأنينة مؤقته تحكمها عوامل روحية وضوابط خلقية وتقاليد اجتماعية،



منمنمة تمثل جانبا من الاحتفالات القديمة

يأمن فيها الناس على أنفسهم وأموالهم وأنعامهم، فتنشط التجارة ويزدهر الإقتصاد وتأمن الطرق فيلقى الإنسان قاتل ابنه أو أخيه، أو طامع ماله، أو سارق أنعامه، فتمنعه حرمة تلك الأيام وقداسة تلك الشهور أن ينال ثأره أو يسترد ماله، فينطلق الشخص آمناً يشق الأرض من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب ومن الغرب الى الشرق ويحضر تلك المواسم والاعياد، وتكاد تلك المواسم أن تكون عادة سارية في كل المجتمعات شبه المتحضرة، ومن ثم يعود إلى صقعه، وينطوي في محيطه وقبيلته بعد أن يكون قد باع محصوله وصرّف بعض أنعامه، وتمول ببعض ضروريات المعيشة من طعام وغيره، هذا بالنسبة إلى الرجل العادي، أما رؤساء القبائل وسادات المجتمعات، فيشهدون تلك المواسم والأسواق للفخر والمباهاة والمناظرة واستعراض العضلات،



النمط الحديث من الاحتفالات يضيء سماء المدينة

وبعضهم للمصالحة ومفاداة الأسرى، والبحث في مصالح قبائلهم والوقوف على أخبار أعدائهم، وتجديد التحالف والتعارف مع الرصفاء، والاشتراك في الألعاب الرياضية والمباريات والمسابقات.

إن مثل هذه المواسم كانت معروفة ـ كما سبق القول ـ في أغلب الأمم القديمة وبالأخص من تربطهم روابط اللغة والدم.

## الأعياد في الدول القديمة:

لقد كان في التاريخ القديم لتلك الدول أعيادها ومواسم افراحها كما هو في اليونان في مدن كل مدينة لها حكومة أو كانت شبه دول صغيرة قبل أن تتكون الإمبراطوريات، فكان للحيثيين، والآشوريين والبابليين، والسومريين واليونانيين، والفارسيين والفراعنة المصريين، والهنود أعيادهم ومواسم أفراحهم، وبالرغم من دخول الكثير من تلك الشعوب فى الإسلام، لا تزال لديهم رواسب لإحياء بعض تلك الأعياد، ففي فارس لا يزال عيد (النيروز) يحتفل ويحتفى به، وفي مصر لا يزال عيد (شم النسيم) وعيد (وفاء النيل) لازال الإحتفال به قائماً كما علمت ولكنه احتفال رمزي.

## الأشوريون:

أمة ذات حضارة ومكانة في التأريخ القديم، وقد مرت بأدوار كغيرها من الأمم من البداوة والفرقة، إلى التجمع في مدن وقرى، إلى التحضر والآداب والفنون، إلى مواسم وأعياد يحتفلون فيها بآلهتهم الوثنية ومعابدهم الكفرية، وإنه قبل سبعمائة سنة قبل الميلاد كانوا في تلك المواسم والأعياد يبذلون غاية العناية في سبيل تنقية وتوسع لغتهم القومية، بل كان من أعظم القربات لديهم إهداء نسخة من معجم تلك اللغة بعد تطورها إلى معبد من معابدهم.

## الأعياد عند اليونان:

٣أولمبياد: وحدة لفترة زمنية في اليونان القديمه مدتها أربع سنوات تبدأ كل وحدة منها بالألعاب الأولمبية، وكان الأولمبياد الأول المعترف به سنة (٧٧٦ق٠م) وتلك الأولمبياد من أكبر أعيادهم وتجمعاتهم الموسمية.

الألعاب الأولمبية:

هو بالاخص المباريات الرباعية الرئيسية في اليونان وذلك قبل ٧٧٦ ق٠م أي منذ ذلك التاريخ إلى الآن قبل ٢٧٧١ سنة، وكان يطلق عليها (الألمبياد) واستمرت إلى أن أوقفها الأمبراطور الروماني (تيودوسيوس) لقد كانت أكبر الأعياد في عالم الإغريق وكان لها صبغة وطنية ومضامين قومية حتى قيل إن اليونان كانت تفتخر بانتصاراتها الأولمبية أكثر مما تفتخر بانتصاراتها في المعارك الحربية٠

وكانت وقفاً على الشباب، ولم يسمح للنساء الإغريقيات بالاشتراك في تلك المباريات والاحتفالات بتلك الاعياد، بل كانت للنساء والفتيات ألعابهن الخاصة التي تسمى «هيرايا»٠

وكان يتوج الفائزون بتيجان من شجر الزيتون البري، ويمنح للفائزين جوائز ثمينة وامتيازات اجتماعية٠٠ استمرت تلك الأعياد الأولمبية حتى جاء عهد الأسكندر، فزاد عنفوانها وتألقت مواسمها حتى توفي الاسكندر وهو في أوج عظمته وقوة حكمه، وذلك في سنة ٣٢٣ ق٠م، وكان موته كفيلا بتغيير مجرى التاريخ وانما كانت انجازاته من العظمة، بحيث ظلت خالدة على مدار الزمن، وتوزعت التركه الضخمة بين رجاله وقواده التي امتدت من الهند جنوباً إلى مقدونيا شمالا، ومن ضمنها أملاك الأمبراطورية الفارسية التي قضى عليها الاسكندر ولم يبق لها وجود إلا ضمن فتوحاته، وأثرت الثقافة الهيلينية على مدى فتوحاته، وتدفق اليونانيون نحو الشرق والجنوب حاملين معهم آدابهم وأفكارهم واسلوبهم التقليدي في الحياة ونظمهم المدنية وألعابهم وأعيادهم

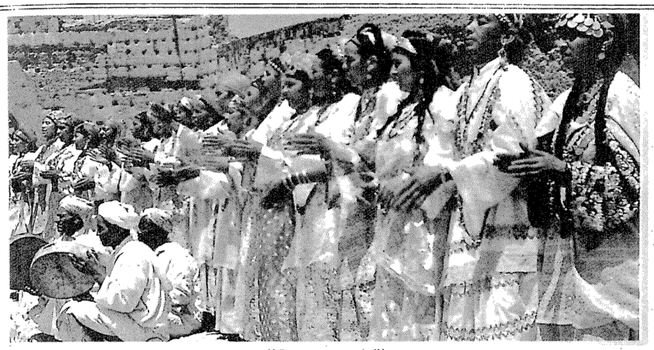


العيد البهجة المتجددة لكل اطفال العالم

وأهدافهم لوحدة الجنس البشري٠

## الأعياد عند الرومان:

انتهى اليونان ودورهم وسادت الإمبراطورية الرومانية وشمل سلطانها اليونان وأملاكه وما لم يملكه اليونان، وقلد الرومان حضارة اليونان وأعيادها ومواسمها وألعابها علاوة على أعيادها القومية ومناسباتها الوطنية، وكان من أهم أعيادها (عيد الحب) الذي بدأت نشأته في فكرة بسيطة بحيث يعجب القارىء لذلك التطور الزمني وكيف يضفي الإنسان على الفكرة البسيطة معاني جديدة، لقد بدأ هذا العيد عند الرومان القدماء بالإحتفال بيوم الرابع عشر من فبراير (شباط) من كل سنة تعبيراً عن ما يعتقدونه في عرفهم الوثني أنه تعبير عن الحب الإلهي قبل



.. والكبار وسعتهم فرحة العيد

١٧٠٠ عـام، في وقت كـانت الوثنيـة سـائدة لدى الرومـان، وآنذاك أعـدم القـديس فـالنتين *Valentene* الذي كان قد اعتنق المسيحية فأعدمته الدولة بسبب اعتناقه المسيحية، فصار يوم اعدامه بعـد أن دخلت الرومـان في المسـيـحـيـة يناسب الإحتفال بشهداء الحب في تقاليدهم، والى الآن في أمريكا والعـالم الغربي يحـتـفل بذلك اليوم ليكون مناسبة لاعلان مشاعر الصداقة، ولتجديد عهد الحب بين المتزوجين والمحبين وأصبح له مـهـمـتـه الاجتماعية والاقتصادية فإجتماعياً يحتفل بذلك اليـوم لما ذكـرنـاه، واقـتـصـاديـاً يشـهـد نشـاطـاً اقتصادياً لمشتروات الملابس وغير ذلك.

إن الرومـان الذين فـتـحـوا اليـونان عـسكرياً، خضعوا لفتح اليونان ثقافياً فأصبح الرومان مع انتـصـاراتهم وفـتـوحـاتهم يقلدون اليـونـان في مـواسـمـهم وأعـيـادهم، بل وفي ثقـافـاتهم وآدابهم، وفي كل تلك الأعـيـاد والمواسم يقـبل بعض الناس من كـافـة أنحـاء البلاد، بل ومن المسـتـعـمـرات إلى أماكن الإحتفالات فتقام الأسواق وتعرض العروض النادرة وتعـقـد الإجـتـمـاعـات، وتقـام الإحـتـفـالات والاسـتـعـراضـات والمهرجـانات التي تشـتمل على العروض الآتية:

«إلقـاء الخطابة ـ حـفـلات الموسـيـقى ـ انشـاد الشـعـر ـ الألعـاب الرياضـيـة ـ مناظرة الفلاسـفـة والأدباء ـ المسابقة ـ عرض التمثيليات ـ مصـارعة الحيوانات الضارية».

وتقام هيئة التحكيم وتعقد جلساتها، وتخصص جوائز للمتفوقين المبـرزين وتنقضي أيام الأعياد، وهم في غـاية النشـوة من روعـة الإحـتـفـالات، وقد نقشت في قلوبهم أقوال الخطباء وقصائد الشعراء، وبهجة الحفل وروعة المبارزة فتتناقلها الالسن في أرجـاء الرومـان وفي امـبـراطورياتهـا، ومن تلك المواسم والإحـتـفـالات اسـتـحـدثت اللغة الرومانية توسعها اللغوي وبلاغتها البيانية وروعتها الأدبية، وبلغت أوج التهذيب وقوة الفصاحة.

وجـاءت الفـتـرة الثـانيـة من التـاريخ الأدبي الروماني سنة ٨٢٥ إلى ٢٤٠ ق.م فانجبت أعظم شعرائها (فرجيل)، ثم شاعرها الكبير (هوراس) فبلغا بالشـعـر أوج الرفـعة وعنفوان التـألق وأعلى أجواء الإيضـاح والإفصـاح والجمال، وأخذ النثر الفني في فن الخطابة والتـرسل البليغ أعلى قـمـم الإبداع ومراقي السمـو على يد (كـاتو) والخطيب



في افريقيا .. يؤدون رقصة الفرح على طريقتهم

المصقع (شيشرون).

### الأعياد عند اليهود والنصارى:

لليهود أعيادهم المعروفة ومواسمهم الدينية، ومن أشهر أعيادهم عيد الفصح ١٥ نيسان، وعيد (كوبك) - الغفران - وغيرها من الأعياد التي لا يجب التوسع فيها.

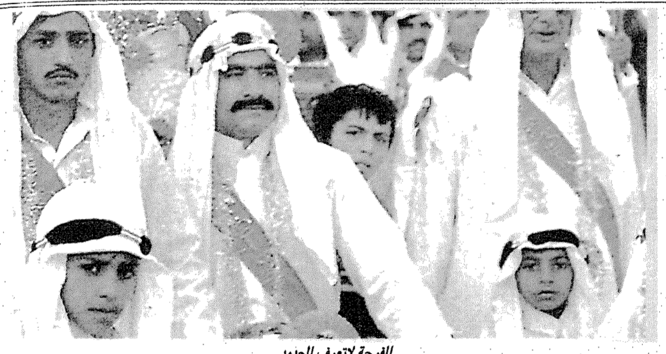
الأعياد في المسيحية ومن أشهرها (عيد الغطاس)، وهو احتفال ديني بذكرى تعميد السيد المسيح في نهر الأردن وموعده ١٩ يناير، وعيد القيامة وهو العيد الرئيسي ويسبقه الصوم الكبير الذي يدوم ٤٠ يوماً، وعيد الميلاد - ميلاد المسيح - وهو يوم ٢٥ سبتمبر من كل عام.

### الأعياد في الجاهلية:

لقد كان للجاهلية أعيادها القبلية ولكل قبيلة أيامها ومواسمها، وتشد إليها الرحال من أكثر أصقاع الجزيرة واكثر اعيادهم شهره هو عيد سوق عكاظ(١) وهو البدء لسوقين بعده تقام في الأشهر الحرم وتختتم بالحج، وهو أكبر شعيرة دينية في الجاهلية.

فى سوق عكاظ يتباهى الرؤساء ويتفاخرون، ويتسابق الفرسان ويتقدم الخطباء بخطبهم البليغة، وينشد الشعراء أشعارهم الرائعة، تعرض الخصومات، ويحكم فيها، تطلب المجورة ويلبيها القادرون من رؤساء القبائل وينشدون المفقود ويطلب اعلان الحماية لمن يريد الإحتماء وتخلع المجورة أو البراءة من شخص مستجير، رفع راية بيضاء خاصة كرمز تكريم وتقدير، وينادي باسم الشخص المكرم أو الجماعة أو القبيلة والتنويه بما قاموا به، رفع راية خاصة - في الغالب تكون سوداء - كتعبير عن السخط والاستياء من شخص أو قبيلة لمن خان أو غدر أو قصر في حق الجوار.

ويلي سوق عكاظ سوق ذي المجاز بجوار عرفة، والمجنة بمرو الظهران قرب مكة، ومن الأسواق التي كانت معروفة سوق عثر في جازان، وسوق حباشة في تهامة بارق، وسوق هدر في الأحساء، ودبي في عمان، وسوق الرابية في حضرموت، وسوق عدن في عدن وسوق الجريب



الفرحة لاتعرف الحدود

في بلاد حجور، ونجران في نجران، وسوق حجر اليمامة في اليمامة٠٠ وغيرها من المواسم والأسواق٠

وقد استمرت هذه السوق من الجاهلية إلى سنة ١٢٩هـ أما متى بدأ ذلك السوق فذلك لم يتحدد على وجه التحديد لدينا، أما موقعه فقد حدده الشيخان ابن بليهد وحمد الجاسر٠

فصاحب كتاب (العرب) يرجع وجود سوق عكاظ إلى القرن الخامس الميلادي وأن تلك السوق دامت قرنين ونصف القرن ويؤيد رأيه بقول النابغة:

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها
فيها، وكنت أعدّ في الفتيان

فالنابغة عُمِّر ١٥٠ سنة أكثر من نصفها في الجاهلية وباقيها في الإسلام، فإذا أخذنا قول صاحب كتاب العرب أنها عُمِّرتْ قرنان ونصف القرن وإنها ألغيت بعد نهبها من المختار بن عوف سنة ١٢٩هـ فتكون دامت ما يقارب إحدى وعشرين سنة ومائة قبل الإسلام وتسعاً وعشرين ومائة بعد الإسلام٠

أما محمد حسين هيكل وغيره، فيرون أنها ابتدأت بعد عام الفيل بخمسة عشرة سنة ليس إلا٠

والذي نذهب اليه ونراه، هو أن سوقاً دورياً أو موسمياً سنوياً لا يمكن أن ينشأ طفرة مكتمل النمو كامل الخلق، وأنه كما تقتضيه سنة التطور يبتدىء بداية متواضعة، ثم يأخذ بسنة التدرج في التوسع وإذا علمنا أن لعكاظ أنصاب يطاف حولها وينحر فيها بمثابة مزار محلي وآلهة وثنية كان يجتمع عندها في موسم مخصوص من حولها ويقيمون أياماً يستدعي بقاؤهم تلك الأيام وجود بعض الضروريات من السلع والحاجيات الضرورية تستقطب بعض المتسببين، ثم مع الأعوام شاع أمر ذلك فوصله بعض القبائل المجاورة، وهكذا حتى وقعت الحرب الرومانية الفارسية، وتعطلت طريق الحج فزادت أهميته وقوي أمره٠

أما الواقدي فيذكر أن العرب تقيم بعكاظ طيلة شهر شوال ومنه إلى ذى المجاز فيقيمون به عشرين يوماً من شهر القعدة، ثم يرحلون إلى المجنة يقيمون بها إلى الحج٠

## الأعياد في الإسلام:

بعث الله نبيه ورسوله سيدنا محمداً عليه



مزمار وخيل .. والكل يرقص

أفضل صلاة وأتم التسليم بالهدى ودين الحق، فبعد هجرته عليه الصلاة والسلام للمدينة كان ما ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة ولهما يومان يلعبون فيهما، فقال أبدلكم الله بهما خيراً منهما، يوم الأضحى ويوم الفطر، وذلك في السنة الثانية من الهجرة، قال الشارح: وفيه دليل على أن اظهار السرور في العيدين مندوب لأن ذلك من الشرعية التي شرعها الله لعباده.

إذا في ابدال عيدي الجاهلية بالعيدين المذكورين دلالة على أنه يفعل في العيدين المشروعين ما كان يفعله الجاهلون في أعيادهم من اظهار السرور، وإنما خالفهم في تعيين الوقتين، هذا قول الشارح: ومراده في أفعال الجاهلية ما ليس بمحظور ولا شاغل عن طاعة.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا أن نخرج العواتق والحيض في العيدين يشهدان الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيض المصلى - متفق عليه(١).

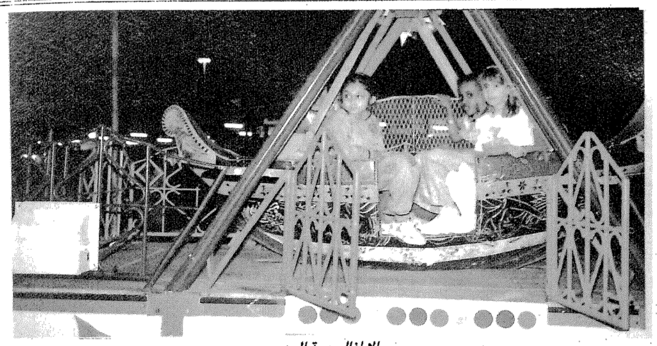
فعندما توسعت الفتوحات كان المسلمون يخرجون إلى المصلى اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا إن حال دون الخروج مطر أو غيره فيصلون في المسجد.

## العيد في العهد الأموي:

لقد كان ذلك العهد امتداداً لعهد الخلفاء الراشدين وفي نفس الوقت كانت الخلافة الأموية اسلامية عربية لحمة وسدة، فحافظت على عرف ما سبقها بقدر الإستطاعه.

كان يخرج الخليفة في حاشيته وقادة الجيش والجنود، فإذا وصل إلى المصلى ترجل من على جواده ثم يتجه الى المنبر، فيلقي خطبة العيد بنفسه ثم يؤم الناس في الصلاة، وكان لما لوحظ أن الناس يتسللون واحداً بعد الآخر فيفرغ المصلى قبل انجاز الخطبة فأخرت الصلاة بعد الخطبة.

وينصرف الخليفة من المصلى في موكبه يتوافد الناس للسلام عليه والتهنئة بالعيد، ويتقدم خطيب أو خطيبان بين يديه ثم الشعراء وعلى رأسهم



الاطفال بهجة العيد

الأخطل، لإنشاد قصائد المديح والإشادة بالفتوح أو الحوادث العظام التي أنجزت، ثم ينصرف الناس إلى منازلهم.

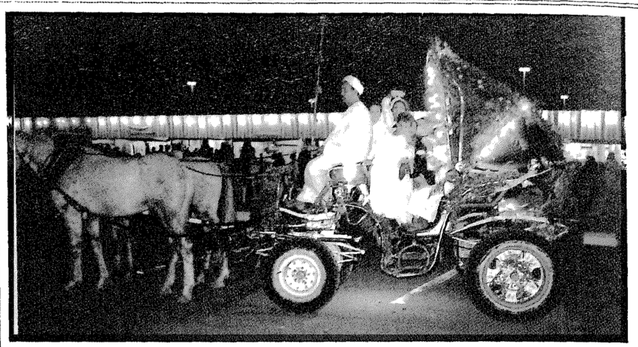
## العيد في العهد العباسي:

لقد قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس، فكان تعبئتها ونظامها وزي جنودها ودواوينها قريبة الشبه بالتقاليد الرسمية الفارسية، فكان احتفاؤها بالعيد اسلامياً عربياً مع مسحة بسيطة في الأول من الكسراوية وبعد ذلك تمادى التقليد حتى في الإحتفاء بعيد النيروز الفارسي، فكان في مجالس رجال الدولة توضع أكاليل الزهر على الرؤوس وقلائد الورد في الأعناق والصدور، وتوضع المباخر مغطاة بالورود والزهور، مع الترخص في بعض الأمور الخاصة من مجالس الأنس وغيرها، وكانت تقام مباراة في لعبة (الصولجان) المعروفة على الجياد المطهمة المدربة.

كل ذلك وفي مقدمتها خروج الخليفة الى المصلى في موكب رائع من الجيش تتقدمه الفرسان، وتخفق في أفقه الأعلام السوداء (شعار بني العباس)، ولا يزال الموكب سائراً حتي يصل المصلى، فيترجل الخليفة ويسير نحو المنبر تحف به الحاشية والحجاب وكتاب الديوان وقادة الجيش حتى يرتقي المنبر ويلقي خطبته البليغة، ثم يعود الموكب أدراجه كأول ما يبدأ إلى قصر الخلافة، فيدخل إلى مجلسه، فيقدم الخطباء والشعراء، وكان للفصاحة والبلاغة أسواقها الرائجة وللخلفاء شغفهم بالقول البليغ، ويروون تلك المواقف أن الخليفة هارون الرشيد في عيد من الأعياد تقدم الشعراء بين يديه، وكان من أولئك الشعراء مروان بن حفص، وعندما جاء دوره تقدم وألقى قصيدته المعروفة التي استهلها بقوله:

لعمرك لا أنسى غداة المحصب
اشارة سلمى بالبنان المخضب
وقد صدر الحجاج إلا أقلهم
مواكب تترى موكب بعد موكب

واستمر الشاعر في غزله الرائع وبيانه الساحر متخلصاً إلى المديح والخليفة مشدوه بقوله وانشاده حتى نزل من على فراشه، وانصرف الناس وهم مأخوذين بمستهل الشاعر الذي ملك عليهم إعجابهم. واستمرت تلك العادة، وفي عهد المتوكل أو المعتصم وقف أبو تمام في حفل العيد وألقى



*من حقهم ان يفرحوا بطريقتهم*

قصيدته السينية إلى أن جاء إلى مدح الخليفة وقوله في القصيدة:

(في حلم أحنف في ذكاء إياس)

فقاطعه الكندي الفيلسوف المعروف ·· وكان حاضراً في المجلس: «أمير المؤمنين فوق من وصفتهم»· فتوقف أبو تمام لحظة لهول المباغتة والمقاطعة غير المنتظرة، ثم استعاد جأشه مستمراً في الإنشاد قائلا:

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه
مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل بنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

فعندما أكمل الشاعر قصيدته سلمها للخليفة بكل أدب، فلم يجد فيها البيتين اللذين ارتجلهما الشاعر، فتعجب الخليفة وأطلع الفيلسوف الكندي على الأمر، فعلق على ذلك بقوله: «إن هذا الشاعر سيحرقه ذكاؤه قبل أوانه» فقد صادف بعد ذلك أن توفي الشاعر في الخامسة والأربعين من عمره أو ما يقاربها·

واستمرت احتفالات العيدين زمن خلفاء بني أمية ثم العهد العباسي إلى نهاية الدولة العباسية واستمرت تلك العادة الحميدة والتقليد الرفيع لدى ملوك العرب وأمرائها، وبالاخص من المنحدرين من أصل عربي أصيل، أو ممن تعربوا وتذوقوا الشعر كسيف الدولة والأمراء الأيوبيين وغيرهم، حتى وصلوا إلى عهد صقر الجزيرة ومحيي الدولة العربية والدعوة السلفية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وتوسع سلطانه على الحجاز وغيرها، فكان من تقاليده العربية الحميدة واقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي استمع الى قصيدة (بانت سعاد) في مسجده، فكان في يوم السابع من ذي الحجة يقام حفل رائع لتكريم قادة الحجيج والإحتفاء بهم ويقف الشعراء بين يديه وعلى رأسهم شاعر الملك الشيخ أحمد ابراهيم غزاوي وفؤاد شاكر·

هذه نبذة مختصرة وكلمة موجزة عن الأعياد في العالم قديماً وحديثاً في الدول القديمة والحديثة، عسى أن أكون وفقت ببعض التوفيق في اجلائها·

---

*الهوامش:*
*(١) سبل السلام جـ٢ ص٣٤*

# الفتى في غير أهله

شعر : أ٠د٠
عبده بدوي
ـ جامعة الكويت ـ

تعجبتُ ٠٠ لما أن بصرتُ بصاحبي
ينكِّس في رأس وقد عاش صارما
لقد أبصرته من قبل عزما وجرأة
تمد الخوافي في ذراه القوادما
إذا جاء صوتُ الحقِّ كان نصيره
وإن جاء قول الزور كان المصادما
ويرفع عن كلُ النفوس رمالها
ليزرع في كل النفوس المواسما
يمد على الآمال روحا مضيئة
ويزجر طيرا للوقيعة حائما
فإن نمَّ صوت للمُسَجِّل خفية
نراه بلا خوف يجلجل قائما
لقد أرسلوه كي يكون ذريعة
إلى السجن والسَّجان بله الأراقما
ونبصره ينصبُّ روحا عتية
ويزجر في العدل الذى صار فاحما
ويلوي رقاب الظالمين بقبضة
فتهوي رقاب الظالمين جماجما

* * *

فلما تغربنا عرفناه صامتا
ونلقاه طول الوقت سأمان نادما
عتبنا عليه صمته وذهوله
وقلنا لماذا قد غدوت مسالما
فأين الصراع الحيّ، والعزم صارخا
وأين شباب القلب للظلم قاصما
فقام وغنّى ك الصوت باكيا
فحرَّك فينا الحزن بعد ما كان نائما
(وجدت الفتى ما كان في غير أهله
تُنُوصر مظلوما عليه وظالما) (١)
(ومن يغترب يحسب عدوا صديقه) (٢)
ويلقى الدواهي في الحياة توائما

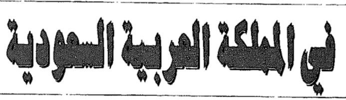
*الهوامش:*

*(١) بيت وحيد في حماسة البحترى لهرم بن حيان العبدي*

*(٢) صدر بيت لزهير بن أبي سُلمى*



# تاريخ النقد الورقي



## في المملكة العربية السعودية

لم يكن للمملكة العربية السعودية قبل ضم الحجاز عمله رسمية خاصة بها فقد انتشر في مناطق المملكة العربية السعودية قبل توحيدها مجموعة مختلفة من العملات التي تبادلها السكان في الجزيرة ففي الاحساء كانت النقود الشائعة في التداول بين السكان هي النقود التالية:

١) الريال الفرانسة (ماري تريزا) وهو ليس «ريالا فرنسياً» بل ريال نمساوي عليه صورة (ماري تريزا) امبراطورة النمسا يوم كان للنمسا شأن عظيم إبان حكم (آل هابسبورغ) الذي انتهى بنهاية الحرب العالمية الأولى. وهذا الريال من الفضة عياره «خمسة أسداس» ويزن (أونسا واحدا) ويزيد وزنه على الريال المجيدي وله من الأجزاء نصف وربع وقد سك هذا الريال في النمسا عام ١٧٨٠م وقد توقف التعامل به في النمسا عام ١٨٥٨م وقد رغب الناس به لشكله ودقة وزنه وعياره وكثر استعماله في سواحل البحر الأحمر ومنطقة الاحساء(١) وقد سك بعيار (١٣٦٣ و٤٣٣) قيراطا بنقاوة (خمسة اسداس).

٢) الروبية الهندية الفضية الصادرة في الهند عام ١٨١٨م وقد تداول السكان هذه العملة في مبادلاتهم التجارية مع الهند.

٣) (الطويلة) وهي عملة على شكل ملقط وتساوي ١٥٠/١ من (ماري تيريزا) ولكنها كانت قليلة ويصعب الاحتفاظ بها وهي في الأصل من نقد فارسي (لارين) وصل الى الاحساء خلال التبادل التجاري بين المنطقة الشرقية وايران.

واللارين عملة جارية في منطقة الخليج والمحيط الهندي في نهاية القرن السادس عشر وعندما دخل الأتراك الاحساء دخلت نقودهم العثمانية الى المنطقة (البارة - القرش - الليرة) ثم انتشرت - البيزا الحمراء - وهي عملة عمانية ضربها السلطان العماني فيصل بن تركي.

هذا الى جانب بعض العملات المصرية والهاشمية ولكنها لم تصل في التداول الى مستوى النقدين السابقين. وانتشر في نجد - البنتو - الفرنسي - نقد نابليون.

وعندما تسلم الملك عبد العزيز رحمه الله حكم الحجاز (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) أمر بسك نقود نحاسية سعودية (القرش - نصف القرش - ربع القرش) وطرحت هذه القروش كبديل للنقد الهاشمي وامر بالتعامل بالنقد التركي والريال الفرانسة بعد أن ضرب عليهما كلمة (نجد - الحجاز) بالضغط الحديدي.



**محمد علي حسين الحريري**
أبــها -

ثم الغى الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م كل العملات السابقة واصدر الريال الفضي السعودي ونصفه وربعه باسمه ولقبه (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها)(٢) حيث اصدر - النظام النقدي الحجازي النجدي.

**نظام النقد - الحجازي النجدي - المعدني:**

يعتبر اصدار الريال السعودي في شعبان





١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م أول نظام نقدي في المملكة حيث طرح ذلك الريال بديلا للريال المجيدي الذي يماثله في الوزن والعيار وتم سك نصف الريال وربع الريال وربطت قيمته بالجنيه الانجليزي الذهبي بنسبة (١ إلى ١٠) حيث كان الريال يقبل التحويل الى الجنيه الذهبي الانجليزي بذلك السعر.

واعتمدت المملكة بذلك قاعدة المعدن الواحد ـ الفضة ـ مرتبطا بالجنية الذهبي الانجليزي وسيلة المدفوعات الخارجية(٣).

ولكن هذا الريال الفضي السعودي قد واجه عدة مصاعب منها ثقل وزنه وتردد قيمته بين قيمة تجارية غير ثابتة وقيمته الرسمية بسبب التغيرات العالمية للفضة عام ١٩٣١ التي أدت الى تهريب الفضة الى الخارج فاختفت الريالات الفضية وظهرت الروبية الهندية في الأسواق مما اضطر الحكومة لسك الريالات الصغيرة عام ١٩٣٣م بدلا من الكبيرة المسكوكة عام ١٩٢٦م التي كادت أن تختفي من الأسواق(٤).

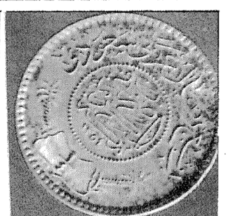
بعد ضم الحجاز (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) أخذ التنظيم الاداري والمالي شكلا جديدا حيث صار الحج يمثل الجزء الأكبر من موازنة الدولة فبادر الملك عبد العزيز الى تنظيم موازنة دولته فأنشأ مديرية المالية وجعل على رأسها الشيخ عبد الله السليمان وأسند إليه مهمة تنظيم موارد ومصارف الدولة وكان ذلك عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ثم تحولت هذه المديرية الى وكالة في جمادى الثانية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بعد قدوم الخبير الهولندي (فان لي) لتنظيم الموازنة(٥).

وأمام تطور الدولة واستقرار البلاد تحولت الوكالة الى وزارة وربط بها ادارات التموين والحج والزراعة وظل الشيخ عبد الله السليمان على رأس وزارة المالية وعين الشيخ حمد السليمان وكيلا للوزارة. فصدرت أول موازنة للمملكة عام ١٩٣٤م وقيمتها ١١ مليون ريال وهو مبلغ لا يكاد يفي بسد الحاجات الأساسية لنظام الحكم فضلا عن الانفاق منه على مشاريع الخدمات(٦).

**اكتشاف الزيت:**

اكتشف الزيت عام ١٩٣٨م بكميات تجارية ولكن نذر الحرب العالمية الثانية في الأفق أربكت الموازنة بتوقف أعمال (أرامكو) وانخفض عدد الحجاج ولكن الأمور تحسنت بعد الحرب العالمية الثانية لتتطور موازنة الدولة تصاعديا مع زيادة الانتاج النفطي.

لقد واجهت المملكة كغيرها من دول العالم




١ - الرجوع الى قاعدة الفضة والاكتفاء بالريال الفضي.
٢ - الانضمام الى كتلة الاسترليني أسوة بدول الخليج.
٣ - تطبيق نظام المعدنين (الذهب والفضة).

خلال فترة الحرب ركوداً اقتصاديا ونقصا في عوائد النفط أثر سلباً على قيمة الريال الذي استرد عافيته بعد الحرب فقد كان الريال يصرف خلال الحرب بنسبة (١ إلى ٨٩) من قيمة الجنية الذهبي الانجليزي فصار يصرف عام ١٩٤٨م بنسبة (١ إلى٤٠) من الجنيه الذهبي الانكليزي ولكن العالم الغربي - أوروبا - بدأ يواجه عام ١٩٤٨م ركوداً اقتصاديا أدى الى اضطراب العملة واهتزاز قيمتها فصار سعر صرف الجنيه الانكليزي يعتبر مشكلة في وجه تقدير ميزانية الدولة ومواردها ولا توجد في البلاد مصارف يلجأ اليها في التقديرات إلا فروع قليلة في جدة والمنطقة الشرقية(٧)، وبدأت الحكومة تفكر في ايجاد حل للمشكلة.

**مؤسسة النقد العربي السعودي:**

في بداية السبعينيات الهجرية أخذت الحكومة السعودية بدراسة نظام نقدي جديد مستعينة ببعض خبراء المال والصيرفة الأمريكيين وذلك عام ١٩٥١م وذلك بهدف تأمين السيولة المطلوبة للتوسع الاقتصادي دون التعرض لتضخم مالي.

وفى ابريل ١٩٥٢م انشئت مؤسسة اصدار النقد العربي السعودي بالمرسوم الملكي رقم (١٤٠٦/١/٤/٣٠هـ) لتتولى تنظيم الأمور النقدية فى البلاد وترعى قيمة الريال السعودى فى الداخل والخارج وتأمين السيولة النقدية المطلوبة وكان أمام هذه الدراسة عدة خيارات نقدية منها:

واختارت المؤسسة نظام المعدنين وهو ما يتفق مع احكام الشريعة الاسلامية فقها وتاريخا حيث تعامل الخلفاء بالمعدنين معاً.

أصدرت المؤسسة (الجنيه الذهبي السعودي) بنفس وزن وعيار الجنيه الانجليزي ليحل محله في التداول وأصدرت المؤسسة (الريال الفضي) بوزن (٩,١٦٦٤) غرام وأصدرت معه القروش النحاسية من النيكل (قرش - نصف قرش - ربع قرش) وتبنت المملكة نظام المعدنين قبل أن تتبناها السلطات النقدية بشكل رسمي(٨).

لقد كانت علاقة الجنيه الذهبي بالريال الفضي تقارب نسبة (١ إلى٤٠) وكانت العملات الجديدة عالية العيار وتحتوي من المعدن الثمين ما يفوق قيمتها الاسمية وهذا ما دفع تجار العملة لتحويلها الى الخارج والمضاربة عليها وفق تغير أسعار الصرف العالمية كما ظهرت محاولات لتزوير الجنيه الذهبي وصهر الريالات وبيعها كسبائك فضية وسارعت الحكومة الى سحب الجنيه الذهبي من التداول في العام التالي لاصداره وفكرت الحكومة في اللجوء الى العملة الورقية (البنكنوت) ولكنها اصطدمت بقاعدة شرعية (التساوي في المبادلات) كما أن نظام المؤسسة لا يسمح لها بذلك وعكف المسؤولون لايجاد طريقة لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ونظام المؤسسة لاصدار مثل هذه الأوراق فكانت سندات الحج (إيصالات الحج) الصادرة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

أصدرت المؤسسة - الايصال الأبيض - فئة

خمسة وعشرة ريالات - وعندما ارتفع سعر الفضة في نيويورك عام ١٩٥٥م شهدت البلاد حركة تسرب سريعة للفضة فسارعت الحكومة الى سحب الريال الفضي من التداول وتلبية طلبات الحجاج بواسطة - ايصالات الحج - يسددون بها نفقاتهم وكانت هذه الايصالات بداية إدخال الورق النقدي للتداول.

وقد نجحت إيصالات الحج في أداء مهمتها وهي حماية الريال الفضي من التهريب خارج البلاد وبسبب هذا النجاح قررت الحكومة سحب الريال الفضي نهائياً من التداول والتوسع في طباعة العملة الورقية بدءاً من عام ١٩٥٥م(٩).

**النقد الورقي السعودي:**

في أول رجب ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م صدر نظام النقد العربي السعودي بالمرسوم «٦» الذي حدد قيمة الريال بعشرين قرشا وكل قرش خمس هللات وجعلت قيمة الريال تساوي (١٩٧٤٨ر٠ غرام ذهب خالص) وجعل الدولار يساوي ٥ر٤ ريال سعودي.

وفي المحرم ١٣٨١هـ يونيه ١٩٦١م خرج النظام النقدي السعودي رسمياً عن نظام المعدنين لينتقل الى نظام النقد الورقي الالزامي المغطى بالكامل بالذهب والاصول الاجنبية وذلك اثر تعديل نظام المؤسسة التي صار لها حق اصدار النقد الورقي بدلا من ايصال الحج(١٠) ومنح التعديل للمؤسسة صلاحية بيع وشراء الذهب والعملات الأجنبية للمحافظة على استقرار العملة وأعلنت المؤسسة التزامها بالمادة«٨» من اتفاقية صندوق النقد الدولي(١١).

وتتابعت النقود الورقية مما جعل السكان يألفونها ويعتادون شيئا فشيئاً على التعامل بغير الذهب والفضة بينما بقيت دول الخليج تتعامل بالروبية الهندية التي تشتريها المصارف التجارية من مصرف الاحتياط الهندي ومن هنا برزت المؤسسات المصرفية في جزيرة العرب وكانت بريطانيا تصدر النقود الورقية خلال تواجدها في منطقة الخليج باشراف مجلس النقد المخصص لاصدار نقود المستعمرات البريطانية وتغطى هذه العملات بالاسترليني وسندات مودعة في لندن فشكلت مجالس للنقد في دول الخليج (اليمن واتحاد الجنوب الغربي والبحرين ١٩٦٤م - قطر ودبي ١٩٦٦ - عمان ١٩٧٠م) أما مجلس النقد الكويتي فشكل عام ١٩٦٠م واصدر في ١٩٦١/٤/١م الدينار الكويتي وقدر بالذهب (٤٨٨٢٨ر٢ غرام) أي ما يعادل تماماً الجنيه الاسترليني. وعلى الفور سحب مصرف الاحتياط



الهندي الروبيات الهندية البالغة (٣٥٠) مليون روبية من اصل (٥٠٠ مليون روبية) متداولة في شبه الجزيرة العربية.

كما اصدرت اليمن - الريال اليمني بما يعادل من الذهب (٨٢٩٤٢٧ر٠) غرام اي ثلث الليرة الاسترلينية وهو مساو تماماً للريال النمساوي - الريال الفرنسة - ماري تيريزا) الذي سحب من التداول اما العملات الوطنية لدول الخليج فقد بدأت تظهر تباعاً، فتلاشت الاوراق الاجنبية من التداول - كما ظهرت المصارف تباعاً كالبنك الاهلي التجاري وبنك الرياض الوطني وغيرها من البنوك الاخرى في دول الخليج(١٢).

وما ان جاء عام ١٣٩٠هـ حتى اكتملت قاعدة النظام النقدي السعودي مع بداية خطة التنمية الأولى (١٣٩٠ - ١٣٩٥هـ) حيث صار نظاماً حديثا يضاهي افضل النظم النقدية المعاصرة، وصار الريال السعودي من اقوى العملات التي تتمتع بثقة الناس في الداخل والخارج.

**أسعار الصرف:**

تمتعت أسعار الصرف بثبات نسبي في ظل - اتفاقية - بريتون وودز - حيث لم تحدث تقلبات حادة في الأسعار التي تخضع لرقابة صندوق النقد الدولي وموافقته ورقابته للخلل الذي يمكن حدوثه في الاقتصاد الوطني فقد تخفض الدول اسعار عملاتها عند عجز ميزان المدفوعات وتعمل لحماية الصناعات المحلية بترشيد الواردات وحفز الصادرات.

وعندما ساد نظام - التعويم - في مطلع الستينيات صار سعر الصرف خاضعاً لمبدأ العرض والطلب ولا تتدخل السلطات النقدية إلا لتمنع المضاربة بالعملات. وعندما أعلن تعويم الدولار ١٩٧١م وهو يعني انهيار النقد الدولي حيث اتجه العالم لابعاد الذهب نهائياً عن مجال التبادل وأساس التقويم وظهرت وحدة حقوق السحب الخاصة كوسيلة تقويم رئيسية وموجود احتياطي للسيولة الدولية.

بقي الريال السعودى منذ ظهوره مرتبطا بالدولار بينما كانت معظم العملات الخليجية ترتبط بالاسترليني وفي عام ١٩٦٠م ارتبط الريال بسعر ثابت مع العملات الرئيسية المرتبطة بالدولار وكان سعر التبادل (٥ر٤) ريال لكل دولار.

وعندما خرجت امريكا عن قاعدة الذهب بالتعويم عام ١٩٧١م - انخفض سعر الدولار فقررت مؤسسة النقد خفض سعر الدولار من (٥ر٤ - الى ١٤ر٤) ريالا للدولار الواحد ومع استمرار تدهور



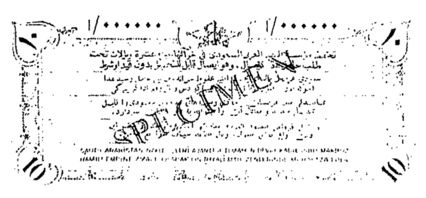

*الإيصال الابيض للحجاج اول مراحل النقد الورقي*

سعر الدولار جرى تخفيض آخر تجاه الريال بنسبة ١٦٪ ليصبح سعر الدولار (٥٥ر٣) ريالا(١٣).

وفي مارس ١٩٧٥م قررت مؤسسة النقد استخدام وحدة حقوق السحب الخاصة والخروج عن الارتباط بالدولار، على هذا يتم تحديد قيمة الريال التبادلية مع بقية العملات الدولية من خلال وحدة حقوق السحب الخاصة وصار الريال السعودي يعادل (٢٨٥٥ر٤) ريالا لكل وحدة حقوق سحب خاصة واحتفظت المؤسسة لنفسها بحق تحديد سعر الريال مع الدولار لمنع التذبذب اليومي للريال بينما ترك الريال يحدد قيمته مع العملات الأخرى على أساس السوق الحرة ووفق نظام التعويم.

وفي عام ١٩٨٦م حدد سعر الريال بالنسبة للدولار بما يعادل (٧٥ر٣) ريالا للدولار الواحد نتيجة لانخفاض العائدات النفطية بالدولار.




الإيصال الابيض للحجاج اول مراحل النقد الورقي

الهوامش:

(١) النقود للكرملي ص١٧٦.

(٢) الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ـ د. عبد الفتاح حسن ابو عليه/ مطبوعات الدارة/٦. ومقال ـ العملة حتى عهد الملك عبد العزيز/ مجلة الحرس الوطني عدد ٧ ـ محرم ١٤٠٢هـ. وماضي الحجاز وحاضره ـ حسين محمد نصيف ص١٩٠.

(٣) التنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية ـ للدكتور سيد عيسى مطابع السعودية ـ الرياض ١٤٠٢هـ. والنقود في النشاط الاقتصادي للدكتور يوسف عبد الوهاب ص١٢١ ـ مطابع الجزيرة عام ١٩٧١م.

(٤) الريال السعودي لبنة في صرح التقدم الاقتصادي ـ د. توم شي ـ مقال نشر في كتاب ـ مختارات في قافلة الزيت.

(٥) بناء المملكة العربية السعودية في التاريخ الحديث والمعاصر ـ د. عبد العزيز الرفاعي ود. سيد احمد يونس ص٢١١ ـ المكتبة العالمية بالقاهرة ط ١٩٧٨م.

(٦) معجزة فوق الرمال ـ أحمد عسة ص٣٥٧.

(٧) بناء المملكة العربية السعودية في التاريخ الحديث والمعاصر ـ مصدر سابق ص٢١٥.

(٨) مقدمة التقرير السنوي للمؤسسة عام ١٣٩٧هـ و ـ بعض النظم النقدية والمصرفية ـ د. فؤاد دهمان ص١٦ ـ ١٧.

(٩) الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ـ د. عبد الفتاح حسن ابو عليه ـ منشورات الدارة.

(١٠) جريدة الرياض ـ ٦١٩١ ـ الاربعاء ١٧/ رمضان/١٤٠٥هـ ٥/حزيران/١٩٨٥م مقال د. وديع احمد كابلي ـ استاذ الاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز.

(١١) التطور التاريخي للانظمة النقدية في الاقطار العربية ـ ط مركز دراسات الوحدة العربية وصندوق النقد الدولي. ط١ ص١٣٢ ـ ١٣٣.

(١٢) بعض النظم النقدية والمصرفية ـ د. فؤاد دهمان ص١٦ ـ ١٧ والاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ـ د. عبد الفتاح ابو عليه ـ منشورات الدارة.

(١٣) د. سيد حامد ـ تطور النظام البنكي المركزي في المملكة اصدار معهد الادارة العامة عام ١٣٩٩هـ.

# الخروج عن النص

## مسرحية من فصل واحد

**خالد حمدان**

- مصر -

إن «المسـرحـيـة ذات الفـصـل الواحد» كانت مسابقة المنهل الثالثة للنشاط الابداعي.. وتقدم للمشاركة في هذه المسابقة عدد موفورمن المسرحيات .. وهذه المسرحية إحدى المسرحيات الفائزة في هذه المسابقة.

**المكان: لا مكان**
**الزمان: لا زمان**
**شخوص المسرحية**

***الشخص الأول:*** ***شاب في العشرينات من عمره رثّ الهيئة يعمل مشرفاً فى دار حضانة***

***الشخص الثانى:*** ***رجل فى الأربعينات، وأب لأحد أطفال الدار. وسيم. يرتدي حلّة كاملة ونظارة طبية.***

(ينفتح الستار على المسرح، وهو عار تماماً إلا من بعض لعب الأطفال المبعثرة على الأرض، وكرسى خشبي فى منتصف المسرح تماماً، وعلى جانبى الكرسى بمسافة يقف شخصان: الأول يقف الى يمين المسرح والثانى إلى اليسار، وكل منهما مربوط بحبل من جزعه، وكلا الحبلين مشدودان إلى أعلى ناحية سقف المسرح).

الأول:

(ناظراً إلى الثانى بتفحص) نعم. ابنك يحتاج إلى مزيد من الرعاية النفسية، ليس هنا فقط بل فى المنزل أيضاً. ابنك له ميول عدوانية حادة يا أستاذ.. وبمرور الوقت ستنمو هذه النزعة العدائية بنموه، وخاصة أنه يصاب بما يشبه الاكتئاب إذا لم يمارس هذا النزع العدائى. انظر (يشير بيده تجاه الكواليس ويُسمع فى هذه اللحظة صوت أطفال يتصاحيون) تأمل كيف يتعامل مع الأطفال بشراسة وعنف، رغم أنهم فى نفس السن، وفى نفس درجة النمو الجسمانى ولا أعتقد أن شراسته تلك ترجع الى عوامل وراثية لأنك تبدو هادىء الطباع، ومتزناً كذلك، صدقنى لو لم أرك لقلت أنها عوامل وراثية.

الثانى:

كلا. إن أخويه فى غاية الهدوء والوداعة، بيد أن هذا الولد لم يأخذ الرعاية الكافية بسبب موت والدته إثر ولادته، وانشغالى الدائم فى العمل و...

الأول:

(مقاطعاً) أعلم ذلك، كل ما تقوله مدون فى سجلات الدار.

الثاني:

لقد تعبتُ .. تعبتُ جداً، ولا أدرى ماذا أفعل

# مسابقة المنهل للنشاط الإبداعي «٢»

المسرحية ذات الفصل الواحد

قسيمة اشتراك

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل
تحية طيبة..
فضلا ارجو الاشتراك في مسابقة المنهل للنشاط الابداعي (المسرحية ذات الفصل الواحد) المعلن عنها في العدد (٥١٣) ومرفق لكم طيه مشاركتي بالعمل
الموسوم بـ: الخروج من النص
تاريخ الفراغ منها: ١٩٩٣
تفاصيل عن هذا العمل: يقع هذا النص المسرحي في منطقة وسط بين مسرح العبث ومسرح اللا معقول ويتكئ على ركيزة هي الإنسان وحريته في اختيار الفعل ومدى قدرته على الاختيار
اسم الكاتب (الكاتبة): خالد حمدان محمد السيد
السن: ٤٢ عاماً
العنوان: ٢٢ شارع صلاح سالم - الجيزة - مصر
القطر: جمهورية مصر العربية
المدينة: الجيزة
ص. ب: —
رمز بريدي: ١٢٢١١
تليفون: ٥٧٤٤٢١٩ (ك) فاكس: ٥٦١٣٩٢ (ع) تلكس:
معلومات اخرى: الفائز بجائزة المنهل في القصة (١٩٩٣) وفي الشعر (١٩٩٢) المركز الأول.

A-١

٥٥٥ ALMANHAL Issue No. 513 VOL. No 55 RAM. 1414H, FEB, MAR 1994C.



الأول:

(يتحسس الحبل حول وسطه بمرارة) نعم. لا أحد يدرى ماذا ينبغى أن يفعل، وماذا يجب أن يريد (يدور فى اتجاه الجمهور) علينا أن نحدد أولا ماذا يجب أن نريد، ومن ثمَّ نحدد ماذا ينبغى أن نفعل (يسكن، قليلا ويتجه نحو الثانى) هل تقبل حلا صريحاً؟.

الثاني:

نعم. إننى على استعداد لأى شيء حتى يستقيم ابنى شخصاً سوياً.

الأول:

حسناً ، هناك سبيلان لا ثالث لهما، لأن معاملتنا المدللة للطفل ستزيده ثباتا على ما هو عليه، وكذلك معاملتنا الرادعة له ربما تصنع منه شخصا معقداً جباناً أو.. (يضحك بصوت عال) شخصاً متمرداً علينا عابثاً بقيمنا وأفكارنا و.. (ينظر للرجل الثانى بتوجس) ربما يؤدى ذلك لأن يكون خارجاً عن القانون وعتيداً في الإجرام و..

الثاني:

(مقاطعا) كُفّ عن هذا يارجل. فأل الله ولا فألك.

الأول:

لا تستهن بالأمر، فإن سلوك هتلر النازى ونابليون وموسولينى الفاشى.. آت من التنشئة الخاطئة فى الطفولة. استمع إليّ يارجل، فأنا متخصص فى علم النفس وأعلم الكثير جداً عن...

الثاني:

(مقاطعاً) كفى. قل ما لديك من الحلول.

الأول:

وهل ستوافق على ما أطرحه عليك؟ (يومىء الثانى برأسه موافقاً فيستمر الأول فى الحديث) حسناً. الحل الأول هو أن تقتل ابنك.

الثاني:

(مفزوعاً) ماذا؟

الأول:

(بإصرار) تَ.. قْ.. تُل.. ابْ.. نَ.. ك.

الثاني:

هل جننت يا رجل؟ (يهزُّ الأول رأسه نافياً) أقتل ابنى؟ (ويقهقه بصوت عال) ظننتك تتحدث بجدية.. ها.. ها.. يا لها من آراء.. هأ..هأ. ولماذا تريدنى أن أقتل ابنى أيها الفيلسوف الهمام؟

الأول:

إهدأ يا رجل، إننى أتحدث بجدية تماماً. (يصمُتُ قليلا) استمع إليَّ وكنْ موضوعياً، ولا تدع رغباتك الفردية تسيطر على منظورك العام للمجموع من حولك. المجموع. الناس. كل من حولك.

الثاني:

وما دخلُ هذا بموت ابنى؟

الأول: سأضرب لك مثلا بسيطاً، لو أن لدينا سلة

من التفاح الجيد وبها تفاحة واحدة فاسدة، تُرى...

الثاني:

(مقاطعاً) هل هذا وقت الحكم والمواعظ يا رجل؟

الأول:

هل رأيت كيف تتحكم فيك نزعاتك الفردية؟ إنك لا تصبر حتى على الاستماع إليّ، إن مقاطعة العون الآخر أنانية وهمجية وقمع لحريات الآخرين. هل تعي هذا؟

الثاني:

(ساخراً) نعم .. نعم .. أكمل حديثك أيها الفيلسوف.

الأول:

إن وجود تفاحة فاسدة فى سلة تفاح جيد شيء يلحقُ الضرر بالسلة بأكملها. أليس كذلك؟ (يومىء الثاني برأسه موافقاً فيستمر الأول فى الحديث) لو افترضنا جدلا أن ابنك لا سبيل إلى إصلاحه نفسياً، أليس من الممكن أن يؤذيك ويؤذى الآخرين ونفسه بهذه الأفعال التى لا يأتيها طفل غيره؟ مثلا: أن يفقأ عين طفل آخر، أو يقتل طفلا أثناء مزاحه الثقيل، ألا تذكر البنت التى جرحها فى وجهها الأسبوع قبل الماضى؟ ألا تذكر كيف توعدك أبوها بالأذى؟ وأنت أبوه. أى أنك متولٍّ أمره بالرقابة قانوناً .. هل تفهمنى؟

الثاني:

نعم .. نعم .

الأول:

حسناً ولو لم يفعل ذلك وهو صغير السن هكذا هل تضمن ألا يفعل ما هو أكثر من ذلك عندما يكبر فى السن؟ ألا يحتمل أن يؤذى الكثيرين، ناهيك عما إذا كان فيما بعد ناجحاً فى حياته العملية، وله مركز وظيفى مرموق أو .. (يصمت للحظة) ربما يصبح قائداً يودى بمجتمعه الى الهلاك مثل هتلر أو يودى به الى الانحلال مثل سارتر أو ربما..

الثاني:

(مقاطعاً) ولكن ..

الأول:

(مقاطعاً) لا تنظر إلى نفسك فقط، بل انظر إلى الآخرين. انظر إلى المجموع يارجل. (يصمت قليلا ثم يستكمل حديثه) لو ظل كل منا ينظر إلى نفسه فقط ولمصالحه الفردية لعدنا إلى عصر الهمجية.

الثاني:

ولكن .. كلا .. لا .. لا أستطيع أن أقتل ابنى .. لا أستطيع، إنه ابنى .. ابنى يارجل. لا أستطيع الحياة بدونه هل تتخيل أن أبتر قطعة من قلبى وارمى بها فى البحر؟ هل تتصور أن أتخلى عن ابنى؟

الأول:

وهل هذا يعنى أنك رفضت الحل الأول برُمَّته؟ (يومىء الثانى برأسه موافقاً) حسناً. إنك الآن مهيىء لسماع الحل الثاني، وفى هذه الحالة لن يكون أمامك خيار آخر.

الثاني:

قُلْهُ بسرعة.

الأول:

اقتل المؤلف.

الثاني:

أى مؤلف؟

الأول:

مؤلف المسرحية.

الثاني:

ماذا؟

الأول:

مؤلف هذه المسرحية، أليس هو صانع كل هذه الأزمة؟!

الثاني:

ولكن هذا صعب جداً.

الأول:

المضطرُ يركبُ الصعب يا صديقى، وأنت

حسبما أرى مضطر جداً إلا إذا كنت تريد أن يكون ابنك عنصراً فاسداً في المجتمع وأن تتعذب أنت لأجل ذلك. صدقني ليست هناك بدائل أخرى.

الثاني:

ولكن هذه جريمة قتل.

الأول:

ولماذا لا تقول أنه دفاع عن النفس.

الثاني:

(يضع رأسه بين كفيه) اللعنة على هذا الدور.

الأول:

وكما قلت لك، لن تستطيع تغيير الدور لأن مؤلف المسرحية لا يريد ذلك.

الثاني:

حقاً؟ ويريدني أن أكون شخصاً معذباً قليل الحيلة، وأن يطلع ابني شخصاً معقداً وعدوانياً وبعد هذا كله يدينني أمام الجمهور (يشير بكلتا يديه ناحية الجمهور) ويريد تصفيقهم وإعجابهم، وعلى حساب من؟ أنا .. وابني المسكين (ينظر للجمهور مخاطباً) هيّا صفقوا.. هيا صفقوا كما يريد لكي تنجح مسرحيته. (يصفق الجمهور).

الأول: (مشيراً إلى الجمهور) هل رأيت؟ إنهم مرضى بداء اللامبالاة. تبكي أنت من أعماقك بينما هم يصفقون إنهم لا يكترثون ببلائنا. يجب أن تفعل ما أوصيتك به يجب أن نتخلص من هذا الدور.

الثاني:

نعم. لا شيء يرغمني على الاستمرار في ذلك الدور. العين بالعين.. (يضرب على كفه اليسرى بقبضته اليمنى) والبادي أظلم. وهو الذي بدأ وسأجعله يندم على ذلك أشد الندم.

الأول: (بصوت منخفض) أخفض صوتك يارجل، إننا الآن قد خرجنا عن النص ولا ينبغي أن ترفع صوتك حتى لا تثير حفيظة المؤلف، وحنق الجمهور.

الثاني:

(غاضباً) ولماذا لم يثر حفيظة الجمهور تعذيبي، أو مرض ابن النفسي؟ إن هؤلاء الناس (مشيراً إلى الجمهور) هم السبب الرئيسي في كل هذا . هل يفعل المؤلف بنا ما يفعل إلا من أجل إرضائهم؟!

الأول: أخفض صوتك يارجل.

الثاني:

(منفعلا) لن أخفض صوتي. يجب أن يعلم الجميع أنني خرجت عن النص ولن.. (يضع كلتا يديه على صدره ويتأوه وتتلاحق أنفاسه) آاه .. قلبي .. قلبي.

الأول:

ماذا حدث؟ ما خطبك يا رجل؟.

الثاني:

(بصوت متقطع) قلبي .. قلبي .. عاودتني النوبة .. (يترنح الثاني وهو في مكانه بينما يحاول الأول الاقتراب منه ولكنه يفشل بسبب قصر الحبل الذي يربطه)

الأول:

إهدأ يا رجل . حاول أن تستريح. حاول أن تصل الى الكرسي.

الثاني:

(يحاول الاقتراب من الكرسي ولكن الحبل يمنعه من أن يصل إليه) آاه .. آه .. لا أستطيع .. ساعدني أرجوك .. ساعدني .. آآه (يحاول الأول أن يصل إليه ليساعده ولكنه لا يستطيع بينما يترنح الثاني بشدة ويستمر في التحدث بصوت متقطع) آه .. هذا الدور اللعين .. قلبي .. قلبي .. يبدو أنها النهاية . سأموت .. آااه .. سأموت قبل أن أحرر ابني من هذا الدور اللعين.

الأول:

إهدأ يا رجل وحاول أن تجلس. أمامك خطوتان فقط. خطوتان لتصل الى الكرسي. حاول، وستنجح.

الثاني:

(يحاول الاقتراب من الكرسي. يتعثر. يسقط على الأرض) لا أستطيع. سأموت. أريد ماء. كوب

مـاء لكى ابتلع حبَّة الدواء (بإعـيـاء) مـ ٠٠٠ ـــــا ااا٠٠٠ ء ٠٠٠

الأول:

(بفزع) ماء ٠٠ ماء ٠٠ كوب ماء يا حسن ٠٠ يا على ٠٠ يا أم عمر ٠٠ يا أى شخص (يتحسس الحبل حول وسطه ويتحدث بنبرة منخفضة) سيموت الرجل ٠٠ يجب أن أساعده (يرفع نبرة صوته متجهاً بالحديث الى الثانى) يا رجل قُمْ ٠٠ حاول أن تقوم ٠٠ قاوم لدقائق فقط حتى تخرج عن النص ٠٠ دقائق فقط وتتحرر ويتحرر ابنك٠

الثاني:

(يرفع رأسه ببطء) ماء ٠٠ أريد كوب ماء ٠٠ آه ٠٠ كوب ماء٠

الأول:

حاول أن تبتلعها بدون ماء ٠٠ حاول وستنجح٠

الثاني:

(مستسلماً) لن أستطيع٠

الأول:

(بإصرار) بل ستستطيع٠

الثاني:

(ينهض من نومته على الأرض لوضع الجلوس بصعوبة) أين ٠٠ أين وضعتُ الحبوب (يتحسس جيوبه) ها هى ٠٠ لقد وجدتها ٠ سأبتلع منها بدون ماء٠٠ سأنجح٠٠ أليس كذلك؟

الأول:

كل شيء يتوقف على إرادتك٠ لا أحد سيساعدك سواك (يُخرج الثانى حبة من الدواء ويبتلعها) عظيم ٠٠ رائع ٠٠ هل رأيت كيف يمكنك الصمود؟! هيا ٠٠ هيا قم الآن (يحاول الثانى النهوض دون جدوي) حسناً يمكنك أن ترتاح قليلا٠

(ينام الثانى على الأرض تماماً بينما يحاول الأول أن يصل الى الكرسى بلا جدوى، يتحسس الحبل، يضرب الهواء بقبضته فى عصبية ثم ينظر الى الثانى وهو نائم على الأرض، يجلس بعد ذلك على الأرض فى وضع القرفصاء ويدفن رأسه بين ركبتيه ويظلم المسرح تماماً لثوان قليلة، ثم يضاء المسرح إضاءة خافتة فيظهر الرجلان جالسين فى وضع القرفصاء)

الثاني:

الحمد الله ٠٠ الحمد لله ، كدتُ أموت٠

الأول:

هل كان هذا من مقتضيات الدور؟

الثاني:

نعم٠

الأول:

(يضرب ركبتيه بكلتا يديه بعصبية) هذا مستحيل ٠٠ مستحيل (لا يرد عليه الثانى ولكنه ينهض واقفاً ويحاول الاتجاه ناحيته ولكن الحبل يمنعه) لو أن ما أفكر فيه صحيح، فلن نستطيع الخروج عن الدور أبداً٠ (يمسك بالحبل) لن نستطيع التخلص من هذا٠٠ لن نستطيع٠

الثاني:

ماذا حدث لك يا رجل؟ هل تهذى؟ (ينهض الأول واقفاً)

الأول:

استمع إليّ لو أن المؤلف قد رسم شخصيات هذا النص كما يريد فهو قد رسم شخصيتك كإنسان مريض لن تستطيع فعل شيء، وكلما شئت أن تتمرد، فسوف تأتيك الأزمة القلبية، وربما ٠٠ (يسكت)٠

الثاني:

(بانفعال) ربما ماذا؟٠

الأول:

ربما يقتلك٠

الثاني:

(يرتبك ويتحسس رقبته بيديه) هـ٠٠ هل هذا

صحيح؟ هـ.. هذا هراء.

الأول:

بل حقيقة واقعة. كل ما كان يشغلني اثناء نومك هو إن كان مرضك هذا من مقتضيات الدور أم لا.

الثاني:

(منفعلا) قلت لك لن ننجح لن نستطيع. سوف نخسر المعركة. لن يمكننا.

الأول:

(مقاطعاً) مهلا . إننى لم أستكمل حديثى بعد (يشير له الثاني بيده اليسرى بمعنى تفضل أكمل) فى هذه الحالة لن يكون لدينا سوى أمل واحد.

الثاني:

(مقاطعاً) لدينا؟؟ ماذا تقصد بـ «لدينا»؟ أنا وأنت؟ معاً؟

الأول:

ولمَ لا؟ إن مشكلتك نفس مشكلتى. فأنا أيضاً.. (يسكت)

الثاني:

أنت أيضاً؟ (يقهقه بصوت عال) أنت أيضاً متمرد على النص؟ أنت؟ كيف؟

الأول:

(يتحدث بصوت مرتبك بينما الثانى مستمر فى الضحك) إن كل إنسان لديه طموح فى أن يكون أفضل. طموح وليس طمعاً. إن أبسط حقوق الإنسان هى ان يكون لديه الحق فى أن يحلم. هذه حكمة الحياة. كل شيء يتجه الى أعلى. النبات ينمو إلى أعلى. البنايات ترتفع إلى أعلى. المآذن. الجبال. أعمدة الإنارة. حتى الإنسان يا صديقى يبدأ صغيرا ثم يكبر ويكبر.

الثاني:

لا بأس أيها الطموح. قلت إن هناك أملا واحداً. ماذا عساه سيكون؟

الأول:

(ممسكاً بالحبل) يجب أن نتخلص من هذا. إن هذا الحبل هو كل ما يربطنا بالنص، وبالمؤلف وبهؤلاء (مشيراً إلى الجمهور).

الثاني:

(ساخراً) هذا الحبل؟!

الأول:

نعم. ألم تر كيف أنك لم تستطع الاقتراب من الكرسى عندما انتابتك الأزمة؟ وكيف لم أستطع أنا الاقتراب منك لكى أساعدك؟ إن هذا الحبل يعنى حركتنا المحدودة. إنه السبيل الذى يتحكم المؤلف فينا به. إنه أخطر سلاح يمكن أن يحاربنا به هذا الرجل.

الثاني:

كلا. إن هذا الحبل يعصمنا من السقوط على الأرض، ومن المسير فى الناحية الخطأ. إنه برهان أمننا وسلامتنا.

الأول:

(يضرب كفاً بكف) إنك لا تفهم شيئاً. هذا الحبل ضدّنا.

الثاني:

بل لنا.

الأول: (منفعلا) لقد سقطت على الأرض فعلا عندما انتابتك الأزمة القلبية ولم يعصمك هذا الحبل من السقوط.

الثاني:

ولكنى أشعر أنه مفيد فى شيء ما.

الأول: مفيد؟ مفيد فى ماذا؟ فى خطواتك الضيِّقة؟ فى قدراتك المحدودة؟ فى عزل إرادتنا عن بعضنا البعض؟

الثاني:

ولكني ..

الأول:

(مقاطعاً) ولكنك لا تقوى على الاعتراف بذلك لأن نشأتك ارتبطت بهذا الحبل وحركتك قد أحيطت

به في كل مكان وزمان لدرجة أن ضميرك لا يقوى على مساندتك في تركه بينما لو استطعت التخلص منه ستكون طليقاً حُرّاً.

الثاني:

وهل تضمن ألا أكون شريداً ضالاً.

الأول:

اللعنة. إنك انهزاميّ إلى درجة كبيرة.

الثاني:

من فضلك . احفظ أدبك.

الأول:

آسف جداً . لا بأس. يمكنك أن تفعل ما تشاء، ولكن عندما تمشى بضعة خطوات ولا تستطيع أن تمضى اكثر من ذلك.. تذكر ما قلته لك.

الثاني:

ولماذا يجب أن أمشى أصلا؟

الأول:

ماذا؟ ألا تريد قتل المؤلف؟ لابد أن تمشى وان تكون واسع الحركة وطلق الإرادة.

الثاني:

وبماذا سنقتله؟ بسكين؟ بمسدس؟ ومن أين لنا بهذا؟.

الأول:

لن نحتاج لمثل هذه الأشياء.

الثاني:

كيف؟ هل سنقتله بالتمنّي؟

الأول:

بل بالإرادة. إن هذا المؤلف ضعيف .. هزيل .. لا يمتلك أسلحة سوى قلمه الذى يتوهم انه يُسخِّرُ كلَّ ما فى النص بواسطته لتنجح المسرحية.

(يوميء الثانى برأسه موافقاً فيستمر الأول فى التحدث) ولو أننا عصينا أدواره المزعومة ستتحطم أحلامه الشريرة وينكسر قلمه. إن كل شيء مرهون بالفعل المضاد لنتخلص من هذا القمع الذى يحيطنا به.

الثاني:

كلام جميل. ولكنه كلام نظرى. ليس به ذرة واحدة من الواقعية. دعك من كل هذا الآن لأنى سأقتله كما أريد ولكن بطريقتى الخاصة. (ينظر له الأول مندهشاً بينما يبدأ هو فى فك رابطة عنقه) سوف أقتله بهذا السلاح. لقد فاته وهو يرسم شخصيتى أننى ارتدى حلَّة كاملة ونسى أنه يمكن أن يموت مختنقاً بهذه (يفك رابطة عنقه ويلوح بها).

الأول:

صدِّقنى يا رجل لن تستطيع أن ..

الثاني:

(يقهقه بصوت مرتفع) منْ منّا الآن انهزامى؟ أنا أم أنت؟ إنك حتى لا تصبر على المحاولة، كما أنك كثير الكلام والتفلسف. إن السلاح المباشر لدينا (يشيح ناحيته برابطة العنق) فما الذى يجعلنا نفكر فى أشياء وهمية؟

الأول:

ليست أشياء وهمية. إن الإرادة شيء واقع وسلاح قوي.

الثاني:

ولكنى لا أؤمن بها يا أخى (يضحك بينما يكمل حديثه) هل هى مدببة؟ حادة؟ هل هى محشوة بالرصاص؟ هل يمكننى أن أقذفه بها فيُشجُّ رأسه؟!

الأول:

(يدير وجهه للناحية الأخرى) كفى سخرية أرجوك. إننى كنت أنصحك لمصلحتك. عموماً اقتله بالشكل الذى تريده. المهم هو الجوهر.

الثاني

ولكن هناك شيئا هاماً فات تفكيرنا. (يلتفت ناحيته الشخص الأول فيستكمل الثانى حديثه) أين المؤلف؟

الأول:

حقاً. أين هو؟ (يدور حول نفسه بحيرة) ربما هنا! (مشيراً إلى اليسار) أو هنا (مشيراً إلى اليمين) أو هناك (مشيراً ناحية الجمهور) أو ربما.. (يسكت)

الثاني:

(بعد فترة صمت) لو كان المؤلف ناحية اليمين لما استطاع التحكم فى يسار المسرح ولو كان ناحية اليسار لما تحكم فى اليمين لابد أنه هنا فى المنتصف (مشيراً بيده نحو الكرسى الذى يتوسط المسرح ثم يتحدث هامساً) ربما يكون غير مرئى.

الأول:

(ساخراً) هل هو شبح مثلا. إنه إنسان مثلى ومثلك.

الثاني:

أين هو إذن؟

الأول:

إنه لا يحتاج أن يكون قريباً منا. إنه يستطيع تحريك الشخصيات من أى مكان وفى أى وقت.

الثاني:

هذا الوقح التافه. هل يظن نفسه إلهاً؟!

الأول:

ليس لهذه الدرجة ولكنه بلا شك يمتلك قدرات كبيرة وعالية بالقياس الى قدراتنا الراهنة.

الثاني:

(بتوجس) لم يكن هذا رأيك فى البداية.

الأول:

ماذا تقصد؟

الثاني:

إن ما أقصده واضح جداً انك تدافع عنه باعتزاز جمّ وهذا لا يعنى سوى شيء واحد.

الأول:

(ساخراً) ما هو يا سعادة الفيلسوف؟

الثاني:

أنت المؤلف

الأول: (منزعجاً) ماذا؟ أنا؟

الثاني:

نعم لقد تكشّف الأمر تماماً. أنت الذى شجعتنى على التمرد على الدور، والآن تحبطنى لتشعرنى بالعجز والاضمحلال أمام نفسى. لتسخر منى أنت وجمهورك هذا (مشيراً للجمهور)

الأول:

كلا. كلا البتة. إننى.. إننى مجرد مشرف فى دار حضانة أتقاضى تسعين جنيها فى الشهر وأسكن فى غرفة ضيقة وأحب ابنة الجيران منذ ثلاثة أعوام و..

الثاني:

(مقاطعاً بسخرية) ولا تستطيع أن تتزوجها.

الأول:

(بتوجس) نعم.. هذا صحيح. كيف عرفت ذلك؟ هل تقرأ الطالع وتعرف المستور؟ أم.. (يتحرك خطوة واحدة تجاهه ويتحدث بعصبية) أم أنت شخصياً المؤلف وتسخر منى كل هذه السخرية؟!

الثاني:

لا. بل أنت المؤلف.

الأول: أليس المؤلف هو الذى يعرف كل شيء عن شخصياته؟!

الثاني:

إن ما عرفته عنك مجرد استنتاج طبيعى فأنت محدود الدخل ولا تستطيع الزواج لضيق ذات اليد.

الأول:

(منفعلا) أنت كذاب.

الثاني:

بل أنت الكذاب (يتجهان ناحية بعضهما، ويرتخى الحبلان المدليان من السقف ويصل كل منهما إلى الآخر ويبدآن فى الشجار)

الثاني:

انتظر.

الأول:

(يبتعد خطوتين للوراء) ماذا؟ هل هى لعبة أخرى من ألاعيبك أيها المؤلف الفذ؟

الثاني:

انظر .. انظر كيف زاد طول الحبلين عندما كنا نتشاجر. إن هذا له دلالة واضحة. لست أنت المؤلف ولا أنا ولكن المؤلف يريد الوقيعة بيننا.

الأول:

(يجلس على الأرض) يا له من مكار خبيث. إنه يريد أن يوقع بيننا لأننا خرجنا عن النص. هذا آخر ما لديه. (فترة صمت).

الثاني:

(يمسك بالحبل الذى يربطه من وسطه وينظر إليه بتوجس ثم يتابع امتداده ببصره حتى سقف المسرح) عرفت مكانه .. إنه هنا .. هنا (مشيراً لسقف المسرح)

الأول:

(ينهض واقفاً) وكيف عرفت ذلك؟

الثاني:

لكى يتحكم فى الحبال طولا وقصراً لابد أن يكون فى أعلى المسرح. لقد كنت مُحقاً من البداية. إن المشكلة تكمن فى هذا الحبل ولو تخلصنا منه سينتهى كل شيء.

الأول: ولكن هذا الحبل سيكون سبيلنا للوصول إليه.

الثاني:

(صائحاً) نعم .. نتسلقه ونقتل المؤلف .. نقتله. (يصيحان فرحين ويتصافحان)

الأول:

هيا إذن نتسلق الحبل. (يبدآن فى تسلق الحبلين ولكنهما يسقطان على الأرض ويحاولان مرة أخرى ويسقطان على الأرض ويحاول بعد السقوط الثانى بمفرده ويصل الى منتصف الحبل ولكنه يسقط على الأرض ويظلم المسرح تماما ويسمع صوتاهما فقط).

صوت ١: هل تعتقد أننا فشلنا تماماً؟

صوت ٢: بل خسرنا جولة واحدة. وهذه ليست نهاية المحاولة.

صوت ١: هل نحاول مرة أخرى؟

صوت ٢: وإن لم ننجح فسنكون قد نلنا شرف المحاولة.

صوت ١: وإذا متنا قبل أن ننجح.

صوت ٢: لن يقال أننا متنا مهزومين . بل متنا ونحن نكافح.

صوت ١: وماذا سنفعل؟ إن هذا الرجل قوى جداً. أليس كذلك؟

صوت ٢: فعلا.

صوت ١: ولكننا أيضاً أقوياء. ألا تعتقد ذلك؟

صوت ٢: ربما.

(بينما يستمر المسرح مظلماً بينما تسلط بقعة من الضوء على وجه الرجل الثاني)

الثاني:

يجب أن نتخلص من هذا الحبل. كل ما قلته بشأنه كان صحيحاً من البداية وأنا الذى عاندتك. إن العناد غريزة بشرية شأنه شأن كل شيء.. ربما نستمتع بالعناد ونحن نمارسه ولكننا كثيراً ما نندم على ذلك. سامحنى يا صديقى .. سامحنى. (يصمت قليلا) يجب أن نتخلص من هذا الحبل فحسب وإن لم نستطع قتل المؤلف فلا

ضـيـر لأننا سـوف نكون أحـراراً على كل حـال.
سـاعدني. سـاعدني في التخلص من هذا الحبل
اللعين ساعدني.. ساعدني يا صديقي.

(يظلم المسرح تماماً ويسمع صوتا الرجلين
وهما يسعيان للتخلص من الحبل الذي يقيد الرجل
الثاني)

صوت : هيا أجذب من ناحيتك. اجذب. لقد
أوشكنا.

صوت : حسناً . لم تبق سوى عقدة صغيرة ..
هيّا .. اجذب.. هيّا

(يسمع صوت ارتطام شديد وتسلط أضواء
خافتة متقطعة تقطعاً سريعاً على المسرح ، ثم
يضاء المسرح ويظهر الشخص الأول مربوطاً كما
كان بالحبل بينما الثاني ملقى على الأرض ويظهر
الحبل الذى كان يقيده متدلياً من السقف ومنتهياً
الى الأرض)

الأول:

(صارخاً) نجحنا .. نجحنا .

الثاني:

(ينهض ممسكاً رأسه بكلتا يديه، ويترنح) آه
.. رأسي .. آااه .. رأسي .. رأسي.

الأول:

أصمد يا رجل . لقد تحررت .. أنت حر ..
أنت طليق كالعصافير.. وحُرٌّ كنور الصباح.
(يصمت برهة) هل أنت متعب حقاً؟ (يستمر الثاني
فى الترنح) لا بأس لقد بذلت مجهوداً كبيراً حتى
نجحت فى هذا.. ولكنك الآن حر.. يجب أن
تسعد بذلك.

الثاني:

(يقف ثابتا وينزل يديه من على رأسه وينظر
الى الأول بذهول) أين أنا؟ من أنت؟ مـا هذا؟
(مشيراً إلى الحبل) أريد طعاماً .. أريدُ .. أريـ
... ـد .. آااه .. رأسي .. رأسي ..

(يمسك برأسه مرة أخرى)

الأول: (كأنه يخاطب نفسه) ماذا حدث؟ هل فقد
الرجل الذاكرة؟! أم جُنَّ من شدة غبطته بالحرية؟!

الثاني:

(ينزل يديه من على رأسه) من أنت؟ هل أنت
عدو؟ هل أنت مسلح؟ هل جئت تسطو على
الطعام.. آاه .. آاااه .. رأسي .. رأسي
(يسقط على الأرض)

الأول:

مالك يارجل؟ هل انتابتك الأزمة ثانية؟

الثاني:

(محاولا النهوض بتعثر) أزمة؟ ماذا تعني؟!
«أزمة»؟ (ينهض واقفاً ويتلفت حوله) أنا .. من
أنا؟ من؟.

الأول:

(يدفن رأسه بين كفيه) مستحيل ..
مستحيل.

الثاني:

(مستمرا فى الدوران حول نفسه) من أنا؟!
من؟! ما هذه الأشياء (ممسكاً بملابسه) ما هذه
الأشياء. أريد طعاماً .. أريد ماء.

الأول:

(صائحاً) تمالك نفسك يارجل .. تماسك
أرجوك. (بينما الثاني مستمر فى الدوران حول
نفسه والهذيان) حاول أن تمسك بالحبل.. حاول
أن تعود كما كنت .. أمسك بالحبل .. إنه قريب
منك .. حاول أن تربط به نفسك .. حاول أن
تعود (يستمر الثاني فى الدوران حول نفسه
والهذيان) حاول يارجل .. أمسك بهذا الحبل ..
إنه ليس سيئاً .. إنه السبيل الوحيد .. حاول
أرجوك .. حاول .. حاول .. حاول..

(يسقط الرجل الثاني على الأرض)

■ ستار ■

**د. ثريا العريض**

# خطوط للنسيان

هل حدث أن عدت يوماً الى كراسة قديمة جمعت بعض اهتماماتك وشجونك في مرحلة ماضية..؟ .. أو هل حدث يوماً أن وجدت صورة قديمة لك في ألبوم صور منسي في زاوية ما؟ كم تبدو تلك الملامح التي كانت ترسمك مغتربة عنك اليوم..! وكم أصبحت تلك الأمور غير ذات أهمية بعد انقضاء زمانها..!

لا تلك التي أفرحتك احتفظت ببريق هالات الفرح.. ولا تلك التي أشقتك احتفظت بحرارة الوجع ولا ملوحة الدموع.. ولا تلك التي أزعجتك وآلمتك احتفظت بحدة أشواكها القاسية.

حين تقف الآن تتأملها وبينك وبينها مسافات الزمن تعود مجرد خطوط باهتة.. ذاكرة شاحبة لأحداث مضت أثارتك ذات يوم الى حد نقشها على الورق وكأنها ستخلد بذاك أبداً.

خطوط يخلدها الحبر والورق مثلما يخلد الماء والدم .. الى حين..!

ثم تبهت ومصيرها ـ كمصير الحبر والورق ـ الى زوال ..

أما أحاسيسك المضطرمة التي أملت نكهتها حلاوة ابتسامة او مرارة صرخة او ملوحة دموع .. فقد تلاشت .. وغدت الآن خالية من المذاق .. وكم كنت ساذجاً. حين حسبتها طوفانات لن تغيض وبراكين لن تهدأ وحرائق لن تنطفيء..!

ها هو السكون يلف عالمك الآن بعد الأنواء والأعاصير .. وقد وقفت عن مطاردة السراب وملاحقة قوس قزح.

ما الذي يخلد إذن؟.. ما الذي دفعك الى تكبيل أوار تلك اللحظات العارمة سطوراً على ورق؟ أو نقش ملامح خلتها يوماً معالم وجهك؟

ربما هو غرور الإنسان إذ يحسب أن مشاعره في اللحظة العابرة هي من الأهمية بحيث تستحق الخلود.

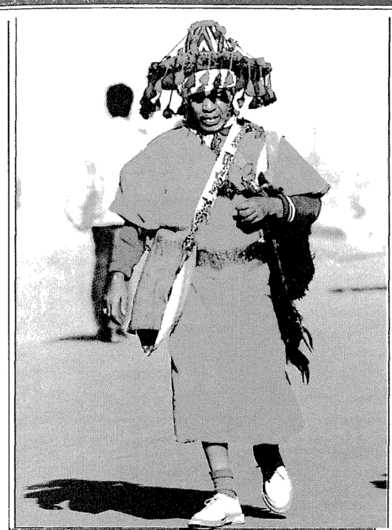
وربما هو تعبير عن العجز البشري عن تحمل كل تلك المشاعر دون الفيضان بها بصورة ما.

وربما هو اعتراف غير مباشر من اللاوعي الأعمق بأنها لحظات منذورة للنسيان .. وفي محاولة مستميتة للاحتفاظ بشيء منها نلجأ الى تسجيلها مدركين بأنها لن تدوم.

ومع هذا فهي إن لم تكن قادرة على الخلود في عنفوانها، قد تظل محتفظة بشيء من الوميض يتصاعد بخفقات قلبك دمعة تترقرق وأنت تستعيدها لحظات أمست زرقة حبر باهت.


مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح مجلة
٨٥
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقريء الملامح ويرسم اللوحة
من القاهرة
الى المنيا
عبر وادي
النيل
السويد
خواطر
وتأملات
وحيد
القرن
المدلل
في هذا العدد من
السائح

# السقا والسقاية



«السقا» كان الظاهرة المنتشرة فـ الأحياء بكثرة في قديم الزمان٠٠ وبمرو الزمن كادت ان تنقرض تلك الظاهرة٠ والآن تحول السقا إلى ظاهرة ديكور وسياحية٠٠ ملابسه المزركشه ذا الالوان القوية، قبعته التى تتدلى منه مجموعة من الخيوط الملونة فى تناس جميل٠٠ هذا المظهر بكامله يمثل لوح جميلة، لها وقعها فى نفوس الناس٠ ويبدو أن زيّ السقا يختلف باختلاف الازياء حسب البلدان ٠٠ والتراث غن بالمعلومات عن السقا والسقاية، مـ تصفحناه

## مسرحية النصر

هذه اللقطة تبدو في ظاهرها أنها صراع مرير وحاد بين هذا الثور وطائر (الكندور) الأمر في حقيقته استعادة لتاريخ صراع تعاقبت عليه القرون بين الأسبان وبين بيرو) فى امريكا الجنوبية منذ أن حط (كلومبس) قدميه على تلك البلاد٠

أهل (بيرو) يسمون الاسبان (الغزاة) ويرمزون اليهم بـ (الثور)٠٠ ويرمزون إلى أنفسهم بطائر (الكندور)٠٠ وهو من فصيلة النسر، اكبر منه، ويصل طول جناحيه عند فردهما إلى ثلاثة امتار٠ اهل (بيرو) يقيمون احتفالا كل عام، يستعيدون فيه ذكرى غزو الاسبان لبلادهم، وتسكنهم رغبة ملحة في الانتصار عليهم، حتى وان تم الأمر فى اخراج مسرحي٠٠ ولتحقيق هذه المسرحية يحضرون ثوراً، ويأتون بهذا الطائر النادر ذي المنقار الحاد فيلقون به على ظهر الثور، ويبدأ هياج الثور في محاولة للتخلص من هذا النسر، ويزداد نقر النسر للثور بمنقاره الحاد٠٠ حتى يجهد الثور ويقع فى الأرض٠

والقوم تعلوهم فرحة الانتصار٠







# التزلج

لا شك أن هذا المنظر يدعو لاحتباس الأنفاس ٠٠ يتزلج من على هذا السطح الشاهق٠٠؟! كيف؟! أهو انتحار ٠٠ أم تزلج وجائزة٠٠؟!

في جامعة مونتريال في كندا ٠٠ أقيمت مسابقة للتزلج٠٠ وكثر المتسابقون٠٠ واحتشد المصورون ليسجلوا الحدث ٠٠ ولكن أحد المصورين كان اكثر براعة، صعد قمة أحد المباني، وجاءت صوره ولقطاته للتزلج بهذا الشكل المخيف المرعب٠

## وحيد القرن المدلل

(بوانا) اسم اطلقوه على هذا الوليد (وحيد القرن)٠٠ خرج للحياة قبل أوانه، تركته أمه في الغابة بين الوحوش ٠٠ جاءت جماعة (الرفق بالحيوان) ٠٠ اودعوه (مركز تأهيل الحيوان) بالقرب من بريتوريا٠٠ عمره لم يتجاوز بضعة أيام ووزنه كان عشرين كيلو جرام٠٠ أولاه المركز عنايته٠٠ بل عناية فائقة وصلت درجة التدليل٠٠ هذه السيدة تولت أمره ٠٠ تسقيه الحليب، وتراقب وجبته، هذا إضافة الى الحمام اليومي ٠٠ بل ان ابنها الذى يبلغ من العمر تسع سنوات أصبح صديقاً لوحيد القرن هذا٠



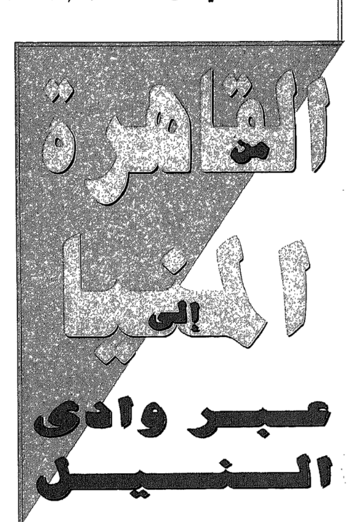
هذا أمر وحيد القرن، أما أمر البشر فشيء آخر٠٠ إذ يموت الناس بالآلاف في افريقيا من الجوع والحرب٠

ومفارقات الحياة لا تنتهي٠٠ وعجائبها لا تنقضي!!٠

يطلق المصريون المعاصرون على مدينة المنيا لقب «عروس الصعيد» أما طه حسين فيلقبونه ابن المنيا، ومدينة المنيا قديمة عريقة معروفة منذ عصور الفراعنة، أما اسمها فمختلف فيه حيث ذهب متخصصو الدراسات الفرعونية القديمة الى القول: ان اسم المنيا محور عن كلمة « مينات خوفو» ومعناها: «مربية خوفو» ولم يجمعوا على هذا الرأى إذ قال بعضهم: أن «منعت خوفو» قرية فرعونية قديمة في وادي النيل، واسم المنيا القديم هو: «تموني»، وذهب البعض الى القول: إن كلمة «منية» تعني: مجلة.

إزاء هذا الاختلاف حول «المنيا» لجأت إلى كتاب الروض المعطار للحميري فوجدت فيه ما نصه: «منية ابن الخصيب: بينها وبين مدينة القيس نصف يوم، وهي في الضفة الشرقية من النيل، وهي عامرة كثيرة الأسواق، والحمامات وسائر مرافق المدن، وحولها جنات وأرض متصلة العمارات، وقصب وأعناب كثيرة، ومتنزهات ومبان حسان»

وأشار محقق الروض المعطار الدكتور احسان عباس الى مراجع أخرى عن المنيا هي: الادريسي: ٤٥، ورحلة ابن جبير:٥٧، ورحلة ابن بطوطة:٤٨ . وذكر الحميري في كتابه «الروض المعطار» منية أخرى هي «منية نصر: قرية بالأندلس قريبة من قرطبة موفية على النهر، وهي منية فسيحة ذات مبان رفيعة، والذي ابتنى منية نصر الإمام عبد الله بن محمد..».



# من القاهرة إلى المنيا عبر وادي النيل

بقلم: **محمود السيد الدغيم** - لندن -

تناولت كتاب الانساب للإمام عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ) لمعرفة النسبة الى «المنية» فوجدت في الصفحة: ٤٠٠ من المجلد الخامس ما يلي:

«المُنْيي: بضم الميم، وسكون النون، وفي آخرها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها. هذه النسبة الى «منية» وهي قرية بالأندلس، قال ابن ماكولا: يقال لهذا الموضع: «منية عجب» والمشهور بهذه النسبة: خلف بن سعيد المنيى، محدث توفي بالأندلس سنة ١٣٥». ولكنني وجدت نسبة أخرى هي «المناوي» وممن نسب إليها: وجيه الدين



جانب من ترعة الابراهيمية في المنيا

المناوي الذي ذكره ابن شاكر الكتبي في كتابه فوات الوفيات ج٢/ ص١٢٥، وابو بكر المناوي المذكور بنفس المصدر ج٢/ ص٢٩٢.

وذكر ابن شاكر الكتبي ج٤/ ص:٣٦٦ - ٣٦٧ «منية السودان» في ترجمة يوسف بن محمد بن عمر بن حمويه: فخر الدين ابن الشيخ الحموي الجويني الذي عاصر الملك الكامل، ثم الملك الصالح الذي «أقطعه منية السودان بالديار المصرية، ثم طلب منه أن ينادمه، فأجابه الى ذلك فأقطعه شبرا، فقال ابن بطريق:

على منية السودان صار مشربشاً
وأعطوه شُبرا عندما شرب الخمرا
فلو ملكت مصر الفرنج وأنعموا
عليه ببسوس تنَّصر للأخرى

لا شك إن هنالك فرق بين «منية» و«مينة» فمن الأولى: منية ابن الخصيب، ومنية نصر، ومنية السودان، ومنية عجب، ومنية عقبة. ومن الثانية: مينة الاسكندرية، ومينة دمياط، ومينة رشيد، ومينة السيرج ومينة الطينة، وغير ذلك.

تجدر الإشارة الى أن مساحة محافظة المنيا هي ٢٠٠٧كم٢، وتقع في مصر الوسطى، وكان اسمها سنة (١٨٦٨ - ١٨٩٠م) مديرية المنيا، وبني مزار، وكانت ومازالت ترويها ترعة

الابراهيمية، وبحر يوسف. ونسبها العرب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكان لها دور هام في ثورة سنة ١٩١٩م.

تلقيت دعوة لحضور ندوة العصور الوسطى الثانية «الرحلة والرحالة في العصور الوسطى» التي تعقد في جامعة المنيا.. وحددت نقطة التجمع والانطلاق من القاهرة عصر يوم الجمعة ٢٩/١٠/١٩٩٣م، وتقاطر المدعوون الى نقطة الانطلاق وامتطى الجميع حافلة جديدة من حافلات جامعة المنيا، وتحركت الحافلة متجهة نحو الجنوب قاصدة مدينة المنيا « عروس الصعيد».



اخذت الصورة من الجانب الغربي لترعة الابراهيمية

لم أكن أتصور جمال وادي النيل قبل هذه الرحلة حيث كنت أظن أن كثبان الرمال المتحركة ستطارد الحافلة على طول الطريق الذي يربط ما بين مدينة القاهرة ومدينة المنيا، ولكن الواقع كان غير الخيال فالخضرة تمتد غرباً وشرقاً، ومياه النيل تتدفق من الجنوب الى الشمال، وتتفرع الترع من النيل غربا وشرقاً لتروي أراضي الوادي المعطاء كأنها العروق التي تمد الجسد بدماء الحياة، وعلى مد البصر غرباً وشرقا تشمخ أشجار النخيل عالية، وتعرض للمارة ما تحمله من بلح يسيل لعاب العابرين، وتقترب اشجار النخيل من قارعة الطريق، وتعانق بعضها بعضاً، وحول أشجار النخيل تتشابك سيقان القصب بشكل كثيف، وما بين أشجار النخيل وحقول قصب السكر تتقاطع الطرقات والممرات، وعلى تلك الطرقات والممرات يعبر أبناء الصعيد بحركة دائبة تنم عن النشاط، فهنا فلاح يحرث الأرض، وهناك آخر قد امتطى جملا وقاد وراءه جمالا أخرى، وعلى ضفاف الترع تعيش الجواميس حياتها الهادئة، والنساء تشارك الرجال بجد ونشاط.

كانت المناظر أخاذة، وكانت الحافلة تنهب الطريق نهباً، وتجتاز المدن والقرى والعزب، وفجأة وصلنا مدينة بني سويف ـ المدينة الثامنة عشرة في مصر من حيث عدد السكان ـ لقد قطعنا مسافة ١٨١كم وآن لسائق الحافلة أن يستريح قليلا، ولذلك عرج يميناً وتوقف ثم نزل الأدباء والمؤرخون والمؤرخات، وجمعنا صلاة المغرب وصلاة العشاء وقصرنا، ثم تناول كل شخص ما اشتهاه من طعام الصعيد وشرابه، وبعدما اخذنا قسطا من الراحة، تابعنا مسيرنا



جانب من مدينة النيل في صعيد مصر

وقطعنا مسافة ٧٠كم ووصلنا الى المنيا بعد المرور بالعباسية وغيرها.

نزلنا في دار الضيافة الخاصة بجامعة المنيا، وعرف كل شخص مكانه، وفي صباح السبت ١٩٩٣/١٠/٣٠م بدأت وقائع الندوة الثانية تحت عنوان «الرحلة والرحالة في العصور الوسطى» واستمر عقد الجلسات يوم السبت، ويوم الأحد ١٩٩٣/١٠/٣١م، وفي مساء يوم الأحد كنت محظوظا حيث قضيت أمسية هادئة على ضفة نهر النيل في مقهى «إتاب» كانت السماء صافية، وكان القمر منيراً، وكانت الزوارق تجوب النيل جنوبا وشمالاً، وكانت الموسيقى الهادئة تريح الأعصاب.

كانت الجلسة هادئة برئاسة أ٠د٠ زبيدة محمد عطا، رئيس قسم التاريخ في جامعة المنيا، وحضور أ٠د٠ عبد المنعم ماجد من آداب جامعة عين شمس، وأ٠د٠ حسن حبشي من كلية التربية - جامعة عين شمس، وأ٠د٠ أحمد عبد الحميد الشامي من آداب جامعة الزقازيق. وحيتما كنا نودع المكان والموسيقي وبهاء النيل، وصل موكب مؤرخين آخرين برئاسة أ٠د٠ محمود سعيد عمران من آداب جامعة الاسكندرية فخرجنا ودخلوا.

فى صباح يوم الأحد ١٩٩٣/١١/١م كان موعد الرحلة، إنها رحلة العمر، تجولت أمام المبني في الصباح شاهدت نصباً تذكارياً لابن المنيا العميد طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) كان النصب على شكل هرم مرمري وقد تصدرت واجهاته الأربع أربع صور نافرة لطه حسين. وبعدما شاهدت النصب التذكاري عدت الى الحافلة فصعدت مع الصاعدين، وتحركت الحافلة عبر شوارع المنيا وزاحمت العربات (الحناطير) ومرت من قرب محطة القطار، ثم خرجت من المنيا سالكة طريق أسيوط التي تبعد ١٣١ كم

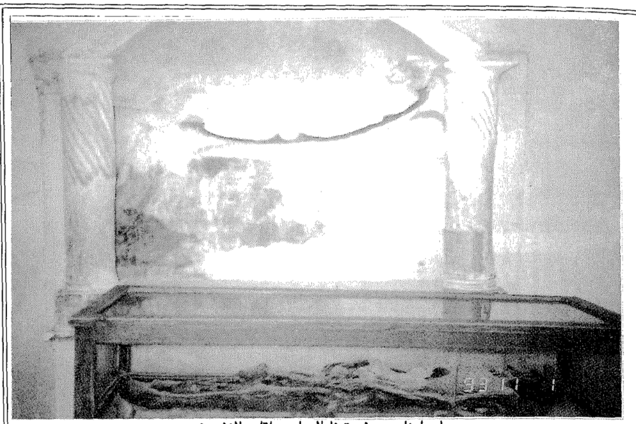


جانب آخر من مدينة المنيا

جنوباً، وأسيوط هي تاسع مدينة مصرية من حيث عدد السكان، فالأولى هي: القاهرة، والثانية الاسكندرية، والثالثة الجيزة، والرابعة شبرا الخيمة، والخامسة المحلة الكبرى، والسادسة طنطا، والسابعة بور سعيد، والثامنة المنصورة، والتاسعة أسيوط، والعاشرة الزقازيق، والحادية عشرة السويس، والثانية عشرة دمنهور، والثانية عشرة الفيوم، والرابعة عشرة كفر الدوار، والخامسة عشرة المنيا. وبعدها الاسماعيلية فأسوان ثم بنى سويف.

سلكت الحافلة طريق أسيوط، وكانت على يسار الطريق ترعة الابراهيمية الغزيرة المياه، وعلى يمين الطريق ويساره يمتد بساط الخضرة الى مسافات بعيدة حيث يتوقف عند حدود الصحراء ليبدأ بساط الرمل الأصفر المهيب.. وعلى يمين ويسار الطريق تتجاور مزارع الخضار والفواكه فأشجار البرتقال والموز والنخيل والكينا «الكافور» والخروع والسمط، ودوالي الأعناب ترافق الأبصار حيثما امتدت، وفي ظلال الدوالي والأشجار ينمو الملفوف والقرنبيط والبندورة والباذنجان وقصب السكر. وما بين الأشجار والخضار يتحرك أبناء الصعيد بشكل مستمر.

تابعت الحافلة المسير جنوباً فتجاوزت بني أحمد التي تبعد عن القاهرة ٢٠٠كم جنوباً، وتبعد عن أسيوط ١٢٤كم شمالا، وهكذا ابتعدنا عن المنيا ٧كم وكانت المناظر هي المناظر وتابعت الحافلة المسير فتجاوزت مركز قضاء «أبو قرقاص» المشهور بمصنع السكر، ثم تجاوزت قرية سفاي وقرية اتليدم، وعزبة عبد الوهاب، وشرموخ، ثم وصلت الى «أبو قرقاس» وتجاوزتها إلى بنى حافظ والروضة وعزبة مهران ثم وصلت الى مفرق الأشمونيين حيث ابتعدنا عن المنيا ٤١كم، ثم عرجت الحافلة يميناً متجاوزة قرية



**موميا « ايزادور » في تونا الجبل ـ اقليم الاشمونيين**

التابوت، وقد تشاءم البعض عندما قرأ عبارة مكتوبة على مدخل القرية « التابوت ترحب بكم» وبعد التابوت وصلنا الى الأشمونيين فتجاوزناها غرباً، ثم عبرنا قرية السواهجة غرباً بدأت الخضرة بالانحسار بينما بدأت السهول الرملية الصفراء، ولم يعد يرافقنا سوى أشجار الجازوارين ـ التي تشبه أشجار الشربين ـ بضع شجيرات على قارعتي الطريق، وعلى يمين الطريق بدت لنا مدينة «آخن ـ آتن: اخناتون»

أصبح «اخناتون» فرعوناً سنة ١٣٦٩ قبل ميلاد النبي عيسى ـ عليه السلام ـ وتوفي «اخناتون سنة ١٣٥٤ ق.م. وهو من أبناء الأسرة الثامنة عشرة، ووالده أمنحوتب الثالث، أما هو فقد بدأ الحكم باسم امنحوتب الرابع، ثم سمى نفسه اخناتون فحقد عليه كهنة «آمون» ومن أجله تم تشييد معبد الكرنك، وفيما بعد عظمه الاغريق، ومثلوه بـ«زيوس» وهرع الاسكندر الى معبده في «سيوه».

ازداد حقد كهنة «آمون» على «اخناتون» واشتد العداء بينهم وبينه فهجر طيبة في العام السادس من أعوام حكمة، ورحل الى اقليم «الاسخونين» من أعمال مدينة المنيا، وأسس عاصمته الجديدة هناك وسماها «أخت أتون» وبنى فيها قصوراً ملكية، ومعابد دينية، وبيوتاً لحاشيته، وحفرت مقابرها على ضفة وادي النيل الغربية، بينما كانت المدينة على الضفة الشرقية، وما بين المقبرة والمدينة حوالي ١٥كم، واستمر ازدهار المدينة في أيام «اخناتون» وخليفته «سمنخ كارع» ولكن «توت عنخ آمون» هجرها وعاد الى « طيبة» العاصمة القديمة، وبقيت أطلال «أخت أتون» شاهدة على مجد سلف، وعلى أنقاضها قامت بلدة تل العمارنة الحالية، وطوت الأيام «أتون» و«اخناتون» وزوجته «نفرتيتي» ملكة مصر (١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق.م) التي

انجبت لاخناتون ست بنات لكنها انفصلت عنه عندما حاول مهادنة كهنة «آمون».

نظم اخناتون أروع القصائد المصرية القديمة، ومن عيون شعره قصيدة الشمس التي يقول فيها:

أيتها الشمس الخالدة

يا مصدر الحياة

يا من تعتلين مصدر النور بجلاء وبهاء في كبد السماء

أنت خفقات قلبي

وكل ما نراه على ضوئك لن يدوم

أما أنت فستبقين وتتألقين الى أبد الدهر.

وقصيدة «اخناتون» هذه منقوشة على جدران المعابد والمقابر التي شيدها اخناتون في البلاد المصرية. وبعد موت «اخناتون» عن عمر يناهز الثلاثين سنة تولى الحكم صهره «سمنخ كارع» لكنه مات بعد فترة قصيرة وأعقبه «توت عنخ آمون» صهر «اخناتون» أيضاً فأعاد العاصمة الى طيبة، وهجر «تل العمارنة» وألغى عبادة «تون». شاهدنا لوحة حدود مدينة «اخناتون» منقوشة على الصخر الجبلي، أما على الأرض فلا شيء فوق الرمال قرب اللوحة، وتابعت الحافلة المسير، وبعد مسافة كيلومتر واحد تقريباً اعترضنا حاجز أمني تحيط به مجموعة من أشجار الكينا والعليق، وبجواره بناء حديث مخصص للاستراحة يسمي: استراحة البلدية المحلية، وبجانبه بيوت حراس الآثار، ومخفر الشرطة، وهنالك ينتهي الطريق المعبد، ويبدأ ممر للمشاه مرصوف بالبلاط الاسمنتي، ثلاث بلاطات متجاورات بعرض لا يزيد عن المترين، تقدمنا جنوباً كانت الشمس ساطعة ينعكس لهيبها على صفحة الرمال الصفراء، ورغم ذلك وصلنا الى مقرة الكاهن «بتوزيريس» أي: هبة الآلهة «زيريس» وموقع هذه المقبرة هو



مقبرة الكاهن « بتوزيريس » من الداخل وتظهر القرود التسع اتباع « تاسوع رع »

جـبـانة الإقليم: ١٥، علمـاً أن الاقليم الأول هو أسوان في الجنوب، أمـا «منف» فـهي رقم:٢٢، والمنطقة الأولى لـ «هيرموبوليس» الى الشمال من المقبـرة يقع «المذبح» وباب المقـبرة يتجـه نحـو الشمـال، وتزين الواجـهة الشمـالية أعمدة ذات تيجان وصورة الأرنب رمز ذلك الاقليم، وصورة صـاحب المقبـرة أمـام «حـورس» بن «اوزوريس» و«ايزيس» وصـورته على شكل صـقر، أمـا عيناه فهمـا الشمس والقمر، وهو الشمس ذاتها باسم - رع - حور - آخـتي - وقد انتقم لأبيـه «أوزوريس» من عمه «ست» الذي أوقف النيل عن الفيضان. وحورس هو أحد عناصر «تاسوع أون».

في داخل المقـبـرة صـور مناظر طبـيـعـيـة منقوشـة على الجدران، صـعيدي يولد البـقـرة الافريقية، ولوحة قطاف العنب وجرار الخـمور، ولوحة صـناعات حرفية خشـبية، وصورة رجل بزيّ يوناني، وصور المواسم الزراعية، الحصاد، وهرس القـمح بالعصي، وصـور نجـوم خـمـاسـيـة ضـمن إطار أزرق اللون، وصـور ٩ قـرود من أتبـاع «تاسـوع رع» و«تاسـوع» هو «هيليوبوليس» وبانضـمـام «تاسـوع» الى «رع» اصبح «تاسـوع رع» صنواً «لأتوم»، وعلى الجدران تظهر صـورة أنثى طـائر الرخ ناشـرة جناحـيـهـا، كـمـا تظهـر صـورة صاحب المقبرة.

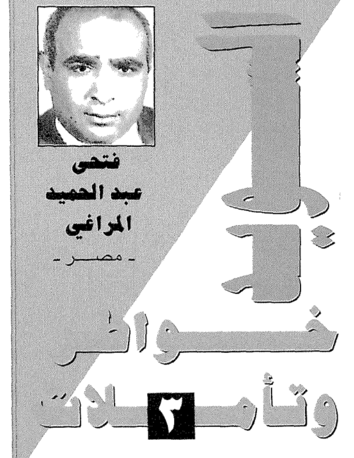
إلى الجنوب من مقبرة الكاهن «بتوزيريس» مـقـبـرة أخـرى، وفي داخلهـا مـومـيـاء «ايزادور» اليونانية التي بنى لها والدها تلك المقبرة ورثاها بشـعر رقيق. والى الغرب من المقبرة توجد بئر مياه دائرية عمقها حوالي ٨٠م يحيط بها درج دائري.

بعـد التـمـتع بتلك المناظر عدنا الى مـبنى الاسـتـراحـة حيث تناولنا الغـداء، وغادرنا «تونا الجبل» عـائدين الى مـدينة «المنيـا» ومنهـا تابعنا المسـيـر الى القـاهرة فـوصلناهـا مـسـاء.

وما أن سمعت ذلك الصوت الذى خرق السكون، وجلجل أذنيَّ، وصداه الذى أخذ يدوى فى المكان قائلا: الصيف أت وكل أت قريب .. شدنى ذلك الصوت وكأنه مغناطيس قد جذبنى اليه، وجنح خيالى معه فى الفضاء الواسع أسبح فيه، فى تلك اللحظة كانت قبة السماء ملبدة بالغيوم حالكه الظلام، والرياح فيها شديدة ترفعنى تارة وتحطنى تارة أخرى، ولكنى استطعت مقاومتها متفادياً دواماتها، وبعدت عن شرائح الثلوج التى كانت تتساقط على جسدى، واحسست بان ثقلى قد بدأ يتناقص وأصعد رويداً رويداً حتى اخترقت السحاب أشق طريقى إلى الضياء.

لا زال الصوت يخرق مسمعى ونور الشمس يملأ الكون الفسيح، فأنا فى عالم يختلف تماماً عما كنت اعيش فيه.. فرأيت مركبه مستديرة كالطبق تقترب منى ولا أسمع لها صوتاً، ولكن فتحت فى جزء منها طاقة صغيرة جذبتنى بشدة إليها، فوجدت صديقى الذى كنت قد تعرفت عليه فى الحلم وأنا فى صباى الباكر وبشرنى ذلك الصديق ليلتها بالخير عندما رأيت مياه النيل قد جفت، ومنذ ذلك الوقت توثقت صلتى بذلك الرجل وعملت على معرفته بالقراءة بين طيَّات التاريخ، فاطمأن قلبى عندما عرفت انه صاحب ذلك الصوت، وما ان القيت عليه التحيه حتى امرنى ان اجلس على مقعد بجانبه بينما كان هو جالساً على عجلة قيادة المركبة التى اراها هذه المرة وقد ادخلت عليها تعديلات حديثه.

لم ينبس صديقى ببنت شفه، فهو قليل الكلام كثير الاشارات فبإشارة منه أمرنى أن أنظر الى شاشة صغيرة أمامى سرعان ما اضيئت وكشفت عن الثلوج التى بدأت تنقشع وتختفى رويداً، امتلأ سطح الشاشة بالمساحات الخضراء فى الوان متباينه تغطى المرتفعات والمنخفضات تخترقها مسطحات الماء من البحيرات والانهار فها هى ارض الله عامرة فأرى واسمع تغريد الطيور وجمال الازهار ومحاسن الاشجار وحركات الناس وسكناتهم، فالطبيعة أمامى بديعة جميلة فى صفاء وزرقة السماء والماء فى تناسق دقيق وذوق رفيع مع ما أنبتته الارض من أزهار مشرقة فى الوان متعددة والنباتات والمساحات الشاسعة من البساتين النضرة.. سبحان منظم الكون .. صفحة جميلة ناطقه امامى فأسمع خرير الماء وحفيف اوراق الشجر وزقزقة العصافير وصدحات البلابل يطربنى شدوها، والطيور كلها فرحة، تحلق، تطير، وتحط فوق الأغصان، وأخرى تسبح فى الماء، والحيوانات منها ما يرعى فى الحقول وأخرى فوق التلال أو وسط الغابات تطاردها الكلاب فتجرى مسرعة وتختفى بين جذوع الاشجار اما الناس فلا تفارق شفاههم البسمات .. لوحة جميلة للربيع وفصل



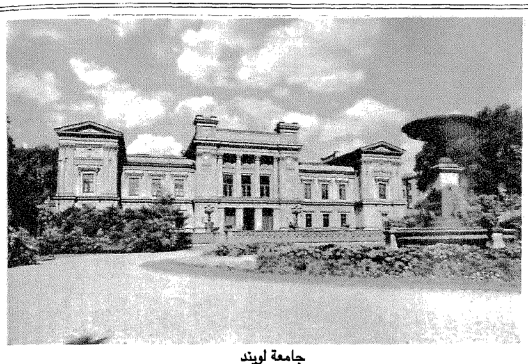


*من ومظاهر الاحتفال في مدينة مالمو*

الصيف أراها أمامى كما وصفها لنا شاعرنا العظيم «البحترى» عندما قال:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً
من الحسن حتي كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى
اوائل ورد كُنَّ بالامس نُوَّما

شريط سنمائي يمر أمامى خُيل إليَّ أننى امشى وسط سلسلة لا نهائيه من الصور واللوحات الانطباعية.. اتضحت معالم المكان وكشفت عن طبيعة شبه جزيرة اسكندناوة منذ قدوم الربيع وحتى نهاية الصيف القصير وخاصة فى الجنوب، فها هى منطقة اسكونا فى حلتها الصيفية، فبدت امامى كالواحه الخصيبة تنبت حدائق غناء ذات ظلال وبهجه، وبدأ المشهد يشق الطريق عبر منحدرات الجبال العالية ضاربة فى لونها الاحمر او البنى وكذلك الأسود لنرى مساقط المياه، وانتقل المشهد الى ساحل بحر البلطيق ويتوقف برهة عند دولة «ليتوانيا» وهى احدى دول بحر البلطيق الاربع (لا تفيا ـ استونيا ـ ليتوانيا ـ وفلندا) التى كانت تحت سيطرة السويد حتى عام ١٨٠٩م ثم استولت

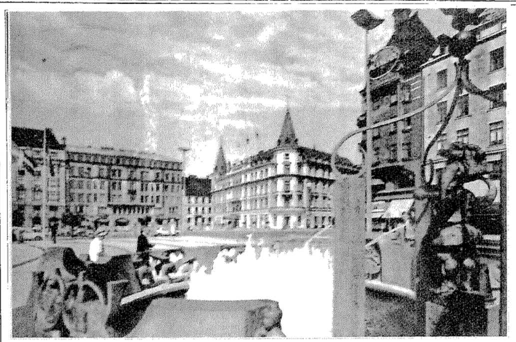


جامعة لويند

عليها روسيا حتي حصلت على استقلالها عام ١٩٢٠م، لكن لماذا تلك المنطقة دون غيرها وبالذات ليتوانيا؟.

يبدو أن صديقنا سوف يفاجئنا بشيء لم يخطر على بالنا ولكني ذهبت بتفكيري إلى ان هذه المنطقة قد نزحت منها اسرة «اولف بالم» رئيس وزراء السويد الأسبق الذى اغتيل عام ١٩٨٦م بعد ان كان فى السينما يشاهد هو وزوجته فيلما سينمائيا دون حراسة وهو فى طريقه الى منزله فى قلب العاصمة استهكولم فأردوه قتيلا فى الحال، ورغم أن أمه من هذه المنطقة وأباه سويدى ثرى إلا انه كان يناصر الفقراء وعمل جاهداً على ان تصبح السويد ذات شأن من خلال رئاسته للحزب الاشتراكى الديمقراطى السويدي. بينما كان تفكيرى منصباً على هذه الشخصية الفذة إلا أن المشهد امامى لمدينة «شيريا» مسقط رأس الشاعر الليتوانى «ميلوش» ذلك الشاعر الذى عاش فى فرنسا ومات ودفن فى مدينة «فنتيلو» بالقرب من باريس عام ١٩٣٩م. ولكن ما علاقة ذلك بالذى اراه الآن؟ فقد كشف المشهد عن تمثال من البرونز المكفت بالذهب لإحدى ملكات مصر القديمه وتعرف باسم «كروما» فأدركت مدى ذكاء صاحبنا عندما قرأت على الشاشة ترجمة لأشعار «ميلوش» التى تغنى فيها بذكره التمثال والذى كان قد اكتشفه العالم الفرنسى «شمبليون» عندما كان فى مصر عام ١٨٢٩م، فقد صدق حدسى عندما قرأت أسم «الدبلوماسى السويدى اوكربلاد» فقد كان هذا الرجل له اهتمامات لغوية، فقد حاول فك الرموز الهيروغليفية» عام ١٨٠٢م أى قبل شمبليون بعشرين عاماً، وكذلك قبل الانجليزى «يونج» الذى كانت محاولته لفك هذه الرموز عام ١٨١٤م ، أما محاولة العالم السويدى والتى أوشكت ان تضع قدمها على طريق النجاح وذلك من خلال معرفته الجيدة للغة اليونانية فتوصل الى أول الطريق لمعرفة صوتيات اللغة الهيروغليفية ولكن وافته المنية قبل ان يتم إنجازه، فأنتم إذن متفقون معى فى سر اهتمام صديقى بمنطقة البلطيق بما فيها السويد، فهو يقدر كل من ساهم ويساهم فى اخراج حضارته من بين الاطلال. يعود المشهد الى شبه جزيرة اسكندناوة ليكشف عن غاباتها الكثيفة التى تنمو فوق المرتفعات وتنحدر الى سهول متسعة فتسمع قرقرة المياه التى تصب من فوق المساقط وتجرى فى الجداول، وفى الشتاء كانت المنطقة مغطاة بالثلوج فيذهب إليها الرياضيون لممارسة هواية التزلج على الجليد، والجهاز الذى امامى من النوع الكتوم فهو يفاجئنا بما لا نتوقعه فى صور ملونة متحركة وناطقة، فأرى منطقة اسكونا صيفاً وقد ذاب الثلج،

وانقشع الظلام عنها، وتحلت الأرض وتزينت بثوب قشيب من اللون الاخضر السندسى، وتزينها اشجار الغابات فى اشكالها واحجامها المختلفة المتنوعة من اشجار الصنوبر والسرو والتنوب والزان واشجار البرقوق والكرز والتفاح، اما الازهار فمتنوعة فى اشكالها والوانها وكأن يداً قد نقشتها على لوحة جميلة سبحان مبدع الاكوان الذى خلق الجمال فابدعه للناظرين.



**ميدان جوستاف ادولف بمدينة مالمو**

الازهار متناسقة فى احواضها والوانها وانواعها متباينة من ازهار البنفسج، ودوار الشمس، وزهرة بنفسج الثالوث، والقرنفل، والنرجس كلها متفتحة تتمايل مع نسمات الهواء العليل كأنها عروس تستحى فى ليلة زفافها وعطر فستانها يملأ المكان، وعلى البعد وعند السفح بالقرب من جدول الماء أرى الابقار والخراف ترعى وسط الحشائش فى دعة وامان فأسمع خوارها، ومأمأتها وثغاء غنمها وصهيل جواد عربى يقف شامخا بالقرب من جدول الماء، هذه الصفحة الجميلة تكشف عن منطقة اسكونا جنوب السويد والتى تنازع عليها ملوك السويد والدانمرك وبسببها نشبت الحروب بينهما ويرجع ذلك الى اهميتها الاستراتيجية، وموقعها الفريد على بحر البلطيق وخليج «ايرسوند» بالاضافة الى مساحتها الشاسعة والتى تبلغ ١٠٫٩٠٥كم٢، ويقطنها الان ما يزيد على المليون ونصف مليون نسمة موزعين فى ١٣ مدينة كبيرة بالاضافة الى القرى المنتشرة فى المنطقة، واكبر واهم هذه المدن هى «مالمو» الميناء الرئيسى للمنطقة وأكبر ميناء فى الجنوب السويدى، وهى عاصمة اقليم «مالمو» الذى يعد العاصمة الثانية للسويد.. فأمامى على الشاشة مدينة «مالمو» والمفاجأة كما وعدنى بها صديقى هى رؤيتها فى فصل الصيف بعد ان كنت قد رأيتها فى الشتاء منذ يوم وصولى فى صحبة أسرة مضيفى، فبعد ان كان الجليد يغطى شوارعها وأسقف منازلها الهرمية تتصاعد منه الأبخرة الى السماء الملبدة بالضباب، ولكنى أراها الآن على الشاشة فى شكل مغاير تماماً فالمعالم واضحة، والخضرة منتشرة، والمياه بدأت تتحرك وتنساب وتندفع من فوق المساقط، وفى تناغم تسمع خرير الماء وحفيف أوراق الشجر وتغريد الطيور وهى تطير من اعشاشها وتقف فوق الاغصان، ومن الصوت الخفيف لطنين النحل وبسرعة يتغير الحال لأرى ضوء البرق وأسمع صوت الرعد فينزل المطر غزيراً من السماء.

الشاشة تتسع لأجمل مكان فى المدينة فأرى حديقة «بيلدمز» التى تعد من أكبر الحدائق العامة فى السويد، ففيها ما يزيد على ٢٠٠ الف شجرة متنوعة ومتباينة بين باسقة عالية وقصيرة بائنة،

ومساحات الخضرة الشاسعة تزدان بأحواض الزهور فى اشكال هندسية بديعة، وبالاضافة الى موقعها الخلاب ففيها المرتفعات والمنخفضات تكسوها خضرة ملساء كالتى تشاهدها فى ملاعب كرة القدم يرتادها الزوار من كل فج لقضاء اوقات فراغهم فينتشرون فى انحائها وبالذات فى منتصف الحديقة حيث تقع حلقة مستديرة يحيط بها مدرجات تشبه حلقة السيرك او المسرح الرومانى القديم، والحديقة تبدو امامى كغوطة جميلة مثل التى كانت منتشرة فى الاندلس ابان عصورها الذهبية.

وينتقل المشهد امامى مع الخضرة التي تنساب من تلك الحديقة الكبيرة الى وسط المدينة حيث تقع حديقة Kungspark ، ومع انها اصغر من الحديقة الاولى الا انها تزدان بذلك الجدول المائى الصناعى الذي يحيط بها وعليه كبارٍ خشبية تربطها بأطرافها، وكما يوجد بها مستنقعات وبرك البط والاوز التى تشتهر بها ا لمنطقة، بالاضافة الى طيور البجع والنعام التى تمتاز بحجمها الكبير والوانها الزاهية، وتكثر بها الطيور الجميلة كالبلابل التى أراها فوق اغصان الربى تشدو وتعطر الحديقة بأعبق النسمات، وتمتلىء الشاشة أمامى بطيور النورس الكبيرة الحجم إذ يبلغ طولها حوالى ٢٢ بوصة، لونها بنى غامق يميل الى السواد وفى مقدمة رأسها بقعة بيضاء، كما تمتاز بالبقعة القرنفلية الحمراء فى طرف أسفل الفك السفلى، والقفا به خطوط ملونة، اما ارجلها ففيها الاصفر أو البرتقالى، طيور النورس من القواطع وموطنها اقليم بحر البلطيق وسواحل السويد والنرويج، وتهاجر فى الشتاء الى شرق البحر الابيض المتوسط، وبالقرب من حافة المستنقع أرى ذلك الطائر الطريف الذى يعرف باسم «فصّان» يقف بالقرب من صخرة داكنة يلفها افرع نباتات صغيرة، جذبنى هذا الطائر الجميل فى شكله الانسيابى وذيله الطويل، وبدأ يتحرك ويمشى فى خيلاء وتؤدة فيهز ريشه البني المختلط بالاسود وكأنه لا يوجد غيره من طيور فى الحديقة وتتواجد هذه الطيور فى الحقول والمناطق الزراعية وانواعه تزيد عن ١٧٨ نوعاً فسبحان الله فى خلقه.

ينتقل بى المشهد الى مدينة «مالمو» القديمة التى تقع بالقرب من الحديقة مما يضفى على قصورها ومبانيها ذات الطراز القوطى القديم جمالا وروعة فتظللها الاشجار وعلى المبانى العالية النباتات المتسلقة، وبمكان ليس ببعيد عنها توجد عطفة «مارجريتا» المزدانة بالزهور وتؤدى بك إلى إيوان او سرادق قديم، وهى لا تبعد كثيراً عن الميدان الصغير الذى انشىء فى القرن الخامس عشر الميلادى، والميدان تلتف حوله مبان قديمة يرجع تاريخ بنائها الى القرنين السابع



استاد مدينة مالمو

والثامن عشر الميلاديين، وهو لا يبعد كثيراً عن موقف الاوتوبيس العام، وبذكاء مخرج قدير أخذني صديقي الى المركز التجارى القديم لكي يربط بين تلك المبانى القديمة فى الميدان بمبانى المركز التجارى الذى يرجع تاريخ بنائه الى القرن السادس عشر والذى يدل على مدى اهمية المدينة من الناحية التجارية منذ تلك الحقبة من الزمن. وعلى مسافة ليست ببعيدة أرى ذلك القصر العتيق المنيف الذى خصص منذ عام ١٩٣٠م ليكون المتحف الرئيسى للمدينة وتضم حجراته الواسعة أثار المدينة التى تحكى تاريخها الحضارى والثقافى، وهو يعتبر المتحف الأم لكل المتاحف المنتشرة فى المدينة كالمتحف العسكرى، والمتحف التكنولوجى الذى يضم معظم التقنيات القديمة والحديثة وكذلك متحف العربات والقطارات الذى تشاهد بداخله مراحل تطور تلك الصناعة منذ القرن الثامن عشر حتى وقتنا هذا.



فنار ميناء ليم هاسن

وجاء بي صديقي الى مبنى التاريخ فانتقل بنا داخل هذا المبنى لنرى اقسامه التي تعرض حضارة وثقافة الشعب السويدى، ولكى تكتمل الصورة بدأت المشاهد تكشف عن الحديث لأرى ما طرأ على المدينة من مبان واحياء سكنية جديدة والتى عمت السويد منذ اوائل السبعينيات من القرن العشرين، وملحقاتها من المراكز الرياضية التي انتشرت بشكل عام واهمها الاستاد الرياضى الكبير الذى اقيمت عليه نهائيات كأس اوربا لعام ١٩٧٩م، وكذلك صالة الفنون الرئيسية فى المدينة التى تهتم بعرض الفنون القديمة والحديثة من افلام ومسرحيات، وملحق بها مكتبة للاطفال.

عاد بنا المشهد الى الميدان الصغير ولكن فى الليل حيث تزينه المصابيح الكهربائية واللافتات الجميلة والأعلام، وبمناسبة حلول فصل الربيع امتلأ الميدان بالناس وكذلك الشوارع الجانبية القريبة منه بدأ ت تزدحم بالبشر القادمين من كل فج ومنهم من يرتدى الملابس التقليدية القديمة لشعب اسكونا، ومنهم من يلبس القناع كما فى الحفلات التنكرية والموسيقى تعزف فى كل مكان حتى الصباح.

وها هو الصيف كما وعدنى بمشاهدته صديقى قبل موعده فالصيف آت وكل آت قريب، والناس فيه يجيئون ويروحن، يبتاعون ويشترون فى الحى التجارى، وسط المدينة والقريب من ميدان «جوستاف

اودلــــف» اهـــم مـــيـادين المدينة، وبالقـرب منه وفى الشـوارع الجـانبيه حـــــيث لاتمـر السـيـارات تمتـد الاسـواق وتنتشـر فـيـهـا المقـاهـى ليـجلس عليـهـا الناس يتـمـتـعـون باشعة الشمس بعد ان طال غيابها.

لـم يـتـــــرك صـــديقى مكاناً فى المدينة إلا وعمل على تغطيته فذهب بى المشهد الى المراكز الصناعية العملاقه التي تتجمع فى منطقة واحـدة وتقع على أطراف المدينة طبـقـاً للتـخطيط الحديث للمدن الكبرى فبدأ امامى ميناء «وليم هامن» حيث ركز المصور على فنارها المخروطى الجميل فى خطوط مستديرة بين الاصفر والبنى فلفت انتباهى لأهم مـركـز لصناعـة وإصلاح السـفن التى تعـرف باسم «كوكومس» وهو من اكبر الترسانات البحرية واقـدمـهـا فى العـصـر الحـديث فـقـد أنشئت هذه الترسانة عـام ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ لأغـراض حـربيـة فى بداية الامر ثم تحولت الى صناعة سفن النقل سواء أكانت تجارية أو للركاب اسس هذه الترسانة «فرنك هتـريك كـوكـمـس» وهي نفس الشـركـة التى قـررت الحكومـة السـويديه التـخلى عن دعـمـهـا والعمل على إغلاقها وتحويلها الى مركز ضخم لتجميع سيارات «سـاب» لتوفـيـر فـرص عمل عديدة لسكان الجنوب، وانتقل المشـهد الى صناعة الاسمنت التى تشتهر بها السويد وتتركز فى منطقة اسكونا التى تعرف باسم «سكونسكاسمنت» وهذه الشـركة كان لها دور عظيم اثناء العمل فى نقل ورفع معبدى ابو سمبل باسوان، وسـاهـمت هذه الشـركـة بخبـرتهـا الطويلة فى مـجـال الاسـمنت المسلح فى عـمليـة بناء السـد العـالى، ولم يغفل المشـهد الصناعات الكهربائية التى تعرف باسم Elekterolux وكـذلك مـصـانـع المنتـجـات الغـذائيـة كـالسكر وغيرها، وفـى مدينة «إيسلاف» الصـغـيـرة ارى فيها مصنع السيارات من نوع «ساب».

وبذكـاء المخرج الفنان جعلنى صديقى لا أشعـر بالمركبة وهـى تحوم فـوق المنطقـة، كـمـا ان المشـاهد المتتالية شدت انتباهـى عن التحدث معه وكُل شيء يمر أمـامى كطيف خـيـال رغم ان المشـاهد تصـور واقعاً حقيقياً للمنطقة، فمدينة «لويند» القديمة التى أشاهدها الآن تتحدث عنها الارقام، مساحتها ١٠ كم٢ تقع جنوب غرب منطقـة اسكونا وعدد سكانها ٦٥ الف نسمه فـهى مزدحمـة بالسكان نظراً لوجود اعداد كبيرة من الطلبة الوافدين للدراسة بجامعتها القديمة، والمدينة تضـم مـجـمـوعـة كـبـيـرة من المبانى والكنائس واقدمـهـا الكاتدرائيه القـديمة ذات الطراز الرومـانى ويكشف المشـهـد عـمـا بداخلها حـيث يزين جدران قاعاتها رسومات مسيحية، كذلك محرابها الذى يحـيط به الايقـونات التى مـازالت قـائمـة هناك رغم تحـول الدولة من المذهب الكاثوليكى الى المذهب

**المباني العتيقة على الطراز الروماني**

البروتستانتى فى اعقاب الحروب الدينية فى اوربا (١٦١٨ - ١٦٤٨) التى لعبت السويد فيها دوراً كبيراً لمناصرة المذهب البروتستانتى.



حديقة بيلدمز بمدينة مالمو .. ومدرجاتها على الطراز الروماني

وبتكنولوجيا الآت التصوير الحديثة ينتقل المشهد الى متحف الثقافة الذى تضم حديقته المنازل القديمة وهى عبارة عن اكواخ خشبية على النمط التقليدى القديم التى جمعت فى هذا المكان بعد نقلها من أحياء المدينة المختلفة، ولأن المدينة صغيرة فشوارعها متقاربة فأنت لا تحتاج الى سيارة لكى تطوف بها فالمبانى القديمة هى من علامات التراث المميزة فيها فهذه البنايه القديمة ذات الطوابق الثلاث واللون البنى المألوف هناك والذى يشبه فى بنائه القلاع هو مبنى المعهد الأكاديمى لعلم الاجتماع الذى تهتم السويد به كعلم من العلوم الانسانية، اما ذلك المبنى القديم الذى أتأمل ببنيانه فى طرازه اليونانى هو جامعة «لونيد» العتيقة التى تأسست عام ١٨٦٨م فى الفترة التى كانت الحروب فيها دائرة بين السويد والدانمرك حول الصراع على منطقة اسكونا حتى كان هناك اقتراح بنقل الجامعة الى مدينة «كريشان استاد».

لقد برع المخرج عندما جعل الزمن سريع الحركة، بل لم يقف عند تلك اللحظة التى اشاهد فيها ما على الشاشة بل تعداها الى المستقبل فحركة الحياة عنده مستمرة، فأرى الجامعة كما كنت قد رأيتها عام ١٩٨٥م عندما كنت فى زيادة لها لمقابلة السيد «بنكت نيلسون» رئيس قسم اللغات الشرقية بالجامعة، ولا أنسى ذلك الرجل وحسن استقباله وحفاوته بى وتشجيعه لى لكتابة هذه الخواطر بل ونصحنى بأن اتصل بالاستاذ/ سمير بوتانى رئيس تحرير مجلة صوت اسكندنافيا التى تصدر باللغة العربية لكن الظروف حالت دون الاتصال به.

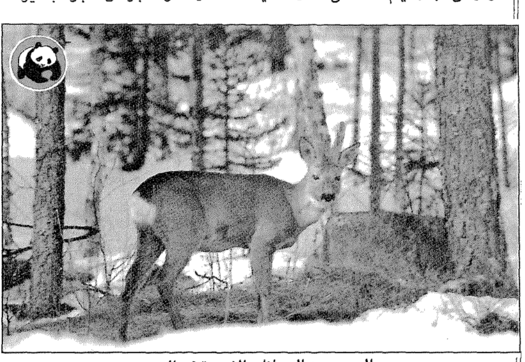
يبدو ان برنامج الرحلة لم ينته بعد فهناك المزيد من المشاهد والصور الطبيعية الخلابة لمنطقة اسكونا من مرتفعات ومنخفضات وأنهار وبحيرات والغابات الكثيفة التى فجأة خرج من بين جذوعها الضخمة .. ذلك الحيوان المنتشر فى المنطقة الذى كنت قد شاهدته فوق الربوة بالقرب من منزل مضيفى وكان لونه وقتذاك ضارباً فى البنى والرمادى وهو فى لباسه الشتوى، أراه أمامي الان فى كسائه الصيفى حيث لونه الضارب فى البنى والاحمر وقرناه اللذان يحمل كل منهما ثلاث شوك، وتتذكرون معى فهو يشبه التيس أو فحل الماعز، قد عرفتموه الآن هو نفس الحيوان الذى يطلق عليه اسم «يحمور Rad-gurå» ولكن سرعان ما اختفى وسط الغابه، وظهر حيوان آخر شبيه له يعرف باسم «علنر Kornhgartå» وهو يعيش فى قطعان كبيرة وحجمه اكبر من ذلك

اليحمور فارتفاعه حتى الكتف ١١٥سم ورغم ان لونه يتغير بين الشتاء والصيف مثل «اليحمور» الا أنه يختلف عنه فى أن قرنيه يتفرع من كل منهما اكثر من ثلاث شوك وهو أكثر رشاقه من ذلك اليجمور.

لازالت صور المشاهد تمر امامى حتى وصلت الى الطريق الدائرى السريع المتجه الى مدينة «كريشان استاد» لأرى تلك الساحة الشاسعة على اطراف مدينة «مالمو» حيث يجرى العمل هناك على قدم وساق لإنشاء اكبر مسجد ومجمع اسلامى فى الدول الاسكندنافية.

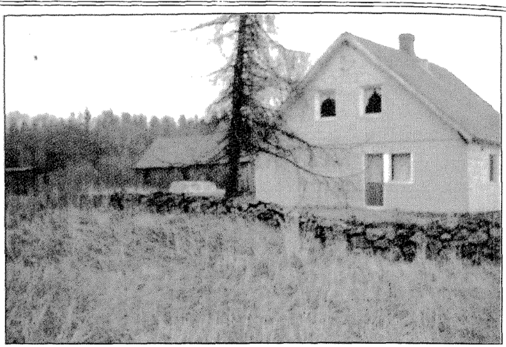
وركزت المشاهد على جماعات المسلمين التي تقيم بالسويد، الذين قدموا اليها سواء بالهجرة او عن طريق اللجوء من البلاد الاسلامية حتى ان بعض السويديين بدأوا يعتنقون الاسلام وخاصة الفتيان حيث يعيش فى السويد الآن عشرات الالوف من المسلمين.

المشهد امامى الآن يذكرنى بحالة السويد فى فصل الشتاء بسواحلها على بحر البلطيق متجمدة جرداء خالية من المصطافين وببراعة المبدع استطاع المصور ان ينقلنى لكى أشاهد اقليم كريشان استاد وهو فى أجمل ايام السنة فى فصل الصيف، فساحل «أوهوس» الممتد على بحر البلطيق مكدس بالمصطافين الذين ألقوا باجسادهم على رماله الناعمة، ومياه البحر ترتفع وتنخفْض وتواري القوارب والسائحين فيه، اما المدينة ذاتها فقد كستها الخضرة ودبت فيها الحركة ووضحت معالمها ومبانيها القديمة ، وامتدت الشاليهات الخشبية على الساحل تحيط بها المساحات الخضراء لتزيد طبيعة المكان جمالا على جمالها، ويأخذك الطريق من الساحل الى مدينة كريشان استاد وسط الاشجار وعلى بعد منها الحقول الزراعية للقمح والشعير، وبين الحقول مساحات صغيرة محاطه باسوار خشبية خفيضه حيث الماشية والخراف والماعز ترعى فى أمان ها هى السويد فى حلتها الخضراء النضره والاشجار مورقه والاغصان متشابكه، ولم أر أمامى أشجاراً منكسره ذابلة كالتى نراها فى طبيعة بلادنا من أثر شدة الحرارة اللافحه. شدنى ذلك المشهد الرائع لطبيعة اسكونا صيفاً، وأقرأ على الشاشة اسم مدينة صغيرة اسمها «هيبير» مساحتها ٢ر٦كم٢ يقطنها حوالى ٣ الاف نسمه، وتمتاز بموقعها الجميل على بحيرة «رينج Ringsgon » وتعتبر من أكبر البحيرات فى السويد حيث تبلغ مساحتها ٤٢كم٢ بعمق يصل الى ١٧م، ولكن يبدو للمشاهد أن هذه البحيرة بحيرتان حيث تفصلهما جزيرة صغيرة وأطلق على الجزء الغربى منها بحيرة «رينج» الغربية، وعرف الجزء الاخر ببحيرة «رينج» الشرقية ولكن مياه



**اليحمور من الحيوانات الشهيرة في السويد**

فهما من نوع الطيور التى تعـرف باسم الشـحـرور -Black bird ذكـوره كلهـا سـوداء لامـعـة، اما إناثه فجميعها تأخذ اللون البنى الغـامق والتشابه بينهما كبير مع فروق ضئيله وهو من الطيور التي تقفز ومن المعروف عنه انه جـبـان يخـاف من الناس ويعـيش فـوق المرتفـعـات واعـالى الاشجار، وهو أيضاً من القواطع يتوالد فى الصيف فى كل اوربا وخاصة المنطقة الجنوبية لشبه جزيرة اسكندناوه، فالحديقه عامرة بتلك الحيوانات والطيور النادرة، وعندما افتتحت هذه الحديقة عام ١٩٥٢م طبق عليها قانون المحافظة على البيئة وهى تجذب الزوار من كل فج وخاصة هواة رحلات الصيد ومع ذلك لا يجرؤ احد منهم على اصطياد اى طائر منها ولذلك تنعم هذه الحيوانات والطيور بالامان الذى هو سمة من سمات الطبيعة فى السويد، ويبدو أن هناك نوعاً من الصداقة قد جبلت عليها تلك الحيوانات والطيور الأليفة بينها وبين الناس وبالاخص علماء التاريخ الطبيعى فيكشف المشهد العام للحديقة عن جمال طبيعى خلاب لم يتدخل شئ لافساده.



**الريف السويدي في فصل الصيف**

الجزءين من البحيرة يتقابلان عند مضيق يتفرغ منه جدول صغير يعرف باسم «رتياه» وهو يمر بمدينة «لاندسكرونا» وايسلاف وهلسن بورج وكلها مدن تقع فى منطقة اسكونا «انتقل المشهد الى حديقة كبيرة مفتوحة تبين الارقام مساحتها ٢٣٠ هكتاراً، والهكتار يساوى ١٠٥٠م٢، والحديقة كما أراها شاسعة وأشجارها كثيرة ومتنوعة، اما الحيوانات فمنها الثدييه والضرعية الأليفة وغيرها من الحيوانات المتوحشة كالخنازير والايالى والدببه والقطط المفترسة وتكثر فى الحديقة الطيور «كالفصان» تدرج Fassan وهو طائر جميل له ذيل طويل، وكذلك طائر يعرف باسم «خضير» وهو نوع من العصافير مخضر الريش وهو من فصيلة الشرنوبيات، وابو الحناء وطيور تعرف باسم «قندس» وطيور أخرى صغيرة تعرف باسم ردوينج. وهو دُجّه حمراء الجناح والغريب فى تلك الطيور أن الذكر كالانثى فى الحجم والشكل فطولها ثماني بوصات وربع البوصة وهى من فصيلة القواطع لها خط ابيض فوق العين، وأما خاصرته حمراء بلون الطوب، ذلك الزوج من العصافير يقف فوق فرع الشجرة المائل فى حالة عشق كامل وحجمهما متقارب يبلغ حوالى ١٠ بوصه

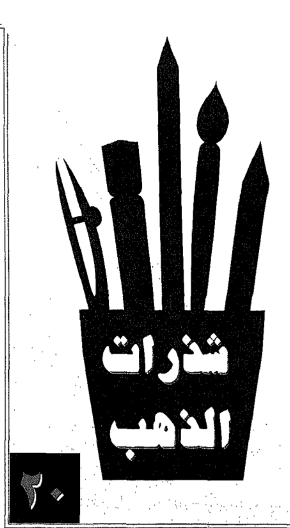

*المراجع:*

*(١) الاسلام والتفرقة العنصرية - د. عبد العزيز كامل - بحث أصدرته هيئة اليونسكو ١٩٧٢م*

*(٢) طيور مصر - د. محمد محمد عنانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣*

*(٣) معالم تاريخ الانسانية - هـ . ج . ولز - ترجمة: زهير الشايب - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م*

*(٤) مجلة الهلال - مصر - عدد نوفمبر ١٩٩١م*




### ١٢٨ - خوارق بشرية:

فى صباح يوم ما زارنا بكلية اللغة العربية شيخ أزهرى ضرير لا يزال فى مرحلة الطلب، وقد تجمع حوله الزملاء ليختبروا مقدرته الخارقة فى ضرب الأرقام الحسابية، إذ كان يُسأل مثلا عن ضرب الرقم ١٦٧١٢ × ٨٩٥٦٢ فيأتى بالإجابة صحيحة فى أقل من نصف دقيقة! وهو شيء يشبه المعجزة، ولولا أننا رأيناها رأي العيان ما صدقنا. والغريب أننا - معشر الطلاب - كنا نمسك الورق والقلم لنأتى بالحاصل، فتختلف الإجابة أحيانا للعجلة السريعة، ولكن الشيخ رمضان السيد - واسمه هذا - ما كان يخطىء أبدا، وقد ذاعت أنباؤه، وأفردت جريدة الأهرام، ومجلة الإذاعة، ومجلة الاثنين صفحات عنه تتحدث بروائعه المدهشة، وكان مما كتبته مجلة الإذاعة المصرية بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٣ ما يلي أى بعد عشر سنوات من لقائنا بالكلية.

٢أعجوبة زمانه، الشيخ رمضان السيد أحمد رزق إمام مسجد قايتباي، وهو ضرير، ولكنه يتمتع بذاكرة واعية عجيبة، وقدرة فذة على تحقيق نتائج أضخم العمليات الحسابية، بما فى ذلك القسمة والضرب بالأعداد الصحيحة والكسور الاعتيادية والعشرية فى حدود خمسة أعداد فى خمسة أعداد، سأله أحد الحاضرين أن يضرب ٧٢٤ × ٢١٥ فأجاب بعد أقل من دقيقة ١٥٥٦٦٠، وسُئل عن حاصل ضرب ٧٠٥١٢ × ٧٤٩٩٩ فأجاب بعد دقيقة ٤٨٨ ٥٢٨٨٣٢٩ كما تتابعت الأسئلة فى عمليات الضرب والقسمة والكسور فكان مدهشا.

ومضت المجلة تذكر أمثال هذه الغرائب، كما كتبت عنه مجلة (الصحراء) مايو سنة ١٩٥٧ مقالا يؤكد هذه الخوارق وأذكر أن صديقى الدكتور أحمد الشرباصى عقد عنه فصلا فى الجزء الثانى من كتاب (فى عالم المكفوفين) قال فى نهايته «إنه من التقصير المعيب فى حق هذا الشيخ المكفوف أن يظل هكذا بدون تدريب أو استغلال، ومن الميسور أن يتعلم رمضان طريقة (برايل) ويدرس عن طريقها كثيرا من العلوم والمواد، ويستطيع بذلك أن يخدم وطنه خدمات كثيرة.. لو كان الشيخ رمضان فى بلد غربى لعنيت به الدولة والجماعات، ولجعلوا منه أعجوبة وفجروا فى نفسه ينابيع العبقرية والموهبة).

وكانت كلمة الشرباصى صرخة في واد، لأن الرجل انتقل الى رحمة الله دون أدنى اهتمام.

### ١٢٩ - (مثل آخر)

كان الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وقد كتب مقالا دينيا بمجلة نور الاسلام عدد (رجب ١٣٤٩هـ) يرد فيه على من ينكر المعجزات الخاصة بالأنبياء لاستحالة وقوعها فى رأيه، مستشهدا بروائع بشرية ظهرت بين الناس تخرق كل القوانين الطبيعية المألوفة، ويحار العقل فى تحليلها، ووجود هذه الخوارق التى لا يمترى أحد فى

د. أبو حسام
المنصورة

وقوعها مع استحالتها العقلية يؤكد فى رأى الشيخ وقوع المعجزات، وقد ضرب الأستاذ مثلا بقصة طفل ألماني أتى من الخوارق ما يدهش، وذلك نقلا عن مجلة أوربية.

قال الشيخ تحت عنوان (كريستيان هيتريس)! طفل عجيب ولد فى ٦ فبراير سنة ١٧٢١م بمدينة لوبرة بشمال ألمانيا، وقد استطاع أن يتكلم بعد عشرة أشهر فقط، ولما بلغ من العمر عاماً حفظ قصصا كثيرة من الأجزاء الخمسة الأولى من التوراة، وفى سنتين أتقن الكتاب المقدس وفى سن ثلاث سنين أجاد معرفة التاريخ والجغرافيا قديما وحديثا، وأتقن الفرنسية واللاتينية، وفى سن الرابعة أخذ فى دراسة الدين والتاريخ الكنسى، وقد هرع الناس أفواجا الى لوبرة لرؤية خوارقه، ولكن القدر لم يمهله، فقد مات فى آخر السنة الرابعة من عمره.

ولهذا الطفل أشباه اهتم بالحديث عنهم من يشتغلون بالبحوث الروحية فى الغرب، وصدرت مؤلفات خاصة بهم، وقدرة الله لا تحد، والذين ينكرون المشاهد الملموس ما قدروا الله حق قدره.

### ١٣٠ ـ (طفل نجيب):

تذكر كتب التاريخ قصة عن طفل نجيب ارتفع خبره الى المأمون العباسي، فرعاه حق الرعاية، وانتفع الناس بنبوغه الهندسى حين وجد من يقدّره.

قال أحمد بن يوسف الكاتب فى كتاب المكافأة يروى قصة المهندس الشهير سند بن على حين تحدث عن نفسه فقال ما موجزه : كان والدى يتكسب بصناعة أحكام النجوم، فتعلقت بهذه الصناعة، وكان أحد الوراقين ببغداد يعرض كتاب (إقليدس) وقد جلَّده وأتقن كتابته وطلب فيه عشرين دينارا، فسألت والدى أن يشتريه لى، فقال مهلا حتى أقدر على ثمنه! وجعل يسوّفنى، وقد اشتدت رغبتى فيه الى حدّ الوله، ولى من العمر سبعة عشر عاما فدفعنى النزق إلى أن أخذت دابة والدى التى يركبها، وبعتها فى السوق بأقل من ثلاثين دينارا. وكان والدى اذ ذاك يجلس فى منزل أحد الكبراء، فجاء إليه من أسرَّ له بالنبأ، فظهرت الدهشة على وجهه وتغيّر وهم بالقيام ولاحظ ذلك صاحب المنزل، فسأله، وعلم ما كان، فأقسم عليه ألا يسيئنى، وقدّم له من اصطبله بغلا فارها، وقال هو لك مكانه، وجاء أبى ومكث لا يكلمنى.

وأقمت ثلاث سنين محبوساً فى المنزل أقرأ الكتاب وحدى وأعلق عليه، وقد عملت أشكالا صعبة، ووضعتها فى كمى، وكان للمهندسين مجلس بمنزل العباس بن سعيد الجوهرى، فيممته وأنا دون العشرين، وحاولت أن أتكلم ، فاستصغروا شأنى، وقال العباس: من تكون؟ وماذا قرأت فقلت: قرأت كتاب اقليدس والمجسطى، قال قراءة إحاطة قلت نعم فسألنى عن شيء مستصعب كان تفسيره فى الأوراق التى فى كميّ، فأجبته، فاندهش، وقال: من أفادك؟ قلت أوراقى، فظنَّ أني سرقت ما كتبه فى سفطه، ونادى أحد غلمانه فأحضر السفط، ووجد الأوراق كاملة، فطلب ما لديّ من الأوراق، وجعل يقابل بين عملى وعمله، فوجد مطابقة تدل على فهم، فسرّ بي غاية السرور، ورفع قصتى للخليفة المأمون، فاستدعاني على الفور، وأجرى لى رزقا كبيرا، وأمرني بملازمة العباس وهو كبير المهندسين يومئذ.

### ١٣١ ـ (راع عجيب):

كان الفلكى الشهير (بير آينخ) فى طفولته راعى غنم يقضى الليل فوق الجبل فى حراسة النعاج، وقد ألف رؤية النجوم الى درجة العشق، فكان يعرف مواقعها بكثرة المشاهدة، ويدرك متى يأتلق النجم ومتى يأفل ويدهش إذا تأخر كوكب عن موعده بأن حجبه غيم، حتى صارت النجوم شغله الشاغل، وقد أسرّ لسيده ببعض ما يرى فقال له إن للنجوم علماً كبيرا يعرفه المتعلمون، ويسمى علم الفلك! فالتهبت الرغبة فى نفس الراعى، وجعل يسأل عن كبير علماء الفلك فى مدينته حتى اهتدى إليه فقال له:

إنّى يا سيدى أشتغل برعاية الغنم فوق الجبل، وأعشق مشاهدة النجوم والكواكب، وأريد أن أعرف ما

تعرفون من أمرها:

فسأله العالم الكبير في ملاطفة: وهل تعلمت شيئا؟ فقال الراعي أعرف القراءة ويمكنني أن أكتب الخطابات؟ فابتسم العالم، وقال: أنا أود مساعدتك، ولكن لا يمكنك أن تدرس حركات الكواكب دون أن تعلم المبادىء الأولى.

فقال الراعي، وما هذه المبادىء، فقال العالم: مبادىء الحساب والهندسة والميكانيكا؟

فرد الراعي يقول: سآتي إليك يوم الأحد من كل أسبوع لأتعلم على يدك فهو يوم عطلتي الوحيد،! وسرّ العالم من إصرار الفلكيّ الناشىء! فجعل يستقبله كل أسبوع ليعلمه مبادىء العلوم الأوليه، ولاحظ عنده من الذكاء المتقد والجد المتواصل ما استغرب حدوثه لدى مثله، فلم تمض سنوات حتى تقدم تقدما ملموساً، ولما كان الراعي الناشىء لا يملك ثمن الآلات التي ترصد الكواكب، فقد صنع بنفسه قريبا منها، وجعل يرصد الكواكب كل ليلة إذا أقبل المساء حتى شروق الفجر، وكانت المفاجأة حين اكتشف (بيرآينج) نجوماً جديدة، وتحدث عنها لأستاذه فجمع العلماء لمناقشته فأيًّد رأيه بالمشاهدة حين صعد معهم فوق الجبل، وَرَنَّ اكتشافه مدويا في الأوساط العلمية، ولكنّ البرد كان قد أثر في جسمه إذ قضى السنوات المتصلة فوق الجبل غير عابىء بما يهدده، فمات شابا، واحتفل بتشييعه في موكب حافل، وصنع له تمثال من المرمر الأبيض بدار الآثار الخاصة بنوابغ العلماء!

## ١٣٢ ـ (نابغ مكافح):

ولا أنسى وأنا أتحدث عن العصاميين أن أذكر العالم الكبير (فتشتر بو فيفاني) أحد علماء القرن السابع عشر، حيث نشأ نشأة قاسية في أسرة فقيرة لا يستطيع عائلها النهوض بكفايتها، فرحل ولده (فتشتر) إلى فلورنسا يتحسس باب الرزق، وكان غلاماً طلعة ذا عين فاحصة، فشاهد لأول مرة (الفانوس السحري) يعرضه صاحبه على النظارة ليروا صور الأشياء كأنها حقيقة ماثلة أمام عيونهم، وقد أخذ يشرح للناس تركيب أجزاء الفانوس بعد أن حلّه قطعا قطعاً، ثم ركبه، فتقدم (فتشتر) إلى الرجل، وقد لاحظ ما صنع منذ بدء الشرح مؤكدا أنه يستطيع أن يفك الفانوس، ويركبه من جديد، فطلب منه أن يفعل وسرعان ما أتم العمل على أحسن وجوهه، فقال له صاحب الفانوس، أنا كبير السن وقد تعبت من التجوال، فهل لك أن تقوم بما أعمل، ونتقاسم الربح، فقبل الغلام مسرورا، وكان من حظّه أن يمرّ به العالم الذائع الصيت (جليلو) فيلحظ مهارته في العرض، وناقشه في أسرار تركيب الآلة فأجاب ببراعة، وكان (جليلو) في حاجة الى مساعد نابغ، فعرض عليه أن يلتحق بمعمله العلمي ويرد الفانوس لصاحبه، فحقق بذلك رغبة غالية كان «فتشتر» يتمناها ويعدّها في حكم المستحيل، ولم تمض سنوات حتى تجلت مواهب الغلام على أحسن ما كان ينتظر منه أستاذه وأصبح نابغة في العلوم الهندسية، وألف فيها عدة كتب صادفت حظوة العلماء وتقديرهم، واتصل صداه العلمي بالمجمع الفرنسي فضمه الى أعضائه، ورعته الدولة فأغدقت عليه ما يضمن رخاءه المادي، ومات بعد أن جاوز الثمانين.

إن لدينا في المكتبة العربية مئات الكتب التي تتحدث عن نشأة الأدباء من كتاب وشعراء، ونرجو أن يكون لدينا في هذه المكتبة عشرات الكتب التي تتحدث عن نشأة العلماء لنوازن بين الإقناع والإمتاع، والفكر والوجدان.

## ١٣٣ ـ (في سبيل العلم):

وعُذّب بالعلم طلاّ به
وغصّوا بمنهله الأعذب
رمتهم به شهوات الحياة
وحبّ النباهة والمكسب
وعقل بعيد مرامي الطماح
كبير اللبانة والمأرب
ولوع الرجاء بما لم تنلْ
عقول الأوالي ولم تطلب
تنقّل كالنجم من غيهب
يجوب العصور إلى غيهب
قديم الشعاع كشمس الصباح
جديد كمصباحها الملهب

# الزوجية في الكون والحياة

د. فوزي عبد القادر الفيشاوي
جامعة أسيوط - كلية الزراعة -

***إن الباحث عن أسرار القرآن واعجازه العلمي، لابد هو باحث في خفايا الآيات، وفي بواطنها، لا في ظواهرها فحسب، وعندئذ لابد هو خارج من بحثه بأعماق جديدة، ولم يكن لأحد أن يصل اليها بغير العلم، وبغير الفهم الدقيق لقوانين الكون والخلق والحياة.***

***وإن الباحث عن كمال الكون وجماله وتناسقه، والباحث عن روعة الخلق والحياة، لابد هو خارج من بحثه بقوانين عامة مبثوثة في كل تضاعيف الوجود، من الذرة وما دونها إلى المجرة وما فوقها ومن أروع هذه القوانين وأعجبها، قانون الزوجية، وهو قانون عام، يعمل في كل ذي حياة وكل جماد.. يعمل فيه جملة، وتفصيلاً.***

***وإن المرء ليقف أمام هذه الروعة، وهذا الاعجاز مفكراً متأملاً، وذاكراً قول الحق العظيم: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» (الذاريات/٤٩).***

## عالم الأزواج:

لا يكاد هذا اللفظ يذكر إلا وتقفز في ذهن الواحد منا، صورة الذكر والانثى، في انسان وحيوان ونبات. ذلك هو المعنى البسيط الساذج. لكن الزوجية لفظ أعم من ذلك وأشمل. إن الزوجية تعني فيما تعني كل زوجين متآلفين، يسكن أحدهما إلى الآخر. وتعني كل زوجين متضادين نقيضين عدوين لبعضهما البعض. وتعني كذلك الزوجين، اللذين يؤدي أحدهما إلى الآخر، وكأنما هو مكمل لنفسه.

هذه بعض معاني الزوجية التي تسري في هذا الكون العظيم.. كتاب الله المفتوح. وفي القرآن الكريم.. كتاب الله المسطور، نجد الزوجية سنة الخلق «وخلقناكم أزواجاً» (النبأ/٨)، ونقرأ «والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون» (الزخرف/١٢)، ونقرأ «والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً» (فاطر/١١)، وفي أول سورة النساء «يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها»، ونقرأ «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها» (الروم/٢١)، وعن الزوجية في عالم الحيوان، يقول الحق سبحانه «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» (الزمر/٦)، وفي سورة الانعام (١٤٣) «ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين..» حتى قول الحق في الآية التالية «.. ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين..» وعن الزوجية في عالم النبات، نقرأ «أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم» (الشعراء/٧)، وفي سورة الرعد(٣) «ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين»، ونقرأ «وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى» (طه/٥٣)، ثم نقرأ عن الزوجية في الكون والحياة، فيما نعلم، وفيما لا نعلم «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» (يس/٣٦). ويبلغ معنى الزوجية غايته، ونحن نقرأ الآية الكريمة «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» (الذاريات/٤٩). وكأنما الوجود كله جاء أزواجاً في أزواج في أزواج.

## في الزوجية سر الحياة:

لقد علمت - ولا ريب - أن جسم الانسان والحيوان والنبات، مؤلف من ملايين الخلايا الدقيقة، حتى إن أجسامنا تحتوي منها على نحو ٦٠ مليون مليون خلية، دعنا ننظر الى واحدة منها تحت عدسات المجهر، لنجد مادة الحياة الأولى، وقد أحاطها غلاف رقيق

فحددها.. وامتلأ الغلاف بسائل، فيه شيء من غلظ. هذا هو السيتوبلازم. وفي وسطه، نجد النواة. وهي سر عظيم من أسرار الحياة، وتحتوي النواة على ٤٦ كروموزوماً (صبغياً) دقيقاً، كل واحد منها يتكون من جينات عديدة، ولكن الخلايا الوحيدة التي لا تحتوي كل منها على هذا العدد الصبغي، هي بويضات الانثى ونطف الذكر.. ففي كل منها، نجد نصف العدد الصبغي، أي ثلاثاً وعشرين لا غير. ومن هذه الخلايا الجنسية، التي جاءت أزواجاً، كانت بدايتنا، حينما تزاوج حيوان منوي مع بويضة، ذلك هو أول ما يعلم الناس عن زوجية الحياة، على المستوى الخلوي الدقيق.. ولكن هناك ما هو أعمق وأعمق.. فالنطف الذكرية، يقوم خلقها هي نفسها على مبدأ الزوجية. وهذا حق، فقد كشف الباحثون، على أن السائل المنوي الضئيل، الذي لا يزيد حجمه عن ٣ سنتيمترا، يحتوي على جيوش من الحيوانات المنوية السابحة، حتى إن الرجل ينتج في الافاضة الواحدة ما بين مائتين وستمائة مليوناً منها. ولكن المدهش العجيب، أن نصف هذا العدد تماماً، لابد أن يكون حاملا لعنصر الذكورة، ونصفه الآخر لابد أن يكون حاملا لعنصر الانوثة. نعم.. فنواة الخلية البشرية - على نحو ما علمت - تحتوي على ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموزومات، غير أن منها اثنين وعشرين زوجاً تكون متشابهة في خلايا الرجل والمرأة، ويكون الزوج الثالث والعشرين مختلفاً عند الاثنين. هذا الزوج الأخير هو كروموزومات الجنس، ويشار اليه بحرفي Y , X والعلماء قد وجدوا أن كل خلايا الانثى الجسمية تحمل كروموزمين من نوع X فقط، ومن ثم تأتي كل بويضاتها حاملة للنوع X ولا شيء سواه. وعند الذكر يكون الأمر على خلاف ذلك، فكل خلايا الذكر الجسمية تحمل كروموزوماً واحدا من X ، وآخر من Y .

وهكذا.. فعندما تتخلق الحيوانات المنوية في الخصية، وتنفصل الكروموزومات فرادى - أثناء الانقسام الاختزالي - يأتي نصف الحيوانات المنوية حاملا لعنصر الانوثة X، ونصفها الآخر حاملا لعنصر الذكورة Y . ويستطيع المرء أن يتوقع جنس الجنين الناتج، عن اجتماع الحيوان المنوي بالبويضة. فاذا كان الحيوان المنوي حاملا للكروموزوم Xفان الجنين، يكون XX ، وهذه انثى. أما اذا كان الحيوان المنوي حاملا للكروموزوم Y ، فان الجنين يكون XY ، وهذا ذكر. ومعنى ذلك أن نطفة الرجل التي جاءت في أزواج، هي الفيصل. وفي ذلك يقول الحق سبحانه «وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى» (النجم /٤٥ - ٤٦). ففي كلمات قليلة معجزة، أبانت أن نطفة الرجل التي تمني وتصب في الارحام، هي التي تقرر الانوثة والذكورة، لأنها هي نفسها جاءت أزواجاً، وأن منها وفيها تتجلى فكرة الزوجية «ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والانثى» (القيامة/ ٣٧ - ٣٩).

**أختام الحياة وأزواجها:**

التلقيح هو اجتماع الأزواج الخلوية الذكرية والانثوية، ولكن الاخصاب شيء آخر مختلف.. انه الاندماج الفعلي لنواة خلية الذكورة بنواة خلية الانوثة. وليس كل تلقيح مؤدياً بالضرورة إلى اخصاب. إن الاخصاب يتطلب اجتماعاً لزوج عجيب من البروتين، فوق أغشية الخلية الذكرية، والخلية الانثوية، ولا أمل في اخصاب، إذا غاب الزوج البروتيني. ونسأل، وما معنى هذا؟ حسناً.. دعنا نضرب الأمثال من عوالم الأحياء المختلفة.. ففي عالم النبات، نجد ذكور النخيل.. تلك التي تحمل شماريخ زهرية، نجدها

# مياسم زهور النبات لا تستقبل من حب لقاح الاخصاب الا نوعها فقط

# نواة الخلية البشرية تحوي ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموزومات

تطلق من حولها، فى الهواء، بلايين الخلايا الجنسية (حبوب اللقاح). وفى العادة، تحط حبوب اللقاح على مياسم (وهى مراكز استقبال الحبوب) زهور نباتات مختلفة.. برسيم، باذنجان، تين، برتقال،.. وغيرها. ولكن، هل يحدث اخصاب؟ كلا، فالمدهش أن مياسم زهور النباتات جميعها لا تسمح أبدا بالدخول والاخصاب، إلا لحبة لقاح من نوعها فقط. النخل للنخل، والبرتقال للبرتقال، والتين للتين.. وهكذا. فما هو السر؟ وقبل أن نجيب، نذهب الى عالم الحيوان، فنجد المشهد نفسه يتكرر.. ففى معظم البرمائيات والتى منها الضفادع، وفى بعض أنواع الأسماك، وفى قنافذ البحر وغيرها من الحيوانات المائية، يشيع نوع من التلقيح، يسمونه «التلقيح الخارجى» وفيه تضع الانثى خلايا الانوثة فى الماء، وكذلك يسقط الذكر منيه فيه، ليحدث التلقيح المنتظر.. ولكن الأمر الجدير بالتأمل هنا، هو أن تيار الماء فى منطقة معينة يكون حاملا لخليط عجيب من البويضات والحيوانات المنوية الخاصة بأنواع حيوانية كثيرة، ولكن الاخصاب، لا يتم أبداً إلا بين حيوان منوى وبويضة من نفس النوع الحيوانى. ونعود نسأل عن السر. ومرة اخرى نؤجل الخوض فى الأسرار، حتى ننظر فى هذه التجربة المدهشة. هب أنك جئت بخليط من الحيوانات المنوية، التابعة لأنواع حيوانية كثيرة، فى أنبوبة اختبار، بها بويضة لأنثى انسان، ثم انتظرت وانتظرت، حتى يحدث اخصاب.. ولكن الانتظار يطول، ولا أمل فى اخصاب أبداً. وإذن، أضف إلى الخليط حيوانات منوية بشرية.. وهنا فقط تفتح البويضة أبوابها ويحدث الاخصاب. والآن لابد من معرفة السر.. سر هذا النظام العجيب.. وسر تلك الخطة التى حالت دون اختلاط الأنواع النباتية والحيوانية ببعضها، على مدى آلاف السنين. ونعرف من العلماء أن السر يكمن فى قانون الزوجية، وأن هناك أزواجاً بروتينية تكون غشاء الخلايا الجنسية الرقيق.. ذلك الغشاء الذى لا يزيد سمكه عن ثمانية زجزاء من مليون جزء من المليمتر، ولكنه مع ذلك يحوى من عجائب الخلق ما يملأ المجلدات الضخام.

فعند الباحثين، أن بويضات كل نوع حى تكون مغلفة بأغلفة من مواد مخاطية جاذبة تسمى المخصبة (Fertilizin) وهى جزئيات سكرية بروتينية معقدة التركيب. وعندهم أن الحيوان المنوي، الذى يتبع نفس النوع، هو وحده الذى يمتلك فى رأسه، المادة الاخرى المضادة أى المادة المخصبة المضادة (Anti-fertilizin). وهكذا كأنما كل بويضة قد أحيطت «بأختام» سرية، لا يقدر على فضها، إلا حيوان منوى يتبع نفس نوعها. انهما بمثابة القفل والمفتاح، أو الشفرة الكيميائية والشفرة المضادة. ولقد أحصوا عدد هذه الازواج البروتينية، فجاءت بنفس عدد الأنواع الحية فى العالم. أزواج عجيبة، حافظت ومازالت تحافظ على نقاء الانواع الحية إلى ما شاء الله. «وهذا خلق الله، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه».

## أزواج فى أزواج:

وتمضى بنا رحلة البحث عن الازواج الى أعماق النوى، وننظر إلى ناتج الاخصاب بين نطفة الرجل وبويضة الانثى، فنجد نواة جديدة تتخلق، هى نواة «النطفة الامشاج»، التى منها يتخلق الجنين. ففى هذه النواة كل كنوز الشفرة الوراثية، وفيها يستكن «قدر» كل حي، وكأنما هذا ما عنته الآية الكريمة «انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه..» (الانسان/٢).

# البويضة والحيوان المنوي لا يخصبان الا من نفس نوعهما

وفى هذه الأعماق النووية، نجد منظومة جديدة من الازواج. انها الكروموزومات أو الامشاج، فهى كذلك فى أزواج.

وانه لمشهد رائع ذلك الذى يبدو أمام الناظرين، مع كل دورة انقسامية للخلية. ففى البداية، نشاهد الكروموزومات وهى تصطف أزواجاً أزواجاً، وفجأة نجد كل كروموزوم وهو يتضاعف ويهب من نفسه زوجاً جديداً، وتصبح بذلك الثلاثة والعشرون زوجاً صبغياً - بقدرة قادر - ستة وأربعين زوجاً. وكل زوج منها يعتبر نسخة متقنة من نظيره. وبعد قليل، تهاجر الأزواج مناصفة بالعدل والقسطاس، الى قطبى الخلية، استعداداً للانقسام، لتصبح الخلية الواحدة خليتين. وهنا يكمن جوهر ذلك النوع من الانقسام الذى يعرف بالخيطى. إن جوهره، هو الحفاظ على العدد الصبغى ثابتاً، من جيل خلوى الى جيل. ففى كل خلية جديدة، نجد ثلاثاً وعشرين زوجاً مثلما كان فى الخلية الأصلية تماماً. إنها الازواج فى عالم الأمشاج. ولكن هناك أزواجاً اخرى في داخل كل مشيج، حيث يبدو على هيئة زوج مترابط قرب منتصفه. إن الناظر الى الخلية أثناء فترة انقسامها، يجد كل كروموزوم مكوناً من زوج من الكروماتيدات، مرتبطين بمنطقة السنترومير. وفى داخل الكروموزوم نفسه أزواج أخرى من الجينات المتحكمة فى صفات الكائن الحى ما ظهر منها وما بطن. وهى بزوجيتها قد مهدت السبيل لظهور التنوع الهائل بين المخلوقات. هذا التنوع الذى أشارت اليه آيات كثيرة فى كتاب ربنا « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم» (الروم/٢٢)، وقوله تعالى «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها» (فاطر/٢٧)، وقوله تعالى «ومن الناس والدواب والأنعام مختلفاً ألوانه..» (فاطر/٢٨)، ونقرأ أيضا «ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه» (الزمر/٢١). والحق أن سر التنوع اللامحدود بين الخلائق يكمن في زوجية الجينات.. فعند العلماء أن كل صغيرة وكبيرة فى خلق الانسان - على سبيل المثال - يهيمن عليها نحو ٥٠ - ١٠٠ ألف جينه تركيبية، نصفها جاء من خلية الأم الجنسية، ونصفها الآخر جاء من خلية الأب الجنسية. ولأجل هذا جاءت الجينات الوراثية على الكروموزوم أزواجاً أزواجاً. بعض الناس يتساءلون عن المدلول البيولوجي لهذه الزوجية، ونعرف أن لها دورها فى استمرار تواجد صفات الاب والأم جنباً الى جنب، أزواجاً أزواجاً، فى أعمق أعماق خلايا الأبناء.. ففى هذه الخلايا، تصبح احتمالات التنوع بلا حدود، اذ ربما تسود جينة الأب على جينة الأم المقابلة، وهنا يأتى الابن حاملا لصفة أبيه تلك، دون أمه. وربما يحدث العكس فى صفة أخرى، وربما يشترك الزوجان معاً - على المستوى الجينى - فى التعبير بالتساوى عن صفة ما، فيأتى الوليد وسطاً بين صفتى الوالدين. صفة من هنا، وصفة من هناك، وصفة أخرى تأتى بالمشاركة. وهكذا تكون الأمور عبر آلاف الجينات، ويأتى الوليد نتاجاً لكل هذه التفاعلات. يأتى (سبيكة) فريدة، لا سبيل الى تكرارها، ويكون التنوع الهائل فى الخلائق، والسر؟ السر فى هذه الزوجية المدهشة.. زوجية الجينات.

### وضفائر الحياة في أزواج:

سائل يسأل عن أعماق الجين، وعن خلقه الكيميائي، وهل للأزواج دور فى تركيبه؟ إن الجين - فى أبسط تصور - ما هو ألا مجموعة من درجات السلم الحلزونى لحامض النواة النبيل المسمى الديوكسى

رايبوزى (D0N0A)٠ وهو الحامض الذى بنى بطريقة لولبية حلزونية، أو قل إنه بمثابة سلم حلزونى طويل ودقيق، على يمينه «درابزين»، وعلى يساره «درابزين»٠ وفى تركيب الدرابزين، نجد فكرة الازواج، حيث يتكون من سكر ديوكسى ريبوز مرتبط بقرين من الفوسفات٠ ودائماً يسير الدرابزين على جانبيه هكذا٠٠ سكر وفوسفات٠٠ سكر وفوسفات٠٠ مكرراً هذا الزوج ملايين المرات٠

لكن ماذا يربط زوج الدرابزين؟ تربطه سلاسل كيميائية، تشبه درجات السلم٠ وهى تتكون من قواعد أربعة، ترتبط فيما بينها أزواجاً أزواجاً٠ فالقاعدة ادينين ترتبط دائماً بزوجها ثيمين أى أن ( A مع T)، والقاعدة جوانين ترتبط دائما بقرينها سيتوزين، أى أن (G مع C)٠ وتتكرر هذه الازواج ملايين المرات، لتصنع ملايين الدرجات لسلمنا الحلزونى٠ ولكن المدهش حقاً، أنه من المحال أن يرتبط (A) بغير قرينه (T)، ومن المحال أن يرتبط (G) بغير قرينه (C) ، ويكمن ذلك فى طبيعة الهندسة الفراغية الجزيئية، التى تسرى فى تكوين هذا الشريط طولياً، وكذلك فى طبيعة المسافات والزوايا٠ بحيث يتحتم أن تكون هذه القاعدة قالباً لزوجها الذى يقابلها فقط، ولا أحد غيره، ولكن الروعة الحقيقية لهذا الجزئ النبيل تكمن فى قدرته على أن يهب من نفسه زوجاً آخر يشبهه تماماً٠ وانه «لسيناريو» مدهش، يبدأ بأمر يتلقاه الشريط الوراثى أو سلمنا الحلزونى٠ وهنا يدور السلم حول نفسه عشرة ملايين دورة، يتحول بعدها الى سلم غير مجدول٠ وبقدرة قادر، يصل انزيم يعمل كمنشار حاد، يقوم بشق السلم من خلال درجاته أو «أزواجه» الكيميائية، الى شطرين طوليين٠ وهكذا يصبح كل قرين معلقاً وحيداً على أحد الشطرين٠ وعندئذ نشاهد أعظم حدث فى روعة تخليق الجزىء ٠٠ فمن خلال جدار النواة، تندفع الى الداخل جزئيات السكر والفوسفات وقواعد (A) , (T) , (G) , (C)٠ وبسرعة تجرى الجزئيات وتدور حور أنصاف السلالم المعلقة٠ إن كل جزىء منها يعرف تماماً مكانه وزواياه٠٠ فبعضها يكمل أنصاف السلالم، وبعضها يكون «الدرابزين»، وتكتمل الازواج مرة ثانية٠٠ فالقاعدة (A)تكتمل بزوجها (T) ، وكذلك يفعل (G) مع (C)٠

ونرى فى نهاية هذا (السيناريو) الفذ زوجين جديدين، تولدا من الزوج الأصلى ويشبهه تماماً٠ وكل ذلك يجرى فى صمت وهدوء وفى سهولة وبلا أخطاء ٠٠ والسر؟ السر فى هذه الهندسة الزوجية التى تقوم عليها الحياة، بحيث لا ينبغى لأى قاعدة ـ فى طوفان بلايين الجزئيات المتفاعلة ـ أن ترتبط بغير قرينها الذى قدره الله منذ بدء الخلق، إنها الازواج فى أعمق أعماق سر الحياة٠

## الأزواج بين اليمين واليسار:

إنك اذا نظرت الى يدك اليمنى فى المرآة، فسترى يداً يسرى، والعكس بالعكس٠ ومثل هذه الظاهرة تجدها فى كل جزئيات الحياة، وتسمى ظاهرة الأزواج المعكوسة (فى المرآة)٠ وعند العلماء، أن جميع الجزئيات الكيميائية الأساسية، التى تقوم عليها أعمدة الحياة ـ فى كل المخلوقات الحية ـ تقوم على فكرة الجزىء اليمينى أو اليسارى، وأنها جميعاً جاءت أزواجاً أزواجاً٠ ونعود الى سيد الجزئيات الكيميائية، إلى (DNA) ونسأل عن زوجيته اليمينية واليسارية، ونجد العلماء يقررون أن القواعد الأربعة التى تخلق منها الجزىء قد ظهرت أول ما ظهرت الحياة أزواجاً أزواجاً٠٠ قواعد يمينية وقواعد يسارية جنباً الى جنب (وبوسع العلماء أن يأتوا بهذا الخليط الكيميائى فى معاملهم)، ولكن ارادة الله شاءت، أن تختفى ازواج

# نواة النطفة الامشاج فيها كل كنوز الشفرة الوراثية

# بلايين الجزيئات المنتشرة في الكون لا ترتبط واحدة منها الا بزوجها

القواعد اليسارية، فى كل المخلوقات الحية، وأن يقع الاختيار على الازواج اليمينية وحدها، لتكون الجزيء المعجزة، وهكذا كانت المشيئة، وسارت الحياة طوال آلاف الملايين من السنين، دون أن يعتريها خلل، أو يشذ عن المشيئة شاذ. ولكن البعض يسأل عن الحكمة من وراء هذا الفصل بين الزوجين اليمينى واليسارى، وماذا يمكن أن يحدث إذا اجتمع الزوجان معاً فى قلب الشريط الوراثى؟ الحق أنه لو حدث ذلك، لكانت الفوضى، وكان الخلل فى هذه الحياة. ولكن ، لماذا؟ لعلنا نذكر أن الشريط الوراثى، يشبه السلم الحلزونى ذى الدرجات المتآلفة من أزواج القواعد اليمينية، وبفضل هذا التآلف بين الأزواج (ذوات الصورة الواحدة)، صار من الميسور على سلمنا الوراثى، أن يدور حول نفسه فى (اتجاه واحد لا غير).. وهو اتجاه ثابت وموحد فى جميع المخلوقات. ولا شك أن تصميم أى سلم حلزونى، لابد أن ينطوى على مبدأ دورانه فى اتجاه واحد. بمعنى أن درجاته كلها، اما أن تصعد بك يميناً أو يساراً، ولا يمكن أن يحدث الأمران معاً. وبوسعك أن تتصور ما كان يمكن أن يحدث من فوضى بالحياة، اذا ما احتوى سلمنا الحلزونى الوراثى على قواعد يمينية ويسارية معاً. تخيل هذا السلم الحلزونى الطويل، وقد دارت أجزاء منه الى اليمين (فى اتجاه عقرب الساعة)، وأجزاء أخرى الى اليسار (فى عكس اتجاه عقرب الساعة). إذا تخيلت سلمنا الوراثى - على هذا النحو - اذن فسوف تجده سلماً غير سوى، شاذ التكوين، غير متماسك البنيان، وغير خليق للقيام بوظائف الجين، وغير صالح لنقل صفات الحياة، على مدى آلاف الملايين من السنين. إنها الحكمة فى خلق هذا الجزيء النبيل، الذى كان جديراً بحمل سر الحياة. ونعود نبحث عن الأزواج المعكوسة (فى المرآة)، فنجدها فى كل مركبات الحياة، فالأحماض الأمينية الطبيعية، التى تدخل فى تكوين البروتينات، كلها من النوع اليسارى. وكل السكريات الطبيعية التى تنتشر فى عالم النبات والحيوان، من النوع اليمينى.. وهكذا. والعلماء قد عرفوا الصور الأخرى المعكوسة بتجارب كيميائية فى معاملهم، كان منها أزواج من المركبات خليطة، ولكن الحياة - كما علمنا - لا تسير إلا باحدى هاتين الصورتين.

ومما يذكر، أن العلماء كشفوا عن هذه الظاهرة من قديم، حتى إن العالم الفرنسى الكبير «لويس باستير» كتب عنها فى أول بحث له، يقول «إن من الضرورى أن توجد جزئيات الحياة يمينية أو يسارية»، بل انه ربط - لأول مرة - كل أشكال الحياة بنوع واحد من التركيب الكيميائى، وبصفة كيميائية واحدة.. صفة اليمينية واليسارية، ولدى علماء اليوم، الكثير من العلم الذى يؤكد صدق ما رآه باستير. إن لديهم ايماناً لا شك فيه، بأن أى مركب حيوى - عند تخليقه - لابد أن يأتى بصورة زوجية (فى المرآة). صورة يمينية ويسارية. وسبحان من خلق الازواج كلها مما نعلم ومما لا نعلم.

## الموجب والسالب: أزواج الكون:

والآن .. هل ثمة أزواج أخرى، أخفى من عالم الجزئيات؟ سؤال مثير حقاً، ولكن الاجابة عنه، أكثر اثارة للفكر. أليس مثيراً أن نجد عالم الذرات - وهو العالم الأجفى - جاء بدوره أزواجاً فى أزواج؟ إن الذرة - كما نعلم - شيء أصغر عن أن تراه العيون، وعن أن تراه المجاهر. وعالم الذرات، عالم لا تدركه العقول إلا تشبيهاً، فذرة الايدروجين - على سبيل المثال - يبلغ قطرها ١٫٠٦ أنجستروم (الانجستروم يعادل جزءاً واحداً من عشرة ملايين جزء من الملليمتر)، ويبلغ وزنها ١٫٦٧ جزءاً من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام. والذرة تتآلف من نواة فى وسطها، تتكون بصفة أساسية من جسيمات موجبة الشحنة (+) هى البروتونات، وإلى جانبها جسيمات متعادلة

# الشريط الوراثي محفوظ بعناية الخالق سبحانه من الخلل والاضطراب

(نيوترونات)٠ وحول هذه النواة (الموجبة) تدور جسيمات سالبة الشحنة (-) هى الالكترونات٠ ومعنى ذلك أن الذرة ـ من حيث الكهرباء ـ متعادلة الشحنة، لأن الشحنة السالبة للالكترونات تساوى تماماً شحنة النواة الموجبة٠ وانه لمثل رائع للزوجية، على المستوى الذرى، فكل ذرات الكون تتألف من هذا الزوج٠٠ الموجب والسالب٠ وكل عناصر الكون وذراته، تقوم على أساس هذا الزوج من الجسيمات الأساسية (البروتون) الموجب، والاليكترون السالب، اللذين يتآلفان بأعداد مختلفة فى نواة ومدارات، لتكون منها كل ما فى الأرض والسماء٠ وعند العلماء، أن ولادة هذا الزوج الأولى من الجسيمات ـ على المستوى الكونى ـ يتم دائماً فى وقت واحد٠٠ فما ان ينشأ بروتون موجب، إلا ويجد له قرينه الذى يدور حوله على هيئة اليكترون سالب٠ انهما اذن زوجان اثنان تقوم على أكتافهما كل عناصر الكون العظيم٠

### الأزواج النقيضة فى الخفاء:

انها أزواج أخفى من الذرة نفسها، ولكن العلماء يمارسون معها ـ صباح مساء ـ لعبة طريفة ذات مغزى علمى مثير٠ ففى المفاعلات النووية الضخمة، يعمد العلماء لاطلاق كمية محددة من الطاقة تساوى ١٫٠٢ مليون اليكترون فولت، لتصطدم بهدف مادى، وعندئذ فانها تتوقف ثم تظهر على هيئة مادة، أى يتخلق منها (زوج) من الجسيمات المادية الدقيقة، أحدهما محمل بشحنة كهربية سالبة، وهو اليكتروننا المعهود، الذى نعرفه فى عالمنا، أما الآخر فهو صورته المعكوسة (فى المرآة)، وهو محمل بشحنة كهربية موجبة ويسمى (البوزيترون)٠ ولكن هذا الجسيم الضد (البوزيترون) لا يمكن أن يعيش فى عالمنا لحظة واحدة، ولابد أن يتقابل سريعاً مع واحد من الاليكترونات السالبة، وعندئذ يفنيان تماماً كمادة٠ ولكن لا شيء يفنى، اذ انهما يتحولان من مادة الى ومضتين ضوئيتين، تجريان بسرعة الضوء٠ حسناً٠٠ نقف الآن لنسجل، أن خلق هذه الجسيمات الذرية الدقيقة، انما يكون على هيئة أزواج، وأن أحد الزوجين يكون صورة لقرينه (فى المرآة)٠ ويمضى العلماء فى لعبتهم، ليروا ماذا يحدث حينما تصطدم ـ فى قلب مفاعلاتهم ـ جسيمات محملة بطاقات تصل الى ٦٠٠٠ مليون اليكترون فولت، بهدف مادى، إنهم وجدوها تتوقف، ثم تفقد طاقاتها لتتحول الى (زوج) من الجسيمات المادية، أحدهما هو البروتون (الموجب) والآخر هو صورته المعكوسة فى المرآة (البروتون النقيض)٠ وسرعان ما يتقابل الزوجان النقيضان معاً، ويفنى كلاهما صاحبه، وتخرج (روحهما) على هيئة طاقات هائلة٠ ونسأل عن البروتين النقيض، فيقال إنه الصورة المعكوسة للبروتون المعروف، فهو يحمل شحنة سالبة، ولكن له نفس وزن البروتون، الذى يعيش داخل نوى ذرات عالمنا٠ وتتواصل لعبة العلماء، فى مفاعلاتهم الجبارة، ليشهدوا مولد أزواج وأزواج من الجسيمات الذرية٠٠ أزواج النيوترون وصورته فى المرآة (النيوترون الضد)، والنيوترينو وضده، وأزواج عائلة الميزونات (الميو والباى والكاف)، وأزواج عائلة الجسيمات الثقيلة (اللامدا والسيجما والزاى٠٠ الخ) وبقية جسيمات الذرة الثلاثة والثلاثين٠

ولكل من هذه الأزواج صورة معكوسة، ولها كيان حقيقى (فى المرآة)٠ وهكذا تكتمل الصورة ـ أمام العلماء ـ وتظهر الحقيقة، التى لا ريبة فيها، وهى أن لكل الجسيمات الذرية التى تبنى عالمنا، أزواجا نقيضة معكوسة٠٠ وأن هذه الأزواج النقيضة، تظهر وتموت فى لمحة خاطفة حينما تصطدم بأزواجها المعكوسة، وكأنها لم تخلق لتعيش فى عالمنا، ولا مفر أمامها من العودة سريعاً إلى عالمها الذى خلقت له، فهو من جنسها٠٠ معكوس فى مادته، ومعكوس فى زمنه٠ انه صورة أخرى لعالمنا ولزمننا (فى المرآة)٠ وتلك هى

حقائق العلم التى يؤكدها العلماء الاصلاء، وتؤكدها أبحاثهم ومعادلاتهم الرصينة. وإنها لحقائق تقف العقول أمامها حيرى عاجزة.

## مرايا الكون والزمان:

من غرائب حقائق العلم، تلك التى تقول بأن لزمننا ولكوننا صورة أخرى معكوسة (فى المرآة)، وأن الزمن والكون، جاء كلاهما أزواجاً أزواجاً. وأنت تسأل: وما معنى هذا؟ إن صورة الزمن الماثلة ـ فى أذهاننا ـ أنه يسير مندفعاً دوماً الى الامام كالسهم، وجهته الى المستقبل، ومؤخرته الماضى. تلك هى الصورة المعقولة والمفهومة، أما أن يكون للزمن زوج نقيض، وللكون كون آخر نقيض بزمن نقيض، ينطلق الى الوراء فى الماضى، ان هذا لشيء عجاب. ولكن الأعجب والأغرب أن هذه هى الحقيقة التى تؤكدها دراسات العلماء، بل إن عالماً مشهوراً من علماء الطبيعة هو «ريتشارد فينمان» قد حاز، لأجل معادلاته الرياضية الخاصة بهذه الحقيقة، جائزة نوبل للعلم فى عام ١٩٦٥.

اذن، فالأمر جاد وحقيقى، وليس أبدا من قبيل الخيالات. واذن لا يسعنا إلا أن نحاول تجلية الغموض، مستعينين بتصورات رجل من رواد هذه الدراسات الملغزة، وهو البروفيسور «جون هويلر». فعند الرجل أن البوزيترون ليس فى حقيقته إلا اليكتروناً عادياً، ولكنه اليكترون يسير فى زمن معكوس، أى يعود الى الوراء.. الى الزمن الماضى (لمجرد لمحة خاطفة).. وعندها يبدو على هيئة الزوج المعكوس للاليكترون، أى البوزيترون. والآن ربما نحتاج الى وسيلة ايضاح، علها تقرب الأمر وتجليه.. ولعل أفضل وسيلة نستخدمها هى تلك البيانات التى كثيراً ما يستخدمها العلماء لبيان حركة الاجسام فى الزمان والمكان.. أعنى «بيانات مينكوفسكى» فلقد درج العلماء على دراسة حالة أى جسم متحرك فى الزمان والمكان وفقاً لما تنادى به نظرية النسبية لأينشتين، من أن الزمن بُعد رابع، وأنه منسوج فى الأبعاد الثلاثة المعروفة.. الطول والعرض والارتفاع.

وفى رأى العلماء، أن بيانات مينكوفسكى، هى خير وسيلة لتحديد الأبعاد الأربعة معاً، فى حالة اى جسم أو جسيم متحرك فى الزمان والمكان. ولكن، كيف؟ دعنا نرسم خطاً أفقياً يمثل (المكان)، ثم نرسم خطاً عمودياً عليه يمثل اتجاه (الزمن)، وخطاً ثالثا يكون موازيا لخط المكان وعمودياً على الزمن، وهذا يمثل (الحاضر). وطبقا لنظرية «هويلر»، نستطيع أن نتخيل الاليكترون على هيئة خطوط عشوائية.. فاذا سارت فى اتجاه الزمن، فان الجسم المتحرك يكون هو الاليكترون المعروف ذو الشحنة السالبة.. أما اذا سارت عكس اتجاه الزمن، فانه يكون بوزيتروناً موجباً. وكأنما البوزيترون والاليكترون ليسا إلا وجهين لعملة واحدة يفصل بينهما الزمن. وهكذا فان البوزيترون (الذى نرصده لحظياً فى ظروف خاصة) هو فى حقيقته اليكترون، غير أنه فى تلك اللحظة يكون متحركاً إلى الوراء، ضد سريان الزمن.. وهنا تسجله أجهزتنا باعتباره بوزيتروناً. ولكنه ما يلبث أن يعود ليسير مع الزمن، ويسترد «شخصيته» كالأليكترون. واذن لابد أن نتوقع تساوى عدد الاليكترونات فى الكون مع عدد أزواجها من البوزيترونات، وكذلك لابد أن تتساوى البروتونات مع أزواجها النقيضة، ومثلها باقى الجسيمات الذرية وأزواجها النقيضة. وكل ذلك يشير بوضوح الى حقيقة منطقية مدهشة، وهى أن كل جسيم من الجسيمات التى تبنى منها مادة الكون، لابد أن يكون له زوج أو قرين، يشبهه تماماً ولكنه معكوس الصفات. ويقتضى التفكير المنطقى المتسلسل، الاعتراف بأن مثل هذه الازواج النقيضة جميعها، لا يمكن أن تتواجد مطلقا ـ بصفة أصيلة ـ إلا فى داخل كون آخر نقيض. أعنى كوناً يتركب من مادة نقيضة، وله زمن نقيض. وتلك هى فكرة الزوجية فى الكون والزمن. وهى الزوجية التى يقول بها أساطين علماء التخصص، حتى اننا نقرأ كلمة للعالم الباكستانى المسلم «عبد السلام» استاذ الطبيعة النووية فى جامعة لندن، وزميل جمعية العلوم الملكية (FRS) وحائز جائزة نوبل فى العلوم ـ يقول فيها:

إن كل الشواهد العلمية تشير إلى أن مبدأ التماثل الزمنى، أو بمعنى آخر ازدواجية (أو زوجية) الزمن، يبدو لنا على هيئة قانون كونى، يستند على كثير من حقائق العلم ومقتضياته».

ويرى الفيلسوف «هانزرايشنباك» فى كتابه المسمى

(اتجاه الزمن) أنه ليس ثمة غضاضة في وجود كون نقيض بزمن نقيض، وعندئذ نستطيع أن نتصور أن أحداث الكون، وأحداث الكون النقيض، ليست إلا صوراً معكوسة، في مرآة كونية خيالية». ومثل هذا الرأي يقول به كثير من الباحثين، وتؤكد عليه معادلاتهم الرياضية الرصينة.. تلك المعادلات التي قادت البشرية من قبل، الى اكتشاف الكثير من حقائق الكون المعقدة، التي بدت في حينها غير قابلة للتصديق، ثم قامت تقنيات العلم المتقدمة - من بعد - تحققها وتؤكد مصداقيتها، وتضع على رؤوس مبدعيها أكاليل الغار.

## الزوجية بين الابداع والوحدة:

العلماء - بحق - هم أكثر عباد الله خشية لله. والعالم الحق، يعرف أن خالق الكون العظيم قد صنع قوانين الخلق ونواميسه، وأطلقها في الكون كله، بداية من الذرة وما دونها، حتى المجرة وما فوقها. وهي قوانين لا تشذ، ولا تتبدل «ولن تجد لسنةالله تبديلا» (الاحزاب/٦٢). والعالم الحق يؤمن بأن في هذا الكون تناسقاً عجيباً وتماثلا مدهشاً وهو التناسق الذي قال عنه آنيشتين «انه لا علم من غير الاعتقاد بوجود تناسق وتماثل داخلي في الكون». وعلماء الفلك والطبيعة والكيمياء والحياة الأصلاء يرون في قانون الزوجية نموذجاً عظيماً لتناسق الكون وتماثله.. فالزوجية اذن جوهر واحد مبثوث في كل الوجود. قانون في الكون والحياة واحد، أبدعه مبدع واحد عظيم. فسبحان من خلق الوجود كله، وخلق فيه ومنه الأزواج كلها مما نعلم ومما لا نعلم، و«سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون»

---


*** المراجع:**

*١ - أغروس، ر.م. - ستانسيو، ج.ن. (١٩٨٩): العلم في منظوره الجديد، (ترجمة كمال خلايلي) - عالم المعرفة - ١٣٤ - المجلس الوطني للثقافة - الكويت.*

*٢ - الربيعي، م. (١٩٨٦): الوراثة والانسان - عالم المعرفة - ١٠٠ - المجلس الوطني للثقافة ، الكويت.*

*٣ - الفنجري، أ. (١٩٨٥): الطب الوقائي في الاسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.*

*٤ - بافلوف، ب. تيرينتيف، أ. (١٩٧١): الكيمياء العضوية، دار مير للطباعة والنشر - موسكو.*

*٥ - برونوفسكي، ج. (١٩٨٧): التطور الحضاري للانسان - ترجمة احمد مستجير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.*

*٦ - جوديف، أ. (١٩٨٢): الوراثة - ترجمة (هاشم حسين - أحمد الشرقاوي) - مؤسسة الاهرام - القاهرة.*

*٧ - زكي ، أ. (١٩٧٦): مع الله في السماء - دار الهلال - القاهرة.*

*٨ - زكي ، أ. (١٩٨٧): مع الله في الارض - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.*

*٩ - صالح ، ع. (١٩٧١): مذكرات ذرة - دار المعارف - القاهرة.*

*١٠ - صالح، ع. (١٩٧١): أنت كم تساوي؟ دار الهلال - القاهرة.*

*١١ - صالح ، ع. (١٩٧٩): هل لك في الكون نقيض؟ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.*

*١٢ - صالح ، ع. (١٩٨٧): مسكين عالم الذكور - دار الشروق - القاهرة.*

*١٣ - عواض ، ح. (١٩٧٢): الضفيرة الخالدة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة.*

*١٤ - فيليبوفيتش ، يو. (١٩٨٠): اسس الكيمياء الحيوية - دارمير للطباعة والنشر - موسكو.*

*١٥ - كريك ، ف. (١٩٨٨): طبيعة الحياة - ترجمة أحمد مستجير - عالم المعرفة - ١٢٥ - المجلس الوطني للثقافة - الكويت.*

*١٦ - كونانت ، ج. (١٩٦٣): مواقف حاسمة في تاريخ العلم، ترجمة أحمد زكي - دار المعارف - القاهرة.*

*١٧ - واسرمان ، ب. (١٩٨٩): الاخصاب في الثدييات - الترجمة العربية لمجلة العلوم الامريكية - الكويت.*

*١٨ - ولسون ، ك. وآخرون (١٩٩٢): فكرة الزمان عبر التاريخ - ترجمة فؤاد كامل - عالم المعرفة - ١٥٩ - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.*

*١٩ - مجلة آفاق علمية: العدد ٣٤ - السنة ٦ - نوفمبر (١٩٩١) - عمان.*

*٢٠ - مجلة منار الاسلام : الاعداد (مايو ١٩٨٦) (اكتوبر ١٩٨٧) - دولة الامارات المتحدة.*

*٢١ - مجلة العربي: الاعداد (٢٤٥) - (٢٤٦) - وزارة الاعلام - الكويت.*

*٢٢ - مجلة الوعي الاسلامي: الاعداد (١٦١) - (١٦٢) - (١٦٣) - (١٦٩) - (١٧٠) - (١٧٢) - (١٧٣) - وزارة الاوقاف - الكويت.*

أوراق مطوية

# من حجازيات باكثير المجهوله (٣)

عندما افتتحت في شهر رجب ١٣٥٢هـ (دار الحديث) بمكة المكرمة اثناء وجوده فيها سعد بذلك علي احمد باكثير ورأى الحلم الذي لم يستطع ان يحققه فى حضرموت يتحقق فى الحجاز، ومن هنا كان احتفاله بهذه المدرسة الكبرى التى كان يرى فى انتشار امثالها فى جزيرة العرب صوت حق ومنبر دعوه يقضي على الخرافات والبدع الصوفية المنتشرة فى كثير من البلدان. وقد حفلت القصيدة بذكر اعلام الدعوة الاسلامية المستنيرة التى رأى ان مدرسة دار الحديث ستحيى تراثهم وترفع به مناراً لدعوة الاسلام النقيه. وموضوع القصيدة يشرح خلفية باكثير السلفية بوضوح ويضعنا وجهاً لوجه أمام خريطة التفكير عنده وامام توجهه العقدي. ولم يكن هذا فى حقيقة الامر إلا ثمرة من ثمار ثقافته الدينية فى حضرموت. فقد كان على إتصال بالمدرسة السلفية الحديثه وبرائديها الاحياء فى ذلك الوقت الامام محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» والشيخ محب الدين الخطيب صاحب مجلة «الفتح» مدعماً بقراءته المستفيضه لاعمال ابن تيميه وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب: ثم الافغاني ومحمد عبده وهم شخصيات القصيدة

وقد تأثر باكثير بالدعوة الى الجامعة الاسلامية والى انفتاح المسلمين على روح العصر ونبذ الخرافات والاوهام وما علق بالدين من غبار الدراويش.

وقد حاول باكثير إنشاء مدرسة فى مدينته سيئون بحضرموت على هذا الغرار حين تولى إدارة «مدرسة النهضة العلمية» التى كانت المدرسة الوحيدة هناك آنذاك وكان ذلك ١٣٤٤هـ. حاول باكثير ان يبث دعوة الاصلاح الحقيقى من خلال تلك المدرسة فى عقول النشء، وآمن بما دعا اليه الامام محمد عبده بان لا خلاص لهذه الامه الا من خلال الامساك بناصية «التربية والتعليم» وقد عبر عن رغبته فى التغيير فى قصائد كثيرة منها قوله:

إن برنامج تدريسكم ليس برنامج قوم مرتقين
ترهقون النشء بالحفظ فمن حفظ تقرير الى حفظ متون
ليس فى ذاك لهم من صنالح إنه يقتل منهم الناشئين
فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ملكات الحذق فى كل الفنون

وكانت المدرسة قبل ان يتولى باكثير إدارتها تقتصر على تدريس الفقه والحديث والنحو بالاسلوب التقليدي الذي لا يتفق مع سن التلاميذ وقدراتهم على الفهم، فبسَّط باكثير اسلوب التعليم وادخل مواد جديدة كالتاريخ والجغرافيا والانشاء والادب والشعر فثارت عليه ثائرة البعض واعتبروا فعله ذلك مروقاً على ما تعودوا عليه فى تعليم الابناء واعتبره بعضهم خروجاً عن منهج السلف الصالح واوغروا عليه صدور العامه وكانت بالنسبة لبعضهم فرصة للنيل من هذا الشاب الذي جاء يبشر بأفكار جديدة وكأنه يريد ان يعلمهم دينهم فكان باكثير يدافع عن نفسه ويبسط ذلك فى اشعاره الكثيرة ومنها قوله الذاعق بغضبة الحق:

أنا لم ادع الى غير الهدى


شرح وتقديم:
**د. محمد ابو بكر حميد**
كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود

والى غـــيـــر نهـــوض المسلمين
أنقـــمـــتم دعـــوة الناس الى
سُنة المخـــتـــار خـــيـــر المرسلين.

# تحية دار الحديث

## شعر: علي احمد باكثير

نظمها بمناسبة افتتاح دار الحديث بمكة المـكـرمـة.

دار الحـــديث شـــرُفت دارا
تيـهي عـلا واسـمي افـتـخـارا
وتجـاوزي الشـعـري العـبـور
وطـاولـي الـفـلـك المـدارا
أحـيي (ابن تيـمـيـة) الذي
في هـدي (أحـمـد) لا يجـارى
نـادي بـصـوت الحق - في
أمم تـصمُّ بـه - جـهـارا
و(فـتـاة) من فـجـر العلوم
وأنبـط القـلب الغـزارا(١)
لم يـأل للآثـار تبـيـيـنـاً
وللحـق انتـصـارا
و(المصلح النجـدي) حـيـيـه وأوليـه (العـمـارا)(٢)
أحـيـا الحـقـيـقـة بعـد مـا
حـفـروا لمضـجـعـهـا قـرارا
وأقـال هدي (مـحـمـد)
من بعـد مـا سئم العـثـارا
سـبك الـهـدى علق الجـمـو
د به فـأخلصـه نضـارا
وتـذكـري من أيـقـظ (الـ
شـرق) العـمـيق كـرى فـثـارا
علم الجـهـاد (جـمـال دين
اللـه) صـاقـلـه غـرارا(٣)
وتذكـري (الاسـتـاذ) والـ
ـعـزمـات والهـمـم الكبـارا!(٤)



إذ قـام للاسـلام يكـ
ـشف عن مـحـاسنه الخـمـارا
ويرد كـيـد الملحـدين
لـه وأوهـام الـنـصـارى
ولى وقـد أبقى (الرشـيـد)
يقـيـم للـدين (الاوارا)!(٥)

* * *

سـيـري على آثـارهـم
وابـنـي عـلـى الأس الجـدارا
وامـشـي الى القـدام لا
تـلـوي يمـيـنـا أو يـسـارا
وردي (المـنـابـع) عـذبـة
فـيـاضـة تشـفي الـودارا(٦)
ودعي (المجـاري) حـال فـيـ
ـهـا المـاء واسـود اكـدرارا
واسـمي عن (التـقـليـد) فـالتـقـ
ـليـد قلَّدنـا الشـنـارا
وأمـات انفـسـنـا وأو
رثـنـا المذلـة والصـغـارا

خلق الإله لنا العقو
ل فهل نعطلها اختيارا؟
قد حرم الله احتفا
ظا بالعقول لنا العقارا(٧)
أنعاف سكر سويعة
ونظل أدهرنا سكارى؟؟

* * *

ربي على اخلاق (طه)
المصطفى النشء الصغارا
وخذ يهمو بالعز تنفي
عن نبي الإسلام عارا
ودعي (علوم الكون) في
مغناك تنهمر انهمارا!
فيها الخلاص من الاسا
ر وكلنا يأبى الإسارا
و(الذكر) يأمرنا بها
فلنمض للذكر ائتمارا

* * *

وادعي لمن غرستك يمنا
ه بأن يخبى الثمارا
وبأن يعيش (ليعرب)
نورا وللاعداء نارا
اكرم (ببيت الله) بيتا
و(المليك) الشهم جارا!(٨)
(عبد العزيز) معز دين
الله معليه منارا
حامى حمى (الحرمين) مبـ
ـلغ ما تؤمله (نزارا)!
ومعيد سؤدد يعرب
من بعد ما اندثر اندثارا
أوليس اشجع قسور
يوما على الغبراء سارا(٩)
أوليس أعظم من أخا
ف من الملوك ومن أجارا؟
أوليس انداهم يداً
أوليس أطيبهم نجارا؟(١٠)
أوليس امنعهم حمى
اوليس أحماهم ذمارا؟(١١)
أوليس أتقاهم واكـ
ـثرهم لأخراه ادكارا؟
وأعفهم ليلا، وأتعبـ
ـهم بهمته نهارا؟!

* * *

واغدي بمحمود الثنا
ء على الألى رفعوك دارا
راموا بك الرضوان من
مولاهمو لا الاشتهارا
ممن تبرع بالجميل
ومن أعان ومن ادارا
وخذي تحية شاعر
تخذ (الجهاد) له شعارا!
يبغي لأمته النهوض
ويستقيل لها العثارا
وابقي على الايام لا
تخشين ميلا وانهيارا
في ظل (خير المالكين)
وفي حمى (بطل الصحاري)!

**على احمد باكثير**

**مكة المكرمة/ ١٥ رجب ١٣٥٢هـ**

---

*الهوامش:*

(١) فتاة: يقصد به الامام ابن القيم تلميذ ابن تيميه.
أنبط: أى فجّر . القُلُب: جمع قليب وهو ا لبئر.
(٢) المصلح النجدي: هو الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٣) جمال دين الله: الامام المجاهد جمال الدين الافغاني - الغرار: حد السيف.
(٤) الاستاذ: هو الامام محمد عبده.
(٥) الرشيد: هو الامام السيد محمد رشيد رضا صاحب «مجلة المنار».
(٦) الأوار: العطش.
(٧) العقار: الخمر.
(٨) المليك: يقصد به الملك عبد العزيز آل سعود.
(٩) قسور: من أسماء الاسد.
(١٠) النِّجار: الاصل والحسب.
(١٢) الذِّمار: ما ينبغي على المرء حياطته والدفاع عنه


مجلة
المنهل
أولى أمهات الصحافة السعودية



# ملامح الحياة الاجتماعية في العراق

## خلال عصر بني العباس


د. غيثان بن علي بن جريس
رئيس قسم التاريخ - جامعة الملك سعود


هناك صور من الحياة عديدة في المجتمع العراقي خلال حكم بني العباس (١٣٢هـ/٧٤٩م - ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، منها ما استحدث مع واقع البيئة، ومنها ما كانت ترجع الى عصر ما قبل الإسلام، ومنها ما اقتبست من الأمم الأجنبية وخاصة الفرس. وهذه الصور بالامكان ان يطلق عليها اسم: العادات والتقاليد، التي سيطرت على عقول الناس ولا تزال مسيطرة حتي اليوم. هذا وتختلف هذه العادات والتقاليد باختلاف المناسبات، فثمة عادات تظهر في مناسبات الأفراح والأعياد، وهناك عادات أخرى تبرز في حالات الأتراح والأحزان وجميعها لها علاقة بالحياة الاجتماعية بصفة عامة.

ومن مناسبات الأفراح، الاحتفال بالأعياد الدينية والمواسم القومية، ويذكر أن العرب في جاهليتهم كانوا يحتفلون ببعض الأعياد والمواسم، ويظهر أن أعظم أعيادهم كانا اثنين. فقد روى المحدثون والمؤرخون أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قدم المدينة، ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ان الله عز وجل قد ابدلكم خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى، فأول ما بدىء به من العيدين في المدينة عيد الفطر، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، وفيها كان عيد الأضحى أيضا(١)، ويقال أن العيدين اللذين كانا في الجاهلية هما المهرجان والنيروز(٢). وقد كانت للجاهلية مواسم أخرى يعيدون فيها ويفرحون، وهي مواسم الأسواق التي كانت لهم في الجاهلية كأسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز، وكأعياد الفرس التي كان يحتفل بها متحمسة العرب، وأعياد اليهود والنصارى التي كان يعيد فيها متهودوا العرب ومتنصروهم.

فلما بزغت شمس الإسلام نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الاحتفال بغير عيدى الفطر والأضحى ويظهر أن الرسول الأعظم قد لاحظ أنه لابد لكل أمة من عيد يفرح فيه الصغير، وينشرح به صدر الكبير ويروح فيه عن نفسه، وأنه لابد لكل عيد من مناسبة، وقد خشي الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه أن أبقى الاحتفال بذينك الموسمين الوثنيين (المهرجان والنيروز)

**في صدر الاسلام كانت الألقاب تنزل منازلها عند الاتقياء الصالحين**

# في العصر العباسي وما بعده تحولت الألقاب إلى واجهات اجتماعية ونفعية

أن يكون ذلك تنويها بشعائر الجاهلية، فاستبدلهما بموسمين عظيمين هما يوم انتهاء صوم رمضان، ويوم وقوف الناس على عرفة، قال السيد محمود شكري الألوسي: «إنه ما من عيد في الناس الا سبب وجوده تنويه بشعائر دين، أو موافقة أئمة مذهب، أو شيء مما يضاهي ذلك، فخشي النبي (صلى الله عليه وسلم) ان تركهم وعاداتهم أن يكون هناك تنويه بشعائر الجاهلية، أو ترويج لسنة أسلافها، فأبدلهما (المهرجان والنيروز) بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفية، وضم مع التجميل فيهما ذكر الله، وأبوابا من الطاعات، لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب، ولئلا يخلو اجتماعهم أيضا من اعلاء كلمة الله»(٣).

ويظهر أن المسلمين عادوا بعد انقضاء عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة في العصر العباسي، الى الاحتفال ببعض الأعياد القديمة، وعلى وجه الخصوص النيروز والمهرجان، والنيروز هو أعظم أعياد الفرس، ويقال: إن أول من اتخذه جمشيد، وسبب اتخاذه ـ فيما يزعمون ـ أن الملك طهمورث وكان ملكا عاتيا فلما هلك وملك بعده جمشيد سمي اليوم الذي ملك فيه (نوروز) أي اليوم الجديد. ومنهم من يزعم أنه اليوم الذي خلق الله فيه السموات والأرض وأنه كان معظما عند الفرس منذ أيام جمشيد، ومنهم من يزعم أن أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران ومدته ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (افريدون ماه) الذي هو أول شهور سنتهم. وأما المهرجان فوقوعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان وفي اليوم السادس عشر من (مهرماه) من شهور الفرس وهو ستة أيام، ويسمى آخرها المهرجان الأكبر. قال المسعودي: «وسبب تسميتهم له بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف، فمات في نصف الشهر الذي يسمونه (مهرماه) فسمي ذلك اليوم (مهرجان) وتفسيره (نفس مهر ذهبت)».

والى جانب الأعياد الاسلامية، عيدا الفطر والأضحى، ظل المسلمون يحتفلون بهذين الموسمين (المهرجان والنيروز) وبخاصة في فارس والعراق طوال العصور العباسية، وكان من عادات البعض أن يخرجوا الى البساتين والمنتديات العامة، فيتفسحون ويتبادلون الهدايا والتحف، ويلبسون أفخر الثياب وأغلى الحلل وأثمنها. قال السيد الألوسي: «وكانوا في مواسمهم وأيامهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس الفاخرة والحلل المثمنة والبرود المعجبة، والفرسان منهم يتسابقون على الخيل، والأجواد ييسرون (أي يلعبون بالميسر) وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب، ويزمرون بالدفوف، ونحو ذلك من التغني بأراجيز وأبيات من الشعر..»(٤) وكانوا يوزعون الأموال والصدقات على الفقراء وأهل الحاجة، كل بحسب قدرته، وكان الخليفة يمنح عطاياه وهداياه للمقربين من خاصته ورجاله، وكذلك كان يفعل الأعيان والوزراء، وبخاصة في النيروز، فقد كانوا يحتفلون فيه احتفالات لطيفة، وربما سمح

بعض الخلفاء لجماعات من المضحكين وأصحاب السماجات (المساخر) أن يظهروا في حضرته أو في الميادين العامة. وكانوا يسمحون أن يضرب بعضهم بعضا بالجلود والأنطاع. أما الفقراء وسواد الشعب، فقد كانوا يفعلون ذلك في الشوارع والميادين، وأما الأغنياء فقد كانوا يفعلون ذلك في دورهم وحدائقهم(٥). أما يوم المهرجان - وهو عيد الدخول في الشتاء فهو أكبر الأعياد بعد النيروز، وقد كانوا يتهادون فيه أيضا، ويفرحون بمقدمه، وفي الأدب العربي نثر وشعر كثير عن احتفال الناس بهذه الأعياد(٦).

ومن الأفراح في العراق وما جرت عليه العادة في عيد الأضحى ان يستقبل الحجاج عند عودتهم من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتقدم التهانئ لهم بسلامة الوصول وأداء فريضة الحج(٧)، وقد يشترك الخليفة نفسه في هذا الاستقبال. ويذكر في سنة واحد وتسعين وثلاث مائة أن استقبل الخليفة القادر بالله أهل خرسان القادمين من الحج الذاهبين الى المشرق(٨).

ومن صور الحياة أيضا الاحتفال بختمة القرآن الكريم، ويكون مقصورا على الأحداث، وتنظم بذلك المراكب ويظهرون فيها بأحسن الأزياء ويجوبون طرق المدينة ينشدون الأناشيد وقد لبسوا أفخر الثياب، ثم تقام المآدب وتوزع الخلع على المقربين والمؤدبين، وتقام مآدب يدعى اليها بعض العلماء وتوقد فيها النيران(٩).

ومن الطريف أن الخلفاء العباسيين أنفسهم كانوا يتوقعون أن ترسل اليهم الهدايا من حاشيتهم وموظفيهم في جميع أنحاء المملكة عندئذ، وأكثر من ذلك، يطالبون بها فالمتوكل جلس في يوم النيروز لاستقبال المهنئين واستلام الهدايا فدخل عليه الطبيب بختيشوع بن جبرائيل وكان من المقربين له فقال له المتوكل ما ترى في هذا اليوم؟ فقال مثل جرباشات الشحاذين اذ لبس قدر وأقبل على ما معي، ثم أخرج من كمه درج أبنوس مضبب بالذهب وفتحه عن حرير أخضر انكشف عن ملعقة كبيرة من جوهر لمع منها شهاب، ووضعها بين يديه فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله(١٠). وقد تبلغ قيمة هدايا النيروز والمهرجان للخلفاء ولعائلاتهم مبلغا كبيرا قد يتجاوز خمسة وثلاثين ألف دينار(١١).

هذا، وقد يتهادون بالقصائد الشعرية أيضا، خاصة الى من هم أعلى منهم منزلة، وهكذا فعل اسحق الصابي وهو في سجنه، اذ كتب الى عضد الدولة قصيدة أرسلها اليه مع درهم خرداني وجزء من كتاب، فكان مطلعها(١٢):

تصبح بعز واعتلاء حدود
وأبشر بخير واطراد سعود

وقال:

أتتك الهدايا فيه بين موفر
على قدر المهدى وبين زهيد

وقال:

فكان احتفالي في الهدية درهما
يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءا لطيفا ذرعه ذرع محبسي
وتقييده بالشكل مثل قيودي

**في غياب التوجه الديني الصحيح كثرت البدع والخرافات في الأعياد والمواسم والاحتفالات**

وكتب اليه في يوم نيروز فقال(١٣):

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره
وكن أبدا بالعود منه على وعد

أرى الناس يهدون الهدايا نفيسة
اليك ولم يترك لي الدهر ما أهدى

سوى سكر يحلو لك العيش مثله
وآس أخي عمر كعمرك ممتد

وبينهما من ضرب قومك درهم
وأبيات شعر من ثنائي ومن حمدي

فإن كنت ترضى ما به انبسطت يدى
وتقبله مني فهذا الذي عندى

أما حفلات التشريف - والتي اقتصرت على الخلفاء بصورة خاصة - فالعادة جرت أن يخلع الخليفة على الأمير أو الوزير والنقيب أو الوالي لاحدى المقاطعات أو غيرهم خلعا وألقابا. وقد عرفت عادة الألقاب أولا منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ لقب (صلى الله عليه وسلم) جماعة من أصحابه بألقاب تتفق مع ما قاموا به من الأعمال وما يتصفون بها فلقب أبا بكر (بالصديق) وعثمان (بذى النورين) وعلياً (بأبي تراب) وجعفر (بالطيار) وحمزة (أسد الله) وهكذا(١٤). ولم تستعمل ألقاب في العصر الأموى حتى جاء العصر العباسي، فسمي كل خليفة باسم واعتبرت ألقابا دينية فأبوا العباس (بالسفاح) وهارون (بالرشيد) وهكذا، الباقون كالمهدى والمتوكل والمستعين والمأمون(١٥).. و.. وغيرهم حتى الوزراء والقواد أعطيت لهم ألقاب، فالمأمون أعطى الفضل بن سهل لقب (ذى الرئاستين) ولقب المعتمد صاعد بن مخلد بذى الوزارتين، ولقب المقتدر بن الحسن ابن الفرات بولي الدولة وهكذا بقية وزراء وأمراء الدولة(١٦). هذا وقد وصلت الألقاب الى ثلاثة وأربعة ألقاب في العصر البويهي(١٧) وبصورة عامة كانت الألقاب في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعطي لأهل التقوى والدين ولكنها تغيرت في العصر العباسي فأصبحت تعطي لرجال السياسة وفيها تعظيم وتفخيم(١٨).

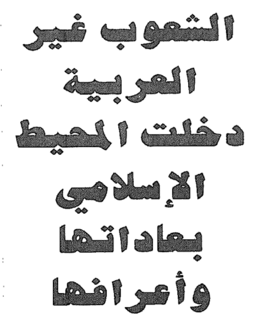
ولم يكتف العصر العباسي بمنح الألقاب، بل أعطيت معها خلع بلغت الى السبعة مع الطوق والسوار(١٩) وأعطيت للأمير بجكم لواء(٢٠) وجعل أمير الأمراء، وكذلك لابن رائق(٢١) وغيرهم من الأمراء والقواد. وكانت العادة أيضا أن يخطب على المنابر للخلفاء ويذكر اسمهم فقط، ولكن في القرن الرابع شارك الأمراء الخلفاء في ذكر اسمهم مع اسم الخليفة(٢٢) وكانت العادة أن تضرب الطبول والدبادب للصلوات بحضرة الخليفة(٢٣) فقط ثم أخذت تضرب للأمراء أيضا قيل أول من ضربت له الدبادب هو عضد الدولة(٢٤) ثم استمرت طيلة فترة حكم بني بويه(٢٥).

ومن صور مناسبات البهجة والأفراح، اللعب بالنرد والشطرنج، وكان العصر العباسي من أنشط العصور التي اشتهر فيها اللعب بالشطرنج، حيث نبغ فيه لاعبون معدودون منهم العدلي الذى ذكره ابن النديم في أول الفصل الذى كتبه عن البارعين بهذه الصناعة والمؤلفين فيها وفي حيلها، وقد ذكر عنه أنه أول من عمل كتابا في الشطرنج، وله أيضا كتاب النرد وأسبابها واللعب بها(٢٦). وممن ذكرهم ابن النديم في عداد الشطرنجيين الرازى، ولا ندرى أي رازى هو، غير أنه ذكر في صدد الكلام عنه، أنه كان نظير العدلي، وأنهما كانا يلعبان بين يدى الخليفة المتوكل على الله، وله كتاب في الشطرنج(٢٧). أما إمام هذه الصناعة فهو أبو بكر الصولي محمد بن يحيي الكاتب، الذى يذكر أنه كان أحسن شطرنجي في زمانه حتى لقب به، وقد ألف كتابا ذائع الصيت في الشطرنج ذكره ابن النديم، وقال: له كتاب الشطرنج النسخة الأولى والنسخة الثانية(٢٨).

ومن وسائل التسلية الأخرى التي عرفها العباسيون، بل ووجدت لها رواجا عند الكثير من فئات المجتمع، مسابقة الخيل والبغال والحمير والكلاب والطيور(٢٩)، وكذلك المصارعة والركض والسباحة، والصيد والطرد(٣٠)، وجميع هذه الوسائل وغيرها كثير مارسها علية القوم وعامة المجتمع، بل دوّن فى بعضها مؤلفات عده، ومن يدقق النظر والاطلاع في كتب التراث وبخاصة الأدبية منها، يجد معلومات

غزيرة عن ممارسة مثل هذه الألعاب وبخاصة في المراكز الحضارية الكبرى في العراق والشام وبلاد فارس وما حولها. والمسامرة بالقصص وسرد الطرف من الصور الاجتماعية التي عاشها ومارسها العباسيون في قصورهم ومنتدياتهم، بل ومارسها أغنياء المجتمع وفقراؤه، ومن يطالع كتب الأدب، أمثال مؤلفات الجاحظ، وابن عبد الله، وابن قتيبة والثعالبي، والأغاني، والقيرواني الحصري، وغيرها كثير يجدها مليئة بالقصص والطرف التي كانت تجرى في أماكن عدة وفي أزمان مختلفة خلال عهود بني العباس، بل ويجد تفصيلات أكثر عن طرق عرضها، ونوعية ما يقدم من فكاهات وقصص، ومن كان يدعم مثل تلك المجالس، بل ومن كان يرتادها إما مشاركا أو مشاهدا، الى غير ذلك من التوضيحات والتفضيلات الأخرى. وهناك صور أخرى تمثل نواحي الحياة في المجتمع، نذكر منها شيئا فيما يخص الطعام. واللباس وبعض الأمور الأخرى، فمن العادات المتبعة عند الطعام هي غسل الأيدى قبل الطعام وبعده ويكون في وعاء واحد(٢٩) يسمى بالطشت(٣٠) ويبدأ رب البيت بالغسيل(٣١) ويذكر متز أن العادة جرت أن يبدأ الغسل من جهة اليسار حتى ينتهي بصاحب البيت(٣٢)، بينما يغسل يديه بعد الضيوف عند الانتهاء من الطعام(٣٣) ويستعمل عادة الأشنان في الغسيل(٣٤)، ويذكر كشاجم أن عامة الناس تعودوا على اجلال رؤسائهم وخلفائهم لعدم غسل أيديهم بحضرتهم وأجازوا ذلك مع نظرائهم ليكون بذلك(٣٥) أليق ويذكر أن القائد الافشين أكل عند الخليفة المعتصم يوما وبعد الانتهاء من الطعام غسل يديه بحيث يراه المعتصم فأزعجه بهذا التصرف(٣٦). هذا ويعد الغسيل تنظف الأسنان. حُكي أن المأمون كان يصرف ساعتين كل يوم يستمع فيهما للشعراء أثناء تنظيف أسنانه، كما يستعمل السواك لتنظيف الأسنان(٣٧).

هذا، وقد اهتم الكتاب بآداب الطعام، فكتب الغزالى خمسة قواعد لآداب الطعام(٣٨) وكذلك كشاجم (٣٩) كتب في هذا الموضوع اضافة الى عدد كبير من الكتاب والمؤرخين من اهتم بذلك، فالخطيب البغدادى ذكر أنه بعد الانتهاء من الطعام على صاحب الدعوة أن يبخر المدعوين(٤٠) وعلى المدعوين أن يشكروا صاحب الدعوة عند مغادرتهم للبيت(٤١). أما عادات اللباس فهي كثيرة أيضا فلكل طبقة زى خاص بها. فالخلفاء اتخذوا السواد(٤٢) ولا يمكن تغييره لأنه أصبح شعارا لدولتهم وكذلك الوزراء وغيرهم من الداخلين لدار الخلافة عليهم أن يتخذوا الأقبية السوداء لباسا لهم(٤٣) وحتى من يحضر مجالسهم لبست الأثواب المصبغة الزاهية الاحمرار والاصفرار والاخضرار يصقلونها حتى تلمع(٤٤). وفي المواكب تتخذ أثواب خاصة بها أيضا(٤٥) وجرت العادة أن يلبس القضاة والفقهاء المبطنة والطيلسان الأسود والدراعة السوداء والقلانس المستديرة حتى أبدلت بعد ذلك بالعمائم السود المصقولة.




أما عادات الأحزان فهي كثيرة ولا تزال متبعة حتى اليوم في المجتمع وتبدأ عند تشييع المتوفى، اذ يخرج الأهل والأصدقاء، والمعارف ويسيرون خلف الجنازة(٤٦) فالمرأة تخرج وتبكي وتنشر شعرها وتلطم وتنشد الأشعار، وهكذا فعلت عند مقتل الخليفة المسترشد(٤٧) وقد تخرج نائحة خاصة خلف الجنازة(٤٨) وربما يخرج رجال من أصحاب الذكر

يسيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهاليل وترتيل الألحان(٤٩).

وفي حالة الدفن اعتاد البعض من أهل بغداد أن يدفن موتاه خارج أسوارها والبعض الآخر يدفن موتاه في النجف وهؤلاء أصحاب المذهب الشيعي وتنقل الأموات الي هذا المقر حتى من الأماكن البعيدة، ولازالت هذه العادة متبعة ليومنا هذا. وذكر أن عضد الدولة الأمير البويهي نقل جثمانه الى النجف في القرن الرابع الهجرى(٥٠) وكذلك استمرت عادة قراءة القرآن على القبور لدى جميع طبقات المجتمع. حُكى أن امرأة فقيرة دفعت الى رجل رغيفا وطلبت منه أن يقرأ عند قبر ابنها، فقرأ «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا».. قالت له هكذا يقرأ عند القبور؟(٥١)



وعلى ذكر طريقة دفن الموتى نشير الى عادة دفن النقود أيضا تحت الأرض خوفا من ضياعها: فالأمير الذى يحكم كان يحفظ أمواله في الصحراء(٥٢). وهكذا كان يفعل التجار. حُكي أن تاجرا قدم من خراسان متأهبا للحج، وبقي من ماله ألف دينار لا يحتاج اليها، فقال إن حملتها خاطرت بها وان أودعتها خفت مغبة المودع، فمضى الى الصحراء ودفنها تحت الشجرة، وعندما عاد لم يجدها فوصل الخبر الى عضد الدولة فاستطاع بمهارته وعمق تفكيره أن يهتدى الى السارق(٥٣).

أما المآتم التي تقام على الأموات، فكانت على نوعين، منها الخاصة بالرجال والأخرى بالنساء، يقرأ فيهما القرآن. ويختار لمجالس النساء قراء عميان أو قارئات يلبس فيها الثياب ذات اللون الأسود وهي تمثل شعار الحزن. وعلى ذكر ثياب العزاء فان المؤرخين وغيرهم من الكتاب لم يمدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها. على أننا نستطيع أن نقول أنه كان يغلب عليها اللون الأسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر العباسي سنة ٦٤٠هـ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة(٥٤).

ومن بين العادات الدينية التي تمثل صوراً من المجتمع العراقي زيارة قبور الأئمة والشهداء من أهل البيت، وكذلك قبر الامام أبي حنيفة ومشهد الصحابي سلمان الفارسي. وقد زار بعض الخلفاء قبور أهل البيت، وكانت تُنْفقُ أموال كثيرة على قبور الشخصيات التي تتمتع بصفة دينية، فالخليفة المستنصر عند زيارته لقبر الامام موسى بن جعفر أعطى ثلاثة آلاف دينار لنقيب الطالبيين لصرفها على المعنيين في مشهد الأئمة(٥٥). وفي حالة وفاة شخصية كبيرة كالخليفة أو الأمير فالحزن يعم بغداد كلها اذ تغلق الأسواق وتعلق الأقمشة السوداء على جدرانها وتقام المآتم في كل مكان. وحدث مثل ذلك في القرن الخامس الهجرى عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله فأظهرت علائم الحزن لمدة ثلاثة أيام(٥٦) على المستوى الرسمي والشعبي، وكذلك عند وفاة الأمير البويهي عضد الدولة. هذا وقد يظهر أصحاب المذهب الشيعي الحزن الشديد في ذكرى استشهاد الامام الحسين يوم عاشوراء(٥٧) ولا تزال عادة اظهار الحزن مستمرة في العراق حتى الوقت الحاضر.

وخلاصة القول، أن العهود الاسلامية الأولى،

وبخاصة عهود بني العباس شهدت أنماطاً اجتماعية كثيرة، ورثت من السابقين لتلك العصور، وبعضها تم اقتباسه من الفرس وغيرهم كعيدى المهرجان والنيروز. وما حدث من تنوع وتفنن في أساليب العيش خلال العصور العباسية، ليس الا نتيجة للاندماج والانفتاح البشرى الذى عاشته تلك الأزمنة، حيث كان سكان المجتمع خليط من العرب، والفرس، والاتراك، والبربر، والصقالية والديالمه، والأحباش، والهنود وغيرهم، كما ساد الخير والثراء الكثير من سكان البلاد، وبالتالي حصل التطور الحضارى الاجتماعي في جميع ضروب العيش. وليست النماذج التي أوردناه في هذه المقالة إلا شريحة بسيطة من الكيان الاجتماعي الكبير الذى كان يعيشه جميع فئات المجتمع تحت مظلة الخلافة العباسية.

---

*الهوامش والتعليقات:*

(١) انظر تفصيلات أكثر في كتاب النويري، نهاية الأرب، جـ١ ، ص١٧٧ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب بلوغ الأرب، للسيد محمود شكرى الألوسي ، جـ١ ، ص٤٠٤، (طبعة بغداد)

(٣) المصدر نفسه، جـ١ ، ص٤٠٤ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) انظر ادم متز، الحضارة الاسلامية، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة جـ٢، ص٢٤٥ وما بعدها.

(٦) أنظر الفصل الممتع المفيد الذى كتبه الامام ابن تيمية في كتابه النفيس «اقتضاء الصراط المستقيم» عن الأعياد وبدعها.

(٧) انظر ابن الجوزى، تلبيس ابليس، ص ١٤٠ ، ٣٨٢.

(٨) انظر كتاب المنتظم في التاريخ، لابن الجوزى، جـ٧، ص٢١٥.

(٩) ابن الجوزى، تلبيس، ص٣٨٢.

(١٠) انظر، ابن أبي اصيبعه، طبقات الأطباء، ص٢٠٧.

(١١) مسكويه، تجارب الأمم، جـ١، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

(١٢) انظر الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ٢، ص٢٨١.

(١٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٢.

(١٤) هلال الصابي، رسوم دار الخلافة، ص١٢٨.

(١٥) انظر القلقشندي، صبح الاعشي، جـ٥، ص٤٧٦.

(١٦) الصابي، المصدر السابق، ص١٣١.

(١٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٤.

(١٨) القلقشندي، المصدر السابق، جـ٥، ص٤٩١.

(١٩) السيوطى، المصدر السابق.

(٢٠) الصولي، الأوراق، ص١٩١.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٢٠٩.

(٢٢) ابن كثير البداية والنهاية، جـ١١ ، ص٢٩٩.

(٢٣) الصابي، المصدر السابق، ص١٣١.

(٢٤) ابن كثير، المصدر السابق، جـ١١، ص٢٩٩.

(٢٥) ابن الجوزى، المنتظم في التاريخ، جـ٧، ص٣٤٠.

(٢٦) انظر كتاب الفهرست، لابن النديم، طبعة مصر، ص٢٠٣ وما بعدها، و٢٢١، انظر أيضا المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص٣١١.

(٢٧) ابن النديم ، المصدر السابق، ص٢٢١.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) كشاجم أدب القديم ، ص٢٧.

(٣٠) انظر الهمذاني، المقامات، ص١٣٥.

(٣١) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ٢ ، ص١٦.

(٣٢) كشاجم، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣٣) انظر الغزالي المصدر السابق، جـ٢، ص٧، وللمزيد أيضا، انظر الأزدي، حكاية بن القاسم، ص٤١.

(٣٤) ادم متز المصدر السابق، جـ٢، ص٢٣٢.

(٣٥) كشاجم ، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣٦) آدم متز، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٣٢.

(٣٧) الأزدى، المصدر السابق، ص٤١، انظر أيضا الغزالي، مطالع البدور، جـ٢، ص٦٨.

(٣٨) الغزالي، المصدر السابق، جـ٢، ص ١٦ ـ ١٨.

(٣٩) كشاجم ، المصدر السابق، ص٢٧.

(٤٠) المصدر نفسه، انظر أيضا الخطيب، التطفيل، ص ٨٦.

(٤١) الغزالي، المصدر السابق، جـ٢، ص٥.

(٤٢) هلال الصابي، الوزراء، ص٢٦١.

(٤٣) هلال الصابي، رسوم دار الخلافة، ص٩١.

(٤٤) الموشي، الوشاء، ص ١٨٣، انظر ايضا جرجي زيدان، التمدن الاسلامي، جـ٥، ص٨٣.

(٤٥) الصابي، رسوم، ص٩٠.

(٤٦) ابن الجوزى، ذم الهوى، ص٤٧٨.

(٤٧) ابن الجوزى ، المنتظم في التاريخ، جـ١٠، ص٤٦.

(٤٨) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، جـ٣، ص٣١.

(٤٩) ابن القوطي. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقة، ص٢٣٧.

(٥٠) ابن الجوزي، المنتظم في التاريخ، جـ ٨، ص٣١٧.

(٥١) ابن الجوزى ، الظراف والمتماجنين، ص٩٨.

(٥٢) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١١، ص٣٠١.

(٥٣) ابن الجوزى الأذكياء، ص٥٢.

(٥٤) ابن الجوزى التنظيم، جـ٨، ص٢٩٥.

(٥٥) ابن القوطي، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٥٦) ابن الجوزى، التنظيم، جـ٨، ص١٦٥.

(٥٧) المصدر نفسه، جـ٧، ص١٥

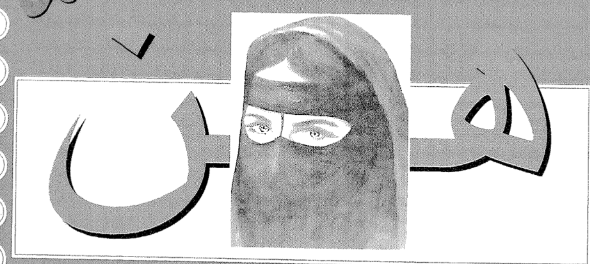
# السيدة مالكة الفاسي
## اول كاتبة في المغرب

## أوراق زوجية
ابو عواد / ام عمرو

## رسالة الي السيدة الجميلة

## نوافذ على ثقافات العالم

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها



مشاعل:

# السيدة مالكة الفاسي أول كاتبة في المغرب

د. نجاة المريني
كلية الآداب - الرباط

إذا كانت المرأة المغربية اليوم، قد شقت طريقها في ميدان العلوم والتكنولوجيا، وشاركت بكتاباتها وأبحاثها في تطور الحركة الأدبية والتاريخية، وساهمت وتساهم بنصيب وافر في تحرير المجتمع من التخلف والاستعمار والقهر، وإذا كانت الظروف اليوم مواتية للمرأة كي تثبت وجودها في جميع الميادين الفكرية والأدبية والعلمية والتقنية، وإذا كنّا نعتزُّ اليوم بما حققته وتحققه المرأة المغربية المعاصرة على مستويات عديدة، فإن الفضل في ذلك يعود إلى ثلة من النساء اللائي ناضلن من أجل تعليمهن، وحرصن على إثبات وجودهن في فترة عصيبة من تاريخ المغرب، ومهدن الطريق فى أوائل الثلاثينيات لنهضة نسائية طموحة، أعلنت وجودها، ورفعت شعارات ميلادها على صفحات الجرائد الوطنية بجرأة وشجاعة.

توجد فى المغرب اليوم، أكثر من ثلاثين جمعية نسائية، يشغلها جميعها هاجس وضعية المرأة: في البحث والتعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع، في المدينة والقرية، بل أكثر من هذا نجد أغلب هذه الجمعيات تتبنى الحركة النسائية، باعتبارها الوصي على المرأة، والمدافع عنها، ولسان حالها.

إن التطور الذي تعرفه الحركة النسائية اليوم في المغرب، لم يأت من عدم ، ولم ينبت في فضاء مطلق، وإنما هو وليد شرعي لجهود فئة من النساء، في وقت كان تعليم المرأة من المحرمات ، وكانت الدعوة إلى مشاركتها في الحياة العامة مجازفة لا يقدر على اقتحامها إلا المؤمنون بها، وبقدراتها على العطاء وعلى المشاركة الفعالة في تحرير المجتمع وتطويره.

من بين النساء المناضلات، وأكاد أقول، من الأوليات اللائي حملن بشجاعة لواء الدعوة الى تعليم المرأة (السيدة مالكة الفاسي).

إن ما يمكن أن نلح عليه، هو ضرورة التعريف بالرائدات من النساء المغربيات في فترة الحماية البغيضة، والعمل من أجل كسر جسور الصمت التى تطبق على الساحة بين الجيل السابق قبل الستينيات وبين الجيل اللاحق، خاصة أواخر الثمانينيات، عندما كثرت الجمعيات والمنظمات النسائية، وكلها تتحدث باسم المرأة المغربية، وتدعو إلى تطورها، وتسعى إلى تخليصها من قيود التبعية وأشكال التمييز ضدها في الحياة العامة، بالرغم من كل ما حققته من نتائج إيجابية.

السيدة مالكة الفاسي واحدة من النساء العاملات في ميدان النضال الاجتماعي في فترة الحماية الفرنسية في المغرب (١٩١٢ - ١٩٥٦) بتحرّكاتها السياسية وبكتاباتها الداعية، في أغلبها إلى توعية المرأة وتعليمها وتحريرها من عبودية الجهل والتخلف الفكري، ولعلها أول امرأة مغربية تكتب على صفحات المجلات المغربية سنة ١٩٣٥، وما تلاها من سنوات،

قبل أن يعمّ تعليم المرأة المغربية وينتشر بعد سنة ١٩٤٤، سنة التوقيع على عريضة المطالبة باستقلال المغرب.

لم أكن أعرف السيدة مالكة الفاسي معرفة شخصية، ولم يسبق لي أن قرأت لها أو عنها، إلا في فترات متأخرة، عندما بدأ اهتمامي يتضح ويتبلور بالحركة الأدبية في المغرب، وبدأت ملامح صورة هذا الأدب تشدّني إليها لأكتشف عوالم لم يكن لي بها سابق معرفة.

لكنني كنت أعرف السيدة مالكة الفاسي في فترات سابقة، خاصة في الستينيات، عندما كان الحديث عنها في الأوساط الاجتماعية والسياسية باعجاب وإكبار، عن أخبار نضالها السياسي، وعن جرأتها وشجاعتها في مقاومة المستعمر، وفي ربط الصلات بين حزب الاستقلال ورجاله، وبين جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، كلمات ثناء وتقدير، سجلتها الذاكرة عن هذه المرأة، التي كانت تعتبر رائدة للحركة النسائية في فترة الاستعمار، فهي تقرأ وتكتب وتتحزب، وتوقع على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة ١٩٤٤، وتلتقي بالملك محمد الخامس طيب الله ثراه، أي أنها تناضل على جميع الجهات في وقت، لم يكن يسمح فيه للمرأة بالحديث أو إبداء الرأي أو الالتحاق بالمدرسة الى غير ذلك ..

وسألتقي بالسيدة الفاسي أواسط السبعينيات، وسأقرأ لها مقالين في «رسالة المغرب»، وسأفاجأ بها توقع مقاليها باسم مستعار تختار له «باحثة الحاضرة» يحدوها الأمل في تحريك الساكن، وفى تحرير نصف المجتمع من عبوديتين: عبودية الجهل، وعبودية المستعمر.

أمّا المفاجأة، فمصدرها إسهام قلم نسائي في منتصف الثلاثينيات «مجلة المغرب» يدعو إلى تعليم المرأة ويشجع على حرب الجمود، وستسمح رئاسة التحرير للسيدة مالكة الفاسي بإبداء رأيها والدفاع عنه.

ولعلّ الوعي الذى كان سائداً في أوساط المثقفين والعلماء المغاربة آنئذ، كان له دوره فى ظهور إسهامات السيدة الفاسي على صفحات «مجلة المغرب، ورسالة المغرب» إذ سيقوم الأستاذ عبد الكبير الفاسي رئيس جمعية الترجمة والتأليف والنشر بتقديم هذه الكاتبة للقراء ، وسينعتها «بأول فتاة كاتبة بالمغرب» بمقال تصدّر «مجلة المغرب» (مارس ١٩٣٥)، يقول(١): «إنّ لمجلة المغرب الفخر كل الفخر والشرف كل الشرف، زيادة على ما لمحررها ومساعديها من السرور، أن تنشر مجلتهم على صفحاتها أول مقال دبجه يراع أوّل فتاة مغربية درست العربية وتأدبت بآدابها، فأنار الله بصيرتها، وأكسبتها ثقافتها ذوقاً سليماً وبصيرة بما حولها من الشؤون، حتى أدركت أنّ الوسط الذي تعيش فيه، لابدَّ له من التطور لزوما، لأنه يعيش على تقاليد وعوائد لا تتفق مع روح العصر، وخصوصاً فيما يرجع لأخواتها النساء اللواتي صرن معدودات من الأثاث والأمتعة، حيث إن عقلهن لم يزينه نور العلم الذي لولاه ما عرف الله».

وسيقترح الأستاذ الفاسي على السيدة مالكة الفاسي أن توقّع مقالها بـ «الفتاة» «إشارة الى أن الفتاة الكاملة هي الفتاة المتعلمة المهذبة لا غيرها».

ويشير السيد الفاسي إلى أن ما ستهتم «الفتاة» بالكتابة فيه هو موضوع تعليم المرأة، يقول: «ولا غرو إذا رأينا فتاتنا حين تكتب أو تنشر أول مرة تكتب في موضوع تعليم المرأة، إذ هي التى تعرف أكثر من غيرها فضل ذلك .. فهي التى تقدر التهذيب حق قدره أكثر من غيرها، حيث إنها توصلت بتهذيبها الى تمييز الخبيث من الطيب، والغث من السمين في الوسط الذي تعيش فيه».

وفي نفس العدد من المجلة، تنشر السيدة الفاسي أوّل مقال لها حول «تعليم الفتاة» بتوقيع «الفتاة» تطرح فيه نظريتها في الموضوع، ونداءها المتزن للآباء كي يسهموا في تحريك الساكن بالعناية ببناتهن وتعليمهن، تقول: «أيها الآباء إن لبنتكم عليكم حقاً، فامنحوها إياه، فما كان لكم أن تمنعوها من حق خوّله الله إياها، واعلموا أنّ إهمال شأن فتياتكم

هو العار الكبير، ومدّوا أمتكم بفتاتكم المتكاملة الأخلاق لكي تحصل منها الفائدة المطلوبة، فإن المرأة عملها عظيم، وانظروا إلى العصور الماضية، وراجعوا كتب التاريخ تجدوا لها مقاماً رفيعاً. وحيثية كبيرة».

وتعقد السيدة الفاسي مقارنة بين تقدم الأمة وتعليم المرأة، وتبدي رأياً سديداً في علاقة التقدم بالمرأة وفي إجبارية التعليم، تقول: «إن من درس أحوال الأمم المتمدنه قديما وحديثا، ورأى ما للمرأة من الثقافة والمزايا، علم شدة احتياج المجتمع الإنساني إليها، وأدرك أنها ركن من أركان النهضة، وأنها أس قوي وسواد أعظم في الأمة، إذ هي المربية الأولى للنشء، والمنوط بها أعباؤه الثقيلة والنشء هو الرجل غداً وإليه يوكل الأمر .. وتعليم الفتاة إذاً لا غنى عنه، ولا سبيل لمقاومته كما كان يعتقد ذوو الفكر العقيم، ولازالوا يبثونه في الأوساط حتى صار تعليمها عاراً، وأصبحت المسكينة تتخبط في ظلمات الجهل، سقيمة الفكر خائرة القوى كلما شاؤوا لها ذلك».

ويظهر أن مقالها أثار ضجة في المجتمع المغربي. وفي الأوساط المتعلمة بصفة خاصة، فتكتب مقالا ثانيا في نفس الموضوع بعنوان «صوت الفتاة» تتساءل فيه(٢) «أيجوز أن تبقى الفتاة كما كانت من ذي قبل، وهذا عصر العلم والعرفان؟». أيحسنُ بها أن تبقى كما كانت، وقد نالت أخواتها الشرقيات حظاً وافراً من العلم؟ أيحسن بها أن تبقى كما كانت وكثير من خيرة الشباب المغربي انتشروا في الأقطار الشرقية والغربية لارتشاف العلم واكتساب الثقافة العالية، والكلية القروية مفتوحة على مصراعيها، وفي كل عام يتخرج منها شبان حازوا على العالمية المغربية. وتبقى الفتاة المغربية في غفلة من هذا ، لاحظ لها في هذا الميدان الفسيح».

إن ما كان يشغل فكر السيدة الفاسي هو الخطوات الأولى نحو التحرر من الجهل، والاستفادة من العلم للقيام بالمهمة الاجتماعية المنوطة بالمرأة لبناء مجتمع سليم، وتدعو إلى فتح أبواب التعليم الثانوي للمرأة: «إذ به تحصل على ثقافة راقية وعلم عرفان غير قليل، وأبواب التعليم بالمطالعة والتدرب على الكتابة لا تزال مفتوحة أمامها، فيمكنها في الوقت نفسه أن تؤدي واجبها النسوي، وتقوم به أحسن قيام، وتنمي معلوماتها بالطرق المعلومة».

وتُلحّ السيدة الفاسي في المقالات التي استطعت الحصول عليها ـ بعد جهد كبير ـ على تعليم الفتاة والنهوض بها لتخوض معركة الحياة بوعي وثقة وانضباط، إلى جانب الرجل، مسلحة بالعلم والمعرفة.

وتثور السيدة الفاسي على التعليم الأوربي، وعلى المدرسة الفرنسية في فترة الحماية في مقال لها كتبته سنة ١٩٣٨(٣): «إننا نريد فتاة مغربية متأدبة بآداب إسلامية، ومتخلقة بأخلاق عربية مغربية بشكلها وهيأتها.. إن الفتاة المغربية أحوج إلى اللغة العربية منها إلى الأجنبية، إذ هي المسؤولة عن نشأتها غداً، والباثة فيها أفكارها وسيرتها».

وكانت السيدة الفاسي قد استهلت مقالها بالتنويه بالمبادرة الشجاعة «لجريدة المغرب» بتخصيص باب «لشؤون المرأة» في ملحقها «للثقافة المغربية» تقول(٤): «يسرني ما قامت به جريدة المغرب من إصدار ملحق لها للثقافة المغربية، وتخصيصها باباً لشؤون المرأة».

وستبقى الكاتبة وفيّة لموضوع تعليم المرأة، إذ ستكتب مقالا برسالة المغرب سنة ١٩١٢، تُبدي فيه ارتياحها لما أصبحت تناله المرأة من عناية واهتمام(٥) : «فقد أصبح لها القسط الأوفى من اهتمام الرأى العام وتفكيره جدّياً في فسح مجال التقدم لها، وهكذا أخذت الفتاة المغربية تشق طريق العلم، وتقتحم ميدان العرفان لتنهل من موارده العذبة، بعدما كانت قد حرمت منه زمناً غير يسير، فأسست المدارس الخاصة بالبنات في كافة المدن المغربية، وصار الآباء يحرصون على إدخال بناتهم لهذه المعاهد، حتى وصل أول فوج من البنات للشهادة الابتدائية العربية حوالي سنة ١٩٤٥»، وترى الكاتبة في مثل هذه النتيجة خطوة نحو التحرّر من الجهل

لتطوير المجتمع، فتقول «وإذا اعتبرنا المدة التي أعطت هذه النتائج السارة، يمكننا أن نستبشر خيراً بمستقبل أمهات الغد، اللواتي ينتظر منهن المغرب القيام بواجبهن على أكمل وجه في سائر الميادين».

وإذا كان الأستاذ عبد الكبير الفاسي قد اختار للكاتبة اسماً مستعاراً توقع به مقالاتها وهو «الفتاة» سنة ١٩٣٥، فإنها ستختار لها اسماً مستعاراً آخر ـ كما سبقت الإشارة سنة ١٩٣٨، هو «باحثة الحاضرة»، ولعل هذا الاختيار كان احتذاء بالكاتبة المصرية ملك حفني ناصف (١٨٨٦ ـ ١٩١٨) التى كانت توقع مقالاتها باسم مستعار هو «باحثة البادية»، وهي من الكاتبات الأوليات اللائي نهضن بمهمة الدفاع عن حقوق المرأة انطلاقاً من تعليمها وتحريرها من الجهل.

وتؤكد السيدة الفاسي في حديث معها أنها اختارت هذا الاسم بعد أن شقَّت طريقها في ميدان الكتابة، وبعد أن وجدت التشجيع المعنوي من طرف والدها وزوجها وبعض أفراد أسرتها، وإن كانت جدَّتُها كما تحكي ذلك شفوياً ترفض تعليم الفتاة وترى بأنَّها ليست أهلا لاقتعاد كرسي في جامعة القرويين.. خاصة وأن الجرائد الوطنية المغربية كانت تُرحب بكتابات السيدة مالكة الفاسي باعتبارها أول امرأة تقتحم عالم الرجال، وعالم الكتابة وعالم الصحافة وعالم السياسة، بل أكثر من ذلك ـ كما تحكى ـ كانت تجالس رجال الحركة الوطنية ورجال الأدب وتناقشهم بجرأة وشجاعة.. وفي بعض الأحيان كانت تكتب ـ بخطها الواضح ـ النشرات السياسية وغيرها، وتحكي بأن إحدى الصحف السورية كتبت عنها «بأنها المرأة التي طردت المستعمر من المغرب» وللأسف، لم أنجح في الحصول على هذه الجريدة السورية..

ومن الموضوعات التي أثارت اهتمامي في (ملحق جريدة المغرب)(٦) المساجلة التي نشرتها بين السيدة الفاسي والأستاذ المرحوم محمد أبا حنيني حول «تطوّر المرأة المغربية»، فقد كان يتابع كتابة السيدة الفاسي باهتمام، ويقول عن عودتها إلى الكتابة بعد أن كانت قد انقطعت عنها(٧): «وليت الناس يعلمون مقدار ابتهاجنا بعودة صاحبة الإمضاء الى الكتابة بعد صمت طويل في موضوع هي أقدر الناس على الكتابة فيه، وأعرف الناس بحلّ مشكلاته، وإنه لمن حسن حظنا أن يطالعنا «ملحق جريدة المغرب» في عدده الأول بمثل هذه الكتابة الشيقة في مثل هذا الموضوع الشيق، فمرحباً بالناشر ومرحبا بما نشر وما سينشر».

فالاهتمام بما كانت تكتبه هذه المرأة خطوة جريئة بالنسبة لتلك الفترة، تشجعها على الكتابة وعلى إبداء الرأي، وتدعوها الى التطور عن طريق العلم والدرس، وتناقشها فيما تراه مفيداً وفيما تراه مشيناً، فالأستاذ أبا حنيني يناقش السيدة الفاسي حول رأيها في مقال له عن «تطور المرأة المغربية»(٨)، فيقول(٩): «والخطأ الذي وقعت فيه كاتبتنا الفاضلة هو أنها اعتقدت أنني كلف بالغرب إلى حدّ الهيام، وأن شغفي هذا جعلني أتنقص مدنيتنا، وأصرح تصريحاً لا مجال للشك معه، أن الفضل كله للغرب، وأن الخير كل الخير في تقليد الغربيين في كل ما يعملون، وما يتركون في لباسهم ومعيشتهم وتفكيرهم وإحساساتهم، إلى غير هذه الأشياء، والحقيقة أنني كلف بالغرب والمدنية الغربية، كما أنني بالطبع كثير الشغف بمدنيتنا العربية ولكن كلفي بالغرب ينحصر عند شيء واحد، وهو التفكير الغربي، والطرق التي يتخذها هذا التفكير ليبرز إلى الوجود، فالفكرة العلمية بأوسع معانيها وإن شئت، فقل، الثقافة الغربية هي التي تثير إعجابي وتأخذ بمجامع قلبي».

وتجيب السيدة الفاسي في عدد لاحق الأستاذ أبا حنيني وتثير انتباهه إلى «أن الغاية واحدة: وهي أن نرى نساءنا وفتياتنا آخذات بحظ لا يستهان به من الثقافة المتينة المرتكزة على أساس من الأخلاق السليمة»(١٠)، وتختم مقالها بدعوة الحكومة الى معاملة الفتيات كمعاملتها للذكور، إذ «الاهتمام بتربية الفتيات يجب أن يكون أعظم، والسهر على أخلاقهن يتعين بكيفية خاصة ليأمن المغربي على مستقبل ابنته

امرأة الغد، فيضعها بين أحضان المدرسة التي هي خير كفيل بتثقيفها وتهذيبها ثقافة كاملة عائدة بأطيب الثمرات».

وعندما ستتيح (جريدة المغرب) الفرصة للتلاميذ كي يكتبوا فيها مقالاتهم، ويُبدوا آراءهم ويقترحوا على أسماء معينة بالإجابة على أسئلتهن، نجد السيدة الفاسي ممن لفت انتباه أحد التلاميذ، فكتب يسألها عن رأيها في تربية الأطفال وكيف يجب أن تكون، فصدّرت مقالها بالآتي(١١):

«كتب حضرة الفاضل (تلميذ) في العدد السابع من (الثقافة) مقالا معنوناً: بحاجتنا إلى أمهات بارات، تكلّم فيه عن حالة الأم المغربية، وتفضل فسألني في الأخير أن أجيب مبدية رأيي في هذه المسألة المهمة».

وسيحظى موضوع آخر باهتمام السيدة الفاسي، إذ يمكن اعتباره سيرة ذاتية تحكي فيه ذكرياتها في «دار فقيهة» وسأحصل على ثلاث مقالات فقط عن «ذكرياتها بدار فقيهة»(١٢) تتناول الحلقة الأولى وصفاً للاحتفال السنوي الذي يقام بدار فقيهة بمناسبة حلول فصل الربيع، وتتحدث عن ظروف القراءة وعن مكانها (طبعاً ليست فصولا منظمة كما هو الحال الآن)، فهو الدور الأسفل من الدار في أيام الربيع والصيف والخريف، وهو الدور الأعلى في فصل الشتاء، وكان الدرس عن طريق الألواح، والإقبال على دار فقيهة كان كبيراً، فهي تقول(١٣): «فنجلس من شدة الضيق: القلب على الركبة، على حدّ التعبير المغربي».

ومع ذلك، فالكاتبة غير مقتنعة بهذا النوع من التعليم، إذ تقول: «وهذا النوع من التعليم خير من لا شيء، زيادة على كونه يجعل التلميذة قابلة لتعلم شيء آخر»، وتقضي التلميذة يومها في (دار فقيهة) تتعلم القراءة والكتابة وفي آخر النهار، وقرب الانصراف، تتلو التلميذات حزب «سبّح» ثم تنشدن الدعوات إيذاناً بانتهاء برنامج اليوم الدراسي.

ولعلّ في التسابق إلى صلاتي الظهر والعصر كما تحكي السيدة الفاسي(١٤): استراحة قليلة من الجلوس، ولو كانت (أي الفقيهة) تتركنا وشأننا لَزِدْنا النوافل».

وكثيراً ما كانت الفقيهة تكلّف بعض التلميذات بقضاء مصالحها خارج البيت، إلا أن الكاتبة تبدي أسفها لأنها لم تكن منهن(١٥) «كانت تبعث بعض التلميذات لقضاء أشغالها فكنت أودُّ أن أكون من أولئك، ولكن كانت تبخل عليّ بذلك».

أما احتفال الأسرة بحفظ التلميذة سوراً من القرآن الكريم، كبلوغها سورة «النبأ، وتبارك» أو ما يعرف بالختمة، فكان كبيراً، ويطلق على هذا الاحتفال اسم (جايبوه) كما تذكر السيدة الفاسي وهو «عبارة عن ذهاب التلميذات لدار المحتفل بها وصحبتهنّ إياها في الطريق، ولما يقربن من دارها يجعلنها في وسطهن ويشرعن في تغنية «جايبوه، جايبوه، يا فرحة يمّه وبوه» ويتلقاهن أهلها بالزغاريد والفرح ... الخ»(١٦).

ويظهر أن الكتابة حول تعليم الفتاة كان أهم موضوع يشغل فكر الكاتبة، فهي بالرغم من انشغالها بالسياسة وعملها مع رجال الحركة الوطنية، فهي لا تكتب حولهما وفيهما، وسنجدها تشعر بنشوة الفرح والنجاح عندما ستخطو الفتاة المغربية خطوات لا بأس بها في مجال الدرس والتحصيل.. ويحصل أول فوج للبنات المغربيات على الشهادة الابتدائية في التعليم المنتظم سنة ١٩٤٥.

وفي مقال لها نشرته «رسالة المغرب» عنوانه «الفتاة المغربية بين مراحل التعليم»(١٧)، تذكر بدعوتها الى تعليم الفتاة سنة ١٩٣٥، وبما حصلت عليه هذه الفتاة سنة ١٩٤٥، مما يبرهن على أن طريق العلم هو الطريق الأصلح والأقوم للنهوض بالمرأة وبالشعوب بصفة عامة، منبهة إلى وجوب

متابعة الفتاة تعليمها، تقول: «فينبغي والحالة هذه أن تشمّر الفتاة على ساعد الجدّ، وتجعل نصب عينيها تعليماً ثانوياً كاملا يفتح أمامها أبواب التعليم العالي.. فيجب على الفتاة المغربية إذاً أن تفكر جدياً في تهيئ مصيرها، كما يجب على الآباء أن يوجهوا بناتهم الى تتميم دراستهن، فتوجيه الآباء وحرصهم وعنايتهم بهن، هو الكفيل ببلوغ المرام».

كتب الأستاذ عبد الكريم غلاب مدير جريدة «العلم» المغربية، عن «باحثة الحاضرة» فقال(١٨): «إنها من أسرة واكبت التاريخ العلمي لهذه البلاد منذ عدة قرون فكان منها العلماء والقضاة والأدباء والسياسيون وهي - أي مالكة الفاسي - في حدود الخامسة والأربعين من عمرها،

تعلمت على يد والدها وزوجها الأستاذ محمد الفاسي عميد جامعة الرباط(١٩)، وكانت مدارس الفتيات منعدمة في المغرب تقريباً إلا مدارس القرآن التقليدية، وقد دفعها إلى الأمام إيمان والدها بتربية المرأة الى جانب الرجل،

وقد ساهمت في الحركة الوطنية، وكانت عضواً بارزاً في الهيئات النسائية لحزب الاستقلال وما تزال عضواً في المجلس الوطني للحزب.

وشاركت في تحرير المجلات العربية وكان لكتاباتها أثر ملحوظ في تنوير الحركة النسائية، وأسلوبها يمتاز بالسلاسة والجدّة والطرافة، وهي قليلة الإنتاج..

وممّا يدعو للأسف أن مقالات السيدة الفاسي ما تزال موزعة في المجلات التى كانت تكتُب فيها، وهي مجلات غير متوفرة، وأكاد أقول إنها نادرة، وقد سبق لي أن حدثت الكاتبة في هذا الموضوع، فأبدت أسفاً لأنها لا تتوفر عليها..

ولا أعرف إن كانت الظروف ستسعفني على النبش من جديد في هذه المجلات والجرائد لوضع كشف لمقالاتها - على الأقل - يسهل مهمة الباحثين للاطلاع عليها أو دراستها فيما بعد.

ومع ذلك، فإن ما يمكن استنتاجه، من خلال المقالات المتوفرة، أنَّ الكاتبة السيدة الفاسي كانت تتمتع بذكاء وقاد، وجرأة في الخطاب، وقدرة على الصمود والتحدي، ورغبة في التغيير ساعدها على ذلك وسطها العائلي الذي وفر لها أسباب الالتحاق (بدار فقيهه أولا)، ثم بتعليم منتظم تقريباً في بيت الأسرة مع نخبة من بنات بلدها، يشرف على تعليمها أساتذة أكفاء ما تزال تتذكرهم وتثني عليهم، كما شجعها على ممارسة الكتابة ما لقيته من تشجيع وعناية من طرف مسؤولي المجلات المغربية في تلك الفترة.

---

*الهوامش:*

*(*) مالكة الفاسي من مواليد ١٩١٩، بفاس، وهي زوجة الأستاذ العالم محمد الفاسي، وهي تتمتع بذاكرة قوية الى اليوم.*

*(١) مجلة المغرب - مارس ١٩٣٥ - ص ١*

*(٢) عودة الى تعليم البنات، مجلة المغرب، اكتوبر ١٩٣٥، ص ٧.*

*(٣، ٤) ملحق جريدة المغرب للثقافة المغربية «حول تهافت الفتيات على الليسي» (معناها الثانوية بالفرنسية) أبريل ١٩٣٨ ص ١١.*

*(٥) أبريل ١٩٥٢، ص ٥٢.*

*(٦، ٧) أبريل ١٩٣٨، ص٥٨ «حول تهافت الفتيات على الليسي».*

*(٨) نشر في ملحق جريدة المغرب ١٩٣٥.*

*(٩) ملحق جريدة المغرب - أبريل ١٩٣٨.*

*(١٠) مايو ١٩٣٨.*

*(١١) ملحق جريدة المغرب - أغسطس ١٩٣٨.*

*(١٢) ملحق جريدة المغرب - ١٢ مايو ١٩٣٨، (دار فقيهة: كتاب نسائي، خاص بالفتيات). ٢٦ مايو ١٩٣٨ - ٩ يونيه ١٩٣٨.*

*(١٣) ١٢ مايو ١٩٣٨.*

*(١٤) ٢٦ مايو ١٩٣٨.*

*(١٥) نفسه.*

*(١٦) ٩ يونيه ١٩٣٨.*

*(١٧) العدد ١٣٩ - أبريل ١٩٥٢، ص ٥٢.*

*(١٨) من رسالة كتبها الاستاذ غلاب بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٢، الى الأستاذ أنور الجندي، للتعريف بالكاتبة.*

*(١٩) هي جامعة محمد الخامس - الرباط.*

من التراث العربي:

# «زياد ابن ابيه سيد الخطابة»

الخطابة في التاريخ العربي تكاد تظهر في كل وقت، وقد كان لها شؤون كثيرة، لكنها انتشرت وتفشت بعد ظهور الاسلام في العهدين الراشدي والأموى، وأصبح الخطباء من الشخصيات المعروفة، ولهم أسماؤهم التي تملأ الأسماع وأساليبهم التي اشتهروا بها.

في العهد الأموى صارت الخطابة عالماً خاصاً، أحبها الناس، فحفلت بها النوادي والمجالس وقصور الخلفاء والأمراء وأماكن القضاء، ووصلت حتى البيوت الخاصة، وكان سبب ذلك توفر دواعيها وأسبابها في بيئة تمتاز فيها اللغة العربية بالقوة والفصاحة، ويمتاز ناسها بتمسكهم بدينهم الذي ينافح عن دعوته بلغة بيانية، وكان الخطباء يجدون في ذلك مجالا للابداع والعطاء، خاصة وأن الأمة اتحدت، وجيوشها انطلقت في الشرق والغرب تفتح البلاد، فتخضع لها خراسان وبلاد الترك وسجستان والسند وافريقية والمغرب والأندلس وغيرها، وكان القواد يبعثون في نفوس جنودهم الشجاعة والحماسة بخطب فيها قوة التعبير، وجزالة الألفاظ، وجمال الأداء، وكانت الظروف السياسية العامة تساهم بدورها في انتشار الخطابة بصورة واسعة فثمة أحزاب تتنافس، وقوى تتصارع، وعصبيات تتنازع على السلطة والنفوذ، ووفود تتقاطر على الخلفاء والأمراء والولاة، وحفلات تقام في القصور والدور، ولقاءات ومحاورات أدبية وسياسية واجتماعية يظهر فيها الخطباء فصاحتهم ومقدرتهم اللغوية.

نوافذ على ثقافات العالم

وكانت الحجاز والعراق ثم الشام أهم أقاليم الدولة في مجال الخطابة، وظهرت أسماء لخطباء بارزين أصبح أصحابها من الأعلام في الخطابة، وأبرزهم زياد ابن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة المعروفة بالبتراء، وله خطب سياسية وإدارية متفرقة في كتب الأدب والتاريخ.

**نهاوند عبد الله - جدة**

زياد ابن أبيه، أبو المغيرة زياد بن سمية من أهل الطائف؛ اختلف المؤرخون في سنة مولده، فذهب الكثيرون منهم إلى أنها كانت في السنة الأولى للهجرة، كما اختلفوا في من هو والده، فمنهم من قال إنه عبيد الرومي (غلام الحارث بن كلدة) ومنهم من قال إنه ابو سفيان، لذلك اطلق عليه اسم زياد ابن أبيه، وكانت أمه جارية للحارث بن كلدة الثقفي.

أسلم زياد في عهد أبي بكر وكان غلاماً، وقد ظهرت عليه النجابة منذ يفاعته، فاتخذه موسى الأشعري كاتباً له أيام إمارته على البصرة، ثم ولاه على بن أبي طالب إمارة فارس فأخمد ثورتها وضبطها.

عرف بالشدة وحسن الادارة والمهارة في التعامل مع الأحداث، وهذا ما جعل معاوية بن أبي سفيان أدرك ما عنده من الخصال الحميدة والميزات الطيبة فالحقه بنسبه بعد أن شهد ناس كثيرون بأنه ابن ابي سفيان، وبعد أن جاء إليه بخراج فارس الذي قدر بمليون دينار، ثم ولاه البصرة وخراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان التي بقي فيها حتى وفاته في سنة ٦٧٣م (٥٣هـ).

وصفه الأصمعي بقوله «الدهاة أربعة معاوية للروية، وعمرو بن العاص للبديهة، والمغيرة بن شعبة

للمعضلة، وزياد لكل كبيرة وصغيرة» ذلك أنه عندما ولي البصرة كان العراق يضطرب بالثورة ويعج بالخوارج، فاستطاع زياد أن يضطر المعارضة إلى السكينة والاذعان، بعد أن لجأ إلى حربهم والاشتداد عليهم، والبُطش بالمشاغبين والمفسدين بطشاً شديداً.

من خطبته الشهيرة البتراء التي لم يبدأها بحمد الله كما هي عادة الخطباء، والتي ألقاها في عام ٦٦٥م/ ٤٥هـ حين قدم البصرة والياً:

* «من غرّق قوماً غرقناه، ومن أحرق قوماً أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه حياً فيه».

* «نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، فلنا عليكم السمع والطاعة في ما أحببنا، ولكم علينا العدل في ما ولينا».

ومثل هذا معظم الخطبة التي كانت أشبه بالأحكام العرفية منها بالخطابات السياسية العادية.

**«المصدر: تاريخ الأدب العربي»**

## من ايطاليا:

# « السر في الكلمة الجميلة »

انطونيو أوزناتو الشاعر والقاضي الايطالي الصقلي المولد والنشأة كان للشعر عنده نكهة خاصة، لأن أهم ما يميزه أنه يكتب معظمه للانسان ومن أجل الانسان.

ولد اوزناتو في كارونيا على مقربة من مدينة مسينا علي شاطيء صقلية الشرقي، درس الحقوق في جامعة باليرمو عاصمة صقلية، وبعد تخرجه دخل مباشرة في سلك القضاء وهو يحمل في داخله توهجاً شعرياً هائلاً، لذلك لم يحل عمل القاضي دون تنميته المستمرة لشاعريته، ودفعه لميوله الأدبية الى الأمام، لذلك كان في مجموعاته الشعرية لطيف الشاعرية، ذا لمحات إنسانية لطيفة جميلة، وروحه تملأ كل شيء حوله بالدفء، في قصائده صوفية ونقاء، وفي أسلوبه رقة وعذوبة، وفي عبارته الشعرية بساطة تجعل شعره قريباً من القلب، كما قال الدكتور عيسى الناعورى الذي التقاه في باليرمو عام ١٩٧٦، وترجم له نماذج من قصائد وردت في دواوينه الثلاثة «المساء يتنفس» الصادر عام ١٩٧٤م، «أريد أن أغنى» الصادر عام ١٩٧٥م، وهو ديوان مكتوب باللهجة الصقلية العامية، ثم ديوانه «الطرق المتوازية» الصادر عام ١٩٧٦، وهذا الديوان يضم قصائد بالايطالية وترجماتها بالفرنسية التي قامت بها السيدة ايدا رامبولا دومينتشي التي كتبت المقدمة ايضاً.

في شعر انطونيوا وزناتو روعة الإحساس بالآخرين، وجمالية تلمس أحاسيسهم، وروعة اكتشاف كل الأشياء الجميلة من حولنا، في الناس وفي الطبيعة، وفي الحياة التي تستحق أن نعيشها بدفئها وعذوبتها.

وفي قصائده القصيرة اختزال فني متقن للتعبير من خلال تكثيف المعاني، وتحميل المفردات كل الأبعاد التي تحتملها، بحيث تأتي التركيبات مليئة بالدهشة، ويجد فيها القارىء كل المتعة حتى حين يقرأها مترجمة بمهارة فنية ولغوية تعطيها قيمتها الفعلية، كما هو واضح في ترجمة الدكتور الناعورى لبعض قصائد اوزناتو.

وهذه بعض القصائد القصيرة المختارة للشاعر:

### ■ كآبة ■

أشجار الحور تنتظم رؤوسها صفاً،
وعصافير الدوري تحتمي
على رف النافذة،
وتهاجر النجوم والثلج الخفيف النقي
يغطي المشهد كله بالسلام.

ويرقد البحر ملتفاً بالشباك
والنار في الموقد تشدو بمديحك
وأما أنا فأحلم بنور صباح يحملني
إليك ..

**▪ لحظة أبدية ▪**

البحر يتنفس
وأنا وأنت في ثياب زرقاء،
نصمت مأخوذين
في هذه اللحظة الأبدية،
إنها للحظة مليئة،
الماضي فيها حاضر،
والمستقبل قائم في عينيك ..

**▪ الإنسان ▪**

أيها الانسان ، لا تبك الماضي
بل اصنع الحاضر
إذا أنت نفيت روحك
فستظل طفل المستقبل إلى الأبد

**▪ الشاعر ▪**

الشاعر لا يغني لأجل الغار.
بل للألم الذي لا زمن له
ولا يغني سأما،
بل لأنه حي
لا يغني لمن لا يفتح كتاباً،
بل للعميان الذين ليست بهم
حاجة إلى البصر
الشاعر يغني لقلبه
الذي يصغي إليه دائماً،
لقلبه الذي يتحرر من العالم
وللريح التي تلتقط كلماته

## من الفن التشكيلي:

«مصطفى الحلاج وحرف الواو»

عندما يصبح حرف الواو بطل الاداء، يكون الفنان قادراً على الابداع بالصورة المثالية التي





يعرف من خلالها كيف يتعامل مع الحرف المفرد، كما يتعامل مع مختلف الأشكال في اللوحة، ومع مختلف الألوان.

الفنان التشكيلي الفلسطيني المقيم في سورية مصطفى الحلاج يقدم في هذه الأعمال نموذجاً لإمكان الاستفادة من جمالية الحرف العربي الرائعة خاصة وأنه يمكن تلوينه بالاداء والزخرفة بصور شتى.

هذه نماذج ابداعية لحرف الواو.

## من البرازيل:

«سينمائي بين البرازيل واوروبا»



لأن السينما هي الفن السابع كما تعارفنا على تسميتها نختار هذه المرة واحداً من السينمائيين العالميين البارزين، وحتي لو كان هناك كثيرون لا يعرفونه فهو واحد من اهم المخرجين الذين تركوا علامة هامة في تاريخ السينما التسجيلية في العالم لأنه كان من روادها.

ألبرتو كافالكانتي الذي يقول: كان على أن أعمل في السينما عشرين سنة كاملة حتى أحدد سلم الدرجات بالنسبة لهذا الفن الذي إخترته، وأدركت بأن عدد المخرجين الذين دفعوا بالفن السينمائي إلى الأمام حقاً، ينحصر في خمسة أسماء فقط.

وفي مجرى الثلاثين سنة اللاحقة لم أوفق في ادراج أي اسم جديد في قائمة الأسماء القصيرة هذه «دافيد غريفيث، شارلي شابلن، روبيرت فلاهيرتي، ايريك فون شتروغهايم، سيرغي ايزنشتاين»، ومن حسن حظي أنني أحوز سعادة كوني عرفت شخصياً الثلاثة الأخيرين ممن سميت وأحببتهم.

ألبرتو كافالكانتي، المخرج والمنتج، ولد عام ١٨٩٧ في ريودي جانيرو في البرازيل، لأب ايطالي الأصل، كان اختصاصياً في الرياضيات، تخرج من الجامعة عام ١٩١٧ بعد أن درس العمارة وفقه القانون، غادر في العام نفسه إلى فرنسا، وانضم في باريس إلى جماعة «فانغارد» بدأ عمله في السينما في عام ١٩٢٢ كرسام ديكور، وفي عام ١٩٢٦ حقق أول أفلامه كمخرج بعنوان «قطار بلا عيون»، ثم اتبعه بعدة أفلام كشفت عن ميله إلى السينما التسجيلية وعرض صور من الحياة اليومية، وبسبب الصعوبات المالية أخرج بعد ذلك عدة أفلام تجارية.

في عام ١٩٣٤ رحل إلى انجلترا بدعوة من السينمائي الانجليزى الوثائقي ج. غريرسون حيث عمل مدير انتاج في الوحدة السينمائية التي يرأسها، وفي العام نفسه أخرج فيلماً تجريبياً بعنوان «بيت وبات» ظهر فيه تأثير السوريالية عليه.

أهم فيلم وضعه كافالكانتي في الثلاثينيات هو الفيلم الوثائقي «الوجه المغطى بالفحم» عام ١٩٣٦ المكرس لعمال المناجم، عمل بعد ذلك في استوديو «ايلينغ» و«غولبان» حيث أخرج بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٩ عدة أفلام روائية أهمها «فى ليل عميق» الذي نال جائزة في مهرجان لوكارنو الأول للسينما عام ١٩٤٦.

عاد إلى وطنه البرازيل عام ١٩٤٩ وعمل منتجاً وترأس استوديو انتج عدة أفلام تحت اشرافه، وفي عام ١٩٥٢ أسس استوديو «سيني فيلميس» الذي وضع فيه أفضل أفلامه «أغنية البحر» الذي حاز على جائزة مهرجان كارلو فيفاري الثامن عام ١٩٥٤.

في نهاية عام ١٩٥٤ عاد إلى اوروبا من جديد فاشترك في اللقاء العالمي لمؤلفي الفيلم في باريس، وأخرج فيلم «السيد بونتيلا وتابعه ماتي» عن بريخت في النمسا ١٩٥٥، وفيلم «قصر في الكاربات» في رومانيا ١٩٥٧، وفيلم «الليلة الأولى» في ايطاليا ١٩٥٨، وفيلم «وحش بحيرة هايغت» في انجلترا ١٩٦٠، وفيلم «يرما» في اسبانيا ١٩٦٢، ثم وضع بعد ذلك أفلاماً كثيرة، وكتب مقالات هامة عن السينما، كما ألف كتاباً بعنوان «السينما والواقع عام ١٩٥٣».

# رسالة إلى الجارية البصرية

## من ابن الرومي

**محمد عبد الواحد حجازي**
**مصر**

**محمد عبد الواحد حجازي**

* **هو علي بن العباس بن جريج.**
* **من شعراء العصر العباسي**
* **عبقري الوصف في الشعر العربي**

**حبيبتي وحيد:**

مضى عليّ الآن يا حبيبتي ما يقرب من أسبوع وأنا رهين بيتي كلما حاولت الخروج سمعت نعيق البوم فأرجع .. ففي يوم طرق بابي رجل اسمه حنظلةبن مرة فأدركت من اسمه أن كارثة توشك أن تقع على رأسي فرفضت أن أفتح له الباب. وبعد قليل جاءتني ابنتي وأخبرتني أن أمي قد ماتت فحزنت عليها حزنا شديداً ولماذا لا أحزن؟

هي الأم يا للناس جُرعت فقدها
ومن يبك أما لم تذم قط لا يذم

نبا ناظري يا أم عن كل منظر
وسمعي عن الأصوات بعدك والنغم

وفي يوم آخر طرق بيتي طارق فسألته عن اسمه فقال: ضرار .. فنهرته ولم أفتح له الباب ولكنني أيقنت أن ضُرّاً سيقع بي وفعلا مات ابني محمد في هذه الليلة.. أعز أبنائي وأحب أبنائي وإن كانوا جميعا أحبائي:

ثكلت سروري كله إذ ثكلته
وأصبحت في لذات عيش أخا زهد

سأسقيك ماء العين ما أسعدت به
وإن كانت السقيا من الدمع لا تجدي

أعينيَّ جودا لي فقد جدت للثرى
بأنفس مما تسألان من الرِّفد

وهكذا ترين يا وحيد كم أنا خائف أن أخرج من بيتي فأواجه ما يسوءني.. وما أشتاق إلا اليك .. أشتاق إلى ندوتك حيث التقي فيها بصديقي ابن سهل فنسمع منك ومن صديقتنا المطربة الفنانة بستان أعذب الألحان في ذوب من كئوس الرقة والحنان.. يشوقني أن أسمع غناءك بقولي:

إني لأحفظ سركم ويسرني
لو تعلمين بصالح أن تذكري

ويكون يوم لا أرى لك مرسلا
أو نلتقي فيه على كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتة
إن كان يوم لقائكم لم يقدر

**حبيبتي وحيد:**

هناك أسباب كثيرة تدعوني، بل ترغمني على أن أقلل من حضور ندوتك وأنت تعلمين أنها ليست مجرد ندوة للطرب فحسب ولكنها ندوه فكر وأدب كما يدور نقاشنا حول ما صارت إليه أمور الناس. فقد فشت المظالم واختل ميزان العدل ويوشك الناس أن يهلكوا جوعا.. بينما النبلاء والوجهاء ينفقون على ملذاتهم في سفه وطيش.. ما هذا الزمان يا وحيد؟

رأيت الدهر يرفع كل وغد
ويخفض كل ذي زنة شريفه

**حبيبتي وحيد:**

ألا تدرين يا وحيد أن مجالسنا لم تغب عن عين الأمير القاسمي والواثقي رئيس الشرطة.. إن الاثنين - وكل له مصلحته الخاصة - قد وضعا العيون لترصد تحركاتنا وتسجل كلامنا.. وإن أخلص المخلصين لهما ثلاثة: ابن فراس، وابن عمار والبحتري. والثلاثة من ألد أعدائي، وهم الذين يسعون جادين للإيقاع بي بتهمة الخيانة العظمى للخليفة، وتهمة الإلحاد والتجريف في العقيدة.. وأنا والله بريء .. بريء.. بريء.

أتدرين يا حبيبتي لماذا انضم البحتري إلى أولئك الشياطين الذين يكيدون لي؟ إنه يدرك تماما أنه أقل مني شاعرية واقتدارا.. ولأنه يخشى على مكانته عند الأمراء وكبار رجال الدولة فإنه لم يجد خيراً من أن يشككهم في ولائي وإخلاصي لنظام الدولة. وبلغ به الإجرام أقصاه في مجالسه الخاصة وفي لقاءاته مع الوجهاء والأمراء أن روّج عني أنني حسود .. وأنا أعترف بأنني حقود فقلت:

شكري عتيد وكذاك حقدي
للخير والشر مكان عندي

وإذا كنت حسوداً فهل فكر ولاة الأمر ولو مرة واحدة،

لماذا يتحاسد الناس ويتباغضون؟

لا تلومن حاسداً ألم النفـ
ـس من البخس يا أخي شديد

واتهمني المتآمرون بأنني كذوب .. وأعترف يا حبيبتي بأنني كذوب:

وانى لذو حلف كاذب
إذا ما اضطررت وفي الأمر ضيق

وهل من جناح على مرهق
يدافع بالله مالا يطيق؟

واتهمني المتآمرون بأنني رجل تلعابة، أحب الأنس والغناء والدعابة وأعترف بأنني كذلك"

ولعمرى إن الحكيم وقور
ولعمرى إن الكريم طروب

وكيف أنسى الطرب والأنس؟ وهل الحياة إلا طرب وأنس؟.. وعلى ذكر الأنس فإنني في وحدتي التي أعيشها الآن، لازلت أعيش في أنغام اللحن البديع الذي تغنينا به في الليلة التي جمعتنا مع بستان وجلنار وصديقي أبي سهل .. كنت ليلتها تتغنين بقولي:

أحبتنا بأبي أنتم
وسقيا لكم حيث ما كنتم

أطلتم عذابي بميعادكم
وقلتم نزور وما زرتم

فأمسك قلبي على لوعة
ونمَّتْ دموعي بما أكتم

ففيم أسأتم وأخلفتم
وقدما وفيتم وأحسنتم

الحق يا حبيبتي أنني كنت وقتها عاتب عليك لأنك طالما أخلفت مواعيدنا ولم تف بما كنت تعاهدينني عليه.. فهل كان يجمل بك يا حبيبتي أن تعذبيني بالتنائي فهل كنت تختبرين حبي لك إن كنت فيه صادقا أم غير صادق.

**حبيبتي وحيد:**

إن الأمير القاسم ومدير شرطته الواثقي يعاونهما ابن فراس وابن عمار، يحصون علينا أنفاسنا ويتتبعون خطانا ويفحصون كلماتي لأنهم يتصورون أنني أثير الرعاع والدهماء على الوجهاء والأمراء. وما دروا أن بغيهم وفسادهم هو وحده الذي يثير أولئك المحرومين المحروبين عليهم .. ومن يدري يا حبيبتي، ما سوف يسفر عنه الغد .. علي أية حال، لا أحب أن أكدر خاطرك بمثل تلك المشكلات وإن كنت أعلم أنك تهتمين بها .. ولذ فإنني أنتهز فرصة خطابي إليك لأسألك : هل صحيح أن في ندوتك من يسبني ويزري علي هيئتي ومنظري؟ إن هذه التهمة لا تثير غضبي أبداً، ولكنها تثير تساؤلي: ماذا أصنع وقد خلقت هكذا ؟

جزى الله عني قبح وجهي سعادة كما قد جزاه والإله قدير وهل صحيح أن من أصدقائك من يقسم على أنه قادر على أن يغريني بشرب الخمر؟ فكيف بعد هذه السن يا حبيبتي؟ وهل ترضين أنت بذلك؟ لقد عاهدت نفسي قائلا:

فدع شربها إذا أصبح الرأس مشرقا
محاذرة أن يصبح القلب مظلما

ولا ترينك السن والله والنهى
على الشيب والإسلام واللوم مقدما

**حبيبتي وحيد:**

ماذا أقول لك؟ إن في صوتك حياتي وسعادتي.. بل وعذابي، فيالي من صوتك العبقري:

ظبية تسكن القلوب وترعا
ها وقمرية لها تغريد

تتغنى كأنها لا تغنى
من سكون الأوصال وهي تجيد

صوت من الخلد بأعذب الألحان يشدو .. فما أجمله.. ما أحلاه.. بل ما أسحره للقلوب والعقول:

مد في شأو صوتها نفس كاف
كأنفاس عاشقيها مديد

وأرق الدلال والغنج منه
وبراه الشجا فكاد يبيد

فيه وشيٌ وفيه حلى من
النغم مصوغ يختال فيه القصيد

طاب فوها وما ترجع فيه
كل شيء لها بذاك شهيد

عيبها إذا غنت الأحرار
ظلوا وهم لديها عبيد

إيه يا حبيبتي وحيد .. ماذا أقول في ختام رسالتي؟

أخذ الله يا وحيد لقلبي
منك ما يأخذ المديل المقيد

حظي غيري من وصلكم قرة العـ
ـين وحظي البكاء والتسهيد

نتلاقى فلحظة منك وعد
بوصال ولحظة تهديد

# أوراق زوجية

أبو عواد / ام عمرو

**٧٥٤ـ أبو عواد:**

**أنتِ لا تختلفين كثيراً عن بعضِ الرمـــوز الذين لهم مكانة رفيعة في الظل ووراء الكواليس.. لكنهم حباً في الظهور يتقربون من الأضواء ويهمشون تلك المكانة مقابل لحظة زهو وانبهار وقتيه.**

**٧٥٤ـ أم عمرو:**

في مقابل كل ألف امرأة تقوم النهار والليل سهراً على راحة أسرتها وتلبية رغباتها المتزايدة توجد واحدة تختلس لحظات لتستثمر ذلك العقل الذي وهبها الله في أمور متباينة قد يجلب لها أي منها الشهرة ولكنها تدفع الثمن مضاعفاً في أغلب الأحيان.

**٧٥٥ـ أبو عواد:**

**الشرف قلعة حصينة بعض النساء لا يبرحنها أبداً مهما كانت المغريات خلف أسوارها.. «والبعض الآخر» يلجأن إليها في محاولة يائسة للاحتماء من كوابيس الأمس والحاضر.**

**٧٥٥ـ أم عمرو:**

«البعض الآخر» هذا لا يمثل أي نسبة تذكر في مجتمعاتنا والحمد لله.. ولا نملك له إلا الدعاء بالهداية.

**٧٥٦ـ أبو عواد:**

عذراً سيدتي: ان بارفانك الصارخ الذي زكم أنوف المارة أبسط ما يمكن أن يقال فيه إنه عطر فاضح.

**٧٥٦ـ أم عمرو:**

نعم.. البارفان الصارخ دليل على عدم معرفة معنى «النظافة».

**٧٥٧ـ أبو عواد:**

**أنصح حديثي العهد بطباع النساء ألا يتسرعوا في معارضتهن أو موافقتهن على طروحاتهن.. فالتراجع والتغيير حاصل لا محالة والموضوع مسألة وقت.. إنهن سريعات الأحكام يصوتن للشعارات الرنانة والبراقة دون التقصي عن الجوهر والواقع.**

**٧٥٧ـ أم عمرو:**

وأنا بصفتي واحدة من النساء أصوت ضد هذا الشعار الرنان: «طباع النساء التسرع في الأحكام» دون أن أبحث عن الجوهر.. لسبب واحد: إنه ليس هناك جوهر لمثل هذا الشعار.

**٧٥٨ـ أبو عواد:**

**المرأة والطائر تستطيع أن تثق فيهما إذا كانا حبيسي القفص أو مقصوصي الجناح.**

**٧٥٨ـ أم عمرو:**

الحبس وقص الريش لغة العاجزين من الرجال والنساء الذين لا يستطيعون الارتفاع الى مستوى التواصل والاحترام المتبادل في العلاقات الزوجية، وبالمناسبة النساء أيضاً لهن أمثال في قص الريش مثل «قص ريشه لا يطير لغيرك» من لا يثق في شريكه لا يثق في نفسه والثقة كالحب تعطى ولا تؤخذ.

**٧٥٩ـ أبو عواد:**

**أعطني امرأة تكون لي أمة. وسجّل في جوازي أن مهنة المذكور خادم تلك**

الأمة.

**٧٥٩ـ أم عمرو:**

العبودية لله وحده !

**٧٦٠ـ أبو عواد:**

**المرأة تريد زوجها رجلا آليا، شهما متى أرادت، حازماً متى رغبت، خاضعاً متى شاءت، تبعاً للبرامج المعتمدة من جانبها.**

**٧٦٠ـ أم عمرو:**

المرأة تريد زوجها انساناً بكل ما فى الانسان من مرونة للتكيف مع مواقف الحياة المختلفة ومتطلباتها.

**٧٦١ـ أبو عواد:**

**شموخ المرأة وكبرياؤها أشبه بقصر منيف أو قلعة حصينة لكنها رغم قوتها وتحصينها لا تلبث أن تتداعى في لحظة ضعف وتهتز أساساتها وتتصدع وفجأة يتبدل الشموخ انحناء والكبرياء (مذلة).. ولكن عقارب الساعة لا ترجع للوراء.**

**٧٦١ـ أم عمرو:**

شموخ المرأة وكبرياؤها هو اهم واكبر وقاية لها من المذلة.. والمرأة الذليلة المتهاوية لا تلد إلا أذلاء متهاوين.

**٧٦٢ـ أبو عواد:**

**ثمة نساء وجودهن في الجلسة محضر شر !! وقرعهن جرس المنزل يعني أن الزيارة عندما تنتهي فإن مصيبة ستحل على صاحب المنزل وأن توتراً سيسود جو البيت والعلاقة بين أهله بخروج أختنا تلك سامحها الله التي كانت كما يقولون «محراك شر» لذا فإن نصيحتي لك يا سيدتي - إذا كنت في زيارة لصديقة لك - حاولى تفريغ شحنتها من التوتر والانفعال والمساعدة على تهدئة أمورها بدلا من قلب الوضع رأساً على عقب ووضعه على حافة الانهيار والانفجار.**

**٧٦٢ـ أم عمرو:**

لو ربينا بناتنا على الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار والتمسك به لما عانينا من تأثر أو تأثير امرأة بأخرى ولكننا نتمادى فى تحطيم شخصيات بناتنا ثم نلومهن على التبعية.

**٧٦٣ـ أبو عواد:**

**لست خبيراً في أمور النساء. ولكني أثق في ثبات الأصل والقبائل المحافظات.**

**٧٦٣ـ أم عمرو:**

الأصل ليس قاصراً على «بنات القبائل» .. الأصل بلغة العصر هو التنشئة الصالحة.

**٧٦٤ـ أبو عواد:**

**ميكياج المرأة جمال مستعار وتزييف مفضوح ..**

**٧٦٤ـ أم عمرو:**

مكياج المرأة قناع ترتديه رغبة فى إرضاء رجل يبحث عنه عند غيرها لو خلعته.

**٧٦٥ـ أبو عواد:**

**الرجل يكبر المرأة التي تصل إلى قلبه سالكة الطريق الوعرة.**

**٧٦٥ـ أم عمرو:**

الحياة الزوجية سلسلة من الممرات السلسة والوعرة.. يتعلم منها كل طرف من الآخر .. والفضل لمن يصل أولا.

رسائل جامعية

# قصص الأطفال

## في المملكة العربية السعودية

### من ١٣٧٩هـ - ١٤١٠هـ

رسالة مقدمة الى قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات بجدة، ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب «تخصص أدب أطفال» تقدمت بها الباحثة (آمال بنت عبد الفتاح الجزائري) بإشراف الدكتور/ محمد أحمد حمدون - استاذ الأدب الحديث المساعد بكلية التربية للبنات بجدة.. وشارك في المناقشة الأستاذ الدكتور حسين نصار (المستشار العلمي، الرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض) «ممتحنا خارجيا» والدكتورة الشفاء بنت عبد الله زيني عقيل (أستاذ الأدب الحديث المساعد - أدب سعودي - ورئيسة قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات بجدة) ممتحنا داخليا - وقد نالت الباحثة درجة «ممتاز» مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة وكالة الرئاسة لكليات البنات.

وتنطلق الباحثة من أن الطفولة هي أشد المراحل العمرية خطورة.. لما تتركه من بصمات على شخصية الإنسان مدى حياته، وأيضا لما يكتسبه فيها من عادات وقيم يصعب تغييرها فيما بعد.. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»، وقال (عليه الصلاة والسلام): «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع».

هنا تبرز لنا مدى أهمية تلك الرسالة.. حيث يزداد اهتمام الكتاب والدارسين بقضايا تلك المرحلة الهامة من عمر الإنسان.. ومن هنا جاء «أدب الأطفال» كقضية من أهم القضايا التي تحتاج الى اهتمام دائم وعناية اكبر، وتضافر الجهود بين كل المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والاجتماعية.

والمتتبع للنتاج القصصي الموجه للأطفال في المملكة.. يلمس بوضوح تلك المحاولات الجادة التي تكشف عن مدى إسهام الكتّاب في محاولاتهم لإثراء الأدب الموجه للأطفال.. مما يجعلنا دائما في حاجة للتعريف بجهودهم ودراسة نتاجهم القصصي وتقويمه تقويما فنيا وموضوعيا.

لذا - وكما تقول الباحثة - «تأتي هذه الدراسة نظرة شاملة تحاول إلقاء الضوء على قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية من حيث نشأتها وتطورها وخصائصها وقيمتها الفنية والموضوعية وأبرز كتابها».

وتستمد هذه الدراسة أهميتها - في رأي الباحثة - مما يأتي:

١ - أصبحت الدعوة إلى الاهتمام بالطفل والطفولة، وإيجاد المؤسسات المختلفة لخدمتها، هدفا من الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها للإسهام في قضايا الطفولة وإرساء دعائمها على أسس علمية راسخة تنير الطريق نحو تطوير مجالات الطفولة، ولا سيما فيما يتعلق بثقافة الطفل.

٢ - الوعي المتزايد بأهمية الدور الذي يؤديه أدب الأطفال في بناء حاضر الأجيال الجديدة ومستقبلها الذي هو مستقبل الأمة نفسها.

٣ - جدّة الموضوع، إذ أن الاهتمام بأدب الأطفال، كقضية من قضايا الأدب الحديث، بدأ مؤخرا..

هذا، وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على منهجين، هما:

(١) المنهج التاريخي التحليلي في الدراسة الاستقصائية.

(٢) المنهج التحليلي الوصفي في الدراسة الفنية والموضوعية.

مع استخدام الأساليب الاحصائية كوسيلة تحليلية للوصول إلى نتائج موضوعية ومحددة، ويظهر ذلك في الفصلين الأول والثالث بصفة خاصة.

كما استفادت في التحليل والعرض من بعض الدراسات السابقة، التي أجريت عن أدب الأطفال، رغم ندرتها، خاصة تلك التي تعنى بأدب الأطفال في المملكة.

وتقع الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول: شملت المقدمة مجال البحث وحدوده، وأهميته وأهدافه، ومنهجه، وأهم الدراسات السابقة.

اما الفصل الأول: فقد حاولت الباحثة فيه إلقاء الضوء على المصادر التي حوت قصص الأطفال، ومتابعة نشأتها وتكوينها في كل منها، وتطلب ذلك منها تناولها في مبحثين: الأول، تابع الحركة القصصية الموجهة للطفل في المملكة في الدوريات. الثاني، تم فيه متابعة النتاج القصصي المستقل عن الدوريات في كتب مفردة لمؤلفين سعوديين أو لمؤلفين عرب نشرت أعمالهم في المملكة، ومن نتائج المبحثين خلصت الباحثة الى موازنة بين نتاج الكتاب السعوديين ونتاج الكتاب غير السعوديين. والفصل الثاني صدرته الباحثة بتمهيد اشتمل على بعض المعايير التي وضعتها للاستعانة بها في اختيار بعض النماذج القصصية لإخضاعها للدراسة الفنية، التي تناولتها بتحليل العناصر الأساسية للقصة: الأحداث، الشخصيات، البيئة، الخيال، الأسلوب.

بالنسبة الى الأحداث، حددت الباحثة عناصرها وحللتها وتتبعت الحدث في القصة من حيث البساطة والتركيب ومن حيث تطوره بين التعاقبية والحوارية.. اما الشخصيات فقد عرضت أدوارها وصفاتها ومصادرها، وطريقة رسمها وأهم نماذجها.. أما البيئة فتمت دراستها من حيث الزمان والمكان ومدى انعكاس البيئة المحلية من خلال الرسوم والأدوات والألفاظ.. بعد ذلك تتبعت الخيال في القصص التي تم تحليلها فصنفته إلى: الخيال الأسطوري، والخيال العلمي، والخيال الخرافي، وعالجت هذه الأنواع مطبقة على ما بين يديها من قصص .. وفي معالجتها للأسلوب اعتمدت الباحثة على تحليلها للحوار والسرد من حيث خصائصهما وتنوعهما تبعا لتنوع المواقف.

وفي الفصل الثالث: مهدت أولا المباحث الأساسية فيه بتحديد المنهج الذي اتبعته في تحليل القصص وبيان ما تضمنته من افكار وقيم، وذلك باستقراء أهم تصنيفات القيم المعروفة من مناظير مختلفة تشمل: الفلسفي، النفسي، الاجتماعي، والإسلامي، للاستعانة بها في تصنيفها.

ثم اختتمت الدراسة بعرض النتائج التي توصلت إليها الباحثة، ومن ثم التوصيات التي أوصت بها.

وتقول الباحثة في الخاتمة عن هذه الدراسة: «إنها محاولة متواضعة أرادت منها إضافة جديد فيما يتعلق بالدراسات في أدب الأطفال، والإسهام في إثراء هذا المجال وخدمته، وخدمة المهتمين به..» إلا أنها ترى أن «هذه الدراسة لم تغط جميع الأسئلة التي كانت تدور في خلدها.. وأن قسما كبيرا منها يحتاج إلى دراسات إضافية متعددة الجوانب».

ويمكن تلخيص بعض النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة فيما يلي:

١) إن هناك محاولات جادة للإسهام في إثراء هذا المجال.

٢) عدم اهتمام الكتّاب بتحديد المرحلة العمرية التي يوجهون إليها كتاباتهم إلا في النزر اليسير.

٣) غلبة الاتجاهين الاجتماعي والخيالي على القصص الموجهة للأطفال في المملكة في جميع مصادرها.. وتفاوت الاهتمام بالاتجاهين التاريخي والديني.

٤) قلة اهتمام الكتّاب السعوديين بتوجيه كتاباتهم للأطفال في المملكة العربية السعودية.

٥) لم تعط المرأة جل اهتمامها في توجيه كتاباتها للأطفال.

٦) تنوع المصادر التي استقى منها الكتّاب نتاجهم، كالقرآن الكريم والتراث الأدبي العربي والعالمي وأخبار العلم والعلماء.

٧) عدم الاهتمام بدرجة كافية بالرسوم في المواد القصصية الموجهة للأطفال في كتب مفردة، ويتساوى في ذلك الكتّاب السعوديين وغير السعوديين.

٨) التفاوت في القدرة على تناول القصص فنيا.. فبعضها يمكن أن يشد الطفل إليها، والبعض الآخر يبدو معقدا تتراكم فيه الأحداث.

٩) اهتمام الكتّاب بشخصيات قصصهم والعناية بطريقة رسمها.

١٠) ارتفاع مستوى الأسلوب في كثير من القصص عن مستوى إدراك الطفل، خاصة في القصص التاريخية.

١١) هناك اتجاه يسود بعض الكتّاب بتوجيه قصصهم نحو الوعظ والارشاد وتحقيق القيم التربوية بطريقة مباشرة.

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
وكالة الرئاسة لكليات البنات
كلية التربية للبنات بجدة

قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية
من ١٣٩٩هـ إلى ١٤١٠هـ

رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية
ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب
تخصص أدب أطفال

إعداد
الطالبة / آمال بنت عبد الفتاح الجزائري

إشراف
الدكتور / محمد أحمد حمدون
أستاذ الأدب الحديث المساعد
بكلية التربية للبنات بجدة
١٤١٥هـ

وفي نهاية هذا البحث، تقترح الباحثة بعض النقاط التي تستهدف بعض التوصيات التي لم تتمكن من تحقيقها في بحثها للنهوض بأدب الأطفال وإثرائه، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١ ـ توجيه الدعوة للأدباء والأديبات في المملكة العربية السعودية للاهتمام بتوجيه كتاباتهم للأطفال.

٢ ـ ضرورة التوجه في التأليف والاهتمام بالكتابة القصصية العلمية.

٣ ـ التشجيع الأدبي والمادي للإبداع في مجال قصص الأطفال تأليفا ورسما.

٤ ـ دعوة الباحثين والباحثات لعمل دراسات تطبيقية على الأطفال للكشف عن ميولهم القرائية واهتماماتهم القصصية.

٥ ـ ضرورة الابتعاد عن الأسلوب الوعظي والأسلوب الذي لا يناسب مستوى ادراك الأطفال.

وقد شهدت لجنة المناقشة للباحثة بالصبر والدأب والسعي الحثيث في سبيل البحث والاستقصاء حول قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية، هذا بالاضافة إلى أمانتها في نقولها واستشهاداتها وتحليلاتها الشخصية، والاتيان بالنتائج على قدر المقدمات دون مغالاة أو اشتطاط، وتوفيقها في الحصول على مادتها العلمية وإحاطتها بالمراجع على تنوعها بين أدبية ونفسية وتربوية ودينية.

إعداد: 

## آخر الكلام

مأساتنا - كأمة إسلامية - أننا متفقون في «الكلمة» مختلفون في «الفعل» بينما اعداؤنا متفقون في «الفعل» مختلفون في «الكلمة».

هم ينتصرون علينا بالصواريخ والشظايا، ونحن ننتصر عليهم بحروب الإذاعات وبيانات الاستنكار..

هم يتعمدون بدمائنا ، ونحن نَتَيَمَّمُ بالصبر ..

هم يرفعون السيوف لاستئصال غدنا ، ونحن نرفع لافتات الإدانة ، أو ننهمك بإعداد المقابر الجماعية لضحايانا .. بينما العالم «وقضاة العدالة الدولية» منشغلون بترميم «الروبل» الروسي ، وبتفصيل القميص الجديد للسيد «يالتسين» ، بعد أن قدَّم العالمُ وقضاته للأمة الاسلامية، منديلا دولياً لتمسح به دموع الفجيعة، او تخيط منه أكفاناً ! فالعالم قد استعذب احزان الأمة الاسلامية بعدما اكتشف انها صالحة لاختبارات صواريخه، ولتطبيقات نظريته الجديدة في «التنصير المسلح»!. فمتى تنتصر الأمة الإسلامية - إذا كان بعض قادتها منشغلين في التهيئة لسرقة هذا الوطن الاسلامي، او استباحة ذلك الشعب المسلم، في وقت يستثمر فيه اعداء الأمة الإسلامية هذا الانشغال، فيكتبون بدمائنا «مزامير» جديدة، تجعل من إبادتنا صكاً مشروعاً ما لم نركع للصليب المعقوف الجديد! حتى متى تكتفي الأمة بالمراثي - في وقت يتقاطع فيه سيفان أسطوريان دمويان: سيف «التطهير العرقي» و«سيف التنصير المسلح» ، فيشكلان الصليب المعقوف فوق جسد الأمة الاسلامية، في زمن أصبح فيه إنقاذ «الروبل الروسي» اكثر أهمية من إنقاذ شعب يتضوَّر جوعاً في الصومال، ومن الدم الاسلامي الذي يُهراق في البوسنة والهرسك - بينما «القضاة الدوليون» ، منشغلون بارتشاف نخب «العدالة» في صالات التنظيرات الايديولوجية الجديدة؟ كيف لا يتنامى صهيل «النواقيس»، وتُعَرْبِدُ السنابك الصليبية فوق جسد الطفولة المؤمنة، إذا كان البعض القليل في الأمة الإسلامية يعتبر تفجير مقهى شعبي ، او زرع قنبلة في حافلة مدرسية إنجازاً ثورياً، وانَّ الإبادة الجماعية خيرُ طريقة «لتحديد النسل»!! وإذن: هل ننتظر اليوم الذي سنبكي فيه على ضياع «أندلس صومالية» ، او «غرناطة الهرسكية» بعدما جَفَّتْ مآقي الأمس من البكاء على «الأندلس»؟!!

**يحي السماوي** - جدة -

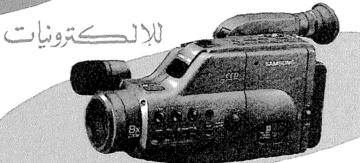
# «المسافة بين الفعل والكلمة»


صرح طبي متكامل
مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
○ العيادات الخارجية التخصصية
يشرف عليها طاقم طبي مؤهل
وفرت له أحدث الأجهزة التشخيصية.
○ مختبر متكامل يعمل على مدار الساعة.
○ قسم الأشعة مجهز على أفضل المستويات
التقنية.. مزود بجهاز التصوير المقطعي
بالكمبيوتر وجاما كميرا للتصوير النووي.
○ جهاز تفتيت حصى الكلى والحالب بدون
تخدير وبدون مغطس ماء وبدون
إقامة في المستشفى !!
○ مغاطس الطين، المعالجة الكهربائية..
والموجات الصوتية... بعض الأساليب العلاجية
بقسم العلاج الطبيعي.
○ مهبط لاستقبال طائرات
الإخلاء الطبي.
DALLAH HOSPITAL
رعاية أشمل
لصحة أفضل
ص.ب ٨٧٨٣٣ الرياض ١١٦٥٢ حيي النخيل
تليفون ٤٥٤٥٢٧٧ فاكس ٤٥٤٥٢٥٣ تلكس ٤٠٧٣٠٥

# تقنية من أجل حياة أفضل

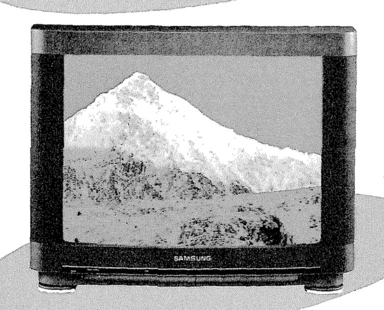
سامسونج

للالكترونيات



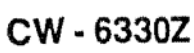
**VPE - 807**

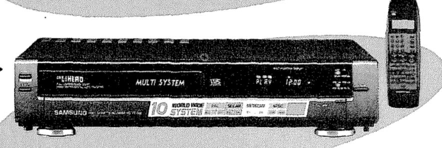
• حجم صغير ٨مم. • تكبير ٨ مرات. • الحد الأدنى ا
٢ LUX. • إمكانية كتابة رسالة على الش
والساعة والتاريخ • ريموت كنترول. • توفير بط
وجهاز شحن. • تثبيت الصورة الممـ




**CW - 6330Z**

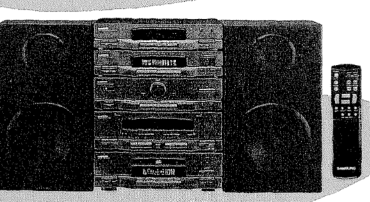
• ٢٦ بوصة ٩٠٪ نظام ريموت كنترول • تصميم جا
بسماعتين من الجانبين، إستريو » • البحث الذاتي عـ
القنوات • إمكانية برمجة ٤٠ قناة • جميع الوظائف تظ
بالشاشة • شاشة مسطحة • إستخدام الريموت كآلة حا






**VZ - S95**

• ٤ رؤوس • متعدد الأنظمة • نظام آلي رقـ
لمتابعة المسار • عرض نظام NTSC على نظام
برمجة على الشاشة • التحكم في برامج التليفزيو
بدون توقيف الفيديو • سرعة البحث عن الصورة ٢١



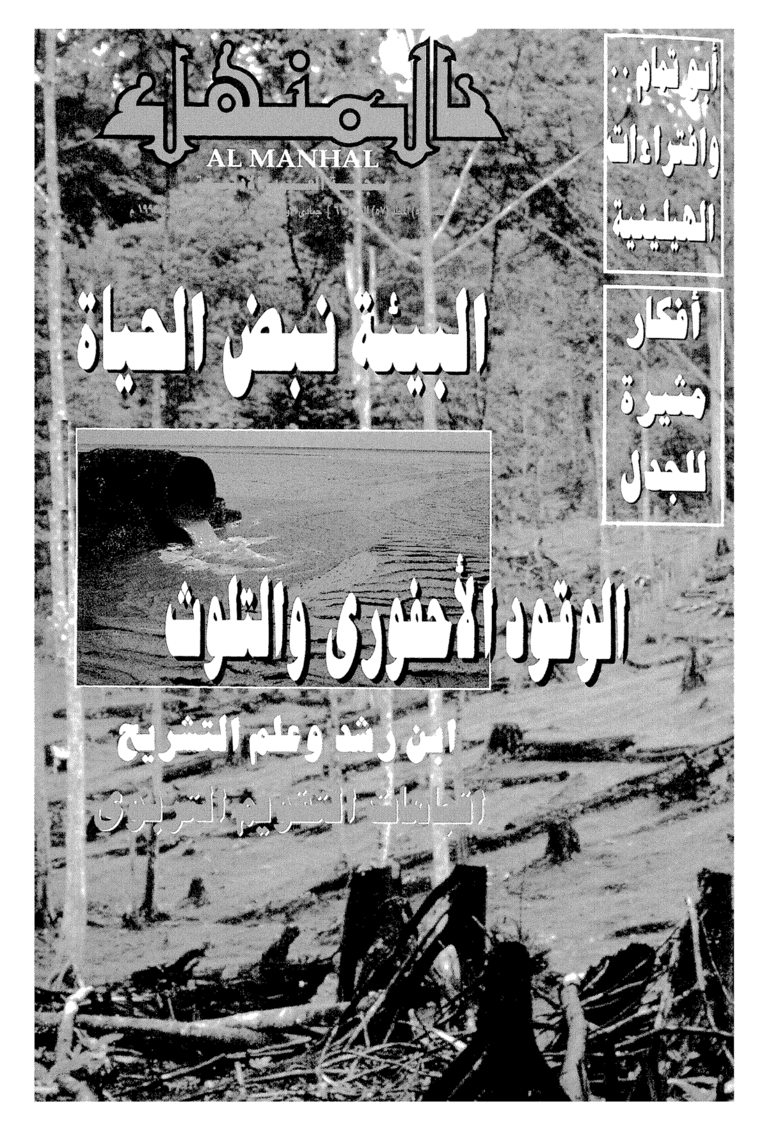
**SCM - 9100**

• نظام كامل للتحكم عن بعد • سماعات ثلاثية • نـ
الاسطوانة المصغرة إلى الشريط • عرض واضح أبجدي
على الشاشة • نظام لإلغاء التشويش • ذاكرة للتخزين
• ساعة للوقت • إستمرارية تشغيل الشـ




**شركة الزقزوق والمتبولي**

جدة ٦٥١٢١١١ — مكة ٥٥٦٥٨٠٨ — المدينة ٨٣٦٣٥٥٦ — الرياض ٤١١٦٦٠٧ — الدمام ٨٣٤٦٦٢٤ — خميس مشيط ٢٢٢١٥٧٢ — بريدة ٣٢٣٤٨٦٦


المنهل
AL MANHAL
أبو تمام..
وافتراءات
الهيلينية
أفكار
مثيرة
للجدل
البيئة نبض الحياة
الوقود الأحفوري والتلوث
ابن رشد وعلم التشريح





مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال


# التعليم الجامعي .. والتعليم الفني

من حق المواطن أن يُسرَّ كثيرا حينما يشاهد اتجاه البلاد الى سلوك الطرق القويمة التي تفضي بها الى رياض التقدم الزاهرة المنشودة ..

ونحمد الله تعالى ، فقد بدأت هذه البلاد بخطوتين جبارتين في هذا الطريق الحميد .. وتتمثل الخطوة الأولى في إنشاء «جامعة الملك سعود » بالرياض فان للتعليم الجامعي مزاياه الحميدة ، التي تنقل التفكير الفردي والجماعي الى ميادين واسعة من البحث المنتج والريادة والانتاج المثمر ، تنظيما واختراعا وابتكارا ..

وتتمثل الخطوة الثانية في هذا الاتجاه الذي نراه ممثلا في العناية بافتتاح المدارس الفنية ، لتعليم المواطنين ، ماالبلاد في أمس الحاجة اليه من ألوان الفنون التي تمارسها وتقوم بها بعض الوزارات والادارات الرئيسية ..

ومن شواهد ذلك .. ما علمناه من افتتاح وزارة المواصلات مدارس لتعليم فن اللاسلكي للمواطنين من الشباب الطامح ..

ومن أمثلة ذلك أيضا ما سمعناه من الاذاعة السعودية في الآونة الأخيرة من افتتاح مدرستين ،لعلهما هما المدرستان الاوليان في منطقة الشرق الاوسط ، وذلك لتعليم الشباب الطامح من أبناء البلاد فن الهندسة الاذاعية ، وفن البرامج الاذاعية .يضاف الي ذلك افتتاح وزارة الزراعة مدرسة لتعليم أصول الزراعة الحديثة وأساليبها وفنونها .

ولا مرية في أن هذا الاتجاه الحميد يمثل نقطة تحول، بعثها الشعور بالحاجة الي فنيين مواطنين ، يخدمون بلادهم في بلادهم، ويجعلون أمتهم تدريجيا في مصاف الأمم الراقية التي استطاعت أن تكتفي بالانتاج الفني والعلمي الذي يقدمه لها أبناؤها ونوها في أهم ألوان المرافق الحيوية المستحدثة لديها .. واللازمة لها ، في جو عبق يسوده النظام والأمل البسام .

إنه اتجاه حميد ، وخطوة موفقة ونقطة تحول نسجلها ونحمدها للقائمين بالأمر ، ونرجو لها مزيدا من الاطراد والعمق والسموق والاتساع .

«عبدالقدوس الأنصاري»

( جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ / ديسمبر ١٩٥٧ م )




صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

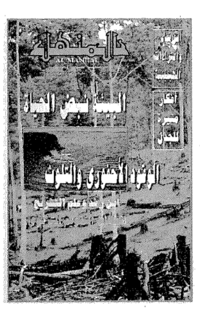
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد

# لقطة الشهر



كثير من المعاني الجميلة التي عاشها سلفنا واقعاً في حياتهم ضاعت اليوم من بين أيدينا .. (كالماء .. خانته فروج الأصابع..)
مثل هذا المعمر فى (الزمن الجميل الضائع) كان يجلس في بيته مكرماً يحيط به أفراد أسرته حباً وإكراما..

الشارة

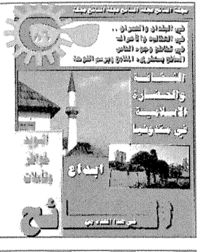
● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.




طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون / ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس / ٦٦٠٤٦٧٦




العدد: (٥٢٦)
المجلد: (٥٧)
العام: (٦١)





م ن ه ل ي ا ت

# القرن العشرون.. والهوية الضائعة

الاستقراء السريع لأحوال العالم الإسلامي خلال هذا القرن منذ بدايته وحتى نهاية عقده العاشر الذي نعيشه الآن تؤكد أن هذه الفترة الزمنية الممتدة خلال قرن كامل كانت فترة ضعف للمسلمين، وضياع شبه كامل لهويتهم الاسلامية الحقيقية.. إذ تحول الاسلام في نفوس أهله إلى مجرد مظهر خارجي «بروتكولي» لا وجود له فى أرض الواقع.

ولقد عمل المستعمر بكل طاقته على «تحييد الإسلام» على أقل تقدير ممكن إن لم يستطع إبعاده تماماً عن الساحة .. وبكل أسف، فقد ساعد المستعمرَ على أداء وظيفته هذه عددٌ من روّاد الحركة الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامي ولا يزال هذا الدور موصولا عند بعض الاقلام المعاصرة ليًا في الدين، وطعنا بألسنتهم، وافتراء على الله ورسوله.

ولا أحسب المسلمين قد مرَّ بهم زمان هم أضعف فيه جندا وأقل ناصرا من زمانهم هذا..تحارب واقتتال فيما بينهم بالسلاح بكل أنواعه.. مخاصمة وتشتت وتفرق فى الرأي .. منازعات ومكائد، لا تكاد تنتهي إلا لتبدأ ثانية.. ليس هذا فحسب، بل حتى في أمر الدين ذاته والعلماء أنفسهم اختلاف فى الرأي يصل الى درجة الخصومة بينهم .. والمسلم الطالب للرأي السديد يقف حائراً في أمره وأمر علمائه.. وهنا تظهر الاجتهادات الشخصية غير الموفقة فى كثير من الاحيان.

أليس هذا حالنا .. يا .. سادة..

**نبيه الأنصاري**

**وكلاء التوزيع**

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٢٤٥٥٩.

# عدد جمادى الاولى والآخرة ١٤١٦هـ

الفهرس



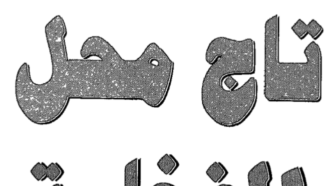




## أقلام:

د٠ حسن الباشا
د٠ يوسف الكتاني
د٠ محمد الدسوقي
د٠ محمد علي البار
د٠ عبيد خيري
عبد الله الشباط
يوسف يحي طعماس
د٠ عواد جاسم

عمارة

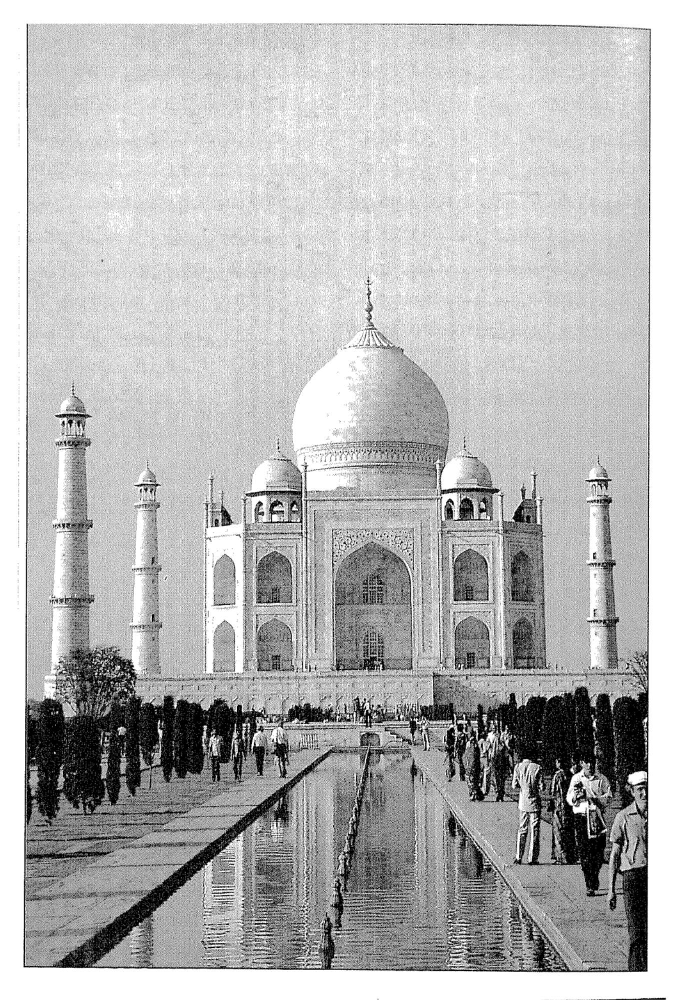


# تاج محل الفخامة والجمال

شيد الامبراطور المغولى شاه جهان «تاج محل» ليكون مدفنا لزوجته (ممتاز محل) التى توفيت سنة ١٦٣١م. والامبراطور شاه جهان هو أحد أباطرة المغول المسلمين فى الهند وكانوا من نسل تيمورلنك وحكموا الهند من سنة ١٥٢٦ الى سنة ١٨٥٧م. وأول هؤلاء الأباطرة «بابر» الذى فتح دلهى وأجرا سنة ١٥٢٦ وجاء بعده همايون ثم أكبر ثم جهانجير ثم شاه جهان مشيد هذا الضريح الذى يعتبر أفخم ضريح ويعتبر من أعظم الآثار فى العالم.

اعتلى شاه جهان العرش سنة ١٦٢٨ وظل فى الحكم حتى سنة ١٦٥٨. وكان شاه جهان يحب زوجته التى كانت تسمى قبل الزواج ارجهان بنوبجوم، ولما تزوجها لقبت ممتاز محل وكذلك بتاج محل. وقد حشد شاه جهان لهذا البناء الكثير من البنائين والمزخرفين والنحاتين وأهل الحرف اللازمة وكان على رأس هؤلاء ثلاثة مهندسين هم أستاذ أحمد هروى وكان أيضا عالم رياضيات ومير عبد الكريم ومكلا مرشد شيرازى.

ومن المحتمل أن هؤلاء جميعا عملوا فى تشييد وزخرفة الضريح باشراف أو بتوجيه من شاه جهان نفسه. وكان منذ صغره مهتما بالعمارة والتشييد ولا شك أن حبه للعماره وللجمال وفى الوقت نفسه لزوجته الراحلة ممتاز محل وضح فى هذا البناء الجميل.



**أ.د. حسن الباشا**

أستاذ الآثار الاسلامية
بجامعة القاهرة

يقع الضريح على الضفة اليسرى من نهر جُمنا وهو عبارة عن ضريح من النوع المعروف بأضرحة الحدائق. تتقدمه حديقة فخمه بها حوض ماء تنعكس فيه صورة المبنى نفسه. ويتقدم الحديقة بناء عبارة عن خان يستخدم حاليا بوابة ضخمة.

وعلى البعد وراء الضريح بناء آخر عبارة عن مسجد. والضريح مصفح بالمرمر الناصع البياض في حين أن البناءين أمامه وخلفه من الحجر الأحمر وهذا يؤدي الى ابراز الضريح بمرمره الأبيض.

والضريح مشيد على مسطبه مربعة طول ضلعها حوالى ٥٠ مترا يزخرفها وحدة مكررة من دخلات معقودة قليلة الغور ومسطحة من الداخل وفى كل ركن من أركانها مئذنة قاعدتها مثمنه مدمجة فى جسم المسطبة وكل مئذنة ثلاثة طوابق يفصل بين كل طابق رفرف وهى دائرية التخطيط ومسلوبة الى أعلى سلبا مثيراً. ويعلو المئذنة قبة تحملها ثمانية عقود مفصصه ترتكز على ثمانية أعمدة رشيقة. أما الضريح نفسه فمقام فى وسط المسطبه وطول كل ضلع من أضلاعه حوالى ٢٥ مترا. وهو بناء مشطوف الأركان وفى كل شطف عقدان أحدهما فوق الآخر.

ويتوسط الواجهة المدخل وهو عبارة عن عقد فارسي ضخم (مدبب) وفى كل من جانبى المدخل عقدان يتماشيان مع عقدى الأركان ويفصل بين العقود جميعا أعمدة رشيقة مندمجة ترتفع إلى ما فوق سطح الضريح وحجر المدخل عميق بعض الشيء ويؤدى الى باب الضريح وهو باب معقود وفوقه نافذة تكاد تساويه فى الشكل والحجم.

ويعلو البناء قمة بصليه ضخمة فوق رقبة طويلة وفى أسفل القبة شريط من وحدات نباتية أشبه بشجيرات محوره تبدو كأن القبة تنبثق منها. وتحف برقبة القبة قباب أربعة تقوم على ثمانية عقود مفصصة ترتكز على دعائم، أما فى الداخل فيوجد قبران من المرمر هما قبر شاه جهان وزوجته ممتاز محل ويحيط بهما حجاب رشيق من الرخام ارتفاعه يصل حوالى ٢٫٢٥ متر وسطح البناء من الداخل على هيئة قبة نصف كروية هى القبة الداخلية التى تعلوها القبة الخارجية البصلية.

هذا هو الوصف المعمارى للضريح ومن الملاحظ أن عناصره المعمارية قد صممت ونسقت حسب نسب هندسية موفقه حتى إنه من المتعذر تصور أى تغيير فى أوضاعها أو أحجامها أو أشكالها أو العلاقة بينها. وهذا التنسيق والنظام يتميز بالتكرار المتشابه والاختلاف المتناسب فمن حيث التكرار المتشابه نلاحظه مثلا فى المآذن الأربعة بكل عناصرها وأقسامها وفي القباب الأربعة وفى العقود التي على جانبي المدخل.

أما من حيث الاختلاف المتناسب فيلاحظ على سبيل المثال فى تشابه أشكال العقود رغم اختلاف أحجامها، وكذلك فى أشكال القباب أعلى المآذن وقباب الأركان والقباب الصغيرة أعلى الأعمدة رغم اختلاف أحجامها، كما أن هناك تناسبا تصاعديا بين قباب الاعمدة وقباب المآذن وقباب الأركان وهكذا فى العقود وغيرها.

ومن الملاحظ أنه يعلو جميع القباب طاقية صدفيه ينبثق من كل منها عمود به ثلاثة كور من البرذر المذهب (تفافيح) أوسطها أكبرها وكانت تفافيح القبة البصلية الكبرى أول الأمر من الذهب ويبدو أن مصمم الضريح أراد ألا تطغى الزخرفة على التصميم المعمارى الجميل فجاءت الزخرفة على مقياس صغير سواء من حيث الكم أو الحجم فكانت أشبه بقلادة رقيقة أنيقة من الماس تحلى جيد حسناء روعي فيها ألا تصرف عنها.

واستخدم فى تنفيذ هذه الزخارف التى على هيئة أشكال نباتية طبيعية ومحوره الحفر قليل الغور وقليل البروز، كما استخدم تطعيم الرخام بأحجار نصف ثمينه تبرز فى كوشات عقد المدخل وفى القيرين وفى الحجاب المحيط بهما ويسمى هذا النوع بـ Piefre dura ومن حيث التأصيل يلاحظ أن شكل القبة وهيئة المآذن الأربعة والتفاصيل المعمارية والزخرفية ذات طابع هندى وان كانت لا تخلو الى حد ما من التأثير التيمورى حيث تشبه القبة الكبيرة قبة تيمور جورى مير بسمرقند. وكذلك لا تخلو من التأثير الايرانى فى الزخارف النباتية.

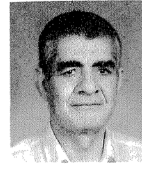
ومهما يكن فقد جمع تاج محل بين الفخامة فى المظهر والدقة في النسب المعمارية والجمال فى العناصر الزخرفية.

هذا وقد اشتهر المغول فى الهند خاصة بإقامة الأضرحة الفخمة ومنها ذلك النوع المعروف بأضرحة الحدائق حيث يتقدم الضريح عادة حديقة منسقة بها أحواض مياه.

ويعتبر ضريح تاج محل قمة عمارة الأضرحة وقد تطورت عمارة الأضرحة على حلقات تبدأ بقبة الصليبية فى سامرا التى شيدها الخليفة العباس المنتصر فى القرن التاسع الميلادى ليدفن فيها أمه وكانت يونانية. ومن العلامات المميزة فى هذه السلسلة ضريح اسماعيل السامانى أو ضريح السامانيين فى بخارى من القرن العاشر، ثم ضريح تيمور بسمرقند (جورى مير سنة ١٤٠٤م) ثم ضريح أولغ بك ميرنشاه وعبد الرازق فى غزنه سنة ١٤٤٩ وهو يمثل مرحلة انتقال من الأضرحة التيمورية الى الأضرحة المغولية فى الهند ثم ضريح همايون فى دلهى ١٥٦٥ وهو وان كان أقل جمالا من تاج محل الا أنه يشبهه ويشكل قمة التطور نحو الكمال الفنى والمعمارى فى تاج محل فى اجرا.




# بلجراد



أ.د. كمال إسماعيل
- القاهرة -

هـا أنـت لا تـعــــرفـين
الحــيــادَ يا بلجــرادْ
ولا تـراعـين عــهــدا
لجــيــرة ، لاعــتــقــاد
وأنــتِ لا «شــارلمان»
أو «مــارتـل» فى الـعـبــاد
ولا «فـيـنا» ، إليــهــا
نـحن ربطنا الجـيــاد
ولا الرفـيـعــةُ فى الكعب
أنـتِ ، بين الجـمــاد

* * *

قــد كنت قَيْنَةَ كــأسٍ
قـنِّيـنَةَ الأعــواد
الحــانـةُ الأمُّ تُلْوي
عــلـيـكِ بـالـرُّوّاد
ولا تجــدّد وجــهــا
لثــوبـهــا ، إنْ بادْ
ولا تـقــولين : أعــتِقْ
رتـوقـك الـلّبــادْ
ولا دلاء للاســتــحــمــا
م فـى الأشــهــاد

* * *

أقـطـاى جــاءك ، لا ،
عن أبيــه جنكيــز ،قــادْ
ودقَّ بــابــك دقّا
أقطـايُ ، فـى إيعــادْ
وصــبَّ لـومًا ولــعــنــا
للقــفل فى الإيصــادْ
وقــال : كــونى كــجـوف
الأتــانِ فـى إيجــادْ
ومــنــجــنـيــقٌ طــويـلٌ
ألـقــاك لـلأوتــادْ
وبـقــراتُ تمـاَم
مـحـلولـةُ الأصــفــاد

* * *

وأعــمـل السـيـف شـهــراً
فى لحــمك المعــتــاد
كـمــا اســتـحَلَّك جُزْءا
للسـلـب ، لـلإكــداد
وأوسـق الـعـيـــر ،
ممـالـديك مـن أجـســاد

* * *

سَلــى تــراثــي ممــا
قــدْ خــالف الجـلاد
وسنَّ نـهـجـا صـحـيـحـا
للسـرج ، للأرصــاد
وعــمـلـة وحـسـابا
وجـمـلـة الأعــدادْ
وأنجــمــاً وهـلالا
تحُوط هــذا الـزَّاد
إلـى نـفـيـر يـوالي
شـعـيـرة المقــداد
مـن أنـبـأ الـصرِّب أنّ
الـوجـود لـلأوغــاد؟
لـفــارغ ، عـنـكـبـوت
خـيـوطـه للـنـفـاد
أو مـعـقـل الأرض
إرثُ القـنـاص والـصـيـادْ
أو لـلـذبـابـة سـامـت
بـالـدُّبّ ، بـالآســادْ

أو من يقول لبيت
الأصول والأمجاد
ما منْ عتاد مراد
ولا عليك العتاد
بل الثبات، وأنت
المحميُّ في الأضداد
ويتخلَّى قُبيل
الميعاد، في ميعادْ
ويقضم الفضلات
الملقاة للأحشاد!!

* * *

هل حان فصل رديء
للتُّرْكِ والأكراد؟
أم الحداثة تُعلي
بُعكوكة الإلحاد
والأدرياتيك يدري
تحوُّل الأكباد

* * *

لا تسأليني متى الإسـ
ـلام أفنى القياد!
أإنني من بلمز
يُشاك، أو منّ يُكاد؟
سلي إذن سريبيفو
في الردّ من قد أفادْ
ترحل في كل يوم
بالملح، بالسجَّادْ
لكي تعود غداة
ذاتَ أذان يُشادْ
ولا يزول لديها
من الفؤاد الفؤاد
ولا يزالُ عليها
مُجاور للزناد

* * *

عاشت لنا سريبيفو
ذات سوار الرماد
ذات اقتراع جديد
لنطفة الأجداد
لطفلها من أبينا
محمد أو مُرادْ

* * *

لي عندها سريبيفو
لا (صربيا) الأحقادْ
ولا عبيد العصا، لي
بل «عزَّتُ» الأسيادْ

* * *

لى إنَّ حبَّة ملح
تفرقت في البلادْ
لسوف أمضي إليها
في أول الأعيادْ
لبيّتُها من بعيد
ثم رماني البعاد
وكان جدِّي مريداً
أن يكسر الأبعادْ
لا تنزوي سرلانكا
عن «جدة» عن تشاد
ولا لتاج محلٍّ،
كشميرُ تعدو الضادْ
ولا جروزني تليها
موسكو، من الميلاد
وأن تكون عروسي
في حيثما أرتادْ
لي حيث أسند رأسي
وأتّكي أولادْ
وابن بسربرينتشا
على عروس شادْ
مليحة مثل بدر
بياضه في سواد

* * *

أتسألين: لماذا
الجهد على الاشتداد؟
سلي إذن بفرنسا
بلاط الاستشهاد
واستفسري حول روما
أمس، الجيوب الصلاد
وإنما ابن نصير
وطارق بن زياد
لا كأناس المشافي
والليل ذي الاسوداد
واستقدمي ببريدي
روُحي، وراء المداد

أفكار مثيرة للجدل (١)

# ما هو معنى الشريعة الاسلامية؟!

بقلم المفكر الاسلامي:
**أ.د. دكتور محمد عمارة**

موقف المستشار محمد سعيد العشماوى من الشريعة الاسلامية هو ذروة مقاصده من وراء مشروعه الفكرى.. فالرجل قد خصص قلمه منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين لمواجهة الجهود التى تزايدت، فى ذلك التاريخ، لتقنين الشريعة الاسلامية، وتطبيقها بدلا من القوانين الوضعية ذات الأصول والفلسفات الغربية.. وهو يعترف بأن هذه المهمة هى سبب تحوله عن الكتابات فى الفكر الوجودى وتخصيص قلمه للإسلاميات.. فيقول: «فى السبعينيات، كانت دعوى تطبيق الشريعة قد أوشكت أن تقنع الناس - وأكثر الناس لا يعلمون - بضرورة تقنين الشريعة، وإلغاء كافة القوانين القائمة، وتغيير النظام القضائى(١).. فزادت اهتماماتى بالفكر الإسلامى حين بدأت حركات الاسلام السياسى تتزايد(٢).

وإذا كان علماء الإسلام - بل والعلماء من غير المسلمين - قد انعقد إجماعهم على أن الشريعة الاسلامية هى منظومة من القيم والمبادىء والقواعد والأحكام، سماوية المنشأ والأصل، مصدرها البلاغ القرآني والبيان النبوي للقرآن، وانها تمثل منظومة متميزة بإسلاميتها، عن الشرائع الأخرى.. وانهم لذلك عرفوها بأنها: «الوضع الإلهى الثابت، الذى جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ليتهذب بها المكلف معاشا ومعادا(٣)» فإن المستشار عشماوى - كما حاول «تجريد [الدولة] من الإسلام.. وقطع صلاتها به».. يبدأ جهوده فى مواجهة دعاة تقنين الشريعة وتطبيقها، بمحاولة «تجريد [الشريعة الاسلامية] من الإسلام»؟!

وسبيل العشماوى الى هذا الأمر الغريب، والمقصد الذى لم يراود خيال أحد من السابقين، بالغ الغرابة هو الآخر.. فلقد رأى أن كلمة الشريعة - ككل المصطلحات المستخدمة فى سائر العلوم والفنون - لها معنى لغوى معجمي، ومعنى اصطلاحى، يتحدد بالمضامين التى يعنيها مصطلحها فى ميدانها.. فعنّ له أن يدعو إلى العدول عن المعنى الاصطلاحى للشريعة، والوقوف، فقط، عند معناها اللغوى!..

**ولما كان المعنى اللغوى للفظ «الشريعة» هو: «مورد الماء» أى المدخل والطريق والسبيل والنهج الى الماء - الذى كانت تسلكه الإبل العربية للسقيا - فلقد دعا المستشار عشماوى الى الوقوف فى تعريف الشريعة عند هذا**

## في نظر العشماوي، اخراج الألفاظ القرآنية من معناها اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي تحريف لا يصح

**المعنى اللغوى.. لاننا إذا الغينا المعنى الاصطلاحى - «الوضع الالهى الثابت، الذى جاء به الرسول، ليتهذب بها المكلف معاشا ومعادا» -**
وهو معنى يمد نطاق الشريعة الاسلامية إلى سائر شئون وميادين «المعاش» و«المعاد» - بما فى ذلك «السياسة» و«الدولة» - ولمعاداة ذلك الشمول تخصص العشماوى فى الاسلاميات.. إذا ألغى هذا المعنى الاصطلاحى، فإن الشريعة الإسلامية لن تعنى أكثر من المعنى اللغوى - «مورد الماء» - ومن ثم يتجرد معناها من الإسلام، وتسقط كل الدعوات التى تريدها حاكمة لسياسة الدولة وتنظيم الاجتماع الانسانى وتدبير العمران البشرى.

**بهذا المدخل - غير المسبوق - بدأ المستشار عشماوى صراعه مع الشريعة الإسلامية محاولا تجريدها من الاسلام!..**

يقول العشماوى: «الشريعة لفظا: ورد لفظ الشريعة فى القرآن الكريم مرة واحدة [ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها](٤) ثم ورد بمصدر له وتصريف ثلاث مرات: [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه](٥) [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا](٦) [أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله](٧).

وفى كل هذه الآيات لا يعنى لفظ الشريعة الأحكام القانونية أو التشريعية، ولكنه يعنى: الطريق، المنهج، السبيل، وما شابه. وهذا المعنى الوارد فى القرآن الكريم عن لفظ «الشريعة» هو بذاته المعنى المقصود فى صحيح اللغة العربية، وفى معاجمها جميعا. فقد ورد فى هذه المعاجم أن لفظ شرع - لغة - يعنى: ورد. والشرعة والشريعة هى مورد الماء، أى الطريق والسبيل إليه (لسان العرب. مادة: شرع).. لكن معنى اللفظ (الشريعة) تغيّر عبر التاريخ .. **حتى أصبح يعنى مجموعة الأحكام العملية المستنبطة من الكتاب والسنة أو الرأى والإجماع - على المعنى الاصطلاحى.. وإذا كان من السائغ فى العلوم الاجتماعية استعمال الألفاظ بمعناها الاصطلاحى الذى تحولت إليه عبر التاريخ وتبدلت إليه من خلال الاستعمال،** فإن ذلك لا




يسوغ أبدا بالنسبة لألفاظ القرآن الكريم، لأنه يؤدى إلى تحريف معانى الآيات الكريمة(٨)»..

تلك هى «نظرية» المستشار عشماوى:

١ ـ مصطلح الشريعة فى القرآن، ورد بالمعنى اللغوى المعجمى: «مورد الماء، والطريق والسبيل إليه»..

٢ ـ و(لسان العرب) ـ لابن منظور ـ الذى ذكر العشماوى أنه رجع إلى مادة «شرع» فيه ـ يعرف الشريعة بأنها «مورد الماء، والطريق والسبيل إليه»..

٣ ـ أما المعنى الاصطلاحى للشريعة: «مجموعة الأحكام العملية المستنبطة من الكتاب والسنة» فهو معنى لم يدل عليه اللفظ عند وروده فى القرآن، ولم يعنه المسلمون الأوائل، وإنما طرأ عبر التاريخ.

٤ ـ وإذا ساغ استخدام المصطلحات بمعناها الاصطلاحى فى العلوم الاجتماعية، فلا يجوز ذلك فى المصطلحات والألفاظ القرآنية، التى يجب الوقوف فى استخدامها عند المعنى اللغوى، فيكون المعنى القرآنى للشريعة هو: «مورد الماء».. أما استخدامها بمعنى «الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة» فهو تحريف لمعانى الآيات الكريمة..

تلك هى «نظرية» المستشار عشماوى فى معنى مصطلح الشريعة.. وهى نظرية ـ كما قلنا ـ تجرد الشريعة الاسلامية من الاسلام، وتقف بها عند «المورد والطريق الى الماء» أو ـ مع التساهل ـ عند أى «مورد» وأى «طريق»!.. وإذا كان الاستخدام القرآنى لمصطلح الشريعة هو بالمعنى اللغوى ـ «مورد الماء» ـ فإن إخراجه إلى المعنى الاصطلاحى هو ـ كما قال العشماوى ـ تحريف لمعنى الآيات القرآنية الكريمة!.

وبادىء ذى بدء، فإن الناظر فى هذه «النظرية العشماوية» ليعجب من الرجل الذى قرأ ويقرأ القرآن بلا بصيرة ـ بل وربما بلا بصر!.. كيف لم ير فى الآيات التي نقلها من المصحف، والتى ورد فيها لفظ الشريعة ومشتقاته ـ كيف لم ير لفظ «الدين»؟.. [شرع لكم من الدين] [شرعوا لهم من الدين].. فالآيات تتحدث عن شريعة وشرع من الدين..

وليس عن قطعة من الأرض تؤدى إلى مورد الماء!.. وإذا كانت الشريعة من الدين، فهى معالم على طريق التدين به، وأحكام مستمرة من أصوله.. **إنها النهج والطريق الدينى - وليس المائئ .. أو أى نهج وأى طريق - ولطريقها ونهجها معالم دينية - قيم ومبادئ وقواعد وأحكام - تميزه عن الطرق والمناهج اللادينية.. بل وتتمايز فى هذه المعالم شرائع الرسالات السماوية المتمايزة.. فالمعنى الاصطلاحى للشريعة «الوضع الالهى الثابت» الذى يتهذب به المكلف معاشا ومعادا» هو المستقى من القرآن.**

هذا هو الذى تبصره كل عين، وتدركه كل بصيرة من الآيات القرآنية التى نقلها العشماوى من كتاب الله.

لكن العجب سيتزايد .. بل وستبلغ المأساة القمة، عندما يعلم القارئ أن المستشار عشماوى - وهو القاضى الذى احترف إقامة العدل بين الناس لعشرات السنين - قد كذب على قارئه عندما ذكر له أنه قد استند إلى معاجم اللغة - **وبالنص الى مادة «شرع» فى [لسان العرب] - فى نظريته التى خالف بها علماء الأمة - أن المعنى القرآنى للشريعة هو المعنى اللغوى - «مورد الماء والطريق والسبيل إليه».**

وأصارح القارئ ، أننى لم أكن أنوى أن أراجع ما نسبه العشماوى الى [لسان العرب] على مصدره .. لأننى أعرف أن ما قاله عن المعنى اللغوى للشريعة صحيح.. وكنت أنوى الوقوف عند لفت النظر إلى أن الاستخدام القرآنى، فى الآيات التى استشهد بها الرجل، للشريعة هو بالمعنى الاصطلاحي.. وأن هذا مألوف فى القرآن مع العديد من المصطلحات - كما ستأتي الاشارة اليه.. لكن الله ألهمنى أن أراجع مادة «شرع» فى «اللسان».. فكانت المفاجأة!..

**لقد كذب العشماوى وزوّر عندما لم يشر إلى أن [لسان العرب] قد أفاض فى ذكر المعنى الاصطلاحى للشريعة، بل - وهذا هام جدا - وفى ذكر أن هذا المعنى الاصطلاحى هو الذى أراده القرآن الكريم من الآيات التى ذكرها المستشار عشماوى!..**

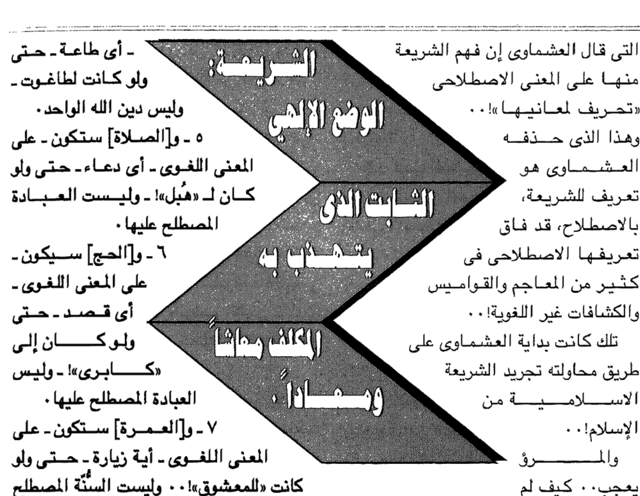
فلقد جاء فى «اللسان» بعد ذكر المعنى اللغوى: «المواضع التى يُنْحدرُ إلى الماء منها»: «قال الليث: وبها سُمى ما شرع الله للعباد شريعة، من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره.. والشريعة والشِّرْعة: ما سَنّ الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر.. **ومنه قوله تعالى: [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا]، قيل فى تفسيره: الشِّرعة: الدين، والمنهاج الطريق.. وقال الفرّاء فى قوله تعالى: [ثم جعلناك على شريعة] على دين وملّة ومنهاج..** ويقال: فلان يشترع شرعته، ويفتطر فطرته، ويمتلّ ملَّته، كل ذلك من شرعة الدين وفطرته وملته. وشرع الدين يشرعه شرعاً: سَنّه. وفى التنزيل: [شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً]. **قال ابن الأعرابي: شرع أى أظهر. وقال فى قوله تعالى: [شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله]. قال: أظهروا لهم. والشارع: الرّبانى، وهو العالم العامل (المعلِّم)(٩).**

لقد حذف - القاضى - العشماوى كل هذا الذى ذكره علماء اللغة فى المعنى الاصطلاحى للشريعة ، والذى استخرجوه من آيات القرآن -

التى قال العشماوى إن فهم الشريعة منها على المعنى الاصطلاحى «تحريف لمعانيها»!..

وهذا الذى حذفه العشماوى هو تعريف للشريعة، بالاصطلاح، قد فاق تعريفها الاصطلاحى فى كثير من المعاجم والقواميس والكشافات غير اللغوية!..

تلك كانت بداية العشماوى على طريق محاولته تجريد الشريعة الاسلامية من الإسلام!..




والمرء يعجب.. كيف لم يسأل العشماوى نفسه عن «حالنا الفكرى» إذا نحن استجبنا لدعوته إلى الوقوف بالألفاظ القرآنية عند المعنى اللغوى، لا الاصطلاحى؟.. ماذا ستكون عليه « حالتنا الفكرية» إذا وقفنا بالمصطلحات القرآنية الآتية - مثلا - عند المعنى اللغوى وحده، لا نتعداه إلى المعنى الاصطلاحى؟..

**١ - إن [التنزيل] سيكون - على المعنى اللغوى - أى تنزيل.. وليس الوحى القرآنى.**

**٢ - و[القرآن] سيكون - على المعنى اللغوى - أى مقروء.. وليس الوحى الالهى المصطلح عليه.**

**٣ - و[الفرقان] سيكون - على المعنى اللغوى - كل فارق بين أمرين .. وليس القرآن خاصة.**

**٤ - و[الإسلام] سيكون - على المعنى اللغوى - أى طاعة - حتى ولو كانت لطاغوت - وليس دين الله الواحد.**

**٥ - و[الصلاة] ستكون - على المعنى اللغوى - أى دعاء - حتى ولو كان لـ «هُبل»! - وليست العبادة المصطلح عليها.**

**٦ - و[الحج] سيكون - على المعنى اللغوى - أى قصد - حتى ولو كان إلى «كابرى»! - وليس العبادة المصطلح عليها.**

**٧ - و[العمرة] ستكون - على المعنى اللغوى - أية زيارة - حتى ولو كانت «للمعشوق»!.. وليست السُّنَّة المصطلح عليها.**

**٨ - و[التمتع] سيكون - على المعنى اللغوى أى استمتاع - وليس التحلل من الإحرام بين العمرة والحج..**

**٩ - و[الصوم] سيكون - على المعنى اللغوى - أي إمساك حتى ولو كان إمساكا عن الصوم بالإفطار؟!.**

**١٠ - و[الزكاة] ستكون - على المعنى اللغوى - أى نمو، حتى ولو كان نموا فى اجساد الخنازير!.**

**١١ - و[الربا] سيكون - على المعنى اللغوى - اى زيادة ، حتى ولو كانت فى الطيبات.**

**١٢ - و[العقل] سيكون - على المعنى اللغوى - ربط الناقة - وليس الملكة والغريزة التى يفقه بها الانسان.**

**١٣ - و[الجنة] ستكون - على المعنى اللغوى -**




**أية حديقة - حتى ولو كانت حديقة الحيوانات! - وليست دار الخلود والنعيم المقيم.**

**١٤ - و[السنّة] ستكون - على المعنى اللغوي - أية طريقة - حتى ولو كانت من طرق المشعوذين!.. وليست سنة المعصوم، صلى الله عليه وسلم.**

**هل يعلم العشماوى اية فوضى، بل أية «مأساة - ملهاة» يمكن أن تصيب العقل المسلم إذا هو اتبع هذا «المنهاج العشماوى» فى الوقوف بالمصطلحات القرآنية عند المعنى اللغوى لا تتعداه؟!.**

إن المرء ليحار، حقيقة، فى الذين لا يعرفون أقدارهم، فيقفون عند حدود هذه الأقدار!.. ويحار أكثر من الواقع البائس الذى جعل من هؤلاء كُتّابا، فرضت ضلالاتهم على الناس.. وفرض علينا أن نحمى منها عقول الناس!..

وإذا كان العشماوى فى حاجة إلى رأى علماء اللغة المعاصرين، فى استخدام القرآن للألفاظ بالمعنى الاصطلاحى - بعد ما أوردناه لعلماء اللغة القدامى - مما أخفاه العشماوى عن قرائه! - فإننا نشير إلى رأى الاستاذ الدكتور شوقى ضيف - وكيل مجمع اللغة العربية - الذى يقول فيه: «لقد أحال القرآن العربية من لغة بدوية بسيطة إلى لغة متحضرة، وأحدث فيها نهضة لغوية كبرى.. صحبها وضع مصطلحات جديدة لمعان دينية لم يكن يعرفها العرب. والقرآن فى وضعه لهذه المصطلحات تارة يتخذ كلمة ذات مدلول لغوى معين للدلالة على حقيقة شرعية من الحقائق، وتارة يشتق كلمة يستخدمها لأول مرة فى العربية للدلالة على إحدى حقائقه الشرعية.

**ومن النوع الأول كلمة الاسلام**، فقد استخدمها بمعناها اللغوى، وهو الانقياد والخضوع (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له)(١٠).. ونقلها من هذا المعنى اللغوى للدلالة على الدين الحنيف [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا](١١) [ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه]( ١٢).

**ومثل مصطلح الإيمان**.. وهو - لغة - مشتق من الأمان، ضد الخوف. واصطلح به القرآن على التصديق القلبى بوحدانية الله وبرسوله وشريعته [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله](١٣) .

**ومثل مصطلح الكفر**، ومعناه اللغوى: الستر والتغطية. واصطلح به الذكر الحكيم على عبادة غير الله.

**ومثل مصطلح الشرك**، فمعناه اللغوى: الاشتراك فى أى شيء. واصطلح به القرآن على اتخاذ الكافر شريكا لله فى ربو بيته [يا بُنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم

عظيم](١٤).

ومن المصطلحات التى طور القرآن معناها اللغوى إلى معان ودلالات جديدة مصطلحات: الشريعة والعبادات، من صلاة وصيام وزكاة وحج.

وأصل معنى الشريعة اللغوى: مورد الماء الذى يستقى منه الناس، واتخذها القرآن مصطلحا لما سَنّ من أوامر الدين الحنيف ونواهيه [ثم جعلناك على شريعة من الأمر](١٥).

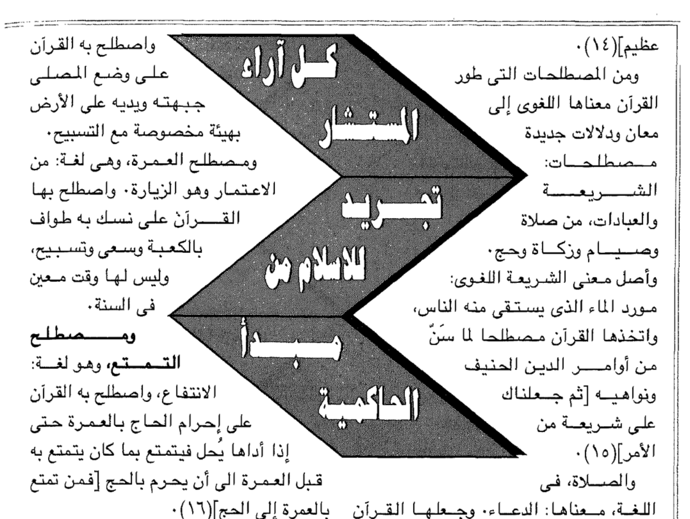
والصلاة، فى اللغة، معناها: الدعاء. وجعلها القرآن مصطلحا لعبادة معروفة. ومثلها مصطلح الصيام، وأصله فى اللغة الإمساك عن الشيء. واصطلح به القرآن على الامساك عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

**ومصطلح الزكاة،** أصلها اللغوى: النماء والزيادة. واصطلح بها القرآن على أداء المسلم جزءا من ماله سنويا للفقراء والمساكين، برّاً بهم ومعونة لهم.

**ومصطلح الحج،** اصله اللغوى: القصد. وجعله القرآن مصطلحا لقصد البيت الحرام فى أشهر معلومات لأداء مناسك خاصة.

ومصطلح الركوع، وهو لغة: الانحناء. واصطلح به القرآن على انحناء بهيئة مخصوصة مع التسبيح.

**ومصطلح السجود،** وهو لغة: التذلل.




واصطلح به القرآن على وضع المصلى جبهته ويديه على الأرض بهيئة مخصوصة مع التسبيح.

ومصطلح العمرة، وهى لغة: من الاعتمار وهو الزيارة. واصطلح بها القرآن على نسك به طواف بالكعبة وسعى وتسبيح، وليس لها وقت معين فى السنة.

**ومصطلح التمتع،** وهو لغة: الانتفاع، واصطلح به القرآن على إحرام الحاج بالعمرة حتى إذا أداها يُحل فيتمتع بما كان يتمتع به قبل العمرة الى أن يحرم بالحج [فمن تمتع بالعمرة إلى الحج](١٦).

فكل هذه المصطلحات القرآنية لها أصل لغوى.. ونقلها القرآن للدلالة على حقيقة شرعية، مطورا معانيها اللغوية إلى معان ودلالات جديدة اصطلح عليها(١٧).

هذا هو رأى علماء الأمة.. القدامى منهم والمعاصرون، لا خلاف فيه بين اهل اللغة وفقهاء الشريعة على أن القرآن قد استعمل لفظ «الشريعة» بالمعنى الاصطلاحى الشرعى: «ما سَنّ الله من الدين وأمر به». بعبارة [لسان العرب] و«ما سَنّ الله من أوامر الدين الحنيف ونواهيه» - بتعبير شوقى ضيف.. أى «الوضع الإلهى الثابت الذى جاء به الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليتهذب بها المكلف فى المعاش والمعاد» بعبارة أبي البقاء الكفوى (١٠٩٥هـ / ١٦٨٤م) فى موسوعة مصطلحاته

[الكليات].

فليست الشريعة - فى القرآن الكريم - كما افترى على الله، وعلى علماء الأمة - المستشار عشماوى.. وإذا تساءل القارئ، الذى ألف تناقضات العشماوى: أليس له فى هذا المقام تناقضات؟.. فإن الاجابة عن هذا التساؤل هى: نعم.. فالرجل لم يحرمنا من نص ينقض به «الغزل - الكاذب!» الذى نسجه.. فهو فى حديثه عن معنى الربا فى القرآن الا نجده يلتزم المعنى اللغوى - كى يلتزم «قاعدته» - وإنما رأيناه، بعد إيراد المعنى اللغوى للربا، يفسر معناه القرآنى بالاصطلاح - الذى سبق وحكم أن فيه التحريف لآيات الكتاب الكريم!.. فيقول: «الربا - فى اللغة - هو مطلق الزيادة، أو الزيادة مطلقا.. فهو فى الأصل، ليس اسما لمعنى كريه.. ولقد أصبح لفظه فى اذهان الناس - اصطلاحا - لفظا ممقوتا يدل على الزيادة المكروهة للمال والاستغلال المقيت للإنسان، مع أن الأصل فى الربا أنه كل زيادة فى الشيء أو فى المال(١٨).

فإذا ما جاء يتحدث عن الربا المحرم شرعا فى القرآن، وجدناه يفسره بالمعنى الاصطلاحى، لا اللغوى، ويذكر الشروط التى تجعله - تحديدا - الربا الذى صار - بالاصطلاح - كريها فى أذهان الناس!.. فيقول: «إن الربا المحظور شرعا فى القرآن الكريم، هو:

«(١) ربا الجاهلية (٢) الذى كان يجرى فى المقايضة بين مثليات ستة، هى الذهب والفضة والبرّ والشعير والتمر والملح (٣) وكان الدائن فيه يستغل حاجة المدين فيضاعف عليه الدين أضعافا مضاعفة مقابل تأجيل سداد الدين أكثر من مرة (٤) ثم ينتهى هذا الربا باسترقاق المدين إن هو عجز عن الوفاء بدينه.. فالربا استغلال شخص لحاجة شخص يضاعف عليه فيه الربا أضعافا مضاعفة حتى يعجز عن السداد فتكون الطامة»(١٩).

فهو قد فسر لفظ «الربا» - بالقرآن - تفسيرا اصطلاحيا مفصلا، ولم يقف به - كما أراد فى الشريعة - عند حدود المعنى اللغوى لأنه، فى كلا الحالتين، كان ساعيا إلى قطع الروابط بين كل من «الشريعة» و«الربا» وبين مبادئ وقواعد واحكام الاسلام!.

«للحديث صلة»

---

*الهوامش:*

*(١) الإسلام السياسى - ص٢١١، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.*

*(٢) معالم الاسلام، ص٧ طبعة القاهرة ١٩٨٩م.*

*(٣) أبو البقاء الكفوى [الكليات] تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصرى. طبعة دمشق ١٩٨٢م.*

*(٤) الجاثية: ١٨.*

*(٥) الشورى: ١٣.*

*(٦) المائدة: ٤٨.*

*(٧) الشورى: ٢١.*

*(٨) (الإسلام السياسى) ص١٧٨، ١٧٩، ١٣١، ٠٥٠. وانظر كذلك (اصول الشريعة) ص١٧٨. طبعة القاهرة ١٩٧٩م و(معالم الاسلام) ص١٦٢، ١٦٤، ١٠١.*

*(٩) ابن منظور (لسان العرب) مادة «شرع» طبعة دار المعارف - القاهرة - ١٩٨١م.*

*(١٠) الزمر: ٥٤.*

*(١١) المائدة: ٣.*

*(١٢) آل عمران: ٨٥.*

*(١٣) النور: ٦٢.*

*(١٤) لقمان: ١٣.*

*(١٥) الجاثية: ١٨.*

*(١٦) البقرة: ١٩٦.*

*(١٧) صحيفة الأهرام فى ١٩٩٤/٦/١٠م.*

*(١٨) الربا والفائدة فى الاسلام ص٢٣، ٢٤ طبعة القاهرة ١٩٨٨م.*

*(١٩) المرجع السابق، ص٦٥، ٧٠*

# الاسلام والتسامح

ويوصي القرآن المسلمين أن يحسنوا معاملة غير المسلمين وأن يكونوا معهم بررة وعدولا قال تعالي: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين» (الممتحنه/ ٨).

ويبيح الاسلام للمسلمين ان يؤاكلوا غير المسلمين وان يصاهروهم، ولا شك ان المصاهرة تخلق امتزاجا بين هؤلاء وأولئك، فالاخوال الاولاد سيصبحون من اهل الكتاب، وفي هذا رباط كبير اباحه الله بين المسلمين وبين اهل الكتاب مما يدل على ان الاسلام دين الانسانية، وفى ذلك يقول الله: «وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتو الكتاب من قبلكم»(١).

وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم سؤالا يرتبط بهذه الآية الكريمة هو أن أهل الكتاب لا يذكرون اسم الله عند ذبح الذبائح والقرآن الكريم يقول «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه» (الانعام/١١٨) فأجاب الرسول: «سموا انتم وكلوا» (البخارى باب الاطعمه).

رفع الاسلام منذ ظهوره علم التسامح، وجاءت فى ذلك آيات القرآن الكريم التى وضعت الأساس لهذا الخلق السامي، قال تعالى «فمن عفا وأصلح فأجره علي الله» (الشوري/٤٠) وقال «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم» (الشوري/٢٢) وقال: «فاعف عنهم واستغفر لهم» (آل عمران/ ١٥٩).

وقد يدخل الابن الاسلام ويظل الأب علي غير الاسلام، وهنا يدعو الاسلام الابن أن يظل طيب الصحبه لابيه مع اختلاف الدين، قال تعالي: «وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا» (سورة لقمان الآية/ ١٥).

ويوضح القرآن للمسلمين أدب الجدال بينهم وبين اهل الكتاب، ومن هذا الادب ان يعلن المسلمون ايمانهم بما أنزل الله سبحانه على اهل الكتاب، قال تعالى: «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (سورة العنكبوت الآية٤٦).

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثلا أعلى في معاملة اهل الكتاب، فقد روي انه كان يحضر ولائمهم، ويعود مرضاهم، ويزورهم.

وقد لاحظ الباحث الغربي واشنجتون ارفنج هذا الخلق في الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكتب يقول: ان من ابرز صفات محمد (صلى الله عليه وسلم) التى حققت فوز الاسلام تسامحه مع

# الدين حسن الخلق

## الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى التسامح والصفح والعفو..

بقلم: أ.د. احمد شلبي
رئيس قسم التاريخ كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

صومه، ولسنا نعرف في التاريخ رجلا كمحمد صلى الله عليه وسلم في هذا المضمار، لقد تسامح في اوقات كان الزعماء في امثالها ينكلون بمن كانوا معارضين لهم تنكيلا بشعا ولكن تسامح محمد صلى الله عليه وسلم مع خصومه ومع معارضيه حقق له سيادة وتفوقا على كل الزعماء والقاده عبر القرون.

طُلب منها واعتقها وتزوجها وخرج الخبر للناس فقالوا: كيف نسترق اصهار رسول الله واعتق المسلمون اسراهم، ولذلك كانت السيدة عائشه تقول: ما اعلم امرأه كانت اعظم على قومها بركه من جويريه.

وهكذا بفضل تسامح الرسول انتقلت المؤامره والمعركه الي تحرر وعرس.

٢ - الحدث الثانى الذى يبرز تسامح الرسول هو موقفه عليه السلام من أهل مكه عقب فتحها والانتصار على أهلها، مكة التى حاربت المسلمين وعذبت الكثيرين منهم، وقتلت بعضهم ثم طردتهم واستولت على أموالهم، فلما تحقق النصر للمسلمين كان الحساب يسيرا للغاية إذ قال لهم الرسول: ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهكذا فى لحظه واحدة تسامح مع معتدين ظلوا يهاجمونه إحدى وعشرين سنة.

٣ - والحدث الثالث الذى رصده التاريخ أن مالك بن عوف قاد جحافل هوازن وثقيف فيما سمى «غزوة حنين والطائف» **وانتصر المسلمون على هذه الجموع نصرا مؤزرا وأسروا منهم واستولوا على أموالهم التى فروا عنها، وحينئذ قال الرسول: لو جاءني مالك بن عوف مسلما لرددت له ماله وآله، وجاء مالك بن عوف وأعلن إسلامه** وبرَّ الرسول

** وكلام واشنجتون ارفنج توضحه أحداث تاريخيه مهمة منها ما يلي:

**١ - بنو المصطلق فرع من قزاعة دبروا مؤامره لاغتيال الرسول وجلبوا معهم بعض القبائل المجاورة لتحقيق هذا الهدف، ، وعرف الرسول ذلك فاعدّ لمقابلتهم جيشا كبيرا زحف به اليهم ففر من جاءوا لمشاركة بني المصطلق في هذه المؤامرة، وبقي بنو المصطلق وحدهم، وجرى تراشق بالنبال وسرعان ما استسلم بنو المصطلق عندما احسوا ان الحرب ستأكلهم وأسر المسلمون كثيرا من نساء بني المصطلق وأطفالهم، وكان ضمن الأسرى جويريه بنت الحارث سيد بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فارادت أن تفتدي نفسها لتتحرر** واخذت تجمع المال الذي طلبه ثابت، فجاءت للرسول تطلب عونه بدفع بعض الاموال، ولكن الرسول تناسى ما فعله أبوها ودفع عنها كل ما

بوعده فرد له كل شيء.

**وسار الزعماء المسلمون مسيرة النبى (صلى الله عليه وسلم) فى تسامحه وحبه للعفو، ويذكر فى ذلك أن الأشعث بن قيس الذى اتُّهم بالردة عقب وفاة الرسول جاء لأبى بكر تائبا فعفا عنه أبو بكر وزوَّجه أخته.**

وعمر بن الخطاب فى قمة انتصارات المسلمين فى زحفهم ضد الروم يوقف الحرب ضد النصارى ببيت المقدس ويمنحهم العهدة العمرية التى يقرر فيها عفوا شاملا عنهم وأنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ومساكنهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم.

**وبعد عصر الخلفاء الراشدين جاء معاوية بن أبى سفيان الذى كان يقول:**

**إنى أعجب لذنب لم تتسع له مغفرتى، وكان يقول كذلك عليكم بالحلم فإن أمكنتكم الفرصة فعليكم بالعفو والتسامح.**

وعن المسلمين فى الاندلس يحدثنا «استانلى لين» Stanley lane فى كتابه «العرب فى اسبانيا» Arabs in Spain فيقول: يجب ألا يخطر ببال أحد أن العرب عاثوا فى اسبانيا أو خربوها بصنوف الإرهاق والظلم كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم، فإن الأندلس لم تحكم فى عهد من عهودها بسماحة وعدل وحكمة وتسامح كما حكمت فى عهد العرب المسلمين.

**وكان للأسبان أن يحتفظوا بشرائعهم وقضاتهم، وعين لهم حكام من أنفسهم يديرون المقاطعات ويجمعون الضرائب، ويقضون فيما شجر بينهم من خلاف، وكان التسامح الدينى سائدا، فلم يدع للأسبان سببا للشكوى.**

واذا وصلنا الى الخليفة المأمون بن هرون الرشيد قابلنا نموذجا عظيما فى مجال العفو والتسامح، وكان يوصف بأنه يوسفى العفو، فقد عفا فى مواضع قلَّ من يعفو فى نظائرها وعفا عن أشخاص جلَّ ذنبهم، وعظمت جريرتهم.

**وعفا عن الفضل بين ربيع الذى هيج عناصر الشر عليه، والذى أعد قيدا من فضه، وسلمه إلى على بن عيسى قائد جيشه، ليقيد به المأمون، عقب القبض عليه، ورد المأمون عليه داره، ولم يوقع به أى عقاب.**

وعفا عن إبراهيم بن المهدى الذى نصب نفسه خليفة فى بغداد حينما كان المأمون فى مرو على الرغم من أن المعتصم والعباس بن المأمون أشارا بقتل ابراهيم، ولكن المأمون هتف عندما أدخلوه عليه مقيَّداً: أطلقوا من عمى حديده، وردوه إليَّ مكرما.

فلما رُدَّ قال المأمون له: يا عم ارجع إلى الأنس، فلن ترى منى ابدا إلا ما تحبه وخلع عليه، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

**وعفا عن الحسين بن الضحاك، الشاعر الذى قال فى رثاء محمد الامين:**

**فلا تَّمتْ الأشياء بعد محمد**
**ولا زال شمس الملك فى مبدًا**
**ولا فرح المأمون بالملك بعده**
**ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا**

ويطلب الحسين العفو فتدمع عينا المأمون ويقول: قد عفوت عنك، وأمرت بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها.

وتسامح صلاح الدين الأيوبى، سارت به الركبان ويقول «امرتون» عندما استعاد صلاح الدين بيت المقدس تسامح مع أهلها ولم يعامل الصليبيين، كما عاملوا هم المسلمين عندما استولوا على بيت المقدس قبل ذلك بتسعين

عاما، **وقالت له نساء الصليبيين وهن يخرجن: أيها السلطان، إنك إن أخرجتنا بدون أزواجنا تعرضنا للهوان وهتك الأعراض فمن لنا للحراسة والسعي للمعاش؟ فدمعت عيناه، وأطلق الرجال رحمة بالنساء والأطفال.**

واذا جئنا للعثمانيين يواجهنا المؤرخ البريطاني الشهير سير توماس أرنولد الذى يقول ان طوائف كثيره من أوربا دخلت الإسلام، ولم يكونوا من العامة أو البسطاء، بل من العلماء وأصحاب النفوذ، واكتظ البلاط العثمانى بالذين دخلوا الإسلام طواعيه، وانحاز كثير من الأمراء البيزنطيين إلى صفوف المسلمين، بل دخل الإسلام ابن أخ الامبراطور جون كومثين وتزوج إحدى بنات مسعود سلطان قونيه، وانهال على الإسلام كثير من الأمراء وأصحاب النفوذ وفى مناسبه الأفراح الشعبية، التى اقيمت للاحتفال بختان مصطفى ابن السلطان محمود الرابع دخل مئات من الأشخاص دين الاسلام.

**فاذا جئنا إلى مصر، فى أول عهدها بالإسلام نواجه عمرو بن العاص الذى كان أول الولاة المسلمين على هذه البلاد، وكانت له اهتمامات اجتماعية فائقه، ومن أهمها حسن سياسته مع المصريين من غير المسلمين، فقد أعطى البطريك بينامين كتاب أمان، وأعاده إلى كرسيه بعد أن أقصاه عنه الرومان حوالى ثلاث عشرة سنة، وترك له إدارة شئون الكنيسه الدينية والإدارية وحثّ عمرو الجند العرب على الاختلاط بالسكان الأصليين والتحبب إليهم ونظم جباية الخراج بدون ظلم،** وأنقص المقدار الذى كان يرسله منه للمدينة ليستطيع إتمام المنشآت التى كان يشيدها بمصر، وعرف عنه تأجيله لجمع الخراج عندما اقتضى الصالح العام ذلك كما أنه جعل تحديد الخراج مرتبطا بمدى فيضان النيل.

## على مر العصور الاسلامية كان المسلمون اكثر تسامحاً مع خصومهم

وبعد؛ تلك صورة سريعة عن العدل والتسامح فى الإسلام، نضعها فى إحدى كفتى الميزان، ونضع فى الكفة الأخرى، زحف الصرب على البوسنة والهرسك، وزحف روسيا على الشيشان، روسيا التى استسلمت للانهيار، وقفت كالأسد الهصور أمام شعب صغير، وصمت الغرب أمام هذه المآسى بما فيها من دماء واغتصاب نساء.

ولنتذكر كذلك أن حجاب تلميذتين مسلمتين فى فرنسا أقلق فرنسا التى يسمونها بلاد النور كأن حجاب فتاتين قنبله أثارت انزعاجا، ترتب عليه استبعاد التلميذتين من التعليم، واضطر أولياء الأمور لرفع الأمر للقضاء.

**هاتان صورتان فى مجال التسامح بين الإسلام وغيره نعرضها دون حاجة الى تعليق.**

**«ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» (الحج/٤٠).**

# العمل الفكري: الأزمة والحل

لا يجادل منصف في أن الأمة الاسلامية تعيش صحوة إسلامية عارمة تشمل مشارق الأرض ومغاربها، وآية ذلك أن المسلمين أخذوا يجاهدون منذ منتصف القرن الهجري الماضي لاسترجاع هويتهم الحقيقية، بعدما فرطوا فيها قرونا وأزمانا، ولاسترداد ذاتيتهم الاسلامية التي هي عنوان وجودهم ومظهر حقيقتهم، كي يستعيدوا مكانتهم التي وضعهم الله فيها على الأرض، أمة توحيد وإيمان وعدل ووسطية.

## غابت حاضرة المسـ

إن من طبيعة الكون، وسنن الله في الحياة، مرور الأمم والدول بمراحل الضعف والقوة، وإن ركود الشعوب الاسلامية، وطول سباتها، وسكون ضميرها، قد طال كثيرا برغم طبيعة الاسلام وخصائصه، التي تتنافي مع الجمود والتأخر والسكون، وبالرغم من حجم الأمة الاسلامية وعظيم مكانتها، ومركزها واستراتيجيتها وكثرة إمكاناتها، فقد استلذت هذا السبات حتى أصبح عميقا، وهذا التأخر حتى ضيعت معالمها، وهجرت قيمها، وتنكرت لمبادئها، وانحرفت عن منهجها وطريقها مبهورة بأضواء الشرق والغرب، راكضة وراء هذا وذاك، كما أكد ذلك الرسول الكريم في قوله: **«لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم»**(١).

ذلك أن الحضارة الاسلامية لم تدم طويلا، ثم حلت بعدها عصور التخلف والجمود التي استمرت قرونا، عرف العالم الاسلامي خلالها خلافات مذهبية أدت إلى تمزيق وحدته وابتعاده عن جوهر الاسلام القائم على كتاب الله وسنة رسوله، وتوقف الاجتهاد والتجديد أوكاد، وغدت الأجيال المتعاقبة لا تحرص إلا على النقل والتقليد، دون نقد أو تمحيص، إضافة الى تسلط الاستعمار على أغلب الدول الاسلامية، والسيطرة على مقدراتها ومقوماتها، وتوجيه حملته الشرسة ضد الاسلام وقيمه، وإثارة النزاعات الشعوبية والقبلية بين المسلمين وبث المستشرقين والمستغربين بين الناس، لتشكيكهم في معتقداتهم ودينهم، وفتنتهم في ديارهم وأوطانهم.

وقد استمر ذلك إلى أن أذن الله لأمة الاسلام باليقظة والانبعاث، فاستفاقت على صيحات ونداءات الرواد والدعاة الخالدين منذ أواخر القرن الثالث

## ...سلمين فى أضواء الشرق والغرب

# الجمود والتخلف والتبعية سمات مرفوضة فى منهج الإسلام

**للدكتور / يوسف الكتاني**
أستاذ علم الحديث
بكلية الشريعة
جامعة القرويين - **فاس** -

عشر الهجري وأوائل الرابع عشر الهجري، أمثال الشيوخ: **جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن عبد الكبير الكتاني ، وعبد الحميد بن باديس ، وعبد العزيز الثعالبي، والسنوسي ، ومحمد علي جناح**، وسواهم من اولئك الرواد الذين انطلقت صيحاتهم مجلجلة توقظ شعوبنا وتنبهها، وتذكرها بمجدها ورسالتها، وتدعوها إلى الرجوع إلى أصالتها وقيمها.

إن هذه الأصوات التي انبعثت مدوية في أنحاء العالم الاسلامي، كانت الناقوس الذى هزّ كيان الأمة الاسلامية، وحاول إيقاظ مشاعرها، ودعوتها إلى ترك الفرقة والجهل، والتداعي والخنوع، والمبادرة الى استعادة الحرية والاستقلال في الحياة، والفكر، والمنهج، والاعتماد على النفس، والعودة إلى الاسلام دين الله الذي أعز به المسلمين، وبوأهم المكانة الرفيعة التي تسنموها قرونا، يهدون ويصلحون، وضمن لهم بفضله الكرامة والعزة والكفاية والعدل.

**إن من بين هذه الصيحات الخالدة التي هزت كيان الأمة وأيقظتها، صيحات الشيخ محمد الكتاني الشهيد، في مطلع القرن الماضي والذي يقول في (رسالة المؤاخاة):**

(إن ما أدركته أوروبا من مدنية وعلم، إنما مرجعه إلى الحرية التي عبر عنها الشرع الكريم، بالقسط، والعدل، والنصح، وإعطاء كل منصب وما يتطلبه، وعدم إهمال بعضهم بعضا، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهمال حقه، وعدم رفضه) (٢).

**وقد كانت أولى الحقائق التي فتح هؤلاء الرواد، عيون الأمة وعقولها عليها، أن بداية العلاج، هي التعرف على الداء، ووصف الدواء، وهو ما أصبحت تسعى إليه شعوبنا، التي أخذت تبحث عن نفسها، لتسترد هويتها، ولتتخلص من رواسب الاستعمار والظلم والتسلط، نحو الايمان والعزة والتقدم التي ضمنها الاسلام للمتمسكين به، والمتشبثين بمبادئه، إنه مما لا شك فيه أن المسلمين يعانون مأساة التخلف الحضاري، والوهن الخلقي، والانهزام العسكري، وقد شغلنا بالمباهاة بتاريخنا، والحديث عن أمجادنا في كل المستويات في حين ينبغي ألا يشغلنا ذلك عن معرفة أدوائنا، واكتشاف عيوبنا، والبحث الجدى عن وسائل التقدم والنهوض.**

إن أهم أسباب تخلف المسلمين وتأخرهم، راجع إلى أمرين مرتبطين ببعضهما:

- عدم الالمام بحقائق الاسلام ومقاصده. وعدم الالتزام به.

وقد ترتب عن ذلك الجرى وراء كل ما هو أجنبى

عنا، وغريب عن طبيعتنا وأصالتنا، وتمثل ذلك في تقليدنا لبدعة عزل الدين عن الدولة، هذه البدعة التي تسببت في غياب الحياة الروحية لأصحابها أنفسهم، وكانت سببا لما يعانيه العالم كله من ضياع وتمزق اجتماعي، وهو ما دفع المسلمين إلى جميع النكسات والنكبات التي أصيبوا بها، وكانت مدعاة تأخرهم وتخلفهم(٣).

وقد يقول قائل: إن المسلمين بقوا متمسكين بدينهم على الأقل من الناحية العبادية ولعل ذلك هو الخيط الذي استمسك به الدعاة والقادة من أجل هذه الصحوة التي بدأنا نحياها، وهو الأمل الوحيد الذي يجعلنا ننظر إلى المستقبل بثقة وعزم.

**علامات الصحوة الاسلامية:**

إن أولى علاماتها هو شعور المسلمين بالذنب، بتخليهم عن حقائق الدين، والبعد عن معالمه، والتنكر لقيمه واعترافهم بتأخرهم، وتعرفهم على أسباب ذلك وتلمسه، والبحث عن كنه الداء ووسائل الدواء.

والملاحظ أن هذا الشعور العارم، حل محل الكلمات التي كنا نبكي بها إسلامنا، ونجتر بها أمجادنا كما قال الاستاذ محمد خالد(٤). وهي إحساسهم بأن صحوتهم ينبغي أن تكون مستمدة من عطاء الاسلام الذاتي، ومنطلقة من طاقاته الخلاقة المبدعة، ومن حقيقة الاسلام باعتباره دين الله الحق الشامل المتكامل، الذي لم يفرض على الناس جبروتا، ولم يدعهم إلى مالا طاقة لهم به، ولم يسلبهم حقهم في التفكير والتعبير والاختيار: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر... الآية»(٥).

ومن علاماتها أيضا شعور المسلمين، بضرورة الرجوع الجماعي إلى الدين والعودة إلى حقائقه وقيمه والتصميم على انتهاج سبيله، وبعث أيامه، والايمان بدوره الحضاري اليوم وغدا، كما قام به بالأمس، دون تشدد أو تساهل أو تنطع ،لقدرته على تحرير آخر هذه الأمة كما حرر أولها، وهذا الشعور يأتي من ورائه الاصرار العظيم الذي أخذ يملأ شباب المسلمين وشعوبهم، على عودة الاسلام كما كان في ديارهم وفي أنفسهم، عبادة وسياسة، حقا وقوة، ثقافة وحضارة، دينا ودولة، ورغبتهم الشديدة في أن ينشئوا بينهم وبين الحضارة صلة ورحما، لأنها بضاعتنا ترد إلينا، وذلك دون مجافاة للدين، ولا تنافي مبادئه، والسعي الحثيث لتحرير العقول، من الجهل والتخلف والتبعية، ونبذ الخرافات، وتوحيد الكلمة والتأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٦).

**مراحل الخروج من الأزمة:**

المرحلة الأولى: مرحلة الاستعلاء بالايمان:

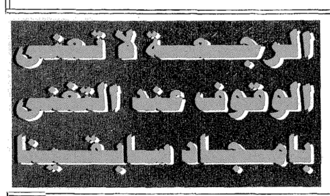
* هي أول الطريق الى الخلاص، وتتمثل في تجديد عملية الانتماء للاسلام والالتزام بأحكامه، والانضباط بشرائعه، ويقوم ذلك على تجديد عملية التصور الاسلامى لحقيقتنا، ومكانتنا، ودورنا، ونظمنا، وسلوكنا والتخطيط لذلك بالاستفادة من دروس الماضي، والاعتماد أولا وأخيرا على منهج الله الكامل في حياتنا كلها، نظاما وسلوكا، ذلك أن الاسلام كما فهمه المسلمون الأولون والسلف الصالح، وعملوا به، وطبقوه، وقادوا به أنفسهم والحضارة البشرية كلها، إلى الخير والحق والهدى، هو غير الفهم الذي عليه المسلمون اليوم للاسلام، هذا الفهم الصحيح الذي ينبغي أن يقتصر على فرد دون فرد، أو على جماعة دون أخرى، بل لابد من عودة الشعوب المسلمة كلها إليه بالقدوة الصالحة، والأسوة الحسنة، حتى يتحقق أمر الله في هذه الصحوة.

**المرحلة الثانية:**

* وتتمثل هذه المرحلة في إعادة بعث نفوس المسلمين، وتقوية إيمانهم بدينهم، وتجديد ثقتهم بأنفسهم، وإن إعادة بناء مكونات المسلم، هو حجر الزاوية في هذه المرحلة بالذات، ويكون ذلك

# الإعلام الغربي أشد أنواع الاستعمار فتكا

## الاستعلاء بالإيمان يفجر الطاقات




بتصحيح القيم وإحيائها، حتى تكون الانطلاقة صحيحة سليمة، وعودة المسلم إلى قيمه المثلى، فذلك وحده القادر على بعث الروح الاسلامي فيه، وتقوية كيانه، وقد كان للتحرر الحضاري والغزو الاستعماري والثقافي منه خاصة، والذي حاول طمس معالم المسلمين، والقضاء على وجدانهم ووجودهم، كان له الدور الكبير في هذه اليقظة التي تعيشها شعوبنا، والتى أخذت بسببها تشعر بالتقصير والذوبان، وأيقظ الحس فينا ونبه شعورنا، وألهب مشاعرنا بعد أن كاد الأوان أن يفوت، ولعل قيام دولة إسرائيل في قلب الأمة العربية، على أساس دينها ولغتها الميتة، كان قمة التحدى للمسلمين، الذين شعروا معه بالصغار أمام أنفسهم وأمام العالم كله، لقد كان ذلك التحدى السبب المباشر الذي دفع المسلمين للبحث عن ذاتهم الاسلامية، والاستيقاظ من غفلتهم، كما كان السبب الكبير لهذه الصحوة الاسلامية التي نحياها اليوم.

إن كل تقدم وتحرر رهين بالعودة إلى العقيدة، ولا صلاح لنا ولا نهضة إلا بها، وإن الذين يعتقدون أنه لا صلة للعقيدة بالتقدم هم مخطئون(٧).

فالتكنولوجيا والعلم ليسا وحدهما وسائل الحضارة ومقوماتها، وقد يكونان كذلك لفترة ولكن ليس إلى النهاية، وهذا هو التاريخ القديم والحديث خير شاهد، فالدول التى تنكرت لعقيدتها وهمشتها، كان مآلها الانحلال والتمزق والاضمحلال، وقد كانت تلك غاية الاستعمار في بلادنا، حيث عمل جاهدا، على تشكيكنا في حقيقتنا وديننا، حتى أصبحت شعوبنا غريبة في ديارها، متنكرة لنفسها، وغدا الدين يعنى: التخلف والرجعية والجمود.. والتقوى والاستقامة تعنى: الغفلة والتواكل، غير أن ذلك لم يستمر، وأذن الله لشعوبنا أن تستيقظ وتستبصر، وتلك آية الانطلاق، ومرحلة الصحوة مصداقا لقوله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم).. الآية»(٨).

وسائل وطرق مواجهة الصراع الفكري:

إن كل وسيلة من وسائل وطرق الخروج من أزمة الصراع الفكري الذي تعانى منه الأمة الاسلامية، لابد أن تنطلق من مباديء أساسية هي:

- تعميم المعرفة.
- حماية العقيدة.
- وإعلاء كلمة الله.

وذلك حتى تتحقق النتائج المرجوة من تلك الوسائل والطرق التي تتمثل فيما يلي:

**١ - العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية:**

إن أساس حل المشاكل والأزمات التي يعاني منها مجتمعنا الاسلامي، وعلاج ما أصابه من أدواء

وعلل، وما طغى عليه من عادات وتقاليد غريبة، هو العودة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية في جميع مجالات حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها، تخلصا من آثار الاستعمار الذي فرض علينا قوانينه ونظمه وتقاليده، وعاداته المخالفة لعقيدتنا وديننا، وإن العودة إلى تحكيم الشريعة وسيادتها في حياتنا هو عنوان ترشيد صحوتنا، وأساس صلاحنا، وتقويم حياتنا، استجابة لأوامره تعالى ومصداقا لقوله: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»(٩).

**وينبغي أن ننتهي من هذه المناقشات البيزنطية التي استمرت أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، هل نبدأ في تطبيق الشريعة الاسلامية فورا؟ أم ننتظر حتى تتهيأ البيئة الصالحة للتطبيق؟ إن ذلك كله مضيعة للوقت والجهد، خاصة وأن الدين الاسلامي هو النظام العام لغالبية الدول العربية والاسلامية، وقد استطاع الرسول الاكرم أن يطبق الاسلام وينشيء دولته في فترة زمنية قياسية لا تتعدى العقدين من الزمن،** في بيئة جاهلية طاغية، وأن ينشره في كل الجزيرة العربية وغيرها، ومازال الوحي قائما فينا محفوظا من الله تعالى، وهو كفيل أن يكون سندنا في صحوتنا، وفي القضاء على ما نعانيه مصداقا لقوله تعالى: «وجاهدهم به جهادا كبيرا»(١٠) أي بالقرآن وأعتقد أن ليس علينا حرج في أن نعود إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وتحكيمها في حياتنا على مراحل، فقد نزل القرآن أول ما نزل منجما وخير لنا أن نعود إلى التطبيق على مراحل على أن نبقى نراوح مكاننا مرددين الأماني والأحلام.

**وننوه هنا بالمبادرة التاريخية التي دعت إليها المملكة العربية السعودية الشقيقة، على لسان وزيرها السابق في الحج والأوقاف الشيخ عبد الواسع احمد عبد الوهاب، بدعوة وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية في البلاد العربية صحبة كبار العلماء والدعاة، للاجتماع والاتفاق على خطة ومنهج تطبيق الشريعة الاسلامية، وبذلك تكون الحكومات والعلماء يدا واحدة لتحقيق حلم شعوبنا منذ قرون، فإن الله يزع بالسلطات مالا يزع بالقرآن.**

وسيكتب لنا النجاح والتوفيق بإذن الله إذا نحن عدنا إلى تطبيق الشريعة، وسنفتح به صفحة ذهبية في تاريخ أمتنا ومؤتمراتنا، باعتبار أن تطبيق أحكام الشريعة في حياة المسلمين هو الطريق الأوحد والأمثل لانقاذ الأمة مما هي فيه، ردا على التحديات الخطيرة، والتيارات الهدامة التي تستهدف حضارتنا ومقوماتنا.

**الخلافات المذهبية .. البعد عن الجوهر .. سد باب الاجتهاد .. جعلت من المسلمين زمرة تعيش على هامش الحياة**

### ٢ـ توحيد مناهج التعليم وترشيده بالاسلام:

من المعلوم أن دور التربية والتعليم أساسي وضروري لتصحيح مسار الأمة وتطورها، وقد أصاب تعليمنا وتربيتنا ـ من جراء الاستعمار والتخلف ـ ما أصاب بقية مرافق حياتنا، مما أصبح معه تعليمنا ومناهجه في مسيس الحاجة إلى التقويم والاصلاح، **خاصة وقد تنوع التعليم في دولنا وتعدد إلى تعليم عام له مناهجه وسبله وتعليم إسلامي أصيل، وتعليم مدارس البعثات الأجنبية، مما كان السبب المباشر في هذا الصراع الفكري الذي نعاني منه، ونسعى للقضاء عليه والتخلص منه،** وينبغي إعادة النظر

جذريا في الأنظمة التربوية الحالية، لجعل التعليم يستجيب لمتطلبات التنمية والتضامن بين طبقات الأمة وأجيالها، ولذلك لابد من إصلاحه وتوحيد مناهجه، وأسلمتها لتحقيق نظام تربوي إسلامي موحد مستمد من الكتاب والسنة، لضمان التحرر الحقيقي للمسلمين والاسلام من الغزو الفكري، مما يتطلب تخطيطا منهجيا شاملا، مبنيا على مبادىء: الاسلام وقيمه العليا، لتكوين الانسان الصالح، والمجتمع المسلم المتحرر، القائم على الأصالة، والعلم، والتفتح والتضامن، فعن طريق وحدة التعليم وأسلمته وإصلاحه فقط، نرسم الصورة الكاملة والحقيقية للاسلام في عقول وقلوب شبابنا، وهو وحده الكفيل بالقضاء على هذه الضبابية التي أحدثها التعصب والتخلف بشتى أفكاره ومبادئه التي دست إلى أجيالنا، إذا أردنا أن نحقق الاستقرار الفكري، **والتعايش المنشود بين فئات شعوبنا، وهو الكفيل وحده بسد الفراغ الفكري وإحلال المبادىء الاخلاقية والمثل السامية للاسلام، محل هذه المبادىء التي طغت على حياتنا ومجتمعاتنا، من أجل استعادة شبابنا لهويته وذاتيته المستقلة.**

وإننا لندعو أن يقوم هذا التوحيد والتقارب لا في مناهج كل دولة من دولنا، بل في مناهج التعليم بين دولنا العربية والاسلامية، وهي خطوة أساسية تؤدى لا محالة إلى وحدة الفكر والهدف، والاتفاق في الرأي، خاصة ونحن أمة وحدة وتضامن وتكافل.

**٣ ـ تحديث وسائل الدعوة الاسلامية:**

إن الدعاة والمفكرين مطالبون اليوم ـ أكثر من أي وقت مضى ـ بتطوير وسائل الدعوة وتحديثها، بما يتفق وروح العصر، وظروف الأمة الاسلامية وذلك لتوجيه الأجيال توجيها يؤمن سلامة الطريق، ويجنبهم كل صدام وصراع يعوقان مسيرتنا وتقدمنا، ويحقق الوصول إلى الأهداف، وبلوغ الغايات، خاصة وأن حياة المسلم أصبحت محاصرة بين شقي رحى الواقع المفروض عليه، وعجزه عن الوصول إلى الواقع الذي يريده لأمته ولنفسه، انطلاقا من أن المجتمع الاسلامى صاحب رسالة إنسانية رائدة، وهوية مستقلة يستمد وجوده منها.

**ولذلك ينبغي أن نتجنب الجدال المحتدم الذي يشتعل حول قضايا الفروع، والجزئيات، والهامشيات، والذي امتد إلى حد الشقاق والنزاع، والتنابذ والتخاصم، محترمين أخلاق ومبادىء الاختلاف في الرأي، في الوقت الذى مازالت الأصول والمبادئ الاسلامية في كثير من تفاصيلها غائبة عن مجتمعات الشباب، وشرائح كبيرة من المجتمع الاسلامي، ممن لم يحصلوا على نصيبهم من العلم والمعرفة، وينبغي أن ينالوا حظهم من التوجيه والارشاد صونا لهم من كل انحراف أو تضليل أو إغراء.**

وينبغي لذلك ألا يبقى المسجد معزولا عن القيام بدوره الحقيقى، والعمل على استعادته لهذا الدور البناء والضروري والفعال في المجتمع الاسلامي، بالقضاء على تقليص الدعوة وحصرها في مجال زماني ضيق لا يفي بالحاجة، وضرورة خروج الدعوة من الدائرة الضيقة التي حصرت فيها، في مجال الزجر والوعظ الخطابي حول موضوعات سطحية هامشية، والتخلص من كل سلبية وانعزالية وانكفاء على الذات، وذلك بالتركيز على تجديد المفاهيم الاسلامية، **ببعث روح الحفاظ على قواعد الدين وأصوله والتعريف بها، وبسموها، والتمسك بالدين الذي يعنى إحياء السنن التي كانت سبب رقي السلف وتقدمه، وإماتة البدع التي كانت سبب تخلف الخلف، وهو ما يعنى التجديد في مطالب الحياة الذي هو أساس من أسس الدين، وذلك بضرورة الملاءمة بينه وروح العصر**، وعدم الانغلاق والتشدد الممقوت في ديننا، تحقيقا للهدى النبوي «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(١١).

وأن تمتد الدعوة الاسلامية ولا تقتصر على

المناسبات والظروف في المسجد، بل تتعداه إلى مراكز الثقافة، ودور الشباب، والمؤسسات الفكرية والاجتماعية، وسائر مرافق الأمة، إن من ضرورات تحديث وتطوير أساليب الدعوة الاسلامية اعتمادها على الحوار والنقاش، وتحكيم العقل والمنطق، **في إطار روح الاسلام وسماحته ويسره، وتحقيق المصلحة العامة للأمة، وإيثارها على المصالح الفردية الخاصة، تحقيقا للأخوة الاسلامية، ولما دعا إليه القرآن الكريم في هذا المجال «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»(١٢).**

وقوله تعالى: «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم»(١٣).

وقوله جل ذكره: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين»(١٤).

**ومن ضرورات تحديث وسائل الدعوة وتجديدها، رد النصوص إلى أصلها، ونفي ما ألصق بها من بدع وأباطيل، بدحض الايديولوجيات الغربية التي خلقت رواسب سيئة في نفوس الشباب، وإبطال الدعاوى الكاذبة، وفضح أصحابها الذين يلبسون الحق بالباطل، ودحض التأويلات الفاسدة التي يتخذها الجاهلون بحكمة ومقاصد الاسلام، ذريعة الى نقض أحكام الشريعة، ومن هنا يكون العمل الجاد للقضاء على موجة الاستغراب والالحاد والانحلال التي اكتسحت مجتمعات المسلمين،** بسبب الانفتاح غير الملتزم، وكل هذا يُعدّ من أهم مسؤوليات الداعي وضرورة من ضرورياته للقضاء على ما تعانيه مجتمعاتنا، تحقيقا للهدي النبوي الذي أناط بالعلماء هذه المهمة الجليلة في قوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»(١٥).

**كثير من دعاة المسلمين حوّلوا الاسلام إلى مومياء**

**٤ ـ تقويم الاعلام وترشيده والعناية بقضايا الشباب:**

**وقد جمعت بين تقويم الاعلام والاهتمام بالشباب لما للأول من تأثير على الشباب، وتكوين عقله وفكره، وتكييفه على مقتضى المبادئ والقيم خاصة وأن الاعلام سواء أكان مكتوبا أو مسموعا أو مرئيا، لم يعد قاصرا على التسلية والمتعة، وإنما أصبح مدرسة للتوجيه والتثقيف، بسبب دخوله لدور الناس، ومعايشته لهم في كل وقت وحين.**

ومن هنا كان تأثير وسائل الاعلام قويا وخطيرا في حياة الأمة كلها، حسب صلاح مناهجه أو فسادها، واستقامتها أو انحرافها، وإننا لنشعر بمدى خطورة ما تقوم به برامج الاعلام المسموعة والمنقولة، التي لا تتفق في أغلبها مع معتقداتنا ومبادئنا، ولا مع أخلاقنا وتقاليدنا، وأنها من الأسباب الجوهرية في الصراع الفكري الذي نشكو منه، والذي يهدد استقرار مجتمعاتنا وسلامتها وطمأنينتها، ناهيك بما أحدثته برامجه ومناهجه من غياب الوعي، وفقدان القدوة، وفساد السلوك، وانحسار الحياء، وشيوع الرذائل، ولذلك كان الانفتاح غير الملتزم على كل وارد أجنبي مخاطرة شديدة الأثر، غير محمودة العواقب، فإذا أردنا أن يكون إعلامنا في مستوى قضيتنا، وسبيلا من سبل دعم صحوتنا، فلابد من إصلاحه وتقويمه، وتهذيبه وترشيده بالاسلام، حتى يرتفع باهتمام شبابنا وأجيالنا وأفكارهم وقضاياهم، إلى ما نطمح

إليه وتطمح إليه شعوبنا في جهادها الحثيث، ورغبتها الأكيدة في الاصلاح والتطور والتقدم.

إن الشباب في حاجة ماسة إلى أن يفهم دينه وعقيدته، وأن تتضح رؤيته إلى حقيقة مشكلات عالمه الاسلامي، والوعي بقضايا أمته، حتى لا يقع في المنزلقات وهو لا يدري، وحتى لا يبقى ضحية هذه الايديلوجيات الأجنبية التي كانت السبب المباشر فيما يعانيه من صراع فكرى ونفسي، ولذلك ينبغي العناية بقضايا الشباب، ووضعها على مائدة المناقشة، من أجل تحسين أحوالهم، وحل مشكلاتهم، وتفهم أغراضهم، باطلاعه على حقائق الأمور والظروف الراهنة، عن طريق إقامة جسور الحوار، والاتصال معهم باستمرار، وعن طريق الاقناع حتى نحل في قلبه وعقله صورة الاسلام المشرقة، والحياة الآمنة التي رسمها للانسان في هذا الكون، وندفعه إلى العمل الصالح لما فيه خير دنياه وأخراه، **ونزيل ما أصاب عقولهم من تشكك في صلاحية دينه، من جراء ما رسمته بعض مناهج الاعلام، وجميع صور الغزو الفكرى في حياته، وأن نربي فيه أن مبدأ العمل في الاسلام، يقوم على التعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان، وأن التفرق والصراع تخلف عن الدين والعصر، وأن وحدة الاسلام لا تسمح لأي مذهب أو جنس أو وطن أن يفرق الأمة ويشتت صفوفها، وأن النجاة كل النجاة في أن لا نبتعد عن مظلة القرآن، فهو الحارس الحقيقي لحياتنا، الموجه الرشيد لها، وأن تطبيق الشريعة الاسلامية والرجوع إليها، هو الدواء لجميع العلل والأدواء التي يتخبط فيها الوطن الاسلامي، وهو الحل الأمثل لانقاذ المسلمين من التردي والضياع في أوحال الحضارة المادية التي تنكرت للقيم والمثل.**

- لقد آن الأوان للمسلمين أن يفتحوا صفحة جديدة في حياتهم يقرنون فيها القول بالعمل، والفكر بالسلوك تصحيحا لمسارهم، وترشيداً لصحوتهم، وقضاء على الازدواجية التي تطبع حياتهم، **خاصة وقد تضاعفت مسؤولياتهم للوقوف في وجه هذا التيار العلماني الجارف، ورداً على التحدي الكبير لوجودهم وكيانهم، ومن أجل هذا ينبغي أن نقف على قمة الاستعداد، واثقين بحقنا، متمسكين بديننا، معتزين بحضارتنا، حريصين على حفظ مقوماتنا، ملتزمين بتعاليم شريعتنا، عائدين إلى المنهج الاسلامي الصحيح في كل مناحي حياتنا متسلحين باكتشافات القوة الفكرية التي هي قوة العلم، وأدوات القوة المادية التي هي قوة السلاح، وطاقات القوة الروحية التي هي قوة الأخلاق،** ولنحول دنيا الاسلام الواسعة - التي لا تغيب عنها الشمس - إلى مسجد كبير «نعبد الله جميعا في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عنه في الأرض، تحقيقا لأمره وتصديقا لقوله سبحانه: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا».

---

*الهوامش:*

*(١) رواه الامام احمد في المسند ٥/٢١٨ والترمذي في سننه.*

*(٢) رسالة المؤاخاة للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني - مخطوط خزانتنا الخاصة.*

*(٣) انظر مقدمة كتاب العسكرية العربية الاسلامية، محمود شيت خطاب - مطابع الدوحة الحديثة.*

*(٤) انظر مقال خالد محمد خالد (استجيبوا للصحوة فالاسلام قادم).*

*(٥) سورة الكهف - الآية/ ٢٩.*

*(٦) انظر كتابنا معالم إسلامية ص ٦٥ - ٦٩.*

*(٧) راجع مقدمة كتاب العسكرية العربية الاسلامية السابق.*

*(٨) سورة الرعد - الآية/ ١١.*

*(٩) سورة النساء - الآية/ ٦٥.*

*(١٠) سورة الفرقان - الآية/ ٥٢.*

*(١١) رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن أبى هريرة.*

*(١٢) سورة النحل - الآية/ ١٢٥.*

*(١٣) سورة فصلت - الآية/ ٣٤.*

*(١٤) سورة فصلت - الآية/ ٣٣.*

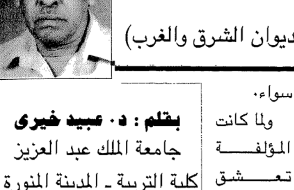
*(١٥) رواه ابن عبد البر وأبو نعيم والنووى والدار قطني عن أبى هريرة.*

أدب مقارن :

# أصداء الأدب العربي في الغرب

**رائع هو الشرق، القائم خلف الحوض المتوسط، فالذي يحب «حافظاً» ويعرفه، يعلم وحده ما أنشده «كالدرون»٠**

جوته.. (من ديوان الشرق والغرب)




**بقلم : د٠ عبيد خيرى**

جامعة الملك عبد العزيز

كلية التربية ـ المدينة المنورة


هذا الاقتباس هو ما استهلت به المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» الذي تبين فيه أثر الحضارة العربية في الغرب٠ فهي بلا ريب تعكس أصداء الجوانب المشرقة لحضارتنا التليدة، بما فيها الأ دب، في حياة الإنسان الغربي، تلك الجوانب التي يحاول بعض المتعصبين طمسها وتشويهها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتورة زغريد هونكة تناولت في أطروحتها التي أعدتها لنيل درجة الدكتوراة في جامعة برلين أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية، كما صدر لها العديد من الكتب والمقالات التي تدافع فيها عن الجوانب المضيئة لحضارتنا وتأثيراتها في الآداب الغربية والإنسانية على حد سواء٠

ولما كانت المؤلفة تعشق الحضارة والحياة العربية، فقد أثثت منزلها في بون بألمانيا «على طراز عربي، لتشعر بسعادة غامرة، ولتحس أنها تعيش في جو قوم أحبتهم حباً شديداً٠ فربطتها بهم ثقافة إنسانية خيرة وفكر شمولي معطاء»٠ وقد مثل صدور كتابها آنف الذكر حدثاً كبيراً وصدى عميقاً في ألمانيا وأوروبا٠ «علقت عليه مئآت الصحف والمجلات، بدليل أن نقاد أوروبا لم يهتموا بشيء في ذلك العام (١٩٦٤م)



فولتير

## العصر العباسى مثل مرحلة ازدهار فى الفكر والادب

# الاعمال العربية المترجمة لها أثرها الواضح فى الادب الغربي

اهتمامهم بهذا الكتاب».

ونستشف الأثر العميق للحضارة الإسلامية بجوانبها المضيئة المتعددة مما أورده أسقف قرطبة الفارو حيث ينحي باللائمة على أبناء ملته وعشقهم للغة العربية وآدابها قائلا: **«كثيرون من أبناء ديني يقرأون أشعار العرب وأساطيرهم، ويدرسون ما كتبه علماء الدين وفلاسفة المسلمين لا ليخرجوا عن دينهم وإنما ليتعلموا كيف يكتبون اللغة العربية مستخدمين الأساليب البلاغية، حتى إن عدداً كبيراً منهم لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم، منصرفين عن دراسة اللاتينية ومقللين من شأن كتبهم المسيحية»**، أما اسقف أشبيلية وقاضيها فقد كانا يلبسان زياً عربياً ويحملان اسمين عربيين ويتلوان كغيرهما من النصارى الانجيل باللغة العربية، هذا وكان أسقف أشبيلية قد ترجم الإنجيل إلى لغة القرآن الكريم.

وقد نفذت الثقافة الإسلامية إلى الغرب عبر الأندلس عندما عمل الكثيرون من العرب مربين لأطفال الملوك، أو أطباء أو كتبة في بلاطهم في برشلونة ولشبونة وبرغش، كما هاجر كثير من النصارى المتعربين إلى قشطالة وأرغون بعد أن هاجم المرابطون والموحدون من أفريقية بلاد الأندلس. فكانت ألوفهم حملة مشاعل الثقافة والأدب الأندلسي، وصاروا بسلوكهم ومظهرهم الحسن مثالا يحتذى. كما عمل الأسرى من المسلمين أيضاً على نقل الحضارة العربية لأمراء شمال إسبانيا، كذلك فإن يهود الأندلس الذين استظلوا بالحكم الإسلامى هناك حملوا ثقافة العرب إلى بلدان الغرب، كما اشتركوا في أعمال الترجمة بمدينة طليطلة ونقلوا عن العربية عدداً كبيراً من القصص والأساطير والملاحم.



ارسطو

والتروبادور شاعر غنائي اشتق اسمه من الكلمة العربية (طرب) وهو ينظم أغانيه على النظام العربي الذي وضعه الشاعر الغنائي ابن قزمان. وقد ولد الشعر الغنائي في صقلية، وفي زمن قصير شاع ذلك النوع من الشعر في كل إيطاليا وتعداها. **ويقول دانتي، الشاعر الإيطالي المرموق،: «ولذلك يسمى كل ما نظمه أجدادنا من أشعار بلغة البلاد بالشعر الصقلي». هذا وتأثر الشاعران (دانتي وبترارك) بالأشعار العربية، بترارك عن غير عمد، ودانتي لاهتمامه الشخصي بالأشعار العربية، وبينما نجد في أشعار بترارك تأثيرات عربية غير مباشرة، نجد أثر ابن عربي ومؤلفاته واضحة وضوحاً تاماً في أشعار دانتي.**

وإن من أصداء الأدب العربي في الغرب

# ظهور شعر الخمريات واللهو والعبث في العصر العباسي انعكاس لاختلاط الأفكار

إنبراء عدد كبير من المستشرقين - رغم بعض الهنات التي صدرت من بعضهم - لدراسته وافتتاح العديد من المراكز الإستشراقية والكليات العلمية المتخصصة، وتخصيص كراسي للأدب العربي في العديد من الجامعات الغربية. وما مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية الذي يرعاه الأمير تشارلز - ولي العهد البريطاني - وأكاديمية أكسفورد للدراسات العالية سوى مشاهد على ما للثقافة العربية الإسلامية من صدى في الأوساط الغربية.. **وننوه هنا بجهود خادم الحرمين الشريفين - الملك فهد بن عبد العزيز - في دعم مثل هذه الهيئات وتشجيع تأسيسها بهدف توثيق عرى التعاون والتحاور بين الحضارتين.**

**ولعل جورج إليوت - إحدى كاتبات الغرب - خير من يعبر عن هذه الأصداء حين تقول: «لا يوجد مدلول ديني رمزي أكثر تأملا في الطبيعة من توجهنا بخشوع إلى الشرق. فإن كل أشيائنا الجميلة قد جاءتنا من الشرق، فجميع الفواكه اللذيذة والحيوانات الأصيلة والأزهار الجميلة وأفكارنا الدينية والفلسفية والفنية، وقصص طفولتنا والأساطير الرومانتيكية كلها قد جاءتنا من الشرق، وإن الشرق بالمعنى التاريخي والمادي هو أرض النور، منذ وقت مبكر كان الشرق وأدبه مصدراً للآداب الغربية».**



كيتس

وهكذا نلحظ الأصداء المدوية لأدب حضارتنا وثقافتنا في الأوساط الغربية على كافة الأصعدة والمستويات.

**دور الترجمة في نقل أدبنا العربي إلى الساحة الغربية:**

كان لترجمة معاني القرآن الكريم دور كبير في نقل الفكر الإسلامي الى الساحة الغربية وعليه نهل طلاب المعرفة من الأوربيين من هذا المعين الثر فكان لهم زاداً وافراً روى غليلهم وأشبع نهمهم، كما كان لهذه الترجمة الأثر البالغ في زعزعة الثقة في دين النصارى مما جعل الكثير منهم ينصرفون عنه، فمنهم من هداه الله إلى الإسلام وهم عدد لا يستهان به، ومنهم من راق له الإسلام أمثال آربري الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وفي توطئته لهذه الترجمة أعجب أيما إعجاب بلغة القرآن الكريم، رغم أنه لم يعتنق الإسلام، ومنهم من اعتزل دينه كلية وهذه هي الغالبية العظمى التي اتخذت من الجامعات منهجاً يسدون به فراغ الدين فاتخذوا العلوم النظرية كعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والعلمية عقيدة لهم عوضاً عن الدين.

لقد ترجم عدد كبير من المستشرقين معاني القرآن الكريم إلى لغات متعددة، فقد ترجم روبرت أوف تشستر وهرمان الدلماطي عام ١١٤٣م معاني القرآن الكريم لأول مرة إلى

اللاتينية **ثم تلى ذلك ترجمة أخرى في سويسرا عام ١٥٤٣م غير أن ترجمة الأب جرمانوس الفرنسيسكاني كانت أدق ترجمة من سابقتيها لغة ومعنى وعليه عدت من أولى الترجمات الجيدة إلى اللغة اللاتينية، هذا وقد ترجم الأب ماراتشي الإيطالي معاني القرآن الكريم متناً وترجمة إيطالية حرفية مع شواهد كثيرة من مصادر عربية لم ينشر معظمها حتى يومنا هذا،** كما ترجم المستشرق الفرنسي دي تاسي الدين الإسلامي وفق القرآن الكريم والتعاليم المذهبية والفرائض عام ١٨٢٢م، هذا وقد ترجم المستشرق الفرنسي ماسون معاني القرآن الكريم، ولقد راجع هذه الترجمة الدكتور صبحي صالح نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى وأستاذ فى الجامعة اللبنانية ولقد نشرت دار الكتاب اللبناني هذه الترجمة ببيروت. كما قام المستشرق الإنجليزي إدوارد هنري بالمر بترجمة معاني القرآن الكريم عام ١٨٨٠م وأردف ذلك بدراسة عن القرآن الكريم عام ١٩٣٦م، أما المستشرق الإنجليزي مارمادوك وليم بكثول فقد قام بترجمة معانى القرآن الكريم في عام ١٩٣٦م ولقد راجع هذه الترجمة مع عدد من علماء مصر، وتعد ترجمته من أجمل الترجمات الى الإنجليزية وقد قامت بنشرها دار الكتاب اللبناني عام ١٩٧١م.

هذا وإذا عدنا إلى الترجمة في ذاتها ألفينا عدداً كبيراً من المستشرقين قد «ترجموا إلى الفرنسية وحدها ٢٤٦٦ كتاباً حتى عام ١٩٥٩م لإرساء النهضة الأوروبية عليها ثم لإيقاف العالم على حضارة العرب ثم لإحلال الفكر العربي محله من تاريخ الثقافة» وهكذا نشر المستشرقون أعداداً هائلة من المخطوطات العربية ثم الكثير من المصنفات، متناً وترجمة إلى شتى لغات العالم، ولهذا كان لهذه الترجمات أثرها البالغ في نقل الفكر العربي إلى الساحة الغربية، كما وجهت الإهتمام بشكل أعمق إلى الشرق وأدبه.

**كان تأثر الأدب الغربي بالأدب العربي ملحوظاً في العصور الوسطى، وظهر هذا التأثر في صور شتى، منها اقتباس القافية من الشعر العربي حيث كانت غير معروفة في الشعر اليوناني واللاتيني على حد سواء، وهناك أيضاً تشابه ملحوظ بين شعر التروبادور والشعر العربي خاصة في الأوزان والقوافي والمعاني إلى حد كبير،** أضف إلى ذلك أن القصص العربية والخرافات والأمثال كان لها أكبر الأثر في الأدب الغربي، ومن أهم الكتب التي ترجمت في القرن الثالث عشر الميلادي «كليلة ودمنة» التي استقى منها الأوروبيون الأدب القصصي عن الطير والحيوان، ونحن نلمس هذا في أشعار الكاتب الفرنسي لافونتين



جوته

# الزجل الأندلسي العربي أثر كثيرا فى توجيه الشعر الغربي

والكاتب الإيطالي بوكاشيو في قصصه «الديكاميرون»، **هذا وقد ظهرت قصص غربية عديدة تحمل بين طياتها النفحة العربية والخيال الشرقي، ومثال ذلك «زاديج» للكاتب الفرنسي فولتير و«الكوميديا الإلهية» للشاعر الإيطالي دانتي. ولم يكن هذا التشابه محض الصدفة بل كان الأمر أعمق من ذلك، فقد اكتشف المستشرق الإيطالي تشيرولي والمستشرق الإسباني مونيوس سندينو مخطوطة عربية تتحدث عن معراج الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد ترجمت هذه المخطوطة إلى الإسبانية ثم الفرنسية واللاتينية بأمر من الملك ألفونسى العاشر، ملك قشتالة (١٢٥٢م - ١٢٨٤م) والذي انتخب فيما بعد إمبراطوراً لألمانيا، ويسمى «ألفونسوا الحكيم» وقد كتب المستشرق الإيطالي هذا بحثاً بعنوان «كتاب المعراج ومسألة المصدر العربي الإسباني للكوميديا الإلهية» كما كتب المستشرق الإسباني كتاباً بعنوان «معراج محمد»**. هذا ولقد نشر هذان المستشرقان كتابيهما عام ١٩٤٩م ، وأكدا بما لا يدع مجالا للشك بأن قصة الإسراء والمعراج كانت مصدراً أساسياً استقى منه دانتي موضوع ملحمته «الكوميديا الإلهية».

أما قصة ألف ليلة وليلة فقد قام بترجمتها المستشرق الفرنسي أنطوان جالان عام ١٧٠٤م، وذاعت هذه الترجمة في أوروبا، ثم ترجمت عن جالان مراراً طوال القرن الثامن عشر، وفي أواخر القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بتاريخ هذه القصة وحقيقتها مما أدى هذا الاهتمام إلى اكتشاف بعض مخطوطات هذا الكتاب وقام الألمان والإنجليز بترجمتها، وهكذا أصبح لهذه القصص العربية أثر كبير في الآداب الغربية، كما ألهمت العديد من الأدباء في تأليف قصص الأطفال والمسرحيات الحديثة.

لقد قام كثير من المستشرقين بترجمة العديد من دواوين الشعر العربي، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر المستشرق الإنجليزى إدوارد هنري بالمر الذي أتقن العديد من اللغات وشغل بقرض الشعر العربي، ومن آثاره ترجمة ديوان البهاء زهير، بتوطئة مسهبة وتعليقات كثيرة والديوان صدر في جزءين في كمبردج عام ١٨٧٦م. كما كان للمستشرق الألماني فريدريك روكيرت الباع الطويل في ترجمة معلقات طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم ولبيد بن ربيعة إلى الشعر الألماني عام ١٨٣٧م، كما قام المستشرق الفرنسي دي ساسي بترجمة البردة للبوصيري عام ١٨٠٦م، وقصائد المقامات عام ١٨٢٢م، ومنتخبات من شعر ابن الفارض عام ١٨٢٢م، هذا وقد ترجم المستشرق المجري جولد صيهر ديوان الحطيئة بشرح السكرى

العقاد

# أدباء النهضة ممثلو الاتجاه المعاكس للتأثير والتأثر

# العلاقة بين المحلية والعالمية تكاملية وليست تناقضية


المازني

مع التعليق عليه عام ١٨٩٣م، هذا وقد نقلت المعلقات السبع إلى الإنجليزية على يد أكثر من مستشرق وأشهرهم وأدقهم ترجمة السير وليم جونز إذ جعل لكل معلقة توطئة موجزة أشار فيها إلى الأوزان العربية وما يطابقها في الأوزان الإنجليزية وكتب عن أسلوب كل شاعر والمناحي الجمالية في شعره من تشبيهات ومجازات والوحدة العضوية في معلقته، وتوجد نسخ من هذه الترجمة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن، وطبعت ونشرت في ست وأربعين صفحة عام ١٧٧٢م وعام ١٧٨٣م، وأعيد طبعها أكثر من مرة بعد ذلك، وهكذا كان للترجمة دور كبير في نقل أدبنا العربي إلى الساحة الغربية.

## الإتفاق والاختلاف بين أدبنا العربي والأدب الغربي:

لا يختلف اثنان بأن هناك أوجه اتفاق بين مختلف الآداب الإنسانية، ويشمل ذلك بطبيعة الحال الأدب العربي والأدب الغربي. وتنبع أوجه الإتفاق هذه من تجانس الطبيعة البشرية وعواطفها وأحاسيسها ومشاعرها، ومن هنا فإن تناول الكتاب لبعض المظاهر الإنسانية يتطابق أحياناً فهناك مثلا تشابه لا تخطئه العين في وصف ملامح الفروسية والبطولة بين شعر عنترة العبسي والإلياذة للشاعر اليوناني هوميروس، يقول عنترة العبسي:

**خلقت من الحديد أشد قلباً**
**فكيف أخاف من بيض وسمر**

* أما هوميروس فقال على لسان البطل في الإلياذة:

**ومن كبد الصخر كنت وليداً**
**لأن فؤادك كالصخر فعلا**

* كما يتفق الأدب العربي والأدب الغربي في تناوله لموضوع الغزل حيث يدور فحوى القصيدة حول ذكر جمال المرأة وسحر نظراتها وانشغال الشاعر التام بها ودوام حزنه بسبب حبه الضائع، كما يتجلى ذلك في قصيدة جون كيتس بعنوان «الحسناء التي لا ترحم» وقصيدة كثير عزة المشهورة، كما يتشابه الأدبان العربي والغربي في استخدام لغة المجاز من استعارة وكناية وتشبيه ومجاز مرسل وجناس وطباق وغيرها كثير، وما القصص الرمزي على لسان الحيوان سوى خير شاهد على أوجه الإتفاق بين الأدبين، يضاف إلى ذلك التشابه الكبير في طبيعة الموضوعات التي يتناولها الأدبان مثل الهجاء والرثاء والتغني بالطبيعة والاندماج فيها. ويضاف إلى ما سبق أن شعر التروبادور كان في حقيقته يناظر تقاليد الشعر العربي الإسلامي

# أسقف قرطبة خاف على قومه نسيان لغتهم القومية لشدة افراطهم في تعلم العربية

في المجتمع الأندلسي لا سيما من حيث القافية والوزن العربي الذي اتسمت به الموشحات، وتأكيداً لذلك يقول جوستاف فون جرنباوم ما نصه: «والحق ان الشعر البروفانسي يكاد يكون شرقياً عربياً من جميع الوجوه، وخاصة من حيث الشكل والموضوع، مع ملاحظة أن الطرز الأصلية لجميع الأناشيد التي ألفها التروبادور كانت موجودة في شعر العرب الأندلسيين وشعر آبائهم». وهكذا يتأكد لنا التشابه بين الزجل الأندلسي وبين شعر التروبادور من حيث الأوزان والقوافي.

**أما أوجه الاختلاف فتعود ـ في نظرنا ـ إلى الاختلاف في النظرة الي بعض الظواهر الإنسانية الطبيعية المنبثقة من اختلاف في التصور العقدي بين الأدبين. فأدبنا مثلا يتصف بالتوحيد في حين نجد بعض أدباء الغرب يصفون التثليث والصلب والفداء والخطيئة الأصلية، وهذه كلها مخالفة تماماً لعقيدتنا وما انبثق عنها من أدب، وغني عن القول ان الأدب هو نتاج يعكس التصور العقدي للأديب.**

## التأثر والتأثير بين الأدبين:

بصمات اليونان على خارطة منطقة الشرق قديمة ترجع إلى فتوحات الإسكندر المقدوني لكثير من بلاد آسيا وأفريقيا، ولم يكن هذا الغزو غزوا عسكرياً فحسب، بل كان فتحاً ثقافياً مبيناً، حيث امتزج فيه اليونان بشعوب هذه المنطقة فجاء مزجاً في الحضارة والعمارة والحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، هذا وقد انتشرت المراكز الثقافية في كل انحاء المعمورة وكانت الاسكندرية من أعظم المراكز شهرة وأكثرها اتصالا بالفكر اليوناني القديم، فأمها العلماء من كل حدب وصوب، ونتيجة لذلك أشرقت شمس النهضة العلمية والأدبية في رحاب الدولة العباسية، فنشطت الترجمة ونقلت أهم مؤلفات أفلاطون وأرسطو في الفلسفة والمنطق وغيرهما إلى العربية بجانب علوم الفلك والرياضيات والطب، ومن أشهر المترجمين في ذلك العصر جبرائيل بن بختيشوع ـ رئيس أطباء جنديسابور ـ ونوبخت وابن البطريق ومتى بن يونس وحنين بن إسحاق وإسحاق بن حنين.


ابو شادي

كان العصر العباسي من أزهى عصور العرب أدباً وعلماً وفناً، فيه دونت أمهات الكتب في شتى فروع المعرفة وميادينها، وكانت بغداد مركز الاشعاع الثقافي والفكري والحضاري، كما أسهمت معها في ذلك التقدم العلمي والازدهار الحضاري الكوفة والبصرة وسائر الحواضر كدمشق والقاهرة وحلب وغيرها، **وهكذا أقبل المسلمون يعبون من معين الثقافة اليونانية، وقد ظهر ذلك جلياً في علم الكلام الذي تأثر بالمنطق**

# الأدب قيمة وخلق

**اليوناني، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمويين لم يهتموا بالنقل والترجمة بصفة عامة، ولقد كان لهم موقف واضح صراح من منطق أرسطو، فقد كان بعضهم يرى أهمية الإلمام به، والبعض الآخر يرفضه رفضاً باتاً.**

لقد كان للبعثات التي أوفدها الخليفة المأمون لبلاد الروم لجلب الكتب القديمة في الطب والفلسفة إلى غير ذلك من فروع المعرفة أثر بالغ في تشجيع الترجمة في عصره، كما كان للوفود المتبادلة بين الدولتين دور لا يستهان به في عملية التبادل الثقافي والحضاري والسياسي، وقد كان لهذا الاحتكاك الاجتماعي والسياسي بين العرب وغيرهم من دول الغرب أثر واضح في نقل الافكار والنظم والعادات الأجنبية **حيث تأثر الشعر العباسي بالتيارات الوافدة تأثيراً ملحوظاً في مجال الخمر واللهو والعبث الذي كان الشغل الشاغل لكثير من شعراء هذا العصر، نذكر منهم على سبيل المثال أبا نواس وابن الرومي وبشار بن برد.**

لقد انتقل التقدم العلمي والأدبي مع العرب إلى الأندلس حيث أقاموا فيها صرحاً حضارياً سامقاً ما زالت آثاره باقية إلى يومنا هذا، وامتد ذلك التقدم الحضاري والعلمي والأدبي حتى شمل معظم بلدان أوروبا التي أصبحت فيما بعد موطناً من مواطن الثقافة الإسلامية والأدب العربي.

وللعرب فضل كبير على الحضارة الغربية بعامة والأدب الغربي بخاصة، فقصة الإسراء والمعراج قد أثرت تأثيراً واضحاً في «الكوميديا الإلهية» للشاعر الإيطالي دانتي الذي اطلع على ترجمة لها واستطاع أن يوظف مفهومها في ملحمته آنفة الذكر، هذا وقد أثرت المقامات العربية تأثيراً كبيراً في الأدب الغربي **ونذكر منها على سبيل المثال مقامات بديع الزمان الهمذاني التي كان لها قصب السبق في ظهور القصص الاجتماعي في الأدب الغربي، وقد أكد بعض الدارسين تأثر الشعر الإنجليزي بالزجل الأندلسي من حيث القالب الشعري الذي صبت فيه بعض الأغاني الشعبية القديمة وبعض أناشيد عيد الميلاد، وفي الشعر الألماني نجد أن نظام القوافي مطابقاً لنظامها في الزجل الأندلسي، أما في إيطاليا فلا تخلو المواضيع الشعرية من هذا الطابع الأندلسي العريق.**

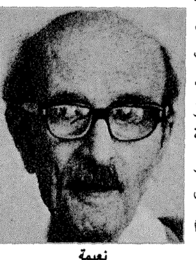
وقلما نجد أديباً غربياً واحداً خلا شعره أو نثره من فكرة أو نادرة إسلامية، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر «شكسبير ووردزورث وكولردج ولورد بايرون وشيلي وجون كيتس في انجلترا، وجوته وهايني في ألمانيا، وفولتير وهوجو في فرنسا»، ونضيف بأن لافونتين الكاتب الفرنسي المرموق قد صرح باقتدائه في أساطيره بكتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع، كما وجدت رسائل إخوان الصفا وقصص «ألف ليلة وليلة» والسندباد ومقامات الحريري



جبران

طريقها إلى الأدب الغربي، **أضف إلى ذلك أن شعراء التروبادور - وهم جماعة من شعراء العصور الوسطى وأغلبهم من طبقة الاشراف - كانوا ينشدون أشعارهم الغزلية على نمط الطابع العربي في النسيب من وجد وهيام وشدة عشق وحنين إلى المحبوبة مقلدين في ذلك أوزان الشعر العربي فى النسيب من وجد وهيام وشدة عشق وحنإل الحبوبة مقلديف ذلك أوزان الشعر العربي وقوافيه، ويعلن العلامة ليفى بروفنسال بأن شعر التروبادور يعود إلى أصل عربي** ويؤكد بأن هناك صلة قربي بين الشعرين «وتعد الرغبة في إنكارها مظهراً للحس البليد»، ويثبت هذا العلامة بأن الشعر الغربي قد تأثر بالشعر العربي من ناحية المضمون حيث شاع فيه حب المروءة وهي من مضامين الشعر الأندلسي التي انتشرت في إسبانيا بفضل ابن حزم «طوق الحمامة» وكتاب «الزهرة» لأبي بكر محمد بن داود الظاهري، ويتساءل بروفنسال متعجباً من هؤلاء الإقطاعيين الذين ينكرون تأثير الحضارة الاندلسية في أشعارهم، ويؤكد بأن الحضارة الأندلسية «قد أثرت في كل شيء، وكانت بالنسبة لبلاد البحر المتوسط الأوروبية مركز الحضارة المترفة والحياة المتمدينة الناعمة»، وهكذا استمد الشعر الغربي أصوله «من الزجل الأندلسي العربي من حيث الإلهام والوزن وتنويع القافية بعد أن انقضى العهد الذي كان الشعراء فيه ينسجون على منوال الشعر اليوناني واللاتيني».

ويرى كثير من الدارسين أن قصة «حي بن يقظان» لمؤلفها أبي بكر محمد بن الطفيل الأندلسي كانت مصدراً أساسياً نهل من معينه الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو موضوع قصته «روبنسون كروزو» ويظهر التشابه الذي لا تخطئه العين في أحداث القصة وعرضها وسردها ورسمها للشخصية النامية المتطورة، هذا ويؤكد الناقد الإنجليزى الكبير أرنست بيكر في كتابه «تاريخ الرواية الإنجليزية» بأن قصة «حي بن يقظان» كانت من المصادر الرئيسية التي استقى منها دانيال ديفو موضوع قصته «روبنسون كروزو» ونشير هنا إلى أن قصة الكاتب الانجليزى كانت بعد ستة قرون من ظهور قصة «حي بن يقظان» **ولعل هذا السبق الزمني يؤكد لنا تأثر الكاتب الإنجليزي بهذا العمل الفنى الرائع، ونضيف بأن قصة «حي بن يقظان» قد ترجمت الى اللغة اللاتينية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والروسية، وعليه فتأثيرها على الأدب الغربي بوجه عام كان تأثيراً بارزاً لا جدال فيه.**


نعيمة

لقد كان للمذاهب الفكرية الغربية أثر واضح في أدبنا العربي المعاصر، فأول من أدخل الرومانسية كإبداع فني هم شعراء المهجر، وأول من ادخلها

# مؤلفات ابن عربي واضحة التأثير فى أشعار دانتى

# «كل أشيائنا الجميلة جاءتنا من الشرق.. ومنذ وقت مبكر كان الشرق وأدبه مصدراً للآداب الغربية» (جورج أليوت)

كدراسة نقدية متأصلة هم عبد الرحمن شكري والمازنى والعقاد الذين يمثلون مدرسة «الديوان» النقدية، وفي ثورة عنيفة على القواعد والتقاليد اللغوية ينعي


مطران

جبران خليل جبران على المحافظين تمسكهم واقتداءهم بأقوال النحويين واللغويين القدامى بقوله: «لكم من ـ اللغة ـ ما قاله سيبويه وأبو الأسود الدؤلي وابن عقيل، ومن جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين، ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمحب لرفيقته، والمتعبد لسكينة ليله»، وهكذا كان جبران من اشد دعاة التجديد تحمساً، وقد قاد في كتاباته ثورة عنيفة على التقاليد اللغوية الموروثة.

**وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم المهاجرين من العالم العربي إلى العالم الجديد كانوا من أبناء سوريا ولبنان، وقد دفعهم الحكم العثماني إلى الهجرة إلى تلك الأصقاع النائية نشداناً للحرية التي كانوا يتوقون إليها، وفي هذا يقول شاعرهم نسيب عريضة من قصيدة «حكاية** مهاجر سوري»:

**غريباً من بلاد الشرق جئت ... بعيداً عن حمى الأحباب عشت**

**تخذت أمريكا وطناً عزيزاً ... فكانت لي كأحسن ما اتخذت**

**أتاها للغنى غيري، وإني ... كما جاءوا مع الإقدام جئت**

**ولكني طلبت بها حياة ... مع الحرية المثلى، فنلت**

* ولما أنشأ أدباء المهجر «الرابطة القلمية» في نيويورك عام ١٩٢٠م كان رائدها الأديب عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح المشهورة وكان من أبرز روادها والداعين إليها جبران خليل جبران ـ عميد أدباد المهجر ـ وقد ضمت هذه الرابطة عدداً من الأدباء من ضمنهم الشاعر المصري الكبير أحمد زكي أبو شادي الذي هاجر إلى العالم الجديد في عام ١٩٤٦م، هذا وتولى جبران رئاسة الرابطة وكان ميخائيل نعيمة مستشاراً لها، وأعلن في صدر قانون الرابطة قوله: «هذه الروح الجديدة التي ترى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني حرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم، وركن الغد». نلاحظ أن ميخائيل نعيمة قد نبذ القيود اللغوية ودعا إلى استحداث صور جديدة

# «الكوميديا الإلهية لدانتي مستقاة من الاسراء والمعراج» (تشيرلو)

مستمدة من الأدب الغربي الذي أحاط بدقائقه وأسراره.

لقد تأثر خليل مطران - شاعر القطرين - بالمدرسة الفرنسية أكثر من تأثره بالمدرسة الإنجليزية إذ بدا في شعره التأثر بالفلسفة الذاتية التي استمدها من الفكر الغربي الذي نهل من معينه الثر، أما إيليا أبو ماضي فقد شارك زملاءه في نزعات التجديد هذه، وعبر عنها في فاتحة ديوانه «الجداول» بقوله:

**لست مني إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزنا**
**خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منا**
**فانطلق عني لئلا تقتني هماً وحزنا**
**واتخذ غيري رفيقاً وسوى دنياي مغنى**

* هذه الدعوة إلى التجديد لاقت نقداً لاذعاً من كثير من النقاد، حتى من أدباء المهجر أنفسهم، وخاصة شعراء العصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي، وهاجم إلياس فرحات أعضاء «الرابطة القلمية» في ديوانه «الرباعيات» بقوله:

**إني لأعجب من آداب رابطة**
**قد أوجدت في نظام الشعر تشويشا**
**شنت على الأدب الميمون غارتها**
**فأمعنت فيه تشويهاً وتخديشا**
**طارت فخلنا نسوراً فوقنا ارتفعت**
**ثم استقرّت فكانت كلها ريشا**
**أشعارهم علقم مع أنها شربت**
**من ماء صنين والعاصي وقاديشا**


هيكل

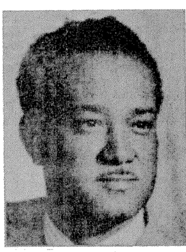
*** لقد استظهر شعراء المهجر الثقافات الغربية، وأحاطوا بدقائقها وأسرارها وتأثروا بالأدب الغربي وبخاصة الإنجليزي والأمريكي والإسباني، ونقلوا أفكاره وموضوعاته وأخيلته إلى الشعر العربي. ونحن نلمح ذلك في المزج بين الفكر الغربي والعربي والاستجابة إلى حد ما للصور الغربية ذات الخيال الرومانسي المجنح، كما تميز شعرهم بفلسفة ذاتية واتسم بالحيرة والشك والتساؤل والتأمل العميق كما تجلى فيه الطابع الصوفي وحبهم للطبيعة والاندماج فيها.** وأضفى أدباء المهجر على الأدب العربي مفاهيم جديدة ومسحة رومانسية انبثق منها الشعر المنثور أو الشعر الحر أو المطلق وهو آخر ما وصل إليه التجديد في شعر الغربيين.

أما في مصر فقد كان للأدبين الفرنسي والإنجليزي أثر بالغ على أدبائها، فقد تأثر محمد حسين هيكل بالأدب الإنجليزي واطلع على مؤلفات توماس كارلايل وجون استيوارت ميل وغيرهم من الكتاب الإنجليز، ولما ارتحل إلى فرنسا تعمق في آدابها ورأى فيها جمالا في اللغة ودقة في التعبير والوصف وعليه نهج منهاج المدرسة الطبيعية الفرنسية، وفي قصته «زينب» يقول في توطئتها إنها «ثمرة الحنين للوطن وما فيه، صوَّرها قلم مقيم في باريس مملوء مع حنينه لمصر إعجاباً

بباريس وبالأدب الفرنسي».

أما رواد مدرسة «الديوان» فقد تأثروا بالأدباء الإنجليز، أمثال وليم وردزورث وكولردج ولورد بايرون وجون كيتس الذين اتسم شعرهم بالبساطة وعدم التنمق والمعاظلة في اللغة، كما تميز بتناول الحياة السهلة اليسيرة المألوفة والتغني بالطبيعة والاندماج فيها. واتصف شعر عبد الرحمن شكري بفلسفة ذاتية متشائمة وتعتبر كتاباته تعبيراً صادقاً عن هذه الفلسفة المتشائمة وتصور - في أسلوب رومانسي - حالات التمزق النفسي التي كان يعتبرها سمة من سمات عصره، أما العقاد فقد تأثر في مذهبه الشعري بالشعر الرومانسي كما تأثر بالناقد الإنجليزي وليم هازلت بصورة واضحة جلية، ونهج منهجه في النقد الأدبي وأعلن بأن إمام مدرستهم الجديدة في النقد هو وليم هازلت «لأنه هو الذي هداها إلى معاني الشعر والفنون، وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد» أما المازني فقد ثار ثورة عنيفة على الشعر التقليدي متأثراً بالمذاهب النقدية الغربية، وحاول جاهداً أن يعكس مفاهيم جديدة للأدب بوجه عام وللشعر بوجه خاص، وقد نشر مجموعة مختارة من مقالاته بعنوان «حصاد الهشيم» **وفيها تحدث عن وليم شكسبير ومسرحيته «تاجر البندقية» التي نقلها إلى العربية خليل مطران، كان للمازني قصب السبق في النقد التطبيقي، كما كان له الباع الطويل في نقل روائع الأدب الإنجليزي إلى العربية ، نذكر منها على سبيل المثال مسرحية «الشاردة» للكاتب الإنجليزي الشهير جون جولزورزي . هذا ويقول العقاد عن المازني: «لست أغلو إذا قلت إني لا أعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر أديباً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة ويملك هذه القدرة شعراً ويملكها نثرا، ويجيد فيها اللفظ، كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة».**

أما الدكتور طه حسين فقد تنكر لعروبة مصر وإسلاميتها في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر»، كما اتجه إلى الانتفاع بمناهج المستشرقين ورواد الثقافة الحديثة في دراسة الأدب العربي كما اطلع على الادب الفرنسي المعاصر، وحاول جاهداً أن يطبق في نقده للشعر العربي المنهج الديكارتي القائم على الشك للوصول لليقين كما هو واضح في كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي أثار ثائرة النقاد كالرافعي والأزهريين مما اضطره إلى إعادة طبعه بعنوان «في الأدب الجاهلي» وللدكتور طه حسين مقالات عديدة في أصول الحضارة الغربية وتيارات الأدب الغربي المعاصر، كما نقل بعض الذخائر الغربية إلى العربية في أسلوب جمع بين البساطة والوضوح وجمال الأسلوب.



*صلاح احمد ابراهيم*

ومما لا تخطئه العين التشابه الواضح بين مسرحية ت. س. إليوت «جريمة قتل في الكاتدرائية» ومسرحية صلاح عبد الصبور «مأساة الحلاج» من حيث العرض والشخوص والسبك الفني والإبداع مما يدل على مدى تأثره بالأدب الإنجليزي، أما أحمد عبد المعطي حجازي فقد كان شديد التأثر بالاتجاه الواقعي الرومانسي إذ اتسمت قصائده بالتعاطف مع المعذبين والمضطهدين ومهضومي الحقوق من بني الإنسان.

امتد هذا التأثير إلى العراق فهاهي نازك

الملائكة تدعي لنفسها ريادة الشعر الحر وقد تأثرت بالشاعر والناقد الإنجليزي ت . س . إليوت. الذي قلد الشاعر الأمريكي ويتمان وأخذ عنه الصورة المزدهرة للشعر الحر، ولا يخفى تأثر بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي بالشعر الإنجليزي وخاصة بالشاعر ت . س . إليوت. وثمة تشابه بين قصيدة ت . س . إليوت. «الأرض الخراب» و«أنشودة المطر» للسياب، ولم يكتف السياب بالاقتباس بل تعدى ذلك إلى الصور والأخيلة والمفردات، ولا يفوتنا أن نذكر أن الشاعر المسرحي الحضرمي على أحمد باكثير قد كان له قصب السبق في قرض الشعر الحر وقام بترجمة «روميو وجوليت» للشاعر الانجليزى المعروف وليم شكسبير مستخدماً ما أطلق عليه النظم المرسل المنطلق الذي استخدمه شكسبير في شعره المسرحي.

**وإذا اتجهنا إلى المغرب العربي نرى أن أبا القاسم الشابى قد تأثر في بداية أمره بأدباء المهجر ونظم على منوالهم ودعا إلى التجديد ونبذ القديم، وتعمق في أدب الغرب ومذاهبه ولا سيما الأدب الفرنسي والإنجليزي وأخذ «يتحدث فيهما كما يتحدث المحرز على أكبر الشهادات في الآداب الغربية».**

أما من جهة النثر الفني والرواية والقصة القصيرة فقد بدا التأثر بالأدب الغربي ظاهراً في كتابات الكثيرين من أدبائنا العرب مثل إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ويوسف الشاروني ويوسف إديس والطيب صالح والطيب زروق وصلاح أحمد إبراهيم وغيرهم، ونحن نلمح أثر إدورد مورغان فورستر وجان بول سارتر وديفيد هيربرت لورنس والبير كامو وفرانز كافكا ومن سلك سبيلهم مما أفقد أعمال بعض هؤلاء الأدباء الكثير من ملامح الشخصية العربية الأصيلة فأضفوا على أعمالهم أخلاقيات ومثل الغرب التي لا تنسجم مع تقاليدنا وتعاليم ديننا الإسلامي السمح، **هذا وقد نقلت أعمال بعض هؤلاء الكتاب النثرية إلى اللغة الإنجليزية كمؤلفات محمود تيمور وطه حسين ويحي حقي وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ والدكتور يوسف إدريس والطيب صالح وغيرهم مما أطلع الغربيين على الأدب في لغاتهم مما يدل بجلاء على مدى التأثير والتأثر بين الأدبين العربي والغربي.**

## العلاقة بين المحلية والعالمية في الأدب:

موضوع التمييز بين المحلية والعالمية في الأدب أمر متداخل الجوانب، وينبع ذلك من أنه لم توضع إلى الآن معايير محددة يمكن الإتفاق عليها، ولا أدل على ذلك من أن المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن تختلف في منهجها عن المدرسة الفرنسية، فالأولى ترى بعقد المقارنات وشرح أوجه التشابه والاختلاف بين الآداب العالمية المختلفة، وتمثل دراسة الأدب العالمي جزءاً من الأدب المقارن، في حين ترى المدرسة الفرنسية ضرورة حدوث تأثير وتفاعل مباشر بين أي ادبين قبل مقارنتهما.

فالعلاقة بين المحلية والعالمية ليست تناقضية بحتة وإنما هي تكاملية، فإن من شروط العالمية - في نظرنا - التصوير الصادق للآلام والآمال المحلية التي تجعل الأدب يتسم في مرحلة لاحقة بصبغة عالمية، ولعلنا نخالف البعض الرأي بأن ترجمة أدب ما إلى لغة ما يعتبر معياراً فاصلا في الحكم على ذلك الأدب بالعالمية، فكم من الأعمال الأدبية ترجم إلى لغات عدة مع افتقاره الشديد إلى الالتصاق بالبيئة والالتزام بالأصالة اللغوية والعقدية، وفي نظرنا أن عالمية الأدب لابد أن يتحقق فيها التناسق والانسجام بين الشكل والمضمون، **إذ لا نرى قولبة الأدب في قوالب إنسانية عالمية لا تنسجم مع خصوصية البيئة المحلية، عندما يتعلق الأمر بتناول أدبنا العربي فإنه يجدر التنويه إلى ضرورة تأطير مضامين أدبنا بحيث لا تخرج على تعاليم ديننا**

**الإسلامي الحنيف ويجب ألا ننخدع ببعض المظاهر البراقة من الإغداق على بعض الكتاب بالجوائز العالمية لا لشيء سوى لنيلهم من عقائد أممهم نتيجة لانبهارهم وتقليدهم الأعمى لحضارة الغير التي أفرزتها عقائد لا تنسجم مع عقيدة أمتهم.**

وكم من عيون الأدب الأصيل الذي يمثل معاناة الإنسانية وآمالها وآلامها الدفينة بقي دون ترجمة ودون تنويه نظراً لعدم مواءمته لأهواء البعض من القائلين بالعالمية، إننا ندعو إلى ضرورة توظيف الأدب لأداء رسالته في تحقيق الغاية التي وجد من أجلها الإنسان على ظهر كوكبنا هذا ألا وهي العبودية لله سبحانه وتعالى والعمل على مرضاته للفوز بجنة الخلد امتثالا لقوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات/٥٦). **وعليه فإنه يسهل التشكيك في عالمية كثير من الأعمال التي عدت من عيون الأدب العالمي نظراً لعدم توافقها مع هذا المعيار الرباني، وقد حذر الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله من يتعدَّ حدوده في قوله تعالى: «تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» (البقرة/٢٢٩).**

## الطريق إلى عالمية الأدب العربي:

تعني عالمية الأدب - في نظر الدكتور محمد غنيمي هلال - انطلاقة من نطاق اللغة التي كتب بها إلى لغة أو آداب لغات أخرى. وينبغي التمييز بين عالمية الأدب بهذا المفهوم والأدب العالمي الذي يقصد به توحد الآداب العالمية حين تتجاوب بعضها مع بعض في أجناسها المختلفة وأصولها الفنية وغاياتها الإنسانية بحيث لا يتبقى من حواجز سوى الحاجز اللغوي.

أما الأسس العامة لعالمية الأدب فيمكن إجمالها في الاقتباس من الآداب الأخرى لتوفير عوامل النهوض للأدب المحلي كي يواكب تطور الآداب الأخرى مع الحرص على المحافظة على أصالة اللغة القومية وتقاليدها الموروثة تفادياً لانطماسها، فيكون الهدف من التفاعل مع الآداب الأخرى إكمال الأدب المتأثر وإثراءه مع الأخذ بعين الاعتبار عدم المساس بأصالته اللغوية والعقدية، وتعزى عالمية الأدب إلى عوامل عامة وخاصة، فالعامة تتمثل في شعور الموهوبين من الأدباء بعدم مواكبة آدابهم لروح العصر، **والهجرات والحروب والغزو. أضف إلى ذلك وسائل الاتصال الثقافية المعاصرة، ومن أهم العوامل الخاصة لعالمية الأدب دراسة تراجم الأدباء حيث يقف الدارس على أذواق كل عصر وبيان إتجاهاته العامة، ثم كتب النقد والصحف والمجلات العلمية والدوريات والمؤتمرات والهيئات العلمية المتخصصة وتبادل الزيارات الثقافية** وعقد الندوات والمحاضرات والمجالس الثقافية الموجودة في بلدان الغير مثل المجلس الثقافي البريطاني والفرنسي والأمريكي، ولا ننسى الدور الكبير الذي يؤديه الابتعاث إلى الخارج وإنشاء الأقسام والمراكز المختصة بتدريس لغات الشعوب الأخرى وآدابها في عالمية الأدب. كما لا يخفى ما للتقدم التقني الحثيث الذي توج بالبث المباشر عبر الأقمار الصناعية من أثر بالغ في عالمية الأدب بحيث أحال ذلك التقدم الهائل الكرة الأرضية إلى قرية صغيرة. يضاف إلى ذلك التطور الكبير في وسائل النقل وما ترتب عليه من تمازج الثقافات بعضها مع بعض نتيجة لكثرة الأسفار والرحلات التي كان لها الأثر البالغ في التفاعل الثقافي بين مختلف الشعوب.

**وتتخذ من مجلة المنهل الغراء منبراً لنوجه من عليه الدعوة لضرورة استغلال مثل هذا التقدم البشري الهائل في مجال الاتصالات لبث أدبنا وقيمنا وتقاليدنا المنبثقة من عقيدة التوحيد إلى العالم الآخر. وبهذا نكون قد أدينا رسالتنا على خير وجه، مما يعمل على إبراز عالمية أدبنا.**

الهيلينية المدعاة:

# أبو تمام ومسألة التأثير اليوناني

بقلم: د٠ عباس أرحيلة
كلية الآداب ـ جامعة
القاضي عياض ـ مراكش

حاولت كثير من جهود المستشرقين أن تشكك في أصالة الحضارة العربية الاسلامية، وأن تجعلها عالة على «المعجزة اليونانية» وقلما يخلو كتاب يؤرخ للفكر العربي الاسلامي من الاشارة الي الحضور اليوناني في الثقافة العربية٠ وذهب البعض ممن تمثلوا روح الاستشراق، الى أن التجديد في الادب العربي، كان بتأثير من الثقافة اليونانية٠

ووقع الاختيار على أبي تمام، باعتباره اكبر محطة للتجديد في الادب العربي، وتم ربط عبقريته بالعبقرية اليونانية٠ فكيف كان ذلك؟

## د٠ شوقى ضيف دافع دون عروبة أبى تمام نسبا وثقافة

### ١ ـ مرجليوث والكيد الخفي للادب العربي:

اشتهر مرجليوث (المستشرق الانجليزي ١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) لدى مؤرخي الادب العربي بمسألة الشك في الشعر الجاهلي، لما أدرك أن علماء العربية اعتمدوا عليه في ترسيخ لغة القرآن٠ وكانت غايته المس بإعجاز القرآن الكريم، وقد نقل د٠ طه حسين ـ كما هو معلوم ـ هذا الكيد الخفي ليزرعه في الفكر العربي الحديث٠

وقد تولى مرجليوث تحرير مادة أبي تمام في دائرة المعارف الاسلامية ولما وجد أبا بكر الصولي في «أخبار أبي تمام» ينقل خبرا فحواه أن أبا تمام «هو حبيب بن تدوس النصراني، فغيّر فصيّر أوسا»(١)، اعتبر مرجليوث أن اسم تدوس اسما مختصرا عن ثيود سيوس، أي انه يوناني الاصل، وذلك بإرجاع اللفظ الى أصله، اعتمادا على التشابه في مبنى الاسمين، وخضوعا للمنهج الفيلولوجي، ومن هنا يوحي للقارىء العربي أن أبا تمام يوناني الاصل(٢)٠

وبالرغم من أن الاسم قرىء قراءات مختلفة:

تدوس، تدرس ، ندوس ، تديوس ثديوس، وقــرأه «رتّر» في دائرة المعارف الاسلاميـة ثديوس. وبالرغم من أن بروكلمان ذكر أن اسم تدوس يشيع بين نصارى السريان، وبذلك يلحق أبا تمام بالسريان، إلا أن د. طه حسين تمسك بتأويل مرجليوث للاسم، فجعل أبا تمام يوناني الاصل.

**٢ ـ د. طه حسين ويونانية أبي تمام:**

كانت خلاصة البحث الذي قدمه د. طه حسين في مؤتمر المستشرقين بليدن سنة ١٩٣١، أن أرسطو لم يكن المعلم الاول للمسلمين في الفلسفة وحدها، ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان(٣).

وقد جعل البيان العربي منذ تأسيسه على يد الجاحظ حتى استوائه ونضجه على يد عبد القاهر الجرجاني مدينا لافكار أرسطو.

وقرر في بحثه (تمهيد في البيان العربي من الجاحظ الى أرسطو) أن الهيلينية اثرت في الادب العربي، ونفذت إليه من مدخلين:

**الاول:** تمثل في جهود المعتزلة، فكان التأثير من طريق مباشر، فرأى أن الهيلينية أثرت في الادب العربي البحت .. في متكلمي المعتزلة الذين كانوا جهابذة الفصاحة العربية غير مدافعين، والذين كانوا بتضلعهم من الفلسفة اليونانية، مؤسسي البيان العربي حقا(٤).

**أما المدخل الثاني:** المباشر، فتحقق في المبدعين الذين كانوا من أصل أعجمي، وهكذا اعتقد د. طه حسين «أن تأثير الهيلينية في الادب العربي إنما بلغ غايته على أيدي الشعراء والكتاب الذين كانوا من أصل أعجمي، وكانوا قد تأثروا بالآداب اليونانية تأثرا ما، فأصبحوا يستمدون وحي قرائحهم من الآداب اليونانية، إما مباشرة بالاخذ عن الاصول اليونانية أو من طريق غير مباشر، بالاطلاع على ما نقل الى اللغة العربية من التآليف اليونانية المختلفة. ولنمثل لذلك بأبي تمام الشاعر.

وإن من ينظر في شعره مع ذلك يجده مباينا مباينة واضحة للشعر العربي المعروف لذلك العهد .. وهو شعر نلحظ الاثر اليوناني ماثلا فيه من غير مراء»(٥).

## د. عمر فروخ جعل عبقرية أبى تمام تنحدر من أصله اليونانى

يرى د. طه حسين أن الجهبذة بالفصاحة العربية أخذت أصولها من البيان اليوناني! إلا أنه لم يذكر تلك الاصول اليونانية التي استمد منها الكتاب والشعراء العباسيون، ولم يشر الى تلك التآليف اليونانية المختلفة التي ألهمت القرائح العربية!.

وفي كتابه «من حديث الشعر والنثر» الذي نشره سنة ١٩٣٦، عاد الى يونانية أبى تمام، والى إجتهاد مرجليوث في دائرة المعارف الاسلامية. فقرر أن أبا تمام يوناني الاصل وأن أباه ثيودوس كان نصرانيا يبيع الخمر في دمشق، وأن ابنه نشأ في حجره نشأة نصرانية(٦). ولما رجع د. طه حسين الى المصادر العربية، وجد أن صاحب الاغاني يعتبر أبا تمام عربيا من طيء، وليس منها بالولاء.

وخوفا من أن تنهار أطروحة يونانية أبي تمام، راح د. طه حسين ينفي عن أبي تمام عروبته، متشبثا بحجة يراها لا تخلو من قوة، وهي أن «النسب الذي بينه وبين طيء لا يعدو الا عشرة رجال فقط، على أنه ينبغي أإن يكون بينه وبين طئ

ستة عشر رجلا لا عشرة رجال فقط. فهؤلاء الستة قد سقطوا. ومن الغريب أن يسقطوا، لان الحرص على الانساب في عصره كان شديدا جدا»(٧).

وهكذا ألهمه هذا الخبر الذي ساقه ابن خلكان في وفيات الاعيان الظن أن نسبه في طيء «قد صنع، وأن الذي صنعه قد تعجل صنعته، ولم يكن على علم باختراع الانساب»(٨).

بهذا الحرص على توفر ستة عشر رجلا في النسب، لا عشرة رجال فقط، أراد د. طه حسين أن يجعل أبا تمام ربيب الهيلينية، ينشأ في حجر ثيودوس اليوناني نشأة نصرانية، حتى تكون عبقريته استمدت إشعاعها عن أصله اليوناني. ويبدو أن الابداع مرتبط في ذهن د. طه حسين باليونان! وكأن الابداع لا يمكن أن يصدر عن عربي من طيء!

# ربط التجديد فى الأدب العربى بالتأثير الهيلينى دعوى باطلة اشاعها بعض المستشرقين

وبالرغم من تنازع مصر والشام في أبي تمام، إلا أن د. طه حسين جعل وطنه العقلي هو بغداد، إذ أن أبا تمام - في نظره «لا يدين بشعره لمصر ولا للشام وإنما يدين بشعره قبل كل شيء لبغداد»(٩).

وقد ربط د. طه حسين شاعرية أبي تمام ببغداد ليقترب به من العقلانية، ويؤكد أصله اليوناني بصفاته العقلية، والنفسية، فابو تمام، عند د. طه حسين، له «ذكاء حاد جدا.. يحس الشيء قبل أن يقع.. كان حاضر البديهة حضورا غريبا جدا.. مفحما للذين يخاصمونه.. حاد الشعور.. يحس الاشياء حسا سريعا، ويتأثر بها تأثرا عميقا.. ذكاؤه يمتاز بشيء من العمق لم يكن لغيره من الشعراء.. إذا تعرض لمعنى من المعاني تعمقه.. يدهش الناس بما يظهره من هذه المعاني المختلفة»(١٠).

وعندما قارنه بالبحتري وجده «حتى في شعره الفني الخالص، يتحدث الى العقل، ويضطر الانسان الى أن يفكر، ويجد في التفكير ليتفهم المعاني ويلائم بينها وبين ذوقه الخاص»(١١).

إن الحاحه على العقل عند أبي تمام يوهم أن مصدر ذلك يرجع الى أصله اليوناني، وأن مباينة شعره للشعر العربي، واختلافه عن سابقيه ومعاصريه في تصوره للشعر، وميله الى المعاني الفلسفية، من أهم الامور التي جعلت د. طه حسين يعتبر أبا تمام نموذجا للتأثير اليوناني.

فما أصداء الهلينية في شعر أبي تمام عند بعض الدارسين؟

## ٣ - هيلينية أبي تمام عند بعض الباحثين:

(أ) محمد نجيب البهبيتي: (أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره) يذكر أنه ألفه سنة ١٩٣٦، ولم يظهر إلا سنة ١٩٤٥، إذ «حبسته عن الناس تسع سنوات مؤامرة قبيحة»(١٢).

وقد اعتبر كتابه ثورة في المنهج والبحث العلمي، لا يحترم صاحبه إلا العقل، ولا يلين في الحق.

وقسم البهبيتي الباحثين، في موضوع أبي تمام، قسمين:

القسم الاول: في مستشرقين لم يسلموا من عصبية على الاسلام والشرق، يحاولون أبدا تجريدهما من مفاخرهما «ولما كان أبو تمام أحد هذه المفاخر، فقد تلمس بعضهم الاعذار لاخراجه

عن هذه الدائرة»(١٣).

ولاحظ البهبيتي أن مرجليوث، كاتب مادة أبي تمام في دائرة المعارف الاسلامية رمى الى القول بأن أبا تمام من أب يوناني. وكان هذا هو الجديد الغريب في كل ما كتبه.

أما القسم الثاني: من الباحثين، فهم «المتعاجمون» والآخذون من المستشرقين عن الادب العربي انتحالا، وعملهم الشخصي فيه إنما هو بسط النظر ومطه.. والافراط في تصويره.. وقد نقل هؤلاء ما قيل عن يونانية أبي تمام، وتبجحوا في الصراخ بها»(١٤).

وبين البهبيتي أن نقل ترجمة أبي تمام عن المستشرقين أمر ممكن، أما ما لم يمكن نقله عن المستشرقين فهو الدراسة الفنية لآثار أبي تمام وشعره وهو ما لم يتحقق الى عهد كتابة مؤلفه عن أبي تمام.

وبعد إصراره على جعل أبي تمام طائيا دما وولادة، وبعد أن وجد نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائيته، نراه يرفض تلك النصرانية قائلا، ودعك من نصرانية أبيه فما كانت الا من افتراء خصوم أبي تمام»(١٥).

وحين أراد البهبيتي أن ينتشل أبا تمام من نصرانيته ويونانيته، أغرقه في الثقافة اليونانية، وقال ما لم يتجرأ أحد من المستشرقين على قوله، فادّعى أن الكثيرين في حواضر الدولة الاسلامية الكبرى يعرفون اليونانية والفارسية والسريانية.

«وكانت اليونانية لغة الحديث في بعض البيوت، ولغة الثقافة في ذلك العصر. وكان شعر هوميروس يتناشد في بعضها، فيصغي له الناس ويفهمون أنه شعر كبير شعراء اليونان. وقد تجد الجواري في قصور الخلفاء يؤدبن أولادهن بآداب الروم .. ويعلمنهم اللغة اليونانية»(١٦).

والحق أن اللغة اليونانية لم تكن منتشرة بالصورة التي رسمها البهبيتي إذ اعتمد على خبر ساقه ابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء في القرن السادس الهجري. ونجد أن إحسان عباس الذي بحث عن «ملامح يونانية في الادب العربي» وبحث عن الموروث الاميريسي عند العرب، ووفرت له جامعة برنستون الاميريكية كل المخطوطات للبحث عن تلك الملامح، قال أن الشهرة التي نالها أوميروس لم تكن بالدرجة الاولى على معرفة وثيقة بآثاره الشعرية، لان الاليانذة والاوديسة لم يترجما الى العربية، ولكن تلك الشهرة ترجع الى أن الدارسين للثقافة اليونانية وجدوا في مصادرهم شهادة موثقة في الثناء على أوميروس، وأنه كان عند اليونان أرفع الشعراء منزلة(١٧).

## مرجليوث تبنى الإيحاء بان أبا تمام يونانى الأصل

وعلى أي، فإن البهبيتي يجعل طائفة المبدعين العرب في مجالي الشعر والنقد من تلاميذ أرسطو(١٨) ويجعل البيان العربي وليد التأثير الهيليني ويحيل على مقدمة كتاب نقد النثر التي وضعها د. طه حسين، وعلى «البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها» لامين الخولي، ويذهب البهبيتي الى أن كتابي الشعر والخطابة الارسطيين كانا معروفين للجاحظ وابن المعتز، كما كانا معروفين في أيام. أبي تمام. ويرى أن كتمان آثار البلاغة

اليونانية في البلاغة العربية كان مؤامرة من أبناء ذلك العصر لتحرجهم في التصريح بالنقل عن البلاغة اليونانية(١٩).

**وبعد تبنيه لهيلينية الادب العربي، قال «في شيء غير قليل من الارتياح النفسي، إن أبا تمام حين كان يطلب البديع.. إنما كان يطلبه تبعا لاصول وقواعد موضوعه، وأنه كان في ذلك متأثرا بيونانية أتته عن طريق الثقافة في عصره.. أبو تمام إذن تلميذ أرسطو، حين يجمل اللفظ وحين يطلب البديع»(٢٠).**

وهو هنا يجعل أبا تمام يستمدّ الاصول والقواعد من أرسطو، ولا يستلهم الآثار الشعرية اليونانية مباشرة كما قال د. طه حسين. وهكذا يجعل البهبيتي أبا تمام شاعر العربية الاكبر تلميذا لارسطو يعلمه البديع اليوناني، فيدخله الى البديع العربي. فلا فرق آنئذ أن يكون أبوه تيودوس يونانيا، أو تلميذا لشيخ اليونانيين وحكيمهم. والباحث حين أجهد نفسه ليخرج أبا تمام من رحم عربي، أبى إلا أن يخرجه من رحم الثقافة اليونانية!

**وعلى كل، فإن الباحث تراجع عن موقفه في كتابه (تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري) ١٩٥٠ - ورأى: «أن تاريخ الحضارة الاسلامية الذي تعتبر الحضارة اليونانية قطب الرحا فيه عند البعض، يجب أن يكتب من جديد، لانه تاريخ زائف»(٢١)**

كما رأى أن الفنون الادبية التي توصف بالكبرى في الآداب اليونانية، ألقاها العرب جانبا، لانها لم تكن ملائمة لشخصيتهم او جاريه مع طباعهم. وكتاب الشعر الارسطي خفت بريقه، وتمزقت أشلاؤه، وضاعت معالمه(٢٢).

ونراه يقول في مقدمة الطبعة المغربية لكتابه (أبو تمام الطائي ١٩٨٢)، عن د. طه حسين، وإذا كان هو يخدم في الباطل أوربا، فإني أخدم في الحق وطني وتاريخي وقومي»(٢٣).

وهكذا اتضح له أن الاثر اليوناني في الشعر العربي، لم يكن أثرا مباشرا ولا أصيلا في جوهر الشعر وقوامه ومادته، ولم يكن أثرا خالقا، ولكنه كان منشطا، فقد ظل الشعر يجري في تياراته واتجاهاته وفنونه التي وجدت في جزيرة العرب، ويسير على تقاليده الثابتة التي لم تزعزعها العواصف والاضطرابات التي طرأت على حياة الامة نفسها في عصور تاريخها المختلفة.

## طه حسين جعل البيان العربي مديناً لأفكار أرسطو

**(ب) د. شوقي ضيف(٢٤):**

**وهو ينجز بحثه تحت إشراف د. طه حسين، حاول أن يتخلص من يونانية أبي تمام في كتابه (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) بقوله: «وإذا صح ما تزعمه دائرة المعارف الاسلامية من أن اسم أبيه تيودوسيوس، تسرب الى نفوسنا ضرب من الظن بانه يوناني»(٢٥).**

ولاحظ أن ثقافته كما تطلب في الفلسفة وعلم الكلام والنحو، تطلب أيضا في التاريخ والفقه وأبحاث العقائد والنحل المختلفة على نحو ما نرى في شعره»(٢٦).

وما أن تحرر د. شوقي ضيف من ذلك «الظن»

حتى قال إن نصرانية أبيه لا تنفي عن أبي تمام عروبته وطائيته، **إذ كانت النصرانية شائعة في طيء وتأكد لديه في كتابه (العصر العباسي الاول)، أن «جمهور من ترجموا له من الثقات يذهبون الى أنه طائي، ويشهد لذلك فخره المضطرم بطيء وأنه اختار منها اكثر ممدوحيه.. مما يدل على أنه طائي عريق وعربي أصيل»(٢٧).**

**وهكذا رفض د. شوقي ضيف أن يكون يوناني الاصل، وبالتالي رفض ظن د.طه حسين الذي بناه على ظن مرجليوث.**

**(ج) د. عمر فروخ:**

سبق له أن ألف كتابا عنوانه «أبو تمام» سنة ١٩٣٥، وفي سنة ١٩٦٤ ظهر له كتاب «أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله» وقد وجد فيه أن الصواب في اسم والد أبي تمام هو (تادوس) المجزوءة عن ثيودوسيوس اليونانية في الاغلب (كما قرأها مرجليوث)، وهكذا بداله أن ثدوس هذا كان من الجالية الرومية (اليونانية، البزنطية) التي كانت في الشام قبل الفتح، أو أنه جاء الى الشام بعد ذلك(٢٨).

ورأي الباحث أن الثقافات الاجنبية عرفت ازدهارا على عهد أبي تمام: «وكان أظهر هذه الثقافات في شعر أبي تمام الثقافة اليونانية، ولا عجب فقد كانت الزي الشائع بعد المأمون.. ولعل هذه الثقافة كانت أقرب الى عقل أبي تمام، **وربما لصلة نسبه بالروم، وهو لم يتحرر من بيئته اليونانية إلا يوم أسلم دون أفراد أسرته»(٢٩).**

**والباحث بكل هذا يزكي ظن مرجليوث ود. طه حسين، ويجعل عبقرية أبي تمام تنحدر من أصله اليوناني!**

**د. شكري محمد عياد:** وهو يبحث عن تأثير كتاب الشعر في البلاغة العربية، عني أيضا بتأثيره المباشر في الشعر العربي. ولما أيقن أن تأثير ترجمة متى بن يونس (٣٢٨هـ)، لكتاب الشعر لارسطو، في عمل الشعراء العرب، أمر يكاد يكون غير معقول (لعجز الترجمة عن تأدية المراد) احتمل الباحث أن يكون أبو تمام قد اطلع على تلخيص الكندي (٢٥٢هـ) لكتاب الشعر. وهو تلخيص يُجهل عنه كل شيء في المكتبة العربية والاجنبية على السواء وبرر هذا الاحتمال بمعاصرة الكندي لابي تمام، إذ «كان بدء نشاطه الفلسفي موافقا لبدء تكون شاعرية أبي تمام فالمقارنة الزمنية تحتمل فرض قيام تأثير وتأثر بين الفيلسوف والشاعر، وقد عاش الرجلان معا في كنف المعتصم، ولا سيما أن الكندي قد انتقد بعض شعر ابي تمام في مدح أحمد بن المعتصم في مجلس الممدوح»(٣٠).

## «شعر أبي تمام نلحظ الأثر اليوناني ماثلاً فيه من غير مراء» (طه حسين)

**ولما أحس الباحث بوهن المقارنة الزمنية، ووجود الصلة الشخصية بين الرجلين، قال: «ولست أتكلف البحث عن الصلات لا فرض رايا لا تحتمله طبيعة الموضوع»(٣١) وحتى لما وجد الآمدي يقول عن أبي تمام إنه يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام، تساءل د. شكري عياد وأجاب في آن واحد: «فهل كان ذلك لانه يدخل معاني الفلسفة في شعره؟ ليست هذه طريقة أبي تمام، بل طريقة المتنبي»(٣٢).**

ومع إحساس هذا الباحث بتكلف البحث عن الصلات بين الادبين اليوناني والعربي، فإن اعتماد أبي تمام على عنصر التخييل في شعره، جعله لا يستبعد أن يكون أبو تمام قد حاول أن يجدد في الصناعة الشعرية بالاعتماد على التخييل الذي

تحدث عنه الفلاسفة(٣٣).

**(هـ) د. عصام قصبجي** في أطروحته (نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم) حاول في المجال التطبيقي أن يعرف ما إذا كانت محاكاة الشعراء تطبيقا لمحاكاة النقد، وذلك من خلال ثلاثة شعراء هم: أبو تمام، وابن الرومي والمتنبي. ومع أنه يرى أن مسألة الاثر اليوناني في الادب العربي مسألة ظنية، ومع اعترافه أن الطابع اليوناني في شعر أبي تمام يحتمل المناقشة، الا أنه يظن أنه تأثر على نحو غير مباشر بتلخيص الكندي وقال: «ويبدو أنه اطلع عليه، وأعجب به، ووافق منه ذكاء نادرا، ورغبة في التجديد يقتضيها الجو الفكري الخصب الذي عاش فيه»(٣٤).

**ولما كان تلخيص الكندي مفقودا، ذهب الباحث يستأنس بتلخيص ابن سينا لكتاب الشعر الارسطي، فلما وجد في التلخيص أن قوة الفن تتجلى في مقدرة الشاعر على إخفاء التصديق الذي يمثل العقل في إهاب التخييل الذي يمثل الفن، رأى أن هذا هو ما درج عليه أبو تمام «وربما كان ذلك دليلا على تأثره بمفهوم المحاكاة كما عرضه الكندي غالبا»(٣٥).**

لم يشر الباحث الى النص الذي استند إليه في تلخيص ابن سينا، ثم إن المحاكاة الارسطية لا تعني أبدا إخفاء التصديق في إهاب التخييل. وهل اخبرنا ابن سينا أنه اطلع على تلخيص الكندي، وكيف تمثل أبو تمام المحاكاة كما عرض لها الكندي؟ وقد اعتبر الباحث أن أبا تمام استعمل البديع أداة في محاكاته، **وجعل البديع جزءا من المحاكاة، فراح يحاكي ما يمكن أن يكون في الذهن مثلما يحاكي ما هو كائن في الواقع، وبذلك كان أبو تمام يمزج الفكر بالفن تأثرا بالكندي(٣٦).**

أما وحدة القصيدة عند أبي تمام، والتي حاول د. طه حسين أن يرجعها الى الاثر اليوناني، فقد لاحظ د. عصام قصبجي أن تلك الوحدة لا تتحقق إلا «بالقدر الذي تتيحه طبيعة الشعر الغنائي العربي دون أن يكون لذلك علاقة بالاثر اليوناني»(٣٦).

# إبداع أبي تمام خارج من عباءة اليونان

**- حسب رأيهم**

**خاتمة:**

أبو تمام هجاه أحد معاصريه فجعله نبطيا، واعتبره جل الباحثين عربيا، واراد بروكلمان أن يجعله سريانيا، وقدر مرجليوث أنه يوناني الاصل، وتلقف د. طه حسين هذا التقدير فقرر يونانيته ليثبت بذلك تأثير الهيلينية في الادب العربي. وغايته أن يربط ظاهرة التجديد في الادب العربي بتأثير الهيلينية فيه فيونانية أبي تمام في تصور د. طه حسين هي التي كانت وراء مباينة شعره للشعر العربي، مما جعل أبا تمام «يختلف عمن تقدمه ومن عاصره من الشعراء في تصوره للشعر نفسه، وفي شدة أخذه بتحديد المعاني ووحدة القصيد، وفي كلفه بوصف الطبيعة، وميله الى المعاني الفلسفية»(٣٨).

وقد أدرك د. شكري عياد مقاصد د. طه حسين، فقال: «وقد يبدو أن الشعر العربي كان قد

# بعض المستشرقين حاولوا تأكيد ان الابداع يوناني الاصل

استنفد جل قوته الغنائية مع انتهاء مدرسة ابي نواس، فلم يكن له بد من أن يتجه الى الفلسفة، وقد امدته الفلسفة بنظرية شعرية مبنية على نظرية أرسطو».

**ومن الغريب حقا أن لا يجد د. احسان عباس ملامح يونانية في شعر أبي تمام، في حين وجد أبا العتاهية تلميذا للثقافتين الفارسية واليونانية، ولاحظ أنه يتوكأ في بعض معانيه على الثقافة اليونانية. إن ربط التجديد في الادب العربي بمسألة التأثير الهيليني، دعوى أشاعها د. طه حسين في الأدب الحديث،** وتبعه فيها كثير من الباحثين وهي دعوى ذات أصل استشراقي، أريد بها التشكيك في أصالة التراث العربي، وتهييء النفوس لتقبل الحضارة الغربية الحديثة والذوبان فيها.

وبالرغم من شيوع هذه الدعوى، فإن الدراسات الحديثة التي تناولت شاعرية أبي تمام لم تعد تنخدع بتلك الدعاوي.

**«لما كان أبو تمام أحد المفاخر الاسلامية والعربية فقد تلمس بعضهم الاعذار لاخراجه عن هذه الدائرة»**

**(نجيب البهبيتى)**

---

الهوامش :

(١) اخبار أبي تمام: أبو بكر الصولي - تحقيق خليل محمود عساكر وزميليه - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ١٩٣٥ - ٢٤٦.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية: ١/ ٣٢٠.

(٣) تنظر: مقدمة نقد النثر (تمهيد في البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر) المكتبة العلمية - بيروت ١٩٨٠ - ٣١.

(٤) نفسه : ٨

(٥) نفسه : ٨ - ٩.

(٦) من حديث الشعر والنثر: د. طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٣٦ - ٩٣.

(٧) نفسه : ٩٤.

(٨) نفسه .

(٩) نفسه : ٩٥.

(١٠) نفسه : ٩٦ - ٩٧.

(١١) نفسه : ١١١.

(١٢) أبو تمام الطائي، حياته وحياة شعره، دار الفكر، مكتبة الخانجي ط٢ - ١٩٧٠: (ح).

(١٣) نفسه: (هـ).

(١٤) نفسه : (و).

(١٥) نفسه : ٦٢.

(١٦) نفسه : ١٨٥.

(١٧) ملامح يونانية في الادب العربي: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٧: ٤١ - ٤٣.

(١٨) أبو تمام الطائي : ١٩٤.

(١٩) نفسه : ١٩٦ - ١٩٧.

(٢٠) نفسه : ٢٦٢.

(٢١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ١٩٥٠ - ٢٦٩.

(٢٢) نفسه : ٢٦٢

(٢٣) أبو تمام الطائي الطبعة المغربية ١٩٨٢ - ١٨.

(٢٤) تاريخ الشعر العربي : ٢٧٤.

(٢٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط(٣) : ١٤٧ (ط ١ - ١٩٤٣).

(٢٦) نفسه : ١٤٨.

(٢٧) العصر العباسي الاول. دار المعارف ط٧ - ١٩٧٨ : ٢٦٩.

(٢٨) أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله: د. عمر فروخ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ١٩٦٤ : ٢٢.

(٢٩) نفسه : ٤٧.

(٣٠) كتاب أرسطوطاليس في الشعر، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني الى العربي - دار الكتاب للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧ : ٢٨٠.

(٣١) نفسه : ٢٨١.

(٣٢) نفسه : ٢٨١.

(٣٣) نفسه : ٢٩٠.

(٣٤) نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم: د. عصام قصبجي - دار القلم العربي للطباعة والنشر ١٩٨٠ : ٢٣٢.

(٣٥) نفسه : ٢٣٢.

(٣٦) نفسه : ٢٤٢.

(٣٧) نفسه : ٢٧٦.

(٣٨) مقدمة نقد النثر: ٩

(٣٩) كتاب أرسطوطاليس في الشعر ٢٨٤.

د. ثريا العريض

# لسعات شوك

يأتي يوم لست مستعدا له، تجد نفسك فيه تواجه شكوكاً تنتصب كأشواك تتطاول بينك وبين أعزاء عليك، وحوارات لا منطقية تنذر بالقطيعة، تتساءل عن مسبباتها، أو تصمت متغاضياً، تأمل ان تكون مجرد توتر عابر .. ثم تجدها تستشري كخناجر مسممة تتحدى محاولاتك لإطفاء لسعاتها المتتالية، يهددك الشعور بالتوتر المتصاعد فتطالبهم جهراً وتطالب نفسك سراً بشيء من التفسير المنطقي، ثم تجد التفسير لا يطال تقبل المنطق. وتتعثر بمبررات غير متضحة.

تحاول ان تلوذ بوجوه خلتها حبيبة أبداً، فإذا هي تعاندك متأزمة برفض لا تعرف مسبباته. وتتوقف محتاراً تتأمل في مشاعرك الخاصة، فتجدك تتصاعد محتدماً بالرفض أنت الآخر، وممتلئا بالغضب والهوان: كيف يضعونك وهم من اعتبرت صنو روحك، في هذا الموقف الصعب؟ .. وكيف تضطر دون خطأ تعرفه الى تقبل المهانة فقط لأنك تؤمن بعمق الوشائج بينك وبينهم؟

ربما عندها تجد القوة لتتمالك نفسك، فلا ترد بما يجرح عزيزاً عليك، حتى لو أنكر ذلك العزيز تلك الوشائج. وتتباعد منطويا على ذاتك وتقرر متأسياً انك لن تسمح لنفسك بالالتصاق بأحد مرة أخرى متعرضاً لخطر الجراح العاطفية والنفسية تؤكد أن ذاتك أغلى عليك من أي صديق أو عزيز. وأنك لن ترضى بأن يخدش صفاءها حتى أقرب المقربين. تعترف محقاً في ألمك ان بعض العلاقات .. سامة!

وتمر الأيام فإذا بالزمن يطفيء الحرقة التي أحسست والألم الذي عطل إيمانك بقرابة الروح يتناهى الشعور بالفقد واللوعة. هناك من العلاقات ما لا يمكن ان يبتر. وهناك من الوشائج ما يتحدى القطيعة وحرائق الغضب. يخيل إليك أن صوتاً من أعماق أعماقك يظل يذكرك بما كان يسعدك من أزمنة هانئة واستقرار نفسي. صوت يتجرأ ان يتعالى بالرغم من توجعك ليطالبك أن تفتح باب الحوار وتمد يدك عائداً معتذراً عن الزمن الذي ضاع في القطيعة.

تتساءل، هل تُرى يحسون بما أحس؟.. ويعانون ما أعاني؟ .. هل ترى يتذكرون بمثل هذه الحرقة؟ ولو عدت متناسياً أنني كنت المجنى عليه، أتراني متسامحاً يكسب أثمن ما يأتي به التسامح من القرب؟ أم تراني أفتح باب الريح العمياء للمزيد من الفورات اللا منطقية والإهانة اللا مبررة؟

لا تتعجل .. وانظر بتجرد من العاطفة في إحساسك الأعمق: أهناك ظل خافت من الشعور بأنك مشارك في الخطأ؟.. إذن تقدم ومد يدك وباعد الشوك من الدرب.

أمؤمن أنت بأنك - حتى دون قصد - لم تفعل شيئا يبرر ما تجنى به الآخرون عليك؟: انتظر..! وليزح الآخرون الشوك قبل أن تعرض نفسك للتسمم مرة أخرى!.

مساحة للضوء:

# أم الرواية الانجليزية
# جين اوستن (١٧٧٥ ـ ١٨١٧)

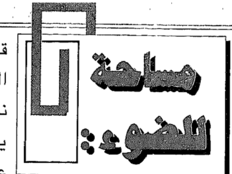
ولدت الروائية الانجليزية جين اوستن في ١٦ كانون اول عام ١٧٧٥ في ستيفنتن ـ هامبشير، وهي الطفل السابع من ثمانية اطفال.. والبنت الثانية للقس جورج اوستن راعي ابرشية ستيفنتن، أما امها فهي كاسندرا لي، وقد عاشت جين السنين الست والعشرين الاولى من حياتها في الابرشية في رعاية والدها المتوسط الحال، الذي أضاف الى دخله دخلا آخر بالعمل في الزراعة والقاء الدروس، ولكنه كان على جانب من المعرفة كبير، فكان يشجع اولاده على القراءة وطلب المعرفة من مصدرها شبه الوحيد في تلك الايام ، الكتب، فكان أفراد اسرته قراء ممتازين للروايات ولعل الاعمال المبكرة لجين اوستن تثبت ان قراءاتها قد تعدت نتاج العصر الرومنتيكي الى عصور سبقته.

عندما بلغت جين السادسة من عمرها ارسلت مع اختها كاستدرا ـ التي كانت في التاسعة ـ الى مدرسة داخلية في اكسفورد، حيث اصيبت كلتاهما بالحمى، ثم انتقلتا الى مدرسة في ساوثمين عام ١٧٩٢، وقد وصفت جين اوستن هذه المدرسة بانها ذات تعليم بسيط وانها تخرج طالباتها عن درسهن السليم، وقد استوحت مشاهد من هذه المدرسة في روايتها «ايما» وقد اعيدت الفتاتان



الى بيت الاسرة بعد غياب دام ثلاث سنوات، وشرعتا في تلقي العلم على والدهن واخوتهن كما كانت تجري العادة في تلك الأيام. وقد كان الجو الأسري رائعاً في بيت اوستن فقد كانت جين تحت اختها كاستدرا حبا جما، فلا تكتم عنها سراً حتى قالت والدتها يوما: «لو ارسلت كاستدرا الى المقصله لطالبت جين بنفس المصير» كما كان والدها حنوناً عطوفاً وكان يقرأ لاولاده بصوت عال لتثقيفهن ، كذلك كان يشجعهن على كل عمل ثقافي او ابداعي وقد اوجد هذا الجو وقتا كافيا لجين للكتابة فقد وجد في دفاترها الاولى وهي في الرابعة عشرة مشاهد هزلية وقصص

نواف نصار
ـ الاردن ـ




قصيرة تشير الى مزاج ناقد ساخر لا يخلو من عبقرية، وقد طورت هذا الجانب فيما بعد ، واروع ما كتبت في عهد الصبا « الحب والصداقة».

**ما بين عامي ١٧٩٥ ـ ١٧٩٨ أنهت جين ثلاث روايات، فقدمت «الانطباعات الاولى» التى دعيت فيما بعد بـ «كبرياء وهوى»، الى أحد الناشرين فرفضها .. لكنها طبعت لاحقا و(نورثاجن أبي) التي طبعت بعد وفاتها ودعيت لاحقاً باسم بطلتها «سوزان» و«الحس والحساسية».**

أما رواية «كبرياء وهوى» فهي قصة جماعة من الناس من الطبقة المتوسطة منهمكون في المجتمع الذي يحيط بهم، والبطلة اليزابيث ذات حيوية ونشاط ولكن لا نجد عندها صفات غير عادية، وكلا الكبرياء والهوى يدغدغان ويداعبان في عالم المراتب والمال والطبقية كصفتين تحكمان ذلك المجتمع.

وهذه الرواية تدل على نضج الكاتبة رغم انها لم تتجاوز الحادية والعشرين وقت كتابتها ، وقد روجعت مرة أخرى قبل طبعها ، وهي اكثر كتبها شعبية وبراعة، وتذكرنا باعمال القرن الثامن عشر الكوميدية، ويلاحظ انها تعكس شخصيتها في هذه الرواية بشخصية اليزابيث. وقد ارتبط اسم جين اوستن بهذه الرواية التي تعد اشهر اعمالها.

أما «الحس والحساسية» التي طبعت عام ١٨١١ ، فهي تكاد تمثل هجوماً على العاطفية المفرطة كمصدر للقصور العاطفي في الانسان، وهنا نرى القيم والفضائل معقدة، والخيال لم يعد على النقيض منهما ، وقد حققت هذه الرواية نجاحاً كافيا لخلق استقبال جديد لأعمال أخرى للكاتبة.

وفي الفترة بعد عام ١٧٩٨ ، كانت حياة عائلة اوستن هادئة فقد توقف السيد اوستن عن القاء الدروس ووسع ابرشيته ليحصل على غرفة لابنتيه حيث ربض بيانو جين وادواتها الكتابية، ومعدات الرسم لاختها كاستدرا ، وفى عام ١٨٠١ ترك الاب اوستن بيته لابنه الاكبر وارتحل مع زوجته وابنتيه الى «باث» وكانت جين فى السادسة والعشرين، وكاستدرا في التاسعة والعشرين، وقد قررت كلتاهما عدم الزواج الا اذا تم انجاز سريع يثنيهما عن عزمهما ذاك، فقد كان لجين بعض الارتباطات العاطفية في سنيفنتن ولكن لم يحدث اي شيء جدي اما اختها كاستدرا فكانت قد خطبت لاحد تلامذة ابيها ولكنه توفي بالحمي الصفراء فى رحلة الى جزر الهند الغربية.

**وفى عام ١٨٠١، وبينما كانت أسرة اوستن في رحلة الى ديفون، وقعت جين في حب شاب كاهن يدعى بلاكول، وقد كان الاعجاب متبادلا، الا أنه قبل اعلان خطوبتهما ، توفي ذلك الشاب، وقد حالت هذه التجربة القاسية دون قبولها شاباً آخر تقدم لخطبتها .. كذلك سببت توقفاً مؤقتاً في انتاجها الأدبي.**

وفي عام ١٨٠٢ ، تمكنت من بيع اولى اعمالها «رواية سوزان» للناشر ريتشارد جروسي في لندن مقابل عشرة جنيهات. لكن

جروسي لم يقم بنشرها وفي تلك الفترة شرعت في تأليف «الواتسنيون» الا انها لم تكملها.

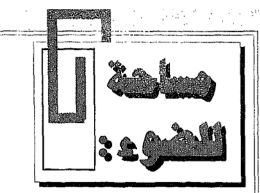
وفي عام ١٨٠٥ توفي السيد اوستن تاركاً لزوجته وابنتيه **دخلا سنوياً مقداره ٢١٠ جنيهات.. وقد زاد اخوتها هذا المبلغ الى ٤٥٠ جنيها، ولم يكن هذا كافياً في زمن ارتفعت فيه تكاليف المعيشة والاقتصادفي النفقات، تقرر أن ترتحل الاختان الى منزل فرانسيس اوستن اخيهما في ساوثميتن.. ولم يكن هذا القرار مريحاً.. ولكن ذلك لم يدم طويلا.. فقد حصل عام ١٨٠٨ أن توفيت زوجة شقيقهن ادوارد اوستن فارتحلت الاختان الى منزله في «شاوتن» بناء على رغبته.** وهنا بعد ثمان سنوات من عدم الاستقرار كان بمقدور جين ان تكتب - رغم وجودها بين عدد كبير من ابناء اخيها - فراجعت روايتها «الينور ماريانا» وباعتها وطبعت عام ١٨١١ وكان هذا نجاحا سريعاً سببه شعبية «كبرياء وهوى» وشجعها ذلك على المضي قدماً فكتبت «مانسفيلد بارك» و«ايما» و«الاقناع».

وقد كانت «ايما» نموذجاً لرواياتها، فقد وظفت خيالها الساخر لكشف ضلال بطلتها، اما موضوعها فكان الزواج، ولكن الرواية مليئة بتعقيدات العلاقات الشخصية والكشف عن مكنونات النفوس والطبائع، ولكنها دلت على عبقرية اوستن المتمكنة من فنها، المستغرقة فيه، المتصارعة مع مشاكله. وقد طبعت ايما عام ١٨١٦ اما «الاقناع» فقد طبعت عام ١٨١٨ بعد وفاتها.

**وفي عام ١٨١٦ استرد شقيقها هنري - بعد عناء - روايتها - «نورثا بحر ابي» مقابل عشرة جنيهات وهو نفس المبلغ الذي دفع فيها عام ١٨٠٢، اذ لم يقم الناشر بأية خطوة لنشرها، وقد نشرت عام ١٨١٨.** وبينما هي في قمة عطائها، بدأت صحتها بالتدهور، فاخذتها أختها الحبيبة كاستدرا الى ونشستر لتبقى تحت رعاية طبيب صديق، ولكن لم يستطع أحد تشخيص علتها، فتوفيت بين يدي اختها في ١٨ تموز ١٨١٧، ودفنت في كاتدرائية دفشستر.

لقد عاشت جين بعيداً عن الاحداث السياسية التي شهدتها اوروبا خلال حياتها، كمعارك نابليون واحتلاله بعض الدول ثم نهايته في واترلو، فهي لم تعتن بشيء من ذلك رغم ان اخوين لها وصلا مرتبة ادميرال في البحرية، فاستغرقت فى جو الريف وحياته الاجتماعية بكل تفاصيلها من زيارات واحاديث وتسوق وزواج وحب، **واكثر ما كان يشغلها حفلات الرقص، حيث المجال رحب للقيل والقال والتعارف واقتناص العشاق والعرسان، كل ذلك وسط وصف رائع للشخوص مع الكشف عنهم وتبيان اخطائهم وزيفهم خاصة البطلات.**

لقد رسخت جين اوستن شهرتها بين كتاب عصرها والذين بعدهم فنرى معاصرها وولتر سكوت اشد المعجبين بها، أما ماكولي فقد وضعها بين الكتاب الذين يضاهون اسلوب شكسبير وموليير، أما النقاد والكتاب الآخرون، فمن سادي (١٧٧٤ - ١٨٤٣) حتى هنري جيمس (١٨٤٣ - ١٩١٦) فقد امتدحوا ادبها واعجبوا به، أما البروفسور سينتبوري فقد قال عنها: «انها أم الرواية الانجليزية في القرن التاسع عشر كما كان سكوت أباها».




# مورجان.. ونظرية التطور الثقافي

د. يوسف خليفة غراب

يعد هنرى مورجان Lewis Henry Morgan (١٨١٨ - ١٨٨١) من المهتمين الاوائل بعلم الانثروبولوجيا وبالرغم من التفوق العلمى فى مجال الدراسات الخاصة بالانثروبولوجيا، الا انه لم يتقلد منصباً تعليميا بمؤسسة أو جامعة علمية يوماً ما. ولقد نشر اوائل بحوثه عام (١٨٥١) عن قبائل الايروكوا Iroquois التى كانت تعيش قديماً بالقرب من نيويورك وهم من الهنود الحمر.. ومن اشهر كتب مورجان كتاب «نسق روابط الدم والمصاهره في العائلة الانسانية» Systems of Consanjuinity and Affinity in the Human Family.

وقد كان مورجان كثيراً ما يلجأ الى اسلوب خاص فى استقاء المعلومات بارسال استفتاء او استطلاع او اجابات عن اسئلة عن طريق العسكريين، والمبشرين ومسؤلى الحكومة الامريكية في اماكن مختلفة من العالم. الى جانب الاعتماد على رجال السلك الدبلوماسى في الخارج.

ولقد وضع مورجان نظريته فى التطور الثقافى :

ترى النظرية ان التغيرات التكنولوجية وعواملها تؤثر فى حياة المجتمعات Technolog-ical Factor وان التغييرات الناشئة مرجعها لتلك العوامل.

ان تطور القدرات العقلية للانسان البدائى مكنخ من تطوير لغته وتوظيفها لخدمة الاتصال كذلك طور من ادواته واسلحته Wea Pons And Tools ولا زال التطور قائماً حتى وقتنا هذا.

ان مورجان يرى ان كل تقدم اجتماعى اسبابه تعود للتقدم والتطور التكنولوجي.

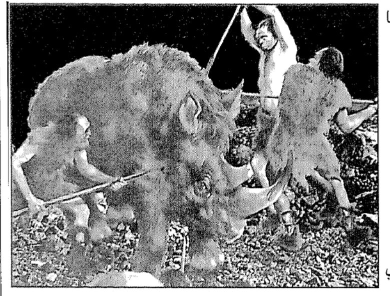
ويرى مورجان ان الثقافة فى تطورها مرت بثلاثة مراحل Stages رئيسية وهى:

١ - مرحلة التوحش Savagery
٢ - مرحلة البربرية Barbarism
٣ - مرحلة الحضاره Civilization

ان هنرى مورجان ذهب الى ان كل تغيير وانتقال من مرحلة الى اخرى يرجع الى اكتشاف تكنولوجى او تطور فى انظمة التكنولوجيا او اختراع تكنولوجي عظيم A ma-jor Technological invention ويشير أحد المراجع(١) الى الاقسام التى مرت بها الثقافة من خلال المراحل المختلفة كالتالى:

**١ ـ مرحلة التوحش الدنيا (تقسم لمرحلتين) (٢،٢)**

- تبدأ بخطى الانسان الاولى على الارض



ـ الانسان غير متحضر، يحيا كالحيوان

ـ يعيش على الصيد والقنص.

**٢ ـ مرحلة التوحش الوسطى:**

ـ هبوط الانسان الى الوادى.

ـ بدء صناعة الطعام وحفظه.

ـ بدء توظيف النار لخدمته.

ـ صقل المعادن والاحجار.

ـ استغلال البحار والانهار في الصيد.

**٣ ـ مرحلة التوحش العليا:**

ـ اختراع القوس والسهم.

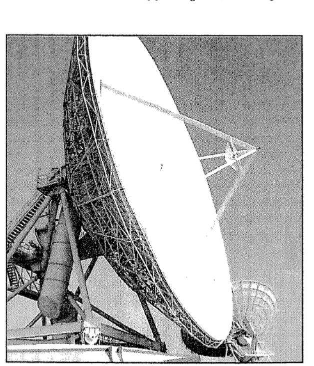
ـ استغلال النار

ـ صنع اسلحة جديدة في الصيد.

**٤ ـ مرحلة البربرية الدنيا، تقسم لثلاث مراحل (٥،٦،٧):**

ـ استغلال النار فى حرق الطين وصناعة الفخار وطهى الطعام.

ـ واستغلال طفيف للزراعة.



**٥ ـ مرحلة البربرية الوسطى:**

ـ استئناس الحيوانات وزراعة الارض.

ـ معرفة بعض طرق الرى والحرث

ـ تشييد المساكن من الاحجار والطوب.

**٦ ـ مرحلة البربرية العليا:**

ـ صهر المعادن، وسبكها وبخاصة الحديد والنحاس.

ـ استخدام ادوات مصنوعة من الحديد.

**٧ ـ مرحلة الحضارة:**

ـ اختراع حروف الهجاء والكتابة.

ـ زيادة سعة الاتصال.

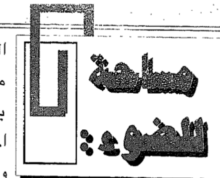
ـ صناعة ادوات الانتقال.

**وجهة نظر حول نظرية مورجان الثقافية:**

بالرغم من ان هذه النظرية قد صادفت نقداً شديداً إلا انها تضيف لنا بعض الايجابيات فى الحياة، وتشير الى العديد من السلبيات ويمكن تناول ذلك في التالى:

**اولا: ايجابيات النظرية:**

ان النظرية تربط التقدم الانسانى بالتطور والتقدم التكنولوجى، ان النظرة الى




التطور جاءن متصلة بالجانب المادى للتقدم وهذا لا يدوم او يستمر طويلاً ، ان اغفال الجانب المعنوى وبخاصة ما يتصل بالعقائد يعد مؤثراً فى النظرية، ويختلف ذلك والنظرية الاسلامية فالجانب المعنوى والروحى اساس لتطور الانسان ورقيه وتقدمه، ثمة مثال على ذلك بزوغ قوى اسلامية عديدة، رغم التقدم المادى، الا ان تماسكها ووحدتها كان اعتى من الماديات، لا يكفى ان يمتلك الانسان سيارة او يستخدم آلة ما لتغيير مفاهيم حياته، انها عامل مساعد لانجاز شيء يزول بالوصول للهدف ولكن يبقى الجانب المعنوى قائماً متماسكاً محركاً دافعاً موجها التقدم ونوعيته، فماذا يعنى التقدم فى الماديات والاخلاقيات مدمره، ولا اثر لعقيدة فى نفس البشر.

صدق «اقبال» حين قال:

اذا الايمان ضاع فلا امان

ولا دنيا لمن لم يُحي دينا

اذا كانت الثقافة تتطور بتطور التكنولوجيا فهناك فارق بين التطور والتحول والتغيير وما يحدث مجرد ظهور عامل معين ولا اعتقد ان استخدام الحاسبات الآلية قد يغير كثيراً من العلاقات الانسانية بين البشر او ارتداء ثوب جديد انتجته التكنولوجيا يمكن ان يغير مفهوم الانسانية،.

## ثانيا: فكر الغرب واحساس الشرق:

إن ما تنتجه العقول الغربية ليس بالضرورة ان يكون نقياً، بل قد يكون مجرد مثير للتفكير فى الاصوب والأحسن، ان لنا حياتنا وواقعنا وفلسفتنا فى الحياة، وليس كل ثوب صنعه الغرب يصلح لانسان الشرق، ان عالم الماده لايقارن بعالم الروح.

إن تكوين الانسان عقلياً وروحياً يجعله مميزاً بل قادرا على صنع الثقافة والحضارة من منظور اسلامي، كم دافعت شعوب لا تعرف عن العربية شيئاً سوى لغة القرآن دافعت لتُحي روح الاسلام وهي في ذروة التقدم والتطور الحضارى والانسانى.

اذا كان جوته قد اكد اختلاف الشرق والغرب بقوله: الشرق شرق والغرب غرب والشرق والغرب لا يلتقيان.

نعم فى مفهوم الحياة من اجل المادة لا مفهوم الحياة من اجل قيم الرسالات السماوية، وإلا لما التقى انسان الافغان والبوسنة، وبعض من الجمهوريات السوفيتية فى اهداف الاسلام والعمل من اجل الاسلام.

لنفكر جيداً فى كل ما يحيط بنا من فكر قبل ان تبهرنا الاضواء، ما الهدف منه وما الغاية واين هو من فلسفة الاسلام وروحه. ربما تلتقى انهر الثقافة في الغد في نهر واحد مصدره رسالة السماء.

---

الهوامش:

(١) على محمود اسلام الفار، الانثروبولوجيا الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٧٨، ص٣٣ (بتصرف).

مساحة للضوء:

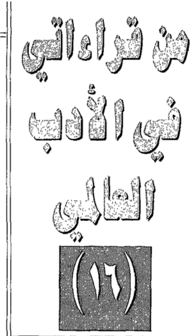
## من الشعر الاسباني المعاصر:

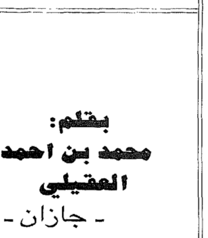
# مالقة مدينة من الجنة

شعر: **فيسانت الكسندر** ترجمة: **ساسي حمام**

إنك قائمة دائما في عيني
معلقة بهذا الجبل العظيم على وشك السقوط.
بغطستك العمودية في الموجة الزرقاء
ثابتة في الفضاء كأن يدا طيبة
شدتك، لحظة نصر، قبل أن تغرقي في اللجج
العاشقة
لكنك صامدة لا تتدحرجين أبدا، والبحر وراءك
يتأوه ويتضرع، يا مدينة أيامي الحلوة.
حاضرة ناصعة البياض هناك عشت أيامي،
إني اتذكرك
مدينة ملائكية، مشرفة على البحر تحرسين
زبده،
شوارع، شوارع قليلة الانحدار، منسجمة،
حدائق
تزدان بالأزهار الإستوائية، منتصبة اوراقها
الفتية
النخيل تحفة الأضواء، يتداعب فوق الرؤوس
اشراقات النسيم تتدلى
لأن شفتيها سماوية مبحرة
نحو الجزر الخيالية البعيدة
سابحة، حرة، في السماء اللازوردية.
هناك ، هناك عشت، ايتها المدينة اللطيفة،
ايتها المدينة العميقة

هناك، أين الشبان يمشون على أحجار المحبة
وأين الجدران الزاهية تقبل دائما من يمرون
ويرجعون، جدران فوارة متلألئة.
هناك، بيد حنونة كنت مقودا
من سياج زاهر، الى قيثارة مزينة
ربما كانت تردد الأغنية الخالدة
الليل يكون هادئا، أهدأ منه العاشق
تحت القمر الخالد الذي يمر في كل لحظة
نفثة أزلية كانت يمكن أن تقوضك
إن أناسا عاشوا في حلم، لم يعيشوا
انعكاسات لا نهائية
حدائق وأزهار والبحر الخافق يدا تشتهيك
ايتها المدينة المعلقة بين الجبل والهاوية
ايتها المدينة الناصعة البياض، في الجو، حياة
وحركة كالطائر المحلق
الذي لن يصل ابدا، يا مدينة خارج الأرض
بتلك اليد الحنونة كنت محملا، اتقدم
خفيفا، في شوارعك الخيالية، الأرجل حافية
في رابعة النهار
الأرجل حافية في الليل، القمر متلألئ،
الشمس ساطعة
السماء هناك، أنت تحمينها
يا مدينة معلقة، مفتوحة الجوانح.



بقلم:
محمد بن احمد
العقيلي
- جازان -




إن أمريكا التي هي الآن سيدة العالم سياسياً وحربياً، لم تكن قبل اكتشاف (كولمبس كريستوفر) سنة ١٤٩٢م سوى قارة مجهولة غير معروفة للعالم أي قبل خمسمائة عام تقريبا»

ولم تكن قبل عام ١٧٧٦م وهو تاريخ اعلان استقلالها عن بريطانيا إلا مستعمرة انجليزية وكانت ولا تزال لغة وأدباً انجليزية الطابع.

ومن سيرة بنجامين فرنكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠م) يطّلع القارئ على الكثير من تاريخ استقلالها ومشاركة ذلك البطل السياسي، بل ومن سيرة تلك الشخصية سيلم القارىء ببعض تاريخ الأدب الأمريكي.

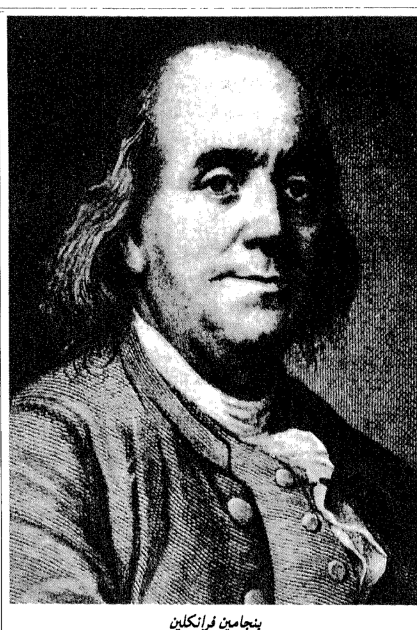
«ربما كان من الملامح الواضحة للسيرة الذاتية لتلك الشخصية أنها عمل لم يتم لأنه لا يشتمل على آخر ثلاثين سنة من حياته وخاصة تلك السنوات التي قضاها في انجلترا وأمريكا حيث اكتسب شهرته كرجل دولة ودبلوماسي، لذلك لا نجد في سيرته ما يستحق الذكر من معارك حرب التحرير الأمريكية سوى انعكسات قليلة على المراحل المبكرة في حياته لذلك الحدث الجليل».

لقد كان في تلك الفترة لا يزال من الرعايا البريطانيين ويقول (رالف كيتشام) ما نصه حرفياً: «ليس من باب الصدمة أو الإهانة لفرنكلين أن نتهمه في أي فترة من الفترات التي غطتها سيرته الذاتية بأنه لم يكن سوى انجليزي يدين بالولاء لوطنه على حين يعيش في امريكا الشمالية».

«ومع ذلك كانت ذكريات صباه المبكرة تدور حول الانتصارات المجيدة التي أحرزتها انجلترا العريقة على (لويس الرابع عشر)، وليست حول الإنجازات التي حققتها نيو انجلند - انجلترا الجديدة - كان يعتبر رحلاته إلى انجلترا بمثابة العودة إلى الوطن مثله في ذلك مثل كل المستعمرين تقريباً في ذلك الوقت».

«وعندما اشتغل ببيع الكتب في (فيلادلفيا) كان فخوراً بإقبال الناس على شراء مؤلفات (بوب واديسون( وغيرهما من كتاب انجلترا الذين قوبلوا بإعجاب أشد من ذلك الذي قوبلوا به في لندن

نفسها».
كما كانت تعتقد تلك الشخصية في عام ١٧٥١م أن الأمبراطورية البريطانية - كما وصفها - بأنها العائلة المتناغمة المتزايدة في القوة والازدهار والحرية على شاطيء الأطلنطي.
«ولقد حزن عند هزيمة (برادوك)أمام حصن (داكينز)، وكان فخوراً عند انتصار (وولف)(٥) في كويبك بدرجة لا تقل عن (وليم بت) نفسه».
«وفي أثناء الستينات من القرن الثامن عشر تعود فرانكلين أن يمدح الأمبراطورية البريطانية بأنها أعظم كيان سياسي استطاعت الحكمة الانسانية أن تقيمه».
«كما كتب يقول: إن في انجلترا في كل ضاحية تقريباً عقول اكثر حكمة وفضيلة من مثيلاتها في أمريكا، وخاصة إذا ما قيست الضاحية بثلثمائة ميل من غاباتنا الواسعة».



*بنجامين فرانكلين*

وبالرغم من ولائه المعروف للامبراطورية الإنجليزية واعتزازه بالشعب الانجليزي فإنه في آخر حياته شارك مواطنيه في الاستقلال وحرب الاستقلال عن بريطانيا، ويقول عن تلك المرحلة مؤلف سيرته: «تلك أولى الخطوات الواعية في طريق استقلال أمريكا خطوة سيطرت على فكره عندما بدأ في اكتشاف الزيف والادعاء وضيق الفكر المسيطر على الإنجليز».
وأخيراً في عام ١٧٧٥م أعلن من لندن أن الفساد الفظيع المتفشي بين جميع أنماط الناس في هذه الدولة العجوز.. كان خطرا لدرجة أنه لا يستطيع أن يتنبأ الا بالمزيد من الضرر لا النفع من اتخاذ اشد قوة بين المستعمرات والبلدة الأم..».
إن فرنكلين مثل زملائه المطالبين بالاستقلال، فقد ركز نشاطه وتبنى انتباهه المتحفز في اعداد وصياغة الهدف القومي للاستقلال، وعندما عاد إلى أمريكا الشمالية تمثل ذلك الهدف وكان انشغاله ينصب على عمل دستور (بنسلفانيا) والدستور (الفيدرالي) وابراز ذلك عملياً بمثابة إعلان للمرحلة المستقبلية، كما كانت تصريحاته في فرنسا فيما

يختص بالخطوط الرئيسية لسياسة امريكا المستقلة وصياغة معنى جديد للكيان والشخصية القومية الأمريكية، وما يمكن ان يتميز به وطن الولايات المتحدة المستقل وماذا ستكون عليه عادات أهلها واتجاهاتهم وخصائصهم الوطنية والقومية، وكان همه في ذلك القرن الهدف إلى تركيز كبير لتشكيل ملامح الشخصية القومية والخصائص الامريكية في الدولة الجديدة.

وكان يقول ويستلهم في تفكيره خصائص الشعوب الناجحة وما تنفرد به من مزايا ليضع السياسة القومية الأمريكية على ما يجب أن يتحلي به الشعب الامريكي وشخصيته.

**فمثلا كان يقال عن (الأسبان) أنهم يتميزون بالشجاعة والغموض والقصور، وإن الإنجليز يعرفون بأنهم تجار عمليون وغير عاطفيين ، وأما عن الفرنسيين فيقول قد اشتهروا بالرقة والفن. ويقول: «كان المفروض لكل أمة أن يكون لها دلالة خاصة وشخصية محددة من خلال تاريخها ومن الإنطباع الذي يتركه على الزائرين مناخها وملامح أرضها».**

**إلى أن يتطرق - في ذلك الوقت - إلى عدم وجود عمق تاريخى لأمريكا يجعلها تستمد منه تراثها وأمجادها واختباراتها الحربية والسياسية واعتزازها بذلك الماضي الذي هو للشعوب والدول كالأساس للبنيان أو كالينابيع والأمطار التي تتكون منها الأنهار** فيقول: «ومعظم الأمم تملك ماضياً طويلا غامضاً نبعت منه شخصيتها بمنتهى البساطة. أما الولايات المتحدة الجديدة من ناحية أخرى فتستطيع أن ترى أصولها بوضوح وبتحديد بالإضافة الى ذلك فإن معظم سكانها من البريطانيين وأقليات المانية وهولندية وفرنسية، وغيرها في بعض الولايات لكن هؤلاء الأوربيين الذين نقلت جذورهم الى تربة مختلفة حتى في الأيام الأولى للإستعمار - كانوا يبدون سلالة مختلفة من البشر دون ادراك واع لهذه الحقيقة الغريبة».

**كانت الأرض المفتوحة الواسعة، ونوعية الهجرة عبر المحيط والدافع وراء مغادرة الوطن وغير ذلك - قد منحتهم شخصية جديدة، فعندما حقق المستعمرون الأوائل الاستقلال انضموا إلى الأوربيين في تساؤلهم - لكن باصرار وفذلكة متزايدة مرددين سؤال: «من يكون الأمريكي هذا الرجل الجديد؟!».**

ولا نروح بعيداً في الإجابة والتفسير فإن صاحب سيرته الذاتية قد أجاب على السؤال بقوله: «إن سيرة فرنكلين قد أجابت عن هذا السؤال أفضل من أي عمل آخر وساعدت بهذا في شرح مع التأكيد في تجديد اكثر العناصر - القومية - ويقول صاحب سيرته «يبدو أن حياة فرنكلين في (بوسطن) وفي (فيلادلفيا) حتى بلوغه الخمسين كانت بمثابة افتتاح لعصر جديد في التاريخ الإنساني لما تحمله من دلالات ملحوظة».

«لقد جسدت الخصائص التي شرحها فرنكلين لنفسه في عام ١٧٨٢م، وقال عنها: إنها مفيدة لهؤلاء الذين قرروا الهجرة إلى أمريكا، ويقول إن سيرة فرنكلين - التي نشرت آنذاك - كانت مثالا حياً بل وألهمت الشباب المتحمسين للسير على خطاه وأن يعيشوا نفس تلك السيرة كأسلوب جديد للحياة الجديدة التي حكتها سيرته الذاتية».

**ويقول (توماس ميلون) المهاجر الأيرلندي ومؤسس امبراطورية البنوك العظمى: عندما قرأ تلك السيرة الذاتية لفرنكلين سنة ١٨٢٧م، وكان حينئذ يعمل في زراعة فدادين أبيه القليلة في غرب (بنسلفانيا) صارت سيرة بنجامين فرنكلين نقطة تحول في حياته - يعني أنه جعل من تلك**

**السيرة نهجاً جديداً يترسمه.**

كما يقول (جاريد سباركس) الذي تربى في مزرعة (كوينتكت) فهو بدوره يعترف بقوله: «كانت سيرة فرنكلين سبباً في شحن طاقاته العقلية وحفزته على اتخاذ قراراته.. وعلمته أن الظروف ليس لها أي سلطان على العقل».

يعترف الكثير بما أسدت اليهم سيرة فرنكلين من التوجيه والإرشاد في حياتهم العملية والاجتماعية من توجيهات رشيدة وآراء سديدة، ومنهم (سباركس) الكاتب الأمريكي المشهور، ورئيس كلية هارفارد. **وهناك أيضا احد رواد الطباعة في (فلورنسا) شرح كيف كان رجلا ضائعاً في سن الخامسة والثلاثين فقال: «لقد قرأت سيرة فرنكلين الذاتية مرات ومرات إلى أن أصبحت عاشقاً لأفكاره ومبادئه فوجهتني توجيهات سديدة - حتى قال ما معناه - والآن وقد بلغت الحادية والخمسين فقد أصبحت من الصحة والبهجة والثراء بمكان»، ويقول مؤرخ حياته: «لقد ترجمت السيرة الذاتية لفرنكلين إلى عشرات اللغات وأعيد طبعها مئات المرات أكثر من أي وثيقة - أو أي مؤلف - أو وثيقة أخرى استطاعت أن تلقى الأضواء وتقدم للآخرين المعنى الكامل للنهضة الأمريكية.**

ويقول المؤلف لم تستمد قصة فرنكلين مضمونها من المواقف البطولية بالمفهوم التقليدي، ولم تحك عن اهدار الدماء ولا عن لقاءات الدهاليز ولا عن مؤامرات وراء الكواليس، ولم تحدد أي طريقة غامضة لبلوغ مرتبة - القيادة - بل وصفت حياة فرنكلين التي بدأت من مرتبة متواضعة يسهل التعرف عليها ويتفهمها الملايين وليس المئات، بل سار سيرة شخصية كأي انسان سيرة واضحة ومألوفة وبسيطة بل هي لشخص في عالم مألوف لهم يستطيعون قراؤها التوحد والتواجد معه بسهولة. **إن قصة حياة فرنكلين مع تلك البساطة المحببة إلى نفوس قومه مع كل ذلك تتميز بالانبهار بطريقته الخاصة فإنها تلتقي هي والقارىء على أرضية بسيطة وتقص عليه في كل صفحة من صفحاتها أن ما فعله فرنكلين يمكن لأي انسان آخر أن يقوم به من خلال حسن السيرة وكريم السلوك والإخلاص في العمل والإلتزام بأوامر الدين والتواضع لله والعطف على الناس، هذا ما يصفو به فرنكلين كتاب سيرته ومؤرخو حياته.**

ويقول كاتب سيرته، لقد كان هدف السيرة الذاتية توضيح الخطوات العملية الأولى، لكي توضح للإنسان العادي الإمكانات الضخمة التي تكمن في داخله، كما أن نجد وصف فرنكلين لتقاعده عن العمل في الثانية والأربعين من عمره، ثم تكريس حياته للعلم والأدب وخدمته الطويلة للشعب - وعلي الرغم من أساليبه البدائية لتحقيق الفضيلة بل وحتي افتراضاته الضحلة عن الطبيعة البشرية - فإن الصفة العامة التي تمثلت في حياته التي وصفها في السيرة الذاتية لا تمت إلى الوضاعة أو التفاهة أو الإحساس الغليظ بأي صله.

**لقد كانت تلك الحياة بالنسبة إلى جميع البشر - والتي حببته للنفوس - زاخرة بالعمل والتسامي والتحدي والأصالة، ومن ثم فهي سيرة عصامي حاز اعجاب الشعب ومحبة مواطنيه.**

ونختتم هذه الكلمة بقول المؤلف «إن الاستقبال الحار التي لقيته السيرة الذاتية لبنجامين فرنكلين في جميع انحاء العالم قد جسدت بعض القيم المتعارف عليها للشخص الناجح في حياته وخدمة مواطنيه للعمل الصالح لوطنهم.

* **«من كتاب - بنجامين فرنكلين سيرة ذاتية - بقلم: رالف - ل. كيتشام - ترجمة د. نبيل راغب**

# اتجاهات حديثة في التقويم التربوي

د. كمال كامل
أبو سماحة
عمان ـ الأردن



## مقدمة:

ان الالتزام بمبدأ التقويم المستمر للعملية التربوية للكشف عن المعوقات وابتكار الحلول أمر ضروري لابد للمسؤولين من الاهتمام به لمعرفة الخطوات التي تم تنفيذها ومدى مسايرتها لمتطلبات العمل، ومدى اقترابها او ابتعادها عن الاهداف المرسومة. وهناك عدد من التعريفات لعملية التقويم من أهمها تعريف بلوم(١) الذى يرى ان التقويم هو «اصدار حكم لغرض ما، ويتضمن استخدام معايير لتقدير مدى كفاية الأشياء ودقتها وفعاليتها»، أما ستفلبيم(٢) فيرى أن التقويم هو «العملية التى يتم من خلالها تخطيط وجمع وتزويد معلومات او بيانات مفيدة للحكم على بدائل القرارات» ويعرف «ساندرز وكننغهام(٣) التقويم بأنه «عملية تقرير قيمة أو جدوى عملية أو ناتج ما» ويعرف كوفرت(٤) بأنه «سلسلة من المقاييس المتعلقة ببرنامج ما لاغراض الوصف والمقارنة والتحليل والفهم والتوضيح».

ويتألف التقويم من عمليات متتابعة تؤلف دائرة مستمرة، ولهذا ينبغي أن ينفذ من خلال برنامج منظم، ويضم التقويم ثلاث عمليات هي: وصف وتحليل وتقديم المعلومات، ويستخدم وسائل وأساليب علمية موضوعية لجمع البيانات. وتؤلف هذه الأدوات ما يُعرف بالقياس.



*الدراسة علي الكمبيوتر*

**قواعد أساسية للتقويم التربوي:**

١ - يجب ان تتركز عمليات التقويم على المنفعة والاستخدام، كما يجب أن يكون المقوِّمون مدربين تدريباً كافياً.

٢ - الاستجابة السريعة عملية ضرورية لممارسة تقويم فعال وأخلاقي.

٣ - يجب أن يكون المقوِّمون مستعدين للقيام بأدوار متعددة منها:

«دور العالم، ومستشار للبرامج، ومراقب دقيق، واخصائي في الاحصاء والادارة ، ودبلوماسي وسياسي ومؤلف.

٤ - يجب ان يتحمل المقوِّم مسؤولية النتائج التي يتم التوصل اليها وأثرها في اتخاذ القرارات.

وهكذا فان عملية التقويم تعتبر في الأساس الاسلوب الأمثل للتأكد من سلامة الخطة واكتشاف عناصر القوة ومواطن الضعف فيها، إضافة الى أنها تعطي مؤشراً محدداً لاحداث التطوير في البرامج التدريبية والارتقاء بها كلما دأبت المؤسسة التربوية في التحضير والتخطيط لها.

**الخصائص التي يجب توفرها في التقويم التربوي:**

١) **الموضوعية** Obgectivity :

وتعني أن النتائج لا تعتمد على حكم أو رأي المقوم الشخصي لكن اذا تم استخدام أسلوب التقويم بطريقة موضوعية، فان مقوِّمين متعددين سيتوصلون الى نفس النتائج تقريباً اذا ما اتبعوا نفس الطريقة او الأسلوب المعيّن.

٢) **الصدق** Validity :

يجب ان تكون أداة التقويم لها معنى وفق الأهداف التى تهدف الى قياسها ، ولذا فان ادراك مدى صدق الاداة يعتبر هاماً وضرورياً في عملية التقويم.

٣) **الثبات** Realibility :

وتشير الى توافق وانسجام واستقرار الاداء بالنسبة لأداة القياس، وتستخدم للتأكد من أن الاداء سيكون متشابها في ظروف مختلفة، وسيتم التوصل الى نفس النتائج.

٤) **الابتعاد عن التحيز** Freedom From Contamination :

يجب ان لا تخضع اداة التقويم الى تأثير متغيرات محلية على اداء الفرد بحيث تؤثر بالتالي على النتائج. وان معرفة المتغيرات التي تسبب التحيز من خلال استخدام اداة التقويم يساعد المقوّم على تفسير وتحليل النتائج.

٥) **توزيع النتائج** Distribution of Results :

يجب أن تميز ادارة التقويم بين المتعلمين لكي

يتم التوصل الى نتائج متشابهة حتى لو تم استخدام ادوات تقويم مختلفة وحتى يكون للنتائج معنى، فانه من الضروري معرفة أن المتعلمين سيكتسبون نفس المهارات تقريباً.

**٦) العملية Practicability :**

يجب ان يكون بمقدور المقوِّم استخدام أداة التقويم وتفسير وتحليل نتائجها، غير أن بعض أدوات القياس النفسية تكون غالباً خارجة عن نطاق معرفة معظم المقومين، ولهذا فانها تعتبر غير عملية، ومن الضروري والحالة هذه ان يكون تطبيق اسلوب التقويم سهل الادراك والفهم والادارة.

## بعض أساليب التقويم التربوي:

**١ - المقابلة Interview :**

وهي عبارة عن مواجهة شخصية بين الرئيس او المسؤول التربوي وبين المتعلمين بهدف التعرف على احتياجاتهم التعليمية، وعند اجراء المقابلة، يجب مراجعة الأسئلة للتأكد من أنها تلبي الهدف من المقابلة، وان يصغي القائم على المقابلة بعناية للأفراد، ولا يستنتج الاجابات، وأن لا يملي افكاره على الحاضرين او ينحاز لبعض الآراء، أما مزايا المقابلة، فانها تظهر شعور الافراد بالمشكلات وأسبابها والحقائق المتعلقة بها، وآرائهم لحلها، كما تعطي للمتعلمين فرصة كافية لابداء الآراء وتقديم المقترحات بحرية تامة، الا أن للمقابلة عيوباً أهمها: أنها تتطلب وقتاً طويلا، ولا يمكن تطبيقها الا على عدد محدود من الناس، وقد تؤدي المقابلة الى نتائج يصعب تطبيقها أو تحديدها ، كما يمكن أن يتولد احساس لدى بعض المتعلمين بالحرج، وأنهم واقعون في مأزق يتوقف عليه مستقبلهم.

**٢ - الاستبانة Questionnaire :**

وهي عبارة عن استمارة تشمل عدة اسئلة مطلوب الاجابة عنها، ويقوم بوضعها المسؤول التربوي او الرئيس المختص بهدف التعرف على الاحتياجات التعليمية او التقويمية وهناك عدة نقاط يجب مراعاتها عند وضع الاستبانة أهمها: أن تكون الاسئلة واضحة لا لبس او غموض فيها، ويفضل ان تكون الاجابات المطلوبة على هيئة علامات او اشارات (صح أو خطأ) يقوم الفرد المعنى بوضعها في المكان المخصص لها حتى يسهل حصرها وتبويب بياناتها، ويجب أن تكون الاسئلة بعيدة عن التعقيد ولا ترهق المتعلم عن الاجابة عنها، وان تكون موضوعة بحيث تلبي الغرض الذي وضعت من أجله الاستمارة.

ومن مزايا الاستبانة انها يمكن أن تصل الى اكبر عدد من الافراد في أقصر وقت، فضلا عن أنها قليلة التكاليف، وتقدّم بيانات مركزة وواضحة، ومن عيوبها، انها لا تعتبر دليلا كافياً للتعبير الحر عن الاجابات غير المنتظرة او المتوقعة، كما يصعب اعدادها الا من قبل مختصين بشؤون البحث والتقويم التربوي، فضلا عن فاعليتها المحدودة في الوصول الى اسباب المشكلات والحلول الممكنة لها.

**٣ - الاختبارات : Tests:**

وهي إما ان تكون اختبارات شفوية او تحريرية ويلجأ اليها المسؤولون بهدف الوصول الى الحاجات التعليمية او تقويم العملية التربوية، ويجب ان لا تستخدم نتائج هذه الاختبارات في أي غرض آخر خلاف الهدف الذي حُدِّد لها.

وتستخدم الاختبارات كوسيلة لتحديد وتشخيص أوجه القصور في الاداء، وتساعد في تخطيط العملية التعليمية التعلميّة مستقبلا، كما أن نتائجها سهلة المقارنة والتسجيل، الا ان الذي يحدث غالباً عدم توفر الاختبارات المناسبة لقياس مواقف معينة، اضافة الى ان الاختبارات المقننة Stan-dardized Tests التي ثبت صلاحيتها في ظروف معينة قد لا تصلح في مواقف أخرى وأن الاختبارات تعطي مؤشرات عامة ولا تعتبر نهائية في تقويم أداء الفرد للعمل او التعلم أو التدريب.

٤ - تحليل المشكلات Problem Analysis :

من أهم وسائل نجاح العملية التعليمية/ التعلمية تحليل المشكلات التربوية ومعرفة أسبابها الحقيقية، وغالباً ما يساهم التعليم والتدريب في علاج هذه المشكلات بكفاءة ولدى اجراء عملية تحليل المشكلات، يجب ان يتم تتبع خطوات العمل الذي نتجت فيه المشكلة، والتعرف الى المراحل التي قد تكون سبباً فيها، كما يجب دراسة المشكلة مع الافراد المعنيين بها ودراسة آرائهم في اسبابها وكيفية علاجها مع تحديد الاجراءات اللازمة لحلها.

ومن حسنات هذه الطريقة، زيادة التفاهم والاتفاق بين المسؤولين والمرؤوسين، وتقديمها نفس النتائج التي تقدمها المقابلة، والربط والتنسيق بين وجهات النظر المختلفة، اضافة الى اعتبارها وسيلة جديدة لتعليم الطلبة وتدريب المجموعات والتعرف الى حاجاتهم وآرائهم وتقويمهم لعملية التعلم/ التعليم نفسها، غير ان هذا الاسلوب يستنفد وقتاً طويلا ويحتاج الى تكاليف كبيرة، وربما يشعر المشرفون او المنفذون لعملية التقويم أن وقتهم لا يسمح لهم بالاشتراك في ذلك ويحتاجون الى غيرهم للقيام بهذا العمل وتجهيزه لهم. وقد تتراكم المشكلات مع بعضها، ويصعب تقويمها وايجاد الحلول المناسبة لبعضها.

٥ - تقويم الأداء Performance Evaluation :

يعطي تقويم او مراجعة الاداء في الواجبات الوظيفية مؤشراً واضحاً عن الأعمال التي لم تنجز وأسباب عدم انجازها، كما يبين فيما اذا كان الطلبة او العاملون بحاجة الى المزيد من التدريب، وعندما يتم استخدام هذه الطريقة فانه يجب ان تكون المراجعة مع المسؤول المختص بهدف كشف أية معوقات قد يكون للتدريب اثر فعال في علاجها، كما يجب التأكد من أن المراجعة تتم بالنسبة للأعمال العادية وللاداء الطبيعي. ويمكن أن يقسم العمل الى خطوات ليسهل التقويم، لكن على المقوِّم ان يكون على اطلاع ودراية بالطرق العملية والعلمية للتحليل ومراجعة الاداء واستنباط الطريقة او الطرق التي تساعد في كشف الحاجات التعليمية/ التعلمية، ويعتبر هذا الاسلوب مفيداً لأنه يقدّم معلومات معينة ودقيقة عن واجبات الوظائف والاداء ويرتبط ارتباطاً وثيقا بالوظائف وأنواع التدريب المعينة، لكنه يستنفد وقتاً طويلاً ويصعب على من لم يتدرب على وسائل تحليل الوظائف القيام به، إضافة الى أن غالبية العاملين او الموظفين لا يحبذون مناقشة نقاط القصور أو الضعف في الاداء معهم شخصياً، الا ان هذا الاسلوب يكشف النقاب عن الحاجات التدريبية او التعليمية للافراد لكنه لا يبيّن حاجات المؤسسة التعليمية العامة من التدريب.

٦ - دراسة تقويمية للتقارير والسجلات Evaluation Study of Reborts and Records :

تبيّن الدراسة التقويمية للتقارير والسجلات نقاط الضعف التي يمكن علاجها بالتدريب، غير ان هذه الوسيلة يجب ان تستخدم بالاضافة الى احدى الوسائل المار ذكرها، بحيث يكون الهدف من الدراسة كشف الحاجات التدريبية او التعليمية وليس أي غرض آخر، ويجب أيضاً الاستناد الى تقارير المختصين ومراجعتها على البيانات المتوفرة في السجلات والتعرف الى أوجه الضعف في الاداء الممكن علاجها بالتدريب.

ومن مزايا هذه الطريقة أنها تظهر مشاريع الاداء بوضوح تام، وتقدم معلومات واضحة للرؤساء ولمسؤولي التربية والتعليم، فضلا عن تقديمها أفضل المقترحات لعلاج نقاط الضعف وتحديد نوع التدريب اللازم.

الا أن اسلوب الدراسة التقويمية للتقارير والسجلات لا يكشف عن أسباب المشكلة بدقة عادة، كما ان بعض التقارير قد تتميز بعدم الموضوعية لكي يتم أخذها بالاعتبار عند تحديد الحاجات التعليمية/ التعلمية.

**تحديد معايير للتقويم التربوي:**

يرتبط تحديد المعايير بالسؤال «كيف تعرف؟» أو «كيف أنك استطعت تحقيق/ أو حصلت على/ تقدم تجاه هدفك؟ وتشير المعايير الى القيم الاكثر أهمية في اصدار الحكم حول برنامج ما أو اجراء معين.

ويمكن للمعايير او اجراءات المعايير أن تأخذ أشكالا مختلفة ومتعددة طبقاً لتقييم اولئك الذين لهم علاقة مباشرة بتقويم برنامج ما أو اجراء معين، كما يمكن أن تتضمن: نتائج اختبار/ قياس اتجاهات/ آراء مجموعة من الناس/ عدداً من التفاعلات بين المعلم وتلاميذه خلال حصة دراسية معينة/ عدد الطلبة الذين أنهوا دراستهم الجامعية في موضوع الرياضيات/ عدد الطلبة الذين حصلوا على وظيفة في مجال تخصصهم/ وكلفة الطالب... الخ. الا ان المعايير التي يتم اختيارها يجب ان تعكس اهداف البرنامج، وعلى سبيل المثال، اذا كان البرنامج يهدف الى تحسين مهارات الكتابة الفنية، فان المعايير التي يجب أن يقوّم بها البرنامج يجب ان تعكس الكفاءة والفعالية في الكتابة الفنية، ومن المهم ان يتفق المؤيدون والمعارضون لبرنامج ما على المعايير التي سيتم استخدامها في التقويم، لأن تلك المعايير تمثل الاجراءات التي تقاس بوساطتها مدى تحقق البرنامج التعليمي او المشروع.

الا أن تحديد المعايير عملية صعبة نوعاً ما، لكنها ذات قيمة اذا ما تم تنفيذها بدقة، كما يجب أن تفهم المعايير ومحدداتها بوضوح من قبل كافة المشاركين في الاجراءات التقويمية، ومن الافضل في العادة اشراك جميع اولئك الذين سيتأثرون بالتقويم عند عملية اختيار المعايير، رغم ان ذلك ليس سهلا في كافة الأحوال.

**اجراءات ضبط النوعية:**

ان وضع معايير كافية ومناسبة هي الخطوة الاولى في تطوير طريقة لضبط النوعية للاجابة عن السؤال: «كيف تعرف؟» ويمكن أن تتضح العملية في الرسم التوضيحي

**وهناك أربع طرق أساسية للتأكد من النوعية أو ضبطها هي:**

**١ ـ تحديد المعايير الكافية والمناسبة.**
**٢ ـ ايجاد البدائل.**
**٣ ـ ممارسة الضبط الداخلي.**
**٤ ـ ممارسة الضبط الخارجي.**

وفي كل من هذه الطرق، فانه من الضروري اجراء مقارنات مع بعض وسائل القياس التي تمثل «ماذا يجب ان يكون»، او ما الذي سيحسن او يعمل على تطوير البرنامج أو الاجراء الحالي، وعلى سبيل المثال، وفي استخدام المعايير فانه من الضروري مراقبة (أو مقارنة) التقدم فيها، لأن المعايير هي المقاييس التي يتم بوساطتها تحديد التقدم. أما في عملية ايجاد البدائل، فان البدائل هي المقياس الذي بواسطته يتم اصدار

لماذا ؟ — ماذا ؟ — كيف ؟ — كيف سنعرف ؟

الحاجات ← الغايات ← الأهداف ← العمليات ← ضبط النوعية — المعلوما

# نموذج تقويم « مارفن الكن »

## تقدير الحاجات:

يمكن تعريف الحاجة بأنها التفاوت بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون، وعندما يتم تحديد الحاجات يجب ان ترتب حسب الأولوية، لأنها تعتبر الأساس في وضع اهداف البرنامج التعليمي.

## تخطيط البرنامج التعليمي:

يتم استنتاج أهداف محددة وقابلة للقياس، وتوضع خطة تتضمن الوسائل لتحقيق تلك الاهداف كما يتم تحديد اجراءات واستراتيجيات ونشاطات البرنامج التعليمي

يشكل هذان النوعات التقويم البنائي او التكويني أو تقويم العملية

## التقويم التنفيذي:

يتم تحديد التفاوت بين الخطة والواقع.
هكذا يتم التحقق من مدى صحة وفعالية البرنامج ومطابقته للتصميم، أو اجراء التعديلات المناسبة عليه.

## تقويم التقدم والارتقاء (تقويم التقويم):

تتم مراقبة مؤشرات التقدم لتحقيق الاهداف، ويمكن اجراء بعض التعديلات لتصحيح مسار البرنامج ومطابقته للاهداف.

## تقويم الناتج

تمثل هذه الخطوة المرحلة الختامية للتقويم حيث يتم التعرف فيما اذا تم تحقيق الاهداف ام لا، كما تتضمن هذه المرحلة عادة تحليلا لمظاهر قوة وضعف البرنامج، مع وضع توصيات لاجراء التعديلات مستقبلا اذا كان ذلك مناسباً.

الحكم على الاجراء الحالي: وهل البدائل أفضل من الممارسات الحالية؟

أما ضبط النوعية الداخلي، فهو محاولة للاجابة عن السؤال: «كيف نفعل شيئاً ما؟» على اساس مستمر، ومرة اخرى فان الاجابة عن السؤال يجب ان تتم عن طريق الرجوع الى نموذج او معايير او بدائل مع مرور الزمن، ومن اكثر الوسائل أهمية التي غالباً ما يغفل عنها في الجهود التقويمية، هي تحليل المتغيرات في متغير معين مع مرور الزمن، وتسمى هذه الوسيلة «تحليل التسلسل الزمني (Time Series Analysis) حيث يتم قياس المتغير من فترة لأخرى، ثم يتم تحليل النتائج لمعرفة ما إذا كانت هناك مظاهر ايجابية او سلبية في ذلك البرنامج التعليمي أو المشروع التربوي.

---


المراجع:

(١) Bloom, B.S. Handbook on Formative and – Summative Evaluation of Student Learning, New York, Mcgraw Hill, 1971.

(٢) Stufflebeam, Daniel l, Educational Evalulion and Decision Making , Itasca, Il F.E. Peacock Publishes Inc., 1971.

(٣) Sonders and Cunninghan, A Stracture For Formalive Evaluation in Product Derelogment, Review of Education Reseach, 34 (2).

(٤) Couvert, Roger The Evaluation of Litecacy Programs paris , Unesco, 1979.

(٥) Alkir, Marvin C, A Theory of Evaluation Center For The Stady of Evaluation, UCLA Grateare School of Education Los Angeles, California Angust 1971.

# لغة الأطفال



بقلم: أ.د.
مصطفى رجب
وكيل كلية التربية - مصر -

مهارات لغوية مهارات لغوية مهارات لغوية مهارات لغوية مهارات لغوية مهارات

توجد فروق بين الأطفال في لغتهم تبعا للفروق الفردية فيما بينهم، وهذه الفروق قد تكون في القدرة على التعبير، أو في النطق وإخراج الأصوات، أو في الطلاقة، أو في ترتيب الأفكار، أو في سعة القاموس اللغوي. ويرجع بعض هذه الفروق الى عوامل وراثية، كما أن بعضها الآخر يرجع إلى عوامل التنشئة الاجتماعية في البيئة.

فالطفل يولد وهو مزود بحاجة فطرية الى التعبير، وبنزعة قوية إلى محاكاة ما يستمع اليه من أصوات فيعمد الى المناغاة والتلاعب بالأصوات، وبقدرة فطرية على تعلم اللغة، واكتساب مهاراتها وهذا ما نسميه في علم النفس بالنمو اللغوى عند الاطفال. واللغة ظاهرة اجتماعية، والطفل يعيش في بيئة يستمع فيها الى من يحيطون به، وهم يتحدثون ويعبرون ويتفاهمون، وهو يستمد من هؤلاء نماذج الأحاديث التى يحاكيها، وأهم من ذلك أن هؤلاء المحيطين به والمقربين اليه يستجيبون عادة للأصوات التي يحدثها هو، وتؤدى هذه الاستجابة الى أن يتحقق الطفل بالتدريج أنه يستطيع أن يستخدم الحديث كوسيلة يضمن بها تعاون الآخرين واستجابتهم لاشباع حاجاته.



والاطفال يختلفون فيما يرثون من قدرات واستعدادات لغوية، فمنهم من يولد وهو مزود بقدر كبير من الأصوات التعبيرية، فهو منذ البداية أقدر على التعبير من غيره ومنهم من تكون له أذن واعية دقيقة في تمييز الاصوات، ومنهم من يكون أكثر استعدادا للمحاكاة، أو أذكى في استيعاب اللغة.

فالطفل يبدأ حياته بالصياح يعبر به عن ذاته، وما هو الا أن ينتهى عام حتى يلفظ ببضع كلمات، وما هو الا عام آخر حتى يبدأ فى استخدام الحديث التقليدى ، الذي يبدأ بالكلمات البسيطة ثم المركبة.

**ومما تجدر ملاحظته في خلال هذا النمو:**

١) أن نطق الطفل وطريقته في إخراج الأصوات يتأثران بما يستمع اليه من نطق الكبار، فالطفل يميل الى اصطناع نفس طريقة الذين يحيطون به، ويتم ذلك بطريقة تلقائية ومن المعروف أن اللغة بنت المحاكاة.

٢) ان ثراء القاموس اللغوى للطفل بمعانيه ومفرداته يتوقف على البيئة الاجتماعية الى حد كبير، ولذلك نرى أن الاطفال الذين ينشأون في بيئة فقيرة في ثقافتها ـ يكون قاموسهم اللغوى عادة أضيق في الأفق وأقل في المعنى من قاموس زملائهم الذين ينشأون في بيئة غنية في ثقافتها.

ولكن ينبغى ألا ننسى أن الطفل لا يتعلم لغة الحديث بمجرد الاستماع اليها من الكبار لأن اللغة قبل كل شيء وسيلة عملية لاشباع حاجاته الاساسية، ولو لم تكن اللغة وسيلة لاشباع هذه الحاجات لما كان ثمة نمو لغوى يذكر، فمجرد قولك للطفل: ان هذا قط أو أن هذه كرة ـ ليس كفيلا بأن يتعلم الطفل الكلمتين، واذا تعلمهما فهو ترديد لفظي أجوف، وانما الذى يحدث هو أن الطفل ـ تحت ضغط من حاجته هو إلى أن يحصل على الكرة، أو ليلفت نظرك الى القطة مضطر الى أن يستخدم هاتين الكلمتين، وأن يستبدلهما بصيحاته البدائية، وايماءاته واشاراته التى كان يستعين بها في شهوره الأولى.

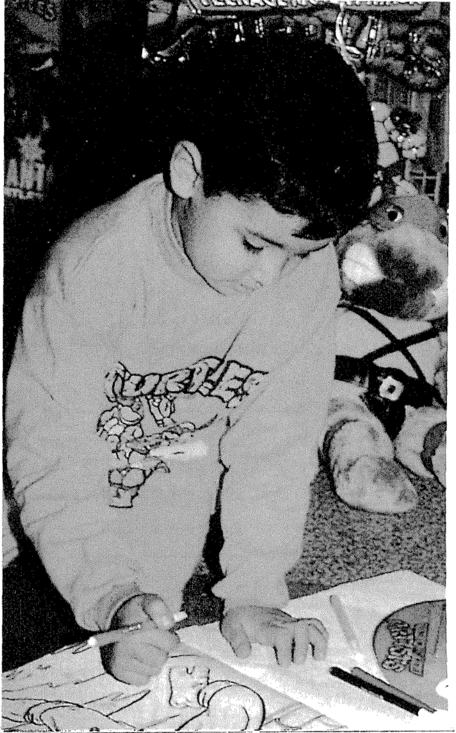
*** فعملية تحصيل اللغة عملية تتم عن طريق حاجتين أساسيتين:**

الأولى : حاجة الطفل الى أن يحمل الآخرين على أن يؤدوا خدمات له.

الثانية: حاجته الى أن يشارك الآخرين في مشاعره نحوهم: فى الخوف والفرح والأسف.

هذا يعنى من الناحية التربوية أن نمو المهارة اللغوية يتوقف على البيئة اللغوية التي يعيش فيها الطفل، حيث يعتمد الطفل على التقليد في تعلمه اللغوى فيقلد الأخوة بعضهم بعضاً فى أساليب الحوار وقديماً كان العرب على إدراك واع بأهمية البيئة اللغوية فكانوا يرسلون أطفالهم الى مرضعات فى البادية ليتعلم الطفل اللغة الصحيحة التي لم تتأثر بعد بعوامل الحضارة والتمدن.

## النمو اللغوى عند الأطفال:



يرتبط نمو الطفل اللغوى بمروره بعدة مراحل هى مرحلة الصراخ ومرحلة الأصوات الانفعالية ومرحلة المناغاة ومرحلة التقليد ثم مرحلة المعاني.

وتستطيع الأم أن تميز دلالة كل صيحة من هذه الصيحات، وقبل أن يبلغ الطفل الرضيع شهوراً من عمره - يكون عادة قد بدأ يستشعر اللذة في التصويت من أجل التصويت ذاته. ويقرر بعض علماء اللغة أن الطفل السوى في خلال نصف العام الأول من عمره يتعلم معظم الأصوات التي يحتاج اليها في كلامه فيما بعد.

وينتقل الطفل بعد هذه الشهور الستة الأولى إلى مرحلة جديدة: ينتقل من مرحلة التصويت الانفعالى إلى مرحلة التصويت الرمزى، التي تتميز بتعرفه على من

حوله وبمحاولته استخدام الاصوات المحببة اليه يخلع عليها ألواناً خاصة من النطق المعبر، فقد يستخدم صوتاً واحداً يعبر به عن أحاسيس مختلفة، ولكنه يكيفه فى كل مرة بنطق معين للدلالة على إحساس معين.

وقد نستمع إلى الطفل في هذه المرحلة ينطق بكلمتى (ماما) و(بابا)، ولكن ينبغى ألا يُفهم من هذا أنه قد بدأ يتحدث، ذلك لأن نطقه بمثل هاتين الكلمتين في هذه المرحلة - يغلب أن يكون مجرد ترديد لأصوات ألِفَ سماعها، دون أن تكون لها فى ذهنه دلالاتها اللغوية المصطلح عليها، والواقع أن الحديث الأصيل المصحوب بالمعنى لا يبدأ عادة إلا فى خلال السنة الثانية من العمر، حيث ترتبط الاصوات المنطوقة بأشياء معينة، أو بمواقف وأنشطة معينة، وهذا الارتباط يجعل الطفل قادراً على الاستجابة لهذه الأصوات كمعان وعلى استخدامها كأسماء.

وعلى أى حال فإن الطفل السوى يستطيع - قبل نهاية السنة الاولى - أن ينطق بكلمة أو كلمتين.

وأن يستخدمهما استخداما صحيحا في التعبير عن حاجة من حاجاته.

ومن القضايا التي أثبتتها البحوث أن البنات عادة يبدأن التحدث قبل البنين وأنهن يحتفظن بهذا التفوق لفترة من الزمان.

وبمجرد أن ترسخ في ذهن الطفل فكرة أن للاشياء أسماء - يبتدىء ولعه وشغفه بعملية التسمية ونشاطه فيها. بل ان معظم الاطفال يبتدعون اسماء خاصة بهم لمسميات معينة، أو للتعبير عن مواقف معينة.

وإذا تتبعنا لغة الطفل وجدنا أن معظم ما

ينطق به فى خلال العام الثاني من الكلمات ـ يكون (أسماء)، وقد ينطق الطفل بالاسم وهو يريد به معنى الجملة، فقوله (ماما) قد يعنى به (تعالى يا ماما)، وقوله (لبن) قد يعنى به (أريد اللبن) وهكذا .. ثم تظهر الافعال والأدوات المختلفة بعد أن تكون الاسماء قد استقرت لديه دلالة ونطقاً.

***وخلاصة القول أن لغة الطفل تبدأ في النمو منذ أن يستمع في مهده الى لغة الكبار وكلما زاد اليهم استماعا، وكلما ازداد خبرة، وكلما زاد نضجا، ارتبطت لديه الرموز الصوتية بالأشياء وبالصفات وبالعلاقات المختلفة، وبذلك يبنى الطفل ذخيرة من المعاني، والمفاهيم ثم إنه يستخدم رموز الكلام فى تفكيره وفى حديثه، متدرجا من الكلمات المفردة أو العبارات المتقطعة الى الجمل والعبارات الطويلة، حتى إذا بلغ سن دخول المدرسة استطاع أن يقص الحكايات، ويروى الحوادث، ويتفهمها اذا استمع اليها تُقص وتُحكى.***

والطفل بطبيعته محب للاستطلاع ويدفعه هذا الحب الى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به، وبذلك تزداد ثروته اللغوية من ألفاظ ومعان يوماً بعد يوم، فهو يتناول اللعب ويلعب مع رفقائه، وهو يرقب أعضاء أسرته وجيرانه في أحاديثهم وألوان نشاطهم، وهو ينتقل مع ذويه من مكان إلى مكان، وهو يستمع الى القصص ويرويها، وهو يمارس ألوان النشاط المختلفة من وثب وجرى واختفاء وتسلق الخ ... وهو فى خلال كل هذه الخبرات يضيف الى قاموسه اللغوي كلمات وتراكيب جديدة، ويزداد تفهماً لكلمات ورموز لغوية جديدة، وقدرة على استخدام كل أولئك أو بعضه حين يتحدث أو يستمع، ومهما يكن من شيء فان الطفل يبلغ سن دخول المدرسة، وهو يملك أدوات الحديث والفهم، ويستطيع استخدام أجزاء الحديث الاساسية: من أسماء وأفعال وحروف كما يستطيع صياغة الجمل والعبارات، والتراكيب التي تحمل ما يريد أداءه من معان، تتفق مع نضجه وخبراته.

## تطور مفاهيم الكلمات عند الأطفال:

ولو أننا تتبعنا الأطوار التي تمر بها كل كلمة من كلمات اللغة ـ منذ يسمع بها الطفل أول مرة الى أن يتحدد مفهومها الذى يتفق عليه العرف اللغوى لتملكنا الدهشة ولآمنا بأنه ينبغى أن نعيد النظر فى كثير مما نكتبه اليوم للاطفال فى الاعمار المختلفة، لمراجعة دلالات الكلمات والتراكيب، فالكلمة تمر بالطفل فى عديد من المواقف المختلفة وهو حين يستمع اليها فى البداية ـ قد تأخذ فى ذهنه دلالة معينة ولكنها فى معظم الأحوال غير دقيقة ، ثم أنها بتغير المواقف ، وازدياد الخبرة يتغير مفهومها شيئا فشيئا، الى أن يأتى الوقت الذى يتحدد فيه هذا المفهوم، ويستقر طبقا للعرف السائد فى البيئة التي يعيشون فيها.

وبديهى أن الطفل لا يقف ـ كما يفعل العلماء ليحدد المفاهيم والتعاريف ولكن كل هذا عمليات ذهنية تتأتى تلقائيا ثم تنتهى الى مفهوم ما يقفز الى ذهنه كلما سمع كلمة (غريبة) أو شاهدها، أو قرأها فيما بعد حينما يتعلم القراءة.

بمثل هذا الأسلوب ينمو القاموس اللغوى للطفل، وهذا القاموس لا يكاد يستقر فهو في نمو مستمر، ومفرداته تكاد تكون فى تعديل

مستمر، وفي أي وقت معين نجد أن هناك كلمات وتراكيب - قد تحدد مفهومها واستقر طبقا لما يستخدمه الكبار، كما نجد أن هناك كلمات وتراكيب أخرى لا تزال في طور التكوين، أو مازال فيها غموض ولمعرفة هذا وذاك أهمية كبيرة عند من يتعاملون مع الاطفال عن طريق اللغة، متحدثين أو كاتبين.

ومن ناحية أخرى تعتبر اللغة في هذه المرحلة، أداة ذات فائدة كبرى في زيادة قدرة الطفل على التأثير في بيئته التي يعيش فيها والسيطرة على دوافعه الخاصة، فاذا كان الطفل قادراً على التعبير عن رغباته بوضوح، فإنّ الفرصة لديه أكبر في إشباع حاجاته النفسية. والطفل - أيضاً - من خلال اللغة يستطيع أن يحقق عملية التواصل بينه وبين المحيطين به حتى من خلال الإشارات غير اللغوية كالابتسامة والعبوس والإيماءة أو التعبير بعضلات الوجه عن سعادته أو عن دهشته أو عن خوفه ، فاللغة للطفل سواء أكانت لفظاً أو إشارة ضرورة حتمية من ضروراته التي يتعذر عليه أن يحيا بدونها.

**وحتى نكفل النمو اللغوي السليم لأطفالنا توصي البحوث النفسية التي أجريت في مجال سيكولوجية اللغة بما يلي:**

***** ضرورة إثراء الطفل لغوياً خاصة في عامه الثاني، ففي سن الثانية يستطيع الطفل استعمال جملة مكونة من كلمتين معا وتزداد حصيلته اللغوية حتى تصل الى «١٠٠» كلمة أو أكثر ويتم ذلك من خلال النماذج اللغوية الصحيحة التي ينبغي التحدث بها أمام الطفل والتي تلائم مرحلة نموه، والعمل أيضا على تقريب المسافات فيما بين اللغتين العامية والفصحى، ونصحح للطفل أولا بأول الأخطاء اللفظية التي يقع فيها، ويحرص على تقديم نماذج جيدة للألفاظ ومراعاة مخارجها الصحيحة.***

****** كما توصي البحوث النفسية بالابتعاد عن مشكلة ثنائية اللغة في المرحلة الاولى من عمر الطفل فلا يصح تعليم الطفل لغتين في وقت واحد فلا قدراته تسمح بذلك، ولا يستطيع أن يتعلم واحدة منها التعلم الجيد، والصحيح أن نبدأ في تعليم اللغة القومية أولا ثم اللغة الاجنبية.***

****** ينبغي التخلص سريعا من المبالغة في قص الحكايات الخيالية على مسامع الطفل، حتى يمكنه تخطي المسافة فيما بين عالم الخيال وعالم الواقع.***

****** تدريب الطفل تدريباً جيداً على أدب الاستماع فهو وسيلة جيدة لنقل الافكار والآراء والمعلومات من مختلف وسائل الاعلام.***

****** لا ينبغي الخوف من الأخطاء الشائعة في ألفاظ الأطفال وكلماتهم خاصة في العام الثاني من العمر لأنها ستزول بفعل عامل النمو والخبرة.***

# الفكر التربوي عند الإمام الشاطبي




**بقلم: أ.د.**
**محمد الدسوقي**
كلية الشريعة ـ
جامعة قطر ـ


## مقدمة:

يعد أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبي من أعلام الفكر الإسلامى الذين اتسم عطاؤهم العلمى بالموسوعية والجدة والابتكار، فهو أصولي فقيه محدث مفسر لغوي بياني محقق، له القدم الراسخة فى كل هذه العلوم، ومن ثم كان إماما مجتهدا مطلقا، وكان الى هذا ورعا صالحا زاهدا، حريصا على اتباع السنة مجانبا للبدع والشبهة(١).

وقد عاش هذا الإمام فى القرن الثامن الهجرى، ولم يحدد المترجمون له سنة ولادته، وإن كان الراجح أنه ولد فى العقد الثاني من هذا القرن، لأن أسبق شيوخه وفاة وهو أبو جعفر أحمد بن الزيات كانت وفاته سنة ٧٢٨هـ، وهذا يومىء إلى أن التلميذ كان يافعا(٢) فى العام الذى مات فيه شيخه، مما يرجح أن ولادته كانت كما ذكرت آنفا.

***نشأ الشاطبي بغرناطة، وبها ترعرع، وظل مقيما فيها إلى أن توفى سنة ٧٩٠هـ. وقد أقبل منذ صباه على الدراسة، وأخذ العلوم عن كثير من أئمة عصره، وتعاطى علوم الوسائل وعلوم المقاصد دون أن يحصر اهتمامه فى نطاق علم معين لا يتجاوزه وأهلته دراسته للقرآن الكريم والسنة النبوية أن يكتنه مقاصد الشريعة، ويدرك اسرارها، ثم أن يحسن التعبير عنها وبيانها، والتأليف فيها(٣).***

جاء في مقدمة كتابه «الاعتصام» ما يشهد للشاطبى بشغفه المبكر بأصناف العلوم، وحرصه على فهم مقاصد الإسلام التى أدرك كمالها وتحقيقها للسعادة الكبرى، قال: «وذلك أنى - ولله الحمد - لم أزل منذ فتق للفهم عقلى، ووجه شطر العلم طلبى أنظر فى عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، لم أقتصر منه على علم دون علم ولا أفردت عن أنواعه نوعا دون آخر حسبما اقتضاه الزمان والإمكان، وأعطته المُنَّه المخلوقة فى أصل فطرتى، بل خضت فى لجه خوض المحسن للسباحة، ***وأقدمت فى ميادينه إقدام الجرىء، حتى كدت أتلف فى بعض أعماقه، أو أنقطع فى رفقتى التى بالأنس بها تجاسرت على ما قدر لى، غائبا عن مقال القائل، وعذل العاذل، ومعرضا عن صد الصاد ولوم اللائم، إلى أن منَّ عليّ الرب الكريم، الرءوف الرحيم فشرح لى من معانى الشريعة ما لم يكن فى حسابى،*** وألقى فى نفسى القاصرة أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركا فى سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالا يعتد به وان الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والطلبة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان وإفك وخسران(٤)».

ألف الشاطبي مؤلفات نفيسه فى الأصول والفقه والبدع والفتاوى والمذاكرات والمحاضرات والنحو، وبعض هذه المؤلفات يتركب من عدة أجزاء، ***وكان مع هذا أديبا شاعرا، وإن كان شعره أقرب إلى النظم منه إلى الشعر بمفهومه الاصطلاحي. ومن مؤلفاته التى اشتهر بها «الموافقات» و«الاعتصام» فهذان الكتابان من كنوز التراث الإسلامى الثمين، فالموافقات فى الأصول، وهو كتاب لم يؤلف مثله فى أصول الإسلام وحكمته كما قال صاحب تفسير المنار(٥)، وذلك أن الموافقات جاء منهجا فريدا فى الكتابة الأصولية لم يسبق به الشاطبى،*** فقد أغفلت الكتب التى ألفت قبل هذا الكتاب جانبا مهما من جوانب علم الأصول، أو شطر هذا العلم كما يقول الشيخ دراز محقق الموافقات فى تعريفه بالكتاب، وهذا الجانب هو أسرار التشريع، ومقاصد التكليف، وقد عرض له الشاطبي وفق منهج دقيق، وتصور شامل، وأسلوب رصين.

أما كتاب الاعتصام فقد أفرده الشاطبي لدراسة موضوع البدع، وهو كتاب لا ندّ له فى بابه، فهو ممتع مشبع، وإن لم يتمه

المصنف(٦)، وقد عرض فيه لبعض قضايا علم الأصول التى قد يتخذها المبتدعة وسيلة لما يذهبون إليه مثل المصالح المرسلة والاستحسان.

***طبع القدر الذى وجد من الاعتصام أكثر من مرة فى جزئين، كما طبع كتاب الموافقات عدة طبعات فى أربعة أجزاء، وطبع أيضا الفتاوي، والإفادات والانشادات(٧).***

ومؤلفات الشاطبى وإن كانت تتناول القضايا الأصولية والفقهية واللغوية والأدبية، ولا توحى عناوينها بأن لها علاقة بالفكر التربوى اشتملت على لمحات ونظرات تربوية مهمة وردت عرضا أو استطرادا أو لأدنى مناسبة.

***ولا يسمح المجال باستقراء كل هذه المؤلفات، وتتبع ما جاء فيها مما له صلة بالتربية والتعليم، ومن ثم أقصر الحديث عن الفكر التربوي لدى الإمام الشاطبى في هذه الكلمة على بعض ما ورد فى الموافقات، وأطمع أن أعرض لهذا الفكر فى كل ما تحت أيدينا من مؤلفات هذا ا لإمام مستقبلا إن شاء الله.***

وأول ما يتحدث عنه الشاطبي من قضايا التربية تحديد المهمة الأساسية للتعليم وقد ذكر فى أكثر من موضع أن العلم فى الإسلام ليس ترفا عقليا، ولا متعة ذهنية، ولا غاية فى ذاته، وإنما هو وسيلة للعمل والتطبيق، قال فى المقدمة الثامنة من المقدمات التى صدر بها كتاب الموافقات، وهى ثلاث عشرة مقدمة: العلم الذى هو العلم المعتبر شرعا، أعنى الذى مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل الذى لا يخلى صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها(٨).

***وقال فى المقدمة السابقة: العلم وسيلة من الوسائل، ليس مقصودا لنفسه من حيث النظر الشرعي، وإنما هو وسيلة إلى العمل، وكل ما ورد فى فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف العمل به(٩).***

ويرى الشاطبى أن المثابرة على طلب العلم والتفقه فيه، وعدم الاجتزاء باليسير منه يجر الى العمل به، ويلجىء إليه، ويسوق فى هذا بعض الآثار منها ما قاله الإمام الثورى:

كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة..، وما قاله الحسن: لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله وما عنده. فمازال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده(١٠).

***ومن أجل المحافظة على هذه الغاية التربية يحذر الشاطبى من الاشتغال بالعلوم التى لا تتعلق بها ثمرة تكليفية، فهى التى أدخلت على الأمة الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم، وجعلتها فرقا متدابرة، وشيعا متناحرة، ويقول: ولم يكن أصل التفرق إلا بهذا السبب حيث تركوا***

***الاقتصار من العلم على ما يعنى وخرجوا إلى مالا يعنى، فذلك فتنة على المتعلم والعالم(١١).***

وما قاله الشاطبى عن مهمة العلم ليس مقصورا على ما يسمى بالعلم الشرعى أو العلم الخاص ببيان الحلال والحرام من الأحكام، وإنما يشمل كل علم نافع للإنسان وأن العمل بالعلم ينبغى أن يكون فى خدمة عبودية الإنسان لبارئه، فلا يحيد به عن طريق الحق والعدل، ولا يتخذه سلما للالحاد والضلال والفساد فى الأرض.

***ويدعو الشاطبى رجال التربية إلى مراعاة العقلية التى يخاطبونها، فلا يحدثون الناس بمالا يفهمون، وإنما يجب عليهم أن يذكروا لهم من المسائل ما تحتمله عقولهم فليس المبتدىء فى العلم كالمنتهى منه، ولهذا ينبغى عليهم أن يقدموا لكل فرد ما يقوى على فهمه،***

كما ينبغى عليهم أيضا أن يربوا بصغار العلم قبل كباره(١٢)، وأن هذا هو طريق التربية المشروعة، فمن عدل عنه كان على ضد هذه التربية، وكان ضرره على الأمة أكثر من نفعه، ثم يقول: فلا يصح للعالم فى التربية العلمية إلا المحافظة على هذه المعاني، وإلا لم يكن مربيا، واحتاج هو إلى عالم يربيه(١٣).

***ولا مراء فى أن مراعاة الفروق الفردية والتفاوت فى المواهب العقلية بين طلاب العلم، والأخذ بمبدأ التدرج فى التربية، يكفل للعملية التربوية القيام برسالتها على أحسن وجه، فمراعاة هذا التفاوت وتلك الفروق يفرض وضع المناهج التى تساعد كل فرد ليحقق أقصى ما عنده من ملكات وقدرات، فينميها تنمية كاملة(١٤)، وقد سبق الفكر التربوى الإسلامى بما قرره فى هذا كل النظريات التربوية المعاصرة.***

وإذا كان الشاطبى يدعو إلى التدرج فى التعليم، ومراعاة الفروق الفردية فى التربية فإن هناك قضية تربوية لها علاقة حميمة بذلك، وقد عرض لها فى حديثه عن فروض الكفاية، فقد أشار إلى وجوب التنبه إلى الاستعدادات الفطرية لطلاب العلم، فكل إنسان ميسر لما خلق له، ومنح من الطاقات والقدرات بما يتلاءم مع رسالته التى ينبغى أن يضطلع بها فى الحياة،

وهذه الاستعدادات أو الميول الخاصة تنبيء عنها المراحل الدراسية الأولى التى تعد قاسما مشتركا فى طلب العلم، ***ومن ثم وجب على رجال التربية أن يكتشفوا هذة الميول، لتوجيهها الوجهة السديدة، حتى تؤتى أكلها بإذن الله، وتصل بصاحبها إلى درجة التخصص الدقيق، والإبداع الأصيل.***

لقد أوجز الشاطبى الحديث عن أن الله خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية، تارة بالإلهام وتارة بالتعليم، وأنهم فى طلبهم للتعلم والتعليم استجلابا للمصالح ودرءا

للمفاسد إنما يستجيبون لما جُبل فيهم من الغرائز الفطرية، ثم قال:

***وفي أثناء العناية بذلك يقوى في كل واحد من الخلق ما فطر عليه، وما ألهم له من تفاصيل الأحوال والأعمال فيظهر فيه وعليه، ويبرّز فيه على أقرانه ممن لم يهيأ تلك التهيئة، فلا يأتي زمان التعقل إلا وقد نجم على ظاهره ما فطر عليه في أوليته، فترى واحدا قد تهيأ لطلب العلم، وآخر لطلب الرياسة ، وآخر للتصنع ببعض المهن المحتاج إليها، وآخر للصراع والنطاح.. إلى سائر الأمور(١٥).***

وعن مهمة رجال التربية، وما ينبغي عليهم ملاحظته ورعايته يقول الشاطبي: «ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات، فيراعونهم بحسبها، ويراعونها إلى أن تخرج في أيديهم على الصراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط، ثم يخلى بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق بهم، ليكونوا من أهلها، إذ صارت لهم كالأوصاف الفطرية، والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية(١٦).

إن مهمة المربين ليست مقصورة على تلقين المعلومات، وإنما تتجاوز هذا لتشمل رعاية طالب العلم، والأخذ بيده نحو ما يستطيع أن يتقنه ويفيد فيه، لأن لديه ميلا إليه، أو استعدادا له، ومن هنا يسلك كل طالب للعلم الطريق الصحيح، ويسير فيه إلى أن يصل الى أقصى الغايات، وبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة.

وأما سبيل تحصيل العلم فإن الشاطبي يحصره في أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام، وقبل أن يشرح خصائص أو أمارات العالم المتحقق أشار إلى اختلاف الناس حول امكانية حصول العلم دون معلم أولا، وقد ذكر بأن امكان حصول العلم دون معلم مسلم، ولكن الواقع في مجاري العادات أنه لابد من المعلم، فالعلم لابد في تحصيله من الرجال وقد قالوا: إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدي الرجال(١٧)، وأصل هذا في الحديث الصحيح وإن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء(١٨).

***والعالم المتحقق الذي يؤخذ عنه يشترط فيه أن يكون عارفا بأصول العلم وما ينبني عليه ذلك العلم، قادرا على التعبير عن مقصوده فيه، عارفا بما يلزم عنه، قائما على دفع الشبه الواردة عليه، وأن يكون أيضا ممن رباه الشيوخ، لأخذه عنهم وملازمته لهم، وأن يكون عاملا بعلمه، حتى يكون قوله مطابقا لفعله، فإن كان مخالفا له فليس بأهل لأن يؤخذ عنه ولا أن يقتدى به في علم(١٩).***

وإذا كان لابد من أخذ العلم عن أهله المتحققين به فلذلك طريقان:

***الأول: المشافهة، وهى أنفع وأسلم، ففى مجالس العلماء يفتح للمتعلم مالا يفتح له دونهم.***

***الثانى: مطالعة كتب المصنفين وهو طريق نافع بشرطين:***

***أ - فهم مقاصد العلم، ومعرفة اصطلاحات أهله، وهذا لا يحصل إلا بالمشافهة فالكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئا دون فتح العلماء.***

***ب - أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين(٢٠).***

فالشاطبى يرى أن التلقى هو أمثل الطرق وأنفعها لاخذ العلم، وأن الكتب وحدها لا تغنى، وأن مطالعتها لا يحقق الغاية إلا إذا كان طالب العلم على دراية بمصطلحات تلك الكتب، وهو لن يقف عليها دون أن يكون قد قطع فى الدراسة شوطا يؤهله لأن يستقل بكسب المعرفة عن طريق القراءة بشرط أن يكون ما يقرؤه من المؤلفات أصيلا فى بابه يعبر عن رسوخ فى العلم وإحاطته به.

***وبعد فهذا طرف من الفكر التربوى لدى الإمام الشاطبى، تناول بيان الغاية من طلب العلم والتبحر فيه، وعرض لمراعاة الفروق الفردية كما عرض لملاحظة الاستعدادات الفطرية، وأخذ العلم عمن هو خليق بالأخذ عنه، إما مشافهة أو مطالعة. ولا مراء فى أن هذه اللمحات التربوية التى وردت مفرقة فى غضون مباحث الموافقات تدل على أن الشاطبي ذو عقلية علمية موسوعية، فهو فى هذا الكتاب الأصولى كان فقيها ومحدثا ولغويا ومربيا، وأنه فى كل آرائه كان يعبر عن أصالة الفكر الإسلامى،*** ذلك الفكر الذى قاد البشرية إلى عصر الحضارة والمدنية، لأنه فكر جاء ثمرة من ثمرات الإسلام دين الله الخاتم إلى الناس كافة، ومن ثم كان صالحا للتطبيق الدائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

الهوامش :

(١) انظر ترجمة الشاطبى فى الجزء الأول من الاعتصام ص١٠ ط دار الفكر، بيروت.

(٢) انظر فتاوى الإمام الشاطبى تحقيق الدكتور محمد أبو الاجفان ص٣٢ ط ٣ ، تونس.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاعتصام جـ١ ص٢٤.

(٥) انظر تفسير المنار جـ ٦ ص١٥٧.

(٦) انظر التعريف بكتاب الاعتصام للشيخ محمد رشيد رضا، مطبوع كمدخل للجزء الأول من الاعتصام ص٤.

(٧) حقق الكتابين ونشرهما الدكتور محمد أبو الأجفان الاستاذ بالكلية الزيتونية - تونس.

(٨) الموافقات جـ١ ص٦٩ - ط المكتبة التجارية - القاهره.

(٩) المصدر السابق ص٦٥.

(١٠) المصدر السابق ص٧٦.

(١١) المصدر السابق ص٥١.

(١٢) المصدر السابق جـ٤ ص١٩٠، والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره: مادق منها، وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده.

(١٣) المصدر السابق جـ١ ص ٨٧.

(١٤) انظر نحو تجديد البناء التربوى فى العالم الاسلامى للدكتور محمد فاضل الجمالى ص١٥٢ ط تونس.

(١٥) الموافقات جـ١ ص١٧٩.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق ص٩٢.

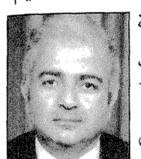
(١٨) رواه البخارى فى باب كيف يقبض العلم، ورواه مسلم فى كتاب العلم.

(١٩) الموافقات جـ١ ص٩٢.

(٢٠) المصدر السابق ص٩٣.

# أشربة وقفن بلا أوان

أ.د. محمد عبد العظيم سعود
جامعة عين شمس - مصر -



في الطريق إلى دارنا غابة غناء، زانتها أشجار باسقات، كأن طلعها النضيد «أشربة وقفن بلا أوان»، كما يقول أبو الطيب المتنبي في وصف شعب بوان، تهتز أوراقها وغصونها إذا داعبها النسيم. فإذا كان من الأصيل، وانعكست أشعة الشمس في صقال جدول رقراق ينساب في الغابة، «قد رق حتى صار قرصاً مفرغاً من فضة في بردة خضراء.» على قول الشاعر الأندلسي الشهير، بدت رائعة ما بعدها. من أي الفراديس اقتطعت، ومن أي الجنان اجتزئت؟!

عنّ لي كم من الناس يقوم مقام هذه الأشجار؟ يهضمون غثاء الناس وزبدهم الذي كان جديراً أن يذهب جفاء، ليتمثلوه ثم لينتجوا لهم النافع المفيد الذي يمكث في الأرض، نظير تلك الأشجار التي تمتص أوراقها ثاني أكسيد الكربون من الجو، فتخلصنا منه، وتبني أنسجتها وخلاياها، وتخرج لنا الأكسجين اللازب للحياة، فيما يعرف بعملية التمثيل الكربوني أو الكلوروفيلي؟

**وهذه الظلال الوارفة، لو أنّ لي سبيلا إليها، يقيني لفحة الرمضاء؟ بيد أن ثم سياجاً يفصلني عنها، وأعسر من ذلك طريق غير مستوية ولا ممهدة، ملأتها النباتات ذات القتاد، تعترضني إليها، شأن الموتورين الذين يقفون في سبيلك إلى أولئك العباقرة.**

وهناك نبت طفيلي يتسلق تيك الأشجار، ليقاسمها الضوء والماء والغذاء، شأن بشرٍ كثيرا.

خطر لي أن أحصي أولئك العباقرة في حياة أمتنا عدداً! وبينا أنا سادر في خيالي إذ قفزت إلى ذهني صور بشعة، نقيض تلك الصور المضيئة المريحة، آذتني أشنع إيذاء: نفر لم يؤتوا شيئاً من عبقرية ولا تفرد، لكنهم اختطوا لأنفسهم طريقاً غير شريفة ابتغاء شهرة، وبعد صوت، ولا أقول ارتفاع ذكر! كيف؟ التطاول على أقدس مقدسات الأمة: كتابها، ونبيها!! الأمثلة معروفة نربأ بأنفسنا أن نذكرها.

**وهذا هو عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عربية كبرى يقول في صفحة ٢١ من كتابه «مفهوم النص»: «الإسلام دين عربي». ويتفضل علينا بشرح عبارته على هامش الصفحة نفسها فيقول: «الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات المثالية الذهنية أولها عالمية الإسلام وشموليته من دعوى أنه دين الناس كافة لا للعرب وحدهم،** ورغم أن هذه الدعوى مفهوم مستقر في الثقافة، فإن إنكار الأصل العربي للإسلام وتجاوزه للوثب الى العالمية مفهوم حديث نسبيا!!» وأنسي صاحبنا قوله تبارك وتعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون «سبأ ٢٨» وقوله عز وجلّ في أول سورة الفرقان: «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده، ليكون للعالمين نذيراً..» ويقول سيادته في صفحة ٢٣: «إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً، **وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص..! وفحوى هذا الكلام أن القرآن أنتج هنا في الجزيرة العربية، وليس له وجود غيبي!!**

ويقول في بحث له بعنوان: «إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني» - صفحتا ٢٠، ٢١ - بأن فكرة الوجود الأزلي للقرآن أسطورة!: «إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلي قديم للنص القرآني في اللوح المحفوظ باللغة العربية ما تزال تصورات حية في ثقافتنا، وذلك لأن الخطاب الديني يعيد نتاجها بشكل متكرر عبر كل قنواته التعبيرية». وغفل سعادته عن قوله تعالى في سورة (البروج ٢١ - ٢٢) «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ».

**ويقول لا فُضّ فوه في كتاب «الإمام الشافعي» - صفحة ٢١ - «ويبدأ الشافعي بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه أن الكتاب يدل بطرق مختلفة على حَلّ لكل المشكلات والنوازل التي وقعت، أو يمكن أن تقع في الحاضر أو في المستقبل على السواء. وتكمن خطورة هذا المبدأ في أنه المبدأ الذى ساد تاريخنا العقلي والفكري، ومازال يتردد حتى الآن في الخطاب الديني بكل اتجاهاته وتياراته وفصائله،** وهو المبدأ الذى حول العقل

الى عقل تابع يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالات منه»٠ يقول الحق - جل شأنه -: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة، وبشرى للمسلمين» (النحل/٨٩)٠

**ويثابر صاحبنا على هرطقته قائلا فى الصفحة ٢٢: «والشافعى حين يؤسس المبدأ، مبدأ تضمن النص حلولا لكل المشكلات وتأسيساً عقلانيا، يبدو وكأنه يؤسس بالعقل إلغاء العقل!!» فلسفة ما بعدها فلسفة، وتعالم لا يدانيه تعالم٠ ونصل إلى قمة أو قاع! المأساة، حين يكشف صاحبنا عن جهله الشديد، فيتهم الإمام الشافعى بممالأة الأمويين، نعم! الإمام الشافعى المولود سنة ١٥٠ للهجرة يمالىء الأمويين، وهم من دالت دولتهم سنة ١٣٢ هجرية!!**

للعقل قيمة كبرى فى الاسلام، وفى التراث العربى الإسلامى، وفى كتاب «التجديد فى الفكر الاسلامى» للشاعر الفيلسوف العظيم محمد إقبال ملحوظة جديرة بالاعتبار فشاعرنا يقول بأن محمداً عليه صلوات الله وسلامه كان ينبغى له أن يكون خاتم الأنبياء وتكون رسالته آخر الرسالات لماذا ؟ لأنه أرسل يدعو إلى تحكيم «العقل» فيما يعرض للناس من مشكلات٠ وما دمنا قد ركنا الى العقل، فما علينا إلا الإذعان لأحكامه، والانصياع لها، غاضين الطرف عما سواه٠ **أو ليس العقل كما يقول الجاحظ فى رسالة «المعاش والمعاد» هو وكيل الله عند الإنسان؟ وكما يقول كذلك فى رسالة «كتمان السر وحفظ اللسان» وإنما سمى العقل عقلا لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضى فرطاً فى سبيل الجهل، والخطأ والمضرة، كما يعقل البعير»٠**

وأرجو ألا يتصور أحد أن زعمى بأن للعقل قيمة كبرى فى التراث الإسلامى العربى هو من قبيل التحيز أو المبالغة فلئن كان للإدراك وسيلة العقل، فله كذلك وسيلة الحواس كالسمع والبصر والحس، ووسيلة الحدس،، أو الإدراك المباشر بالبصيرة، لا تحتاج فيه الى مقدمات تؤدى بنا إلى نتائج٠ نرى مثلا الفلسفة الإنجليزية تعوّل على الحواس والتجريب بأكثر مما تعوّل على الاستنتاج العقلى الصرف بينما نرى ثقافات الشرق الأقصى وفيها يكون التعويل أولا على الإدراك المباشر أو الحدس ولمعات البصيرة، قبل أى شيء آخر٠ **يقول الجاحظ فى رسالته: «فى مناقب الترك: «إن العرب وجهوا قواهم الى قول الشعر، وبلاغة المنطق، وتشقيف اللغة و وتصاريف الكلام» وكلها كما ترى أمور عقلية مجردة، أو بعبارة أدق أمور تحتاج إجادتها بالدرجة الأولى الى قدرة عقلية٠ ولا علاقة لهذا بأن نلحظ مثلا أن الشعر العربي زاخر كذلك بتلك التعبيرات الحسية، أى مما يقع عليه البصر أو السمع فى الواقع المشهود وفى دنيا الأشياء ٠**

وأغلب هؤلاء والمتأوربين٠٠ يغيب عنهم أنه ما من دين من الأديان، ولا حضارة من الحضارات، حض - أوحضت - الناس على طلب العلم كما فعل الإسلام، لقد توهم الإغريق أن العلم لا ينبغى أن يقاربه البشر، بل هو وقف على «الآلهة» وإن أية محاولة لمقاربته هى زندقة! وكانت أسطورة «برومثيوس» الذى أراد أن يخرج البشر من الظلمات إلى النور، وما كان له أن يؤدى ذلك إلا بنور العلم، الذى هو وقف على الآلهة٠ فما كان أمامه من سبيل إلا أن يختلس قبساً من نور علمها، ليهبط به من قمة جبل الأوليمبى، الذى كانت تسكنه الآلهة، الى الناس، **فحق عليه انتقام الآلهة، فربطوه الى**

**جذع شجرة، وسلطوا عليه سباع الطير، لتنهش جسده نهشاً، وكلما فرغت النسور الجارحة من افتراسه، أعيد إليه جسده، لتحمل عليه النسور من جديد، الى أن يتم نهشه، وهكذا دواليك.**

وكانت الحضارة الأوروبية الحديثة التى هى بنت أمها الحضارة الاغريقية ترى كذلك أن العلم والإيمان نقيضان. وقصة «فاوست» مع «ممفستوفولس» عند «جيته» شاعر الألمان الأكبر، أو عند «مارلو» الانجليزى فى عصر النهضة تصور هذا ا لتناقض المتوهم. لقد كان فاوست مولعاً بالبحث فى حقائق الكون. وقد وجد عند الشيطان «ممفستوفولس» بغيته، فقد كان بمكنة «ممفستوفولس» أن يسدى اليه يد العون، لكن الشيطان قايضه العلم بالإيمان: ذلك أنه اشترط عليه أن يدوم عونه له عدداً من السنين، خاله «فاوست» كبيراً بطيئاً ما يتبدد وينقضى، حتى إذا ما بلغ الأجل المحتوم أماته الشيطان على غير إيمان. ويصور «جيته» الألمانى، و«مارلو» الانجليزى فزع «فاوست» الرهيب، وفرقه المخيف، عندما حل الميعاد، وأدركه الأجل.

**لا ، ليس هذا من الإسلام، أو من الحضارة الإسلامية فى شيء، لكنها صورة من الغرب، بوجهيه القديم، كما تصوره الحضارة اليونانية القديمة، والحديث كما يصوره الأدب الأوروبى الحديث، انجليزياً كان أم ألمانياً!.**

**ويغيب عن هؤلاء «المتأوربين» المنادين بحرية البحث والتفكير أن شرطاً أساسياً من أشراط الحرية هو العلم. ويمكن أن نضرب لهم الأمثال مما يخرون عليه صُماً وعمياناً أن نضرب لهم المثل من تاريخ الفلسفة اليونانية كذلك.**

يحدثنا «أفلاطون» فى محاورة «ليزيس» وهى محاورة تعنى بالسؤال: ما كنه ذلك الدافع الخفى الغامض الذى يدفع الصديق الى صديقه - عن الفتى «ليزيس» الذى يكد والداه لإسعاده، لكنه يحس سعادته منقوصه. **وأنَّى له بالسعادة إذا كان والداه يأخذانه فى أكثر أمره بما لا يدع له الحرية فى الاختيار: فإذا حلت ساعة الدرس فهما هما يسلمانه الى معلمه، يدرس له، شاء، كيف شاء، وإذا ما أراد أن يمتطى جواده ألزماه بأن يكون فى رعاية سائسه، كيف السبيل إذن إلى السعادة، وهو يحس نفسه «تابعا» لسواه، يصرفها غيره كيف يشاء، ويسائل «ليزيس» نفسه ما علة ذلك؟ ويتوهم أولا أنها حداثة سنه، لكنه يلحظ أن أبويه يخليان بينه وبين كتبه إن شاء مطالعتها ويدعانه لكراساته إن أراد الكتابة فيها، ويتركانه للعبه إذا عنّ له أن يعبث بها.** إذن ليست العلة علة سنوات تنقضى أو تتصرم ثم تكون إليه حريته غير منقوصه، وتبلغ المفارقة فى محاورة «ليزيس» ذروتها حين نعلم أن السائس الذى كان إليه أمر الفتى فى كل ما يمس الجياد، ركوبها، وطرائق استخدامها، كان عبداً لأبويه. أى أنه كان من الناحية الاجتماعية عبداً، لكنه كان حُراً فيما يتعلق بالجياد، لأنه كان على علم بها ومعرفة، بينما كان الفتى حراً من الناحية الاجتماعية، لكنه بمنزلة العبد فيما يخص الجياد!.

**إذن فشرط رئيس للحرية هو المعرفة، إنها حرية العارفين، وليست حرية الجهال، وكان على صاحبنا قبل أن يتفلسف ، ويتعالم، ويتشدق بحرية البحث، وحرية التفكير، أن يعرف متى ولد الإمام الشافعى، ومتى قضت الدولة الأموية ودالت!**

# صورة الميـ




وردت نصـــوص كـثـيـرة في القـرآن الكريم بتوجيه الثواب والعقاب للإنس والجن، كقول الله تعـالى: «ولكن حق القول منى لأمـلأن جـهنم من الجنة والناس أجـمـعين»(١) وقـوله تعـالى: «وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن» الآيات(٢)، وقــوله تعـــالى: «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا»(٣)، وجاء فى تفسير ابن كثير(٤): أنه تعالى أرسل محمدا - صلى الله عليه وسلم - إلى الثـقلين الجن والإنس حـيث دعـاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليـهم السـورة التى فـيـها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعيدهم وهى سورة الرحمن، والحق أن مؤمنهم كمؤمن الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف.

وقال القرطبى فى التذكرة: إن الله تعالى لما قـال: «والذين آمنوا وعـملوا الصـالحـات أولئك أصـحـاب الجنة هم فـيـهـا خـالدون» دخل فى الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس وقال: (أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كـانوا خـاسـرين» ثم قـال: وهذا يدل صريحا على أن حكمـهم فى الآخرة كالمؤمنين، ولما جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زادهـم كل عظم وعلف دوابهم كل روث، فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم الجـان، فـجـعلهم إخـواننا، وإذا كـان كـذلك فحكمهم كحكمنا فى الآخرة سواء.

وعلى ذلك توزن أعمالهم.

*** كيفية وزن الحسنات والسيئات:**

ومن النصوص السابقة يتبين أن الحسنات توضع فى كفة، والسيئات فى الكفة الأخرى المقابلة فمن ثقلت حسناته عن سيئاته بحسنة واحـدة دخل الجنة، ومن ثقلت سـيـئـاته عن حسناته بسيئة واحدة دخل النار (ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

**وجـاء في القـصص النبـوى فـيـمـا روى عن قتادة عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قـال(٥): (إن الله لا يظلم المؤمن حسنة، يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة).**

وجـاء فى الأثر(٦) - الذي يؤيده الحـديث الصحيح - أن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد أو الأمة يوم القيامة، فينادى مناد على

# ـيزان يوم القيامة (٢/٢)

رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) فيغفر الله من حقه ما يشاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب الناس فيقول: ائتوا إلى الناس حقوقهم، فيقول: يارب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم، فيقول: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته، فإن كان وليا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ علينا: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) وإن كان عبدا شقيا قال الملك رب فنيت حسناته وبقى طالبون كثير، فيقول: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكا إلى النار.

وهناك أعمال لها وزن فى الآخرة، كما أن الله - تعالى - إذا أراد بعبده خيرا يضع فى ميزانه شيئا فى كفة تقابل ما أحصى عليه فيكون من الفائزين بدخول الجنة.

**روى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال(٧): (يجاء بالعبد يوم القيامة توضع حسناته فى كفة فترجح السيئات، فتجيء بطاقة فتقع فى كفة الحسنات فترجح بها، فيقول: يارب ما هذه البطاقة، فما من عمل عملته فى ليلى ونهارى إلا وقد استقبلت به، قال: هذا ما قيل فيك وأنت منه برىء، فينجو بذلك) وكذلك ما تقدم من وضع بطاقة (فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) فترجح حسناته.**

**بقلم: أ.د. عبد الباسط حمودة**
- مصر -

وفي الخبر(٨): إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطاقة كالأنملة، فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته، فترجح الحسنات، **فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي - صلى الله عليه وسلم - بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك/ فمن أنت؟ فيقول: أنا نبيك محمد وهذه صلاتك عليَّ التى كنت تصلى على، قد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها).**

وجاء فى قصص النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قضى لأخيه حاجة، كنت واقفا عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له) وقال عليه الصلاة والسلام: (ما شيء يوضع فى الميزان أثقل من خلق حسن).

وفى قصة مطولة مروية عن سمرة بن جندب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه، فجاءت أفراطه فثقلوا ميزانه).

**وروى عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم(٩): (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها).**

وروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (بخ بخ لخمس ما أثقلهن فى الميزان، لا إله إلا الله والله اكبر، سبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده) وقال أيضا: (بخ بخ لخمس من لقى الله مستيقنا بهن دخل الجنة: يؤمن بالله، وباليوم الآخر، وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت، والحساب).

ومما يثقل ميزان المؤمن يوم القيامة ما نقله القرطبى عن القشيري(١٠): يحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم فى المنام، فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: **وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت فى كفة الحسنات فرجحت، فحللت الصرة، فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم،** وذكر أبو عمر فى كتاب جامع بيان العلم بإسناده عن حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد بن ابراهيم فى قوله - عز وجل - **«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» قال يجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه يوم القيامة فتخف، فيجاء بشيء أمثال الغمام، أو قال: مثل السحاب فيوضع فى ميزانه فترجح، فيقال له: أتدرى ما هذا؟ فيقول: لا، فيقال له: هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس أو نحو ذلك.**

أثر قصص الميزان فى الأدب:

قصص الميزان قصص حق جاء فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية ، والإيمان بذلك من دعائم الإيمان وأركانه، فالميزان حق يوم القيامة، يوضع بين يدى الله تعالى، وتكون الكفة النيرة على يمين العرش مقابل الجنة وفيها الحسنات، وتكون الكفة المظلمة على يسار العرش مقابل النار وفيها السيئات. ويومئذ لاذهب ولا فضة، فيؤخذ من حسنات الظالم، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فردت على الظالم.

**وهذا القصص ترسخ بمفهومه ومنطوقه فى تراثنا العربى الإسلامى ليرتبط بأرواح المسلمين ويقع من نفوسهم وقلوبهم موقع الإجلال والاحترام والتقديس الذى لا يتأتى لأمة من الأمم الأخرى.**

فلأول وهلة تبدو في تراثنا روح الإسلام فى لغة عربية تتسم بحسن بيان، ودقة وصف، وروعة تصوير، وذلاقة لسان، وقدرة على استنباط الحقائق واكتناه السرائر، ففيها زاد نفيس من تجارب السنين والقرون، وحكمة الزمن فى حكاية الحوادث، من خلال تصوير مناحى الحياة، وما جبلت عليه النفوس من أخلاق وشمائل، كل ذلك فى صراحة ووضوح، وفي غير محاشاة من حياء مغتصب وتكلف مجتلب، ووقار زائف مصنوع، فنرى الناس على تباين أجناسهم، واختلاف عقولهم وتضارب آرائهم فى كل حقب الزمان على سجاياهم وطباعهم التى ميزهم الله بها، **كما يتجلى فى التراث عقليات العرب، وعقائدهم المرتكزة على الإيمان بالغيبيات والسمعيات وبما وراء الطبيعة، مما يشكل مسارات فى حياتهم العامة والخاصة، ويؤثر فى السلوك الواقعى والمصير الأخروى، فكل قصة تساق لها فى أغلب الأمر أهداف كإظهار عبرة، أو تأييد فكرة أو إعلاء مثل،**

**والتراث فى مجموعه سياج لحماية اللغة وزاد لتقويتها ودفعها الى التجدد والابتكار، لاستيعاب كل المستجدات فى مجال العلوم والآداب والفنون(١١) (ولا مرية فى أن كثيرا من هذه الخصائص يعد من مقومات القصص الفني، ومن أركانه وأسناده، وقد كان بعض هذه الخصائص عدة قوية لأدب القصة الحديث، تمهد الطريق وتؤنس السارى، وتبعث فى أقلام القصاص المحدثين حياة).**

وتشهد الدراسات الأدبية المقارنة، والموازنات النقدية، والبحوث العلمية، بأن للتراث الإسلامى تأثيرا كبيرا وواضحا في نتاج كبار الشعراء والكتاب فى العالم كله، وفى مقدمة هؤلاء الذين أشاعوا النهضة الأدبية فى أوربا، فانعكس على أدبهم أحاديث عن الغيبيات مثل سؤال القبر، والبعث والحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار التى يدين بها المسلمون، ومن الأمثلة على ذلك ما تفيض به كتابات (دانتى) فى الكوميديا(١٢) الإلهية: **(مكونة من ثلاثة أجزاء: الجحيم، والمطهر، والجنة الأرضية والسماوية.. والجحيم مملكة الظلمات، ووادى المهاوى الأليم، حيث يهوى الإنسان الذى لا يحيا حياة الحكمة والفضيلة فى معناها الإنسانى والاجتماعى، وهذا الجحيم فى باطن الأرض، في أبعد مكان من الله، حيث تسقط الأرواح كالأوراق الجافة فارقت غصونها، وتركت إلى ثقلها المادى، والى طبيعتها الأرضية حيث لم تحاول الارتقاء روحيا.**

والمطهر جبل فى الأرض مرتفع، مقابل لمنطقة الجحيم، وهى مركز الأرض، وفى المطهر المذنبون يكفرون عن سيئاتهم، ولكنهم يختلفون عن سكان الجحيم، بأنهم تائبون، ولذلك لديهم الأمل فى النجاة، وكلما نجت روح من أرواح المطهر، انطلقت إلى عالم الخلد، فيهتز الجبل كله، ويصيح الجميع يمجدون الله.

وفي قمته الجنة الأرضية، حيث تظهر (بياتريتشه) حبيبة الشاعر فى الطفولة وكان قد أحبها حبا خالصا طاهرا خالدا.. **يصحب (بياتريتشه) فى السموات السبع ذات الكواكب المتحركة، ثم السماء الثامنة ذات النجوم الثابتة، وهى عرش الله، حولها تسع دوائر من لهيب، فيها جوقات الملائكة تسبح بحمد الله وعظمته..)**

وفى هذه الملحمة أحاديث صريحة مما هو فى النصوص الإسلامية، كوزن الحسنات والسيئات وأصحاب الأعراف والمرور على الصراط. يقول ميجيل آسين(١٣): (تكرر فى مجموعة من القصص وضعها، دانكونا، مع القصص السياسية منظر يلوح أن أصله المباشر اسلامى، وأما أبطال هذه القصص فالامبراطور شارلمان، والملك هنرى الثالث، والملك رودولف البرجندى.. ودخلت معتقدات المسلمين عن طريق القرآن - فى وزن الحسنات والسيئات - ولا حاجة بنا بطبيعة الحال أن نذكر أن رواة الحديث سرعان ما تناولوا هذا الموضوع وزينوه بمناظر واقعية بعضها متطابق تماما مع ما جاء فى القصص المسيحية **(يجاء بالرجل يوم القيامة عند الميزان فينشر النبى عليه تسعة وتسعين سجلا..) ثم يقول: (إذن ينبغى لنا أن ننشد الأصل الذى استقت منه هذه القصص المسيحية فى الأدب الدينى الإسلامى، ويؤكد هذا الرأى الذى نسوقه حقيقة أن هذه الأحاديث والقصص المسيحية تنتهى بحل متشابه.. ومن هنا نستنتج أن قصة الميزان قد دخلت إلى الأدب الأوربى الدينى فى القرن التاسع أو العاشر)** ثم ينتهى إلى القول

بأن (دانتى قد استقى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من المصادر الإسلامية أفكارا لقصيدته وأخيرا: إن هناك دلائل على تأثره بهذه المصادر الإسلامية)(١٤).

**وحين ظهرت المذاهب الأدبية فى عصر النهضة فى أوربا ثارت على كل القيود التى ينوء الإنسان بعبئها، وكانت أشد حملاتها على الدين ومفاهيمه وكل ما يتصل به بسبب، وقد أفلحت هذه المذاهب فى زلزلت أصول المسيحية فى القلوب وولى سلطانها الأدبار(١٥) (والرومانتيكيين فى تمردهم وسط بين عصر الشك ـ فى القرن الثامن عشر فى أوربا ـ وعصر الجحود والإنكار الذى ساد فى المذاهب الأدبية بعد الرومانتيكيين ، فهم مجدفون، لا ينكرون الله سبحانه، ولكن يتطاولون عليه، ويتمردون على سلطانه).**

وانتشرت هذه المذاهب فى العالم الإسلامى،و وفى العالم العربى منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقامت لها مدارس في أوائل القرن الحالى، وحين اتسعت الهوة فى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية فى الاستخفاف بالمثل والقيم والتشكيك فى حقيقة تراث الإنسانية كله، وأنه لا حقيقة لوجود الله ـ بزعمهم ـ وما يتصل بذلك من الغيبيات، جمعوا هذه الآراء فيما يعرف بالوجودية التى تعد مذهبا أدبيا وفنيا يعتنقه كثيرون هنا وهناك.

**وقد ظهرت آثار ذلك فى تراثنا الأدبى والروحى فيما نراه من فرض وترسيخ الأفكار والمفاهيم الجديدة فى صورة دعوات تجديدية، ونهضات أدبية، وقيم حضارية، لبعث الشعر والقصة والفن فى ضوء مناهج النقد الحديث حتى يصل إلى العالمية (وشاع فى(١٦) شباب الكتاب وفى بعض شيوخهم موجة من النقد، تهاجم الشعراء الذين يهتمون بالمجتمع.. وتتناولهم بالتحقير وتخرجهم من زمرة الأدباء والشعراء.. وقد كانت القصة هى أبرز ما استحدث من فنون الأدب ـ بعد الحرب العالمية الأولى ـ ولم تلبث أن طغت على سائر الفنون الأدبية).**

وفى هذه القنوات من المذاهب والفنون الأدبية تشيع دعوات تشكك الناس فى كل ما ورثناه وفى مقدمة ذلك كل ما يخرج عن دائرة المحسوس كالإيمان بالغيب، الذى هو الأساس الأول فى التدين، بقصد الوصول إلى هدم بقية القيم.

**والأعجب أن هذه الأمور تعد فى مقدمة مقاصد المستشرقين والمبشرين، ولكنها تصل إلينا فى صور مختلفة تحت شعار العلم والفكر والتحرر والتجديد، ويحمل أعلام دعوتها شخصيات لهم بريق خاص، ووزن معدود فى الأدب والفكر العربي والإسلامى.**

لقد سبق لرائد من رواد القصة فى العصر الحديث الإشارة إلى هذا الخطر فى مجال القصة ولكن التيار الغربى الجارف فى عالمنا الأدبى والفكرى والإعلامى، استطاع أن يطمس على هذه الدعوة ويغض من شأنها، على حين يشد من أزر الداعين إلى الأخذ بالأساليب الغربية، ويفتح أمامهم المجالات المادية والمعنوية، بل ويجعلهم نماذج عالمية، ويجيزهم لتحقيق غاياتهم فى تحويل المفاهيم والقيم العربية والإسلامية. **يقول محمود تيمور(١٧) (إنى لأومن اليوم، بأننا نزاول فن القصة بألوان شتى من وراثات عربية أصيلة، فأعمالنا القصصية العصرية تحمل لقاحها من أدبنا العربى العريق، ومن قصصنا الشرقى التليد) ثم يقول: (وفى ظنى أن نهضتنا الحديثة، لو كانت خلت من**

**عنصر القصة الغربية، من باب الغرض والتخمين، لما عجزنا في انبعاثنا الأدبي الجديد، عن أن نخلق القصة من وحي الأدب العربي وحده!! ومن تراثه في ميدان القصص والأساطير، ولكان هذا الأدب، على وفرة مأثوراته القصصية، خليقا أن يشق لنا مجرى لقصة عربية جديدة الطابع والطراز!!**

سارعنا إلى الإنكار على الأدب العربي أن فيه قصة!! وما كان ذلك الإنكار إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية!! في صياغتها الخاصة بها، وإطارها المرسوم لها، ورجعنا نتخذها المقياس والميزان!!، وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي، فإذا هو قد خلا منها أو يكاد!! وشد ما أخطأنا في هذا الوزن والقياس!!

**فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به !! وإطار مرسوم له!! وهو يصور نفسية المجتمع العربي وخلاله، فلا يقصر في التصوير. وإننا لنشهد فيه ملامحنا وسماتنا وضاحة وكأننا لم نفقد في مجتمعنا العربي - حتى اليوم - ما يكشف عنه ذلك القصص من ملامح وسمات، على الرغم من تعاقب العصور وتطاول الآماد، وهو في جوهره وثيق الصلة بالوشائج الإنسانية التي هي جوهر القصص الفني، وإن تباينت الصياغة واختلف الإطار).**

لهذا ولغيره نرى الحاجة ماسة وضرورية الى إعادة النظر في المفاهيم النقدية الدخيلة على ذوقنا وقيمنا الأدبية والنقدية، تلك القيم التي استطاعت أن تحتل الصدارة في العصر الحديث وتنحي تراثنا، وتسمه بالتأخر وعدم الموضوعية تارة، وبالبداوة والقصور تارة أخرى.

**لقد استطاع النقد المستورد أن يضع أسسا فنية في بناء القصة والقصيدة وغيرهما من الفنون العربية، حتى أصبح من المتعذر تقويم أي عمل أدبي في ضوء القيم والتقاليد المستلهمة من منهج القرآن والهدى النبوي والعرف العربي.**

إن الوصول إلى ذلك غاية نبيلة تستحق توحيد جهود الأمة حتى لا تتسع الهوة بين الجيل الحالي والأجيال التالية وبين تراثها الذي على قمته مصادر الهدى لعقيدتنا، كتاب الله وسنة نبيه.

**ولعل ما يظهر من دعوات ومؤلفات وعلى صفحات بعض المجلات الأدبية الجادة، وما يعقد من مؤتمرات لقيام أدب إسلامي، يستمد من تراثنا، ويتحاكم إلى قيمنا النابعة من مقدساتنا لعل ذلك يكون بمثابة لواء مرفوع تسارع إليه الأمة، لإعادة أغلى وأقدس مقومات كيانها.**

---

الهوامش :

(١) سورج السجدة .
(٢) سورة الأحقاف.
(٣) سورة الجن.
(٤) جـ ٤ ص ١٧٠.
(٥) المرجع السابق جـ ١ ص٧٩٨.
(٦) المرجع السابق جـ ١ ص٤٩٧.
(٧) منتخب كنز العمال ص٧٥.
(٨) التذكرة ص٣٦١.
(٩) ابن كثير: الفتن والملاحم جـ٢ ص٥٩.
(١٠) التذكرة ص٣٦٩.
(١١) محمود تيمور: فن القصص ص٧٣.
(١٢) د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ص١٤٢.
(١٣) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص١٨٩ - ١٩٠.
(١٤) المرجعع السابق ص٢٢٨.
(١٥) د. غنيمي هلال: الرومانتيكية ص١٥٠.
(١٦) د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية جـ٢ ص٣٥٢.
(١٧) فن القصص صفحات ٥٩ - ٦١.

** فاز بجائزة احسن عمل ادبي في ومضات للعدد (٥٢٢) لشهري ذي القعدة والحجة ١٤١٥هـ «زهير فرعون» من دمشق - سوريا - عن قصيدته «نحن المسلمين» وقد ارسلت له الجائزة.

# في رحابك يا مكة

**عمار التميمي** - طرابلس -

لولا الحنين الى دار وجـيـــران

ما طوف الوجد يوما عبر وجداني

ولا عكفت على نفسي أساجلها

مـا في الجوانح من هم وكتمان

ولا استكنت الى الأفكار تحملني

على جناح من الأشواق لهفان

ولا استجبت لداعي الشعر يلهمني

عزف الملائك من مزمار شيطان

ولا طويت ليالي الصمت ملتحفا

سهري يصد الكرى أحلام يقظان

يا قلب رفقا ففي الآفاق متسع

لكل طيـــر أقلتـــه جناحـــان

نزلت ســـهـــلا بأرضك يا مكة

فما شعرت اني قد فارقت أوطاني

أرض العروبة والاسلام ما برحت

مأوى لكل غريب الدار حيران

هـي الملاذ الـذي حـلـلـت بـه

فالدار داري وأهل الدار اخواني

يا صحبة في رحاب الفكر يجمعنا

نيل الرســالة في عـــزم وايمان

من كل صــوب اتينا جل غـــايتنا

في ساحة الايمان نعلي خير بنيان

المنهل العطر باب للرشـــاد لنا

تحيي الرجـاء وتروي كل ظمآن

# شـــرود

**محمد نجيم** - المغرب -

***ما الذّي يعْبر أصابعك؟الخوف***

***أمْ شجر الفراشَات الشّعريّة***

***ما الذي يعبر صمت عينيك؟***

***هذه النوافذ المطفأة السنابل؟***

***أم رياش حروف تذبل على راقييك؟***

***ما الذى يعبر جناحيك في وقت الصمت؟***

***أهي غزالات الهروب؟***

***أم لحظة مكاشفة؟***

***تعبر هذا الكائن الشعري فيك***

***ما الذي في عينيك؟***

***أهو ظل قصائد متحجرة***

***أم أقفاص الكلمات اللاهثة***

# الفرحة الكبرى

عبد الله جعفر آل ابراهيم - الظهران -

أمــــا جــــادت قــــريحـــتكم
بشـيء يثـلج الصــــــدرا
ويـرسـل دمـع مـــــــقلتكم
لتـســقى البـــر والبـحــرا
ســــــروراً بـالـذى عطـشـت
له أكـــــبــــادنا الحـــرا
ألـم يرسل لكم خـــبـــــراً
ضـيــاء الفـرحــة الكبـرى
كـــفــتنا صـــاح مــعــذرة
فـــقم وانشــد لنا شــعــرا
فــــمـــــا عــــودتنا صـــداً
ومــــا عــــودتنا هجـــرا
فـــلا تحـــتج مــعـــتـــذراً
فــــإنـا نرفض العـــذرا
وخــــــذ ممـن أتـوا لَبِنَاً
بهـــا شـيــد لنا قـــصـــرا
وضـع مــا شـئت من شــجـر
لينشــــر حـــولنا عطرا
وأهد القـــصـــر من حــضــروا
لطلعـــــة بدرنا الغــــرا
وقـم بالشـعــر مـبـتـهـجـاً
ولا تـطـلـب لـه أجــــــرا
فـــهــــذا الليل قـــد كُشِفت
لنا أســـتـــاره فـــجــــرا
ولـم نتــــرك لظلمـــتـــه
على أبصــــارنا ســتـــرا
فـتلك الظلمـــة انقـشــعت
وقـــد ضـــقنا بهـــا صـــبــرا
وجـــــاء النور فـى حـلـل
لينشـــر بيننا الخـــيــرا
فـــيــورق عـودُ مـــزرعـــة
ويجـــرى مـــاؤها نـهـــرا

وتنمــــو كل باســـــقـــــة
وتحـــمـل فـــوقــــهــــا تمرا
وتحـــيــــــا كل ذابلة
فـتــفــتح وردها ســـحــرا
وتجـــــــذب كـل نـاظـرة
لتــــأنس عـنـدهـا وطـرا
وتجلب رزق صــــادحـــة

إلى أن يبلغ الوكرا
وتبقى أنت منتظرا
ولم تنطق به شكرا
وتخفى كل مكرمة
وتكتم ما بدا سرا
كأنك ما علمت بها
وأنت بشأنها أدرى
تركت سواك يذكرها
ولم ترفع لها ذكرا
وكنت هناك مبتعدا
وأنت بقربها أحرى
جحدت لنعمة نشرت
فكم قابلتها كفرا
فقم وانظر لمن كتب الـ
إله العز والفخرا
ولا ترجع بغير هدى
بكفّي خاسر صفرا

---



**عمر فتال** - المغرب -

***ملحوظة:***

***في أحد البرامج الاذاعية سمعت مراجعة لكتاب تحت عنوان: «الكارثة الثلاثية» وهو كتاب تناول امكانية انتقال فيروس الايدز من الزوج الى الزوجة والعكس بالعكس هذا فضلا عن تلقي الجنين للعدوى فكانت هذه «الصرخة».***

أماه! أعذريني لقد آلمتك أكثر من اللازم.. لقد طردت النوم عن مقلتيك في أعز فترات النوم .. لقد حرمتك من لذة أشهى المأكولات، وعذوبة أحب المشروبات إلى قلبك.. لقد ضاعفت من آهاتك، وضاعفت عناءك بشكل بالغ ومع هذا فإياك أن تزوري الطبيب بدعوى أن هاته علامات أجهاض.. هوِّني عليك، ولا داعي إلى الجزع فاطمئني فأنا في نهاية شهري الخامس.. كما أني في صحة وعافية.. إلا أن الخوف قد بلغ مني مبلغه، وباتت نظراتي إلى الغد المنظور سوداء كالحة.. ولِمَ لا والظلمات التي تلفني هنا داخل رحمك قد ازدادت قتامة فوق قتامة بعد أن أضحيت أقضي كل أوقاتي متوهما سماع صوت خطوات ذاك المرض البغيض تقترب مني.. أماه! أجل إنني في عافية لكنني خائف.. خائف.. خائف إذ أية مصيبة هاته التي ستجعلني - لا قدر الله - أصرخ صرخة الحياة وأنا مصاب بداء وبيل حار في أمره الطبيب والخبير؟! وأية طامة كبرى هاته التي ستلحق بي وأنا أفتح عيني عليك وأنت بين براثين هذا المرض العضال، وأية داهية عظمى هاته التي ستحل بي عندما أفتح عيني على أبي وهو طريح الفراش، منبوذ من طرف الأصدقاء، والأقرباء!! بالله عليك خبريني كيف يمكن لي ألا أضطرب وأنا أحس بالداء الفتاك يرصدني في كل وقت وحين ومعي أقرب الناس إلي: أمي وأبي.. أماه! رفقا بي وبنفسك ونفس أبي.. أماه! أرجو منكما الرجاء كل الرجاء أن تسلكا طريق الله المستقيم.. أن تسيرا في درب الهداية.. أن تجتنبا طريق المهالك الماحقة.. أن تبتعدا البعد الكلي عن عالم الغواية المتعدد القارات.. آلا ترافقا من يعمد إلى نثر السحب الدكناء في سماء مستقبلنا نحن الثلاثة.. يومها فقط ستهدأ الأجواء من حولي هنا داخل

رحمك ويقلع عني الهلع والجزع، وتتحول تطلعاتي إلى الغد المنظور إلى أحلام لذيذة بمهد مريح، ببسمة أم عطوف، ببهجة أب متلهف إلى رؤيتي، وهدية قريب مهنيء بسلامة القدوم.

---

# فاتحة الغيم

**سلامة الشطناوي** - الاردن -

قلتُ من يُوقظُ الحقل
من يحتمي بجراحي؟
قلت هذا دمي
والسنابل راحي
قلت ، يا وطني، ظلٌّ روما عميقُ
وأنت وشاحي
قلت أنت الورود
وحين صمتٌ
أضعت سلاحي
وتلعثم دمعي على الطرقات
وجاء الصدى معلناً
عن هديري، وشاخ نواحي
ألف آه على وجنتي تسيلُ
ومستنقع ونحولُ
قال قلبي: بذار هو البحث
عن لغة وفلاح
فكتبت على عنق الريح
فاتحة الغيم
ثم سكبت صباحي.

# ثنائية الخطى

**احمد عبد الرحمن العرفج** - السعودية -

لا بأس اذبح فى عيونى - نادما -
حرفين لما استقبلاك تلملما
إياك أعنى .. لا تحاول مهرباً
يا من يشاطرنى الصبابة والدم
طالعت لونك .. والمساء .. فلم اكد
اتبين الليل الممزق منهما
كم جئت أسألك الجواب فخاننى
صوتى الجهور ولم أكن متلعثما
«أنا يا رفيق» ولا أمُنّ قصائدي
لولاك ما طبعت على فمها فما
غنَّيت فى كفٍّ المساء قصيدة
ممزوجة بالزحف .. تغزو الأنجما
نُثرت على لون التراب، فلا تسل
عن شوكها الوردي كيف تبرعما؟!!
ها قد أتيت - ولم ألملم - غايتى
انسل من درب المنى مستفهما
هذى طريقى، لا تجادل خطوتى
أدركتها - يا أنت لكن، بعدما !!
وجلٌ ، أسافر والليالى صهوتى
والماء فى كفِّي يحتضن الظما
عبرت أمانينا ، فقل أهزوجتى
إنى انتظرت على الطريق الموسما
نحن انبثاق الأرض .. هذا دربنا
يخضر فى صدر القوافى مثلما
باسم العرار .. أتيت انثر غفوتى
أنت الشميم .. وذي عشيات الحمى

# علم الفلك عند العرب وأثرهم في تطوره

بقلم :
د. مسلم محمد علي
- دبـــي -

يعتبر علم الفلك (Astronomy) - وهو العلم الذى يدرس الاجرام السماوية والظواهر الكونية المختلفة، دراسة علمية منظمة - من أقدم العلوم الرياضية التجريبية ويشكل فى وصوله الى ما هو عليه اليوم سلسلة متعددة الحلقات طويلة ساهمت فيها الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية والحضارة الاوروبية بنسب مختلفة، والحضارة الاوروبية وان تبوأت اليوم المكانة الرفيعة بفضل الثورة الصناعية والاكتشافات الحديثة الا أن علم الفلك العربي تحديدا قد ازدهر ازدهارا فائقا ابان الحضارة العربية الاسلامية ودام قرابة سبعة قرون، أهدى فيها العلماء العرب والمسلمون العالم أروع انجازات بقيت شاهدة على عبقريتهم العلمية لقرون عديدة.

**ان البدايات الاولى لاشغال الانسان بالامور الفلكية سحيقة في القدم تجلت فى ملاحظات الاقوام البدائية وخيالاتهم وايحاءاتهم في تأملهم السماء ومع ذلك يمكن لنا أن نميز حضارة فلكية دون أخرى فالتراث الفلكي البابلي المعروف اليوم من خلال الوثائق التاريخية يطلعنا على تصور أهل بابل للسماء كأنها سبع طبقات ، وفى كل طبقة أحد النيرين والكواكب الخمسة المتحيرة حسب قدر أبعادها عن الارض.**

وانتقل هذا التصور الى العرب في بداية معرفتهم بعلم الفلك لا سيما وانها كانت محدودة جدا قبل الاسلام ومرتبطة بشكل مباشر بالحاجات اليومية لمعيشتهم. الا أنهم عرفوا بسبب شدة العناية والتجربة بعض النجوم وأنواع الكواكب الخمسة المتحيرة وميزوها عن النجوم الثابتة وعبدها بعضهم من سكان الصحارى فكانت، حمير تعبد الشمس، وكنانة القمر، وتميم الدبران، ولخم وجذام السهى، وقيس العبور وأسد عطارد(١) وسموها بأسماء لم يزل استعمالها الى الآن.

**وقد احصى الصوفي (ت٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) الكواكب المستعملة عند العرب بأسمائها العربية في كتابه صور (الكواكب الثابته الثمانية والاربعين) فبلغت نحو مئتين وخمسين(٢) ، أما البروج الاثنا عشر فهي مجهولة - برأي المستشرق فلينو- عند العرب، واسماؤها ما عدا الجوزاء مترجمة من اسمائها اليونانية والسريانية(٣).**

أما منازل القمر فقد عرفها العرب وكان لهم مذهبهم الخاص فيها، فقسموها الى ثمانية وعشرين قسما أرادوا منها معرفة أحوال الهواء وحوادث الجو في فصول السنة، فى حين أراد غيرهم - الهنود - التنجيم(٤). وعلى ذكر التنجيم يذكر أنه ارتبط بعلم الفلك ارتباطا وثيقا، وتسبب هذا المظهر (شبه التنبؤي) للتنجيم بقيام معارضة دينية، ومع ذلك قلما استطاعت هذه الانتقادات الحد من ازدهاره، ولم تصل بحال من الاحوال الى القول بأن علم احكام النجوم - التنجيم - علم مستنكر، والخليفة على بن ابي طالب - رضي الله عنه - كان ممن يشهد لهم بمعرفة النجوم، وتنسب اليه معارف في الاختيارات(٥).

**كما أن معظم الحكام قد شجعوا على ممارسته، ويحكى أن الخليفة العباسي المنصور حين أراد بناء بغداد سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) وضع الاساس في وقت اختاره نوبخت المنجم (توفي في خلافة المنصور) وما شاء الله بن سارية (يظن أنه توفي حوالي ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)(٦).**

ومن جملة معارف العرب الفلكية ايضا، تصورهم أن الارض منبسطة، والسماء فوقها كالقبة.

وفي الواقع لا يسعنا الحديث عن وجود علم فلك حقيقي، مؤسس على قواعد ومستند الى أدلة وبراهين عند العرب قبل (القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد)، بعد ان اطلعوا على كتابات الهنود ولخصوها وأرفقوها بجداول عديدة تتعلق بحركات السيارات والاجرام السماوية وانطلقوا في

حركة ترجمة كبيرة لاهم كتب اليونان والهنود والسريان وكان الخليفة خالد بن يزيد (ت ٩٠هـ/ ٧٠٨م) أول من أوعز بترجمة الكتب التي تتناول الطب والسيمياء وأحكام النجوم.

**ولعل أن يكون أول كتاب ترجمه من اليونانية الى العربية هو في أحكام النجوم ويدعى «كتاب عرض مفتاح النجوم» المنسوب الى هرمس وكانت ترجمته سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)(٧).**

وفي زمن الخليفة العباسي المنصور (ت ١٦٨هـ/ ٧٧٥م) ترجم ابراهيم الفزاري (ت حوالي ١٨٠هـ/ ٧٩٦م) كتابا فلكيا من وضع الهنود الى العربية ودعاه (السند هند) وعمل منه زيجا(٨) اشتهر بين علماء العرب، ونقل ابن يحيى البطريق كتاب (الاربع مقالات) Tetrabiblos لبطليموس في صناعة أحكام النجوم(٩).

وبعد مرحلة الترجمة والنقل، اصبح العرب يملكون معلومات كافية في علم الفلك الهندسي والتطبيقي وتوجوا ذلك بترجمة كتاب بطليموس الشهير بالتسمية التي اطلقوها عليه اي (المجسطي) وظلوا يذكرون محاسنه لفترة طويلة، الى ما بعد تأسيس المراصد الفلكية (الشماسية في بغداد وقاسيون بدمشق) بأمر الخليفة المأمون وتمكنوا عندها من تصحيح امور كثيرة عند بطلميوس، **ووضعوا زيجا ممتحنا مصححا لحساباته الفلكية ومن الآثار الهامة(١٠) التي تدل على عناية العلماء بترقية العلم ومهارتهم العجيبة في الارصاد: قياسهم قوسا من دائرة نصف النهار (اي طول درجة واحدة) بين تدمر والرقة أيام الخليفة المأمون فوجدوها (ستة وخمسين واثنين على ثلاثة من الميل اي (١١١ر٨١٥) كم والقيمة الحقيقية هي (١١٠ر٩٣٨)كم.**

ووجدوا طول محيط الكرة الارضية (٤٠٢٥٣) كم وهو قريب من الطول الحقيقي اليوم (٤٠٠٧٠)كم.

وكان نجاحهم في رصد حركات السيارات وحساباتها عظيما مستخدمين الوسائل الرياضية في الحسابات الفلكية.

**وعلى الرغم من أن علم المثلثات قد أخذه العرب عن الهنود في القرن الثاني للهجرة، الا أنه قد تطور على ايديهم ووصل ذروته في القرن السابع الهجرى حين اسس نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) علم المثلثات كعلم مستقل.**

**ولما فطن العلماء العرب الى قصور الحواس عن ملاحظة الكثير من الوقائع الجزئية والظواهر الطبيعية لفرط صغرها أو بعدها مما يعوق الملاحظة المباشرة نزعوا الى اختراع الآلات الفلكية وبناء المراصد وكان من بين الآلات التي استخدموها في هذه المراصد اللبنة والحلقة الاعتدالية وذات الاوتار وذات السمت والارتفاع، وذات الجيب والمزولة والاسطرلاب بأنواعه** التام والمسطح والهلالي والزورقي والمبطح.. ويصف لنا الصفدى مرصد مراغه فيقول:

«سافرت الى مراغة وتفرجت فى هذا المرصد ومتوليه صدر الدين على بن الخواجا نصير الدين الطوسي.. ورأيت الدائره

الشـمـسـيـة يعـرف بهـا سـمت الكواكب واسطرلابا تكون سـعـة قطره ذراعـا واسطرلابات كثيرة وكتبا كثيرة(١١).

**وفي كـتـاب الحـارثي (٨٨٠هـ/١٥١٥م) (الآلات العجيبة) أنواع كثيرة من هذه الآلات الرصدية(١٢).**

**ولقد خص العلماء العرب آلة الاسطرلاب باعتناء وتقدير كبيرين لدرجة أنهم نعتوها بالآلة الشريفة(١٣٠)، وربما لا توجد آلة في الوجود صغيرة الحجم سهلة الحمل كالاسطرلاب وتقوم بعمليات فلكية ورياضية يتجاوز عددها المئات من المسائل.**

فقد وضع العالم الفلكي عبد الرحمن بن عمر الصوفي (ابو الحسين) (ت٣٧٦هـ/٩٨٦م) كتابين ورسالة في العمل بالاسطرلاب ووقع كتابه الكبير في الف وسبعمئة وستين بابا من أبواب العمل به.

**مما يدل على حجم الامكانات التي يمكن أن يؤديها الاسطرلاب فساهم بذلك في دفع عجلة التقدم بعلم الفلك كما أن الادوات الفلكية ذاتها قد تطورت كثيرا عن الحالة التي وجدت بها في مرحلة التأسيس والبدايات الاولى لعلم الفلك عند العرب.**

فالاسطرلاب المسطح كان الآلة الرئيسية التي استخدمت في الفلك وقامت فكرته على فكرة تسطيح الكرة التي تضمنتها مؤلفات بطلميوس من قبل، **وفيها يتم تسطيح الكرة السماوية على السطح المستوى لدائرة الاستواء بحيث تكون نقطة النظر هي القطب، اي باستخدام الطريقة المعروفة اليوم «بالاسقاط المجسم للكرة» (Stereographic Projeciron)**

ولما كان هذا النوع من الاسطرلاب يحتوي على صفائح عليها احداثيات السمت وكل صفيحة مخصصة من أجل عرض واحد من عروض البلدان فان المرء يحتاج الى صفائح يصل عددها الى عدد خطوط العرض التي يراد استخدام الاسطرلاب من أجلها مما يجعل الاسطرلاب ثقيلا رغم صغر حجمه. ومن أجل هذه المشكلة ابتكر العالم الاندلسي علي بن خلف ( القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادي) الصفيحة الشاملة، وهي المسقط المجسم للكرة على سطح متعامد مع دائرة البروج،

**وبعد ذلك تمكن عالم اندلسي آخر وهو الزرقالي (ت حوالي ٤٧٧هـ/ ١٠٨٧م) من ابتكار اسطرلاب من نوع جديد عرف باسم «الصفيحة الزرقالية» وأمكن بوساطته رسم المسقطين المجسمين لدائرة الاستواء ودائرة البروج على نفس المسطح،** واستطاع بذلك ان يحول الاسطرلاب من اسطرلاب خاص الى اسطرلاب عام باستبداله من المسقط القطبي الاستربوغرافي الى المسقط الافقي الاستربوغرافي. وجعل استعماله على منهج جديد وبأسلوب سهل. كما قام شرف الدين الطوسي(١٤) (ت ٦١٠هـ/ ١٢١٣م) بعمل الاسطرلاب الخطي او المسمي «بعصا الطوسي»، ويعتبر اكثر انواع الاسطرلاب تبسيطا.

ان الاسطرلابات بأنواعها كانت تعتبر من الالات الرصدية بشكل عام مع أنها أقرب الى أن تكون من الآلات الحسابية الفلكية وهي بمثابة الآلة الحاسبة اليوم وينحصر استخدامها كآلة رصد في قياس ارتفاع الشمس أو الكواكب باستخدام العضادة الموجودة في ظهر الاسطرلاب.

**أما الآلات التي كانت تستخدم في الرصد فكانت صغيرة بوجه عام وكانت تعطي نتائج صحيحة في حدود عشر درجات من القوس فقط(١٥).**

هذا مع علمنا بأن آلات رصد ذات قطر كبير كانت مستخدمة أيضا، فقد ذكر ان (أولوغ بك) (ت٨٥٣هـ/ ١٤٣٩م) انشأ آلة (ربع الدائرة) بلغ نصف قطرها ارتفاع كنيسة أيا صوفيا في القسطنطينية(١٦). وفي القاهرة بنيت حلقة قطرها عشرة أذرع ودورها ثلاثون ذراعا رصدوا بها الشمس في حوالى سنة (٥١٤هـ/ ١١٢٠م)(١٧). وكان ارتفاع آلة السدس الفخري التي استعملها حامد بن خضر الخجندي (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) في قياس الميل الاعظم اربعين مترا تقريبا(١٨).

**وكان الفلكيون يلجأون الى حساب المثلثات في تحديد سمت القبلة والاغراض الفلكية الاخرى، وربما كان من أعظم انجازات العلماء العرب تخليهم عن نظرية بطلميوس في حساب تلك المسائل بواسطة الاوتار واكتشافهم المعادلات الاساسية في حساب المثلثات الكروية وكان من أعلامهم في ذلك البتاني (ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م) وابي الوفا البورجاني (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) وابن الهيثم (ت٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م).**

وقد مكنت تلك الآلات بالاضافة الى نظريات أولئك العلماء من تنفيذ الارصادات الدقيقة والمستمرة والتي دامت احيانا ثلاثين سنة أو أكثر توصلوا بها الى نتائج مهمة نسبيا.

فقد لاحظ البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) منذ وقت مبكر أن أوج الشمس غير ثابت واشتغل في حساب هذه الحركة مستخدما الحساب التفاضلي وكان المقدار النهائي الذي ثبته العلماء العرب لهذه الحركة هو (١٢ر٠٩) ثانية في السنة وهو في الوقت الحاضر (١١ر٤٦) ثانية في السنة.

**وقام البتاني بارصاد عديدة على درجة كبيرة من الدقة فاثبت حدوث الكسوف الحلقي للشمس، وبعده بعدة قرون (١٧٤٩م) تمكن دنثورن Donthorn بالاعتماد عليه ارصاد البتانى من تحديد تسارع القمر في حركته حول الارض(١٩).**

وحسب الخجندي (ت٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) الميل الاعظم ووجده ينقص بمرور الزمن فكان لذلك الوقت (٢٣ درجة و٣٢ دقيقة و٢٢ ثانية) ولا يختلف عن الرقم الحالي للوقت ذاته الا بدقيقتين. وكان أبو سعيد السجزي (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) ممن قبل فكرة دوران الارض حول الشمس وصنع اسطرلابا على

هذا الاســـــاس دعـــــاه الاسطرلاب الزورقي)(٢٠).

ووضح ابن الهيثم (ت ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) بشكل علمي حركات السيارات وذكر ان بطلميوس أخطأ في وضع الهيئة لحركات السيارات الخمس وهو عارف بذلك ولكنه لم يقدر على قدرها(٢١).

**أما البطروجي (نور الدين أبو اسحاق)، (ت حوالي ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) فيعتبر ان جميع ما قاله بطلميوس في هيئة العالم «انما هو بالتوهم ولا بالحقيقة»(٢٢ ويعزو الدوميلي له الفضل في زعزعة تعاليم بطلميوس والاعداد لتقويضها في المستقبل(٢٣).**

ويعتقد الباحثون اليوم أنه من المحتمل أن تكون هذه النظريات العربية الاسلامية قد أدت الى ما فعله (كوبرنيكوس) بوضعه الشمس في مركز العالم خاصة وقد ثبت الان - وهذا برأى الاستاذ سيزكين - ان: «كوبرنيك نقل من زيج الزرقالي اشياء كثيرة دون ذكر المصدر، وان ذكره بصورة عرضية بمناسبة ذكر الزرقالي لحركة اوج الشمس السنوية (١٢,٠٩) ثانية لكن كوبرنيك لا يريد أن يقبل ان لاوج الشمس حركة(٢٤).

**ان وصـول علم الفلك الى المرحلة التي تجلت في شخصية كوبرنيكوس كحلقة من حلقات التطور التاريخى لعلم الفلك يجب النظر اليه من خلال الاعمال العظيمة التي قدمها العلماء العرب والذين شكلوا بانجازاتهم احدى الحلقات الهامة في مسيرة تطور علم الفلك بشكل عام.**

الهوامش :

(١) الاندلسي صاعد، طبقات الامم، ص١١٥ - ١١٦.

(٢) شيلروب - معرفة الكواكب الثابته، الترجمة الفرنسية لكتاب (صور الكواكب) للصوفي، ص٣٥.

(٣) نلينو كارلو، علم الفلك، ص١٠٨.

(٤) البيروني محمد بن احمد - الآثار الباقية، ص٣٣٦.

(٥) البغدادي الخطيب - تاريخ بغداد ، المجلد السابع، ص٢٩٧.

(٦) اليعقوبى ابن واضح - البلدان، ص٢٣٨.

(٧) نلينو - كارلو - علم الفلك، ص١٤٣.

(٨) الزيج - كلمة فارسية معربة وهي بالفارسية زي وتفسيره الوتر وهو مشتق من اوتار الكواكب وكلما ارادوا اعرابه. ابدوا فيه الجيم فسموه الزيج (انظر كتاب - علل الزيجات - لعلي بن سليمان الهاشمي - تحقيق وترجمة كنيدي وحداد - نيويورك ١٩٨١م). اما نلينو فقد شرح الزيج بمعنى (السدي) الذي ينسج فيه النسيج وهو من اللغة البهلوية أصلا واطلقته الفرس على الجداول العددية (انظر نلينو - علم الفلك، ص٤٣).

(٩) القفطي - أخبار الحكماء، ص١٦٢، طبعة مصر - مكتبة المتنبي، القاهرة.

(١٠) سيزكين فؤاد - محاضرات في تاريخ العلوم العربية والاسلامية، ص٧٩.

(١١) الصفدي - الوافي بالوفيات، ج١، ص١٨٢.

(١٢) حاجى خليفة - كشف الظنون، العمود (١٤٥ - ١٤٦).

(١٣) الصوفي عبد الرحمن بن عمر - مخطوط (رسالة في العمل بالاسطرلاب) أيا صوفيا رقم ٢٦٤٢/٢.

(١٤) ابن خلكان - وفيات الاعيان ، مادة بديع الاسطرلابي، المجلد الثاني، ص ١٨٤ - ١٨٥. كما يرد اسم الطوسي مخترع الاسطرلاب الخطي (المظفر بن محمد بن المظفر الطوسي) كما جاء عند نلينو في دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية - مادة اسطرلاب - ج٢، ط١، ص١١٤ -١١٨.

(١٥) فيرنيه جوان - تراث الاسلام - الجزء الثاني، ص٣٢٦.

(١٦) سيديو - تاريخ العرب العام، ص٣٥٨.

(١٧) المقريزي - الخطط المقريزية، ج١ ، ص٢٢٣.

(١٨) سيزكين - محاضرات في تاريخ العلوم، ص ٨١ - ٨٢.

(١٩) فيرنيه - تراث الاسلام، الجزء الثاني، ص٣٣٢.

(٢٠) نلينو - علم الفلك ، ص ٢٥١ -٢٥٢.

(٢١) ابن الهيثم - الشكوك على بطليموس، تحقيق عبد الحميد صبره ونبيل الشهابي، ص ٣٤ - ٣٨.

(٢٢) البطروجي نور الدين - المرتعش، مخطوط اسطنبول، احمد الثالث ٣٣٠٢، الورقة (٨ب).

(٢٣) الدوميلي - العلم عند العرب، ص٣٨٤.

(٢٤) سيزكين - محاضرات في تاريخ العلوم ، ص٩٥.

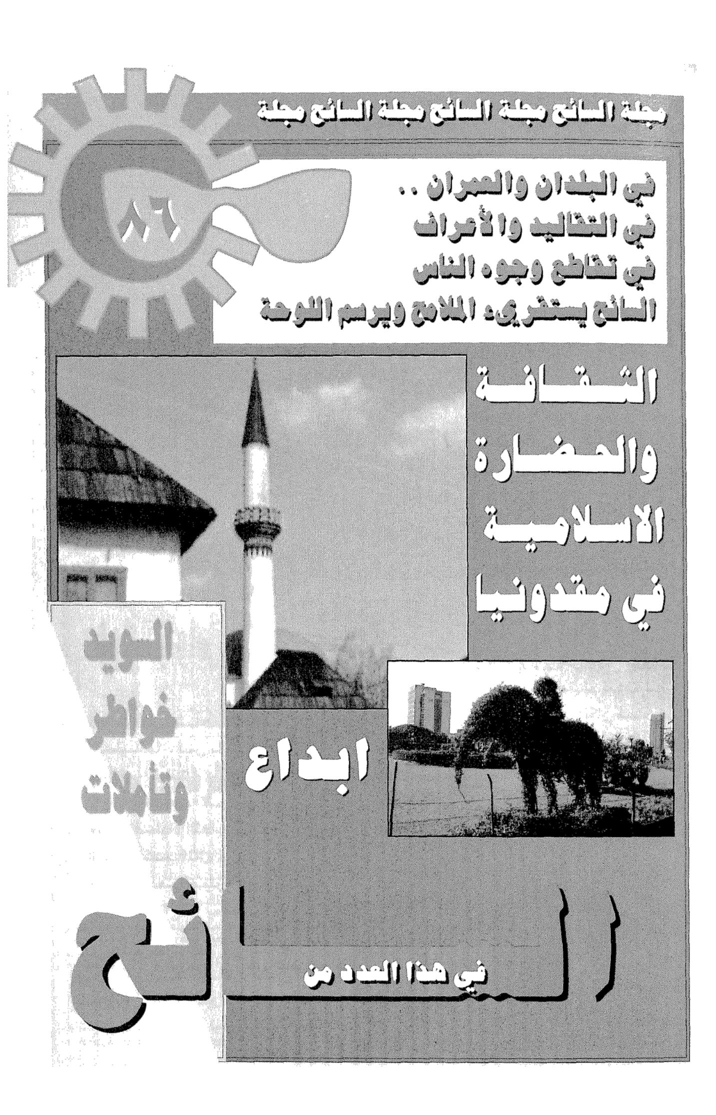
# ولكم تشهتك القصائد

**شعر: محمد سعد دياب - ينبع الصناعية -**

مــا أنكرت ريحُ الفــواصل أنَّك الدنيــا البــهــا ء
وبأنك الآصــال تمطرنا خــزامــاها ·· وتمطرنا الرواء
الأمنيــات شــربن منك الحــسن ·· والمقل الظبــاء
يا واحــداً إذ مــا رنا ·· مــدَّ الهـوى كــفـا وجـا ء
ولكم تشــهــتك القــصــائد ·· مــادنتْ منك اشــتــهــا ء
وترشَّفــتك رحــيق داليــة ·· تصــبــتك احــتــفــا ء
كل انثنا ءة جــدول رفت ·· لهــا منك انتــمــا ء
خلقت أنت حكاية حــفت بهــا الصــور الوضــا ء
تهب اليــقين ·· وترتمى ألقــاً ·· ودفــقــة كــبــريا ء
فــتــمــايست بالشــوق الآف الغــيــوم ·· ولا ارتوا ء
وتوجَّد الريحان ·· تاق الوصل ·· وارتعش المسا ء

* * *

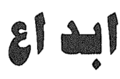
العــاشــقــوك جــوانح ولهي ·· وأفــئــدة ظمــا ء
هم أرضــعــوك نجــيع مــا يعطى التــحــرّقُ والدمــا ء
جــدلوك لؤلؤة ·· وبارقــة ·· ولحناً من ضــيــا ء
ته ·· وامــلأ الآفــاق زهوك وانتــفض عطراً ومــا ء
واسكب حـضـورك ·· تصـدح الآمـاد ·· يخـضـرُّ الغناء
واخُطر نسـيــمـاً ريِّقـا ·· رُش العـبـيـر كـمـا تشـا ء
الحرف ·· حين تهلُّ ·· يصـهل فـرحة ·· يثبُ انتـشـا ء
أنت المجئ المســتــحــيــل ·· وأنت وعــد وارتجــا ء


مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح مجلة
٨٦
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة
الثقافة
والحضارة
الاسلامية
في مقدونيا
السويد
خواطر
وتأملات
ابداع
في هذا العدد من
السائح

## هوايات وامزجة

اقتناص الثعابين واصطيادها ، ليس بالأمر السهل ·· بل قاتل·

واذا كانت هذه الأسرة قد تعودت اصطياد الثعابين في البداية لكسب المال، فقد تحولت عندهم أخيرا إلى هواية ومزاج ·· يصطاد احدهم الثعبان كمن يصطاد عصفوراً ·· في حين ان بعض الناس يخاف من الثعبان حتى وان كان في قفص زجاجي مغلق·




الحدائق لم تعد مجرد خضرة تملأ المكان فحسب ، بل تحولت الى ابداع رائع ترتاح له النفس وتسكن إليه ·· ولا شك ان مثل هذه الحديقة تشدك إليها اكثر من أى مكان آخر··

الخضرة الممتدة في حدّ ذاتها شيء جميل تستطيبه النفس، اما أن يصنع الانسان من هذه الخضرة اشكالا فنية رائعه ، فهذا اكثر جمالا وروعة·

# غرائب البشر لا تنقضي ..




عجوز تقدمت به السن، وآلة عزف ، وكلب .. عجوز تقطعت به السبل، وذهب عنه الصديق والحبيب ، فلا أقل من أن يصحب كلبه وموسيقاه .. ويأخذا مكانهما في قارعة الطريق. من يعجبه العزف فليستمع ، ومن يعجبه المنظر فلا بأس عليه ان يمتع به نفسه .. أما العجوز وكلبه فهما غارقان في دنياهما ..



# ديجون .. مهرجانات الشعوب

المهرجانات على مستوى العالم أصبحت ظاهرة عامة بل هي في كثير من الأحيان عملية جذب سياحي اضافة الى انها عملية ترويحية وترفيهية جميلة، وفوق كل هذا فهي تعكس جانباً من عادات وتقاليد الشعوب في بعض معطيات حياتهم اليومية .. ومهرجان (الطعام والكروم) في مدينة «ديجون» الفرنسية يمثل واحداً من طرائف المهرجانات ويبدو هذا واضحاً من مسماه. إذ يقام احتفال سنوي لقطف العنب، وخلال الحفل يقدم للحاضرين (ثلاثة عشر) طبقا تقليديا من اكلات هذه البلدة.

# الثقافة والحضارة الإسلامية فى مقدونية

د. أبو الفتح
شرف الدين
حجازي
- مصر -

قبل أن تتفكك يوجوسلافيا الفيدرالية السابقة، كانت جمهورية مقدونية إحدى جمهورياتها الست التي كانت تتكون منها الدولة الإتحادية.

ومعروف أنَّ مقدونية تقع فى الجنوب من صربيا وفى شمال اليونان وتحدها ألبانيا المسلمة من جهة الغرب وبلغاريا من الشرق، وهى من دول الإقليم المتوسط لشبه جزيزة البلقان وتتصل الأنهار التي تجرى بها بكل من بحر إيجة والبحر الادرياتيكي.

يمثل المسلمون في مقدونية أكثر من ٤٥٪ من إجمالي السكان الذين يتكونون من عرقيات مختلفة من الألبان (الأرنؤد) واليونانيين والغجر الى جانب بعض العناصر السلافية الأخرى ـ ويمثل المسلمون في تلك الدولة الحديثة ثالث تجمع إسلامى في يوجوسلافيا السابقة وذلك بعد البوسنة والهرسك، وكوسوفو وميتنوهيا.

والمسلمين في «مقدونية» مجلاتهم وجرائدهم الخاصة باللغة العربية واللغة التركية وهناك مجلات للأطفال والمرأة المسلمة.

عاصمة البلاد هى «أسكوب» أو سكوبلى وهى مقر المشيخة الإسلامية المقدونية التي تشرف على ٤٥٠ ألف مسلم ويرأسها الشيخ/ سليمان رجب. وقد ادت المدينة دوراً كبيرا فى مجال التجارة والحرف فى العصر الإسلامى وتحتوى على العديد من المبانى والجوامع والمؤسسات الإسلامية سنعرض لها فيما بعد.

## مقدونية قبل الإسلام:

فى العهد القديم تغلغلت قبائل الهون فى مقدونية واجتازها التتار ودخلتها قبائل التبشنيز والكومان وغيرهم ومرت هذه العشائر من هناك وخلفت وراءها بعض الآثار في مجالات الثقافة والفنون.

نزلت القبائل السلافية الى أرض مقدونية فى نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديين واستوطنت بها وكانت المنطقة خاضعة لبيزنطة وواقعة تحت نفوذها، وفى عام ٨٩٣ ميلادية أصبح «كلمنت» أول أسقف للقبائل السلافية في مقدونية وفى النصف الثانى من القرن العاشر أسس صمويل أول دولة مقدونية عاصمتها «بريسبا» وتحولت فيما بعد إلى «أوهريد»، وفي عام ١١٨٠ إنهارت مقدونية وعادت إلى بيزنطة وظلَّ شعبها يناضل من أجل الحرية والاستقلال إلى أن ضمت دولتهم إلى «بلغاريا» ولكنَّ المقدونيين هبوا من جديد ثائرين ضدَّ الحكم البلغارى على الرغم من وحدة اللغة والجنس بين الشعبين، وفى نهاية القرن الثالث ضمت دولة مقدونية إلى المحكمه الصربية في عهد الإمبراطور «دوشان» حاكم الصرب الذى نقل عاصمة بلاده الى مدينة أسكوب العاصمه الحالية لجمهورية «مقدونية» الجديدة.




خارطة لدول البلقان وتظهر فيها مقدونيا

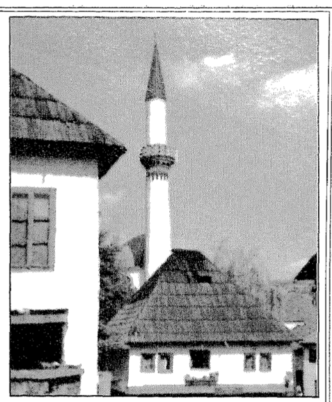
**مقدونية في العصر الإسلامي:**

عرف المقدونيون الإسلام وتعرفوا عليه عندما قام السلطان مراد بفتح هذه البلاد عام ١٣٨١م الموافق ٧٨٢هـ وأصبحت منذ ذلك التاريخ أول ولاية عثمانية في البلقان تابعة مباشرة الى الباب العالي في إستانبول.

**وتأصل بتلك الولاية الإسلامية الدين الحنيف وانتشرت الثقافة الإسلامية والعربية، وشيدت المساجد والجوامع والتكايا والحمامات العثمانية، وأقيمت المدارس والكتاتيب التي تُعلم وتربي الفتيات بعلوم القرآن والشريعة.**

**وبذلك حلَّ التأثير الاسلامي محلَّ التأثير الغربي البيزنطي الذى كان سائداً قبل الفتح العثماني الإسلامي، وكان التأثير بالغ الوضوح في المدن حيث تساوت الطبقات في المجتمع المقدوني واختلطت الطبقات العليا بالشعب ونعم الجميع بالإخاء والمساواة في ظل الدين الحنيف دين المساواة والعدل.**

وفي القرن السابع عشر تأصل التشرق إلى درجة أن أصبحت المدن المقدونية امتداداً لدول الشرق في التقاليد الإجتماعية والإقتصادية وكانت «أسكوب» من أكبر مدن جزيرة البلقان في ذلك الوقت وكان بها (٢١٥٠) محلا تجارياً (دكان) ٤٥ جامعاً ـ ٧٥ مسجداً، ٩ مدارس لقراءة وتجويد



احد المساجد في مقدونيا

القرآن الكريم، ٧ فنادق مجانية لا يدفع فيها العابرون شيئاً **وكانت تسمى بالتركية «كارافان ساراى» اكثر من ألف حمام فى البيوت الخاصة إلى جانب عدة حمامات عامة.**

وفى الولاية المقدونية كان التعليم مرتبطا بانتشار الاسلام دين الله الحنيف ـ ففي كل مسجد أو جامع كان يقام به «الكتاب» الذى كان يقوم محل المدرسة الإبتدائية فى العصر الحديث. وفى البداية انتشرت هذه المؤسسات التعلمية التربوية الإسلامية فى المدن الكبرى مثل: أسكوب، مانستير وأوهريد وغيرها، ثم اتسعت شبكية الكتاتيب لتشمل باقى المدن والقرى التى توجد بها المساجد أو الجوامع. وكان التعليم يتركز حول تعليم كتاب الله المجيد «القرآن» قراءة وتجويدا، واللغة العربية إلى جانب النحو والصرف والعروض.

### أول مدرسة إسلامية عليا فى البلقان:

**فى مدينة «أسكوب» العاصمة المقدونية أنشئت أول مدرسة إسلامية عليا فى منطقة البلقان قاطبة وكان ذلك فى عام ١٤٤٠م قبل فتح «البوسنة» بثلاثة وعشرين عاماً. وقد حظيت هذه الأكاديمية العليا بسمعة عالية وكانت مناهجها الإسلامية متعمقة فى اللغة العربية والبلاغة والنحو والصرف بالإضافة الى المواد الأصولية كالعقائد والفقه وتفسير القرآن الكريم. وكان كثير من خريجى المدرسة يذهبون لإستكمال الدراسات العليا والتعمق فى المواد الإسلامية بالأزهر ودمشق.**

وفى كل مدرسة كانت توجد «مكتبة» تجمع الكتب والوثائق والمخطوطات نظرا لاحتوائها على أهم المصادر العربية التى كانت تتصل بالدين والأدب. وبعض هذه المكتبات كان يتمتع بشهرة كبيرة مثل مكتبة عيسى بك فى مدينة أسكوب التى كانت تعتبر من أكبر المكتبات فى القرن الخامس عشر. وفى المقاهى كانت تدور المناقشات العلمية والأدبية وانطلق الشعراء وانتشروا فى المدن والقرى المقدونية.

### هزيمة العثمانيين وانضمام مقدونية إلى الصرب:

**فى عام ١٩١٢ توحدت دول البلقان فى عُصبة واحدة كانت تضم: «اليونان ، صربيا ، بلغاريا ، والجبل الأسود» وأعلنت الحرب على الدول العلية العثمانية، وقد ساعد على تكوين العصبة البلقانية الأورثوذكية سوء إدارة «جماعة تركيا الفتاه» لشئون البلاد إلى جانب غلظة أكبادهم وقسوة حكمهم فى وقت اتسعت فيه دائرة السوء والدسائس من جانب الغرب المسيحى الحاقد على الإسلام والمسلمين ـ ولعبت «مقدونية» دوراً نشيطاً إلى جانب أعداء الدين ولولا سماحة الدين الاسلامي وطيبة قلب العثمانيين ما بقى أحد فى البلقان على عقيدته المشركة ولأصبحت هذه الأراضى ضمن دائرة العالم الإسلامى الكبير.**

وفى اكتوبر ١٩١٨ تمكنت هذه العصبة من إنزال الهزائم بالجيش التركى، وفى حملة لم تدم غير ستة أسابيع انتزعت أكثر أراضى تركيا نفسها ما عدا القسطنطينية.

بعد الحرب العالمية الأولى ضمت مقدونية الى مملكة الصرب والكروات التى تغيرت إلى يوجوسلافيا وتفككت أخيراً حيث استقلت عنها «مقدونية».

**التراث الإسلامى فى مقدونية:**

**ذهب الأتراك العثمانيون عن «مقدونية» إلا أنهم خلفوا وراءهم تراثاً إسلامياً يتحدى الزمن وتتحلى به الأيام وجاءت هذه المؤثرات الشرقية الإسلامية عن طريق الإدارة وبعض الأشخاص والجماعات التى عاشت فى «استانبول» وفى بعض المراكز الإسلامية الأخرى وكذلك العمل فى الإنكشارية فضلا عن دراسة العلم والتجارة والحج الى بيت الله.**

ولقد كان تأثير الإدارة هاماً فعن طريقه تم نشر اللغة التركية التي كانت اللغة الرسمية فى الدولة العثمانية. وإذا ما ألقينا نظرة على الأبنية السكانية فى «مقدونية» نجد بها التأثير المباشر للقومية التركية الإسلامية حيث يوجد المسجد بجوار الحصن لإقامة الشعائر الدينية. ولما كانت الطهارة تحتل المكانة المميزة فى دين الله الحنيف، فقد ارتبط بناء المسجد بشق القنوات للمياه النظيفة وبناء الأسبلة العامة فى شوارع المدن. وقد أدى الإنشغال بالطهارة إلى تشييد الحمامات فى المدن. ومازالت معظم المناطق الإسلامية فى مقدونية تمثل امتداداً للشرق فى تقاليده الإجتماعية والعربية.

**الكنوز الإسلامية فى العاصمة:**

**في مدينة «أسكوب» العاصمة العديد من الآثار الفنية والتاريخية التى تتحلى بها المدينة مثل: حمامات داود باشامن القرن الخامس عشر الميلادى - والقنطرة الحجرية الضخمة التى أقامها العثمانيون على ضفتى نهر «الفاردار».**

**وبالمدينة العرقية تنتشر صناعة السجاجيد والأكلمة التى تستعمل أثناء الصلاة أو التى تفرش**



جانب من الفن الشعبي في مقدونيا

**فى المنازل، وتمتاز صناعتها بالأسلوب الإسلامى الشرقى الذى نجده بالقاهرة، ودمشق واستانبول.**

**وتقابل أيضاً الكثير من المبانى الأثرية من مخلفات الحضارة الإسلامية التى كانت مزدهرة فى العصر العثمانى، ومن أقدم المساجد بالمدينة جامع السلطان مراد الثانى (١٤٢١ - ١٤٥١) وإلى جانب هذا المسجد العظيم توجد ساعة الميدان المقامة فى أعلى برج مشيد من الحجارة التى تتحدى الزمن وترصع سماء المدينة العامرة.**

وهناك العديد من المساجد الأخرى من أشهرها جامع الغازى عيسى بك الذى شيد فى القرن الخامس عشر وبه قباب مزدوجة تشبه مثيلاتها فى استانبول وبعض المدن التركية الأخرى.

وبالمدينة الكبيرة يوجد جامع مصطفى باشا ترتفع مئذنته (٤٧) مترا وله قبة ضخمة من القوالب وأحجار الطوب مما يجعله غاية فى الروعة والجمال الذى تتباهى به المدينة المقدونية العريقة.

**المجلس الإسلامى فى مقدونية:**

بالعاصمة العامرة «أسكوب» يوجد مجلس

إسلامي يرأسه الشيخ/ سليمان رحمي وتتبعه مشيخة إسلامية تدير وتنظم شئون الشعب المسلم فى جمهورية «مقدونية» وترعى شئون الحجيج، ويرأس المشيخة الأستاذ الشيخ/ سليمان رجب٠٠ **وهناك إدارة الأوقاف الإسلامية تديرها وترعى شئونها ويتبع الأوقاف مدرسة «غازى عيسى بك» وعلى نفقتها تقوم العملية التعليمية من تدريس ومأكل ومشرب٠٠٠ الخ٠**

وفى الماضى كان بالعاصمة محكمة كلية شرعية تنظر فيما يحول إليها من أعمال القضاة الشرعيين بالمحاكم الجزئية التى كانت منتشرة فى ربوع مقدونية٠

**ويتولى المجلس تعيين أئمة المساجد وكان عددهم يصل إلى أربعمئة إمام وخطيب وكان ذلك يتم بعد موافقة مجلس علماء مقدونية الذى كان يتولى صرف مرتبات الأئمة والوعاظ طبقاً للكادر الرسمى، كما كان يقوم بصرف إعانات شهرية للمأذونين الشرعيين، وصرف المنح للطلاب المتفوقين والمبعوثين إلى الأزهر الشريف٠**

ولقدكان العلماء وإن قل إيرادهم يهتمون باقتناء الكتب الدينية والعلمية النادرة وضمها إلى مكتباتهم الخاصة وإذا زرت عالماً فى منزله بهرتك الكتب التى تجدها عنده فى العلوم المختلفة كالصرف والنحو والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث والفقه وأصوله ومصطلح الحديث والتوحيد والحكمة وعلم العروض والقافية والمعاجم حيث كان العالم يوفر من قوت يومه ليشترى ما يحب من الكتب الإسلامية بخلاف المكتبات العامة الزاخرة مثل مكتبة «غازى عيسى بك» ومكتبة «إسحق بك»٠

**معالم إسلامية خارج العاصمة:**

**تحد ثناعن الكيان الهام الذى تمتاز به العاصمة المقدونية «أسكوب» ولا يفوتنا أن ننوه ببعض الآثار فى بعض المدن الكبرى الأخرى ومنها:**

*** مدينة أوهريد: حيث يوجد العديد من الآثار القديمة مثل: برج الساعة القديم، وجامع على باشا ، ومسجد على أغا، فضلا عن العديد من المنازل التركية القديمة ومحلات الحلى الشرقية والأرابسك وكأنك فى خان الخليلى بمصر٠ ومن المعالم الرئيسية بالمدينة «تكية حياتى» التى لعبت دوراً كبيراً فى تأصيل الثقافة العربية الاسلامية فى مقدونية، وكانت التكية ترتبط بشكل دائم بالعرب الذين جاء بعضهم لنشر الإسلام هناك وفيما بعد ذهب بعض أتباع هذه التكية الى البلاد العربية (مصر والشام والعراق)٠ وكان بالتكية مكتبة غنية بالمخطوطات العربية والتركية والفارسية، وقد نبغ فى مثل هذه التكية الكثير من الشعراء الذين كتبوا بالعربية أيضاً وأصبحت القصائد تنشدُ فى كافة المناسبات الدينية وبصفة خاصة فى شهر رمضان الكريم٠**

وفى المدينة تصنع الملابس التقليدية والأكلمة والسجاجيد والبورسيلان، وأكواب المياه والأطباق والصوانى التى تزينها آيات من القرآن الكريم٠

* مدينة تيتوفو: يزينها مسجد «الشرنية» والقنطرة التركية وحمام عثمان إلى جانبه مجموعة من الأبنية التركية من القرن السابع عشر والثامن عشر يتكون الديكور الداخلى الخاص بها من الخشب الملون المعشق الذى تشتهر به القاهرة ودمشق واستانبول٠

**وبالمدينة أيضاً تكية «عراباتى» التى تتكون من مجموعة نادرة من المبانى الأثرية التى تعدُ آية فى المعمار الإسلامى وفيها مسجد بسيط الحجم ودار كبيرة للضيافة ونافورة وهى محاطة بأسوار عالية مازالت تتحدى الدهر بروعتها الإسلامية على الأرض المقدونية٠**

وتمتاز الزخرفة الإسلامية المستعملة فى صناعة الهدايا بالدقة والجمال وهى مصنعة من الذهب

والفضة والنحاس والكريتال.

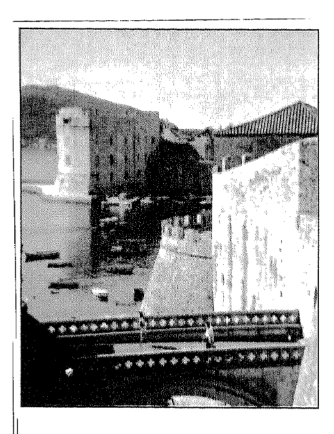
**المصريون فى مقدونية :**

**فى بداية القرن التاسع عشر أتى إلى مدينة أسكوب عاصمة مقدونية الشيخ «يونس المصرى» واسمه الحقيقى هو: محمد نور العربى، وذلك لنشر الثقافة العربية وتعاليم الدين الإسلامى وكان متبحراً فى علمه وخلّف أربعين كتاباً باللغتين العربية والتركيه.**

**وقد لقى الشيخ اهتماما كبيراً من جانب المسلمين هناك وكانت له إقامة طويلة فى كل من: «كونتشان» و«ستروميتسا» وأخيراً فى أسكوب العاصمة إلى أن لقى ربه فى عام ١٨٨٧م.**

**لم يكن الشيخ الكريم: محمد نور العربى هو المصرى أو العربى الوحيد الذى ذهب إلى مقدونية فى العصر الإسلامى.**

واليوم يوجد فى مقدونية وبعض المدن الصربية حوالى ١٧٠ ألف مصرى يعيش معظمهم فى مدن: أوهريد، ستروجا، مرسين، ديبار، جوستيفار، وبوزاد يقاتس. ويقوم المعهد المقدونى للتاريخ فى «أوهريد» بدراسات حول جذور هؤلاء المصريين الذين ورد ذكرهم فى كتب تدور حول الإسكندر الأكبر - **ويبدو أنَّ أدق وأوضح دليل على أصولهم العرقية المصرية هو ذلك العقد المبرم ١٢٩٥ فى خامس أيام شهر رمضان الكريم بمدينة «ستروجا» المقدونية بين المسلمين والأقباط ويلاحظ أن لفظ الأقباط (يقصد به المصريين) كان يطلق عليهم فى جميع بنود هذه الوثيقة التاريخية. ويقول المهندس: حسنى زيموسكى أنه مصرى الأصل وجنسيته مقدونية ويعيش فى مدينة أوهريد التى تحدثنا عنها «كلّ منزل من منازلنا يتكلم اللغات العربية واليوجوسلافية والمقدونية والتركية.. ونحتفل بعيد الفطر المبارك ونحن هنا شعب متميز.. وكان يطلق علينا إيجيبى -EGY PY منذ وقت طويل.. ولكنَّ بعضهم يضعنا مع الغجر».**



**ويوجد الآن فى مقدونية اتحاد يضم المصريين مقره مدينة «أوهريد» ويرأسه السيد/ نظمى عارف، وهم شعب متميز يحافظ على جذوره العرقية والدينية.**

* أخيرا نقول: «إنه بمجرد أن يجتاز الزائر حدود اليونان الى مقدونية، يواجه بقرى ومدن ترصع سماءها المآذن العالية للمساجد العامرة بضيوف الله المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ويخيلُ إليه أنه قد أضحى فى بلاد الشرق الإسلامي.

**وبالرغم من الظروف السياسية والاقتصادية المريرة التى كان يعانى منها هؤلاء المسلمون إلا أنهم لم يألوا جهدا من الإتصال بالعالم الإسلامى وإظهار شعورهم وتضامنهم معه فى كل كبيرة وصغيرة.**

**ومازال عبق الإسلام يعلو سماء مقدونية والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.**

# خواطر وتأملات ٤

فتحي
عبد الحميد
المراغي
- مصر -

لعلكم تذكرون صديقي ومركبته الفضائيه التي مازلت أشاهد على شاشتها الغرائب والعجائب، ادعوكم معي لكي نعيش الدهشه والمفاجآت سوياً٠رغم واقعية المشاهد إلا أنها تمر أمامي كطيف خيال٠ وكأن صديقي خبيراً كبيرا وعلى دراية بمسالك البلدان وعلى معرفة تامه بخبايا المجتمعات فهو من النوع الذي لا يصف لنا شيئاً قبل ان نصل إليه، ومن ثم تكون مفاجأة تدخل في نطاق اقليم «كريشان استاد» وهي من المدن الصغيرة ولكنها جميله مساحتها ٢٨كم٢ وتعداد سكانها حوالي ٢٠ ألف نسمه وتعتبر من المدن التجارية الهامة في السويد فيها نقطة التقاء الخطوط البرية والسكك الحديدية التي تجمع انحاء السويد ومنها الى اوربا، فمثلا يتحرك القطار منها الى ميناء «هلسن بورج» ويأخذ مكانه داخل العبارة الكبيرة الى مدينة «كوبنهاجن» الدانمركيه ومنها الى ألمانيا كما ان مدينة «هسلاهولم» أنشئ فيها أقدم خط حديدي في السويد عام ١٨٧٥م، ومن المعروف أن أول قاطرة انشئت في العالم كانت في بريطانيا عام ١٨٢٥م حيث افتتح اول خط حديدي في ذلك العام بين منطقتي «ستكون ودارلنجتون» في بريطانيا ولا تزال هذه القاطرة تزين رصيف «دار لنجتون» في بريطانيا، وبعد ذلك عمت شبكة خطوط السكك الحديدية كل أنحاء اوربا٠

وكانت تلك الخطوط الحديدية والقاطرات مستوردة من بريطانيا، ثم بدأت امريكا في



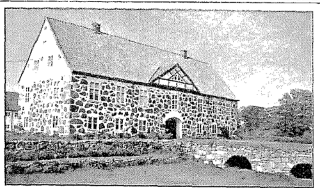
اهل السويد يهتمون كثيرا بالحدائق العامة

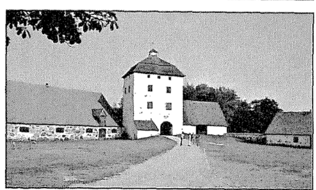
إنتاجها عام ١٨٦٤م، واتصال الحضارات ببعضها هى من سمات العصر، وربَّ ضارة نافعة بمعنى ان الاستعمار البريطانى عندما عرف طريقه الى الشرق عمل على إنشاء خطوط السكك الحديدية كخط بغداد والحجاز ومصر والهند وكان الهدف الاساسى من إنشاء هذه الخطوط هو خدمه مصالح المستعمر نفسه لنقل الجنود والعتاد.

**من محطة السكة الحديد العتيقة وسط مدينة «هسلاهولم» تطالعنى على الجانب الاخر منها المنطقة السكنية الجديدة، بينما كان انتباهى موجها الى تلك الابنية الحديثة ذوات الادوار الاربعة فإذا به يتشتت عندما سمعت صوت نباح الكلاب، ومواء القطط وقأقأة الدجاج، وصباح الديك، وصوصوة العصافير، وهديل الحمام فإذا بزاوية الرؤية قد تغيرت أمامى لارى الحديقة العامة التى تزين المكان بمرتفعاتها ومنخفضاتها واشجارها الكثيفة،** وحظائرها التى تضم الحيوانات الأليفة، وبالقرب منها كافتيريا عبارة عن اكشاك بسيطة تغطيها جذوع الأشجار وغصونها، والزوار يتفرقون على مقاعدها يتأملون الطبيعة

الجانب الاخر من الميدان نرى عرضا للازياء والموديلات الحديثه مما يدل على مدى التطور الحضارى الذى تعيش فيه البلاد اليوم، **ومن الحديقه العتيقة وسط المدينة يصور لنا المشهد مسيرة منظمه لجماعة من البشر حاملين اعلام الدوله والمدينة يرددون فى صوت واحد منادين بان تكون بلدهم أجمل وافضل وانظف فهم من أنصار المحافظة على البيئة مطالبين بأن تكون بلادهم بعيدة عن اى مصدر من مصادر التلوث الذى أوشك ان يصيب السويد باعتبارها واحدة من المراكز الصناعية الكبرى فى اوربا** فقد اوشك التلوث البيئى ان يصيب بلادهم من أثر مداخن المصانع وعوادم السيارات وما تخلفه الطائرات والذى على اثره ينبعث اكسيد الكبريت والنتروجين والهيدروكربونات الطياره التى تتحول فى الجو الى أحماض كبريتيه ونتريكيه واملاح أمونيه وكلها تسقط فى صورة جسيمات جافه، أو تختلط بالامطار والثلوج المتساقطة فتتساقط على النبات فى صورة ندى فتصيبه بتلوث غير محمود العواقب، أما ما يسقط على المبانى يسبب تآكلها، هى والهياكل المعدنية، وأصبحت البحيرات السويدية مهددة بتلك الاحماض وخاصة في جنوب السويد الامر الذى يؤثر تاثيراً بالغاً على الثروة السمكية، كما تصيب هذه الاحماض التربه والمياه الجوفيه التى تعمل على تآكل انابيب مياه الشرب مما يعود على السكان بالضرر، مما جعل المواطنين يطالبون بالعمل على استخدام المصادر الطبيعية للطاقة كالغازات الطبيعية والطاقة الكهربائية والشمسية.

رغم الواقعية التى يعرضها صديقى على



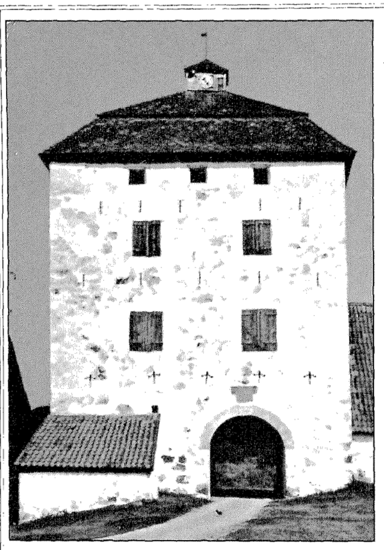


جانب من القصور القديمة في السويد

الجميلة الخلابة، وعلى البعد منها لاح لى عربات تشبه الفنادق المتنقله، وأناس ينصبون خيامهم جاءوا لقضاء وقت طويل هم وعائلاتهم.

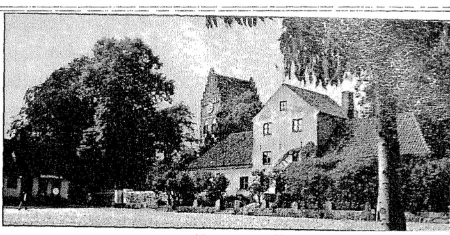
**يبدو أن صديقى عالم اجتماع أو باحث فهو فى خضم هذه الحركه يصف كل شيء بالتفصيل، فهو يصور ببراعة المناطق المتباينة، فينتقل بسرعة من الحى القديم الى الحديث وحركة الناس فى الشوارع والمصانع حيث ان معظم سكان مدينة «هسلاهولم» يعملون بالصناعة، ويبن لنا العلاقه بين الناس والبيئة المحيطة بهم فيصور لنا الواقع بعيداً عن اى خيال ثم يفاجئنا بمشاهد صورت بدقة، ففى الميدان الكبير وسط المدينة يصور المشهد احد العروض الفلكلورية لمنطقة اسكونا،** وقد اهتمت السويد بهذا النوع من الفنون فبرع منهم علماء متخصصون مثل «فون سيدو» الذى اهتم بالفلكلور القديم والحديث معاً ومن

شـاشـتـه إلا ان كل ذلك يمر أمـامى كطيف خيـال كما قلت من قبل. يبدو أن برنـامـج الرحلـه قـــد اوشك علـى نهايته فالعرض الذى امامى يخلب لب المشاهد فها نحن على بحيرة «فينجز» وهى من البحيرات الكبيرة، مساحتها ٣٠كم٢ وتقع شـمـال شـرق مـدينة كريشـان استـاد تحيط بهـا صـخـور جرانيتـيـه سـوداء من الصـعب على المشـاهد رؤيتـهـا نتـيـجـة للاشـجـار الكثيـفـة العـالية التـى تغطى المنطقـة، وهـى لا تبـعــد ســوى نـصـف مــيل سـويدى اي ٥كم عن منزل مـضـيـفى فى الريف.

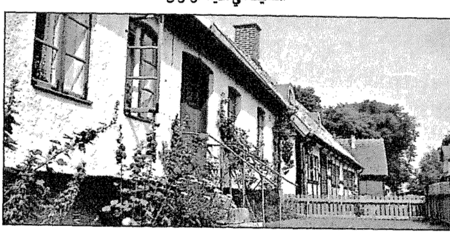


**أخـذتنى تلك المشـاهد الخـلابة والعرض الطيب الذى ذهـبت معـه فى رحله طويلة لكنـهـا قـصـيـرة في عـمـر الزمن الذى حـدده صـديقى، والذى لا ينافسه فى براعة الاخراج والتصوير إلا كـبـار الفنانين المبـدعين امـثـال المخرج السويدى «انجمـاد برجمـان» الذى ولد بالسـويد عـام ١٩١٨م ذلك الفنان المبـدع من خلال افلامه الدراميه ذات النزعة الطبيعية في فيلمـه «ميناء السفن العـابرة» عـام ١٩٤٨م او فى أعـمـالـه التى اخـرجـهـا فى اواخـر الخـمـسينيات التى عـالج فيـهـا ظاهـرة التلوث الذى يعم عـالم الواقع** فـهـو أول من ابتـدع الطريقـه التى تتيح للراوى التقليدى أن يظهر فى نفس اللقطات التى تصـور مـشـاهـد من ايامـه الخوالى كما فى فيلمـه «المواطن الكبير» او فيلمه «الانسه جولى» عام ١٩٥١م المقتبس من مـسـرحـيـة الكاتب المسـرحى السـويدى «سترندبرج» او فى فيلمـه «الفراولة البرية» عام ١٩٥٧م وكـمـا يقـول سـينـاريو الفيلم «انا لا ادرى كيف حدث ذلك، ولكن الواقع الذى أراه بوضـوح فى ضـوء النهار قد تحـول الى فيض من الصـــــور، **بل انا لا ادرى أهـو حـلـم ام ذكـريات اثارتهـا قـوة الاحـداث الواقـعـيـة، ولا ادرى كيف بدأت، ولكنى أحسب انها بدأت مع سماع نغمات تعزف على البيانو، عالم يتأرجح بين اليـقـظة والنوم عـالم حـافل بالذكـريات والاحلام الموغله فى اعمـاق الشخصية،** وفى عـام ١٩٥٨م اخـرج برجـمـان فـيـلم «الوجـه» وعـرض فى الولايات المتحدة الامـريكيـة باسم

الاسكندنافيه **تربعت على عرش السينما العالمية بعد ان تدهورت السينما الاوربية ابان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وكادت السويد والدنمارك ان تكتسح السوق السينمائيه ضد امريكا ونهضت السويد مرة اخرى في فن السينما بسبب مخرجها الشهير - (انجمار برجمان) الذى قدم افلاماً نالت جوائز كثيرة فى المهرجانات الدولية مثل «الجتم السابق» و«ابتسامه ليلة صيفا» و«لم نرقص إلا صيفاً واحداً» ولكن بسبب ان الافلام الاسكندنافية تتضمنها لقطات مثيره نجد ان كثيراً من الدول ترفضها .**

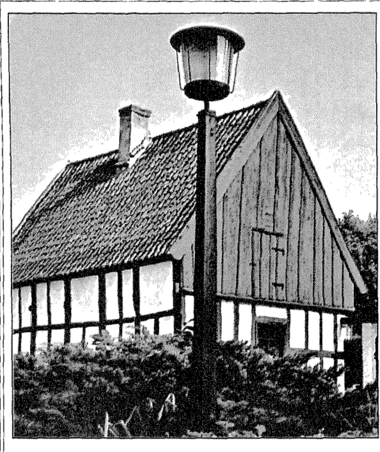


المصيف في مدينة اوهوس



وبينما أفكر في أعمال المخرج السويدى المبدع «انجماربرجمان» الذى يبدو أنه قد استخدم احدث المعدات السينمائيه من كاميرات وإضاءة ومرايا عاكسه ومونتاج وميكياج، وجعل من أصوات الحيوانات والطوير والطبيعة موسيقى تصويرية لعرضه الشيق **فأعطانا صورة واضعة المعالم دقيقة الأرقام - شعرت وكأننى قد صحوت من غفلتى وأنا لم ابرح مكانى على نفس الكرسى فى مكتبة مضيفى، ولازالت عيناى تراقب شرائح الثلوج المتساقطة من خلال زجاج النافذة، فالجو خارج المنزل مازال معتماً .**

«الساحر» **وفى هذا الفيلم استخدم برجمان كل الحيل والاساليب التى تستخدم فى افلام الرعب واستخدم فيه طبيعة بلاده حيث ظهرت الغابات الشاسعة مقام بها مشنقه، واشباح تظهر فجأة، وموتى يعودون للحياه وكما قال برجمان هو نفس الاحساس الذى كان يعايشه فى بلاده وهو صغير يتعلم فى الحضانه الملحقة بالابرشيه - البروتستانتية حيث نشأ وترعرع** حيث ان بلاده كانت تعيش فى ظروف قاسيه الامر الذى حثه الى تركها والهجرة الى امريكا، وفى عام ١٩٦٦م حيث ذاعت شهرته وأخرج العديد من الافلام مثل فيلم «قناع» و«خلال المرأة الخفيه» و«ضوء النهار» و«الصمت» ومن المعروف ان السينما



الى المائدة:

مائدة اليوم عليها مالذ وطاب من انواع الاسماك المختلفه المألوفه لى وغيرها مما لا اعرفه من اسماك المياه العذبه والمالحة، فمن فواكه البحر اجد منها المسلوق والمقلى من «الدنيس والاورس وسمك موسى والحبَّار.. والكالاماريا وثعبان البحر والجند قلى والكابوريا وأسماك اخرى **مثل اسقمرى، طراخور، الكوسيج، وطواجن من سمك الوقار المطهى مع شرائح البطاطس والبصل والثوم والفلفل الحار والزعتر والجمبرى المشوى وسمك بلح البحر اما اسماك المياه العذبه كالشبوط والبرعان والفيرون النهرى وزنجور وغيرها من الاسماك الغريبة علىَّ فها هى المائدة قد اتسعت لخيرات الله ينعم بها الانسان، ورغم كثرة هذه الاصناف إلا انه مقدور عليها لكن غير المقدور عليه ان اشرب «شوربة» السمك**.. لكن اعجبتنى المائدة والسلطات المتنوعة طالما لم يوجد ما هو محرم وهو الخنزير. أخذت آكل وانا مطمئن دون خوف، فالخنزير عندهم من الوجبات الرئيسه وبالأخص فى مثل هذه المناسبات لارتباطه بعادات وتقاليد سويديه قديمه ترجع الى عهد الفايكنج حيث كان الخنزير يقدم قربانا للآلهة (فرى).

أكلت كثيراً حتى امتلأت معدتى وشعرت ان امعائى الغليظة على وشك ان تنفجر، لمت نفسى وتذكرت قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم «جوعوا تصحوا» وقوله عليه الصلاة والسلام «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع» فهى تعليمات مباركة للحفاظ على الصحة، ولذلك لاحظت انه رغم ما تنم عنه المائدة السويدية من مظاهر الترف والبذخ وبالأخص فى تلك المناسبات وجدت أن السويدى لا يأكل إلا البطاطس المضاف إليها البنجر المبشور **ويكثر من السلطات الطازجة والفواكه أما اللحوم بأنواعها فلا يكثر منها، كما لاحظت عليهم أنهم لا يشربون الماء أثناء تناول الطعام، ومضغهم أثناء الأكل يكون خفيفا فالفم لا يفتح كثيرا فلا أسمع لهم صدى اصطكاك الأسنان، كما أنه لا يتحدث أثناء الأكل حتى يحافظ على حرمة المائدة، وعندما يجلس إلى المائدة يكون أنيقا محافظا على مظهره ويرتدى أبهى وأجمل ما عنده**



الزي التقليدي القديم

سواء أكان داخل منزله أو خارجه، والذى يقوم بالخدمة هم أفراد العائلة أنفسهم وبخاصة أكبر افرادها سنا، كما يكثر السويدى من تناول الحلوى والجيلى والأيس كريم.

**قضيت أسبوعا كاملا فى الريف السويدى وسط هذه الأسرة الكريمة لم أشعر بينهم بغربة فقد كان حسن ضيافتهم لى يفوق اى تصور حتى اننى كنت أشعر أننى وسط أهلى فى صعيد مصر.**

غادرنا الريف وهو غارق فى شتائه القارس بعد أن ودَّعت أسرة مضيفى كل أفراد العائلة الذين غادروا إلى أماكن إقامتهم.. عادت بنا السيارة تشق الطريق الإسفلتى الضيق وسط الغابات تحت وابل كثيف من الثلوج المتساقطة التى عملت السيارة على مقاومتها بتشغيل المساحات الأمامية **واندفاع الماء الساخن على الزجاج فى محاولة لإزاحة تلك الثلوج حتى لا تحجب الرؤية أمامنا.. وقفت السيارة أمام منزل مضيفى وسط المدينة والمنزل الكائن هنا لا يختلف كثيرا فى شكله عن المنزل الريفى إلا فى بنائه الأسمنتى كما أن أثاثه من الداخل مصنوع من الخشب السويدى غير المدهون الذى يكشف عن متانة الخشب وجودته من تلك الأنواع المعروفة فى اوربا مثل «الميرزييه» و«التيلو» والأرضيات الباركيه من خشب الجوز.**

كنت أقضى اوقاتى بين التجول فى المدينة ومشاهدة الأطفال من هواة التزحلق بالقبقاب المصنوع من خشب «الدرار» وهو المعروف باسم «الباتيناج» وبين الجلوس فى المكتبة ومشاركة الأسرة فى مشاهدة برامج التليفزيون.

اصطحبت مضيفى لزيارة مدينة «هسلاهولم» التى لا تبعد عن مدينة كريشان استاد سوى ٣٠ كم يقطعها القطار فى حوالى ٢٠ دقيقة ولهذا كان اقتراحه أن تكون رحلتنا بالقطار، وما أن قطعنا نصف المسافة حتى توقف عن الحركة نتيجة عطل فنى في محركات قاطرته كما أعلنت ذلك المضيفة من خلال مكبرات الصوت وتأسفت نيابة عن شركة (S.J) وهو اختصار شركة النقل العام **التى تضم أيضا عربات الأوتوبيس العام.. طمأنت المضيفة الركاب بأنه خلال خمس دقائق سيصل أوتوبيس لنقل الركاب الى مدينة هسلاهولم فكانت مصداقية الخبر دليلا على التزام الشركة بدقة المواعيد فى مثل هذه الحالات النادر حدوثها فى السويد.**

وجدت المدينة مغطاة برداء أبيض من الثلوج كادت أن تخفى معالمها، قطعنا شوارع المدينة سيراً على الأقدام لزيارة معالمها لا نبالى برودة الجو القارسة.. وكانت زيارة مكتبة المدينة بمثابة طوق نجاه لى من البرد لاحتساء المشروبات الساخنة هناك، بالقرب من المكتبة أشار مضيفى الى مبنى قديم يقف شامخا وسط حديقة صغيرة مرفوع عليه العلم السويدى فهو مبنى المحكمة القضائية الذى يعد من معالم المدن السويدية فالقضاء هو حصن الحريات.

**جلسنا فى الكافتريا الملحقة بقاعة الصحف والدوريات وبينما كنا نحتسى المشروبات الساخنة رحت أطالع الصحف العربية التى ترد على المكتبة يوميا بينما أمسك مضيفى بجريدة «سيد سفسكا» وهى جريدة يومية تصدر فى مدينة مالمو وهى من الصحف واسعة الانتشار هناك وترمز الى جنوب السويد حيث إن كلمة «سيد» تعنى بالسويدية «جنوب» وكما قال مضيفى أن بالسويد حوالى ١٨٠ جريدة يومية وأسبوعية تعمل تحت مظلة قانون حرية الصحافة الذى صدر فى السويد عام ١٩٤٩ فقد كنت تواقا لمعرفة تلك المعلومة فهى إن دلت على شيء إنما تدل على مدى انتشار حرية الكلمة التى تعتبر الغذاء الروحى للإنسان، كما كنت تواقا أيضا لمعرفة أخبار وطنى.**

ما أن عدنا إلى المنزل فى السادسة مساء حتى كانت الأسرة فى انتظارنا لتناول طعام العشاء الذى امتد لساعة كاملة كعادتهم فهم يعطون أنفسهم فسحة من الوقت والتأنى حتى يكون الهضم يسيرا وفى حجرة المعيشة



من غابات السويد

جلست مع أفراد الأسرة لمشاهدة التليفزيون، ولا أعلم بتلك المفاجأة التى كان مضيفى قد أعدها لى عندما قرأت فى الصحيفة أن برنامجا عن مصر سوف يذاع فى السابعة والنصف، وما أن حان وقت البرنامج حتى ملأت شاشة التليفزيون صورة حية للنيل ومدينة اسوان والسد العالى وبحيرته.. لا أستطيع أن أعبر عن سعادتى **فى تلك اللحظة التى رأيت فيها صورة بلادى ومما زادنى غبطة عندما عرفت من خلال الترجمة باللغة الانجليزية للحوار الذى دار بين الخبراء السويديين الذين ساهموا بخبرتهم فى بناء السد العالى مع الخبراء الروس والمهندسين المصريين الذين نفذوا المشروع العملاق على نيل مصر عند أسوان،** فقد كان حوارهم

منصبا على أهمية السد العالى لمصر **وكيف أن جسم السد صمم لمقاومة اندفاع المياه كما أنه يستطيع أن يتحمل أكبر قوة لأى زلزال بمقياس ريختر، وعرفت أيضا أن السويد بها عشرات السدود لكن أصغر حجما من سدنا العالى، وتقام هذه السدود بالقرب من مساقط المياه ومجرى الأنهار ومن ثم وجدت تفسيرا لسبب تقدم السويد في مجال الكهرباء وأصبح لها شهرة عالمية فى هذا المجال مما جعلها من الدول المتقدمة صناعيا فى العالم هذا بالإضافة الى وجود خام الحديد والأخشاب بالإضافة الى مجهود السويديين أنفسهم.**

الريف السويدي يشتهر بتربية الاوز

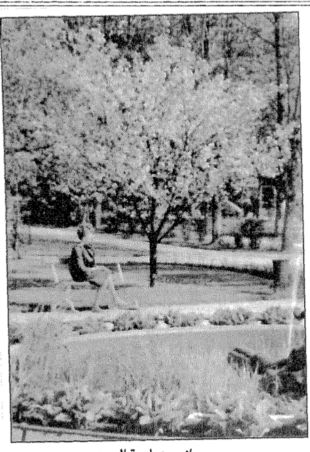
بعد مشاهدة التليفزيون لم أدع الفرصة تفوتنى ودفعنى فضولى أن أسألهم عن تطور التليفزيون فى السويد فحصلت على هذه المعلومات: دخل التليفزيون السويد عام ١٩٥٤ بعد عام تقريبا من إنتاج التليفزيون الملون الذى طورته بنظام «سكام» فرنسا ونظام «بال» فى ألمانيا، وتأخذ السويد بنظام «بال» الملون، أما الأبيض والأسود فالسويد تأخذ فيه بنظام (B.G) أما «الفيديو» فنادرا ما تجده فى البيوتات السويدية لأن أغلبهم يعتبره مضيعة للوقت إلا إذا كان تشغيله لمشاهدة أفلام علمية أو ثقافية، أما نظام «الدش» فهو فى الغالب لا يملكه فرد من الأفراد لكن يمكن أن تجده فى منطقة سكنية واحدة، **وعرفت منهم أيضا أن العلماء السويديين قد سبقوا العالم عندما توصلوا الى أنه بالإمكان إرسال الصوت والصورة من مكان لآخر، فقد كانت محاولة العالم السويدى «برزيليوس» ١٨١٧ وذلك عندما اكتشف حساسية عنصر «السيلنيوم» للضوء وكان ذلك عام ١٨٧٣ الذى على أثره أمكن تحويل الضوء من الصور الى**

**إشارات كهربائية، ثم بعد ذلك استطاع «ويجتل» اكتشاف الخاصية الكهروضوئية لهذا العنصر وكان ذلك عام ١٨٨٢، ومن المعروف أن أول عرض للتليفزيون الحقيقي كان في لندن على يد العالم «بيرد» عام ١٩٣٥م، وكذلك في واشنطن على يد العالم «جنكيز» عندما استخدم العالمان طريقة المسح الميكانيكي.**

بدأ العد التنازلي ومضت الأيام مسرعة إذ لم يتبق إلا يومان وينقضي شهر بأكمله عشت فيه وسط هذه العائلة الكريمة وجدت عندهم من الكرم والحفاوة ما لم أكن أتوقعه.

**ليلة الرحيل والعودة إلى مصر احتفلت الأسرة بهذه المناسبة وفوجئت بسؤال من مضيفي يستفسر فيه عما إذا كنت قد أحببت السويد؟ قلت له دون مجاملة: نعم .. يعز عليّ فراقكم وعزائي في ذلك هو عودتي لبلدي وعشيرتي، أما بلادكم فهي رائعة.**

**امتلأت وجوه الجميع بالابتسامات.. لكني فوجئت بأبنة مضيفي الكبرى تقول: هل ترغب في الإقامة بالسويد؟ انتهزت هذه الفرصة وأجبتها: نعم .. لاحظت أن هناك حديثا هامسا يدور بين مضيفي وزوجته بعده قال: إذن أنت ترغب الإقامة هنا وبدأ يحكي قصة شبابه وحبه للسفر** والتجوال والفائدة التي عادت عليه من سفرياته وما أن قال ذلك حتى انبسطت أساريري وفرحت عندما قال لي: من العام القادم تستعد لدراسة اللغة السويدية في أحد معاهد مدينة كريشان ستاد. لا أستطيع أن أصف لكم مدى سعادتي عند سماعي ذلك الخبر السار الذي طالما تمنيته، فهدفي هو تعلم لغة غير لغتي فمن عرف لغة قوم آمن شرهم ووضع يده على

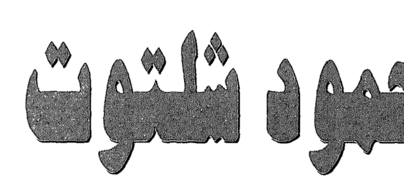


جانب من طبيعة السويد

خيرهم، وديننا يحثنا على طلب العلم .. فها قد أتيحت لي فرصة سانحة أتعلم فيها وأتعرف على عادات وتقاليد شعب السويد بصورة أعم وأوسع، كما ستتاح لي فرصة زيارة الكثير من المدن السويدية والتعرف على الكثير من مناحي الحياة في تلك البلاد ومشاهدة معالمها. **انقضى الشهر بسرعة، ورغم قصر المدة التي قضيتها وسط هذه الأسرة إلا أنها غيرت الكثير من مفاهيمي عن حياة تلك الشعوب، وعدت إلى مصر وأنا احمل انطباعا جميلا عنهم كالصداقة النافعة والأمانة والدقة في المواعيد والنظافة التي لمستها في كل مكان زرته، وكلها بطاقات تعارف يحكم من خلالها أي زائر على مدى تحضر أو تخلف أي شعب من الشعوب.**

## رجال في الذاكرة ٣١

# الشيخ




كان اسم الأستاذ محمود شلتوت يدوى فى الدوائر الأزهرية والأندية الثقافية بما يذيعه من آراء صائبة فى التجديد الدينى، والإصلاح الأزهرى، وقد كنت طالبا بالقسم الابتدائى بالأزهر حين علمت أن الأستاذ شلتوت قد جاء للتفتيش التربوى بمعهد دمياط الدينى الذى أتعلم فيه، فتمنيت أن يكون الفصل الذى أجلس به بين الفصول التى يمر عليها الزائر الكبير، وبخاصة أنه يفتش مواد اللغة العربية والشريعة الاسلامية معاً، وقد تحقق ما أرجو حين رأيته يزور الفصل، وكان الدرس درس المطالعة فى كتاب يسمى (المطالعة المختارة) ألفه جماعة من المربين على رأسهم الأستاذ احمد العوامرى عضو مجمع اللغة العربية، وفوجىء الأستاذ بدرس المطالعة فابتسم وقال، إنه كان يود درساً فى الفقه أو النحو، ثم استمع إلى قراءة أحد الطلاب على النحو المتبع إذ ذاك، فما فرغ الطالب من موضوعه وقام آخر ليتلوه، حتى أشار عليه بالسكوت ليقول لنا جميعا، إننى لا أحبذ أن يقوم الطلاب بقراءة موضوع واحد على التوالى، لأن طالب الأزهر قد حفظ القرآن الكريم قبل أن يلتحق بالأزهر فما معنى أن يتدرب على القراءة فى السنه الرابعة وهو يقرأ كتاباً عميقا مثل شذور الذهب لابن هشام فى النحو، والنهاية للبوصيرى فى الفقه، وفيهم من يقرأ دون تصور، نعم إن هذه هى الطريقة المتبعة فى المدارس والمعاهد ولكنى أرى - هكذا قال الأستاذ - أن يُقرأ الموضوع مرة أو

**مرتين فحسب، ثم يختار الأستاذ موضوعاً من قراءاته، يقرؤه ويشرحه، ويتلوه طالب بعده، وتكون أفكاره موضع الحوار، وقد يختار الطالب موضوعاً ويعرضه على أستاذه ويسمعه زملاؤه فتتنوع القراءة ويكون درس المطالعة مفيدا، هذا ما أراه، وسأكتبه فى تقريرى الذى سأرفعه، ثم ابتسم وهو يقول لنا: أأنتم موافقون؟.**

كان حديث الزائر الكبير جديدا علينا فقد ألفنا فى مدى السنوات الأربع أن نقرأ الموضوع الواحد فى الحصة الواحدة دون اعتراض، وها نحن أولا نرى نقداً هادفا من أستاذ كبير، كما ألفنا أن يأتي المفتش ليناقش، ويسأل فيما أخذ من قبل، أما أن ينقد ويقترح، ويسأل الطلاب عن اقتراحه فى تواضع فهذا هو الجديد ، وأذكر أنا تحدثنا مع مدرس الفصل بعد خروج الشيخ ،فقال كيف تفترضون في الشيخ شلتوت أن يكون مفتشا تقليديا وهو مفكر كبير .

ظلت زيارة الاستاذ عالقة بذهني ، وأنا أتابع مقالاته السيارة في الصحف ،وكنت أعرف أنه من أخلص تلاميذ الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي **. دافع عن مذهبه في الاصلاح الازهري ،وتعرض للفصل من وظيفته بسبب هذا الدفاع ، هو وجماعة من أفاضل الزملاء ، ثم عاد الى العمل بعودة الاستاذ المراغي الى مشيخة الازهر، كنت أعرف هذا ولكني فوجئت بحديث في الصحف عن محاضرة نقدية ألقاها الاستاذ شلتوت ـ وكان إذ ذاك وكيلا لكلية الشريعة الاسلامية ـ تحت عنوان (السياسة التوجيهية فى الأزهر) دارت حول انتقاد للسياسة التعليمية بالكليات والمعاهد، إذ أخذت على الأساتذة اعتمادهم على الكتب المتأخرة** ليناقشوا الألفاظ لا ليلخصوا القضايا ويبدوا آراءهم المستقلة بها، كما أخذت على الإمام المراغي نكوله عن الإصلاح التعليمى الذى دعا إليه فى مذكرة شهيرة كانت البدء الحاسم لخطواته الإصلاحية، وركونه الى أساتذة من أعداء الأصلاح، إذ ألفوا القديم، وحاربوا التجديد المثمر، ثم اقترح الأستاذ ما به يمتد سير الأصلاح، وقد كانت المحاضرة ذات دوى ، **لأن بعض الناس رآها هدماً لأبناء، ومجابهة لشيخ الأزهر ذاته، ولكن الذين يحبون الحق لذات الحق أعجبوا بالمحاضر الكبير وسعوا إلى طبع المحاضرة وأرسلت للمعاهد والكليات كى يقرأها أبناء الجيل الجديد، وهكذا أصبح الرجل ذا رأى جهير يدعو إليه، ويجمع حوله الأنصار، وينابذ الخصوم، والحق أن الإمام المراغى لم يضق بالمحاضرة كما حاول المتملقون أن يذيعوا ذلك، ولكنه اجتمع بالأستاذ شلتوت، ليناقشه فى ود وإنصاف.**

**بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى**
ـ المنصورة ـ

تركت الدراسة الثانوية لألتحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وكان من مزايا هذه الحقبة الجديدة أن أحضر الندوات العلمية، وأرى أعلام الأدب والفكر يتصدرون قاعات المحاضرات العامة، ليحاضروا المجتمعين ويناقشوهم فى أدق القضايا، وقد أعلنت دار الحكمة بشارع القصر العينى عن محاضرات دينية فى تفسير القرآن الكريم يلقيها كبار الأساتذة أسبوعيا، ومن بينهم الأساتذة محمود شلتوت، وعبد الوهاب خلاف، وعبد الوهاب عزام وعبد الوهاب حمودة، فاجتذبت هذه المحاضرات الأنظار من كل اتجاه وكان طلبة الكليات بالأزهر أسرع الراغبين الى الحضور، وقد تحدث الأستاذ محمود شلتوت عن

التفسير الموضوعى للقرآن، **وضرب المثل له بما ذكر عن سورة النساء، وكان اسم التفسير الموضوعى جديدا على الأذهان منذ نصف قرن، لم يشتهر كما اشتهر الآن، وقد خرجنا من المحاضرة فى حيرة، لأن الشيخ الكبير ذكر أن التفسير الموضوعى هو جمع للموضوع الواحد من سور شتى، حتى تتكامل الفكرة العامة فى الكتاب، وهذا ما نسلم به، ولكنه قال فيما قال، قد يكون التفسير الموضوعى خاصا بالسورة الواحدة، فيتحدث المفسر عن اغراضها، وارتباط كل غرض بسابقه ولاحقه،** وكان تفسير الشيخ لسورة النساء مما ينحو هذا النحو، وهذا ما كان موضع الخلاف، وأذكر أنى تناقشت مع زميلى الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد. وكان رحمه الله من أنبغ طلاب الأزهر فقلت له، إن سورة النساء مثلا لا تعطى الفكرة العامة لأحوال المرأة فى القرآن فلدينا سور الأحزاب والنور والطلاق وكلها تعالج شئون النساء، فكيف يكون تفسير سورة النساء تفسيرا موضوعيا بالمعنى المفهوم، وطال حوارى مع الزميل الفاضل، وكان ذا صلة وثيقة بالشيخ شلتوت يحضر ندواته ويؤم منزله، فعرض عليه ما قلته بعد سماع المحاضرة، وقال إنى أعرض وجهة نظر تتطلب الجلاء، فابتسم الشيخ وقال سأتناول هذه القضية فيما بعد، ومن سرورى أن يعترض طلاب الكليات على ما أقوله فهذا فاتحة الخير.

**لم تتح لى الظروف أن أسعد بلقاء الشيخ شلتوت قبل أن يتولى مشيخة الأزهر، لأن عملى الرسمى قد بعد عن القاهرة فى عواصم الأقاليم، ولكنى كنت مشغوفا باستماع أحاديثه الإذاعية وقراءة مقالاته وبحوثه الدينية، بحيث أعد نفسى أحد تلاميذه الكثيرين، وأذكر أنى نشرت مقالا بمجلة الأزهر حين رأس تحريرها الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات تحت عنوان (كتابة المصحف بالإملاء الحديث)** وهو دعوة قد تكون مخطئة وقد تكون صائبة الى كتابة المصحف الشريف بالطريقة التى يفهمها الطلاب، لأن وزارة التربية والتعليم كانت توزع المصحف الشريف على طلاب المدارس الثانوية، فيتعثرون فى القراءة، ولا يستطيعون النطق الصحيح الا فى آيات الدرس الدينى وحده حين يقرأ المدرس ويتابعون، فقلت فى نفسى ما فائدة المصحف إذن وهو لا يغنى وحده دون موجه خاص! **وكيف تطبع مئات الآلاف من المصاحف دون أن ينتفع بها الطلاب على الوجه المنشود، وقد استشهدت بأقوال أئمة من السابقين يرحبون بهذا الاتجاه منهم عز الذين بن عبد السلام وابن خلدون، ورحّب الأستاذ الزيات بالمقال فنشره دون إبطاء، ولكن ثورة عارمة قد أحاطت به من كبار الاساتذة فى الأزهر، واتصل الشاكون بالأستاذ محمود شلتوت يعترضون على نشر المقال، وكنت إذا ذاك مدرساً بالمنصورة الثانوية، فطلبنى الأستاذ الزيات تليفونيا، ليقول لى إن الأستاذ الشيخ شلتوت يريد لقاءك، كما أشار علىَّ الأستاذ أن أزوره بمكتبه قبل لقاء الشيخ، وكنت خالى الذهن عن هذه الشكايات التى تكاثرت على المجلة وعلى مكتب الشيخ، وتوجهت للقاء الأستاذ الزيات، فأطلعنى على أكثر من عشرة ردود ذات نقد صارخ،** وقد اتجه بعضها الى السباب الجارح، وقال لى، سأختار منها ما يجادل بالحسنى وأنشره كى تهدأ الثائرة، ثم قال إن الأستاذ الأكبر يريد مناقشتك فيما كتبت، وأنا أشير عليك أن تقول له إن هذا هو رأى الأستاذ حسين والى، لأن الشيخ يعتبر نفسه تلميذا للشيخ والى، ويكثر من الاشادة به فى مجالسه العلمية، **وهذا هو الواقع لأن للشيخ والى (وكان رئيساً جهيرا**

**للجنة الفتوى بالأزهر وعلماً من أعلام هيئة كبار العلماء ومجمع اللغة العربية) رأيا أتفق معه فيما كتبت، وقد نشره ودافع عنه، وإن لم أسعد بقراءته، ولو قرأته لاستشهدت به، ثم طلب الأستاذ لي الاذن من مكتب الشيخ فتوجهت الى لقائه متهيبا مفكرا، وجلست في المقعد المقابل للمكتب، فقال الشيخ في ابتسام؟.**

أريد أن أعرف يا أستاذ؟ ألا تزال تحفظ القرآن حفظا جيدا كعهدك به في صباك، قلت نعم، يا سيدى، فضحك، وقال: لو قلت لا، لقلت لك، احفظ القرآن أولا، ثم تحدث عن طريقة كتابته، وأن مجلة الأزهر يا بنى في رأي الناس تصدر عن فكر الأزهر نفسه، وفيهم من يتوهم أن كل كلمة تنشر بالمجلة قد زكاها شيخ الأزهر وباركها فإذا كان لك رأى جديد، فابتعد عن نشره لدينا، فأنت لا تعلم أن (الملازم) التى جاءتنى معارضة لك، تؤلف كتابا فى جزأين؟ وكل عند نفسه مصيب مصيب.

**تذكرت كلمة الأستاذ الزيات، فقلت يا سيدى أنا تابع لا متبوع لقد استشهدت بآراء شيخ الاسلام العزيز عبد السلام ومؤرخ الاسلام ابن خلدون، كما نسيت أن أذكر رأى الأستاذ الكبير الشيخ حسين والى وهو علم الأعلام فى الأزهر ومنحاى يقتفى منحاه.**

فابتسم الشيخ، وقال أنت لا تعرف أن الشيخ والى خير من استفدت منهم بالأزهر، لقد كان عميق الغور فى كل ما يبحث لا يرضى بغير الغوص البعيد، إنه أول من كان يكتب يوميا فى كل معهد دينى يعمل به سبورة اليوم اللغوية، وقد جعل عنوانها «قل ولا تقل» فيأتى بتعبير دارج مخطئ ليضع جواره التعبير الصحيح، **والذين يكتبون التحقيقات اللغوية اليوم عيال على سبورة الشيخ حسن والى، حيث كانت الصحف تتناقل تصويباته وهذا مالا يذكره أحد الآن!** وأنا استشهد بذلك لأقول إنه لم ينس حق الطلاب فى التوجيه وهو شيخ مرهق يتفرغ للإداريات، وقد انتقلت طريقته إلى طائفة من شيوخ المعاهد منهم الشيخ أبو العيون والشيخ سليمان نوار ولكن على فترات منقطعة، وليس على التوالى! ثم مد يده إليّ وهو يقول بارك الله فيك، فعرفت أن المقابلة قد آذنت بالتمام، فانصرفت شاكرا.

**علمت بعد ذلك من الأستاذ الزيات أن الشيخ قال له: دعه يكتب فى كل عدد، كما علمت أنه قرأ مقالا لى بمجلة الأزهر تحت عنوان (من سماحة الاسلام) تحدثت فيه عن مكانة أبى اسحاق الصابى فى الدولة الإسلامية بالعراق إذ كان الكاتب الأول لعضد الدولة، وله الرأى المسموع، والتوجيه النافذ،** وهو بعد صابئى لا يدين بالإسلام، ولكنه محفوظ المكانة مرعى الجانب، أقول تفضل الأستاذ الشيخ، فقرأ المقال، وقال للأستاذ الزيات، هذا مقال جديد، لأنه يضرب المثل التطبيقى من أحداث التاريخ، ولابد لمن يعالج موضوعا كهذا ا لموضوع الا يكتفى بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وبعض ما قام به الخلفاء الراشدون، **فهذا كله مكرر مشتهر، ولكن تجب الإضافات من صفحات التاريخ المتوالية ليعرف الناس صورا من التسامح الاسلامى التطبيقى على مّر الأجيال.**

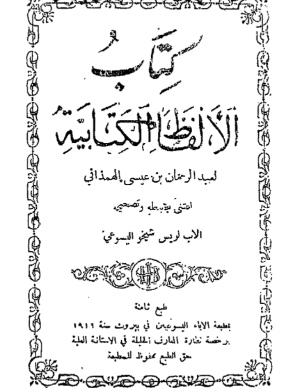
**سمعت حديث الزيات عما قاله الشيخ ففرحت كثيرا، وتشوقت إلى لقائه، ولكنى أعهد فى نفسى عزوفا عن زيارة الرؤساء دون دعوة منهم فلم أسعد برؤيته بعد اللقاء الخاص بكتابة المصحف الشريف، وقد كتبت عنه أكثر من مرّة، لأعرض بعض اتجاهاته فى عالم التحقيق الفقهى، والإصلاح التعليمى بالأزهر الشريف.**

# كتاب الألفاظ الكتابية

## ١

## تأليف: عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى

كتب تراثية



كتاب

الألفاظ الكتابية

لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني

اعتنى بضبطه وتصحيحه

الاب لويس شيخو اليسوعي

طبع ثامنة

بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٦

برخصة نظارة المعارف الجليلة في الاستانة العلية

حق الطبع محفوظ للمطبعة



تعليق وشرح: **عبد الله بن احمد الشباط** - الدمام -

عندما امتد رواق الحضارة الاسلامية استظلت به العديد من الأمم الأعجمية كالفرس والروم والأحباش.. وقد بلغ التواصل بين هذه الأمم وبين العرب ذروته فى العصر العباسى حيث نشطت حركة الترجمة من جهة.. وأصبح الخلفاء يعتمدون على الأجناد الفرس تارة والروم تارة من جهة أخرى.. الى جانب ما يمثله الرقيق سواء الرقيق الأبيض العامل فى القصور .. أم الرقيق العامل فى الفلاحة والرى ومختلف الصناعات من نقل اجتماعى مؤثر فى الحياة الثقافية والاجتماعية.

ولما كان التعليم شرطا لازما من شروط السيادة فقد أقبل عليه أبناء الطبقات الراقية وكان من أهم أسسه الالمام باللغة العربية الفصحى الى جانب علوم الدين والجبر والحساب وغيرها من العلوم.. لذلك فقد كان اختيار كتاب الدواوين من بين هؤلاء النخبة من المتعلمين يخضع لمقاييس دقيقة أهمها الفصاحة فى التعبير واختيار الألفاظ والعبارات المناسبة فى الكتابة.

الا أنه بفعل ذلك الامتداد الحضارى دخلت العديد من الكلمات فى ثنايا اللغة العربية وانداحت الى لغة الدواوين العديد من التعابير العامية التى يأنف المتعلمون من استعمالها.

وقد رأى عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى تدنى لغة الدواوين فى عصره فأشفق أن تتحول تلك اللغة الى لغة سوقية أعجمية فسعى الى جمع الكلمات العربية الأصيلة وهى الكلمات الرسمية التى تستخدم فى الدواوين فبسطها مبينا مشتقاتها ومترادفاتها ليستغنى بها الكتاب عن استخدام الكلمات العامية أو الدخيلة المتسللة من اللغات الأخرى ووضع كل ذلك فى رسالة لطيفة اسماها **(الألفاظ الكتابية)**.

ونترك عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى يتحدث عن الدافع لوضع هذه الرسالة حيث يقول بعد حمد الله والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم: «الصناعات مختلفات ولها درجات متفاوتات.. فبينها ما يرفع أهله ويشرفهم ويغنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب وشرف المناصب.. ومنها ما يضع المحترفين له أشد الضعة ويخملهم أقبح الخمول حتى لا يكونوا لأحد ممن سواهم نظراء فى منزلة ولا أكفاء فى معاشرة وان كان لبعضهم قديم يذكره أو أب معروف يعتزى اليه».

**ثم يتحدث عن صناعة الكتابة:**

«وهذه الكتابة من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمقها بأصحابها الى معالى الأمور وشرائف الرتب.. فهم بين سيد ومدير.. وملك وسائس دولة ومملكة.. وبلغت بقوم منهم منزلة الخلافة وأعطتهم أزمة الملك».

**ثم يتحدث عن الدافع لوضع تلك الرسالة:**

«ووجدت من المتأخرين فى الالة قوما أخطأهم الاتساع فى الكلام.. فهم متعلقون فى مخاطباتهم وكتبهم باللفظة الغريبة والحرف الشاذ ليتميزوا بذلك عن العامة ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو والخرس والبكم أحسن من المنطق فى هذا المذهب الذى تذهب اليه هذه الطائفة فى الخطاب.

وألفيت آخرين قد توجهوا بعض التوجه وعلوا عن هذه الطبقة غير أنهم يمزجون ألفاظا يسيرة قد جعلوها من ألفاظ كتاب الرسائل بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة استعانة بها وضرورة اليها لخفة

بضاعتهم.

**ثم يتحدث عن الكتاب:**

«فجمعت فى كتابى هذا أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس.. السليمة من التقعير المحمولة على الاستعارة والتلويح على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين من المؤدبين والمتأدبين المتكلفين».

**فمن هو عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى..؟**

لقد تتبعت كتب الأدب والسير والتراجم فلم أعثر له على أكثر مما ذكره ياقوت الحموى فى معجم الأدباء حيث قال: «هو عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى - نسبة الى همذان - مدينة من مدن فارس (وقد يكون نسب اليها بالولادة أو المنشأ).. كان شيخا جليلا صالحا معتبرا من أهل البيوت القديمة .. وكان اماما فى اللغة والنحو ذا مذهب حسن .. وكان كاتبا سديدا .. شاعرا فاضلا له مصنفات قليلة لكنها كثيرة الفائدة منها كتاب (الالفاظ الكتابية) وهو صغير الحجم لا يستغنى عنه طالب الكتابة.. قال عنه الصاحب بن عباد:

«لو أدركت عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى لأمرت بقطع يده.. فلما سئل: لماذا .. قال: جمع شذور العربية الجزلة فى أوراق يسيرة فأضاعها فى أفول صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة».

هكذا نظر الصاحب بن عباد لعمل الهمذانى فى هذا الكتاب ووصفه بأنه ابتذال للغة العرب.. وامتهان لألفاظها ومعانيها. ولو أن الهمذانى خرج فى أيامنا هذه لحصل على العديد من الشهادات والجوائز ولحصل على عضوية شرف المجامع اللغوية فى البلاد العربية.

هذا وقد عمل الهمذانى لدى بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى يكتب له الرسائل.. وتوفى سنة ٣٢٠هـ (٩٢٣م).

والكتاب الذى بين أيدينا مطبوع فى المطبعة اليسوعية فى بيروت عام ١٩١١م برخصة نظارة المعارف الجليلة فى الآستانة العلية.. وبعناية (لويس شيخو اليسوعى) الذى اعتنى بضبطه وتصحيحه وأخرجه فى ٣٠٩ صفحة من قطع الربع بأحرف مشكولة ويحتوى على ٣٧٠ بابا أولها:

**باب بمعنى أصلح الفاسد:**

تقول: لمَّ فُلانٌ الشَّعثَ .. وضمَّ النَّشْرَ .. ورمَّ الرَّثَّ .. ورفع الخرقَ .. ورتق الفَتْقَ وأصلح الفاسد.. وأصلح الخلل .. وجمع الشَّتَات .. وجبر الوهن والوهى (يقال) جبرتُ الكسر جبْرا .. وأجبرت فلانا على الأمر إجبارا (يقال) آسا الكليم (مقصور) يأسوه أسواء .. وآسى على مصيبته: أى حزن .. وآسى المصاب على مصيبته يؤسيه

تأسيَة .. والأسى: الصبر الجميل.

و(يقال) شعب الصدع ورأب الصدع .. ورأب التأنى رأبا (أخذ من الرؤية) وهى قطعة من خشب تدخل فى الجفنة اذا انكسرت تصلح بها .. قال كعب بن مالك الأنصارى:

**طعنا طعنة حمراء**

**حرام رأبها حتى الممات(١)**

و(يقال) شعبتُ الأمرَ اذا أصلحته .. وشعبتهُ اذا أفسدته .. وهذا من الأضداد .. والشعوب المنية لأنها تشعب أى تفرق. وفى المثل: إنَّ دواء الشق أن تحوصه أى تخيطه.

و(يقال) سدّ الثُّلمة .. وأقام الأود وسدَّ الفرج والخلل وأقام الصعر .. ولأم الصَّدع (والوصمُ والخللُ والفسادُ والفتْقُ واحدٌ).

ويقال: أخاف وقوع الوصم فى هذا الأمر .. وقوَّم الميل .. وثقف الأود والعوج وداوى السقم وداوى الأدواء وحسم الداء وسوّى الزيغ. (والميلُ فيما كان خلقة فيقال: فى عنقه ميلٌ. والميل فعلك وميلُك الى الشيء) واذا زدت فى اللفظ قلت: رأب متباين الصدع. وضمّ متفرق النَّشر. (وتقولُ فى الافساد والزيادة فى الفتق: أنهر الفتق ونكأ الكلام .. وزاد فى الفتق والوهن .. ويقال: نكأتُ الكلْم نكأ (مهموز) ونكيتُ فى العدو نكاية .. وفى المثل: **ما حككتُ قُرْحة الا نكأتها.**

والفُتُوقُ حوادثُ الفساد. يقالُ: ورد على الخليفة فتْقُ البصرة أو غيرها.. أى: انتقاضُ الأمر واضطرابُ الحبل فيها .. وقد توالت عليها الفتوق.

واذا زاد الفساد قلت: استوسع الوهْىُ واستنهر الفتقُ ووهى الشَّعْبُ وتفاقم الصَّدْعُ واستشرى الفسادُ.

واذا صلح الفاسد قلت: استقام المائلُ وانشعب الصدع. وانجبر الوهيُ وانحسم الدَّاء. وارتتق الفتقُ. واعتدل الميلُ. واندمل الكلمُ.

**التوضيح:**

الأود: الجهد والمشقة. والمآود: الدواهى. وتأود الشيء: اذا انثنى وتعوج، الصعر: ميل فى الوجه وربما كان خلقه. وصعر خده من الكبر .. كما فى قول المتلمس:

وكنا اذا الجبار صعَّر خده

أقمنا له من درئه فتقوما(٢)

وهذا البيت من القصيدة التى قالها ليعاتب خاله الحارث بن التوأم اليشكرى وجاء فيها:

تُعيِّرنى أمىّ رجالٌ ولن ترى

أخا كرم إلا بأن يتكرَّما(٣)

ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن

له حسبا كان اللئيم المذَّمما

وهل لى أمٌّ غيرُها إن تركتها

أبى الله إلا أن أكون لها ابنما(٤)

أحارث إنَّا لو تساطُ دماؤنا

تزايلن حــتــى لا يمسّ دم دمـــا(٥)
أمنتـفـــلا من نـصـــر بـهـــثة خلتنى
ألا إننى منـهـم وان كنت أينـمـــا(٦)
ألا إننى منهم وعـــرضى عـــرضُهم
كذى الأنف يحمى أنفه أن يُصلّما(٧)
لذى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا
ومـــا عُلم الانســـانُ إلا ليـــعلمـــا(٨)
فـــإن نـصـــابى إن ســـألت ومنصـــبى
من الناس قـــوم يقـــتنون المزنما(٩)
وكنا إذا الجـــبـــار صـــعّضـــر خـــده
أقـمـنا له من مـيله فـتـقـوّمـا(١٠)
فلو غـيـر أخـوالى أرادوا نقـيصـتى
جعلت لهم فوق العرانين ميسما(١١)
ومـــا كنت إلا مـــثل قـــاطع كـــفّه
بكفّ له أخرى فأصبح أجذما(١٢)
فلمّا استـقـاد الكف بالكف لم يجـد
له دركـا فى أن تبـينا فـأحـجـمـا
فـأطرق إطراق الشـجـا ع ولو يرى
مساغاً لنابيه الشجاع لصمما(١٣)
اذا مـا أديم القـوم أنهـجـه البلى
تفـرّى ولو كـتـبـتـه وتخـرّما(١٤)
اذا لم يـزل حـبل القـرينين يلتـوى
فـلابد يومـا للقـوى أن تجـذمـا(١٥)
وقـد كنت أرجـو أن أكـون لخلفكم
زعـيـمـاً فـمـا أحرزت أن أتكلمـا(١٦)
لأورث بعـــدى سُنة يهـــتـــدى بهــا
وأجلو عن ذى شـبـهـة أن يُفـهّمـا
أرى عُصـمـا فى نصـر بُهـثـة دائبـا
وتعـذُلُنى فى نصـر زيد فـبـئس مـا

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده على لسان لقمان من التكبر فقال تعالى: «**ولا تُصعّر خدك للناس**».

الوصم: العيب فى الشيء. ووصم الشيء اذا عابه. والوصمة: العيب فى النسب. وقيل الوصم: العيب والعار.

الصـــدع: الشق فى الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرها. وجمعه: صدوع.. وتأتى بمعنى صدع بالأمر أى أصاب به موضعه وجاهر به وتكلم به جهارا. وفى التنزيل (**فاصدع بما تؤمر**) أى أظهر ما تؤمر به ولا تخف احدا.

السقم: المرض. والزيغ. الضلال والميل عن الحق. قال تعالى (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا**) أى لا تملنا عن الهدى والقصد ولا تضلنا. ويصف العامة الانسان الذى لا يكفيه حقه ويرغب فى الاستحواذ على ما لدى الغير بأنه (زائغ).

أنهر الشيء: فتقه ووسعه. قال قيس بن

الحطيم يصف طعنه(١٧)

**ملكت بها كفى فأنهرت فتقها**

**يرى قائم من دونها ما وراءها**

ونكيت ونكأت: من قولهم نكأت فى العدو نكاية: أى هزمته وغلبته.

والشعب: من الكلمات التى تجمع الأضداد فهى بمعنى الجمع والتفريق. والإصلاح والافساد. وفى حديث ابن عمر: شعب صغير من شعب كبير أى: صلاح قليل من فساد كثير. والشعبة من الشيء: بعضه. وقد جاء فى الحديث (الحياء شعبة من الأيمان).. والمتشعب والانشعاب: التفرق والتشتت.

الوهى: هو الشق فى الشيء والضعف فيه. والجمع وهى وأوهاء. ومنه قولهم: وهى الحائط اذا تفرز واسترخى وضعف وهم بالسقوط وكذلك الثوب والقربة والحبل.

رتق: الرتق ضد الفتق. وقال ابن سيده: الرتق لحام الفتق واصلاحه. وارتتق: التأم. وقال تعالى **(أولم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)** قال بعض المفسرين: كانت السموات رتقا لا ينزل منها رجع والأرض كانت رتقا ليس فيها صدع ففتقهما الله بالماء والنبات رزقا للعباد. والراتق الملتئم من السحاب.

**للحديث صلة**

---

**الهوامش:**

(١) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى الخزرجى. لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بينه وبين طلحة بن عبيد الله. وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت تاب الله عليهم فى قصة مشهورة (أسد الغابة ٢٤٧/٤).

(٢) ترجمته: هو جرير بن عبد المسيح وقيل جرير بن يزيد بن عبد المسيح من بنى ضبيعة ابن ربيعة بن نزار. وأخواله بنو يشكر. وكان مع ابن اخته طرفة بن العبد ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة. ثم انهما هجواه فلما شعر بهجوهما كره قتلهما عنده. فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين يأمره بقتلهما. فلما كانا ببعض الطريق عرفا ما فى كتابيهما من بعض من يعرفون القراءة. أما طرفة فلم يعبأ بذلك ومضى الى عامل البحرين فقتله. وأما المتلمس فقذف صحيفته فى نهر الحيرة وهرب الى بنى جفنة ملوك الشام. وقالوا سمى المتلمس لقوله فى قصيدة:

فهذا أوان العرض جن ذبابه

زنابيره والأزرق المتلمس

وانظر ابن سلام ٥٨ والشعراء ٨٥ - ٨٩ والمؤتلف ٧١ والأغانى ٢١ - ١٣٧ والخزانة ٣ - ١٧.

(٣) يقال عيره الأمر وعيره به.

(٤) فى اللسان: يقال: هذا ابنك ويزاد فيه الميم فيقال هذا ابنمك.

(٥) تساط: تخلط. ومثله «تشاط بالشين».

(٦) انتقل: انتفى وتبرأ وأنكر.

(٧) يصلم: يستأصل وهو كناية عن الذلة.

(٨) ذو الحلم: هو عمرو بن حممة الدوسى. قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فيما زعموا. فكبر فألزموه السابع من ولد (فكان معه) فكان الشيخ اذا غفل آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله.

(٩) نصابى: أصلى. وفى شرح الديوان: المزنم من الابل: الذى سمته التزنيم. وفى اللسان: المزنم من الابل: الكريم الذى جعل له زنمة علامة لكرمه.

(١٠) الجبار: العاتى من الملوك. صعر خده: أماله كبرا.

(١١) العرنين: أول الأنف. الميسم: اسم للآلة التى يوسم بها، واسم لأثر الوسم ايضا.

(١٢) الأجذم: المقطوع احدى يديه. يقول: لو هجوت قومى كنت كمن قطع يده.

(١٣) الشجاع: الحية الذكر. مساغ مفعل من ساغ يسوغ وأصل معناه سهولة مدخل الشراب فى الحلق. صمم الحية فى عضته: فلم يرسل ما عض.

(١٤) يقال أنهجه البلى: اذا أخلقه. تفرى: تشقق. كتب الأديم: خرزه فضمه.

(١٥) القوى: جمع قوة وهو الواحدة من طاقات الحبل المفتول.. والقرينان: الدابتان يجمعان فى قرن واحد.

(١٦) الزعيم: السيد. خلفكم: عقبكم. ما أحرزت: ما منعنى احد من الكلام. والزنيم: المعلق فى القوم ليس منهم. والاجرار: ان يشق طرف لسان الفصيل لئلا يرضع.

(١٧) قيس بن الحطيم: شاعر فارسى من مخضرمى الجاهلية والاسلام. عرض عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الاسلام فلم يسلم. له ديوان مطبوع. (الاصابة لابن حجر ٥٥٧/٥)

# مدينتك الهدى والنور

للشاعر: محمد المكي ابراهيم - الخرطوم -

مدينتُك القبابُ ودمعة التقوى
ووجه النور
وتسبيح الملائك في ذؤابات
النخيل
وفي الحصى المنثور
مدينتك الحقيقة والسلام
على السجوف حمامة وعلى
الربى عصفور
مدينتك الحديقة يارسول الله
كل حدائق الدنيا أقل وسامة
وحضور

* * *

هنالك للهواء أريجه النبوى
ممزوجا بأنفاس السماء وكأسها
الكافور
هنالك للثرى طيب
بدمع العاشقين ولؤلؤ منثور
هنالك للضحى حجل بأسوار
البقيع
وخفة وحبور
هنالك للصلاة رياضها الفيحاء،
والقرآن فجريا
تضيء به لهى وصدور
بساعات الإجابة تحفل الدنيا
وأنهار الدعاء تفور

* * *

سلام الله يا أنحاء يثرب
يا قصيدة حبنا العصماء
سلام الله يا أبوابها ونخيلها
اللقاء
سلاما يا مآذنها وفوج حمامها
البكاء

ويا جبل الشهادة والبقيع سلام

* * *

على أثل الحجاز وضالها ومع
خزاماها
تهب قصيدة الصحراء
الى تلك البساتين المعرجة
الجداول
والقباب الخضر
يهفو خاطر الدنيا وتحدى
العيس في البيداء
مدائح لم تقل لبنى الزمان
ترددت عبر القرون ليثرب
الخضراء
قصائد من رهافة وجدها
شقت جليد الصخر واجتازت
عباب الماء،
قوافل ما انقطعن عن السرى
صلت عليك
وأوجفت عبر الزمان الى قصيدة
حبها العصماء

* * *

ببابك ، تدخل التقوى فتوح
الفاتحين
وحكمة الحكماء
وفي نعماء عدلك ترتع الدنيا
وميزان الحساب يقام

* * *

حفاة الرأس والأقدام ندخل
في نبوتك الرحيب

* * *

مدينتك الهدى والنور
وتسبيح الملائك في ذؤابات
النخيل
وفي الحصى المنثور
مدينتك الحقيقة والسلام
على السجوف حمامة وعلى
الربى عصفور
مدينتك الحديقة أقرب الدنيا
الى باب السماء وسقفها
المعمور

## صفحات مطوية في «صحافة العميد» ٢

# التفسير الإعلامي لأدب طه حسين

صلة ما سبق:

في الحلقة الأولى من هذه الدراسة تتبع الدكتور شرف بدايات الحياة العلمية والفكرية للدكتور طه حسين، في الأزهر، والجامعة المصرية القديمة، ثم فرنسا وهذه مثلت التكوين الأولي لعقلية د. طه حسين واسلوبه في التفكير.

* نخلص مما تقدم الى تحديد المكونات الثقافية لعقلية اتخذت من المقال الصحفي وسيلة لصياغة الثقافة المصرية وتوجيهها ما يقرب من نصف قرن، ضمن أساليبه الأدبية والفنية العامة التي اتجه من خلالها طه حسين الى دراسة فروع المعرفة المختلفة في النقد الأدبي وتاريخ الأدب والتاريخ الإنساني والإسلامي وفلسفة التربية والتعليم.

ولعل في مقدورنا أن نحدد هذه المقومات الثقافية من خلال عناصر ثلاثة التقت فيها التيارات القديمة والحديثة.

**أولا: العنصر المصرى الخالص،** الذي ورثناه عن المصريين القدماء على اتصال الأزمان بهم وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة التي خضعت لها حياتهم، والذى «نستمده دائماً من ارض مصر وسمائها، ومن نيل مصر وصحرائها وهو العنصر الذي تمثله طه حسين منذ تكوينه الثقافي الأول في البيئة الأولى. وعلى النحو الذي يظهر من تمهيده لدراسة الأدب الشعبي والمأثورات الشعبية» كما تمثله في بيئته الثانية في القاهرة.



وفى مدرسة «الجريدة» خاصة، التي بلورت الأفكار القومية الأوروبية في فكرة «مصر للمصريين» التي انعكس فيها احساس مدرسة لطفي السيد بالتاريخ المصري، وبالنتائج التي توصل إليها علم الآثار المصرية القديمة، والتي احتفى بها لطفي السيد في «الجريدة» ليخرج من نفس المصرى القنوط من

ارتقاء مصر ويجعل اراء الذين يظنون بمصر عدم الاستعداد الطبيعي للاستقلال والسيادة من السخافة بمكان».

ويغذي هذا العنصر المصري في ثقافة طه حسين كذلك ما تلقاه في الجامعة القديمة، من دروس في «الحضارة المصرية القديمة» على يد أحمد كمال، الذي شرح لطلابه «مذهبه في الصلة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية ومنها اللغة العربية. ويستدل على ذلك بألفاظ من اللغة المصرية القديمة يردها الى العربية مرة وإلى العبرية مرة أخرى وإلى السريانية مرة أخرى، والفتى دهش ذاهل حين يسمع كل هذا العلم، وهو أعظم دهشة وذهولا حين يلاحظ أنه يفهمه ويسيغه في غير مشقة ولا جهد».

**ونخلص من ذلك إلى أن عوامل الثقافة في البيئتين الأولى والثانية، قد تضافرت جميعاً على تكوين العنصر المصري الخالص في ثقافة طه حسين وهو العنصر الذي يثمر فكرته القومية، التي تجعل من الأمة المصرية محور التفكير الأساسي، أولا ـ بمعنى: الوطن القومي، وثانيا ـ بالمفهوم الليبرالي، تنفي مجموع المصالح الفردية حيث يغدو الشعور الوطني أهم عناصر هذه القومية.**

**ثانيا: العنصر العربي،** وتأسيسا على ما تقدم، فإن العنصر العربي الذي يأتينا من «اللغة ومن الدين والحضارة» من مقومات الشخصية المصرية عند طه حسين ومقوم أساسي من مقومات ثقافته، لأن هذا العنصر العربي قد امتزج بالحياة في مصر امتزاجاً «فاللغة العربية فينا ليست لغة أجنبية، وإنما هي لغتنا، وهي أقرب ألينا ألف مرة ومرة من لغة المصريين القدماء وقل مثل ذلك في الدين، ومثله في الأدب».

بقلم:

**أ. د. عبد العزيز شرف**

- مصر -

**وأول مصادر هذا العنصر في ثقافة طه حسين يرتبط ببيئته الأولى في القرية، حين حفظ «ألفية ابن مالك» وبعض اجزاء مجموع المتون، الى شغفه منذ صغره بالاختلاط بالبيئة العلمية ويتقدم القران الكريم مصادر هذا العنصر العربي في توجيه ثقافة طه حسين، وتقويم أسلوبه، في الأدب والصحافة وما في هذا الأسلوب من تأثير بياني وموسيقى ينبع من تناسق الألفاظ والعبارات تناسقاً فريداً وهذا التكرار الذي لا يمل وإنما يستزاد من غير ارتواء، وهذا الشمول في التحليل مع الإهتمام بالتفاصيل، كل هذا بغير انحراف عن الغاية الأساسية وبغير تشويه للجمال أو تعريض المعنى للغموض وعدم الوضوح.**

وعلى الرغم من تبرم طه حسين بأسلوب الأزهريين فقد كانت السنوات الأربع التي قضاها في الأزهر من أهم مراحل تكوينه العقلي التي أصبحت قواما أساسيا لثقافته اللغوية والنقدية، فكل ما يمتاز به اسلوبه من الرصانة والفصاحة، يرجع الى هذه الفترة التي تعلم فيها دروس الأدب على شيوخ الأزهر وخاصة الشيخ المرصفي، **الذي بغض إليه أبا العلاء فأحبه وشغف به بالرغم من بعض رضاه عن دروس الشيخ المرصفي.. الذي يعتبره الأستاذ الثانى بعد لطفي السيد الذي أسهم في تحول طه حسين من الدراسة الدينية التقليدية إلى دراسة الأدب العربي القديم حين رأى أخاه أحمد حسين مع نفر من زملائه يكثرون من حديث الأدب ويتذاكرون فيما بينهم ديوان «الحماسة» وكان درساً خارج برنامج الدراسات الأزهرية،** كان الشيخ يلقبه في

الضحى بين درس الفقه الذي كان يلقى في الصباح ودرس النحو الذي كان يلقى بعد صلاة الظهر، وكان يلقى في مكان ممتاز هو الرواق العباسي الذي كان الأستاذ الشيخ محمد عبده يلقي فيه درسه بين المغرب والعشاء. ولم أكد أختلف إلى هذا الدرس أياما حتى شغفت به شغفاً شديداً فواظبت على شهوده، **وعنيت بحفظ كل ما يلقى فيه من شعر وكان الأزهريون يعدون هذا الدرس بين دروس العلوم الحديثة التي أدخلها الشيخ محمد عبده في الأزهر، كالحساب والجغرافيا، وما هي إلا أن أحببت الشيخ وأحبني أشد الحب، وأصبحت من أقرب تلاميذه إليه.. وهذا الشيخ هو سيد علي المرصفي.**

ويلتقي طه حسين في هذا الدرس مع زميليه: احمد حسن الزيات ومحمود الزناتي، وكانوا ثلاثتهم من أشد الناس عبئا على الأزهر وشيوخه، وكانوا مشغوفين بالأدب، يسمعون دروسه، ويتجهون إلى دار الكتب ليقرأوا فيها كتب الأدب التي لم تكن تتاح لهم. ثم ترك الشيخ المرصفي ديوان الحماسة، وأخذ يقرأ عليهم كتاب «الكامل» للمبرد فازداد افتتانهم بالأدب وحرصهم على الإنقطاع له، واتسعت المودة بيننا وبين الأستاذ، فكنا نذهب إليه في داره، ونتلقى عليه بعض الدروس فيها.

**على أن هذا التحول إلى الدراسة الأدبية، لم يحل بين طه حسين والإفادة من الدراسة الأزهرية التقليدية، ففي هذا المعهد عرف من أسرار العربية وخصائصها ما جعله «يقف فرداً وعلماً في الأدب العربي الحديث من حيث رصانة الأسلوب وفصاحته.** إنه أكثر الأدباء العرب تأثراً بأسلوب القرآن الكريم. منه يأخذ كثيراً من ألفاظه البديعة وإليه يرجع المثل الذي يحتذيه في كثير من التعابير والأساليب.

**ويدرس طه حسين في الأزهر: الفقه والنحو، الى جانب دراسته النظامية في الحديث والمنطق، بمقدار ما في «مراقي الفلاح» وشرح الكفراوي وشرح الشيخ خالد في النحو، وفي المنطق يحضر «متن السلم» للأخضري وهو عبارة عن كتيب صغير من النظم التعليمي في المنطق كما درس شرح الكسائي على الكنز** وهو كتاب في الفقه الحنفي عبارة عن شرح على متن الكنز للنسفي بعد أن خلصه الشارح من مسائل الخلاف مع أصحاب المذاهب الأخرى كما درس «الأزهرية» في النحو، وهو من كتب الذاكره، وكذلك كتاب «شرح السيد الجرجاني على إيساغوجي» كما ألم بكتاب «قطر الندى» لابن هشام تعجلا للتعمق في النحو والفراغ من كتب المبتدئين والوصول الى شرح «ابن عقيل» على الألفية **ويطيل طه حسين في حديثه عن دروس النحو، التي كان لها آثرها في تكوينه النحوي كما يقول، إذ أسلمته دراسته الأزهرية الى نوع من الثقة بالنفس، فأضاف دراسة التوحيد، بعد أن قرأ في الفقه «شرح ملامسكين على الكنز» واستزاد من النحو فقرا «المفصل» للزمخشرى وكتاب سيبويه الى ما حفظه مع أخيه من آثار أدبية مثل معلقتي طرفه وامرىء القيس وعشر مقامات للحريرى، وطائفة من كتاب نهج البلاغة (وكان يدرسها الأستاذ الإمام نفسه) وطائفة من مقامات البديع، وقصيدة «أراك عصي الدمع» لأبي فراس، وديوان الحماسة مع شرح التبريزي.**

ومن ذلك تبين صورة المصدر الأزهري في ثقافة طه حسين العربية وهي الصورة التي يصورها في «الأيام» تصويراً مسهبا، نرى فيه عقلية فنية تثور على الأوضاع العلمية إذ ذاك، ولكن هذه الثورة لم تطمس الأثر الإيجابي في نفسه وثقافته، وهو الحرص الشديد على التعمق في فهم النصوص وتجنب السطحية والعلم المحفوظ ودراسة الأزهر في تلك الأيام كما يقول - كانت تمتاز بتنشئة الملكات التي

تتيح الفهم والتعمق والصبر على البحث. وليس هذا بالشيء القليل.

**وقد توهج هذا الأثر الإيجابي في البيئة الجامعية، التي درس فيها المناهج الجديدة، وجاءت رسالته عن «أبي العلاء» ثمرة هذا الأثر الإيجابي، وفهم شعر الشاعر من خلال مقاييس عصرية. أفاد فيها بملكته العربية من مناهج المستشرقين في البحث وليس بآرائهم، لأن «علمهم بالعربية وأسرارها ودقائقها أقل من علم المتخصصين العرب».**

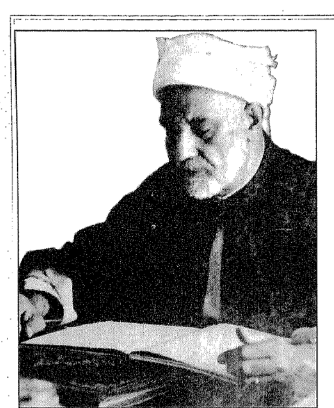
وفي ذلك ما يبين تضافر المؤثرات العامة والخاصة في بيئة طه حسين، على توجيه الثقافة المصرية الحديثة وجهة جديدة، تمتاز بمتانة «الصلة بأدبنا القديم» بحيث يصبح «كل حديث لا قيمة له ولا غناء فيه إذا لم يعتمد أصدق الاعتماد على الأدب القديم».

**ثالثا: العنصر الأجنبي:**

أما العنصر الثالث في ثقافة طه حسين فهو العنصر الأجنبي، الذي أثر في الحياة المصرية دائماً والذي سيؤثر فيها دائماً ولا سبيل لمصر أن تتخلص منه، ولا خير لها في أن تتخلص منه لأن طبيعتها الجغرافية تقتضيه وهو، هذا الذي يأتيها من اتصالها بالأمم المتحضرة في الشرق والغرب. جاءها من اليونان والرومان واليهود والفينيقيين في العصر القديم، وجاءها من العرب والترك والفرنجة في القرون الوسطى ويجيئها من أروبا وأمريكا في العصر الحديث الآن.

**ومصادر هذا العنصر الأجنبي في ثقافة طه حسين مستمدة من البيئة التي عاش فيها - أولا - ومن الثقافة الفرنسية ثانياً - ومن الثقافة اللاتينية ثالثا.**

أما البيئة العامة فهي بيئة «التعقيل» التي عنيت بإشاعتها «مدرسة الجريدة» في الحياة المصرية. والتوفيق بين الفكرين: الأوربي والمصري، لإنتاج تفكير قومي خالص غير



الشيخ مصطفى المراغي

متخلف عن نظائره في الغرب.

وفي هذه البيئة يتابع طه حسين ما ترجم فتحي زغلول عن الفرنسية وما كان السباعي يترجمه عن الانجليزية وما كان جورجي زيدان يكتب في «الهلال» من مقالات وما كان ينشر من قصص وما كان يؤلف من كتب في تاريخ الأدب والحضارة وكان فتحي زغلول ترجمانا للإنجليز عند قومه، ولكنه ترجمان بالواسطة حين ترجم لهم في أوائل هذا القرن كتاب «أدمون ديمولان» «سر تقدم الإنجليز السكسونيين» كما كان يتابع آثار العلمانيين، وما نشروه من مقالات «تغريبية» **فقرأ مقالات يعقوب صروف في «المقتطف» كما كان يقرأ لشبلي شميل وفرح أنطون وإلى ذلك كان يقرأ ما يكتب الشيخ رشيد رضا في المنار، وكتب قاسم أمين وكثيرا من آثار الأستاذ الإمام وكان يقرأ هذه القصص الكثيرة** التي تترجم لتلهية القراء والتي كان يفتن بما كان يجد فيها

من صور الحياة وكان يقرأ عليه بعض الشباب من المطربشين من غيـر أبناء أسـرته، بعض كتبهم كما كان هو يقرأ عليهم شيئا من الأدب القديم.

**ومن ذلك يبين أثر البيئة العامة في توجيه طه حسين إلى الثقافة الأجنبية فكان لطفي السيد ـ يوجهه الى آراء فولتير وروسو ومنتسكيو، ويوجهه إلى تعلم الفرنسية والالتحاق بالجامعة المصرية، التي تعرف فيها على الثقافة الفرنسية عن طريق اساتذته من الفرنسين ولعل «ماسينيون» من أول هؤلاء الذين استمع إليهم. وكانت رسالته للدكتوراه عن فلسفة ابن خلدون، ثمرة تمثله للثقافتين الفرنسية والعربية، ودليل تمكنه من الفرنسية واستيعابه للفكر والأدب الفرنسيين، واستعداده الطبيعى للتعمق في الثقافة الفرنسية وقد منحته «الكوليج دى فرانس» جائزة «سنتور» المعروفة بعد أن نالت رسالته أعظم تقدير من أساتذة السربون، رغم اعتذاره الرقيق عن أسلوبه الفرنسي الذي يكشف عن تواضع جم «إذا» ما بدا في كثير من المواضع ركيكا أو خاطئاً».**

وكان لهذا الارتباط بالثقافة الفرنسية أثره بعد عودة طه حسين الى وطنه في سنة ١٩١٩ حيث ارتبط بصداقة الكثير من المفكرين المعاصرين، مثل « »أندريه جيد» و«ما سينيون»، «وسارتر» ، «وبول فاليري»، مثل «أندريه جيد»، «وما سنيون» ، «وسارتر»، «وبول فاليري» ولم يقف عند حد الاستيعاب من الأدب الفرنسي، بل وقف على كثير من الأدباء الفرنسيين في مختلف عصور الأدب الفرنسي، موقف الناقد المحلل لكثير من الإنتاج الفكري الفرنسي، كما حاول أن يؤرخ للأدب الفرنسي في بعض كتبه وله مقالات يدرس فيها البيئة الفرنسية وينقد الشعراء والفلاسفة الفرنسيين ويترجم بعض القصص والروايات الفرنسية وحين عين عميداً لكلية الآداب، أنشأ قسماً جديداً للدراسات الفرنسية على غرار الأقسام في جامعة السربون واتى بأحسن الأساتذة وفرض على استاذ اللغة الفرنسية أن يلقى المحاضرات من السنة الأولى وليس في السنة الرابعة وحدها كما كان معتاداً آنذاك، وشجع البعثات للتخصص وكان سعيداً أن يرى تلاميذه يحصلون على درجات علمية أعلى مما كان معتاداً يوم كان طالبا في فرنسا.

ويقف طه حسين عند الآداب الفرنسية في عصر النهضة وأول العصر الحديث بنوع خاص لأنها كانت «معتدلة وحريصة على ألا تقيد المؤلف إلا بمقدار حرصها على أن تلائم بين ما تنتج على ما فيه من التجديد وبين ما هو قائم من النظام والتقليد» لأن الأمة الفرنسية التي هي متأثرة بالطبيعة اللاتينية ومتأثرة بطبيعة هذه الحضارة، حضارة البحر المتوسط، قريبة في عقلها وشعورها من اليونانية واللاتينية.

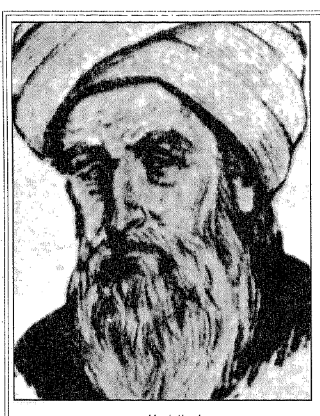
**على أن مصادر الثقافة الفرنسية عند طه حسين تتجاوز الآثار الأدبية الى الاطلاع على الصحف الفرنسية والحرص على متابعتها والإفادة من طرائقها في التحرير والتعبير، ومعالجة الموضوعات التى يعنى بها فن المقال في الصحافة الفرنسية، التي كانت قد طفرت طفرة جديدة بفضل شخصية محرريها الذين كانوا يوقعون مقالاتهم، وكان هؤلاء الصحفيون «من خيرة رجال الأدب الأمر الذي ساعدهم على التفوق في تحرير مقالاتهم السياسية بأسلوب رفيع مما اجتذب القراء إلى صحفهم».**

ولم ينقطع إتصال الدكتور طه حسين بالصحف الفرنسية بعد عودته الى مصر،فقد كان حريصا على أن ينقل الى قراء ( السياسة) بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في فرنسا..

الصحافة الفرنسية عند طه حسين ليست سبيلا الى الوصول الى الحياة الفرنسية، فحسب ، **ولكنها تشكل نموذجا من نماذج صحافة المقال التي تمثلها ككاتب صحفي ، فيقارن بين هذه الصحف والصحف المصرية ، ويريد أن ينقل الى صحافته ثروة عقلية ومتاعا للنفس والشعور على النحو الذي يمثله النموذج الفرنسي..**

ويحدد مفهومه للصحف وواجباتها في عصر الديمقراطية الحديثة ..وهو المفهوم الذي تكشف عنه النماذج المقالية في صحافة طه حسين شكلا ومضمونا..ومن هذه النماذج ما يشير مباشرة الى تمثل النموذج الفرنسي لديه، كما نجد في المقال التنويري خاصة، بحيث يغدو طه حسين بين الكتاب المقاليين «ناقدا لتأثره وتأثيره فهو لا يقرأ كتاباً ولا مقالا ولا فصلا في صحيفة ولا يسمع حديثاً من الأحاديث إلا مسه بالنقد والتحليل ورده الى أصله واستخلص منه ما يلائم مزاجه وطبعه، شأنه في ذلك شأن «أندريه جيد» فكلاهما «ينشىء شخصيته الفنية تنشئة ممتازة قوامها الملاحظة والمراقبة الشديدة والنقد لا إسماح فيه.

إن اتصال طه حسين بالثقافة الفرنسية واليونانية، لم يلبث أن أصبح عنصراً من عناصر ثقافته العامة، التي تثمر في النهاية أسلوبا في الصحافة، **وفي الأدب هو ثمرة امتزاج العناصر الثلاثة، المصري والعربي والفرنسي، حيث تلتقي الأصول التقليدية واتجاهات التجديد، اتصالا «عقليا وفنياً يضيف إلى «ثروة الغرب كما يضيف الغرب إلى ثروتنا»، وهي الآثار التي نجدها في مقال طه حسين وأسلوبه، حيث نجد «روحا مصريا عذبا» و«روحا أوروبيا قويا». في ألفاظ وجمل عربية مصرية، وتفكير عميق خصب دقيق يلح في التعمق ويغلو في الدقة، ويأبى ان يترك حقيقة من الحقائق عرضة للشك أو هدفا للغموض.**



ابو العلاء المعري

وصفوة القول إن ثقافة طه حسين، هي التي تعطى لمقاله الصحفي، ضمن فنون القول ما نسميه «عناصر الأصالة والتجديد» والموازنة الحسنة بين هذه العناصر، في توجيه الثقافة المصرية المعاصرة.

**مقالات طه حسين ومؤلفاته:**

نظمنا مقالات طه حسين ومؤلفاته في سلك واحد من القول عامدين، ذلك أن الكثير من مؤلفاته كتبها أولا في مقالات، ثم بسطها في كتب، وقد يبث الفكرة في كتاب، ثم لا ينى يتحدث عنها في مقالاته، شأنه في ذلك شأن معاصريه من قادة الرأي الذين توسلوا بالمقال لأداء دورهم التنويري، فانطلقوا أساسا من المقال الصحفي للإتصال بالجماهير، على أوسع نطاق، كذلك فعل العقاد وسلامة موسى والدكتور هيكل وغيرهم، وهو الجانب الذي يتيح

دراسة هذا الجيل على الرغم من كثرة نتاج كتابه، لأنهم كانوا واضحي الرؤية، يبتغون التنوير والتثقيف والتوجيه، فيما يبتغون.

**ووفقا للترتيب التاريخي في مؤلفات طه حسين فإن «ذكرى أبي العلاء» التي قدمها الى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ للحصول على الدكتوراه، هي أول كتاب طبعه ونشره في سنة ١٩١٥ في ٤١٠ صفحة وطبع طبعة ثانية بمطبعة المعاهد بمصر سنة ١٩٢٢ دون تغيير. وطبعة ثالثة بعنوان «تجديد ذكري أبي العلاء» وطبعة رابعة، ثم طبعة خامسة، في سنة ١٩٥٨.**

وفي هذا الكتاب يعرض طه حسين لحياة أبي العلاء المعري وشعره ونثره وكتبه وعقيدته وفلسفته والحياة السياسية والفكرية في عصره. ويكشف هذا الكتاب عن حاسة تاريخية بصيرة، وسلامة في التقويم الأدبي وإتقان في فهم النصوص وتحليلها اتقانا رائعاً. من خلال درس عصر أبي العلاء، وما أحاط به من مؤثرات، ويحدد بذلك منهجا جديدا في الدراسات الأدبية لا يقوم على إتقان «علوم اللغة وآدابها فحسب، **بل لابد له أن يلم إلماماً بعلوم الفلسفة والدين، ولابد أن يدرس التاريخ القديم والحديث وتقويم البلدان درساً مفصلا، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لا يكفيه من درس اللغة حسن البحث عما في القاموس واللسان .. الخ ثم «لابد من درس الآداب الحديثة في أوربا، ودرس مناهج البحث عند الفرنج، بل ما كتبه الأساتذة الأوربيون في لغاتهم المختلفة عما للعرب من أدب وفلسفة ومن حضارة ودين.**

وفي سنة ١٩١٧ ينتهي من رسالته عن ابن خلدون بالفرنسية، والتي حصل بها على درجة الدكتوراه من السوربون وعنوانها: دراسة تحليلية نقدية في الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون:

(Etude analyique et critique de la philosophie sociale d,bn Khaldoun, Paris, 1917, (These des Lettres de I,Universite de paris).

وقد ترجمها محمد عبد الله عنان بعنوان: «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية» وفي الكلمة التمهيدية يبين طه حسين دوافع اختياره هذا الموضوع بقوله «يحتفظ تاريخ الآداب العربية منذ عصر الجاهلية الى عصرنا هذا بذكر رجلين يمتاز كل منهما بابتكار خارق لم يتصف به احد من المسلمين أساتذة كانوا أم تلامذة.. أولهما أبو العلاء المعري **الذي استحدث في أدبنا صنفين لم ينسج مثلهما منذ عهده. فقد استعرض في مجموعة شعرية اسمها «اللزوميات» فلسفة باهرة تفيض زهدا وتشاؤما حتى قيل إنه «لوكريس» العرب، وتخيل لنا في شبه قصة اسمها «رسالة الغفران» التى تذكرنا قراءتها بالكوميديا الإلهية - رحلة الي العالم الآخر وصف لنا فيها الجنة وصفا قوياً رائعاً. أما عمل الثاني فطبيعته تخالف عمل الأول تمام الخلاف،** وقد لا يجب أن نصفها بالعبقرية، كان ابن خلدون عقلية عملية، لم تمكنه حياته الدبلوماسية، التي مزجت أيما امتزاج بالدسائس من تلك الحياة ذاتها، ومن دراسته لتاريخ الإسلام ومختلف النظريات الفلسفية التي عرفها المسلمون دراسة عميقة مستفيضة - فلسفة جديدة موضوعها: المجتمع وتاريخه.

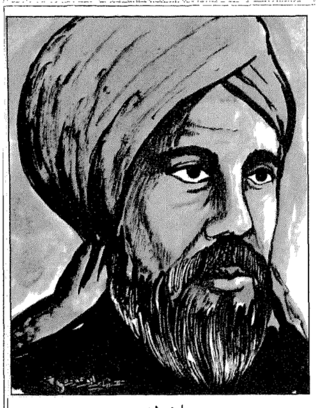
وفي سنة ١٩١٩ يصدر طه حسين مؤلفه الثالث: «الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهة وأثرها في المدينة» **وفي الفترة من ١٩١٩ - ١٩٢٤ ينشر بعض المحاضرات التي كان يلقيها في الجامعة المصرية بوصفه أستاذاً للتاريخ اليوناني والروماني القديم في صحيفة الجامعة المصرية» تحت عنوان «دروس التاريخ القديم في الجامعة المصرية» وفي سنة ١٩٢٠ يصدر «صحف مختارة من الشعر التمثيلي**

**عند اليونان» ثم «نظام الأثينيين» مترجما عن اليونانية لارسطاطاليس».**

وفى هذا الإتجاه إلى الثقافة اليونانية نجد طه حسين يعبر بذلك عن عوامل حضارية عامة تشير الى روح العصر في مصر، والذي يتميز بعناصر من الثورة الرومانسية ومن عصر التنوير ومن هنا جاءت هذه الكتب مقسمة على ميادين ثلاثة: الأدب، والسياسة، وتاريخ الحضارة فنظام الاثينيين مثلا، رغم أنه ترجمة دقيقة محكمة لنص من أهم نصوص التاريخ اليوناني، فإن نشره في هذه الفترة الدستورية من تاريخ مصر الحديث، يشير الى الهدف الأساسي من نشره، ونعني تقديم مفهوم واضح لمعنى «الديمقراطية» وهو يصرح بذلك في قوله «والكتاب كما هو أحسن صورة موجودة تمثل الحياة السياسية اليونانية، وهو مع ذلك صورة حية لنشأة الديمقراطية واستحالتها ورقيها قليلا قليلا حتى تصل الى أقصى ما يقدر لها من النمو وسعة السلطان».

**وفي سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ يترجم مع محمد رمضان «الواجب» لجول سيمون في ٤ أجزاء. كما ينشر في سنة ١٩٢٤: «قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين» كان قد نشرها من قبل في «الهلال» من المجلد ٣٣ ج٤ إلى المجلد ٣٥ ج١٠، وهي مقالات نصنفها في «المقال التنويري» ويترجم عن الفرنسية كذلك «روح التربية» لجوستاف لوبون في سنة ١٩٢١، وفي أبريل ١٩٢٥ يصدر «قادة الفكر» بعد أن نشره فصولا في «الهلال» وفي سنة ١٩٢٥ يطبع المجلد الأول من سلسلة مقالات «حديث الأربعاء» التي كان ينشرها في «السياسة» على شكل عمود ثقافي متخصص** وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٢٦ ثم الجزء الثالث سنة ١٩٥٧ وقد نشرت فصول هذه الأجزاء إلى جانب «السياسة» في «الجهاد» فيما بعد.

أما كتاب «في الشعر الجاهلي» فقد صدر



ابن رشد

في سنة ١٩٢٦ وهو الكتاب الذي سحب من السوق لما أثاره من ضجة بعض أسبابها دينية علمية وبعضها الآخر سياسية، ثم أعيد طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٧ بعنوان «في الأدب الجاهلي» محذوفاً منه فصل، ومضافاً إليه عدة فصول، وهو خلاصة ما كان يلقي من محاضرات على طلاب السنتين الأولى والثانية في كلية الآداب.

**أما مقالات «الأيام» فقد نشر الجزء الأول منها في «الهلال»، ج٣٥ ص ١٦١ ـ ١٦٨، م٣٥ ج٣ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٤، م٣٥ ج ٤ ص٤١٧– ٤٢٤، م٣٥ ج٥، ص٥٥٩، ٥٦٦، م ٣٥ ج٦ ص٧١٣–٧١٧ م٣٥ ج٧، ص٨٠٨–٨١٢، م٣٣ ج٨ ص٩٤٣–٩٤٦، م٣٥ ج٩ ص١٠٨٤ – ١٠٨٨ وذلك في الفترة من ديسمبر ١٩٢٦ حتى يوليو ١٩٢٧ ـ ثم جمعت في كتاب صدر في ١٩٢٩.**

ومن ثمار الصحافة كذلك مقالات كتاب «في

الصيف» التي جمعت في كتاب صدر سنة ١٩٣٣ **وهو مجموعة رسائل كتبها من أوروبا إلى صحيفة «السياسة» ندرجها في «المقال الوصفي والتقرير الصحفي». وفي نفس العام جمعت مقالات «حافظ وشوقي» في كتاب وكان قد نشرها في «السياسة» و«الجديد» و«المقتطف» و«الهلال» من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣٢، كما نشر فصول «على هامش السيرة» في مجلة «الرسالة» قبل طبعها في كتاب الجزء الأول في ١٩٣٣ لأول مرة، وحقق مع عبد الحميد العبادي «نقد النثر» لقدامة بن جعفر في نفس السنة، وفي سنة ١٩٣٤ أصدر «دعاء الكروان»** كما جمعت مقالات «من بعيد» التي نشرها في «السياسة» في كتاب، وفي نفس السنة صدر كتاب أديب، كما يصدر في هذا العام أيضا «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» بدمشق والذي أعيد طبعه في «ألوان» في سنة ١٩٥٨، كما يصدر «مع أبي العلاء في سجنه، و«أندروماك لراسين». وفي ١٩٣٦ يجمع المحاضرات التي ألقاها في المناسبات الأدبية، ونشرها في «كوكب الشرق» في كتاب بعنوان: «من حديث الشعر والنثر» وفي سنة ١٩٣٧ يصدر بالاشتراك مع توفيق الحكيم: «القصر المسحور» **وكتاب «المتنبي» في نفس السنة وبين عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨ ينشر «الحب الضائع» على فصول في مجلة «الراديو المصري» ثم تطبع كاملة في العدد رقم ١٠٠ من سلسلة «إقرأ» التي تصدرها دار المعارف سنة ١٩٥١.**

**وفي ١٩٣٨ يصدر طه حسين أهم مؤلف في الفكر النظامي الاجتماعي ونعني «مستقبل الثقافة في مصر» الذي يقوم فيه نوعية الحياة الوطنية المصرية بعد معاهدة ١٩٣٦. وتقوم الأفكار التفصيلية في هذا المؤلف على أفكاره الأساسية التي دعا إليها في صحيفة «السياسة» منذ أواخر ١٩٢٢، أي منذ صدورها، وحتى صدور الكتاب،** ويترجم بعد ذلك مسرحيات «الكترا» وإياس، و«وانتيجونا» و«أوديبوس ملكا»، وينشرها بعنوان «من الأدب التمثيلي اليوناني: سوفوكليس، في سنة ١٩٣٩، في هذه السنة يصدر الجزء الثاني من «الأيام» كذلك ثم في سنة ١٩٤٢ تجمع الفصول التي نشرت في الصحف والمجلات تحت عنوان: «لحظات» في جزءين وهي مع مقالات «صوت باريس» التي صدرت في العام التالي تضم القصص التي لخصها من عيون الأدب الفرنسي المعاصر وفي عام ١٩٤٢ كذلك يصدر الجزء الثاني من «على هامش السيرة» **أما الجزء الثالث فقد صدر في العام التالي الذي صدرت فيه كذلك «أحلام شهرزاد» وفي هذا العام ١٩٤٣ تصدر «شجرة البؤس» وهي الرواية الثانية بعد «دعاء الكروان» التي يتابع فيها طه حسين حركة الأجيال المتعاقبة وتطورها الاجتماعي أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن. وفي العام التالي يصدر «جنة الشوك» المتوسل بالرمز وفي هذا العام كذلك تجمع مقالاته التي نشرت في «الرسالة» و«الثقافة» في «فصول في الأدب والنقد» يصدر كتاب «ذكرى أبي العلاء» في سلسلة «إقرأ» في نفس العام.**

وفي عام ١٩٤٧ يصدر: «عثمان» (الجزء الأول من الفتنة الكبرى) و«زاديج أو القدر» و«أندريه جيد: من أبطال الأساطير اليونانية أوديب. تسيوس» وفي العام التالي يصدر «رحلة الربيع، و«المعذبون في الأرض» التي نشرت في «الكاتب المصري» في عام ١٩٤٨.

أما في سنة ١٩٤٩، فقد جمع مقالات «مرآة الضمير الحديث» في كتاب بعنوان: «نفوس للبيع» قبل أن تطبع بعنوان «مرآة الضمير الحديث» بعد ذلك.

وفي عام ١٩٥٠ يصدر «الوعد الحق» كما تجمع فصول «جنة الحيوان» في كتاب: **أما مقالاته في مجلة «الكاتب المصري» التي نشرت**

**من ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ فقد جمعت في كتاب «ألوان» الذي صدر في ١٩٥٢. وفي هذا العام جمعت كذلك مقالاته في جريدة «البلاغ» في كتاب بعنوان «بين بين».**

أما الجزء الثاني من الفتنة الكبرى ـ «على وبنوه» فيصدر في ١٩٥٣، ويشترك بعد ذلك مع إبراهيم الإبياري في «شرح لزوم مالا يلزم» لأبي العلاء والذي صدر الجزء الأول منه في مجموعة «ذخائر العرب» في ١٩٥٥، وفي هذا العام أصدر «من هناك» ضمن سلسلة «الكتاب الذهبي» وهو بعينه «صوت باريس» كما جمع مقالاته النقدية التي نشرت في جريدة «الجمهورية» في كتاب بعنوان «خصام ونقد» صدر في بيروت في نفس السنة.

وفي العام التالي أصدر في بيروت كذلك كتاب «نقد وإصلاح» وهو مجموعة المقالات التي نشرها في صحيفة «الجمهورية» أيضا، وفي عام ١٩٥٧ ضمت «رحلة الربيع» التي طبعت في سنة ١٩٤٨ إلى «في الصيف» الذي طبع من قبل في ١٩٣٣ جمعت مقالاته التي نشرت في «الجمهورية» و«الأهرام» في كتاب بعنوان: «من أدبنا المعاصر».

**وفي العام التالي أصدر «مرآة الإسلام» و«من لغو الصيف» الذي يضم بعض مقالاته في «الرسالة» و«الثقافة» و«من أدب التمثيل الغربي» كما جمعت أحاديثه في الأدب والفن والثقافة في كتاب «أحاديث» أما «الشيخان» (أبو بكر وعمر) فقد صدر في ١٩٥٠.**

وقد ترجم من مؤلفات طه حسين وأعماله إلى اللغات الأجنبية ما يلي:

**١ ـ «الأيام» الجزء الأول: فقد ترجم الى الانجليزية والفرنسية والعبرية، والصينية والروسية والفارسية.**

**٢ ـ «الأيام: الجزء الثاني: ترجمه (جاستون فبيت) ونشرت ترجمته مع ترجمة «لوسرف» الجزء الأول في مجلد واحد.**

قاسم امين

**وترجمه «كراتشكوفسكي» إلى الروسية وظهرت الترجمة في سنة ١٩٦٠.**

**٣ ـ «دعاء الكروان» الى الفرنسية.**

**٤ ـ «شجرة البؤس» الى الفرنسية.**

**٥ ـ «أديب» : ترجمه الى الفرنسية.**

**٦ ـ «مستقبل الثقافة في مصر» : ترجم الى الانجليزية.**

**٧ ـ «الوعد الحق»: ترجمه الى الفارسية أحمد ارام بعنوان: «وعده راسته» تهران سنة ١٣٣٠ هجرية شمسية.**

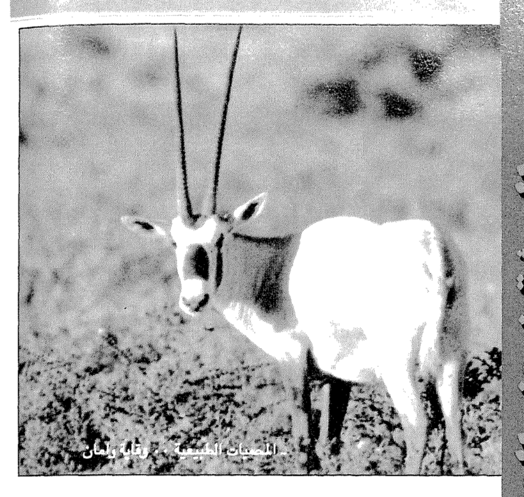
**٨ ـ «علي وبنوه»: ترجمه إلى الفارسية أحمد آرام بعنوان: «علي عليه السلام وبوفرزند زركوارش» طبع في تهران سنة ١٣٣٣ هجرية شمسية.**

**وترجمه إلى الأوردية بروفيسور «محمد منور دايم» ـ بعنوان: الفتنة الكبرى ، طبع في لاهور بغير تاريخ.**

**للحديث صلة**

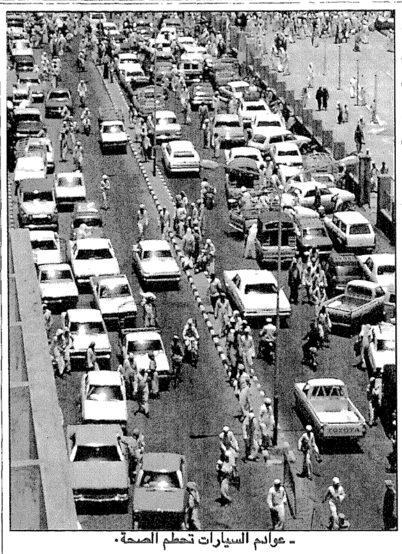
# البيئة بين الماضي والحاضر

## البيئة تعني الحياة



- المحميات الطبيعية .. وقاية وأمان

تتبع الدول المتقدمة نظاماً متقدماً لحماية البيئة فلو ذهبت إلى الغابات في إحدى الدول المتقدمة لصادفت ما يسمى «بشرطة الغابات» وهم قسم من رجال الأمن الذين اتبعوا دورات تعليمية حول حماية الغابات وأهميتها، وقد نجحت المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة وسوريا وبعض الدول العربية الأخرى في إقامة المحميات الطبيعية التي أعادت بعض اشكال الحياة الفطرية وانقذتها من الانقراض وقد سنت قوانين لحماية البيئة ومكوناتها في هذه الدول وتعاقب القوانين كل من يعتدي على هذه المحميات.



ـ عوادم السيارات تحطم الصحة.

إن قانون حماية البيئة من التجاوزات عليها والتشريعات التي ألحقت به لا تعتبر حديثة العهد بل يعود مفهوم حماية البيئة إلى عصور ما قبل الميلاد ولم يستغل الانسان الموارد البيئية استغلالا جائرا كالذي نراه اليوم ولا تعتبر أيام الجاهلية الأولى هي اساس حماية الحمى الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من النظام البيئى، بل يعود ذلك إلى أيام حمورابي وشرائعه التي حضت على تلقيح طلوع النخل للاستفادة من ثمارها وحدد عقوبات على المزارعين الذين يهملون تلقيح النخل. كما شرع قانوناً يقضي بحماية التربة الزراعية من الاستنزاف وجاء فيه أن الأرض الزراعية يجب أن تزرع عاما وتترك للراحة عاما آخر إلا إذا زرعت بالبقوليات التي تحافظ على خصوبة التربة لا تستنزف مواردها الغذائية.

أما في أيام الجاهلية فقد ازدادت أهمية مفهوم حماية الحمى حيث كان المرعى وبئر الماء هما أعز ما يملك العربي بعد عائلته ويعتبر الدفاع عن الحمى واجب كل فرد ولا يتخلف عن ذلك أبدا.

وكان الشريف في الجاهلية إذا نزل أرضا استعوى كلباً فحمى لخاصته مدى سماع عواء الكلب لا يشاركه فيه أحد.

ولما جاء الاسلام الدين الحنيف وضع حدا للحروب التي كانت تقوم بين القبائل العربية وسببها أغلب الأحيان المرعى وآبار ومواضع الشرب، أما الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم فقد أشار إلى أنه «لا حمى إلا لله ورسوله» وقال الشافعي رضي الله عنه في تفسير قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا حمى إلا لله ورسوله: نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يحمى على الناس المرعى كما كانوا في الجاهلية يفعلون، وقوله إلا لله ورسوله، إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد ويحمل


**د. عواد جاسم الجدي**

باحث في تنمية الموارد البيئية

ـ الكويت ـ



- التوازن البيئي صيحة هذا العصر

# اختلال التوازن البيئي اختلال لكثير من معطيات الحياة

عليها في سبيل الله وإبل الزكاة. كذلك حمى عمر رضي الله عنه النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة في سبيل الله.

لقد أصدر الرسول العربي صلى الله عليه وسلم قانوناً في الأمن البيئى لحماية المكونات البيئية عندما حمى النقيع وعضاة المدينة أي تكوين الشرى الذي تسوده أشجار الطلح، والسمر ومنع الصيد عند الحمى والاحتطاب والاقتلاع حول مكة.

ونلمس أمن الموارد البيئى لدى الرسول العربي (صلى الله عليه وسلم) في حديثه الشريف: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل) وباسقاط ذلك الحديث الشريف اسقاطا علميا على ما تعانيه الموارد البيئية اليوم من تلوث طال الهواء والماء والتربة والغذاء نجد أن هذا الحديث قانونا بيئيا وأمنيا شرعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ ١٤٠٠ سنة مشيرا منذ ذلك الوقت إلى ما تعانيه هذه الموارد اليوم من تلوث شديد حيث تنتقل العديد من الميكروبات الموجودة في البراز إلى المياه التي يشربها الإنسان أو الهواء أو الى التربة ومن أهم هذه الميكروبات: الا يشريشيات

# الحفاظ على النظام البيئي حفاظ على صحة الانسان

الكولونية Escherichia Coli التي تنتقل عن طريق البراز وتسبب الانتانات الهضمية والبولية.

كذلك السلمونيلات Salmonelia التى تسبب الانتانات المعوية، ولعل أهم الجراثيم التي تنتقل مع البراز وتسبب للإنسان أمراضا خطيرة (الزحاد) الشيغلات الزحارية Shi-gella Dysenteriae، أما جرثومة الكوليرا Vibrio Cholrae والتي تودي بحياة الأطفال فهي تنتقل عن طريق البراز إلى المياه وتلوثها. وتنتقل مع البراز الى الهواء الديدان المعدية كالاسكاريس والدودة الشريطية وغيرها من الأوبئة.

وحين جهز أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ جيوش الفتح الاسلامي فقد زصدر تعليماته للجيش الفاتح وأمرهم بالمحافظة على الموارد البيئية فلا يقتلوا شاة ولا يقلعوا شجرة ولا يحرقوا زرعاً وبذلك تعتبر هذه التعليمات قانونا أمنياً يحمي المكونات البيئية المفيدة بشكل مباشر



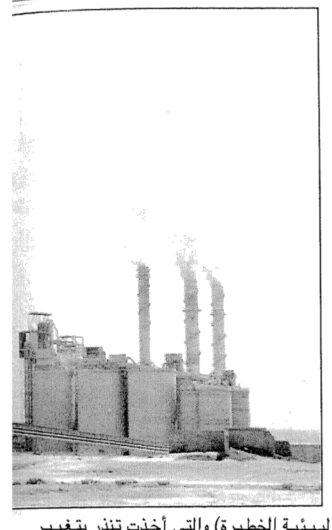
ـ الاحياء المائية اكثر تضرراً بالتلوث

للانسان كالشاة والشجرة والزرع والضرع.

أما اليوم فالمستقرئ للبيئة ومكونات النظام البيئي يجد أنه بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التشريعات والقوانين والعقوبات التي من شأنها المحافظة على أمن مكونات النظام البيئي ، ونقصد بالأمن البيئى حماية الموارد والمكونات البيئية من العبث والهدر والاستخدام غير المرشد لتستطيع هذه الموارد على مختلف مصادرها أن تكفي حاجة البشرية لضمان واستمرار حياتها.

إذ يرتبط مصير الانسان بشكل مباشر بمصير النظام البيئي الذي يحيا به وغيره من

# التشريع الاسلامي اهتم كثيراً بالنظام البيئي والحفاظ عليه



الكائنات الحية الأخرى، وبصورة أدق فقد اعتلت صحة الانسان وعضته أنياب الجوع واجتاحته عاصفة الفاقه والجوع والحرمان عندما بدأت الموارد البيئية المختلفة تتناقص ويختل توازنها في الوسط الموجودة فيه. لقد أحدث الانسان بجشعه المتواصل ذلك الاختلال في المكونات الاساسية للنظام البيئي في حين أوجد البارئ عز وجل هذه المكونات بصورة متوازنة «وأنبتنا فيها من كل شيء موزون».

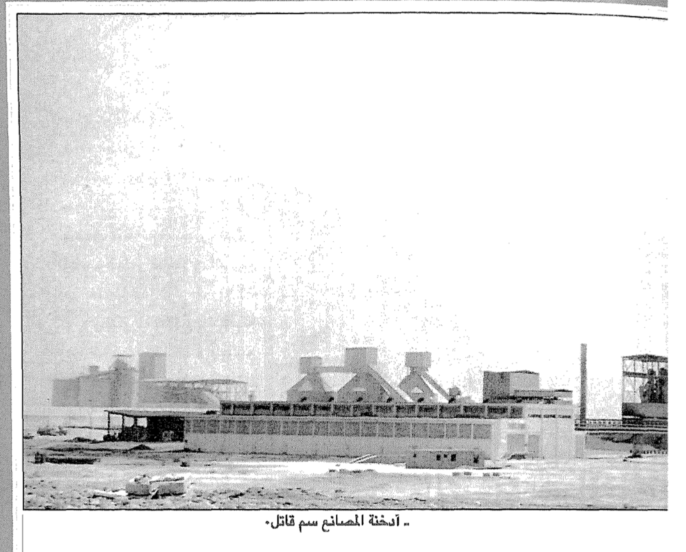
لقد سعت حكومات العالم بدوله وتنظيماته المختلفة بتشريع وإصدار القوانين التي من شأنها المحافظة على صحة البيئة وردع التجاوزات المختلفة عليها، إذ بلغت هذه التجاوزات حداً لا يمكن معه الاستمرارية في حياة العديد من الأنواع الحية وحدث جراء ذلك تغيرات وتحولات في المعطيات البيئية انعكست بصورة أو بأخرى على الانسان نفسه الذي دفع الثمن غالياً.

تسمى هذه التغيرات بمجملها (التحولات البيئية الخطيرة) والتي أخذت تنذر بتغيير جذري شامل لترتيب ووجود الكائنات الحية المختلفة بما فيها الانسان في الوسط الحيوي الموجودة فيه، إزاء هذه التجاوزات التي سببت هذه التحولات البيئية الخطيرة تحركت الحكومات والمؤسسات العلمية والقانونية لعقد الاتفاقات وتشريع القوانين التي تحمي الموارد البيئية .

** وأهم اشكال هذه التحولات البيئية الضارة ما يلي:

بالنسبة للتربة والأرض:

- أدت إزالة الأشجار والغابات دون زراعة بدائل إلى تقدم وزحف ظاهرة التصحر De-sertifi Cation مما قاد إلى فقر الانسان



- أدخنة المصانع سم قاتل.

# تدخل الانسان في النظام البيئي أخر به وبها

وهجرته للأرض، كذلك تناقص اعداد الحيوانات بسبب فقدان الموائل التي تأوي إليها هذه الحيوانات. كما أن تجريف الأرض الخصبة واستثمارها لجلب ربح عاجل جعلها في النهاية غير صالحة للزراعة بسبب التدهور Degrada-tionالذي أصابها.

- دفن النفايات النووية في الأرض حتى لو كانت صحراوية يزيد ذلك من نسبة الاشعاع مما يترتب على ذلك زيادة في نسبة الاضرار بصحة الانسان والحيوان وما يزيد من خطورة الأمر أن النفايات تطلق اشعاعا لا يعرف حدوداً فينتقل الى الدول المجاورة لدولة النفايات، كما أن وجود المفاعلات الذرية كمنشآت أرضية ومصدر للطاقة الكهربائية وعدم الاحتياطي الكامل في استخدامها يقود الى الاضرار بصحة الانسان والنبات وحياة الحيوان ولا يتوقف الضرر على البلدان التي أقيمت فيها هذه المفاعلات بل يتعدى إلى الدول الأخرى نتيجة تصدير أغذية أو لحوم من الدول صاحبة المفاعل أو الدول المجاورة لها إلى باقي

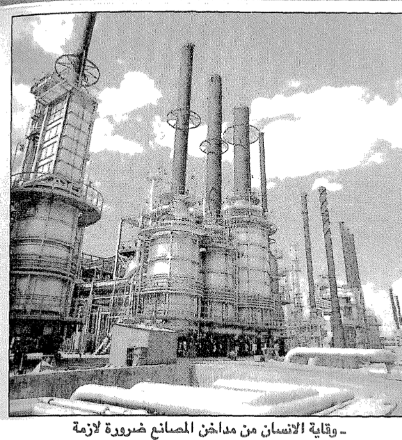
الدول الأخرى.

- كما أدى رش الزراعة بالمبيدات الكيماوية واستخدام الأسمدة والمخصبات الأخرى إلى الاضرار بالأرض وعطائها وتتأثر الماشية وخلايا النحل وطوائفه المختلفة بذلك.

إعتمدت اتفاقية الاتجار الدولي في الحيوانات والنباتات البرية المهددة بالانقراض في عام ١٩٧٣ لحماية وصون الانواع النباتية والحيوانية وبدأ نفاذها في يوليو ١٩٧٥ وبحلول عام ١٩٩٥ كانت ١٥٩ دولة قد أصبحت أطرافا في الاتفاقية وترمي هذه الاتفاقية الى حفظ الانواع المهددة بالانقراض وتسمح بالاتجار بالانواع التي تتواجد باعداد كبيرة وتوجد مجتمعات حيوية تستطيع إعاشتها. كما وقعت الدول اتفاقيات أخرى تحذر انتاج المبيدات الكيماوية ذات البقاء الطويل في التربة.

كما وقعت اتفاقية بشأن التحكم في نقل النفايات الخطرة والتخلص منها عبر الحدود من جانب ١١٦ حكومة والمجموعة الأوربية في ٢٢ مارس ١٩٨٩.

والهدف النهائي لاتفاقية بازل هو خفض توليد النفايات الخطرة الى الحد الأدنى أما الأهداف الحالية للاتفاق فهي تشديد الرقابة على نقل النفايات الخطرة المسموح بنقلها عبر الحدود، وتفرض رقابة شديدة على التخلص



- وقاية الانسان من مداخن المصانع ضرورة لازمة

# حتى في حال الحروب اكد الاسلام على ضرورة احترام البيئة

من هذه النفايات.

المياه العذبة والأنهار والبحار:

لقد ساهمت النشاطات البشرية المختلفة في تلوث هذه الموارد المائية من خلال:

- إطلاق مياه الصرف الصحي في البحار وبقرب الشواطئ يؤدي إلى تلوثها والاضرار بالثروة السمكية والبحرية كما يضر بالانسان الذي يرتادها للاستجمام والصيد.

- صرف نفايات السفن ومياه التوازن وعادم الياتها من زيوت وغيرها قرب المياه الاقليمية

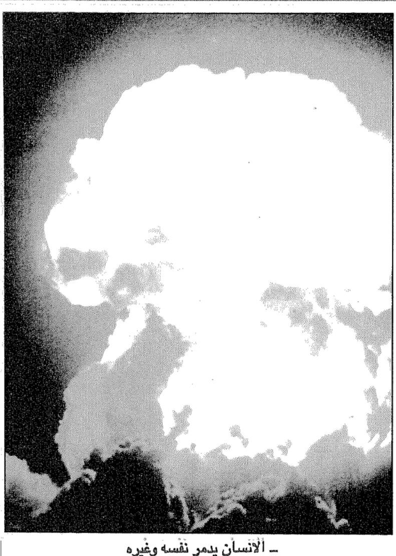
في البحار ويضر ذلك بالاسماك والطيور البحرية التي تتغذى عليها.

- دفن النفايات المشعة في البحار يؤدي إلى تخريب الثروة السمكية والبحرية، وتتجاوز الاضرار إلى الإنسان الذي يعيش على الأسماك البحرية.

- صرف مياه المصانع المختلطة بالكيماويات والسموم إلى البحار والأنهار المجاورة يؤدي الى قتل الاسماك وتسمم الانسان والطيور.

- القاء النفايات والحيوانات الميتة في موارد المياه التي يشرب منها الانسان يلوثها ويضر بالانسان والحيوان.

ومن أهم اتفاقيات الأمن البيئى للمياه والموارد المائية اتفاقية Ramsar ١٩٧١ حيث اعتبرت اراضي المستنقعات موئلا للطيور المقيمة والمهاجرة واتفاقية لندن ١٩٧٢ الخاصة بمنع التلوث البحري بالقاء النفايات، والاتفاقية الدولية لمنع التلوث من السفن، لندن ١٩٧٣، واتفاقية الأمم المتحدة بشأن قانون البحار.



ـ الانسان يدمر نفسه وغيره

# المجاعات والتصحر والكوارث نتيجة طبيعية لاختلال البيئة

أما بالنسبة لمنطقة الخليج العربي فقد وقعت الدول المطلة بروتوكول حماية البيئة البحرية من التلوث الناتج من مصادر في البر وذلك في ٢١ فبراير ١٩٩٥ وناقش هذا البروتوكول أنواع الملوثات التي تساهم في تلوث البيئة البحرية وأنواع الفضلات والسموم والمواد الكيمياوية واستراتيجية حماية مياه الخليج من التلوث.

الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية:

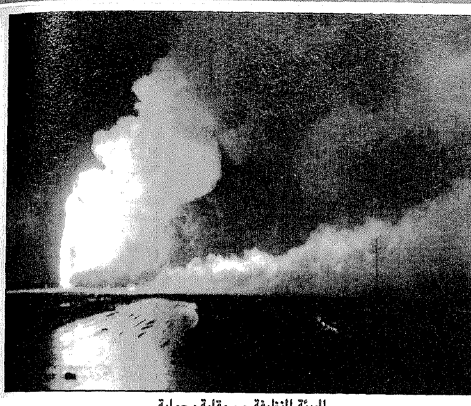
يشكل هذا الغلاف الحيوي المهد الاساسي الذي يحيا فيه الإنسان وبقية الكائنات الحية الأخرى وقد تلوث هذا الغلاف بفعل فعاليات

عديدة:

- الأدخنة الصاعدة من مداخن المصانع والأبخرة الحاوية على غازات سامة كربونية وكبريتية ومواد ملوثة أخرى تلحق أضراراً مختلفة بالانسان والحيوان والنبات.

- عوادم ملايين السيارات التي تجوب أنحاء العالم وتنفث إلى الهواء العديد من العناصر السامة أهمها الرصاص.

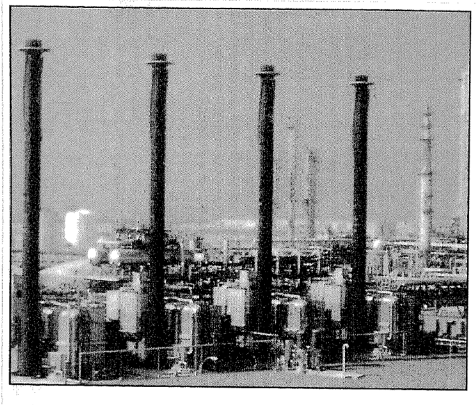
- دخان السجائر واستخدام بعض المواد أو المركبات في بعض الصناعات والمبيدات التي تؤثر سلباً على درع الأوزون المحيط بالغلاف الجوي والذي يحمي الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض من خطر الاشعاع.. ومن التدابير الأمنية التي اتخذت في هذا المجال اعتماد بروتوكول مونتريال بشأن المواد المستنفدة لطبقة الأوزون ١٩٨٧ وقد بدأ تنفيذه عام ١٩٨٩ وفي اغسطس عام ١٩٩١ أصبح ٧٣ بلدا إضافة الى الإتحاد الاقتصادي الأوربي أطرافا في البروتوكول.



البيئة النظيفة .. وقاية وحماية

# المصانع الحربية، عوادم السيارات ، النفايات النووية كلها دمار موقوت

وقد اتخذت دول عديدة اجراءات جدية بشأن دخان عوادم السيارات وسلامة الاحتراق في محركاتها وخاصة عند تحديد ترخيص السيارات وفرض غرامات مالية على السيارات ذات الاحتراق غير المتوازن والاجراءات الأمنية البيئية التي اتخذتها الدول



في هذا المجال كثيرة وينبغي أن يخصص بحث كامل لمناقشتها ٠

الضوضاء:

تختلف نسبة الضوضاء بين المدينة والبر أو بين المدينة والريف وزيادة الضوضاء في المدينة تعود الى الات المصانع وأصوات السيارات وسير وسائل النقل المختلفة ولقد توصلت الأبحاث الحديثة إلى نتائج مفادها أن لا تبنى المداجن بجانب الطرق السريعة والمطارات، كذلك حظائر المواشي المدرة للبن لأن ذلك يؤثر على انتاجيتها من البيض للدواجن ومن الحليب للمواشي المنتجة للحليب ٠

لقد ازدادت أهمية التشريعات والقوانين لحماية البيئة من التلوث والدمار في العصر الحديث خاصة في الوقت الذي استعمل فيه الانسان ومنذ خمسين عاماً سلاحا فتاكا ادى الى حرق منطقة تقع في دائرة قطرها ٦ كم حرقا كاملا ولا تزال تلك البيئة تعانى اختلالا منذ ذلك الوقت والى اليوم فكيف بنا اليوم وقد تطورت صناعة الاسلحة المدمرة تطورا هائلا وتنوعت الأسلحة الفتاكة خاصة النووية منها والجرثومية وتؤكد الدراسات ان تكلفة الانفاق العسكري لساعات محدودة يمكن ان تساهم في علاج مرض خطير كالملاريا وان تكاليف الحروب المختلفة يمكن ان يساهم في اعمار البيئة العالمية واصلاح كل ما اختل منها، وتزداد العناية بالبيئة في الوقت الذي يتسابق فيه العالم نحو تطوير المزيد من الأسلحة الفتاكة ولا ندري الى اي مصير سينتهي أولئك وهؤلاء٠٠٠؟

---


المصادر:

(١) مجلس حماية البيئة في دولة الكويت، مرسوم بالقانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٨٠ في شأن حماية البيئة - الكويت ١٩٨٠٠

(٢) رشيد الحمد - محمد سعيد صباريني: البيئة ومشكلاتها - ط٣ - الكويت مكتبة الفلاح ١٩٨٦٠

(٣) ابن منظور : لسان العرب٠

(٤) احمد مدحت اسلام: التلوث مشكلة العصر، سلسلة عالم المعرفة اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - الكويت ١٩٩٥٠

(٥) ضاري العجمي، عبد المنعم مصطفى: الانسان وقضايا البيئة - الكويت ١٩٩٥٠

# الوقود الأحفوري والتلوث البيئي

## البيئة نبض الحياة

### بداية لابد منها:

خلقت الطبيعة وهي في اتزان محكم، بيد أن التقدم الحضارى الهائل خلال القرون الاخيرة، وخاصة بعد الثورة الصناعية، ساهم في ارباك حالة التوازن تلك، اذ أفسد الانسان بنشاطاته المختلفة الطبيعة بدرجة كبيرة. ان لكل شيء ثمن، ويبدو ان الثمن الذى دفعته البشرية لقاء الحياة المترقة كان فادحا وقد تمثل على شكل تلوث واسع النطاق للكرة الارضية، وأحد العوامل الرئيسية المسؤولة عن ذلك التلوث هو اتساع استخدام مصادر الوقود الاحفورى. وسنحاول استعراض بعض الجوانب السلبية لاستخدام مصادر الوقود الاحفورى على بيئة الارض. ونظرا لأن التلوث ذو اشكال متعددة فاننا سنحاول التركيز على مظهر محدد منه ويتمثل بارتفاع نسبة المركبات الكاربونية على بيئة الارض وبما يمكن أن يدعم الاتجاه المتنامي نحو استخدام مصادر الطاقة المتجددة باعتبارها ملاك الرحمة المنقذ من كارثة وشيكة الوقوع. وهي ليست دعوة قائمة على الخيال كما أنها ليست تشاؤما مبعثه الانحياز الى النقيض.. وقد تدفعنا الصفحات القادمة الى ترسيخ قناعتنا بذلك.

**بقلم: يوسف يحيى عماس**
كلية الاداب - جامعة بغداد

**التلوث البيئي كمشكلة:**

يمثل التلوث البيئي احد الملامح الرئيسية خاصة لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث ساهمت زيادة تدخلات الانسان في البيئة الطبيعية بصفة عامة، وتلك المتمثلة في التصنيع بصفة خاصة، الى تدهور شديد في الانظمة البيئية، ونقص ملحوظ في الاحتياطي العالمي من مصادر الطاقة غير المتجددة ومن الاسباب الرئيسية وراء تلك الظاهرة عمليا بناء اقتصاديات اوربا والشرق الاقصى التي ضربتها الحرب وكذلك ظهور حركات التحرر في العالم الثالث ورغبتها في اللحاق بمستوى المعيشة في الدول الصناعية واعتمادها في ذلك على دفع عجلة التصنيع.

وتتمثل الاثار المترتبة على التصنيع من حيث اثارها البيئية بنوعين من الأثار:

**(أ) الآثار الكمية.**

**(ب) الأثار النوعية.**

والنمط الاول يتمثل باستنزاف مصادر الطاقة غير المتجددة سواء أكانت مواد خامة أو مصادر طاقة، اما الآثار النوعية فيقصد بها تلك الاثار الخاصة بنوعية البيئة، فالصناعة تؤثر على نوعية البيئة عن طريق بثها للملوثات بانواعها المختلفة وذلك من خلال عمليات الانتاج بمراحلها المختلفة، أو من خلال استهلاك العديد من انواع السلع الصناعية .. وتختلف مشاكل التلوث البيئي ايضا من حيث:

**(أ) نطاقها الجغرافي** أى المناطق التي ستظهر فيها.

**(ب) نطاقها الزماني،** أى المدة التي ستظهر فيها، اذ قد تظهر بعض اثارها آنيا، وقد يستغرق بعضها الآخر فترات زمنية اطول قد تصل الى عدة سنين .. والمشكلة التي سنتناولها - المتمثلة في ارتفاع المركبات الكاربونية في جو الارض - هي من المشاكل البيئية التي ستظهر آثارها السلبية الخطيرة على بيئة سطح الارض بعد بضع من السنين اذا لم توضع المعالجات المناسبة للحد منها.

ان اتساع مشاكل التلوث بانواعه المختلفة، واخطرها التلوث الهوائي، كان حافزا لقيام الكثير من الحركات السياسية في العديد من دول العالم، التي اخذت على عاتقها مسؤولية الكفاح ضد التلوث، واتخذت تلك الحركات من شعار «البيئة النظيفة» هدفا تسعى لتحقيقه فالتلوث كما هو معروف لا يعترف (بالحدود السياسية)(٢) وقد عرفت تلك الحركات على نطاق واسع باسم (جماعة الخضر) وقد تنامت حركتها منذ الستينات من هذا القرن في اوربا وامريكا واستراليا.. وتنامى دورها السياسي في برلمانات العديد من الاقطار الاوربية حتى وصلت نسبة المقاعد التي تحتلها في بعض الدول كالدنمارك مثلا الى ١٦٪ والشكل رقم (١) ، والجدول رقم (١) يوضحان ذلك وتلك مؤشرات نعتقد بأنها ايجابية في عالم اخذت الملوثات الصناعية فيه بالزيادة بدرجة تنذر بكارثة

قريبة الوقوع.

## التلوث والنظام البيئي:

هناك تعاريف عديدة للتلوث. فقد يعرف بأنه التغير غير المرغوب في مجمل الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبايولوجية للهواء والماء واليابس، التي تسبب اضرارا على الحياة وعلى النشاطات المختلفة(٤). وقد يعرف ايضا بأنه حدوث تغير أو خلل في الحركة التوافقية التي تتم بين مجموعة العناصر المكونة للنظام البيئيه بحيث تفقده القدرة على التخلص من النفايات بواسطة العمليات الطبيعية(٥).

اما النظام البيئي فيعرف بأنه شبكة معقدة تتكون من كائنات حية ومن البيئات التي تقطنها تلك الكائنات، وكذلك من التفاعلات المتبادلة التي يمكن ان تنشأ في هذا التكوين المعقد، فالنظام البيئي اذن هو نظام ديناميكي بيولوجي كميائي تعتمد عناصره على بعضها البعض(٦). ويتكون أى نظام بيئي من اربع مجموعات من العناصر هي(٧):

١ ـ عناصر غير حية وتمثل كل عناصر البيئة الطبيعية غير الحية مثل الماء والهواء وحرارة الشمس وضوئها والتربة والصخور بما تضمه من معادن ومصادر وقود وغيرها ويطلق عليها اسم المجموعة الاساس أو الثوابت.

٢ ـ مجموعة العناصر الحية المنتجة للغذاء وتتمثل في النباتات التي تصنع غذاءها بواسطة عملية التمثيل الضوئي اعتماداً على العناصر غير الحية.

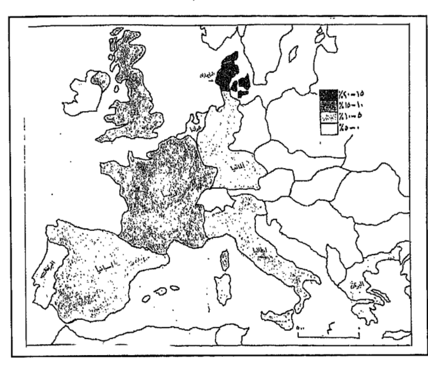
٣ ـ مجموعة العناصر المستهلكة للغذاء وتقسم الى مجموعتين تسمى الاولى.. بالمستهلكين الاوائل وهي الكائنات الحية التي تتغذى على النباتات وتسمى الاخرى بالمستهلكين الثانويين وهي التي تتغذى على

**جدول رقم (١)**

عدد المقاعد التي تشغلها احزاب الخضر في بعض الدول الاوربية لسنة ١٩٨٩ (٣)

| الدول | عدد المقاعد | النسبة المئوية للبرلمان |
|---|---|---|
| بلجيكا | ٣ | ٣ر٩ |
| الدنمارك | ٤ | ٥ر١٦ |
| المانيا | ٨ | ٤ر٨ |
| فرنسا | ٩ | ٦ر١٠ |
| هولندا | ٢ | ٠ر٧ |
| ايرلندا | ١ | ٢ر٣ |
| ايطاليا | ٥ | ٢ر٦ |
| اسبانيا | ٣ | ٠ر٦ |
| البرتغال | ١ | ٠ر٣ |

جدول رقم (١)



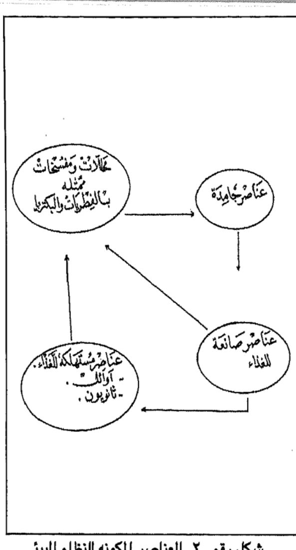

شكل رقم ـ ١ ـ عدد المقاعد التي تشغلها أحزاب الخضر في اوربا

الحيوانات.

٤ ـ العناصر الحية المجهرية او مجموعة المحللات أو المضخات حيث يقوم بتحليل النباتات والحيوانات الميتة الى عناصر ثابتة مرة اخرى .. وهكذا تستمر حالة التوازن ضمن النظام البيئي والشكل رقم (٢) يوضح عناصر النظام البيئي .. ويحدث الخلل في النظام البيئي ، وهو ما يعرف بالتلوث، لاسباب عديدة لعل من اهمها حدوث زيادة أو نقصان في احد العناصر المكونة للنظام البيئي ولعل من اهم الامثلة على ذلك هو حدوث زيادة في المركبات الكاربونية خاصة ثاني اوكسيد الكاربون وذلك كنتيجة لاتساع استخدام مصادر الوقود الاحفورى وبشكل اضعف حالة التناغم بين عناصر النظام البيئي.

**دورة الكاربون في الطبيعة:**

رغم ان الكربون عنصر نادر نسبيا في الجزء غير الحي من الارض، فأنه يشكل ١٨٪ من المادة الحية وتشكل قدرة ذرات الكاربون على الاتصال ببعضها اساس التباين الجزئي والحجم الجزيئي الذي يستحيل على الحياة أن تستمر بدونه وتحوى طبقة التروبوسفير على ما يعادل ١٠ × ٧ طن على هيئة ثاني اوكسيد الكاربون(٨) ولا يشكل هذا الغاز سوى ٠٣ر٠٪ من مكونات الغلاف الغازى وتتلخص دورة الكاربون في الطبيعة (كما هي واضحة في الشكل ٣ ، ٤) في اختزال النباتات لثاني اوكسيد الكاربون عن طريق عملية التمثيل الضوئي التي تؤدى الى بناء المركبات الكاربوهدراتية العضوية بداخل خلايا النباتات ثم تأكل الحيوانات المستهلكة للنباتات فتنقل المواد الكاربوهيدراتية اليها لتصنع منها



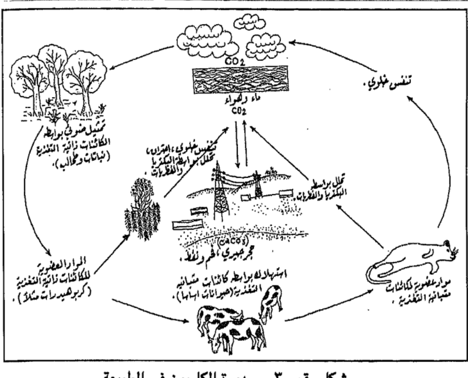

**شكل رقم ـ ٢ العناصر المكونه للنظام البيئي**

متطلباتها الغذائية وخلال عملية التنفس للنبات والحيوان تنحل المركبات الكاربوهيدراتية الموجودة في اجسام هذه الكائنات فيتحرر منها الكاربون في صورة ثاني اوكسيد الكاربون ثم تعود الدورة مرة اخرى ولو كان هذا كل ما تشتمل عليه دورة الكربون لما استمر مدة طويلة ولتوقفت عاجلا أو آجلا ويرجع ذلك لسببين: اولهما ان هناك الكثير من مكونات النباتات الكاربوهيدراتية لا يستطيع الحيوان هضمها وثانيهما انه من الصعب على كل من الحيوان والنبات تحويل كل ما تحتويه اجسامها من مواد كاربوهيدراتية الى ثاني

اوكسيد الكاربون عن طريق التنفس،

وهذا يعني ان هناك قدرا لا يستهان به من الكربون يبقى حبيسا في انسجة النبات والحيوان ويقوم بتحرير هذا الكربون الحبيس عدد من الكائنات الدقيقة ممثلة بالفطريات والبكتريا.

وتلعب الكائنات الحية والدقيقة دورا هاما وضروريا في هضم الفضلات النباتية والحيوانية عن طريق عملية الهدم والتخمر التي تقوم بها والتي تكون من نتائجها تحول المركبات العضوية المعقدة الى احماض وكحولات وغيرها من منتجات التفاعل الوسيطة.



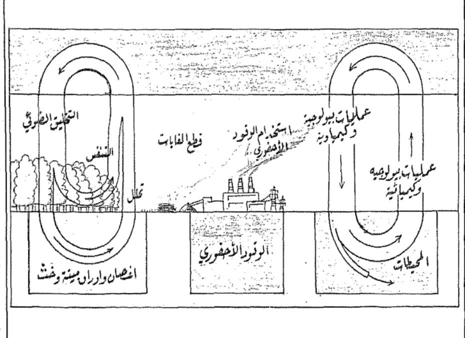

شكل رقم ـ ٣ ـ دورة الكاربون في الطبيعة

ومما يجدر ذكره ان دورة الكربون تعتبر اساسا دورة تغير في الطاقة فنتيجة لتحول ثاني اوكسيد الكربون الى مواد كاربوهيدراتية معقدة تبنى الطاقة ثم نتيجة لعمليات الهدم والتنفس تعود المواد الكاربوهيدراتية المعقدة الى شكلها البسيط عن طريق تفاعلات كميائية مستهلكة للطاقة(٩). وتلك الدورة تمثل الحالة المثالية لدورة الكربون وهي حالة التوازن. ولكن ذلك المظهر من مظاهر التوازن قد اختل بفعل الانسان وقد تمثل ذلك الاختلال بمزيد من الاستهلاك لمصادر الوقود الاحفورى وقد تزايد ذلك بشكل خطير بعد قيام الثورة الصناعية، فالالة الصناعية في العالم لا تزال تعتمد في جانب كبير منها على النفط والفحم، وكذلك الحال بالنسبة للمنتجات الصناعية التي يعتمد القسم الاكبر منها على المشتقات النفطية كالسيارات مثلا.

ان التزايد في استخدام الوقود الاحفورى له ابعاد خطيرة على الانظمة البيئية في العديد من جهات العالم التي باتت تعاني من حالة تدهور خطيرة وبالشكل الذى أخذ يحولها تدريجيا الى حدود الطاقة البيئية الحرجة:

(Critical ecological capacity)

(١٠) وقد حدثت زيادة كبيرة في اطلاق غاز ثاني اوكسيد الكربون وبمعدلات سريعة تعجز عن استيعابه النظم البيئية، حيث اخذت معدلاته تزداد على المعدلات الطبيعية، حيث




**شكل رقم ـ ٤ ـ دورة الكاربون في المياه وعلى سطح اليابسه مقدرة ببلايين الأطنان**

قدر انه خلال قرن واحد (١٨٧٠ ـ ١٩٧٠) اطلق الى الغلاف الجوى ما يقارب ٣٦٠ بليون طن من ثاني اوكسيد الكربون حيث زادت كميته من ٢٧٧٠ بليون طن سنة ١٨٧٠ الى ٣١٣٠ بليون طن سنة ١٩٧٠ وبزيادة تقدر بحوالي ١٣٪(١١).

وتشير التقديرات انه اذا ما استمر الوقود الاحفوري يمثل المصدر الرئيسي للطاقة في العالم خلال المائة سنة القادمة فان حوالي ١٢٠٠ بليون جيجا طن من الكربون ممثلة في ثاني اوكسيد الكاربون ستنطلق في الغلاف الجوي عام ٢٠٩٠، وتقدر هذه الكمية بحوالي ٢٠ ضعفا للكمية التي انتجت من الوقود الاحفوري حتى الوقت الحاضر.

وقد نجح كل من «ماتاب ، ودذرالد» في عمل نموذج رياضي مناخي يكشف لنا عن الاثار التي تنجم عن تضاعف نسبة ثاني اوكسيد الكاربون في الغلاف الجوي. ومنها هذا النموذج الرياضي أنه في حالة تضاعف كمية ثاني اوكسيد الكاربون فأنه سترتفع درجة الحرارة في الغلاف الجوي»(١٢).

ومما يساعد على زيادة وجود ثاني أوكسيد الكاربون في الغلاف الجوى أيضا هو اتساع حركة الطائرات التي تطلق كميات كبيرة من هذا الغاز في طبقات الجو العليا حيث تصبح حركته بطيئة ويظل عالقا في الغلاف الجوى اطول فترة ممكنة. وقدرت الدراسات بأن احتراق طن واحد من الهيدروكاربونات النفطية ينتج ٥ر٢ طن من ثاني اوكسيد الكاربون ولنا ان نتصور كم طنا من ثاني اوكسيد الكاربون معلقة في الطبقات العليا اذا ما علمنا مثلا ان طائرة البوينج ٧٠٧ تستهلك في طيرانها طنا من الكاربوهيدرات لكل ١٠ دقائق فقط(١٣).

ومن العوامل الاخرى التي زادت في كمية المركبات الكاربونية في الغلاف الجوى ايضا هو زيادة عدد السيارات في العالم .. التي تعتمد في القسم الاكبر منها على استخدام مصادر الوقود الاحفورى. وقد بينت العديد من الدراسات بأن حركة النقل في الدول المتقدمة تستهلك نسبة تتراوح ما بين ١١ ـ

٣٧٪ من كمية الطاقة المستهلكة فيها والجدول رقم (٢) يوضح ذلك.

ولا تتأتى الزيادة في كمية ثاني اوكسيد الكاربون كنتيجة مباشرة للتوسع في استخدام مصادر الوقود الاحفورى فقط، وانما تتأتى ايضا من خلال ضعف القدرات الاستيعابية أو الاستهلاكية لثاني اوكسيد الكاربون داخل الانظمة البيئية.. فالبحار والمحيطات التي تعتبر مناطق

جدول رقم (٢)

كمية الطاقة المستهلكة لحركة وسائط النقل والنسبة المئوية لدول مختارة(١٤)

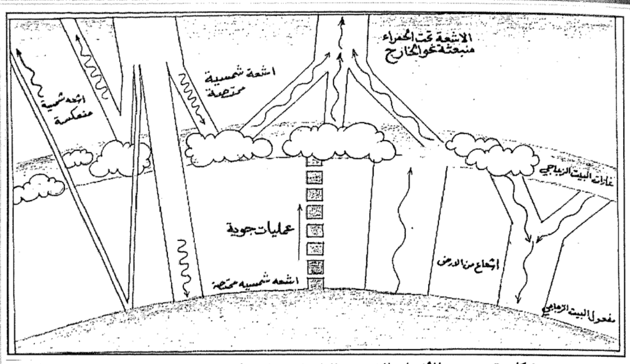
| الدول | النسبة المئوية لاستهلاك الطاقة | كمية الاستهلاك بملايين الاطنان |
|---|---|---|
| النمسا | ٧ر٢٠ | ٢ر٥ |
| بلجيكا | ١ر١٦ | ٣ر٧ |
| كندا | ١ر٢٩ | ٣ر٤٥ |
| الدنمارك | ٩ر٢٢ | ٢ر٤ |
| المانيا | ٤ر١٨ | ٦ر٣٩ |
| اليونان | ٧ر٣٣ | ٥ر٤ |
| ايرلندا | ١ر٢٧ | ٣ر٢ |
| ايطاليا | ٢ر٢٠ | ٩ر٢٧ |
| اليابان | ٠ر١٧ | ٠ر٧٢ |
| لوكسمبرج | ٩ر١٠ | ١٥ر٠ |
| هولند | ٥ر١٦ | ٠ر١١ |
| نيوزيلندة | ٥ر٣٦ | ٨ر٢ |
| النرويج | ٢ر١٧ | ٢ر٤ |
| اسبانيا | ٣ر٢٥ | ٧ر١٦ |
| السويد | ٢ر١٧ | ٧ر٦ |
| سويسرا | ٣ر٢٥ | ٩ر٤ |
| تركيا | ٢ر٢٦ | ٦ر٩ |
| بريطانيا | ٢ر٢١ | ٠ر٣٩ |
| الولايات المتحدة | ٤ر٣٢ | ٩ر٤٧١ |

جدول رقم (٢) كمية الطاقة المستهلكة لحركة وسائط النقل والنسبة المئوية لدول مختارة

الاستيعاب الكبيرة لثاني اوكسيد الكاربون (تستوعب ٢٠٪ في الاحوال الاعتيادية من خلال امتصاصه وترسيبه على هيئة حجر جيرى) بدأت مؤخرا تفقد الكثير من هذه القدرة الاستيعابية، اذ تحمل هذه المسطحات المائية في تركيبها العادى كمية معينة من ايونات الكاربون التي تعمل وتسهل إذابة ثاني اوكسيد الكاربون في الماء حتى يمكن الاستفادة منه، وهي كمية متوازنة ومتعادلة مع التدفق المعقول لثاني اوكسيد الكاربون، وتمكن المسطحات المائية من استيعاب حقها (٢٠٪) بما يكفل للهواء تركيبه العادى وللنظم البيئية استقرارها .. يضاف الى ذلك ان التلوث البحري الذى أصاب الكثير من المسطحات المائية، افقد هذه المسطحات الكثير من احيائها النباتية وقلل من عملية التمثيل الضوئي، وهي اكبر مستهلك لثاني اوكسيد الكاربون المذاب في الماء، ومن ثم ضعفت قدرة المسطحات المائية على استيعاب كميات كبيرة من ثاني اوكسيد الكاربون.

ويرى كل من كلبنج وباكشنو أن بطء الحركة التبادلية الرأسية لمياه المحيطات ستقلل من فرص ذوبان ثاني اوكسيد الكاربون ونتيجة لهذا تضطر كميات كبيرة من ثاني اوكسيد الكاربون الى البقاء في الغلاف الجوي.

كما تتنامي زيادة نسبة غاز ثاني اوكسيد الكاربون ايضا من التدهور السريع الذي اصاب الغطاء النباتي وذلك بسبب القطع المفرط لاشجار الغابات لاستخدامها لاغراض مختلفة، ولعل من اكثر تلك الاستخدامات في تأثيراتها السلبية على




**شكل رقم ـ ٥ ـ الأشعاع الشمسي الواصل لسطح الأرض ودوره في التسخين الأرضي**

البيئة يتمثل في استخدامها كوقود عن طريق الحرق خاصة في الدول النامية، حيث تشير الاحصاءات ان ٧٠٪ من السكان في الدول النامية يحرقونه بين حد أدنى مطلق يبلغ حوالي ٣٥٠ كغم و٢٩٠٠ كغم من الخشب الجاف سنويا او بمعدل زهاء ٧٠٠ كغم للسنة الواحدة(١٥)٠ ويضيف حرق الاخشاب ما يعادل ١٥ بليون طن من غاز ثاني اوكسيد الكاربون الى الغلاف الجوى سنويا(١٦)٠ ويتضح لنا مما سبق ان الثورة الصناعية باعتمادها على مصادر الوقود الاحفورى قد اخلت بالتوازن البيئي بمساهمتها المستمرة في زيادة تدفق غاز ثاني اوكسيد الكاربون في الجو وما لذلك من تأثيرات سلبية على البيئة٠

**الكاربون والمناخ:**

في عام ١٩٥٧ ذكر عالمان وهما ريفل وسويس بأن البشرية تجرى تجربة جيوفيزيائية كبيرة ليس في مختبر، وليس في حاسوب، وانما على كوكب الارض، وان نتيجة هذه التجربة، التي بدأت اساسا مع بداية الثورة الصناعية ـ ستتضح في غضون عشرات من السنين، فزيادة نسبة غاز ثاني اوكسيد الكاربون في الجو والميثان والكلور وفولور كاربون (CFCI3) سيكون لها دور كبير في تحديد الصفات المناخية للكرة الارضية٠ ومنذ اوائل القرن التاسع عشر لوحظ ان ثاني اوكسيد الكاربون يزيد من مفعول البيت الزجاجي (Greonhouse ef-fect)، ذلك لأن الزجاج يسمح للموجات القصيرة بالمرور عبره، الا أنه يعرقل انفلات الموجات الحرارية الطويلة، وغاز ثاني اوكسيد الكاربون يلعب نفس الدور، وبذلك سيساهم في حجز نسبة كبيرة من الحرارة المنبعثة من سطح الارض ٠٠ مما سيساهم في رفع متوسطات الحرارة على سطح الارض والاكثر من ذلك فان التسخين المناخي قد يؤدى الى انطلاق سريع لكميات هائلة من الكربون التي تحتجزها التربة كمواد عضوية ميتة، وهذا المخزون من الكربون الذي تحتجزه التربة يتحلل بصفة مستمرة الى ثاني اوكسيد الكاربون وغاز الميثان بفعل بكتريا التربة، ذلك ان المناخ الاكثر دفئا غالبا ما يعطل من سرعة عملها وبذلك تطلق كميات اضافية من ثاني اوكسيد الكاربون من التربة وذلك من شأنه ان يزيد من التسخين٠

ويرى المختصون بأن زيادة درجات الحرارة في الطبقات الدنيا من الغلاف الجوي، كنتيجة لزيادة ثاني اوكسيد الكاربون ستؤدى الى تغيرات عميقة في كثير من الانظمة البيئية، وسيساهم ذلك في انصهار كميات هائلة من الغطاءات الجليدية ويؤدى الى حدوث ارتفاع عالمي في مستوى المياه في البحار والمحيطات يتراوح ما بين ٢٠٠ ـ ٤٠٠ قدم وبالتالي طغيان تلك المياه على مساحات واسعة من المناطق الساحلية، هذا فضلا عن تغيرات في مواسم النمو مع كل تغير حراري ربما يؤثر على العلاقة البيئية بين المحاصيل وبيئاتها. وتؤشر العديد من الدراسات بأن تضاعف نسبة غاز ثاني اوكسيد الكاربون في الجو ستؤدى الى زيادة متوسط الحرارة السنوى بما يتراوح ما بين ٤ ـ ٦ درجة ف(١٧).

**المركبات الكاربونية وطبقة الاوزون:**

يتكون الغلاف الجوى من عدة طبقات جوية صنفت تبعا لطبيعة ودرجة حرارة كل طبقة. ويوجد نطاق الاوزون ضمن نطاق طبقة الستراتوسفير وبارتفاع يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٥كم من سطح الارض. وتأتي أهمية هذه الطبقة في كونها تعمل علي حماية الكائنات الحية الموجودة على سطح الارض من خلال امتصاصها للاشعاعات المؤذية القادمة من الشمس والممثلة بالاشعة فوق البنفسجية ذات الطول الموجي القصير.

ولقد ثبت ان ٣٪ من الاشعاعات الكهرومغناطيسية القادمة من الشمس تكون على هيئة اشعة فوق بنفسجية تتراوح اطوالها الموجية بين ٢٠٠ ـ ٣٩٠٠ انكستروم (كل انكستروم يساوى ١٠ ـ م١٠) وهناك انواع عديدة منها .. ان نوع الاشعة فوق البنفسجية ذات الطول الموجي القصير تدعي (U V - C) ويتراوح طولها الموجي بين ٢٠٠٠ ـ ٢٨٠٠ انكستروم. ويتميز هذا النوع من الاشعة فوق البنفسجية بكونه شديد الضرر على الانسان وعلى الكائنات الحية اذا ما سلطت عليه بشكل مباشر، الا أن طبقة الاوزون التي تعتبر المظلة الواقية للحياة فوق الكرة الارضية تقوم بامتصاص جزء كبير من هذه الاشعة. اما الاشعة فوق البنفسجية التي تتراوح اطوالها الموجية بين ٢٨٠٠ ـ ٣٢٠٠ انكستروم فيطلق عليها (U V - B) ويرتبط هذا النوع من الاشعة بصلة وثيقة باصابات سرطان الجلد والحساسية والمياه الزرقاء التي تصيب العين اذا ما عرضت للجسم البشرى. ويقوم اوزون الجو بامتصاص ما يعادل ٧٠ ـ ٩٠٪(١٨). من هذا النوع من الاشعاع والذى يعتبر اقل خطورة من النوع الاول. ويتبين من ذلك ان وجود طبقة الاوزون لها أهمية كبيرة وذلك لدورها في استيعاب الاشعة فوق البنفسجية المؤذية لا سيما تلك الاشعة ذات الطول الموجي القصير اضافة الي اهميتها الاخرى وذلك بقيامها بالسيطرة على درجة الحرارة من خلال عكسها للاشعة تحت الحمراء التي تحمل الطاقة الحرارية التي تصدر من الارض.

والاوزون في تكوينه هو اوكسجين ذو ذرات ثلاث ($O_3$) وقد أخذت طبقة الاوزون تعاني من مشاكل التخلخل والتشقق الذى أصاب اجزاء منها خاصة تلك التي تم رصدها وقياسها على القارة القطبية الجنوبية وذلك منذ اوائل السبعينات وازدادت الدراسات التي تناولت هذا الموضوع الذي اصبح يعرف بثقب الاوزون.. (Ozone hele) وقد لوحظ بأن ذلك الثقب قد اخذ بالاتساع شمالا من القارة القطبية الجنوبية ليتجاوز دائرة العرض (٤٥) درجة جنوبا باتجاه الشمال(١٩) ومن الأسباب الرئيسية المسؤولة عن ذلك التشقق مركبات الكاربون وخاصة الكلورفلور وكاربون وهي مركبات ثابتة تستعمل لاغراض عديدة كالفريون والفريون ١٢ حيث تتصاعد الى الجو وهناك تمتص الاشعة فوق البنفسجية للتحطم وتحرر الكلور الذري وهذا يساهم في تدمير الاوزون وقد قدرت الدراسات بأن كمية تلك الغازات المنطلقة الى الجو تبلغ سنويا

٠٠٠ر٧٥٠ طن(٢٠) هذا اضافة الى مساهمة النقل الجوى وبما تطلقه الطائرات من غازات في طبقات الجو العليا في تدمير هذه الطبقة الحامية للحياة على سطح الكرة - الارضية.

**الخلاصة:**

لقد حاول الانسان في عصره التكنولوجي التحكم الى حد كبير نسبيا في بيئته، التي طالما اعتبر نفسه المسيطر الوحيد عليها، ولقد قاده ذلك التصور الى النظر الى الموارد واستغلالها وكأنها حكر عليه متناسيا المسؤولية الانسانية تجاه الاجيال اللاحقة التى سوف لن يبقى لها سوى هوامش تلك الموارد من تلوث بيئي ونضوب في الموارد.. ان الرغبة في تحقيق مشاريعه في النمو والتطور يتطلب مساهمة فاعلة في تقييم ما قطعه الانسان من شوط في مجال استغلال الانسان لمصادر البيئة.. وما حققته الدراسات العلمية من تقدم في تقييم الآثار السلبية للعديد من الممارسات التكنولوجية الخطيرة.. ولعل من تلك الآثار السلبية ما يتمثل في الزيادة الكبيرة في معدلات استخدام الوقود الاحفوري بما سيؤثر سلبا على الموارد نفسها من خلال تقليص عمرها الزمني للنضوب وعلى البيئة مما سيتركه من اثار سلبية ممثلة بالتلوث وبارتفاع نسبة النقص لمكوناته الغازية. وقد تنبهت المنظمات الدولية للمخاطر المحدقة بالمستقبل فسارعت الامم المتحدة لعقد العديد من المؤتمرات التي تناولت مشاكل التسخين الارضي والاثار السلبية لتشقق طبقة الاوزون وكان اخرها الذي عقد في هولندا سنة ١٩٩٠.. ان مصادر الوقود الاحفورى الذى هو مظهر للتقدم والرفاه والغنى للدول المنتجة والمستهلكة قد يكون سببا رئيسا لكارثة بيئية مقبلة..!!

---

الهوامش والمصادر:

(١) د. محمد سعيد الحفار، مشكلة الكيمياويات الصناعية في البيئة واثارها المنظورة وغير المنظورة، حلقة عمل عن التلوث الصناعي في غرب اسيا، بغداد، نيسان ١٩٨٦، ص ٣ - ٤ .

(٢) Geoffrey wall, Some contemporary problems in reseorch on air pollution, In progross in geography edited by Christopher Board, Vol, 8, London, 1976, p. 2I 6.

(٣) John Sallnow and Sarah Arlett, European Green parities, Megazine of the Royal geographical Society, Vol. I. XI, No. 11, Nov, 1989, pp. 10 - 14.

(٤) Odum, E, P, Ecology, the link Between the natural and the social Sciences, New york1980, p. 244.

(٥) زين الدين عبد المقصود، البيئة والانسان، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٩٠، ص١٨٩.

(٦) مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية، كتاب مرجعي في التربية السكانية، عمان ١٩٩٠ ، ص١٢.

(٧) زين الدين عبد المقصود ، المصدر نفسه ، ص ٦٦ - ٦٧.

(٨) H. M. Dix, Environmental Pollution, John wiley and sons Ltd 1981, p.

(٩) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع في التعليم البيئي، تونس، ١٩٨٨، ص٥٢.

(١٠) Fraser Reekie, Background to envirenmentel Planning, London, 1970, P.144.

(١١) Clair Likueero the changing of ecology, Greak Britain, 1970, P. 89.

(١٢) زين الدين عبد المقصود، الطاقة والمناخ، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافية - جامعة الكويت، العدد ١٢ لسنة ١٩٨٠، ص ١٩ - ٢١.

(١٣) Ames H. Hawley, Man and Envireronment, Lendon, 1975, pp. 202 - 206.

(١٤) Howard J Sinkewitz, Transport and energy problems and Possibilitles, Built Environment, Vol. 5, No. 4, London.

(١٥) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٤٢، تشرين اول ١٩٨٩، الكويت، ص٢٧٤.

(١٦) لورانت هوجر، التلوث البيئي، ترجمة د. محمد عمار الراوي ود. عبد الرحيم محمد، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص١٣٧.

(١٧) هيرمان كان، العالم بعد مائتي عام، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، تموز، ١٩٨٢، ص٢٨٥.

(١٨) د. قاسم عزيز محمد، الغلاف الجوى ومشاله الثقب الحاصل في طبقة الاوزون، مجلة المعلم الجديد، الجزءان الاول والثاني/ حزيران ١٩٨٩، الصفحات ٩٧ - ١٠١.

(١٩) World Meteorological Organization, The Ozone Hole over Antarctica, WMO Bulletin, April - 1988, P. 98.

(٢٠) لورانت هوجر، المصدر نفسه، ص١٤٢.

# أعلام: ابن رشد وعلم التشـ

هذه دراسة تلقى الضوء على جانب مجهول من انتاج ابن رشد العالم الفذ.. وتوضح جانبا يسيراً من جهود العلماء المسلمين في علم التشريح الذى يظن الكثيرون ان المسلمين قد تحاشوه وابتعدوا عنه ولم يسهموا فيه.

---

**ترجمة موجزة لحياة ابن رشد:**

لابد لنا أولا من إلمامة نتعرف بها على هذا العلم الشامخ أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي الفقيه المالكي قاضي القضاة، الطبيب، الفلكي الفيلسوف الألمعي الذي اعتمدت اوروبا في القرون الوسطى على فلسفته وآرائه، واشتهر هناك باسم Averroes.

**ولادته ونشأته:**

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (الحفيد) في السنة التي توفي فيها جده محمد بن أحمد بن رشد قاضي القضاة في قرطبة، فذهب الجد الفقيه ، وأقبل الى الدنيا الحفيد الطبيب الفيلسوف ، وكان مولده عام ٥٢٠هـ/١١٢٦م بقرطبة تلك المدينة الباذخة المجد الحافلة بفنون الحضارة والعلم والفلسفة والطب.

حفظ القرآن الكريم كما يحفظه النابغون من الصبية كما حفظ كتاب الموطأ للإمام مالك، والأندلس وشمال افريقيا مالكية يحتفون أشد الإحتفاء بكتب الإمام مالك وما صُنِّف فيهما وظهر نبوغه مبكراً، وتولى قضاء اشبيلية عام ٥٦٥هـ ثم قضاء قرطبة عام ٥٦٧هـ وصار بها قاضي القضاة ولم يشغله الفقه والقضاء عن الطب والفلسفة والعلوم الأخرى، بل كان يقسم وقته تقسيما عجيبا مثمرا، فليله للتأليف والدرس ونهاره في القضاء، وفي مباحثة الإخوان والأقران. ورحل إلى مراكش عام ٥٤٨هـ (١١٥٣م) حيث قدمه صديقه ابن الطفيل إلى أمير المؤمنين عبد المؤمن الموحدي الذي أعجب بآرائه في نظام التعليم.. وطلب منه أن يتولى ما يوازى اليوم وزارة المعارف ليصلح نظام التعليم.


**بقلم: د. محمد علي البار**
عضو وزميل الكلية الملكية للاطباء بلندن


والموحدون كانوا يحكمون شمال افريقيا والأندلس، ويختلفون عن سلفهم المرابطين في تقبلهم لعلم الكلام والفلسفة وسعة علومهم وتقريبهم للفقهاء والفلاسفة في آن واحد.

**توليه القضاء:**

وفي عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إزدادت مكانة ابن رشد وتولى القضاء في قرطبة، ثم طلبه أمير المؤمنين ليكون طبيبه الخاص عام ٥٧٨هـ لفترة من الزمن ثم عاد للقضاء مرة أخرى. وحسده كثيرون فدسوا عليه عند السلطان الجديد الذي تولى الإمارة بعد أبيه فقام يعقوب المنصور بمشورة بعض الفقهاء بإحراق كتبه الفلسفية التي أسيء فهمها فاتهم بالمروق من الدين، وتبين للمنصور يعقوب أكاذيب الوشاة فاستدعى ابن رشد مرة أخرى وقربَّه اليه، ولكن المنية عاجلت ابن رشد فلقي ربه في ٩ صفر



٥٩٥هـ/ ديسمبر ١١٩٨م.

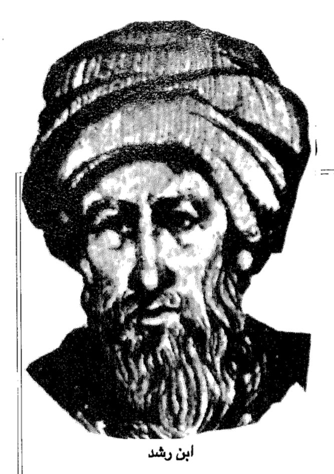
وابن رشد موسوعي الثقافة وهو الذي تربت أوروبا على كتبه وعرفت نهضتها بواسطته.. وكان الناس يأتون اليه من كل حدب وصوب حتى وصلو إليه للدرس عليه من انجلترا وفرنسا!!

ولم يكن طلبته من المسلمين فحسب بل كان من طلبته اعداد غفيرة من اليهود والنصارى حتى ان موسى بن ميمون أعظم أحبار اليهود المعروف باسم ميمونبد درس الطب والفلسفة على يديه، ثم انتقل ابو عمران موسي بن ميمون إلى المغرب ومنها الى مصر ليصبح أحد الأطباء المقربين إلى صلاح الدين الأيوبي البطل المسلم المغوار محرر القدس وفلسطين من يد الصليبيين الحاقدين.

**أشهر كتبه:**

وأشهر كتبه في الفقه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، وأشهر كتبه في الفلسفة «تهافت التهافت» الذي رد فيه على الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» واشهر كتبه في المزج بين الفلسفة والدين: «فصل المقال بين الشريعة والحكمة من الإتصال» و«الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة».

واشهر كتبه في الطب «الكليات» وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٨٤م في لكهنو بالهند في المجلس المركزي للبحوث في الطب اليوناني (يطلق في الهند لفظ الطب اليوناني على الطب الذي استخدمه المسلمون لأنهم اعتمدوا الطب اليوناني وأضافوا اليه وعدلوا فيه).



ابن رشد

كتاب الكليات:

يعد كتاب الكليات من اهم الكتب الطبية في العصور الوسطى وترجم إلى اللاتينية والعبرية وكثير من اللغات الأوروبية منذ مئات السنين. وكان من الكتب المعتمدة في الطب وإن لم يبلغ مرتبة كتاب القانون لابن سينا.

وقد وضع ابن رشد كتابه هذا للأطباء وطلبة الطب بصورة موجزة، ونصح من يريد ان يطلع على الجزئيات أن يرجع إلى كتاب التيسير لأبي مروان عبد الملك بن زهر، يقول ابن رشد في نهاية كتابه «الكليات» «فهذا القول في معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا وأبينه. وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض من الأعراض الداخلية على عضو من الأعضاء»، ويعتذر عن عدم كتابة الجزئيات رغم اهميتها للطبيب إلا أنه مشغول بما هو أهم من أمور

القضاء والطب وأمور الدولة وعلوم الفلسفة، وقال: «إننا نرجىء هذا (أي كتاب الجزئيات التفصيلية) إلى وقت تكون فيه أشد فراغاً لعنايتنا في هذا الوقت بما يهم غير ذلك، ثم يقترح على من قرأ كتابه هذا أن يتمه بكتاب التيسير لأبي مروان بن زهر إذ اعتبره خير ما كتب عن الجزئيات في الطب.

يحتوي كتاب الكليات على سبعة فصول أو كتب هي: كتاب تشريح الأعضاء (ANATOMY) كتاب الصحة (وهو في الواقع كتاب منافع الأعضاء الفسيوليجي) ، كتاب المرض (الباثوليجي) ، كتاب العلامات & Signs) (Symptoms وهو كتاب إكلينيكي مختصر، كتاب الأدوية والأغذية، كتاب حفظ الصحة وركز فيه على الرياضة والتدليك والنوم، كتاب شفاء الأمراض وتحدث فيه عن الحميات المختلفة.

**كتاب التشريح:**

استعرض ابن رشد في كتابه هذا تشريح الجسم الانساني بأكمله باختصار واقتدار مبتدءا بالعظام ومنتهيا بالرحم.

وقد عاب ابن رشد على أهل زمانه من الأطباء وطلبة الطب عدم إهتمامهم بمشاهدة الأعضاء وتشريحها حيث قال: «وكذلك الأمر في زماننا هذا في كثير من الأعضاء المشاهدة بالتشريح إذ كانت هذه الصناعة قد دثرت».

وقسم ابن رشد التشريح إلى قسمين:

* تشريح الأعضاء البسيطة مثل العظم واللحم والعروق.
* تشريح الأعضاء المركبة مثل اليد المركبة من لحم وعصب ووتر وعظم وعروق.

ثم تحدث عن العظام مبتدئا بعظام الرأس حيث قال أن ستة منها مخصوصة بالقحف -Cra) (niumوأربعة عشر عظما للفك الأعلى وعظام الخد والأذن واثنان للفك الأسفل، وجميع هذه العظام يتصل بعضها ببعض اتصالا درزيا إلا عظما الفك الأسفل فإنهما يتصلان اتصالا مفصليا.. وقد أخطأ ابن رشد في هذا القول حيث تابع جالينوس الذي اعتبر للفك الأسفل عظمان متصلان بواسطة مفصل، وكان أول من أنكر ذلك الطبيب المحدث الأديب اللغوي الموفق عبد اللطيف البغدادي الذي شاهد عشرة الاف جثة أخرجت من جبل المقطم بالقاهرة لاصلاح طريق فدرسها دراسة متأنية، ولم يجد في عظم الفك الأسفل (Mandible)لا مفصلا درزيا ولا مفصليا، وأثبت لأول مرة في التاريخ أن عظم الفك الأسفل مكون من عظم واحد خلافا لجالينوس ومن تبعه من الأطباء. وقد سجل البغدادي ذلك في كتابه الرائع: «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة في أرض مصر».

وتحدث ابن رشد بعد ذلك عن الأسنان وقال إنها ١٦ في كل فك منهما: ثنيتان -Cetrallncis) (ors ورباعيتان (Lateral Incisors) ونابان (Canines)وخمسة اضراس يمنة ويسرة -Mo) (lars & Premolarsوربما نقصت الأضراس فكانت أربعا. واصول الأضراس (Roots) في الفك الأعلى ثلاثة أو اربعة بينما هي اثنتان فقط في الفك الأسفل، وسائر الأسنان لها اصل واحد لا غير.

وتحدث عن الثقب الأعظم في أسفل الجمجمة (Foramen Mangnum)واتصالها بالفقرات العنقيه وهي سبع فيها ثقب من الجانبين. وخرز (فقرات) الصدر (Thoracic vertebra) اثنتا عشرة، وفقرات القطن (Lumbar vertebra) خمس وهي متصلة بالعجز (Sacrum) الذي جعل فقراته المتصلة ثلاث (والصواب خمس) ملتحمة ببعضها. وهي متصلة من أسفل بعظم العصعص (Coccyx) وهو أيضا مكون من ثلاث فقرات

متصلة.

وجميع هذه الفقرات (الخرز) تتصل اتصالا مفصليا ما خلا الفقارتين الأوليين من الرقبة، لأن الفقارة الأولى تتصل وترتبط بزائدتين تتشعبان من قحف الرأس وتدخلان في فقرتين من الفقارة الأولى.

ويتصل من الجانبين بعظم العجز عظما الخاصرين، من كل جانب واحد. وفيها حق الورك (Acetabulum) الذي فيه رأس الفخذ المسمى رمانة (Femur head) فهذه هي جميع العظام التي في المؤخر.

ثم افاض في العظام من الأمام ابتداء من الترقوتين (Clavicles) وانتهاء بعظم العانة مروراً بالأضلاع وعظمي الكتف. كما وصف الأطراف العلوية والسفلية بدقة وايجاز وهو لا يختلف عما نعرفه اليوم، اللهم إلا في التسمية، حيث ذكر أن عظما الساعد هما الزندان الأعلى والأسفل حيث يسمى الأسفل (اليوم) الكعبرة (Radius) والآخر الزند (Ulna) وكذلك عظام الساق حيث سمّاها زندا الساق ويعرفان اليوم باسم الشظية (Fibula) والظنبوب (Tibia).

**العروق (الأوردة والشرايين):**

وتحدث عن العروق الضوارب (الشرايين) الخارجة من القلب بينما العروق غير الضوارب (الأوردة) تعود إلى القلب كما فرّق بينهما من الناحية التشريحية حيث ان العروق الضوارب أصلب ومؤلفة من طبقتين متشابهتي الأجزاء والداخلة منها: ليفها ذاهب عرضا، والخارجة ذاهبة بالطول.

وقال إنه يخرج من القلب شريانان: احدهما أصغر من الآخر، ويذهب الأصغر إلى الرئة وينقسم فيها. وأما الآخر فهو أكبر كثيرا وهو المعروف بالأبهر، الذي ينقسم انقسامات عديدة ليغذي سائر البدن حيث يصعد منه شعبة تغذي الرأس والطرف العلوي، وشعبة اخرى تسير بجانب فقار الظهر، ويخرج منها فروع تصل إلى الصدر والبطن كما ينتهي إلى اسفل البدن فيغذي الطرفين السفليين، ولكنه يضطرب في فهم الدورة الدموية وذلك لأن هذه الدورة لم يتم تشريحها بصورة كاملة إلا على يد ابن النفيس الذي جاء بعده بقرنين.

**الجهاز العصبي:**

ووصف الجهاز العصبي وصفا جيدا على العموم مع وجود بعض الأخطاء فقد وصف الدماغ واغشيته كما وصف الأعصاب القحفية (Cranial nerves) ولم يعد العصب الشمي (Olfactory) العصب الأول رغم أنه قد ذكره عندما وصف آلات الشم بل عد العصب البصري الزوج الأول من الأعصاب فقال: «الزوج الأول عصبان تظهر كأنهما تنشأ من الدماغ وتتصل بالعين، وهاتان العصبتان مجوفتان (غير صحيح) وإذا بعدتا من الدماغ اتصلتا (مكونة التصالب البصري - Optic chiasma) ثم تفترقان، وهما داخل القحف ثم تخرجان وتعبر كل واحدة منهما إلى العين التي تليها من جانبها، ثم وصف الأعصاب التي تغذي عضلات العين (هي حسب علم التشريح الحديث العصب الثالث والرابع والسادس) وجعلها كلها تحت الزوج الثاني وأنه ينقسم ويتفرق في عضل العين.

وعد الزوج الثالث مرتبطا بالزوج الرابع الذي بعده وأنه يغذي أماكن من الوجه والأذن والحنك والأنف كما يخرج منها قسم ينزل إلى البطن إلى ما دون الحجاب. والواقع أنه يتحدث عن الزوج الخامس والسابع. وأما الذي ينزل إلى ما تحت الحجاب الحاجز في البطن فهو العصب الحائر (Vegus nerve) وهو العصب العاشر حسب

علم التشريح الحديث.

وأما الزوج الخامس حسب تعبيره فيقول انه يصير بعضه الى الأذن وبعضه إلى عضل الخد. (وهو في الواقع العصب السابع) وأما السادس حسب تعبيره فيقول أنه يصير بعضه إلى الحلق واللسان وبعضه إلى العضل الذي من ناحية الكتف وما حواليها وبعضه ينحدر في العنق وتتشعب منه في مروره شعب يتصل بعضها بعضل الحنجرة. وهو لا شك يتحدث عن العصب الحادي عشر (Accessory) في علم التشريح الحديث. ولكنه يخلطه بالعصب العاشر (العصب التائه أو الحائر) حيث يذكر فروعه في الصدر وتغذية القلب والرئة والمريء وأنه ينفذ إلى الحجاب الحاجز ويتصل بفم المعدة كما يتصل بغشاء الكبد والطحال وسائر الاحشاء، اما ما سماه الزوج السابع الذي يبتدئ من مؤخرة الدماغ حيث ينشأ النخاع فيتفرق في عضل اللسان فهو هاهنا يتحدث عن العصب الثاني عشر (Hypoglassal N) ويتحدث عن الاعصاب التي تخرج من النخاع الشوكي، وأنها ثمانية تخرج ما بين خرز العنق واثنى عشر زوجا من خرز الظهر وخمسة ازواج من خرز القطن وهو اسفل الظهر، وهذا كله صحيح ثم يقول وثلاثة من عظم العجز (الواقع أنها خمسة الا انها متصلة لذا بدت له كأنها ثلاثة ازواج) وثلاث من عظم العصعص وفرد لا مقابل له يخرج من طرف عظم العصعص من وسطه وهذا كله كلام صحيح. ثم يتحدث بالتفصيل عن فروع هذه الأعصاب بدقة عجيبة فيقول: «وللدماغ زائدتان تنبتان من بطنيه المقدمين شبيهتان بحلمتي الثدي (Olfactory bulb) تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفى (Cnbriform plate) وهو مثقب ثقبا كثيرة على غير استواء بل مشاش، وموضعه من القحف حيث ينتهى إليه زقصى الأنف».

وللدماغ غشاءأن احدهما صلب غليظ (Dura Mater) والآخر رقيق (Piamater) والرقيق ملاصق للدماغ وهو المسمى أم الرأس ويخالطه (أي الدماغ) في مواضع. والغليظ ملازق للقحف .. وهذا الغشاء الصلب مثقب ثقباً كثيرة في موضعين: أحدهما عند الثقب الذي في أقصى الأنف المسمى المصفى والآخر عند العظم الذي في الحنك، وهذا العظم أيضا مثقب وتحت الدماغ فوق الغشاء الغليظ الشبكة العجيبة التي تكون من الشرايين الصاعدة إلى الرأس، وهو كلام نفيس ودقيق ورائع.

**في هيئة العين:**

تتجلى قدرة ابن رشد التشريحية في وصفه للعين وطبقاتها حيث نرى وصفه مطابقا لما نعرفه اليوم ولا نختلف إلا في بعض التسميات اليسيرة، بل لقد أدرك ابن رشد منشأ طبقات العين في الجنين وأنها امتداد لطبقات الدماغ واغشيته فكان بذلك رائعاً كل الروعة دقيقا كل الدقة وكأنه طبيب بارع في القرن العشرين يصف لنا طبقات العين ومنشأها قبل أطباء اوروبا والعالم بعدة قرون.

يقول ابن رشد: «العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات، فأولها مما يلي القحف طبقة غشائية تنشأ من الغشاء الغليظ من أغشية الدماغ، وتسمى الطبقة الصلبة (Sclera)ثم يليها الى خارج طبقة اخرى غشائية تنشأ من الغشاء الرقيق من أغشية الدماغ وتسمى هذه المشيمة (Choroid) ثم يلي هذه طبقة شبيهه بالشبكة (الشبكية) (Retina) تنشأ من العصبة الخارجة من الدماغ ثم في وسط هذه الطبقه جسم لين رطب، تسمى الرطوبة الزجاجية (Vitcreous humour)وفي وسط هذا الجسم جسم كري (كروي) إلا أن فيه أدنى تفرطح، شبيه بالجليد في صفائه وتسمى هذه الرطوبة الجليدية (نسميها اليوم العدسة ـ Lens) ويستمر في وصفه العجيب ليصف الرطوبة المائية الأمامية (Aqueous hu-

(mour التي يسميها الرطوبة البيضية لأن ماءها شبيه بزلال البيض الأبيض الرقيق ويقول: ويعلو هذه الرطوبة إلى خارج جسم رقيق مخمل الداخل حيث يلي الرطوبة البيضية، املس الخارج ويختلف لونه في الأبدان فربما كان ازرق (وهو وصف دقيق جدا للقزحية والجسم الهدبي .. -iris & Cil) iary body وفي وسطه حيث يحاذي الجليدية (العدسة) ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال، مقدار حاجة الجليدية (العدسة) الى الضوء فيه، فيضيق عند الضوء الشديد ، ويتسع في الظلمة، وهذا الثقب هو المسمى حدقه (Pupil ) وهذا الغشاء يسمى الطبقة العنبية، ويلي هذه الطبقة مغشيا لها جسم صلب صاف، شبيه صفيحة رقيقة من قرن أبيض تسمى القرنية -Cor) neaوهي تتلون بلون الطبقة التي تحتها، ويعلو هذا جسم ابيض اللون يسمى الملتحم -Con) gunctiva) وهو كما ترى وصف دقيق رائع لا يختلف عما نعرفه اليوم من تشريح العين.

ويتحدث عن فسيوليجية الابصار فيقول: ليس الابصار لشيء يخرج من العين على ما يرى ذلك جالينوس، بل العين تقبل الألوان بالاجسام المشفة التي فيها على الجهة التي تقبلها المرأة، فإذا انطبعت الألوان فيها ادركتها القوة الباصرة. وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي (Physics) ولذلك أي جسم من هذه الأجسام التي تركبت منها العين كان احرى ان تنطبع فيه الألوان لشدة صقالتها فذلك الجسم هو الآلة الخاصة بالعين (يقصد العدسة) والقرنية ايضا منفعتها الوقاية وجعلت صافية رقيقة لكى لا تعوق الرطوبة الجليدية (العدسة) من قبول الصور».

من هذه الاطلالة يتبين لنا أهمية كتاب (الكليات في الطب) وما قدمه من معلومات دقيقة عن علم التشريح مع وجود بعض الأخطاء البسيطة التي اوضحها من جاء بعده من علماء المسلمين مثل الموفق البغدادي وابن النفيس.

ولا تثريب على ابن رشد في ذلك، بل هو قد سبق زمنه في وصف طبقات العين بدقة متناهية كما وصف وظيفتها وفسيلوجية الابصار وخالف في ذلك جالينوس ووافق ابن الهيثم عالم البصريات العظيم الذي سبقه بأكثر من قرن من الزمان.

وهكذا كان علماؤنا الأجلاء يبرزون في أكثر من مجال فكان ابن رشد علما في الفقه، علما في الطب، علما في الفلسفة، ولم يجد تناقضا قط بين علوم الدين وعلوم الدنيا، بل اشتهرت مقولته من مارس التشريح ازداد ايمانا بالله ويالها من مقولة تدحض التخرصات والأكاذيب التي كانت تزعم ان المسلمين لم يمارسوا التشريح وأنهم حاربوا العلوم التطبيقية وهو افتراء أى افتراء وبهتان أي بهتان.. وهذه كتب القوم تدحض ما قالوه وتبيّن زيف ما ادعوه، فعلوم الطب والعلوم التطبيقية كلها من فروض الكفاية التي ان لم يقم بها البعض أثمت الأمة حتى تخرج من يتقن هذه العلوم فالإسلام دين العلم الحق في كل مجال وكل العلوم فيه تقرب الى الله وتيسر السبيل الى رضاه متى ما كانت خالصة لوجهه لا تبتغي مالا ولا مجداً ولا غرضا من اغراض الدنيا الفانية.

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) والله الهادي الى سواء السبيل.

---


**المصادر الأساسية:**

(١) ابو الوليد محمد بن رشد: كتاب الكليات، الناشر: المجلس المركزي للبحوث في الطب اليوناني الهند ١٩٨٤م الطابع: مطابع ندوة العلماء لكنهو، الهند، تقديم: الحكيم محمد عبد الرزاق.

(٢) د. محمد قاسم: «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد». سلسلة تراث الإنسانية المجلده: ص ١٥٣ ـ ١٦٨ اصدار الدار المصرية للبحوث والترجمة وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة (غير مذكور سنة الطبع).

(٣) د. عبد الحليم منتصر: «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة في ارض مصر للبغدادي سلسلة تراث الإنسانية المجلد ١: ص ١١٦ ـ ١٢٢ اصدار الدار المصرية للبحوث والترجمة وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة (غير مذكور سنة الطبع).

# مات الهوى

**أبو مها**
- بدر - السعودية

قل على الحب الذي كـــان الســـلام
لم يعـــد في خـــافـــقي ذاك الغـــرام
مـــثل برد الثلج لقـــيـــانا وأوهـى
من خـــيـــوط الوهم مـــبنانا المقـــام
والكلام العـــــذب في الماضي بدالى
صـــوت غـــربان ويوم لا كـــــلام
لا تلومـــينى فـــمـــا مـــثلى ملوم
في الهـــوى كـــلا ولا غـــيـــرى يلام
سنة الدنيـــا إذا مـــا طال عـــهـــد
بالهـــوى يبـــدو كـــمـــا يبـــدو الطعـــام
ملّه الناس على مـــر الليـــالى
طالما يعـــتـــاد للأكل الأنام
خـــبـــرينى عن فـــتى قـــد ذاب حـــبـــا
مـــا له في الناس عـــز واحـــتـــرام
كل يوم حـــول من يهـــواه يبـــدو
واقـــفـــاً حـــتى شكت منه العظام
مـــوقف المشـــغـــوف هذا كل يوم
فـــيـــه للاثنين شك واتـــهـــام
وعن الدكـــتـــور مـــاذا قـــد دهاه
لا يـــداوى طـــرف عـــين لا يـــنـــام
شـــفّه الوجـــد وأضناه طـويلا
قـــد سعى مـــا نال مـــسعـــاه المرام
لا تقـــولي لا تقـــولي لى حـــبـــيـــبي
ربما يرشـــقنى منهـــا الســـهـــام
أحـــبـــيـــب حـــوله ألف مـــحـــب
إن يكن هذا الهـــوى فـــهـــو حـــرام
أنت عن شـــرع الهـــوى كنت جنوباً
والهـــوى عن شـــرعك الخـــاوى شـــآم
والهـــوى قـــد مـــات في قلبى وروحى
وأنا الصبُّ العليل المســـتـــهـــام

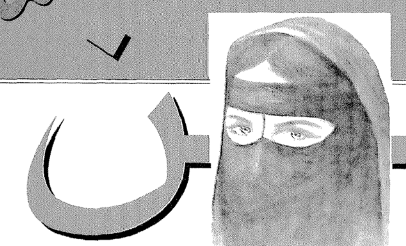
# امام كل عظيمة رجل

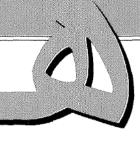
## أوراق زوجية ابو عواد / ام عمرو

## رسالة الي السيدة الجميلة

## نوافذ على ثقافات العالم

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها





# امام كل عظيمة رجل

«وراء كل عظيم إمرأة» لعل هــذه الحقيقة ترضي غـرور المرأة ونؤكـد فعالية وجودها وتسلط الضوء على دورها المهم في وصول زوجها الى قمة النجاح ومنتهى الطموح الذي تحدده اهداف معينه وطموحات خاصة.. فالمرأة دور مهم وحيوي في تهيئة زوجها للنجاح وإيجاد كل العوامل التي تساعده على كسبه والتمتع بمزاياه، فيغدو هو تحت الأضواء وتحت انظار الجميع اعجابا وتقديراً. وقد تكتفي هي بمراقبته راضية هانئة بعيدة عن دائرة الضوء، وقد تقتنع منه بكلمة لطيفة وإشادة صادقة بتقديره لها اثناء الرحلة الى النجاح والتمييز، لعل كلمة شكر منه تجعلها تسعد امتنانا واكتفاء بهذا الرجل القدوة الذي لا ينكر مالها عليه من فضل ولا يتنكر لساندتها إياه.

إن تبادل التعاون وتهيئة المجال من الزوج لزوجته والزوجة لزوجها انما هى صورة رائعة لنجاح الحياة الزوجية وإستثمار موفق لرفقة العمر واضطراد واضح للإرتقاء بالعلاقة السامية بين الزوجين عندما يطمح احدهما لإكتساب مستويات اعلى من التعليم ورفع مستوى كفاءته العلمية والطموح الصحيح للوصول الى مستوى اجتماعى افضل ينمي فيهما الثقة ويدعم الإستقرار النفسي والمادي فما أجمل ان يحترم كل من الطرفين رغبة شريكه للانطلاق للرفعة للمجد والنبوغ بل

**هند احمد هرساني**
- جدة -

ويعينه على ذلك متفانياً في مساعدته متجاهلا لبعض حقوقه التي ضمنها له نظام الأسرة.

إن للرجال الكرماء دوراً كبيراً وجليلا في حياة زوجاتهم العلمية فلقد كانوا هم الأساس القوى الذي شمخ بقوته البناء بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وكانوا هم الرواء الوفير الذي أثمرت به نبته النجاح والتفوق. إن لدور الرجل الكريم نتيجة مشرقة وإيجابية على المجتمع ككل ولا يجب ان نتجاهل هذا الدور حينما نتكلم أو ندافع عن المرأة وظلم الرجل لها .. فالمجتمع حافل بكل الايجابيات كما هو مثقل بالسلبيات فليست هناك قاعدة ثابتة تجعلنا نتحامل على الرجل ونتهمه على طول الخط بأنه يعرقل مسيرة تعليم زوجته في مواصلة طموحها العلمي، أو انه يغار من تفوقها العلمي عليه ويرى في ذلك تهديداً لمكانته كرجل مسؤول عن كيان هام متمتعاً بمزايا لا يحب ان يشاركه فيها احد. فإن الزوج الفاضل الخلوق الواثق من نفسه وقدراته هو الذي لا يغار من نجاح زوجته ولا يرى في تفوقها ما يثير حفيظته وقدره لأنه فعلا انسان متزن وكفء.

إذن لنعيد صياغة تلك الحقيقة أو المقولة في هذا المجال «بأن وراء كل عظيم امرأة» الى ان نؤكد بكل ثقة ان وراء نجاح كل امرأة رجل شهم كريم رعى بكل التفاني مسيرة زوجته الى هدفها المنشود وتحقيق الأمل المرتجى فلربما كانت الحياة الزوجية الموفقة تحت رعاية زوج رحيم أفضل رعاية وأمثل بيئة تدفع بالمرأة الى الإرتقاء بفكرها وعلمها ونفسها وقد لا تتوفر هذه الرعاية في منزل والديها لعدة اعتبارات تختلف من أسرة لأخرى.

إن من واجبنا تقديم الامتنان والإحترام لأولئك الأزواج الأوفياء الفضلاء الذين أثروا فينا كل المعاني الجميلة واضفوا على حياتنا الرضى والأمان والاستقرار فنحن كزوجات ندين بالوفاء والحب لأزواجنا المخلصين الذين وفروا لنا عوامل النجاح ومهدوا لنا الطريق.. ونضاعف لهم الحب والتقدير والبذل والعطاء .. ونثني على حظنا السعيد وتوفيق الله تعالى لنا في حياتنا الزوجية.

# أسئلة هامة حول:

# حبوب منع الحمل

أجاب عنها الدكتور
**دومينيك بييرا**
ترجمة:
**رشيد فيلالي - الجزائر -**

*** هل بإمكان كل النساء استعمال (حبوب منع الحمل) ذات الجرعة المخففة Les Pi-lules minidosees دون خطر؟.**

** لا . لأن هذه الحبوب ذات الجرعة المخففة مثلما يدل على ذلك اسمها ذات جرعة أخف moins dasees من الهرمونات مقارنة بحبوب منع الحمل العادية les pi-lules normodosees ، هذه الجرعة المخففة تزيد من فعاليتها اللازمة ، لكن لا يعني ذلك التخلي عن أخذ الاحتياطات اللازمة عند استعمالها العادي. أن هذه الحبوب لا ينصح باستعمالها في حالة ارتفاع ضغط الدم ، والاصابة السابقة بمرض التهاب الوريد Phlebite وفي حالة ارتفاع مستوى الدهن في الدم والحوادث العروقية Vasculaires المبكرة في العائلة، ولهذه الأسباب من الواجب إستشارة الطبيب قبل أى استعمال لحبوب منع الحمل.

*** هل تستطيع المرأة أن تدخن بعد تناولها لحبوب منع الحمل؟.**

** لا . فتدخين علبة سيجارة في اليوم يضاعف من نسبة الحوادث العروقية Vas-culaires (نوبة دماغية، إنسداد شرياني .. الخ) إذن فأخذ الحبوب في هذه الحالة يضاعف من وقوع مثل هذه المخاطر، خصوصا عندما تتقدم المرأة في السن. فابتداء من سن الأربعين يجب الاختيار بين التدخين وتناول هذه الحبوب .

*** هل حبوب منع الحمل - تسبب السمنة ؟.**

** هذا صحيح وخطأ في نفس الوقت. فبعض النساء فعلا يزددن بـ ٢ أو ٣ كيلوغرامات بتناولهن لها وهذه الزيادة في الوزن لها علاقة بأحد الهرمونين، وهو الهرمون السابق للحمل Progestative الذي من خصائصه إثارة الشهية، وتحفيز المرء على الأكل. أما بالنسبة للحبوب ذات الجرعة المخففة les pilules minidasees، فإن زيادة الوزن تعتبر قليلة وفي تناقص. لكن في حالة تجاوزها أكثر من ٣ كيلوغرامات فمن الواجب عندئذ استشارة الطبيب.

*** يقال أن حبوب منع الحمل تسبب السرطان هل هذا صحيح؟.**

** هذا خطأ . فالدراسات التي أجريت في هذا المجال متباينة، وغير متساوية النتائج، وهي في المقابل مطمئنة بالنظر الى الغالبية من النساء، فبسبب تراجع إضطراري لبعضهن ناجم عن خوف معين، قمن بنشر تلك الاشاعة في أوساط النساء اللواتي اخذن لأول مرة حبوب ذات جرعات أشد قوة من المستعملة الآن، إذن لا يوجد ما يؤكد اليوم أنها تضاعف من الإصابة بالسرطان، بل ثبت أنها تحمي حتى مستعمليها من سرطان الرحم Cancer de Lendometre.

*** هل صحيح ان بعض الأدوية تقلل من فاعلية حبوب منع الحمل ومانع الحمل Ste- rilet ؟.**

** نعم . بعض المضادات الحيوية anti- biotiques وأدوية مضادات الاختلاج an- ticonsrilsisrants وبعض أنواع مضادات السل antituberculeux تقلل من فعالية حبوب منع الحمل، فإذا وصف لك الطبيب سيدتى علاجاً معيناً، ينبغي عليك بالتالي أن تعلميه بتناولك لحبوب منع الحمل، والنساء الحاملات لمانع الحمل Sterilet عليهن أن يتجنبن تناول الأدوية المضادة للالتهاب Anti - inflammatoires خاصة الأسبرين. وفي حالة ما إذا كانت ضرورية ولابد منها، فمن الأفضل أخذ إحتياطات إضافية.

*** هل أن نسيان تناول أكثر من حبة يتسبب في حدوث الحمل ؟.**

** نعم. وحتى نكون عمليين، فإنه ينبغي أن تؤخذ الحبوب بانتظام، وإذا تعلق الأمر بالحبوب الصغيرة Minipilules فنحن ننصح بتناولها وأكاد أقول في الساعة المحددة، لكن مهما كان نوع هذه الحبوب ذات الجرعة العادية normodasee او ذات الجرعة المخففة Minidasees، فإن النسيان الاستثنائي لحبة واحدة بالامكان أن يستدرك في اليوم الموالي، وهنا ينبغي تناول الحبة في اللحظة ذاتها التي ننتبه فيها لنسياننا.

وبالفعل فإن نسيان حبتين قد يتسبب بالمقابل في حدوث الحمل. في هذه الحالة نكمل لويحة الحبوب la plaquette آخذين حبوبا أخرى زائدة، إلى أن تنتهي اللويحة وتلك وسيلة أخرى لمنع الحمل. وللتذكير فإن النسيان يصبح أقل خطورة في بداية استعمال لويحة الحبوب la plaquette .

*** هل مانع الحمل le sterilet يناسب أكثر المرأة التي سبق لها الانجاب؟.**

** صحيح. فاستعمال مانع الحمل le ste- rilet قد يعرض المرأة على نحو خطير لحالات التعفن التناسلي، بخاصة على مستوى النفير Salpingite هذه التعفنات قد تفضي الى احتقان النفير. إذن فعمليات العقم بواسطة مانع الحمل، هي مضرة أكثر عند المرأة التي لم تنجب طفلا من قبل، وعليه فإن خطورة مانع الحمل Sterilet تصبح أيضاً عظيمة عند النساء اللواتي لم ينجبن أبداً .

*** هل في إمكان خيوط مانع الحمل -les fils du sterilet أن تضايق الزوجة ؟.**

** هذا غير ممكن تماما بحيث إن هذه الخيوط ناعمة جدا وشديدة الرهافة، وإذا حدث ذلك حقاً فعلى الزوجة أن تعود الى الطبيب الذي وضع مانع الحمل le sterilet كي يقص قليلا من تلك الخيوط، ويجعلها أقل طولا. وبالتالي تغدو جد مستوية داخل الجهاز التناسلي. ولا ينبغي ان تقص هذه الخيوط كثيرا، ذلك لأنه بواسطتها نتمكن من سحب مانع الحمل نحو الخارج.

*** يقال إنه لا ينبغي استعمال السدادة le tampons حينما نستخدم مانع الحمل le sterilet هل هذا صحيح ؟.**

** لا. لأن الأطباء ينصحون في بعض الأحيان قبل إستعمالها إنتظار مدة شهر بعد وضع مانع الحمل le Sterilet كي لا يسهلن حدوث اي تعفن. لكن فيما يتعلق بدورات الحيض les segles القادمة، فليس هناك أي مشكل. ثم أنه مقارنة مع استعمال السدادات les tampons فإن الكثير من الزوجات يضاعفن من خطورة حدوث التعفن وبواسطة مانع الحمل le Sterilet ذاته.

*** هل مانع الحمل يزيد في تكرار الحمل خارج الرحم Extra uterine ؟.**

** الحقيقة هذا صحيح وخطأ أيضا! فالاطباء كانوا يخشون ذلك لمدة طويلة ، لكن يظهر أن المسألة مجرد ظن وتخمين أكثر منها حقيقة مؤكدة، فمانع الحمل le Sterilet موضوع داخل الرحم، فهو بالتالي يمنع حدوث الحمل داخل الرحم، أو كما يسمى عادة بالحمل الطبيعي، في المقابل يستطيع أن يمنع وقوع حمل طارىء ومفاجيء خارج الرحم (داخل الانبوب la trompe مثلا) وهذا النوع من الحمل الذي يطلق عليه مصطلح «خارج الرحم Extra - uterine » يعتبر على كل حال نادر الوقوع جدا .

*** هل من الواجب عدم القيام بغسيل فرجي Toilette Vaqinale قبل وبعد استعمال «السبرميسيد» ؟**

** نعم. فإن المراهم Les Cremes والسدادات Les Tampons هذه كلها مواد كيماوية توضع بداخل الفرج قبل أي اتصال جنسي ، وذلك كي تقوم بمنع حدوث أي حمل، لكن فاعليتها ستتعرض بشكل جدي إلى خطر التلوث، وذلك في حالة احتكاك هذه المواد الكيماوية بأي صابون عادي.

ومن هنا لا ينبغي القيام بأي غسيل فرجي Toilette Vaginale ولا أي حمام يستعمل فيه الصابون أو ما يشبه قبل وضع تلك المواد الكيماوية في مكانها، ولا حتى أيضا خلال الثماني ساعات التي تأتي بعد الاتصال الجنسي، فقط يسمح بحمام ذي رغوة خاصة (دون صابون) وهي تباع عند الصيدلاني، نستطيع أن نستعملها في غسيل خارجي.

*** هل حقاً وسائل منع الحمل الطبيعية غير فعالة بالشكل المطلوب ؟.**

** نعم. إن العـزل le setrait الذي يقوم على سحب عضو الرجل في اللحظة ذاتها التي تسبق عملية القذف، يتطلب من جهة هذا الأخير تحكماً كاملا في النفس. ومن الممكن أن تمر قطرة من السائل المنوي قبل عملية القذف، وربما هذا هو السبب في فشل هذه الطريقة بحوالي ٢٥٪. أما طريقة الحرارة Temperature فهي تحتم ملاحظة درجة حرارة المرأة كل صباح (قبل النهوض) كي يمكن أثناءها معرفة لحظة خروج البويضة من المبيض (لأن ذلك له علاقة بارتفاع درجة الحرارة).

ثلاثة أيام بعدها تصبح أي ممارسة جنسية غير قابلة لتلقيح البويضة، الى أن تأتي العادة الشهرية الأخرى، في مثل هذه الحالة نسبة الفشل تقدر بـ ١٠٪ نظراً لامكانية وقوع ما يرفع الحرارة أثناء الليل مثل نزلة البرد Shume .. أما طريقة «بيلا نفس billingså فهي ترتكز على ملاحظة الافرازات الفرجية les secretions Vaginales علي امتداد الدورة الشهرية، وهي غير فعالة، وما عدا النساء المقدمات لأسباب ذلك les motivees واللواتي يعرفن جيداً جسمهن.

*** هل الكيس الواقي وسيلة ناجحة لمنع الحمل ؟.**

** نعم. إذ الاستعمال المحكم للكيس الواقي عند الرجال قبل القيام بالعلاقة الجنسية يعتبر الوسيلة الأكثر فاعلية ونجاحا لمنع الحمل، وفي أي وقت من الدورة الشهرية، انه يقدم بالاضافة إلى ذلك فائدة أخرى تتمثل في الوقاية ضد الأمراض الجنسية المعدية وبخاصة الإيدز. وهناك الآن كيس واق خاص بالنساء وعن قريب سيصبح قيد الاستعمال؟.

*** هل إرضاع المولود يمنع من وقوع حمل جديد ؟.**

** خطأ. صحيح أن العودة الى سرير الولادة قد يطول بالنسبة للنساء المرضعات ، لكن ما دام تكوين البويضة الأول يحدث قبل العودة الى سرير الولادة ، فإن الحمل محتمل الوقوع في هذه الفترة، وعليه بالامكان استعمال «السبرميسيدات» دون الخوف من أي خطر خلال الرضاعة.

*** هل بالامكان منع وقوع الحمل بعد مرور يوم دون استعمال الحبوب؟.**

** نعم. وهناك إمكانيتان لمنع حمل مفاجىء بعد علاقة جنسية بدون موانع، وتتمثل في تناول - عند كل فاصل زمني يقدر بـ ١٢ ساعة - حبتين من حبوب منع الحمل ذات الجرعة العادية les pilules Normodosees ، طبعاً في الـ ٢٤ ساعة التي تأتي بعد العلاقة الجنسية، أو وضع مانع الحمل Sterilet . هذا الأخير في الامكان وضعه في المكان المخصص له بعد الأربعة أو الخمسة أيام التي تأتي بعد العلاقة الجنسية، وسيعطي نتيجة إيجابية للغاية، كذلك هناك دواء - R U 486 - والذي لا يعتبر وسيلة لمنع الحمل لكنه من الأدوية المسببة للإجهاض.

# أوراق زوجية

## أبو عواد / ام عمرو

**٧٦٦ ـ أبو عواد:**

**أنت امرأة عصرية «مودرن» بكل المقاييس .. إلى درجة أنك لا تفضلين المرور في ذلك الشارع الذي يجثو على ناصيته بشموخ بيتكم المتصدع القديم .. يا لك من ـ تائهة ـ تهربين من كل شيء يذكرك بالماضي أو يشدك للجذور.**

**٧٦٦ ـ أم عمرو:**

أخشى ما أخشاه أن كثرة حديثنا عن الجذور سيجعلها تقوى على حساب الفروع لدرجة تشدنا معها إلى حيث توجد تحت طبقات الأرض .. فنختنق جميعاً.

**٧٦٧ ـ أبو عواد:**

**أفضل أحياناً أن اكون عابساً بالبيت .. وأداري خلف تجهمي ابتسامات عريضه .. أخشى لو بحت بها أن ينزلق بك اللسان .. ذلك أن لسانك يا سيدتي مهذب على الدوام ما دمت رسمية وعند الوديات تتهورين وتقلبينها إلى نكد.**

**٧٦٧ ـ أم عمرو:**

ربما يفسر هذا أن كثيراً من «سحن» (جمع سِحْنَة) الرجال قد فقدت مرونتها واتخذت شكل «العبوس الدائم» من كثرة شدها في هذا الوضع.

**٧٦٨ ـ أبو عواد:**

**العيون الجميلة هي التي تفهم لغتي وغير ذلك لا يهمني أن أرى فيها ريشة الطاووس ولا كل هذه البانوراما التي تشبه «البهلول» وهي في أبهة القيافة..**

**٧٦٨ ـ أم عمرو:**

لغة العيون هذه تصلح للأزواج من المراهقين والمراهقات .. فقط «الصم والبكم» منهم.

**٧٦٩ ـ أبو عواد:**

**في لحظة ما أشعر أنني ارتكبت خطأ حين ارتبطت بك لا يكفره إلا الخلاص منك.**

**٧٦٩ ـ أم عمرو:**

الرجل الذى يكتشف أنه أساء اختيار زوجته عليه أولا أن يصلح من نفسه ليصبح اكثر قدرة على الاختيار وإصدار أحكام على الآخرين ثم يعيد النظر في شأنه وشأنها مرة أخرى.

**٧٧٠ ـ أبو عواد:**

**لن أقف معك على خشبة المسرح في حياتنا الزوجية وأفعل كما يفعل الممثلون وأقول لك كما يقولون .. لن أقول لك أحبك حتى لو نطقت بذلك كل أحاسيسي ولهثت بها كل جوارحي ومهرتها صباح مساء محفظة نقودي.**

**٧٧٠ ـ أم عمرو:**

يقولون كل ما هو صادق جميل وكل ما هو جميل صادق.

**٧٧١ ـ أبو عواد:**

**عندما يرتفع صوتك بالحديث وأكون أنا المستمع تساورني الشكوك وتتملكني الحيرة حول إذا ما كنت فعلا إنسانه مهذبة أم بلطجية في إحدى الحظائر!.**

**٧٧١ ـ أم عمرو:**

عن كلمة «الحظيرة» أقول ما قاله أحد الأدباء «الكلمة نور وبعض الكلمات قبور».. وأضيف أن الزوجات أيضاً يرفعن أصواتهن على ازواج «ثقل» سمعهم أو فهمهم لما يقال لهم من عبارات والأرجح هنا أن نتصور ـ فى إطار الحظائر ـ أن الطيور على أشكالها تقع.

**٧٧٢ ـ أبو عواد:**

**مهما تكن معزتك عندي، فلن تكون اكثر من معزتي لأمي واخوتي ..!!**

**٧٧٢ ـ أم عمرو:**

أنا لا أعتقد أنه يجوز المقارنة بين معزّة الأم ومعزّة الزوجة فلكل دورها ومكانتها. وهذا يضر بالاثنين معا، ولا يناسب الرجل الذي يحب دائما أن تنتفخ أوداجه بالشد بين امرأتين.

**٧٧٣ ـ أبو عواد:**

**عندما أدرك تماماً أنك أمتي المطيعة لن أشعر بالمعزّة حين أعلن أنني خادمك الوفي ..**

**٧٧٣ ـ أم عمرو:**

إذا اعتبر الأزواج زوجاتهم «إماء» فلن تربى هذه الإماء لهم إلا عبيدا.

**٧٧٤ ـ أبو عواد:**

**أنت مخلوق شب على الاطراء وارتوى من ماء الثناء.**

**٧٧٤ ـ أم عمرو:**

بالنيابة عن النساء وبالأصالة عن نفسى أقول:

رب رام لى بأحجار الأذى

لم أجد بداً من العطف عليه!!

**٧٧٥ ـ أبو عواد:**

**صحيح أنا أشعر بالكآبة حين أكون وحيدا .. لكنني بوجودك أشعر أحياناً بأنني سأنفجر وأتحول إلى شظايا تتطاير في اركان المنزل.**

**٧٧٥ ـ أم عمرو:**

أفضل من الانفجار أن تدع الهواء الساخن يتسرب تدريجيا عن طريق الحوار الهادىء الذي ربما يكشف للزوجين معا كثيرا عن بعضهما البعض.

**٧٧٦ ـ أبو عواد:**

**«أنت طالق» .. عبارة فطرية تصدر من «شارٍ» حين يكتشف أنه مغبون .. أو أن البضاعة مغشوشة.**

**٧٧٦ ـ أم عمرو:**

الإنسان ليس «بضاعة» تباع وتشترى .. والذين يشترون ويبيعون في الإنسان لا يستحوذون أبدا على قلبه!!

## من الأدب العربي:

# «الحارث بن حلزة ومعلقته»

حين تذكر المعلقات في الشعر العربي، وهي سبع أو عشر معلقات، تقفز إلى الذهن صورة اهتمام العرب في ذلك العصر البعيد بالشعر حتى اختيرت منه هذه القصائد السبع أو العشر ثم علقت على جدار الكعبة، أقدس مكان عندهم منذ قديم الزمان، هذا الاهتمام الذي يؤكد المقولة العريقة «الشعر ديوان العرب».

واختيار المعلقات جاء باعتبارها قصائد متميزة بلغتها وأسلوبها وتعبيرها عن واقع الحياة في العصر الجاهلي، وهو واقع مليء بالحركة، ما يجعله متقلباً في المشاهد التي يراها الشاعر أمامه، فيعيد تكوينها في القصائد التي ينظمها والتي تأتي مزدحمة بالنقل الحي والوصف الصادق للبيئة التي يغلب عليها عنصر البداوة في الحياة، والمظاهر الصحراوية في الجغرافية المكانية، فتصبح الأطلال مكاناً للوقوف، والناقة وسيلة التنقل والرحيل، والحكمة طريق التعبير المناسب عن تلك البيئة وناسها.

نوافذ على ثقافات العالم

من أصحاب المعلقات الشاعر الحارث بن حلزة اليشكري، الذي لم تذكر كتب التاريخ تاريخ ميلاد دقيق له، وإن كان بعضها يشير إلى أنه كان في أواخر القرن الخامس الميلادي، وعاش عمراً مديدا حتى توفي في عام ٥٨٠م كما تجمع أكثر المصادر.. تاركاً وراءه شعراً كثيراً متفرقاً، توزع على كتب الأدب، لكن شهرته جاءت من معلقته الهمزية التي بلغ عدد أبياتها ٨٥ بيتاً ويقول مطلعها:

**نهاوند عبد الله - جدة**

**آذنتنا ببينها أسماء**
**رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثُّواء**

وهي المعلقة التي جاءت بعد احتكام قبيلتي بكر وتغلب إلى عمرو بن هند لفض النزاع بينهما، وكان الحارث بن حلزة يمثل قبيلة بكر وخصمه عمرو بن كلثوم يمثل قبيلة تغلب، وهما قبيلتان اختان من وائل.

وقصة الاحتكام التي بنيت على أساسها المعلقة جاءت بعد حرب البسوس التي اشتعلت بين القبيلتين واستمرت زمناً طويلا حتى فصل بين القبيلتين المنذر بن ماء السماء وحقن دماءهما، لكن الحرب اشتعلت بينهما مرة أخرى، فاحتكما إلى عمرو بن هند ملك الحيرة، حيث كل من الخصمين تجدث عن موقف قبيلته، فأنشد عمرو بن

كلثوم وكان لسان حال تغلب وسيدها وشاعرها معلقته الشهيرة التي يفتخر فيها بنسبه ونسب قومه، ويتيه من خلالها على بكر مبرزاً كل الميزات والخصال التي اشتهرت بها بعنفوان، فرد عليه الحارث منشداً معلقته، التي تتضمن تفنيد ما ذكره عمرو، وتحميل تغلب تبعات وأسباب الحرب التي قامت بين القبيلتين ، ثم توجه بالمديح لعمرو بن هند ليستميله إلى صفه، ويكسبه في جانب قبيلته، وكان في موقفه الشيخ الذي حنكته الأيام، والداهية الذي دربته الظروف والمحن، فحكم عمرو بن هند لبكر على تغلب.

قسم حنا الفاخوري في كتابه «تاريخ الأدب العربي » المعلقة إلى مقدمة تتضمن الوقوف على الأطلال والديار والبكاء، ووصف الناقة وتشبيهها بالنعامة في الأبيات من ١ ـ ١٤، ثم الدفاع وتضمن تفنيد أقوال التغلبيين وأكاذيبهم وظلمهم في الأبيات من ١٥ ـ ٢٠، وعدم اكتراث الشاعر وقومه بكر بالوشايات التي لن يكون لها قبول عند ابن هند، ولن يكون لها أثر في نفوس البكريين في الأبيات من ٢١ ـ ٣١، ثم ذكر مفاخر البكريين في الأبيات من ٣٢ ـ ٣٩، وبعدها مخازي التغلبيين ونقضهم السلم والأيام التي غلبوا فيها في الأبيات من ٤٠ ـ ٥٨، أما استمالة ابن هند فتضمنت ذكر العداوة التي كانت قائمة بين عمرو بن هند وبني تغلب في الأبيات من ٥٩ ـ ٦٤، والصلة بين بكر وعمرو بن هند، ومدح الملك في الأبيات من ٦٥ ـ ٦٨، وخدمات البكريين له ولآله في الأبيات من ٦٩ ـ ٨٣، وأخيراً القرابة بينه وبينهم في الأبيات من ٨٤ ـ ٨٥.

حياة الحارث بن حلزة بالرغم من طولها لم يعرف عنها الكثير، ولم تذكر كتب التاريخ تفاصيل عنها، مع أنه كان من عظماء قبيلة بكر بن وائل، وعرف عنه أنه خطيب بليغ، ومحام حاذق، وضع أمام عينيه غاية رمى إليها واحتال لبلوغها وهي أن يحكم له عمرو بن هند في الاحتكام إليه، وقد استطاع الوصول إلى هذه الغاية ببراعة وذكاء، وبذلك كسب حق قبيلته.

وتأتي الروح الملحمية التي تميزت بها المعلقة لتؤكد أنه شاعر حكيم، استطاع من خلال لجوئه الى القصص والوصف التاريخي الدقيق مستخدماً موسيقى تتمثل فيها كل ايحاءات الحرب البغيضة التي كانت مبررات اشتعالها غير كافية، ونتائجها لا تتناسب مع هذه الأسباب، وامتزاجها بالفخر الذي أججه في النفوس أسلوب قوي في اللغة والبناء الشعري العام كان من العوامل التي تركت أثرا في كل من استمع إليها أو قرأها فيما بعد.

من المعلقة الملحمية للحارث بن حلزة التي شرحها الزوزني

وطبعت في اكسفورد عام ١٨٢٠ وفي بون في عام ١٨٢٧

، وترجمت إلى اللاتينية والفرنسية اخترنا هذه الأبيات:

**أية شارق الشقيقه إذ**
**جاءت معد لكل حي لواء**
**حول قيس مستلئمين بكبش**
**قرظي ، كأنه عبلاء**
**فجبهناهم بضرب كما يخرج**
**من خربة المزاد الماء**
**وفعلنا بهم كما علم الله**
**وما إن للخائنين دماء**
**أجمعوا أمرهم عشاء فلما**
**أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء**
**من مناد ومن مجيب ومن**
**تصهال خيل خلال ذاك رغاء**

## من الفنون التراثية :

# ((التراث الموحد الجميل))



التراث العربي الفني والثقافي غني بلا حدود، وغناه يأتي من تلون وتعدد أشكال هذا التراث، وحتى عندما يتشابه هذا التراث في ملامحه بين البلدان العربية، يكون للنكهة الخاصة بكل بلد أثرها الخاص في تكوين القيم الجمالية الخاصة بهذا التراث.

وعندما تجتمع أشكال التراث العربي الوطني في تشكيل واحد، تذوب الملامح القطرية، ويظهر الإطار العام الموحد الذي يؤكد أن الأصل هو الذي له الغلبة، كما في المشهد الذي صنعته هذه المجموعة من الفتيات العربيات اللواتي ينتمين إلى أقطار عربية متعددة، وهن يؤدين «الدبكة» في مدينة ديترويت الأميركية حيث تقيم عائلاتهن، وقد بدا ذلك الانسجام الرائع والتوحد غير المعلن بين الجميع سواء في الأزياء الجميلة المعبرة، أو في الحركة الجماعية الموحدة في الخطوة وفي دلالاتها الحيوية.

الصورة من الاحتفالات التي تنظمها الجالية العربية الكبيرة في ديترويت، ويشارك فيها كل ابناء الجالية من مختلف الأقطار العربية.

## من نيجيريا:

# «جابريل اوكارا الشاعر الرقيق»

في الغالب هناك حالة يمكن أن نسميها ضعف المعرفة بآداب الشعوب الافريقية بالرغم من ارتباط هذه الآداب باللغات الفرنسية والانجليزية والاسبانية نظراً لأن معظم بلدان افريقيا كانت مستعمرات فرنسية او بريطانية أو برتغالية، ما يبرر كتابة آداب شعوبها بهذه اللغات لإطلاقها

إلى العالم، ذلك أن الكثير من هذه الآداب يكتب بلغات هذه الشعوب الأصلية، وهذا ما يجعل انتقالها إلى القراء في أنحاء العالم أمراً فيه الكثير من الصعوبة، ما جعل كما كبيرا وهاماً من هذه الثقافة الرائعة مازال مجهولا بالنسبة لكثير من القراء.

الشاعر النيجيري جابرييل ايمومونتايم اوكارا من الشعراء الأفارقة البارزين، وقد انصب اهتمامه منذ يفاعته على التعلم والتثقف، وكان تركيزه في هذا الاتجاه على أدب بلاده، فبعد أن تخرج من المدرسة الثانوية الحكومية في اوماها في نيجيريا واتجاهه للعمل مجلداً للكتب عمل على تطوير نفسه، وتوسيع دائرة ثقافته بالتعلم والاهتمام الجاد بأدب بلاده باللغة القومية كما اهتم بالثقافة والأدب عامة، ليصبح واحداً من الشعراء النيجيريين الأوائل.

ولد جابرييل ايمومو في عام ١٩٢١ في ناميب بولاية النهر في نيجيريا، وتعلم في بلدته قبل أن ينتقل إلى المدرسة الحكومية في اوماها، وبدأ كتابة الشعر وهو في العشرين من عمره، واستمر بعد ذلك في ابداعه حتى أصبح شعره في فترة الحرب العالمية الثانية من أفضل الشعر النيجيري الغنائي الذي برع فيه.

الموسيقى في شعر اوكارا عنصر هام جداً يتكىء عليه كثيراً في غنائياته، ويستخدمه بمهارة في صوره التي يأخذها من الحياة، والتي يبدو فيها تأثير التراث النيجيري وخاصة تراث موطنه الذي عاش فيه سنوات حياته الأولى وفتوته، حيث تنال كل اشكال الطفولة والبراءة حيزاً واسعاً من التصوير، ويصبح الحنين إلى الوطن والذكريات تدفقاً يمتزج في النفس بمشاعر القلق والاحباط من التطورات الحياتية التي يراها من حوله، وهي نتيجة طبيعية لتأثير الحروب التي تجتاح العالم، وانشغاله الدائم بهويته جعل كتاباته المبكرة تبدو ترجمة صادقة للتراث الشفهي الذي حفظه، وجعل الموسيقى الداخلية الجميلة في شعره تبدو انعكاساً للتأثيرات الخارجية الى جانب كونها تعبيراً عميقاً عن طبيعة الشاعر.

عندما زار اوكارا الولايات المتحدة كانت المناسبة الأولى التي يرى فيها الثلج، فكتب قصيدة بعنوان «هشائش الثلج تبحر نازلة بلطف»، وهي قصيدة مناسبات كمعظم قصائده الهامة، قسمها إلى ثلاثة مقاطع اختلط فيها الواقع بالحلم، ومن خلالها عالج موضوع الصراع القائم بين التيارات الثقافية الافريقية الوافدة المختلطة، كما استخدم الرموز الافريقية ممثلة في الشمس والنخيل والذهب للتعبير عن تحيزه للقيم الافريقية ضد القيم الاوروبية.

من هذه القصيدة هذا المقطع:

هشائش الثلج تبحر برفق
نازلة من عين السماء الندية
تحط الهوينا على أشجار الدردار
التي أتعبها الشتاء وعرى فروعها
تميل رويداً رويداً
وتنوء تحت ثقل الثلوج الخفيفة
كالنواحة دهمتهم الدواهي
وكالأكفان البيض
إذا نشرت على مهل على الأرض الحية

ولقد كان تأثر الشاعر بالحروب وما تركه استخدام الوسائل الحديثة وخاصة الطيران فيها من آثار مدمرة على الإنسان والطبيعة كبيراً، وهو الإنسان المسالم الفنان الرقيق، الذي يميل إلى التفاهم ورفض كل ما يدمر العلاقات الانسانية.

في قصيدة عن إحدى الغارات الجوية التي ألمته كإنسان صور اوكارا ردود الفعل المختلفة لدى الناس بما فيهم الأطفال الذين حولوا المأساة إلى مرح يقول:

**وفجأة تنفطر السماء من جديد**
**على ذرى الأسطح الصواريخ**
**تهوي، تنفجر**
**واسلحة خفيفة تتوالي تتأتى**
**تاك تاك ...**
**وتهوي الطائرات المنقضة حطاماً**
**وترتطم**
**رجال ونساء يجرون مدفعين**
**يسحبون أطفالهم ..**
**انقطعت أنفاسهم**
**في بحثهم عن ملاذ دون جدوى**
**يتشبثون بأي حائط أو مجرى..**
**قصف ، رعود ، حمم ترجم**
**قلوب كظيمة ، رؤوس خفيضة**
**وتحت المفارش شفاه تتحرك ولا**
**تنبس**
**وفجأة يحل السكون**
**تتنفس المدينة الصعداء**
**بعدما انثنت القاذفات**
**وسكتت المدافع الواحد بعد الآخر**
**جماعة الزائرين زائغو الأبصار**
**من طول تحديقهم في السماء الخالية**
**وآخرون يضحكون**
**ويمسحون العرق عن شعورهم**
**وعن الرقاب**
**وينفضون الغبار عن الأثواب**
**بأيد مرتعدة**
**بعدما تولى الخطر**
**وأهلت بأهلها الشوارع**
**نساء، رجال ، فتية ، فتيات**
**يسرحون ، يمرحون ، يبتسمون ،**
**يضحكون**
**الأطفال يتراكضون**
**بأذرع مفتوحة هنا وهناك**
**بعدما ولّت الطائرات المغيرة المزمجرة**
**وولى القصف والرمي والرجم**

# رسالة إلى السيدة الجميلة

## من ابن سهل الأندلسي

* هو الشاعر الرقيق الوشاح إبراهيم بن سهل الأندلسى
* كان يلقب قبل اسلامه بالإسرائيلى
* كان يهودياً وأسلم . مات غرقاً سنة ٦٤٩هـ.

**حبيبتى نزهون:**

يا نزهة الهوى يا نزهون .. ليست رسالتى إليك عتباً أو لوماً ولكنها تحية إليك وشوقاً إلى رؤياك ووفاء بما طلبته منى في ليلة أنس وحبور تجاذبنا فيها حلو الأحاديث من بعيد ومن قريب .. أثناءها وجدتك وقد سهوت عنى خلت فيها أن أمراً خطيراً قد أهمك وشغلك وبعد لحظات رفعت رأسك لتسألينى سؤالا كان له وقعه في نفسى لغرابته التى أدهشتني، فقلت: هل لى فى رسالة منك؟ رسالة تصف فيها مَجلساً لك مع أصدقائك في ليلة أنس لكم .. يشوقنى ويروقنى أن يرتسم في خيالى ذلك المشهد البديع بمناظره ولا سيما ما يدور فيه من أحاديث .. وما أظن إلا أنك فيها قطبها ونجمها الزاهر المونق بوضاعته وملاحة خواطره. ولماذا لا تكون كذلك وأنت شاعرها.

الحقيقة أن سؤالك أو طلبك رغم غرابته إلا أنه أبهجني وأسعدنى .. وكدت لطرافته أطير به جذلا وأجن به فرحاً. وإليك ما دار بينى وبين صحبى وأخلائى من الشعراء والمطربين والمطربات والموسيقيين والملحنين والكتاب، وكان كل منهم عالي الهمة عفيف النفس طاهر القلب نقي الثوب يؤثر العيش في رغد وسلام.

**حبيبتى نزهون:**

بعد أن سمعنا شطراً من الغناء الأندلسى البديع الرشيق غنتنا به المغنية السمراء حفصة، وهى كما تعرفينها عذبة الصوت رخيمة النغم، شجية الإيقاع .. بعد أن سمعنا شطراً من الغناء الأندلسي قال لى أحد الأخلاء الظرفاء: أنت الليلة يا ابن سهل على غير ما عهدناك: خفة روح، ورشاقة كلمة ، وطرافة ملحة .. من أين لك هذه السعادة الوارفة التى تظلك؟ لابد أن نزهون راضية عنك .. قلت: وأى رضى. تعذبنى وأشدوا بعذابها، وتسهدنى وأتغنى بسهدى من أجلها .. أرأيت؟ بل أرأيتم كيف أنا؟ ثم ناجيتك أمامهم فقلت:

**سل في الظلام أخاك البدر عن سهرى**
**تدرى النجوم كما يدرى الورى خبرى**
**أبيت أهتف بالشكوى وأشرب من**
**دمعى وأنشق ريا ذكرك العطر**
**حتى أخيل أنى شارب ثمل**
**بين الرياض وبين الكأس والوتر**
**من لى به؟ اختلفت فيه الملاحة إذ**
**أومت إلى غيره إيماء محتضر**
**معطل فالحلى منه محلاة**
**تغنى عن التقليد بالدرر**
**بخده لفؤادى نسبة عجب**
**كلاهما أبدا يدمى من النظر**

**حبيبتى نزهون:**

أظن أن كلامى هذا لا يغضبك ولا يثير ثائرتك، بل إنى لأظن أنه يستميل قلبك فتعطفين عليّ عطف الوصال والوداد. ثم سألنى صديق ثان وقال لى: يا ابن سهل ألم يحدث أن زارتك نزهون أو تواعدتما على اللقاء عند النهر الكبير حيث يحلو اللقاء للعاشقين المستهيمين بالحب؟

فقلت له: إن حبيبتى نزهون ضنينة في زوراتها، ضنينة في مواعيدها. فهى قلَّما تجود عليّ بلقاء، وإذا جادت فبعد نصب وعذاب من التودد والإلحاف في الرجاء. ولا تظنوا أننى من يغضب لبخلها هذا أو يضجر منه .. فالحق أن بخلها يضفى عليها ألوانا من الجمال تتلألأ فى أنغام من الدلال تسبينى وتزيدنى بها جوى وبحبها شغفا وتهياما. ولا أكتمكم سراً إذا قلت: إننى التقيت بها مرة ليلا عند النهر الكبير ففرحت وطربت وقلت لها:

**زار ليلا فظلت من فرحتى أحـ**
**سب إذ زارنى الحقيقة زورا**
**قلت هذا خياله ليس هذا**
**شخصه والغرام يعمى البصيرا**
**ولكم بت أحسب الطيف شخصا**
**أحسب الحسن لا يزور غرورا**

ثم قال لى صديق ثالث: وأجمل الليالى يا ابن سهل، إن لليل جماله وبهاءه، وإن لليّل سحره الذى يدني النفوس

من النفوس، ويقرب القلوب من القلوب فيصفيها مما يكون قد لحقها من أسى أو لوحها من كدر الهجران.. فهل في لياليك ما يمكن أن يتحلى بتلك السمات الجميلة أم أنها كانت حربا وتأزما؟ فقلت لذلك الصديق ولغيره وقد أطربتنا أنغام حفصة التي ملأت نفوسنا غبطة وأى غبطة وانتشاء وأى انتشاء: هى ليلة يا صاحبى، كان العتاب فيها أحلى من الشهد المذاب.. كان كل منا فى عتبه يتغنى بأنشودة الوصال .. يهتف من أعماقه فيأتى الهتاف حنانا هامساً.. كانت ليلة غفلت فيها عين الزمان فلم يتلصص علينا ولم يثر من عواصفه الهوج ما يعكر صفونا ويثير متاعبنا .. كان الوصال هو التراضى:

**سدلت ظلمة الوصال علينا**
**ظلمة تملأ الخواطر نورا**
**بت فيها والبدر يسفر فى الأفـ**
**ـق حسودا والنجم يهفو غيورا**
**شاربا في الأقداح نجم شعاع**
**لاثما فى الأطواق بدراً منيرا**
**متُ من قبل اللقاء شوقا فلما**
**جاد لى باللقاء متُ سرورا**

**حبيبتى نزهون:**

وقال الصديق الرابع وكان على شيء من الخبث وسوء الطوية، له ابتسامة عريضة عندما يتحدث ويحملق بعينين واسعتين كأنهما عينى بقرة حمقاء، فأعجب لذلك الخبيث الأحمق الذي رفع صوته عاليا وكأنما أراد أن يسخر منى على ملأ من الجميع، فقال: ترى، كم مرة هجرتك صاحبتك نزهون؟ مرة، مرتين، ثلاث مرات؟ إحك لنا واصدقنا القول ولا تحاول أن تغشنا أو تخدعنا عن حقيقة حبك لنزهون، فإننا والله على سركما لحافظون وعلى حبكما لخائفون .. قلت في نفسى: كيف أدفع ذلك الخبيث الأحمق عنى؟ كيف أجيب عليه؟ إن لم أصدق فضحنى أمام القوم وربما سخروا منى وأوسعونى لوماً وتبكيتا.. وهنا استجمعت شجاعتى ورفعت صوتى وكأننى أريد أن أنبه إلى أننى غير هياب من ذكر الحقيقة .. فقلت: حدث يا أصدقائى ويا أحبائى ويا أخلص من يصون

**محمد عبد الواحد حجازى**
مصر

سرى ويحفظ كرامتى أن وقعت بينى وبين نزهون سحابة من جفاء ثم التقينا مصادفة وكأنها لم تكن تتوقع أن أقابلها فى ذلك اليوم، فقالت: أهو أنت؟ لا .. لا .. لن يكون أبدا، فقلت لها: لماذا لن يكون أبدا؟ ثم أنشدتهم قصيدتى التي خاطبتك فيها قائلا:

**أما أن أن ترثى لحالة مكمد**
**فينسخ هجر اليوم وصلك في غد**
**وعوضتنى بالسخط من حالة الرضى**
**ومن أنس مألوف بوحشة مفرد**
**وما كنتم عودتم الصب جفوة**
**وصعب على الإنسان ما لم يعود**
**وما أنت إلا فتنة تغلب النهى**
**وتفعل بالألحاظ فعل المهند**
**يميل بذاك القد سكر شبابه**
**كميل نسيم الريح بالغصن الندى**
**ويهفو فيهفو القلب عند انعطافه**
**فهلا رأى في العطف سنة مقتدى**

**حبيبتى نزهون:**

وهنا قال الصديق الخامس: حان الآن يا ابن سهل أن نعود إلى الغناء، قلت: طابت والله لحظة الغناء فماذا تقترحين يا حفصة؟ قالت: وترضى بما أطلب؟ فقال الجميع بصوت واحد: ولن نرضى إلا بما تقترحين .. هل تعرفين يا حبيبتى نزهون ماذا اقترحت؟ لقد انطلقت فى صوت شجى رخيم تترنم بموشحتى:

**هل درى ظبى الحمى أن قد حمى**
**قلب صب حلّهُ عن مكنس**
**فهو فى حرٍ وخفق مثلما**
**بت ريح الصبا بالقبس**
**يا بدوراً أشرقت يوم النوى**
**غررا تسلكُ بى نهج الغرر**
**ما لنفسي في الهوى ذنب سوى**
**منكمُ الحسنُ ومن عينى النظر**
**أجتنى اللذات مكلوم الجوى**
**والتذاذى من حبيبي بالفكرْ**

**حبيبتى نزهون:**

تلك رسالتى إليك صورت لك فيها إحدى لياليٍّ فعساها ترضيك فنعود كما كنا للحب نحياه ونتمناه .. نحياه لأنفسنا، ونتمناه للناس .. كل الناس.




## ١٣٤ ـ يجر السيارة بشعره:

نشرت الصحف خبرا عن عملاق أوربي أرسل شعره حتى بلغ قدميه، واستطاع به أن يجر سيارة بمفرده، وعدّ ذلك من الغرائب فهو من الغرائب فعلا. ولكن الرياضات البدنية المتواصلة تؤدى إلى ذلك أحيانا، فكما تستطيع الرياضة الروحية أن ترتفع بالنفس الإنسانية إلى مستوى الصفاء الروحى، تستطيع الرياضة البدنية أن تفعل الكثير.

وقد ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد أن الملكات الجسدية قابلة للنمو، والمضاعفة إلى الحد الذى لا يخطر على بال، فقد شوهد أكتع يستخدم أصابع قدمه فى أشياء يعجز الكثيرون عن استخدام أصابع اليد فيها. كذلك يصنع القهوة ويصبها فى الأقداح بأصابع قدمه، ويسلك الخيط فى الابرة، ويخيط بها الثوب الممزق، كذلك رأينا من يقذف بالحربة الى أبعد المسافات فتقع حيث يريد، ويصيب الهدف فى سهولة، ورأينا من يرمى بالأنشوطة في الحبل الطويل فيطوق بها عنق الإنسان والحيوان على مسافة أمتار.

هذه الملكات الجسدية كائنة على تناسل الأحقاب ولها فى التاريخ شواهد.

## ١٣٥ ـ شمشون الجبار:

يقولون إن قوة شمشون الجبار تكمن فى شعر رأسه، وقد كانت علة هذه القوة خافية على الذين فتنوا بشمشون حتى اهتدت دليلة حبيبته الماكرة إلى مصدر هذه القوة، فأعلمت أعداءه وتواطأت معهم على تجريده منها، حين سقته أكوابا كثيرة من الخمر ليغيب عن وعيه، ثم هجم الأعداء فقصوا شعره، واستفاق ليجد نفسه إنسانا عاديا وليس بالجبار.

قد تكون مسألة الشعر أسطورة، ولكن الثابت أن شمشون كان جبارا، كان يقتلع الأبواب الحديدية المكينة، ويحملها على ظهره ليذهب بها حيث يريد، وكان يحمل عصاه الحديدية ليطارد بها جمعا كثيفا فينهزم الجمع ويبقى وحده مقهقها لانتصاره! وكان ينازل الأسد الغضوب، ويقبض على عضده فيخلعه خلعا! وتلك قوة لا دخل للشعر فيها! مهما زعمت الأسطورة، وقد استطاع أن يفك وثاقه الحديدى حول يده وأضلاعه، ثم هدم أسطوانة المعبد بقوته فاندك على الحشد المجتمع، وهو من بين المجتمعين، وقال قولته المشهورة: «علىّ وعلى أعدائى».

## ١٣٦ ـ فى التاريخ العربي:

وفي التاريخ العربى عشرات الأمثلة لمن تمتعوا بقوى جبارة لا تقاوم، ومنهم اللص الشهير هلال بن أسعر، وطرائفه مذكورة فى الأغاني ومنها ما تحدث به عن نفسه فقال:

كنت يوما بالصحراء وقت الظهيرة. وقد احتدمت الهاجرة احتداماً يشوى الوجوه ويكوى العظام فعمدت إلى عصاى، وطرحت عليها كسائى، فمرّ بى رجلان أحدهما من بنى نهل والآخر من بنى تميم، وهما أشد الناس بأساً

د. أبو حسام
المنصورة

وعراما، ومعهما أنواط من تمر هجر، فحين وقع نظرهما عليّ ناديا، يا راعي الإبل أعندك شراب تسقينا، قلت وأنا نائم لا أتحرك، عليكما الناقة البيضاء فاشربا منها ما بدا لكما فإن لبنها كثير، فصاح أحدهما، ويحك ايها العبد، انهض فأت باللبن، فقلت: اذهبا فاشربا، فقال أحدهما: إنك يا بن اللخناء لغليظ الكلام قم فاسقنا، ثم دنا مني وجاء الآخر فقال مثل قوله، ودنا، فلا والله ما تحركت ولا اكترثت، وتقدم أحدهما فأهوى عليّ ضربا بالسوط، فتناولت يده وأنا نائم، ورميتها تحت يدى، وضغطتها ضغطة صاح منها صارخا، ونادى صاحبه أدركنى، فقد قتلنى، فدنا يصنع ما صنع سابقه، فأخذت يده وفعلت به ما فعلت بأختها، ثم أخذت برقبتيهما، فجعلت أصكهما صكا، لا يستطيعان أن يمتنعا منه، فقال أحدهما: أنت والله هلال، ولا يفعل هذا غيرك، قلت: أنا هلال، فجعلا يبكيان ويسترحمان، فرحمتهما وتركتهما نادمين!

وطرفة ثانية رواها هلال عن نفسه فقال:

ذهبت مع صديق لى إلى خيام بكر بن وائل، وقد تعبنا وعطشنا، وإذا نحن بفتية شباب عند بئر لهم وقد وردت إبلهم، فاستهولوا مرآى، واستفظعوا خلقى وقامتى، وقام رجلان منهم فقالا: يا عبد الله، هل لك فى الصراع، فقلت فى حياء: أنا إلى غير ذلك أحوج، فقالا: وما هو؟ قلت: إلى لبن وماء، فإنى سغب ظمآن، فقال أحدهما، لست بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنا الى الصراع إذا شبعت ورويت، فقلت فى هدوء: أنا ضيف غريب، والضيف لا يصارع مضيفه ورب منزله، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم، فاعمدوا إلى أشد فحل من إبلكم وأهيبها صولة. وإلى أشد رجل منكم ذراعا، فإن لم أقبض على هامة البعير، وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير فاعلموا أنكم صرعتموني إذا لم أفعل، فعجبوا كثيرا من قولى، ودفعوا إليّ فحلا هائجا من الإبل، فأتيته وأخذت بهامته وضغتها ضغطا ثقيلا، جعل الفحل يجرجر ويرغو، ثم قلت من شاء منكم أن يمد يده إليّ فأدخلها فى فم الفحل، فما جرؤ أحد، وصاح الناس: هذا شيطان ما لنا وله!.

## ١٣٧ الخليفة الأمين:

كثرت الافتراءات على الخليفة الأمين لأنه هزم في جولته مع المأمون، فتحقق قول القطامي:

والناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهى ولأم المخطئ الهمل .

وقد قالوا عن الأمين مالا يصدقه عقل، ومن هذه المفتريات أن جيش المأمون كان يحاصر بغداد وقد تقدم الى قصر الخلافة، وكان الأمين في شغل بصيد السمك مع خادمه كوثر، فقالوا له إن بغداد محاصرة وأن القصر وشيك الوقوع، فقال: لا أترك الصيد حتى اصطاد سمكة ثانية لأن كوثر سبقنى فاصطاد سمكتين!! فليت شعرى أى عاقل يصدق هذا؟.

هذا الخليفة المفترى عليه، كان من أشجع الخلفاء، وأقواهم بدناً، حدث المسعودى قال:

كان الأمين فى نهاية القوة والشدة والبطش، ويُروى أنه اصطبح ذات يوم، وقد خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال، وهم الذين كانوا يصطادون السباع، ليصطادوا سبعا بين كوثى وقوصر، فاحتالوا حتى وقع السبع، وأتوا به فى قفص على جمل، فحط بباب القصر وأدخل، فمثل فى صحن القصر، والأمين مصطبح، فقال لهم: ارفعوا باب القفص، وخلوا عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه سبع هائل متوحش، فقال: خلوا عنه فرفعوا الباب، وخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور، فزأر، وضرب بذنبه الأرض، فتهارب الناس، وغلقت الأبواب فى وجهه، وبقي الأمين وحده جالساً فى موضعه غير مكترث بالأسد، فقصده الأسد حتى دنا منه، فضرب الأمين بيده إلى وسادة كانت تحته وامتنع بها، فمد السبع يده ذات البراثن الحادة إلى الأمين فخذ بها الأمين، وقبض على أصل أذنيه وغمزه وهزه ودفع به الى الخلف، فوقع الأسد ميتاً.. وتبادر الناس إلى الأمين فإذا أصابعه ومفاصل يده قد زالت عن مواضيعها فأوتى بجابر، فرد عظام أصابعه إلى موضعها، وجلس كأنه لم يعمل شيئا».

أدب الحياة

الشعر هو فن اللغة العربية الأول وبه ترتفع الهمم وتعلو العزائم وتشمخ النفوس ولقد قيل:

الشـــعــــر يحــــفظ مــــا أودى الزمـــان به
والشـــعـــر أفـخــر مــا ينبي عن الكرم
لولا مـــقـــال زهيـــر في قـــصـــائده
مــا كـــان يعـــرف جـــودا كـــان فى هـرم

ولقد استأثر الشعر قديما وحديثا بالاهتمام والاحتفاء لما تفيض به وجدانات الشعراء فى كل زمان ومكان وما تزخر به القصائد على السنتهم وتجرى به معبرة عما تجيش به النفوس وما تفيض به القرائح لتحقيق رسالة الشعر ووظيفته فى حياة الأمة .. فهو نبض الوجدان ، والشعر لغة وصورة وموسيقى وامتاع وأداة بناء ووسيلة اصلاح وتقويم، والشعر أدب وفن وفكر جميل وتعبير واخيلة وحلاوة لفظ وجمال قول .. فهو يجسد العاطفة والوجدان والاحاسيس والشعور.

والشعر فى المجتمع العربى منزلة سامية ومكانة مرموقة ينهض فيها بالقيادة الوجدانية.

وهذا السمو لم يأت عفو الطبيعة، فقد كان الشعراء العرب يضربون آباط الابل من انحاء الجزيرة لحضور المواسم الشعرية في عكاظ وذي المجاز وهجر واليمامة وغيرها وكانوا يفدون بحولياتهم ومعلقاتهم وكان حكم القبة الحمراء في انتظارهم حيث اصدار الاحكام وتقديم الانتاج والشاعر مرآة عصره وعنوان لحياة مجتمعه يجسد آمالها ويعكس تطلعاتها ويبرز طموحاتها ويصور آلامها ويجسم بريشته المثل والقيم والاخلاق والمعانى النبيلة ليودى بذلك رسالته على الوجه الصحيح فى اى بناء ثقافى وفكرى .. وله دور تاريخى وحضارى ولقد كان لأسلافنا القدم الراسخة حيث نشأ الشعر مع العربي منذ عصوره الاولى وسايره فى حياته الفكرية والاجتماعية وسائر جوانب حياته.

بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل

# الشعر فن وموهبة وإمتاع

وفى عصر صدر الاسلام نجد الرسول عليه الصلاة والسلام يستحث حسان بن ثابت وبقية شعراء الدعوة الاسلامية حيث يقول عليه الصلاة والسلام «ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم» ودعا للنابغة الجعدي حين أنشده:

ولا خـيـر في حلم اذا لم تكن له
بوادر تحـمـي صـفـوه أن يكدرا
ولا خـيـر فى جـهل إذا لم يكن له
حليم إذا مـا أورد الأمـر أصـدرا

عند ذلك قال عليه الصلاة والسلام «لا يفضض الله فاك» فعاش النابغة أكثر من مائة عام دون أن تسقط له سن

وقال لحسان «اهجهم ياحسان ومعك روح القدس» ويروى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قوله «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل وما عذب من الشعر» ويروى عن الخليفة الأديب عبد الملك بن مروان حين مات أحد أولاده أنه طلب من ابنائه انشاد قصيدة أبى ذؤيب الهذلي فى رثاء ابنائه ليتسلى بسماعها ومطلعها:

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
فأجبتها ان ما لجسمى إنه
أودى بنيّ من البلاد فودعوا

وحيث لم يجد من أبنائه من يحفظ هذه القصيدة قال: «والله لمصيبتى في أهل بيتى بعدم حفظ مثل هذه القصيدة أعظم من فقد ابنى» الى غير ذلك من الروايات والأقوال المأثورة .. ومن يلق نظرة على كتب التراث سيجد فيضا زاخرا مما رواه خلف الأحمر وأبو عبيدة والاصمعي والمفضل الضبي وابن سلام وأبو عمرو بن العلاء وأبو زيد القرشي ولقد قيل الشعر «ديوان العرب» ويروى عن ابن رشيق صاحب كتاب العمدة قوله «الشعر تجارة العرب» وقيل «الشعر فى المجتمع العربى سيادة وقيادة .. ومرت عصور وما يزال الشعراء موضع الاهتمام واشعارهم باقية فينا نعيدها ونكررها ولقد قيل:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنى المكارم

وكانوا يصطفون من معانى الشعر أروعها وأجملها وكما قيل:

خاضوا بحور القوافي وهى زاخرة
ما إن بها مأثم يخشى ولا جنف

ولما وضع الخليل أوزانه قال أحد الشعراء:

مستفعل فاعل مفعول
مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا
من قبل أن يخلق الخليل

وكان الشعر سلاحا من أمضى الأسلحة وكان اعتزاز القبيلة بشاعرها أكبر من اعتزازها بالفارس الذي يحمي الحمى بسيفه ولم يكن الشعر يبلغ هذه المنزلة لولا احتفاء الناس به واهتمامهم بشأنه.

وكان الخلفاء والأمراء يجيزون الشعراء على قصائدهم بالهبات السخية، وسمع بعضهم يردد اقوال الشعراء وينشد قول ابى الطيب فقال أحد الشعراء:

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما
تجود العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك تروى شعره لتألها

والشعر العربى عبر تاريخه الطويل رصيد ضخم ومازالت الأجيال تردده وتجتره وتمتح من معينه ، ومازال يؤدي رسالته فى خدمة القضايا العربية والاسلامية وسيظل المشكاة التى تضيء ظلام الحياة والشعراء هم المرآة المعبرة عن الحياة والمجتمع، بصور ابداعية يجسدونه آيات من الابداع الشعرى المتميز.

# اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية
تتقدم أرامكو السعودية بأسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين
## الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي الأمير
## عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير
## سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

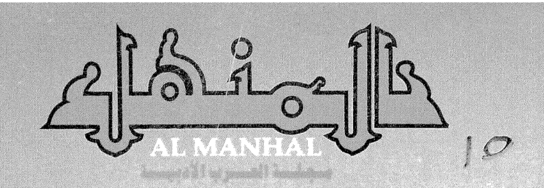
وإلى حكومة المملكة العربية السعودية وإلى الشعب السعودي الكريم



أرامكو السعودية
شركة الزيت العربية السعودية

PRS-11-95


صرح طبي متكامل
مستشفى دله
DALLAH HOSPITAL
○ العيادات الخارجية التخصصية يشرف عليها طاقم طبي مؤهل وفرت له أحدث الأجهزة التشخيصية.
○ مختبر متكامل يعمل على مدار الساعة.
○ قسم الأشعة مجهز على أفضل المستويات التقنية.. مزود بجهاز التصوير المقطعي بالكمبيوتر وجاما كميرا للتصوير النووي.
○ جهاز تفتيت حصى الكلى والحالب بدون تخدير وبدون مغطس ماء وبدون إقامة في المستشفى!!
○ مغاطس الطين، المعالجة الكهربائية.. والموجات الصوتية... بعض الأساليب العلاجية بقسم العلاج الطبيعي.
○ مهبط لاستقبال طائرات الإخلاء الطبي.
رعاية أشمل لصحة أفضل
ص.ب ٨٧٨٣٣ الرياض ١١٦٥٢ حي النخيل
تليفون ٤٥٤٥٢٧٧ فاكس ٤٥٤٥٢٥٣ تلكس ٤٠٧٣٠٥




# بين الإمامة والقضاء

## التشخيص في شعر الكيلاني

## أفكار مثيرة للجدل القادم من مواد الأسئلة

## النظام العالمي الجديد

## رائد وريادة عبد القدوس الأنصاري في ذكراه الثالثة عشرة

## زينب ... رواية ... أسيس




**مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة**

**تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة**

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

**المركز الرئيسي:**

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

**سعر النسخة:**

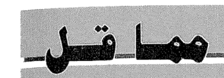
السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٨ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

**الاشتراكات:**

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال









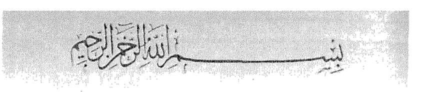
إن من علامات حظوة المنهل بما تصبو اليه من نجاح مطرد في سبيل أداء رسالتها الأدبية العالية ما نراه ماثلا فى الأذهان: من ضرورة السمو بهذا الأدب الحجازى وابرازه فى حلة قشيبة، تليق بمكانة الحجاز الدينية، ومنزلته الاجتماعية في العروبة والإسلام.

والحق يقال أن هذا الادب الحجازي الحديث، وان كان وليد اعوام معدودة فإنه قد خطا الى الامام خطوات مباركة تدل على ما بعدها. فها هو قد أطلع في سمائه في ظرف وجيز نجوما اصبحت لها شهرة ادبية لا بأس بها في الداخل والخارج، بسبب ما اذاعته، الوقت بعد الوقت من قصائد رائعة، وبسبب ما نشرته في فترات من نثر قيم: وهذه النجوم الطالعة في سماء ادب الحجاز، اذا ساعفتها المقادير ووجدت آفاقاً واسعة للجولان والنشر والدعاية الكافية، فانها ولا ريب ستتطور في سنوات معدودة الى اقمار زاهرة، فشموس بازغة وليس هذا الذي نقوله من الجرى وراء الأحلام المعسولة فان الحقيقة بنت الاستنتاج والبحث: اذ الحجاز هو مهد هذا الأدب العربي وموطنه الاول، فمنه انتشر الى كافة الأقطار، وفي ارضه درج لأول مرة، ومن مناهله سقى فنمي، ومن بين وديانه ورباه ترعرع.. وفي جباله ورماله شب. وان ابناء الحجاز هم احفاد بناة مجد العرب والاسلام وأدب العرب والاسلام ، وفيهم من الذكاء النادر المشهود والاستعداد الغريزي ما اذا تضافر مع الاجتهاد، وعوامل البيئة والوراثة فسرعان ما يشيدون لهم صرحا شامخا من الادب الراقى في روحه واهدافه واسلوبه وكيانه، واتجاهاته ونزعاته والوانه.

وليس الادب أداة تسلية، او فن لهو، وتمضية للوقت، بل انه من اسمى الفنون الحية التي تنهض الامم وتنعشها، وكم للاديب المخلص من اثر فعال في ترقية مستوى الامة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني معا.

«عبدالقدوس الأنصاري»

(ذو الحجة ١٣٥٥هـ/ فبراير١٩٣٧م)




# لقطة الشهر



الوطن غال.. غال .. لو كان هذا الصبي يستطيع تمزيق هذا الحاجز .. ؟!! عيناه في البعيد، البعيد .. وروحه تسبقهما .. وعلامات استفهام تصرخ في أعماقه..!!!
لقد أعيته السبل .. ويداه الصغيرتان لا تقويان على التشبث طويلا.. أي غد ينتظر هذا الصبي ..؟؟!!!

** هذه الصورة فازت بالجائزة التشجيعية في معرض التصوير الضوئي، الذي اقامته الجمعية المصرية للتصوير الفوتوغرافي، فى القاهرة، بمناسبة «يوم الأرض». تصوير الفنان: المهندس/ محمد الطايفى

## اشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر . جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦



صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.




غلاف العدد

م ن ه ل ي ا ت

# القرن العشرون.. والهوية الضائعة

ونصل ما انقطع:

أمر المسلمين أصبح عجبا .. إنّه هاجس القرن..

النظام العالمي الجديد يقوم بعملية استبدال وإحلال كبرى.. وفي غاية الخطورة.. هذا النظام المدّعى صياغة جديدة لنظم الحياة عندهم (فى الاجتماع والتربية والسلوك .. في الاقتصاد والسياسة.. في الحريات الفردية)

كل هذا عقدت المؤتمرات العالمية من أجل تقنينه.. ومن ثم فرض تطبيقه على العالم .. كل العالم .. كأنما العالم بأسره أصبح ولاية من ولايات الغرب.. إنه النظام العالمي الجديد.. في حضرته تلغى كل أنظمة الحضارات والثقافات والديانات المتغايرة.

«أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»؟!!

عالم المسلمين هو العالم المعني الأول بحركة الاستبدال هذه.. إن قلنا لنا في ديننا قوام أمرنا.. قالوا: إنّا نهبكم حضارة راقية لا قبل لكم بها..

وجاءنا الإعلام الفضائي بتسويق «الخنا» العالمي.. إنه التمهيد العملي لإتمام حركة الاستبدال .. صبغ الناشئة من أبناء المسلمين بصبغة حياة الغرب.. وبتركيز خاص لـ (الحرية الشخصية) في السلوك المنفلت من قيد الحياء والفضيلة.

وبترتيب دقيق ومحكم جداً، - ليس من سبيل الصدفة المحضة - أنه في بداية هذا القرن العشرين، أول ما بدأ به الغرب فى حركة تفكيك العالم الاسلامي أن رفع شعار (حقوق المرأة).. والغرب نفسه يأتي فى نهاية القرن نفسه ليرفع شعار (حقوق المرأة) و(مؤتمر السكان) ويعقد لذلك المؤتمرات العالمية.. إنها مرحلية تنفيذ حركة الاستبدال الكبرى.

إنه استبدال «هوى البشر» بثوابت «شرع الله».. والحق سبحانه يقول: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»؟!!

**نبيه الأنصاري**




العدد: (٥٢٧)
المجلد: (٥٧)
العام: (٦١)



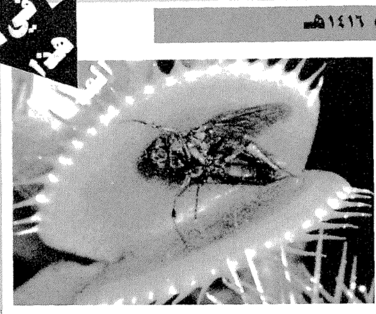




**وكلاء التوزيع**

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٢٤٥٥٩.

في هذا العدد



**النباتات المفترسة ص : ٥**
**التشخيص في شعر الكيلاني ص : ٥٨**
**زينب .. رواية التأسيس ص : ٤٨**
**حصاد الغربة ص : ٦٦**
**أفكار مثيرة للجدل ص : ١٢**
**بين الإمامة والقضاء ص : ١٦**
**قاب قوسين أو أدنى ص : ٢٦**
**السخرية والهجاء .. ص : ٤٦**
**خواطر على جانب من الأهمية ص : ١٠٠**
**رحلة في الذاكرة ص : ١٠٤**
**النظام العالمي الجديد ص : ١٤٥**

## أقلام:

د. عمار بوضياف - د. عبد الباسط حمودة - د. عدنان العلي - د. محمد الباردي - د. جابر قميحه - د. عبد الله المغامري الفيفي - عبد الله بن حمد الحقيل - د. محمد رجب البيومي

## الفهرس

# النباتات المفترسة

**محمد فيض الله الحامدي**
- سوريا -

تحقيق مصور

من غرائب ما يروى عن رحلات الاستكشاف في أدغال افريقيا، أن أحد المستكشفين مرَّ بقرب نبتة غريبة كبيرة، فامتدت منها استطالات، والتفّت عليه، وأسرته فهلك ذلك المستكشف وأصبح وجبة دسمة للنبات المفترس؟!

الرواية غير صحيحة، لكنها تركت انطباعاً مدهشاً في أذهان الناس، وحتى الآن يتساءل بعض الناس، هل هناك حقاً نباتات تفترس البشر في افريقيا؟

لا توجد نباتات تفترس البشر، لكن هناك نباتات تفترس الحشرات والأحياء الصغيرة بكل ما تعنيه كلمة الإفتراس من معنى! كيف؟ ولماذا؟.

لنتابع معاً قصة الإفتراس في عالم النبات:

أنماط التغذية في النباتات:

يحتاج النبات إلى الغذاء ليستمر في النمو والتكاثر، وغذاؤه الكامل «السكاكر والدهون والبروتينات والفيتامينات» وهذا الغذاء ضروري لاستمرار الحياة، لهذا تصنع معظم النباتات هذه الأغذية من عناصر بسيطة، أو تحصل عليها جاهزة، ولذلك تقسم النباتات من حيث **نمط التغذية إلى قسمين:**

**(١) نباتات ذاتية التغذية:** (Autotroph)

**(٢) نباتات غير ذاتية التغذية:** (Heterotroph)

فالنباتات ذاتية التغذية هي مجموعة النباتات التي تحتوي على الكلوروفيل «اليخضور» أو الأصبغة الأخرى، فتقوم بعملية التركيب الضوئي، وتصنع السكريات من ثاني اكسيد الكربون والماء بآلية معقدة، وفي مرحلة تالية تصنع الزيوت «الدهون» والبروتينات، والمواد العضوية الأخرى، وهناك بعض الأنواع من البكتيريا، وهي أحياء وحيدة الخلية «نباتية» ذاتية التغذية، مثل البكتيريا الارجوانية التي تحتوي على اليخضور البكتيري (Bac-terio chlorophylle) والبكتيريا الخضراء التي تحتوي على الكلوروفيل، تقوم هذه

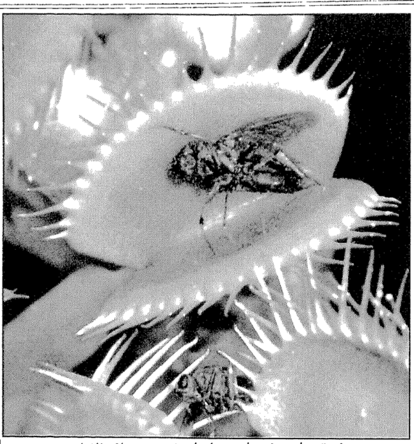
البكتيريا بالتركيب الضوئي، فتستعمل غاز كبريت الهيدروجين ($H_2S$) بدلا من الماء ($H_2O$) لصنع السكريات، ولذلك تعيش في مياه الينابيع الكبريتية، وبعض أنواع البكتيريا تقوم بصنع غذائها، بغياب الضوء، بعملية التركيب الكيميائى، وهي بكتيريا ذاتية التغذية، تصنع غذاءها من عناصر بسيطة غير جاهزة.

أما النباتات غير ذاتية التغذية، فهي تلك التي تحصل على غذائها العضوي جاهزاً وتصنف فى ثلاث مجموعات:

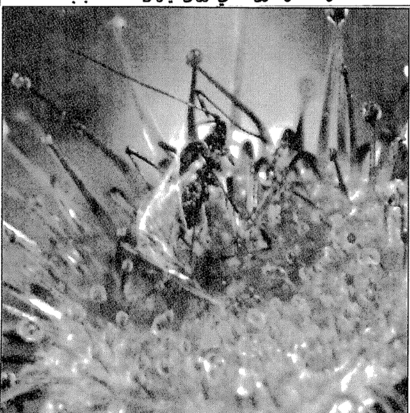
**(١) النباتات الرمية: (Saprophytes)**

وهي نباتات «بكتيريا وفطريات» تعيش على جثث الأحياء الأخرى، أو على المواد العضوية غير الحية، وتستمد منها غذاءها العضوي جاهزاً، نذكر منها:

* ومن البكتيريا: المكورات الدقيقة البولية « تحلل مادة البولة وتطلق النشادر»، والعصيات المخاطية، «تفسخ جثث الحيوانات الميته»، والعصيات الخلية، «تحول الكحول الإيتيلي إلى حمض الخل»، والعصيات اللبنية، «تحول الحليب إلى اللبن الزبادي» ومن الفطريات فطر العفن الأبيض «يظهر على الخبز الرطب»، وفطر العفن



حشرة مغامرة فوق احدي اوراق فينوس صائد الذباب



ورقة ندية مدورة حطت عليها حشرة فوقعت في المصيدة

الأخضر، مثل فطر البنسليوم الذي يظهر على الحمضيات وفطر الخميرة الذي يعيش على المواد السكرية.

**(٢) النباتات الطفيلية:** Parasites

نباتات تعيش على الأحياء الأخرى وتستمد منها الغذاء العضوي، نذكر منها:

* من البكتيريا، عصيات الخناق (الدفتريا) وعصيات السل، وعصيات الجمرة الخبيثة، وعصيات الكزاز، (التيتانوس) وعصيات الحمى التيفية، وجميعها تتطفل على الإنسان.

* ومن الفطريات، فطر صدأ القمح - وفطر المن (على أوراق العنب)، وفطر البياض الزغبي (على اوراق العنب) والفطر الشعري (على رأس الانسان).

* من النباتات الزهرية: الهالوك (الكشكوت) يتطفل على ساق الطماطم (البندورة) والبطاطا، ونبات الدبق الأخضر، يتطفل على أغصان التفاح، والهالوك تطفله تام أما الدبق الأخضر فتطفله نصفي، فهو يمتص النسغ الناقص فقط.

**(٣) النباتات المتعايشة:**

التعايش هو عملية تبادل المنفعة الغذائية بين كائنين من الأحياء، يقدم كل منهما إلى الآخر ما ينقصه، نذكر من أشكال التعايش:

* الحزازيات: Lichens تعايش بين فطر وأشنة خضراء، يقدم الفطر الماء والأملاح المعدنية للأشنة، ويوفر لها الحماية، وتقدم الأشنة للفطر السكريات والمواد العضوية.

* والعصيات الجذرية: بكتيريا متعايشة مع بعض النباتات الخضراء، من الفصيلة البقلية، يقدم النبات السكريات والمواد العضوية اللازمة للعصيات التي تعيش في عقد على الجذور، وتقدم العصيات المركبات الأزوتية التي تكونها من الأزوت الحر مباشرة، وعندما تموت في الجذور تشكل سماداً أزوتياً.

كانت الفقرات السابقة ضرورية، لفهم غاية الإفتراس في بعض النباتات، كما سيتضح.

**نمط التغذية في النباتات المفترسة:**

النباتات المفترسة Carnivorous أو آكلة الحشرات Insectivorous هي نباتات خضراء، ذاتية التغذية، وهي من النباتات الزهرية، مغطاة البذور، يعرف منها حوالي (٥٠٠) نوع، تنتمي إلى سبعة فصائل، باستثناء بعض الأنواع من الفطريات التي تأسر الديدان، وترسل ممصات إلى جوفها، لإمتصاص محتويات الجسم وتحصل على غذائها العضوي.

تعيش النباتات المفترسة في المستنقعات، في تربة فقيرة بالأزوت «النيتروجين» مثل مستنقعات البيت Peatyswamps والأراضي البور Moors والمستنقعات السبخة Marshes ، لذلك يحتاج النبات إلى مزيد من المركبات الآزوتية، فعملية التركيب الضوئي تؤمن لها الغذاء، وتستطيع الحياة بدون إفتراس، ولكن نموها الطبيعي وازدهارها يتمان بشكل أفضل، بالحصول على المركبات الأزوتية، من أجساد الحشرات، والحشرة بمثابة سماد أزوتي، غني بالمركبات الأزوتية، وبعنصري الفوسفور والبوتاسيوم، وهذان العنصران ضروريان للنبات.

والمعروف أن الإمتصاص في النبات وظيفة جذرية، بينما في النباتات المفترسة، تحورت الأوراق، وظهرت أعضاء متخصصة للصيد، تهضم الفريسة، وتمتص نواتج الهضم، وقد ظهرت أعضاء الصيد بأشكال مختلفة، وتصطاد بطرق مختلفة كما سنرى في بعض الأنواع. تم التعرف على هذه النباتات في القرن الثامن عشر، ودرسها العالم تشارلز

داروين ، وبشكل خاص نبات دروسيراروتن ديفوليا - فبيّن أن السائل المفرز على الفريسة يحتوى انزيمات تميّه «تحلل» بروتينات الحشرة، وتستطيع هضم اللحم والبيض.

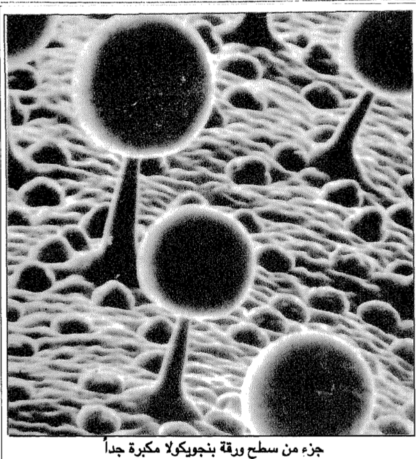
**أشكال المصائد الحشرية:**

تبدي المصائد الحشرية أشكالا مختلفة يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات:

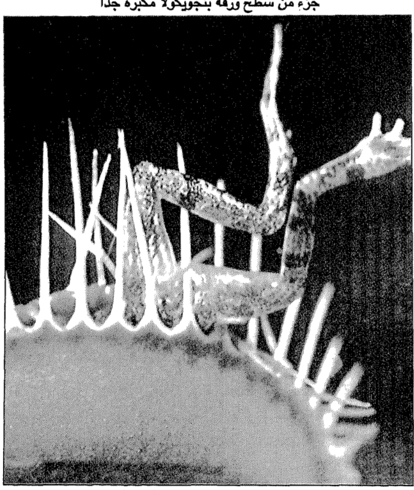
أولا: مصائد تفرز مادة لزجة تلتصق بالفريسة إذا لمستها، وهي حساسة جداً، مثل مصائد نبات الندية Sundew والبنجويكولا Pinguicula.

ثانيا: مصائد متحورة من أوراق النبات، حساسة تطبق على الفريسة بسرعة كبيرة، بمجرد وقوف الحشرة على المصيدة، كما في نبات الدايونيا.

**ثالثا: مصائد زقية متحورة** من أوراق، آخذة شكل الوعاء أو القدر تسمى «الزق» وهي تحتوي على سائل، وتفرز حافتها رحيقاً يجذب الحشرات، فإذا سقطت الحشرة في الزق لا تستطيع الإنفلات كما في السراسينيا والنيبنذس والدارلنجتونيا والأتريكولاريا، وكافة المصائد تفرز انزيمات هاضمة ولها القدرة على امتصاص نواتج الهضم، وعملية الهضم التام



جزء من سطح ورقة بنجويكولا مكبرة جداً



الغذاء المفضل للدايونيا هو الحشرات

ستغرق من بضع ساعات إلى عدة أيام حسب الأنواع.

**** وتصنف المصائد حسب درجة حساسيتها إلى قسمين:**

**أولا: مصائد ايجابية: حساسة تبدي حركة سريعة للإمساك بالحشرة، كما في المجموعتين الأولى والثانية، والتكيف واضح لغرض الإفتراس.**

**ثانيا: مصائد سلبية: لا تبدي أي حركة، وتسقط الحشرة في السائل لتلقى مصيرها المحتوم بالمصادفة، ولكن تحورات المصيدة تمنع انفلات الضحية إذا حاولت الهرب كما في المجموعة الثالثة.**

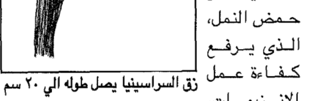
**نماذج من النباتات المفترسة:**

**اولا: نبات الندية: Sundew**

وتعني «وردة الشمس» نبته صغيرة، أوراقها مرتبة بشكل وردة، وهي من النباتات الزهرية، والأزهار تحمل على ساق مركزية، ولونها أبيض، الأوراق خضراء، تغطي سطحها أشعار، تفرز من نهايتها الحرة سائلا لزجاً فتبدو الورقة كأنها مغروزة بالدبابيس، والملفت للنظر نقاط السائل الواضحة، لذلك اطلق على النبتة اسم دروسيرا Drosera وهي لفظة مشتقة من الكلمة اليونانية Drosos وتعنى نقطة.

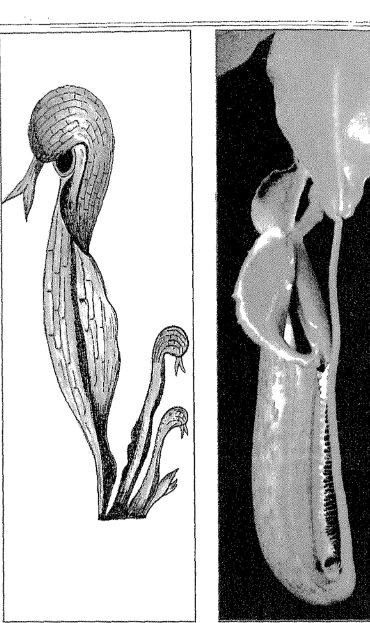
وتتم عملية الصيد على النحو التالي: عندما تلمس الحشرة أشعار الورقة، تلتصق بالمادة اللزجة فتحاول الفرار، فتتنبه الشعيرات الأخرى، وبسرعة كبيرة تطبق الأشعار على الحشرة فتقيدها اكثر، وتنثني الورقة باتجاه الحشرة، لتحقق الإطباق التام عليها، فتفرز الشعيرات عصارات هاضمة Digestive Ferment تذيب بها جسم الحشرة والعصارة تحتوي أنزيمات مثل البيبسين والتريبسين وهي تشبه الانزيمات في الحيوانات الراقية.

والانتفاخات الحمراء التي تقع في نهاية الأشعار تمثل غدداً Glands تفرز السائل اللزج والانزيمات الهاضمة. ويتم افراز كمية من حمض النمل، الذي يرفع كفاءة عمل الانزيمات، ويلعب دور المطهر إذ يقضي على الجراثيم المسببة للإنتان.



زق السراسينيا يصل طوله الي ٢٠ سم

بعد عملية الهضم تمتص الورقة نواتج الهضم الأزوتية، وما تحتاجه من العناصر المعدنية كالفوسفور والبوتاسيوم، ثم تنفتح الورقة لتتطاير الأجنحة والأرجل التي لم تهضم. وقد لوحظت تبدلات فيزيولوجية في الأشعار، ففي الوقت الذي تلامس فيه الحشرة الشعرة، تحدث ردود فعل ميكانيكية «حركة» وكيميائية، تنفصل البروتوبلازما إلى أجزاء مستقلة، وتتجزأ الفجوة الوحيدة إلى فجوات



نباتات البنيش　　　الدارلنجتونيا تشبه ثعبان الكبري　　　زق النيبنذس يشبه المصيدة

عديدة ، والورقة متكيفة لتحقيق الإفتراس «الصيد والهضم والإمتصاص»٠

ومنظر الورقة وهي تحمل نقاط السائل عامل أساسي لجذب الحشرات، وهذا تكيف آخر لتحقيق هدف الإفتراس، للندية أنواع، فبعضها ذات أوراق دائرية وبعضها ذات أوراق طويلة٠

**ثانيا: نبات البنجويكولا:**

يعرف النبات بصائد الذباب Butterwort يعيش بكثرة في مستنقعات بريطانيا، أوراقه خضراء، ومغطاة بغدد دقيقة تفرز سائلا لزجاً، وعندما تقف الحشرة على سطح الورقة تلتصق بالسائل اللزج، ويزداد إفرازه، وتلتف حافة الورقة نحو الداخل لتطبق على الحشرة٠ تفرز الغدد العصارة الهاضمة، وحمض الخل، ويبدأ تحلل الحشرة ثم امتصاص نواتج الهضم ثم تفتح الورقة بعد اتمام عملية الهضم والإمتصاص٠ والبنجويكولا نبات زهري، تحمل الزهرة على ساق مركزية٠

**ثالثا: نبات الدايونيا:**

يعيش هذا النبات في ولاية كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعرف بفينوس

خناق الذباب Venus Flytrap أوراقه خضراء مفلطحة، والمصيدة في طرف الورقة، وهي من المصائد النموذجية، فالمصيدة مكونة من مصراعين، يمكن أن ينطبقا كالكتاب، وعلى حافة كل مصراع أشواك تتداخل أثناء الإطباق، وعلى السطح الداخلي لكل مصراع ثلاثة «شعيرات حساسة» ويفرز السطح الداخلي سائلا أحمر اللون يجذب الحشرات، وبمجرد أن تلمس الحشرة الشعيرات الثلاثة، تطبق الورقة «المصيدة» بسرعة كبيرة تقدر بجزء من خمسين جزء من الثانية، فتحجز الحشرة، وتمنعها من الإنفلات وخلال دقيقتين تحكم الإغلاق على الحشرة، لتبدأ عملية الهضم، فتفرز الغدد عصارات هاضمة - كما أسلفنا في الأنواع الأخرى - والدايونيا نبات زهري والأزهار تحمل على ساق مركزية.

**رابعا: السراسينيا:**

نبات يعيش في مستنقعات الجزء الشرقي في امريكا الشمالية، والمصيدة ورقة انبوبية الشكل، يصل طولها إلى (٣٠سم)، تفرز رحيقاً حلواً في الجزء العلوي «حافة الزق» وهذا الرحيق يجذب الحشرات، وعندما تأتي الحشرات لترتشف الرحيق، تسقط في الزق وتغرق في السائل الذي يملأ الزق وهو سائل غني بالانزيمات الهاضمة، والنتيجة وجبة دسمة.

**خامسا: النيبنذس:**

يعيش في مستنقعات المناطق الحارة في



حامول الماء

الشرق الأقصى، ومدغشقر، ويشبه النباتات المتسلقة، والمصيدة غريبة الشكل، فهي تقع في نهاية الساق المتشكل من امتداد العرق الوسطي للورقة، والزق محمول بوضع قائم، وحافته مزودة بأضلاع بارزة، تتدلى حوافها نحو الداخل لتمنع الحشرة من الإنفلات إذا وقعت في الزق والحافة من الداخل ملساء لا تتيح الفرصة للحشرة كي تفلت.

ويوجد فوق الزق غطاء أخضر اللون، مرقط بالأحمر أو البرتقالي، ويحتوى الزق على كمية من السائل يصل إلى حجم ربع غالون وهو غني بالانزيمات الهاضمة، تستغرق عملية الهضم فيه مدة (٥ - ٨) ساعات.

**سادسا: الدارلنجتونيا:**

نبات يعيش في مستنقعات كاليفورنيا، له زق يصل طوله إلى (٦٠ - ٩٠) سم ويتخذ

وضعاً يشبه ثعبان الكوبرا، لذلك يعرف في كاليفورنيا باسم نبات الكوبرا، تفرز حافة الزق رحيقاً يجذب الحشرات، وتتدلى من أعلى الزق استطالة ذات شعبتين تعطي شبهاً كبيرا بلسان الحية.

وعندما تسقط الحشرة في الزق تغرق في السائل الغني بالانزيمات الهاضمة، وتهضم ببطء.

**سابعا: كيفالوثاس:**

نبات مفترس للحشرات، ولكن لا يفرز انزيمات هاضمة، إنما يحصل هضم الحشرة عن طريق نشاط الجراثيم المخربة التي لها حاصلات استقلاب غير ضارة بالنبات، والنبات يأسر الحشرة ويهلكها ودور التفكيك للجراثيم، ونواتج التفكيك الأزوتية يمتصها النبات.

**ثامنا: الاتريكولاريا:**

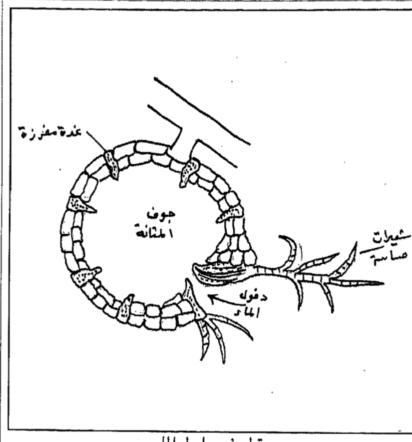
يسمى أيضاً حامول الماء، يعيش مغموراً في مياه المستنقعات، والنبات يحمل عدة اكياس صغيرة تسمى المثانات Bladders وللمثانة فتحة تغلق بصمام، والفتحة محاطة بشعيرات حساسة ، فإذا اقتربت حشرة مائية سابحة، ولامست الشعيرات تتمدد المثانة وتتوسع الفتحة، فيندفع الماء إلى داخل المثانة ومعه الحشرة، ثم تغلق الفوهة لتتم عملية الهضم داخل المثانة، حيث تفرز عصارات هاضمة من غدد في جدار المثانة من الداخل.

قدَّر العلماء عدد أنواع النباتات المفترسة بـ (٥٠٠) نوع، وكلها متكيفة لتحصل على حاجتها من المواد الأزوتية، من أجساد الحشرات وبعض الأحياء الأخرى.

ولله في خلقه شؤون:

اقتضت حكمة الخالق أن يتكيف كل كائن حي مع الوسط الذي يعيش فيه، والنباتات المفترسة تعيش في المستنقعات، وهي فقيرة بالمركبات الأزوتية، لذلك تحورت أعضاء من النبات لتفترس الحشرات وبعض الحيوانات الأخرى لتؤمن المركبات الأزوتية للنبات.

وليس كل نباتات المستنقعات مفترسة، وهذا يعني أن النباتات المفترسة لا تستطيع أن تؤمن حاجتها من المركبات الأزوتية عن طريق الجذور، فظهرت لها مصائد خاصة لتؤمن لها المركبات الأزوتية، لتزدهر وتنمو كسائر النباتات وتبقى ما شاء الله لها البقاء.



**مقطع في حامول الماء**

## أفكار مثيرة للجدل (٣)

# الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي

بقلم المفكر الاسلامي:
**أ.د. دكتور محمد عمارة**



**ولأن اجتراء المستشار عشماوى على الإسلام وعلومه لا يعرف الحدود .. فلقد مضى الرجل ليتهم علماء الأمة بأنهم لم يميزوا بين «الشريعة» وبين «الفقه» .. وهو أثناء هذا الاجتراء يرتكب ركاما من التخليطات والتناقضات.**

**فلقد سبق ورأيناه يدعو إلى جعل الشريعة قاصرة على المعنى اللغوى للفظها «مورد الماء وسبيله .. او مطلق الطريق» ـ دون المعنى الاصطلاحى «ما سنه الله من الدين، ووضعه وضعا ثابتا وجاء به الرسول لتهذيب الناس فى المعاش والمعاد».**

وها نحن نراه يتحدث عن «الشريعة» باعتبارها «مجموعة الوصايا الإلهية الموجهة الى المؤمنين، والتى تشمل العقيدة والمبادىء الأخلاقية»(١)!.

ولكنه ـ وإن سلم بشريعة، فيها «عقيدة» و«أخلاق»، يقاتل حتى لا يكون فيها «قانون»، أو تكون لها علاقة «بالفقه»، كى لا يكون فيها ما يستحق التقنين والإحلال محل القوانين الأجنبية التى غزت بلادنا فى ركاب الاستعمار!.. **فيرى أن استخدام الشريعة بالمعنى الذى يجعلها شاملة «المبادىء القانونية» هو نوع من «تداخل المنهج مع التطبيق، واختلاط الطريق بالمعالم، واضطراب السبيل»(٢) على الفقهاء!.**

ثم نراه يتهم الأمة كلها، بالغفلة عن تمييز «الفقه» عن «الشريعة» وذلك حتى يهدر ثروة الأمة فى الفقه، فلا تستفيد بها الجهود الساعية الى تقنين قانون إسلامى يحل محل القوانين ذات الأصول والفلسفات الوضعية الغربية، فيقول: **«.. وفى هذه الأيام، فإن لفظ الشريعة يعنى على وجه التحديد ـ فى الاستعمال الدارج ـ الفقه الاسلامى(٣).. وانتهى الأمر إلى أن يصبح معنى الشريعة ـ فى الغالب ـ هو الفقه، أى الآراء البشرية، أكثر مما يفيد الأحكام الالهية. وفي هذا التضبيب والتخليط ظهرت الشريعة كنص قانونى، دون أن تبدو كنظام للقيم»(٤).**

فهو، إذا سلم بالشريعة «كنظام للقيم»، يريد إبعادها عن «القانون» معتبرا إظهارها كنص قانونى ـ من خلال الفقه والتقنين لمبادئها وقواعدها ـ «تضبيبا.. وتخليطا»!.

**ولست أدرى، من أين جاء العشماوى بأن الأمة قد خلطت الشريعة بالفقه، دونما تمييز بينهما؟.. لقد استقر الفكر الاسلامى، عبر تاريخه، على أن «الفقه»: متغير بتغير الاجتهاد**

## ** العشماوي لا يرى في الشريعة غير ضابط لمبادئ العقيدة والاخلاق.

## ** العشماوي يسعى جهده لابعاد التشريع الاسلامي عن دائرة القانون الضابط لحركة المجتمع باكملها.

## ** الفقه استنباط فكر إنساني حسب ضوابط الشريعة.

**فيه.. بينما «الشريعة» وضع إلهى ثابت.. وعلى أن «الفقه» اجتهاد بشرى من وضع الفقهاء باجتهاداتهم، بينما «الشارع» هو الله، سبحانه وتعالى.. وعلى أن «الفقه»: استنباط.. و«الشريعة» مرجع وأصل وضابط للاستنباط.. وعلى أن «الفقه»: فكر إنساني.. و«الشريعة» علم إلهى ووحى سماوى.. وعلى أن «الفقه» متعدد المذاهب بتعدد الاجتهادات وتمايز الوقائع والأعراف والعادات عبر الزمان والمكان بينما «الشريعة» واحدة لا تتعدد ولا تتطور، عبر الزمان والمكان.**

على هذه المعالم اجتمعت الأمة عبر تاريخها الحضارى الطويل.. فالشريعة: وضع إلهى، فى البلاغ القرآنى وفى البيان النبوى لهذا البلاغ.. وما صنعه الفكر الدينى، هو تحديد مقاصد الشريعة من النصوص التى تواترت - فى القرآن والسنة - تواترا معنويا.. ومن هذه المقاصد الكلية للشريعة فرّع الفقهاء الفروع - بالاستحسان.. والاستصحاب.. والقياس - فبنوا «الفقه» - علم الفروع - على قواعد ومبادئ وأسس وأحكام الشريعة، وانطلاقا من مقاصدها الكلية - التى مثلت «خارطة» لمقومات العمران عندما حددت «الضرورات» و«الحاجيات» و«التحسينات»!.

**وهم - العلماء - قد صنعوا ذلك ، مميزين بين «الوضع الإلهى» - الشريعة - وبين «الاجتهاد البشرى» - «الفقه» - دونما فصل يقطع الصلات بينهما - فالتمييز غير الفصل - وذلك عندما جعلوا «الوضع الإلهى» - الشريعة - المصدر، ومعيار الصواب والخطأ فى «الاجتهاد البشرى» الفقه - فالفقه: ابن الشريعة، وفرع عن أصلها وبينهما: «التمايز» و«الصلات» القائمان بين «الأصول» و«الفروع»!.**

حدث ذلك فى تاريخنا.. وهو ذاته الذى

# ** العشماوي يدعو الى تحرير قوانين المعاملات من الأطر والقوانين الشرعية.

تسترشد به الدعوة المعاصرة الى تقنين وتطبيق الشريعة الاسلامية فهي دعوة إلى تحكيم الوضع الالهي - بقواعده ومبادئه وأحكامه - وكما صاغه الأصوليون في المقاصد الكلية للشريعة، دون الوقوف والجمود عند اجتهادات القدماء في الفروع، وإنما مع الاستئناس بهذه الثروة في الاجتهادات الفقهية.. مع مواصلة الاجتهاد للمستجدات المعاصرة، كما اجتهد القدماء لمستجدات العصور التي عاشوا فيها.

فأين هو «التضبيب.. والتخليط.. والتداخل.. والاضطراب» الذى رمى به العشماوى علماء الإسلام؟!.

لقد عرّف القدماء «الشريعة» بأنها: «الوضع الالهي الثابت، من نبى من الأنبياء، التى يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا، سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه».

وميزوا بينها وبين «الفقه» الذى عرّفوه بأنه: «العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من الأدلة التفصيلية لتلك الأحكام»(٥).

وظل هذا التمييز مرعيا عبر العصور، وحتى عصرنا الراهن، الذى كتب فيه الدكتور عبد الرازق السنهورى (١٣١٣ - ١٣٩١هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٧١م) يقول: «إن الكتاب والسنة هما المصادر العليا للفقه الاسلامي وقد قصدت بالمصادر العليا أن أقول: إنها مصادر تنطوى، فى كثير من الأحيان، على مبادىء عامة ترسم للفقه اتجاهاته، ولكنها ليست هى الفقه ذاته، فالفقه الاسلامى هو من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدنى(٦)».

فمن أين جاء العشماوى بأن الشريعة، قد انتهى بها الأمر إلى أن أصبحت تعنى «الفقه» والآراء البشرية أكثر مما تعني وتفيد الأحكام الإلهية ؟!

..إن المستشار عشماوي يفضح خبيئة مقاصده ، عندما يدعو إلي تحرير فقه وقوانين المعاملات من الأطر والقوانين والمبادىء الشرعية ، حتي يكون « الإجتهاد فيها ابتداء .. واستحداثا .. وابتداعا .. وليس بطريق الابتناء .. والاتباع .. والقياس .. والإستنباط من الأصول »، حاصرا « الابتناء .. والاتباع .. والقياس .. والاستنباط » ، فقط ، في « فقه العبادات » .. أي داعيا إلي عبادة الله - فى الشعائر - بناء على الشريعة الالهية.. والاختيار الحر تماما والمتحرر كلية فى «فقه وقوانين المعاملات»!.

يكشف العشماوى عن خبيئته هذه، عندما يقول: «إن الفقه الإسلامى لم يضع نظرية واضحة دقيقة تفصل ما بين العبادات والمعاملات فى الأحكام ، ومن ثم فى الاجتهاد .. والاجتهاد فى العبادات يحدث بطريق الاستنباط من الأصول، بطريق الابتناء عليها،

# ** الشريعة وضع إلهي ثابت ضابط للاستنباط •

**لا بطريق الابتداء.. أما فى المعاملات، فإنه من الضرورى واللازم والمتعين أن يكون الاجتهاد على سبيل الابتداء، لا الابتناء، بطريق الابتداع، لا بطريق الاتباع، بالإنشاء والاستحداث، وليس بمجرد القياس على آراء سابقة أو الاستنباط منها»(٧).**

ونحن نقول: إن عدم «فصل» الفقه الاسلامى بين «العبادات» و«المعاملات» - مع «التمييز» بينهما - ميزة يمتاز بها هذا الفقه.. فالعلاقة غير مقطوعة بين هذين الميدانين من ميادين الفقه الاسلامى.. ففى العبادات: حقوق لله، وعوائد وتأثيرات فى دنيا العابدين.. وفى المعاملات - مع حقوق الله - حقوق للعباد.. **أما التمييز، فلما فى العبادات من غلبة لحقوق الله.. ولما فيها من ثبات، يقتضيان «الاتباع» ولما فى المعاملات من مساحة كبيرة للمتغيرات، تقتضى غلبة الاجتهاد.. فالمعاملات، هى الأخرى، عبادات - بالمعنى الواسع والشامل للعبادة - (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)(٨)، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(٩).. ففى المعاملات عبادة، ومقاصد أخلاقية..** ومن هنا فإنها ليست «مصالح دنيوية» خالصة «الدنيوية» - كما هو الحال فى القوانين الوضعية - إذ حتى الدنيا، وعمرانها - وفق المعاملات الاسلامية - هو عبادة لله، سبحانه وتعالى.. فالفصل غير وارد بين العبادات والمعاملات..

**والذى يجعل التشريع بالاجتهاد، فى المعاملات «ابتناء» وليس «ابتداء» هو وجود قواعد ومبادىء وفلسفة تشريع إسلامية، وردت فى الكتاب والسنة، وبلورها وبوبها وقعدها علم أصول الفقه.. فالتطور والنمو مفتوحة أبوابهما أمام الاجتهاد الفقهى دائما وأبدا ولكن انطلاقا من المبادىء والقواعد والبدايات.. فهو «بناء» على أسس، وتواصل مع فلسفة تشريعية متميزة.. وليس «ابتداء» يقيم قطيعة - فى فلسفة التشريع - مع المبادىء والقواعد الشرعية - كما يريد المستشار عشماوى - !.**

---

«للحديث صلة»

الهوامش:

(١، ٢) الاسلام السياسى ص١٠٢.

(٣) (الشريعة الإسلامية والقانون المصرى) ص١٥ طبعة القاهرة ١٩٨٨م.

(٤) (معالم الاسلام) ص١٠٢.

(٥) أبو البقاء (الكليات) مادتى «شريعة» و«فقه».

(٦) (مصادر الحق فى الفقه الإسلامى) منشورات معهد البحوث والدراسات العربية - وانظر مجلة «المسلم المعاصر» ص٧٨ عدد إبريل١٩٧٥م.

(٧) (الاسلام السياسى) ص١٨٩.

(٨) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

(٩) الذاريات: ٥٦.

دراسات في القضاء:

# بين الإمامة والقضاء

بقلم: د. عمّار بو ضياف
أستاذ مساعد جامعة الجزائر

اذا كانت الشريعة الاسلامية قد حفظت الحقوق والحريات وصانت الاموال والاعراض ورسمت قواعد الحلال والحرام وبينت سبل الاحتكام للقضاء وجعلته امرا لازما، فانها لم تصرف من جهة اخرى النظر عن تنظيم العلاقة بين ولاة الامور في كل مستويات اجهزة الحكم في الدولة الاسلامية.

واذا كان الامام يملك سلطة تعيين قضاته فى البلاد الاسلامية فان التساؤل كثيرا ما يطرح عن طبيعة العلاقة بين الامام والقاضي ومدى تاثير هذه العلاقة فى قيام القاضي بمهمته بالفصل في شؤون العباد بما تقره قواعد الشريعة وتوجبه مبادىء العدالة.

وما دفعنا اكثر لصرف الهمه لهذا الموضوع ما لمسناه من افكار خاطئة لدى كثير من رجال الفقه والقضاء خاصة الفرنسيين منهم بخصوص الاصل التاريخي والمرجعي لمبدأ استقلال القضاء اذ يرجعه كثير منهم للثوره الفرنسية وجعلوه أحد أهم اثارها ونتائجها.

وما يؤسفنا ان هذه الافكار دخلت مؤلفاتنا العربية بقوة، فانساق كثير من الشراح لتأكيد هذا الخطأ وترديد ما قاله الكتاب الفرنسيون. وكان علينا بحثا عن الحقيقة وانصافا للتاريخ ان نبحث فى احكام الفقه الاسلامي لنكشف من الاسس المتينة والاحكام السامية ما ندحض بها كل باطل ونسقط بها كل المزاعم.

# «حائط الاسلام الحق وبابه العدل»

## مكانة القضاء فى المجتمع الاسلامي:

**لقد اثبتت الدراسات ان القضاء في الجاهلية لم يكن منصبا تسلم به الكافه، ولم يكن القاضي انسانا معينا من قبل السلطة، بل كان للمتقاضين خلال حقب زمنية مختلفة مطلق الحرية فى اختيار من يرونه اهلا لفض منازعاتهم فكانوا يلجأون احيانا لرؤساء القبائل والشعراء والحكماء وغيرهم(١).**

**وما ان جاء الاسلام حتى اضحى القضاء أمرا وجوبيا قال تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»(٢).**

وقد احتوى هذا النص القرآنى على عظمتين: أولاهما ان الله سبحانه وتعالى اقسم بذاته وفى ذلك دلالة قاطعة لا لبس فيها على عظمة القضاء وعلو شأنه، وثانيتهما ان الله عز وجل نفى صفة الايمان على المسلمين حتى يحتكموا لشرعه بلجوئهم للقضاء.

**وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده على التشدد في اختيار القضاة واسندوا هذه المهمة لأفضل من رأوا فيهم غزارة العلم وجودة الرأى وشدة الفطنه وحسن الادب وسمو الفضيلة وهذا انطلاقا من ان القضاء ولاية جليلة القدر عظيمة الشأن فعن عبد الله بن مسعود انه قال: «لأن اقضي يوما بالحق احبّ اليّ من عبادة سبعين سنة»**

**وقال عمرو بن العاص: «لا سلطان الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بالعدل»(٣).**

وكتب عمر بن عبد العزيز لأحد اعوانه حينما سأله عن تحصين المدينة قال: «حصنها بالعدل ونق طريقها من الظلم»(٤)، وخطب سعيد بن سويد بحمص فقال" «ايها الناس ان للاسلام حائطا منيعا وبابا وثيقا فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل»(٥).

**ووصف الامام علاء الدين الطرابلسي القضاء بأنه: «من اجمل العلوم قدرا واعزها واشرفها ذكرا لانه مقام علي ومنصب به الدماء تعصم وتسفح والابضاع تحرم وتنكح والاموال يثبت ملكها ويسلب والمعاملات يعلم ما يجوز فيها ويحرم ويكره ويندب»(٦).**

وقد أرسى اسلافنا لولاة الامور من القواعد ما يحفظ شرف الوظيفة القضائية ويصون قدرها فهذا سيدنا علي رضي الله عنه ينصح واليه الاشتر النخعي بما يلي:

«ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك...»

**وقال له ايضا: «وافسح له فى البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك»(٧).**

وهذا العلامة ابن فرحون ينصح ولاة الامور فيقول: «وينبغي للامام ان يتفقد احوال قضاته فانهم قوام أمره ورأس سلطانه»(٨)، وتحمل صفحات التاريخ الاسلامي احداثا اكثر من ان تذكر وسيرة وشواهد عديدة لا تحصر تؤكد كلها سمو مكانة القضاء وجلال وعظمة شأنه.

## الامام مصدر السلطة وجهة التعيين:

**اجمع فقهاء هذه الأمة ان تعيين القضاة أمر منوط بالامام او رئيس الدولة كما يطلق عليه فى التشريعات الحديثة. وفي ذلك قال الامام الماوردي: «فأما الاصل فهو الامام المستخلف على الامة فتقليد القضاء من جهته فرض يتعين عليه لامرين اثنين أولهما لدخوله فى عموم ولايته وثانيهما ان التقليد لا يصح الا من جهته»(٩).**

ومن القاعدة اعلاه يتضح لنا ان الشريعة اخذت فى تقليد القضاة بنظام التعيين وهجرت بذلك نظام الانتخاب لما قد يترتب عنه من مساوىء تمس بحسن سير جهاز العدالة في حد ذاته وفي ذلك قال احد الصالحين « اعلم ان القضاء لا يصح ان يولاه القاضي من جهة العوام وانما يولاه من جهة الامام»(١٠).

**ويملك الامام عند تقليد القضاة ان يحدد لهم البلد الذي قلدهم القضاء فيه كما يحدد لهم صفة الحكم فان اطلق كان على العموم دون الخصوص.**

**ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقلد القضاء احدا طلبه سيما اذا كان ضعيفا لا يقدر على اقامة الحق قال لابى ذر حين سزله: «يا أبا ذر انك ضعيف وانها امانه وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادّى الذى عليه فيها»(١١). وفي هذا المعنى قال عمر بن عبد العزيز: «لا يصلح للقضاء إلا القوي على أمر الناس المستخف بسخطهم وملامتهم في حق الله العالم بانه مهما اقترب من سخط الناس وملامتهم فى حق الله والعدل استفاد بذلك ثمنا ربيحا من رضوان الله»(١٢).**

وقد ألزم الامام بمراعاة شروط معينة قبل التولية قال العلامة علي بن محمد حبيب البصرى الماوردي: «ولا يجوز ان يقلد القضاء الا من توافرت فيه شروطه التى يصح معها تقليده وينفذ بها حكمه»(١٣). وحددها بسبع هى الذكوره مع البلوغ والعقل والحريه والاسلام والعدالة وسلامة السمع والبصر والعلم.

**ويقع على عاتق الامام قبل التولية العمل بالضوابط الشرعية التي تفرض عليه اختيار الاصلح فالصالح قال صلى الله عليه وسلم: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو منه اصلح للمسلمين فقد خان الله ورسوله»(١٤). وقال عمر بن الخطاب «ما من امير أمَّر أميرا او استقضى قاضيا الا كان عليه نصف ما اكتسب من الاثم»(١٥).**

**ولا شك عندنا ان تعيين القاضي من قبل الامام فيه دعم لمركزه بين الرعية وحماية له تجاه ذوي السلطة والنفوذ.**

## مبدأ الاستقلال:

انطلاقا من مكانة القضاء وسمو رسالته في المجتمع الاسلامي حرصت الشريعة الاسلامية على منح القاضي من الوسائل ما يجعله مستقلا بالرأي بعيدا عن تأثير الجهة التي

# «لأن أقضي يوماً بالحق أحبّ إليّ من عبادة سبعين سنة»

عينته غير خاضع في اداء مهامه لغير النص.

**قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين ولاه قضاء اليمن: بما تقضى يا معاذ؟ قال: بكتاب الله. قال: فان لم تجد؟ قال بسنة رسوله قال: فان لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي. قال صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله(١٦).**

وعليه فقد حمل هذا الحديث الشريف اساس العلاقة بين القضاء والامامه وابرز اسمى معاني الاستقلال وأرقى صوره فلم يلزم القاضي بالخضوع سوى للنص الاعلى مرتبه والاكثر الزاما. فان لم يجد القاضي في نصوص القرآن ما يحكم الواقعة التي بين يديه لجأ للسنة وان لم يجد فيها ما يقطع المشاجره ويحسم الخلاف اجتهد برأيه لفضها.

**ومنه يتضح ان الشريعة الاسلامية منحت القاضي السلطة الكاملة والارادة التامة والحرية المطلقة لفض المنازعات دون خضوع لأي كان ولو الامام المعين ذاته.**

**ولما كان من الثابت ان الحقوق تحفظ بالقضاء وان الحريات تصان بالقضاء، والنصوص تطبّق بالقضاء والعدل يتحقق بالقضاء وعمارة المجتمع تكون بالقضاء فينبغى بالمقابل ان يكون للقضاء مظهرا يناسب عظمة رسالته هو مظهر الاستقلال.**

واذا كانت مهمة القاضي هي الاخبار عن حكم شرعي فينبغي ان يترك له المجال للقيام بهذا الاخبار وفق ما تقضي به قواعد الشريعة واحكامها وتبعا لما توصل اليه فهمه واجتهاده. وطالما كان العلم باجماع الفقهاء شرطا لازما لتوليه القضاء فيصبح من الضرورة الاعتراف للقاضي بالحرية الكاملة في استخدام علمه على الحالات المعروضه عليه دون خضوع لاي أمر او توجيه من ايّ كان لأن طبيعة عمله وخصوصية ولايته تفرض الاعتراف له بالاستقلال.

**ويقصد بمبدأ الاستقلال: «الا يخضع القضاة في ممارستهم لعملهم لسلطان اي جهة اخرى وان يكون عملهم خالصا لاقرار الحق والعدل خاضعا لما يمليه الشرع والضمير دون اي اعتبار آخر»(١٧).**

ويقتضي مبدأ الاستقلال الحيلولة دون تدخل اي جهة مهما كانت طبيعتها في اعمال القضاء لتوجهه وجهة معينة او لتعرقل مسيرته او لتعترض على احكامه كما يقتضي ان يحاط القضاة بسياج من الضمانات يقيهم كل تجاوز او اعتداء من شأنه ان يخدش المبدأ المذكور ويُعدم آثاره.

**ولقد دأب الخلفاء الراشدون ومن بعدهم على معاملة قضاتهم انطلاقا من هذا المبدأ فرفعوا أيديهم عن القضاء وابتعدوا عن التدخل في شؤونه ويروي لنا تاريخ القضاء الاسلامي وقوف كثير من الخلفاء والولاة والوزراء وقادة الجيوش امام القضاء كغيرهم.**

فقد عهد سيدنا عمر رضي الله عنه لعلي وزيد بن ثابت القضاء فلقي رجلا فقال له: «ما صنعت بخصومتك؟ قال: قضى عليٌّ وزيدٌ بكذا. قال عمر: لو كنت انا لقضيت بكذا. قال الرجل: وما يمنعك والأمر اليك؟ قال عمر: لو كنت اردك الى نص في كتاب الله او في سنة رسوله لفعلت ولكن اردك الى اجتهاد ، والرأي مشترك، ولم ينقض ما حكم به زيد وعلي(١٨).

**وروي ان عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب اختصما الى زيد بن ثابت فالقى زيد وسادة لسيدنا عمر ليجلس عليها فقال له عمر: «هذا اول جورك ثم جلس على الارض بين يديه»(١٩). وروي كذلك ان رجلا ادعى على عليّ بن ابي طالب عند عمر بن الخطاب وكان جالسا فالتفت اليه عمر وقال له: «يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام وجلس مع خصمه متناظرا ولما انصرف الرجل عاد عليّ الى مجلسه وكان وجهه متغيرا فقال له عمر: يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا اكرهت ما كان؟ قال علي: نعم، قال عمر: وماذاك؟ قال علي: كنَّيتني في حضرة خصمي، هلا قلت يا علي قم فاجلس. فأخذ عمر رأس علي وقبله(٢٠).**

ويروى عن القاضي أبى يوسف انه جاءه رجل يدعي ان له بستانا في يد الخليفة. فحضر الخليفة هارون الرشيد الى مجلس القضاء وطلب من المدعي البينه فقال: غصبه المهدي مني ولا بيِّنة لدي وليحلف الخليفة فوجه القاضي ابو يوسف الى الخليفة اليمين ثلاث مرات فلما لم يحلف قضى بالبستان للرجل. كما روي عن القاضى أبى يوسف انه ردّ شهادة الوزير الفضل بن الربيع فلما سأله الرشيد قال: سمعته يقول انا عبد الخليفة فان كان صادقا فلا شهادة لعبد وان كان كاذبا فشهادته مردوده لكذبه(٢١).

**وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز تظلم اهالي سمرقند ضد القائد قتيبه بن مسلم الباهلي على انه دخل مدينتهم غدرا ولم يوجه لهم الانذار. فكتب الخليفة لعامله في العراق ليختار لهم قاضيا فاختار جميع بن حاضر الباجي فسمع شكواهم وأمر بخروج جيش المسلمين من مدينة سمرقند(٢٢).**

ومن هنا لم يغتر الخليفة بنشوة الانتصار كما لم يدفع بمبدأ السياده لتبرير هذا التصرف. ولم يبادر القائد قتيبه وهو من أذل كثيرا من الملوك وحقق الله على يده فتوحات كثيرة بالاعراض عن حكم القاضي ولم يحتج بقاعدة أن الحرب خدعه، بل كان على الخليفة ان يحتكم للقضاء للفصل في المظلمة وكان على القائد ان يمتثل لحكم القاضي وهو ما حدث فعلا. ويتجلى لنا مبدأ استقلال القضاء في المجتمع الاسلامي فى حرص الحكام والمحكومين على حفظ مهابه القضاء والتوقير اللازم للقضاة فقد روى العتبي ان ابراهيم بن المهدي قال: «اذا نازعت احدا في مجلس القضاء فلا اعلمن انك رفعت عليه صوتا ولا اشرت اليه بيد وليكن قصدك امما وطريقك نهجا وريحك ساكنه ووَفِّ مجالس الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجه الى

# «اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك وافسح له في البذل ما يزيل علته»

الواجب»(٢٣)٠

**ومن ذلك كله نستنتج ان الاستقلال صفة ملازمة للقضاء٠ ولا شك ان القصد من اقرار هذه القاعدة هو ان تشيع في نفوس المتقاضين روح الثقه والاطمئنان بأن منازعاتهم يتم الفصل فيها بارادة من القاضي وحده بعيدا عن كافة الاهواء وكل اشكال المؤثرات٠**

## مبدأ الشورى:

**اذا كانت الشريعة الاسلامية قد حرصت أيما حرص على تجسيد مبدأ استقلال القضاء بما يساير روح العدالة ويتماشى ورسالة القضاء، فانها من جهة اخرى سعت الى توطيد العلاقة بين الامام والقاضي على نحو يحقق مقاصد الشريعة واهدافها٠٠ فقد كتب عمر بن الخطاب لقاضيه شريحا: «٠٠٠ ما في كتاب الله وقضاء النبي فاقض به فان اتاك ما ليس في كتاب الله ولم يقض به النبي فما قضى به أئمة العدل فأنت بالخيار إن شئت أن تجتهد رأيك وان شئت ان تؤامرني ولا أرى في مؤامرتك إياي ألا اسلم لك»(٢٤)٠**

ان هذا الكتاب المذكور يلزم القاضي فقط بالخضوع للنص وان يستلهم احكامه من القواعد الشرعية كتاب الله وسنة رسوله٠ واذا كان الخليفة عمر بن الخطاب قد غلب جانب الاستشارة علي الاجتهاد وفق ما هو مذكور، فان ذلك لا يعني فرض رقابة او وصاية على القاضي او اعدام ارادته او الزامه بالرجوع للسلطة التى عينته فى حال عدم وجود نص، بل الأمر فيه تأكيد على المشاورة لا غير٠

**ولا عجب فى ذلك طالما كان نظام الحكم الاسلامي باكمله يقوم على مبدأ الشورى فقد أمر المولى عز وجل رسوله بمشاورة المؤمنين والاستنصاح بأرائهم، ومن ثم فلا غرابة اذا كان الخليفة عمر بن الخطاب قد طلب من قاضيه فعل ذلك في الكتاب المذكور٠**

ولا أحد يستطيع ان ينكر ما لنظام المشاورة من فوائد تمكن القاضي من الاستئناس برأي غيره قبل اصدار حكمه في المسائل التي لم يصدر بشأنها نص٠ قال العلامة ابن تيمية «لا غنى لولي الامر عن المشاورة فان الله تعالى أمر بها نبيه (صلى الله عليه وسلم) قال جلّ شأنه: «فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر» وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: «لم يكن أحد اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله»(٢٥)٠

**وقال العلامة بن القيم: «استحباب مشورة**

# القضاء لا يولاه القاضي من جهة العوام، وإنما يولاه من جهة الامام

الامام رعيته وجيشه استخراجا لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم وأمنا لعتبهم وتعرفا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض وامتثالا لقوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»(٢٦).

ومما يروى عن ابي بكر انه اذا ادخل عليه الخصمان ولم يجد ما في كتاب الله وسنة رسوله خرج للمسلمين وقال أتاني كذا فهل علمتم انه (صلى الله عليه وسلم) قضى في ذلك بقضاء فان ذكّره احد قال: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا»(٢٧).

ويروى عن عمر بن الخطاب انه اذا نزل به الأمر لا يبرمه قبل ان يجمع المسلمين ويستشيرهم فيه ويقول: «لا خير في أمر ابرم من غير شورى» وروي عن الخليفة عثمان انه اذا جاءه الخصمان قال لهذا اذهب فادع عليا وللاخر فادع بن عبيد الله والزبير وعبد الرحمن فجاءوا فجلسوا فقال لهما تكلما ثم يقبل عليهم فيقول اشيروا عليّ(٢٨).

ومن هنا بات واضحا ان لاسلوب المشاورة فوائد جمه لذلك نصح بها عمر قاضيه ورجحها على جانب الاجتهاد، وذلك حتى يتمكن الخليفة من معرفة الامور المستعصية على قضاته داخل اقليم الدولة فيعرضها هو الآخر على اهل الحل من العلماء والمجتهدين لمعرفة رأيهم فيها.

واذا كانت الشريعة الاسلامية قد حرصت على تأكيد مبدأ الاستقلال كما سبق البيان الا انها في الوقت ذاته اقامت جسرا من العلاقة بين الامام والقضاة من خلال اقرار نظام المشاوره.

**خاتمة:**

***لعله تبين لنا الآن المرتبة الرفيعة التي يحتلها جهاز القضاء بين اجهزة الدولة ومكانة القضاة وقداسة رسالتهم. كما تبين لنا العلاقة الوثيقة بين القضاة وولاة الامور.***

***فالامام ان كان يملك تعيين القضاة الا انه ليس له عليهم من سلطان فهم مستقلون في اداء مهامهم غير خاضعين لأي كان سواء أكان داخل جهاز الحكم أم خارجه.***

***وباقرار الشريعة الاسلامية لمبدأ الاستقلال نكون قد اسقطنا كل ادعاء مؤداه ارجاع الاصل التاريخي لهذا المبدأ للثورة الفرنسية. غير ان استقلال***

# لا يصلح للقضاء الا القوى على أمر الناس المستخف بسخطهم.

القاضي لا يمنعه البته من استشارة اهل الرأي وعلى رأسهم الامام.

وبتقنين مبدأ الاستقلال والشورى تكون شريعتنا الغراء قد استفردت بنظرية متكاملة فى علم القضاء من شأنها ان تحفظ كرامة القضاة ومهابة السلطة القضائية.

---

الهوامش:

(١) انظر: حسن مغنيه، قضاء العرب، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص٦.

(٢) سورة النساء آية ٦٣.

(٣) انظر: انور العمروسي، التشريع والقضاء في الاسلام، الاسكندريه، مؤسسه شباب الجامعة ص٥١.

(٤) انظر: انور العمروسي، المرجع السابق، ص٥٣.

(٥) انظر: محمد شهير ارسلان، القضاء والقضاة، بيروت، لبنان، دار الارشاد ١٩٦٩، ص٤٦.

(٦) انظر: الدكتور جمال العطيفي، دراسات في استقلال القضاء في الشريعتين الاسلامية والانجليزية، المحاماه، العدد الثاني، السنة الخمسون، فبراير ١٩٧٠، ص٨٠.

(٧) انظر: الدكتور جبر محمود الفضيلات، القضاء فى صدر الاسلام، الجزائر، شركة الشهاب ١٩٨٧، ص٢٥٧.

(٨) انظر: ابن فرحون، تبصره الحكام في اصول القضية ومناهج الاحكام، الجزء ١، ص٦٠.

(٩) انظر: الدكتور فاروق عبد العليم مرسي، القضاء في الشريعة الاسلامية، جده، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص٧١.

(١٠) انظر: الدكتور محمد عبد الخالق عمر، قانون المرافعات، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨، ص٢٠٩.

(١١) انظر: الدكتور صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، بيروت، دار العلم، ص٣١٩.

(١٢) انظر: الشيخ ابي الحسن عبد الله النباهي المالقي الاندلسي، تاريخ قضاه الاندلس، دار الكتاب المصرى ١٩٤٨ ص٣.

(١٣) انظر: علي بن محمد حبيب البصري الماوردي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، الجزائر، د.م.ج ص٥٢.

(١٤) انظر: الامام تقي الدين بن تيميه، السياسه الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، الجزائر، قصر الكتب، ص٩.

(١٥) انظر: انور العمروسي، المرجع السابق ص٦٣.

(١٦) انظر: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي، السلطة القضائية، بيروت، دار النفاس، ١٩٧٨، ص٥٣.

(١٧) انظر: الدكتور عبد المنعم عبد العظيم جيزه، نظام القضاء في المملكة العربية السعودية، الرياض، مطبعة معهد الادارة العامة، ١٩٨٨، ص٥٠.

(١٨) انظر: سعيد الحكيم، الرقابة على اعمال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم الوضعية، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧، ص٥٥٩.

(١٩) انظر: انور العمروسي، المرجع السابق، ص٧٨.

(٢٠) انظر: انور العمروسي، المرجع السابق، ص٧٨.

(٢١) انظر: نصر فريد محمد اصل السلطة القضائية ونظام القضاء في الاسلام، مصر، مطبعة الامانة ١٩٨٣، ص٢٢٢.

(٢٢) انظر: محمد شهير ارسلان، المرجع السابق، ص٣٧.

(٢٣) انظر: الشيخ عبد الوهاب خلاف، السلطات الثلاث فى الاسلام، مجلة القانون والاقتصاد، السنة السادسة، العدد الرابع، ابريل ١٩٣٦، ص٨٥.

(٢٤) انظر: ظافر القاسمي، المرجع السابق، ص١٨٧.

(٢٥) انظر: ابن تيميه، المرجع السابق، ص١٥٠.

(٢٦) انظر: الدكتور محمود الخالدي، نظام الشوري في الاسلام، الجزائر، شركة الشهاب، ص٢٢.

(٢٧) انظر: محمد عبد الرحمن البكر، السلطة القضائية وشخصية القاضي، الزهراء للاعلام العربي ١٩٨٨، ص٦٠٩.

(٢٨) انظر محمد عبد الرحمن البكر، المرجع السابق ٥٩١.

# في ظلال النبوة

ومـــا مـــحـــمـــد إلا رحــمــة بُعــثت
للعــالمين وفــضــل الله مــبــذول
هـو الشــفــيع إذا كـــان المعـــادُ غـــدا
واشـــتـــد للحـــشـــر تخـــويف وتهـــويل
فـــمـــا على غـــيـــره للناس مـــعـــتـــمـــد
ولا عـلـى غـــيـــره للـنـاس تعـــويـل
نـال المقـــام الـذي مـــا نـالـه أحـــد
وطـالمـا مـــيَّز المقـــدار تـنـويـل
وأدرك الســؤل لما قـــام مــجــتــهــدا
ومـــا بكل اجـــتـــهـــاد يدرك الســؤل
لـو أن كـل عـــلا بـالـســـعـي مكتـــســب
مـــا جـــاز حـين نـزول الـوحـي تـزمـــيـل
أعـلـى المـراتـب عـنـد الـلـه رتبـــتـــه
فـــاعلم فـــمـــا مـــوضع المحـــبـوب مـجـــهـول
مـن قـــاب قـــوسين أو أدنـى لـه نـزل
وحُقَّ مـنـه لـه مـــثـــوى وتجـلـيـل
ســـرى إلى المســجــد الأقــصى وعـــاد به
لـيـــلا براق يـبـــاري الـبـــرق هـذلـول
يا حــبــذا حين قـــرب لا أكـــيِّفُه
وحـــبـــذا حـــال وصل عنه مـــغـــفـــول
وكـم مـــواهب لـم تـدر الـعـــبـــاد بـهـــا
أتـت إلـيـــه وسِتْر اللـيـل مـــســـدول
هذا هـو الفــضـل لا الدنيـــا ومـــا رجـــحت
بـه المـوازيـن مـنـهـــا والمـكـايـيـل

وكم أتت عن رسول الله بينة
في فضلها وافق المنقول معقول
نور فليس له فيء يُرى وله
من الغمامة أنَّى سار تظليل
وافى إليه حنين الجذع من شغف
إذ ناله منه بعد القرب تزييل
فليت من وجهه حظِّي مقابلة
وليت حظِّي من كفيه تقبيل
بيض الميامين يستسقى الغمام بها
للشمس منها وللأنواء تخجيل
ومنبع الماء عذبا من أصابعه
وذاك صُنع به فينا جرى النيل
وكم دعا ومُحيًّا الأرض مكتئب
ثم انثنى وله بشر وتهليل
وكم أتت عنك أخبار مخبرة
في حسنها أشبه التفريع تأصيل
سرى إلى النفس منها كلما وردت
أنفاس ورد سرت والورد مطلول
من كل لفظ بليغ راق جوهره
كأنه السيف ماض وهو مصقول
لم تُبق ذكرا لذي نطق فصاحاته
وهل تضيء مع الشمس القناديل
جاهدت في الله أبطال الضلال إلى
أن ظل للشرك بالتوحيد تضليل

* من قصيدة «ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد»
للبوصيري

**قاب قوسين أو أدنى:**

# الإسراء والمعراج المعجزة الباقية

**عبد الحليم احمد فحيل**
- مصر -

كلما دارت الأيام وجاء شهر رجب تذكرنا على الفور معجزة الاسراء والمعراج، تلك المعجزة الحسية التى وقعت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بصورة مادية ملموسة، وتأكدت بآيات القرآن الكريم لتتلى الى يوم القيامة، وجدير بالمسلم أن يعى آيات القرآن الكريم، وأن يشعر بجوانب العظمة التى تمت تكريما لرسولنا الرحمة المهداة للعالمين.. ولا يمكن للمسلم أن ينفصل عن ماض به وقائع حياة الرسول، فان فى وقائع حياته الانس والاطمئنان والثقة والراحة النفسية، وباستحضار تلك الوقائع تكون الانطلاقة الى الغد والمستقبل الاسلامي المشرق.

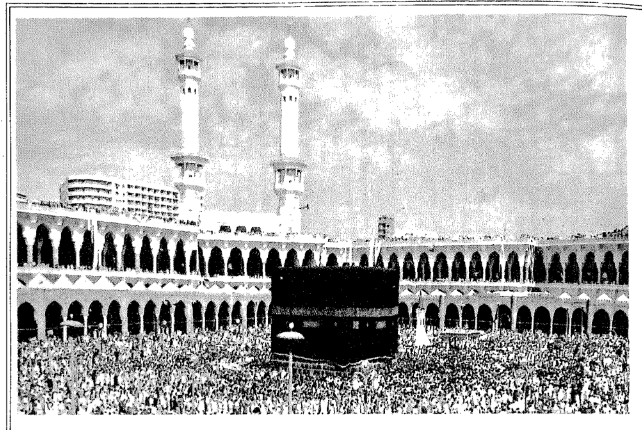
قد تجد من يقول: ان الاسلام دين عقيدة وعبادة وعمل، وليس دين ذكريات وهنا نرد على مثل هؤلاء: ان الله سبحانه وتعالى قرر فى قرآنه «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة»(الاحزاب/٢١) ، والأسوة لا تقف عند حد بل مطلقة وعامة تشتمل على كل ما كان من الرسول وما كان للرسول من رب العالمين، ولى أن استحضر المعانى الروحانية التى عاشها الرسول لتظل الروح متعلقة بالاصل الاسلامي، ولندرك على وجه اليقين أن الله لا يخذل ابدا عبده المؤمن، ومن هنا يكون الانطلاق، ويكون العمل بقوة الايمان وبثقة فى حسن المصير.

## ادلة معجزة الاسراء والمعراج:

لقد تضافرت الآيات القرآنية مع الاحاديث النبوية على اثبات معجزة الاسراء والمعراج، وتلك النصوص تعطى ايحاءات ومعانى لها قيمة ايمانية وعلمية.

أولا: الآية (سبحان الذى أسرى بعبده)، والحديث (أتيتُ بالبراق، فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس).

ثانيا: الحديث (ثم عرج بي الى السماء الدنيا) و (ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى اسمع صريف الاقلام) ، وهذا اثبات لمعراج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى ما فوق السبع سماوات، وقد يظن البعض انه ليس هناك نص قرآنى يثبت المعراج، ولكن سورة النجم ترد هذا الادعاء، واذا صرفوا



الالفاظ عن مدلولها الحقيقى، فعلى أن أرد الشيء الى اضله دون تعنت.

(وهو بالافق الاعلى) قالوا: انه جبريل استوى بالافق الاعلى.

(ثم دنا فتدلى) اى دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض.

وجعلوا جبريل هو المقصود بالآيات، مع أن المعنى الصحيح بأن المقصود هنا هو رسول الله وليس جبريل عليهما السلام:

١ - إن المقام مقام تكريم الرسول وليس تكريم جبريل، وأن المطلوب هو تأييد الرسول بالمعجزة وليس جبريل، فالرسول هو الواسطة بين الله تعالى وسائر خلقه من البشر.

٢ - ان الآيات التالية تؤكد هذا المعنى: (فأوحى الى عبده ما أوحى)، فاذا كان جبريل هو الذى دنا فتدلى، فلا يمكن ان يكون محمد عبدا لجبريل، بل محمد عبد الله ورسوله .. والمعنى المستقيم: ان الرسول ارتفع الى الافق الاعلى، ثم اقترب من الحضرة الالهية، وهنا أوحى الله الى عبده محمد بما شاء ان يوحيه اليه.

ثالثا: لما كانت السماوات مبنية على الشكل الدائرى ، فان الصعود فيها لا يكون بالخط المستقيم، ولكن يناسبها التعرج فكان اللفظ الحديثى (العروج)، وهذا يتناسب مع اللفظ القرآنى «تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»(المعارج/٤)، ولغويا: عرج الثوب ، اى خططه خطوطا ملتوية.

رابعا: اتفقت الكلمة أن رسول الله تعرض لايذاء قريش، ثم وردت عليه الاحزان بموت زوجه السيدة خديجة (رضى الله عنها) وعمه ابى طالب، فأراد الله ان يسرى عنه ما أَلَمَّ به فكان الاسراء ، ليرفع عنه الاحزان، وليقوى عزيمته فى الايام المقبله، وهذه المعانى تظهر بجلاء فى تناسق سور القرآن الكريم (النحل والاسراء والكهف).

١ ـ اختتمت سورة النحل (واصبر وما صبرك الا بالله) وان هذا الصبر لا يكون الا من اهل التقوى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، واذا كان الله مع اهل التقوى والاحسان، فانهم سينالون اعلى الدرجات، ويكونون من اهل القرب والاختصاص.

٢ ـ فافتتحت سورة الاسراء بذكر المقام الذى اقام فيه الله رسوله، ولما كان الرسول من اهل التقوى والاحسان اسرى به، رفعا للاحزان التى الم به، وتسرية عن روحه الشريفة بما سيراه من الآيات والعبر.

٣ ـ وان هذا الاسراء لا يستحق من الرسول الا زيادة العبودية لله، فان كل نعمة جديدة من الله تستحق مزيدا من الشكر،، ولهذا علمه الله ما يجب عليه أن يكون، فنطقت خواتيم سورة الاسراء «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا» ، فالمطلوب: الحمد والتسبيح والتكبير لله العلى القدير.

٤ ـ وبالطبع فان الأمر اذا بلغ الرسول فانه لا يملك الا المسارعة فى تنفيذه، فنطق من فوره بما افتتحت به سورة الكهف (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا).

خامسا: وتكون الغاية من المعراج بأن الله سبحانه وتعالى أراد ان يثبت لنبيه ان رضا اهل الارض لا ينفعه، وسخطهم عليه لا يضره، واذا كان بعض اهل الارض قد صدر منهم جفاء، فان اهل السماء اكثر حبا وشوقا، وكانت تحيتهم له (مرحبا وأهلا)، وان تناسق سورة النجم مع سورتي الطور والقمر يظهر هذا بجلاء..

١ ـ اختتمت سورة الطور (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) اى انك يا محمد فى رعايتنا وحفظنا وعنايتنا، ولما كانت المعجزة (الاسراء والمعراج) واحدة، كان الحدث السابق لها لابد ان يكون واحدا، وهذا الحدث (الوفاة والشدائد) لا ينفع معه الا الصبر.

٣ ـ واذا كان الله قد وعد نبيه بالعناية، فقد كانت عناية الله بالغة اذ أفاض عليه بالقرب منه، وحسن الضيافة (عند سدرة المنتهى)، وهذا فى اعلى مقام (عندها جنة المأوى).

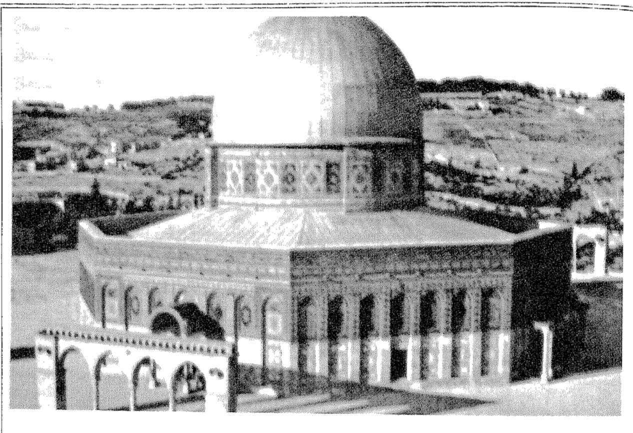
٣ ـ فان ضحك البعض من قول الرسول عندما حدَّث بالاسراء (أفمن هذا الحديث تعجبون)، فان ما حدَّث به الرسول وصدَّقه المؤمنون ليس الا معجزة، وانه من عين نفس المعجزة التى رأوها بأعينهم عندما انشق القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر)، فقد رأوا وكذبوا، فموقفهم واحد أمام المعجزات (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر).

## زمن الاسراء والمعراج:

قيل: ان الاسراء كان قبل الهجرة بسنة.
وقيل: انه كان قبل الهجرة بخمس سنوات.
وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنوات.

واذا تتبعنا مصادر التاريخ الاسلامى وجدنا ان السيدة خديجة وأبا طالب توفيا بعد أن مضى من النبوة عشر سنوات، وذلك قبل هجرة النبى الى المدينة المنورة بثلاث سنين (صفوة الصفوة ـ سيرة ابن هشام ـ الطبري) وعلى هذا يكون الأرجح فى زمن الاسراء انه تم قبل الهجرة بثلاث سنوات.

(شهر الاسراء) : قيل: ربيع الاول. وقيل: ربيع الآخر. وقيل: رمضان. وقيل: شوال. وقيل: ذو الحجة. ورجح النووى فى الروضة انها الليلة السابعة والعشرون من شهر رجب.



(ليلة الاسـراء): من المقطوع به ان الاسـراء تم ليلا (سبحان الذى اسرى بعبده ليلا) وقيل: كان ليلة الجمعة. وقيل: ليلة السبت. وقيل: ليلة الاثنين. ومن رجح ليلة الاثنين قـال: ليـتـوافق المولد والمبعث والمعراج والهجرة والوفـاة، فـان هذه اطوار الانتـقـالات وجودا ونبوة ومـعراجـا وهجرة ووفاة.

وأيا كـان تاريخ الاسراء فـالذى يجب علينا هو ألا ننسى المعجزة ولا نتناساها بدافع العلم والحضارة والزمن المادى، اذ ان تذكر الاحداث الدينية احياء للشعور الدينى الجميل فى نفس المسلم، وعـدم انفـصـاله عن واقع الرسـول الحياتى. ثم ان هناك فى كل عام من الشباب من يبلغ سن النضج والفـهم، وعلينا واجب ان نعـرفـهم بتـراثهم الاسـلامى، ليـعـيش الجـيل الجديد ما عاشه الرعيل الاول، وليتبصر الخلف ما عاشه السلف.

## مواطن احداث الاسراء:

بدأت رحلة التكريم برسـول الله من مكة المكرمة الى بيت المقدس (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) وكـان بين المكانين الرئيسين اماكن استراحة وترويح واعلام بما سيكون:

١ ـ سـار موكب الاسراء حتى بلغوا أرضـا ذات نخل فقال جبريل للرسول (عليهما الصلاة والسـلام): انزل فـصـل ههنا.. انك صليت بطيبة (المدينة) واليها المهجر.

٢ ـ انطلق البراق يهوى، يضع حافره حيث أدرك طرفه، ثم نزل فصلى، وقال جبريل: انك صليت بمدين عند شجرة موسى.

٣ ـ وانطلق البـراق يهـوى، ثم نزل فـصلى ، واخبره جبـريل: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى.

٤ ـ ثم بلغ ارضـا بدت له قـصـورا، ولما صلى فيـهـا قـال جبـريل: صليت ببيت لحم حيث ولد

عيسى. ولله در البوصيرى حيث قال مخاطبا للذات الشريفة:

سريت من حرم ليلا الى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظُلَمِ
وبتّ ترقى الى ان نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرمِ
لما دعا الله داعينا لطاعته
يا اكرم الرسل كنا اكرم الامم

(المسجد الحرام): يقصد به الكعبة، ويطلق على مكة حيث ان كلها حرم، وتعتبرمكة نقطة ارتكاز دائرة الكرة الارضية. ومن اسماء مكة: بكة (لأنها تبك اعناق الظلمة اى تقطعها)، والبيت العتيق، والبلد الحرام، البلد الامين، ام القرى، ام الرحمة، الباسة والناسة (لقلة الماء بها). وقال الله فى قرآنه (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) آل عمران/٩٦.

(المسجد الاقصى) سئل رسول الله عن اول مسجد وضع فى الارض فقال بما قاله الله فى كتابه بأنه المسجد الحرام، ثم سئل عما بُني بعده، فقال: (المسجد الاقصى .. بينهما .. اربعون سنة) البخارى ومسلم واحمد، ومن المعلوم ان البناء الاول للبيت الحرام بمكة تم عند اهباط آدم عليه السلام الى الارض، ومن المعلوم ان هناك عهداً طويلا بين آدم وسليمان وبين ابراهيم وسليمان (عليهم السلام) يزيد عن الاربعين سنة، ولذا يكون المقصود بالحديث ان بيت المقدس بناه غير سيدنا سليمان، ولذا نرتب الاحداث على تلك الصورة: بناء الكعبة تم اولا، ثم بعد ذلك باربعين سنة بنى بيت المقدس، ثم اعاد سيدنا ابراهيم واسماعيل البناء بعد ان تهدم البيت ولكن على قواعده الاصلية، ولما تهدم بيت المقدس اعاد البناء سليمان.

الآيات كانت على وجه الحقيقة وليست رموزا:

من المعلوم ان احاديث الرسول تبين مجمل القرآن وتفصله، اى ان الحديث يعتبر بمثابة الشرح والتوضيح للنص القرآنى، وقد قال الله تعالى فى كتابه المحكم (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهذا معناه، ان الرسول رأى آيات، والرؤية لا تقع الا على اشياء واقعية، ولا تطلق الرؤية على أوهام وخيالات، ووجدنا ان الصحابة رووا عن رسول الله احاديث بينت بعض مشاهد الرؤية فى معراج رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

جاء فى الحديث: (أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ورأى الرسول الدجال فى صورته رؤية عين ليس برؤيا منام).

وفى رواية ابى هريرة: (ثم أتى رسول الله على قوم تُرْضَخ رءوسهم بالصخر، كلما ارضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء)، وهذا عقاب من تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة.

وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر .. ثم وجدنا من يقول بأن هذه الآيات بمثابة العرض السينمائى، اى أنها صور تمثيلية وليست حقيقية، أو هى من باب الرؤى والاحلام والطيف والخيال وليست واقعية.. ومستند هؤلاء ان الجنة والنار والعقاب والعذاب من خصائص يوم القيامة، والقيامة لم تقم بعد، فكيف يرى الرسول ما لم يكن بعد؟.

ونرد على هؤلاء بعقل ايماني ..

اولا: يشكك اهل الاستحالة فى المعراج حيث

انه لم يذكر فى القرآن صراحة، ويستبعد البعض الرؤية الحقيقية، بل يرفض بعضهم أن يكون الاسراء والمعراج بالروح والجسد ..
وهؤلاء جميعا يقال لهم: ان الاسراء والمعراج ليس من صنع الرسول، ولكنه معجزة ارادها الله لرسوله لتقوية دعوته، واثبات تفرده على من سواه من البشر. واذا كانت المعجزة من فعل الله، فهل لمؤمن حقيقي ان ينكر على الله جل وعلا قدرته على فعل ما يشاء وما يريد؟.

يقول الدكتور الحوفي: ان الاحتكام الى العقول وحدها، وقياس المعجزات على المألوف المعتاد مزلة فى كثير من الاحوال، ومدعاة الى التعنت والتعسف والضلال، لأنه قياس للغائب الذى لا يدرك على الحاضر المشهود المدرك.. والصواب أن يقاس المدرك على مثاله، وان يقاس الغائب على نظيره).

ثانيا: اذا كان الانسان بقدرته العقلية، وبفضل (وعلم الانسان ما لم يعلم) استطاع ان يكتشف ما فى باطن الارض، رغم ان العين تعجز عن ادراك ذلك، وتوصل الى معرفة عجائب الكون الاعلى من المجرّات والكواكب والنجوم، وباستخدام الاشعة اصبح يرى جميع اجهزة الجسم الداخلية.. اى انه بالعقل طوى حيز المكان، ايعجز الله القادر على كل شيء اى يطوى لرسوله حيز المكان والزمان معا؟.

ثالثا: ان الجنة والنار موجودتان على وجه الحقيقة.. فمن المعلوم ان الله القادر المنتقم قصم ظهر فرعون - لعنة الله عليه - بعد ان بغى وطغى وادعى الالوهية، وأهلك الله فرعون، وجاء الخبر القرآني بالمصير الذى آل إليه فرعون «وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب»(غافر/٤٦):
فالآية بينت ان العذاب الذى يتعرض له فرعون قسمان: الأول - فى حال الدنيا فإن فرعون يعرض على النار بالغداة والعشى (صباحا ومساء) وهذا يدل على وجود النار على وجه الحقيقة. الثانى - واذا قامت القيامة يدخل فرعون وحزبه النار ليخلد فيها ابدا.

قال ابن زيد: هم فى النار اليوم، يُغدى بهم ويراحُ الى ان تقوم الساعة.

وفي هذا الدلالة القطعية على أن النار مخلوقة وموجودة حال الدنيا، وان هناك على وجه الحقيقة اناس يعذبون فى النار كل بقدر معصيته، وهذا العذاب حقيقي، ولعل الرسول رأى رؤس الكفر من الامم السابقة تعذب، وليس ما رآه صورا للتخويف كما يظن البعض، والآية تعضد الاحاديث.

## المعراج ثابت بالنص:

ذهب بعض المنتسبين للاسلام الى انكار المعراج، وهذا أمر يدعو للعجب، فالامور الغيبية تقع خارج دائرة العقل، وتستوجب الايمان الغيبى، وكان دعوى هؤلاء: ان الاسراء ذكر فى القرآن بنص صريح (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا)، أما المعراج لم يرد فى القرآن بنص صريح، وبما ان الاسراء رحلة ارضية، والمعراج رحلة علوية، فكان من الاولى ان يذكر المعراج بالنص الصريح. وغاب على هؤلاء ان الله سبحانه وتعالى أراد ان يؤيد قول الرسول فى رحلته الارضية، فان كفرة قريش لم يجادلوا فى المعراج ولكنهم جادلوا فى الاسراء لأنهم عاشوا الرحلة من مكة الى القدس، وادركوا ما تأخذه الرحلة ذهابا وعودة، ولم يعلموا عن الملأ الاعلى شيئا، فالملأ الاعلى واقع

خارج مقدور البشر.

## ولنا مناقشة آيات سورة النجم..

لقد قال الله (ولقد رآه نزلة أخرى)، والسؤال: من الذى رآه الرسول؟.. يقول منكر المعراج: انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل مرتين فى صورته الحقيقية. اذا الذى رآه الرسول بدعواهم هو جبريل، ولن نختلف كثيرا فى هذه النقطة، ولكن السؤال الثانى: وأين رأى الرسولُ جبريل المرة الثانية بعد ان رآه المرة الاولى فى اول عهده بالنبوة سادا الافق بجناحيه؟.

هنا يقول منكر المعراج: رآه المرة الثانية حيث ذكر الله تعالى (عند سدرة المنتهى)، والسدرة فوق السبع سموات.

إذا لقد اثبت المنكر ما ينكره من حيث لا يدرى، وما دفعه الى ذلك الا التسرع فى التقول دون تفهم ايات القرآن، ويفصل الآيات بعضها عن بعض، والمقطوع به أنه لم ترد آية تكذب آية، أو تعمل فى معزل عن الآيات الاخرى، وما علينا الا ان نفهم القرآن بالقرآن، فآيات القصص تؤيد آيات الاحكام، وآيات الاحكام تحقق اصول العقيدة، ولا يقال بأن آية كذا تخص كذا فقط، ولكن الآية الواحدة تحتوى على عطاءات متجددة لا ينتهى تجددها الى يوم القيامة.

## رؤية الله تعالى ليلة المعراج:

تنازع الناس فى تلك المسألة بين مثبت ومنكر..

المثبت: يدلل على الرؤية بالنص القرآنى (ولقد رآه نزلة أخرى)، واذا كانت الرؤية يوم القيامة غير مختلف عليها بين جميع المؤمنين بنص الحديث (اذا دخل أهل الجنة الجنة، فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم) مسلم، (فاذا الرب قد أشرف عليهم - على اهل الجنة - من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فينظر اليهم وينظرون اليه، فلا يلتفتون الى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون اليه) ابن ماجة، قليس من المستحيل أن يتجلى الله سبحانه وتعالى لحبيبه محمد فى الدنيا اختصاصا ليزداد أنسا، ولتهون عليه مصائب الدنيا.

المنكر: لو قلنا ان الرسول قد رأى الله فان هذا يتعارض مع النص القرآنى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (الانعام/١٠٣)، فالآية تنفى ان يدركه احد.

ونحن نسلم انه لا يدرك ذات الله احد، ومن ناحية اخرى فان الرؤية شيء، والادراك شيء آخر، فأنا أرى قرص الشمس ولكن لا أدرك حقيقتها الذاتية، أرى ضوءها وشعاعها ولكن لا أدرك اتونها النووى المستعر. واذا نظرت الى اى جبل فاننى ارى الجزء الذى تقع عليه عينى، ولا ادرك كل الجبل، ولا أدرك ما وراء الجبل، ولا ادرك ما فى بطن الجبل، ولا ادرك جذر الجبل الضارب فى باطن الارض. لقد قال ابن عباس تعليقا على الآية: ان المراد بالآية نفي الاحاطة به عند رؤياه، لا نفى الرؤية أصلا.

وهذا هو معنى حديث الرسول لما سئل: هل رأيت ربك؟. فقال: (نور أنَّى أراه) مسلم، اى كيف اصفه أو اتكلم عن ذاته، فانه رأى نوراً،

والنور تحســـه العين، ولكن لو ســئلت: هل تستطيع ان تصف لنا النور؟. لقلت: انه نور، او انه يظهر الاشياء، وكأنى افسر الماء بالماء، وهذا الحديث من جوامع كلم الرسول، فقد قال بما يمنع السائل ان يطرح سؤالا آخر، وكأنه اوصد باب الحوار والنقاش.

ومع اننى اعتقد انه لا استحالة على رؤية رسول الله لربه يوم المعراج، الا اننى ارى أن المسألة لا تستحق النزاع، فالمسألة ليست اصلا من اصول العقيدة، ويكفى المؤمن ألا يكذِّب نصا، فان امورا كثيرة تخفى علينا، وكلنا يعلم ان المشـركين لم ينكروا وجـود الله.. ولكنهم انكروا ان يكون الإله واحدا .. والذى يجب على المؤمن عدم اقحام عقله فى قضايا الايمان ، فما ارتاح له اتكلم به، وما لم اطمئن اليه لا أرفضه ولا اكذبه، بل اسكت حياله.

وليكن مـوقـفنا من عين مـوقف ابى بكر الصديق، (رضى الله عنه) لقد قال المشركون لابى بكر: أفتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح؟. قال ابو بكر: نعم انى لأصـدقـه فـيـمـا هو أبعد من ذلك، أصدقه فى خبر السماء أفلا أصدقه فى غدوة او روحه. بمعنى اذا كنت أصدقه انه يوحى اليه ، وأنه رسول رب العالمين، فانى اصدقه فى كل ما يقول به، لأنه لم يجرب عليه كذبا قط لا قبل النبوة ولا بعدها.

اننا فى حاجة لتذكر هذه المواقف التى عاشها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا يعتبر هذا التذكر مضيعة للوقت والجهد، انه جـزء من واقع الاسـلام، فـمـا الاسـلام الا مواقف، ومعايشة هذه المواقف احياء للاسلام فى روح المؤمن، فما الدين الا تكاليف، وواقع روحانى واحساس ايمانى بهذه التكاليف، فما قيمة أن أصلى ولا أثر للصلاة فى نفسى؟.. ان الصلاة ان لم يكن لها لمسات داخل وجدان المسلم فانها ستصبح مجرد حركات دون مضمون، وهذا هو معنى قول الرسول عن الرجل العابث بلحيته وهو يصلى (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه) الترمذى ، اذ الخشوع عمل قلبى وليس عمل الجوارح الظاهرة.

واذا كان الله تعالى قد أمر نبيه موسى عليه السلام بما يجب عليه لقومه «وذكرهم بأيَّام الله» (ابراهيم/٥)، اى بنعم الله عليهم، وبالايام التى انتقم فيها من الامم الخالية، وايام النعم والمحنة، ورسالة الانبياء جميعا من مشكاة واحدة، فحري بنا أن نتذكر فضل مولانا العلى الاعظم على حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فى مقام الاسراء والمعراج: وهذا ما دفع الصحابى أبيّ بن كعب ان يقول: ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام ، فكلم الله موسى مرتين، ورآه محمد (صلى الله عليه وسلم) مرتين. والموقف نفسه دفع ابن عباس ان يقول: أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد (صلى الله عليه وسلم)؟.

ان معجزة الاسراء والمعراج تجدد فى الروح والنفس والعقل دعوى الايمان الحق، وتعمل على ايجاد الاحساس باعتزاز المسلم باسلامه، وهكذا كل سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

# مشاهد الـ




**من دعائم الإيمان بالله تعالى، الايمان باليوم الآخر، وما فيه من بعث وحساب وميزان وصراط وجنة ونار، وغير ذلك مما ورد ذكره في القرآن الكريم، وشرحه ووضحه النبى (صلى الله عليه وسلم) فى قصص مفصل. ففى القرآن الكريم نصوص كثيرة وقف عليها المفسرون والعلماء لاشتمالها على الصراط وذلك اعتمادا على ما جاء في السنة المطهرة. ومن ذلك قول الله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا.** ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا»(١)، وقوله تعالى: «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور»(٢) وقوله تعالى: «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون»(٣) وغير ذلك مما ورد ذكره فى القصص النبوى، **وعن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: (الورود: المرور على الصراط).**

**والصراط والسراط فى اللغة بمعنى الطريق، وفي معناهما الجسر الذى يعبر عليه، والقنطرة بناء صنع للعبور عليه.**

والصراط فى الآخرة: طريق أو جسر أو قنطرة، من أرض المحشر، فوق جهنم إلى الجنة لما روى عن أبى سعيد الخدرى فيما قصه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٤): (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم) قيل: يارسول الله، وما الجسر؟ قال: (دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكردس فى نار جهنم).. وفى رواية (أرق من الشَّعر) وجاء فى قصة عن أبى سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: **(يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم، ومخدوش به، ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها)** وعن عبيد بن عمير: **(أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم، وأن لجنبتيه كلاليب وحسكا، والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر)** وعن سعيد بن أبى هلال قال: (بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادى الواسع) ونقل القرطبي عن بعضهم

# ...رور على الصراط ١ - ٢

بقلم: أ.د. عبد الباسط حمودة
- مصر -

(فى وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصى، **ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي: دقيق، فضرب المثل له بدقة الشعر.. ومعنى قوله (وأحد من السيف) أن الأمر الدقيق الذى يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة فى اجازة الناس على الصراط يكون فى نفاذ حد السيف ومضيه إسراعا منهم إلى طاعته وامتثاله) ويعلق على ذلك بقوله: (ما ذكره القائل مردود.. وأن الإيمان يجب بذلك وأن القادر على إمساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك المؤمن فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة فى ذلك للآثار الواردة فى ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول).**

وجاء فى القصص النبوى عن أبى سعيد عن النبى (صلى الله عليه وسلم)(٥)، جهنم تحيط بالدنيا، والجنة من ورائها، فلذلك صار الصراط على جهنم طريقا إلى الجنة) نقل ابن كثير فى قول الله تعالى(٦): (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) عن مجاهد عن الشعبى أنه سمع ابن عباس يقول: وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتثر الكواكب فيه، وتكور فيه الشمس والقمر، ثم يوقد فيكون هو جهنم، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البحر هو جهنم).

ويبعث الله الخلق يوم القيامة ويحشرهم فى صعيد واحد، ثم ينتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التى دون الصراط، وهو جسر على جهنم - كما تقدم - فعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: فى الظلمة دون الجسر(٧).

ويقص علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حالة المؤمنين حين يخرجون من قبورهم متجهين إلى الصراط فيقول(٨): (شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم: لا إله إلا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال: (شعار أمتى إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت) و(شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة رب سلّم سلّم).

**وحين يخرج المتقون من قبورهم يؤتون بنجائب يركبونها ويحشرون إلى الرحمن وفدا، يقول ابن كثير فى تفسيره(٩): يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها ريحا، فيقول: من أنت؟ فيقول: أما تعرفنى؟ فيقول: لا، إلا أن الله طيب ريحك وحسن وجهك، فيقول: أنا عملك الصالح، وهكذا كنت فى الدنيا، حسن العمل طيبه طالما ركبتك فى الدنيا، فهلم اركبنى فيركبه - ثم قال: إن**

**عليا كان ذات يوم عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقرأ هذه الآية: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يارسول الله؟ فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - (والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة، وعليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مد البصر، فينتبهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما، فتغسل ما فى بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا، وتجرى عليهم نضرة النعيم.**

«ويقول»: من تحتهم تطرد، أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، فيستجلى الثمار فإن شاء أكل قائما وإن شاء قاعدا، وإن شاء متكئا، ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) .

**ونقل ابن كثير أن عبد الله بن سلام قال: اكرم خليقة الله على الله أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - وأن الجنة فى السماء، وأن النار فى الأرض، فإذا كان يوم القيامة بعث الله الخليقة أمة أمة، ونبيا نبيا، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فيقوم وتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون على الجسر، ويطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي - صلى الله عليه وسلم - والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة ويبوؤنهم منازلهم من الجنة(١٠).**

وفى القصص النبوى لا يستطيع الكافر والظالم تجاوز الصراط بل يقتص منه على كفره وظلمه فقد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يقبل الجبار - عز وجل - على الجسر ويقول: وعزتى وجلالى لا يتجاوزنى اليوم ظلم، فينصف الخلق من بعضهم حتى إنه ينصف الشاة الجماء من العضباء بنطحة نطحتها) وقال - صلى الله عليه وسلم - (يحشر الله الأمم فى صعيد واحد، فإذا أراد أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار) **وجاء فى قصة طويلة قوله - صلى الله عليه وسلم - (يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة، فيها منافقوها ..) ثم يقول: (ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم..)**

ونقل القرطبى فى التذكرة قول أبى بكر بن برجان قوله: يلهم رؤوس المحشر لطلب من يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه، وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك، ثم يؤمر آدم - عليه السلام - بأن يخرج بعث النار من ذريته، وهم سبعة أصناف: البعثان الأولان يلتقطهم عنق النار بين الخلائق لقط الحمام حب السمسم، وهم أهل الكفر بالله جحدا وعتوا، وأهل الكفر بالله إعراضا وجهلا، ثم يقال لأهل الجمع: **أين ما كنتم تعبدون من دون الله، لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فمن كان يعبد من دون الله شيئا اتبعه حتى يقذف به فى جهنم، قال تعالى: (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله**

**مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون).**
**وقال عز وجل (فكبكبوا فيها هم والغاوون. وجنود إبليس أجمعون).**

ويؤيد ذلك قصة رويت عن عائشة - رضى الله عنها - أجابها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله(١١): (يا عائشة أما عند ثلاثة فلا يذكر أحد أحدا، عند الميزان حتى يثقل أو يخف، وعند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله، وحين يخرج عنق من النار، فتنطوى عليهم وتغيظ عليهم، ويقول ذلك العنق: وكلت بثلاثة: وكلت بمن دعا مع الله إلها آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد، فتنطوى عليهم، وترمى بهم فى غمرات، ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور فى النار على وجهه).

**قال ابن كثير: قال السرى (إذا رأتهم من مكان بعيد) قال مسيرة ستمائة عام سمعوا لها تغيظا، أى عليهم، وزفيرا أي من شدّة حنقها وبغضها لمن أشرك بالله واتخذ معه إلها آخر.**

**وتصور قصة من القصص النبوى مشاهد من يوم القيامة حتى نصب الصراط وسقوط الكفار وأهل الكبائر والبدع فى النار، ويخلص المؤمنون على قدر أعمالهم، ثم يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى يوقف أصحاب الأعراف.**

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم(١٢): (تمتد الأرض مد الأديم يوم القيامة لعظمة الله - عز وجل - ثم لا يكون لبشر من بنى آدم منها إلا موضع قدميه، ثم أُدْعَى أنا أول الناس فأخر ساجدا، ثم يؤذن لى فأقول: **يارب خبرنى جبريل - صلى الله عليه وسلم - وهو عن يمين عرش الرحمن - تبارك وتعالى - أنك أرسلته إليّ، وجبريل ساكت لا يتكلم، حتى يقول الله - عز وجل - صدق، ثم يؤذن لى فى الشفاعة، فأقول: يارب عبادك عبدوك فى أقطار الأرض، فذلك المقام المحمود، ثم يبعث البعث الرابع، وهم قوم وحدوا الله وكذبوا المرسلين، جهلوا صفات الله - جل جلاله - وردوا عليه كتبه ورسله، ثم يبعث البعث الخامس والسادس، وهم أهل الكتاب، يأتون عطاشا، يقال لهم: ما كنتم تبغون؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا، فيقال لهم: ألا ترون؟ فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيردونها سقوطا فيها، ثم تقع المحنة بالمنافقين والمؤمنين فى معرفة ربهم وتميزه من المعبودات من دونه، فيُذْهِبُ الله المنافقين ويثبت المؤمنين، ثم ينصب الصراط مجازا على متن جهنم - أعاذنا الله منها - أرق من الشعر وأحد من الموسى** - كما وصفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسقط أهل البدع فى الباب السادس منه أو الخامس، وأهل الكبائر فى السابع أو السادس، ويخلص المؤمنون على درجاتهم فى تفاوتهم فى النجاة، ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا صفوا وهذبوا، أدخلوا الجنة، ومن ذلك المقام يوقف أصحاب الأعراف).

## ** هل جواز الصراط لكل المخلوقات؟

## ** وهل هو الطريق الوحيد إلى

**جهنم؟**

**من خلال القصص النبوى السابق، وفى ضوء أقوال العلماء والمفسرين يتبين لنا أن المرور على الصراط لا يشمل كل المخلوقات، وأن الصراط تمر عليه فئات معينة من الخلق، فعلى أرض المحشر أو فى الظلمة دون الجسر يقف الخلق.**

* فمنهم من (إذا خرجوا من قبورهم - يؤتون بنوق بيض لها أجنحة.. فيأتون باب الجنة) ومنهم من يمنع من المرور على الصراط حتى يقتص منه (يقبل الجبار - عز وجل - على الجسر ويقول: وعزتى وجلالى لا يتجاوزنى اليوم ظلم...) ومنهم من يخرجه آدم ليكون بعث النار (وهم سبعة أصناف... يلتقطهم عنق النار بين الخلائق لقط الحمام حب السمسم..) قبل مسيرة ستمائة عام. ومنهم (فمن كان يعبد من دون الله شيئا اتبعه حتى يقذف به فى جهنم) ومنهم (البعث الخامس والسادس، وهم أهل الكتاب، يأتون عطاشا.. فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب..) ومنهم (ثم تقع المحنة بالمنافقين والمؤمنين فى معرفة ربهم .. فيذهب الله بالمنافقين ويثبت المؤمنين، ثم ينصب الصراط مجازا على متن جهنم..).

**هكذا تقول النصوص فئات كثيرة تذهب إلى جهنم (ثم ينصب الصراط مجازا على متن جهنم). ولا يمنع هذا من أن يمر الناجون من النار عليها (لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) حيث جاء فى تفسير ابن كثير: قال حيات على الصراط تلسعهم، أى الكفار، فسلم الله أولياءه يمرون على الصراط مرا هو أسرع من البرق، ويبقى الكفار فى جهنم جثيا.**

وجاء فى قصة يفيد ظاهرها أن الذين يجتازون الصراط هم المؤمنون والمنافقون، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(١٣) (إن الله - عز وجل - يدعو الناس يوم القيامة بأمهاتهم - سترا منه على عباده - **وأما عند الصراط فإن الله يعطى كل مؤمن نورا، وكل مؤمنة نورا، وكل منافق نورا، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا، فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا) وجاء فى قصة أخرى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال(١٤): (يضرب الصراط بين ظهرى جهنم ويمر المؤمنون عليه فرقا: فمنهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وأشد الرجال، حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفا، وفى حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس فى النار) وظاهر الحديث (ويمر المؤمنون عليه).**

ونقل القرطبى عن أبى حامد فى كتاب كشف علم الآخرة: أنه إذا لم يبق فى الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون، والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون، ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق، فيقول الله تعالى: يا أهل الموقف من ربكم؟ فيقولون: الله، فيقول لهم: أتعرفونه؟ فيقولون: نعم - فيتجلى لهم الرب - سبحانه - فيسجدون له جميعهم، فيمر بهم على الصراط، والناس أفواج: المرسلون، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، **ثم المؤمنون، ثم العارفون، ثم**

**المسلمون، منهم المكبوب لوجهه، ومنهم المحبوس فى الأعراف، ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان، فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام، وآخر يجوز على ألف، ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عيانا ولا يضام فى رؤيته.**

## ** الصراط امتحان واختبار:

وإذا تأملنا الآثار والنصوص الإسلامية نجد فيها ما يدل على اختبار وامتحان الخلق من أول سكرات الموت حيث يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا، ثم عند أول منازل الآخرة فى القبر حيث سؤال الملكين، ثم يكون اختبار للخلق جميعا يوم الموقف العظيم، فيتبع الكفار من كانوا يعبدونهم، وتبقى هذه الأمة، أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فى ابتلاء وتمحيص وامتحان ليميز الله الخبيث من الطيب ويكون الصراط لتصفية الأمة من المنافقين وأهل البدع وغيرهم، ثم تكون بعده قنطرة لتقاضى مظالم كانت فى الدنيا، ولا يؤذن بدخول الجنة إلا لمن اجتاز هذه العقبات. هكذا جاء فى القصص النبوى في روايات كثيرة تبين المراحل التى تسبق دخول الجنة.

**ففى قصة عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال أناس: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟(١٥) فقال: هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يارسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يارسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت،** وتبقى هذه الأمة، فيها منافقوها، فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم، **قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل - يومئذ - اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير إنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، فتخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو، فإذا اراد الله أن يُخرج من النار من أراد أن يخرجه، ممن كان يشهد ان لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم ما يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل،** ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، فيقول: يارب قد قشبنى ريحها، وأحرقنى ذكاؤها، فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلك إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره، فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك يارب قربنى إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، فلا يزال يدعو فيقول إن أعطيتك ذلك

تسألنى غيره؟ فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، **فيعطى الله ما شاء من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: يارب أدخلنى الجنة، فيقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: يارب لا تجعلنى أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يأذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل له: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمن من كذا، فيتمنى حتى تنقطع به الأمانى، فيقول: هذا لك ومثله معه) قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.**

وفى قصة أخرى من القصص النبوي ما يزيد الأمر وضوحا : بأن الصراط هو اختبار وامتحان وتمحيص لمن كان يعبد الله فقط، أما من كان يعبد الأصنام والأوثان وعزير أوالمسيح أو غير ذلك ، فإنهم يتساقطون في جهنم قبل الصراط ،لحديث ( يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ) ولما توضحه الرواية التي معنا ( **ثم يؤتى الجسر فيوضع بين ظهري جهنم ) ثم يعطى للمؤمن والمنافق نور ، فإذا انتهوا إلي الصراط طفيء نور المنافقين ، وبقي نور المؤمنين ويقولون: ربنا أتمم لنا نورنا. فعن أبى سعيد الخدرى(١٦) قال: قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهما، قال: ثم ينادى مناد:** ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أهل الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من برأو فاجر وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم، تعرض كأنها سراب، فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، قال: فيقال: اشربوا فيتساقطون فى جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، **فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبه ولا ولد فيقال: ما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله - تعالى - من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس، فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا - عز وجل - ثم يؤتى بالجسر فيوضع بين ظهرى جهنم، قلنا يارسول الله: وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفة تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب،** فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس فى جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا. فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار، إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون: ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله - تعالى - اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، **بعضهم غاب فى النار إلى**

**قدميه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا** - قال أبو سعيد فإن لم تصدقونى فاقرءوا إن شئتم «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها» فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول لهم الجبار - عز وجل - بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة، فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة، **فما كان إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة، فما كان إلى جانب الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فتجعل فى رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه.**

**مواقف ومشاهد على الصراط:**

يوضح القصص النبوى أن الناس يجتازون الصراط على قدر أعمالهم كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش ومكدوس فى جهنم.

ونود أن نتوقف مع مشاهد ومواقف تقع على الصراط، او تكون بجانبه، وذلك من خلال ما جاء فى القصص النبوي.

*** فمن المشاهد صورة اجتياز الرسل ودعواهم يومئذ (اللهم سلم سلم)، ومحمد صلى الله عليه وسلم - قائم على الصراط يقول: (رب سلم سلم) وفى مشهد آخر يقول النبى - صلى الله عليه وسلم(١٧): (فإذا عصف الصراط بأمتى نادوا: وامحمداه وامحمداه، فأبادر من شدة إشفاقى عليهم، وجبريل آخذ بحجزتى، فأنادى رافعا صوتى: رب أمتى أمتى، لا أسألك اليوم نفسى، ولا فاطمة ابنتى، والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره، ينادون: رب سلم سلم)، كذلك تتلقى الملائكة الناجين فيدلونهم على طريق الجنة يمينا وشمالا.**

* مؤمنون يمرون على الصراط لا تمسهم النار، فمن هؤلاء ما قصه رسول الله - صلى الله عليه وسلم(١٨) - (أول زمرة سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، كأن وجوههم القمر ليلة البدر) وفى قصة أخرى (تقول النار يوم القيامة: جُز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى) ومن أخبر عنهم النبى - صلى الله عليه وسلم: بقوله(١٩) (لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية) ومن يشملهم قوله - صلى الله عليه وسلم - (علم الناس سنتى وإن كرهوا ذلك، وإن احببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث فى دين الله حدثا برأيك) **وكذلك (من أحسن الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط، ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله فى تركته) و(من يكن المسجد بيته، ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط)(٢٠) و(من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم) وكذلك ما جاء فيما روى عن أبى هريرة قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه، ثم قال:** (إن الله تعالى يقول: هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه

**من النار فى الآخرة) و(من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة) و(من قرأ ألف آية فى سبيل الله، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله، ومن حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعا، لا بأجر سلطان لم ير النار بعينه إلا تحلة القسم) كذلك ما جاء فى القصص النبوى قوله - صلى الله عليه وسلم(٢١): (وترسل الأمانة والرحم فتقومان إلى جنبتى الصراط يمينا وشمالا) و(يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ على الصراط، قال له ماله: امض فقد أديت حق الله فيَّ، قال: فيجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها ماله بين كتفيه، كلما تكفأ به الصراط قال له ماله لا أديت حق الله فيَّ، فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور).**

* ومن مواقف الخلق على الصراط موقف الزالين والمحبوسين والظالمين، حيث يعرض القصص النبوى صور هؤلاء وهم يتنكبون الصراط ويحاسبون على أعمالهم فى وقت عصيب، فجهنم تحتهم سوداء مظلمة قد لظى سعيرها وعلا لهيبها وقد تعثرت خطواتهم منهم من يحبو، ومنهم من يزحف، ومنهم من يطل يمشى على الصراط مائة عام، ومنهم من يجوزه فى ألف عام، والأمر كما قال القائل:

إذا مُدَّ الصراط على جحيم
تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور
وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطاء
وطال الويل واتصل العويل

جاء فى القصص النبوى(٢٢): (إن على جهنم جسرا أدق من الشعر وأحد من السيف، أعلاه نحو الجنة، دحض مزلة، بجنبيه كلاليب وحسك النار، يحشر الله به من يشاء من عباده، الزالون والزالات يومئذ كثير، والملائكة بجانبيه قيام ينادون اللهم سلم سلم، فمن جاء بالحق جاز، ويعطون النور يومئذ على قدر إيمانهم وأعمالهم، فمنهم من يمضى عليه كلمح البرق، ومنهم من يمضى عليه كمر الريح، ومنهم من يعطى نورا إلى موضع قدميه، ومنهم من يحبو حبوا وتأخذ النار منه بذنوب أصابها وهى تحرق من يشاء الله منهم، على قدر ذنوبهم..) وفى قصة أخرى: (إذا كان يوم القيامة أمر بالوالى، فيوقف على جسر جهنم فيأمر الله الجسر، فينتفض انتفاضة فيزول كل عظم منه من مكانه، ثم يأمر الله العظام فترجع إلى مكانها، ثم يسأله فإن كان لله مطيعا اجتذبه فأعطاه كفلين من الأجر، وإن كان عاصيا خرق به الجسر فهوى إلى جهنم سبعين خريفا) وقال: **(فيجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها، ماله بين كتفيه، كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ألا أديت حق الله فىّ ، فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور) وقال - صلى الله عليه وسلم - فى حكاية أخرى(٢٣): (الزالون على الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء) وعن معاذ بن أنس الجهنى، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من حمى مؤمنا من منافق - أراه قال - بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمنا بشيء يريد شينه حبسه الله - عز وجل - على جسر جهنم حتى يخرج مما قال).**

وجاء فى قصة عن عبد الرحمن حدثنى رجل

**من كندة قال(٢٤) دخلت على عائشة - وبينى وبينها حجاب - فقلت إن فى نفسى حاجة لم أجد أحدا يشفني منها، قالت فمن أنت؟ قلت من كندة، قالت، فمن أى الأجناد أنت؟ قلت: من أهل حمص، قالت: فماذا حاجتك؟ قلت: أحدثك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه يأتى عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة؟ قالت: نعم، لقد سألته عن هذا - وأنا وهو فى شعار واحد - فقال: نعم، حين يوضع الصراط، لا أملك لأحد شيئا، حتى أعلم أين يسلك بى، وحين تبْيضّ وجوه وتسْودّ وجوه حتى أنظر ما يفعل بى، وعند الجسر حين يستحد ويستحر، فقلت: وما يستحد وما يستحر؟** قال: يستحد حتى يكون مثل ثغرة السيف، ويستحر حتى يكون مثل الجمرة، فأما المؤمن فيجيزه لا يضره، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه، فيهوى بيديه إلى قدميه قال: فهل رأيت من يسعى حافيا، فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ من قدميه، فإنها كذلك يهوى بيديه ورأسه إلى قدميه، فتضربه الزبانية بخطاف فى ناصيته وقدمه فتقذفه فى جهنم يهوى فيها مقدار خمسين عاما، قلت: ما ثقل الرجل؟ فقالت: يثقل ثقل عشر خلفات سمان، فيؤمئذ يعرف المجرمون بسيماهم، فيؤخذ بالنواصى والأقدام.

**وهذه قصة نبوية تصور مشاهد جامعة ومفصله لحالة الخلق من بداية الصراط إلى النهاية المحتومة لكل إنسان. قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم(٢٥): (فإذا صار الناس على طرف الصراط، نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار، جوزوا على الصراط، وليقف كل عاص منكم وظالم، فيالها من ساعة! وما أعظم خوفها وما أشد حرها! يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفا مهينا، ويتأخر عنها من كان فى الدنيا عظيما مكينا، ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط،** على قدر أعمالهم فى ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصف الصراط بأمتى نادوا وامحمداه وامحمداه!! فأبادر من شدة اشفاقى عليهم، وجبريل آخذ بحجزتي، فأنادى رافعا صوتي: رب أمتى أمتى! لا أسألك اليوم نفسى، ولا فاطمة ابنتى، والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون: رب سلم سلم، وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار؟ أما خوفتم من عذاب النار؟ أما أنذرتم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبى المختار؟).

**هل هو صراط واحد أو أكثر؟**

**عند الكلام عن السمعيات وعن اليوم الآخر وما فيه، يتوقف الناس جميعا ويتركون القول الفصل للنصوص التى جاءت فى القرآن الكريم، وما قصه الصادق المصدوق محمد - صلى الله عليه وسلم** - وما نراه من خلاف حول السمعيات إنما ذلك راجع إلى ما تعطيه النصوص للمفسرين. ففى ضوء ما جاء فى القرآن والسنة أن الناس جميعا يردون جهنم - أعاذنا الله منها - عن طريق واحد هو الصراط حيث فسر العلماء قول الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها) بمرورهم على الصراط، فينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، ثم يخرج من يخرج من العصاة بشفاعة الشافعين أو برحمة الله تعالى.

**ومن المفسرين والعلماء من يقول إن الصراط لا يمر عليه إلا المؤمنون، برهم وفاجرهم، وذلك واضح في بعض ما قدمناه من القصص النبوى، حيث تعقد الاختبارات والامتحانات للتصفية والتنقية للداخلين إلى الجنة، ومن هنا برزت النصوص بوجود أكثر من صراط.**

* فالقائلون بوجود صراط واحد للخلق جميعا، يعتمدون على نصوص من السنة، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين في تفسير قوله تعالى (وان منكم إلا واردها) قال ابن كثير(٢٦): (قال شعبة أخبرنى عبد الله بن السائب عمن سمع ابن عباس يقرؤها، يعنى الكفار .. **وأنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك قال وهم الظلمة، وقال العوفى عن ابن عباس: يعنى البر والفاجر، وعن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وإن منكم إلا واردها) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم) وعنه أيضا: (يرد الناس جميعا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم..) الحديث. ثم قال ابن كثير: (ذكروا ورد النار فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى يستوى عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم، ثم ينادى مناد: أن امسكى أصحابك، ودعى أصحابى، قال فتخسف بكل ولى لها هى أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم).**

* ويرى القرطبى أن فى الآخرة أكثر من صراط فيقول: (اعلم - رحمك الله - أن فى الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه، ولا يخلص منه **إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد - إن شاء الله - لأنهم عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التى يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه.**

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم(٢٧): (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا) وقد صح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار، يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم).

**والقرطبى ينقل عن بعض أهل العلم أن هناك قناطر قبل الصراط يسأل الناس قبل جوازها وهى سبع قناطر(٢٨): فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصا، والإخلاص قول وعمل جاز، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تاما جاز، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة،** فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامتين جاز، **ثم يسأل**

**فى القنطرة السادسة عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل فى السابعة ـ وليس فى القناطر أصعب منها ـ فيسأل عن ظلامات الناس.**

وعلى ذلك لو أطلقنا لفظ (القنطرة) على الصراط ـ كما جاء فى معاجم اللغة ـ فإنه يكون أكثر من صراط قبل دخول الجنة، فهذه سبع قناطر قبل جواز الصراط يسأل عند كل واحدة، ثم بعد اجتياز الصراط (فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار).

**ويعلق ابن كثير على القنطرة الأخيرة فيقول(٢٩): (هذه بعد مجاوزة النار فقد تكون هذه القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن وهو أعلم).**

ويفهم من كلام القرطبى أن من يحبس على قنطرة بين الجنة والنار، من علم الله أنه لا يدخل النار، وفى قول ابن كثير: **أن القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله، يفهم من ذلك أن الحساب مستمر، وأن الاختبارات والامتحانات بأهوال الآخرة باقية حتى دخول الجنة، فلا أحد يلج الجنة إلا برحمة الله وفضله واحسانه، لما روي عن أنس بن مالك قال:(٣٠) قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا النار بعفوى، وادخلوا الجنة برحمتى، فاقتسموها بفضائل أعمالكم) فمن عفو الله إعانة العبد على جواز الصراط**، ومن اجتاز الصراط نجا من عذاب جهنم، لما جاء في القصص النبوى عن أنس عن ابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال(٣١): (آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشى مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين).

**ـ للحديث صلة ـ**

---

الهوامش :

(١) سورة مريم آية ٧٠ ـ ٧١

(٢) سورة النور آية ٤٠.

(٣) القلم آية ٤٠.

(٣) التذكرة للقرطبى ٣٨٣.

(٥) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٦.

(٦) جـ٣ ص٤١٩.

(٧) ابن كثير: الفتن والملاحم جـ ٢ ص١١٨

(٨) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٦.

(٩) جـ٣ ص١٣٧ والفتن والملاحم جـ٢ ص١٣٢.

(١٠) الفتن والملاحم جـ٢ ص١٣٦.

(١١) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٧.

(١٢) القرطبى: التذكرة ص٣٧٦.

(١٣) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٨ وابن كثير جـ٤ ص٣٠٩.

(١٤) التنبهات السنية على العقيدة الواسطية ص٢٥٠.

(١٥) ابن كثير: الفتن والملاحم جـ٢ ص١١٣ والتذكرة ص٣٧٥.

(١٦) ابن كثير: الفتن والملاحم جـ٢ ص١١٤.

(١٧) التذكرة ص٣٨٥.

(١٨) منتخب كنز العمال ص٧٦.

(١٩) التذكرة ص٣٨٥ وما بعدها.

(٢٠) تفسير ابن كثير جـ٣ ص١٣٣.

(٢١) الفتن والملاحم جـ٢ ص١١٧ ، ١٢٣.

(٢٢) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص٧٦.

(٢٣) التذكرة ص٣٨٤.

(٢٤) الفتن والملاحم جـ٢ ص١٢٤ وتفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٧٥.

(٢٥) القرطبى: التذكرة ص٣٨٥.

(٢٦) جـ٣ ص١٣٢ بتصرف لا يمس النص.

(٢٧) القرطبى التذكرة ص٣٩٢.

(٢٨) المرجع السابق ص٣٨١.

(٢٩) كتاب الفتن والملاحم جـ٢ ص١٣٠.

(٣٠) المرجع السابق جـ٢ ص١٣٠.

(٣١) معارج القبول جـ٢ ص٩٥٤.

# السخرية والهجاء من الدفاع الى العدوان

ارتبطت السخرية بمنطق الدفاع، والنقد، وارتبط الهجاء بالعدوان واعتباطه، في الموروث الادبي. وفي التاريخ الفلسفي المنظور «استخدمها سقراط نهجا في جدله الفلسفي، بل اقحمها في ابواب البلاغة، وعرفها بانها الدلالة على الاشياء باسماء اضدادها(١)» فكانت من جملة اساليبه في تقرير فلسفته، ومناقضة خصمه(٢). وتجلت السخرية في بعض اشعار هوميروس، واريستوفانيس، وادب لوسيليوس(٣). وفي الهند ظهرت السخرية - واضحة - في المسرحيات الشعرية الرقيقة المتأثرة بنظرية (النيرفانا) البوذية(٤).

لكننا نقرأ الهجاء، والسخرية في ادبنا العربي مختلطين وبخاصة في شعر الجاهليين، والامويين حتى ظل هذا الغرض، او الفن الشعري منصبا - في الغالب - على الطعن، والتعريض، الذي تحركه النظرة الذاتية، او العداوة الشخصية، او القبلية. ولكن هذا لا ينفي وجود بعض السخرية النقدية والدفاعية كالتهكم من الجبن، والبخل، والخيانه وغيرها من مذموم الصفات، وقبيح السجايا. ولكن معظمه كان يأتي في سياق الهجاء الفردي، او القبلي. ومن هنا ادرك بعض النقاد الاوائل - مبكرا - هذا الخلل في استخدام هذا الفن الادبي العقلي في الشعر فوضعوا له تنظيرا يوجهه، ويسمو به نحو العفه اللفظية والمعنوية، ويبعده عن الهجر في القول. اذ يروى عن ابي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) انه قال: «خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها(٥). وقال خلف الاحمر (ت١٨٠هـ) «اشد الهجاء اعفه واصدقه»(٦) وقال ايضا: «ان الهجاء ما عف لفظه وصدق معناه»(٧).




بقلم: د. عدنان عبيد العلي
كلية الاداب - جامعة البصرة -


إلا ان التسامي بالهجاء، وربطه بسخرية الدفاع والنقد يعود الى المنهج الاخلاقي الذي استنه الاسلام فأثر في الادب ابلغ الاثر. فظهر - عمليا - في السخرية العقائدية في شعر الاسلاميين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهما، او في شعر الملتزمين من الشعراء بعد ذلك.

بل ان لفظة الهجاء - التي ارتبطت في اذهان الناس جميعهم بالطعن والتشهير - لم يستخدمها القرآن الكريم على الاطلاق، انما استخدم السخرية ومشتقاتها بديلا حتى وردت فيه اثنتي عشرة مرة(٨) غير ان السخرية بالمعنى قد استخدمت في القرآن الكريم اكثر من ذلك.. واما مرادفات السخرية - لفظا - باستثناء تَبَسَّمَ فقد اقترنت - غالبا - بالجهل كالضحك، والهزل، والفكاهة، والهزء(٩). وربما اراد القرآن الكريم بهذا أن يزيل من الاذهان شبح العدوانية التي حملتها عبارة (الهجاء) حتى صار معروفا في الاستخدام الادبي أن الهجاء «صدى للحنق

والموجدة، وان السخرية صدى للنقد، لان هدف الهجاء - بوجه عام - الهدم والتجريح»(١٠).

الا أن بعض الهجاء في فكر بعض الشعراء قد بني على اساس نظري مفاده ان هذا الفن وسيلة دفاع وجزاء ناجحة، او وسيلة اثبات الذات في مجتمع لا يحترم الشاعر، ولا يقدر الا القوى، كما قال دعبل الخزاعي: «وجدت اكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة، ولا يبالي بالشاعر إن كان مجيدا، اذا لم يخف شره»(١١) ومن هذا الهجاء (المفلسف) بعض هجاء ابن الرومي، الذي استطاع فيه أن يسمو بهذا الفن لذروة السخر الرفيع «حتى اجتمعت حياته على نقيضين ثقافة المفكرين النخبة، وولغ الاميين»(١٢). ولكنه استن للهجاء منهجا جماليا جديدا اذ تناول الجزئيات في الفرد، والطبيعة مثلما تناول الكليات(١٣). فلم تقتصر سخريته على الحدود الاخلاقية. انما تحرى فيها عن الغاية، والنهاية للاشياء والانسان نازعاً الى التفسير، والتوضيح، والاستفاضة، والاستطراد(١٤).

وكان المعري كابن الرومي في سخريته حتى اشار ابو العلاء نفسه الى المنحى العقلي عند ابن الرومي في رسالة الغفران قائلا: «أن ابن الرومي كان يتعاطى الفلسفة»(١٥) ولهذا السبب كان لهما رأي واحد في شعر البحتري اذ سخرا منه وعدّاه سطحيا(١٦)، وعابثاً»(١٧).

اما شعر المتنبي - الذي هام به المعري اعجابا وتقديرا(١٨) - فقد حفل بسخرية معروفة، لان ابا الطيب كان شاعرا وحكيما:

يستخشن الخز حين يلبسه
وكان يُبرى بظفره القلم(١٩)

غير ان السخرية التي سبقت المعري «لم تكن عميقة الجذور في الادب العربي، بل كانت ظاهرة موقته، ومحدودة. ولعل هذا هو السبب الذي جعل السخرية تتجمع كلها في نوع جديد هو ما نسميه بسخرية (الرصانة الفاجعة) المتمثلة في ادب ابي العلاء»(٢٠).

---

الهوامش:

(١) المعجم الادبي - د. جبور عبد النور ١٣٨.
(٢) الجاحظ - د. شفيق جبري ١٩٩.
(٣) دليل الناقد الادبي - د. نبيل راغب ١٦٧.
(٤) المرجع السابق ١٧٦.
(٥) العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٧٠/٢.
(٦و٧) المرجع السابق ١٧١/٢.
(٨) جاءت سخرية القرآن الكريم لاغراض الدفاع والجزاء والتقويم ضد من سخر منهم من المنافقين والمشركين والجهلة وغيرهم. انظر الآيات التي وردت فيها لفظة السخرية ومشتقاتها في السور الآتية: التوبة/٧٩ والانعام/١٠ وهود/٣٨ والانبياء/٤١ والحجرات/١١ والبقرة/٢١٢ والصافات/١٢و١٤ والزمر/٥٦ والمؤمنون/١١٠ وص٦٣ والزخرف ٣٢.
(٩) انظر هذه المرادفات في السور الكريمة التالية: (النمل/١٩) وفيها (بسم) الآية الوحيدة في هذه المادة: «فتبسم ضاحكا من قولها» وهزل في (الطارق١٤) وهي ايضا - الآية الوحيدة في هذه المادة التي وصفت القرآن الكريم: «انه لقول فصل وما هو بالهزل» وانظر الضحك في (المؤمنون ١١٠) و(النجم ٦٠) و(الزخرف ٤٧) ،(المطففين ٢٩ و٣١ و٣٤) و(التوبة ٨٢) و(النجم ٤٣) و(عبس ٣٩) و(هود ٧١) وفكه في (الواقعة ٦٥) و(يس ٥٥) و(الدخان ٢٧) و(الطور ٨) وهزل في (الطارق ١٤).
(١٠) الفكاهة في الادب العربي - د. احمد الحوفي ٣٧.
(١١) الاغاني ط الساسي ١٩/١٨.
(١٢) ابن الرومي لايليا حاوي ١٤٧.
(١٣) المتنبي د. علي شلق ١١٢.
(١٤) ابن الرومي لايليا حاوي ١٧٦.
(١٥) رسالة الغفران تحـ بنت الشاطيء ٤٧٦ - ٤٧٧
(١٦) ديوان ابن الرومي ٣٨٣ وانظر ابن الرومي - د. علي شلق ٥٢.
(١٧) انظر شرح المعري لديوان البحتري (عبث الوليد) تحـ ناديا الدولة.
(١٨) شرح المعري ديوان المتنبي وسماه (معجز احمد) اي معجز في الشعر.
(١٩) ديوان المتنبي بشرح العكبري ٥٩/٤.
(٢٠) مقدمة للشعر العربي لادونيس ٤١.

دراسات نقدية

# أهمية « زينب » في رواية التأسيس

بقلم: د. محمد الباردي
كلية الآداب - تونس -

لا أحد يشك في أهمية رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل، وهي لا تكتسب أهميتها في ذاتها - في شكلها الفني فقط، بل بصفة أخص، باعتبارها نقلة نوعية في الرواية العربية الناشئة، وقد عدها بعض النقاد الرواية العربية الأولى تجاوزا وعدها البعض الآخر الرواية الفنية التأسيسية لأنها خرجت بأسلوبها وهدفها عن رواية التعليم ورواية الترفيه، ومهما يكن الأمر فإنها تظل إلى حدّ الآن محل إجماع على أنها محطة بارزة في تاريخ الرواية العربية الحديثة.

ولسائل أن يسأل فيم تتمثل - فنيا - أهمية هذه الرواية؟ وما الإضافة النوعية التي قدمتها؟

رواية التحليل وغياب المثالية الأخلاقية:

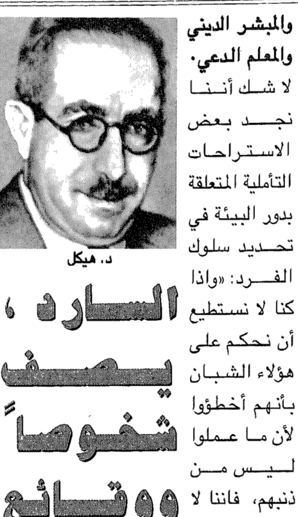
عندما ظهرت رواية زينب إلى الناس سنة ١٩١٤ كان العالم كله يتأهب لحرب ضروس ستترك آثارها على الحضارة الانسانية ولا سيما الثقافة الأوروبية فكرا وإبداعا، ولكن ظهور هذه الرواية كان ظهورا محتشما. فكيف لهذا المحامي الشاب من الطبقة الوسطى أن يكون روائيا يضع اسمه على غلاف نصه؟ وهكذا كانت « زينب » في طبعتها الأولى رواية بدون روائي مصرّح به، فهذا المصرى الفلاح الذى وسم غلاف الطبعة الأولى كان تأكيدا على الشخصية المصرية واعتزازا بها ولكنه في الوقت ذاته كان علامة على أن الرواية في الأدب العربي الحديث وفي مصر بصفة خاصة لم تكتسب بعد شرعيتها جنسا أدبيا معترفا به، ومع ذلك فالرواية ظهرت مكتملة أو هي إلى الاكتمال أقرب، وقد استعمل بعض النقاد مصطلح «فنية» كصفة تنسب إلى هذه الرواية لتميزها عن الرصيد السردى الذى تراكم في الأدب العربي إلى حدود

سنة ١٩١٤ وللإشارة إلى توفر العناصر الإبداعية التي تجعل من هذا الأثر رواية بالمعنى الدقيق للكلمة.

**لقد كتبت زينب في ظروف مغايرة تماما. لقد كان محمد حسين هيكل بعيدا عن وطنه عندما مارس تجربته الابداعية الأولى، يعاوده هذا الحنين الجارف الى مصر «ولعل الحنين وحده هو الذى دفع بي لكتابة هذه القصة ولولا هذا الحنين ما خط قلمي فيها حرفا... كنت ما أفتأ أعيد أمام نفسي ذكرى ما خلفت في مصر مما لا تقع عيني هناك على مثله فيعاودني للوطن حنين فيه عذوبة لذاعة لا تخلو من حنان ولا تخلو من لوعة(١)»، ولكنه صاغ هذا النص وهو على عميق اتصال بالأدب الفرنسي .. «كنت ولوعا يومئذ بالأدب الفرنسي أشد ولع.. رأيت سلاسة وسهولة وسيْلا، ورأيت مع هذا كله قصدا ودقة في التعبير والوصف وبساطة في العبارة لا تواتي الا الذين يحبون ما يرون التعبير عنه أكثر من حبهم ألفاظ عبارتهم(٢).**

فهل يعني أن رواية «زينب» كانت الثمرة الأولى اليانعة للاتصال المباشر بالأدب الفرنسي بالرواية البلزاكية خاصة كما يقول يحيي حقي(٣)؟.

**تتجلى روائية هذا النص الابداعي أولا في تقلص تلك الغائية الوظيفية، فالخطاب السردى يقول، يروى ويصف ولكنه لا يدعي الاضطلاع بمهمة المصلح الاجتماعي والمبشر الديني والمعلم الدعي.**



د. هيكل

## السارد، يصف شخوصاً ووقائع فى اطار زماني ومكاني

لا شك أننا نجد بعض الاسترواحات التأملية المتعلقة بدور البيئة في تحديد سلوك الفرد: «واذا كنا لا نستطيع أن نحكم على هؤلاء الشبان بأنهم أخطؤوا لأن ما عملوا ليس من ذنبهم، فاننا لا نستطيع أن نحسد حامدا الا أنه بلغ من الشر أقله»(٤) أو بالزواج المبكر ومشكلاته والعائلة عموما «هل تحسب الشاب الذى يشغل نفسه بكبير الأمر وهو في السادسة عشرة من عمره الا عجوزا في العشرين! فاذا ما جاءته زوجة طفلة لا تعرف من الوجود الا حيطان دارها، لم يكن بينهما من الصلة الا

# نمط الشخصية الاشكالية أبعد الرواية عن النزعة المثالية الخرافية في بناء الحدث الروائي

ما تقضي به رغبة التناسل» العائلة العائلة، لو تحقق معناها للمسنا السعادة بأيدينا ورتعنا في سعة منها كل أيامنا ولكن وأأسفا فأنى هي؟(٥) .. **أو وضعية المرأة من خلال تلك الرسائل التي كتبتها عزيزة وأرسلتها إلى حامد(٦) مما يؤكد أثر آراء قاسم أمين من خلال كتابيه «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» بيد أن هذه الوقفات التأملية قليلة وقصيرة إذا ما قورنت بما كتبه السوريون قبل صدور هذه الرواية والأهم من ذلك أنها لا توجه الخطاب السردى وحبكة الرواية وجهة أخلاقية وعظيّة، أذ أن السارد سرعان ما ينتبه إلى الوظيفة الأساسية المخصوصة وهي أنه سارد، يصف شخوصا وإطارا زمانيا ومكانيا ويروى وقائع وأحداثا متصلة بهؤلاء الشخوص وذاك الاطار الزماني والمكاني. فهو أساسا وصاف ومسجل ولذلك عرّف الكاتب روايته بأنها «مناظر وأخلاق ريفية».**

تتميز هذه الرواية بحضور مكثف للسارد، فيقل الحوار أو يكاد يزول ويتقاطع الوصف بمعناه الواسع مع سرد الوقائع والأحداث تقاطعا منتظما، ويتسم الوصف بنزعة تحليلية واضحة مما يؤكد أن العالم الذى يصفه هو عالم واقعي وأن الأحداث التي يرويها هي أحداث تتنزل في واقع أرضي تتحكم فيه معطيات اجتماعية وتلعب فيه الغرائز البشرية دورا هاما وأنه في نهاية الأمر عالم مُشخَّص، فهو عالم مروي محكي وراءه سارد يتحكم في فصول الرواية وفي شخوصها يقدم ويؤخر، يسرع ويبطىء ولا سلطان له أو عليه الا سلطان الحكي.

*** الموضوعية والعقلانية:**

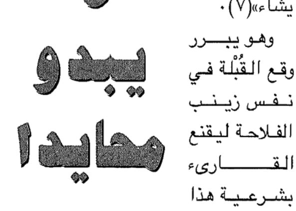
**إذا تأملنا في الوظائف السردية الأساسية التي عليها تتبني حبكة الرواية نلاحظ أنها منظمة تنظيما منطقيا عقلانيا لا يخلو من موضوعية، فالسارد يوزع وظيفته السردية توزيعا يكاد يكون عادلا بين شبكتين من العلاقات محورهما**

**شخصيتان بارزتان هما زينب وعزيزة وبين الشبكتين مفارقة واضحة تقوم أساسا على العامل الاجتماعى المحدد، فزينب فلاحة فقيرة تعيش في الريف وعزيزة فتاة أرستقراطية غنية تعيش في المدينة ولكل شخصية نسائية علاقات بشخوص من طبقتها الاجتماعية وبيئتها يتّبعون المسار ذاته، فالأولى تحب ابن عمها ولكنها ترغم على الزواج برجل من طبقتها كذلك ولكنها لا تحبه** ـ والثانية تحب رجلا من طبقتها أيضا ـ ابراهيم ـ ولكنها كذلك تجبر على الزواج من حسن، وهو رجل من وسطها الاجتماعي ولا يختلف عن ظروفها العائلية ولكنها لا تبادله الحب، لكن الشبكتين السرديتين تتقاطعان عبر شخصية بارزة في الرواية وهي شخصية حامد الذى أحب الفتاتين وأعجب بهما معا رغم تباين انتمائهما الاجتماعي **ولكنه لم يفلح في الزواج من هذه أو من تلك ويبدو السارد بين هاتين الشبكتين وبين هؤلاء الشخوص كائنا محايدا لا يغلب شخصية على أخرى ولا يطمس ملامح هذه ليبرز سمات تلك، إذ يلتجىء إلى التفسير والتبرير ليقنع القارىء بتصرفات الشخصية وسلوكها وموقفها وعلى هذا الأساس تهيمن النزعة العقلية المنطقية في بناء الفعل السردى، فيكاد لا يمر حدث جديد دون أن يتدخل السارد ليبرره،** فمنذ الصفحات الأولى للرواية حدد السارد بعض السمات التي كان يتصف بها حامد، فقد كان مختلفا عن إخوته بميله إلى البقاء في البلد وعندئذ يتدخل السارد مفسرا ومبررا: «والسبب في ذلك راجع إلى تربيته الأولى حين كان والده متفرغا له، جاعلا اياه شغله متخذا منه العوية يقلب فيها كما يشاء»(٧).

وهو يبرر وقع القُبْلة في نفس زينب الفلاحة ليقنع القارىء بشرعية هذا الحدث في بيئة ريفية لا يقبل فيها الناموس الاجتماعى مثل هذا السلوك، فيلتجيء إلى ضرب من تحليل النفس البشرية وميلها إلى الفطرة يقول مثلا: «ومهما تكن هاته النفوس الفلاحة تهتز عند ذكر كلمة العرض، فان النفس

يحي حقي

## السارد بين شخوصه يبدو محايدا



الانسانية وما رُكّب فيها بالفطرة من حب تخليد النوع أقوى كثيرا من العقائد العامة، ما دام عملها لم يخرج بعد إلى الظهور ليكون موضع حكم الناس عليه. **فما دام الواحد مع نفسه يحذقها وينظر الى آمالها ورغائبها، فهي تطلب دائما ما تدفعها الطبيعة لطلبه، تطلب الطعام ساعة الجوع والماء ساعة العطش وهلم جرا، فاذا جاءت اللحظة التي يقضي بها الواحد فيها رغائبه رجع إلى تقدير آخر غير تقديره الخاص، فلم يبح لنفسه الا ما يسمح له به الوسط الذى يعيش فيه، ولهذا كان الانسان في نفاق دائم يزيد مقداره وينقص بمقدار الحرية التي يهبها الوسط لاقناع غاياته وأغراضه»**(٨) وعلى هذا النحو يمضي في تبرير الحدث وتفسيره. وهو بذلك يمنح العامل الاجتماعي ممثلا في البيئة والوسط والعامل النفسي مجسدا في الغريزة البشرية، شرعية تحديد سلوك الشخصية الروائية وتصرفاتها، فالشخصية المركزية في الرواية - شخصية حامد - لم توفق في تحقيق مأربها في الزواج والسعادة مع المرأة التي يحبها سواء أكانت عزيزة أم زينب ذاتها وهي في مصيرها هذا محكومة بعاملي العائلة والوسط أو البيئة، فالسارد على لسان شخصية حامد، يطلق العنان مستطردا ليحلل دور الوسط الاجتماعي والعائلة في تحديد سلوك الفرد ومصيره تحليلا **لا يخلو من نقد عنيف لمؤسسة العائلة: «هدم العائلة! وما العائلة؟ وما معناها؟ ألا أستطيع أن أتزوج اليوم وأطلق بعد شهر، ثم أتزوج أخرى وأخرى ويولد لي من جميع زوجاتي أولاد؟ فما هي العائلة التي بنيت والتي يخشى أن تهدم؟ كما أني لو شئت أن أقيم عائلة فليس بضائرى شيئا أن تكون شريكتي في إقامتها فلاحة عاملة»**(٩).

بيد أن هذا البناء العقلي للأحداث السردية يتجلى في مظاهر أخرى، فالأحداث يغير بعضها البعض، فحالة زينب وهي تشعر بالخوف إزاء ما يشاع عن امكانية زواجها من حسن يعقبها فصل طويل يخصصه السارد للحديث عن علاقة حسن وفكرة الزواج التي تراوده وذكرها لزينب - وهكذا يتضح أن الجديد في هذه الرواية، غياب المفاجأة والصدفة.

**فالأحداث تهيؤها الظروف وأعمال الشخوص تحددها طبائعهم وسلوكهم، والصدفة ليست عقلية، بل تنفي المنطق والتتابع العلمى للأحداث في حين أن البناء العقلي يؤكد أن للأحداث دائما مبرراتها وسوابقها ولواحقها.** وقد التجأ السارد ليدعم هذا البناء العقلي إلى توازن واضح بين السرد الحدثي والاستراحات الوصفية والتأملية، وهي استراحات طويلة في غالب الأحيان تسعى إلى التخفيف من وتيرة الأحداث وسرعتها وترك المجال للوصف الخارجي والاستبطان النفسي والتأملات

الفكرية وقد تركز الوصف الخارجى على وصف الطبيعة في الريف في ضرب من الغنائية قد تطول أحيانا مما اعتبره بعض النقاد من العيوب السردية التي وقعت فيها هذه الرواية الناشئة: «**وقد أبدعت الطبيعة في زينب وأعطتها بذلك تاجا معرّفا به في كل صويحباتها، فاذا ساقك الحظ أيام الصيف وخرجت في ليل غاب بدره وتألقت نجومه فخفقت من سواد الليل وإن لم تقدر على تبديد ظلمته أو كنت أسعد حظا واتخذك القمر رفيقا فأدلجت بين تلك السطوحات الزراعية الكبيرة. لم يكن لك بعد نقطة معينة الا أن تسير في طريق لا تعرف سببا لسيرك فيه، وتندفع مجنوبا بقوة لا قبل لك على مقاومتها(١٠)٠٠**» في حين يميل الاستبطان النفسي إلى تحليل المشاعر والأحاسيس «جلست في مكانها زمنا ليس بالقصير وذهبت بأحلامها الى مستقبل لمست بيدها سواده: أحلام داهمة لا تفسير لها، حلّت من نفسها مكان العقيدة لا تعرف لها معنى ولا سببا ولكنها تؤمن بها ولا يداخلها فيها الشك ولا الريب، تؤمن بالسوء تحمله معها الأيام الآتية ايمانها بالنار وعذابها وكأنما دار ذلك الزوج الذى يريدون لها قبر تحتله زبانية الجحيم وكلهم ينتظرها بعيون براقة يقدّها خط من النار ذات اللهب»(١١).

أما تلك التأملات العقلية فهي كثيرا ما تتعلق بمؤسسة الزواج ودورها في تخليد النوع البشرى وعلاقتها بموضوع الحب الذى يجب أن يصل بين الرجل والمرأة وهي كثيرا ما تطول في الرواية وغايتها الأساسية تبرير سلوك الشخصية وبعض مواقفها تجاه الشخصيات الأخرى كهذا المثال الذى نذكره: «الكون عجلة تدور لا ندرى أين أولها وكل نقطة في المحيط ليست الا جزءا تكميليا في هذه العجلة، **كذلك ليس الجيل الحاضر الا تكميليا في محيط الكون الأزلي الخالد لا نعرف متى ابتدأ ولا نتصور كيف ينتهي، من أجل الوصول الى هذا الخلود ركبت في طبيعة الانسان**، كما ركبت في طبيعة كل

توفيق الحكيم

# النزعة العقلية المنطقية تهيمن في بناء الفعل السردى

حيوان آخر، بل في أصل كل موجود، عملية التــوالد... **وإذا كــان هذا الشكل لا يساعد على نماء الحب المتين المتبادل بين رجل وامرأة فانه كان يسد حاجة الاغلبية ذات الحب المستقل، ولولا ما بهذه الطريقة من الخسف بحق المرأة لقلت إنها أقرب الطرق للطبيعة والحق في آن واحد، أمّا اليوم ـ مع ما يدعي الناس من الاصلاح ـ فليست الحالة أقل بلاء إن لم تكن أشد ضررا، شاب يُزوّج من فتاة لا يعرفها ولا تعرفه ليعيشا معا طول الحياة»(١٢).**

والسارد يسعى إلى المحافظة على التوازن بين شخصية وأخرى في ضرب من الموازاة يسعى إلى تحقيقه عبر تطور الحبكة. فهو مثلا يصف مشاعر شخصية في الرواية في علاقتها بشخصية أخرى، ثم ينتقل مباشرة إلى الحديث عن أحاسيس الشخصية الثانية في علاقتها بالشخصية الاولى، **فعلى سبيل المثال، يبرز السارد حامدا وهو يفكر في عزيزة: وحامد يفكر كيف يتسنى له أن يكون إلى جانب عزيزة وليس عليهما من رقيب وأن يبثها ما في نفسه ليسمع منها أنها تحبه؟ يريد أن يسمع تلك الكلمة من فمها، فهل لذلك سبيل؟ واستولى ذلك على كل جوارحه وملك كل عواطفه حتى جعله ينظر لأهله المحيطين بها نظرة الغضاضة»(١٤).**

ويمتد هذا المقطع السردى الاستبطاني على صفحات أربع ثم يليه مباشرة مقطع سردى تكون عزيزة محوره وفيه يقيم السارد توازنا بين المقطعين والحالتين فعزيزة هي أيضا كانت به منشغلة وتساورها المشاعر ذاتها: «وكيف لا تكون هي الأخرى منشغلة النفس، مشتتة البال، وهي في تلك السن الزاهرة، سن الشباب والنضارة تلك السن التي لا يستطيع الانسان فيها أن يمنع عن نفسه خواطر الحب وهواجس العشق»(١٥).

**إن رواية «زينب» إذن قطعت مع تلك الاستطرادات الفجة التي لا وظيفة لها في روايات كثيرة سابقة وتخلت عن أسلوب المفاجأة والصدفة واختارت أن تكون الأحداث في حجمها الطبيعي عندما شخصت اليومي والعادى من حياة الناس. إن حياة الفلاحين اليومية بين الحقول ودورهم، في ضنكهم ويسرهم وسعادتهم وحزنهم هي نسيج هذه اللوحة السردية التي رسمها السارد في ضرب من الحيادية** حينا عندما يقيم هذه التوازنات التي إليها أشرنا وفي شيء كثير من الذاتية كلما أوغل في غنائية مثيرة وشفافة وهو يصف الضيعة والمشاعر والأحاسيس، ومع ذلك فإن رواية «زينب» تتميز عما كتب سابقا بهذه الهندسة العجيبة في بناء الأحداث وتحديد العلاقات القائمة بين الشخصيات رغم بعض الهنات القليلة التي تبدو أحيانا. فعلاقة حامد بزينب **وقد اتضح فيما بعد أنه كان يحبها ويصفها في علاقة موازية مع**

**ابنة عمه عزيزة لا تبدو واضحة في الفصول الأولى من الرواية. فهو يلتقي بها أحيانا ويقبلها مرة لكن القارىء لا يدرك حقيقة العلاقة التي تشدهما إلى بعضهما البعض ولا يدرك خاصة مشاعر زينب تجاه حامد وهل تبادله الحب بدورها، في حين أن السارد ركز على علاقتها بابراهيم الرجل الذى أحبته.**

*** الشخصية الاشكالية :**

بيد أن الأهم من هذا وذاك في هذه الرواية هو نمط الشخصية الروائية التي رسم ملامحها محمد حسين هيكل وهو نمط سيحدد مسار الرواية الحديثة في مصر خاصة طيلة العقود التالية. إن هذا النمط هو نمط الشخصية الاشكالية الذي يبعد هذه الرواية عن تلك النزعة المثالية الخرافية في بناء الحدث الروائي **ويجعل قدمها تطأ الأرض الصلبة والموضوع ذاته يثير إشكالا يتعلق بالشخصية المركزية في هذه الرواية، فمن بطل الرواية أهو زينب التي منحت الرواية اسمها لكي يكون لها عنوانا أم هو في حقيقة الامر حامد؟ فهي تبدأ بالحديث عن زينب وهي تستيقظ من نومها! «في هاته الساعة كانت زينب تتمطى في مرقدها، وترسل في الجو الساكن الهادىء تنهدات القائم من نومه»(١٦)..** وينهى السارد حكايته بالحديث عن غفوة زينب المفاجأة في عالم الأموات «وفي وسط الليل أقفلت عينيها وراحت إلى أعماق سكونها، وارتفع صراخ العجوزين يعلن في الفضاء موتها»(١٧) فهل يكفي هذا لنؤكد أن بطلة الرواية هي زينب؟.

يؤكد سبْكُ الأحداث ومقتضيات الحبكة أن حامدا هو بطل الرواية، فقد أشرنا في هذا التحليل إلى أن حامدا هو الشخصية الأساسية التي تجمع بين الشبكتين السرديتين التي عليها تقوم الحبكة في هذه الرواية. ثم إن أبعاد الشخصية في حد ذاتها وعمقها الفكرى والاجتماعي يجعلها في هذه الرواية تحتل المكانة الأولى.

إن شخصية حامد هي شخصية إشكالية بالمعنى الذى حدده لوكاش للكلمة،

## غياب المفاجأة والصدفة هو الجديد فى هذه الرواية

فهو شاب مثقف من عائلة غنية أرستقراطية، لكنه في سلوكه الاجتماعي وأفكاره، يسعى إلى التحرر من طبقته لكي يتصل بالفلاحين ويعيش معهم حياتهم، وهو رغم التقاليد الاجتماعية التي تحدد علاقة الرجل بالمرأة، يترك لفطرته وغرائزه الطبيعية - في حدود - المجال لتعبر عن ذاته، **ولكنه يدرك صعوبة مثل هذا السلوك والتصرف، ويقدر ما كان يجد من سعادة وهو بين الحقول والفلاحين، يشعر بهذا الضيق والتكلف الاجتماعي الجاد بين أفراد عائلته الأرستقراطية، ولكنه لا يستطيع أن يتحرر منها ولا يستطيع أن يتخلى عن ذاته المنتمية إلى طبقة اجتماعية مالكة رغم السعادة التي كان يشعر بها وهو بين الفلاحين ومسارب الريف. وهكذا يجد البطل نفسه في مأزق وعليه أن يختار.** لقد جسدت حبكة الرواية هذا المأزق من خلال علاقة حامد بالفتاتين: عزيزة وزينب ، إنهما المقابلة الاجتماعية الحادة ولكن البطل يحب الفتاتين، فهو يعترف بحبه هذا لوالده في رسالة تركها له عندما تزوجت عزيزة خضوعا لطقوس العائلة رجلا لا تحبه وتزوجت زينب - هي أيضا - احتراما لإرادة الأسرة، رجلا لا تبادله الحب رغم حبها لابراهيم.

**لقد أحب حامد زينب: «إن حياتي مستحيلة إذا لم أحس بها بين يديّ كفى خيالاتي وآمالى الماضية التي لم أخرج منها بشيء ولابد أن أعمل جهدى لمقابلتها ثم أمسكها وأضمها الي وآخذها لنفسي، ما دمت أحبها وهي تحبني فأنا لها وهي لي»(١٨)** ولكنه يحب أيضا عزيزة «إن شئت أنت نسياني فما أنا لأنساك ما بقيت. أنت عندى كل الوجود ومحال أن ينسى الانسان كل الوجود»(١٩) وهو بين هذه وتلك يعيش حالة عنيفة من التمزق يشوبها إحساس بالاضطراب والقلق ولكنه لا يدرك سبب هذا الاضطراب وذاك القلق فهو لم يسائل نفسه اليوم عن سبب قلقها، بل كل ما أراد أن يعرف هو الطريقة التي يكفر بها عما سلف.. أيصلي؟»(٢٠).

**وهكذا تصبح رواية زينب رواية البحث عن الحب المفقود والرواية في حد ذاتها كجنس أدبي متميز: هي بحث لا ينتهي «فالسير في الطريق ابتدأ والرحلة انتهت»(٢١) يختزل السارد جوهر الإشكالية التي عاشها بطله قائلا: «انه قضى سنته الأخيرة بين آمال وأحلام كاذبة مشوبة بأطماع أخرى بمثله أن يكون أكبر منها، وهل انسان يبلغ به الأمر أن يكون أكبر غاياته مقابلة فتاة أو الجلوس إليها ومحادثتها لأنها أعجبته الا انسان صغير النفس والعقل معا؟ وأدهى من هذا وأمر أنه يتنقل كل يوم من واحدة لصاحبتها وينسى الأولى** لمرأى الأخرى، فاذا غابت رجع اليها وان رأى غيرها من بنات جنسها هان عليه أن يرتمي في أحضانها

ويسلم وجوده اليها»(٢٢).

**إن مآل كلّ شخصية إشكالية الجنون أو الانتحار أو التعبير عنهما بشكل من الأشكال وككل شخصية إشكالية عميقة الأبعاد، تنتهي رحلة حامد - بطل رواية زينب - بالمآل نفسه تقريبا فقد هجر حامد أسرته وقد عجز عن إيجاد مخرج لاشكاليته، إذ لم يكن قادرا على التجاوز وعلى مواصلة الرحلة، فهام في مكان لا يحدده السارد، وهو هيام أقرب إلى الجنون» ولكن أنى لأب أن يتعزى بكلمته هذه عن ولده، بل لقد زادته أسى على أساه وسجنا على سجنه، ولو علم أن ابنه ترك الحياة لاغراه اليأس واليأس احد الراحتين، ولكنه يعلم أن حامدا بين الأحياء هائم لا صديق له يكدّ لمعيشته. ولا شيء أشد على نفس والده من هذا»(٢٣).**

لقد كان إذن، محمد حسين هيكل على وعي عميق، بطبيعة الشخصية الروائية وبمفهومها، وقد وضع - من خلال شخصية حامد - الملامح الأولى للشخصية الاشكالية في الرواية العربية مما أكسب روايته أهمية خاصة تجعل منها مصدرا أساسيا للرواية العربية الحديثة وبذلك فتح المجال أمام الكتّاب المصريين خاصة ليكتبوا رواية بمعناها الدقيق هي رواية الشخصية الاشكالية ويكفي أن نشير إلى بعض الأعمال الهامة: أديب لطه حسين، عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم وغيرهما وهي أعمال تلونت فيها الاشكاليات المطروحة بثقافة مؤلفيها وتجاربهم الاجتماعية والشخصية، ولكن طبيعة الشخصية واحدة وهي الشخصية الإشكالية.

**الهندسة العجيبة في بناء الأحداث وتحديد العلاقات من مميزات هذه الرواية**

---

الهوامش :

(١و٢) زينب، دار المعارف، د ت، ص١٠.

(٣) يقول: قصة (زينب) ثمرة قراءة بول بورجيه وهنرى بوردو - ولا أقول أميل زولا - في استطراد السرد وقلة الحفاوة بالحوار واقامة القصة على عمود الحب والدوران حوله، فجر القصة المصرية، ص٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

(٤) زينب ، ص٣٠.

(٥) المصدر المذكور، ص ١٣٠.

(٦) أنظر زينب ، ص ١٨٢ - ١٩٣. (٧) أنظر زينب ، ص ٢٤ - ٢٥. (٨) زينب ، ص ٣٣.

(٩) زينب ، ص٢٦٢. (١٠) زينب ، ص١٨. (١١) زينب ، ص٦٠. (١٢) زينب ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(١٣) زينب ، ص٦٠. (١٤) زينب ، ص ١٠٠. (١٥) المصدر ذاته، ص١٠٤. (١٦) زينب ، ص١٣.

(١٧) زينب ، ص٣١٠. (١٨) زينب ، ص٢٣٤. (١٩) زينب ، ص٢٠١. (٢٠) زينب ، ص٢٣٩.

(٢١) راجع عبارة جورج لوكاش من كتابه «نظرية الرواية».

(٢٢) زينب، ص ٢٣٦ - ٢٣٧. (٢٣) زينب ، ص٢٦٦

أدب :

# فن التشخيص في شعر نجيب الكيلاني



بقلم: أ٠د٠ جابر قميحة
جامعة الملك فهد - الظهران -

نجيب الكيلاني (١٩٣١ - ١٩٩٥) يعد رائدا من أكبر رواد الأدب الإسلامي، وقد رصد حياته المفعمة بالعطاء لخدمة الإسلام والقيم الإنسانية والفنية بالكلمة في شكل رواية وقصة قصيرة وقصيدة شعرية٠ وقد ترك للمكتبة العربية والإسلامية ما يقرب من مائة كتاب ما بين كتب علمية طبية، وروايات طويلة ومجموعات قصصية، ودراسات وتنظيرات في الأدب الإسلامي وتراجم غيرية ككتابه عن أحمد شوقى، و محمد إقبال٠ومن أهم عطاءاته ترجمته الذاتية التي كتبها في خمسة أجزاء بعنوان «لمحات من حياتي» ولم تمكنه المنية من كتابة الجزء السادس الذى يغطى الفترة الزمنية التي قضاها في الخليج٠

والنقاد والدارسون يوجهون اهتمامهم الأكبر إلى إنتاج الكيلاني القصصي والروائي ودراساته النقدية، ويغفلون إنتاجه الشعري - وهو كثير - بل إنه استهل حياته الأدبية شاعرا، وطبع أول ديوان له سنة ١٩٥٠، وهو طالب بالمرحلة الثانوية، وسماه (نحو العلا)، وبعض قصائده نشر قبل ذلك بعام كقصيدة (النور بين أيادينا) ص٥١٠

ثم صدر له بعد ذلك خمسة دواوين هي: أغاني الغرباء - عصر الشهداء - كيف ألقاك؟ - مدينة الكبائر - مهاجر٠٠٠ وفي تضاعيف هذه الدواوين نلتقى بعدد كبير من القصص الشعرية والقصائد القصصية، كما نجد لنزعته القصصية بصمات واضحة على كثير من قصائده الغنائية٠ وقد استخدم الكيلاني بنجاح كبير في قصصه الشعري كثيرا من الآليات الدرامية الحديثة، مثل التشخيص والحوار والارتداد Flash Back واللقطات المقتطعة Cut Away ٠٠ وغير ذلك٠ وفي السطور الآتية سنحصر حديثنا في آلية واحدة من هذه

الآليات، وهى (التشخيص) في شعره بعامة وفى شعره القصصي بصفة خاصة، ومن المعروف في مجال الأحكام النقدية أن القصة معرض لأشخاص جدد يقابلهم القارىء ليتعرف عليهم، ويتفهم دورهم، ويحدد موقفهم ومن هنا تأتي أهمية التشخيص Characterization(١).

**والشخصية التي يرسمها الأديب - شاعرا كان أو ناثرا - يجب أن يكون لها كيانها المميز، وطابعها الخاص المستقل عن شخصية الأديب، وإن كانت روحه تنعكس على هذه السمات، كما يجب أن يكون لها وجودها الإيجابي في القصة، بمعنى أن يؤمن القارىء أن وجود هذه الشخصية كان ضرورة من ضرورات العمل الفني، فالعقل لا يستسيغ أن تكون الشخصية محسوبة بلا مبرر على القصة، ولا يستسيغ أن تكون الشخصية مجرد كائن يردد كلمات رتيبة(٢).**

والشخصية في القصة لها أعماقها وأبعادها التي تتمثل في :

١ - الجانب الخارجى أو البراني، ويشمل الصورة الحسية، والمظهر العام، والسلوك الظاهري للشخصية.

٢ - الجانب الداخلي - أو الجواني - ويشمل الملامح والأحوال النفسية والفكرية.

٣ - الجانب الاجتماعي: ويشمل المركز الذى تشغله الشخصية في المجتمع، وظروفها الاجتماعية بوجه عام(٣).

وهذا التقسيم لا يعني أن هذه الأبعاد منفصلة، أو متباعدة: لأن الجانب الخارجى إنما هو مرآة ينعكس عليها العمق الداخلي، والشخصية ببعديها الخارجي والداخلي يكون لها دائما مركزها واتصالها بدائرة المجتمع العام، والشخصية مهما كانت موغلة في الانعزالية لا يمكن أن تنفصل تماما عن هذه الدائرة، بل يبقى لها اتصال بها على نحو من الأنحاء.

السياب

**شخصية الشيخ في أعمال الكيلاني تمثل المرجعية الخلقية والسلوكيه والعقلية والروحية**

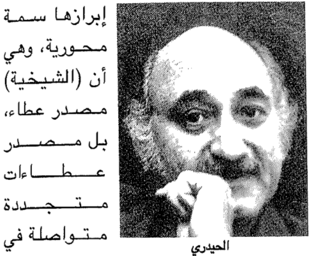
وحتى نتبين منهج الكيلاني في التشخيص، ومدى قدراته وتوفيقاته في هذا الفن نقدم - فيما يأتي نماذج لبعض الشخصيات التي عالجها في شعره

القصصي وقصصه الشعري.

**وربما كانت أهم شخصية نلتقي بها في شعر نجيب الكيلاني وقصصه الشعري. في دواوينه الخمسة «شخصية الشيخ» بل إن شخصية «الشيخ» تشغل مساحة واسعة جدا من حياة نجيب الكيلانى وأدبه: النثري والشعري، فهو يعترف في كتاباته بعمق أثر «الشيوخ» أى علماء الدين في حياته، وكيف كان لتوجيهاتهم آثار طيبة مثمرة في توجيه مسيرته ومن هؤلاء: الشيخ محمود المداح(٤) والشيخ سيد الوكيل(٥)**، والشيخ محمود شاهين الذي تزوج نجيب ابنته كريمة(٦)، زيادة على الشيوخ الذين التقى بهم وأخذ منهم في حقل العمل الإسلامي.

وقد كتب نجيب عددا من المقالات على لسان الشيخ جمعها بعد ذلك في كتابه تحت راية الإسلام(٧). ونرى شخصية الشيخ قاسما مشتركا في عدد من قصائد الكيلاني، وله قصيدة بعنوان (يقول شيخى)(٨)، **ولا شك أن إسناد القول إلى الشيخ يكفل للمضامين الاحترام والتبجيل والاستجابة، لأن «الشيخية» هنا، وكما قصد نجيب ـ لا تمثل مرحلة سنيَّة متقدمه، ولكنها تمثل قيمة عقلية وروحية وخلقية، وسلوكية في صورتها المثالية، ويبقى لها عبقها الروحي في مدلولها الديني، وكذلك عبقها التاريخي في مدلولها التراثي، ومدلولها الاجتماعي العرفي في حضورها الآني.**

وبصفة عامة تلتقي المدلولات كلها في



الحيدري

# «لقد أصبحت الكلمة خاضعة لقوانين التجنيد الاجباري»

إبرازها سمة محورية، وهي أن (الشيخية) مصدر عطاء، بل مصدر عطاءات متجددة متواصلة في جانبيها النظري والعملي، وتتسع للتراسل القيمى بين الشيخ وتلاميذه.

**والكيلاني الذي عاش سني حياته للعمل المخلص، والجهاد بالكلمة الصادقة ظل مخلصا وفيا «لشيخه». وفي قصيدة (يقول شيخى) يجعل من العنوان عبارة محورية، تطل منها عدة مرات:**

يقول شيخى وقد فاض الهوان به
قد ضل سعيُ الحيارى واختفى الأثر
يقول شيخى وقد سالت مدامعه..

وللكيلاني قصيدة كاملة أخرى بعنوان (قال شيخى)(٩).

**وفي أكثر من خمس قصائد أخرى نجد للشيخ حضورا قويا وإيحاء بالغا. ويقدم نجيب شيخه ذات علم فائق، ووعي ناضج، وقدرة عالية على النقد والتقييم في مجال السياسة والمجتمع، فهو يقول عن الصحف مثلا(١٠):**

والصُّحفُ أمستْ على الأعتاب جاثية
والكاتبون فنون الرِّق قد نشروا

ويلتقى الكيلاني الشاعر مع الكيلاني الكاتب، فيقول على لسان الشيخ «لقد أصبحت الكلمات على أيامنا سلعة استهلاكية واسعة الانتشار.. أجل أصبحت الكلمة خاضعة لقوانين التجنيد الإجبارى»(١١).

ويقول نجيب على لسان الشيخ شعرا(١٢):

اليأس كفر فلا ترضخ لسطوته..
وجنة الله خصت للألى صبروا

ويقول على لسان الشيخ نثرا:

« ... لو كنت مؤمنا حقا لما سوَّد اليأسُ نظرتك..»(١٣)

**والشيخ ذو عقلية متفتحة قادرة على اكتشاف حقائق الأمور، فهو الذى كشف للجماهير حقيقة الذئب الموهوم(١٤)، وبيَّن لهم أن أعدى أعداء الإنسان هو الخوف الذى يصنعه لنفسه بنفسه، فلا عجب أن يكون الشيخ جديرا بمركز القيادة الجماهيرية، زيادة على المكانة والقيادة العلمية، ولا عجب أن تفزع إليه الجماهير بالسؤال وخصوصا وقت النكبات، ولا تخاطبه إلا بـ (ياشيخنا الجليل)(١٥)، سائلة عن الظلم والضياع والغدر وعن العلاج كيف يكون، ويجىء جواب الشيخ بلسان الحكمة(١٦).**

يقول شيخنا الجليل دامعا:

لكل داء في وجودنا سبب
معذرة أحبتي
يا رفقة الهوان، والنكوص، والوجل
الداء فيكم
والداء أنتم
وليس للعناء والضياع من سبب
سواكم
فلتعلموا

وحينما يشتد الكرب بالشاعر - فيما يبدو في ظاهره كأنه مشكلة خاصة - لا يجد من يقصده إلا شيخه(١٧):

ذهبت لشيخي بعد العناء
وقد هدمتني صنوف البلاء
أسأله عن غزالي الشري
ومجد الجمال وطهر النشيد
فقال غزالك لم يولد
عليك المسير إلى الموعد

هذه هي صورة (الشيخ الإمام) وفق الكيلاني في رسم أبعادها: شخصية متكاملة متوازنة بلا نتوء، وقد أكد الشاعر ملامحها - كما ذكرت آنفا - في قصائد

متعددة، وكذلك في مقالات وقصص نثرية.

ولكن يواجهنا في قصيدة (الذئب) قوله(١٨):

والشيخ فوق منبر عريق
يدعو إلى الصفاء والتقى
يحثنا على الصلاح
يحذر الشباب من مخاطر السلاح
الذئب ينجب الذئاب
قبيلة من الذئاب

**إن الشيخ هنا يدعو الناس إلى الاستسلام للواقع، وينهى الشباب بخاصة من حمل السلاح للقضاء على (الذئب) لأن المقاومة عبث لا طائل وراءه.**

ولكن هذا الشيخ غير ذلك الشيخ الأصيل إنه الشيخ «الرسمي» الذي يبغي من الحياة السلامة مؤمنا بأن ما لله لله وما لقيصر لقيصر، وهذا النوع لا تخلو منه أية قرية، وعلى الطرف المناقض يقف (الشيخ الإمام) الذى دأب نجيب على تفصيل صورته تلذذا بذكره، وتمتعا بسيرته، بينما أوجز الحديث جدا عن «الشيخ السلبى المستسلم» لأنه نموذج لا يجهله أحد، وكأن الشاعر أراد أن ينزه لسانه وقلمه عن إطالة الحديث عنه، وهو على كل الأحوال لا يستحق أن يوقف عنده طويلا.

**أما صورة «الشيخ الإمام» فهي مطردة في كل أدب الكيلانى شخصية سوية متكاملة تمثل إمامه الدنيا والدين، ومثالية الواقع وواقع المثالية، والمرجعية النافعة الصادقة في الأمور.. كل الأمور.**

والخلاصة أن الكيلاني نجح نجاحا باهرا فى رسم صورة (الشيخ الإمام) بأبعادها الثلاثة، وخصوصا البعد الداخلي والبعد الاجتماعي، وقد لعب الحوار دورا كبيرا في إبراز ملامح هذه الشخصية دون إسراف أو شطط.

وقد لاحظنا أن الشاعر كان يتحمس لحواره في بعض الأحيان، فيجعله ذا مستوى واحد عمقا وجلالا غافلا عن المستوى الفكري للشخصية المحاورة، ويترتب على ذلك نتيجتان يرفضهما الفن:

الأولى: تحقق الانفصام بين القول والقائل، فتكون الشخصية خارج نطاق استيعاب القارىء واقتناعه.

**الثانية: تداخل الشخصيات ، ونُصُول السمات الفارقة بينها وربما انمحاؤها(١٩).**

**وهذا ما رأيناه في شخصية «ليلى» في القصصية الحوارية (في الوادي الرهيب) إذ كان منطقها في الحوار أعلى وأرفع من مستواها العقلي بكثير.**

وقد يختل وصف الشخصية في جزئية من جزئيات البعد الخارجي فيهز الصورة كلها: ففي القصيدة السابقة نسمع الأب الشيخ وهو يتحدث بصوت الحكمة مدينا الاستبداد الذي قاد ابنه إلى الجن او (الوادى الرهيب) لأنه «أراد الناس أحرارا» ويعبر الأب الشيخ عن أمل واثق بالله بأن ابنه «محمود» السجين المعذب المعنَّي

# الكيلاني عمل على توظيف الشخصيات التاريخية في عملية الرجوع الى الماضي


امل دنقل

سيعود غدا:

**لأمته ..**
**لغايته ...**
**لجدب الأرض**
**يرويها**

**ولكن فجأة يحوّل الشاعر الأب الشيخ الرزين الحكيم حتى في غضبه إلى صورة غريبة، إذ يقف ويكوّر كفه السمراء ويحملق في الدجى، ويضرب بقبضته «اللاشيء» وتتحشرج أنفاسه، ويمضي «كي يقتل .. كي يهدم» على حد قول الشاعر، وهو مشهد يصيب الصورة كلها بارتعاش لا تستقيم أبدا بعده.**

وقد يكون الإخفاق كليا في رسم ملامح الشخصية بأبعادها الثلاثة، فترفض الشخصية بل الشخصيات كلها ابتداء لأن القارىء لا يستطيع استساغتها، **ولا يستطيع تصور وجودها، ويتحقق ذلك إذا ما اعتمدت القصيدة من البداية إلى النهاية على الحوار، وكان هذا الحوار من «طبقة تعبيرية وفكرية» تناقض واقع الشخصيات تماما.**

ويظهر ذلك في القصيدة الحوارية (حوار)(٢٠) التي نظمها الشاعر بمناسبة العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦. وهي تدور كلها على حوار بين عسكري انجليزي وآخر فرنسي يظهرهما بمظهر عشاق السلام والحب والرحمة، والنقمة على الحضارة الزائفة التي ابتعدت عن القيم الدينية، وعن الله الخالق المعبود.

**وقد وفق الكيلاني في رسم شخصية الطاغية، وإن جاء ذلك على سبيل الإيجاز، وقد يكون ذلك صراحة كشخصية الجلاد في قصيدة (زلزال الرفض)، وشخصية كبير القرية أي المالك الإقطاعي الكبير، كما نرى في قصيدة (الذئب) وقد يأتي تشخيص هذا الطاغية من خلال شخصية تاريخية، كما نرى في قول الكيلاني(٢١).**

يارفيقي وفؤادي دامع
ذوب روحي همسات تُحتضر
فأبو جهل على إيوانه
ساخر بالروح .. بالحق الأغر
هازىء بالحب لا يعنو له
وأبو جهل له قلب حجر
ملء عطفيه غرور حاقد
لم لا يطغى وقد حاز القمر؟

# الحوار والمفارقة والارتداد معالم اساسية فى اعمال الكيلاني

وأبو جهل هنا ليس فردا بعينه، ولكنه رمز للكثيرين، أولئك الذين يعمدون إلى الصلف والعنف والعسف، ويرتدون لبوس الكبرياء والعناد، ويسوقون الناس إلى جاهلية حمقاء(٢٢).

**ولم يلجأ الكيلاني إلى توظيف الشخصيات أو الرموز الأسطورية كما فعل غيره من الشعراء المحدثين كبدر شاكر السياب، وبلند الحيدري وأمل دنقل، ولكنه لجأ إلى توظيف بعض الشخصيات التاريخية ـ على سبيل الإشارة، وبطريقة يغلب عليها الرصد التسجيلي، كشخصية محمود الغزنوى(٢٣)، وبلال بن رباح(٢٤)، ويزيد والحسين(٢٥)، وكان هذا التوظيف لهدف فكري أكثر منه فنيا جماليا.**

وقد يتحول توظيف الشخصية التاريخية عنده إلى ضرب من الثرثرة، والتلاعب اللفظي، كما نرى في قصيدته (سليمان خاطر)(٢٦)، وفيها يخاطب سليمان قائلا:

أطلق سليمانُ جنّ العرب غاضبة
واعصف بمن خنعوا للذل أو هانوا
وإن تمت فليوث الغاب صامدة
على الطريق، ولا تعنو لمن خانوا
بلقيس ساجدة والعرش منتظر
وأنت للنصر والإيمان عنوان
و«الطير» قد سُخّرت، والأرض مملكة
وحبُّ شعبك كرسيّ وتيجان

**فكل ما جاء في الأبيات السابقة معان وإشارات تاريخية لا علاقة بينها وبين الجندى سليمان خاطر من بعيد أو قريب، وما أثارها في نفس الكيلاني إلا مجرد التماثل بين الاسمين: سليمان خاطر وسليمان بن داود عليهما السلام.**

ومن عجب أن نجد مثل هذا الافتعال عند حافظ إبراهيم في قصيدته التي يمدح فيها سليمان أباظة باشا ناظر المعارف. وفيها يقول(٢٧):

سليمان ذكرت الزمان وأهله
بعزٍّ سليمان وإقبال دنياه
إذا سرت يوما حذّر النملُ بعضه
مخافة جيش من مواليك يغشاه
وإن كنت في روض تغنت طيوره
وصاحت على الافنان يحرسك الله
وكان (ابن داود) له الريح خادم
وتخدمك الأيام والسعد والجاه

**ولم يخل شعر نجيب القصصي من ظاهرة الارتداد، أو استرجاع الماضي Flash Back وإن لم يتوسع في استخدام هذه الظاهرة الفنية، وهي تعني**

**الرجوع بالأحداث أو بالشخصيات إلى الماضي استكمالا لأبعادها، أو تجذيرا لصفاتها. ومثال ذلك ما جاء في قصيدة (في الوادي الرهيب) على لسان ليلى في حديثها لأبيها عن شقيقها السجين محمود(٢٨):**

أبي مازلت أذكره
وعود شبابه اليانع
وأذكر أننا كنا
نفيء لظله الرائع
وكان حديثه الرقراق
نبع السحر للسامع

وغير التشخيص وظف نجيب الكيلاني - كما ألمحنا في مطلع هذا المبحث - كثيرا من الآليات الفنية في قصصه الشعري مثل الحوار والمفارقة والارتداد أو استرجاع الماضي واللقطات المقتطعة، وكل أولئك يقطع بأصالة النزعة والطوابع القصصية الشعرية عند نجيب الكيلاني - يرحمه الله.

---

المراجع والتعليقات:

(١) انظر: عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه ١٥٢ - ١٥٤ (دار النشر المصرية - القاهرة - ط١ سنة ١٩٥٥) والتشخيص Chcracterizartion هو فن رسم الشخصيات وبيان ملامحها في الأعمال الأدبية كالمسرحيات والقصص وغيرها. وتستعمل الكلمة في غير هذا المقام بمعنى «نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة.. كمخاطبة الطبيعة كأنها شخص تسمع وتستجيب» (مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب ٣٩٨)، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤.

(٢) I.L Styan: The Element of Drama. P. 165 (combn Ridg univ. Press. 1969.

(٣) انظر: حسين قباني: فن كتابة القصة ١٦٥ (الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت)

(٤) الكيلاني: لمحات من حياتي ٥٧/١ (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢)

(٥) الكيلاني: لمحات من حياتي ٨/٢ (مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥).

(٦) الكيلاني: لمحات من حياتي ٦٤/٢، ٩٧/٤، ٩٩/٤ (مؤسسة الرسالة - بيروت ط١، ١٤١٤ - ١٩٩٤).

(٧) وهى بالترتيب شيخي يحدثني عن الطوفان وسفينة نوح ص ٧ - شيخي يحدثني عن حلبة الرقص. ص١٧ - شيخي يحدثني عن الموت والحرب والسلام ص٢٩ - ثم عاد شيخي يقول ص٤٠ - قال شيخي عن المسلمين ص٥٣ - شيخي يحدثني عن الغرباء ص٦٤ (من كتاب تحت راية الاسلام). (م. الرسالة بيروت ط٢، ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

ومن اول من نهج هذا النهج في تقديم شخصية الشيخ الموجه المرشد بطريقة السؤال والجواب: طه حسين في كتابه «جنة الشوك» وعباس العقاد في كتابه «رجعة أبي العلاء».

(٨) الكيلاني: ديوان كيف ألقاك ٩ (م. الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

(٩) الكيلاني: ديوان مهاجر ٨٧. (م. الرسالة - بيروت - ط٢ - ١٤٠٨ - ١٩٨٧).

(١٠) الكيلاني: ديوان كيف ألقاك ٩.

(١١) الكيلاني: تحت راية الإسلام ٩.

(١٢) الكيلاني: ديوان كيف ألقاك ٩.

(١٣) الكيلاني: تحت راية الإسلام ٢٣.

(١٤) انظر: الكيلاني ديوان مهاجر ٢٩ - ٤٢.

(١٥) انظر الكيلاني: قصيدة (سبب) من ديوان: مدينة الكبائر ٣٠ - ٣٤ (م. الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤٠٨ - ١٩٨٨).

(١٦) ديوان مدينة الكبائر ٣٤.

(١٧) ديوان: مهاجر ١٧.

(١٨) السابق ٤٠.

(١٩) ديوان أغاني الغرباء ١١ - ١٧، (ط١ - بيروت ١٩٧٢).

(٢٠) السابق ٢٧ - ٣٠.

(٢١) الكيلاني: ديوان عصر الشهداء، قصيدة (أبو جهل) ١٨ - ٢١.

(٢٢) السابق ٩ (من تقديم ع. م للديوان).

(٢٣) ديوان كيف ألقاك ٢٨ - ٣٠.

(٢٤) السابق ٣٦.

(٢٥) السابق ٢٧.

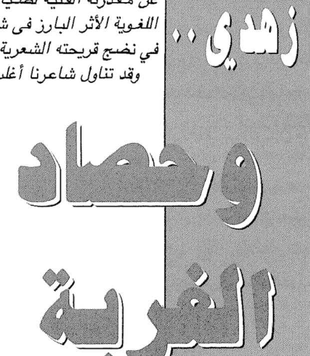
(٢٦) الكيلاني: ديوان مدينة الكبائر ٣٨ - ٤٠.

وسليمان خاطر جندي مصري كان على أحد مواقع الحراسة في سيناء فاستفزه عدد من الاسرائيليين، فافرغ مدفعه الرشاش فيهم. وقتل بعضهم فقبض عليه، وأودع السجن، ويقال إنه انتحر بشنق نفسه بسلك من سلوك الكهرباء.

(٢٧) ديوان حافظ ابراهيم ١٠٥/١ (دار العودة، بيروت. د ت).




د. زاهد في اثنينية عبد المقصود خوجة



# الدكتور زهدي.. وحصاد الغربة

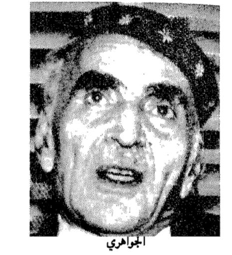
حاوره :
ابو فراس
باوزير
ـ جـدة ـ

يعد الشاعر الدكتور زاهد محمد زهدي من شعراء العراق البارزين، لما يتسم به شعره من عمق في التجربة الشعرية أكسبته مكانا مرموقاً في سماء الشعر ناهيك عن مقدرته الفنية لصياغة القصيد، كما أن لمهارته اللغوية الأثر البارز فى شعره، وللمحيط العائلي دوره في نضج قريحته الشعرية.

وقد تناول شاعرنا أغلب الأغراض الشعرية، وقد ميز مسيرته الشعرية ولعه بشعر الاخوانيات بحميمية رائعة مع جل شعراء العربية (محمد حسن فقى ـ أبو تراب الظاهري ـ أبو عبد الرحمن بن عقيل ـ عبد الغنى قستى ـ الجواهرى).

أما في الفترة الحالية فقد أولى شعره قضية وطنه العراق بعد أن تغرب عنه عقدين كاملين ، فأضحى الشعر لا يفارقه فى خضم الظروف التى يعيشها من حزن وألم وغربة وفقدانه لأحد أبنائه (بختيار).

بقى أن أقول إنه أصدر أكثر من عمل شعري كان أولها:ديوان (شعاع فى الليل) صدر عام



الجواهري





الرصافي



الفقي

# بعض النقاد يحملون النصوص اكثر مما تحتمل

١٩٦٠م *وثانيها: ديوان (أفراح تموز) وصدر عام* ١٩٦١م، *ثم ديوانه الأخير المميز (حصاد الغربة)* وصدر عام ١٤١٤هـ. *والآن أنتم مع هذا الحوار حول الشعر والثقافة والغربة.*

**المنهل: البدايات الجميلة مع الشعر حيث نكهة القصيدة البكر والطموح المفعم بالتطلع نحو نجوم الشعر العربي.**

** تسألني عن (البدايات الجميلة) التى تحمل نهكة القصيدة البكر، إذن لابد من العودة إلى النصف الثاني من الخمسينيات حيث كانت عيناى تتطلعان إلى نجوم الشعر الزاهرة، الجواهري الكبير والسياب وتراث الرصافي، والنهم الذي لا تحده حدود إلى الغوص في دواوين الشعر القديم، المتنبي والبحتري والشريف الرضي وغيرهم كثير.. ولو سألتني أن أطلعك على بعض ما قلته حينذاك فلن تعجز الذاكرة عن أن تستحضر بعض الأبيات التى فاتنى نشرها في ديواني (حصاد الغربة) مع أني نشرت فيه قصيدتين لما كتبت عام ١٩٥٦م.

في سجن بعقوبة السياسي وبعد معركة مع زبانية الجحيم كانت الحمى تنزف من رأسي عندما صدرت يدي الى الجرح الذي أحسسته دون أن أتأكد منه حتى عادت يدي مخضبة بالدم هناك قلت ارتجالا:

سل يا دمي الغالي فلست بغال
إن لم تسل في ساحة الابطال
أنا لم أردك لكى تشع بوجنتي
كالمترفين ذوي غني ودلال
أنا يا دمي حر الضمير مناضل
ولقد أردتك شمعة لنضالي
سل ما تشاء فلن تهينك آهة
منى تعكر نشوتى وخيالي.

**المنهل: كيف تنظر إلى الحركة الشعرية في العراق إبان الستينيات حيث كوكبة من الشعراء (نازك الملائكة - شاكر السياب - بلند الحيدري - سعدى يوسف - مظفر النواب - وشيخ شعراء العراق محمد مهدى الجواهري)؟**

** تربطني بكل هؤلاء الذين ذكرتهم علاقة حميمة مباشرة عدا نازك الملائكة التي لم تسنح لي فرصة للقائها، لقد كان وجود هذه الكوكبة

# الحركة الأدبية في المملكة تشهد زخماً متصاعداً

اللامعة من الشعراء يمثل زخماً شعرياً هائلا ترك بصماته واضحة على العقود التى أعقبته وأنتج دواوين خالدة فى حركة الشعر العراقي ... غير أن ما يثير استغرابي هو أنك جعلت اسم الجواهري بين شعراء الستينيات، بينما هو جيل من الشعر قائم بذاته يمتد من العشرينايت حتى عقدنا الحالي، وبهذا المعنى قلت في قصيدة عن الجواهري:

لقد كنت جيلا، بل لقد كنت أمة
من الشعر لم تدرك مداها الاواخر
وقد غربوا فيه وقالوا حداثة
وشدت مراسيهم إليها المظاهر
فلا استلهموا مجد القريض ولا انتهوا
إلى غاية يزهى بها أو يفاخر

**المنهل: الأنظمة الديكتاتورية اعتادت ان تؤمن لنفسها من الشعراء من يتغنى بها!!**

** لقد سألني مرة أحد الشعراء عن وضع العراق فأجبته بقصيدة أشرت فيها إلى أمثال هؤلاء الشعراء الذين يدبجون آيات الولاء للطاغية فقلت:

لا يخدعنك العازفون فانهم
باعوا الضمير بثوبه وإزاره
أوجوقة المتشاعرين يقودهم
(ثور الصحافة) معجباً بخواره
يتهافتون أذلة في بابه
وعيونهم لهفي إلى ديناره

على أن وجود هذه القلة المنتفعة التى أساءت الى حركة الشعر، يجب ان لا يثيرنا كثيرا، فعلى الجانب الآخر أفرزت الأزمة شعراء يملأون القلب بهجة وثقة بمستقبل العراق، أعنى اولئك الرجال الصابرين على الجمر في جحيم الغربة الممتد عبر جميع أقطار الدنيا.

**المنهل: الشاعر زاهد زهدي بعد تجربتك الابداعية الكبيرة، كيف تناولك النقاد وهل أنصفوك؟**

** صدر ديواني (حصاد الغربة) وظهرت حوله بعض الكتابات، إلا أنى لم أجد عنه دراسة نقدية جادة ربما بسبب أنى لا أرى بين معارفي ناقدا يتولى هذه المهمة التى لا أكتمك إنني زاهد فيها، أقول هذا ليس تعاليا على النقد والنقاد إنما لأني أرى الكثير منهم يحملون النصوص أكثر مما تحتمل.

على أنني اكتب الشعر راحل
وتارك أشعاري لبضعهم بعدي
فان ينصفوا فالله بالخير يجزهم
والا فسوط النقد محترش جلدي

المنهل: أثبتت الساحة الأدبية إخفاق القصيدة (الحداثية) وعدم ملاءمتها للمتلقى لضعف إمكاناتها بعد أن أخذت زخماً إعلاميا كبيرا! ألست ترى ذلك؟

** لا أريد الخوض في القصيدة (الحداثية) بالتفصيل لأنى لست ناقدا ولا أرى فى نفسي قدرة كاملة على تقييمها وما أقوله هنا لا يتعدى حقى كقاريء، أنا مثلا استمتع بقراءة نزار قباني وسعدي يوسف وبلند الحيدري والسياب وهؤلاء أعتبرهم أساطين الحداثة إلا أنني بصراحة عاجز تماما وقاصر أيضا عن الاستمتاع ببعض من هذا الذى يسمى شعراً وليس هو من الشعر في شيء.

**المنهل: تشهد الساحة الثقافية في المملكة نمواً**






يوسف عز الدين — الظاهري — نازك الملائكة

# جائزة الفقي فرصة سانحة لاطلاع القارىء العربي على ابداع شعراء المملكة.

**بارزاً في الشعر والقصة والنقد كذلك النوادي الأدبية وما تنتجه من إصدارات ومحاضرات، ما تقييم الشاعر زاهد لهذه المسيرة المتألقة؟**

** الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية تشهد بالفعل زخماً متصاعداً في كافة المجالات، وليس أدل على ذلك من هذا النشاط الدائب للأندية الأدبية والثقافية وهذه الأمسيات التي تقام هنا وهناك وبعضها بلغ من أهميته أنه صار يرتقي إلى مقام منتدى أدبي مرموق تتعدى سمعته حدود المملكة، كما هو الحال مع أثنينية الوجيه عبد المقصود خوجة في جدة وأمسية الأحد للوجيه أحمد المبارك بالأحساء، الشيء الوحيد الذي ما زال ينقص هذه النهضة الأدبية هو امتدادها الأفقي خارج نطاق المملكة إلى العالم العربى الأوسع للتعريف بانتاج المبدعين السعوديين ولعل إقامة مهرجان جائزة الشاعر الكبير محمد حسن فقي في القاهرة خطوة طيبة في هذا الاتجاه لاطلاع القراء العرب على عمالقة الشعر المميزين فى هذه البلاد.

**المنهل: لكم إسهامات فى الشعر العامي العراقي أخذت شكل الدراسات عن بعض شعراء العراق، هلا أوضحتم لنا أكثر؟**

** نعم كتبت الكثير من الأشعار باللغة العامية أيضا ومنها القصائد الغنائية التي لحنها وغناها مشاهير الفنانين العراقيين أمثال: ناظم نعيم وجميل سليم وناظم الغزالي واحمد الخليل والسيدة مائدة نزهت ووديع خونده، أما الدراسات عن الأدب الشعبى فقد صدر لي دراسة موسعة عن الشاعر الشهير الملا عبود الكرخي يرحمه الله وقد نشرتها وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧٢م في كتاب يقع في حوالي ٣٠٠ صفحة.

**المنهل: نادى كثير من النقاد بسيادة الرواية للأدب العربي على الشعر بعد أن خفت بريقه وخفض صوته وتلاشى توهجه، ألست معي؟**

** كلا لست معك فى هذا، فالشعر مازال يحتفظ بوهجه وجاذبيته وسيظل يحتفظ بها لأنه فن أصيل مرتبط بوجدان الأمة وتراثها الحضاري، اضافة إلى عراقة تقاليده وعمق مأثوراته التى امتزجت بحياة الناس على اختلاف

# الرواية ليست البديل للقصيدة ولا تحتل مكانها
# الخط البياني للقراءة في هبوط مستمر

جوانبها.

**المنهل: في خضم ما تنتجه دور النشر من الكتب مختلفة الاتجاهات متنوعة المعارف، كيف نستطيع أن نقيّم ثمرات المطابع؟.**

** بالنسبة إلى تقييم ثمرات المطابع من خلال الكم الكبير الذي تقدمه للمكتبات، فلابد من القول أن المقاييس العلمية المتعارف عليها في التقييم لم تعد منسجمة في اعتقادي مع ما نشهده اليوم من هبوط وتدني الخط البياني للقراءة لدى معظم الناس، إلا فئة المثقفين الذين يسعون دائماً إلى إثراء معارفهم الثقافية، والأسباب عديدة بالطبع منها ما نشهده اليوم من سيادة الشاشة الصغيرة بفضائياتها العديدة وأطباقها التى تغطى سطوح المنازل إلى حد المباهاة، إضافة إلى كرة القدم والألعاب السحرية والمصارعة ولعبة البلوت وهموم الحياة التى لا حصر لها.

**المنهل: هل استطاعت المرأة العربية أن تجد لها موقعاً أدبياً متميزا وأن تجمع لها برغم من وجود بعض الحواجز تجربة إبداعية متقدمة في عالمنا العربي؟.**

** لو تفحصنا تاريخنا العربي قديمه وحديثه، لوجدنا أن المرأة قد سجلت حضورها المتميز في دواوين الأدب ومنتديات الحضور الأدبى وكانت مجلية دائماً.

خذ مثلا اسماء مثل (علية بنت المهدي) أخت هارون الرشيد التي كانت تنظم الشعر وتغشى المجالس الأدبية وهي صاحبة هذه الأبيات الجميلة من قصيدة لها:

نام عذالي ولم أنم
واشتفى الواشون من سقمي
فإذا ما قلت بى ألم
شك من أهواه فى ألمي

وقبلها الشاعرة الشهيرة ليلى الأخيلية التى أوقفت الكثير من أشعارها فى رثاء زوجها (توبة) كما فعلت (الخنساء) مع أخيها (صخر).

لعمرك ما بالموت عار على الفتى
اذا لم تصبه في الحياة المعاير
وما أحد حي وإن عاش سالماً
بأخلد ممن غيبته المقابر

وكان لسكينة بنت الحسين مجلس أدب مشهور تستمع فيه الى فطاحل الشعراء ولقد حكمت بين رواة أربعة من فحول الشعر هم رواة جرير وكثير وجميل ونصيب وفي عصرنا الحديث برزت الشاعرات والأديبات مثل مي زيادة ونازك الملائكة وغادة السمان وغيرهن كثير، إذن لا عجب أن نتوقع للمرأة حضوراً أدبياً متنامياً.

المنهل: هذه بعض الاسماء في عالم الشعر والأدب ماذا يقول الدكتور زاهد عنها: (محمد مهدي الجواهري - محمد حسن فقى - أبو تراب الظاهري - يوسف عز الدين - معروف الرصافي - عبد الفتاح أبو مدين - عبد المقصود خوجه - مظفر النواب)

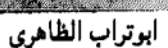
**** أقول للجواهري:**

سلاماً أبا الغر الحسان تصوغها



نزار قباني





عبدالفتاح ابو مدين

# الشعر لا يزال يحتفظ بوهجه وجاذبيته

عـقـوداً لطافـاً زينتـهـا الجـواهر
وتأتي بهـا بكر المصـاغ فـرائداً
كأن لم يصغ من مثلها قبل شاعر

**وأقـول لمحـمـد حـسن فـقي:**

يا واحـد الشـعـراء تزهى أمـة
بك إذ تعـد وتحـصـر الاسـمـاء
وإذا أميط السـتـر عن أسـفـارها
جلا بسـفـرك وجـهـهـا الوضـاء

**وأقـول للمـرحـوم الرصـافي مـا قـاله فـيـه الجواهري:**

وإني إذا أزجي إليك تحـيـتـي
أهز بك الجيل العـقـوق المعاصـرا
أهز بك الجـيـل الذي لا تـهـزه
نوابغـه حـتى تزور المقـابرا

**وأقـول للاسـتـاذ أبي تراب الظاهر:**

تعـهـد أن يكون منار علم
يذب عن الـتـراث بلا تـوان
جـزاه الله عنا كل خـيـر
وأبلغـه المراد من الأمـانـي

**وأقول للوجيه عبد المقصود خوجه:**

حـمـدت لـ(خـوجـه) حب القـوافي
إذا غـردن بالجـرس الفـريد
ويسـحـره البـيـان إذا تجلى
بقـافـيـة فـيطمع بالمزيد
وأهـل الـفـكـر والآداب تـلـقـى
لـديه رعـايـة الخل الـودود

**وأقول لعبد الفتاح أبي مدين عبر نادي جدة الأدبي:**

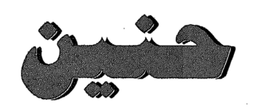
هو روضـة للفكر أنبـتـهـا
الـعـقـل والابداع والحس
في جـدة الخـضـراء قـد نبـتت
غـرسـا وطاب بأرضـهـا الغـرس

**وأقـول للدكـتـور/ يوسف عز الدين:**

أعليت للفصحى دعامة مجدها
ورعـيت ذاك الصـرح شيـمـة باني
وطرقت باب الشعر فـانسابت على
أوتار عـودك أعـذب الألحـان

**وأقـول للشـاعـر مظفـر النواب:**

إني سـعـيـد لأني
مـع الهـمـوم أغـنـي
وكـل هـم جـديـد
الشـعـر ينفـيـه عنى

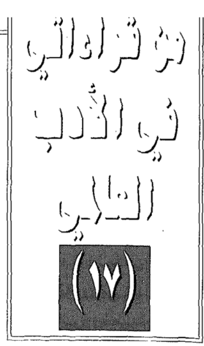


# حنين

للشاعر:
محمد الحلوي
- المغرب -

مـن تُراه عن ودادي حـــــولّك
ويـغــيــري من تـراه شــغلك؟
قـد سـهـرت الليل حـتى ظنني
أنـنـي نجـم نـأى عـنـه الـفـلـك!
سل نجـوم الليل هل ذقت الكرى
فــهــو من لا يجــافي مــقلك
وسل البــدر الذي ناجـيــتــه
وهو يصغي لشجوني في الحلك
لن ترى طيــفك عــيني أبدا
فــهي لا ترضى بطيف بدلك!
لم يذق مـجنون ليلى بعض مـا
ذقــتــه فــيك، ولو ذاق هلك!
كلمـــا اشــتــقت تطلعت إلى
قــمــر في الأفق يحكي مــثلك
وتنسـمت نسـيمـا في الصـبـا
لاعــتــقـادي انه قــد قــبلك!
وشـممت الورد في الروض الذي
لـم يكن يشــبــه الا مــخــملك
قـد شكوت الشـوق وحدي ليتـه
مــثلمـا حـملني قـد حـملك
يا شـقـيق الورد في أشـذائه
ونقي الروح في شــبــه ملك!
لـيس فـي قـلـبـي لـشـيء مـنـزل
قــد يسـاوي في عــلاه منزلك!

كم بعثت الشوق في ريح الصبا
طامـعـا من لطفـه ان يحـملك
بي حنين أججـت أشــواقــه
ذكـريات كنت فــيـهــا أملك!
لست اخـشى منك صدا او نوى
إنما يخــشى فــؤادي مللك!
لـم يكن يبـدع شـعـري غـزلا
قــبل أن يعــشق قلبي غـزلك
قال من أبصر مـا بي مشفقا
أي ســفــاك ظلوم قــتلك؟
فــتــمنيت وقــد أحــرجني
قــبل ان يســألني لو سـألك!
لم يلمني فـيك من ذاق الهـوى
أو يعــيب إلا عــذول جــهلك
عـد الى الصـفـو الذي عودتني
فـــأنا من ليس يسلو منهلك
لا تضع ودا بنينا صــرحــه
ومكانا في فـــؤادي عـــدّ لك
مــا لنا عن هبــة الحب غنى
فـهـو للأنسـان أسـمى مـا ملك
لا ترع مـن حــادث تمنى به
أو صــديق لم تخنه خــذلك
كل شيء يا حـبـيـبي قــاتل
حـين ألقـى او تـلاقـي أجلـك!!







بقلم:
محمد بن احمد
العقيلي
- جازان -


# مرتفعات وذرنج لإميلي برونتي

بقلم: السيدة ثروت عبد الله

ولدت «إميلي برونتي» سنة ١٨١٨هـ، وتوفيت سنة ١٨٤٨هـ، أي أنها لم تعش سوى ثلاثين عاما، وخلّفت شعراً عاطفيا وسطا في الجودة، وقصة واحدة كفلت لها الخلود الأدبي وسطوع الاسم وهي قصة «أعالي وذرنج»، وكما تقول مترجمة حياتها (٠٠ إن تلك القصة ليست عملا أدبيا في المقام الأول، وإنما قبل كل شيء هي مولود حملت به (إميلي برونتي) نتيجة لقاح فذ بين واقع تكوينها النفسي وواقع الظروف التي حالت بينها وبين أن تعيش حياتها التي تمليها عليها حقيقتها الباطنية، فجو «أعالي وذرنج» وحوادثها هو العالم التعويضي الذي عاشت فيه «إميلي» متقمصة شخصية البطل، أو بالأصح ما لم تستطع أن تحققه في بيت أبيها وهي في ثياب بنات جنسها ورتابة الحياة والحدود الضيقة المفروضة عليها.

إن قصة «أعالي وذرنج» من أبرز القصص العالمية لا لأنها أجمل القصص وأجودها، بل لأنها نبض وحيد وجوهرة فريدة ليس لها شبيه، ولذلك كانت قيمتها أعظم من عشرات القصص التي تفوقها في جمال الأداء والتكوين الفني.

إن الصدق الفني والصفاء النفسي الذي أوحى اليها تلك القصة الرفيعة الأداء التي تدفقت من قلب كاتبتها كالينبوع المطرد والجدول الرقراق الدافق ميزها عن جميع الأعمال، فاكتملت لها براعة الصنعة وجودة

الحبك.

إن كل من يتصدى للكتابة عن «إميلي برونتي» لا يجد مندوحة عن الكتابة عن شقيقتيها الأديبتين اللامعتين «شارلوت برونتي» و«آن برونتي» وعن أبيهن الغريب الأطوار، الذي أثر على أدب «إميلي» وطبع أدبها بتلك البيئة والنشأة التي نشأت فيها.

**والدها:**

كان الأب قسيساً نشأ في مكان منعزل بين الأحراش في الريف الإنجليزي، وهو ابن لفلاح ايرلندي شبه معدم، وابن ذلك الفلاح هو «باتريك» والد «إميلي» وأختيها، وقد تلاه بالمولد تسعة أخوة له أثقلوا كاهل والدهم، ولذا شرع «باتريك» منذ الخامسة من عمره يؤدي الخدمات الصغيرة للجيران نظير ما تيسر من الطعام، أو بعض الدريهمات، ولما كبر قليلا التحق بمصنع نسيج يدوي كان يختلس لنفسه من المساء سويعات يتلقى فيها دروساً مجانية على يد القسيس الذي أثار اهتمامه ذكاء ذلك الصبي الصغير، ولما بلغ السادسة عشر وصل من المعرفة إلى مرتبة أهلته لأن يكون معلماً بمدرسة الكنيسة القريبة من مسقط رأسه وقضى عامين في التدريس بمدرسة الكنيسة أختير بعدها لمدرسة كنيسة أكبر، وظل هناك ثماني سنوات يحاول بجميع الوسائل استمالة أعيان البلدة والقساوسة، وأعضاء مجلس إدارة الكنيسة إلى أن استحوذ على اهتمامهم، فاكتتبوا فيما بينهم بنفقات بعثة دراسية له لجامعة «كمبردج» فدخلها وهو في سن الخامسة والعشرين، وكان أكبر الطلاب سنا وكان يتصف في تلك السن بطول القامة وقوة البنية ووسامة المنظر وجمال التكوين، ووسامته المفرطة أورثته غروراً وقر في ذات نفسه أن جماله هو الميراث الوحيد الذي ورثه عن أبيه، لأن ذلك الجمال هو رأس المال الأكبر، الذي سيمكنه من تسنم ما يتوق اليه من المراتب في المجتمعات.

وكان بعد تخرجه قد تحصل على منصب في قرية بمقاطعة «اسيكس»، وهناك بدأ يستغل وسامته المفرطة، وألقى شباكه على فتاة حسناء في الثامنة عشرة وخطبها، ثم اكتشف أنها ليست غنية فتركها طمعاً في فتاة أخرى أعلى وأغنى تفتح له أبواب المجد والجاه. ومرضت خطيبته السابقة حزناً وغماً، واستنكر الناس تركه تلك الفتاة، فنقموا على فعلته، فكان موضع سخطهم وازدرائهم، فرحل الى اقليم آخر ونصب شراكه ليستغل فتاة أخرى غنية يحقق من وراء زواجه بها مطامحه، وكان قد وصل الى منصب القسيس، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره من غير أن يحقق حلمه، فتزوج من فتاة في الثلاثين من عمرها ضعيفة الجسم ضعيفة البنية ليست جميلة ايرادها الخاص خمسون جنيها في السنة، وهي ليست من بنات الطبقة الرفيعة والعريقة، بل من الطبقة المتوسطة، وانتقل الزوجان بعد فترة وجيزة إلى بقعة محفوفة بالأحراش، أهل فيها إلى «باتريك» برئاسة كنيستها بمرتب قدره «مائتي جنيها» سنويا، وفي ذلك البيت المنعزل عن القرية أنجب الزوجان خمس بنات وولداً في خلال ست أعوام.

وبعد تسع سنوات من الزواج ماتت الزوجة، فاستقدم شقيقتها لترعى الأيتام الستة

أكبرهن «ماريا» في السابعة من عمرها، وأصغرهن «آن» لم تتم عامها الأول.

وراودته نفسه أن يتزوج من إمرأة ثرية تكبره سنا ترك لها زوجها الأول ضياعاً وأموالا فرفضته، فأقدم على خطبة آنسة موسرة، ولم يجد عندها قبولا فطوى صفحة الزواج واعتزل الناس قائماً مع أطفاله في بيت لم يزل قائما إلى اليوم فوق ربوة تستقر تحتها أبنية القرية، وأمام الدار ومن خلفها حديقة الكنيسة، وعلى جانبيها مقابر للموتى، ولا شك أن ذلك المكان القابض للنفس له أثره في الناشئين الصغار، يضاف إلى ذلك المكان القابض للنفس غرابة أطوار أبيهم وغلظته التي كانت عليهن أشد من المقابر والأحراش.

يضاف إلى ذلك شح ذلك الوالد في الإنفاق وخوفه من الحريق خوفا شديدا نتيجة عقدة مرّت عليه، دفعه كل ذلك إلى تحريم استخدام الأبسطة في البيت، والجو في تلك المنطقة بارد رطب، فكان الصغار يرتجفون من البرد معظم السنة، ونتيجة لخوفه من الحريق حرم عليهم استخدام الستائر.

كان الأب «باتريك» يقضي جل وقته في حجرة مكتبه عازفاً عن الحديث إلى صغاره أو ملاطفتهم يتناول الطعام بمفرده، فسادت الوحشة المعنوية وسادت الوحشة المادية على تلك الدار وساكنيها الأطفال الصغار.

كان «باتريك» مملوءا بالحقد على الأيام والسخط على الزمان لأنهما وقفا في سبيل طموحه، فكان يتجنب الإختلاط برعيته من الفلاحين، إلا لضرورة قصوى تقتضيها وجهته الدينية، ولا يسمح لبناته بمخالطة أسر أهل القرية الفقراء بحال من الأحوال، ففرض العزلة على بناته الصغيرات وخادمين مسنين، وفوق ذلك أمرهن أبوهن بلزوم التقشف الشديد حتى أن خالتهن اشترت لهن من دخلها الخاص أحذية جميلة فألقى بتلك الأحذية فى المدفأة.

وعندما كبرت الفتيات قليلا أتى الأب بمنشار استأصل به ظهور الكراسي وحجرة الجلوس حتى لا يستملن على ظهور الكراسي مسترخيات، وماتت اثنتان من الفتيات وهن في سن الطفولة، وكتب للثلاث الباقيات أن يكن من أشهر ثلاث شقيقات عرفهن التاريخ، وأن تكون وفاتهن بالسل بعد أن سطرن أسماءهن في صفحات الأدب العالمي الخالد.

كانت «شارلوت» أسبق الثلاثة إلى الشهرة بقصتها المعروفة «جين اير» فلما نشرت «إميلي» روايتها العظيمة «أعالى وذرنج» ارتكب النقاد خطأ جسيماً في تقديرهم لتلك الرواية، إذ اعتبروها عملا قصصياً متدنيا ورجحوا انها من تأليف الشقيقة «شارلوت» وإنها عمل سابق على كتابة قصتها «جين اير» تنقصه المرونة، ثم أثبت التاريخ سذاجة أولئك النقاد بعد وفاتها، وأدرك الناس أن قصة «أعالي وذرنج» التي أبدعتها «إميلي برونتي» أرقى فى المسألة الفنية من قصة أختها «شارلوت» التي رفعها النقاد جميعا في عصرها الى القمة.

إن الكتابة كانت هي المتنفس الوحيد للأخوات الثلاث لما في صدورهن من عواطف جياشة وأحاسيس مرهفة في تلك العزلة المضنية.

كانت «إميلي» أكثر من أختيها شموخاً بنفسها، واعتزازاً بشخصيتها حتى يخيل

للناظر اليها أشبه في قوامها وخلائقها ومشيتها واستقلال رأيها بالرجال من شقيقها الأوحد، فهي تهمل ثيابها ومظهرها، وتتمشى وحدها بين الأحراش بخطى واسعة، ولهجتها في الكلام قاسية لا ترجع عن أمر أخذته، ولا تعرف التسامح مع نفسها، ولا مع الناس، وكان ترفعها يبدو في تصديها لأشق الأعمال، وتأبى أن تستسلم للمرض، أو أن يكشف عليها طبيب، وظلت تكتب وتعمل في البيت وتخيط ثيابها، إلى أن صرعها المرض وماتت، وكانت «إميلي» أحب أخواتها إلى أبيها في حدود ما يظهره ذلك الأب من حب.

كان يلمس رجولة الطبع وملامح التكوين في طريقة تصويرها لرائعتها «أعالي وذرنج» وكأنها صدرت في تصوير بطلها من ينبوع حقيقتها الخاصة فجاءت شخصية ذلك البطل جياشة تفيض بالأحاسيس، جياشة بكل ما في المخلوقات من قوة الاتصالات وبروز الملامح وتناقض ظاهري يقابله توافق باطني، فكانت تلك القصة تعبر عن جوها الموحش وبيئتها المضطرمة وعواطفها الجياشة معبرة عن عالمها المكبوح وبيئتها الموحشة، فجاءت القصة فريدة في بابها فذة في بنائها فريدة في انشائها.

وبعد توضيح نماذج حياتها ونماذج بيئتها نأتي على تلخيص تلك القصة الخالدة:

**شخصيات الرواية:**

**هيثكليف: لقيط تبناه ايرنشو الكبير.**

**هندلي : ابن ايرنشو الكبير.**

**كاترين : ابنة ايرنشو الكبير وشقيقة هندلي.**

**ادجار لينتون : وريث ضيعة الجرانج، تزوج بكاترين.**

**ايزابيلا : الجميلة شقيقة ادجار تزوجها هيثكليف.**

**هيرتون : ابن هندلي.**

**مسز دين : مدبرة المنزل.**

**لوكوود : راوي القصة ومستأجر الدار في ضيعة الجرانج.**

**كاترين الصغرى : أرملة ابن هيثكليف وابنة كاترين الراحلة.**

**زيلا : الطاهية.**

إن أعالي وذرنج في نطاق ايجازنا المحدود هي قصة على لسان رجل يدعى «لوكوود» استأجر لأسباب صحية بيتا في الأحراش يتوسط ضيعة «جرانج» التي يملكها هي وضيعة «أعالي وذرنج» القريبة منها شخص يسمى مستر «هيثكليف».

ووجد مستر «لوكوود» من واجبه أن يزور صاحب الدار في مسكنه بأعالي وذرنج، وهو يتنزه على قدميه، فاستقبله «هيثكليف» بفظاظة وترك كلابه الشرسة تنال منه وتمزق ثيابه غير مبال بصراخه واستغاثته، بل أن خادمه أيضا التزم خطة سيده، فلم يتحرك لنجدة الضيف.

والله وحده يعلم ما كان سيحدث لمستر «لوكوود» لولا أن خفت الطاهية «زيلا» بمطرقتها الكبيرة فضربت الكلاب ونهرتها.

ولفت نظر «لوكوود» أن هيثكليف واسع الإطلاع وأحس أن وراء خشونته سراً، آل علي نفسه أن يستجليه.

وعلي هذه النية كرر الزيارة في اليوم الثاني فوجد الجو في البيت هذه المرة أدعى للغرابة، فهناك شابة حسناء لم يكن يتصور وجودها

في ذلك الركن من الريف، اكتشف أنها أرملة ابن «هيثكليف» وهناك شاب يعمل في الفلاحة اسمه «ايرنشو» كان «هيثكليف» حريصاً على القول بأنه ليس من ذوي قرابته، ورآه يعامله بخشونة فزاد السر - في نظر «لوكوود» - غموضاً وتعقيداً.

وبلغ من سوء الطقس أن الشاب «ايرنشو» رضي أن يصحب مستر «لوكوود» في عودته الى داره لشدة الظلام، ووعورة الطريق، ولكن ذلك لم يعصم «لوكوود» من الإنزلاق على مدى خطوات، فنزف الدم من أنفه، ولولا أدركته الطاهية «زيلا» لمات حيث وقع، وأهل البيت يقهقهون، ولا يمدون اليه يداً بالعون. وصبت «زيلا» على رأسه الماء البارد ثم وجد نفسه مضطراً لقبول ضيافة «هيثكليف» رغم جلافته هو وآل بيته، وإلى غرفة غير مستعملة صعدت به «زيلا» وهي تحثه على إخفاء ضوء الشمعة، لأن سيدها لا يسمح لأحد بدخول هذه الغرفة منذ سنين، ولما أغلقت عليه الباب شرع يتفقد المكان، فإذا مقعد، وخزانة ملابس، وخزانة أخرى كبيرة من خشب البلوط بداخلها فراش وفي سقفها مربعات تشبه نوافذ العربات، فأوى إلى الفراش بعد أن أغلق باب الخزانة خلفه، وما أن دب النعاس إلى أجفانه حتى رأى أشباحاً تهز نافذة الخزانة وتطرق زجاجها، وتطلب منه وهي تئن أن يفتح لها كي تدخل وهب «لوكوود» مذعوراً، فإذا بصف الكتب الذي يحتل حافة النافذة يتحرك، فأطلق صرخة ثاقبة سمع على إثرها صوت خطوات تقترب، وانفتح الباب بعنف ودخل «هيثكليف» وفي يده شمعة. وقد حاكى بياض وجهه وجوه الموتى، وارتسم الفزع على قسماته. وجعل يستفسر «لوكوود» و«لوكوود». يجمع ثيابه المبعثرة وهو يسب ويلعن، كي يغادر تلك الحجرة المسكونة بالعفاريت. وما أن أدرك «هيثكليف» من كلماته المتناثرة ما حدث حتى طفرت من عينه دمعة، وتوجه إلى الفراش داخل الخزانة وعالج النافذة حتى فتحها وانفجر باكياً بغير احتجاز، وهو يردد بين شهقاته: ادخلي ادخلي يا حبيبتي كاتي.

وفي الدار التي استأجرها «لوكوود» في ضيعة «الجرانج» لزم الفراش محموماً بضعة أيام على أثر تلك الرؤيا الفظيعة، وسهرت على راحته وعلاجه مسز «دين» مدبرة الدار. وفي تلك الساعات الطوال راح يلاحقها بالأسئلة عما تخفيه «أعالي وذرنج» من عجائب تلك الأسرار. وأسعده أن يعلم منها أنها عاشت في جو «الأعالي» ما يزيد على ثمانية عشر عاماً. وأنها أوثق مصدر لرواية تلك القصة من جميع أطرافها.

وبدأت مسز «دين» تقص عليه تاريخ «هيثكليف» الحافل بالأسرار فهو ليس وارث تلك الثروة التي تضم ضيعتي «الجرانج والأعالي» وإنما هو طفل لقيط أحضره ذات ليلة ماطرة رب ضيعة «الأعالي» السيد النبيل مستر «إيرنشو» الكبير. وكان للسيد ابن يضارعه في السن، نشأ سكيراً عربيداً، منحل الأخلاق، قاسي الفؤاد. وكانت له أيضاً ابنة وحيدة أصغر من «هيثكليف» بثلاث سنوات اسمها «كاترين» ويدللونها باسم «كاتي». جميلة جذابة، جياشة العواطف تعشق التجول بين الأحراش، وقد نشأ الأطفال الثلاثة معاً.

ولكن الإبن المدلل «هندلي» كان يبغض «هيثكليف» ويسومه العذاب ويذكره دواماً بوضعه الزري. في حين كانت «كاتراين» تحب الفتى اليتيم ولا تكاد تفارقه لحظة. وكان السيد يعطف على ربيبه ويفيض عليه من حبه، ولا يتردد في إنزال العقاب الصارم بابنه «هندلي» كلما شعر أنه يؤذي الطفل المسكين. فلا عجب أن تنمو على الأيام عداوة عميقة بين «هندلي» و«هيثكليف» فأرسله أبوه الى لندن ليتم تعليمه ويبعده عن الدار. فقضى في تلك الغيبة أربع سنوات، ولم يعد إلى «الأعالي» إلا حينما جاءه نعي والده. عاد ومعه سيدة جميلة شقراء، تزوجها في غربته خلسة ولا يعلم أحد عن منشئها شيئا. ووجد أخته «كاترا ين» و«هيثكليف» على أتم مودة ووفاق، فصب جام حقده وغضبه عليهما معاً، وأنزل «هيثكليف» منزلة الخدم وحرم عليه ملازمة أخته.

وفي تلك الفترة ظهر في الأفق «إدجار لينتون» الشاب وريث «ضيعة الجرانج» وهو فتى جميل رقيق عريق المحتد، سليل عز تالد، ذو ثقافة متعددة الجوانب، فهو نقيض «هيثكليف» شكلا وموضوعاً ولم يكن «هيثكليف» في تلك الأيام يفارق الأحراش حتى اكتسب سحنة المتوحشين، فوق الذي يجري في ملامحه من شبه بالغجر الرحل المتأبدين.

وجعل «إدجار» وشقيقته البارعة الجمال «إيزابيلا» يحيطان «كاترا ين» بالرعاية ويلزمان جانبها أكثر الأوقات، الأمر الذى أسخط «هيثكليف» وأثار لواعج طبيعته الوحشية، فالغيرة هي أشرس العواطف، تخرج الدمث عن دماثته فلا عجب أن تدفع بذى الشراسة إلى التوحش الذي ليس له حد.

وتستطرد مسز «دين» - مدبرة الضيعة - في زاوية تلك الأحداث على مسامع مستر «لوكوود» أنها كانت مدبرة «الأعالي» في تلك المدة وموضع سر «كاترا ين». وفي ذات يوم باحت لها - وهي لا تشعر بوجود «هيثكليف» في مكان مظلم من الحجرة إنها تعتزم الزواج من «أدجار» الذي تميل اليه لدماثته وجماله وغناه وتعلقه الشديد بها، وإن كان قلبها يهيم «بهيثكليف» هيام عبادة، فلو كان على شيء من الثراء لتزوجته دون مراء، وما أن سمع «هيثكليف» في مكمنه المظلم تلك الكلمات حتى انفلت هاربا إلى العراء. فذعرت «كاترا ين» وجرت خلفه في الأحراش، وظلت تهيم على وجهها طول الليل بحثا عنه تحت وابل المطر فلم تقع له على أثر.

ولزمت «كاترا ين» الفراش شهرين طويلين تهذي تحت وطأة الحمى باسم «هيثكليف» ولما أبلت من مرضها بدا للجميع أن الفجيعة زالت بزوال الحمى وأنها تخلصت من سلطان «هيثكليف» عليها وأقبلت على «إدجار» بكل قلبها، فلما استردت عافيتها عقدا زواجهما، وكانت أمها قد ماتت بعد موت الأب بقليل.

وانصرف أخوها «هندلي» إلى الإفراط في الخمر بعد أن ماتت زوجته بداء السل، بعد أن وضعت وليدهما «هيرتون ايرنشو» الذي يقيم اليوم في المرتفعات عاملا من عمال الزراعة، وكم من مرة دفعت الخمر «هندلي» الى محاولة قتل وليده، مما حفز مسز «دين» أن تكفله وتحميه منه، فشب جاهلا كأبناء الفلاحين، لم يظفر بتربية تليق بنسبه. ولا سيما أن مسز

«دين» اضطرت لملازمة «كاترابن» عندما انتقلت إلى «الجرانج» مع زوجها فتركت الطفل وهي كارهة.

وعاشت «كاترابن» في سعادة غامرة بين زوجها الذي يحبها، وأخته، ولم تذكر اسم «هيثكليف» على لسانها إلى أن كانت مسز «دين» في الحديقة ذات مساء تجمع الفاكهة. وإذا بصوت من خلفها يناديها، فلما التفتت وجدت أمامها «هيثكليف» وقد غدا رجلا عميق الصوت، أجش النبرات، طويل القامة، أسمر الوجه، أسود اللحية، يرتدي ثيابا قاتمة، وقد غارت وجنتاه ولم يبدد الوقت بل قال باقتضاب: يجب أن أراها!

ولا يعلم أحد كيف استطاع «هيثكليف» أن يجمع تلك الأموال الطائلة التي عاد بها وقد أغرق ضيعة «الأعالي» في الديون التي تورط فيها «هندلي» لينفقها في الخمر والإنحلال، وفي «أعالي وذرنج» أقام «هيثكليف» سيدا وهو الذي فارق الدار خادما منبوذا آبقا منذ سنوات قلائل، وجعل يعقد الأواصر بينه وبين الصغير «هيرتون ايرنشو» ليكون وسيلته فيما بعد للإنتقام من أبيه. وما لبث «هندلي» أن مات ضحية مباذله فآلت «أعالي وذرنج» وأحراشها إلى «هيثكليف» ملكا خالصا بكل ما فيها ومن فيها وفي المقدمة «هيرتون ايرنشو» الصغير.

وذات يوم وصلت مسز «دين» رسالة من «ايزابيلا» تخبرها أنها عادت مع زوجها «هيثكليف» إلى «أعالى وذرنج» وأنها كانت تتمنى أن تزور «كاترابن» وقد سمعت بمرضها لولا خوفها من أخيها، وفي هذه الرسالة أظهرت بوضوح ما تتلقاه على يد زوجها من فظاظة في المعاملة لم تكن تخطر لها ببال حتى لتشك في أنه من بني الانسان. ورجت المربية العجوز مسز «دين» أن تخف لزيارتها في «الأعالي» ولا سيما أنها أرسلت فيما سبق إلى أخيها فلم تسمح نفسه بالرد عليها أو الصفح عنها.

وذهبت مسز «دين» إلى «الأعالي» لتجد «هيثكليف» يعامل «ايزابيلا» معاملة الخدم. وقد تبدلت حالها أسوأ تبدل. وصارت أشبه بأمة رقيقة في ملك يمين ذلك الزوج الشرس، يركلها فتعلق حذاءه وتلتمس رضاه في تزلف يدل على اختلاط البغض بالحب في قلبها. ولم يهتم «هيثكليف» حين رآني إلا بالسؤال المتلهف عن «كاترابن» وحالتها الصحية وأسباب مرضها وظروفه. وصرخ أمام زوجته مقسماً أن يراها وتوعد من يقف في طريقه بالويل والثبور. فقالت له مسز «دين» إن حالتها الصحية لا تتحمل الهزات العصبية العنيفة. فربما قضت زيارته عليها. فأجابها أن كل من في الوجود أهون من الهناء عند «كاترابن» متى رأته بين يديها، فرؤياه هي إكسير الشفاء الوحيد لمن تحبه ويحبّها.

وعارضته مسز «دين» خمسين مرة، ولكنه اجبرها على حمل رسالة منه إلى «كاترابن». وما أن وقعت عيناها على التوقيع وهي مضطجعة على فراش المرض حتى ضمت الخطاب إلى صدرها بلهفة ونظرت الى مسز «دين» في توسل. وسمعنا وقع خطوات تقترب من الحجرة، ثم فتح الباب، ودخل «هيثكليف» فقطع المسافة إلى الفراش في خطوتين.

وقـبـيل منتـصـف تلك الليلة ولدت «كـاتراين» الصـغيرة التي تعيش الآن في «أعالي ويذرنج» ولدت في الشهر السابع من الحمل بها، وبعد ساعتين من مولدها ماتت «كاترين» الأم من غير أن تفيق من أغمائها، أو تشعر بأنها غدت أما٠ وكان مصاب «إدجار» في موتها فادحا لا سبيل إلى وصفه٠

وذات يوم هربت «إيزابيـلا» أخت «إدجـار» من قسوة زوجها «هيثكليف» الذي أسرف في اضطهاده لها بعد موت «كاترين» وظلت عشر سنوات متـوارية عن الأنظار، ثم بعـثت إلى أخيها تطلب منه الحضور لأنها على فراش الموت٠ وذهب «إدجار» إليها وقضى معها أياما ثم عاد بابنها «لينتون» وهو فتى ضعيف هش٠ وكانت «كاترين» الصغيرة تكبره بستة أشهر ولكنها كانت في أوج صحتها٠ وكانت فرحتها به لا توصف، لأنه آنس وحدتها٠ وكم حاولت أن تغريه باللعب معها، ولكنه كان يفضل النوم على كل شيء٠

ونما إلى علم «هيثكليف» أمر وجود ابنه في ضـيـعـة «الجرانج» عند خـالـه٠ فـأرسل من يحـضـره إلى «الأعـالي» وإلا جـاء بنفـسـه ليأخذه٠ ولم يكن أمام «إدجار» إلا أن يسلمه لرسل أبيه مع أن «ايزابيلا» أوصته على فراش الموت ألا يدع الفتى لأبيه مهما حدث٠ وماذا كان «ادجار» مستطيعا وقد هدد «هيثكليف» بالقضاء على كل من يحرمه من ابنه٠ وما كان حبه لابنه هو الدافع له على ذلك الإصرار، بل رغبته في مواصلة الإنتقام من «إدجار» فقد طفق يعامله بمنتهى الشراسة، وفي الوقت نفسه هيأ الجو كي يتعلق «بكاترين» الصغيرة ليجعل من ذلك سبيلا إلى إزعاج «إدجار» وقد تم له ما أراد حين التقت بابن عمتها «لينتون» وراحت تتودد إليـه، ووالده يهدده بالضـرب المبرح كي يستمر في التقرب إليها رغم هزاله الذي يزهده في كل طيبات الدنيا٠

ومرض «إدجار» فلزم الفراش وحذر ابنته من الذهاب في نزهاتها إلى «أعالي ويذرنج» فرضخت الفتاة لأمر أبيها، ولكن حبها لابن عمتها غلبها على أمرها فكانت تراسله خلسة عن طريق أحد الأتباع٠ وفي بعض رسائل «لينتون» إليها أخبرها أنه طريح الفراش، فجعلت الفتاة تتوسل إلى مسز «دين» كي تصحبها إلى هناك في غفلة من أبيها٠ وكان هذا هو الكمين الذي أعده «هيثكليف» بعناية٠ فما أن وصلتا إلى «أعالي ويذرنج» حتى حبس مسز «دين» في حجرة قضت فيها أربعة أيام لا تعرف من أمر «كاترين» الصغيرة شيئا، حتى إذ أفرج عنها وجدت سيدتها الشابة وقد عقد زواجها على «لينتون» يملي عليها إرادته بإيعاز من أبيه وهي كالعصفور الضعيف بين مخالب ذلك العقاب الكاسر «هيثكليف» وأرسل إلى أبيها ينذره أنه احتجز الفتاة لأنها صارت زوجة شرعية لابنه٠ ولا سبيل لأبيها عليها بعد اليوم٠

وكانت هذه الطعنة هي القاضية على «إدجار» فساءت صحته واستدعى المحامين ليعيدوا اليه ابنته فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا٠ وبعد أيام استطاعت «كاترين» أن تتسلل في الفجر وتحضر إلى «الجرانج» لترى والدها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة٠

ولم تمنع رهبة الموت «هيـثكليف» أن يأتى

بنفسه ويأمر «كاترين» بالعودة إلى «أعالي ويذرنج» وأمر مسز «دين» أن تبقى في «الجرانج» فلم تجد بدا من طاعته. وخفف من وقع الحياة على «كاترين» أنها لم تزل تحب «لينتون» ولكن صحة المسكين تدهورت إلى أن مات، فنجا من عذاب الحياة مع أبيه القاسي.

ولبثت «كاترين» حزينة على «لينتون» منطوية على نفسها تجتر آلامها وهذه هي الحالة التي وجدها عليها «لوكوود» حين زار «أعالي ويذرنج».

وتحسنت صحة «لوكوود» فرحل عن المنطقة وبعد فترة طويلة عاد ليسوي حساب الأجرة وينهي عقده مع «هيثكليف». فما أن وصل الى «أعالي ويذرنج» حتى رأى باب الحديقة مفتوحاً على خلاف العادة. وكذلك كان أيضا باب المطبخ، ولمح في الشرفة شابا وشابة يتناجيان في حنان وحب، وقد خيم على المكان صمت جميل هادىء وبعد لحظة رأى مسز «دين» أمامه فرحبت به أيما ترحيب. ومن فمها عرف تتمة القصة.

لقد تغيرت حال «هيثكليف» بعد وفاة أعدائه وابنه، وصار يقضي وقته متجولا بين الأحراش. يناجي روح «كاترين» التي يؤمن أنها هائمة هناك لا يقر لها قرار إلى أن تجتمع به. وذات يوم وجدوه ميتا هناك فخلا الجو «لكاترين» الصغيرة و«هندلي ايرنشو» الذي كان يكن لها حباً لاعجاً. فاستطاع أن يخرجها من أحزانها ويشعل في قلبها جذوة الحب، وتزوج منها ودعيت مسز «دين» للإشراف على «أعالي ويذرنج» فطردت كل من كان يستخدمهم «هيثكليف» من الأوباش الأجلاف. وعاد الهدوء والحب يرفرفان على البيت الهانئ السعيد.

**ومن هذه الخلاصة الموجزة** نرى ملامح ما أسلفناه من وصف أسلوب الرواية وتكوين شخوصها وجو أحداثها. فالإطار الذي تقع فيه الأحداث هو إقليم الأحراش الذي يذكر بحال البداوة، وينأى عن طراوة الحضارة وتهذيبها وترسمها للحدود وخضوعها للمنهج والتخطيط.

والشخوص التي تعيش في تلك الأحراش أقرب إلى خلائق الأوابد. فهم أناس تمتزج في طباعهم امتزاجاً غير متساوق صفات الضراوة العاتية التي تكاد تخمد أنفاس الرقة والحنان. ولكن في مواقف الأزمات يصطرع هذان الضدان. كما تصطرع عناصر الطبيعة في ثورات البراكين، ويظهر الحنان الدافق والحب العميق مطاولا عواطف القسوة والحقد والجفاء والأنانية.

ولعل المواضع التي سننتقيها من مواقف تلك القصة التي قيل عنها إنها أغرب قصة حب انتجها قلم إنسان، تبرر تلك السمات الفنية والنفسية.

* تحول هيثكليف إلى أرملة ابنه التي كانت تطالع كتاباً أمام النار وصاح بها (أنت يا من لا تساوين شيئا! هأنذا أراك عدت إلى ألاعيبك! إن الجميع هنا يكسبون لقمتهم بما يؤدونه من أعمال. أما أنت فتعيشين عالة على إحساني ! ضعي هذه القذارة من يدك، وابحثي عن شيء تؤدينه. فلابد لك من أن تؤدي لي شيئا مقابل ما رزيت به من بلاء وجودك دائما أمام نظري... أسمعت أيتها

الملعونة؟

- سأضع قذارتي كما شئت، لأنك قادر على إكراهي إن أبيت!

وطوت السيدة الشابة كتابها، وألقت به إلى مقعد واستطردت:

- ولكني لن أقوم بأيّ عمل ولو بريت لسانك بالشتائم والسباب، لن أفعل إلا ما يروق لي!

فرفع «هيثكليف» يده. وقفزت السيدة متراجعة لتكون بمأمن فمن الجلي أنها ذاقت من قبل وطأة تلك اليد!

* قال «هيثكليف» «لكاترين» وهي تنتظر زيارة «إدجار» وشقيقته:

- هل أنت مشغولة بعد ظهر اليوم يا «كاتي» ؟ هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟

- كلا . فالمطر يتساقط.

- لماذا إذن ارتديت هذا الثوب الحريري؟ أرجو ألا تكوني في انتظار قدوم أحد؟

- لا أنتظر أحداً فيما أعلم ولكنك ينبغي أن تكون الآن في الحقل يا «هيثكليف».

- إن أخاك «هندلي» لا يتركنا معاً طالما هو هنا. عليه اللعنة! لن أعمل اليوم وهو غائب وسأبقى معك.

- ولكن «جوزيف» سيخبره حين يعود. فخير لك أن تذهب.

- «جوزيف» مشغول في الطرف الآخر من الضيعة إلى ما بعد حلول الظلام فلن يعرف أنني بقيت معك.

وجلس بجوار النار. ففكرت «كاترين» لحظة وهي مقطبة الجبين، ثم وجدت من الحتم عليها أن تخلي الطريق لحضور صديقيها الجديدين، فقالت:

- «إيزابيلا» و«إدخار» لينتون ربما حضرا.

- مري «إلن» أن تقول لهما: إنك مشغولة يا «كاتي» لا تبعديني عنك من أجل هذين الصديقين السخيفين التافهين!.

- وهل ينبغي أن أقضي معك كل وقتي؟ وما جدوى ذلك؟ وحول أي شيء يدور حديثك معي؟ إن كل ما تقوله لتسليتي جدير أن يصدر عن أبله أو طفل! بل وكل ما تفعله أيضا.

* وبعد أيام كانت «كاترين» تفضي في المطبخ الى مسز «دين» بهمومها وحيرتها، وبعد أن خطبها «إدجار».

- إنني لم أخلق للزواج من «إدجار لينتون» فلست ممن يليقون لدخول جنات الفردوس ولو لم يكن «هيثكليف» قد أنزل هذه المنزلة الدون، لما فكرت في الزواج من «إدجار» ولكن ما حيلتي وزواجي «بهيثكليف» يحط من شأني ويقضي على سمعتي، ولذا ينبغي ألا يعرف «هيثكليف» مبلغ حبي له. إني أحبه حبا غير حبي الجمال والوسامة بل أحبه حبي لذات نفسي! إنه أقرب إلى من روحي وأشبه بي من ذاتي. وأيا كان المعدن الذي صيغت منه روحانا. فمعدني ومعدنه واحد. أما معدن «إدجار لينتون» فغريب عن ذلك المعدن كل الغرابة، يفرق بيننا وبينه ما يفرق بين ضوء القمر الساجي وبين وميض البرق أو لهب النيران المستعر!. * وعندما كانت «كاترين» على فراش المرض الأخير، أخبرتها وصيفتها أن «هيثكليف» انتهز فرصة غياب زوجها وحضر ليراها بعد قطيعة طويلة.

وكان واضحا أنه لا يستطيع حمل نفسه على النظر إلى وجهها، إيماناً منه بما كنا

نعتقده جميعا أنها على شفا الموت ولا نجاء لها من علتها. وكان أول ما نطق به في صوت يرتجف بالأسى واليأس:

ـ آه يا «كاتي» يا حياتي! كيف أستطيع أن أحتمل هذا؟

ـ ثم راح يحدق فيها بقوة والجزع يتقد في نظراته اتقادا حال بين الدموع المتجمعة وبين الذويان والمسيل، وتراجعت «كاترين» إلى الخلف ونظرت إليه مقطبة الجبين ومزاجها يتذبذب بلا توقف من النقيض الى النقيض.

ـ أنت و«إدجار» حطمتما قلبي يا «هيثكليف» والآن تأتي باكيا شاكيا؟ لن تأخذني بك شفقة! لقد قتلتني! ما أقواك! وكم سنة تنوي أن تعيشها من بعدي؟

فركع «هيثكليف» على إحدى ركبتيه وحاول أن ينهض فتشبثت بشعره وأبقته راكعا وقالت بمرارة:

ـ تمنيت لو كان في استطاعتي أن أمسكك هكذا إلى أن نموت معا وما كنت لأكترث لما عسى أن تعاني. فعذابك لا يعنيني ولماذا لا تعاني وتتعذب؟ فأنا أعاني وأتعذب هل ستنساني؟ هل ستكون سعيدا عندما يواريني الثرى؟ هل ستقول بعد عشرين عاما: «هذا ضريح كاتراين ايرنشو» وقديما كنت أحبها وآلمني أن أفقدها ولكن هذا كله انتهى الآن! ولكم أحببت من بعدها الكثيرين، فأولادي أحب إلي اليوم وآثر عندي مما كانت «كاترين» ولكم يحزنني أن أفارقهم عندما أموت ولن يسعدني أنني أترك جوارهم إلى جوارها» أليس هكذا سيكون حديثك لنفسك يا «هيثكليف»!

فصرخ وخلص رأسه من قبضتها بعنف وصرف على أسنانه:

ـ لا تعذبيني كي أجن كما جننت .. هل بك مس من الشيطان حتى تكلميني بهذا الأسلوب وأنت على شفا الموت؟ ألا تدركين أن كل كلمة تتفوهين بها ستحفر في ذاكرتي، وتظل تأكل من عقلي إلى الأبد، بعد أن تفارقيني؟ وإنك لتعلمين أنك تكذبين حين تقولين إنني قتلتك، وإنك لتعلمين أيضا يا «كاترين» أنه لا سبيل لي إلى نسيانك إلا أن أنسى وجودي! أليس حسب أنانيتك الشيطانية أنني سأتلظى في عذاب جهنم هنا حينما تكونين أنت قد نعمت بالراحة الأبدية؟

ـ لن أنعم بالراحة .. ولست أتمنى لك عذاباً أشد مما منيت به أنا يا «هيثكليف» بل كل ما أتمناه ألا نفترق بعد الآن. وثق أنك كلما أحسست بالشقاء هنا على وجه الأرض فسيكون لشقائك صدى في نفسي وأنا تحت الثرى. هيا اركع مرة أخرى! اركع لأقول لك إنك لم تؤذني في حياتك. ودع عنك الغضب فلو لبثت الان غاضبا ستكون ذكرى غضبك أبعث للشقاء من كلماتي الجارحة! ألا تريد أن تقترب مني؟ تعال.

وعلى هذا النسق سائر صفحات تلك القصة الفريدة التي لم تتسع لها مؤلفتها لكتابة قصة سواها عندما غلبها الموت على عنفوان عقلها وعواطفها وهي في سن الثلاثين. فقد ماتت سنة ١٨٤٨. وكان تمام تأليفها «لأعالي ويذرنج» سنة ١٨٤٧. وليس من المظنون أنها كانت حرية أن تتفوق على نفسها وقد بلغت ذلك المدى في عملها الأول، ولو امتد بها العمر إلى ضعف تلك السن.

صفحات مطوية في «صحافة العميد» ٣

# التنبير الإعلامي لأدب

# طه حسين

لما عين في الجامعة ...

بعد عودته من فرنسا في أكتوبر ١٩١٩ عُيِّن الدكتور طه حسين أستاذاً للتاريخ القديم (اليوناني والروماني)، ويستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٩٢٥، حيث ألحقت الجامعة المصرية بالدولة فأصبحت حكومية بعد أن ظلت أهلية من سنة ١٩٠٨ حتى سنة ١٩٢٥، فعين الدكتور طه حسين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كلية الآداب.

وفي عام ١٩٢٨ عين الدكتور طه حسين عميداً لكلية الآداب، فأثار ذلك التعيين أزمة سياسية. كان علي الشمسي وزيراً للمعارف وكان وفدياً، فتدخل للحيلولة دون تعيينه لأن الوفديين كانوا يبغضونه لصلته الوثيقة بالاحرار الدستوريين. وطلب إلى الدكتور طه أن يستقيل، وحسماً للأمر قبل أن يستقيل بشرط أن يعين أولا، فعين يوماً وقع فيه بعض الأوراق، وفي المساء قدم استقالته. وأعيد ميشو Mi-chaud الفرنسي الذي انتهت مدته في سنة ١٩٣٠، فاختارت كلية الآداب الدكتور طه حسين عميداً. ووافق على تعيينه وزير المعارف آنذاك، مراد سيد أحمد، الوزير في وزارة اسماعيل صدقي الأولى وبعد يومين طلب منه أن يستقيل من الحكومة ليصبح رئيسا لتحرير جريدة «الشعب» لسان حزب الشعب، الذي أنشأه صدقي حديثا. فرفض وآثر البقاء في الجامعة. وألحوا عليه من قبل

# الاتجاه نحو الموضوع عند «طه حسين» اتجاه يقوم على التجربة

بقلم:
**أ.د. عبد العزيز شرف**
- مصر -

صدقي في قبول رئاسة التحرير، فأصر على الرفض، وأسرها صدقي في نفسه.

وفي سنة ١٩٣٢ حدثت الأزمة الكبرى في مجرى حياته العامة، ففي فبراير من هذه السنة كانت الحكومة تريد أن تمنح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لبعض السياسيين وهم: علي ماهر وابراهيم يحيى وعبد العزيز فهمي وتوفيق رفعت. فأبى الدكتور طه حسين حفاظا على مكانة الدكتوراه. ودعاه حلمي عيسى وزير المعارف آنذاك، فأصر على موقفه. فعدلت الحكومة عن كلية الآداب إلى كلية الحقوق. ونتيجة لهذا الموقف قرر حلمي عيسى، وزير المعارف، نقله في ٣ مارس ١٩٣٢ إلى وزارة المعارف. فنفذ النقل، ولكنه رفض العمل، وتابع الحملة في الصحف، وحدثت ضجة هائلة في الصحافة والجامعة. وطلب إليه صدقي باشا التعاون مع حلمي عيسى فأبى وطلب إليه أن يعيده إلى منصبه في الجامعة. وهنا أوعز إلى أحد النواب، وهو عبد الحميد سعيد، فقدم استجوابا في هذه المسألة. وفي الغداة، في ٢٩ مارس سنة ١٩٣٢، أحيل الدكتور طه حسين إلى التقاعد، وابتداء من ٢٩ مارس ١٩٣٢ لزم بيته، إلا أن يكتب في جريدة «السياسة» اليومية مجاناً، وتولى حيناً رئاسة تحريرها في أثناء غيبة الدكتور محمد حسين هيكل.

ويقول الدكتور طه حسين في حديث طويل إلى الصحفيين في أعقاب تلك الأحداث.. «على أني أريد أن أقف وقفة قصيرة جدا من شيخ الإسلام .. ومن حامي الاسلام فقد أصبح صدقي باشا حامي الاسلام منذ فصل طه حسين من الحكومة.. أريد أن أقف معهما وقفة قصيرة لأسألهما عن حماية الاسلام هذه ما هي؟ وكيف تكون؟ وماذا يبلغان منها بفصل طه حسين من خدمة الحكومة! فهما لن يمنعاه بهذا الفصل من أن يتكلم ولا من أن يكتب، ولا من أن يكون له تلاميذ ولا من أن يلقى تلاميذه القدماء.. وإذن .. فما حمايتهما للإسلام.. كيف يفهمانها وكيف يحققانها؟ .. أهما يحميان الاسلام حقا أم يرضيان شهوات خفية؟ لقد قرأ صدقي باشا كتاب «الشعر الجاهلي» وكتاب «الأدب الجاهلي» وكان من المدافعين عنهما في الأزمات الماضية، وهو الذي سعى وألح لتعيين طه حسين عميداً لكلية الآداب.. وسعى وألح في السعي حين كان رئيساً لهذه الوزارة.. فما بال هذين الكتابين يروعان صدقي باشا.. لقد أعلن صدقي باشا لطه حسين حين التقيا

# يرتبط المثل الأعلى في الاتجاه الذاتي عند «طه حسين» بالحرية

أخيرا أنه فوجيء باستجواب عبد الحميد سعيد، وطلب الى طه حسين أن يدع له أمر هذا الاستجواب السخيف.. واستعمل هذا اللفظ .. فكيف انقلب هذا الاستجواب قيماً بعد أن كان سخيفا؟ واستعمل هذا اللفظ .. فكيف استحال صدقي باشا محامياً بعد أن كان منكرا لهذا الاستجواب؟.

«وقرأ شيخ الاسلام أو شيخ الجامع الأزهر هذين الكتابين فيما يقول، والله وحده يعلم ماذا فهم من هذين الكتابين وكيف فهم؟ ولكنه على كل حال كان يلقى طه حسين ويتلطف له، ويبارك عليه، ويستشيره في كثير من أشياء الأزهر، فكان يضمر شيئا ويظهر شيئا.. أم هو يؤمن ببعض الكتاب دون بعض؟».

«إن حماية الاسلام لا تكون بفصل طه حسين من الحكومة.. وإنما تكون بتحويل نظم الحكم كلها - بتحريم الربا وإغلاق المصارف، ومنع الحكومة من أن تستفيد من أموالها في البنك الأهلي وغيره من البنوك، ومنعها من أن تبيح الخمر وتجبي عليها الضرائب، ولعل مرتب الأستاذ الأكبر أن يكون بعضه من هذا الربا أو من ضريبة المحرمات».

ثم يختم تصريحه للصحفيين بقوله: «أرجو أن ينسى رئيس الوزراء وشيخ الأزهر أنفسهما لحظة واحدة وأن يفكرا في أنهما يخجلان بلدهما ويسيئان إليه بهذا العبث الكثير.. فنحن في القرن العشرين لا في القرن الثاني عشر.. وكرامة الأمة يجب أن تكون أحب إليهما وآثر عندهما من النكاية بفرد من الأفراد وإن كان هذا الفرد طه حسين.

ومن ذلك يبين موقفه من فترة الانقلاب الدستوري، وهو الموقف الذي يعتبر نقطة حاسمة في مكانه من البيئة العامة، فقد رأيناه فيما تقدم «رجل فكر» ينتمي إلى حزب «المفكرين» وصحيفتهم «السياسية» ولكنه يصبح أكثر التصاقا بالجماهير المصرية، سيما بعد اضراب الطلاب في الجامعة تحت قيادة الطلاب الوفديين احتجاجاً على نقله من الجامعة وخروجهم في مظاهرة ضخمة إلى بيت طه حسين حيث استقبلوه وحملوه على الأعناق هاتفين بحياته.. وحياة الفكر الحر المضطهد، ومن يومها رفض طه حسين الذهاب إلى وزارة المعارف. ومن قبل طلب منه مصطفى النحاس في مارس ١٩٣٣ الإشراف على تحرير «كوكب الشرق» التي كان يصدرها حافظ عوض، وكان ثمت ائتلاف بين الوفديين والأحرار الدستوريين ضد صدقي، ثم اختلف طه حسين مع حافظ عوض بسبب امتناع الأخير عن دفع الغرامة عن أحد الكتاب بعد أن حكم عليه وعلى طه حسين وهيكل بغرامة. فاستقال من «كوكب الشرق» واشترى امتياز جريدة «الوادي» وتولى الإشراف على التحرير فيها حتى ديسمبر سنة ١٩٣٤ حيث أعيد إلى الجامعة استاذاً في كلية الآداب بعد تولى وزارة نسيم الحكم خلفاً

## كان «طه حسين» في جميع مراحل حياته الخصم الشريف في العرف الكتابي، والمصري الوطني في التاريخ الواقعي» (حافظ عوض)

لوزارة عبد الفتاح يحيى المتممة لوزارة صدقي.

فاستأنف دروسه في هذه الكلية بعد أن انقطع عنها منذ مارس ١٩٣٢، وفي مايو ١٩٣٦ عين عميداً لكلية الآداب، واستمر في العمادة حتى مايو ١٩٣٩. لقد أعيد انتخابه. لكن حكومة محمد محمود - لم ترض بإعادة تعيينه عميدا، فاضطر إلى الإستقالة من العمادة والبقاء أستاذا وفي أواخر عام ١٩٣٩ انتدب مراقباً للثقافة في وزارة المعارف. واستمر كذلك حتى فبراير ١٩٤٢، مع بقائه يلقي دروساً في كلية الآداب. وحين عاد الوفد إلى الحكم في ٤ فبراير ١٩٤٢ عينه نجيب الهلالي، وزير المعارف، مستشاراً فنيا للوزارة، ثم انتدب مديراً لجامعة الإسكندرية في أكتوبر ١٩٤٢، واستمر في هذين المنصبين حتى ١٦ اكتوبر ١٩٤٤، حيث أحيل إلى التقاعد، واستمر خارج المناصب الحكومية حتى ١٣ يناير ١٩٥٠. إذ عين وزيراً للمعارف في الوزارة الوفدية، واستمر في هذا المنصب حتى أقيلت الوزارة الوفدية في ٢٦ يناير ١٩٥٢ إثر احراق القاهرة.

وفي أثناء توليه وزارة المعارف قرر مجانية التعليم الثانوي والفني منذ البداية، وحاول أن يجعل التعليم العالي مجانيا كذلك. فأبى الملك انذاك. كما حول عدداً هائلا من المدارس الأولية إلى الابتدائية وأنشأ آلاف الفصول، وكان شعاره أن التعليم ضروري للناس ضرورة الهواء والماء، فانتشر التعليم انتشاراً واسعاً بفضله وهي الدعوة التي ظل يدعو لها في مقالاته الصحفية بعد دستور ١٩٢٣، وأخذت شكل برنامج تفصيلي في «مستقبل الثقافة في مصر» وتمكن من وضع بعض أفكاره موضع التنفيذ حين عين مستشاراً لوزارة المعارف من ١٩٤٢ - ١٩٤٤، فكان له دور كبير في إنشاء جامعة الإسكندرية التي كان أول مدير لها. ولم يكن الغرض من تأسيس هذه الجامعة أن تكون نسخة طبق الأصل من جامعة القاهرة أو امتداداً لها بل كان الغرض من ذلك أن تكون جامعة حقيقية، متحررة من ضغط الوزارة والجماهير، تحدد بنفسها أهدافها ومقاييسها، وتجتذب إليها أحسن الطلاب والأساتذة وتكون منفتحة على ثقافة البحر المتوسط ووريثة تاريخ الاسكندرية ومركزاً للدراسات الإنسانية الكلاسيكية.

ومن ٢٦ يناير ١٩٥٢ ينصرف طه حسين إلى الإنتاج الفكرى الخالص، وإلى ألوان النشاط في المجامع العلمية التي كان عضواً فيها، ورئيسا لها فكان رئيساً «لمجمع اللغة العربية» بالقاهرة وعضوا في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، و«المجمع المصري» وعضوا مراسلا لعدة مجامع وهيئات علمية في الخارج وحصل علي الباشوية سنة ١٩٥١، وعلى وسام «اللجيون دونير» من طبقة

جراند أو فيسية وعلى الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد وجامعة كمبردج.

وفي ٢٣ ابريل ١٩٥٩ اختير عضواً ممثلا للجمهورية العربية المتحدة في اللجنة الاستشارية للمشروع الرئيسي لتبادل القيم الثقافية بين الشرق والغرب وفي ١٢ أكتوبر ١٩٥٩ جدد تعيينه أستاذاً غير متفرغ بكلية الآداب وفي ١٦ أكتوبر من نفس السنة عين رئيسا لتحرير جريدة «الجمهورية» وفي ١٨ نوفمبر فاز بالجائزة التقديرية في الآداب.

وفي مايو ١٩٦٠ اختير عضواً في المجلس الهندي للعلاقات الثقافية عن مصر، وفي نفس الشهر اختير ممثلا لمصر في مؤتمر الحضارة المسيحية والسلام في فلورنسا، وفي يوليو ١٩٦١ رشحته كلية الآداب بجامعة الإسكندرية لجائزة «نوبل» وفي نوفمبر من نفس العام أسند إليه الإشراف على معهد الدراسات العربية العليا.. وفي مارس ١٩٦٢ اختارته الهيئة الأدبية الإيطالية السويسرية محكما مع اعضاء جائزتها الأدبية «بوزان» التالية لجائزة نويل العالمية، وفي ٤ يوليو ١٩٦٢ استقال من جامعة القاهرة كأستاذ غير متفرغ لمرضه ، وفي ١٣ مايو ١٩٦٣ فاز برئاسة المجمع اللغوي خلفا لأستاذه لطفي السيد، وفي ١٤ يونيو ١٩٦٤ قررت جامعة الجزائر منحه درجة الدكتوراة الفخرية، وهو أول عربي يفوز بها، وفي ١٧ يناير ١٩٦٥ أهدته جامعة باليرمو بصقلية بإيطاليا الدكتوراه الفخرية تقديرا «لفضله وعلمه بوصفه عالما وناقدا ذاعت شهرته في أنحاء العالم»، وفي ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ أهداه الرئيس عبد الناصر قلادة النيل «لخدماته للأدب العربي» وفي ٢ اكتوبر ١٩٦٧ أعيد انتخابه رئيسا للمجمع اللغوي لمدة أربع سنوات، وفي أول نوفمبر عين رئيسا لمجلس إدارة جمعية الأدباء، وفي يوليو ١٩٦٨ أهدته جامعة مدريد درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا لخدماته في الثقافة العربية المعاصرة، وفي مارس ١٩٧١ رشحه مجمع اللغة العربية لجائزة نوبل، وفي مايو انتخب رئيسا لمجلس اتحاد المجامع اللغوية وافتتح اول اجتماع له في بيته، وفي نفس السنة أقام مركز وثائق الدراسات الشرقية «بأوروجواي» مهرجاناً أدبيا كبيرا لتكريم طه حسين تحت رعاية «اليونسكو» في مجال نشاطها الخاص بالتقارب الثقافي بين الشرق والغرب، وفي هذا المهرجان أقيمت ندوة أكاديمية لتحليل أعماله في جامعتي «الجمهورية» بأوروجواي «وسلفادور» بالأرجنتين، كما أقيم معرض لكتبه الأدبية والفكرية والثقافية.

وفي الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣ فارقت روح طه حسين الحياة « بعد أن فارق اليأس روح مصر» كما يقول صاحب «عودة الروح».

ومما تقدم يتبين لنا أن طه حسين وقادة الفكر من جيله قد عاهدوا مصر على أن «يحولوا بينها وبين النوم عن الحق» وقاوموا الاستبداد ولقوا في مقاومته ضروبا من الأذى». ومن هنا تتحدد وظائف الإتصال بالجماهير عند طه حسين، والتي ترتبط بشخصية جيل بأكمله، ولد في ظل احتلال بغيض، وكان عليه أن «يوظف» إمكاناته وقدراته من أجل مصر الحرة المستقلة

# مجانية التعليم لم تولد إلا على يد «طه حسين»

الناهضة.

وتتحدد هذه الوظائف بالمقومات الثقافية والفكرية عند طه حسين، ممتزجة بالمقومات الفطرية والمكتسبة لشخصيته، التي ألمنا بطرف منها فيما تقدم، تأسيسا على أن شخصية الكاتب الصحفي، تميز اتصاله بالجماهير من خلال نظام ثابت نسبيا يحدد الأساليب التي يتكيف بها مع البيئة المادية والإجتماعية.

## اتجاهات الاتصال بالجماهير عند طه حسين:

يقول الكاتب الأمريكي والترلبمان: «إن المجتمع الحديث لا يقع في مجال الرؤية المباشرة لأحد، كما أنه غير مفهوم على الدوام، وإذا فهمه فريق من الناس، فإن فريقاً آخر لا يفهمه» وهكذا يأتى الفن الإعلامي للشرح والتفسير والتكامل، ذلك أن الفن الإعلامي فن حضاري بالضرورة يقوم على حل صياغة المعرفة بطريقة عملية واقعية.

وتأسيساً على هذا الفهم فإن الاتصال الصحفي بجمهور القراء يرتبط بالتقدم العلمي، ويتطلب انتشار التعليم، لكي يجعل المجالات البعيدة والمعقدة في متناول الجمهور، والصحفي الناجح في المجتمع الحديث هو الذي يتقن مهارة الاتصال من خلال نشر الأخبار والتعليق عليها وتفسيرها، وتبسيط المعلومات وتجسيدها، وتقديم صور العالم وأحداثه بشكل واضح ومجسد ودرامي، وفي أشكال خالية من التجريد أو الأكادمية أو التعقيد ومن ذلك تبين المقومات الاتصالية التي تجعل الفن الصحفي طريقة تفكير ورؤية خاصة متميزة للحياة، ذلك أن الصحفي ينظر دائماً إلى جمهوره، ويقرر ما إذا كان قادراً على فهم ما يقول أو غير قادر على ذلك، وهو لذلك يضفي على عمله الفني أبعاداً ما كان ليضيفها عليه، لولا هذه النظرة العملية للجمهور.

وعلى ذلك، فإن هذا الفصل يتحدث عن اتجاهات الاتصال بالجماهير عند طه حسين، ليمهد للتعرف على أبعاد رؤيته المتميزة للحياة من خلال فن المقال الصحفي الملتزم بالموضوعية، الذي يعكس مشاعر الجماعة وآراءها بحيث يتم التوافق والتناغم بين الكاتب وقرائه، إذ بدون وجود هذا التوافق تنعدم إمكانية الاتصال وهو الأمر الذي يقتضينا عند الحديث عن مقومات المقال الصحفي عند طه حسين، أن نتحدث عن اتجاهاته في الإتصال بالجماهير، تأسيساً على أن اتجاهات مصدر الاتصال تؤثر على الطرق التي يتصل بها، أو كما يقول هربرت سبنسر في كتاب «المبادىء الأولى»: «إن وصولنا إلى أحكام صحيحة في مسائل مثيرة للجدل، يعتمد الى حد كبير على اتجاهنا الذهني، ونحن نصغي إلى هذا الجدل أو نشارك فيه».

وهو في ذلك يستعمل اصطلاح «الاتجاه الذهني» القريب من الاستعمال الشائع في بحوث الاتصال بالجماهير الذي يذهب إلى أن «الاتجاه حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي، تنتظم من خلاله خبرة الشخص وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثير هذه الاستجابة».

ولما كان الاتجاه هو المقوم الأساسي للرأي، فإنه يجدر بنا أن نناقش اتجاهات طه حسين في الاتصال بالجماهير، التي تميز طبيعة فن المقال المركبة، وتقتضي هذه الدراسة التعرض لأربعة اتجاهات أساسية هي:

**(أ) اتجاه الكاتب نحو ذاته.**

**(ب) اتجاه الكاتب نحو الموضوع.**

**(ج) اتجاه الكاتب نحو جمهور القراء.**

**(د) اتجاه الكاتب نحو وسائل الإعلام.**

على أن نحدد من خلال هذه الاتجاهات بعد ذلك مفهوم طه حسين لعملية الاتصال الذي يشير الى أبعاد تجربته الاتصالية بالجماهير من بعد.

### (أ) اتجاه الكاتب نحو ذاته:

ونعني بهذا الاتجاه في الاتصال بالجماهير، رؤية الكاتب لذاته، التي تؤثر على تقييمه لرسالته أو مقاله الذي يكتبه، كما تؤثر على درجة التناغم أو التوافق مع جمهور القارئين، وأسلوب اتصاله بهم من خلاله، ومصداق ذلك ما نجده في مقالات «الأيام» الاعترافية، التي تكشف عن جانبين أساسيين.

الأول: أنها تعبير عن الذات في مرحلة التكوين وهي أهم مراحل العمر.

الثاني: أنها تعبير عن موقف نفسي خاص استتبع بالضرورة تداعي صور الطفولة وبواكير الصبا فانتزعها من أعماق الذاكرة، وصورها بما يناسب الموقف النفسي وهو الإكبار من شأن الفكر الإنساني والإلحاح على حريته والإستخفاف - بل الاستعلاء - على المحافظة والجمود.

ذلك أن «الأيام» كما سيجيء تقترن بمحنة الشعر الجاهلي، وهي لذلك كما يقول في المقدمة الخاصة للطبعة البارزة التي طلبها منه الدكتور عبد الحميد يونس استجابة «للهموم الثقال» التي كان يحس بها وقتذاك إبان الاضطهاد الذي وقع عليه من أجل تحرير الفكر باصطناع الشك في الروايات القديمة التي جعلها المحافظون في مكان المسلمات والمقدسات والبديهيات. كما سيجيء عند الحديث عن المجتمع التقليدي. فمكانة طه حسين إنما تحددها المعركة المتواصلة في سبيل الحرية. وأيا كانت المحاولات التي بذلت في التعرف على أبعاده، فإن القليلين هم الذين يستطيعون أن يتبينوا أن ظرفه الخاص كان بعيد الأثر في استشعاره بذاته أولا، وبمكان هذه الذات من الأطر الإجتماعية في الحياة ثانيا، وفي اندفاعه انطلاقا من واقعه وتحدياً له، يحقق ذاته بالدعوة إلى حرية الفكر وبالإلحاح على تعقيل الحياة، وهذه هي الأصول التي يقوم عليها منهجه المعروف في النقد وتاريخ الأدب، ويرتكز عليها عمله في الجامعة والحياة العامة، وتستند إليها دعوته إلى الثقافة والتنوير وإشاعة المعرفة من خلال المقال

# صبرت وصابرت واحتملت من ألوان المشقة فى الأزهر ما رضيت عنه وما سخطت عليه»•

الصحفي•

ولذلك ينظر طه حسين إلى ذاته، وإلى زملائه من المقاليين التجديديين الذين انتهجوا الكرامة التي اكتسبوها لأنفسهم ولأدبهم، وعلى أنهم «يعيشون أولا ويعيشون أحرارا، ثم ينتجون أولا وينتجون أحراراً»•

على أن رؤية طه حسين لذاته ترتبط بظروف حياته، التي استخرجت مذهبه في الحياة من أعماق طبيعته استخراجاً، بعد أن «كان كامناً فيها كمون النار في العود كما يقول الشاعر القديم»، وأول ما يستكشف طه حسين من هذا المذهب خصلة يرى أنها قد صحبته منذ الصبا هي «الظمأ الشديد إلى المعرفة لا يطفئه اكتساب العلم، وإنما يزيده قوة وشدة والتهابا، فأنا لا أحصل نصيبا من المعرفة إلا أغراني بأن أحصل شيئاً آخر أبعد منه مدى وأشد عمقاً• وليس في هذا نفسه شيء من الغرابة• فإذا كانت حاجة من عاش لا تنقضي، فحاجة من ذاق المعرفة أشد الحاجات إلحاحاً واعظمها إغراء بالتزيد منها والإمعان فيها، وأكبر الظن أن هذه الآفة التي ألمت بي في أول الصبا هي التي أذكت في نفسي هذه الجذوة، فهي قد صرفتني عن كثير مما يشغل المبصرين وحرمت علي ألواناً من جدهم ولعبهم، ويسرتني فيما خلقت له من الدرس والتحصيل أنفق فيها من القوة والجهد والنشاط والفراغ ما ينفقه غيري فيما يضطربون فيه وما يختلف عليهم من ألوان الحياة وخطوبها»•

ويبين كلف طه حسين بهذا المثل القديم: «لابد مما ليس منه بد» اتجاهه نحو ذاته، الذي يدفعه إلى المعرفة، وهو المثل الذي يؤثره مع بيت أبي العلاء:

«وهل يأبق الإنسان من ملك ربه
فيخرج من أرض له وسماء»

يقول طه حسين: «لم يكن بد إذن من أن أوطن نفسي على الفراغ لما أحسنه• أو لما ينبغي أن أحسنه من الدرس والتحصيل ما وجدت إليهما سبيلا• وقد فعلت أو حاولت أن أفعل في آخر الصبا وأول الشباب، ولكن ما اسرع ما رأيت وسائل الدرس والتحصيل عسيرة عليّ أشد العسر، فقد كنت مستطيعا بغيري - كما يقول أبو العلاء - لا أذهب ولا أجيء ، أو لا أغدو ولا أروح، ولا أقرأ ولا أتعلم إلا أن يعينني على ذلك معين، وكانت طريقي الى الدرس والتحصيل في تلك الأوقات ضيقة محدودة تبدأ بي في الازهر وتنتهي بي الى الأزهر وكان علي أن أنفق العمر في هذا المدار المحدود من العلم الذي كان الأزهريون يبدأون فيه ويعيدون، ولا يضيفون إليه وقتئذ شيئاً ولا يستطيعون أن يضيفوا إليه شيئاً»•

وهنا ظهرت خصلة ثانية من الخصال التي تؤلف اتجاه «طه حسين» نحو ذاته وهي «الصبر والمغالبة واحتمال المكروه ما وسعني احتماله، فقد صبرت وصابرت واحتملت من

ألوان المشقة في الأزهر ما رضيت عنه وما سخطت عليه، ولكني رأيتني مدفوعاً إلى شيء من المغامرة لم يكن يدفع إليها أمثالي في تلك الأيام، فإني لا أختلف مع بعض الصديق إلى دار الكتب لأقرأ منها من العلم ما لم يكن الأزهر يسيغه، ولم أكد استكشف علم القدماء من العرب وأدبهم حتى صرفت إليها عن الأزهر صرفا، رأيتني ثائرا على الأزهر ودروسه ثورة جامحة لم أحسب لعواقبها حساباً، ثم لا أكاد اتصل بالجامعة التي انشئت في تلك الأيام حتى أكلف بما كان يلقى فيها من درس أشد الكلف».

ومن ذلك تتبين خصلة ثالثة عند «طه حسين» وهي: «خصلة التصميم على اقتحام العقبات التي تعترض سبيلي إلى العلم مهما تكن أو أموت دونها. وإذا أنا مصمم على أن أحصل علم الجامعة ثم أعبر البحر إلى أوربا لأطلب العلم هناك، وما أكثر ما سألت نفسي كيف السبيل لمثلي إلى عبور البحر وطلب العلم غريباً في تلك البلاد التي لا أعرف من أمرها شيئا. ولم أكن أجد جوابا لهذا السؤال ولكنى كنت أقول دائما: «ومع ذلك فلابد من عبور البحر وطلب العلم في معاهد الغرب.

ولم يحتج «طه حسين» إلى خصلتي الصبر وصدق العزيمة كما احتاج إليهما حين بلغ فرنسا، فأنكر من حوله «كل شيء وكل إنسان» وأنكره من حوله «كل شيء وكل إنسان أيضا. ولكن الصبر والاحتمال في عزم لا يعرف أناة ولا فتورا» أتاحا له أن يعرف الناس والأشياء، وأن يعرفه الناس وتعرفه الأشياء وأن يحيا في فرنسا «حياة مهما تكن شاقة في أولها فقد أتيح لها اليسر والنجاح بعد العامين الأولين».

ويعود «طه حسين» إلى مصر لا ليجلس في حلقة من حلقات الأزهر كما كانت أسرته تتمنى له ولكن «لأكون أستاذا في الجامعة. وقد أخذت أشارك الناس في الحياة العامة وكانت ثقيلة في تلك الأيام كانت صراعا بين مصر وبين الانجليز وكانت صراعا بين الأحزاب المصرية نفسها وأنا أحمل نصيبي من هذه الأثقال كغيري من المواطنين» ولكن خصلة أخرى من خصال اتجاهه نحو ذاته تكشفها له الظروف الجديدة التي عاش فيها منذ عاد الى مصر، وهي «خصلة الصراحة، والجهر بالحق مهما يكن مراً ممضاً والنضال في سبيله مهما يثقل هذا النضال ومهما تكن عواقبه».

يقول «طه حسين»: «وكذلك رأيتني أخاصم في السياسة وأخاصم في الاصلاح الاجتماعي. وأخاصم في تجديد العقل المصري، وتغيير منهجه في البحث والدرس، وأخاصم في نقل المناهج الغربية الحديثة لأفرضها على دراسة الأدب والتاريخ في مصر. وإذا أنا أثير الخصومات وأحفظ الصدور وأغرق الناس بنفسي وألقي من ذلك الجهد والمشقة وأغضب في وقت واحد كثرة البرلمان وصاحب القصر ولكني لا أحجم ولا أتردد وإنما تزيدني المحنة إقداما وتصميماً ثم أمضي فيما أنا فيه من الصبر والتصميم والمجاهرة بما أرى أنه الحق غير حافل بسخط الساخطين ولا رضى الراضين حتى يبلغ الأمر غايته، فأقصى عن الجامعة وأحارب في الرزق وأتلقى ألوان النذير فلا يفل ذلك من عزمي وإنما يزيده مضاء وتصميماً، وكذلك غالبت

# لابد من عبور البحر وطلب العلم في معاهد الغرب «طه حسين»

المصاعب والعقبات على اختلاف مصادرها وعلى اختلاف ألوانها وطبقاتها وأتيح لي التغلب عليها آخر الأمر ولو إلى حين».

وهنا تظهر الخصلة الأخيرة التي عرفها «طه حسين» من نفسه وهي: «حبي لأن أرى الناس جميعاً مثلي في الشوق الى العلم والاستزادة منه والوصول إليه دون أن يجدوا مثل ما وجدت من المشقة ودون أن يمتحنوا بمثل ما امتحنت به من ضروب العناء. وإذا أنا أدعو إلى ذلك وألح في الدعوة إليه على كره السلطان له في ذلك الوقت، والناس يسمعون لي ويستجيبون لدعوتي والسلطان يضيق بي وبالناس، ولكنه مضطر آخر الأمر إلى أن يستجيب لبعض ما كان الناس يلحون فيه، بخيلا باستجابته مترددا فيها لا يقبل عليها إلا كارها ثم تتاح لي المشاركة في السلطان ذات يوم، وإذا أنا أستحي أن ألقى الناس بغير ما عودتهم من المطالبة بنشر التعليم وتيسير المعرفة للناس جميعا. فأبذل في ذلك ما أملك من الجهد ولا أترك السلطان إلا وقد استقر في نفوس الناس أن العلم حق لهم يجب أن يكونوا جميعا سواء في القدرة على أن يطلبوه أحراراً لا يجدون في سبيله مشقة مهما يكن لونها».

وكذلك يكشف «طه حسين» من طبيعة نفسه عن خصال هي التي كونت اتجاهه نحو ذاته، ومن ذلك يبين أن اتجاه «طه حسين» نحو المثل الأعلى إنما ينبع من اتجاهه نحو ذاته، ويتصل باتجاهه نحو موضوعه وقرائه.

ويرتبط المثل الأعلى في الاتجاه الذاتي عند طه حسين بالحرية، فالكاتب «مسؤول قبل كل شيء أمام ضميره وذوقه، وعليه هو أن يلائم بين ما ينتج وبين بيئته وعصره والظروف التي تحيط به، ويؤمن طه حسين «بالعقل» إيمان أبي العلاء به «فهو ناقد اجتماعي لحياة الناس، لا فرق عنده بين الحاكمين والمحكومين» ويريد أن يكون الناس جميعا مثله مؤمنين بعقولهم وتلمس هذا الاتجاه يلخص مقومات الاتصال بالجماهير عند «طه حسين»، فهو - كما يؤكد «صديق عليم» كان في جميع مراحله في الصحافة التي كثيرا ما خدمها، وكثيراً ما أحسن البلاء فيها والإفادة لها - كان إلى جانب رسالته العلمية والفكرية والأدبية - لا ينشد من وراء كتاباته كلها إلا ما يراه متفقا والمصلحة الحقيقية بحافز صادق من أيمانه الفياض المرسل كاسمه إرسالا، والمنطلق بوجدانه الحي المترع حساسية وشعورا، وبعاطفته النبيلة المعناة، وحماسه المتقد الحكيم، وكان في كل أطواره نعم العون والظهير، ونعم المدافع والنصير لجميع الحريات، حرية الفكر، حرية الكتابة، حرية الاجتماع، حرية الخطابة».

ويقول حافظ عوض عن «طه حسين» إنه «كان في جميع مراحل حياته الخصم الشريف

في العرف الكتابي، والمصري الوطني في التاريخ الواقعي، مع سعة عطف، وليانة جناب، ومع عطف وحدب، ومع ضمير ووجدان، ومع إخلاص صامت، ومع حماس جياش، ومع اتئاد في تدفق، ومع حصافة في احترام، ومع احترام في هدوء، ومع هدوء في حياة ، ومع حياة في اتزان كل ذلك ورائده في مصلحة الوطن في غير صخب ولا ضوضاء. وشعاره «إما الجهر بالحق في غير خور ولا تردد وفي غير حذر ولا حيطة».

ونخلص من ذلك إلى أن هذه الخصال جميعا، إنما تصدر عن اتجاه إيجابي نحو الذات، يتيح لصاحبه أن يشارك في شؤون الحياة مشاركة إيجابية.

**(ب) الاتجاه نحو الموضوع:**

وإذا كان الاتجاه نحو الذات يؤثر على السلوك الاتصالي، فإن الاتجاه نحو الموضوع يرتبط بالاتجاه نحو الذات ارتباطا وثيقا، ذلك أن الاتجاه يقوم عليه الرأي أو الاعتقاد المتعلق بموضوع معين، من حيث القبول أو الرفض، ودرجة هذا القبول أو الرفض، الأمر الذي يؤثر تأثيرا توجيهيا نحو الموضوعات أو المواقف المتعلقة بهذا الاستعداد العقلي أو العصبي ويبين هذا الارتباط بين الاتجاه نحو الذات والاتجاه نحو الموضوع من مقال كتبه « السنيور جيوافرامي فراري» بعنوان: «الكاتب الضرير والأب الروحي لمصر الحديثة: «طه حسين» باعث الثورة التي كافح من أجلها منذ حداثة سنه» حيث يلخص هذه العلاقة بقوله: «إن «طه حسين» إذ يذكر بصره المفقود يصيح من أعماق سجنه الى شعبه بالثورة حتى لا تفقد أبصار بريئة أخرى لأطفال صغار، وقد استجاب المصريون لصيحته. ولكن «طه حسين» لم يتجه به الى المصريين، وحدهم بل تجاوزهم الى الانسانية كلها، وقد آثار إعجاباً بعيد الأثر في اوروبا، وحماسة شديدة في امريكا حتى أن الكاتب «دونالد روبنسن» في مؤلفه عن أشهر الرجال المائة الذين هم على قيد الحياة عده بين العشرة الذين لهم أعمق الأثر في الحضارة العربية».

فالاتجاه نحو الموضوع عند «طه حسين» اتجاه يقوم على التجربة، التي لم تتوفر للكثير من معاصريه على الصورة التي تجمع بين الأزهر والسوربون. فإن «طه حسين» لم يستقر على نظرية معدة سلفاً، تكفيه مؤنة البحث، إنما عانى بنفسه مهمة البحث عن كل ما يعتقد أنه الصواب في كل هذه القضايا التي كانت تشغل أذهان أبناء مجتمعه، كما سيجيء في دراسة مضمون الاتصال، ولهذا فإن أحب صفات «طه حسين» إلى قرائه: الصدق.

ولكن تنوع الوجوه والنوافذ التي يطل منها في اتصاله الجماهيري، وتعدد المسالك التي طرقها خلال سيره الطويل في خدمة المجتمع المصري متوسلا بالاتصال الصحفي، لا يستطيعان إخفاء اتجاه قوى مستمر ومتماسك نحو ذاته وموضوعه وقرائه، يتمثل في مسار فكره وصحافته وتحركه الاجتماعي. ونتلمس هذا الاتجاه على «أصعدة عدة»:

**أولا:** في استمرار دوران ذهنه وخلقه الفكري حول بعض الميادين المحدودة العدد التي كانت تشكل ما يشبه الشرايين الكبرى لتحركه الصحفي والتي كانت تصب في قنواتها

# طه حسين وظف امكاناته وقدراته من أجل مصر الحرة المستقلة الناهضة

الواسعة الفرعية المتحدرة مما لا يحصى من الموضوعات واللفتات الى آفاق بالغة التشعب.

**ثانيا:** في الاتجاه العام لخطي السير في تحركه في الميدان الأدبي والفكري من جهة ولتحركه في الميدان الاجتماعي والسياسي والصحفي من جهة أخرى وفي ما يبدو من تلازم وتقارب بين هذين الخطين ومن توجه دائم مستمر نحو مرام وأهداف اجتماعية صريحة تارة، وخفية طوراً آخر، ومرتبطة دائماً برؤيا واحدة لأوضاع مجتمعه وبإرادة غير معلنة لتغيير المجتمع التقليدي الجامد، والضار من تقاليده.

**ثالثا:** في المنهج الواحد الذي كان يتبعه في معالجة مختلف القضايا الكبرى التي تعرض لها.

**رابعا:** في أسلوبه المميز في صياغة أفكاره.

خامسا: في القاعدة الركائزية التي ينطلق منها فن المقال الصحفي في أدب «طه حسين»، ونعني مجموعة المؤشرات التي عملت على تكوين هذه المظاهر التي تميز مقاله في الاتجاهات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

ومن ذلك تبين وجوه الوحدة والتناسق والتماسك والاستمرار في رؤية «طه حسين» الإبداعية، التي تتعلق بالاتجاه العام لخطى السير في اتجاهه نحو الموضوع «في الميدان الثقافي والأدبي من جهة، وفي الميدان الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى»، ومن هذا الباب نذهب مع الدكتور على سعد إلى أن تاريخ الفكر العربي الحديث قلما عرف مفكرا صحفيا جند مواهبه بمثل الحيوية والمضاء والاتساع التي كانت لـ «طه حسين» لخدمة قضية بمثل هذا الالتصاق بقضية شعبه ومجتمعه، ذلك أن الصفة التي دفعت «طه حسين» إلى عقول قرائه وأفئدتهم هي بقاؤه دائما في «قلب الساحة التي كانت تتصارع فيها الأفكار والأقلام حول القضايا اللاهبة التي تهم المجتمع واهتداؤه إلى ينابيع الثقافة العالمية بمعناها الأشمل والأعمق، وعمله في الدراسات والتحقيقات والبحوث الأكاديمية التي تتطلب الهدوء والأناة الموضوعية، وارتقاؤه أعلى المناصب الجامعية والسياسية، كل ذلك لم يمنع حضوره الدائم على كل الجهات التي كان ينبض فيها قلب وطنه وشعبه، ولا أنساه عادات النزول إلى ميادين العراك حول المبادىء والأفكار حتى أواخر مراحل عمره، يمثل الاندفاع والحرارة التي كان يقبل فيها على العراك أيام كان طالبا في الأزهر أو في الجامعة المصرية».

فاتجاه «طه حسين» نحو موضوعه يتمثل في هذا البذل الدائم الذي كان يسخو به طه حسين فيعطي من نفسه بقدر ما كان يعطي من قلمه ولسانه، وهو الذي رسخ «هذا الحضور الحي في حياة مجتمعه وفي عقول قرائه. وأن بقاء «طه حسين» قريبا دائما من مواضع النبض

والتحضر والتفاعل في حياة المجتمع المصري خاصة والمجتمع العربي عامة هو الذي يجعل من أدبه انعكاساً مدويا وملتهبا ليس فقط لمراحل حياته الفكرية والنفسية، وإنما أيضا لهواجس وأشواق وتطلعات الناس البسطاء والنيرين، والفقراء والأقل فقرا في بلده. ولئن جاء أدبه شهادة باهرة على التحولات الضخمة التي حدثت في مجتمعه خلال ثلاثة أرباع القرن المنقضية، فإن حياته الحافلة بالعمل والنشاط كانت أحد العوامل الهامة في احداث هذه التحولات من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث، كما سيجيء، من خلال رؤية حضارية عامة تجدد الأساليب والوسائل لتحقيق غاية حضارية عامة ترتبط بالغايات القومية والمبادىء الديمقراطية التي استلهمها من المفكرين الموسوعيين الذين مهدوا للثورة الفرنسية ومن دراساته لتاريخ الديمقراطية في الإسلام وعند اليونان وفي روما الجمهورية.

وهذه الرؤية الحضارية هي التي توجه مقاله الصحفي إلى الإغتراف من الينابيع الثقافية التي صدرت عنها الحضارة الأوروبية، واستلهمت منها، وخاصة من فلسفة ارسطو، الفلسفة العقلانية والتفكير العلمي المنظم، كما كانت وراء دوافع «طه حسين» للإكثار من تعريف القراء العرب بالآداب الأوروبية الحديثة، عن طريق «المقال التنويرى» و«المقال النقدي» بهدف رفع ذوق القارىء العربي وتفتيح حواسه على آفاق اوسع وأرحب.. ومن هذا القبيل كانت ثورته العارمة على طريقة التعليم التقليدية، ودعوته إلى إرساء التعليم في مصر على قواعد حديثة «مأخوذة من الحضارة الأوربية المتقدمة». وعندما نتحدث عن مضمون الاتصال عند «طه حسين» فإننا سنجد أن المضمون الفكري أو العملي على السواء، تمثيل لاندماج الفكرة بالفعل، وعدم انفصال الرؤية الذهنية عن التحرك الاجتماعي الفاعل لاحداث التغيير الأساسي، بهدف زوال المجتمع التقليدي فدور الكاتب عند طه حسين يتلخص في «التمهيد للثورة» لأنه «يشب جذوتها في النفوس بما يلقي في قلوب الناس من الآراء الجديدة وبما يصور لعقولهم من القيم المستحدثه، وحين ينقل أذواقهم من طور إلى طور جديد وحين يبغض إليهم القديم من أوضاعهم الاجتماعية ويدفعهم إلى تغيير الأوضاع». ولذلك يصبغ اتجاه «طه حسين» نحو موضوعه، فن المقال في صحافته، بصبغة العلم التي كانت أحب الصفات إلى نفسه وألصقها بذاته، فهو في جميع مقالاته وكتبه وأعماله لم ينقطع يوما عن اتخاذ هذه الصفة التي كان يجد فيها وسيلة للاتصال بالجماهير لتوصيل «أضواء المعرفة الى نفوسهم: المعرفة بالتراث القومي. والمعرفة بتراث الانسانية وهذه النزعة التوجيهية هي التي تتجلى في وظيفية اسلوبه الصحفي البالغ الوضوح، والبالغ الشفافية، وفي نمذجته الاعلامية التي تجعل اتصاله فعالا بجمهور قرائه عن طريق توصيل الأفكار والمعلومات إلى نفوسهم وعقولهم. ويتسم اتجاه «طه حسين» نحو موضوعه بالعقلانية والتفتح الفكري والتسامح إزاء كل الثقافات.

ذلك أن «طه حسين» يؤمن بوحدة الفكر الإنساني «وبجدوى التقارب الثقافي على

# الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي روعا صدقي باشا وشيخ الأزهر!!!

الصعيد العالمي» فهو ينكر «حدود الزمان والمكان ويأبى فواصل العناصر والأجناس، ويسعى إلى «التفاهم» والترابط لبلوغ المثل العليا في شيوع المعرفة، وشمول الخير وسيادة السلام بين الناس أجمعين». ولذلك ينزع الاتجاه الموضوعي في اتصال «طه حسين» نزعة إنسانية تستند إلى قيم الحضارة العربية التي يذهب إلى أنها كانت «من سعة الأفق، وشرف الغاية بالمكان الذي يعرفه لها العلماء والمفكرون على امتداد التاريخ لم يكن بها انكماش عن امتصاص ما في الحضارات السابقة من عصارة المعرفة على اختلاف أنواعها، ولم تقف هي بهذه الحضارات عند حدود التقليد، والمحاكاة، أخذت فانتفعت بما اخذت أكرم انتفاع، واعطت فوصلت ماضيها بحاضرها، وكانت في مجرى الحضارة الإنسانية الموصول عاملا فعالا لا يجحد أثره الدارسون». ويذهب «طه حسين» إلى أن العلاقة بين الصورة والمحتوى، هي العلاقة بين «الفكرة» في دلالتها الاجتماعية و«الكلمة» في صيغتها الأدبية، وهي علاقة تنتظمها النزعة الإنسانية في اتجاهه الموضوعي ليكون الفن القولي «من أقوم الوسائل لتحقيق ما ننشد من التقارب والتواصل على خير ما يكون، وأن الفكرة والكلمة لهما القوة الساحرة التي تستطيع أن تتغلب على رواسب الفوارق والعنصريات بين الأمم في سبيل تحقيق المثل العليا من وحدة الشعور، ووحدة الفكر، ووحدة القيم، لتعزيز الأخوة الإنسانية بأعمق دلالاتها وأكرم معانيها» ولقد صبغ هذا الاتجاه الموضوعي اتصال «طه حسين» في مراحل حياته المختلفة بحيث أصبح مظهرا لإيمانه «بهذه المثل العليا» ومصداقا لعمله على التعبير عنها. وفي ضوء هذه الرؤية، يمكن فهم اتجاه «طه حسين» نحو موضوع مقاله، وهو اتجاه يتسم بالتفتح العقلي وحب المعرفة وحرية التفكير والتعبير، الأمر الذي ذهب به حين يعالج موضوعا من الموضوعات إلى أن يكون «باحثاً يحاول أن يفهم، ويحاول أن يدعو غيره إلى الفهم والاستقصاء»، ولكن حريته في موضوعه، تمنح هذا الموضوع اتجاها إيجابيا يتسم بالصدق والدقة، بحيث يسيطر على قرائه ويستحوذ على عقله واهتمامه، دون أن يجد القارىء من نفسه قوة على معارضته أو مقاومته أو انكار شيء مما يقول، حتى إذا فرغ من قراءة أثره الأدبي أو الصحفي واضطر بحكم هذا الفراغ إلى أن يفارق الصحيفة أو الكتاب ويشغل عنه وعن أثره وقتا ما ـ استطاع بعد ذلك أن يعود إلى الأثر الذي بقي في نفسه بعد القراءة، فيفكر فيه أو يخضعه للنقد أو التحليل أو التعليل، ذلك أن هذا الاتجاه الموضوعي في أدب طه حسين إنما يصدر عن «القلب والعقل والذوق» في نهاية الأمر.

«**للبحث صلة**»



# صوت القادم من سواد الأسئلة


**شعر - د. عبد الله المغامري الفيفي**

جامعة الملك سعود - الرياض -


ساهر والليل في جفنيه نام

وتنامى في صدى الصمت الكلام

يستعيد الريح اشواقا مشت

سلك ياقوت وأحجار وجام

في سرى الذكرى تناغى طيرها

همسة حرى واشجانا تؤام

يتملاها .. تملاه: هوى

أو جوى يكوي مصاريع العظام

قال في بيدرها الضامي: أنا

من أنا يا أنت يا هذا الزحام؟

ترتقي بي في ذرى الأعوام، تهـ

ـفو تناديني على البعد .. سلام

طوقتني من بقاياك منى

لم تجد بعد مطاياها العظام

وطوتني في مراياك رؤى

عذبة كانت مرارات زؤام

أطربتني .. أرقتني .. وطوت

في سجل النفس أصداء اليمام

هي دنيا من بقاياى دنت

ومطل للغد الآتي الضرام!

* * *

هكذا التفّت مدارات الدني

في مدار الليل أمشاجا تسام

ليلة واحدة قد لبست

من ليالي العمر فيها الف عام
ملء أفواه قوافينا الحطام

وهل العمر سوى ليل همى
ملء هذا السهب من غيهبنا

أو سوى ليل تولى كالجهام؟!
ملء أثداء البغايا في الخيام

قد يظل الفجر طفلا ضارعا
سيصول الوقت منها ملأه

مشرئب الثغر للنهد / الفطام
سيرد الخيل إصباح القتام

درّ في وعد الخبايا درّها
سيشد الكرة البكر غد

ساعة روته ألبان الغرام
سيروي السلة النشوى حسام!

فإذا النور بنا ينداح كالـ
يومها فليهن جفنيك الكرى

ـلثغة الأولى .. شآبيبا سجام
نيمة الطفل وأحلام الحمام!

تزرع الرمل نهارات سرت
* * *

في عروق الليل آماد الظلام
ساهر يذبحه صمت النيام

هو حلم أيقظتني نفحة
ما عليه؟! جر سكين الكلام!

منه يقظى بين أحلام نيام!
جزّ في ماء الوريد حزة

* * *
أوشكت توقظ أنفاس الرمام!

ساهرا والليل في جفني ينام
ربما أحياك تصهال الظبى

يتسجى من دمي سيفا كهام
ولقد يفنيك تسبيح الغمام!

من دمي الدافى ال تشظيّ وردة

# خواطر على جانب من الأهمية

مذاهب

مالك ناصر درار
- المدينة المنورة -

قد يبدو الجمع بين العقل والايديولوجيا في جملة واحدة نوعاً من العبث والجمع بين النقائض .. لأن الايديولوجيا في تصورها العام تبدو بمثابة تفكير اقرب الى الحس والغريزة منه الى العقل المنطقي الاستدلالي بالمعنى الصارم والدقيق.

لكن المقصود هنا بالعقل الايديولوجي هو اشكال التفكير والاستدلال الخاصة بالايديولوجيا حتى وان لم تلتزم القواعد الدقيقة للمنطق، وهذا ما يبرر هنا هذا الجمع التعسفي.

فالايديولوجيا موقف وسلوك واعتقاد، لكنها أيضا ضرب من التفكير والاستدلال له ميزاته الخاصة.. وهو ما يمكن ان ندعوه مجازا بالعقل الايديولوجي.

أما النقد فيقصد به هنا تحليل آليات التفكير الايديولوجي تحليلا يشرح هذه الاليات التفكيرية، لبيان كيفية اشتغالها وابراز حدودها ومنطقها الداخلي والخارجي.

ونقد العقل الايديولوجي هو محاولة تحليل اشتغال الالية الايديولوجية في مستوياتها الثلاثة الكبرى: الاعتقاد، والسلوك، والتفكير.

والتفكير الايديولوجي بهذا المعنى هو هذا التفكير الكلي الذي تندغم وتتمازج فيه المستويات الثلاثة: النفس ، والجسم ، والعقل.

التفكير الايديولوجي تفكير متحيز لفكرة مركزية يمكن ان ندعوها بالنواة الايديولوجية او العقدية التي يتحدد من خلالها الموقف من الذات ومن الآخر، فكل تفكير ايديولوجي يتمحور حول فكرة مركزية، سواء أكانت المنظومة الايديولوجية المعنية سياسية او عرقية او مهنية او طبقية او غيرها .. وهذه الفكرة قائمة فى الأغلب الأعم في نوع من التمركز حول الذات، على تمجيد الذات وتسفيه الآخر.. حيث يتم اسناد كل الصفات الايجابية الى الذات الايديولوجية: حزب ، طبقة ، عرق ، قوم ، وطن..

واسقاط كل الصفات السلبية على الاخرين المختلفين عنا، هذه السمة المانوية او الثنوية لصيقة عضوياً بكل تفكير ايديولوجي وهي الأساس في اختزال المجال الادراكي الى أبيض أو

خيرٌ.. نمثله نحن وتاريخنا واختياراتنا .. وأسود أو شر، يمثله الفريق الآخر ويجسمه تاريخه واختياراته.. في كل المنظومات العقدية نشهد هذا التقسيم الثنائي: العرق الصافي، والعرق الملوث او المدنس.

بالنسبة للأيديولوجيا العرقية، كالعرقية البيضاء او اللاسامية البروليتاريا والبورجوازية في الايديولوجيا الماركسية: الايمان والكفر في الايديولوجيات المستمدة من الدين.

عن هذه السمة المانوية الملازمة لكل موقف ايديولوجي تنتج مشتقات عدة من بينها استشراء النزعة الاختزالية في كل طرف من طرفي الثنائية الأصلية، حيث يميل الموقف الايديولوجي الى التغاضي عن الفروق والخصوصيات الرفيعة القائمة في كل طرف.

ذلك أنه انطلاقا من سمة التنوع والتعدد الملازمة لكل حياة بشرية لا يجد الموقف الايديولوجي بدا من إقامة مماهاة شبه تامة بين عناصر كل طرف من اطراف الثنائية الأصلية.

والمثال الشهير الذي يقدمه دارسو الايديولوجيات هو مثال: ستالين، الحزب ، الدولة ، روسيا ، او نظيره الافريقى سكوتوري ، الحزب، الدولة، الأمة، وهي معادلة قائمة على منطق المماهاة بين العناصر وقابلة لأن تقرأ من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين بالمصداقية واليسر نفسهما.

وعلاقة المماهاة نفسها تنطبق على الآخر او الخصم: الامبريالية ، الصهيونية ، الغرب ، او المماهاة بين اليهودية والشيوعية في الايديولوجيا النازية.

ميل التفكير الايديولوجي الى الاختزال والمماهاة يرتبط كذلك بالميل الى انكار التطور والتغير، اليهودي هو دوماً يهودي بالنسبة للايديولوجيا النازية سواء أكان أبيض او أسود، رأسماليا او اشتراكيا.. وبالميل الى تفكيك الطابع الكلي للظواهر اما بعزلها عن سياق تطورها الزمني او بعزلها عن نسيج علاقاتها المكانية، وهذه السمة هي التي دفعت باحثا متخصصا في موضوع الآيديولوجيا مثل جوزيف غابل الى اعتبار طريقة التفكير الايديولوجي اقرب ضروب التفكير الى تفكير الفصامي، المصاب بالسكيزوفرينيا، من حيث أنه يعيش عالماً ذهنيا متشتتا وغير قادر على التركيب ومراعاة السياق والطابع الكلي.

هذا فيما يخص الموقف الايديولوجي عامة بمكوناته العقدية والسلوكية والاستدلالية، لكن العقل الايديولوجي يمكن ان تتضح اولوياته اكثر اذا ما قصرنا العينة الايديولوجية المدروسة على الخطاب الايديولوجي فما هي نماذج الحجاج والبرهنة في الخطاب الايديولوجي؟.. وكيف يحاول حامل

الايديولوجيا ان يدافع عن فكرته او يقنع الآخر بها؟..

وهنا تفرض علينا مقتضيات التبليغ تقسيم أشكال الحجاج والاستدلال الايديولوجي الى ثلاثة مستويات:

* مستوى الاستدلال غير الصوري، اي ما يتضمنه النص المسموع او المكتوب من اشكال البرهنة والاقناع لا تعتمد الاساليب المنطقية الصورية المعروفة من استنباط وقياس واستقراء وتمثيل وغيرها، وهو ما جاز لتسميتها بالاستدلالات غير الصورية.

* والمستوى الثاني هو مستوى الاستدلالات المنطقية وكيفية توظيفها في الخطاب الايديولوجي.

* والمستوى الثالث يتعلق بتوظيف اللغة في مستوياتها المعجمية والاسلوبية والدلالية والبيانية والبلاغية.

وسنقتصر في هذه العجالة على الاشارة الى القسم الاول ما دامت الايديولوجيا على رغم ارتباطها بالعلم واستنادها اليه ليست تفكيرا منطقيا خالصا ودقيقا.

يستند كل تفكير ايديولوجي اساسا على نص مركزي يستلهم توجيهاته وقيمه الايجابية والسلبية ويكيف منظوره الادراكي والتقييمي واجتهادات الفاعل الايديولوجي محصورة ضمن المقولات الكبرى التي يحددها له النص والتي يبسطها ويلقنها اياه المبلغون والشراح والمبسطون.

والفاعل انما يصرف ما رسم وحدد له، وفي الحدود القصوى يلجأ الى السلطة المرجعية للنص او صاحبه، فلا عجب ان يمتلىء القول الايديولوجي بحجة: قال لينين، وقال: سيد قطب، ويقول الخميني، ولدينا في ثقافتنا العربية نموذج لهذه السلطة المرجعية يمثلها الفقيه أبو القاضي النعمان الذي حرم الاجتهاد وطالب باقفال العقول وتسليم مفاتيحها للامام.. هذه الخاصية يمكن ان ندعوها بالتفكير النصي الذي يمثل فيه النص سلطة مرجعية لا يجوز الخروج عن حدودها.

من بين أشكال الاستدلال الكثيرة الورود في الخطاب الايديولوجي الالتجاء الى الشخص فالفاعل هنا لا يتأنى في فحص العقيدة اثباتاً أو رفضا، بل يلجأ الى التركيز على الشخص المؤسس او الى حامل العقيدة لبيان فضائله او مثالبه، اي اما الى اثبات العقيدة او نفيها.

وبذلك ينزلق الحوار من المدلولات الى الأشخاص، ومن العقل الى العواطف كالقول في حالة التجريح في الماركسية، ان ماركس يهودي او ان مؤسس الفكر البعثي مسيحي او في حالة الاثبات والتمجيد ان عبد الناصر لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب بل هو مجرد ابن ساعي بريد عادي.

ومن آليات الفكر الايديولوجي كذلك اللجوء الى استثارة عواطف الجمهور وتحويل ذلك الى برهان وحجة على صحة الفكر، كالقول ان القرار الفلاني هو ضد مصلحة الجمهور لأنه يحتقره ويعتبره غير ناضج لممارسة مسؤولياته، وغالبا ما يصبح اللجوء الى استمالة الجمهور وتملقه واستثارة عواطفه حجة تؤيد صحة القول او تنفيها، ومنها كذلك الالتجاء في البرهنة على صحة فكرة ايديولوجية ما، كالفكرة الداعية الى العدالة والمساواة والاشتراكية، الى استدرار العطف على حالة المستضعفين او البوليتاريا، لنذكر المثقف ذا الاعراض والميول البروليتارية الذي تحدث عنه ماكس فيبر.. او الاقليات المهمشة او العروق المسحوقة، ومنها أيضاً الالتجاء الى السبب الكاذب او المفتعل كتفسير بعض الاحداث التاريخية لا باجلاء اسبابها الفعلية المباشرة بل باللجوء الى فكرة المؤامرة، او تفسير الفقر مثلا بندرة الموارد لا بسوء توزيع الخيرات الاجتماعية.

ودون ان نستكمل هذه القائمة الطويلة من اشكال الاستدلال غير الصوري، ودون ان نقف عند اشكال الاستدلال الصوري، في الخطاب الايديولوجي كالاستدلال المباشر من العام الي الخاص، او من الخاص الى العام، اي التعميم المتسرع للأحكام ، دون ان نقف عند الآلية اللغوية في الخطاب الايديولوجي التي كثيرا ما تعتمد على غموض المصطلحات وعلى التلاعب بالحروف والكلمات والمعاني.. وعلى الاستعمال البرهاني للبيان.

نقول: ان هذه الاشكال من التفكير والاستدلال والحجاج التي أشرنا اليها ونسبناها الى الخطاب الأيديولوجي هي اشكال التفكير العادي المعمول به في الحياة اليومية ، للناس، وهي بمثابة الارضية العامة للتفكير الايديولوجي الذي تتبلور فيه بشكل احد هذه الاوليات.

ذلك أن التفكير الايديولوجي نفسه امتداد للتفكير اليومي العادي للناس فهو تفكير تحكمه المصلحة والتحيز والمغالطة، المقصودة وغير المقصودة، والابراز والاخفاء والتضخم وتحويل النظر او الاهتمام.. ومقابل ذلك هنالك التفكير العلمي او المنطقي الدقيق والصارم وهو تفكير لا يتأتى للعموم لأنه يتطلب ترويضاً وصرامة وتدقيقاً في المفاهيم ومراعاة لقواعد الاستدلال المختلفة.

نعم .. إن الايديولوجيات تتفاوت من حيث درجات عقلانيتها ومنطقيتها كما تتفاوت درجات العقلانية فيها بين النواة المفكرة والمنتجة للخطاب الايديولوجي، وبين دائرة الأنصار وعموم الجمهور.. لكن هذه الأوليات الكبرى تظل بمثابة الأرضية المشتركة للجميع وان بنسب متفاوتة.

# رجال في الذاكرة ٣٣

# الأستاذ/ محمد زكى عبد القادر

كنت أحب أن أتحدث إليه، وأصغي إلى أفكاره متحدثا، كما أستمع إلى أدبه قارئا، ولكن الرجل متحفظ هادئ لا يجمع حوله التلاميذ ويؤثر أن يمضى في عمله الفكرى كما يجرى الغدير الهادئ فى الغابة تحت ظلال الشجر دون أن يراه أحد فى صفائه الرائق، ونميره المتألق، وكان أعظم ما يحيرنى فى أمره، أنه كاتب قصة ممتاز يصدر المجموعة خلف المجموعة ذات نبض نفسى، وحيوية اجتماعية، وتصوير أدبى، ثم لا يحسب مع القصاص حين يتحدث الناقدون عن كتّاب القصة، لأن اشتغاله بالصحافة محررا ذا لون خاص من ألوان التحليل، وولوعه بالدراسات القانونية والسياسة جعل هؤلاء يحسبون أنه ضيف على القصة، مع أن نتاجه الفني يجلسه فى مجال هذا الفن مجلس الفنان الأصيل.

وفي يوم من الايام طلبني الدكتور عبد الحسيب طه أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية وقال لى: إن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد السميع شبانة أستاذ النحو والصرف بالكلية قد انتقل الى رحمة الله كما تعلم وأنه من أسرة الأستاذ محمد زكى عبد القادر بفرسيس إحدى قرى محافظة الشرقية، وقد اتصل الكاتب الكبير بالكلية راجيا أن يقابل أحد تلاميذ الشيخ، ليسأله عن تأثيره العلمى والاجتماعى فى محيطه الأزهرى، إذ يعد عنه دراسة تحيى ذكراه، وقد انتهت الكلية الى أن تكون رسولها المختار إلى الرجل بمكتبه فى جريدة الأخبار، فماذا ترى؟

قلت: يا سبحان الله إنى مذ سنوات اتلمس الفرصة السانحة لمقابلة الكاتب الكبير، ولكنى لم أكن أحب أن أتطفل على مجلسه

كيلا أكون ثقيل المحضر، وها هى الفرصة تُهيّأ إليّ وأنا سعيد بها كل السعادة.

**فى دار الأخبار:**

وقد اتصل الدكتور عبد الحسيب بالأستاذ محمد زكى عبد القادر ليخبره أنى سأكون فى زيارته بالساعة العاشرة من صباح الغد، وقد حاولت أن أهيىء فى نفسى أسئلة أدبية أتوجه بها للمفكر الكبير، ولكنى رجعت عن هذا المذهب، وقلت دع الحديث يجرى حرا دون إعداد.

قابلت الأستاذ فى الموعد المحدد، فرأيت من هدوئه، وسكون نظراته، واتئاد منطقه ما توقعته فى ذهنى قبل أن أراه لأن كتابة الأستاذ تنبيء عن هدوء متزن بحيث لا تثيره العواصف الهائجة، وحين يستثار لا يخرج عن طبيعته الهادئة بل يقابل النار الملتهبة بهدوء يشبه الماء البارد الذى يطفيء الحريق المشتعل، وقد حيانى تحية طيبة، ثم قال إن الفقيد العزيز من أخلص أقربائه، وقد فقد بفقده دوحة وارفة الظل، إذ كان إيمانه الجازم يبعث فى روحه سلاما ينتقل الى سامعه فيطرد عنه عواصف الشك، ويفسح أمامه طريق الأمل، وكان الأستاذ يسعى الى لقائه فى أزماته الفكرية لينتقل من جو إلى جو، فيعود وقد أزاح عن صدره ما يحمل من الأعباء، ولذلك يسألنى عن سلوكه الروحى واتجاهه العلمى فى محيطه الأزهرى.

قلت إن ما ذكرته عن صفاء الأستاذ وقوة ايمانه قد كان مصدر سلوكه الاجتماعى بكلية اللغة فنحن التلاميذ كنا نعتبره والداً قبل أن نعتبره أستاذاً ، إذ كان يحرص على أن يعرف أحوال طلبته الاجتماعية وظروفهم النفسية، ويحدد مواعيد اللقاء بمنزله المتواضع، وله فى تحديد الميعاد فطرة مطبوعة على التقوى إذ يقول للطالب تزورنى بعد صلاة العصر من يوم كذا، أو بعد صلاة المغرب من يوم كذا، أو بعد صلاة العشاء من يوم كذا، وبهذا أصبح موعد الصلاة هو عقرب الساعة الذى يحدد الميقات! ثم يستقبل زائره ببشاشة، ويخوض معه فى شتى أموره، وقد يكون الطلاب أربعة أو خمسة أو أكثر فيجلسون مع الأستاذ على السجادة، وكأنهم يجلسون فى المسجد، وقد يحضر بعض الأساتذة لزيارته ـ وكلهم من ذوى اتجاهه ـ فلا يتغير الوضع، إذ الجميع جلوس يتناقشون أو يتسامرون.

ابتسم الكاتب الكبير، وقال هذا ما توقعته تماما دون أن أراه، لأن سلوك الأستاذ فى قريته (فرسيس) مع أبنائها الفلاحين أو العمال أو الطلبة هو سلوكه الذى تحدثت عنه، وكنت أثناء زياراتى للريف لا أجده إلا ساعياً للخير، مصلحا بين زوجين يتشاجران، أو مواسياً مريضا عزّ عليه الشفاء، أو ساعيا فى إيجاد وظيفة لعاطل محروم، حتى كانت إجازته السنوية موضع ارتقاب القرية جميعها، وكنت أغبطه على اتجاهه الذى لا أقدر عليه!

**بقلم : أ. د. محمد رجب البيومى**
**ـ المنصورة ـ**

ثم سألنى الكاتب الكبير قائلا: وماذا عن اتجاهه العلمي، وطريقته فى التدريس؟

قلت: لقد كان الأستاذ يدرس مادة عسيرة الهضم شديدة التعقيد، وهى مادة (الصرف) وكان يدرس للسنة الرابعة أعقد أبواب هذه المادة، وهو باب (الإعلال والإبدال) فيبذل جهده الجاهد فى تذليل الصعب، وتقريب البعيد، وقد وضع للطلاب كتاباً طبع خمس طبعات، وهو فى كل طبعة يكثر من الأسئلة ويجيب على التمارين، ويصنع ما يشبه المعجزة فى تفتيت الأحجار.

قال الأستاذ: أريد أن أقرأ أنموذجاً من كتاب الصرف؟

قلت متسرعا: الكتاب فى منهجه الدراسى، لا

يروق لغير الوسط الأزهرى، لأن الطلاب قد ألفوا هذه المادة منذ السنة الابتدائية الأولى، ولا يزالون يوالونها اهتماماً وتحصيلا حتى يبلغوا السنة الرابعة بالكلية، فتكون لديهم ركيزة ثابتة تعين على الاستمرار.

فأجاب الأستاذ: وهل تكون هذه المادة أصعب من مادة أصول الفقه، وقد درستها بسهولة فى كلية الحقوق ثم فى الدراسات العليا بالكلية دون أن أجد صعوبة ما.

قلت: إن دراسة علم الأصول بكليات الحقوق، غيرها بكليات الأزهر، لأنى أعرف أن أساتذة الشريعة هناك من أمثال الشيخ أحمد ابراهيم والأستاذين عبد الوهاب خلاف، وعلى الخفيف ومن سار هذا المسار، قد كتبوا مذكرات واضحة تجمع حقائق هذا العلم، وأراحوا الطلاب من عناء الحواشى والتقارير التى لا تزال تدرس بكلية الشريعة بالأزهر! ولذلك فدراسة الأصول عندك كانت مريحة لا تمتلىء بالعقبات.

فرد الرجل فى ابتسام: أنت محيط واسع، ويسعدنى أن أعرفك، ولكن لابد أن تحضر لى نسخة من مؤلف الأستاذ، وسأنتظرك فى بحر أسبوع، فلا تبطىء، ثم صافحنى بحرارة، وودعنى إلى الباب.

**بعد أسبوع:**

رجعت للأستاذ بعد أسبوع، ومعى نسخة من كتاب (القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال) فأخذها الأستاذ ونظر الى العنوان دون أن يتجاوزه ثم قال لى: لقد وفيت بوعدك، وأنا أشكرك ثم أسألك عن قراءاتك الثقافية لأعرف اتجاه طلاب الأزهر الآن!

فأجبت: كنت طالباً بالقسم الثانوى أيام كانت تصدر مجلتا الرسالة والثقافة وكنت أعتز بهما اعتزازا كبيرا، ولم يفتنى عدد منهما دون قراءة واعية، ثم استدركت أقول وكنت أطالع على فترات متقطعة مجلة (الفصول) التى كنت تشرف على إصدارها، فابتسم وقال، هذه تحية منك، ولا أعجب لاختيارك مجلتى الرسالة والثقافة، فهما لسان التراث العربي بالذات، والأزهريون حفظة هذا التراث، فرددت فى سرعة، تظلم الرسالة والثقافة حين تؤكد أنهما تُقْصِران بحوثهما على التراث العربي وحده، إذ كان أعلام الفكر فى مصر، يحتلون صفحاتها، وهؤلاء الأعلام لا يعيشون على طعام واحد، وإذا كانتا تهتمان بالتراث العربي فهذا ضرورى محتوم لأنه يمثل الجذور التى تُمد الشجرة بالغذاء! على أنى أرى أن الرسالة مع اهتمامها بالثقافة الغربية كانت أقرب الى التراث العربى من الثقافة، لأن القائمين على تحرير الثقافة لجنة علمية لا فرد واحد وفى هذه اللجنة الأديب والعالم والمهندس ومن يمثلون فروع المعرفة المختلفة، أما الأستاذ الزيات فهو وحده المسئول عن الرسالة وقد أظهر مجلة الرواية عدة سنوات لتقوم بنشر الروائع الممتازه من أدب الغرب كما ترجم قصصا ممتازة لجى دى موباسان ولامرتين وجيته وغيرهم.

قال الرجل فى هدوء هذا صحيح، وماذا تتذكر من موضوعات (مجلة الفصول)

قلت أذكر اتجاهها الممتاز إلى الوضع الاجتماعى، ومحاربة الفساد سياسيا، واقتصاديا، وتسليط الأضواء على الحياة الغربية، ولا أدرى لماذا تقترن فى ذهنى أعداد الفصول بأعداد مجلة (المختار).

فضحك الرجل، وقال هذا نقد مقنّع، معناه أننا ننقل من المختار، فقلت، قد يكون النقل فى الإطار العام، لا فى العناصر الداخلية، فالفصول مصرية مصرية، ومصرية مشرّفة، وأخذ الحديث يدور فى شئون كثيرة، حتى رأيت أن أستأذن، فقال لى الأستاذ، لا تنس أن تكثر من زيارتى فقد بدأت أشتاق إليك.

**(زيارة مفاجئة)**

مضت مدة طويلة، ولم تسمح زياراتى الخاطفة للقاهرة بالتردد على الأستاذ وفى بعض الأعوام

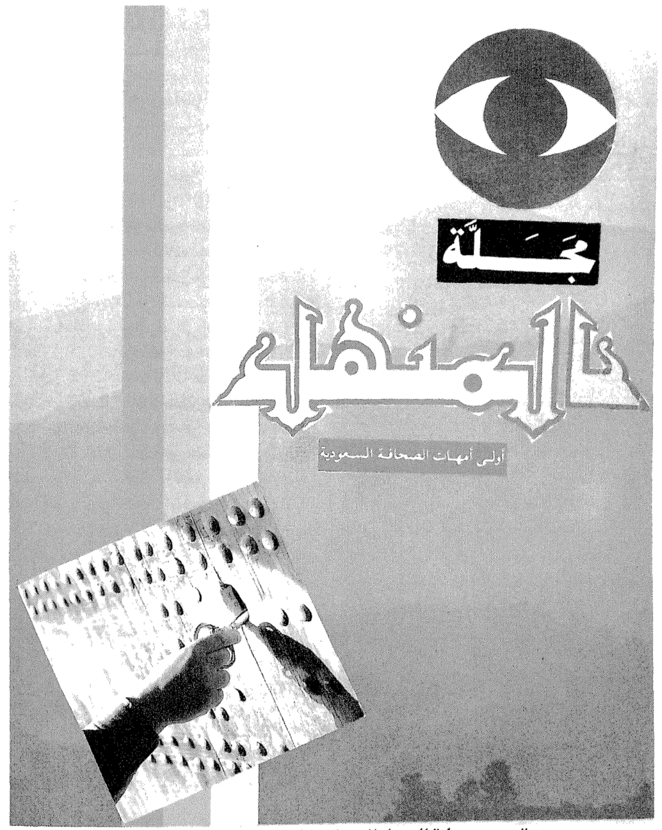
تلقيت خطاباً من الأستاذ عبد الرحيم فودة رحمه الله يعلن فيه أنه سيقوم بتحرير الصفحة الدينية فى جريدة الأخبار طيلة شهر رمضان، وأنه يطلب منى عشر مقالات موجزة لتأخذ دورها فى النشر، ويترك لى تحديد الموضوعات على ألا تخرج عن الإطار الدينى المناسب للشهر المبارك وحبذا أن تتجه للتاريخ الاسلامى، وقد رحبّتُ بالفكرة إذ صادفت هوى فى نفسى وأرسلت المقالات العشر للأستاذ قبل أن يبتدىء الشهر الكريم، وقد بدأت الجريدة فى نشر ما أرسلت ولكنى فوجئت بأنها تختصر بعض المقالات، مع أنها موجزة بطبيعتها، والصعب المؤلم فى هذا الاختصار أنه يغفل التحليل الذاتى للنصوص والأحداث، ويثبت الآثار والوقائع الشائعة المشتهرة، وبهذا أكون مجرد ناقل! فتأثرت كثيرا، ورأيت أن أصبر، فلعل الاختصار لا يستمر، ثم فوجئت ببعض مقالاتى تظهر فى الصفحة الدينية دون توقيعى، وبغير أن تنسب إلى كاتب ما، فلم أستطع التحمل وسافرت إلى إدارة الجريدة من الفيوم التى كنت أعمل بها، وقابلت المحرر المختص إذ كان الأستاذ عبد الرحيم غير موجود، فقال لى: هذه ضرورات صحفية لابد منها وسأقبض ثمن ما ينشر سواء كان المقال موقعا باسمى، أو غفلا من الإمضاء! فحدثتنى نفسى أن أتصل بالأستاذ محمد زكى عبد القادر وهو بالدار فى مكتبه الخاص، لأعرض عليه ظلامتى، وفوجىء الأستاذ برؤيتى على غير انتظار، فوقف يستقبلنى فى بشاشة، وقد حدثته بما وجدت، فاستمع فى هدوء مفكر، حتى إذا أفرغت ما فى جعبتى قال لى فى أناة مطمئنة، وكأنه يتحدث عن مسألة لا تخصنى!

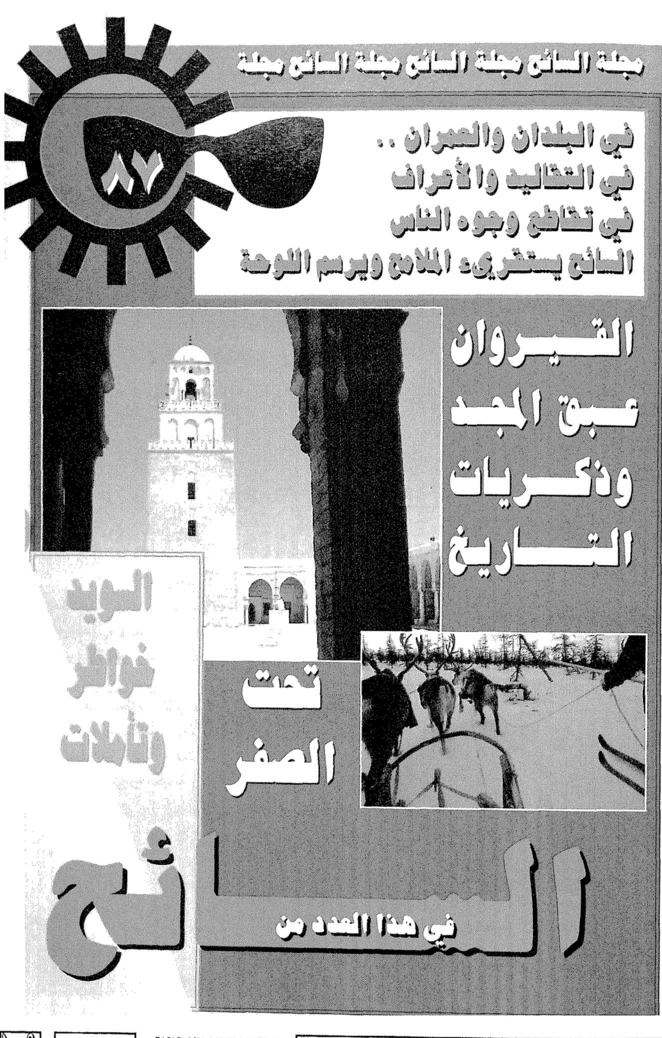
قال الأستاذ: أما إهمال اسمك عند التوقيع، فهو موضع المؤاخذة، ولا أدرى ما سبب ذلك، وما حكمته فالمقال دينى، ولا يتحمل نتائج خطيرة تكون موضعا لتحقيق ما، وسأتصل بالقائم على النشر ليستدرك الوضع، أما الحذف من بعض المقالات، فهذا مالا حيلة فيه، وأنا شخصيا أعانى من جراء ذلك، فقد أكتب فى اليوميات مقالا متماسكا لا سبيل الى الحذف منه، ثم أفاجأ باختصاره للحرص على إعلان صحفي هبط على الجريدة فجأة، وهو لديها أعز من المقال، فأسكت دون اعتراض، وقد أكتب مقالا لا يرتفع فى نفسى الى مرتبة الجودة، ثم لا تصادفه نائبة تحذف منه شيئا، فيظهر بأكمله، والحظوظ التى تعترى البشر، تعترى المقالات فقد تولد طفلة حسناء رائعة الجمال فى بيت فقير لا تجد ربّته الضروري الذى يساعد على تربيتها، وقد تولد الدميمة فى قصر فاخر وتجد من عشرات الخدم من يترقب رغباتها فى دقة وسرعة! ولا يهمك إذا تعلق الحذف بعنصر هام، فإن الأذواق تختلف، وقد يرحب القراء بالموجود أكثر من المفقود.

لم يخرج الأستاذ محمد زكى عبد القادر عن طبيعته الهادئة فى الرد عليّ فقد تحدث وكأنه يكتب مقالا يعرض فيه الوجهات المختلفة، فقلت له: أتمنى من الله أن أرزق شيئا من رحابة صدرك، واتساع أفقك لأستريح، فأنا ضيق الأفق، ضيق الصدر، وسأستعيد ما قلت بينى وبين نفسى، ولكن هيهات أن أبلغ أوج الكاتب الفيلسوف!

لم أقابل الأستاذ بعد هذا الحديث، ولكنى قرأت نبأ انتخابه عضوا بمجمع اللغة العربية، فأبرقت إليه مهنئا، ثم لم أجد البرقية الصغيرة تكفى للتعبير عن خواطرى فأرسلت إليه خطابا مسهبا، أقول فيه إن أكثر من لجنة فى لجان المجمع ستسعد بمشاركته، لأنه كاتب موسوعى مجدد، وأنه سيخلع النشاط والجدة فى كل مكان يسعد بنشاطه، وردّ عليّ الأستاذ بخطاب شاكر، يعلن أنه فرح بالبرقية وبالخطاب لأنهما صدى نفس صادقة مخلصة، مهما بالغت فأسرفت، وطلب أن أزوره بمكتبه وهذا لم يتح، لأن الأمور تجرى كما يريد خالقها أن تكون.

# {٦٠} عامــاً
# من الاشعاع الفكري المتميز



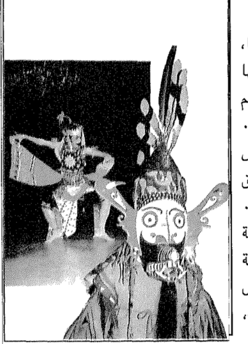

مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح مجلة
٨٧
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة
القيروان
عبق المجد
وذكريات
التاريخ
السويد
خواطر
وتأملات
تحت
الصفر
في هذا العدد من
السائح



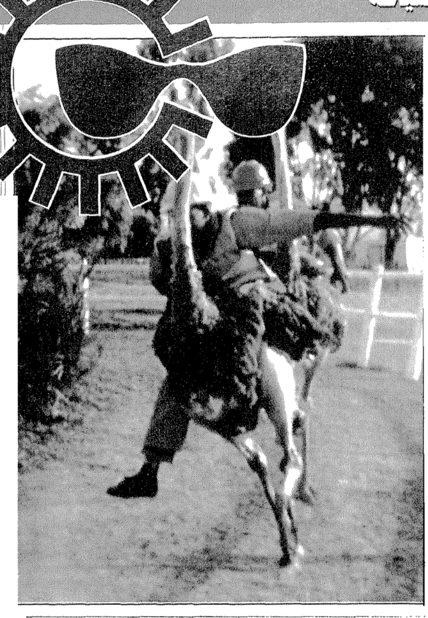
# (التسعون .. القافزة)

«ان التسعين التى بلّغتها لا تعنى بحال أن أوقف نشاطي الرياضى» هكذا حدث الرجل نفسه.. «حاستن بارث» لاعب اكروبات فرنسي .. إنها من الألعاب الخطرة.. لكن عنفوان الشباب يركب الصعب، ولا يعرف التوقف عند حد .. هكذا كان الرجل فى شبابه، حيوية ونشاطاً وجسماً رياضيا مكتملا. الآن وقد بلغ الرابعة والتسعين من عمره، يبدو أن الرجل اكثر حرصاً من ذى قبل على ممارسة الطيران في الهواء، ليبلِّغ الشباب فى «رسالة عاجلة» يقول فيها ان السنَّ لا تقف حاجزاً دون ممارسة أخطر الرياضات.

# (رقصة القصور)



شعوب شرق آسيا، تقاليدهم وأعرافهم لها مذاقها الخاص.. في مهرجاناتهم يعتمدون على الإبهار .. كأنما يسحرون أعين الناس .. ومن قال «ان الشرق ساحر» فلم يخطيء.. الصورة تحكى لنا «رقصة القصر». فإذا كان الأداء قمة في الروعة، فإن الزي بكل تفاصيل خطوطه، ودقة ألوانه، وتناسق مظهره يضيف إلى روعة الأداء تساوقا، يُعلى من قوة ايقاعه فى نفس المشاهد.. فتظل عيناه كأنما شُدَّتا بأمراس كتان..



## ( سباق النعام )

هناك، في جنوب أفريقيا، أحبوا النعام .. لكن على طريقتهم الخاصة.. أنشأوا المزارع، وحُسِّنت أنواعها .. النعامة الواحدة يبلغ وزنها (٢٠٠) كيلوغرام. كانت وسائد ريش النعام يستخدمها المترفون.. ثم انتقل الأمر إلى جلد النعام، حيث تستخدمه بيوت الأزياء للمترفات.. هذه مجموعة استخدامات استحدثت للنعام.

ولعل أغرب استخدام للنعام أنه أدخل حلبة السباق، حيث يعتلي ظهر النعامة واحد من المتدربين المحترفين.



## ( تحت الصفر )

هذا هو ربيعهم - ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر - وهذه هي سيبريا .. جبال الجليد، واودية الجليد، بل صحراء ناصعة البياض على امتداد البصر .. انهم سعداء بحياتهم، وسعداء بربيعهم.

منازلهم وخيامهم متنقلة تجرها حيوانات الرنة .. يعيشون على صيد الرنة وتربيتها .. وعلى صيد السمك من تحت الجليد.

# القيروان عبق المجد وذكريات التاريخ

بقلم: عبد الله بن حمد الحقيل
مدير تحرير مجلة الدارة - الرياض -



لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديما وحديثا وعنى به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، وما زالت الرحلات الى يومنا هذا مصدرا للتعرف على أحوال الأمم وثقافة الشعوب كما أن للرحلات أهميتها في اكتساب الخبرات واقتباس المعارف في شتى المجالات.

والرحلات مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وفيها قدرة للمقتدي بحيث يستفيد منها العظة والعبرة والفائدة ويترك الاثر الحسن بما شاهد ورأى.

ويحرص كثير من الناس علي الاهتمام بأدب الرحلات حيث إن الرحالة دائما ينقل للقارىء صورا وقصصا وطرائف ومشاهدات لكل ما شاهد وسمع ورأى، وما أكثر ما حفل به التراث العربي الاسلامي من أخبار الرحلات والرحالة، كرحلة ابن فضلان الى اسكندنافيا التي اعتبرت أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة ومجتمع «الفايكنج» فهي وثيقة فريدة تصف بدقة أحداثا وقعت منذ اكثر من ألف سنة. ولقد وصفت تلك الرحلة بأنها المصدر الوحيد لتاريخ روسيا وبلغاريا وتركيا في تلك الفترة من القرن العاشر الميلادي ، كذلك رحلة الامام الشافعي من مكة الى المدينة، ورحلة أبي دلف، ورحلة ابن جبير، ورحلة العبدري، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن خلدون، ورحلة العياشي وغيرهم كثير مما يضيق المجال عن استعراضه. فكم فيها من الصور والمشاهدات التي اصبحت تاريخا ومعرفة وفائدة للباحثين والدارسين بل وثائق تمثل نشاط اسلافنا وطموحاتهم وارتيادهم للمجهول ومعرفة العالم وطلب العلم والمعرفة ورواية الاخبار والأحاديث من أفواه الرجال، كم تفيض كتب التاريخ والحديث بالروايات والأخبار والقصص عن المحدّثين الذين قاموا برحلات بصدد جمع الأحاديث وتدوينها، وكذلك كان الرحالة يذهبون ويرتحلون من أجل التجارة والالتقاء بالعلماء والأدباء والمؤرخين والأطباء ووصف طريق

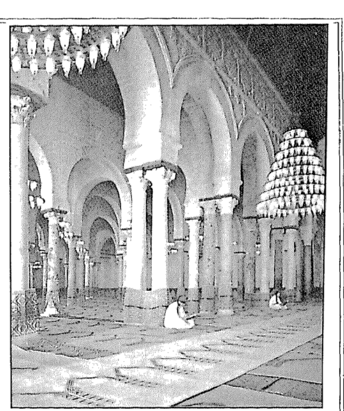


الجامع الكبير

الحج والمشاعر المقدسة والحرمين وما بهما من آثار ومعالم وعلماء ومخطوطات وأماكن ومساجد ومكتبات، وما أعظم ما كتبه الرحالة ابن بطوطه في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأشعار».

لقد حفل التراث العربي الاسلامي بالأقوال والأشعار والحكم والأمثال حول السفر والرحلات وإن أدب الرحلات حينما يتصدى له العلماء والمفكرون فإنه يظل مخصبا ومفيدا وذا عطاء علمي غزير بحيث يبرز فيه الجانب التصويري والسياق الأدبي والتحقيق التاريخي والبحث الاجتماعي مع تطعيمه بمأثور الشعر والحكم مما تقتضيه المناسبة.

ويطيب لي أيها القارىء الكريم أن أستعرض معك رحلة قمت بها إلى مدينة القيروان حيث حرصت على زيارة القيروان التي فتن المؤرخون والجغرافيون عبر قرون الفتح الاسلامي بذكر خصائصها الطبيعية والبشرية وتتميز بمساجدها ومعالمها



مسجد عقبة من الداخل

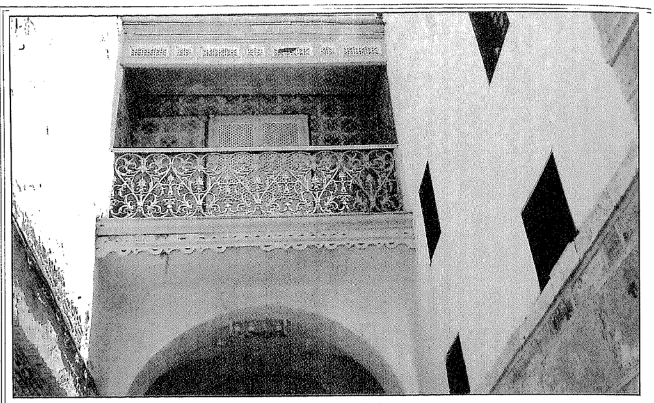
التاريخية فهى إحدى المدن التاريخية وكانت منارة تعليم وملاذا للعلماء ومركز اشعاع حضاري في شمال افريقيا وهي مدينة قديمة تقع فى منطقة صحراوية وزرعت بالقرب منها بساتين الزيتون.

وتونس ورثت حضارة الاندلس ومدينة القيروان كمدينة تاريخية تحتفظ بطابعها القديم وبتراثها العريق فهي عاصمة حضارة وحاضرة فكر وتشتهر بأعظم أثر فى بلاد المغرب العربى وهو جامع عقبة بن نافع.

وقد أسسها البطل المسلم عقبة بن نافع رحمه الله قاعدة للجهاد وارتبط اسمه بها في عام خمسين هجرية وكم ردّدت وأنا أتجول في ربوعها وآثارها وبين أحيائها قول أحد شعرائها القدامي:

فهل للقيروان وساكنيها
عديل حين يفتخر الفخور
بلاد حشوها علم وحلم
واسلام ومعروف وخير
عراق الشام بغداد وهذي
عراق الغرب بينهما كثير
بلاد خطها أصحاب بدر
وتلك اختط ساحتها أمير

وتبعد مدينة القيروان عن تونس ١٦٠ كيلا وعلى امتداد الطريق الخضرة والأشجار والمناظر الطبيعية الخلابة لقد كان لها تاريخ حافل ومجد خالد وطارت شهرتها في كل مكان نظراً لما كان فيها من أئمة العلم والمعرفة والثقافة الاسلامية منذ الفتح الإسلامي للمغرب العربي وكم تتلمذ الكثير من أبنائها على الإمام مالك رحمه الله وسمعوا منه الحديث ورددوا عنه مذهبه ومن علمائها سحنون بن سعيد وبرزت المدرسة الفقهية القيروانية بعلمائها وقضاتها وكثر بها الفقهاء وكثر القاصدون الى هذه المدينة والآخذون عن علمائها وأدبائها من أبناء الأندلس والمغرب وأفريقيه ولقد شاهدت جامع عقبة يموج بحلقات الدرس بعد صلاة المغرب ويؤمه طلاب العلم ورواد المعرفة مما يذكر بماضي هذه المدينة ودور علمائها ولقد مرت هذه المدينة بحقب تاريخية مختلفة وغارات أجنبيه وصمدت في وجه الغزاة ومازال أبناؤها محافظين على عقيدتهم الاسلامية وتراثهم الخالد ولقد قال الشاعر



لا زالت احياء المدينة تحمل نفس الطابع القديم

عبد الرحمن بن زياد وقد عزم علي العودة اليها من المشرق.

ذكرت القيروان فهاج شوقي
وأين القيروان من العراق
مسيرة أشهر للعير نصا
وللخيل المضمرة العتاق
فبلّغ أنعماً وبني أبيه
ومن يرجوا لنا وله التلاقي
بأن الله قد خلى سبيلي
وجد بنا المسير إلى فراق

ولقد تأسس بها بيت الحكمة حيث جمع الأمراء الأغالبة مشاهير العلماء وكان به قاعات فسيحة ومكتبة عامرة وكان مكانا للمناظرات.

لقد كانت القيروان نقطة الانطلاق خلال الفتوحات لبلاد المغرب وافريقيه والاندلس حيث انطلق منها عقبة بن نافع والمجاهدون المسلمون وكان لهذه المدينة دور عظيم وأدت خدمات جليلة للمسلمين وترسيخ الحضارة الاسلامية ورحم الله عقبة بن نافع القائل «إن افريقيه إذا دخلها أمير تحزم أهلها بالاسلام فإذا خرج منها رجعوا إلى الكفر وإني أرى أن أتخذ بها مدينة تجعلها معسكرا وقيروانا».

وتمتد علاقة الحضارة الاندلسية بالقيروان من تاريخ فتح الأندلس سنة٩٢هـ وزاد في هذه العلاقة هجرة أدبائها وعلمائها فكانت مركز اشعاع يستقطب الشعراء وكان جل علماء الأندلس يتعلمون بالقيروان وكانت كتب ومؤلفات علمائها تقرأ في الاندلس في مجالات شتى في الفقه واللغة

والآداب والبلاغة والشعر مما كـان له تأثيـره في اصول الثقافة الاندلسيه، كمـا أن القيروان كـانت تعج بالأندلسـيين في القـرن الثـالث والرابع الهجري وكان جامعها منارة علمـيـة وذكـر المؤرخـون ان الاندلسيين حضروا للاستمـا ع من ابى الحسن القابسي كما صـور ابو بكر بن العربي تلهف الاندلسـيين لطلب العلم في جامع القيروان ذكر ذلك المقري في «نفح الطيب» كمـا نزل بهـا ابو علي القـالي ومـعـه كمية كبيرة من كـتبـه وهكذا طارت شـهـرتهـا وذاع صيتها العلمي والتاريخي حتى حلت بهـا المصـائب مما جـعل الشـاعـر ابن شـرف يتـمنى ان يكون طائرا حـتى يرى مـا آلت اليه القيروان بعد محنتها في ذلك العصر وتتردد في سمعه انباء التخريب فيتذكر عمرانها وأدباءها وشعراءها في قصيدة طويلة منها:

ياقـيـروان وددت اني طائر
فـأراك رؤية باحث متـأمل
آها وأية آهة تشـفي جـوى
قلب بنيران الصبابة مصطلي
أبدت مفاتيح الخطوب عجائبا
كانت كوامن تحت غيب مقفل

ومن شـعـرائهـا ابو الحسن بن نضـال القـيـرواني وقـد جـمع له ابن بسام بعض

صومعة جامع عقبة بن نافع

الأبيات عن القيروان منها قوله:

لله منزلة بالقيروان محا
أيامها البين لا الأيام والقدم
شققت جيب شبابي بعد فرقتها
حزنا عليها ولا شيب ولا هرم

وهكذا كان لها دور في الحضارة العربية الاسلامية في إثراء الادب الاندلسي فهي مركز من مراكز العطاء التاريخي والثقافي امتد تأثيرها عبر المحيط الي صقليه وتجاوز غربا الى اقاصي المغرب الأندلسي.. ولقد كانت الثقافة الاسلامية في القيروان ذات سمة متميزة وحب للعلم والأدب والشعر ونبغ بها رجال وترجمت كتب في علوم كثيرة مختلفة ومازال جامع عقبة بن نافع باقيا خالدا بفنائه الفسيح ومئذنته العملاقة وساعاته الشمسية ومسجده الكبير ذي الأعمدة الكثيرة والمحراب الأثري الدقيق الصنع، وبعد تمضية أيام ممتعة مفيدة في ربوع القيروان الحافلة بالآثار والمعالم العربية الاسلامية التي توحي بالعظمة والكبرياء وبما كانت عليه هذه المدينة التاريخية فى عصورها الزاهرة وماضيها المجيد.

وودعت تلك الربوع بهذه القصيدة:

من وحي زيارة مدينة القيروان
١٤١٥/٤/٢٤هـ

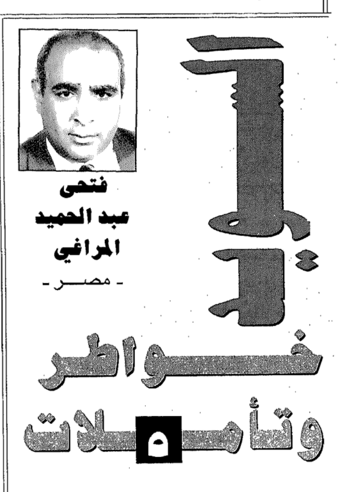
على طائر اليُمن سار السنا
يشق الفضاء بعزم أبي
وبالشوق جئت إلى القيروان
مشوقاً إلى البلد الطيب
وغرد شعري بأرضي الكماة
وأشرق كالمنهل الأعذب
سلام على وطن الفاتحين
حداة البلاد إلى الأصوب
إلى من دعا للعلا والجهاد
إلى عقبة الفاتح اليعربي
فقد وحد الصف في قوة
وساروا بعزم إلى المغرب
وفي القيروان لهم صولة
رجال العزيمة والمأرب
أكاد أرى وقع أقدامهم
تمر من الجسر للمركب
وسلوا السيوف من أغمادها
لنشر تعاليم نهج النبي
وفي كل شبر لهم موقع
عليه خطى القائد المعجب
صروح من العلم ضاعت بهم
ودامت دهوراً ولم تغرب
بنوا أمة مجدها شامخ
وراحوا بعزم إلى الأصعب
وكان لهم هدف واحد
وأشرق وجه دنى المغرب
أولوا العزم شادوا منار الهدى
لِعَبّ النمير من الأعذب
وإني أحيي جميع الصحاب
بأبهى التحيات من يثرب

مرَّ بي طيف خيال لعله سراب وأنا أجلس على أريكة خشبية في حديقة متسعة وسط مدينة كريشان استاد، والحديقة كما تبدو أمامى بديعة جميلة من ذلك النوع الذى يريح النفس ويدخل فيها البهجة والسرور .. فيضان من الخضرة لا ينضب معينه، والناس تنتشر فيها من كل الأجناس، والأطفال يلعبون فرحين، والطيور من فوقهم تطير فى حرية وأمان وهى تغرد فرحة بالخضرة والأزهار المتفتحة والنسيم العليل.

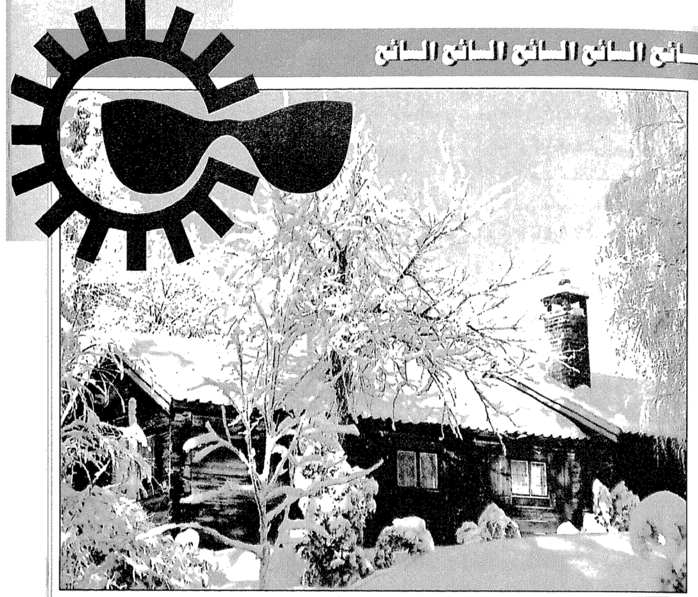
شدّنى ذلك العصفور الذى أطلقه الطفل من قفصه فهو من نوع العصافير المعروف باسم «الزرزور الأوربي وسمى بذلك لأن موطنه الأصلى شمال اوربا، طوله كما عرفت ٨ر٥ بوصة.. تخيل معى حجم العصفور إذا ما كانت البوصة تساوى ٥ر٢ سم ومن المعروف عنه أنه قوى وسريع الطيران، تراه دائما يحتشد فى أسراب، وأحيانا ينفرد بالحشائش ليلتقط الحشرات والديدان فهو يستخدم حريته فيما هو مفيد.

راقنى منظر العصفور فهو حرّ طليق، ما أحلى الحرية والتمتع بتلك الطبيعة الخلابة، ولم يكن ذلك العصفور غريبا عليّ فقد رأيته مراراً في بلدى فهو يأتى إليها مهاجراً في أسراب تعد بالآلاف يلتمس الدفء في فصل الشتاء، لم تترك عيناي العصفور بل تابعته منذ أن أطلقه الطفل حتى حطّ فوق فرع شجرة التفاح حيث يلعب بالقرب منها، فوقع نظرى على ثمارها وهى تتدلى من أغصانها كالياقوت، فجنح بي الخيال إلى أشجار النخيل الباسقة في بلدتى بصعيد مصر، يذهب الصبية إليها لالتقاط حبّات التمر المتساقطة على الأرض غير مبالين بما تخرجه الأرض من لفحات حامية بل ويتصارعون لجمع حبات البلح، وكانوا يلقون بالحجارة على تلك النخيل المديدة الطويلة فتصيب عروقها المهدلة فيسقط التمر المتدلى منها ويبدأ الصراع من جديد.

لازال العصفور ينعم بالحرية ويحط من غصن إلى غصن، فلمست رجله تفاحة متدلية فسقطت على الأرض لا يدرى بها أحد سوى ذلك الكلب الذى انفلت من صاحبه والتقطها بفمه وعاد بها إلى صاحبه الذى كان يجلس على حافة الفسقية التي تتصل بجدول الماء الصناعي .. أخرج الرجل من جيبه مطواة




فتحى
عبد الحميد
المراغي
- مصر -



تلال من الثلوج علي كل شيء

وراح يقطع التفاحة إلى شرائح صغيرة ويلقى بها للأوز والبط الذي يسبح في الفسقية ثم ألقى الرجل بباقى الشرائح إلى تلك المرعة الرقطاء، فاللون العام لها البياض الناصع مع بقع سوداء عند الرقبة والجناح، وخاصرتها بها خطوط طويلة بنية غامقة منحنية، أما أرجلها فمائلة إلى الخضرة، ولأن هذه المرعة من فصيلة القواطع راحت تلتهم شرائح التفاح واحدة تلو الأخرى.

الحديقة أمامى عامرة بالمريدين، تموج بجماعات يمضون فيها أزواجاً وفرادى، نساء ورجالا، شباباً وشيوخا، بين سائرين يتضاحكون، وجالسين يأكلون ويشربون، ومنهم الممدد على الخضرة يستقبل أشعة الشمس الخفيفة لعلها تكسبه سمرة تغطي على بشرتهم البيضاء .. الكل يفعل ما يريد فى حرية ولكن فى نظام محافظين على نظافة المكان، أما الأطفال فهم يلعبون ويمرحون، فهذا فى أرجوحته تعلو وتهبط به، وهذه تنط الحبل وهؤلاء يلعبون الكرة ويلقون بها ليلتقطها آخرون، والطيور من فوقهم تطير، والعنادل تغرِّد بينما الأزاهير تميس وترسل

بشذاها الفواح ينعم به الجميع الذين ظهرت على محياهم علامات الرضا والاطمئنان، وعلى البعد تظهر أشجار الغابات العالية تخترق جدول الماء الرئيسي للمدينة الذى يجرى ليصب في بحر البلطيق ناحية الجنوب.

يبدو أن عيني أبت ألا تترك ثمار التفاح المتدلية من أغصانها تترقب سقوطها، ولازالت نسمة الهواء الحلوة تداعب الأغصان والزهور في أحواضها أو تلك التى في مزهرياتها تزين الجدول الصناعى، وكلها ترسل مع الهواء عبق رحيق يفوح فيملأ المكان، ورغم تباين الأجناس التى تملأ الحديقة إلا أنهم تجمعهم لغة واحدة هى السويدية التى عملت الحكومة السويدية على نشرها بين الأجانب المقيمين فى السويد ، كما أن الكل ينعم بالحرية ومع ذلك لم أر طفلا يحاول قطف زهرة أو قطع غصن أو القيام بأى عمل تخريبي يشوه جمال الحديقة، وهو يفعل ذلك من تلقاء نفسه كما تعلم في بيته ومدرسته، فأرى أمامى هؤلاء الأطفال في صحبة مدرستهم تعلمهم كيف يحافظون على الطبيعة كما تلقنهم درسا عمليا في الحب واحترام القانون، ولا يستثنى من ذلك الأطفال غير السويديين فهم جميعا كما أراهم فى مستوى واحد من النظافة والأناقة كى يتعلم الطفل السويدى كيف يعامل غيره الذى يختلف عنه في اللون واللسان وكأن المدرسة تعلمهم «كلكم لآدم وآدم من تراب».. فحكمة الله فى خلقه هى التى جعلت هذا الاختلاف في الأجناس والألوان والألسنة ولكن الأصل واحد، فأسمع من يردد قوله تعالى «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين» (آية/٢٢) سورة الروم، كما أخذ هذا الصوت يردد قوله تعالى «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء إنَّ الله عزيز غفور» (سورة فاطر/٢٧، ٢٨) فما أحلى أن يربى النشء على الحب والسلام المتبادل، فالمدرسة تسهل للأطفال المعرفة وتشرح لهم في يسر الخطأ الذى وقع فيه «دارون» ونظريته القائمة على التعصب المبنى على العرق والجنس وكذلك نظرية الفرنسي «لامارك» (١٧٧٤ - ١٨٢٩) الذى سبق دارون في نظريته الخاطئة ، ونظرية السويدى «كارل فون لينيه» (١٧٠٧ - ١٧٢٨) الذى خرج على العالم بمصطلح الإنسان العاقل (Hommo Sa-pins) وقد حاول به أن يقرب لنا الصلة بين الإنسان وسلالة القردة العليا، وتحاول المدرسة تبسيط القضية وطرح الحقيقة للأطفال، فكأنها تعلمهم أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الكون ووضع فيه الجمال ليروا عظمة صنعه سبحانه، فالنظريات التي خرج بها هؤلاء جميعا كلها نظريات خاطئة لأنه تعالى عندما خلق الإنسان جعله فى أحسن صورة، وهو الذى صنع كل شيء فهو الجميل ولهذا لم يخلق إلا الجمال، وكل شيء صنعه فى دقة وبقدر «وكل شيء خلقناه بقدر» (سورة القمر) فأسمع من يقول قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» (الحجرات آية١٣) فالسويد من الدول التى تعمل على القضاء ونبذ التفرقة

العنصرية، كما طبقت مبدأ المحافظة على حقوق الإنسان منذ إصدار وثيقة ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ التي جاء فيها أن الناس سواسية متساوون أمام القانون، واحترام حرية الغير، وللفرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه، وحرية التنقل، وله الحرية في اختيار محل إقامته داخل الدولة أو خارجها، وكذلك حرية الرأى والتعبير، فعملت السويد على تطبيق مواثيق الأمم المتحدة بل جعلتها أساسا لبناء الدولة، ولهذا عملت على زيادة المعاشات والإعانات والتأمين ضد المرض والشيخوخة، وبهذا أعطت مبررا سليما لتطبيق سياسة الضريبة التصاعدية على الدخل العام، وزيادة الضرائب على الشركات والتركات ليسود العدل بين الشعب وتتحقق المساواة التى تحفظ سلامة الناس وتسمو بأرواحهم، وللسويد باع طويل فى شئون البيئة فهى تعمل جاهدة في المحافظة عليها، ولذلك نجدها قد رعت المؤتمر العالمى لمناقشة أسباب تلوث البيئة الذى انعقد في استكهولم عام ١٩٧٤، كما أنها ساهمت في إعداد المؤتمر الثانى للبيئة الذى انعقد في «ريودى جانيرو» فى البرازيل عام ١٩٩٢.

فالمحافظة على البيئة تجدها على المستويين الحكومى والشعبى، فما أجمل الطبيعة التى حبانا الله إياها، وما أروع العمل في المحافظة عليها.



معهد لتعليم اللغة السويدية

كل ذلك يمر أمامى ليس كخيال ولكنه واقع ملموس، فطبيعة المكان خلابة من خضرة الأرض الزاهية وتناسق الحديقة ونظافتها، والسماء في تلك اللحظة أراها زرقاء صافية والشمس ترسل أشعة دافئة،، والناس جميعهم ترتسم على شفاههم ابتسامات زاهية.

فى هذه اللحظة شعرت بوجودى وأنا داخل السيارة «الفولفو» التى كانت قد توقفت أمام مبنى محطة القطار القديمة وسط مدينة كريشان استاد، فرأيت من خلال زجاج النافذة تلالا من السحب والغيوم تحجب صفحة السماء الزرقاء، كما كانت الأشجار القريبة من المحطة عارية مجردة من أوراقها وثمارها.

مشكلة ازعجتني كثيرا حدثت لي فى الاتوبيس بسبب خطأ فى التذكرة.. تدخلت فيها الشرطة ولكنها مرت بسلام بحمد الله تعالى.. شاب طويل أشقر فى العقد الرابع من عمره يلقى عليّ التحية وعرفنى بنفسه إنه «هسّي» سويدى يسكن في المنزل المجاور لمسكنى، دهشت لأمر الشاب لأننى أعرف

جيدا أن السويدى نادراً ما يقحم نفسه ويبدأ هو بالتعارف، لكن هذا الشاب خرق القاعدة فلكل قاعدة شواذ، وعرفت منه أيضا أنه كان فى نفس الأوتوبيس الذى وقعت فيه الحادثة.. شكرت الشاب على مجاملته اللطيفة ولكنه دعانى لكى نحتسى القهوة فى الكافتريا الملحقة بالمحطة وافقته على الفور لأننى كنت فى حاجة لمن أحدثه.

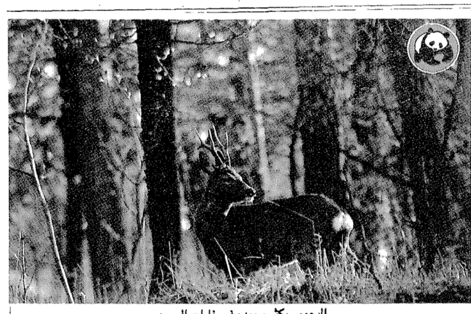
احتل كل منا مقعداً على طاولة تقع فى منتصف الكافتريا ومنها يمكن مشاهدة صالة الانتظار وشباك التذاكر من خلال الزجاج الذى يلفها، وما أن عرف «هسى» أننى عربى من مصر حتى زاد من ترحابه بى فنحن «جرانا» كما نطقها باللغة السويدية فهى من المرادفات والموافقات التى تجدها بين اللغتين السويدية والعربية.. يبدو أن صاحبنا من النوع الودود، حدثنى عن نفسه فهو يعمل محاسبا في مصنع للألبان بالمدينة وهو اسكونى مولود فى مدينة كريشان استاد، فلهجته تختلف عن أهل الشمال كما تختلف عادات وتقاليد الجنوب هناك عن أهل الشمال كما نحن فى مصر أهل الصعيد وأهل بحرى.

أشعل «هسى» سيجارته من نوع «بلند» المعروفة هناك، وراح يرتشف معها القهوة الفرنساوى باللبن والتى كان الجرسون قد أحضرها منذ دقائق.. لاحظت من عينيه الزرقاوين أنهما ترسلان نظرات تساؤلية فهو يريد أن أحدثه عن نفسى فقلت له: قدمت إلى بلادكم كى أدرس لغتكم حتى يتسنى لى الحصول على عمل فالقانون السويدى يفرض على كل أجنبى دراسة اللغة السويدية فالتحقت بمعهد S o. A.M.U عن طريق مكتب العمل السويدى والدراسة فيه مجانية، ففى خلال السبعينات من هذا القرن عملت السويد على تطبيق مبدأ تعليم اللغة السويدية للمهاجرين مجانا، وقرر البرلمان السويدى عام ١٩٧٣ حق اللاجئين فى تعلم اللغة السويدية خلال اوقات العمل مع صرف راتب كامل لمدة ٢٤٠ ساعة دراسة باللغة السويدية، وزادت هذه الساعات الدراسية الآن إلى أكثر من ٦٠٠ ساعة دراسية، دار الحديث بيننا حول الأجانب المقيمين فى السويد فحدثنى عن تاريخ الهجرة إلى السويد وكأنه يقرأ عليّ تقريرا لمكتب شئون الهجرة السويدى، وعرفت من خلال حديثه أنه من ذلك النوع الذى يحب الأجانب بل ويعتبرهم مفيدين لبلده وقديما قال الشاعر العربي:

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

«فهسّى» يعتبر هؤلاء المهاجرين لبلاده أنهم قد ساهموا فى بناء بلده وكذلك في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية حيث قتل فى هذه الحرب خيرة شباب اوربا، فنتيجة لزيادة نسبة الطلب على السلع السويدية عانت السويد من نقص شديد فى العمالة فواجه القطاع الصناعى هناك مشاكل كثيرة الأمر الذى جعل الحكومة السويدية تفتح حدودها لدخول اللاجئين، رغم أن السويد لم تدخل هذه الحرب، ولكن الحقيقة التاريخية تقول أن ألمانيا بعد أن احتلت بولندا اتجهت إلى احتلال كل من الدانمرك والنرويج أما السويد فقد تم الاتفاق بين ملكها وألمانيا على امداد ألمانيا بخام الحديد خلال أشهر الصيف فالسويد لها شهرة عالمية فى وجود خام

الحديد بها وهو من أسباب نهضتها الصناعية، ونتيجة لتجمد مياه بحر البلطيق في فصل الشتاء كانت ألمانيا تحصل على خام الحديد عن طريق ميناء «نارفيك» النرويجي، وبموجب العهد الذي قطعه ملك السويد مع



اليحمور يكثر وجوده في غابات السويد

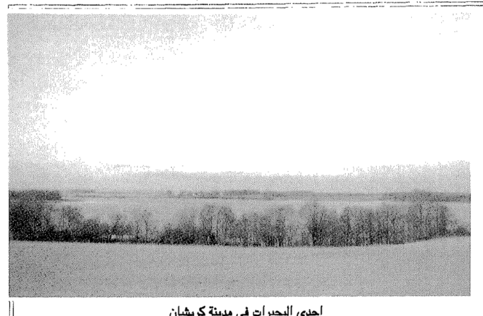
ألمانيا سد الطريق أمام انجلترا وفرنسا لمساعدة فلندا ضد الغزو الروسي وبهذا تكون السويد قد تأثرت تأثراً غير مباشر من جراء هذه الحرب، ففي عام ١٩٤٠ قلّت نسبة البطالة فيها حتى وصلت إلى ٢٪ بعد أن كانت ١٠٪، فعملت الحكومة السويدية على تأهيل العمال وتشجيعهم للعمل داخل المصانع بل وسمحت لمواطني دول الشمال بالعمل داخل مصانعها وبالأخص الفلنديين بعد موافقة الاتحاد العام لعمال دول الشمال عام ١٩٤٥، وقدمت السويد المسكن والحياة المناسبة، وخلال الحرب العالمية الثانية أنقذ الصليب الأحمر السويدي بقيادة الكونت «برنادوت» العديد من الناس من معسكرات الاعتقال، وبفضل المهاجرين ارتفع عدد سكان السويد وارتفعت معها نسبة الإنتاج الصناعي ومستوى المعيشة.

وفي عام ١٩٦٧ دخلت السويد في فترة ركود اقتصادي قامت الحكومة السويدية على أثرها بتشديد القوانين على القائمين فيها والقادمين إليها من البلاد الأخرى من مواطني البلاد غير دول الشمال فأوجبت القوانين الجديدة الحصول على عمل ومسكن وتصريح للعمل قبل القدوم إلى السويد، وأقر البرلمان السويدي هذا القانون عام ١٩٦٨.

وفي فترة السبعينيات من هذا القرن مرت السويد بفترة كساد اقتصادي لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية فأصبح من العسير - على مواطني الدول غير دول الشمال - التصريح لهم بالهجرة إلى السويد قبل أن يحصلوا على تصريح عمل وإقامة معاً قبل قدومهم إلى السويد. وفي أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من هذا القرن عادت السويد إلى استقبال المهاجرين بصورة أوسع من ذي قبل، وذلك نظراً للظروف السياسية والحروب التي نشبت في بعض الدول ولهذا تفاوضت السويد مع مفوضي الأمم المتحدة لشئون اللاجئين على العمل لنقل أعداد من اللاجئين من مخيماتهم إلى السويد، ومن ثم عرف العمال الأوروبيون الطريق إلى السويد فاستقبل ميناء «تيرللى بورج» السويدي آلاف من العمال اليوغوسلاف والأتراك والبولنديين

وغيرهم من الدول التي كانت تعانى ظروفاً اقتصادية سيئة أو حروباً داخلية طاحنة كما حدثت هجرات عكسية من اوربا وامريكا فعاد معظم السويديين الذين كانوا قد هاجروا إلى اوربا بسبب المجاعة التى اجتاحت السويد عام ١٨٦٠ والتى بسببها كانوا يأكلون قشر الأناناس، ففى عام ١٩٥٠ كان البرلمان السويدى قد قرر العمل على مساعدة القادمين إلى السويد من المهاجرين واللاجئين فقدموا لهم الرعاية الكاملة وعملوا على نقلهم من داخل معكسراتهم فى اوربا إلى معسكرات داخل السويد مجهزة بكافة وسائل الرعاية الصحية والتعليمية لنقلهم وتوزيعهم على مختلف الأقاليم السويدية، ويحصل كل لاجيء على مسكن وعمل مناسب وتوافد بعد ذلك اللاجئون إلى السويد من مختلف أنحاء العالم حتى بلغت الهجرة ذروتها فى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين الى ان وصل عددهم الى ما يزيد على المليون لاجيء، أما التاريخ الهجرى لليهود الى السويد فهو قديم حيث كان لا يسمح لهم حتى بداية عام ١٧٨٢ بحرية الانتقال من مدينة الى أخرى أو ممارسة طقوسهم الدينية، ومع بداية عام ١٨٢٨ سمح لهم بمزاولة نشاطهم داخل الأراضى السويدية. كان حديث «هس» عن تاريخ الهجرة الى السويد بمثابة قراءة فى تاريخ الهجرة. باختصار السويد خليط من الأجناس يتعايشون مع الشعب السويدى تحت مظلة القانون، وهو نفس خط اعتقادى بأن الأرض كلها لله وملك للجميع، فهجرة الناس من مكان لآخر سواء كانت هجرات داخلية أو خارجية حق شاع لجميع الناس وجزء طبيعى من تركيبة الحياة البشرية وكما قال الله تعالى: «والأرض وضعها للأنام..» وقوله تعالى «فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه..» فقد كان الحديث مع «هس» مصحوبا بنزعة إنسانية فرأيه أن الهجرة إلى السويد قد أفادت بلده وأعطتها أكثر مما أخذ المهاجر إليها. استخدم «هسى» ذكاءه كى يشبع فضوله فأبى الا يترك لب الموضوع وهو حادثة الأوتوبيس الذى اعتبره موقفا يمكن أن يكشف عن مدى انطباع إنسان غريب يعيش في بلد يختلف مع أهله فى العادات والتقاليد والأفكار، فالقضية من الممكن حدوثها فى أى مكان، وهذه الحادثة كانت ترجع الى خمسة أيام مضت عندما ابتعت اشتراكا لأتنقل به سنة كاملة وهو فى الواقع لمدة شهر فقط، وبالأمس القريب كان قد نصحنى نفس السائق بأن أراجع البطاقة من المكان الذى ابتعتها منه ولكن الوقت لم يسعفنى لعمل ذلك واليوم عندما استقللت الأوتوبيس فوجئت بنفس السائق الذى كان قد نصحنى بالأمس، وما أن أبرزت له البطاقة وجلست فى مقعدى أغلق ابواب الأوتوبيس واتصل على الفور بجهاز اللاسلكى بالبوليس الذى كان فى انتظارنا على محطة الأوتوبيس وسط المدينة.. لاحظت اهتمام «هسى» بحديثى وأشار عليَّ بأن نذهب إلى مكتب النقل العام لنشكوا السائق. فى الطريق إلى مكتب النقل العام الذى لا يبعد كثيرا عن محطة القطار .. كانت شرائح الثلوج تتساقط بكثافة شديدة والسماء من فوقنا تحجبها جبال من السحب حولت نهار المدينة الى ليل لولا إضاءة المصابيح الكهربائية التي تزين الطرقات، وفى

مكتب النقل العام رحب بنا رئيسه الذى كان على علم بقدومنا من «هسى» الذى اتصل به تليفونيا من محطة القطار.. أبدى الرجل أسفه لما حدث وقال لنا إن السائق يريد أن يقدم اعتذاره الشخصى، رفضت ذلك وسألته: هل إذا كنت مواطنا من أهل بلدكم هل كان السائق يفعل ما فعل؟ تحدث الرجل وهو دانمركى الجنسية كأنه يدافع عن قضية وقال: مرفوض داخل المجتمع السويدى قضية التفرقة العنصرية التى يمنعها القانون السويدى ويشجبها الشعب.. تفهمت الموقف وشكرت الرجل وتمنيت صدق قوله لأن هناك ثمة أحكام جزائية فى التشريع السويدى تحمى المهاجرين والأقليات العرقية من التمييز، أو أصله العرقى والقومى أو عقيدته الدينية، كما لا يجوز لموظفى قطاع الخدمات العامة ممارسة التمييز العنصرى وإذا تعرض الإنسان لذلك عليه تبليغ الشرطة واذا لم تأت الشرطة بنتائج أو تباطأت فى التحقيق على الشاكى أن يرفع دعوى لدى مدعى عام المحافظة. ركبنا الأوتوبيس الذى عاد بنا إلى منطقة «ناسبى» حيث نقيم، شكرت «هسى» وتبادلنا أرقام التليفونات .. فضلت أن أترجل إلى السوبر ماركت الكبير لأبتاع بعض المستلزمات، وكان البرد على أشده وشرائح الثلج مازالت تتساقط بكثرة وتكسو الحى

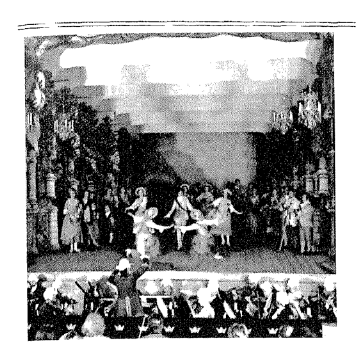


احدي البحيرات في مدينة كريشان

بمبانية القديمة والحديثة بحلة بيضاء، أما الأشجار التى تزين الشوارع والحدائق فقد جردت من أوراقها حتى أننى عند عودتى كدت ألا أعرف الطريق إلى مسكنى فقد اختفت معالم الحى كلية وما أن بلغت الدار حتى فتحت الباب الرئيسى للمنزل بنفس مفتاح شقتي فكل مفاتيح الوحدات السكنية الستة التى يتكون منها المسكن مختلفة بالطبع لكنها فى نفس الوقت تفتح الباب الرئيسى للمبنى كما هو النظام هناك وأذكر أننى عندما ذهبت فى اليوم التالى إلى المعهد وجدته وكأن هناك حالة طوارىء قد أعلنت فيه، فإدارة المعهد وهيئة التدريس كانوا يترقبون حضورى، فقد كان اهتمامهم بما حدث قد أزال ما تبقى فى نفسى واتصلت إدارة المعهد بمكتب النقل وتفهموا الموقف وأن ما حدث هو سوء فهم وقع فيه السائق وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على اهتمام دور العلم هناك على نشر فكرة عدم التفرقة العنصرية بين الطلاب.

فى يوم السبت أول أيام عطلة الأسبوع استيقظت من نومى على رنين التليفون كان

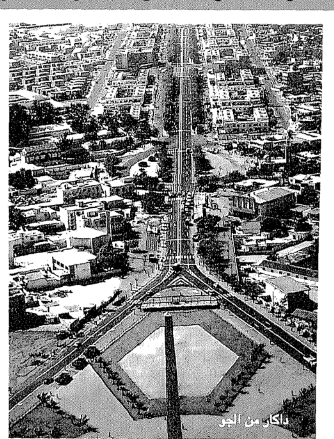
المتحدث صاحبنا «هسى» الذى فوجئت به يناديني بـ «رحيم» كما قرأ الاسم فى الاعتذار الذى نشرته شركة النقل فى جريدة «كريشان استاد بلادت» انتهزت هذه الفرصة فدعوت «هسى» لزيارتي فوافق على أن يصطحب معه صديقه «اوستافن» لم تستغرق هذه المحادثة سوى عشر دقائق كانت الساعة حينئذ تشير إلى العاشرة صباحا واتفقنا على أن تكون الزيارة بعد ساعة من الآن. وما أن ضربت ساعة المذياع الحادية عشرة حتى سمعت صوت «هسى» من خلال الجهاز المعلق على الباب الخارجي للعمارة فضغطت على زرار ففتح الباب الخارجي ثم فتحت باب مسكنى .. رحبت بالضيفين وأذنت لهما بالدخول، فى الدهليز القصير المؤدى إلى حجرة الاستقبال وذهبت لإحضار القهوة والأكواب وصببت القهوة وقدمتها لهما، شكرنى «هسي» وصديقه الذى يبدو من ملامحه ولهجته أنه من سكان أهل الشمال ولكن بشرته بيضاء يغلب عليها حمرة زاهية تظهر بوضوح فى وجنتيه أما عيناه فزرقاوان صافيان كالسماء فى فصل الصيف، ولاحظت أنه يختلف عن «هسى» فى هدوئه فهو من النوع الذى لا يتحدث إلا نادراً ويميل أكثر إلى الإنصات فهو رجل قانون يعمل محاميا لكنه مجامل، فبدأ حديثه معى عن مصر التى قرأ عنها كثيرا فى كتب التاريخ وأن أمنيته كما قال لى زيارة مصر هو وزوجته وابنه، وعلى الرغم من شوقى لسماع حديث «اوستافن» إلا أن تلهفى لرؤية الجريدة كان أكثر. قرأت فى الصفحة الأولى من الجريدة هذا العنوان المثير: «رحلة بالأوتوبيس تنتهى بالبوليس» واعتذار لرحيم



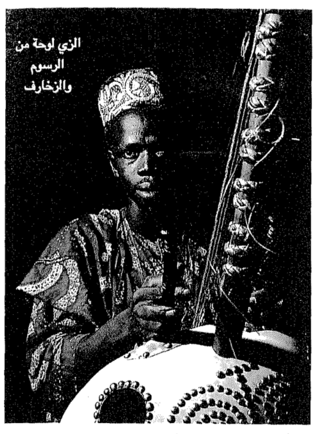
المصرى من شركة النقل لما حدث من سوء الفهم الذى وقع فيه سائق الأوتوبيس، وبخبرة اوستافن كرجل قانون قال إن الاعتذار فى الجريدة يكون إثباتا رسميا من شركة النقل واعترافا بخطأهم الأمر الذى يسهل عليّ اللجوء إلى القضاء، وهذا الأمر لم أكن أفكر فيه على الإطلاق، ولكن صفة الحذر عند الشعب السويدى هى التى دفعت كاتب الاعتذار أن يفعل ذلك. «اوستافن» انتهز الفرصة ليسألنى عن المعهد والدراسة فيه وإلى أى مدى وصلت إليه فى تعلم اللغة السويدية فهى لغة صعبة النطق ولم أمكث فى المعهد سوى شهرين فأمامى مشوار طويل لتعلم تلك اللغة، ولهذا يركز المعهد على معامل اللغة وكذلك طريقة التعلم نفسها، فالمدرس يتعامل معنا كأننا أطفال ولديهم المقدرة فى التعامل مع الطلاب، لكنى حمدت الله فرغم أن مجموعتى فى المعهد تضم أجناسا مختلفة من كوريا وفيتنام وروسيا وأمريكا إلا أننى كنت متفوقاً عليهم وساعدنى على ذلك لغتى العربية لغة الضاد التى تمتاز بمخارجها الواضحة

الدقيقة والتى تقبل أية حروف مهما كانت صعوبة نطقها، ومن المعروف أن الحروف المتحركة فى الانجليزية خمسة حروف وهي (A - E - I - O - U) تجدها فى السويدية ثمانية حروف أى تزيد عنها بثلاثة حروف هي: (a - a - o) وكل منها له نطقه الخاص به، فاللغة السويدية كغيرها من اللغات الجرمانية تقوم فى بناء تركيب كلماتها وجملها على ما يسمى بـ «التخت» أى أن تضاف مقاطع الكلمات إلى آخر الكلمة ولذلك تعرف باسم «الغروية» وهى من الغراء اللاصق فى أدوات النجارة، وإلى جانب ما يقدمه المعهد من إمكانات لتعليم السويدية من كتب وكراسات وأدوات كتابية يقضى فيه الطالب تسع ساعات يوميا لمدة خمسة أيام فى الأسبوع ويحصل الطالب على راتب شهرى من مكتب العمل، وتجد أن السويديين أنفسهم يشجعون الطلاب على تعلم لغتهم فهم يدفعون الضرائب ليتعلم الأجانب لغتهم وبعد انتهاء الدراسة في المعهد وهى لمدة سنة واحدة يمكن للطالب أن يلتحق بأى قسم من أقسام المعهد المتعددة كالكمبيوتر والفندقة وغيرها من الدراسات العملية مما شجعنى على أن أجتهد فى دراسة اللغة السويدية. كما أن هناك مجلة تعرف باسم «الأخبار للمهاجرين» تنفق عليها الدولة وتصدر أسبوعيا باللغة السويدية المبسطة، وتصدر أيضا ببعض اللغات الأخرى مثل الفلندية والأسبانية والانجليزية والعربية، وتحتوى المجلة على مواد إخبارية من السويد، وعلى مقتطفات إخبارية من بلاد المهاجرين حتى يكون بإمكان الطالب المبتدىء فى دراسة اللغة السويدية أن يقرأ تلك المجلة. ومعرفة اللغة السويدية لها أهمية كبرى هناك وخاصة عند العمل فيجب أن يكون العامل مطلعاً على طريقة العمل ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفته للغة السويدية حتى يتجنب العامل حوادث العمل، كما يستطيع التعامل مع زملائه من العمال السويديين. ولهذا تحرص الحكومة السويدية على نشر لغة البلد بين الأجانب المقيمين هناك. لاحظت على الصديقين أنهما ينصتان إليّ باهتمام شديد فهما من النوع الذى يحسن ويقدر الصداقة.. وما أن اقتربت الساعة من الواحدة ظهرا هماً بالانصراف فودعتهما على أمل اللقاء واستقل كل منهما سيارته فى هدوء تام ولم أسمع صوت ضجيج كلكسات السيارة.

من القصور القديمة في منطقة اسكونا



داكار من الجو



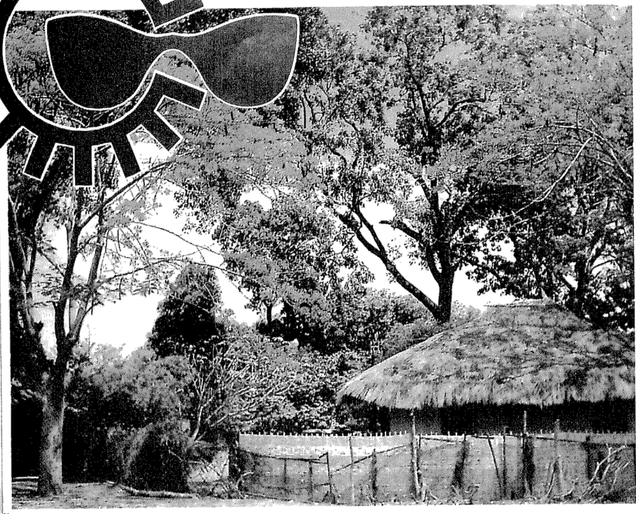
الزي لوحة من الرسوم والزخارف




في أقصى الغرب الأفريقي ، على ساحل المحيط تقف هذه الدولة (السنغال) شاهدة على تنامي المدّ الإسلامي خلال القرون الأولى من عمر الإسلام والمسلمين .. وهذا يرجع للذاكرة طبيعة التكوين الإيماني لأولئك الذين حملوا الراية على اكفهم مجاهدين دون لواء الحق فكان لهم النصر بإذن وتوفيق من الله سبحانه.

وموقع السنغال - نفسه - جاء ليشكل خطا استراتيجيا يطل على وسط وجنوب افريقيا .. اما امتداده الساحلي على المحيط (٦٠٠) كم فقد اكتسب استراتيجية خاصة فيما يتعلق بخطوط النقل والمواصلات البحرية والجوية عبر الأطلسي.

(الولوف - السيريفيس - الديولا- البيك - التوكولور - الماندنج - الباربارا) من أهم واكبر



جمال وروعة الطبيعة البكر

القبائل السنغالية، هذه القبائل رغم تنوعها وتباينها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، الا انها تمثل في النهاية نمطاً متناغماً في الوحدة والانتماء.

ومعلوم أن التعدد القبلى يعطي تعدداً في اللهجات ومعطيات العادات والتقاليد والاعراف، إذ لكل مجموعة منظومتها العرقية المتميزة بها.. بل منظومتها (العرفية) في معطياتها التقليدية المتمثلة في نظم حياتها وتعاملها مع الحياة.

ولا شك ان الدارس لأنماط حياة الشعوب يكون اكثر ميلا إلى ان تكون معطيات القبائل هى مرجعه الاساسي لانها تمثل الانموذج الحقيقى لبيئتها.

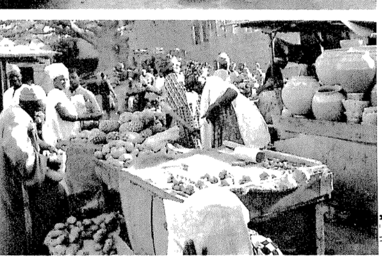
«السنغاليون» شعب عرف التماذج الثقافي وبالتالي الوجداني، تعرفوا على الدين الاسلامي بواسطة الدعاة والمشائخ والعلماء، وعرفوه، امتلأ به وجدانهم، فبنيت المساجد والكتاتيب ومعاهد التعليم الدين، لتعرفهم بالاسلام.. فيها حفظوا القرآن الكريم، وتحدثوا العربية، وانتظموا في سلك المسلمين، حتى وصل عدد المسلمين الى اكثر من ٩٠٪

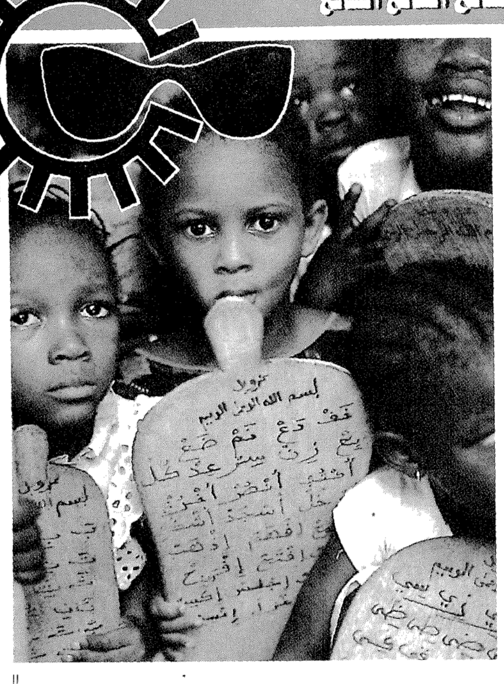


ن السنغاليين. وفي فترة المدّ الاستعماري جاء الفرنسيون واحتلوا البلاد بكاملها، جاءوا بكل قدراتهم ومؤهلاتهم ليحولوا هذا البلد المسلم الى (فرنسا السوداء) ان صحت هذه التسمية .. وان كانوا قد استطاعوا نشر الفرنسية في كل ارجاء السنغال، فانهم قد فشلوا فشلا ذريعا في نشر النصرانية، إذ ظل القوم على دينهم الإسلام. والسنغال بحكم موقعها الجغرافي ظلت مكان تنافس بين عدد من دول الغرب الأوروبي.



والتماذج الثقافي والحضارى يبدو واضحاً في النظم العمرانية الضخمة التي لا تخطئها العين في المدن الكبرى في السنغال وبخاصة في عاصمتها (داكار) .. هذا الى جانب الحفاظ على الموروث من تراث الأجداد في مظاهر المعمار والمنازل ، وفي الموروث الثقافي والاجتماعي من عادات وتقاليد وأعراف .. ولا شك ان مثل هذا





التمـاذج ، اضـافـة الى مـا فـيـه من خصوصية وتفرد، فهو اثراء لمعطيات تداخلت في تكوينها مجموعات وافدة امتزجت بها، حتى غـدت نوعـاً من المـوروث. وهـذا يعني ان محـاولات «الفرنسة» لم تنجح ، وأن مـحـاولات المسخ التنصيري قـد باءت بالفـشل التـام .. التشـابه قـائم بين كثير من الدول الافـريقـيـة ، في كـثـيـر من معطيات حياتها، وإلى جـانب هذا نجد التفرد واضحا فى كثير آخر من معطيات الحياة. والاثر العربي اكثر وضوحاً فى السنغال فى أسلوب المعمار، اذ القرية السنغالية أقرب الى القرية العربية، والثوب الذي ترتديه المرأة هناك لا يختلف كثيراً عن الثوب السوداني للمرأة، وهذا الثوب يغطي المنطقة من «تشاد» المجاورة للسودان، ممتداً غرباً حتى السنغال ونيجريا ـ وإلى حدٍّ ما يشبه الثوب النسائي في موريتانيا.

وأفراح القوم هناك مشبعة بالايقاع الافريقى السريع ذي النغم المتصاعد .. وهو ايقاع يستفز أهله لرقصات الفرح المتساوقة مع سرعة الايقاع وحرارته.. هناك على أمواج المحيط تلتقى حضارة الغرب الناعمة بايقاع افريقيا الصاخب.

« **محمد السمان** »

د. ثريا العريض

# أمام الحقائق النفسية

يقضي الإنسان معظم حياته في محاولة التعايش مع حقائق لا يستطيع تقبلها .. وإذا زادت المواجهة يسقط فريسة الإضطرابات النفسية، البعض يفقد ذاكرته، والبعض يصاب بالإنفصام، والبعض ينقلب من النقيض الى النقيض في اعتقاداته وقيمه وكل ما يُسيِّر تصرفاته، والبعض تهاجمه أعراض حقيقية لأمراض ليست لها مسببات عضوية.

مسكين هذا الإنسان ..!

كم هو ضعيف في مواجهة الواقع .. تحطمه الحقائق إذا جاءت تتناقض مع افتراضاته ورغباته .. ولذلك لابد لبقائه ان يجد طريقة يسيطر بها على الحقائق حتى لا يتحطم.

والإنسان هو آخر من يرى او يعترف بالحقائق المتعلقة به شخصيا .. يتعلق بقشة لكي لا يغوص في أعماقه فيكتشف ما بداخلها من تناقضات وحقائق هو غير قادر على مواجهتها.

أهو ذكي في هروبه من نفسه؟ أم هو غبي كالنعامة؟

تشدني الدراسات التحليلية والعلاجية لتصرفات الأفراد والمجتمعات. وفي معظم قراءاتي أتابع التطورات والنظريات والممارسات الحديثة في التحليل النفسي وتطبيقاته علاجيا وتربويا واجتماعيا.

منذ أول محاولات المجتمعات البدائية لعلاج الإضطرابات النفسية، هناك اعتراف بكون الإنسان معرضا للهزيمة في مواجهة حقائق موجودة او مفتعلة.. او حتى متوهمة... السحر والزار والكي كانت محاولات عقيمة مؤلمة وقاسية.. وكان لبعضها نتائج وخيمة.

اليوم ينادون بأن أهم خطوة لمد يد المساعدة لإنسان يواجه تناقض انفعالاته تجاه فرضيات و«حقائق» واقعة الذاتي هي طمأنته بأن مشاعره طبيعية.. وتجنب زيادة احتدام صراعاته وقلقه بإصدار الأحكام عليه بالخطأ والصواب.. ذلك لا يعني انها مشاعر مرضية، نحبذ استمرارها، وإنما يعني ضرورة الإعتراف بوجودها فعلا كخطوة أولى في سبيل مساعدة ذلك الإنسان على التحرك ذاتيا لتغييرها والخروج من المتاهة.

قانون دولي

# النظام العالمي الجديد وجذوره في القانون الدولي

**بقلم:**
**محمد علي حسين الحريري**
- السعودية -

يصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ الى عصور، وحقيقة الأمر أن ذلك لهدف المعرفة ولا يعني أبداً تجزئة الأحداث التاريخية أو تأكيد انفصاليتها، لأن التاريخ البشرى يشبه في استمراريته الماء الجاري في اتصاله وتواتره.. والتاريخ لا يقرأ للمتعة والترف بقدر ما يستهدف الوقوف على مواقف الأجيال السابقة من مشكلاتهم وقضاياهم لرفد معرفتنا وتجاربنا بتجارب السابقين من بني البشر.

لقد بدأت حركة النهضة الأوربية كحركة تجديدية لاحياء الحضارة الكلاسيكية الوثنية (اليونانية واللاتينية) نقلت المجتمع الأوربي المسيحي من عصر الاقطاع الأوربي الى ما يعرف عند المؤرخين بعصر النهضة الأوربية الذى جاء فى اعقاب الحروب الصليبية والتقدم العلمي والفكرى الذى بثَّتة الاندلس في اوروبا وسائر انحاء العالم. لقد كان دانتي وبيكون من اكثر المتأثرين بالحضارة الاسلامية في العلوم والفنون وهما من اعمدة عصر النهضة.

ويعدد المؤرخون عوامل تلك النهضة بما يلى:

١ - ظهور المدن الاوربية على انقاض الاقطاع ونظمه البالية.

٢ - الحروب الصليبية التي احتكت بالعالم الاسلامي وغيرت الكثير من المفاهيم في حياة الناس -

٣ - أثر الحضارة الاسلامية في قيام النهضة الاوربية.

٤ - ضعف الكنيسة وانحلال سلطة الفاتيكان وانتشار الحركات الدينية الاصلاحية.

وكان من اهم المظاهر التي بدت النهضة من خلالها (الكشوف الجغرافية الاوربية) وظهور دول جديدة في اوروبا حديثة التكوين - اسبانيا - البرتغال - هولندا - انجلترا - فرنسا - روسيا) ثم ظهرت الدانمارك والسويد - ايطاليا - المانيا. وراحت هذه الدول تعمل على نشر المسيحية عبر اكتشافاتها الجغرافية فكان من اهداف اسبانيا والبرتغال تنصير غرب افريقيا وتحويل الحبشة من الارثوذكسية الى الكاثوليكية والعمل على ازالة الوجود الاسلامي

# صياغة العلاقة الدولية كانت أثراً مباشراً للثورة الصناعية

في الاندلس، وسقطت غرناطة ١٤٩٢م.

وكان الربح التجاري هدفاً مخططاً ثانويا بالنسبة للهدف الديني الأول، وقد نجحت الكشوف الجغرافية في تغيير الخطوط التجارية العالمية السائدة في العصور الوسطى، ونتيجة الخلافات الدينية بين الفاتيكان والبروتستانت خاضت اوروبا حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ - ١٦٤٨م) التي انتهت بصلح - وستفاليا - الذي وضع حداً للحروب الدينية وانقسمت اوروبا الى دول ملكية مطلقة ودول جمهورية ديمقراطية وأيد الفاتيكان الدول الملكية المطلقة(١). وكان للانقلاب الصناعي والثورة الفرنسية أثر لا ينكر في صياغة العلاقة الدولية بالشكل الذي سارت عليه دول العالم حتى العصر الحاضر.

ظلت الدول الأوربية تتعامل مع دول الشرق على قدم المساواة طوال العصور الوسطى وحتى نهاية القرن الثامن عشر حيث مارس العالم التجارة الدولية على أساس التوازن وفي ظل المبادىء الاسلامية السمحة التي لا تمنع قيام علاقات دولية متوازنة متكافئة بين كل دول العالم بشتى اديانهم وأجناسهم. بينما كان الفاتيكان يحرم على أتباعه التعامل التجاري مع المسلمين وضرورة حصر التجارة بين المسيحيين وحدهم. ولكن هذه القاعدة قد خرقتها السياسة الاسلامية التي سمحت بقيام علاقات تجارية ودبلوماسية بين المسلمين والأوربيين حتي في ظل الحروب الصليبية، وقد أصرت الجمهوريات الايطالية على استمرار هذه المعاهدات والعلاقات مع المسلمين رغم احتجاج البابوية.

وفي هذه الظروف يكتب احد الأباطرة الى البابا يدافع عن معاهدته التي وقعها مع العثمانيين عام ١٥٣٥م ويقول في رسالته للبابا: (إن الأتراك ليسوا خارج المجتمع البشري) واختلاف الدين يجب ألا يضع حدوداً فاصلة بين اخوة الانسانية وسوف تكون النتائج سيئة اذا سيطرت روابط الدم والأممية على علاقات البشر ببعضهم. ولم تستمر طويلا مثل هذه الدعوات الانسانية بل راحت اوروبا تخطط بعد الاكتشافات الجغرافية لعصر استعماري يقيم تنظيماً اقتصاديا بين الدول يقوم على استغلال ثروات الشعوب المتخلفة وقد مر ذلك بمرحلتين هامتين:

**المرحلة الأولى: نادي الدول المسيحية:**

تبدأ هذه المرحلة بابرام معاهدة صلح (وستفاليا) ١٦٤٨م - التي أقرت نشأة الدول الأوربية الحديثة وانفصالها عن الامبراطوريات القديمة وتستمر هذه المرحلة حتى عام ١٨٥٦م وطيلة هذين القرنين كانت المسيحية وحدها مصدر التنظيم والتقنين الأوروبي حيث بارك البابا كل مسيحي يحاول الانتقام من المسلمين وانطلقت الكشوف الجغرافية للبحث عن طريق تجاري دولي لا يمر بالعالم الاسلامي وبارك رجال الاكليروس حركة المد الاستعماري بهدف ديني وكانت اوروبا لا تعترف بدولة غير مسيحية فالأوروبي يعتبر نفسه سيد العالم يمنح الدول الاعتراف بقواعد دولية اخترعها نفسه كقاعدة

الاعتراف المنشيء وقاعدة الحد الأدنى للحقوق.

وبدءا من عام ١٨١٥م بدأت اوروبا - دولها الكبرى - تجتمع في مؤتمر دولي في نطاق الوفاق المسيحي ويعتبر هذا المؤتمر وصياً على المجتمع الدولي ولا تشارك فيه الدول الصغيرة في أوربا والتي يجب عليها السمع والطاعة لقرارات هذا المؤتمر الدولي للدول الكبرى.

وذلك بعد تحالف اوروبا ونجاحها في هزيمة نابليون في واترلو ١٨ حزيران ١٨١٥م ومن اهم المؤتمرات في هذه الفترة - مؤتمر فيينا ١٨١٥م الذي حدد بعض الحدود الدولية ومؤتمر اكس لاشابيل ١٨١٨م ومؤتمر فيرونا ١٨٢١م.

**المرحلة الثانية:**

لم يكن في عالمنا هذا قانون دولي قبل عام ١٨٥٦م، اذ كان للدول المسيحية بأوروبا قانون عام ينظم ما بينها من علاقات ولا يحق لدولة مسلمة إذ ذاك حق العضوية في الجماعة الدولية حتى ذلك التاريخ، ولم يكن قبول المسلمين عضواً في الأسرة الدولية في منتصف القرن التاسع عشر يمثل الواقعية والاعتدال في مواقف ساسة تلك الفترة بل كان خطوة اقتضتها أصول اللعبة السياسية التي ستنفذها أوروبا على الدول العثمانية وما يلحقها. ان العالم الصناعي بتطوراته الاقتصادية منذ اواسط القرن التاسع عشر قد أدرك أهمية تمديد الشباك والحبائل للأمة الاسلامية لتكون عضواً في جماعة الدول واقتضى دهاء الساسة الغربيين أن يحذفوا من عنوان القانون الدولي القائم في تلك الفترة ما يدل على أنه للمسيحيين وحسب وكان نص التسمية: قانون الأمم المسيحية Law of Christian Nations وانطلت الحيلة على مسلمي ذلك العصر ودخلت الدولة العثمانية ضيفاً عزيزاً على مائدة ذلك القانون ومازال ذلك الدخول يوصف بتسامح الدول الأوربية وتمدنها إذ قبلت دولة مسلمة في الأسرة الدولية وتوج هذا المفهوم بثالوث الثورة الفرنسية التي رفعت شعار - حرية - عدالة - مساواة. ومضى هذا القانون الدولي ليبدأ عمله في أحداث الحرب الروسية التركية ثم مؤتمر برلين ١٨٨٥م فالحرب العالمية الأولى فإنشاء عصبة الأمم وفشلها ثم قامت الحرب العالمية الثانية وقامت بنهايتها هيئة الأمم المتحدة. وجامعة الدول العربية التي كرست منذ بداية نشأتها أن العرب دول متعددة وأن الاسلام يفترق الى قوميات مختلفة الى آخر ما يزخر به سجل السياسة من مكر ودهاء.

وتلقى المسلمون هزيمة سياسية بتمزيقهم الى كيانات متعددة ووضعت بريطانيا على كل طرف حدودي بين جارتين عربيتين نقطة خلافية كجرح ينكأه العدو كلما احتاج الى توهين خصمه في أي منطقة من العالم الاسلامي.

وتلقى المسلمون الكارثة الاقتصادية حيث دخلت معظم دول العالم الاسلامي في نفق الديون وإذا بأموالنا التي جعلها الله سبحانه قياماً لنا صارت قياماً لغيرنا في ظل الاستعمار الغربي(٢). لقد كان التنظيم الدولي الجديد بعد قبول تركيا يقوم على سيطرة الدول المتمدنة على العالم ولابد لأي عضو جديد من الخضوع لأساليب الحضارة الأوربية التي تقوم على فلسفة مسيحية مادية. وكانت القوة العسكرية هي الأهم في الحكم على مدنية الدولة وتقدمها ومن هنا سمح لليابان بالانضمام الى الاسرة الدولية بعد أن هزمت روسيا والصين في عام واحد ويعلق احد الساسة اليابانيين على ذلك بقوله: (هكذا وجدنا أنفسنا أخيراً متساوين معكم في العطاء العلمي وسمح لنا بالانضمام الى موائد اجتماعاتكم كرجال متمدينين) وتعتبر هذه

# في القرن الماضي دعا الفاتيكان صراحة الى عدم التعامل التجاري مع المسلمين

المرحلة منذ عام ١٨٥٦م حتى عام ١٩٤٥م اكبر مراحل المد الاستعماري حيث ارتكبت الدولة الأوربية تحت شعار المدنية أفظع الجرائم في تاريخ البشرية فاحتلت العالم العربي واستغلته أبشع استغلال وعلى جماجم المسحوقين من الدول الخاضعة للانتداب قامت الثورة الصناعية في اوروبا وتكونت هياكلها الاقتصادية الضخمة وصبغ الغرب العلاقات الدولية - الاقتصادية والسياسية بصبغة غير انسانية حيث بنى علاقاته على السلب والنهب وسرقة المواد الاولية وفي ذلك يقول (هو شي منه) الرئيس الفيتينامي: (منذ ثمانين عاماً حضرت إلينا فرنسا رافعة العلم المثلث الألوان والمعبر عن الحرية والمساواة والاخاء، اقتحموا اقليمنا وعصفوا بشعبنا).

وفي ظل مثل هذه الأوضاع كانت مهمة التنظيم الدولي الأوروبي تنظيم قواعد التنافس بين الدول الأوربية ومنع الصدامات بينهم وكان من صلاحيات المجلس الاوروبي اعطاء شهادات الميلاد للدول الناشئة والاعتراف بها ومن هنا وجدت العديد من دول آسيا وافريقيا نفسها تعيش فراغا قانونيا لتجريدها من الشخصية الدولية برغم امتلاكها الشعب والاقليم والسلطة ولا ينقصها إلا اعتراف الدول الاوربية.

ولم تؤد هذه الدول على كثرتها أي دور في تنظير قواعد القانون الدولي في اكثر فتراته خصوبة (منذ اواخر القرن التاسع عشر والى بدايات القرن العشرين).

لقد كانت تلك المرحلة مطبوعة بالطابع الاوروبي المسيحي ولاسيما بعد الانتداب والاستعمار المباشر بحجة نقل الشعوب المتخلفة من الهمجية والوحشية الى المدنية والحضارة عبر مرحلة انتقالية يتم فيها تدجين الدول والشعوب وتهيئتها - تنصيرها - للدخول في الفردوس الأوروبي - النظام الدولي لتلك الفترة من بدايات هذا القرن. وما يصدق على فيتينام يصدق على الهند وافريقيا كلها ومعظم دول آسيا ببركة المدنية التي جعلت اوروبا تقول (تولد دول العالم الثالث في وضع يجب أن تقبل به)(٣).

لقد علق المهاتما غاندي على سياسة (فرِّق تسد) الاستعمارية التي طبقتها بريطانيا بمهارة فائقة فقال: (ما تخاصمت سمكتان في قعر البحر إلا وكان سبب خصامهما الانجليز).

لقد كان المظهر العملي للعلاقات الدولية بعد عصر الاقطاع الأوروبي وبعد نشوء الدول الأوربية ذات النشاط التجاري يتجلي في التجارة الدولية مع الشرق (الهند - الخليج - مصر) وقد استطاع المماليك تنظيم علاقات تجارية وبشروط جيدة مع البنادقة وسائر الجمهوريات الإيطالية.. وعندما قامت الدولة العثمانية ودخلت مصر والشام وسائر البلاد العربية في سلطة الباب العالي. حافظ العثمانيون على تلك العلاقة التجارية بين مصر والجمهوريات الايطالية ونجح البرتغاليون عام ١٤٩٨هـ - ١٨ آيار في الوصول الى الهند قبل وصول العثمانيين لمصر بـ ثمانية عشر عاما ١٥١٧م، ودخلت أوروبا في صراع طويل مع العثمانيين اتضحت اهدافه جيدا عندما

اكتشف الشريف بركات ثلاثة برتغاليين تسللوا الى مكة بزي عثماني ثم تبين أنهم جواسيس جاؤوا لدراسة مخطط برتغالي لغزو مكة وقد وقع هذا الحادث عام ١٥١٠م(٤)، ووقعت بعدها الحوادث الحربية بين قانصوه الغوري والبرتغاليين في البحر الأحمر عندما حاولوا احتلال جدة عام ١٥١٧م.

وعندما وصل العثمانيون نجح سليمان القانوني في ضرب البرتغاليين عام ١٥٣٨م والاستيلاء على عدن وشحنها بالأسلحة ثم منع العثمانيون سفن البرتغال من دخول البحر الأحمر وطبق المنع نفسه على سائر السفن المسيحية التي أجبرت على تفريغ حمولتها في ميناء الحديدة ونقل البضائع الى السويس على سفن اسلامية ويبقى هذا المبدأ مطبقا على البحر الأحمر حتى القرن الثامن عشر(٥) وذلك حرصا من العثمانيين على سلامة الحرمين الشريفين الذي عقد معاهدة تجارية مع البنادقة خلال اقامته بمصر أو قل وافق على تمديد الاتفاقية التجارية التي عقدها الغوري مع الايطاليين.

وقد أرخت المعاهدة في ٩٢٣/١/٢٢هـ - ١٥١٧/٢/١٤م فهي اول وثيقة رسمية يوقعها السلطان العثماني في مصر تمنح الامتيازات للبنادقة وتشجع التبادل التجاري، وسعت الدول الغربية كلها الى ارسال وفودها الى الدولة العثمانية للحصول على نفس الامتيازات التجارية التي يتمتع بها البنادقة استناداً الى ما يعرف في القانون الدولي (قانون العادة)(٦)، ومن اشهر المعاهدات التجارية بعد البنادقة معاهدة عام ١٥٣٥م بين السلطان سليمان المشرع - القانوني - والملك فرانسوا الأول وتقع هذه المعاهدة في ست عشرة مادة قررت تنظيم العلاقات الاقتصادية والتجارية وطبيعة عمل القناصل التجاريين للدولتين.

وقد جددت هذه المعاهدة عدة مرات وأضيف اليها أحكام جديدة ثم صارت المعاهدة تجدد تلقائيا كلما ارتقى التخت العثماني سلطان جديد. وقد تضمنت المعاهدة دعوة لبريطانيا كي تدخل في المعاهدة بشرط ابلاغ السلطان العثماني خلال ثمانية شهور من التوقيع على المعاهدة وذلك لتحويل المعاهدة - العثمانية الفرنسية - الى معاهدة جماعية.

ولكن بريطانيا رفضت الانضمام وظلت تدخل الموانيء العثمانية تحت أعلام فرنسية ولم تنشط التجارة الانجليزية إلا بعد عام ١٥٧٨م حيث استقبل السلطان العثماني (مراد الثالث ١٥٧٤ - ١٥٩٦م) بعثة انجليزية تجارية وتبودلت الرسائل مع الملكة اليزابيث الأولى وتوجت هذه المحاولات بإصدار السلطان براءة للتجار الانجليز تمنحهم حرية الاتجار والقدوم والتجول رغم معارضة الفرنسيين وأسس الانجليز شركة - الليفانت - (شركة الشرق الأدنى) التي تمارس اختصاصات تجارية وسياسية متعددة حيث كانت ترشح السفراء والقناصل وتدفع رواتبهم لان الشركة احتكرت التجارة في شرق البحر المتوسط بموافقة الملكة اليزابيث الأولى ، وبعد تطورات تجارية متعددة عقد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧م) معاهدة مع الحكومة الانجليزية عام ١٦٧٥م باسم (المعاهدة النهائية للامتيازات بين الامبراطورية العثمانية وانكلترا) والمعاهدة مع أنها ضمنت للتاجر العثماني نفس الحقوق التي يتمتع بها الانجليزي لكن هذا ضمان اسمي لم يستفد منه إلا السلطان والباشوات من رسوم البضائع الانجليزية التي تبلغ ٣٪ من ثمن البضائع. واستمرت المعاهدة منذ عام ١٦٧٥م حتى عام ١٨٠٩م حيث عقدت

# سوف تكون النتائج سيئة اذا سيطرت روابط الدم والأمية على علاقات البشر

معاهدة الدردنيل (معاهدة السلام والتحالف السري).

**ظهور مصطلح (الامتيازات الأجنبية):**

تشكل مجموع الاتفاقيات التجارية بين الدولة العثمانية وأوروبا نموذج التعامل بين المسلمين وأهل الحرب في إطار عقد الأمان المعروف في الفقه الاسلامي حيث ظهر ذلك واضحا في التسمية العثمانية لهذه المعاهدات (المعاهدات المتضمنة المبادىء القانونية لإقامة المستأمنين من رعايا الدول الأجنبية في الدولة العثمانية لممارسة نشاطهم التجاري المشروع وتقرير حق رعايا الدولة العثمانية المقيمين في أراضي تلك الدول في سريان المبادىء عليهم) والفرق بين اهل الذمة والمستأمنين أن الذمي مواطن من رعايا الدولة الاسلامية وأمانة مؤبد طالما بقي وفياً لعقد الذمة أما المستأمن فأمانه مؤقت محدد بمدة معينة.

وقد استفاد الأوربيون من هذه الامتيازات في سائر دول المملكة العثمانية بما فيها الدول العربية التي اقام بها عدد من القناصل يتبعون سفير دولتهم في استانبول(٧).

وقد استغلت اوروبا هذه الامتيازات الأجنبية لاتباع نشاط تنصيري وتجسسي رهيب في انحاء الدولة العثمانية ومع أن هذه الامتيازات هبة ومنحة سلطانية يمنحها السلطان العثماني الذي يحكم دولة مستقلة عظمى إلا أن أوروبا فسرت هذه الامتيازات تفسيراً تعسفيا حيث صارت تراها حقا مكتسبا انتزع من السلطان وكأنه منتزع من دولة منهزمة في حرب طويلة مع أن هذه الامتيازات منحها السلطان في أوج قوته ولكن الرعايا الأوربيين صاروا يتمتعون بحصانة تعفيهم من الخضوع للسلطة العثمانية وكأنهم حكومة أخرى داخل الدولة العثمانية واستمرت قضية الامتيازات الأجنبية هذه مصدر قلق واذلال للعثمانيين حتى سقطت دولتهم بعد الحرب العالمية الأولى.

لقد حاولت الدولة العثمانية التخلص من نظام الامتيازات الأجنبية بعد حرب القرم ١٨٥٦ التي اندلعت بسبب الخلاف على الاماكن المسيحية في فلسطين ورجحت الدولة العثمانية جانب فرنسا مما آثار غضب روسيا وراحت تبعث الوفود الى الآستانة بصورة تهديدية استفزازية لاعطاء الروس - النصارى الارثوذكس - حق الاشراف على الاماكن المقدسة في القدس وبيت لحم ومع أن فرنسا وبريطانيا كانتا حليفتى العثمانيين في تلك الحرب، لكنهما دائما يحاولان الزج بالعثمانيين في المعارك الخاسرة لتمزيق الدولة العثمانية وتفتيتها وكادت حرب القرم أن تعم اوروبا كلها لولا دعوة الاطراف للتفاوض في مؤتمر باريس الذي ضم الدول الكبرى المتحاربة وأعلن المؤتمر معاهدة باريس ٢٣ رجب ١٢٧٢هـ / ٣٠ آذار ١٨٥٦م وتكونت المعاهدة من ٣٤ مادة اضافة للبنود السرية المتضمنة تقدير المبالغ المالية التي يدفعها العثمانيون لروسيا غرامة حربية وتعويضات بسبب الحرب.

وقد نشأت في حرب القرم النواة الأولى لمنظمة - الصليب الأحمر - على يد الممرضة

الانجليزية (فلورنس نايتنغل) ولعلها المرة الأولى التي عرضت فيها اوروبا مهنة التمريض للمرأة الاوربية(٨)، ورغم أن روسيا لم تحرز انتصارات عسكرية في تلك الحرب فقد استطاعت بدعم اوروبي الحصول على تعويضات مالية ضخمة وتمكنت من السير قدما نحو اهدافها الاستراتيجية في الوصول الى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق الهامة في البحر الاسود وبحر إيجة. وعرفت كيف تستغل فيما بعد منطقة البلقان واثارة منطقة البوسنة والهرسك والصرب على الدولة العثمانية وبدا ذلك واضحا في الحرب الصربية العثمانية ١٨٧٦م التي منعت العثمانيين من استئصال الصرب وإبادة جيوشهم خشية الدول الاوربية الموقعة على معاهدة باريس ولكن هذه الرأفة والرحمة كانت سلوكاً غريباً في مجتمع الذئاب.

لقد فشلت الدولة العثمانية في إلغاء الامتيازات الاجنبية ورفضت الدول المشاركة في مؤتمر باريس ١٨٥٦م وبعضهم حلفاء للدولة العثمانية في حرب القرم لأن التخلص من الامتيازات الأجنبية يعني اغلاق الباب الذي يتدخل منه الغرب في شؤون الدولة العثمانية واستمر تدهور الوضع حتى انقلاب ١٩٠٨م فحاول الاتحاديون الغاء تلك الامتيازات ولكنهم اخفقوا أيضاً في محاولتهم.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م أرسلت الدولة العثمانية منشوراً في ٩ أيلول ١٩١٤م الى سفراء الدول في استانبول لإبلاغهم بالغاء الامتيازات اعتبارا من أول اكتوبر ١٩١٤م واحتج السفراء على المنشور وأعلنوا تمسك حكوماتهم بنظام الامتيازات وبدخول تركيا طرفا في الحرب ضد بريطانيا وحلفائها أعلنت المانيا وامبراطورية النمسا والمجر - الغاء الامتيازات الاجنبية واحترام رغبة العثمانيين في ذلك.

وبانتهاء الحرب وانتصار بريطانيا وحلفائها قرر الحلفاء في معاهدة سيفر آب ١٩٢٠م الابقاء على نظام الامتيازات في المادة (٢٦١) منها وبانتصار الكماليين استبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان - تموز - ١٩٢٣ م التي الغت الامتيازات الاجنبية مقابل سقوط تركيا كاملة في فم الأفاعي من خلال علمانية تركيا والغاء نظام الخلافة. أما الدول العربية - سوريا لبنان - الأردن - فلسطين - والعراق - فقد الغي نظام الامتيازات لتسقط كاملة تحت الانتداب الفرنسي الانجليزي وفق المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم الموقع عليه في ٢٨ - حزيران ١٩١٩م(٩).

أما في مصر فبقي نظام الامتيازات نافذا لمدة تزيد على ثلاثين عاماً اخرى حيث لم يلغ إلا عام ١٩٣٧م حيث دعت مصر الى مؤتمر دولي في - مونتريه - بسويسرا حضرته الدول صاحبة الامتيازات ونصت وثائق المؤتمر على الغاء الامتيازات الاجنبية في مصر بعد فترة انتقالية مدتها اثنتا عشرة سنة وانتهت عام ١٩٤٩م بزوال المحاكم المختلطة كآخر أثر لنظام الامتيازات الأجنبية ولكن بعد خراب البصرة وضياع فلسطين.

لقد بدأ نظام الامتيازات الاجنبية بصورة حماية بعض المصالح التجارية وتنفيذا لعقد الأمان في الفقه الاسلامي بمعاهدة مع فرنسا ١٥٣٥م وانتهى بتمزيق الدولة العثمانية واحتلال الدول العربية عسكرياً تحت مسمى الانتداب الذي ابتدعته عصبة الأمم لسيطرة الدول المسيحية الأوربية على العالم الاسلامي.

**المجتمع الدولي يعلن مرض الدولة العثمانية:**

أطلق لقب الرجل المريض على الدولة العثمانية

# في ظل الاستعمار الاوروبي دخلت معظم دول العالم الاسلامي في نفق الديون

وتداولت الدبلوماسية الدولية هذا المصطلح على أعلى المستويات ثم صار اصطلاحا مذاعا في منتصف القرن التاسع عشر وقد صدر هذا المصطلح (رجل أوربا المريض The sick man of Europe) في البداية عن القيصر نيقولا الأول قيصر روسيا (١٨٢٥ - ١٨٥٥م) في حديث جرى عام ١٨٤٤م بينه وبين (أبردين) رئيس الحكومة البريطانية في (وندسور) خلال احدى اجتماعاتهما يقول القيصر (ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى إن الامبراطورية العثمانية دولة ميته..) وكرر القيصر كلامه قبيل حرب القرم داعياً الدول الأوربية الى التفكير في اقتسام ممتلكاته ووضع مشروعاً أولياً لتصور الامور بعد انحلال الدولة العثمانية وتوزيع اقاليمها على الدول الأوربية. ومنها اعطاء مصر لبريطانيا وسيطرة الروس على اقليم الدانوب - الافلاق والبغدان - والصرب وبلغاريا.

ولكن بريطانيا تخوفت من مطامع الروس فبقيت على سياستها التقليدية حتى استسلم - بنيامين ديزرائيلي - الحكومة البريطانية عام ١٨٧٦م باسم اللورد (بيكونزفيلد) فانطلقت بريطانيا لتحتل قبرص ١٨٧٨م ومصر عام ١٨٨٢م وسارت بريطانيا مع روسيا والنمسا وسائر الدول الاوربية لتمزيق الدولة العثمانية واحتلت فرنسا الجزائر ثم تونس وثار البلقان يطالب بالانفصال وابتلعت روسيا القرم وارمينيا وفشلت الثورات الطائفية في بلاد الشام ١٨٦٠م

ومهما حاولت الدولة العثمانية سبيلا الى الاصلاح كان نظام الامتيازات الاجنبية يقف حجر عثرة في طريق امساك زمام الأمور ولاسيما بعد مؤتمر برلين وفرض رقابة مالية صارمة على اقتصاد الدولة العثمانية وتشجيع الحركات السرية الماسونية وبرغم هذه المؤتمرات استمر الرجل المريض يصارع اوربا سبعين عاما اخرى بعد نبوءة القيصر حتى الحرب العالمية الأولي. وكان ابرز النقاط التي ركز عليها المؤرخون الغربيون كثرة المذابح التي تعلنها الدولة العثمانية ضد النصارى وطمس المذابح التي يتعرض لها المسلمون وما يزالون الى اليوم يعانون تلك المذابح منذ الحرب العالمية الاولى بل منذ احداث البلقان الأولى وحتى الحرب الجارية اليوم في البوسنة والهرسك بعد سنوات القهر التي عاشها المسلمون في عهد يوغوسلافيا البائدة. إنها فصول - المسألة الشرقية - التي عالجها ومازال يعالجها المجتمع الدولي في القديم والحديث بروح صليبية حاقدة منذ مؤتمر برلين ١٨٧٦م وحتى اجتماعات المجموعة الاوربية عام ١٩٩٥م فما يزال الاسلوب واحداً في حل المشاكل الدولية اذا كان الطرف المظلوم فيها من المسلمين.

**مؤتمر برلين لمعالجة المذابح في البلقان:**

اجتمع في برلين في ١١ أيار ١٨٧٦م - مؤتمر القياصرة الثلاثة (المانيا - روسيا - النمسا والمجر) وبعد ثلاثة أيام من الاجتماعات وجه المؤتمر مذكرة للباب العالي يطالبه فيها بوقف

المذابح في البلقان تحت طائلة التدخل المباشر وراهنت الدولة العثمانية على استحالة اتفاق الدول الأوربية على قرارات مؤتمر برلين وصدق حدسها فعلا ولكن روسيا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية عام ١٨٧٧م وانضمت اليها رومانيا والصرب والجبل الأسود وقامت الحرب الروسية التركية (٢٤ نيسان ١٨٧٧ - ٣ آذار ١٨٧٨م) ودارت الحرب على جبهتين - الأناضول وقفقاسيا - والروم إيلي - شمال وجنوب نهر الدانوب (البلقان) لقد استمرت هذه الحرب نحو سنة أبدى فيها الجيش العثماني من البطولة والبسالة ما أدهش العالم وجعل كبار العسكريين في العالم يشيدون ببطولة الجندي العثماني (بطل شجاع لا يهاب الموت ولا يخشى عدوه مهما كان عدده شديد الاتكال على الله عظيم الايمان به وصلابته الدينية واعتقاده بالقدر يجعلانه يقتحم الموت وينازل العدو غير هياب).

لقد كانت هذه الحرب من اكبر فصول المسألة الشرقية ففي نهاية الحرب أبرق الغراندوق نيقولا الى القيصر (إن الجنود شاهدوا قباب أياصوفيا وهم ليتحرقون شوقا للصلاة فيها(١٠) فالروس يخوضون حرباً دينية ضد المسلمين يتقدمهم رجال الدين الارثوذكس تماما كما يحدث اليوم في حرب الصرب للبوسنة والهرسك.

وبالرغم من هزيمة العثمانيين العسكرية فقد ظل الاوربيون ينظرون اليهم كقتلة لنصارى البلقان وقاد - جلادستون - البريطاني حملة اعلامية شرسة ضد المسلمين واصفا إياهم بأنهم نقمة على الحضارة ويجب طردهم من اوروبا - هم وما يملكون. ونشر عام ١٨٧٦م كتاباً صغيرا (الأهوال البلغارية والمسألة الشرقية) يطالب بانقاذ الشعوب المسيحية من النير العثماني. وتجاهل - جلادستون - المذابح التي مارستها ميلشيات النصارى بدوافع روسية وانجليزية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك وبلغاريا وسائر الممتلكات العثمانية في البلقان كما تجاهل أن البلغار هم الذين بدأوا تدمير المساجد وذبح المصلين وليس بوسع الدولة العثمانية كدولة اسلامية أن تقف متفرجه على مثل هذه الجرائم. وتجاهل جلادستون - حرب بريطانيا ضد الصين لارغامهم على تعاطى الأفيون كما نسي حرب الابادة التي شنتها فرنسا ضد الشعب الجزائري عام ١٨٣٠م.

وفى عهد رئاسة هذا الـ - جلادستون - للحكومة البريطانية احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢م بحجة أنه احتلال مؤقت ولكن هذا التأقيت استمر ٧٣ سنة. ونحن لا نطالب جلادستون ولا من يشبهه من صانعي القرارات الدولية في القديم والحديث بالتخلي عن عواطفهم الوجدانية ومشاعرهم الدينية ولكننا نطالب بنقل الحقائق المجردة وتطبيق العدل على العدو والصديق - فلا يكال بمكيالين - أما التحيز الصارخ فلا يصح اتباعه وفرضه في مجال التعامل الدولي. ومن الغريب أن يكون الموقف البريطاني بهذه الصورة من قلب الحقائق وتزويرها. ولكن هذه الغرابة تزول نهائيا عندما نعرف أن بريطانيا منذ بداية احتلالها لمصر طرحت مشروعاً لتوطين اليهود في سيناء كمرحلة أولى وجر مياه النيل إليها وقد وصلت بعثة صهيونية استطلاعية لهذا الغرض سهلت لها حكومة مصطفى فهمي باشا مهمتها في سيناء ثم فشل المشروع وتابعت بريطانيا سياستها اليهودية مع بلفور وهيرتزل الى اسقاط الدولة العثمانية وانتزاع فلسطين وتقديمها هدية للأطماع الصهيونية. انها الحرب ... المستمرة التي لم تبدأ بسقوط غرناطة في تشرين ١٤٩١م

# على جماجم المسحوقين في الدول الفقيرة المستعمرة قامت الثورة الصناعية فى أوروبا

فحسب فهي صورة من صور التدافع البشري (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض٠٠) وكانت تتسم غالبا بالوحشية والظلم الذي مارسه النصارى ضد المسلمين في ظل الأعراف الدولية في بداياتها الأولى وحتى عصرنا الحاضر في ظل النظام العالمي الجديد، لقد سقطت غرناطة بمعاهدة تعرض بعدها المسلمون لمذابح منظمة يمارسها ديوان التحقيق ـ محاكم التفتيش ـ ضد الأبرياء العزل بلا ذنب اقترفوه سوى اسلامهم فقد منعوا من التحدث بالعربية وارتداء ملابسهم الوطنية والتردد على الحمامات العامة وحمل السلاح ووضع شارة زرقاء على قبعاتهم وخصص لهم حي بكل مدينة لا يتجاوزونه وعليهم السجود أرضا اذا مر كبير الأحبار(١١)٠

لقد كان الهدف استئصال الاسلام من اوروبا بل سعت اسبانيا والبرتغال الى تنصير الشمال الأفريقي بكامله وهو ما اسند الى فرنسا وايطاليا في القرن التاسع عشر٠ وقد مارسوا من الجرائم والمذابح ما يعجز الوصف عنه لو كان في اوروبا منصف واحد وعندما حاول المسلمون درء الخطر عن أنفسهم (عروج ـ خير الدين بربروس) بعد فشل استنجادهم بالعثمانيين٠ صار التاريخ الأوروبي يتحدث عن هؤلاء الابطال كقراصنة متطرفين وارهابيين ينشرون الذعر في صفوف المدنية والحضارة التي تحترم الانسان لأنهم مسلمون أما فرسان القديس يوحنا الذين اقاموا في رودس بعد انسحاب الصليبيين من عكا الذين يهاجمون السفن الاسلامية فليسوا قراصنة (رمتني بدائها وانسلت)٠

**مؤتمر برلين الأوربي ١٨٧٨م :**

غضبت الدول الأوربية من المكاسب التي انفردت بها روسيا في معاهدة (سان استيفانو) فتداعى الأوربيون الى مؤتمر جديد لتحويل معاهدة سان استيفانو من معاهدة ثنائية الى معاهدة دوليه يشارك فيها (بريطانيا ـ فرنسا ـ روسيا ـ المانيا ـ النمسا والمجر ـ الدولة العثمانية ـ ايطاليا) اضافة الى مراقبين من الدول الصغيرة ـ اليونان ـ الصرب ـ رومانيا ـ الجبل الأسود ـ وفد من الأرمن ووفد من اليهود) ويعد هذا المؤتمر اكبر مؤتمر بعد مؤتمر باريس ١٨٥٦م الذي عقد لمناقشة المسألة الشرقية وقد قرر مؤتمر برلين ضم البوسنة والهرسك الى النمسا بصفة مؤقتة استمرت حتى ضمها نهائيا عام ١٩٠٨م٠ واعطي لروسيا النفوذ المطلق شرق البلقان كتوازن للنفوذ النمساوي غربي البلقان٠ ومنحت روسيا بعض الممتلكات العثمانية في آسيا (أردهان ـ قارص ـ باطوم شرق البحر الأسود) اما التعويضات الضخمة فقد جعل دين روسيا آخر الديون العثمانية تسديداً أي بعد كل الدائنين السابقين واعطيت بريطانيا الضوء الاخضر لاجتياح قبرص ومصر وفرنسا في الشمال الافريقي(١٢)٠ فاحتلت تونس ١٨٨١م٠ وتعتبر معاهدة برلين هذه من أسوأ المعاهدات في التاريخ العثماني٠

**نظريتان استعماريتان في السياسة الدولية :**

سيطر على الفكر السياسي والعلاقات الدولية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نظريتان ركنت اليهما السياسة الدولية.

**الأولى:** النظرية البيولوجية السياسية. ومضمونها أن للدول الكبرى حقاً في التهام الدول الصغرى وما على الشعوب الصغيرة إلا أن تموت وتفنى امام الدول الكبرى أو أن تكون تابعاً طيعاً لها - المؤتمر الأوروبي ١٨١٥م - وكانت هذه النظرية تبريرا واضحا لضراوة الزحف الاستعماري الأوربي على اقاليم شتى من انحاء العالم.

**الثانية:**

نظرية الأرض التي لا صاحب لها - الأرض الموات - ومضمونها إباحة استعمار كل أرض يسكنها شعب متخلف أو قبائل منعزلة عن ركب الحياة - غير مسيحية - وخارج قارة أوروبا .. لأن هذه المناطق بهذه المواصفات كأنها أرض مهجورة لا يملكها أحد وللدول المتمدنة الحق في امتلاكها بمجرد رفع العلم عليها وقد وضع مؤتمر برلين الأفريقي (١٨٨٤ - ١٨٨٥) الشروط المنظمة لهذا الاستيلاء حتى يحدث جميع آثاره القانونية في المجال الدولي(١٣).

فالقانون الدولي يضع للسرقة والنهب والاغتصاب شروطاً وآداباً تجعل من الجريمة عملا مشروعاً وانطلقت الدول الاستعمارية في سباق محموم فابتلعت روسيا آسيا الوسطى والقوقاز وتركستان الشرقية - طشقند وسمرقند فصارت روسيا تهدد الهند براً وتستطيع تهديد المصالح البريطانية وكادت الحرب تقع بين روسيا وبريطانيا لولا أن الروس اتجهوا الى الصين وهزم الروس هزيمة منكرة على يد اليابان عام ١٩٠٥م ثم قسمت فارس الى منطقتي نفوذ روسية بريطانية واتجهت الدول الاستعمارية الى أفريقيا في وقت متأخر نسبيا ولكن الاستعمار تم بصورة كاسحة وسريعة. يتمركز على الساحل ويستنزف القدرة البشرية للانسان الأفريقي الذي سيق في قطعان الرقيق أمام المستعمر الأوروبي الذى اتبع ابشع الأساليب فى حربه ضد الأفارقة فقد أحرق البريطانيون - كيتشنر - مدنا كاملة في حرب البوير للسيطرة على (جوهانسبرغ) ولم ينته القرن التاسع عشر حتى كانت افريقيا بكاملها محتلة للانجليز والفرنسيين والألمان والطليان والبلجيك الذين نظموا امورهم في مؤتمر برلين الافريقي (اكتوبر ١٨٨٤ - شباط - ١٨٨٥م) وحضره مندوبو ثلاث عشرة دولة وحضرته الدولة العثمانية وكان من أهم مقررات المؤتمر منع الدول من بسط الحماية قبل اعلام اعضاء المؤتمر كيلا يحدث التصادم بين المستعمرين كما لا تفرض الحماية إلا بالاستيطان الفعلي لذلك الاقليم.

لقد صدرت منذ فترة وجيزة جداول الدين العالمي التي اصدرها صندوق النقد الدولي حيث بلغت ديون الدول النامية حتى نهاية عام ١٩٩٤م (١٨١٢ مليار دولار)

ويتوقع وصولها قريبا الى (١٩٤٥ مليار) رغم صيحات بعض المسؤولين بضرورة الغاء ديون الدول الفقيرة ويبلغ عدد الدول المدينة المطالبة بتسديد الديون (١٥٤ دولة)(١٤)، تزداد في كل يوم فقرا وعوزا بل وصل الأمر بالمكسيك التي فجرت أزمة المديونية عام ١٩٨٢م بامتناعها عن التسديد الى القبول برهن عوائد نفطها كاملة لسداد اصل الدين (٧ مليارات سنويا) بعد أن بلغت ديونها عام ١٩٩٣م نحو ١١٨ مليار دولار. إن لغة الأرقام تقف عاجزة وتقول إن المكسيك تحتاج الى قرن كامل لسداد ديونها اذا ثبتت نفقاتها على رقم ما وتوقف النمو السكاني مع

# الاستعمار العسكري أبدل باستعمار الديون وهو اشــد فتكاً واذلالا

اهمال فائدة الديون المتراكمة. وتعتبر المكسيك نموذجاً يقاس عليه كثير من الدول النامية لا تنال من المساعدات الخارجية والاموال الاجنبية المستثمرة فيها ما يغطي جزءاً بسيطاً من خدمة الدين مع تدني مستوى الأداء الاقتصادي في معظم الدول النامية.

اما الدول الدائنة فهم - الدول الصناعية - نادي باريس - فإنها تمارس بديونها نوعاً من الابتزاز والهيمنة السياسية والاقتصادية بشكل يفوق كثيرا التنظيمات الدولية في القرن التاسع عشر لقد سقطت الدولة العثمانية واحتلت مصر والجزائر وتونس وليبيا من قبل المستعمرين تحت مطرقة الديون الخارجية والدول الصناعية هي نفسها اعضاء مؤتمر باريس ١٨٥٦م ومؤتمر برلين ١٨٧٨م ومؤتمر الصلح ١٩١٩م ومؤتمر يالطة.. وان اختلفت اساليب الهيمنة من انتداب واستعمار في ظل عصبة الامم ووصاية وتبعية في ظل هيئة الأمم وتدخل وتنظيمات مالية في القرن التاسع عشر وهي اليوم هيمنة مالية تذل رقاب الدول النامية بالديون.. مع أن الدول الصناعية ما بنت مجدها الاقتصادي إلا على سرقة المواد الاولية بثمن بخس من الدول النامية أيام الاستعمار وبيع منتجاتها بأثمان باهظة وتقديم الأسلحة بأثمان خيالية ليقتل الناس بعضهم بعضا.

لقد كانت الامتيازات الأجنبية مجالا يتيح للأوربيين الحصول على المكاسب السياسية والاقتصادية وعبر قرن او اكثر تحولت هذه المكاسب الى سيولة نقدية رهيبة هي الديون العالمية وهل بوسع المدين أن يفكر ويناقش لأنه لا يجيد إلا التلقي والتبعية وهو ما يريده النظام العالمي الجديد - القديم.

---

الهوامش :

(١) معلومات ملتقطة من اماكن متفرقة من (تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر) د. عبد الفتاح ابو علية ود. اسماعيل ياغي.

(٢) بنوك بلا فوائد - د. عيسى عبده ص١٣٩ - ١٤٠، دار الاعتصام ينقل نصا حرفيا للدكتور محمد حميد الله في مقدمة - الوثائق السياسية في العصر النبوي.

(٣) الاطار القانوني للنظام الاقتصادي الدولي الجديد - د. جعفر عبد السلام ص ١٥ - ١٨.

(٤) تاريخ ابن اياس - بدائع الزهور - ج٤ ص١٩١.

(٥) الدولة العثمانية، د. عبد العزيز محمد الشناوي ج٢ ص٦٩٩.

(٦) القانون الدولي العام - علي ماهر باشا - ص٣٣٧ - ٣٣٨، مطبعة الاعتماد شارع حسن الاكبر ١٩٢٤م.

(٧) نظم مؤتمر فيينا ١٨١٥م ومؤتمر اكس لاشابيل ١٨١٨م درجات التمثيل الديبلوسي - سفير مبعوث - وزير مفوض - مندوب - قائم بالأعمال ... الخ).

(٨) دائرة معارف البستاني - ج١١ ومجلة العربي الكويتية - العدد ١٩٥.

(٩) د. عبد العزيز الشناوي - الدولة العثمانية ج٢ ص٧٥١ - ٧٥٢.

(١٠) انظر مقالي حول شجاعة عثمان باشا في معركة (بلادفنا) مجلة الجندي المسلم - العدد ٣ عام ١٤٠٤هـ وقد انتهت الحرب الروسية التركية المذكورة بمعاهدة (سان استيفانو).

(١١) نهاية الاندلس - محمد عبد الله عنان ص٢٤٤ - ٢٥٥

(١٢) د. عبد العزيز الشناوي - الدولة العثمانية ج٢ ص١١٠٦.

(١٣) د. عبد العزيز الشناوي - الدولة العثمانية ج٢ ص١٠٢٩.

(١٤) ملحق الأهرام - الجمعة ٣٠ شوال ١٤١٥هـ ص٤ وانظر مقالي حول الديون العالمية في مجلة المنهل السعودية - العدد ٤٨٥ - جمادى الثانية ١٤١١هـ.

**معجزات إلهية:**

# إعمار الأرض الجرداء «٢»


**د. عبد البديع حمزة زللي**

جامعة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة -


**مقدمة:**

**في الحلقة السابقة من هذا المقال «إعمار الأرض الجرداء» تناول الموضوع الحديث عن الطحالب وكيفية مساهمتها في اعمار الأرض الجرداء، بما وهبها الله سبحانه من خاصيات تؤدي بها وظيفتها.. وتحدث الموضوع عن تعريف الطحالب والبيئة التى تنمو فيها.**

خالق الكون - جلّت قدرته - قد جعل من الماء كل شيء حي، ولذا فإن الأرض الجرداء القاحلة الصخرية أو الحجرية عندما ترفد بالماء، ويدوم نزول المطر عليها فإن ذلك يؤدى إلى تكوين البحيرات والمستنقعات، ويُبلّل المطر سطوح الصخور والأحجار والحصى على نحو مستمر مما يساعد على نمو الطحالب على هذه السطوح.

وتبدأ عمليات إحياء الأرض الجرداء بواسطة عوامل متعددة.

والطحالب تعتبر من أهم الكائنات الحية التي تسهم في إعمار الأرض الجرداء، وسوف نتحدث في هذه الحلقة عن أهمية الطحالب في إعمار البحيرات والمستنقعات المتكونة في الأرض الجرداء.

بعد أن تتكون البحيرات في الأرض الجرداء تكون هذه البحيرات في البداية فقيرة بالغذاء، لذا فإن الكائنات الحية الحيوانية المائية أو البرمائية التي تجلب إلى هذه البحيرات غالبا لا تستطيع أن تتحمل هذه الظروف، ويصعب عليها الاستمرار في إكمال دورة حياتها. غير أن الطحالب بما وهبها الله - سبحانه وتعالى - من قدرة على النمو في أقسى الظروف فهى تنمو بسهولة في هذه البحيرات لتعمل بذلك على إمداد الكائنات الحية الحيوانية بأهم مقومات الحياة التي تحتاجها وهي الغذاء والأكسجين.

وقد يسأل سائل عن كيفية وصول الكائنات الحيوانية المائية كالأسماك، والبرمائية كالضفادع، وغيرها إلى هذه البحيرات النائية البعيدة التي لا يصل إليها الإنسان.

والإجابة على ذلك تتلخص في أن الطيور المائية تنتقل من مكان إلى آخر، وتهاجر من بلد إلى بلد، وتنزل على سطوح المياه بحثاً عن الغذاء أو سعيا وراء العيش في بيئة ملائمة لحياتها. وعندما تهبط هذه الطيور على المسطحات المائية للبحيرات المتكونة في الأرض الجرداء فإنها تجلب إليها أنواعا مختلفة من الكائنات الحية بشكل لا يمكن ملاحظته. فهى تحمل على أجسامها أو في أرجلها بويضات أسماك أو بيض كائنات مائية أخرى كانت قد حملتها من مناطق بعيدة، وبعد أن تنزل الطيور المائية على سطح ماء هذه البحيرات تتحرر من أجسامها تلك البويضات في الماء، ومن ثم تفقس وتخرج منها الأسماك والضفادع وتبحث هذه الكائنات عن الغذاء وعن الأكسجين الذائب في الماء فتجد الطحالب قد وفرت لها ذلك كله، ومن هنا فإن الطحالب تسهم بشكل مباشر في إحياء هذه البحيرات وإعمارها بالكائنات الحية المائية وذلك على النحو التالى:

**١ - توفير الغذاء:**

إن كثيرا من أنواع الطحالب يمثل غذاء تقتات عليه الأسماك وغيرها من الكائنات المائية. ونمو الطحالب في المياه بشكل متوازن يعمل على إمداد هذه الكائنات بالغذاء المطلوب فيساعد على تكاثرها وزيادة

أعدادها.

وليست الطحالب غذاء مطلوبا للكائنات الحيوانية المائية فحسب، بل إن كثيرا من الطيور المائية تبحث عن هذه الطحالب لتقتات عليها. والطيور الكبيرة المعروفة باسم طيور النحام أو البشروس (المعروفة بالإنجليزية باسم طيور الفلامينجو Flamingo) وهي طيور مائية طويلة العنق والرجلين تظهر بلون وردي جميل تقتات على أنواع معينة من الطحالب هي السبب في تلونها باللون الوردي الجميل.

**٢ ـ توفير الأكسجين الذائب في الماء:**

النباتات تتميز عن بقية الكائنات الحية بأمور عديدة، ومن أهمها أنها ذاتية التغذية، أى أنها تصنع غذاءها بنفسها من مواد بسيطة تتمثل في غاز ثاني أكسيد الكربون والماء، ولكن لابد من توفر صبغات اليخضور الموجودة في العضيات الخضراء التي وجدنا إشارة إليها في آية من كتاب الله بلفظ «الخضر» كما يلزم توفر الضوء الذي بواسطته يتم تكوين المواد الغذائية للنبات. وهذه العملية تسمى بعملية البناء الضوئي. وينطلق تبعا لهذه العملية غاز الأكسجين الذي يخرج من النبات.

والطحالب كغيرها من النباتات تقوم بعملية البناء الضوئى، وينطلق الأكسجين، بل إنها تتميز عن بقية النباتات بوفرة الأصباغ فيها. فهي تحتوي على أكثر من اربعة وأربعين صبغا مختلفا. وتعتبر صبغات اليخضور أهم هذه الصبغات لكنها لا تستطيع أن تقوم بمهمتها إلا بتوفر قدر كاف من الضوء، فإذا لم تتوفر الكمية المطلوبة من الضوء فإن عملية البناء الضوئى ستواجه المصاعب.

وجود الطحالب في المياه من شأنه أن يعمل على توفر الأكسجين الذائب في هذه المياه وإتاحته للكائنات الحيوانية المائية حتى في الأعماق الكبيرة التي تصل إلى أكثر من مائة وعشرين مترا. ففي الأعماق الكبيرة يكون الضوء قليلا جدا إلى درجة أن صبغات اليخضور لا تستطيع أن تقوم بوظيفتها الخاصة في عملية البناء الضوئي، ولذلك تختفى النباتات المائية بعد أعماق بسيطة من سطح الماء، ولكن الطحالب تتواجد في الأعماق الكبيرة، يساعدها في ذلك وجود أصباغ مساعدة في أجسامها تقتنص الضوء ذا الموجات القصيرة (الضوء الأزرق الذي يمكنه أن يخترق الأعماق الكبيرة في الماء) وبعد أن تمتص الصبغات المساعدة هذا الضوء تحوله بعد ذلك إلى صبغات اليخضور. وبهذه الخاصية تنفرد الطحالب دون غيرها من الكائنات الحية، وتصبح قادرة على القيام بعملية البناء الضوئي مما يوفر ويذيب الأكسجين في الماء الذي تحتاجه الأسماك وغيرها من الكائنات الحية، فتسهم بذلك في زيادة الثروة الحيوانية في هذه المياه.

**٣ ـ الطحالب تخفف من أثر التسمم البيئي:**

قد تحتوي المياه الطبيعية على تراكيز عالية من معادن أو مواد تؤثر في نمو الكائنات الحية عموماً ، لكن الطحالب ـ قد منَّ عليها المولى ـ سبحانه وتعالى ـ بالقدرة على الحياة في جميع الظروف والأحوال. فهي تستطيع أن تتحمل مدى واسعاً من درجات الحموضة (الأسيد) أو القلوية. بينما لا تستطيع كائنات حية أخرى أن تجاريها في ذلك. فهي تخلِّص المياه تدريجيا من أثر الحموضة أو القلوية الزائدتين.

كما أن للطحالب قدرة عجيبة على التأقلم والحياة عند تلوث المياه بالمعادن السامة القاتلة أو بالمواد الكيميائية الأخرى، وتعمل على التخلص التدريجي من هذه المواد الضارة، إذ تستطيع أن تكبل وتقيد هذه المواد وتحولها من صورة ذائبة متاحة للامتصاص إلى صورة مركبات غير ذائبة. وقد تستغل هي بعض هذه المواد في تكاثرها وانتشارها، فتعمل بذلك على تقليص كمية هذه المواد في هذه المياه.

ولقد استغل الإنسان قدرة الطحالب على النمو في المياه الملوثة في تنقية مياه الصرف الصحي. ومن المناسب أن نلقي ضوءا بسيطا هنا حول هذا الموضوع لنكشف كيف أن الباري ـ جلت قدرته ـ

قد سخر لنا هذه الطحالب لتعمل ببساطة كبديل عن أجهزة معقدة صنعها الإنسان، وكلفته كثيرا من الجهد والمال لتنقية مياه الصرف الصحي. فعلى الرغم من أن الطحالب قد تشكل خطرا كامنا في مياه الشرب والخزانات والمرشحات إذا نمت واستفحل نموها، غير أننا لا ندرك ان المولى - سبحانه وتعالى - قد جعلها أداة لتنقية المياه الملوثة في البحيرات والمستنقعات. وهي بذلك تساهم مساهمة فعالة في عمليات التنقية والموازنة الذاتية.

**الطحالب وعملية التنقية والموازنة الذاتية في الماء:** لقد سخر المولى - سبحانه وتعالى - آليات وعمليات تنقية ذاتية (Self Purification) تتم في الهواء، والماء، والتربة، وفي الأجسام الحية. وهذه العمليات من شأنها أن تعمل بشكل متزن، وتقوم بالحفاظ على ثبات مكونات البيئات، وتخلص هذه البيئات والأجسام الحية من المواد الغريبة والملوثة التي تضر بها. وعمليات الموازنة والتنقية الذاتية التي تتم في الهواء لم نعرفها إلا في عصرنا الحديث، بينما وجدنا إشارة إليها في الهدي النبوي الشريف. وللطحالب دور هام تلعبه في عملية التنقية الذاتية في المياه الملوّثة. فالطحالب تعمل على تخليص مياه الأنهار والبحيرات والمستنقعات من الملوثات البيئية العضوية والكيمائية. ومن هنا لجأ الانسان الى استخدام هذه الكائنات العجيبة في تنقية مياه المجاري من الملوثات العضوية وغير العضويه ..

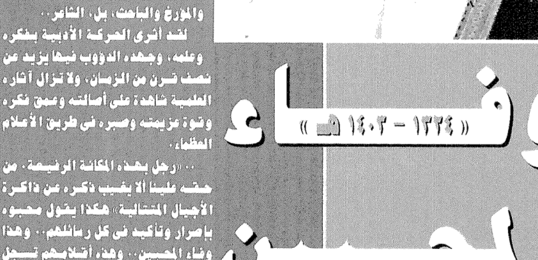
**الطحالب وتنقية مياه الصرف الصحي :**

تعتبر معالجة مياه الصرف الصحي بالوسائل الحديثة من الامور المكلفة ماديا ، فهي باهظة التكاليف ولذلك اتجهت بعض الدوائر المشرفة على الصرف الصحي في بعض الدول كالولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلاندا والهند والباكستان الى استخدام بعض أنواع الطحالب في هذه المهمة وتتلخص عملية تنقية مياه الصرف الصحي ( مياه المجاري ) بواسطة الطحالب في الآتي:

عمل سلسلة من أحواض واسعة ذات عمق بسيط جداً تُصب فيها مياه الصرف الصحي، وتحقن بانواع معينة من الطحالب ثم تترك معرضة للهواء وضوء الشمس ، وفي غضون عدة أسابيع يزدهر نمو الطحالب فيها، مما يؤدي إلى تشبع هذه المياه بالأكسجين، وتزول عنها تدريجياً رائحة العفونة الكريهة.

وتبدأ عملية تخليص مياه الصرف الصحي من الملوثات العضوية بواسطة البكتيريا المترممة التي تحلل هذه المواد، وقد تستغرق هذه العملية عشرة أيام، ثم تظهر بعد ذلك بوضوح العمليات التي تقوم بها الطحالب في تخليص هذه المياه من المخلفات التي تركتها البكتيريا المترممة إذ تستغل الطحالب هذه المواد والمواد الأخرى الموجودة في المياه لنموها وتكاثرها، وينتج عن عمليات البناء الضوئي التي تقوم بها الطحالب في مياه الصرف الصحي كميات كبيرة من الأكسجين يُنشِّط من جديد البكتيريا الهوائية لتحليل وتكسير مزيد من المواد العضوية وتحويلها إلى مواد غذائية في صورة بسيطة التركيب تستفيد منها الطحالب فتنمو وتتكاثر بسرعة، مما يؤدي الى الإسراع في عملية التنقية، وهكذا يبدو واضحا تكامل دور الطحالب مع البكتيريا في مهمة تنقية مياه الصرف الصحي. وتنقية مياه الصرف الصحي بهذه الطريقة لها فوائد عديدة أهمها أنها تخلص المياه من الملوثات العضوية وغير العضوية واستعمال المياه المعالجة بعد ذلك في الزراعة والري، كما يستفاد منها أيضا كمصدر للسماد وعلف للحيوان، و ....

من خلال حديثنا في هذه الحلقة من المقال يظهر لنا كيف تقوم الطحالب بإعمار مياه البحيرات المتكونة في الأرض الجرداء، مما يرغب الإنسان ويشجعه على زيادة هذه المناطق إمَّا لاصطياد الأسماك للتمتع بمنظر البحيرات، كل ذلك يساعد على إعمار هذه الأرض تدريجيا. أما كيف تعمل الطحالب على إعمار أرض هذه المنطقة الجرداء وتحويلها من أرض قاحلة إلى تربة خصبة خضراء فهذا ما سنوضحه في الحلقة القادمة إن شاء الله.






## عبد القدوس الانصارى في ذكراه الثالثة عشرة:

وهب حياته لغاية كريمة ينشدها، وحمل على كاهله عبء مهمة ثقافية مضاعفة إذ زاوج بين الأسهام في تأسيس نهضة الثقافة السعودية والعربية والاسلامية، وبين احساسه بضرورة كسر طوق العزلة الذي فرضته ظروف تاريخية وجغرافية وسياسية متنوعة حول الانتاج الثقافي والفكري في الجزيرة العربية آنذاك.

جنّد نفسه في معظم كتاباته عن تغطية أصالة الأمة وقيمها ومبادئها وحقق مشروعه الكبير بتأسيس مجلة «المنهل» التي سرعان ما تحولت الى مدرسة حقيقية تخرج فيها معظم الأدباء والكتاب والمفكرين من السعوديين وغيرهم الذين يحتلون اليوم امكنتهم البارزة في ساحة الفكر والثقافة.

تنوع نتاجه الفكري فلم يقتصر على النواحي الأدبية فحسب بل تغلغل في شتى نواحي المعرفة فألف العديد من الكتب حول الآثار والتاريخ والرحلات بجانب كتاباته الأدبية.

فهو المفكر والأديب والناقد والمؤرخ والباحث، بل، الشاعر..

لقد أثرى الحركة الأدبية بفكره وعلمه، وجهده الدؤوب فيما يزيد عن نصف قرن من الزمان، ولا تزال آثاره العلمية شاهدة على أصالته وعمق فكره وقوة عزيمته وصبره في طريق الأعلام العظماء.

.. «رجل بهذه المكانة الرفيعة. من حقه علينا ألا يغيب ذكره عن ذاكرة الأجيال المتتالية» هكذا يقول محبوه باصرار وتأكيد في كل رسائلهم.. وهذا وفاء المحبين.. وهذه أقلامهم تسجل جوانب من حياة مؤسس المنهل..

ألا رحم الله الأنصارى وأحسن إليه.

- التحرير -

ريادة وريادة:

# الإمامان الرائدان: الأنصاري والمنهل

بقلم: الرائد الرحل
أ. احمد عبد الغفور عطار

مقدمة:

بلغت مجلة المنهل الأربعين من عمرها المديد، بفضل الله وتوفيقه، ثم بجهد ورعاية صاحبها ومؤسسها الأستاذ الرائد عبد القدوس الانصاري - جعل الله الجنة مثواه - ولقد كانت المنهل - ولا تزال - مكان إعجاب وتقدير كل من تعرف إليها عن قرب.. وكما كانت لها الريادة (تاريخاً .. وموضوعاً) فانها لا تزال سائرة على ما عُهدت عليه.. وهذا المقال للرائد العالم الاستاذ احمد عبد الغفور عطار - جعل الله الجنة مثواه - كتبه بقلم الحب والوفاء.. ولكن صديقه الاستاذ عبد القدوس الانصاري لم يرد نشره آنذاك من باب تواضع العلماء، وحتى لا يكون حديثاً عن النفس والذات، وان كان هو غير ذلك.

والآن ، وبعد مرور (٤٥) عاماً على هذا المقال تنشره بكامله وفاء للصديقين - عليهما رحمة الله تعالى - احمد عبد الغفور عطار وعبد القدوس الانصاري.

- المنهل -

منذ عرف الناس الامام اللغوي الفقيه العلامة الكبير الاستاذ عبد القدوس الأنصاري في أوائل الخمسينات من هذا القرن عرفوه «إماما» في اللغة وعلومها والقرآن والحديث وعلومهما وفي الفقه وعلوم الدين الأخرى.

وعندما عرفوه في سنة ١٣٥١ من الهجرة كان الأستاذ الأنصاري شابا تجاوز العشرين ببضع سنين، ومع حداثة سنه كان اماما معروفا مرفوع الذكر مقدور المكانة.

وفي الخمسينات - في أوائلها - كان الاستاذ الانصاري ينشر في جريدة «صوت الحجاز» بحوثه اللغوية تحت عنوان «اصلاحات في لغة الكتابة والعلم» ثم جمعها وأصدرها في كتيب.

وإذا قارنا ما كتبه الشاب النابغة العبقري الاستاذ الانصاري بما كتبه أئمة اللغة المبرزون في ذلك الوقت من امثال حسن والي، وابراهيم حمروش ومحمد الخضر حسين، وأحمد العوامري، وعلي الجارم، وأحمد علي الاسكندري وعبد القادر المغربي، وحسن القاياتي، وانستاس ماري الكرملي، وابراهيم اليازجي رأينا الاستاذ الانصاري في صفهم، ويرجح على بعضهم في علوم العربية الكثيرة.

هذه المقارنة تثبت نضج الأستاذ الأنصاري المبكر، ويعيد الى الذاكرة سير أئمتنا الاكابر الذين نضجوا في سن الحداثة كالامام الشافعي وغيره.

والحق أن الامام الانصاري كان آية من آيات الله في الذكاء والعقل وقوة الذاكرة وتفتح

# كان آية من آيات الله فى الذكاء والعقل وقوة الذاكرة
# فى الخامسة عشرة من عمره كان يحفظ آلاف الأحاديث بمتونها وأسانيدها وشروحها

البصيرة وعمق الادراك وعلو الثقافة وامتدادها طولا وعرضا واستيعابه العلوم والمعارف وتضلعه منها.

وبلغ من قوة حفظه وتبحره فى العربية والدين أنه كان فى الخامسة عشرة من عمره يحفظ آلاف الاحاديث باسانيدها ومتونها وشروحها، بل كانت له اجتهادات فى تفسير بعض الأحاديث، وكان لا يلحن فى القراءة.

وبلغنى أن الاستاذ الانصاري كان يقرأ بعض آي الذكر الحكيم بما ورد فيها من قراءات، فقرأ سورة «الأحد» وقال «كفى أحد» على وزن «هدى» وكان بين من يسمعون له أئمة فى علم القراءات، فعجبوا من هذه القراءة التى لم تمر بهم، أو نسوها لطول العهد، وكادوا ينكرونها عليه، ثم تبين لهم أنها قراءة حق واردة.

وبلغ من قوة حافظته وذاكرته أن المعجمات العربية الضخمة كانت فى حافظته، ولعله كان من النوادر بين أئمة اللغة فى استيعاب متن اللغة مع بصر ثاقب وحفظ دقيق لمعانى المفردات، فقد خطأه بعض اللغويين من العلماء الحجاج زوار المدينة حرسها الله موطن الاستاذ الانصارى فى كلمة قالها فى مجلس علم، قال: فلان يستاهل القدر حق القدر، وذكروا له أن «استاهل» لم تأت بمعنى الاستحقاق أو أنه أهل، واستدلوا بما جاء فى «صحاح الامام الجوهري» وذكروا له النص ثم ايدوه بالصحاح نفسه، وقرأوا له مادة «أهل» فيه «والإهالة: الردك، والمستأهل: الذى يأخذ الإهالة، أو يأكلها، قال الشاعر:

لا بل كلي يا مي واستأهلي
إن الذى أنفقت من ماليه

وتقول: فلان أهل لكذا، ولا تقل: مستأهل، والعامة تقوله.

وكان يحضر هذا المجلس بعض مشائخ الاستاذ الأنصارى، وأشفقوا على تلميذهم النجيب الذى صار من أئمة اللغة يخطئ على مشهد من أهل العلم، فإذا الاستاذ الانصارى يقول لهم: إن الامام أبا منصور محمد بن احمد الأزهرى حجة العربية، وأحد أكابر أئمتها، وهو مثل الامام الجوهري فى اللغة وفى معجمه المخطوط الذى لم يطبع المسمى «تهذيب اللغة» ذكر صحة استأهل.

ولم يكذبوه فيما ادعى، لأنه معروف لديهم بالصدق، وموثوق فيما يقول، وطلبوا إليه البرهان وذلك حقهم، وطلب إليهم أن يصحبوه الى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسيني، حيث توجد نسخة مخطوطة من «تهذيب اللغة» فاذا هو ينص على رواية للازهري تذكر أنه كان بمحضر أعراب ذكر فى مجلسهم كلمة «استأهل» وهي: تستأهل يا أبا حازم، فلم ينكرها الأعراب.

وإذا كان العلماء قد عجبا من علم الاستاذ الانصاري فان اعجابهم بسعة علمه واطلاعه

على المخطوطات واستيعابه ما فيها كان جدَّ عظيم.

وعندما انتقل الاستاذ الانصاري من المدينة الى مكة حرسهما الله نقل معه ادارة مجلته «المنهل» وكان له بعد عصر أكثر أيام الاسبوع ندوة بدارتها، وكنت أحضرها رغبة فى التزود مما وهب الله للاستاذ الانصاري من علم غزير وثقافة عالية، وكان يحضره فى موسم الحج علماء كبار من علماء العالم الاسلامي والعربي، ولشد ما كان يسعدنا أن علم الاستاذ الانصاري كان يرجح على علم أولئك الأئمة الاعلام.

وان خلقه العظيم كفاء علمه، فمنذ عرفته عرفته كاملا، وكلما مرت الايام يزداد كمالا، وندر بين الناس مثله، فما اكثر ما عرفت من الكاملين ومر الأيام كشف عن نقائص فيهم، ولم تعد تلك الشخصيات الكاملة متماسكة أمام عيني إلا الآحاد منهم احتفظوا بكمالهم، ومنهم الاستاذ الانصاري.

ووصفه بالامامة حق، فهو الامام الرائد فى العلم والأدب والتاريخ واللغة وفى علوم كثيرة، فأدب القصة فى العالم العربي حديث، وكان كل نشاط ادباء العرب المحدثين محاولات فيها، وإن كان قد نبغ فيها بضعة نفر منهم محمد فريد ابو حديد ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم والمازني، وتخلفت بلدان عربية فى مجال القصة حتى خلت منها.

وكانت بلادنا متخلفة فى الأدب حتى الشعر، ولم يكن لدينا فى تلك الايام قاص، بل ندر من كان يقرأ القصص الحديثة العربية أو المترجمة اليها إلا الاستاذ الانصارى الذى اتسع وقته لقراءتها، فقد رأيت بمكتبته بمكة منذ حوالى أربعين سنة مجموعة من القصص المطبوعة وفيها المترجمة ولم ار بمكتبة أديب سعودي فى ذلك الوقت مثل تلك المجموعة القصصية.

وأراد الاستاذ الانصاري أن يجعل الأدب فى بلادنا مشاركا الأدب المصري الحديث فى القصة، فألف قصته «التوأمان» وطبعها فى دمشق سنة ١٣٤٩هـ/ ٢٩٣٠م بمطبعة الترقي وهي المحاولة الأولى فى الأدب الحجازي التى نزعت إلى القصة.

وقد قلنا عنها منذ صدورها أنها ليست قصة بمعنى القصة الحديثة، ولكن يجب أن توزن المحاولات والاجتهادات والفتوح بغير الميزان الذى توزن به الآداب والعلوم والمعارف بعد تطورها وتقدمها، فإقليدس الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد من الفاتحين فى العلوم الرياضية، وله كتاب «الأصول» فى الرياضة، ويعده العلماء المعاصرون فاتحا رائدا فى الرياضة، واذا قيست علومه الرياضية على علوم طالب فى الثانوية لرجح الطالب على رائد الرياضة، ومع هذا بقي رائدا، لأنه جاء فى عصر لم تتقدم الرياضة الا على يده.

وكذلك الاستاذ الانصارى فى قصته «التوأمان» كان رائدا بل كان الرائد الأول فى فن القصة الذى فتح بابه بهذه المحاولة.

واذا كان الرائد الأول فى فن القصة فهو الرائد الأول فى الآثار وعلم الآثار والمكتشفات والأحافير فى البلاد السعودية كلها، وما يزال حتى يومنا هذا رائدا وسابقا، فعندما كان رواد العلم والثقافة فى بلادنا لا يعرفون من الآثار الا اليسير، ولم تتجاوز معرفتهم حدود النظر كان الاستاذ الأنصارى يقوم بالبحوث

# الأنصاري حقق الريادة فى كثير من ميادين العلوم والمعارف

# كثير من المجلات توقفت عن الصدور إلا المنهل

# الأنصاري قوي العزيمة ، رفيع الهمة.. يملك نفسه ولسانه

الجادة وبعض الحفريات على حسابه، وعني بآثار المدينة المنورة زادها الله شرفا، وطبع كتابه «آثار المدينة» الطبعة الأولى بدمشق سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٥م).

وهو أول كتاب علمي في الآثار يصدر ببلادنا ولذا كان الرائد الأول في هذا العلم.

وبعد هذا الكتاب كانت له آثار وبحوث ذات قيمة علمية وتاريخية في علم الآثار لم يدانه احد فيها حتى اليوم باستثناء بعثات الآثار التى تعتمد في نفقاتها على الحكومة.

ولعله اول من فكر في بلادنا في اصدار مجلة تعنى بالأدب والعلم، بل هو أول من فكر، ثم كان أول من حقق الفكرة فاصدر مجلة «المنهل» التى صدر العدد الأول منها في ذى الحجة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

وليعرف عظم التضحية أن مجلات وقفت عن الصدور، فانا قد اصدرت من مجلتى «كلمة الحق» اربعة اعداد في شهر المحرم وصفر والربيعين من سنة ١٣٨٧هـ ووقفتها لخسائر لحقتني زادت على الثلاثين ألف ريال.

ولكن الاستاذ الانصاري أصر على موالاة إصدار مجلته، وأنا أعرف أنه ضحى بجهده وماله وجهد ابنه الاستاذ نبيه الانصاري وماله، وفوق هذه التضحية احتمل من الديون الكثير الكثير.

وسبب احتماله التضحيات أنه صاحب دعوة ورسالة، وصاحبهما يحتمل التضحيات في سرور، وينفق ما لديه في اريحية وسخاء.

ومنذ صدرت «المنهل» وهي مدرسة كبرى من مدارس الثقافة والفكر والأدب والاسلام ومنبر من منابر الدعوة الاسلامية، وقلعة من قلاع الفكر الاسلامي والعربي.

وإذا كانت النهضة الأدبية والعلمية والفكرية تدين للاستاذ الانصاري مع من تدين لهم فانها تدين لمجلة «المنهل» بالشيء الكثير، فقد دفعت رجال الأدب والفكر والعلم الى المزيد من الدراسة والبحث والتحصيل كما دفعت الشباب والناشئة الى ما دفعت اليه من سبقوهم.

وكل ما يملك مثلى هو الدعاء للمجلة وصاحبها، لأن مكافأتهما فوق الطاقة، وفى الحديث الشريف: «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، وإلا فادعوا له» وما أنا وحدى في الدعاء، فالمجتمع السعودي والقراء مثلى، وإن كان فرضا على القادرين والدولة مكافأة المنهل وصاحبها الإمام العظيم في فضله وخلقه ونبله وأدبه وعلمه.. مد الله في عمر المنهل ومتع القراء في العالم العربي والعالم الاسلامي بها

# في ذكراه

شعر:
عدنان أسعد - مصر -

علم من الأعلام في
دنيا العروبة والعرب
تاريخه حفل بأمجاد
الرجال ، ولا عجب
خاض الحياة مناضلا
حرباً يواكبه الحدب
صِدْق الجهاد طريقه
وطريقه كان الأدب
هو عالم . هو كاتب
هو شاعر ملك السبب
ومؤدب ثر اليراعة
.. والفصاحة والنسب
ومؤرخ حمل الأمانة
.. دأبه . لم يغترب
رفع القواعد (منهلا)
يغزو العقول وقد دأب
صرحاً وجامعة أجل
و(رسالة) أخرى الحقب
وحدا الأمانة بعده
أبناؤه الشهب النجب

# الأنصاري عَلَمُ الرواد

بقلم:
عبد الله عمر خياط - جدة

تدين الحركة الأدبية في بلادنا بالفضل للرواد الذين وضعوا اللبنة الأساسية لنشوء الأدب وتطوره في العصر السعودي الزاهر.

.. فلقد كانت هذه البلاد على امتداد التاريخ مصدر الفكر وموئله. ولكن فترة العتمة والجهالة العلمية التي قال الشاعر(١) في وصف مدارس ذلك الزمان بأنها خالية من التعليم:

ومدارساً ما كان ينقص حسنهن سوى العلوم

تلك الفترة .. هي التي تسببت في تدهور كل شيء بما في ذلك الحركة الأدبية والفكرية، ولذا فقد جاء قيام الدولة السعودية بالنسبة لشبيبة هذه البلاد «كنشوء الفجر على من كان ليله أظلم». حيث تحركت الهمم وداخل النفوس المتطلعة طموح متأجج لاستعادة المجد القديم، فكان أن قال شاعرهم(٢):

من هنا شع للحقيقة فجر
من قديم ومن هاهنا يتجدد

.. وقد تولى حركة التجديد هذه رواد أفذاذ كان من بينهم الأديب القدير الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصاري رحمه الله.

والرواد في تقديري ثلاثة: (صاحب الإبداع - وصاحب الإمتاع - وصاحب الإشباع).

.. وقد استطاع الأستاذ الأنصاري - رحمه الله - أن يكون الثلاثة في آن واحد حيث أبدع بما كتب في الأدب والفكر. والقصة التي كان من أول من كتبها، ولعلها أول قصة في تاريخ الأدب عندنا.. وهي قصة «التوأمان».

.. وبنفس القدر .. أمتع قراءه بما نظمه من شعر .. أو كتبه من مقالات .. وبحوث علمية.

أما الإشباع.. فحدث عنه ولا حرج.. اذ كان الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله .. يحرص كل الحرص على إيفاء كل موضوع ما يستحقه من البحث والدراسة فلا يقدم لقارئه غير ما هو مكتمل الجوانب .. متكامل التفاصيل مع ما يكلفه - رحمه الله - ذلك من مشقة البحث وعناء المراجعة في أمهات الكتب .. والسفر الى المواقع وإن بعُدت.

.. ولهذا فإن قيل: بأن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري .. قد مثل الموسوعية بأكمل صورها .. فذلك هو الحق بعينه. وسنه أيضاً .. سواء من خلال مؤلفاته .. أو من خلال مجلة المنهل وما قدم على صفحاتها.

فالذي لا ريب فيه .. أن مجلة المنهل .. منذ نشوئها وحتى اليوم .. هي من أهم روافد الثقافة في العالم العربي. وذلك بفضل المستوى الراقي لمنهجها في النشر والذي وضع برمجته الأساسية مؤسسها الراحل الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله - وسار عليه نجله الأستاذ القدير نبيه الأنصاري.

وأعود ثانية «لعلم الرواد» .. كما أسماه الأستاذ محمد سعيد العامودي .. أو «الرائد العلم» كما قال عنه الأستاذ محمد حسين زيدان - رحمهم الله جميعا - وأقول: بأن العطاء الذي خلفه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري .. هو عطاء مميز .. وهو ما صنع له المكانة المميزة.. التي هيأته لأن يكون «علم الرواد».

.. رحم الله الأستاذ الأنصاري وجزاه بالخير لما قدم لوطنه وأهله.

رؤية وريادة

# عبد القدوس الانصاري مفكرا إسلاميا

بقلم: عبد الكريم عبد الله نيازي «مكة المكرمة»

* في هذه الأيام نعيش الذكرى الثالثة عشرة لوفاة شيخ الأدباء والمفكرين الشيخ عبد القدوس الأنصارى الذى تفرد من بين كبار الكتاب المعاصرين فى المملكة العربية السعودية والعالم العربى بتعدد مواهبه الخلاقة.. وقدراته على العطاء والابداع فى ميادين ثقافية وفكرية متنوعة دفعت بعض النقاد الأجانب إلى تشبيهه من تلك الزاوية بالمفكر جوته شاعر وأديب المانيا القومى والذى كان هو الآخر شاعراً روائياً وناقدا ومفكرا.. على أن عبد القدوس الأنصارى، مع هذا كله.. تفرد ببعد هام حين فرض نفسه خلال الأعوام الماضية كواحد من أبرز المفكرين المعاصرين الذين عالجوا وتناولوا قضايا التاريخ والتراث الاسلامي.. وسط سيل فياض وخصب من الابداع الفكرى والفنى فى مجال كان يحتكره إلى وقت قريب حفنة ضيقة تدور في إطار ضيق غير قادرة أو حتى عاجزة عن الاثراء والتجديد.. بعضها غارق حتى أذنيه في مفهومات كلاسيكية متخلفة واكثر طواعية لخدمة القديم فقط!!.

* دراسات متنوعة لملامح بارزة وأساسية فى التراث الاسلامي.. تثقله وتجدده وتزيل عنه الكثير والكثير من الشوائب والتخريجات والخرافات التى ألحقها البعض به وتقدمه فى أصوله وجذوره الحقيقية واضعة فى اعتبارها مشكلات العصر وقضاياه وتناول جديد غير مسبوق فى العرض والنهج.. منهج اصطنع فيه عبد القدوس الانصاري شكلا فنيا أقرب إلى الفن القصصى.. واعتمد فيه فى نفس الوقت على حقائق التاريخ الثابتة ليعرض المبادىء السامية للاسلام والتراث الاسلامى.. على أنه دخل أو اقتحم هذا المجال الصعب مسلحا.. كما يتضح من أعماله بنخيره موسوعية هائلة جاءت بالطبع نتيجة دراسة صبورة متأنية للتراث والتاريخ الاسلامى، وفى مرحلة لعبت ظروف تاريخية واقتصادية وسياسية كثيرة فى إثارة قضية التراث فى العالم العربى.. وأفرزت تشوهات وتغييرات متباينة كلها إلتحفت برداء الدين.. فهو بما انتجه من سلسلة الدراسات الاسلامية الهامة عمدته رائداً فى المجال الخصب.. ووضع معلوماتنا عن التراث فى إطار منهج تحليلى متسق!!

* ومن الواضح أن كاتبنا على الأقل ومنذ بداية السبعينيات قد أولى هذا الموضوع اهتماماً خاصاً ومركزاً إلتزم به الأنصارى فى التعرض للتراث الاسلامى الذى يكمن فى تعاليم الخير والعدالة والمساواة والتقدم وفى تطبيقاته لها.. تلك الرسالة والتطبيقات غيرت وبشكل جذرى ليس فقط مجتمعات مكة المكرمة والمدينة المنورة والجزيرة العربية بل تجاوزتها إلى دول إسلامية عديدة!!

# الإفادة من ناتج العقل والحضارة.. والبعد عن التعصب سمات بارزة في الأنصاري.
# دراسات الأنصاري في التراث تميزت بالمنهج التحليلي المتسق.
# الأنصاري كان حريصا على السماع من أصحاب المعارف الراقية.

* لكن عبد القدوس الانصارى يجعل من رسالة الأدب الروحانية المقدسة طاقة حية نبيلة متجددة قادرة على إثراء الحاضر.. إنه يستلهم التراث الاسلامى العظيم فى تجسيد القيم الانسانية وبساطتها.. والدفاع عن نبل الانسان وشرف الحياة وعظمة الحق.. حينما أصدر مجلته الأدبية والفكرية والثقافية «مجلة المنهل» التى مازال يصدرها إبنه الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري!!

* على أن الرجل كان له باع طويل فى مجال الحركة الأدبية والفكرية والثقافية حينما كانت كتاباته تتسق بالعمق والشمول والأصالة.. وما ذلك إلا لانه كان متوقد الفكر.. ثرى الوجدان ذا أسلوب راق يجعله ينضم الى أصحاب الأساليب الثرة الرصينة كالزيات والرافعي وغيرهما!!

* وعلاوة على ذلك كان الأنصارى صاحب دراية واسعة وعميقة بأمور الصحافة التى أنشأ فى اطارها مجلة المنهل.. لترسيخ الوجه الثقافى والحضارى للمملكة العربية السعودية.. الذى يرتكز فى الأساس على الشريعة الغراء ثم على الأدب والثقافة العربية التى أسهمت فى تنمية الأطر الفكرية والحضارية!!

* على أن الانصارى كان بينه وبين المثقفين فى العالم العربى صلة ود واحترام وكان حريصاً على اللقاء بهم فى كل مناسبة من المناسبات.. حيث يستقبلهم فى حفاوة بالغة ثم يدفعهم بهوادة الى المناقشة والحوار فى الموضوعات الثقافية والأدبية والفكرية والاجتماعية والعمرانية.. وكان يتجلى فى هذا النقاش العقل الحر الذى يتميز به.. والذهن المتوقد المتابع.. والفكر الناضج الذى يرفض المصادرة كما يرفض التبعية!!

* وعبد القدوس الانصارى كان له مشاركاته على مستوى العالم العربي .. وفي مؤتمرات الفكر والثقافة .. كان يقدم رؤيته فى الفكر والادب والفلسفة فى اسلوب متميز وهو فى حديثه لا ينسى أخلاق البداوة.. وفكرها الفطري.. ونبلها المعروف .. وقدرة إنسانها على اختراق آفاق المستقبل.. والسيطرة على آليات الحاضر!!

* ويتجلى فكر الانصارى المتفتح ممثلا فى البعد عن التعصب والافادة من ناتج العقل والحضارة بما يتلاءم مع القيم والدين.. وأى نظام فى رأيه لا يقوم على التوازن بين المادة والروح يلفظ أنفاسه. وكان دوره فى خدمة الحركة الفكرية والادبية والثقافية دوراً مؤثرا وفعالا فوضع الخطط لبناء النهضة الثقافية وربطها بالمعطيات الفكرية من جهة.. وربطها بالتنوع الثقافى من جهة أخرى يساهم فى تحقيق قيم فكرية وسلوكية تساعد فى بناء الانسان السعودى بناءا سليماً.



# هو الحب

د. شهاب غانم
- دبي -

هو الحب! كم للحب من سطوة السحر
اذا حل في قلب تحكم في الامر
له طائر ان مد يوما جناحه
مضى حيث يبغى دون قيد ولا أسر
فيصعد احيانا الى قمة الذرى
ويهبط احيانا الى اسفل القعر
وللحب طعم دائما متغير
فكم فيه من حلو وكم فيه من مر
فسائل من العشاق كل مجرب
يخبرك عن برد الهوى وعن الجمر
ومن سطوات الحب ما هو قاتل
كمثل الذي أودى بقيس الى القبر
وللحب الوان فمنه الهوى الذي
يحركه جنس .. ومنه الهوى العذري
ومنه هوى افلاذ اكبادنا الألي
لهم نبذل الغالي رخيصا بلا قتر
ومنه هوى ام واخت ووالد
والا لما ناحت خناس على صخر
ومنه هوى الاوطان وهو فريضة
يجود لها بالنفس كل فتى حر
فاعظم انواع الهوى حب ملة
هوى ليس يجدى غيره ساعة الحشر
وان طلاب العلم نوع من الهوى
عليه يحث الحق في محكم الذكر
جرى في دمي ذاك الهوى ورضعته
فقضيت ايامي مع الطرس والحبر

# التربية المتكاملة

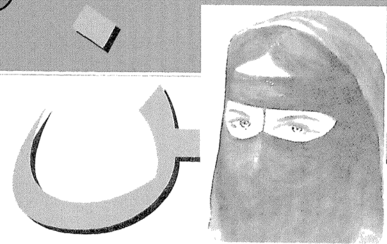
## أوراق زوجية

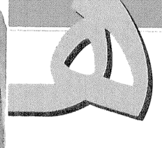
ابو عواد / ام عمرو

## رسالة الى السيدة الجميلة

## نوافذ على ثقافات العالم

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها





# التربية المتكاملة

** ما المقصود بالتربية المتكاملة للشباب؟

إن مفهوم التربية المتكاملة هو في حقيقته تطبيق لمنهاج الإسلام الذي يعنى بـ: (الجسم - العقل - الروح)

تبدأ عناصر هذه التربية الإسلامية منذ إرادة الإنسان بتكوين أسرة. إذ يشترط الإسلام اختيار الزوجة على أساس الخلق الحسن والدين، فالزوجة هي اللبنة الأولى في تكوين الأسرة وبمثل ما عاشت حياتها قبل الزواج ستشكل الأسرة الجديدة التي ستشغل حيزا في حياة المجتمع العام.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (تنكح المرأة لأربع.. إلى قوله فاظفر بذات الدين تربت يداك). وقد أوضح لنا تعالى صفات المرأة الصالحة بقوله تعالى: «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»(سورة النساء).

وتستمر هذه العناية بشكل قوانين وحدود تحمي الطفل وهو جنين في بطن أمه حيث يحرم إسقاطه لغير اذى كما يحرم أن تعرّض المرأة نفسها لأي نوع من الجهد البدني أو النفسي الذي قد يؤثر على تشكيل الجنين ويلحق به اضرارا تعايشه بعد خروجه الى الحياة.

وبعد الولادة تأتي مرحلة الرضاع وهي المرحلة التي يقول عنها الطب الحديث أنها الفترة التي تتكون فيها المناعة الجسدية والنفسية للطفل فنجد الإسلام يكفل له الرضاع الطبيعي والحضانة لأمه كما يكفل له كذلك النفقة على والده لأمه مدة رضاعه الى غير ذلك من قضايا الحضانة والرضاع التي تزخر بها كتب الفقه الإسلامي إستنادا إلى القرآن الكريم في قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (سورة البقرة). أما بعد هذه المرحلة وحتى بدء سن الشباب فإن قوام التربية يكون بتوفير الحياة الكريمة من قبل الوالدين لأولادهم ولا يقصد بمسمى الحياة الكريمة توفير المطعم والمأكل والملبس فحسب بل إنه يعني توفير التربية الدينية السوية ومراعاة الشخصية المستقلة لكل طفل في الأسرة، وهذا واجب الأب والأم حيث كلفا العناية بأبنائهم وسوف يسألان يوم القيامة عن هذه الرعية، فالإسلام هو أول من دعا الى احترام شخصية الشاب وتشجيع مواهبه وقدراته الذاتية.. ومن هذه القدرات والمواهب تنمية:

١ - النواحي الجسمية وتكون تنميتها بالرياضة فقد شجع الاسلام مزاولة الألعاب الرياضية التي تقوّم الجسد والنفس معا كركوب الخيل والسباحة والرماية وغيرها.

٢ - النواحي العقلية: حث ديننا الحنيف على التفكر في هذا الكون استزادة للإيمان واستنباطا للقوانين التي تحكمه هذا إضافة إلى تعلم النافع من العلوم.

غادة عبد الله العمودي
- جدة -

ويتميز منهاج الإسلام في هذه النقطة بأنه الوحيد الذي كفل حماية قوية للعقل البشري ضد التيارات الهدامة والعلوم التي لا تعود على الإنسان إلا بالضرر، كما أن الإسلام وضع قوانين صحية لهذا العقل تشمل تحريم ما يضر بهذه الطاقة الكبرى كالمسكرات والمخدرات.

٣ ـ النواحي النفسية (الوجدانية) وهذه يعنى بها الإسلام من منظورات عدة:

ـ بالنسبة للقوة الجنسية فقد شجع على الزواج المبكر تحصينا للفتاة والشاب فإن لم يتمكن الشاب من الزواج لظروف اقتصادية أو غيرها فإن الإسلام سن له الصوم كعلاج وقتي يهدىء من هذه القوة دون أن يكبتها.

ـ بالنسبة لفورة النشاط والقوة الجسمانية: وهذا يشمل القدرة على إنجاز اعمال صعبة وتتطلب قدرا كبيرا من الجهد فإن خير دواء لهذه المرحلة استخدام القوة في العمل الجاد الذي يستمر نفعه على الإنسان كفرد وعلى المجتمع كجماعة. لذلك يحيط الإسلام هذا العمل بسياج من الشروط كأن يكون مشروع المصدر وعام المنفعة ولا يسبب الضرر للآخرين.

ـ القوة الروحية: ومنها يتحدد مسار الإنسان في حياته وأسلوب تفكيره فإن الإنسان بلا عقيدة هو إنسان بلا عقل ـ بلا روح ـ بلا إنسانية. فما تصرفات البشر إلا مرآة عاكسة عما يعتمل في داخلهم من عقائد ومبادىء ولن نجد مهما جلنا في كل الشرائع والأديان خيراً من الإسلام دين فرد وجماعة وأمة. إن تطبيقنا للتعاليم الإسلامية ليس تطوعا من لدن أنفسنا بل إنه ضرورة تمليها حاجتنا الى الإستقرار والعيش في مجتمع آمن ووصولا الى السعادة والحياة الحقة في الدنيا والآخرة وبمقدار ما يحصل الفرد في هذه الدنيا وخصوصا في شبابه يكون مقدار أمنه وفلاحه. إن التربية الدينية غدت السبيل الوحيد للإطمئنان على أبنائنا أينما حلوا في هذه الأرض ومهما تعرضوا في حياتهم لهزات عنيفة إذ كيف يمكن لإنسان ينفض عنه داء شهوة النوم وقوة سلطانه ليقف بين يدي ربه تأدية لصلاة الفجر أن تغلبه بعد ذلك غريزة مهما كانت قوتها. إن توزيع الصلاة على أوقات الليل والنهار لم يأت عبثا أو عبثا بل إنه لحكم جمة علينا زراعتها في نفوس أبنائنا إذا أردنا لهم الفلاح.

ويكفينا استشهادا بصحة تلك التربية الإسلامية أبطال الجيوش الإسلامية في عصور الفتح الإسلامي فقد كان عامتهم من الشباب وكانوا يدخلون مدنا ويعايشون أناسا وبيئات تبعد كل البعد عن الأوضاع البسيطة التي خرجوا منها ومع ذلك تراهم لا يتلاشون في خطايا تلك البيئات بل صححوا ما فيها من انحراف وقوّموا اعوجاجها حتى تمكنوا من تشييد المدن وبناء الأمم. على العكس من الشباب في عصرنا الحاضر الذي يتمنطق كل ما هو غربي دون أن يعرضه على ميزان الدين أو حتى ميزان العقل؟!!

وبعد:

فإن كلمتنا الأخيرة نوجهها إلى المربين لنقول لهم إن تربية الشباب تعني تربية الإنسان بشكل متكامل منذ بدء تكوينه وحتى النضوج. فما الشباب سوى مرحلة زمنية في عمر الإنسان قد تنقضي بسلام وتؤتي ثمارها باقي العمر أو ـ والعياذ بالله ـ تخنق صاحبها ومجتمعه بدخان الخطيئة والرذيلة.

نوافذ على ثقافات العالم

** من الثقافة العربية:

# (عبيد بن الأبرص، شهرته معلقته)

نهاوند عبد الله - جدة

اعتبر كثير من نقاد الأدب المختصين بتاريخ الشعر العربي القديم والحديث أن الشعر الجاهلي هو البداية الحقيقية المعروفة والموثوقة بالتوارث للشعر العربي الأصيل الذي نعتبره تراثنا الثمين والعظيم، ومنطلق حضارتنا الشعرية الهامة ووعينا الثقافي الشمولي الذي نبني على أساسه ومن خلاله ثوابت الثقافة العربية الذاتية التي جعلتنا نحتفظ على مدى آلاف السنين بالشعر الجاهلي الذي يعتبر قمة في الابداع اللغوي والفكري من ناحية تناسبه مع الظروف الحياتية والبيئة الاجتماعية التي كان ينطلق منها ويتحدث عنها، وتصويره للواقع الذى يحيط بالشعراء، لتحفظه الأجيال المتعاقبة في ذاكرتها، ولتصبح أسماء الشعراء هؤلاء من الأسماء البارزة اللامعة في ميادين الشعر العربي في مختلف عصور التاريخ العربي الأدبي منذ ولادة هذا الشعر الى يومنا الحاضر، حتى وإن اختلفنا معهم في كثير من الأمور.

وبالرغم من أن الشعر الجاهلي نال من الشهرة أوسعها، ومن الخلود النصيب الأكبر، إلا أنه مازال هناك ما يمكن أن يقال عنه، وعن المعلقات بشكل خاص وهي التي تعتبر من أكثر العوامل تأثيرا في وصول هذا الشعر الى أوسع الدوائر المهتمة بالمعرفة والاطلاع بالنسبة لمجالات اللغة العربية.

والمعلقات السبع أو العشر، حسب الروايات التاريخية، بعضها اشتهر باسم صاحبها، وبعضها عرّف بشاعر المعلقة، كما هو الحال مع الشاعر عبيد بن الأبرص الأسدي، الذي عرفناه بعد هذه السنين الطويلة، من خلال ما كتب عن المعلقات، بينما هو كان من شعراء مضر وندماء حجر الكندي والد الشاعر امرىء القيس.

عبيد بن الأبرص الأسدي من شعراء مضر البارزين، ومن أصحاب المعلقات، فمعلقته البائية التي أضافها بعض مؤرخي الأدب إلى المعلقات السبع، أعطت صورة واضحة عن قدرته الابداعية على الوصف والتصوير في قصائده، وهما ميزتان جعلتا شعره مشحوناً بموسيقى شعرية داخلية تتلاءم مع موضوع هذا الشعر المليء بالحياة، لأنه مأخوذ منها، ويصور كل جوانبها وما فيها، وهو تصوير تم بوعي وانسجام وحساسية صادقة تماماً جعلت عبيداً لا يهمل أبسط التفاصيل عندما يرسم صوره الشعرية الجميلة.

عاش عبيد فقيراً وكان في بداية حياته يرعى الغنم مع أخته، وقد بدأ في قرض الشعر مبكراً، وعندما استوى عوده وبلغ مرحلة الشباب التفت إلى كل شيء حوله، وبدأ يصفه بشعره الذي بدا رقيقاً معبراً بصورة دقيقة عن حياة الشاعر في مختلف أشكالها، وقد ازداد هذا الشعر قوة وجمالا عندما أخذ الشاعر يخرج عن الاطر الوصفية التي التزم بها مثل غيره من شعراء عصره ومن هم قبله.

كان عبيد بن الأبرص الذي عاش بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن السادس إذ توفي مقتولا بأمر المنذر بن ماء

السماء نحو سنة ٥٥٤م، قد شهد أياماً فيها شيء من تحسن الحال حين كان من ندماء حجر بن الحارث الكندي ملك بني أسد ينظم فيه الشعر، حتى أنه شفع لدى حجر في أشراف قومه الذين حبسهم لامساكهم عن دفع الأتاوة، وكانت شفاعته مقبولة عند الملك، إلا أنه لسبب لا نعرفه اتصل بالمناذرة في الحيرة وعاش في بلاط ملوكهم فترة طويلة مقرباً إليهم حتى قتله المنذر.

شعره يتميز بأنه تعبير جميل عن الحياة من حوله، وخاصة في معلقته التي يقول مطلعها:

أقفر من أهله ملحوب
فالقطبيات فالذنوب

وهي من مخلوع البحر البسيط وتقع في ٤٨ بيتاً، ومثلها مثل معظم الشعر الجاهلي والمعلقات على الأخص تتضمن الوقوف على الديار بعد رحيل أهلها وبينهم حبيبة الشاعر، والتحدث إلى الأطلال من خلال دمع يسيل كأنما هو النهر الصغير أو مسيل الماء، كما تتضمن - حسب العادة - الحكم والمواعظ قبل الانتقال الى وصف الناقة وتشبيهها بحمار الوحش تارة، وبثور يرعى في مكان خصيب تارة أخرى، وخلال هذا الوصف الذي يمتاز بقيمته الجمالية، ولغته البديعة وصوره الأخاذة، التي تبدو حياة الشاعر وتجاربه ومشاهداته ظاهرة في كل جزء منها، إلى جانب كونها تنقل نبض مشاعره التي أراد أن يكشف من خلالها عن رقة أحاسيسه، حتى أنه كما ذكرت الروايات كان يعطف على المخلوقات جميعاً، ويشركها - كما قال صاحب تاريخ الأدب العربي - في ماليديه من وسائل الترفيه، فنجده يسقي الحية العطشى، ويتابعها بنظراته حتى تذهب الى مكان آمن، وغير ذلك كثير من المواقف التي تعبر عن واقعه، خاصة وأنه ذاق طعم الحرمان منذ طفولته، وإحساسه بالفخر والحماسة والاعتزاز بالنفس بالرغم من فقره كان تعبيراً عن ردة فعله تجاه ذلك.

من وصف الفرس في معلقته التي يشبهها فيه بالعقاب يبصر ثعلباً، وما يجرى بينهما، وهي أوصاف مليئة بالحركة والحيوية، تنقاد فيها اللغة لأسلوبه فتصبح طيعة تتدفق منها موسيقى يمكن أن نحس بجمالها بالرغم من صعوبة المفردات التي يستخدمها وهي مفردات ذلك العصر الموغل، يقول الشاعر في مقطع من المعلقة:

فنهضت نحوه حثيثاً
وحرّدت حرده تسيبُ
فدب من خلفها دبيباً
والعينُ حملاقها مقلوبُ
فأدركته فطرّحته
والصيد من تحتها مكروبُ
فجدلته فطرّحته
فكدّحت وجهه الجبوبُ
فعاودته فرفعته
فأرسلته وهو مكروبُ
يضغو ومخلبها في دفه
لابُدّ حيزومه منقوبُ

## * من الثقافة الأوروبية:

## (ديكارت صاحب التكوين الثلاثي)

لا شك أن الديكارتية تعتبر من المذاهب المعروفة عالمياً، والتي نالت شهرة واسعة باعتبارها مزيجاً من الفلسفة وعلم الفيزياء، حتى أنها أصبحت المسيطرة على أوروبا في منتصف القرن السابع عشر، وامتد تأثيرها إلى الحقبة التاريخية الحديثة بأكملها.

وتنسب الديكارتية إلى رينيه ديكارت الذي ولد عام ١٥٩٦م في تورين بفرنسا، ودرس في المدرسة اليسوعية الشهيرة «لا فليش» حيث

كان يشعر وهو بعد صغيراً أن المعرفة التقليدية التي يتلقاها من أساتذته المثقفين ليست هي المعرفة التي يريدها، لأن في داخله إحساساً أوسع كثيرا من مضمونها، ولعل ذلك هو السبب في أنه لم يقتنع بها، ولذلك بدأ يبحث عما هو أوسع من هذه المعرفة التقليدية ولعله وجد ذلك في التوجه الى الرياضيات التي توصل إلى اليقين بالاقتناع العقلي.

وتشير مسيرة حياة ديكارت إلى نمو التوجه نحو ايجاد منهاج خاص به يختلف عما حوله، ويعارض فيه غاليليو معارضة تصل الى الرفض، وهي ما أثارت ضجة ترددت أصداؤها في أوروبا كلها عام ١٦٣٠م، خاصة وأن ديكارت كان يحاول منهجاً يتضمن ما تفتقر إليه مختلف العلوم.

يروي كتاب تاريخ الفكر الأوروبي من تأليف رونالدسترومبرج وترجمة أحمد الشيباني جوانب هامة من هذه المسيرة فيقول:

خلال خدمة ديكارت العسكرية في حرب الثلاثين عاماً روى أنه في ليل العاشر من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٦١٩م رأى فيما يراه النائم أن رجلا جاءه وأمره بأن يسلك الطريق الى إعادة بناء العلوم، ولكن ديكارت لم يتمكن من انجاز مؤلفه ونشره قبل عام ١٦٣٠م، ولقد دفعت به ادانته لغاليليو إلى تأجيل نشر كتابه (نظام العالم) ولكنه في عام ١٦٣٧ نشر مؤلفه الشهير (مقالة في منهج توجيه العقل توجيها صحيحاً وفي طلب الحقيقة في العلوم) ثم أعقب ذلك المؤلف بكتابات تحمل العناوين التالية (تأملات في الفلسفة الأولى ١٦٤١م) (مبادىء الفلسفة ١٦٤٤م).

توفي رينيه ديكارت في عام ١٦٥٠م بعد زيارة قام بها إلى السويد، وترك وراءه منهجا هاماً في الفلسفة والعلوم، خاصة أنه كان واحداً من أبرز علماء الرياضيات في عصره وغيره، فهو مكتشف الهندسة الإحداثية أو التحليلية، كما اعتبر اسهامه الفعال في تطوير علم البصريات ولا سيما بالنسبة لقوانين انكسار الضوء.

لقد استطاع ديكارت خلال حياته القصيرة أن يضع بين أيدي المهتمين والناس ما يمكن أن نطلق عليه (علم العلوم) الذي يمكن أن يكون منهاجية قابلة للتطبيق على كل شيء، لأنه علم جامع شامل يقوم على ثلاثة أسس عظيمة هي المنهاج والفلسفة وعلم الفيزياء، وقد ساعدت امكاناته الأدبية الرفيعة التي تستند إلى ثقافة واسعة اكتسبها من قراءته بإمعان المؤلفات الكلاسيكية.

قال مؤلف تاريخ الفكر الأوروبي الحديث: والحق أن ديكارت لم يكن دون بيكون طموحاً إلى الانسلاخ عن الماضي، وإلى اعتماد منهاج جديد، لكن شيئاً من بطلان لطخ سمعة ديكارت كعالم، فنظريته في الجاذبية الأرضية، وفي الحركة الكونية من خلال الدوامات سرعان ما أخلت مكانها لنظرية نيوتن، علماً بأننا لا نستطيع إلا الاعتراف بعدد من أمجاده العلمية، زد على ذلك أن باسكال اكتشف وديكارت لا يزال على قيد الحياة، ضعف ديكارت في التجربة والمشاهدة، كما أن عصر التنوير في القرن الثامن عشر أشاح بنظره عن ديكارت كفيلسوف واتجه ببصره إلى جون لوك، لكنه مع ذلك كله ظل يعتبره رائداً عظيماً من رواد الفكر، فمكانة ديكارت في التاريخ وطيدة وراسخة، إذ أنه أحد الثلاثة أو الأربعة مفكرين الذين لهم أعظم الأثر في العصور الحديثة.

لقد سحرت الهندسة ديكارت، فكان يقول (إن تلك السلاسل الطويلة من الاستنتاجات، بما هي عليه من بساطة ويسر، والتي

يستخدمها الهندسيون كي يبلغوا أشد البراهين مشقة وتعقيداً، قد دفعت بي إلى التصور أن كل شيء يدخل في نطاق معرفة الانسان، يجب أن يكون مترابطاً وفقاً للاسلوب الهندسي ذاته، إذن فلتتأكد أولا من صحة منطقك، ومن ثم فلتتعقل الأمور خطوة خطوة، ولتفكك القضايا إلى أبسط أجزائها المكونة «الأساسية» وعندئذ فأي أمر لن يكون ممكناً بالنسبة إليك، فالانتظام السديد للتعقل هو كل شيء).

وقراءة في هذه المقولة تدل على أسلوب ديكارت الذي يعتبر أن الهندسة يمكن أن توصل إلى النتائج المطلوبة، حتى في مناهج الأدب والنقد الحديثة التي قد ينطبق عليها هذا المنهاج.



## ** من فنون كوريا

# * ثلاث أشجار باسقات.

هذه اللوحة من الفن التشكيلي الكوري المعاصر للفنان هيوجون بعنوان «ثلاث شجرات باسقات» رسمها عام ١٩٧٤م، وهي تظهر بوضوح طبيعة الفن الواقعي بالأسلوب الآسيوي، الذي يتميز بسمات خاصة تعتبر من علامات الفن الشرق آسيوي الذي يعتمد بالدرجة الأولى على مهارة ودقة الفنان في رسم أدق التفاصيل في المشهد الطبيعي الذي يختاره، مغلفاً بتلك الهالة الشاعرية التي تعتبر من خصوصيات فن دول شرق آسيا، وهي تستخدم كعمق ابداعي في اللوحات الواقعية التي تؤخذ من الطبيعة، كما هو الحال في لوحة هيوجون، إذ تتناسب الألوان مع موضوع اللوحة، ومع الواقع في ثنائية يمنحها التشابك المدهش للأشجار الثلاث معاني قد توحي بالعديد من الأفكار البديعة المحلقة.

# رسالة إلى السيدة النبيلة

## من محمد بن أمية

* كاتب شاعر ظريف
* كـــان منقطعـــاً إلى ابراهيم بن المهدى
* كان يـأنس به لأدبه وفضله وزامله أربع مرات فى الحج

**حبيبتى خداع :**

رداً على رسـالتك التى بعـثـتـهـا مع صديقتك: «طيب» تعتبين عليّ فيها أننى لم أوف بالعـهـد الذى قطعـتـه لك على نفسى بألا أغشى بؤر الفسـاد وحلقات القـصـف والمجـون، فـإننى لم أخل بما عـاهدتك عليـه ولا احـتلت له بحـيلة ولا أقـدمت عليـه بذريعـة٠٠

أمـــا أن تعــتـــبى عليّ وتلومــينى على لســان صـديقـتك فى قـسـوة لم أعـهدها منك من قبل فذلك هو الغريب حقـا٠ ذلك لأن مـا بلغك لو كـان صـحـيحـا لكان لك الحق فى أن تغضبى وتثورى، وكان لك الحق فى أن تفـصـمي مـا بيننا من وصـال المودة والقـربى٠٠ لكن يبـدو أن الذين لفـقـوا عليّ التـهم قـوم خـذلتـهـم فطنتـهـم وتخلى عنهم ذكاؤهم٠ ذلك لأننى فى الأيام التى تلت آخـر لقـاء بيننا بعـد أن بث كل منا صـاحـبـه أحلى وأعـذب أنـغـام حـبـه ومـودتـه٠٠ غـشـيت ندوة إنسـان لا تتـصـورين أننى أغشـاها أو أذهب إليها، إنه الشاعر الزاهد التقى أبو العتاهية٠ لقد انبعثت فى روحى نفحة من نفحات زهده وترفعه عن الدنيا حين قال:

إلـهى لا تـعـــذبنى فـــإنى
مــقــر بالذى قــد كــان منى
فــمــالي حـيلة إلا رجـائى
لعـفـوك فـاحطط الأوزار عنى
وكم من زلة لى فى الخطايا
وأنت علىَّ ذو فــــضـل ومن
إذا فكرت فى ندمى عليــهـــا
عـضـضت أناملى وقرعت سنى
أجن بزهرة الدنيـــا جنونا
وأقطع طول عمرى فى التمنى
يظن النـاس بى خـيـرا وإنى
لشـــرّ الخلق إن تعف عنيّ

قال أبو العتاهية تلك الأبيات وتغنى بها مخـارق المغنى فـأبكانا وأشجـانا وطهر نفـوسنا مما ران عليـهـا من كـدر الدنيا وضـبـاب الشـهـوات٠٠ ثم ذهبت إليه ليلة ثانية فحادثنى فى أنس وعطف ومودة وقال: أنت يا ابن أمية محسن مجيد مازلت تأتى بالشيء المليح يبدو لك ٠ فشكرته وبجلته وقلت له: عظنى يا سيدى وأستاذى فإننى والله لنصيحتك لمحتاج ولوعظك لجد فقير٠٠ فقال لى اسمع يا بني:

حـيل ابن ادم فى الأمـور كـثـيـرة
والموت يقطع حـيلة المحــتـال
قـست السـؤال فكان أعظم قـيـمـة
من كل عـــارفـــة جــرت بســؤال
فـإذا ابتليت ببـذل وجـهك سـائلا
فـــابذله للمــتكرم المفــضـال
وإذا خـــشـــيت تعــذرا فى بلدة
فـاشـدد يديك بعـاجل الترحـال
واصـبـر على غِيَرِ الزمـان فـإنما
فـرج الشـدائد مــثل حل عــقــال

**حبيبتي خداع :**

لقد اصابني مصرع البرامكة وعلى الصورة البشعة التى وقعت بأسى شديد مزاجه الفزع والرعب. فعكفت فى بيتى يومين كاملين لا أستطيع الخروج أو استقبال أحد من الأصدقاء حتى أنهم ظنوا أننى كنت من بين الذين طالتهم النكبة، وأشاعوا حولى الشائعات.. وفى يوم وبعد أن أديت صلاة العصر سمعت طرقاً خفيفاً على بابى فتلبثت قليلا خشية أن يكون الطارق من رجال أمير المؤمنين جاء للقبض علي ثم أسلمت أمرى إلى الله وفتحت الباب.

**محمد عبد الواحد حجازى**
مصر

وكانت المفاجأة أن الطارق كان جاريتك جاءت لتسلمنى هديتك إليّ .. وكانت الهدية تفاحة مطيّبة منقوشة.. ففرحت فرحا أزاح عن صدرى كل هم وغم واستبشرت بالحياة أيما استبشار، وكادت الفرحة تحلق بى الى ما فوق السحاب.. يا للجذل الطروب الذى غشيني..

خُداع أهديت لنا خُدعة
تفاحة طيبة النشر
مازلت أرجوك وأخشى الهوى
معتصما بالله وبالصبر
حتى أتتنى منك تفاحة
زحزحت الأحزان من صدرى
حشوتها مسكا ونقشتها
ونقش كفيك من السحر
سقيا لها تفاحة أهديت
إن لم تكن خدع من الدهر

**حبيبتي خداع :**

كان أمر تفاحتك عجيباً حقا.. قلت فى نفسي: إذا كانت حبيبتي خداع قد أهدتنى تلك التفاحة فلماذا لم تأت هي بها؟ لماذا تصر على هجرانى؟ لماذا لا ترحم صبا أفنى عمره فى حبها؟ لماذا لا ترحم حبيبها لها لم يعرف سواها؟ أفما كان الواجب عليك يا خداع أن تطمئنى بنفسك على مصيرى وحياتى؟ فمن منا المذنب إذن

عجبا عجبت لمذنب متغضب
لولا قبيح فعاله لم أعجب
أخداع طال على الفراش تقلبي
وإليك طال تشوقي وتطربى
لهفى عليك وما يرد تلهفى
فصرت يداي وعز وجه المطلب

**حبيبتي خداع :**

لعلك الآن قد اقتنعت بأننى لست من المجان الضالين.. لعلك الآن تغفرين وتصفحين.. ولعلك الآن تعودين الى القلب الذى هواك وآثرك.. فهل آن أن تعدينى بلقاء يعيد ما بيننا من صفاء؟

ربّ وعد منك لا أنساه لى
أوجب الشكر وإن لم تفعلى
أقطع الدهر بوعد حسن
وأجلى غمرة ما تنجلى
كلما أملت يوما صالحا
عرض المكروه لى فى أملى
وأرى الأيام لا تدني الذى
أرتجى منك ولا تدني أجلي

# أوراق زوجية

## أبو عواد / ام عمرو

**٧٧٧ ـ أبو عواد:**

**وأنا مثلك مترع بالأسى ٠٠ ومثقل بالهموم ٠٠ أبحث عن مرفأ أبث إلى شطآنه لوعتي وأحزاني.**

**٧٧٧ ـ أم عمرو:**

«لا يغلب الأيام إلا من رضي» الضحك والبكاء لا يجتمعان على وجه انسان واحد فليكن مرفأنا الرضا فعلى شطآنه تذوب اللوعة وتتبخر الأحزان.

**٧٧٨ ـ أبو عواد:**

**اذا أصرّ كل منا على رأيه ٠٠ وتعصَّب لمبادئه ومفاهيمه فاننا لن نتوصل إلى شيء ٠٠ وسيكون حوارنا حوار الطرشان يا سيدتي.**

**٧٧٨ ـ أم عمرو:**

التعصب نوع من أنواع «العمى العقلى» وهو يترعرع عندما لا يملك الإنسان حججاً قوية يبرر بها رأيه وغالبا ما يكون المتعصب «أطرشا».

**٧٧٩ ـ أبو عواد:**

**لحظة الانفجار لا تتعدى أجزاء من الدقيقة٠٠ وعمرها يا عزيزتى بالثواني ٠٠ ولو أنك كتمت غيظك وصبرت لكنا تجاوزنا العاصفة ٠٠ لكن مشكلتك أنني عندما أكون منفعلا٠٠ ترفعين درجة حرارتي ٠٠ إلى درجة انعدام السيطرة والتحكم فتصبح أفعالي وأقوالى كلها لا إرادية.**

**٧٧٩ ـ أم عمرو:**

قديماً قال أفلاطون «الرجل الغاضب رجل غير عادل». والسلوك اللاإرادى سلوك «أميبي» حتى إن قدرة الإنسان على ضبط سلوكه وتوجيهه هى السمة التى تميزه عن باقى الكائنات التى لم ينعم الله عليها بنعمة العقل.

**٧٨٠ ـ أبو عواد:**

**أظل شرقيا ٠٠ لا تحاولي ٠٠ فلن أفتح لك باب السيارة ولن أدعوك للدخول قبلي ٠٠ لا تحاولي ٠٠ ولن أتمثل تلك الافعال مهما بدت تصرفاتى بدوية!٠٠**

**٧٨٠ ـ أم عمرو:**

الرجل الذى لا يساعد زوجته على الجلوس بالسيارة قبل أن يجلس هو، لا هو «بالشرقى» ولا «بالغربى» ولكنى أعتقد أنه «حجري».

**٧٨١ ـ أبو عواد:**

**بئس الدموع سلاحا للمرأة٠٠ فانها عندما تلجأ إليها عند أول منعطف فذلك يعنى أنها افتقدت فن الحوار وأسلوب المناقشة٠٠ والشفقة لا تعني الاحترام.**

**٧٨١ ـ أم عمرو:**

المرأة تقفل عقلها «بالدموع» والرجل يقفل عقله «بالغضب» وكلاهما يحتاج لدواء اسمه «الحوار الهاديء».

**٧٨٢ ـ أبو عواد:**

**وقاضي النساء ـ كما تقول الأمثال ـ هو الآخر قتل نفسه ـ وليس على ما يبدو قاضي الأطفال هو الاستثناء فى هذا ـ فصديقة اليوم عدوتك غدا ٠٠ وعدوة اليوم فى جلسه ربما تحولت إلى صديقة٠٠ كم أنت سريعة فى بناء الصداقات وفى التراجع عن فرط المودة٠٠ هم كذلك الأطفال، يلعبون، يتصادقون ، ثم يتشاجرون ولا يلبثون بعد الشكوى وطلب رد الاعتبار أن يتصادقوا ولما يأخذ الحكم مجراه.**

**٧٨٢ ـ أم عمرو:**

أعتقد أن علم النفس والظواهر من حولنا تشير إلى أن المرأة تكتسب الصداقة ببطء، وإذا فقدتها فإنها لا تعود إليها أبداً. وربما يكون هذا عيبا فى قدرة المرأة على التسامح والنسيان٠٠ أما الأطفال فكما ذكرت.

**٧٨٣ ـ أبو عواد:**

**تستطيع المرأة أن تكسب احترام الزوج لو أنها مرّرت ما لم يرق لها من أقواله ومواقفه الأولى بهدوء وسايرت فيها باديء الأمر ثم بدأت فى التعامل معها لاحقا بحكمة٠٠ ولكن أين هى تلك المرأه٠٠ فما أن يبلغ الطفل أشده ويتخلص**

**من أوامر الأب حتى يجد نفسه تحت وصاية أخرى ينكرها ويستكبرها .. مع الاقرار أن الزوجة قد تكون على حق لكن الوسيلة والتوقيت ربما لا توفق فيهما فتحصل ردود الأفعال التي لا تحصد منها غير الأشواك وربما الدموع.**

**٧٨٣ = أم عمرو:**

أفهم من هذه العبارة أن المرأة هى الأكثر حكمة واتزاناً من الرجل وعليها أن تصبر عليه «وتفوّت» هفواته حيث إنه بطبيعته لا يستطيع التحكم فى أقواله وأفعاله دائماً لو كان هذا ما تعنيه العبارة، فلا مانع!

**٧٨٤ = أبو عواد:**

**قال لي: أريدها بدوية في أصالتها، عصرية فى معاشرتها .. مثقفة في أفكارها .. لم أدعه يسترسل وقاطعته قائلا: لا أعرف المفتاح الهاتفي للمدينة الفاضلة فأظن فيها سيدة واحدة ولكنها ربما كانت يونانية!!**

**٧٨٤ = أم عمرو:**

إذا وجد مفتاح هذه المدينة الفاضلة فنرجوا نشره فى العدد القادم، فقد نجد فيها رجلا بدويا (..) عصريا (..) مثقفا (..) ومن يدرى .. ربما لو زوجناه لهذه المرأة لنتجت لنا سلالة بشرية جديدة من جنس مثالى يجد فيه الرجال والنساء ما يريدون من «الدمى»!

**٧٨٥ = أبو عواد:**

**أكاد التمس بعض الأعذار لأولئك النسوة اللواتى يتضجرن من العيش مع بعض الأزواج رغم توفر مقوماته المادية .. إلا أن غياب التقارب الفكري جعل الزوجة أشبه بموظفة محظية فى مؤسسة يديرها زوج لا يرى إلا نفسه!!.**

**٧٨٥ = أم عمرو:**

هذه الحالة تنتج عن غياب التقارب الفكري كما تنتج عن غياب النضج الثقافي للرجل والمرأة اللذين يعيشان بجسديهما فى القرن العشرين وبعقليهما فى القرن الخامس عشر.

**٧٨٦ = أبو عواد:**

**ليس المهم من فينا أشعل الحريق وأجّج الموقف إلى ذروة التسخين والمواجهة .. ذلك أن المهم الآن ـ وبعد ما تحولت الخضرة أمامنا إلى رماد ـ هو من يبادر بالايثار ليعمل حولنا سياجاً حتى لا نكون آخر وأهم الضحايا!!**

**٧٨٦ = أم عمرو:**

الإيثار صفة رائعة والمعروف أن النساء أكثر إيثاراً من الرجال فالأم غالباً ما تكون اكثر إيثاراً من الأب ولكن على الرجال ان يتذكروا المثل الشعبي القائل «لو كان حبيبك عسل .....».

**٧٨٧ = أبو عواد:**

**الافضل لمن تصب جام غضبها علي زوجها عندما يبدأ فى البحث عن زوجة أخرى .. أن تجلس تحاسب نفسها لماذا؟ ومن وضعه فى هذا الموقف؟ فقد كانت الوحيدة فى حياته فى بداية عهده بالزواج ولم يكن يفكر إطلاقا فى الارتباط بغيرها.**

**٧٨٧ = أم عمرو:**

قليل من الزوجات اللواتى يبحث أزواجهن عن زوجة أخرى سيجدن فى سلوكهن ما يحمل الأزواج على ذلك، ولكن الكثيرات سيكتشفن أنهن متزوجات من رجال من النوع الذي كلما ثقل ميزان عمره خف ميزان عقله .. وزاغت عيونه.

**٧٨٨ = أبو عواد:**

**ربما كان من الأفضل لنا أن نحيط مشاكلنا بالكتمان ونستعين على حلها بالصبر والحكمة فقد علمتنا الأيام أن تعدد الاطراف المشاركة فى حلها توسع من دائرتها وحتى لو تم تجاوز المشكلة بيننا فإن الشروخ التى يحدثها فى علاقاتنا المعنيون بأمرنا تظل ظاهرة مستعصية على التجميل والنسيان رغم تجاوزنا لتلك المشاكل ونسيانها من جانبنا.**

**٧٨٨ = أم عمرو:**

كتمان مشاكل الأسرة ضرورى لحلها، ولكن كل من الزوجين يحتاج أن يجد فى شريكه من يستمع له حتى لا يلجأ لشخص آخر.




د. أبو حسام
المنصورة

## ١٤٠ـ الأسوار المكتبية :

كانت ظاهرة الأسوار المكتبية منتشرة فى العواصم الكبرى بالدول العربية ومن اظهرها سور الأزبكية بالقاهرة، حيث تحتشد آلاف الكتب المقروءة لتباع بأثمان زهيدة بعد أن فرغ أصحابها من استيعابها وباعوها ليستطيعوا شراء كتب أخرى، وكان من المعهود أن يشترى الطالب الناشيء كتاباً ثم يرجعه بعد يومين ليأخذ غيره، بل كانت القصص الأدبية لكبار الكتاب تؤجر للقراء بمليمات معدودة، كما أن ورثة بعض العلماء كانوا يبيعون مكتباتهم العامرة لأصحاب هذه الاكشاك المكتبية، فيجد القارئ كتبا قيمة تباع بعُشر أثمانها، وقد يفاجأ بكتب تحمل إهداءات لكبار الشخصيات، ومع ذلك فانها تباع على الأسوار، والراجح أن بعض الخدم يسرقونها ويبيعونها إذ يستبعد أن يفرط مسئول كبير فى كتاب علمي أهدي إليه من كاتب مرموق! ونأسف حين نقرر أن هذه الأسوار قد هوجمت هجوما بربريا ففقد القراء نافذة مضيئة من منافذ الثقافة. بل إن أصحاب المكاتب الكبيرة قد فطنوا الى الربح من الأكشاك الصغيرة، فحملوا كتبهم الجديدة إليها، لتعرض فى مظهر أخاذ وليكون الثمن باهظا لا يشجع غير المضطر، وإذا كان التليفزيون وصحف السينما والكرة قد جذبت أنظار الشبيبة الى نوع من القراءة يذم أكثر مما يحمد فإن الخواء الثقافى قد هيمن على القارىء الناشيء ومن البليّة أنه لا يعرف أنه فى خواء! لأنه يعتبر ما يقرؤه من تفاهات الأخبار السينمائية والكروية ومن قصص الجنس كافياً عن كل زاد! وتلك هى الكارثة.

أكتب هذا تمهيداً لما أتحدث عنه من أخبار المكاتب فى القديم والحديث.

## ١٤١ـ كبار الأدباء :

كنا فى عهد الطلب نرى نفراً من كبار الأدباء يؤمون المكتبات الأدبية، ومن بينها الأسوار المكتبية ليشبعوا رغباتهم المتطلعة وأنا قد رأيت العقاد والمازني وأحمد أمين وابراهيم المصرى، وعبد الرحمن صدقى وعلى أدهم مرّات عديدة أمام سور الأزبكية، بل رأيت الدكتور أحمد أمين فى حانوت متواضع جداً بدرب الجماميز يمتلىء بالكتب على غير نظام (وهو ما يعرف بمكتبة الشيخ خربوش) فتذكرت أن له مقالا رائعا عن هذه الحوانيت قال فيه:

«بالأمس ضحك منى بائع الكتب القديمة، إذ رآنى أقلّب فى الكتب، وأذهب ذات اليمين والشمال وأصعد على الكرسي، وأنزل من عليه، والكتب بعضها بالٍ عتيق، قد غُلّف بالتراب، وأكلته الأرضنة وكلها وضعت حيثما اتفق ، ولم يعن فيها بترتيب حسب الموضوع، ولا حسب الحجم، ولا حسب أىّ شيء، ولم يبذل أى جهد فى تنظيفها وعرضها، فكتب على الأرض، وكتب فى السماء، وكتب فى الرف وكتب على المقاعد، وكتب فى

المشى، والبائع رجل تقدمت به السن، زهد البيع وزهد الشراء وإنما يبيع ويشترى لأنه اعتاد أن يبيع ويشترى، وكل ما فى أمره أنه فضل أن يجلس فى الدكان بدل أن يجلس فى البيت، إذ يرى الرائحين والغادين، ومن حين إلى حين يبيع كتاباً أو كتابين».

أما الأستاذ العقاد فقد ذكر فى بعض مقالاته، ولا أدرى عنوانها الآن، أنه قابل الكاتب الفرنسى الكبير أندريه جيد فى إحدى مكتبات القاهرة، ولم يشأ أن يحادثه أو يتعرف به، فى وقت كان فيه الدكتور طه حسين وأساتذة الجامعة يقيمون الحفلات المتوالية لتكريمه. ويقول العقاد، إنه بتجربته الشخصية قد علم أن لقاء الأديب الكبير يقلل من شأنه لدى قارئه، حيث لا يكون فى أحسن حالاته الفكرية! والعقاد متعاظم دائما مع الكبراء، ولكنه متواضع جدا مع الناس، كنا نستمع إليه فى حفلة تأبين كبرى لبعض الراحلين، وكان المتكلمون من الزعماء الكبار، فرأينا العقاد يخرج وحده، دون أن تحيط به هالة مصطنعة كغيره، وقد رآه زميلى الطالب الأزهرى الشيخ سيف المجلي فسارع إلى اصطحابه، فهمس له العقاد، ووضع يده تحت ذراعه! ومضيا معا الى الخارج! هذا والعقاد لم يعرف الشيخ سيف المجلى من قبل، ولكنه يرحب بمصاحبة الناشئين ويأنف من مسايرة المرموقين.

### ١٤٢ ـ تنافس حميد :

فى القرن الماضى قبل أن تخرج المطبعة ثمارها الشهية من كتب التراث، كان التنافس على اقتناء الكتب الأدبية المخطوطة شديداً بين ذوى الهواية الأدبية من الأغنياء، وكان عبد الغنى بك فكرى وعبد الحميد بك نافع من ذوى التنافس الحاد، حيث يباهى كلاهما بما أحرز دون صاحبه، وقد سجل المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عنهما هذه الطرفة النادرة فقال:

«أخبرنى المترجم عن والده، عبد الغنى فكرى بك أنه قد علم أن تاجراً من الوراقين قد قدم بكتب أدبية أوصاه عبد الحميد بك نافع بجلبها له، ومن بينها ديوان البحترى - قبل أن يطبع ويذيع - فأسرع إليه وبذل له مالا فوق قيمة الديوان، على أن يعيره يوماً وليلة فقط ليطالع فيه، فرضى التاجر وأعاره إياه، فلما أتى به لداره أعطاه لمجلده ليفكه، وأحضر فى الحال عدّة نُسَّاخ فرَّق عليهم كراريس للنسخ بها فنسخوا الديوان جميعه، وقابلوه، ولم يمض يوم وليلة حتى تم الكتاب، وردت النسخة لصاحبها كما كانت، ثم قابله عبد الحميد بك وأخذ يفاخره بوجود الديوان عنده واختصاصه به، فقال له: هون عليك ياأخى ، هذا شيء أكلناه وشربناه حتى مججناه، ثم أخرج له النسخة المخطوطة مجلدة تامة فكانت موضع الدهشة!

يقول تيمور باشا مستطرداً عن عبد الغنى فكرى: وبلغه مرة وهو يسمر مع بعض أصحابه أن أحدهم رأى عند فلان الوراق رسالة من الرسائل الأدبية، وكان يتطلبها ولا يجدها، فقام من المجلس ليلا وأخذ يسأل عن دار الوراق من هنا وهناك حتى اهتدى إليه بعد ما مضى هزيع من الليل، فأيقظه من نومه وساومه وأعطاه فى الرسالة فوق قيمتها، ولم يمهله للصباح، بل أنزله من الدار وذهب معه إلى حانوته، ففتحه ليلا، ولم يهدأ له بال حتى كانت الرسالة عنده!.

### ١٤٣ ـ فى الزمن الماضي :

هذا الحرص على المخطوطات لم يكن وليد هذا الزمن، بل امتد سابقاً إلى العصور الزاهية منذ التدوين وإذا كان العلماء والأدباء يحرصون على اقتناء الأسفار لإشباع حاجاتهم العلمية، فإن من العجيب حقا أن يحرص الأثرياء الذين لا يفهمون شيئا مما بالكتب العلمية على اقتنائها فى خزانات خاصة تلحق بالمنزل وتكون موضع المباهاة! كما يتباهى الثريّ بما يجمع من الجواهر والحليّ سواء بسواء، جاء فى نفح الطيب أن منادياً بسوق الوراقين نادى باسم كتاب كان أبو القاسم الحضرمى من علماء القرن الخامس حريصاً على اقتنائه، فجاء النبأ إلى أبى القاسم فخفّ إلى السوق قبل أن يباع الكتاب، فرآه بخط جيد وورق مصقول وتجليد رائق، فقال للمنادى أخذه بدينارين فصاح الدلال: أبو

القاسم الحضرميّ قد عرض دينارين فمن لديه أكثر؟ فقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أربعة، وملّ أبو القاسم الموقف فقال عليّ بعشرة! ولكنّ شابا ظهر فجأة ونظر إلى المجلد وقلبه في يده، وقال: عليّ بعشرين فغضب أبو القاسم، ثم قال عليّ بخمسة وعشرين، فقال الشاب عليّ بثلاثين، ومازالت الزيادة ترتفع بين أبي القاسم والشاب حتى وصل الثمن إلى خمسين دينارا، فتضاءل أبو القاسم، وتقدم الى الشاب يقول له إنك قد بالغت مبالغة مسرفة حين عرضت الخمسين، وما كان هذا المجلد ليزيد عن خمسة على الأكثر! فما سبب رغبتك فيه؟ فقال الشاب، لست ممن يقرءون الكتب ، ولكنيّ هيأت خزانة علمية أدبية للمباهاة، وقد صرفت عليها كثيرا مما أملك، وأعيان البلدة يؤمونها ويطالعون ما بها فأشعر بالفخر والإعجاب، وقد تأملت الكتاب فوجدته حسن الخط والورق والتجليد فقلت والله لن يفلت من خزانتي، والحمد لله على ما أنعم فإن الرزق كثير، فخشع أبو القاسم الحضرمي وقال في أسف: نعم: الرزق كثير عند مثلك ويعطى الله الجوز لمن لا أسنان له. هذه طرفة لها أمثال، فأنا أعرف من يحرصون على اقتناء الكتب بلغة لا يقرءونها، وتسألهم عن ذلك فيقولون لابد أن تجمع المكتبة فنوناً من الكتب العالمية أوربية وغير أوربية، لتكون موضع التقدير! وتراهم يعرضونها على الزائرين في مسرة وابتهاج!.

## ١٤٤ ـ طرفة نادرة :

كان ابن غطوس أشهر بائع للمصاحف القرآنية في بلنسية، وله شهرة واسعة في حواضر الأندلس جميعها، وقد أتقن الكتابة إتقانا ضرب به المثل، حتى كان يخلط المداد بالمسك والعنبر لتعبق له رائحة بين السطور يتنشقها قارئ الكتاب العزيز، وكانت الألوان تتعدد في السطر الواحد، ما بين حمراء وسوداء وخضراء وصفراء إذ للكسرة لون وللفتحة لون وللضمة لون وللسكون لون، غير أشكال التنوين فإنها تكتب بالمداد الأزرق، وذلك جهد يقدّره عارفوه.

وقد جاءه زائر غريب من بلدة قاصية فاشترى مصحفا فخما دفع فيه مائتي دينار بذلها في سماحة، ثم توجه الى بلدته وكانت على مسيرة أربعين يوما من بلنسية، ولكن ابن غطوس بعد أمد يسير شك في وجود خطا في شكل لفظ معيّن من آية كريمة، وخاف أن يكون هذا الخطأ في المصحف المباع فأخذته الحيرة، وتضاعفت المسئولية في نظره حيث أن الكتاب كتاب الله! وهو مسئول عن صحة ما به، فرأى أن ينجو من حيرته وأن يتهيأ للرحيل إلى بلدة المشترى، وقاسى المتاعب خلال أربعين يوما لم تنقطع بها الرحلة في ليل أو نهار، حتى طرق باب المشترى وباغته بقوله: أين المصحف؟.

فدهش الرجل وقال ابدأ بالسلام يا رجل، فالمصحف مصحفي لم أسرقه ولم أغصبه، بل اشتريته بما اقترحت من ثمن؟ فقال ابن غطوس: سامحك الله! ما جئت لأنتزعه منك، ولكن توهمت خطأ في شكل حرف من حروفه، فتعاظمني الخطب، ولم أهدأ حتى جئت إليك!

فأسرع الرجل بإحضار المصحف، ففتحه ابن غطوس في لهفة، وعمد إلى آية من سورة الزخرف فقرأها، ثم أخرج مطواة ذات حدّ رقيق من جيبه، وعالج بعض الشكل حتى تحول من ضمّة إلى سكون، وأعاد السكون باللون الموافق، وقال: الحمد الله، لقد برئت ذمتي، والناس من حوله دهشون.

## ١٤٥ ـ من شعر شوقي :

أنا من بدّل بالكتب الصحابا
لم أجدْ لي وافيا إلا الكتابا
صاحب إن عبته أو لم تعبْ
ليس بالواجد للصاحب عابا
كلما أخلقته جدّدني
وكساني من حلى الفضل ثيابا
إن يجدني يتحدث أو يجد
مللا يطوى الأحاديث اقتضابا
صالح الإخوان يبغيك التقى
ورشيد الكتب يبغيك الصوابا

**تنويه:**

**هذان الرقمان (١٣٨ - ١٣٩) من الشذرات يتبعان - موضوعيا - بشذرات الحلقة السابقة، المنشورة في العدد السابق برقم (٥٢٦).. وما كان حذفهما إلا بسبب ضيق المساحة..**

**ولما كان الدكتور أبو حسام يلتزم وحدة الموضوع في اختيار الشذرات وترتيبها، فانه كان لزاما إلحاق هذين الرقمين في هذا العدد.**

## ١٣٨ - دفاع عن الأمين:

قال الأستاذ الكبير عبد الله عفيفى فى الجزء الثانى من كتاب المرأة العربية ص ١٩٤ تحت عنوان «آخر صفحة من كتاب العظائم».

أستغفر الله، ما كان الأمين خليعا ولا مائعا، ولا مارقا ولا سرفا فى دينه ودنياه، بل كان شأنه كشأن أبناء النابهات من العرب، كفٌّ ندية، وهمة قصية، وفطنة هاشمية، ولكن هم المرجفون من شيعة المأمون، وقالة السوء من شعوبية الفرس، ألحقوا به ما ألحقوا ظلما وزورا لأنه اعتصم بالعرب، وجعلهم حزبه وشيعته، وترك ما سنه آباؤه من استدناء الفرس، وابتغاء الوسيلة عندهم وتفويض الأمر لديهم، فنزعوا إلى المأمون ونزع إليهم لما بينهم وبينه من وشيج الرحم وفرط الهوى، فأثاروها على الخليفة العربى حملة فارسية، وأجلب بهم المأمون على أخيه فساروا إليه محددى الأظافر مرهفى الأنياب، حتى هتكوا عليه داره فذبحوه، وحملوا رأسه إلى صاحبهم، فهل رأيت أشنع من هذا؟

يقولون إن الأمين أسرف فى الشراب، فاللهم إنهم كذبوا لقد علموا أن الرشيد حدَّ ابنه المأمون فى الخمر أو ما هو شرٌّ منها! فأما الأمين فلم يكد يلى أمر المسلمين، حتى ارتهن أبا نواس فى سجنه وأطال فيه بلاءه وعناءه لأنه لجّ فى الخمر وأكثر من ذكرها!

## ١٣٩ - من روائع شوقى:

نال البطل المصرى السيد نصير الجائزة الأولى في مسابقة رفع الأثقال العالمية، وأقيم له حفل تكريمى بالقاهرة أنشدت به قصيدة عامرة لشوقى قال فيها:

إن الذى خلق الحديد وبأسه
جعل الحديد لساعديك ذليلا
زحزحته فتخاذلت أجلاده
وطرحته أرضا فصلّ صليلا
لم لا يلين لك الحديد ولم تزل
تتلو عليه وتقرأ التنزيلا

وهذا كلام جيد، ولكن الرائع العجب حقا، ما اتجه إليه شوقى حين أخذ يسائل البطل سيد نصير عن الأثقال النفسية التى هى أشد هولا من الأثقال الحسية، فهو يقول له متسائلا: أحملت دينا فادحاً؟ أحملت حقدا مبيدا؟ أرأيت طغيان اللئيم حين يصير مثريا غنيا؟ أشهدت صاحب الجاه المختلس حين يتكبر على من هم أفضل منه وأكرم؟ أشهدت الغبي المحظوظ بمنصبه يستمع من آيات الثناء ما لا يستحق؟ إنّ ذلك كله أعظم فداحة، وأثقل عبئاً من أطنان الحديد التى حملتها بساعديك؟ يقول شوقى:

قل لى نصير، وأنت برّ صادق
أحملت إنسانا عليك ثقيلا؟
أحملت ديناً فى حياتك مرّة
أحملت يوما فى الضلوع غليلا؟
أحملت ظلما من قريب غادر
أوكاشح بالأمس كان خليلا؟
حملت منّا بالنهار مكررا
والليل من مسد إليك جميلا؟
أحملت طغيان اللئيم إذا اغتنى
او نال من جاه الأمور قليلا؟
أحملت في النادى الغبى إذا التقى
من سامعية الحمد والتبجيلا؟
تلك الحياة وهذه أثقالها
وزنَ الحديد بها فعاد ضئيلا

وهذا والله هو الشعر!!

أقلام شابة

جمعتني في إحدى أسفاري جلسة مع جاري في المقعد ... تعارفنا ... وتجاذبنا أطراف الحديث فكان مجاله الصحافة، حيث تخرج في قسم صحافي منذ عشر سنين.

سألته كم كانت دفعتك؟ فأجاب: فوق المائة، قلت له: وأين هم الآن؟ فقال: صحافة حرة. قلت له: تقصد تحقيقات.. وتغطيات .. وحوارات .. ومتابعات .. ومراسلات .. الخ فأجاب بالإيجاب.

دلفنا إلى واقع الصحافة في عالمنا العربي، وكانت الدهشة حين وجدته لا يحسن نطق أسماء المجلات التي يتعامل معها - لا عن لُكنة في لسانه ولكن عن جهل بالطريقة الصحيحة للنطق بها، لاسيما إذا كان الاسم عربيا مشرقا.. فقد نطق اسم المجلة التي كان يعمل مراسلا لها خطأ..!!

هنا انطلق صوتي: (مراسل مجلة.. ولا تجيد نطق اسمها.. بل لا تعرف اسمها الصحيح؟) هكذا.. فقد تملكتني الغيرة على هذا الصرح البالغ في التأثير (صرح الصحافة)، وعقبها صدق حدسي الذي كان يراودني منذ فترة.. ورأيت فيه النموذج لما يمكن تسميته «الصحفي المرتزق» (اسم فاعل، من يتحايل على طلب الرزق). ورددت في نفسي: آه.. من الصحفي المرتزق.

نعم ، كان يراودني منذ أمد خطورة هذا الصنف على الصحافة حتى وقعت على نموذج حي لهذه الظاهرة المؤلمة، ذلك أنني كنت أفجع حين أجد بعض الهُمَّل من أصحاب الفكر المشوّه وقد برزت صورته المكبرة، وكتب تحت اسمه أو فوقه: المفكر.. أو العلامة.. أو الاديب.. إلى آخر هذه النعوت الضخمة، ضمانا للنشر.

بقلم: **خالد السيد علي بلاسي**
مدرس البلاغة والنقد المساعد بجامعة الأزهر

# الصحفي المرتزق

ثم إنني كنت أفجع كذلك حين أجد أحد المرتزقة وقد أجرى لجريدة أو مجلة ما حوارا مع بعض هؤلاء الهمل مقدما له بما لا يستحقه، هذا فضلا عن انفصام شخصيته وتناقضه العجيب مع نفسه حين تراه يحاور هنا شيخا وهناك فنانا أو فنانة - كما يسمونهم -.

فهل ظنَّ مثل هذا المرتزق أن القضية قضية مجموعة أسئلة يحملها في حقيبته ليجري بها هنا وهناك، وفي صحبته (كاميرا) و(ريكوردر)، وصورة من

(الكاميرا) وكلام من (الريكودر) ينسخ على علاته، ثم يرسل، ثم تأتي الدولارات.

بئست البضاعة هذه.. فهذا أمر لا يعوز أقل الناس معرفة أن يصنعه، ذلك أن الحوار اذا لم يتشرب حرارة مجريه ومعايشته وإلحاحه فإنه لا شك سيولد باهتا باردا بل ميتا، فليست الثكلى كالمستأجرة.

ثم هل ظن كذلك أن الصحافة تشترى ألقابا؟ كلا إنها تشترى فكرا قبل وبعد كل شيء.. وإن كنت أبادر فأعذر الصحافة لا سيما إذا كان المرتزق فى قطر والجريدة أو المجلة فى قطر آخر.. وهذا هو الغالب فى مثل هذه الحالات، إذ عندها لا تنظر إدارة التحرير إلى صحة الألقاب المرسلة، بل ولا يتأتى لها ذلك، لإنها أولا تحسن الظن، ثم هى ثانيا تنظر إلى ما أتاها على أنه مادة صالحة للنشر.

إذن فالأمر جلل، ولابد من تداركه، ذلك أن الخبرة الجيدة فى عالم الصحافة لا يصقلها إلا الممارسة الفعلية على أرضها، والاكتواء بنارها الدافئة لا المحرقة إذ:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

ولذلك فإنه علي أقسام الصحافة بجامعاتنا إلحاق طلابها بأرض الصحافة الفعلية، كي يمارسوها بصورة واقعية اثناء دراستهم.. ونحن ـ والحمد لله ـ نمتلك مؤسسات صحفية تستوعب هذا الكم .. فكل قطر فيه ما يزيد عن المائة صحيفة ومجلة ـ على الأقل ـ فلو خصصنا مادة اسمها صحافة ميدانية أو عملية أو أيّ مُسَمّى آخر.. ثم ألحقنا الطلاب كل بما يجاوره من مؤسسات.. عند ذلك ستستوعب كل مؤسسة خمسة طلاب مثلا يتدربون فى أقسامها المختلفة، لو فعلنا ذلك إذن لضمنا عناصر صحافية مدربة، بل ومرتبطة بوطنها، مؤمنة بمستقبله الأفضل، تسعى إلى تحقيق المزيد من ذلك له.. تنام وتستيقظ على هذا الحلم الرقيق.. ولعل هذا ليس بدعا، فعمالقة الصحافة لم يتخرجوا فى أقسام الصحافة بالجامعة، وإنما تخرجوا فى أقسام الصحافة القابعة فى نوات أنفسهم، وإيمانهم وحبهم لوطنهم ولمهنتهم.

ثم إذا أردنا استطلاعات أو حوارات حارة ـ كما أشرت ـ فليوفد كل قطر بعضا من شبابه، لتصقل مواهبهم، وليفيدوا من الأقطار الأخرى، وليجروا ما شاؤوا من الحوارات الهادفة البناءة.. وهنا نضمن صياغتها وإخراجها فى الثوب المناسب للمجلة أو الجريدة.

هنا تكون الصحافة رسالة وليست وظيفة.. ناهيك عن أن تكون وسيلة ارتزاق مهترئة شائنة.. هذا فضلا عن عدم رسوخ قدم هؤلاء المرتزقة فى اللغة والأدب اللذين هما وعاء صحافتنا وعنصر الجاذبية فيها. وهكذا يجب أن يكون للصحافة أهلها، المؤمنون بها.. والمنكرون لذواتهم.. والمتخذون إياها هدفا نبيلا، يصلون من خلالها ـ وبالوسائل المشروعة الهادفة ـ إلى الاصلاح وإلى إيجاد مجتمع يرفل فى حضارة الإسلام المعطاءة المنيرة السعيدة..

فلينزجر كل من يهوى بالصحافة إلى مستواه الهابط ، الأرضي، «الدولاري» فالصحافة رسالة إنسانية سامية.. ينجح فيها من لا يرجو من ورائها (عدّ الدولارات).. وليتنبه رؤساء التحرير إلى كل ذلك .. والله من وراء القصد.

# عــــزاء

«يا أيَّتُها النفسُ المطمئنة ارجعى الى ربّك راضية مرضية فادخلي فى عبادي وادخُلي جنتي»

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره تتقدم دارة مجلة المنهل
بأحر التعازي والمواساة الى
مقام خادم الحرمين الشريفين

## الملك فهد بن عبد العزيز

والى صاحب السمو الملكي :

## الامير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
والى صاحب السمو الملكي:

## الامير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران
والمفتش العام
والى ابناء واحفاد الفقيد والى العائلة المالكة في وفاة فقيدهم الغالي:

صاحب السمو الأمير

## محمد بن سعود الكبير

داعين الله عز وجل ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوان ·· وانا لله وإنا اليه راجعون·


Bibliotheca Alexandrina
0531220